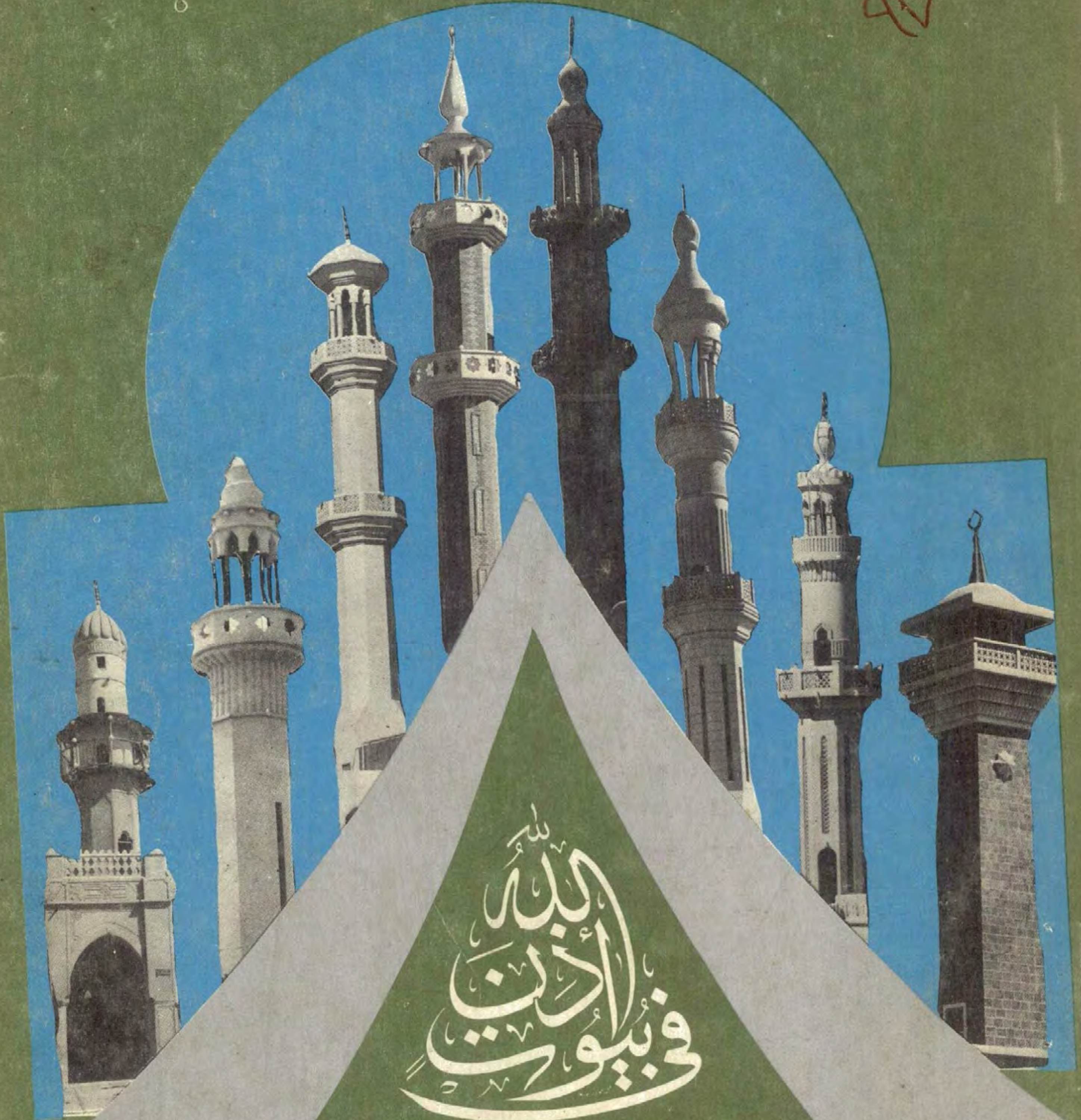
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

٩٧



هدية العدد التقويم الهجرى



استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بقصر السيف العامر سمو ولي العهد والشيوخ وجموع المهنئين بعيد الأضحى المبارك .

صورة الغــلاف :

ثمانية مآذن من مساجد الكويت شيدت على طراز مختلفــة مما يشهد بجمال الفن الاسلامى وقدرة الصانع المسلم ننشرها بمناسبة مرور ثمانية اعوام على صدور المجلة .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

الســـنة التاســعة

العــــدد (٩٧)

غرة المحرم ١٣٩٣ هـ

٤ من فبراير ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غرة كل شــــهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنــوان المراســـلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـــ وزارة الأوقــاف والشــئون الاســـلامية

صنـــدوق بريــــد : ١٣ كويت هاتــف : ٤٢٨٩٣٤ ـــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

عام جديد على العهد والميثاق

من حق الكتاب والقراء معا على المجلة أن يتعرفوا مسيرتها فى مدى الأعوام الثمانية التى مرت عليها منذ ظهورها حتى مطلع العام الهجرى الجديد .

فأما الكتاب فليطمئنوا الى أن الجهد الذى أعانهم الله عليه فى تبليغ دعوته ونشر رسالته قد نفع الله به كثيرا من الناس ، وليهنئوا بأن مداد أقلامهم يزن عند الله تعالى دم الشهداء ، ونرجو أن يكون فى هذه التهنئة والطمأنينة ما يشرح الله به صدورهم ، ويقوى عزمهم فى جهادهم حتى تكون كلمة الله هى العليا .

وأما القراء فليزدادوا إيمانا بأن مجلتهم المفضلة تطوف الآفاق ويشاركهم فى مطالعتها اخوان لهم كثيرون فى مشارق الأرض ومغاربها، وثقوا ثقتهم بها واطمأنوا طمأنينتهم الى منهجها ، وهذا مما يزيدهم رغبة فيها ، واستيعابا لها ، واستفادة بما نشر فيها : ((فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)) .

ومن واجبنا نحو الرسالة التى شرفنا الله بها ، والمسئولية التى حملناها أن نقف قليلا عند بداية العام التاسع لميلاد المجلة لنرجع البصر إلى الأعداد السادسة والتسعين التى صدرت منها لنزداد إحسانا فيما أحسنا ، ونتدارك النسيان أو القصور فيما قصرنا أو نسينا : ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا))

بدء المسيرة :

وقد بدأت المجلة مسيرتها على عهد وثيق ونهج واضح تبينت معالمه فى افتتاحية العدد الأول منها :

((كان لا بد للكويت فى خطواتها السريعة نحو التقدم الحضارى فى جميع مجالاته أن يكون لها مجلة إسلامية بجانب الصحف والمجلات السياسية والأدبية التى تصدر فيها ، لتقوم بدورها فى نشر الثقافة الدينية

بما تقدمه من عرض أمين لتعاليم الإسلام ومبادئه ، وتحديد صحيح لمفاهيمه وقيمه ، ودعوة مخلصة الى رعاية هذه المبادىء والتعاليم ، وتجسيد تلك المفاهيم والقيم في حياة الناس ، حتى يتحقق التوازن الروحي والمادي في المجتمع الجديد ، ويسير في طريقه السليم نحو نهضته المرموقة ، فلا يتعرض للأخطار التى تصيب كل مجتمع يختل التوازن فيه .

وقد رأت وزارة الأوقاف أن تقوم بعبئها في هذا المجال فأصدرت مجلة ((الوعى الاسلامى)) إيمانا منها بأن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها ، وأن بناء أى نهضة لا بد أن يتم على الأساس الذى كانت عليه النهضة الأولى للمسلمين ، لنصل حاضرنا الطريف بماضينا التليد .

مهمة وزارة الأوقاف :

إن وجود وزارة الأوقاف في البلاد أمر تحتمه الضرورة للحفاظ على قيمنا .. وإذا كانت وزارة الصحة وجدت في البلاد لرفع المستوى الصحى فيها ، ووزارة التربية وجدت للاشراف على تربية النشء وتعليمه - فوزارة الأوقاف تأتى في المرتبة الأولى لأنها ذات رسالة روحية تعمل على نشر الثقافة الاسلامية - وخلق جيل قوى من الشباب المسلم المؤمن بربه ووطنه .

إن عالمنا اليوم عالم تغزوه الأفكار الدخيلة ، وتتصارع فيه مبادىء طارئة وهى وإن كانت غريبة علينا باعتبارنا أمة إسلامية أصيلة إلا أنها تعمل عملها بلا شك في بلبلة الأفكار وزعزعة العقيدة ، ما لم يكن هناك مجهود تصد تيارها وتبديد آثارها ، ونحن كأمة ذات رسالة خالدة جاء بها القرآن الكريم فأعلن الأخوة العالمية بجانب الأخوة الدينية ، ورفع من مستوى النفس الإنسانية ، واقام دعائم العدالة الاجتماعية بين الحاكم والمحكوم وبين الضعيف والقوى والفقير والغنى والرجل والمرأة ، وأشاع في المجتمع معنى التكافل الحق الذى تشيع في كل نواحيه معانى الحب والسعادة والطمأنينة والسلام .

إن الدين ركيزة قوية في دفع كل ما هو خطر على الإنسان وخصائصه ومميزاته والإنسان لن يستطيع أن ينعم في هذا الكون الفسيح بالرفاهية والسعادة الحقة ما لم يكن على جانب كبير من الحفاظ على قيمه الروحية .

والأمة العربية - كما نعلم - دينها الإسلام - وهو روحها الذى لا يمكن أن تعيش بدونه ، وهو مصدر سعادتها وسبب نهضتها من كبوتها ، وهو الذى فتح أمامها الآفاق ، ودفع بها إلى أقصى المشرق والمغرب تحمل رسالة السماء إلى الأرض .. رسالة الحق والعدل والإخاء والمساواة .

هذه الحقائق لا ينازع فيها منازع .. لكن الحقائق لا بد لها من جنود ينهضون بها ، ويحمونها من المعتدين عليها .

وإذا كانت كل وزارة من وزارات الدولة لها رسالتها الخاصة ، وإن كانت كلها تتلاقى في خدمة المجتمع والنهوض به فإن وزارة الأوقاف قد فرضت عليها ظروف الحياة أن تنهض

بالرسالة الروحية ، وتعمل على دعم القيم الدينية فى النفوس .

مشكلاتنا وحلولها :

واستشفت الفقــرات الأولى من العدد الأول ما فى نفوس القراء من تطلعات إلى عرض مشكلات العصر وإيجاد الحلول لها فى ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

« إن القراء يواجهون مشكلات فى حياتهم ، ويريدون رأى الدين فيها .. لم يعودوا يكتفون بتقرير أن الدين صالح لكل زمان ومكان ، بل يريدون تطبيقــا عمليا لهذه الحقيقــة التى يؤمنون بها .

إن معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجــودة حين وضــع الفقهـــاء والأصــوليون كتبهم وقواعــدهم ، واستطاعوا حينذاك أن يغطوا كـــل مشاكل الحيـــاة التى عاصروهـــا بل زادوا عليها افتراضات أوجـــدوا لها حلولا .

والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركـــوا شيئا للأواخـــر كما يقال .

وأصبح الباحثون المسلمون يؤمنون بضرورة الاجتهـــاد — ولو بشـــكل جماعى لمواجهة أساليب الحيـــاة الحديثة وتكييفها من الوجهة الدينية .

وذلك ما نريد أن يحاوله كتابنا ، وما تفتح المجلة صدرها له » .

وقد حققت المجلة بعض ما أملت ورجت ، فكانت صفحاتها منبرا عاليا للمناداة بتوحيد أوائل الشهور العربية فى الدول التى تســـمح نصـــوص الشريعة وآراء الفقهاء بتحديدها فيها، وكانت صفحات المجلة منبرا عاليـــا لابداء الرأى فى فوائد المصـــارف المستحقة والمنـــاداة بسرعة البت فى إنشاء بنك إسلامى تطهر معاملاته من الربويات وكانت المجلة منبرا عاليـــا للتنبيـــه على مطـــامع الصهيونيـــة وشراستها ، ووقفت المجلة بجـــانب زميلاتها من المجـــلات الإسلامية فى المعـــركة الفاصلة التى اجتمع فيهـــا أعداء الإسلام وخصومه على حربه ، واســـتخدموا مختلف الأســـلحة فى الميادين العقائدية والثقافية والجبهات السياسية والاقتصادية لمناوأته .

التـــزام :

ومنـــذ صدرت المجـــلة وهى فى مسيرتها فى الأعوام الثمانية الماضية ملتزمة بمضامين اســـمها « الوعى الاسلامى » ومعطيات هدفها « المزيد من الوعى لإيقاظ الروح بعيـــدا عن الخـــلافات المذهبيـــة والسياسية » ونأت المجلة بجانبها عن الجدل العقيم وأمسكت عن مناقشة الذين لا يقفون عنـــد منطق ، ولا يقنعون ببرهـــان لأنهم خصمون ، وقد ذمهم الله وأيأس رسوله من مجـــادلتهم « بل هم قوم خصمون » وفى الأثر : « ما ضـــلّ قوم قط إلا أوتوا الجدل » .

وفى حدود هذا الالتزام وما تقتضيه عفة القول ونزاهـــة الغرض قومت المجـــلة كل ما ورد لها من بحـــوث

ومقـــالات وقصص وشعر وتراجم ، ونشرت منه ما يتفق مع ما التزمته .

ومع هذا الالتزام فى المنهج والقول حرصت المجلة قدر استطاعتها فى كل عدد من أعدادها على أن تفسح المجال للأقلام الرفيعة فى مختلف الأقطـــار الإسلامية تقديرا لها وانتفاعـــا بها ، وجذبا للقراء الذين يحبون أن يقرأوا لكتابهم الذين نشأوا فى بيئتهم كمـــا يحبون أن يقرأوا الأقلام البعيدة عنهم .

وكان لهـــذا الإلتزام فى المنهـــج والكتاب أثره فى رواج المجلة وبلوغها تقـــدير الكاتبين وثقـــة القارئين حتى أصبح كل كاتب من كتابها وقارىء من قرائها يؤثرهـــا ويعتبرهـــا مجلتـــه المفضلة ويلح فى الســـؤال عنها إن تأخرت فى الطريق عن موعد وصولها إليه أو نفدت أعدادها من الباعـــة بسبب التزاحم عليها .

٢ مليون ونصف :

وأكثر من مليونين ونصف مليـــون نسخة من أعداد المجلة وثلاثة أرباع مليون رسالة وكتيب وزعت مع اعداد المجلة فى جميـــع الدول العربيـــة والإســـلامية فى الأعوام الثمانيـــة الماضـــية وأرســـلت إلى المراكـــز والجامعات والهيئات والمكتبات وكبار الشخصيات المسلمة فى بقيـــة دول العـــالم ، وترجـــم كثير من المقالات بإذن من المجلة إلى بعض اللغـــات الأجنبية ، كمـــا زيدت صفحاتها من مائة الى١١٦ صفحة والى١٣٢صفحة فى الأعـــداد الممتازة ، وفى كـــل مناسبة إسلاميـــة كرمضـــان والحج والهجرة النبوية ومولد الرســـول والاسراء والمعـــراج ، يصدر عـــدد خاص ، وزين غلافها بما يقرب من (٨٠) صورة ملونة رائعة لأشـــهر المساجد فى العالم .

• • • • •

هذه أيها القارىء الكريم لمحـــات سريعـــة عن مجلتـــك المفضـــلة فى أعوامها الثمانية التى رمزنا اليها على غلاف هذا العدد بمنارات تؤذن فى كل وقت أشـــهد أن لا إله إلا اللـــه أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح .

ونحن مع هذا لا نزال فى بداية الطريق نتجه نحو الكمال ونســـعى إليه ، ونأخذ من كل شىء فى المظهر والمضمون بأحسنه يعيننا عليه عون الله وتشجيع المسئولين ومدد الكاتبين وإقبال القارئين .

ولا يسعنا فى مطلع العام الهجرى الجديد إلا أن نجدد العهد لله سبحانه على المضى فى سبيله والدعوة الى دينه والتضرع الى الله جل جلاله أن يعز الإسلام وينصر المسلمين ويعلى كلمة الحق والدين ، وأن يرينا يوما تكون التهنئة فيه صادرة من أعمـــاق قلوبنا وقرارة نفوسنا بما يمن به علينا ويؤهلنا له من وحدة الدين ووحـــدة الكلمة ووحدة الدستور .

والله ولى التوفيق .

رضوان البيلى
رئيس التحرير



فطرنقية

للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

١ ــ قال ابن هشام : بلغني عن الزهرى أنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » .

٢ ــ ورد فى صحيح البخارى ، كما جاء فى صحيح مسلم عند الكلام على بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما نصه : « ... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان أمرا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .. الخ » .

١ ــ برأ الله جلت قدرته الخلق جانحين الى التوحيـد ، نافرين من الشرك ، متعقبين البراهين الموصلة الى معرفة ربهم وذلك هو الدين القيم **« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون »** . (الآية (٣٠) من سورة الروم) ،وروى الشيخان فىصحيحيهما قول رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه كما تنتـج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جـدعاء » ؛ فالعقل الانسانى فى اصـل تكوينه صحيفة بيضـاء قابلة لاسـتيعاب ما ينقش فيها ، كالأرض الطيبة يخرج نباتها باذن ربه ، متنوعا مختلفا أكله كما يغرسـه زارعوه ، والانسان ترد عليه المعارف فيتقبلها والخير أغلب على طبعه من الشر ، فلا تتغير فطرته إلا بمعـلم كالأبوين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما نص الحـديث الشـريف ، ولو ترك الوليد وشأنه لعرف ربه بفطرته بل واستدل على وحدانيته بشواهد ما يرى ويبصر فى الكون المحيط به :

وفى كـل شىء لـه آية
تدل على أنه الواحـد

ولكن اكثر الناس لا يعلمون لبعدهم عن التدبر أو لوجودهم فى بيئة خاصة ومنشأ انحرفا بهم عن الجـادة

اللاحبة ، وأعميا بصائرهم عن الضياء يغمر الوجود ، فلبثوا فى غيابة الجهالة والتقليد المنحرف .

ولهذا يجذب انتباه الباحث فى تاريخ العقائد وخاصة (الاسلام) بروز شخوص سلمت فطرهم من الشرك ، فنفرت طباعهم من الخنوع لطواغيت لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئا ، ومن المعجب المطرب أن نتأمل حديث ابراهيم الى قومه ، ذلك القول المتسائل ، فى رفق وقوة مما لم يجدوا له جوابا إلا القوة الجاهلة الطاغية الغافلة عن قدرة المبدع العاصم رسله من الناس قال تعالى : « واتل عليهم نبأ ابراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ، ومثل هذه العقليات التى تقيم على التقليد غير مبصرة ما يداعب أبصارها فى أصباحها وأمسائها من آثار قدرة بديع السموات والأرض ، لا جواب لها إلا المجابهة بالرفض البات الباتر لمعتقداتها البعيدة عن الانخراط فى سلك المعقولات الواضحة الاستقامة فى معطيات العقول الناضجة الباحثة الفاقهة ، وعلى هذا أجاب ابراهيم : « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى إلا رب العالمين » ويدل ذلك على أن من آبائهم من هدته فطرته النقية الى معرفة قيوم السموات والأرض ، ثم علل عليه السلام عبادته رب العالمين بما لا تستطيعه آلهتهم ولا يد لهم هم فى الوصول اليه قال : « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

وقد وجد من سلمت فطرته من الشوائب ، فحاولت التفلت من موروثات مجتمعها وتقاليده ، وندت بعيدا عنه باحثة عن الحق فاهتدت ، وممن التقينا بهم فى هذا الدرب ناشدين المعرفة والجين فى نور رب العالمين جماعة نبتوا قبيل بعثة سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما آذنت بالظهور على مسرح الحياة كانوا أول المتابعين بقوة يقين وقلب سليم ، ونعرض هنا طرفا من أخبار بعضهم أمثال : سلمان الفارسى ، ثم ورقة بن نوفل وربما مزيدا من أولئك الرجال الذين قدروا عقولهم حق قدرها وساروا على ضوئها وارتفعوا بانسانيتهم عن دركات العقائد المسفة فى الانحطاط، عسى أن يكون فى ذكراهم العطرة داعية توجيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

٢ — أما خبر سلمان الفارسى فقد أوردته المراجع الأصيلة فى السيرة العطرة وروته عن عبد الله بن عباس رضى‌الله عنهما قال : « حدثنى سلمان الفارسى وأنا أسمع من فيه ، قال : نشأت فى أصبهان وكان والدى شيخا للقرية عارفا بالفلاحة مرجعا للناس فيما يصلح الأرض وما تجود به زراعتها ، وكان شديد الشغف بى، بلغ من شدة حرصه على أنه كان يحبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، ولقننى المجوسية وبالغت فى الاجتهاد والعبادة للنار حتى صرت خادمها الذى يمنعها أن تخبو لحظة لتعظيمى إياها وكانت لأبى ضيعة عظيمة بعثنى يوما اليها وأمرنى ببعض ما يريد فيها ، وأمرنى أن لا ألبث هناك طويلا ، فلما كنت فى بعض الطريق الى تلك الضيعة مررت بكنيسة من كنائس النصارى فتسمعت الى

اصواتهم وهم يصلون ، فولجت عليهم لأنظر ماذا يصنعون ، فأعجبتني صلاتهم وملكت عليّ لبي ، وادركت ان امرهم هذا خير من الدين الذى نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة ابى فلم اصل اليها ، وسألت القوم أين اصل دينهم ؟ قالوا : بالشام ، فغادرتهم قافلا الى ابى ، وقد اعياه البحث عنى سحابة يومه ، فلما واجهته ابتدرنى قائلا : أين كنت ؟ قلت : يا ابت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما شهدت من دينهم .. فقال : ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قلت : كلا والله ، انه لخير من ديننا وقد شغفنى حبا وسيطر على كل جوانحى ولم يعد لى مفر من البحث

عن مصدره لأرى الأمر على جليته واسبر غوره ، وارى رايى فيه ، فثار غضب ابى حتى جعل فى رجلى قيدا ليحول بينى وبين مبارحة داره ، ولكنى لم استطع مقاومة ما يعتمل بين جوانحى من التطلع الى معرفة كنه الدين الذى شاهدت بعض طقوس معتنقيه ، فعزمت على الفكاك من اسر والدى لأستطيع الفرار الى الشام مع اول قافلة متجهة الى هناك وصحبت ركبا من تجار النصارى حتى قدمت الشام ، فلما وصلتها بحثت عن افضل اهل هذا الدين علما به فدللت على اسقف ، فلما جئته قلت له :

انى رغبت فى هذا الدين فأحببت ان اكون معك واخدمك فى كنيستك فأتعلم منك واصلى معك ، ودخلت معه ، ولكنى وجدته رجل سوء ، ففارقته الى آخر ما رأيت افضل ولا ازهد فى الدنيا منه ، فلما حضرته الوفاة طلبت اليه ان يدلنى على من اواصل معه رحلتى الى الله فأرشدنى الى

رجل بالموصل ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، وكان قد امرنى باللحاق بآخر فى نصيبين ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ولما حضرته الوفاة قال : لم يبق على أمرنا احد آمرك أن تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم ، فلما وصلت الى عمورية وجدت صاحبى على هدى أصحابه وامرهم،وما زال سلمان رضى الله عنه ينتقل من مكان الى آخر حتى وصل الى من قرأ له بشارات الانجيل بظهور نبى قد أظله زمانه مصداقا لقوله تعالى فى سورة الصف بالآية السادسة : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد » واخبره بأن لهذا النبى فى الانجيل ثلاث علامات:أنه يخرج بأرض العرب ، وانه لا يأكل الصدقات ، وأن

بين كتفيه خاتم النبوة . يقول سلمان فسرت الى ارض العرب حتى التقيت بنفر من كلب تجار ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا أقمت عنده بيثرب حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة ، ويتابع سلمان حديثه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قائلا : فوالله انى لفى راس عذق لسيدى اعمل له بعض العمل وسيدى جالس تحت النخلة اذ اقبل ابن عم له فقال : يا فلان قاتل الله بنى قيلة ، والله انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم انه نبى ، قال سلمان فلما سمعتها اخذتنى « العرواء » حتى ظننت انى سأسقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، ولما امسى المساء تسللت

ذاهبا باحثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئته وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه وتحققت من أنه هو المبشر به ، وقد كان أهل الكتاب يعرفونه قبل مجيئه ويبشرون بظهوره رحمة للعالمين : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . فأمرنى صلى الله عليه وسلم أن اكاتب فكاتبت صاحبى ووفيته حقه وأصبحت حرا طليقا من قيود العبودية ولزمت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا مثال للرجال الذين لم يطمس الله على بصائرهم ، وسلمت لهم فطرهم النقية ، فأدركوا أن للكون ربا لا يمكن ان تمثله النار أو الأصنام التى لا تحس ولا تعى ، ومن عجب أن يصوغها الانسان بيده ثم يضعف أمامها فيعبدها ، حقا أن هذا لهو الضلال المبين ، راح اولئك الأفذاذ فى ادراكهم ، وصفاء قرائحهم يبحثون مستسهلين كل صعب ، متخطين الحواجز مهما كانت صلابتها ، فما وقفت أمامهم عقبة ولا لانت قناتهم لملمة ، ولا احنوا ظهورهم لمشكلة بل تعالوا بعزائمهم على كل المعوقات فاجتازوها فى يسر أو فى شدة حتى خضعت لاصرارهم كل القوى وفازوا بما يبغون ، أولئك الذين كتب الله فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح من عنده فرحم الله سلمان ورضى عنه .

ولنترك سلمان الفارسى الى رجل عربى من مكة وصحب له ما رأوا فى عبادة الأصنام الا افنا فى الرأى وبلادة فى الحس ، واهدارا لكرامة الانسان العاقل الذى كرمه ربه وفضله على كثير ممن خلق فخرجوا يتلمسون الهدى فى مظانه ويقطعون الفيافى والقفاز باحثين عن الحقيقة الكامنة وراء مظاهر الكون وعجائبه ، والذين كان منهم ورقة بن نوفل وصحب له ، عافوا الطواغيت وعابوها ، وولوها أدبارهم وهجروها فتداركهم الله بفضله وهداهم صراطا مستقيما .

٣ — وما حديث ورقة بخاف على دارسى تاريخ الاسلام فقد اقترن اسمه بأول بادرة وحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصق حديث التاريخ عنه باسم أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ابنة عم وزوج سيدنا رسول الله ، واسم الروح الأمين جبريل واول ما نزل من الذكر العظيم هدى ورحمة للعالمين . . وأما خبره قبل البعثة الشريفة فقد حدث عنه ابن اسحاق وابن هشام والطبرى وغيرهم قالوا : . . اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم كانوا يعظمونه وينحرون له ويطوفون حوله فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل وكان منهم ورقة بن نوفل ابن اسد بن عبد العزى فقال : تعلمون والله ما قومكم على شىء ! لقد اخطأوا دين ابيهم ابراهيم ! ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا ، فانكم والله ما أنتم على شىء ، فتفرقوا فى البلدان يضربون فى الأرض يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم .ويروى ابن حجر العسقلانى أن ورقة : « سافر الى الشام فأعجبه دين النصرانية فتنصر وكان لقى من الرهبان على دين عيسى عليه السلام ولم يبدل ولهذا اخبر بشأن النبى صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما افسده أهل التبديل » وقد اجاد ورقة تعلم اللغة العبرية فكان يكتب بها ما يشاء وينقل منها الى اللغة العربية ما يشاء ، وقيل انه كان يكتب

من الانجيل ولا يحفظ لأن حفظ التوراة والانجيل لم يكن متيسرا كحفظ القرآن الذى هو من خصائص الأمة الاسلامية والتى جاء فى صفتها : « أناجيلها صدورها » أى أنها تعى القرآن حفظا وهذا مما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال ، ولما نزل الوحى على رسول الله عليه الصلاة والسلام واخبرت خديجة رضى الله عنها ورقة بما كان من أمره عليه السلام قال ورقة كما يروى ابن اسحاق « قدوس قدوس ، والذى نفسى بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان ينزل على موسى ، وانه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت » .

وبينما يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة كعادته لقيه ورقة ابن نوفل فقال يا ابن اخى : اخبرنى بما رأيت وسمعت ، فأخبره ، فقال ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولتكذبنه ولتؤذينه ، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أدركنى يومك لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه (واليافوخ وسط الرأس) ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله ، ويروى السهيلى أنه لما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القس فى الجنة وعليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى » . وهذا الحديث أسنده البزاز .

وقصة ورقة تعطى صورة كريمة لشخصية عربية عرفت السبيل الى الحنيفية ولم تكتف بظاهر من القول بل تعدى ورقة ما سمع وأراد ان يتيقن مما يجول حوله فتعلم العبرية وأجادها ونقل منها الى لغته الأصلية لغة الضاد ، وورقة مثال واضح القوة ، قوة الدلالة على استعداد العربى لتقبل الثقافات المختلفة منذ أقدم عصوره وهو يوضح لنا سر نبوغ المسلمين فى كل الميادين بعد الاسلام ميادين السلم والحرب على السواء ، وفى التاريخ شاهد على ما قيل . .

٤ ـ والخلاصة : اننا نلمس فى كل عصر فى مراحل الزمان وحقبه المتباينة وجود رجال بعدوا عن التقليد وربأوا بأنفسهم عن حمأة السفهاء ، واستخدموا فطرهم النقية فى الوصول الى الايمان البعيد عن الشوائب على قلة ما عرفوا من أسرار الوجود ، وضآلة ما أدركوا من علوم ، وهذا يقطع عذر المتخبطين فى دياجير الظلام النفسى فى عصر كشف العلم قناعه ، وأبدى العقل قوته على فك طلاسم ما يحيط به مما يبشر بما هو أبعد مما نرى ونشاهد وما نسمع وما نلمس فأولى لمن يقدر نفسه قدرها ، ويعطى عقله التقييم اللائق به ، ويعتد بوجوده كانسان لوجوده خطره فى هذه الحياة ، وأن يتجافى عن التقليد وأن لا يخضع لما يحمله اليه أعداء أمته ، وانما يبحث مع الباحثين ملقيا دلوه فى الدلاء حتى يصل بنفسه وفطرته النقية التى فطره الله عليها الى الحقيقة الثابتة ، الى الله الواحد الأحد ، ويسير على ضوء ما رسمه سبحانه ، وهنا تحرر العقول من مستورد الأفكار ، وبالتالى تنجو الأوطان من سيطرة أصحابها ، وتخلص ثمرات البلاد لأبنائها وصدق الله العظيم القائل : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » .



للشيخ / بدر المتولى عبد الباسط

عندما استقر رأى عمر — رضى الله عنه — على إنجاز تاريخ للأمة لا بد انــــه — وأهــل الشــورى — استعرضوا الأحــداث الجسام فــى تاريخ الاسلام ونبى الاسلام ليتخذوا من أعظمها قدرا وابعدها اثرا مبــدأ للتاريخ الاسلامى .

وها نحن معهم نستعرض هــذه الأحداث الجســام لنعرف المغــزى الصحيح لاختيار الهجرة دون سواها : ميلاد الرسول الأكرم ، بدء الوحى ، عام الحزن ، الهجرة ، غزوة بــدر الكبرى غزوة الفتح ، حجة الوداع ، وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذه أحداث جسام كل منها يصلح أن يكون مبدأ لتاريــخ الأمة ولكــن المغزى الذى توحى به الهجرة أعظــم وأجل من المغزى الذى يوحى به اى حدث من هــذه الأحــداث . ولنستعرضها حدثا حدثا . . .

مولــد الرسول الأكرم :

لا شك أنه حدث له خطره ، فكل ماجاء بعده اثر منه ولو أن عمر اختار مولد الرسول — صلى الله عليــه وسلم — ما كان مخطئــا ، وله فــى اختيار المسيحيين مولد المسيح عليه

السلام — مبدأ للتاريخ المسيحي سابقة يعتمد عليها فانه لا بأس أن نأخذ عن غيرنا فى المسائل التنظيمية ما يوافق المصلحة ولا يعارض الشريعة نصا أو روحا ، ولكن مولد الرسول الأكرم حدث إلهى لا يد للبشر فيه ولا يوحى بهدف يرمى إليه ، نعم هو ذكرى تثير فينا الشجون لكن هل نستطيع أن نكرر هذا الحدث الفريد، لا انه حدث لا يتكرر فى اية صورة من الصور .

بـــدء الوحى :

هو كذلك — حدث إلهى كان بدءا لكل الأحداث بعده ، وهو فى الحقيقة بدء تاريخ الاسلام كدين لأمة محمد صلى الله عليه وسلم (١) — ولكنه كالميلاد حدث لا يتكرر ، وليس فى مقدور البشر ان يأتوا بمثله فالنبوة ليست مكتسبة ((**الله اعلم حيث يجعل رسالته**)) والنبوات ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فجعل مبدأ الوحى مبدأ للتاريخ ليس الا تسجيلا لحدث له خطره ، ولكنه لا يثير فينا عزيمة على تحقيق غرض .

عـــام الحزن :

اما عام الحزن وهو العام الذى ماتت فيه السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين ، كما مات فيه أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم وحاضنه وكافله فهو — وإن ارخ به فى وقت ما فانه أبعد الأحداث عن أن يتخذ كمبدأ للتاريخ الاسلامى الذى يحارب الاستسلام للأحزان او إثارتها بعد خمودها ، ومثل هذا يقال عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه لا تذكر حتى تثير الشجون والأحزان فكل مصيبة بعد مصيبتنا فى رسول الله هينة ، ولكنها سنة الله فى خلقه (إنك ميت وإنهم ميتون) (٢) . ولو أرخ بهذا الحدث لكان لنا فى كل عام مناحة ، والرسول نفسه نهى عن العزاء بعد ثلاث ، كما نهى عن الجلوس لتلقى العزاء واعتبر ذلك من النياحة المنهى عنها .

غزوة بدر والفتح :

اما غزوة بدر وغزوة الفتح فمع أنهما من الأحداث الجسام التى توحى بالشجاعة والتضحية والاقدام فانهما ثمرة من ثمرات الهجرة كما سأوضح فيما بعد .

حجــة الــوداع :

اما حجة الوداع وفيها اكمل الله دينه واتم نعمته وهى خليقة أن تكون حدثا تؤرخ به الاحداث بعده ، ولكنه مع هذا ربما اثار الأحزان لأن الله تعالى نعى فيها محمدا صلى الله عليه وسلم — الى نفسه حينما نزل عليه قوله (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**) .

وقد فهم ذلك الصديق الأكبر أبو بكر — رضى الله عنه — فبكى واستعبر فقد جرت سنة الله تعالى انه اذا تم شىء بدأ نقصه ، ومهمة الرسول تمت يومئذ ، فكان هذا إيذانا برحيله عن هذه الدنيا .

الهجرة دون سواها :

هذا الحدث دون سواه فيه من المعانى ما ليس فى غيره فالهجرة دون سواها كانت مبدأ لدولة الاسلام ، نعم كان هناك اسلام قبل الهجرة ولكن بلا دولة ، والهجرة دون سواها كانت فاصلا بين عهدين — عهد الصبر الذى

لا يستطاع معه دفع الأذى والبغى والعدوان ، وعهد الصبر الذى يستطاع معه الانتصار ورد العدوان (٣) .

والهجرة دون سواها توحى بايثار الغربة مع العزة على الاقامة مع الضيم مهما كان الوطن حبيبا الى النفس حبيبا الى الله ، فليس هناك بلد اكرم على الله من مكة ، ولكن الرسول الأكرم آثر الهجرة منها وهى ما هى لتكون درسا لنا أن نضرب فى الأرض طلبا للعزة والكرامة ، والهجرة دون سواها هى الباب الذى ما زال مفتوحا ولن يزال كذلك الى يوم القيامة « **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما** » **(٤)** فترك المألوف من الأهل والوطن والرحلة الى المجهول فى سبيل الخير والعزة ـ وهو سبيل الله ـ هجرة يستحق معها ما وعده الله للمهاجرين بهذه الآية .

وإذا كان لا هجرة بعد الفتح كما وردت فى بعض الأحاديث ، فالمراد استحقاق صفة المهاجرين الأولين مع الرسول الأمين وما يترتب على ذلك من أحكام كالعودة الى مكة بقصد الاقامة فيها وتساويهم فى الرتبة مع مسلمة الفتح وإن هاجروا بعد الاسلام « **لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** » **(٥)** .

.. .. ..

وبعد فالهجرة درس فى النصيحة والايثار والمحبة والصبر الجميل العزيز ، ثم هى ثمرة الأحداث التى سبقتها واصل للأحداث التى تلتها فلا غرو ان اختارها الفاروق مبدأ للتاريخ الاسلامى دون سواها ، فلنجعل من الهجرة درسا وعبرة ولا يكن حظنا اقامة حفل أو القاء خطبة فقد سئم المسلمون من كثرة الكلام وثرثرة الخطباء ، وهم الآن أحوج الى القدوة الصالحة اكثر من حاجتهم الى مقال منمق أو خطبة مرنمة .

والله المسئول أن يهب لنا قلوبا واعية ، وعزائم قوية ، وصدقا فى القول وإخلاصا فى العمل بمنه وكرمه .

---

(١) اما الاسلام كدين سماوى فقد كان دين الانبياء جميعهم فنوح عليه السلام اخبر الله عنه انه قال (وأمرت أن أكون من المسلمين)٧٢ من سورة يونس ، وابراهيم أبو الانبياء حدث عنه انه (ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) الآية ٦٧ من آل عمران ، وقد ورد مثل ذلك عن غيرهما من المرسلين .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٠ .

(٣) من الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) سورة النساء الآية ١٠٠ .

(٥) من الآية ١٠ من سورة الحديد .



للشيخ عبد الحميد السائح

حينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة لم يكن الجهاد مشروعا ولا مفروضا ، وأول آية نزلت بشأن الجهاد قوله سبحانه « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » (١) . ثم نزل قوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » (٢) .

ولما تظاهرت قوى الشر والاثم على محاربة الرسول ، والتخطيط للقضاء على دعوة الإسلام والوجود الإسلامى ، نزل قوله تعالى : « « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » (٣)

لماذا الهجرة للمدينة ؟

رغم أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه مهد للهجرة الكبرى ، بالهجرة إلى الحبشة اولا وثانيا ، فإن الهجرة إلى المدينة هى التى كان لها شأن أعظم ، بمشاركة الرسول فيها ، وما نشأ عنها من الانتقال ، من جو الشرك والطغيان ومقاومة الدعوة بمكة ، إلى جو الصفاء والأخوة والمحبة فى المدينة ، حتى نعمت الدعوة الإسلامية بالحرية ، وتمتع المسلمون بإقامة الدولة الإسلامية لحمايتها ونشرها وتعميم خيرها ، وتثبيت قواعدها على أسس سليمة واصول حكيمة تخلص البشرية من فسادها ، وتقضى على الظلم والطغيان بجميع وجوهه وانواعه ، وتصلح للعالم أجمع فى كل زمان ومكان .

إذن لم تكن الهجرة من الظلم والعذاب ، الذى اصاب المسلمين فى مكة ، ولا تفريطا فى الديار والأوطان وإنما كانت لإيجاد المناخ الملائم ،

للدعوة ، وتعبئة القلوب المتفتحة ، والنفوس المهيأة ، لقبول الهدى الربانى والإرشاد الإلهى ، والتخطيط لإستعادة الأوطان ، وتطهيرها من دنس الشرك وعبادة الأوثان ، والعودة إليها فى عزة المؤمنين وكرامة المجاهدين ، وما كانت الهجرة فىنظر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى نظر أصحابه ركونا إلى الدعة والهدوء أو ميلا الى الراحة والسكون ، وإنما كانت محاولة مصممة على قيادة المعركة فى سبيل الله من جهة أخرى (٤) .

ولذلك كانت هجرة عامة حتى لم يبق فى مكة من المسلمين إلا مريض أو محبوس ، لم يمكنه قادة الشرك والطغيان فى مكة من الهجرة .

تضحيات المهاجرين

وكانت تلك الهجرة مثلا أعلى فى التضحيات ، فلم يبال الواحد منهم بمال أو متاع فى سبيل صيانة الدعوة وتأمينها والتوجه إلى الله ، قال ابن هشام وبلغنى أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكل مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى ، أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب . وفيه نزل قوله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » وتلاها صلى الله عليه وسلم على صهيب (٥) .

وقد قابلهم إخوانهم فى المدينة بالبشر والترحاب ، والإستعداد لكل أنواع التضحيات ، وعقد الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار عقد المؤاخاة ، الذى لم يكن له نظير فى التاريخ القديم والحديث حتى أن سعد بن الربيع عرض على أخيه (بالمؤاخاة) عبد الرحمن بن عوف نصف ماله ، وأن يختار أيا من زوجتيه يطلقها حتى يتزوجها عبد الرحمن (٦) ، كما عرض غير سعد على إخوتهم عروضا أخرى واشركوهم بما يملكون .

ومن أجل ذلك كله سجل القرآن الكريم فضل المهاجرين وسمو مكانتهم وعظيم تضحياتهم ، كما سجل فضل الأنصار الذين استرخصوا الأموال والمتاع ، فى سبيل دعم ذلك المجتمع الإسلامى ، الذى يعتبر أعلى مثل فى الأخوة والتناصر والدعوة الشاملة لجميع بنى الإنسان ، يسودهم العدل المطلق ، والرحمة العامة ، والقضاء على جميع المعوقات ، من العصبيات والقبليات والنعرات ، وأن يكون المقياس الصحيح للتقدير هو العمل الخالص لوجه الله ، والنفع العام لبنى الإنسان ، كما قال سبحانه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٧) ، وكما ورد فى الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس انفعهم للناس » (٨) .

قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم » (٩) .

وقال سبحانه : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » (١٠) .

إلى آيات كثيرة فى عدد من السور تعلى شأن الهجرة والمهاجرين وتنوه بما لهم من مكانة سامية ، ومقام رفيع عند الله سبحانه ، مما أغرى الكثيرين من أصحاب الرسول ، أن يسعى

ويحاول أن ينـال شـرف الهجرة ، ويسجل عند الله فى سجل المهاجرين.

هـل لا تزال الهجرة قائمة ؟

إن الهجرة إلى الله وربط القلوب به فى العبادات والاعمال والتصرفات شريعة عامة دائمة لا تتقيد بزمان ولا مكان ، ولكن الذى نبحثه ونتساءل عنه هو تخلية الديار وهجرة الأوطان؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طريق الهجرة ، قال مخاطبا مكة : والله إنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى منك لما خرجت ، وفى رواية : خير أرض الله وأحب أرض الله إلى (١١) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يبايع على الهجرة، ويشيد بفضلها ومكانتها ، ولما فتحت مكة ودخلت العرب فى دين الله افواجا ، وصارت تلك الأرض كلها دار الإسلام قال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » (١٢) . ومجاشع قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم أنا وأخى (مجالد) فقلت : « بايعنا على الهجرة ، فقال : مضت الهجرة لأهلها ، فقلت : علام تبايعنا ؟ قال : على الإسلام والجهاد » (١٣) .

ويعلى بن أمية قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بأبى أمية ، يوم الفتح ، فقلت : بايع أبى على الهجرة، فقال : أبايعه على الجهاد وقد انقطعت الهجرة (١٤) . وقال عمر : لا هجرة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (١٥) .

اذن النبى صلى الله عليه وسلم يصرح بأنه لولا أخرجه قومه من مكة لما خرج منها ، وهذا يعطينا تشريعا بأنه لا يجوز للمسلم أن يغادر دياره مختارا فى سبيل متاع الدنيا وحظوظه وتجارته ومناصبه ، نتيجة الغزوات الاجنبية والهجمات الإستعمارية مهما كان نوعها ومظالمها ، ومهما كانت التضحيات التى يتعرض لها ، ما دام لم يفتن فى دينه ، ولم يرغم على تغييره .

كما أنه يصرح بأن الهجرة بعد الفتح الأعظم قد انقطعت ، وإذن ما هو السبيل لمن يريد أن يلحق بالمهاجرين وينالـه مثل اجرهم وسمو مكانتهم ؟

سبيل اللحاق بالمهاجرين

بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق اللحاق بالمهاجرين ، وهو الجهاد وترك ما نهى الله عنه من المعاصى والآثام ، فقد بايع مجاشعا واخاه مجالدا على الإسلام والجهاد ، كما بايع والد يعلى على الجهاد ، وقال لآخرين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (١٦) . وقال أيضا : « المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وانفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب » (١٧) .

فكان الجواب لمن استشرفت أو تستشرف نفوسهم أن تصل درجة الهجرة والمهاجرين . إن الجهاد بأنواعه وتحمل التضحيات ، ومقاومة المظالم ، ومقارعة الغاصبين والمستعمرين ، والتقيد بأحكام شريعة سيد المرسلين ، وهجر المعاصى والآثام ، هو السبيل الصحيح والطريق القويم .

الهجرة من فلسطين

كانت فلسطين عربية منذ نحو خمسة آلاف سنة يسكنها الكنعانيون واليبوسيون منهم ، وهم عرب وفدوا إليها من الجزيرة العربية ، واستمروا فيها ، رغم كل الغزوات التى تعرضت لها البلاد ، من الروم والفرس واليهود وغيرهم ، وكان العرب الفلسطينيون يقاومون كل الغزاة

الطارئين على اختلاف انواعهم،ومنهم اليهود ، وقد استطاع اليهود الاستيلاء على قسم من فلسطين ، واقاموا لهم دولة في ذلك القسم لم تدم اكثر من سبعين عاما ايام حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ومنذ الفتح العمرى سنة ١٥ هـ (٦٣٨ م) والسيادة على جميع فلسطين للمسلمين ، إذا استثنينا فترة الغزوة الصليبية ١١٠٠ — ١٣٠٠ م، ولذلك أصبحت فلسطين جزءا من ديار الإسلام ، ومن واجب المسلمين حيثما كانوا الدفاع عنها ، ودفع الاذى عنها والاحتفاظ بصبغتها .

ولئن صح القول بأن فلسطين — قبل الفتح العمرى — كانت عربية، فانها بعد ذلك الفتح أصبحت إسلامية يجرى عليها من الاحكام ما يجرى على أى قطر إسلامى ، مضافا الى ذلك ارتباطها بالعقيدة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ، من حيث كونها وطن الإسراء والمعراج ، وقبلة الإسلام الأولى ، واحد المراكز الهامة لحضارة الإسلام في مختلف العصور .

وقد تعرضت فلسطين الآن لغزوة صليبية جديدة هى الغزوة الصهيونية في مؤامرة معروفة ويصرح زعماء الصهيونية في غير لبس ولا إبهام ، بأن هدفهم وخطتهم الاستيلاء على جميع فلسطين خالية من سكانها ، ليقفزوا منها إلى أراض عربية أخرى ، فهل يجوز للمسلمين أن يرحلوا عنها ويهجروها ليهيئوا الفرصة للعدو ان يستوطنها ويتمكن منها ؟

لا ريب أن الفلسطينيين وجميع العرب في المناطق المحتلة الاخرى تعرضوا ويتعرضون لمختلف انواع القسوة والتعذيب والإذلال ، وخلق الظروف والأوضاع التى تحملهم على الهجرة وتخلية الدار ، لكن تظافرت نصوص فقهاء الإسلام وقواعده على أن كل ما يقوى العدو ويزيد فى منعته لا يجوز للمسلم الإقدام عليه ، وبما أن هجرة الفلسطينيين تهيىء للعدو تحقيق أهدافه والتمكن فى الدار ، فان الإقدام عليها بالرضا والاختيار خطأ كبير مجاف لأحكام الإسلام ، — مع التصريح بأن ذلك لا ينطبق على أولئك الاشخاص الذين اخرجتهم سلطات الاحتلال بالقوة وارغمتهم على مغادرة الديار — ولا يكفر تلك الخطيئة الا سلوك السبيل الذى أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجهاد بأنواعه ، ولهذا يجب على الفلسطينيين أينما كانوا أن يخططوا، بدعم وتأييد إخوانهم فى ديار العروبة والإسلام ، لاسترداد الديار والعودة للأوطان ، فى عزة المؤمنين وكرامة المجاهدين ، كما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة يوم الفتح الأكبر والنصر الأعظم .

وأما الفلسطينيون المقيمون تحت وطأة الاحتلال فواجبهم أن يبقوا مرابطين فى ديارهم ، يتحينون الفرصة الملائمة ، ويتحملون انواع الأذى التى يدبرها لهم العدو ، وعلى إخوانهم من العرب المسلمين مواصلة دعمهم ماديا ومعنويا ومساعدتهم على المضى فى مهمتهم .

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه « إن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل اجر خمسين يعملون مثل عملكم ، قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم ؟ قال : بل اجر خمسين منكم » (١٦) .

وقال أيضا : « رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطا وقى من فتنة القبر ، ونما له عمله إلى يوم القيامة» (١٧) .

وقال أيضا : «رباط يوم فى سبيل الله خيرمن الدنيا وما عليها » (١٨) .

وما ذكرناه عن الفلسطينيين

ينطبق على سائر سكان المناطق المحتلة الأخرى ، وكل شعب مسلم يتعرض لأية غزوة استعمارية ، مهما كان لونها ، فواجبه الجهاد والدفاع ، وعدم الاستخذاء أو الاستسلام حرصا على كيانه ووجوده وارضاء الله ورسوله .

التاريخ الاسلامي

فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضت الضرورة أن يعين للمسلمين حادث يؤرخون فيه ، فأرخ بالهجرة ،واعتبر أول العام شهر المحرم ، قال سهل ابن سعيد : ما عدوا من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته ، وما عدوا إلا من مقدمه المدينة (١٩) .

وذلك لأن حادث الهجرة يعتبر اعظم احداث التاريخ الإسلامى ، فبسببه تكون للمسلمين دولة الإسلام الأولى ، فى المدينة المنورة ، وفيها توالى التشريع الإسلامى فى شتى المواضيع والنواحى ، وشعر المسلمون بعزة الإسلام ، وكرامة الإيمان ، وأصبح الناس يتمتعون بالحرية والعدالة ، والسلامة والأمان .

ولذلك فمن واجب المسلمين حيثما كانوا أن يؤرخوا أحداثهم وأعمالهم بالتاريخ الهجرى لأنه هو التاريخ الإسلامى ، ولا مانع من أن يضموا اليه اى تاريخ آخر تسهيلا للتعامل مع غير المسلمين .

ماذا على المسلمين فى هذه الذكرى ؟

واجب المسلمين فى هذه الذكرى العظيمة أن يستعيدوا أمجادهم ، ويستعرضوا صفحات عزتهم ويقرأوا أسباب قوتهم ومنعتهم فيما مضى ،لا ليرددوها اقوالا وأحداثا ، ولكن ليخططوا فى إطارها ، منهجا عاما ، يقضى على فرقتهم ويوحد بين صفوفهم ، ويجمعهم على الرشدى ، ويجند جميع قواهم المادية والمعنوية، فى سبيل إعزاز دينهم ، واستعادة ديارهم ومقدساتهم ، ورفع راية الإسلام ، ونشر مبادئه ، وتطهير مجتمعاته من الأدران ، والمبادىء التى تضمر للمسلمين الشر والأذى ، وتعمل على تفتيت قواهم ، وإفساد ما بينهم ، والقضاء على حضارتهم ، وتشويه محتوياتها وأهدافها ، حتى نحقق فى ذكرى الهجرة أهداف الهجرة وأبعادها السامية ، ويظهر الإسلام على حقيقته التى هى دعوة الإنسانية والبشرية عامة ، الى ما ينقذها من مظالمها ويقضى على فسادها ، ويطهرها من عبادة الأوثان والأصنام ، على اختلاف اشكالها ومظاهرها ، ويجمع بين عناصر الخير مهما كانت الوانهم وعروقهم ، فى دعوة إلهية ، ورحمة سماوية،تصحح مقاييس العدالة ، وموازين التقدير ، فى هذا العالم ، الذى لا يزال فى أشد الحاجة الى مبادىء الخير والرحمة والإنسانية كما كان فى عهد الهجرة الأولى .

---

(١) آية ٣٩ من سورة الحج . (٢) آية ١٩٠ من سورة البقرة . (٣) آية ٣٦ من سورة التوبة (٤) الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور عبدالحليم محمود . (٥) آية ٢٠٧ من سورة البقرة . جمع الفوائد جـ ٢ ص ٨٤ . (٦) البخارى .(٧) آية ١٢ من سورة الحجرات . (٨) الطبرانى (٩) آية ١٠٠ سورة التوبة ، (١٠) ٨ سورةالحشر . (١١) الترمذى ، فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ١٨ ص٢٨٢ . (١٢)و(١٣) البخارى(١٤)و(١٥) ابو داود وجمع الفوائد جـ٢ ص٨٠. (١٦) ابن ماجه باسناد حسن . (١٧) ابو داودوالترمذى وجمع الفوائد جـ٢ .(١٨) مسلم والترمذى والنسائى . (١٩) البخارى ومسلم .(٢٠) البخارى .

من حديث الهجرة في القرآن الكريم

محمد مؤذن

للدكتور/محمد الدسوقى

١ — مما لا جدال فيه أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وأنها كانت أمرا لا مناص منه لحماية الدعوة الجديدة — وهى فى مستهل حياتها — من الحاقدين عليها والمتربصين بها ، على أن هذه الهجرة لم تكن فى جوهرها فرارا وهروبا ، ولكنها كانت عملا لا بد منه لتحقيق الحرية الدينية للناس كافة ، فلا يعلو فى الأرض سلطان فوق سلطان الله ، ولا يكون للسادة والطغاة سبيل على الناس فيما يؤمنون به .

٢ — وقد تحدث القرآن الكريم عن تلك الهجرة حديثا مجملا يعتمد على العبارة الموجزة والكلمة الموحية ، وهذا هو منهج القرآن بوجه عام فى عرضه للأحداث والأحكام ، بيد أن حديث الكتاب العزيز عن الهجرة لم يكن خاصا بذلك الحدث الرائع الذى ارتبط بتاريخ الأمة الاسلامية كل الارتباط ، وأصبح رمزا للفداء والتضحية والجهاد ، ولكنه تجاوزه إلى ما يتصل بالمعنى اللغوى لكلمة الهجرة ، وإن كان بين هذا المعنى وذلك الحدث صلة وثيقة ومعان مشتركة ..

يقول ابن فارس فى مقاييس اللغة عن مادة هجر : الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وهجر والآخر على شد شىء وربطه .

فالأول الهجرة : ضد الوصل ، وكذلك الهجران ، وهاجر القوم من دار إلى دار : تركوا الأولى للثانية ، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة ، ثم قال : ومن الباب : الهجر : الهذيان ، يقال : هجر الرجل ، والهُجر : الافحاش فى المنطق ، يقال : أهجر الرجل فى منطقه ، قال :

كما جدة الأعراق قال ابن ضرة .
عليها كلاما جار فيه واهجرا

ورماه بالهاجرات ، وهى الفضائح، وسمى هذا كله من المهجور الذى لا خير فيه ، ويقولون : هذا شىء هجر، اى لا نظير له كأنه من جودته ومباينته الأشياء قد هجرها .

٣ — وحديث الكتاب العزيز عن الهجرة بمفهومها اللغوى تناول من جهة العلاقة بين الرجل والمرأة ، وما يجب أن تقوم عليه من السكن والمودة والرحمة كما عرض من جهة أخرى لبعض مواقف الكفار من الرسل ومعجزاتهم وما يجب أن يكون عليه هؤلاء ليبلغوا رسالة الله إلى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولعل هذا كان سببا للنص على أن يكون هجر محمد صلى الله عليه وسلم لقومه هجرا جميلا يقوم على الصبر والإغضاء عن الإساءة دون أن ينأى عنهم ، أو يقطع صلته بهم .

٤ — ومن ذلك الحديث الذى عرض لبعض مواقف الكفار من الرسل ومعجزاتهم ما جاء فى سورتى « المؤمنون » و « الفرقان » ، فقد وردت فيهما آيتان تشيران إلى ما كان من طغاة مكة نحو القرآن الكريم .

وقد جاءت آية « المؤمنون » وهى « مستكبرين به سامرا تهجرون » (١) فى معرض عقاب هؤلاء الطغاة يوم القيامة ، وان ما هم فيه من العذاب إنما كان بسبب استكبارهم عن الحق وعدم اذعانهم له « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون . لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون . قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامرا تهجرون » .

إن المترفين أشد الناس ولعا بالانحراف والذهول عن المصير ، فهاهم أولاء يفاجأون بالعذاب الذى لا يرحمهم فإذا رفعوا أصواتهم مستغيثين فلا نصير لهم لاستعلائهم فى الأرض وتراجعهم على أعقابهم إذا تليت آيات الله ، كان هذا الذى يتلى عليهم خطر يحذرونه أو مكروه ينأون عنه (٢) ،قال الفخر الرازى فى تفسيره : تنكصون : أى تنفرون عن تلك الآيات وعمن يتلوها كما يذهب الناكص على عقبيه بالرجوع الى ورائه (٣) .

ولم يكتف الكفار بهذا النكوص والاستكبار ، فقد أطلقوا ألسنتهم بهجر القول وهم يتحلقون حول الأصنام فى سامرهم بالكعبة حيث ينالون من القرآن والرسول ، فكلمة « تهجرون » تعنى الإفحاش فى القول والبذاءة فيه ، وكان كفار مكة فى سامرهم يتخذون القرآن والرسول مادة للسخرية والهزء والاتهام .

ولعلماء التفسير آراء فى عود الضمير فى « مستكبرين به » فمنهم من ذهب إلى أنه يعود على الحرم ، ومنهم من قال : الضمير عائد على القرآن ، وقالت جماعة : هو عائد على الرسول (٤) .

والراجح أن الضمير عائد على القرآن ، لأن الآيات تتحدث عن استكبار المترفين والطغاة عن سماعه ، ولما كان استكبار هؤلاء عن آيات الله وتطاولهم عليها يستتبع حتما الإساءة الى الرسول أمكن القول بأن إفحاش المترفين شمل القرآن والرسول .

٥ — وإذا كانت آية « المؤمنون » قد أشارت فى إجمال إلى ذلك الموقف

الذى اتسم بالتطاول والسخرية والاستكبار والبذاءة فان هناك آيات فصلت ذلك الموقف الكريه بعض التفصيل وبينت كيف لجأ كفار مكة إلى مختلف الوسائل لمحاربة القرآن وصد الناس عنه .

ومن ذلك انهم اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالكذب فى دعواه النبوة ، ونزول القرآن عليه « أؤلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر » (٥) ، وعى اتهام الرسول بالكذب حكم على القرآن بأنه ليس من عند الله فلا يسمع الناس له ولا يقبلون عليه .

وقد أضاف الكفار الى اتهام الرسول بالكذب اتهامه بأن هناك من يعاونه ويمده « إن هذا إلا إفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا » ، « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (٦) .

وفى قولهم أساطير الأولين إشارة إلى بعدها فى الزمان فلا يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن تملى عليه من حفاظ الأساطير الذين ينقلونها جيلا بعد جيل ، لذلك يرد القرآن عليهم بأن الذى يمليها على محمد هو الله الذى يعلم الأسرار جميعا ولا يخفى عليه نبأ فى الأولين والآخرين (٧) : « قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما » (٨) .

وحسب كفار مكة أن التخليط على محمد وهو يتلو كلام الله سيحقق لهم الغلبة عليه وتنفير الناس منه ، لأن صوته لن يصل خالصا إلى الآذان والقلوب ، بسبب ما يحدثه هؤلاء السفهاء من الصفير والتصفيق ونحوهما ،فيصير ما يتلوه الرسول لغوا لا معجزة .

« وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (٩) ، قال ابن عباس : قال أبو جهل : إذا قرأ محمد فصيحوا فى وجهه حتى لا يدرى ما يقول ، وقال مجاهد : المعنى « والغوا فيه » بالمكاء والتصفيق والتخليط فى المنطق حتى يصير لغوا (١٠) .

ولما اجتمع نفر من قريش لوصف الرسول بما يجعل وفود العرب التى كانت تقصد مكة فى كل موسم من مواسمها تعرض عن محمد ولا تسمع لما يتلوه عليها من الذكر الحكيم — قال الوليد بن المغيرة عن القرآن والرسول بعد أن بين أن محمدا ليس بكاهن ولا شاعر ولا مجنون ولا ساحر كما رأى بعض طغاة مكة : إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق (١١)، وإن فرعه لجناة(١٢) ، وما انتم قائلون من هذا شيئا إلا عرف انه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته (١٣) .

وسجل الكتاب العزيز ما كان من الوليد ووصفه القرآن بالسحر ، وما أعد الله لهذا المكابر الفاجر من العذاب الشديد . « فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا الا قول البشر ، سأصليه صقر ، وما ادراك ما صقر ، لا تبقى ولا تذر » (١٤) .

٦ — وأما آية الفرقان وهى « وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » (١٥) . فإنها تعبر فى إجمال عن ذلك الموقف أيضا ، وتشير إلى حزن الرسول لما

يصدر عن قومه من قولهم فى القرآن غير الحق ، أو لانصرافهم عنه ، « فمجهورا » تعنى فحش القول ، كما تعنى أيضا الاهمال والترك (١٦) .

وجملة القول أن العرب كانوا على يقين من أن القرآن الذى جاءهم به محمد ليس من نسق ما يقولون ، وهم عاجزون عن أن يحاكوه أو يقلدوه ، غير أن عصبية الجاهلية سولت لعبدة الأوثان والأصنام أن يحاربوا هذه المعجزة الخالدة بمختلف الوسائل ليصرفوا الناس عنها ، لقد هجروا القرآن فلم يفتحوا له أسماعهم ، ولم يتدبروه ليدركوا الحق من خلاله ، وهم مع هذا كانوا لا يتورعون عن السخرية والاستهزاء وفحش القول ، ولكنهم بالرغم مما قاموا به باءوا بالخزى والهزيمة « يريدون أن يطفئوا نور الله ، بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (١٧) .

٧ — واستقبلت البشرية بانزال القرآن وانتصار دعوته عهدا جديدا لم تألفه من قبل فى تاريخها الطويل ، فقد كانت قبيل إنزال القرآن تعانى من الوثنية والجهل والتخلف ، وتعيش حياة طابعها العدوان والطغيان وامتهان كرامة الإنسان ، فلما بعث الله محمدا بهذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى يهدى للتى هى أقوم كان النور الذى بدد ظلام الشرك ، والدستور الذى حقق الأخوة والمساواة والعدالة والفضيلة ، والحرية والكرامة ، والعلم والحضارة .

وكان المسلمون الأولون صورة حية واقعية لأحكام القرآن وآدابه ، فكانوا بهذا خير أمة أخرجت للناس وعاشوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، ورفعوا منارات الحضارة الإنسانية فى كل مكان وطئته أقدامهم ، وكانوا بحضارتهم التى ترعى خط الروح والجسد وتؤمن بالدنيا والآخرة وتحترم العقل وتدعو إلى التفكير والنظر — القادة والرواد إلى القوة والنهضة والمدنية، ومن ثم يمكن القول — دون اسراف أو مبالغة — بأنه منذ نزول القرآن الى اليوم لم ينشأ فى العالم أثر جديد لا يرجع إلى هذا الكتاب الكريم بسبب قريب أو بعيد .

٨ — ولكن — لأسباب مختلفة — لم يعد المسلمون كما كانوا صورة حية للأحكام والأخلاق القرآنية ، وأصبحوا على الرغم من كثرة تلاوة آيات الله البينات كأنهم قد هجروا القرآن وانصرفوا عنه ، وآية ذلك ، واقعهم المؤلم الذى يشهد بضعفهم وتفرقهم ومهانتهم وتعرضهم لأخطار متعددة تخطط فى حقد وكيد لإبادتهم والقضاء عليهم .

والمؤمنون بالقرآن الآخذون أنفسهم بكل أحكامه وأخلاقه لا يرضون بالدنية فى دينهم ودنياهم ، فهم دائما كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، لأنهم أقوياء بالإيمان الخالص والأخوة المقدسة والوحدة الجامعة ، واتخاذ كل أسباب القوة المادية ، حماية للحق ونصرا للعدل ، وتحقيقا للعزة والحرية والكرامة .

روى الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو

الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » (١٨) .

ولا امتراء فى أن المسلمين اليوم فى فتن كقطع الليل المظلم ، يشهد بذلك كما أومأت واقعهم المؤلم ، وهم لن يخرجوا من هذه الفتن المدلهمة ، ويدرأوا عن أنفسهم تلك الأخطار الجسيمة الا إذا اعتصموا — قولا وعملا — بكتاب الله ، فهذا هو الطريق ولا طريق سواه ، وصدق الله العظيم « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٩) .



---

(١) الآية ٦٧ .

(٢) فى ظلال القرآن هـ ١٨ ص ٣٧ .

(١) تفسير الفخر الرازى هـ ٢٢ ص ١١٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير هـ ٦ ص ٢٧ .

(٣) تفسير الفخر الرازى هـ ٢٣ ص ١١٠ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير هـ ٦ ص ٢٧ .

(٥) الآية ٢٥ فى سورة القمر ، وأشر : أى مختال متكبر أو عابث فرح .

(٦) الآية ٤ ، ٥ فى سورة الفرقان .

(٧) فى ظلال القرآن هـ ١٩ ص ١٧ .

(٨) الآية ٦ فى سورة الفرقان .

(٩) الآية ٢٦ فى سورة فصلت .

(١٠) تفسير القرطبى هـ ١٥ ص ٣٥٦ .

(١١) العذق : النخلة ، يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها .

(١٢) أى فيه ثمر يجنى .

(١٣) سيرة ابن هشام هـ ١ ص ٢٧٠ .

(١٤) الآيات ٢٤ — ٢٨ فى سورة المدثر .

(١٥) الآيـة ٣٠ .

(١٦) انظر تفسير القرطبى هـ ١٣ ص ٢٧ ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادى هـ ٥ ص ٣٠٤ .

(١٧) الآية ٣٢ فى سورة التوبة .

(١٨) القرآن المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٥ .

(١٩) الآية ١٥٣ فى سورة الانعام .

عَاشوراء اليهود وعَاشوراء المسلمين

للدكتور على عبد الواحد وافى

فى الثامن عشر من شهر سبتمبر من هذا العام احتفل اليهود بيوم من أعظم أيامهم ، وهو اليوم العاشر من شهر تشرى العبرى (سنة ٥٧٣٣ من بدء الخليقة بحسب ما يزعمون) . وشهر تشرى هو أول الشهور فى سنتهم المدنية ، وان كان سابعها فى سنتهم الدينية ، لأن سنتهم الدينية تبدأ بشهر نيسان . ويسمى هذا اليوم عندهم يوم (عاشور) لوقوعه فى العاشر من الشهر . ويسمى كذلك يوم (كبور) أى يوم الكفارة ، لأن اليهود يصومونه راجين بصومهم هذا أن يكفر الله عنهم ما اقترفوه من آثام فى أثناء العام المنصرم . وقد جاء أمر اليهود بتعظيم هذا اليوم وصيامه وعدم مزاولة الاعمال فيه فى عدة فقرات من أسفار توراتهم وعهدهم القديم « سفر اللاويين فقرة ٢٩ وتوابعها من اصحاح ١٦ ، وفقرة ٢٧ وتوابعها من اصحاح ٢٣ . وسفر العدد فقرة ٧ من اصحاح ٢٩ .. وفى مواضع أخرى كثيرة » . ويزعم اليهود أنه لم يفرض عليهم من الصيام الا صيام هذا اليوم . وأما الأيام الاخرى التى يصومونها فيعتقدون أن صيامهم فيها نافلة .

هذا يوم عاشوراء اليهود أو يوم (كبور) ..

وأما عاشوراء المسلمين فهو اليوم العاشر من الشهر الاول من السنة

العربية ، وهو شهر المحرم . فيتفق مع عاشوراء اليهود فى أن كليهما عاشر يوم من أول شهر من السنة ، وان كان العاشر من أول شهر من شهور السنة العبرية قلما يتفق ميقاته مع العاشر من أول شهر من شهور السنة العربية . ويرجع السبب فى ذلك الى أن السنة العبرية سنة قمرية ــ شمسية ، مقدارها اثنا عشر شهرا قمريا ، ويزاد عليها كل ثلاث سنين شهر يسمى آذار الثانى لتساير السنين الشمسية أو تقرب منها ، على حين أن السنة العربية سنة قمرية خالصة مقدارها اثنا عشر شهرا قمريا ولا يزاد على شهورها شىء ما .

وكما يطلق على العاشر من المحرم اسم (عاشوراء) يطلق على التاسع منه اسم (تاسوعاء) . وهاتان التسميتان عربيتان على الأصح ، وليستا معربتين من العبرية ولا من لغة اخرى .

وقد روى عن الرسول عليه السلام أحاديث يدعو فيها الى صيام العاشر من المحرم كما رويت عنه أحاديث أخرى يدعو فيها الى صيام التاسع والحادى عشر منه ، واستخلص ابن قيم الجوزية من الاحاديث الواردة فى هذا الصدد أن أكمل الحالات أن يصام يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده ، ويليها أن يصام تاسوعاء وعاشوراء فقط، ويلى ذلك افراد عاشوراء بالصوم .

●

هذا ، وقد ورد فى النشأة الاولى لصيام يوم عاشوراء حديثان :

(أحدهما) ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس أن الرسول عليه السلام قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام ، فسألهم عن ذلك ، فقالوا هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى فيه موسى وبنى اسرائيل . فقال : نحن أولى بموسى منكم ، وانى لأحتسب على الله أن يكفر بصيام هذا اليوم ذنوب العام السابق له . فصامه وأمر المسلمين بصيامه . .

و (الآخر) ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما كذلك عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان ، فقال من شاء فليصمه ومن شاء أفطر .

●

ويظهر فى بادىء الرأى أن فى هذين الحديثين مجالا للنظر من أربعة وجوه :

(أولها) أنه يظهر من الحديث الاول أن النشأة الاولى لصيام عاشوراء عند المسلمين كانت يوم أن قدم الرسول عليه السلام المدينة فى هجرته اليها وعلم أن اليهود يصومونه ، على حين أنه يظهر من الحديث الثانى أن صيام يوم عاشوراء يرجع الى أصل جاهلى قديم سابق بأمد طويل لهجرته عليه السلام .

و (ثانيها) أنه يظهر من الحديث الأول أن الرسول عليه السلام قد صامه وأمر المسلمين بصيامه تكريما لموسى عليه السلام واستصحابا لشعيرة من شعائر دينه ، على حين أنه يظهر من الحديث الثانى أن الرسول عليه السلام قد صامه وأمر المسلمين بصيامه اقرارا لشعيرة كانت قريش تسير عليها فى الجاهلية واستصحابا لهذه الشعيرة ، وأن المسلمين ظلوا على هذا الاساس يصومونه وجوبا الى أن فرض صيام رمضان .

و (ثالثها) أنه يظهر من الحديث الأول أن الرسول عليه السلام قدم المدينة فى هجرته اليها فى اليوم العاشر من المحرم ، مع أن الثابت أنه

قدمها يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، وكان هذا اليوم يوافق اليوم العاشر من شهر تشرى العبرى سنة ٤٣٨٣ من بدء الخليقة بحسب ما يزعمه اليهود ، وهو يوم عاشوراء عندهم أو يوم (كبور) . وقد تأكد ذلك من تحقيق للعلامتين أبى الريحان البيرونى فى كتابه (الآثار) ومحمود باشا الفلكى فى كتابه بالفرنسية « التقويم العربى قبل الاسلام » .

و (رابعها) أنه قد ورد فى الحديث الثانى أن اليهود يصومون عاشوراءهم تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله تعالى فيه موسى وبنى اسرائيل ويسر لهم (الخروج) من مصر وأغرق فرعون وجنده ، مع أن الثابت أن اليهود يصومونه للاستغفار وطلب العفو والتكفير عما ارتكبوه من ذنوب فى العام المنصرم كما تصرح بذلك نصوص العهد القديم التى أشرنا اليها فيما سبق ، وكما يدل عليه الاسم نفسه الذى يطلقونه على هذا اليوم « يوم (كبور) أى يوم الكفارة » .

وأما اليوم الذى يحتفلون فيه بذكرى نجاة موسى وبنى اسرائيل وخروجهم من مصر وغرق فرعون وجنده فهو اليوم الثامن والاخير من أيام احتفالهم بعيد الفصح Pesakh فِصَحْ ، أى الفسح أو الخروج أو المَرور ، ويسميه الفرنجة باك » ويجىء فى الحادى والعشرين من شهر نيسان ، وهو أول الشهور فى سنتهم الدينية « يجىء عيد الفصح عندهم فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان ويمتد احتفالهم به سبعة أيام بعد يوم العيد نفسه ، فينتهى احتفالهم به فى اليوم الحادى والعشرين من شهر نيسان ، وهو اليوم الذى تذكر التوراة أن الله أغرق فيه فرعون وجنده ونجى موسى وبنى اسرائيل ويسر لهم (الخروج) من مصر » . وعيد الفصح والأيام السبعة التالية له ليست أيام صيام عندهم ، بل هى أيام توسعة فى المأكل والمشرب ، فعند غروب الشمس من يوم عيد الفصح تذبح كل أسرة يهودية خروفا بلون واحد لاشية فيه وتلطخ جدران المنزل بدمه ويأكل أفرادها منه فى أثناء الليل مع خبز بدون خميرة ، ويمتد أكل هذا الخبز سبعة أيام بعد عيد الفصح(١) .



ولما كان الحديثان صحيحين لورودهما فى البخارى ومسلم وقوة سندهما فلا مجال اذن للطعن فيهما أو فى أحدهما بالضعف ، ويجب تفسيرهما تفسيرا يدفع جميع الشبهات السابق ذكرها .

وأمثل طريق لذلك فى نظرى هو أن يكون المراد بيوم عاشوراء الوارد ذكره فى الحديث الاول عاشوراء اليهود ، وهو العاشر من شهر تشرى العبرى سنة ٤٣٨٣ من بدء الخليقة بحسب ما يزعمه اليهود ، وهو اليوم الذى قدم فيه الرسول عليه السلام المدينة فى هجرته اليها ، وأن الرسول عليه السلام حينما رأى اليهود صائمين هذا اليوم صامه هو كذلك فى هذه السنة بالذات وطلب الى المسلمين أن يصوموه تكريما لموسى عليه السلام ولشرائعه ، ولعله كان كذلك للابتهاج بالمناسبة الاسلامية الخطيرة التى اتفق حدوثها فى هذا اليوم ، وهى نهاية مرحلة هجرته عليه السلام الى المدينة .

وليس فى الاحاديث النبوية ولا فى أخبار التاريخ الاسلامى ما يدل على

ان المسلمين قد صاموا يوم عاشوراء اليهود صوما جماعيا أو طلب اليهم ذلك فى غير هذه السنة . فهو اذن صيام قد حدث فى الاسلام على هذه الصورة مرة واحدة فحسب .

وأما يوم عاشوراء الذى ورد ذكره فى الحديث الثانى فهو يوم عاشوراء المسلمين أو يوم عاشوراء العرب، وهو العاشر من شهر المحرم العربى ، وكانت قريش تصومه فى الجاهلية ، وقد اقر الرسول عليه السلام شريعتهم فى هذا الصدد ، فظل المسلمون يصومونه وجوبا كل عام الى أن فرض صيام رمضان ، فأصبح صيام عاشوراء مستحبا فقط ، أى أنهم قد صاموه وجوبا فى السنة الثانية من الهجرة ، لأن الآيات التى فرض فيها صيام رمضان قد نزلت على الراجح يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، أى بعد العاشر من المحرم من هذه السنة .

وبذلك تسقط جميع الشبهات التى تنطوى عليها الاعتراضات الثلاثة الاولى ، لأن منشأ هذه الشبهات راجع الى توهم أن يوم عاشوراء الوارد فى الحديثين كليهما هو العاشر من شهر المحرم العربى .

ولا يبقى بعد ذلك الا الشبهة التى وردت فى الاعتراض الرابع ، وهى الخاصة بالخطأ فى تعليل صيام يوم (كبور) . فقد جاء فى الحديث الاول أن هذا الصوم لتخليد اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل ويسر لهم (الخروج) من مصر وأغرق فرعون وجنده ، مع أن الغرض من صيامه عند اليهود هو طلب التكفير عن ذنوبهم فى العام المنصرم كما سبق بيان ذلك .

وتدفع هذه الشبهة بأن الذين ذكروا هذا الغرض غير الصحيح هم بعض أفراد من يهود المدينة سئلوا عن ذلك ، وكانوا قليلى المعرفة بشعائرهم وحكمتها وأغراضها ، فالتبست عليهم أغراض عيد (كبور) بأغراض عيد (الفصح) ، والصقوا بالعيد الأول الاغراض التى من اجلها يحتفل بالعيد الثانى ، وكان معظم يهود المدينة من عوام اليهود ، بل كان منهم من ينحدر من أمم أخرى غير شعب بنى اسرائيل واعتنق اليهودية بدون علم بتفاصيل شريعتها ، وهم الذين كان يطلق الاسرائيليون على أممهم اسم (الأمميون) لأن اللغة العبرية تنسب الى الجمع ، وفى هؤلاء يقول القرآن الكريم : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون » (آية ٧٨ من سورة البقرة) . .

ولعل الرسول عليه السلام — بالهام من الله عز وجل — قد قصد الى اصلاح هذا الخطأ والاشارة الى الغرض الصحيح من صيام يوم (كبور) حينما قال فى الحديث الذى نحن بصدده : « نحن أولى بموسى منكم ، وانى لأحتسب الى الله أن يكفر بصيام هذا اليوم ذنوب العام السابق له » .

---

(١) أنظر فقرات ٥ — ٩ من اصحاح ٢٣ من سفر اللاويين . وقد اقتصر هذا السفر على أكل الخبز المذكور مدة سبعة أيام تبدأ من اليوم الخامس عشر مع تقديم ضحايا محرقة (تحرق فى المذبح) للرب فى هذه الايام . ويظهر أن ذبح خروف ليلة الخامس عشر وتلطيخ جدران المنزل بدمه وأكل افراد الاسرة منه هى طقوس زادها أحبار اليهود وفقهاؤهم على ما ورد فى سفر اللاويين .

فكرة الدولة في .. الإسلام

د. محمد سلام مدكور

يعرف رجال القانون الدستورى ، والدولى العام الدولة بأنها جماعة من الناس تقيم على وجه الدوام فى إقليم معين وتقوم فيهم سلطة حاكمة تتولى تنظيم شئونهم وتدبير أمرهم فى الداخل والخارج . فالأركان التى يتحقق بها وجود الدولة وقيامها هى :

١ ـ شعب : وهو مجموعة الأفراد المقيمين على ارض الدولة والمختصين بجنسيتها ، فالأجانب المسموح لهم بالاقامة العادية فى الدول لا يدخلون ضمن الشعب ولا يتساوون مع أفراده فى الحقوق والواجبات .

٢ ـ إقليم : وهو الرقعة من الأرض التى يقيم عليها شعب إقامة مستقرة دائمة ، ويستوى فى ذلك ما إذا كانت هذه الأرض متصلة ببعضها كما هو الكثير الغالب أو منفصلة كالدول التى تتكون ارضها من مجموعة جزر كاندونيسيا واليابان وبريطانيا والبحرين .

٣ ـ سلطة حاكمة : ويطلق عليها ـ السيادة ـ تمثل الشخصية المعنوية لهذا الشعب فتتولى تنظيم الشئون فى الدولة وتنظيم صلاتها بالدول الأخرى .

فإذا ما استكملت الدولة هذه العناصر حق لها أن تختار النظام الذى يلائمها فى تدبير الشئون وإدارة الأعمال وفقاً للنظام الذى يناسبها .

فالدولة تنشأ أولا ثم يدور البحث فى تكييف ما يلائمهامن نظم .

هذا من الدولة وعناصر وجودهـا .

وقد جال بذهنى خاطر قديم سبق الكلام فيه ، وهو هل الإسلام دين ودولة . يعنى هل تقتصر دعوته على التوجيه الروحى والتقويم الوجدانى دون تعرض للتنظيم الدولى والتكوين السياسى ؟ وإذا كان الإسلام نظم لكل شأن فى الحياة حكمين : حكمـا فى الدنيا يحاسب عليه فيها بقوة السلطة الحاكمة ، وحكما فى الآخرة يحاسبه الله عليه وهو اعلم بالنوايا وحقيقة الأمور ، ويكون معنى ذلك أنه دين ودولة ، فكيف نشأت هذه الـدولة الاسلامية وتكونت فيها الجمـاعة الحاكمة ؟ هل هى فكرة طارئة لم يكن لها وجود إلا بعد عصر الرسول . أو وجدت مع وجود الدعوة الاسلامية وارتبط ظهورها بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينـة بعد أن أعدّ العدة ليكون للاسـلام القوة والسلطان فيها . وبذا تكـون الهجرة بداية ظهور الدولة الإسلامية؟ ويستتبع هـذا هل لا بد من إقامـة سلطان ؟

فأردت أن أتكشف حقيقته وأتبين موقف مذاهب المسـلمين فيـه ، واتجاهات الكاتبينفى أمره ، وأن أقدم نتاج بحثى **إلى قراء الوعى الاسلامى** فى هذه **المناسبة السعيدة بدء العام الهجرى** الذى نأمل أن يكون عام النصر والخير للمسلمين فى كل بقاع الأرض وأن تكون كلمة الله فيه العليا فى كل بلد إسلامى .

• • • •

بعث الله رسوله داعيـا للحـق ومبشرا بنور دين جديد للبشرية كلها ، وتبعه وآمن به بعض المتصلين به ، فآذتهم قريش ، واشتدت فى إيذائها حتى قـاطعت بنى هاشـم وبنـى عبد المطلب كما هو معروف وذلك بعد أن طلبت من أبى طالب عم النبى أن يصـده عن وجهتـه ويمنعـه من الاسترسال فى دعوة الناس إليـه فرفض الرسول عليه السلام وقال : **« يا عم والله لو وضعوا الشـمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته »** .

ولما رأى رسول الله ما أصـاب أصحابه من الاضـطهاد اذن لهـم بالهجرة إلى بلد آخر ، ورأى أخيرا أن يثرب خير مكان لذلك ، لأن الإسلام انتشر بها حتى أصبحت كل أسرة من عرب المدينة تضم فريقا ممن دخل فى الإسلام ، ولأنهم تعهدوا له بالدفاع عنه ورحبوا بهجـرته إلى بلدهم . فخرج المسلمون إليها جماعة بعـد جماعة وهم آمنون على مستقبلهم بها لقول الرسول لهم : **إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تامنون بها** ثم لحـق بهـم صلوات الله عليـه وبصحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنـه ، وكان وهو فى طريقـه الى المدينـة كلمـا مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عنـدهم ويحـاولون حجز ناقته قائلين : يـا رسول لله هلم الى القوة والمنعة . فيقول : خلوا سبيلها **فإنها مامورة(١)**

وفى المدينـة عنى الرسـول بالوسائل التى ينظم بها الحياة فيها فآخى بين المهاجرين والأنصار ليشد أزر بعضهم ببعض ، وليذهب عـن المهاجرين وحشة الغربة ، وبهـذه المؤاخاة توثقت الروابط بين المسلمين بالمدينة فكان لهم من وحدتهم قـوة أخافت اليهود فى الداخل وقريشـا فى الخارج .

وضع رسول الله نظاما مبدئيا للحياة فى دولة الإسلام الجديدة التى تضم المسلمين من مهاجرين وانصار وتضم اليهود المقيمين بها يتضمن أسساً رئيسية من ابرزها :

١ ــ المسلمون أمة واحدة من دون الناس .

٢ ــ المسلمون .. بعضهم موالى بعض دون الناس .

٣ ــ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .

٤ ــ ان ما يحدث بين اهل المدينة من خلاف او اشتجار فان مرده الى الله ورسوله .

٥ ــ ان المسلمين واليهود متعاونون على من دَهَم يثرب .

وفى العام الثانى للهجرة وبعد ان استقر الأمر للمسلمين بالمدينة شرع الجهاد فجاء قول الله تعالى : **أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير** .. وكان تشريع الجهاد لتأمين الدعوة ، وصدّ من يقف فى سبيلها ، فأعد الرسول عدته لصد كل اعتداء ، ولما كانت قريش هى البادئة بمناهضة المسلمين وإيذائهم عمل الرسول على إخضاع قريش لحكمه ، وتطهير الكعبة من الأوثان ودخول مكة فى حوزة الإسلام . فاستمال القبائل المقيمة فى طريق مكة الى جانبه ، وخافت قريش من المسلمين بعد ان اخافتهم وحدثت مناوشات بين الفريقين ادت إلى غزوة بدر ثم غزوة احد ثم غزوة الخندق التى انضمت فيها الى قريش بعض القبائل العربية واليهودية ولذا سميت بغزوة الأحزاب .. ثم حدث صلح الحديبية وقد اشترطت فيه قريش بعض الشروط التى قبلها الرسول وكان فى نفس بعض صحابته منها شىء حتى قال عمر بن الخطاب للرسول : ألست برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : اوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟! فقال الرسول : أنا عبد الله ورسوله . **لن اخالف امره ولن يضيعنى (٢) !!**

وفعلا فقد كان من نتيجة ذلك اعتراف قريش ومن معها بالكيان السياسى للمسلمين وبدولتهم الناشئة واحسوا بعلو شأنهم مما حمل بعض قادة قريش الى الهجرة الى المدينة ، ومبايعة الرسول على الاسلام من امثال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، ولما عملت قريش من جانبها ما يعتبر نقضا لهذه المعاهدة فتح الرسول مكة نفسها فخضعت له واستسلمت من غير قتال ، وطهّر الكعبة من الأوثان ودخل الناس افواجا فى الإسلام واصبحت مكة جزءا من الدولة الإسلامية بل المركز المقدس لهذه الدولة .. وهكذا حتى أصبحت دولة الإسلام فى عهد الرسول عليه السلام قوية ذات منعة واصبح له فى اقاليمها الولاة والقضاة والجباة ، كما نفذ الأحكام القضائية وأبرم المعاهدات ، وهكذا فقد كانت معالم الدولة موجودة بالقدر الذى يتناسب مع حدودها وذلك العصر .

ففكرة الدولة إذن ظاهرة بوضوح عن فكرة الهجرة وما نشأ عنها ، يدل على ذلك ما جاء فى بيعة العقبة بمكة بين الرسول والأنصار من نصرتهم له على اعدائه مهما يكن من الأمر . يقول (جيب) الانجليزى : إنه لم يحدث بالهجرة انقلاب فى تصور محمد

ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمهمته أو شعوره بها ، فمن الوجهة الشكلية ظهرت الحركة الإسلامية بصورة جديدة ، وأدت الى إيجاد مجتمع قائم ومنظم على قواعد أساسية تحت قيادة رئيس واحد ، لكن هذا لم **يكن إلا مجرد إظهار لما كان مضمرا .** فقد كانت فكرة الرسول الثابتة عن هذا المجتمع الدينى الجديد الذى أقامه أنه ينظم تنظيما سياسيا .. فالشىء الجديد الذى حدث بالمدينة هو أن الجماعة الإسلامية قد انتقلت من المرحلة النظرية الى المرحلة العملية .

ولما كان الحق والحرية إنما يعيشان فى العادة فى ظل القوة ، ولما كان النظام ونفاذ الأحكام لا يتأتى بدون سلطة ، وبقاء الجماعة وعزتها لا تكون بدون حكومة . كان التلازم فى الإسلام بين الدعوة الى الدين ، وقيام الدولة ، فوظيفة الدولة حماية نشر الدعوة والاشراف على تنفيذ الأحكام .

وفكرة الدولة فى الإسلام لم تنشأ فى المدينة بعد أن وجد الرسول له فيها قوة ومنعة ، وإنما هى فكرة ملازمة للدعوة الإسلامية لازمة لحمايتها ، وتقوم الحكومة فيها فى هدى من وحى هذه المبادىء ، ويكون لها حاكم يمثلها ويقوم على تنفيذ حكم الله فيها إذ الواقع أن المبدأ الأساسى للنظرية السياسية فى الإسلام أن الأمر والتشريع لله خاصة لا يشاركه فيه أحد . يقول الله تعالى : « **إن الحكم إلا لله** » فليس لأحد أن يأمر وينهى من غير أن يكون له سلطان من الله ، وان التشريع لله يستمده المجتهدون مما جاء به الرسول من كتاب وسنة والقول بأن الإسلام دين ودولة كان محل جدل ومناقشة ظهرت فى آونة مختلفة، وظهر من يفصل بين الدين والدولة ويقصر دعوة الإسلام على الناحية الروحية لأنه لم يعن بشأن السياسة والحكم . فالرسول ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ، ولا دعوة لتكوين دولة ، وقالوا : **إن كانت الرسالة تستلزم نوعا من الزعامة للرسول فى قومه والسلطان عليهم فإن ذلك ليس فى شىء من زعامة الحكام ورؤساء الدول .**

وقد سبق لنا الرد على شبه هؤلاء (٣) ، كما رد عليها من قبلنا كثير من فطاحل العلماء ، وقلنا : إن مهمة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت فى مكة مجرد البلاغ والانذار ، حتى يعد النفوس الى تقبل الأحكام التكليفية بعد صقلهم بطابع الإيمان ، وحتى يألفوا الطاعة والانقياد على سنة التشريع الإسلامى فى التدرج الذى هو أساس من اسس ذلك التشريع ، ومن الواضح أن حديث « لست بملك ولا جبار » يهدف الرسول بقوله هذا تهدئة الرجل الذى هابه وإزالة الخوف من نفسه . بدليل قوله فى نفس الحديث : « وإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » ..! ولا يقال : إنه لا يمكن اخذ العالم بحكومة واحدة . لأن خضوع العالم لحكومة واحدة عالمية لا يتعارض ابدا مع أن يكون لكل شعب من الأنظمة السياسية والاجتماعية ما يتلاءم مع ظروفه الخاصة . كما أن الحكمة فى أن الرسول لم يعين صراحة من يخلفه ترجع الى رغبته فى إفهام المسلمين بأن أمر اختيار الخليفة موكول إليهم ، وإذا كانت نظم الدولة تخضع لعوامل التطور والتبدل فإنه لهذا لم تتعرض لها النصوص التشريعية إلا بوضع الإطار العام والقواعد الرئيسية حتى

يكون المجتهدون وولاة الأمر فى سعة من تطبيق النظم التى تساير مصالح الناس دون اصطدام بنص .

وإذا كانت المسيحية تقوم على أساس مبدأ الفصل بين الدين والدولة كما صرحت النصوص عندهم بذلك فإن الإسلام لم يفصل بينهما وإنما جاءت أحكامه شاملة لشئون الدنيا أيضا ومنها مشروعية الجهاد والجنوح للسلم وإبرام المعاهدات ، وإحكام علاقات الأفراد أو الجماعات من أحكام مدنية وجنائية ودولية ودستورية وما يتعلق بتكوين الأسرة والعلاقات بين أفرادها .

وإذا كانت جمهرة المسلمين من عصر الرسول حتى الآن على أن الإسلام جاء بالدين والدنيا ، وإذا كان هناك من يقتنع بما يقوله الفرنجة والغربيون أكثر مما يقتنع بقول غيرهم فاننا نعرض بعض أقوال الغربيين الذين انتهت بهم بحوثهم الحرة البعيدة عن التعصب الى أن الإسلام دين ودولة بكل ما تحمله كلمة دولة من معنى ومدلول . فقد اعترف بهذه الحقيقة كثير من المستشرقين (٤) :

يقول الدكتور « فتزاجرالده » ليس الإسلام دينا فحسب ، ولكنه نظام سياسى أيضا ، وعلى الرغم من أنه قد ظهر فى العهد الأخير أفراد من المسلمين ممن يصفون أنفسهم بأنهم عصريون يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين فإن صرح التفكير الإسلامى كله قد بنى على أساس أن الجانبين متلازمان لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر .

ويقول الدكتور شاخت : إن الإسلام يعنى أكثر من دين ، إنه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول بأنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا .

ويقول الأستاذ (جيب) الانجليزى : صار واضحا أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية ، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين فى الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة . .

ويقول الامام الشاطبى : إن الجانب الروحى فى الأحكام والقوانين الاسلامية هو التكليف من الشارع والخضوع والامتثال من المكلفين وهذا هو العنصر الدينى فيها . أما الجانب المادى فهو تنظيم أمور الناس ورعاية أحوالهم بالأحكام الإسلامية من جانب الشارع والانتفاع العملى وتحقق المصالح من جانب الأمة ، وقد امتزج الأمران وصعب التفريق فى أحكام الإسلام بين ما هو دين وما هو دنيا . . فالأحكام الشرعية إذن تقوم على المعنى التعبدى الروحى ، وعلى المعنى القانونى النافع للانسانية لتنظيم حياتها .

• • • •

هل لا بد من إقامة سلطان يحكم الناس ؟

بينا أن الرسول عليه السلام كان رئيس الدولة يدين له الجميع فيها بالولاء وكان له السلطان الروحى والمادى ، واقام حكومة تحت سلطانه فماذا من شأن هذا المجتمع بعد وفاته ؟ هل لا بد من خليفة يقوم على رعاية شئون الدولة وما يتعلق بالنواحى المادية فيها ؟ نعم إن ذلك

أمر لازم فقد خلف أبو بكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى السلطان المادى فقط يسوس المسلمين ويدبر شئونهم مستندا إلى احكام الشريعة ، أما السلطان الروحى فإن الإسلام لم يجعل لاحد سلطة روحية على احد يقول الامام محمد عبده فى ذلك : ليس فى الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير والتنفير من الشر .

وجمهور الفقهاء على أن إقامة خليفة ليرعى السلطة المادية فرض من فروض الدين ، يقول الماوردى : الامامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدها لمن يقوم بها واجب بالاجماع وإن شذ عنهم أبو بكر الاصم ، وقالت طائفة إن ذلك الوجوب مصدره العقل لا الشرع لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ، وقالت طائفة : بل إن وجوب إقامة الامام مصدره الشرع لأن الامام يقوم بأمور شرعية قد كان يجوز فى العقل الا يرد التعبد بها فلم يكن العقل مجوزا لها ولكن جاء الشرع بتفويض الأمر إلى وليه فى الدين ، نفرض علينا طاعته فيما يأمرنا به فى نطاق احكام الشرع ...

وقال ابن حزم : اتفق جميع اهل السنة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة،وان الامة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم حكم الله ويسوسهم بحكم الشريعة . ما عدا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الامامة ، إنما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم .. ثم قال . وقول هذه الفرقة ساقط .. فالقرآن والسنة وردا بوجوب الامام .. فاقامته على هذا تجب بالشرع لا بالعقل .

لكن يرى بعض الزيدية أن نصب الخليفة إنما يجب فعلا على الأمة لكن وجوبه عن طريق العقل لا الشرع لأن الاجتماع ضرورى للبشر ومن لوازم الاجتماع الاختلاف والتنازع .. ويمكن القول بأن خلاف هؤلاء هيِّن يسير إذ لا مانع من أن يوجب العقل إقامة الامام ويجيء الشرع مؤيدا لمقتضى العقل .

وهناك من الخوارج من اتجه الى أن الامامة ليست واجبة بأى وجه ، وإنما الواجب هو إمضاء حكم الشرع وتنفيذ ما أراد الله وقد يتم ذلك بتوافق افراد الامة فيما بينهم على إقامة العدل وتنفيذ احكام الشرع من غير حاجة الى حاكم وسلطان ، وهذا فى الواقع امر لا يتفق مع طبيعة البشر بحال ودلت التجارب على بطلانه .

ينتج من هذا كله أن الإسلام دين ودولة ، وانه جاء منظما لشئون الحياة كلها ولم يقف عند الناحية الروحية فقط ، وأن نصوصه وضعت الأسس العريضة فى تنظيم المعاملات المدنية والتجارية وسائر المعاملات من بيع ورهن وغصب وضمان وإجارة وإعارة وإيداع وصلح وما يتعلق بتكوين الأسرة والعلاقات بين افرادها فى الحياة وبعد الممات من الخطبة والزواج واثارة الفرقة بين الزوجين وما يترتب عليها ، وحقوق الأولاد والاقارب والولاية بنوعيها والميراث والوصية وما يتعلق بنظام التقاضى ، وما يتعلق بالجريمة والعقوبة والحرب والسلم والمعاهدات وغير ذلك من كل ما يتعلق بالدولة .

كما ينتج أن إقامة إمام للمسلمين نظام دينى يجب على المسلمين مراعاته وما دام الإسلام دينا ودولة كان من

الطبيعى ان تأخذ الامامة فى المجتمع لون الدين ، وأن يسير الامام فى سياسة المجتمع على هدى من أحكام الدين ..

وإذا كان الشيعة الإمامية يرون أن الإمامة موصى بها فإن جمهور المسلمين على أن الامامة تتم عن طريق البيعة من اولى الحل والعقد (٥) . فمصدر سلطة الإمام مبايعة الجمهور له ورضاهم به فالأمة هى المحافظة للشرع ، وقالوا : إن المبايعة إذا كانت بالإكراه ، أو إذا خرج الإمام عن حدود العدالة فان ولايته لا تعتبر خلافة نبوية ولكنها تعتبر ملكا دنيويا، ومع هذا فقد صرحوا بأن طاعته أولى من الخروج عليه .

وإنا نختتم مقالنا هذا ببعض مقتطفات مما كتبه الحسن البصرى لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يصف فيه الإمام العادل « اعلم يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل الإمام العادل قواما على كل مائل ، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصرة كل مظلوم .. فهو كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المرعى ويزودها عن مواقع الهلكة ... وهو كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا ويكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته . وهو كالقلب من الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده .. ثم يختتم كتابه بقوله : فلا تحكم يا أمير المؤمنين بحكم الجاهلية ولا تسلك بهم سبل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك . ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله .. والسلام عليكم ورحمة الله » .



(١) الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٥٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام هـ ٢ ص ٣٦٥

(٣) راجع لنا فى ذلك البحث المنشور بمجلة القانون والاقتصاد اعداد سنة ١٩٦١ ، وراجع لنا كتاب الاباحة عند الاصوليين والفقهاء .

(٤) انظر : النظريات السياسة الاسلامية للدكتور ضياء الدين الريس ، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار ، للدكتور محمد البهى ، ومصادر الاحكام الدستورية فى الشريعة الاسلامية للدكتور عبد الحميد متولى ، وراجع لنا مناهج الاجتهاد فى الاسلام ــ تحت الطبع .

(٥) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا « مناهج الاجتهاد » تحت الطبع . وانظر لنا نظرية الاباحة عند الاصوليين والفقهاء .

خطبة الجمعة

اللواء الركن محمـــود شيت خطاب

— ١ —

جاءنى ضيوف على غير ميعاد ، وكان ذلك قبل ساعة من صلاة الجمعة فقصدت السوق القريب لأشترى كمية من اللحم وكم كان سرورى عظيما حين رأيت الجزار يتوضأ ويسبل الوضوء ، فقلت لنفسى : هذا مسلم لا يغشنى فسألته أن يقطع الكمية المطلوبة من اللحم ، فقال : اذا أمكن أن تعود الى بعد صلاة الجمعة فافعل .

وقلت له : ارجوك فى بيتى ضيوف وسيتناولون طعامهم بعد الصـــلاة فافعل معروفا وبادر الى اللحم وأعطنى حاجتى منه . وقام الرجل وأعطانى ما أردت وكنت واثقا به فلم احرص على مراقبته وتركته يفعل ما يريد .

وعدت باللحم الى الدار فاذا بالجزار قد استبدل باللحم الذى أردته لحما آخر رديئا لا يؤكل ولا يصلح لشىء .

وقصصت هذه القصة على شيخ المسجد وخطيبه ورجوته أن يجعل منها موضوعا لخطبة الجمعة وأن يركز على قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » .

وحين تطرق الخطيب الى هذه القصة فى خطبة الجمعة ثم أورد الآيات والأحاديث التى تدعو الى الاستقامة وتنهى عن الغش فى المعاملة لاحظت أن المصلين تجاوبوا مع خطبته وأثرت فيهم تأثيرا عميقا .

وحكمة خطبة الجمعة والهدف منها ، هو عرض مشكلة الاسبوع علـــى المصلين وبيان رأى الدين فيها ووضع الحلول الناجعة لتلك المشكلة ، وبذلك يكون الدين للحياة ، ويكون هناك ترابط وثيق بين الدين والحياة ولا تبقى

هناك فجوة بينهما ، كالفجــوة بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى .

فهل يعرض الخطباء فى خطب الجمعة مشكلة الاسبوع ويعالجونها ..؟ الواقع أن قسما من الخطباء يعرضون فى خطبة الجمعـــة من كل أسبوع مشكلة الاسبوع الماضى سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ، وبذلك يشدون المصلين اليهم شـــدا ويجعلونهم ينتظرون مـــوعد خطبة الجمعـــة بفارغ الصبر .

أعرف مسجدا يبكر اليه المصلون قبل الصلاة بساعات ليحصلوا علـــى مكان فيه فاذا تأخروا فلا بد لهم من أن يصلوا فى العراء خارج المسجد .

هذا الخطيب الذى يقصده الناس فى بلده الواسع من كل مكان يرهف السمع ليسمع ما يهم الناس ، ويقرأ الصحف ويسمع الاذاعات ليتلقف ما يهم الناس .
وقد يكون لديه من حصيلة إنصاته وقراءته أكثر من موضوع فيقدم الأهم على المهم ويتحدث عن موضوع الساعة أو مشكلة الأسبوع فينبه الغافـــل ويرشد الحيران ويعلم من لا يعلم .

وقد حدثنى أحد المعجبين به أنه يكتفى بالاصغاء الى خطيب الجمعـــة ليعرف أهم حدث فى الأسبوع وينصرف سائر الأيام الى قضاياه الشخصية.
وقد قصدت مسجد هذا الخطيب يوما فاذا به خطيب يستحق الاعجاب لأنه يهدف حقا الى إفادة المصـــلين ويحرص على ذلك أعظم الحـــرص .
ولكن كم عدد الخطباء من هذا النوع .....؟

— ٢ —

وددت أن يكون الخطباء كلهم من نوع خطيب المســـجد الذى تقصـــده الجماهير من كل مكان ، ويقصده الشباب خاصة وقد يحضر شاب وهو لا يصلى ، ولكنه يعجب به ثم يعجب بأقواله وأعماله ويصلى تعبيرا عن إعجابه به ، ويصبح من أشد المتحمسين له والداعين لسماع خطبه . وحين ينتهى هذا الخطيب الموفق من إلقاء خطبة الجمعة ومن الصلاة يزدحم حولـــه الناس مسلمين عليه ووجوههم تطفح بالبشر والسعادة والتقدير والاعجاب.

إن أسباب اعجاب الناس بهذه الخطيب هى : اخلاصه أولا ، وعلمه ثانيا وعمله ثالثا وإعداده للخطبة رابعا وإيجـــازه خامسا ورغبته فى إفـــادة الناس سادسا وأخيرا .

تلك هى أسباب نجاحه خطيبا ، وهى أسباب كفيلة لإنجاح كل خطيب .

هو مخلص لدينه ، مخلص لواجبه ، مخلص للمصلين ، لذلك يسأل كل من يراه : ما هى اهم احداث الاسبوع ؟ ما هو الحدث الذى يؤثر فى مصير المسلمين ؟ ثم هو يقرأ الصحف والمجلات ويصغى الى الاذاعات المرئية والمسموعة ، فاذا استقر رأيه على موضوع من المواضيع عكف على اعداد مواده ، كأن الله سبحانه وتعالى لم يخلقه الا من أجل اعداد هذا الموضوع وهو حين يلقى خطابه يشعر كل سامع انه متجاوب احساسا مع كلماته تجاوبا كاملا وانه لا ينطق بلسانه بل يتكلم بقلبه .

والرجل يصدر عن علم ، فهو خريج الأزهر الشريف ، ولكنه لا يكتفى بمعلوماته القديمة بل يضيف عليها كل يوم علما جديدا .

ومكتبته تضم المصادر القديمة ولكنها تحتوى على المراجع الحديثة ، فهو يأخذ من القديم والجديد كل نافع .

وغرفته فى المسجد مدرسة ايضا ، يأوى اليها الشباب قبل صلاة الجمعة وبعدها ، فيسألون عن أمور دينهم ودنياهم ويتلقون من الشيخ على اسئلتهم أجوبة شافية .

والعلوم موجودة فى الكتب وفى صدور العلماء ، والعمل وحده هو الذى يجعل العلم لله لا للنفس الامارة بالسوء فاذا أصبح العالم بحرا من العلوم بدون عمل ، فلا فائدة ترتجى منه ــ خاصة فى مجال الدعوة الى الله .
وشيخنا عامل ، بل عمله يسبق علمه ، أى انه يعمل اكثر مما يقول ويطبق على نفسه ما يأمر به الآخرين .

وهو يعد خطبته ويحتفل باعدادها ، حتى يكاد هذا الاعداد يستغرق عليه أكثر وقته فى الاسبوع : يفكر فى موضوعها ويرتب العمود الفقرى لها بنقاط ، ثم يشرح تلك النقاط مستندا على القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال السلف من الائمة والصالحين وأعمالهم ... وأخيرا يستخلص النتائج التى تناسب الظروف الراهنة والعصر الحاضر . ويستكمل الشيخ بضع صفحات هى نص خطبته الأولى ثم يبدأ باختصار هذا النص ويركز المادة الموجودة فيه حتى يبقى من بضع صفحات صفحتين أو ثلاثا لا يزيد وحينئذ تأخذ خطبته صيغتها النهائية .

لذلك تكون الخطبة موجزة ايجازا غير مخل لأن الشيخ يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان أقل الناس كلاما ، وكانت خطبته موجزة لأنه أوتى جوامع الكلم ، هذه الخطبة المختصرة يكاد يحفظ محتواها كل سامع ويلح الشوق على كثير من الشباب لاستذكار ما جاء فيها وحفظه

فيقبلون على الشيخ راجين أن يسمح لهم باستنساخ نص الخطبة ثم يوزعون نسخا منها على الأصدقاء والأصحاب .

والشيخ الخطيب يحرص على إفادة الناس بخطبته فهو يعتبر أن ذلك رسالة على عاتقه وأمانة فى عنقه واجبة الأداء نحو الله رب الناس ونحو الناس ، لذلك فهو لا ينفك يحرص على إعداد خطابه واختصاره وتجويده وتركيز المعلومات القيمة فيه ومحاولة أن يكون موضوع الساعة ومشكلة الأسبوع حتى يربط بين الدين والحياة .

لقد ذكرت الصفات التى يجب أن يتسم بها خطيب الجمعة من وجهة نظرى كأحد المصلين الذين يتمنون على الله أن يرتفع مستوى خطباء المساجد وأن يكونوا أهلا لاعتلاء منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وطبقت هذه الصفات على شخصية معروفة حتى لا يقول قائل : اننى اطالب الخطباء بما لا يطيقون .

وأعود الى السؤال الذى طرحته من قبل : كم عدد الخطباء من هذا النوع ...؟

والجواب قليل جدا ..
إن أكثر الخطباء يعتبرون الخطبة تكليفا لا تشريفا ، وهم يحرصون عليها بمقدار حرصهم على المكافأة التى يتقاضونها لقاء إلقائها يوم الجمعة ، لذلك يكون إخلاصهم للمال لا للخطبة .

ولا انكر أن فى هؤلاء الخطباء علماء يحملون شهادة (الدكتوراه) من الأزهر الشريف أو شهادات دينية عالية . ولكنهم يعتمدون على علمهم هذا فيحضرون صلاة الجمعة وهم لم يعدوا خطابا ولم يفكروا فى موضوع الخطاب .

وقد دابت على سؤال كل خطيب أعرفه وأراه قبل الصلاة من يوم الجمعة ما هو موضوع خطبة الجمعة اليوم ...؟

وغالبا ما يكون الجواب : الذى يفتح الله !!!

وما هكذا تورد يا سعد الإبل !!!

والنتيجة أن الخطيب يتيه فى الارتجال فيطيل ويمضى الزمن بدون جدوى .

إن هؤلاء الخطباء غير مخلصين لدينهم وللمســـلمين ، علمهم لا يفيد غيرهم ، وعملهم يدل على أنهم يسلكون سبيل غير المؤمنين ، لأنهم لا يعدون خطبتهم ولا يحتفلون بها الاحتفال اللائق المناسب ، يضيعون أوقات الناس سدى وينفرون الناس من الدين ولا يرغبون الا بفائـــدة جيوبهم .
وجود هؤلاء من مصلحة أعداء الاسلام والمسلمين لا من مصلحة المسلمين وبإمكانهم أن يعيدوا النظر فى سلوكهم ليســتفيدوا ويفيــدوا وليخدموا الإسلام ويخدموا أنفسهم .

إن المصلين يحبون المخلص لدينه ويكرهون المخلص لجيبه ويحبــون العلماء ويكرهون الجهال ، ويحبون العاملين ويكرهون القوالين ، ويحبون الخطبة المعدة ويكرهون الخطبة المرتجلة ، ويحبون الإيجــاز ويكرهون الاطناب ، ويحبون من يحرص على فائدتهم ويكرهون من يحرص على فائدة نفسه .

تلك هى مجمل ما يحبه المصلون من خطباء يوم الجمعة ومجمل ما يكرهون من هؤلاء الخطباء فإذا لم يكن ذلك كافيا ليدل الخطيب على مكانة نفسه هل هو محسن أو مسىء فربما هذه العلامات تكون كافية للذين لا تكفيهم الاشـــارة .

الخطيب المحسن يزدحم مسجده ويقبل عليه المصلون مسلمين بعد الصلاة ويتكاثر زواره فى غرفته الخاصة بالمسجد وفى بيته ويجد علامة الحب والاحترام بادية على وجوه المصلين . والخطيب المسىء لا يــؤم مســـجده الا المضطر أو عابر السبيل ويدبر عنه المصلون بعد الصلاة فلا يسلم عليه غير معارفه وتخلو غرفته الخاصة من الزائرين ، ويجد علامـــة المقت والازدراء بادية على وجوه المصلين .

أما تعليقات المصلين على الخطيب المحسن بعد الصلاة وتعليقاتهم على المسىء فحدث عن البحر ولا حرج .

ان خطباء الجمعة يستطيعون أن يقدموا الكثير للمسلمين فى هذه الظروف العصيبة التى تجتازها الأمة العربية وهى فى حرب بقاء أو فنـــاء مـــع اسرائيل .

ونصيحتى للخطباء المحسنين أن يزيدوا من احسانهم وللخطباء المسيئين أن يدققوا فى أسباب اخفاقهم ، وأن يعملوا على تصحيح ما فيهم من عيوب وهفوات .
اننى أحب الشيوخ وأتعصب لهم ، لذلك أقدمت على كتابة هذا المقـــال إرشادا وتذكيرا . وكم يسرنى أن أراهم جميعا بخير ، والنصيحة للـــه ولرسله وللمؤمنين واجب ، والله مع المتقين .

الاسلام والمسلمون في تشاد

للشيخ موسى ابراهيم

ان جمهورية تشاد تضم الآن إمارات متعددة طالما إرتفع في ربوعها لـواء الإسلام وقامت على ارضها دول إسلامية متعاقبة منذ ان اشرقت علينا انـوار الاسلام الحنيف واكرمنا الله بان هدانا الى إتباعه على ايدى الدعاة الأوائل الذين تتابعت مواكبهم المباركة منذ فجر الدعوة الإسلامية كالغيث يحيى الله بها الأرض بعد موتها . وصدق الله العظيم (أفمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) .

وإذا لم يكن المجال متسعا للسرد التاريخي وتتبع الإسلام فى مسيرتـه المباركة نحو هذه البلاد حتى عم نوره ارجاءها من اقصاها الى اقصاهـا فإننى ساكتفى بأن اضع صورة لواقعنا الحالى محاولا فى إخلاص ان المس في حديثى الجوانب المختلفة حتى نخرج فى النهاية بفهم مشترك وتصور سليم لواقع بقعة عزيزة من بقاع الإسلام فرض عليها ولأزمان طويلة ان تكون بمعزل عن بقيـة الوطن الإسلامى وان تقطع كل الصلات بينها وبين إخوتها فى العقيدة والثقافة والتاريـخ .



يعيش فى جمهورية تشاد الآن ما يزيد على أربعة ملايين من المواطنين يدين بالاسلام من هذا العدد ما يزيد على خمسة وسبعين فى المائة أما الخمسة والعشرون بالمئة المتبقية فهى قسمة بين من استطاعت الكنيسة بما لها من امكانيات أن تحولهم من الوثنية الى الدين المسيحى وبين من بقى إلى الآن على الوثنية التى لا تعرف ربا ولا تدرك إلها .

هذه هى الحقيقة الماثلة أمام الجميع لا ينكرها أحد ، حتى أولئك الذين يحرصون على طمس الحقائق لا يجرؤن على تجاهلها وإن كانوا ينزلون بهذه النسبة قليلا ولكنهم على كل حال يقرون بجوهر الواقع ولا يدفعونه .

بل إنه يمكننا أن نضيف إلى ما سبق أمرين هامين هما أيضا من الحقائق المسلمة من كل المنصفين .

أولها : إن هذه النسبة التى ذكرناها فى زيادة مستمرة ، فلا يكاد يمضى يوم حتى يحضر إلينا من يعلن عن اقتناعه بالدين الحنيف ويرغب فى

إشهار إسلامه والانضمام الى جماعة المسلمين طائعا مختارا رغم انعدام وسائل الدعوة والتبشير بالاسلام ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثانيها : إنه بحمد الله لم يسجل التاريخ نكوص أى مسلم عن دينه وردته عن عقيدته . وهذا أمر طبيعى فالإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وتغيير الفطرة أو طمسها أمر عسير مهما حاول المحاولون ومهما أوتوا من وسائل الترغيب والترهيب .

والآن لنا نظرة سريعة على الجوانب الايجابية فى حياة هذا العدد من المسلمين ثم ننتقل بعدها إلى الجوانب السلبية فى حياتهم .

إن واقع بلادنا ينطق بالحقائق التالية :

أولا : إن اللغة العربية لغة القرآن هى لسان الشعب التشادى فأينما ذهبت وحيثما وجدت شمالا أو جنوبا ستجد اللسان العربى وستستطيع أن تتفاهم باللغة العربية . هذه حقيقة يدهش منها كل من ذهب الى ديارنا للمرة الاولى وقد حدثنى بذلك الكثيرون ممن وفدوا الى بلادنا وفوجئوا بهذا الواقع الذى ما كانوا يتخيلونه .

حقيقة إن لساننا مختلط ببعض اللهجات المحلية التى ما زالت باقية إلى الآن وحقيقة أن لغتنا قد تأثرت باللسان الفرنسى بسبب فرضه على التعليم وبحكم اضطرارنا للتعامل مع أصحابه ونحن فى ذلك مثل جميع الشعوب التى مرت بظروف خاصة تسبب عنها هذا التداخل اللغوى الذى ينتهى به الأمر إلى تكوين لغة عامية خاصة بهذا الشعب أو ذاك . ولكن الحقيقة أيضا هى أن اللغة العربية ما زالت لغة الشعب وأن التفاهم بها سهل ميسور لكل من يفد الى بلادنا .

ثانيا : إن العناية بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا من أهم الأمور التى يوليها التشاديون أعظم الاهتمام فعلى امتداد الوطن مدنه وقراه توجد الآن الخلاوى — الكتاتيب — يذهب إليها الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن ويجودونه . وقلما تجد تشاديا مسلما لم يحفظ القرآن أو جزءا منه فى صباه . وإن نظرة المجتمع الى الشخص الذى لا يحمل شيئا من القرآن نظرة استصغار واستخفاف لدليل على ذلك فحامل القرآن كفء لأرفع الأنساب أما غيره فقلما يجد من يثق فيه أو يرضى بمصاهرته . ونحب أن نوضح هنا أن هذه العناية شىء توارثه الأبناء عن الأجداد وتوجد من غير توجيه أو تنظيم أو تشجيع من أحد بل هى منبثقة من ضمير الشعب وكأنها جزء من فطرته وبعض من كيانه .

ثالثا : الشعائر الإسلامية قائمة مرعية فى طول البلاد وعرضها وصوت المؤذنين يتردد قويا خمس مرات كل يوم وصلاة الجماعة والجمعة والصوم والحج كل ذلك بفضل الله من الجوانب المشرقة فى بيئتنا التشادية .

رابعا : إن حياة شعبنا الاجتماعية تسودها الروح الاسلامية فالتقاليد والسلوك وشعور الأخوة والتكافل وحقوق الجوار وصلة الرحم وكل ما يميز المجتمع المسلم ما زال بحمد الله من سمات شعبنا المسلم المعتز بإسلامه .

هذه بعض الجوانب الايجابية المشرقة فى حياة شعبنا ولكن لا يجب أن ينسينا ذلك جوانب أخرى هى من الاسلام لبه وروحه ، فان شعبنا عانى وما زال يعانى مما دبر له المستعمرون ومن خططهم الحاقدة التى دبروها فى عناية متوخين أن يقتلعوا هذا الدين وأن يجتثوا جذوره تحت رعاية الكنائس المسيحية تلقن ويطفئوا جذوته وقد حشدوا لذلك كل ما يملكون من دهاء وبطش وإرهاب وهذا حديث طويل نكتفى فى هذا المجال بأن نبرز منه الحقائق التالية :—

١ — منذ أن وطئت أقدام المستعمرين أرض وطننا فى أواخر القرن الماضى لم يواجهوا مقاومة ولا تمردا إلا من العناصر الاسلامية والقيادات الدينية ، ولقد استطاع المسلمون أن يكبدوا الغزاة خسائر فادحة وأن يرغموهم على دفع ثمن باهظ لعدوانهم . ويكفى دليلا على ذلك أن الفرنسيين لم يتمكنوا من أحكام قبضتهم على البلاد ولم يستطيعوا الاستيلاء على كل مناطقها إلا بعد سبعة عشر عاما ظل المسلمون خلالها يقاومون فى عناد وإصرار مستعذبين الموت فى سبيل الله مضحين بالنفس والمال والولد لهم من عقيدتهم وإيمانهم أعظم حافز على الفداء والبذل .

وعندما استتب الأمر للغزاة لم ينسوا الدروس التى لقنها لهم المسلمون ولم يغفلوا عن أن الإسلام هو الروح الذى أمد هؤلاء بكل هذه الطاقة الجبارة والإصرار الأكيد ومن هنا صمموا على أن يبذلوا كل ما يملكون فى سبيل قتل هذا الروح وإطفاء نوره وبذلك فقط يستذلون هذه الشعوب ويتحكمون فى مصائرها وقد وضعوا لذلك خططا متكاملة أرادوا بها أن يحققوا غايتهم تلك وكانت عناصر تلك الخطط ما يلى :

١ — عزل الشعب التشادى عن بقية العالم الإسلامى عزلا محكما .
٢ — تفريغ البلاد من العلماء والقيادات الدينية .
٣ — محو الثقافة الإسلامية العربية واستبدالها بالثقافة الغربية.
٤ — محاربة الاسلام كعقيدة بالتبشير بالمسيحية وكسلوك بالقضاء على القيم والآداب الإسلامية وإشاعة الفساد والانحلال :

ولم يكن تنفيذ هذه الخطط بأقل احكاما من وضعها . فقد جندوا كل طاقاتهم وسخروا كل إمكاناتهم لإنجاح هذه السياسة ويجب أن نكرر هنا أنه لشىء معجز حقا أن يظل للاسلام بقية فى تلك البلاد رغم ما بذل فى سبيل محوه وإزالته — وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على تلك القوة الذاتية التى يتميز بها الإسلام والتى يستعصى بها على كل محاولات المحو والازالة .

ولنعرض سريعا صورا من هذه الأعمال الباغية التى ارتكبها المستعمرون :

١ — لقد كان أول خطوة اقدم عليها المستعمرون هى ملاحقة القيادات الدينية ورجال الدين التشاديين قتلا ونفيا وتعذيبا وقد ارتكبوا من أجل ذلك من الجرائم ما تقشعر منه الأبدان بحجة أن هؤلاء وهم المسئولون عن المقاومة التى أبداها المسلمون ضدهم متناسين أنهم معتدون دخلاء وإن المسلم يأبى عليه دينه الخضوع والذل وإنه مطالب بالدفاع عن وطنه وحريته ودينه وإن ذلك جزء من عقيدته ولكن ما لهؤلاء ومنطق الحق — ولقد

كان من آثار هذا الارهاب الذى اشاعوه والقسوة الوحشية التى لجأوا اليها أن تم لهم ما ارادوا فعله وتدفقت أفواج اللاجئين إلى الدول المجاورة طلبا للنجاة والأمن ولعلنا نتصور عنف تلك المذابح إذا علمنا ان عدد التشاديين الذين لجأوا إلى السودان وحده نتيجة لهذا الإرهاب يبلغ مليونين من المواطنين اى أنهم استطاعوا ان يفرغوا البلاد من نصف سكانها او يزيد — وبطبيعة الحال كان هؤلاء من صفوة العناصر الوطنية التى أيقنت انها هدف الحملة المقصود .

٢ — وقد صاحب ذلك عزل تام للشعب التشادى عن بقية العالم الإسلامى ومنع أى صلة بيننا وبينه . ذلك لأنهم يعتبرون أن استمرار الصلات بيننا وبين إخواننا المسلمين جديرة بأن تحيى فينا روح الأمل وتمدنا بالزاد الروحى الذى يكفل استمرار النضال وحفظ الشخصية الإسلامية التى يرون فيها خطرا ماحقا لوجودهم . ومع أن شعبنا قد قاوم ذلك واستطاع أعداد منه ان يصلوا إلى مصر وغيرها للعلم إلا ان ذلك كان يتم تحت ظروف قاسية ضيقت دائرته بالإضافة الى العقبات التى تغلق طريق العودة أمام من يحاولها . والمصير المظلم الذى ينتظر العائد إذا نجح فى الوصول إلى الوطن . وهكذا خلت البلاد من اعلام العلماء وهوى لواء العلم من فوق ربوع وطننا الحبيب .

٣ — لم يكتفوا بذلك بل وضعوا ونفذوا الخطط الرامية الى محو الثقافة الاسلامية العربية واستبدالها بالثقافة الغربية عن روح الشعب والمنافية لطبيعته وتقاليده فأنشأوا المدارس تحت رعاية الكنائس المسيحية تلقن الجيل الجديد لغتهم وثقافتهم وقد رفض المسلمون هذا اللون من التعليم لأنهم رأوا فيه طريقا تؤدى الى محو الاسلام واذابة الشخصية الاسلامية فاقتصرت هذه المدارس على غير المسلمين تقريبا . وقد صاحب ذلك تحريم الكتب العربية وحرق ما وجدوه لدى العلماء منها وكانت حيازة كتاب عربى جريمة يتعرض مرتكبها لشتى انواع المضايقات والمطاردة فى رزقه وامنه .

بالاضافة الى ذلك فقد عمدوا الى محاربة أى جهد يقوم به المسلمون لإيجاد تعليم عربى اسلامى واغلقوا كل معهد انشىء لهذا الغرض وقد ترتب على هذا الوضع الخطير ان حجب عنا تيار الثقافة الاسلامية المتجدد ، وأصبحنا ندور فى حلقة مفرغة وصار كل زادنا الثقافى هو ما تعيه صدور العلماء على قلتهم وما نقراه فى كتب الفت فى العصور الوسطى لزمن غير زماننا . ولا تواجه مشاكل العصر ولا تقف امام التيارات الثقافية والفلسفية الجديدة التى غزتنا مع الحضارة الغربية واتصال ابنائنا بأوروبا ودرنا حول أنفسنا . وأصبح المسلمون اليوم بين اثنين احدها يرفض كل جديد ولو كان حقا لأنه لا يجده فيما بين يديه من الكتب الاسلامية العتيقة ، والآخر يرفض كل قديم لأنه يتنافى مع ما تعلمه ، واصبح حقيقة مسلمة لديه . إن الاسلام الصالح لكل زمان ومكان والذى تضمن من المبادىء — ما يواجه كل مشكل وما يحل كل معضل لا نعرف عنه الكثير . وأصبحنا فى عجز كامل إزاء الاديولوجيات الأجنبية الغريبة عن ديننا ويكفى مثالا على ذلك أن الغالبية العظمى من مسلمى تشاد يرون ان من يصدق بأن الانسان قد غزا الفضاء أو وصل القمر فهو كافر لأن ذلك يتعارض مع الدين ومع الصورة التى استقرت فى الأذهان منذ القدم وأن السماء ذات أبواب لاتفتح الا بإرادة الله الى آخر ذلك مما يتعارض مع الواقع العلمى الآن .

ثم اقدموا على ما هو ادهى وأمر

من ذلك فى محاربة الإسلام فقد عمدوا الى خطة ذات شقين الأول محو الاسلام كعقيدة بالتبشير بالمسيحية والثانى هو القضاء على القيم الإسلامية باشاعة الفساد والانحلال وتيسير سبل الانحراف والرذيلة . وإذا كانوا قد فشلوا فى الشق الأول فلم يستطيعوا تحويل مسلم عن دينه فإنهم قد نجحوا نجاحا كبيرا فى الشق الثانى . فأنشئت البارات وبيوت الرذيلة وافسدت الضمائر تحت وطأة الحاجة والعوز وهم الذين يملكون كل ثروات البلاد .

وقد ورثنا نتيجة لكل ما سبق ذكره تركة مثقلة وجيلا لا يعرف من الإسلام إلا اسمه منقطعا عن تراثه الروحى وثقافته الإسلامية . مما جعلنا الآن فى وضع إن لم تتوحد الجهود لعلاجه وإصلاحه فإن المستقبل محفوف بأشر الأخطار واقساها .

هذا هو واقعنا الآن جيل جديد ضائع منقطع الصلة عن قيمه وثقافته ثم نقص مروع فى الكفاءات القادرة على التربية والتعليم ، ثم انعدام وسائل الاصلاح ونشر العلم . وطريق مسدود أمام التعليم الإسلامى والعربى .

ماذا نريد الآن :

بعد أن سردت حقيقة مانعانيه فاننا الآن وقد ولى الاستعمار وتغيرت الظروف وأخذت الأمور تميل مرة أخرى ناحية الاعتدال وتمهد الطريق لمواصلة المسيرة ووجودى الآن بينكم دليل على هذا التحول كما أن تشاد قد استقبلت فى هذا العام مبعوثا للأزهر وهيأت له ما هو جدير به من معاملة طيبة لائقة ومقام كريم . فإننا نتقدم اليكم نناشدكم ممتثلين هدى نبينا صلى الله عليه وسلم « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

نتقدم إليكم وإلى الأزهر الشريف والى العالم الإسلامى قاطبة أن يمد إلينا العون كى ننهض بالواجب ونتدارك الأمر قبل فوات الأوان .

ويمكننا أن نوجز ما نريده من الأزهر الشريف خاصة والعالم الإسلامى عامة فى مطلبين أساسيين .

الأول : إمدادنا بالزاد الثقافى الإسلامى الذى جاء ثمرة لحركة التجديد الاسلامية والذى يعرض الإسلام فى ثوب جديد يستطيع أن يجابه الأفكار الجديدة التى تأثر بها الجيل الجديد . ويزيل تلك الجفوة المتوهمة بين الدين والتطور والتناقض المفتعل بين الإسلام والعلم . حتى يستعيد شبابنا إيمانه ويقتنع بأن الإسلام قد حوى خيرى الدنيا والآخرة وإن تلك الفلسفات وإن تضمنت شيئا من الخير يشوبها الكثير من الشر .

الثانى : إمدادنا بالأساتذة القادرين على سد حاجتنا من العلماء يصححون للناس عقيدتهم ويعلمونهم دينهم وقرآنهم وحديث نبيهم ولغة دينهم .

كل ذلك فى إطار الاتفاقات الثقافية التى أبرمت بيننا وبين مصر وغيرها من الدول العربية الشقيقة .

وإننا نتطلع إلى اليوم الذى نرى فيه مركزا ثقافيا إسلاميا يقود حركة البعث الإسلامى فى تشاد ويصل ما انقطع بين هذه البلاد المسلمة وبين إخوانها فى الدين والعقيدة .

---

* تلخيص لبحث قدم لمؤتمر البحوث الاسلامية الذى انعقد فى القاهرة هذا العام .

هذا الدين

تبدأ حقيقته بمعرفة الله وتنتهي بالعبودية لله وبدونهما لا يتحقق الإسلام !!

د . محمد سعيد رمضان البوطى

المسلمون اليوم ، إذا عددتهم ، كثير . كلهم ينطق باسم الإسلام ، وكلهم بعلم علماً مما قد يتعلق به ، وما منهم إلا من يرتىء له الآراء ، ويتناول الكثير من جوانبه بالنظر والبحث .

ولكن شيئاً من ذلك كله لم يأت بحصيلة ، ولم يتقدم بهم إلى غاية ، ولم يرفعهم إلى اى شأو مما من شأن الإسلام أن يرفع إليه . حتى سرى من ذلك وسواس إلى ضعاف الإيمان ، وراحوا يتهامسون ، أو يتساءلون : أين هو وعد الله لعباده بالتوفيق والنصر ؟! .

فما هو السبب ؟ . .

مسلمون . . ولكن على طريقتهم الخاصة

السبب انهم أو اكثرهم يصرون على أن يفهموا الإسلام كما يحبون ، لا كما هو ثابت ، فى حقيقته وذاته . فهم يعجبون بالإسلام من حيث هو عنوان وشعار ، ويشعرون بفخر انتسابهم إليه وارتباطهم به . ولكنهم ما أن يواجهوا مضموناته واحكامه حتى يتبرموا بها أو بأكثرها ، وعندئذ يجهدون جهدهم أن يتهربوا من مسؤولياتهم واعبائها بما يصطنعونه من الحواجز الوهمية بينها وبين الإسلام وبما قد يخيلونه إلى الآخرين من أن الإسلام لا يستلزم شيئاً من ذلك كله .

إنهم يعجبون بشعارات الإسلام ويفخرون بانتسابهم إليه ، لما قد تختزنه هذه الشعارات فى باطنها من البطولات والأمجاد والمظاهر الحضارية التى اصطبغ بها اكثر أحقاب التاريخ الإسلامى .

ولكنهم يتبرمون بالكثير من قيوده وأحكامه ، لما قد تفوته عليهم هذه القيود من متعة الحضارة الحديثة ولذة السعى وراء كل طور جديد . فهم ، من اجل ذلك ، يشتهون أن يكون الإسلام كما يحبون : نسباً فخرياً يربطهم بأمجاد الماضى وسبيلا مفتوحة تيسر لهم اللحاق بمتعة الحاضر وأمانى المستقبل !..

قياس خاطىء

وهم إنما ينساقون إلى هذه الحالة بسبب قياسهم الإسلام على اىّ دين من الأديان الأخرى ، بل ربما على اى نظام من النظم السائدة !..

فهم ينظرون فيما حولهم ، فلا يجدون نظاماً من هذه النظم المختلفة التى تحكم العالم ، إلاّ وتطور بيد الحضارة الحديثة أيما تطور ، بل إنهم لا يجدون دينا من هذه الأديان الأخرى إلا وقد انساق بيد الرغائب والتطلعات الإنسانية ، إلى مداها الأخير .

وما هو الإسلام ؟.. إنْ هو — فى تصور اكثرهم — إلاّ مذهب من هذه المذاهب السائدة مهما اختلفت عن بعضها .. وإذا كانت الأديان والمذاهب والأنظمة المختلفة إنما تمتد آجالها وتطول أعمارها بمقدار خضوعها لسلطان التطور المدنى والحضارى ، وبمقدار سيرها فى ظل الرغائب والمصالح الإنسانية المتطورة ، فان على الاسلام ايضا ، إذا شاء ان يمتد فى أجله ، أن يخضع مثل هذا الخضوع وان يسير محتميا بنفس ذلك الظل .

فمن هنا يرفض من يرفض من المسلمين العود إلى هدى الإسلام فى اكثر أحكامه التشريعية ، ومن هنا يثور من يثور منهم على حجاب المرأة واحتشامها ، ومن هنا يصر من يصرّ منهم على أن يظل النظام الاقتصادى فى الإسلام خاضعا لقانون الفائدة الربوية ، ومن هنا يجادل من يجادل فيهم فى سبيل أن يصبغ كثيرا من الحقائق الاعتقادية فى الإسلام ، بالنظرة الأوربية الحديثة .

إنهم يريدون « الإسلام » ولا يبتغون عن هذا الاسم بديلا (١) . ولكنهم إنما يريدونه عنواناً تجارياً قديما طالما اكسب محلّه أرباحاً واستحوذ على ثقة الغادين والرائحين ، كى يرفعوه فوق مخازنهم الجديدة فينالوا به الثقة نفسها وتتحقق لهم الأرباح ذاتها . وهم ليسوا على استعداد لأن يدفعوا لقاء ذلك حتى « بدل الخلو » : القيمة الأدبية للعنوان !..

ويقول قائلهم : وهل شأن الناس مع المذاهب كلها إلا كذلك ..؟ يروج احدها لما لقى صاحبه من شهرة او لما امتاز به من مزايا جمعت حوله الناس ، فيدخل الناس فيه افواجا خاضعين ومنفذين .. ثم يتسللون إليه مبدلين او

مصلحين أو مطورين .. ويتعاقب التغيير والتطوير ، ويسير ذلك كله تحت اسم المذهب نفسه بدفع من بقايا ماله من قداسه فى القلوب وهيبة فى النفوس .

ولكن أفإن تم ذلك بالمذاهب التي مات أصحابها وخلت الدار من بعدهم لوراثها ، أفيكون دين الله كذلك ؟.. إنه لتصور خاطىء وخطير !..

ولكن أين هو مكان الخطأ فى هذا التصور ؟.. ومن أين يبدأ الطريق للتخلص منه ؟

ليس الإسلام مجموعة احكام فى كتاب

إن مكان الخطأ عند هؤلاء الناس ، أنهم إنما يستجلون هوية الإسلام فى النظر إلى مجموعة قيمه وأحكامه مفصولة عن كلا طرفى الأصل الذى الذى انبثقت منه والكائن الذى اتجهت إليه ! ..

إنهم يحاولون أن يفهموا الإسلام مجموعة مبادىء وأحكام فى كتاب !.. ولكن ما هو مصدر هذه المبادىء ومن هو الذى صاغها وأخرجها والزم الناس بها ، ثم من هو هذا الإنسان الذى أخرج هذا الدين من أجله ، وما هى علاقته الحقيقية بمالك هذا الدين والتنظيم ؟.. هذا ما لا يتعبون أنفسهم بأى تأمل صادق فيه . فلا هم يطيلون التأمل والفكر فى الرب العظيم الذى هو مصدر هذا الدين ، ولا هم يدققون النظر فى الذات الإنسانية التى جاء من أجلها هذا القانون كله !..

وأى قيمة لمجموعة من المبادىء التى تتعلق بالأخلاق والتشريع ، بعد أن تبتر من كلا هذين الطرفين الخطيرين ؟.. وأى ضمانة هذه التى ستحميها من التبديل والتغيير والاعتساف الكيفى فى يد الأهواء والشهوات المختلفة ؟.. بل اى فرق يبقى بينها وبين أي مجموعة أخرى من النظم والأحكام ؟..

لا إسلام بدون معرفة صحيحة لله وعبودية صادقة له

إن الإسلام حقيقة كاملة تبدأ بالمعرفة الصحيحة لله ، وتنتهى بالعبودية الصادقة لله ، وإنما تنهض بنيته التشريعية قوية باسقة ضمن هذين الطرفين ، فمن دونهما لا يمكن أن ينهض للإسلام أى نظام خلقى أو تشريعى .

وإذا عرف الإنسان ربّه معرفة تامة صحيحة ، عرف من وراء ذلك لا محالة نفسه ، واستجلى هويتها ، وإذا هو عبد ذليل مملوك لله !.. اى إن بين هذين الطرفين تلازماً بيناً فى السلب والإيجاب ، فهيهات أن يضلّ إنسانٌ عن هويته الحقيقية وعن معرفة أنه عبد ذليل مملوك لله ثم يكون صادقاً فى دعوى إيمانه بالله ومعرفته له .

ألم تر إلى موسى كيف نبّهه الله إلى عبوديته ، من حيث نبهه الى ذاته ووحدانيته وذلك عندما خاطبه قائلا :

(إننى أنا الله ، لا إله الا انا ، فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى) .

بل ، أولم تر كيف أمر الله تعالى عباده ، إن هم أرادوا الإسلام ، ان يسيروا إليه فى طريق العبودية التامة له واليقين الصادق بأنهم ليسوا أكثر من سلعة فى بضاعة الرحمن ، وذلك عندما قال :

(قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين) .

فقد جعل الإسلام نتيجة يقين الرجل بأنه عبد لله عزّ وجل وثمرة لوضع هذه العبودية موضع التنفيذ فى كل اعماله وتصرفاته .

ويخطىء من يظن بأن المسلمين إنما ينهض بهم الإسلام إلى الحياة الكريمة الفاضلة بسبب ما فى النظم والأحكام الإسلامية من ضمانات لمصالح الناس بقطع النظر عن اى سبب آخر . اجل ، يخطىء من يظن ذلك ، فإن الإسلام إنما يضمن تحقيق مصالح المسلمين بسبب ما قد يتصفون به من الدينونة لله تعالى والعبودية الصادقة له ، وليس للأحكام والنظم ذاتها اى مدخل إلى ذلك إذا فصلتها عن دافع الدينونة لحكم الله والخضوع لسلطانه . بل ليس ثمة اى ضمانة لمن يطبق الإسلام من حيث إنه نظام وقانون فقط ان يجنى من ورائه اى سعادة أو خير !.. فإن كلا من أسباب الخير والشر ليست أسبابا حتمية فى حقيقتها ، وإنما هى اسباب جعلية ثبتت لها هذه المزية بجعل الله تعالى وحكمه . والأحكام الشرعية بحد ذاتها اقل من ان تخلق للناس سعادة أو رشادا ، ولكنها ، وقد أمر الله بها ، اصبحت مقياسا لصدق العبودية لله والدينونة لحكمه ، وإنما يسعد الناس بانضوائهم فى دين الله والدخول طوعا تحت ذل العبودية لله ، والانسياق وراء مشاعر الرهبة من عقابه والرغبة فى ثوابه . ومن دون ذلك الانضواء وهذا الشعور لا تعتبر الشرائع الفرعية للإسلام إلا قيودا تنظيمية شأنها شأن غيرها من الضوابط والقيود .

وانظر .. كم تتجلى هذه الحقيقة بارزة وقاطعة فى القانون الإلهى الذى ختمت به الآية التالية من كلام الله عزّ وجل :

(وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) .

إن الخطاب الإلهى — كما ترى — يخبر عن كيفية انتصار الطائفة المؤمنة على خصومهم الذين طالما هددوهم بالطرد والإهلاك وساموهم أشد الوان العذاب ، وكيف ثبتت دعائم هذه الطائفة فى الأرض من حيث أهلك الآخرين ، ثم يلفت النظر إلى أنه قانون إلهى مستمر وليس حادثة جزئية عابرة ، ويعبر عن القانون بهذه الخاتمة : **ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد** !.. وتلك هى حقيقة الإسلام وجوهره إنه الخشية التى تأخذ بمجامع القلب نابعة من مصدرين اثنين : الخوف من عظمة الربوبية فى ذات الله تعالى وامتلاء المشاعر بصفاته عز وجل ، والخوف من وعيده الذى أبلغه أمم الأرض كلها عن طريق ما بث فيهم من الرسل والأنبياء ، وإنما تأتى النتائج الأخرى لاحقة بهذا الخوف ، منوطة بهذا التعظيم ، منساقة وراء هذا الشعور .

وأنى لشهوات الأرض كلها أن تقف عندئذ فى الطريق ، أو أن تتغلب على القلب الذى امتلكته مخافة الله ، فراح يفيض على المشاعر كلها صبغه العبوديه الكاملة الصادقه لقيوم السموات والارض . او ان تبقى فى النفس شيئا من آثار عصبية أو تبعية أو رابطة تقليد ، أو أن تحمل شيئا من نوازع الفكر والعقل على أن تستخف بالغائب المحجوب الذى اخبر الله عنه فى سبيل اقتناص الحاضر المرغوب الذى جعله الله فتنه وامتحانا .

وهذا ما يفقده المسلمون اليوم

تلك هى حقيقة الإسلام . وتالله إنها الحقيقة التى يفتقدها أكثر المسلمين اليوم .

يؤمنون بالله ، ولكنه إيمان محبوس فى سجن رهيب من رواسب الشهوات والاهواء والركون إلى زهرة هذه الارض !.. إيمان بهذا الشكل لا ريب أن مآله إلى الموت والاختناق ، إن لم يكن ذلك أثناء مرحلة من مراحل العمر فإنه كائن لا محالة عند الوقوع فى سباق الموت .

مسلمون لله ، ولكن على طريقتهم الخاصة ، إسلام لا يتجاوز الحلقوم ولا ينهض على أىّ ساق من استشعار معنى العبودية لله عز وجل !.. مسلمون ويجلسون مع الله على مائدة مستديرة يناقشون فى نظامه وأحكامه وحلاله وحرامه ! .. مسلمون ويقول قائلهم : إن كثيرا من أحكام الشريعة الإسلامية لم تعد صالحة للتطبيق ! .. مسلمون ولم تدع الدنيا التى التفت على أفئدتهم واستعمرت مشاعرهم اى مكان صالح فيها للخوف من مقام الله او الرهبة من وعيده ! .. مسلمون ولم تدخل افئدتهم فى محراب الخشوع لله يوما من الأيام ، ولا ذاقت أعينهم طعم الدموع من خشية الله امام تذكرة مذكر أو آية تهديد أو وعيد ! ..

إسلام بهذا الشكل لا ريب أنه لا يصدّ صاحبه عن أن يقيم من نفسه مقوما لشرع الله يفصل الصالح منه عن الفاسد ! .. ويميز الخبيث منه — بزعمه — عن الطيب !.. وإسلام بهذا الشكل لا يعدّ فى حكم الله إسلاما ، لأنه افتقد اهم حقائقه وأركانه ، وهو استشعار معنى العبودية لله . فهل رأيت إسلاما بغير استسلام ، وإيمانا بالله دون انصباغ بالعبودية له ؟!..

إن اى تبعية صادقة لأى مذهب من مذاهب الأرض اليوم ، يحمل فى طياته من الخضوع والاستسلام اضعاف ما يحمله إسلام هؤلاء المسلمين من مظهر التبعية له والانقياد لحكمه .

الإسلام لله ام التبعية للناس ؟

سألنى احد هؤلاء المسلمين ذات يوم ، (وقد كنت احدثه عن ضرورة صدق المسلمين مع انفسهم إن كانوا حقا مسلمين) : إفرض اننا طبقنا الإسلام منذ هذا اليوم فمتى يمكن أن نستعيد بناء على ذلك أرضنا السليبة ونبنى لأنفسنا حياة رخية تعتقنا من هذا التخلف وتلحقنا بالأمم الراقية فى الارض ؟ .

قلت له : إن أصغر إنسان يعتز بالتبعية الماركسية — مثلا — قد يلقى

الوانا من الضيم فى سبيل تبعيته ، ويرى مسافة البعد تزداد كل يوم بينه وبين أحلام الشيوعية المطلقة ، ومع ذلك فهو لا يسمح لفكره أن يعيش مع هـذا السؤال لحظة واحدة !.. وهو إنما يتبع إنسانا مثله يخطىء ويتعرض لأشكال من الجهالة والطيش والغرور !.. أفيكون مثل هذا الإنسان الصغير منطقياً مع نفسه ومع الآخرين تجاه هذه التبعية المستسلمة المؤمنة الراضية ، ثم لا يكون المسلم المتبع لمنهج السموات والأرض منطقيـا مع نفسه إن هو صدق مثل ذلك التصديق واستسلم مثل ذلك الاستسلام ؟!! ..

وقلت له : أفبينك وبين الله عقد على أن تنفذ له شرعه فيبادر إلى تنفيذ هواك ويسرع فى تحقيق رضاك ، فأنت تستوثق من موقفه معك ، حتى إذا لم تطمئن إليه أعرضت عنه قبل أن يعرض عنك !!..

إن كنت على يقين أن شأنك مع الله إنما هو شأن أصحاب المصـــــالح المتبادلة وأنك تملك من وجودك تجاهه ما يوقفك منه موقف الند للند : تعرض إذا شئت ، وتقبل إذا انشرحت ، وتقاضيه فى حقك اذا لم يكافيك ـــ فأرنى الثبات على موقفك هذا عندما تتضاءل ذاويا عند سياق الموت ، واشعرنى إذ ذاك بحريتك التى تملكها ، ودلنى على عالمك العظيم الذى ستنطلق إليه معرضاً عن الله الذى لم يحقق لك شرطك فلم توف له شرطه !!..

أما أنا فقد عشت إلى اليوم ، وأنا أقلب العين فى الدنيا التى من حولى ، بكل ما تموج به من الصور والأشكال والعلوم والأفكار ، فما أبصرت فى ذلك كله إلا شيئاً واحدا يظل ماثلا أمام عينى ، يلاحقنى بشكله الرهيب فى البكور والآصال والليل والنهار : غلا ثقيلا يطوقنى بآصار العبودية لله عز وجل ، لم يدع لى من سبيل إلى أى مفر أو ملاذ .. إن جحده لسانى لم ينج منه كيانى ، وإن تناسيته فى ذاتى ذكرنى به الملكوت الذى من حولى والمصير الذى يرقب دقائق أنفاسى !..



إدفن نفسك فى رمال الغرور ، أو العصبية ، أو النسيان ، أو التجاهل ما طاب لك الدفن ، فإنما أنت واقف على أرض العبودية لله ، لن تحيد عنها ولن تطير فوقها . « **إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عداً** » .

فأسلم وجهك لله ، واخضع القلب راضيا لسلطانه وحكمه ، وكن عبدا له بالسلوك والاختيار كما قد خلقك عبدا له بالقسر والاجبار . واقطع العمر سعياً وراء تثبيت حكمه فى الأرض فذلك هو حق الله عليك ما دمت سائراً فى رحلة هذه الحياة .

---

(١) نحن لا نضع فى حسابنا ، فى هذا المقام ، أولئك الذين طاب لهم أن يرتدوا عن الاسلام جملة ، وأن يجحدوا به اسما ومسمى ، اذ أن أمر هؤلاء لا يخضع فيما نحسب لأى لون من ألوان المعالجة الفكرية أو النقاش المنطقى .

متى يدرك المسلمون أنهم المسؤولون



الأستاذ محمد المجذوب

« بالامس اصدرت محكمتنا العلياقرارا يعتبر عملا غير دستورى كل تعليم دينى يقدم للاطفال فى مدارسنا .. وان مما يناقض روح الدستور الاميركى أن ندمج فى برامج التعليماية معرفة عن الله .. وانك لترى اليوم خمسة وثمانين مليون امريكى أى ٦٣ ٪ من السكان لا ينتمون لأية كنيسة ..

وبالامس كذلك اصدرت احدى الولايات قرارا حرمت به اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة ، وعلى اثر ذلك ، انعقدت المحكمة العليا بالولاية واصدرت حكمابعدم شرعية هذا الحكم ومخالفته لروح الدستور ..

هذه الفقرات ليست من بنات الخيال ، ولكنها جزء من خبر طويل اثبتته مجلة (دعوة الحق) المغربية فى نهاية صفحاتها التى تنشرها عادة تحت عنوان (من انباء العالم الاسلامى ..) وذلك فى عدد ربيع الآخر (١) من عام ١٣٩٢ هـ وقد نقلته بدورها من تقرير (نشرته احدى

المجلات المسيحية عن لسان طبيب أمريكي) وكان الاحوط أن تقصيه واشباهه عن ذلك الجانب الذى يتوقع القارىء أن يكون خاصا بالعالم الاسلامى — كعنوانه — إذ لولا ما ينطوى عليه من ذكر أمريكا والأمريكيين والدستور الأمريكى ، لكان من حقه أن يزلزل اعصاب القارىء المسلم ، خشية أن يكون بلد من وطنه العالمى قد سقط الى هذا المستوى الشيطانى .

واذا امعنا النظر فى محتوى هذه الفقرات الغريبة وجدنا خلاصتها كما يلى :

١ — أن الكيان القانونى لأرقى دول العالم المسيحى يقوم على نفى الروح الدينى عن نطاق التعليم ، وتجريد الفرد الاميركى من كل أثر للمعرفة عن الله ! .

٢ — أن أمريكا قد بدأت تقطف ثمرات هذا التدمير الروحى بما سجلته نسبة ضحاياه التى توشك أن تأتى على ثلثى المجتمع الامريكى ! .

٣ — أن حرية الفحشاء فى أوساط الجامعات وسائر الفتيات الامريكيات (حق مقدس) لا يجوز لسلطة أيا كانت أن تمسه أو تعترضه .. وأن على المجتمع الامريكى أن يتقبل بكل تقدير سيل اللقطاء دون أن يسأل عن مصدرهم ! .

ولو أن مفكرا مسلما قرأ هذا الخبر قبل مئة سنة لاكتفى بابداء عجبه ، مع الحمد لله على سلامة امته من ذلك الوباء . أما الآن ، وقد بات العالم أضيق مساحة من بلد كجدة ، لا تكاد فتنة تنجم فى زاوية منه حتى تتسرب فى اليوم نفسه الى سائر جوانبه .. كالحريق يشب فى بيت لعدوك المجاور فلا يسعك الا أن تتخوف امتداده الى حجرتك .. أما الآن وبازاء هذا التقلص ، الذى احدثه الناقل الفلكى (٢) وما وراءه من التلفاز والاذاعة والكتاب والجريدة فى كيان الانسانية ، فلن يجد هذا المفكر المسلم مسوغا للاطمئنان على نفسه ، فضلا عمن حوله من أهله ، عندما يقرأ النذر عن مثل هذه الاوبئة .. ومما يضاعف قلقه من زحفها ما يعلمه من تضعضع المعاقل الروحية فى انحاء الوطن الاسلامى ، بحيث أصبح مكشوفا لكل وافد من السموم الخانقة ، بعد أن القى بأزمته الى هؤلاء الموبوئين من الغرب والشرق ، يتتبع مسالكهم ، ويعتنق مناهجهم ، ويتخلى لهم عن بقية حصونه الواحد تلو الآخر .. حتى أن جيلا من المخدوعين بطرائق أولئك الموبوئين قد تكفل لهم بايصال سمومهم الى كل عضو من جسم هذه الامة ، فليس عليهم الا أن يأمروا فيطيع ، ويشيروا فينفذ ، ولو كلفته هذه التبعية بتر كل صلة له بماضيها وتراثها ومقوماتها ، التى بها ثبتت فى وجوه الاعاصير الى اليوم ..

اجل .. أن سقوط العالم المسيحى شرقيا أو غربيا ، لا مناص من أن يجر معه الى الهاوية سكان الكرة الارضية جميعها ،لأن هؤلاء قد ارتبطوا بعجلته المتدهورة راضين أو كارهين ،فالمصير واحد للجميع ، وان تأخر بعض عن بعض .. وقد كان ثمة بصيص من أمل فى بقية من رجال الدين فى الغرب ، أن يتداركوا الخطر بتنبيه مجتمعاتهم الى هول الكارثة التى هم فى الطريق اليها .. ولكن هذا البصيص قد انطفأ نهائيا منذ أن قضت اليد اليهودية على سلطان الكنيسة الروسية ، وباشرت التهديم فى أسس المسيحية الغربية ، حتى فى أوساط رجال الدين أنفسهم ! .

لقد انجرف قسس الغرب مع القطيع الضال ، فبدلا من التشمير لوقف الانهيار اسلموا انفسهم لما

يحسبونه تطورا لا مندوحة من قبوله، وهكذا بدأ العالم يرى قسسا هيبيين، وقسسا يدعون الى عبادة الشيطان والمسيح معا ، وآخرين ينادون باباحة اللواط ، وبأمر من كبارهم تنشأ مشارب الخمر ومحافل الرقص الى جانب الكنائس ، استهواء للشباب الذين ضاقوا بطقوس القداديس ..

وقد شاء الله أن ارافق ذات يوم قسيسا من هؤلاء نشأ في جو الحرية الامريكية ، فكان اغرب ما سمعته منه هو ايمانه المطلق بحق الانسان في تحقيق رغباته ، دون أن يخضعها لأى اعتبار اجتماعي ! ..

واذا كان في هذا كله من دلالة فعلى ان الحضارة الغربية قد انتهت الى الوضع الذى واجهه العالم قبيل مبعث خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم) الذى يصف ذلك الواقع الرهيب ابلغ وصف حين يقول : (ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا من أهل الكتاب (٣) وانما مقت الله عباده ايامئذ لانهم تخلوا نهائيا عن مقومات الخير ، حتى لم يبق فيهم من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ، سوى افراد من حملة العلم الربانى لا يكاد يستجيب لهم احد .. وهل نحن فى حاجة للتوكيد على دقة المطابقة بين اليوم والامس .. بين ذلك الانهيار الغربى ، الذى يزلزل الارض تحت اقدام البشرية !

لقد بدأت المؤشرات السليمة تسجل هذه الحقيقة ، حتى فى قلب المعترك الغربى ، فتنطلق بعض الألسنة بالتحذير من هول المصير، وقد كانت هذه الالسنة صريحة فى تحذيرها فلم تعمد الى الرمز والالغاز، بل كشفت للعالم معالم الكارثة بما سمته (سقوط الغرب) و (سقوط الحضارة) وما الى ذلك من مؤلفات كانت جديرة بايقاظ الوعى فى قلوب الشعوب ، لو ابقى لها الانسياق الضرير خلف الغرب قدرة على التفكير الصحيح ..

ولقد كان بين المفكرين بعض الخلاف حول الصلة بين ديمقراطية الغرب وشيوعية الشرق ، من حيث المصدر والاثر .. وكثيرون يحسنون الظن بأنظمة الغرب لما توفره من حرية التحرك للانسان الغربى ، على خلاف ما يعانيه انسان الشرق — الشيوعى — من ثقل الاغلال التى تسلبه كل حق الاحق الخضوع للطغمة الحاكمة .. وقد نسى هؤلاء وأولئك فى معترك خلافهم أن الشيوعية ليست إلا قمة الانهيار الذى يسوق إليه فساد التصور الدينى الذى يحجب الفطرة البشرية عن نور الله ، ويصرفها عن الطريق القويم الى سعادتها الحقة.. وقد أثبتت شواهد الحياة فى مختلف احقاب التاريخ ان هذا الانسان لا يعرف الحرية الصحيحة والاطمئنان النفسى الا بقيادة النبيين واتباعهم من المصلحين ، وأن كل زيغ عن طريقهم مهما يكن قليلا مؤد به الى أسوء العواقب ، فكيف به حين يعرض كليا عن دعوتهم ، ويلقى بنفسه فى احضان الشياطين ، وهو يحسب انه يحسن صنعا ! ..

يمكن للانسان ان يوغل فى مجاهل الكون حتى يستكشف كل مخبآته ، فيسخر الهواء ، ويمتطى الاثير ، ويقصر المسافات .. ويضخم شعوره بذاته حتى يمسى كالبالون البالغ حدود الانفجار .. ولكن انسان الآلة هذا لا يعرف السبيل الى مصلحته ، بل ان كل مجهوداته ستتجه به الى تدمير نفسه فى النهاية .. ولا غرابة ولا عجب لانه تمرد على السنن الكونية ، فأصبح وجوده كالقاطرة التى يقودها سكران .. وهذا ما صار اليه ذلك المخلوق الضائع فى صحراء الحضارة الغربية ، آمن بالمادة وكفر بخالقها ، فجنى بذلك على جنسه ، اذ فقد نعمة الاستقرار

والامل بما وراء المادة .. وما احسب عبارة أصدق تصويرا لهذا الضلال الشقى من قولة نيكسون — رئيس الولايات المتحدة — فى بعض احاديثه عن المجتمع الاميركى : (نحن أقوى دولة فى العالم ، ولكن فى اعماقنا مرضا خفيا يمزقنا من الداخل) وأى مرض افتك فى كيان مجتمع من هذا الذى يصوره ذلك الطبيب — الذى نقلنا بعض كلامه عن (دعوة الحق) حين يقول فى تقريره ذاك : (ان الممثل الهزلى يتقاضى مليون دولار فى العام ، على حين لا يزيد دخل الاستاذ فى مدرسة عالية عن الفى دولار . وبلغ عدد القتلى فى حرب فيتنام خلال تسع سنوات ثلاثة وأربعين الفا ، فى حين أن ضحايا السائق المخمور فى شوارع أمريكة بلغت اربعة وعشرين الفا فى غضون هذه المدة ، وقد كشفت الاحصاءات عن أن عشرين الفا يقتلون سنويا باطلاق الرصاص عليهم . . .)

على أن افجع المفارقات فى هذا المجتمع المريض هو انه كلما أوغل فى شقائه أسرف فى البعد عن اسباب شفائه ، حتى ليجعل تجهيل الاجيال الناشئة بربها ، واقصاءها عن معرفة خالقها عنصرا اساسيا فى دستوره ، يحميه القضاء ، وتحرسه الدولة !..

وطبيعى أن مرض الكفر والتجهيل ليس مقصورا على أمريكا والاقطار الشيوعية ، بل طابع الحضارة المادية فى سائر مصادرها الغربية .. وحسبنا أن نشير هنا الى تلك الظاهرة المذهلة التى تجلت فى بعض كبريات الصحف الفرنسية يوم زيارة بابا روما لفرنسه ، اذ كتبت بالخط الطويل العريض ، وفى صدر صفحاتها الاولى : (الفا سنة من عمر الكنيسة تكفى ..) وليس ذلك الا ترجمة لمشاعر ملايين المثقفين فى فرنسه وأوروبة تجاه المسيحية ، يعلنون بها أن المسيحية — لا الكثلكة فقط — قد استنفدت أغراضها ، فلم يعد للمجتمع بها من حاجة ! .

واخيرا .. هل يعنى ذلك أن الاضواء قد انطفأت كلها ، فلم يبق للبشرية من رجاء فى معرفة سبيلها الراشدة ! .. قد يكون الرد على هذا التساؤل ايجابيا لدى الكثرة من الناس ، لان اليأس من قدرة العقل البشرية على الوقوف بوجه القاطرة الهاوية قد بلغ ذروته فى نفوسهم .. ولكنه لن يكون كذلك عند اولى العلم من بقايا المؤمنين فى عالم الاسلام ، بل ان تزايد الظلمات فى حياة البشرية من شأنه أن يزيدهم ثقة بأن خلاصهم موقوف عليهم ، لانهم شهداء الله على خلقه ، وحملة مشاعله التى اعادت للارض نور ربها من قبل ، فكما انقذت سفينة الانسانية من الدمار فى فجرها المشرق ، فهدتها الى مسالك النجاة ، كذلك هى اليوم ، لا تزال مسئولة عن مهمة الانقاذ للقاطرة التى اصبحت على قاب قوسين من الكارثة ...

اجل .. ان أمراض المجتمعات المادية شرقية وغربية لا شفاء لها الا فى صيدلية الاسلام .. ولكن اين هم الاطباء الذين يحسنون اقناع المرضى بهذه الحقيقة ؟ ! .. ومتى يدرك المسلمون انهم المسؤولون عن مصير هذه الانسانية الضائعة أمام الله .. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ! ..

---

(١) رتبع الاخر وجمادى الاخرة ولا يقال فيهماالثانى ، لانهما لا ثالث لهمـا .

(٢) نريد به التل ستار

(٣) رواه مسلم من حديث طويل .

الاتجاه التاريخي الحديث

من الأوفق ـ قبل ان نوغل فى الاستطراد ـ أن نحدد ماذا نعنى بمصطلح ((الاتجاه التاريخى)) . فان هذا التحديد سيعين من غير شك على تكامل الفهم ، وعلى ربط هذه الدراسة بمفهوم علمى غير قابل لقضية التمييع !!

اعنى بالاتجاه التاريخي في كتابة التراجم الاسلامية ـ التزام الكاتب بنمط تاريخى استقصائى يبدأ من نقطة ميلاد البطل وينتهى الى وفاته .. متجاوزا ذلك ـ عبر كل الدراسة ـ الى التفرس الدارس فى ما وراء الظواهر الحياتية من بواعث ، وفى ما وراء الوقائع الوجودية من ملامح وسمات .. بشرط الا يتحيف هذا التجاوز حركة الحس التاريخى الاستقصائى ، لان ذلك وحده هو ما يجعل من هذا العمل التاريخى ترجمة فيما نعنى بكلمة الترجمة ... إن الكاتب إذا انصرف بالاستقصاء التاريخى عن استقراء الملامح والسمات وما وراء الظواهر من بواعث واشجان ، فقد كتب تاريخا ربما . أو سيرة يجوز . ولكنه يبقى فى النهاية امام مصطلح التراجم فى حاجة الى كثير هائل من المراجعات التى تتيح له بعدها أن يقف تحت مظلة مفهومها الذى نرجو أن نكون قد حددناه حين زعمنا انه معنى الرحلة فى الحياة ، وليس هو مجرد الرحلة فى الحياة !!

ولقد حمل العصر الحديث ـ منذ مطالع هذا القرن ـ نماذج من هذا الاتجاه فى كتابة التراجم الاسلامية ، ونرجو ان نكون مفهومين حين نقول ((الاتجاه التاريخى)) إننا لا نقصد بذلك على الاطلاق أن تكون هناك ترجمة تاريخية واخرى ادبية . فإن هذه المقولة مرفوضة بما هى ساقطة تحت سنابك التناقض الهائل . ان كل التراجم ترتكز فى حركة وجودها على العنصر التاريخى ، وتقسيمها العشوائى الى تاريخية وادبية بأن

في كتابة التراجم الإسلامية

للأستاذ
محمد أحمد العزب

الأدبية منهـا لا تحمل مـن عناصر التاريخ شيئا ، فى حين أن ذلك لو حدث يخرج على الفور هذا النمـط الأدبى غير المرتكز على أرضية تاريخية من مدى التراجم كلها ليستحيل الى قصة ، أو رواية ، أو غير ذلك مـن الأنماط !!

إذن .. فنحن نعنى « بالاتجـاه التاريخى » .. حركة الاستقصاء فى مقابل حركة الانتقاء ، بمعنى ان كاتبا كالـدكتور محمد حسين هيكل فـى « حياة محمد » يعتبر صاحب اتجاه تاريخى .. فى مقابل ان كاتبا كعباس محمود العقاد فى « عبقرية محمد » يعتبر صاحب اتجـاه تحليلى .. لأن الأول منهما ــ الدكتور هيكل ــ عنى باستقصاء حياة النبى صلى الله عليه وسلم . ميلادا .. وخطوبا .. ونهاية .. على نحو استغراقى .. فى حين ان الثانى منهما ــ العقاد ــ ركز على ابعاض صميمية من حياة النبى على نحو انتقائى ظاهر الوضوح ، واخذ يبنى عمله الفنى على ضوء من هـذا الانتقاء !!

ونرجو الا يفهم من هذا أن كاتبـا كالدكتور محمد حسين هيكـل فـى ارتضائه للمنهج التاريخى قد عـزل نفسه عن التأمل والغوص والتحليل وعرض كل مقدماته ونتائجه علـى العقل والعلم واحدث المنجزات .. فهو بالفعل قد قدم من هـذه الالوان فى تراجمه للنبى .. ولأبى بكر .. ولعمـر .. امثلـة بارزة .. إن الاستقصاء التاريخى لا يعـادى ما عداه ، أو هكذا نحن نقصد به فـى هذه الدراسة ان يكون !!

وحتى لا ندور فى الفراغ ــ كمـا يقولون ــ فسنبدا بتأمل الأساسيات الفكرية التى بنى عليها الدكتور هيكل إنجازاته الفكرية فى هذا المجال ، مع ملاحظـة ان الدكتور محمد حسين هيكل ــ يرحمه الله ــ يعد بحق رائد هذا الاتجاه التاريخى الحـديث فى كتابة التراجم الاسلامية بلا منـازع

على الاطلاق .. وإذا قلنا إن هـذا الكاتب يمثل عنصر الريادة لهذا الاتجاه التاريخى .. فيجب أن نردف علـى الفور : والعقلى والعلمى .. فقـد حرص الكاتب نفسه على تأكيد هـذه العقلانية وهذه العلمية فى كل خطوة من خطوات شرحه لمنهجه ، أو تقديمه له ، أو الحديث عنه فى كل معرض هنا أو هناك .

فى تقديمه لكتابه الرائـد « حياة محمد » ينعى على الشعوب الاسلامية – فى مراحل انحطاطها وتخلفها – انهـا اضافت الى حياة النبى « ما لا يصدقه العقل » (١) ... وأن رعيـلا رائعا من الشـباب المسلم قد اتهم بالإلحاد والكفر والزندقة .. وأن جيل الشباب المعاصر لهم شعر بأن الزندقة تقابل فى نظر جماعـة من علماء المسلمين الذين اتهموا هذا الرعيـل الرائع « حكم العقل والمنطق » (٢) .. وأن جيلا جديدا يدرس تراثـه الآن « على الطريقة العلمية الحديثة » (٣) .. وأنه حين اعتزم كتابة حياة محمد فقد فكر فى ذلـك « على الطريقـة العلمية الحديثة » (٤) .. وأنه التزم فى كتابته لحياة محمد حدود السيرة لا يتعداها « على الطريقة العلميـة الحديثـة » (٥) .. « فحياة محمد جديرة بأن ينقطع لبحثها على طريقـة علمية جامعة أكثر من أستاذ يتخصص فيها ويتوفر عليها » (٦) .

إن هذا الإلحاح على قيمة « العقل » و « العلم » .. وهذا التأكيد الضمنى لعقلية الابـداع وعلمية المنهج .. يقتضى بالضرورة أن يكون الاتجـاه التاريخى الحديث قابلا بطبيعته لمزيد من العطاء العقلى حتى يخرج عـن مجرد كونه سردا .. ولمزيد من العطاء العلمى حتى يخرج عن مجرد كونـه بوحا .. وهو بالفعل ما نراه ماثـلا فى « حياة محمـد » لهيكل ، هـذا العمل الابداعى العظيم الـذى قاد حركة التراجم الاسلامية فـى مسار آخر مختلف تماما عن المسارات التى كانت تتلكأ فيها فيمـا غبر !! وهـو بالفعل ما نراه ماثلا فى « الصديق أبو بكر » و « الفاروق عمر » على نحو منهجى قائم على حـركة العقل ومعطيات العلم بلا حـدود !

فما هى الأساسيات المنهجية التى اتكأ عليها الكاتب فـى رحلته مـع التراجم الاسلامية ؟

عن هذه الأساسيات المنهجية يمكن أن نلاحظ ما يلى :

١ – اتكاء المؤلف على القيمـة العقلية فى كل ما يتصدى له ..

نستبين ذلك واضحا فى كل ما كتب من التراجم الاسلاميـة ، وهو فى اتكائه الفاهم على القيمة العقلية إنما يرد للفكر العربى الاسلامى اعتباره وجلاله ، ويعطى إبداعه – فى الوقت نفسه – مذاقا إنسانيا عاما يخاطب العقل المعاصر بنفس الطريقة التى يتعامل بها هذا العقل المعاصر مـع الأشياء والأحياء .. وربما كانت ثقافة الدكتور هيكل وقراءاته المتعـددة فى الأدب الغربى هى التـى اقنعتـه بضرورة تجاوز المراحل الغيبية فـى التفكير ، وانتهـاج سلسلـة مـن التحديات العقلية فى مواجهة آلاف من التحديات التى يراد من ورائها هدم كل شىء على هذه الأرض ، أو على الأقل زرع الزراية بكل ما على هذه الأرض من مقدسات .. إن ملاحظة المنزع العقلى لا تخفى علـى قارىء لكتبه : « حياة محمد » و « الصديق أبو بكر » و « الفاروق عمر » .. ولكن هيكل فى « حياة محمد » بالذات قد جوبه بمشكلة معضلة : كيف يوفق بين النزعة العقلية الخالصة التـى تخضع كل شىء لمنطق العقل وقوانينه الصارمة ؟ وبين أشتات من الخوارق والمعجزات التى هى بطبيعتها تجاوز

لمنطق العقل ، وتخط لقوانينه الصارمة ؟

الحق أن الرجل كان موفقا الى مدى بعيد حين اختار لنفسه أن يتناول محمدا من المنحى الانسانى (٧) .. مؤكدا أن فذاذاته فى هذا الصدد ، وارتفاع قامته المديدة الى آفاق تنحسر دونها عيون أرتال من العباقرة والنابغين ، هو وحده الدليل الحاسم على نبوته من جهة .. وهو المدخل الطبيعي الى التسليم له بكل الخوارق والمعجزات من جهة أخرى ، بلا حاجة الى لدد .. أو فدامة جدل تافه مريض !! فاذا أضفنا الى ذلك أن محمدا نفسه (لم يلجأ فى إثبات رسالته الى ما لجأ اليه من سبقه من الخوارق) (٨) .. وأن محور دعوته كان العقل بالدرجة الاولى ، فقد يثبت لنا بعد ذلك أن الكاتب هنا موفق الى مدى بعيد فى اتكائه الفاهم على القيمة العقلية فى كل ما يتصدى له .

٢ ــ اعتماد المنهج العلمى فى تركيب المقدمات والنتائج ، وفى حرية القبول والرفض ، وفى النظر الى القضايا عارية من القداسات فى مراحل البحث الأولية .

وقد لا نبحث طويلا عن هذه الملامح المنهجية فى كل ما كتب الدكتور هيكل من التراجم الاسلامية ، فهو لا يفتأ فى كل مرحلة من مراحل إبداعه يذكر بهذه الحقيقة التى يعتنقها ، ويؤمن بها ، ويدافع عنها ، ويدعو اليها .. ليس ذلك فحسب .. وإنما هو يطبق مقولاتها الصارمة فى كل مايكتب ، فهو معنى دائما بشىء (من تقليب الروايات ، وموازنتها ، واقتناص الحقيقة من خلالها) (٩) .. وهو حين يشرع فى كتابة « حياة محمد » إنما يفعل ذلك (على الطريقة العلمية الحديثة) (١٠) .. وهو يقف أمام كل القضايا الكبرى التى يمكن أن تثار فى أى من تراجمه الاسلامية ليس موقف المصدق مسبقا ، أو المكذب مسبقا .. وإنما موقف البادىء (بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية ، فإذا وصلت الى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمى تسرب الخطأ الى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هى أسمى ما وصلت اليه الانسانية فى سبيل تحرير الفكر ، وها هى ذى مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته) (١١) .

٣ ــ دراسة الوسط الطبيعى .. والوسط الاجتماعى .. والوسط النفسى .. والوسط الفكرى .. والوسط الذاتى .. لبطله الذى يترجم له .

وهو يعنى بالوسط الطبيعى : الموقع الجغرافى ، وطبيعة الاجواء السائدة ، ونوعية المناط الذى ولد ويقيم فيه ..

وهو يعنى بالوسط الاجتماعى ما يميز سكان المناطق التى يقيم فى ربوعها البطل ، من ملامح صميمية تبدو فى انظمتهم الجسمية ، والاخلاقية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاصلاحية .

وهو يعنى بالوسط النفسى مدى استجابات هذا البطل لما يمور حوله وداخله من قضايا وظواهر ومتغيرات ، ومعرفة العلاقة بين الفرد وضميره ، وبين الفرد ونفسه ، وبين الفرد والفرد .

وهو يعنى بالوسط الفكرى ما تقع عليه عينا بطله من جمال وقبح ، وتحرر وانغلاق ، والنظر فى مقولات البطل من حيث هى أثر دال على نوعية ما يتحرك داخل الوجدان البشرى من ذبذبات .

وهو يعنى بالوسط الذاتى ما يكون

عليه ((الانسان)) فى ((البطل)) .. من الجانب المادى ، والجانب الفكرى .. الجانب المادى من حيث هو مناط التوتر أو الهدوء .. والجانب الفكرى من حيث هو مناط التحرر أو الجمود . (١٢) .

٤ ـ رفض المنهج التاريخى القديم، القائم على مجرد الحشد والسرد وتكديس آلاف من المرويات .

والدكتور هيكل فى هذا الصدد معاصر ، يجمع .. ويحقق .. وينقد .. ويرتب .. ويفسر .. فالمراجع العربية القديمة التى تتحدث عن ابى بكر مثلا .. (يشوبها اضطراب يجعل تتبع الحوادث المروية فيها عسيرا فى بعض الأحيان كل العسر ، ثم إنها كثيرا ما تثبت روايات هى الى الخرافة ادنى منها الى التاريخ ، وقد يجد الانسان فى موازنة بعض هذه المراجع ببعض ما يعينه على تمحيص الحوادث ، لكنها تتواتر رواياتها احيانا لحوادث يقف الانسان منها موقف الحيرة ، فلا يسعه إلا أن يثبتها مع الاشارة الى ما يخالجه من الريبة فيها) (١٣) .

ليس الاضطراب والخرافة هما كل شىء فى هذه المراجع .. فبعضها .. (لا يتعرض إلا لماما لأمور جليلة الخطر ترويها المراجع الأخرى مفصلة ادق التفصيل ، فالطبرى ، وابن الأثير ، والبلاذرى ، لا يكادون يتعرضون لجمع القرآن ، وجمع القرآن من جلائل الأعمال التى ازدان بها عهد الصديق إن لم يكن أجلها) (١٤) .

ليس ذلك فحسب .. وإنما يلوح الاضطراب فى الحديث عن حروب كحروب الردة ، وعن فتح كفتح العراق ، ثم عن فتح كفتح الشام يقع عليه الخلاف بينهم .. (بل ترد الروايات المختلفة فى أمره فى الكتاب الواحد من كتبهم ، حتى ليحار الانسان اى الروايات يأخذ وأيها يدع) (١٥) .

(.. والخلاف على الزمن الذى حدثت فيه الوقائع لا يقل عن الخلاف فى تصوير الوقائع جسامة ، وكثيرا ما يكون تحديد التاريخ لبعض هذه الوقائع مغامرة لا تستند الى اساس يمكن الاعتماد عليه فى شىء من الدقة) (١٦) .

إن هذه الخرافية .. وهذا الاضطراب .. وهذا الاختلاف على الشىء الواحد ... هو ما عزز رفض الدكتور هيكل للمنهج التاريخى القديم، ودفعه الى اعتناق منهج تاريخى حديث قاعدتاه : ((العقل .. والعلم)) .. فابدع من خلاله تراجمه الاسلامية .

ويمكن أن نلمح ببساطة التزام الكاتب نوعية من المنهج التاريخى تلائم بشكل واضح طبيعة التراجم الغيرية ، تلك هى التزامه الواعى ((بتنامى الترجمة)) .. اى البدء من نقطة الميلاد والانتهاء الى لحظة الموت ، عبورا بكل ما عجت به حياة ابطاله من وقائع وهزائم وانتصارات ... إن هذا الترتيب التعاقبى مما يحرص عليه الدكتور هيكل ، ويضعه امام عينيه فى كل تراجمه ، وهذه السمة تكاد تكون أبرز سمات تقنية هذا الكاتب فيما يبدع فى هذا المجال من كتابات .

٥ ـ دراسة العصر .. والحضارة .. والدولة .. من خلال تراجمه لبعض من أبطاله الذين كان لهم دور فى توجيه الدولة والحضارة والعصر .

وقد يبدو ذلك واضحا كل الوضوح فى كتبه : ((حياة محمد)) و ((الصديق أبو بكر)) و ((الفاروق عمر)) .. فهو فى حياة محمد قد جلى موقف الامبراطورية الاسلامية الأولى من كل الاتجاهات ، واقام علاقات هذه الامبراطورية مع كل القوى المعاصرة لها على مستويين : عقائدى .. وسياسى . على المستوى العقائدى فى اشتباكها مع المسيحية واليهودية

فى حوار هائل ومنتصر .. وعلى المستوى السياسى فى اشتباكها مع الروم والفرس والعرب المناوئين فى معارك هائلة ومنتصرة كذلك !! وهو فى « الصديق أبو بكر » قد درس موقف هذه الامبراطورية الاسلامية من المرتدين ، ومن مانعى الزكاة ، ومن فتوحات الشام والعراق .. وهو فى « الفاروق عمر » قد تأمل صراع هذه الامبراطورية الاسلامية كذلك مع الفرس والروم تهييئا لعبورها المنتصر بعد الى مصر .. وافريقيا .. والمغرب .. والى حدود الصين !!

هذه — على نحو مقارب — هى الأساسيات المنهجية التى اتكأ عليها الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابته للتراجم الاسلامية ، وهى أساسيات تضع الرجل على مستوى طليعى من أولئك الذين أصلوا بفكر فاهم وبفن حقيقى معا لهذا اللون الرائع من ألوان الخلق الأدبى المعاصر بلا جدال !!

ويمكن — تعميقا للدراسة — أن نستطرد فنركز على أهم الظواهر البارزة التى ركز عليها الدكتور هيكل فى تراجمه ، وأن نركز كذلك على نوعية مواجهته الفكرية لهذه الظواهر بمنطق المنهج التاريخى الذى قاعدتاه : العقل والعلم .. والذى ارتضى هو أن يكون — على كل المستويات — أساس حركته الراشدة فى هذا المجال ... ولكن المدى بنا يتسع ، إذا نحن حاولنا أن نفعل من ذلك كله شيئا .. فليكن الايماء هنا أجدى من الاستطراد .. وربما أتيح لنا مع الزمن أن نعود !!

● ● ●

بعد ذلك .. نستطيع أن نضع أعمال الدكتور طه حسين التاريخية : « عثمان » و « على وبنوه » و « الشيخان » و « مرآة الاسلام » .. داخل هذا الاطار .. إن الاتجاه التاريخى الحديث الذى قاعدتاه : العقل والعلم .. هو الذى يسيطر على حركة الخلق من هذه الأعمال ، وإذا كان هيكل يمضى بالمنهج التاريخى فى إطاره الموضوعى لا يتعداه . فإن طه حسين يمضى بنفس هذا المنهج خطوة الى الأمام ، حيث يشتبك به على الفور مع كل تيارات العصر السياسية والاجتماعية والفكرية .. فهو حين يتحدث — مثلا — عن طبيعة الحكومة التى حكمت المسلمين منذ أسست الدولة حين هاجر النبى وأصحابه الى المدينة الى أن قتل عمر واستخلف عثمان .. يتساءل : هل كان هذا النظام « تيوقراطيا » ؟ هل كان « ديمقراطيا » ؟ هل كان « حكما فرديا » ؟ الى آخر هذه التساؤلات التى تخلق لدى المتلقى احساسا حقيقيا بأن هذا العمل الفكرى يتحرك منذ البدء فى إطار معاصر تماما يشتبك مع كل تيارات العصر السياسية والاجتماعية والفكرية .. إن طه حسين لا يخضع منهجه لغير العقل .. والعقل المستوعب المتأمل الدارس الذى يتحرك بالفرد — موضوع الدراسة — من خلال مجتمعه ، وبالمجتمع كذلك على ضوء من الفعل التاريخى لأفراده الموهوبين، إن المحصلة النهائية — فيما يرى — ينبغى أن تكون حاصل جمع : « الفرد .. والمجتمع .. والأحداث » وربما كان اهتمامه الأكثر صميمية ليس على حيوات الأفراد بما هى « حياة وموت » .. وإنما على هذه الحيوات بما هى « فعل وفكر » ...

إن « الفتنة الكبرى » — وهى هذا العمل الجليل بحق — لا تبدو ترجمة ساذجة لأحداث الحياة اليومية التافهة ، بقدر ما تبدو ترجمة لأحداث الفكر والسياسة والاجتماع .. وهذه الظاهرات الصميمية التى تجعل من الحياة اليومية بحق حياة !!

وإذا كان الفنان فى طه حسين ابرز من المؤرخ فيه ، فإن عمله التاريخى يبدو دائما كانما هو خلق جديد ، لأن فكرة الكاتب وليس فكرة الحدث هى التى تتراءى لنا .. وإن كان هـذا الظاهر مخاتلا بلا حدود .. فالدكتور طه حسين يعالج الوقائع والأحداث بمنطقها هى لا بمنطقه هو ، ولكن الشكل الفنى فى إبداعه هو الـذى يخدعنا عن هذه الظاهرة ويخيل إلينا أن منطق الكاتب وليس منطق الحدث هو الذى يحتل مساحة الحلول فـى عمله الكبير ...

وقرب الفراغ من هذه الرحلـة ، لا بد من تاكيد قضية الخلف بين رؤية كل من الكاتبين : هيكل وطه حسين .. لنفس المنهج التاريخى الحـديث الذى قاعدتاه العقل والعلم .. إن هذا المنهج ــ تطبيقيا ــ ليس متماثـلا عندهما تمام التماثل ، لأن معنى ذلك لو حدث اننا نلغى تكوينات كل مـن الرجلين عـلى المستوى الحياتى والفكرى جميعا .. إن لكل كاتب منهما رؤيته الخاصة فى تطبيق منهجه ، وهذا لا يطعن فى صميم القضية على نحو من الأنحاء ..

إن حس الاستقصـاء الحياتى للمترجم له يبدو فى تراجم هيكل اكثر وضوحا منه فى تراجم طه حسين .. وكذلك فإن الترتيب التعاقبى لوقائع الحياة وأحداثها المتشاجنة يبدو فى تراجم هيكل اكثر التزاما منه فى تراجم طه حسين .. ولكننا نلاحظ كذلك أن « الاسقاط » الفكرى والثقافى فـى تراجم طه حسين اخصب منه فـى تراجم هيكل .. كما نلاحظ أن المعطى الفكرى فى تراجم طه حسين اغزر منه فى تراجم هيكل .. إننا مـع تراجم هيكل فى عالم من المقولات المدافـع عنها بعقل العصر ومنهجه العلمى .. ولكننا مع تراجم طه حسين فى قلب العصر كله بعقلـه وأدبـه وفنـه وسياسته واجتماعه ومذاهبه وتياراته ... وليس فى هـذا الرأى تغليبا لجانب على جانب ــ كما قد يظن ــ لأن الدكتور طه حسين يتحرك فـى تراجمه من خلال قناعاته النهائيـة بمذاهب عامة فى الفكر والفن والأدب والسياسة والاجتماع .. بينما يتحرك الدكتور محمد حسين هيكل ــ كالعقاد فى ذلك ــ من خلال قناعات جازمة بابعاض من هذه المذاهب العامـة ، ورفض لأبعاض اخرى من هـذه المذاهب العامة ربما لا تتواءم طبيعيا مع طموحه الفكـرى ، او اقتناعـه العقائدى !!

ونستطيع بعد ذلك ايضا ان نضع اعمال « احمد أمين » من مثل « زعماء الاصلاح » فى هذا الاطار ، عـلى تفاوت مسلم بين طبيعـة الرؤية ، وطبيعة العرض ، وطبيعة التكوين .. وان نرصد اهم ملامح اتجاهه الفكرى والتقنى .. ولكن المدى سيمتد .. وستتراحب الآفاق .. فليكـن الآن وداع ... ولنخبىء مواعيدنا فى امل اللقاء !!!

---

(١) حياة محمد ــ طبعة أولى ــ ص : ١٤ .
(٢) المرجع ص : ١٥ .
(٣) المرجع ص : ١٩ .
(٤) المرجع ص ٢١ .
(٥) المرجع ص ٢٢ .
(٦) المرجع ص ٢٢ .
(٧) أنظر : محمد وهؤلاء ــ لأحمد عبد المعطى حجازى .
(٨) حياة محمد ــ ص : ٧٣ .
(٩) الصديق أبو بكر ــ ص : ٢٤ .
(١٠) أنظر مقدمة « حياة محمد » .
(١١) حياة محمد ــ ص : ١١٢ و ١١٣ .
(١٢) أنظر ص : ١٥٣ وص : ٩٦ من كتابه « فى أوقات الفراغ » .
(١٣) الصديق أبو بكر ــ ص : ٢٣ .
(١٤) المرجع ــ ص : ٢٤ .
(١٥) المرجع ــ ص : ٢٤ .
(١٦) المرجع ــ ص : ٢٤ .

ملاحظات في الحضارة المقارنة

د. عماد الدين خليل

ان سؤالا ملحا يفرض نفسه فرضا فى مجال الحديث عن (الحضارة) وعوامل تدهورها وسقوطها ، ذلك هو أن المبادىء الوضعية العلمانية ، بشتى أصنافها ، استطاعت أن تنشىء حضارات مزدهرة مطبوعة بطابعها ، تماما كما استطاع الاسلام أن ينشىء حضارته ذات الطابع الخاص .. وأن تلك العلمانيات تمكنت من بعث (الحافز) على الانجاز الحضارى فى نفوس أبنائها ، تماما كما بعث الاسلام هذا الحافز على الخلق والابتكار والانجاز فى نفوس أتباعه .. ثم — وهذا هو الأهم — أن كل تلك الحضارات علمانية واسلامية تعرضت لذات المصير المحتوم الذى يسوق الدول والحضارات الى نهاياتها « وتلك الأيام نداولها بين الناس » فما هى الفروق الجوهرية — اذن — بين تلك الحضارات ، كحركات تنبثق عن مبادىء لم تتوغل الى البعد الثالث للانسان والعالم ، وبين حضارة تنبثق عن عقيدة تعرف

كيف تحيط علما بذلك البعد الثالث ؟

صحيح أن الاسلام يشبه كل المبادىء الوضعية فى عملية خلق الحافز والدافع لأن يعبر عن كل طاقاته وينفذها فى عالم الواقع ، الا ان ميزة الاسلام انه يسعى الى ان تتم عملية التعبير هذه بأكبر قدر من الأمانة والمسؤولية والاخلاص وحيوية الضمير ، استنادا الى عاملى (التقوى) و (الاحسان) اللذين يقفان كحارسين ودافعين — فى الوقت نفسه — الى الأداء الامين المخلص المسؤول .. واذا كانت المبادىء الوضعية تبعث هذا الحافز الحضارى عن طريق وضع أهداف دنيوية فردية أو جماعية ، قومية أو عالمية ، تعود بالخير والانتاج على الفرد والجماعة والأمة فى نهاية المطاف ، فان الاسلام بدوره يثير هذا الحافز بوضع أهداف ذات طابع جزائى ، فردى وجماعى ايضا « النصر الذى يقود الى الاستعلاء العادل فى الارض ، أو الشهادة التى تقود الى الجنة .. وبين النصر والشهادة لا يغبن الانسان المسلم مثقال ذرة من عمل ينجزه مستهدفا من ورائه تطوير الحياة واغناء الحضارة بما يعزز مكانة الاسلام فى الارض » .. وواقعية الاسلام تتبدى فى تقريره أهمية الهدف الجزائى ، المادى والمعنوى على السواء ، فى اثارة الحوافز للانتاج الحضارى بتقوى عميقة واحسان طموح ، اى بأكبر قدر من الرقابة الذاتية والاتقان فى الاداء ..

ان الاهداف فى المبادىء الوضعية تقتصر على النطاق النفعى العملى المنغلق على الانسان الفرد ، أو الطبقة الحاكمة ، أو الحزب المتنفذ ، أو القومية ، أو الأمة .. الى آخره .. أما فى الاسلام فان الاهداف تتجاوز نطاق النفعية المباشرة والعملية الملموسة ، وتكسر جدران العزلة الأنانية المنغلقة على القبيلة أو الفئة الحاكمة ، أو الجماعة الدينية ، أو الأمة ، منفتحة على الانسان فى العالم كله ، أنى كان ، والى اية فئة أو جماعة أو دين أو أمة كان انتماؤه ..

فاذا ما تجاوزنا الفروق الجوهرية بين الاهداف التى تضعها الحضارات العلمانية لتحريك الانسان ، وتلك التى يضعها الاسلام ، لوجدنا أنفسنا أمام (فرق) أو (ميزة) أخرى اكثر تأثيرا وعمقا ، تلك هى « كيفية التعامل مع المنجزات الحضارية » ؟

هل تستطيع المبادىء العلمانية ان تحدث وئاما بين الانجاز الحضارى وبين الانسان .. ؟ هل تستطيع ان تكيف هذه المنجزات من أجل تغطية عادلة وصحيحة لحاجات الانسان فردا وجماعة .. ؟ هل يتم (التعامل) وفق أهداف اكبر من النفعية والاثرة « الفردية أو الطبقية أو الحزبية ، أو المذهبية ، أو القومية » .. ؟ هل يحقق هذا (التعامل) سيرا الى الامام صوب تعزيز مسؤول لخلافة الانسان فى الأرض ، ولمكانته كسيد للعالمين .. ؟ هل ينتج عن هذا (التعامل) المزيد من الضمانات التى تكفل للحضارة رقيا وتطورا وعدم إرتداد الى الوراء ، وتوازنا فى المعطيات : المادية والروحية ، العقلية والعاطفية ، الطبيعية والغيبية ، الحسية والخيالية .. الى آخره ؟ والتزاما فى (شكل) المعطيات وفى (مضمونها) بما ينسجم مع مهمة الانسان فى الارض .. ؟

ان الحضارة الاسلامية ترد علينا بالايجاب على كل هذه الاسئلة التى

يمكن أن تطرح فى هذا المجال ، وغيرها كثير .. أما الحضارات العلمانية فان واقعها التاريخى يشهد بوضوح جازم كيف أنها نكلت عن كل هذه المتطلبات وكيف أنها انحرفت بمسؤولياتها الصعبة عن الجادة المستقيمة .. وها هى الحضارة المعاصرة التى نعيشها جميعا تقدم من الأدلة ما فيه الكفاية ..

ان الحضارة الاسلامية قدمت للعالم — على سبيل المثال — رياضيين كالخوارزمى والبيرونى .. وغيرهما، والحضارة الغربية قدمت للعالم بدورها رياضيين كبار كنيوتن وريمان وآينشتاين وغيرهم ، لكن معطيات الأولين وضعتها حضارتنا فى خدمة (الانسان) ، أما معطيات الآخرين فقد وجهت صوب صنع وانجاز أدوات لقتل الانسان ..

هذا الى أن حياة (العلماء) الشخصية ليست سواء هنا وهناك .. ففى الحضارات العلمانية يعانى المفكر ، والمثقف بصفة عامة ، الكثير من التمزق والتشتت وعدم التوحد الذاتى والانسجام مع الخارج : جماعة وأمة وعالما ، ولا يجد التوازن الفعال بين قدراته العقلية الفذة وخوائه الروحى المجدب .. أما فى الحضارة الاسلامية فان حياة العلماء الشخصية كانت تتميز بالتوازن والتوحد والانسجام .. ولهذه التجربة الذاتية (الخاصة) أثرها الكبير الحاسم على طبيعة المنجزات الحضارية نوعا وكمّاً ، ولا يبدو هذا الأثر الا على مدى الزمن الطويل ..

وميزات كثيرة أخرى تميز الحضارة الاسلامية عن سائر الحضارات .. ان « التجربة الاسلامية السياسية » أقل التجارب تعرضها لحالات الغش والمروق والخيانة ، تلك التى تمثل انحرافات خطيرة عن سير المبدأ أو العقيدة صانعة الحضارة .. فلو قمنا بدراسة (احصائية) لحالات (الازدواج) بين النظرية والتطبيق ، أو بين الفكر والتنفيذ ، والقول والعمل ، بين المبادىء فى أطرها المكتوبة وبين الشخوص التى تتجسد فى حركتها وسلوكها هذه المبادىء ، لرأينا تجربتنا تقدم أقل الحالات الازدواجية عددا .. بينما نجد فى تجارب وضعية ازدواجا خطيرا بين الفكرة والتنفيذ ..

ان تضاؤل الحالات الازدواجية فى التجربة الاسلامية ينبثق ولا شك عن مقدار الحيوية والرقابة الدائمة التى يولدها الايمان فى ضمير الانسان ، ومدى المسؤولية التى يحملها الاسلام عنق الانسان دون اكراه أو قسر أو ارغام .. وما (التقوى) و (الاحسان) — كما رأينا — الا وصول الى المرحلة التى يحس فيها الانسان المسلم انه يعطى كل جزئية فى حياته لله ، وعلى عين الله التى لا تنام لحظة .. وهذا الوازع الضميرى ، وهذا الشعور بالمسؤولية له تأثيره الكبير على العطاء الحضارى كمّاً ونوعا ، وعلى طبيعة التعامل مع هذا العطاء .

هذا فضلا عن أن التجارب المبدأية (الايدولوجية) أو السياسية التى تتعرض لازدواجيات وخيانات أقل ، يطول عمرها الزمنى أكثر ، وبالتالى يتاح لها أن تقدم انجازات حضارية أعمق واشمل وأكثر تماسكا واستمرارا وتعبيرا عن روح الجماعة وأهدافها .. أما التجارب التى تمارس فيها الخيانات على نطاق واسع فانها سرعان ما تحدث تمزقا وتفتتا فى المجالين الجماعى والفردى،

الامر الذي يؤدي الى الاسراع بسقوط التجربة : دولة وحضارة وانسانا . ذلك أن الخيانة ستولد فى مجال الجماعة حركات مضادة تسعى لسحق القائمين على التجربة ، وقد يؤدى الامر الى انهاك قوى الطرفين فى مجال العنف السياسي والعسكرى فلا تقوم للأمة قائمة بعد ذلك . وأما على النطاق الفردى فان تكرر الخيانات سيحيط الضمير بطبقة من التراب واللامسؤولية ، وسيقلص بالتالى (كمية) المنجزات الحضارية ويؤثر على (نوعيتها) مما يؤدى بدوره الى انهاك القوى التى تستند عليها التجربة ، الامر الذى يعجل بتدهورها وسقوطها ..

نجيء بعد ذلك الى ميزة اخرى اكثر أهمية .. فى التجارب الوضعية يسقط الانسان نفسه ، هذا الكائن المتفرد ، والفعال ، بمجرد سقوط دولته وحضارته ، وتكون النكسة بالتالى أعمق واشد خطرا .. أما فى الاسلام فجائز أن تسقط الدولة أو الحضارة ولكن الانسان المسلم والمجتمع المسلم يستمران على المقاومة والتماسك أطول فترة ممكنة، بسبب توفر الحوافز الذاتية والقيم الخلقية التى يولدها الدين والضمير الدينى ، مما لا نجده فى التجارب العلمانية ، فها هنا تكاد تكون القضية طردية : كلما إزدادت الحضارة والدولة تدهورا وانهيارا ، كلما ازداد الانسان (المواطن) تفسخا وتحللا وغيابا .. أما فى الاسلام فان الانسان والمجتمع يظلان يحتفظان بنوع من التماسك الداخلى، وربما ازداد هذا التماسك قوة ومقدرة على البقاء ، كرد فعل ايجابى لغياب الدولة والحضارة ، وان كان ذلك لا يستمر الى النهاية بحكم تكوين الاسلام نفسه حيث ترتبط وتتداخل دوائر الانسان والدولة والحضارة .. ان ما ذكرناه قبل قليل عبر عن نفسه ، فى العصور الاسلامية التالية ، بظهور عدد من الحركات الاسلامية ، صوفية وسياسية ، سعت الى تعزيز التماسك الفردى والجماعى بوجه التشتت السياسى والحضارى ، وهو أمر لا نجد له مثيلا فى التجارب الوضعية ، فيما حققه من نتائج ..

ان الدول والحضارات الوضعية كثيرا ما تعانى السقوط من الداخل ، فى أعقاب تدهور يصيب الانسان فى ذاته ، والمجتمع فى علاقاته « يمكن الرجوع فى هذا المجال الى كتاب (اللامنتمى) لكولن ولسون ، لدراسة هذه الظاهرة » . وهذا التدهور كثيرا ما يقود الاغلبيات الساحقة الى السلبية والدمار ، ويقود القلة الفذة إلى الانشقاق والتمرد .. والظاهرتان معا تهددان بالسقوط السياسى والحضارى .. أما فى الاسلام ، فصحيح أن الانسان — كما يؤكد الاسلام نفسه — هو محور قيام الدول والحضارات ، أو تدهورها وسقوطها .. الا أن تاريخنا يعلمنا حقيقة أخرى وهى أن الكثير من تجاربنا التاريخية سقطت فى أعقاب ضربة خارجية ، بدوية خشنة ، أو بربرية قاسية .. وهذه الضربات كثيرا ما كانت تؤدى الى مزيد من التماسك الفردى والجماعى « كما حدث للمجتمع الاسلامى فى عصر الغزو الصليبى » الا أن ضربات كهذه كانت تعمل افسادا وتدميرا على نطاق الدولة والحضارة ، سيما فى تلك الفترات التى لم تتكافأ فيها القوى العسكرية وقدرات التسليح .. وهكذا كانت الغزوات الخارجية تخلف وراءها دولا منهارة وحضارات تلفظ أنفاسها .. الا انها لم تخلف

الا فى القليل انسانا مسلما ممزقا ، ولا مجتمعا اسلاميا متدهورا .. على العكس كانت تخلق (المجاهد) وجماعات (الفتوة) ذات الطابع الانسانى ، والسلوك الاجتماعى العالى المستمد من قيم الاسلام وأخلاقياته .

ولكن هل أن بقاء الانسان المسلم والمجتمع المسلم بدون دولة أو حضارة ، يمكن أن يظل طويلا .. ؟ أبدا .. فهما سرعان ما يتعرضان لعوامل التحلل التى سميت الاجواء (الخارجية) ، ورغم طول فترة مقاومتهما الا أن الجراثيم لا بد وأن تنقل العدوى اليهما ، فيتجهان صوب التحلل والدمار . ولذا كان هناك ارتباط متين — فى الاسلام — بين الدولة والحضارة من جهة ، وبين الانسان والمجتمع من جهة اخرى ..

ولن يتم التقدم والتوحد والتماسك الا بوجود هذه الاقطاب الاربع : ابتداء من الانسان صانع الحضارة ، فالمجتمع مشكل قيم الحضارة ومنفذها ، فالدولة حارسة الكيان الحضارى ، فالحضارة نفسها التى لن تكسب استقلالها وحيويتها وامتدادها الخلاق الا بتوفر الانسان الفعال (المحسن) والمجتمع الحركى (المجاهد) والدولة القوية (الراشدة) ..

ونصل الى الميزة الاخيرة ، وهى أكثر الفروق أهمية .. ذلك أن المبادىء الوضعية (العلمانية) لا تؤكد على (دور الانسان) ولا على « عملية التغيير الباطنى » أو (الجهاد الاكبر) بتعبير الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى طريقها الى اقامة الدولة والحضارة ، وفى مرحلة قيامهما .. انها تؤكد على الخارج أو (المحيط) فحسب ، على (الطبيعة) أو (العلاقات المادية) أو (المجتمع) ، على عملية التغيير الخارجى فحسب ، وهذا يعرضها بلا شك الى الكثير من الانحرافات والتخبط والتأخر فى الوصول الى الاهداف .. وسرعة النكول عنها ..

أما الاسلام فانه يقرر « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، ومن ثم يجىء التغيير الخارجى ، واقامة المؤسسات السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية .. قائما على أساس عميق من (تغيير) و (بناء) مسبقين يشملان كل طاقات الانسان وقدراته وتصوره وسلوكه .. وهذا ما تفسره لنا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما بدأ بالانسان أولا (المرحلة المكية) ثم انتقل (بحركة الهجرة) صوب اقامة الدولة والحضارة (المرحلة المدنية) .. ولن تستقيم أية حركة فى التاريخ الا بأن تقتفى خطى خاتم الانبياء عليه السلام ، وتبدأ بالانسان !!





في الأزمة الراهنة في العالم الإسلامي

بقلم : احمد العنانى

الواقع الراهن فى العالم الاسلامى هو واقع رهيب بلا ريب ، الأقليات الاسلامية اليوم تواجه عمليات افناء وارهاب على درجات متفاوتة ، وبأساليب متنوعة .

منها ما يباد إبادة حسية بالقتل الجماعى ومعسكرات الاعتقال ومنها ما يطرد من أراضيه ، وتنتزع سائر حقوقه الانسانية ومنها ما يقسر قسرا بالقوانين الجائرة ، والقوة القاهرة على التخلى عن ثقافته ودينه وتاريخه ، وسائر ارتباطاته الظاهرة بذلك كله . . .

وليست ازمة الأقلية الاسلامية فى الفيلبين سوى نموذج لوضع حاد التأزم ، لكنها ليست فى الحقيقة بأشد خطورة مما هو جار فى مناطق كثيرة فى وسط آسيا ، وفى أماكن من افريقيا وغيرها .

ذلك جانب من جوانب الأزمة

الراهنة فى العالم الاسلامى . واضح وضوح النهار .

لكن للأزمة جوانب أخرى أشد خطورة وأوسع آفاقا ... إنك لتلمح فى أحداث باكستان الأخيرة ظاهرة أخرى مفجعة ، فالقوم المهيمنون على شطرها البنغالى معرضون إعراضا مذهلا عن سماع المنطق ، أو تقليب الرأى فى أية مصلحة مشتركة ناهيك عن دين مشترك أو ثقافة ومصير مشتركين بينهم وبين باكستان الغربية ويبدو أن المؤامرة على باكستان لم تنته فصولها ، ففى واحد على الأقل من أقاليمها الباقية فى حوزتها تبدأ حملة تحريض كما لو كانت الاصابع الخبيثة تهيىء الجو لتفكيك تلك الدولة الاسلامية الكبرى وضياعها .

وسواء أحلت قضيا الصراع على الطراز الذى تم فى باكستان ، أم على طراز الحل الاندونيسى والمالاييزى والسودانى فالتحدى الكبير لا يزال قائما والمشكلة فى جوهرها ماثلة باقية .

واغلب ظنى ان موجة الاخذ بالسيف أو الوقوع فى حفرة الانحلال والتفكك ستظل سائرة نحو اتخاذ أبعاد أخرى أعنف واشد خطورة . ولن يكون غريبا انحسار ظل الاسلام عن مناطق أخرى من العالم أو ان تسود العالم الاسلامى كله أو اكثره نظم استبدادية مفرطة فى النزوع ذات اليمين أو ذات اليسار ، وهى فى الحالين بعيدة عن الموقع الحق للاسلام .

لن يكون غريبا ولا غير متوقع ان تعطل الوف من المساجد التى طالما ذكر فيها اسم الله .

ولا غريبا أن تتضاعف أعداد اللاجئين والنازحين وان يسفك الدم غزيرا بأيدى المسلمين وغير المسلمين فى أنحاء شتى من العالم الاسلامى .

.. .. ..

هذه الرزايا الضخام قد يمكن ان ترى فى منظور آخر لا يفضى إلى اليأس أبدا .

إن الحكم على نجاح الفكرة النيرة القائمة على الحق والهداية لا يقاس باتساع الرقعة التى تمتد فيها .

كما لا يقاس بأعداد المتجمهرين تحت الويتها ،

ولا بالقوى المادية المتاحة لأعدائها. ولا بتكالب هؤلاء الأعداء عليها ، وتلاقيهم برغم اختلافاتهم ، عند فكرة تحطيمها ...

وإنما العبرة فى توافر أى عدد من الناس الذين يرتقون الى مستوى الفكرة ، ويتمثلون حقائقها ويرون مراميها رؤية واضحة ، وتتمثل هى — أى الفكرة — فى سائر مسالكهم وتصرفاتهم فى السراء والضراء والمنشط والمكره ..

.. .. ..

وحالما تتنزل الفكرة الحقة النيرة من سماء الأحلام والأمانى وتستطيع السير على الأرض بقدم ثابتة فانها حقيقة بأن تجتاح كل العوائق المادية .

وبعبارات أقرب الى التخصيص والوضوح أقول :

إن المسلمين فى كل مناسبة برهنوا

على اقتدار عجيب للصعود الفوري من القاع الى القمة حالما تتحقق لهم قيادة مخلصة تتمثل فيها حقيقة التقوى ، ولها نظام سياسى قائم على روح الشورى ، وتصرف فى الاقتصاد مستهدف حقيقة العدالة الاجتماعية لا شكلها . وعندئذ تنشأ الثقة التى تصنع المعجزة ولا يمكن ان ينصلح حال المسلمين فى ظلال قيادة كافرة أو ملحدة ، ولا فى ظلال قيادة كافرة تدعى الصلاح وهى مفسدة ، وتصطنع الزهادة وهى موغلة فى الأنانية ، ولا فى ظلال أى نظام يتنكر لروح الشورى ويتقبل من المسلمين طاعة المقهورين أو المضللين ، ولا فى ظلال أى نظام يرتدى مسوح الكهنوت ليحسن سرقة قرابين الهيكل ، ثم يدفن عظام الذبائح بعيدا عن أعين الجياع الذين ساقوا إليه النذور .

.. .. ..

لكن لماذا لا ينهض المسلمون لمستوى إنتاج القيادة التي يرتضونها لتسير بهم على الدرب الذى يوقف السيوف عن رقاب الاقليات المسلمة، ويطرد ثعالب الصهاينة عن حمى القدس والخليل ، ويحمل الشعوب على جبر كل كسر ، ولم كل شعث ممزق فى باكستان وغيرها .

الحقيقة أن أعداء الاسلام لم يضيعوا وقتهم عبثا خلال المئتى عام التى ظفروا فيها بأحسن فرصة نالوها لتحقيق حلمهم القديم بالقضاء المبرم على الاسلام والمسلمين .

وكانت أخطر جهودهم وأشدها فتكا بنا ما اتخذوه من وسائل بعد يأسهم القاطع الحاسم من إمكانية انتزاع الاسلام من الدنيا أو خنقه بأية طريقة مباشرة .

وأهم الأساليب التى طبقوها فينا بنجاح ما يلى :

اولا : ــ تنشيط قيام احزاب وجماعات على مبادىء ضيقة تضرب شمولية الاسلام وعالميته وحيويته الخالدة ضربة موجعة ممزقة من الداخل .

ثانيا : ــ فصل الدين عن الحياة وتكريس المظاهر وإماتة الجواهر وتعزيز ذلك بتوسيع الفروق الطبقية ، وتيسير المال فى حالات كثيرة لأناس من أسوأ أبناء الأمة ، وتغذية روافد الجهل والمرض والخرافة ، وخلق المتناقضات ، وتأكيد العداوات بل وحتى المحاولات الوقحة لإيجاد أديان ممسوخة تحمل اسم الاسلام وبعض شعاراته .

ثالثا : ــ تغذية روافد العلمانية وتخريج كهان لهياكلها النجسة والهيمنة على برامج التعليم وتذويب شخصية المسلم المتعلم على المستوى الجامعى وإيجاد اهتمامات أخرى غير إسلامية لخريجى الجامعات اينما تخرجوا عندهم أو فى بلادنا ..

رابعا : ــ نشاط الراسماليين الأجانب فى زراعة بذور اليسارية الالحادية كلما لزم الأمر ولم يكن فيه تهديد لمصالحهم .

خامسا : ــ تمتين روابط التحالف المعادى للاسلام لضرب المسلمين فى شبه القارة الهندية والبلاد العربية .

سادسا : ــ التحالف الخفى لحجب أسرار الصناعة ووسائل القوة المادية لكن كل هذه النيران مهما حرقت من المسلمين ، وما تزال ، قد عملت أيضا على تذويب الأخباث التى علقت بهم .

وكانت إرادة الله أعظم من إرادتهم ، وكانت يده فوق أيديهم .. فأنت تستطيع أن تلمح وحدة فكرية على فهم جديد لروح الاسلام وحقائق أسراره بين رجال الفكر الاسلامى على امتداد العالم كله ...

ومناهج التعليم فى العالم الاسلامى تتعرض الآن لموجة عارمة من النقد والمراجعة والتعديل .

وعناية الله تعالى كشفت عن ثروات هائلة فى العالم الاسلامى آخذة فى تعويضه عما استنزف من ثرواته ...

والاتصال بين المسلمين ، وانفتاح ديارهم على بعضها سوف يمحو الآثار المخربة لعمليات التمزيق الاستعمارى لهم ...

والأفكار الدامية المفرقة لن تجد حبلا أصلح لخنقها من النتائج الدامية التى أسفرت عنها والفشل الذريع الذى انتهت إليه . والأديان التى أوجدها الاستعمار محاولا ضرب نواة الدين ووحدته المقررة من الله تعالى قد أصبحت الآن سخرية واهمة ، وحركة البحث العلمى الذى عطله الظالمون ، وباب الصناعة الذى أقفلوه وأسرار القوة المادية التى احتجزوها ، كلها آخذة فى التحرر والانطلاق بنا الى آفاق جديدة ..

والاقليات الاسلامية ستخرج يوما الى النور مهما طال تخفيها تحت وطأة الضغوط البربرية المفروضة عليها ..

بل ان الاسلام ليكسب تلقائيا فى كل يوم أرضا جديدة فى أماكن جديدة لا تخطر على البال .

.. .. ..

لكنى لا أهوّن إطلاقا من فداحة الحقبة المقبلة مباشرة علينا ، فأغلب ظنى أن نادى الكراهية للحق المتمثل فى الإسلام سيمتّن عرى التحالف بين أعضائه .. ولسوف تكون شرور كبرى وتسيل دماء غزيرة وتهدّم مدن عامرة وقد يشتد الاستبداد والقمع وتسود أشكال منوعة من الديكتاتورية تشمل العالم الاسلامى كله الى فترة من الزمن ..

لكن نبتة الحق خرجت من دور المعاناة الرهيبة تحت ثقل الصخر التى حجزت عنها شمس القرآن والسنة ولن تستطيع قوة فى الأرض مهما هدمت من دور ، وبثت من رعب ، واصطنعت من وسائل للتكفير وتكريس المظالم والتفريق بين الأخوة أن تحول دون عودة شمس الاسلام الى السطوع ... لقد انبعث الفكر الاسلامى الذى ينشد التقوى فى القيادة والشورى فى الحكم ، والعدل الاجتماعى الإلهى للناس ولن تطفىء نور الاسلام قوة مادية من تراب الأرض .



أبو العلاء المعرّي

يحدثنا عن عقيدته الدينيّة

للشيخ طه الولى

لقد ذهب النـاس فى الكلام عن عقيدتى الدينية كل مذهب ، وراحوا ينقلون عنى ما ليس منى ، ويجعلون لما قلته من نثر أو شعر أغراضاً ومعانى ، ما خطرت على بالى ولا قصدتها فيما كتب يراعى أو نطق لسانى ، وإنما هى خطرات من الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، فيزين لهم أن يشيعوا رجما بالغيب بأن إيمانى بالله الواحد الأحد ، ليس له فى قلبى قاعدة ولا أساس . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون الا بهتانا وكذباً .

وكأنى بالذين رمونى بهذه الفرية ، قد أغمضوا عيونهم ، غفلة أو قصداً ، عما قلته وأعدت القول فيه ، مراراً وتكراراً ، سواء فيما نظمته من شعر أو ارسلته من نثر . أفلم تقد هم أبصارهم وهم يتلون شعرى إلى قولى

بلسان عربي مبين ، لا يحتمل التضليل ولا يقبل التأويل :

لا ريب أن الله حــق" فلتعد
باللوم انفسكم على مرتابها !
وإلى قولى كذلك :
الله لا ريب فيه وهو محتجب
باد وكل إلى طبع له جـذبا

وإنما اردت في وصف الله عـز وجل بأنه محتجب وباد في آن واحد ، انه سبحانه محتجب عن الحـواس الإنسانية الظاهرة القاصرة ، بينمـا هو باد لاهل الحجى والعقل وسلامة الفكر الصحيح !.

او لم يقرأ الذين ارتابوا بصـدق عبوديتي لله ويقيني بحقيقة ربوبيته وعظمته .

انفـرد اللـه بسـلطانه
فما له في كـل حـال كفـاء
مـا خفيت قـدرته عنكـم
وهل لها عن ذي رشاد خفاء !

غير ان عقيدتي في اللـه ، جلت قدرته ، ليست نابعة من خيـالات المتوهمين ، وليست ترديدا باهتاً لما يجتره المتأخرون عن المتقدمين الذين من دابهم ابدا ، ان يقولوا ويعيـدوا القول « إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون » ولكنها عقيدة قادتني إليها بصيرة عقلي وطمأنينـة نفسي فاذا لساني يعبر عن خلجـات جناني :

اقر بـأن لي ربـاً قـديرا
ولا القى بدائعه بجحد !.
هكذا تارة ، وتارة اخرى .
اما الإلـه فأمر لسـت مدركه
فاحذر بجهلك فوق الارض سخاطا!
والله اكبر ، لا يدنو القياس به
ولا يجوز عليه كان او صـارا !

وليس لنـا عـلم بسر إلهنـا
فهل علمته الشمس أو شعر النجم!

اجـل إني مؤمن باللـه ، إيماناً لا يدانيه ريب الذين احتاروا في كنهه وحقيقته فراحوا يخبطون في تقريبه الى اذهانهم واذهان من لف لفهم من صغار العقول الذين ارادوا ان يثبتوا له سبحانه وتعالى امورا ، وينفوا عنه امورا اخرى ويتحدثون عنه بمـا لا يرضى به العقل ولا يأخـذ به المنطق السليم !.

يخبرونك عن رب العلى كذبا
وما درى بشؤون الله إنسان

وكيف يصلح لمثلي ان يبحث عـن ربه بين الأقانيم كما تقول النصـارى او يتمثلونه في صورة شيخ له لحية بيضاء الذي يدعي اليهود بأنه ليس إله العـالمين بل إله بني اسرائيـل فقط !. او كما يصر الجـاحدون من المسلمين على تصـوره كائنا عـاديا متربعا على عرش مما تتصـوره اوهامهم السقيمة .. وإن هؤلاء إلا كما اقول :

وان إلهي إلـه السـماء
رب الوهود ورب النبـك
سألت المحـدث عن شأنه
فما زال يضعف حتى ارتبك

والى كل من حدثته نفسه بأن يضع الله عز وجل في حدود المفـاهيم البشرية المادية الجامدة الى كل هؤلاء واولئك اقول بصـدق واخـلاص ، وبصوت لا يداخله اضطراب ولا قلق :

لنـا رب وليس لـه نظير
يسير امره جبـلا ويرسي
تظل الشمس ماهنـة لديه

فما بلقيس أم ماست برسّ
وإليهم اقول كذلك :

لنا خالق لا يمترى العقل انه
قديم ، فما هذا الحديث المولّدْ

وخلاصة جوابى على الذين ارجفوا مشنعين على إيمانى بربى وعقيدتى بدينى هو هذا الشعر الذى ما نطقت به عن هوى ولا خَرق ، ولا زلفى ولا ملق ولا رغبة فى رضى ولا خوفا من سَخَط .. إنه قولى :

قلتم لنا خالق حكيم
قلنا صدقتم كذا نقول
زعمتموه بلا مكان
ولا زمان الا فقولوا
هذا كلام له خبىء
معناه ليست لنا عقول

اىْ قولوا (لنا خالق حكيم) واسكتوا ولا تتكلموا عن الله بما يأباه العقل . اذ لا يعقل وجود كائن لم يكن فى مكان ولا فى زمان .. فلا تخوضوا فى الكلام عن شؤون الله التى ليس فى وسع الإنسان ان يعلمها .

وإلى الذى يطمع فى المزيد من الثقة بايمانى وصحة إسلامى ، اتلو ما اثبته فى كتابى « رسالة الغفران » فى شأن البعث والنشور من بعد التردّى تحت التراب ، طىّ جنادل القبور وهو ما جاء فى الكتاب الأشرف :

« أو لم ير الإنسان إنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم !.. »
وهذه حجة بالغة فى ان خلقها مُبْتَدعة ابعدُ من خلقها مرتَجعه !
ثم قال سبحانه : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ، فاذا انتم منه توقدون .. فتبارك الله العظيم القادر على ان يحرق بورقة خضراء من فوق الراكدة والغبراء !..

« أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم . إنما امره إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترْجَعُون » ..

اشهد الله الذى بإذنه نشأت السموات والأرض انى مقر بالقدرة على الرجعة والخوف من الآخرة . احافظ على صلاتى واصوم ، واعتصم. فعلى معصوم وابرأ من قول الكافر :

ألمّ بالتحية امُ بكر
فحيوا امّ بكر بالسلام
الا يا امّ بكر لا تكرّى
على الكأس بعدَ اخى هشام
وبعد اخى أبيه وكان قَرْماً
من الاقرام شرّاب المدام
الا مَن مُبلغ الرحمن عنى
بأنى مُفطر شهر الصيام
إذا ما الرأس زايل منكبيه
فقد شبع الأنيس من الطعام
ايُوعدنا ابن كبشة أن سنحيَا
وكيف حياةُ اصداء وهام
ايترك ان يرد الموت عنى
ويحيينى إذا بليتُ عظامى
ولعن الله القائل :
ادنيا منى خليلى
« عبدلا » دون الأزار
فلقد ايقنت انى
غير مبعوث لنار
سأروض الناس حتى
يركبوا دين الحمار
واتركن من يطلب الجنة
يسعى فى خسار !.

وويل للحكمى أبى نواس ان كان يعتقد ما يقال انه وجد فى بيته بعد موته مكتوبا وذلك قوله :

باح لسانى بمضمر السر
وذاك انى أقول بالدهر
وليس بعد المماة حادثة
وإنما الموت بيضة العقر

وويح لعبد السلام بن رعيان الملقب بديك الجن ، ان كان مات وهو مصر على قوله :

هى الدنيا وقد وعدوا بأخرى
وتسويف الظنون من السواف
فان يك بعض ما قالوه حقاً
فان المبتليك هو المعافى

على أن ما قدمته من الكلام عن دينى ومعتقدى ، يجب أن لا يؤدى الى الظن بأنى اتخذ من شرع الله ذريعة الى خداع الناس بالمظاهر التى ليس من ورائها إلا الرياء والنفاق ، فالدين فى نظرى لا يعدو أن يكون فى الحقيقة ، ترك الشر واجتناب القبيح ومعاملة جميع الناس على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم وألوانهم ومشاربهم بالعدل والإحسان والإنصاف فان :

الدين انصافك الأقوام كلهم
وأى دين لآبى الحق ، إن وجبا
أخو الدين من عادى القبيح
واصبحت له حجرة من عفة وإزارا
الدين هجر الفتى اللذات عن يسر
فى صحة واقتدار منه ما عمرا
إذا الإنسان كف الشر عنى
فسقيا فى الحياة له ورعيا

أجل أيها الإنسان ، إنى لا أسألك عن أمر دينك الذى تضمره فى نفسك وتطوى عليه عاطفتك ، لأن مثل هذا الموضوع مرجعه الى الله الذى جعل لكل وجهة هو موليها ، وإنما أسألك عما تقدم وتؤخر فى علاقتك بالناس . فكل من يفعل الخير ويتجافى عن الشر والأذى ، هو عندى الجدير بالتنويه والشكر والاحترام ، فلينتسب الإنسان الى ما شاء من الأديان ، ولكن عليه أن يعتصم فى حياته مع الآخرين بعروة المحبة التى لا تشوبها شائبة من الحقد والتعصب والضغينة والبغضاء .

هذا ،

وبعد أن سمعت منى حديث الدين والإيمان بوجود إله قادر على بعثنا بعد المماة ، كما أوجدنا من قبل فى هذه الدنيا مع أهل الحياة بعد ذلك هل عرفتنى من أنا ؟..

أنا الذى أطفأ الله بصرى بظلمة العمى ، وأضاء بصيرتى بنور الهدى، وقيد جسمى بأغلال التقاليد البالية ، وأطلق روحى بأجواء الفكر العالية .

أنا الذى أصبحت فى دنيا الناس رهين المحبسين ، فلما أن توليت عن هذه الفانية ، أصبحت مع الخالدين ، قرين النيرين ، الشمس والقمر ، فاذا عرفتنى ، فانك ستكون سعيدا بصحبتى واكون انا كذلك سعيدا بصحبتك ، وإن لم تعرفنى بعد كل الذى قدمته بين يديك ، فانك لن تكون يوما من أهل الأدب فى قليل أو كثير .

وفى هذه الحالة اقول لك :

عداوة الحمقى أعفى من صداقتهم
فابعد من الناس تأمن شرة الناس
قد آنسونى بإيحاشى اذا بعدوا
وأوحشونى فى قرب بإيناس !.

جامعة عليكرة

تلقينا من مؤتمر العالم الاسلامي بكراتشي البيان التالي الذي يناشد فيه المسلمين العمل على وقف الاجراءات التي اتخذتها حكومة الهند تجاه جامعة عليكرة الاسلامية :

تلقى مؤتمر العالم الاسلامي من مصادر موثوق بها معلومات خطيرة بان السلطات الهندية قد اقدمت مؤخرا على علمنة جامعة عليكرة الاسلامية الشهيرة في الهند متذرعة باصلاح السياسة التعليمية في الجامعات الهندية على أساس الزعم بان الهند دولة علمانية . وتفيد هذه المعلومات بان المسلمين في الهند قد قاموا بمظاهرات احتجاج كبيرة فرقتها السلطات الهندية بقسوة وعنف ، واعتقلت عددا وافرا من المتظاهرين .

ان مؤتمر العالم الاسلامي يرى في هذه الخطوة من جانب الحكومة الهندية بادرة خطيرة تستهدف تصفية الوجود الاسلامي في الهند وذلك عن طريق ازالة الصبغة الاسلامية عن جامعة عليكرة التي تعتبر قلعة من قلاع الفكر الاسلامي ومركزا مهما للاشعاع الثقافي الاسلامي كان له الفضل في تخريج معظم القادة المسلمين ممن كان لهم دور فعال في تسيير دفة المسلمين في السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع في كل من باكستان والهند .

ويسترعي المؤتمر نظر المسلمين في جميع ديارهم الى أن اقدام الحكومة الهندية على هذه الخطوة جاء في اعقاب الكارثة التي نزلت بباكستان في أول هذا العام وأدت الى تمزيق وحدتها واضعاف شأنها كدولة اسلامية كبرى مما أغرى الهند باتخاذ مثل هذه الخطوة امعانا منها في الكيد للمسلمين وفي تفتيت الروابط

التى تجمع صفوف المسلمين فى الهند كما يسترعى المؤتمر النظر الى ان الاجراء الهندى المذكور ان هــو الا حلقة فى سلسلة المؤامرات الكبرى التى خططها اعداء الاسلام فى سائر انحاء العالم لمحاربة العقيدة الاسلامية السمحاء وتجريد المسلمين من مصادر قوتهم ومقومات منعتهم وتقدمهم ، والحيلولة دون قيامهم بدورهم البناء فى اشاعة رسالتهم القائمــة عــلى الحق والعدل فى هذا العالم المضطرب الذى تسوده شريعة الغلب والاعتداء على حرمات الشعوب المستضعفــة تحقيقا لمطــــامع الدول القويـــة وشهواتها .

والمؤتمر يرى ان قيام حكومة الهند بهذا الأجراء ضد جامعـــة عليكــرة يشكل انتهاكا سافرا لميثــاق الأمم المتحدة وحقوق الأنســـــان وسائر القوانين الدولية التى تنص صراحة على ضمان حق الاقليات والطوائف القومية والدينية فى ممارسة شئونها الخاصة بها بحرية تامة . كما يــرى المؤتمر أن سكوت المسلمين حكومات وشعوبا على هذا الأجراء من جانب الحكومة الهندية سيؤدى حتما الــى تشجيع دول أخرى ، تتربص بالاسلام والمسلمين الدوائر ، على ان تحذو حذو الهند .

ولذلك فان « مؤتمر العالم الإسلامى بكراتشى يناشد المسلمين شعوبــا وحكومات ، باسم الاسلام ، نصرة هذا الدين الحنيف باستنكار العدوان الهندى السافر على وجود ما يقــرب من ٦٠ مليونا من أخوانهم فى الهنـــد واتخاذ موقف قوى موحد لحمـــل الحكومة الهندية على الرجـــوع عن الاجراءات التى اتخذتها ضد جامعـــة عليكرة واعتبار اصرار الهند عــلى هذه الأجراءات على المسلمين جميعا وانتهاكا صريحا للمبـــادىء والقوانين الدولية . (يا أيها الذين آمنــوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

الجامعــة فى سطــور :

١ ــ ان مؤسسى جامعة عليكــرة الاسلامية هو السيد احمد خان المتوفى عام ١٨٩٨ وقد تدرجت هذه الجامعة من معهد للترجمة ودراسة الادب عام ١٨٦٤ الى كلية عام ١٨٧٧ الى ان اصبحت تعرف عام ١٩٢٠ بجامعـــة عليكرة الإسلامية .

٢ ــ كان هدف السيد أحمد خان من تأسيس هذه الجامعة تأهيــــل المسلمين فى الهند بالعلوم العصرية بالأضافة الى العلوم الدينية لمقاومـــة سياسة نشر الجهــل والتخلف التى انتهجها الاستعمار البريطانى للهند .

٣ ــ لقد تخرج من هذه الجامعة معظم القادة المسلمين فى شبه القارة الهندية الذين حافظوا على الوجــود الإسلامى فيها . وبعد قيام دولــــة باكستان عام ١٩٤٧ أصبح معظــم قادتها من خريجى هذه الجامعـــة . وبقيت منارة للاسلام فى الهند رغـــم الضغوط الهندية المتوالية لاطفـــاء نورها مدة ربع قرن .

٤ ــ غير أن الحكومة الهنديـــة أقدمت فى الآونة الأخيرة على علمنة هذه الجامعة وازالـــة الصبغـــة الإسلامية عنها وتذرعت فى ذلـــك بالغـــاء كلمة « هندوسيـــــة » عن جامعة بنارس الهندوسية ، علما بان جميع المؤسسات الهندية من ثقافيـــة وسياسية واجتماعية هى فى الواقع هندوسية وان الغاء الالفاظ عن جامعة بنارس لا يبدل من حقيقة الأوضاع شيئا بالنسبة للهنود لكنه أمر خطير بالنسبة لجامعة عليكــرة الاسلامية التى تعتبر المركز العلمى الكبير الوحيد المتبقى للمسلمين فى الهند .



الناس

بين الاستعجال بالسيئة واستبطاء الحساب

جلست ليلة استمع الى قارىء يتلو بعض آيـات من سورة النمل ، عن قصة ثمود ، حتى جاء الى قوله تعالى حكاية عن نبيهم صالح عليه السلام : (قال يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ، لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) .

فجذبت الآية انتباهى ، كأنى لم اتلها مـن قبل ، وكأنى لم اذاكرهـا فى موضعها كل شهر مرة ، كدأبى فـى مدارسة القرآن . ولم يطل عجبى من هذه الوقفة التى بـدت عجيبة عندى ، لطول مذاكرتى للقرآن ، فقد عرفت من نفسى اننى أطرب لسـماع القرآن أكثر مما أطرب لتلاوتـه ، وأتأمله مقروءا من غيرى اطول مما

للاستاذ احمد محمد جمال

أتدبره مقروءا بلسانى . .

أعرف هذا عن نفسى ، وأذكر أن نبى الاسلام ، عليه الصلاة والسلام . قال مرة لصاحبه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « اقرأ علىَّ القرآن » ، فقال ابن مسـعود متعجبا : « اقرأ عليك يا رسول الله وعليك أنزل » ؟ فرد عليه الرسول الكريم : « إنـى احب أن أسمعه من غيرى » ، وامتثل ابن مسعود للأمر النبوى ، فتلا بعض آيات من سورة النساء ، حتى جاء الى هذه الآية منها : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء

شهيدا » فقال : حسبك . كأنه عليه السلام استهول ما تحمله هذه الآية من معنى التبعة والمسئولية الملقاة على عاتقه الكبير .

قلت إنني استمعت ذات ليلة الى قارىء يتلو قول الله تبارك وتعالى حكاية عن نبيه صالح : « قال يا قوم لمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون »، فجعلت أحدّث نفسي عما تمنحه هذه الآية القرآنية من شفاء لمرضى ، وسكينة لحيارى ، وهدى لضالين . وانشأت اتساءل في سرّي : لمَ يستعجل أحدنا بالسيئة قبل الحسنة ؟

● إن أحدنا إذا كان مريضا واستبطأ الشفاء ، دعا على نفسه بالموت الزؤام .

● وإذا كان فقيرا واستطال أمد فاقته وحاجته ، تمنى لو تقدّم ما تأخر من أجَله الطويل .

● وإذا كان مكروبا واستثقل وطأة كربه ، صرخ في قرارة نفسه : ليتني مت قبل هذا البلاء الثقيل .

● وإذا ابتليَت أمٌ بإبن عاق قالت : ليت بطنها انشقت دون أن تلد هذا الشقي اللئيم .

● وإذا مس فتاة مكروه في بداية زواجها ، أو مس فتى نكد في أيام زواجه الأولى ، تمنيا لو انكسرت أقدامهما قبل أن يزَفّ أحدهما الى الآخر .

وغير هؤلاء كثيرون ممن تضيق الدنيا على سعتها في أعينهم ، وتظلم على نورها في وجوههم ، في لحظات تعسة من حياتهم ، يحجب الشيطان خلالها عن أبصارهم وبصائرهم قبس الأيمان بالله الكريم الرحيم ، فينسون أن مع العسر يسراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن كل مصيبة بأجر ، أو هي تكفير عن ذنب مقترف ، أو هي نذير بالكفّ عن ظلم ، وبالتوبة من خطيئة.

أجل ، إن هؤلاء ينسون الله فينسيهم أنفسهم ، فلا يرحمونها بالصبر والأناة ، والتماس اللطف من الله ، وإنما يستعجلون لها بالسيئة قبل الحسنة ، والهلاك قبل العافية . .

والقرآن هنا يهدي هؤلاء الذين تستخفهم الأحداث ، وتستفزهم الشياطين ، الى سبيل يستشفون فيها من ضرهم ، وهي اللجوء الى الله سبحانه يستغفرونه من ذنب ، ويسترحمونه من كرب . فلعل ما نزل بهم كان لمعصية ارتكبوها وما أكثر ذنوب البشر ، فكل بني آدم خطّاءون، وخير الخطّائين التوابون . أو كان ذلك امتحانا إلهيا لهم ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويعلم المؤمن من المنافق :

● « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم » (١) .

فلنقل لهؤلاء المضرورين ، الذين يتمنّوْن الأذى لأنفسهم أو الردى ، نجاة بها من طول العذاب : هذه « مائدة القرآن » بين أيديكم ، فاستوهبوها بعض غذائها وشفائها ، واستمدوا منها نورا لأبصاركم ، وسرورا يجلو غمَمَ أكداركم ، فإنما جاء القرآن : هدى ورحمة وشفاء للمؤمنين .

— فلِمَ ، يا هؤلاء ، تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ؟

— ولِمَ لا تكون دعواتكم بالخير لا بالشر، وبطلب الفرج لا بإنهاء الحياة ؟

— ولمَ لا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؟؟

يقول القرآن في قصصه عن قوم نوح عليه السلام إنه نصحهم بالاستغفار ووعدهم عليه السعة والقوة : (ويا قوم استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا) .

وفي قصصه عن قوم هود عليه

السلام أنه نصحهم نفس النصيحة ، ووعدهم ذات الوعـد ، إذ قـال : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم) .

وكذلـك قال صالح عليه السلام لقومه ثمـود : (فاستغفـروه ثـم توبوا اليه إن ربى قريب مجيب) .

وهكذا نجد القرآن الكريم يصـف التوبة والاستغفار سُلَّماً الى رحمة الله ، واستنزال رزقه ، واستمطار فضله ، وإمداد المكـروبين التائبين المستغفرين بالأمـوال والبنين ، وزيادتهم قوة الى قوتهم .

وما أقل التوبة والاستغفار ثمناً ، وما أضألهما جهـدا ، وما أعظـم ما يؤتيان من فضـل الله ورحمتـه بضاعة ، وما أربحهما مشترى . ولكن الله سبحانه يشرح صدورا ويفتحها للتوبة اليه ، واستغفاره ، ورجـاء ما عنده .. ويغلق أخرى . وإنـا لسائلوه : أن يشرح صدورنا ، ويتم نورنا ، إنه سميع مجيب .



وفى الجانب المقابل لهذا الفريق من الناس ، الذى يستعجل بالسيئة قبل الحسنة ، ويتمنى المـوت إذا مسّه ضر ، أو أصابه مكروه ــ نجد فريقـاً آخر يسـتبطىء الحساب والعقاب على ما يجترح من خطايا ، وما يقترف من ذنوب . وهـذا هو موضوع الحديث التالى .

استبطاء الحساب :

كان المفسرون القدامى يتلون مثل هذه الآية من القرآن : (بل يريـد الانسان ليفجر امامه . يسأل أيان يوم القيامة » (٢) فيقولون : إن الانسان هنا هو الانسان الكافر ، الذى يرتاب فى يوم البعث والجزاء ، فلا يهمـه إيمان بدين ، ولا يهتم بعمل صالح فى دنياه ــ فهل الآية لا تتعدى هـذا النطاق اليوم ؟ وهل الانسان الذى يريد ليفجر أمامه ، يسأل أيان يـوم القيامة ، هو الانسان الكافر وحده ؟

عندى أن الأمر فى هذه القضية لم يعد أمر الكفرة الذين قد تكون هـذه الآية من سورة القيامة قصدتهم ، عند نزولها على نبى الاسلام عليه الصلاة والسـلام ، ولكن الأمـر ــ مـع الآسف ــ عَمَّ الفَسَقَة ممن ينتسبون الى الاسلام بحكم البيئة التى يعيشون فيها ، أو بحكم الـدم الذى ينسلون منه ، ولا شىء غير ذلك من انتساب فكـرى أو انتساب اعتقـادى ، أو انتساب عملى الى الاسلام .

وإلا فما معنى هـذا الانشـغال بالذات ؟ وما دافع هذا التفرغ لمنافع النفس وحدها ، وما دلالة هذا الكَدِّ الحيوانى فى سبيل الجمع واللَّمِّ من سُحْت وحرام ؟ وما معنى هذا الجهار الصارخ بالعمل الفردى الخالص ، فى غير استحياء أو خجل من التلذذ بإيذاء الغير ، والاستمتاع بالاعتداء عـلى الآخرين ، من أجل السعادة الذاتية التى لا تتجاوز جدار الدار ، ولا تُطِلُّ على الجيرة من نافذة ولا باب ؟؟

أجل ، ما تفسير هـذا التسابق اللاهث الى نيل المغنم الخـاص ؟ وهذا الانغماس الأعمى فى التهـام اللـذة وإرواء الشهوة ؟ وهـذا العزوف التـام عن معالى الأمـور ومكـارم الأخلاق ؟ وهذا التغـافل الكامل عن حقوق الجيران والاخوان والمواطنين فى إسداء النصيحة لهم ، وإهداء المعروف إليهم ؟؟

لا ندرى أشرٌ أريد بمن فى الأرض ، بما ضاع من إيمـان وَزَلْزَلَ مـن يقين ، ووهَـن من عقيـدة ؟؟ أم الانسانية ارتكست فى حضيض مـن

المادية سحيق عميق ، شديد الإغراء ، مديد الإغواء ، قويّ الجذب والشدّ ، منيع الحصون والمتون ، لا يُسمَع فيه للضمير ركز ، ولا يجد إشعاع الروح مُتسرّباً الى حناياه المظلمة ، وزواياه المعتمة ، ولا ينفع الطَّرق على أبوابه المقفلة المُحكَمة ؟

أجل .. نعيدها فى يقين ثابت ، ونكررها فى أسف مرير : أن استبطاء المصير ، واستبعاد الحساب ، مُعتَقد لم يَعُد مقصوراً على الكَفَرَة من البشر ، بل تخطاهم الى فَسَقَة المسلمين . تخطاهم عاماً شاملا ، وغطاهم من قِمَم رءوسهم الى أسافل أقدامهم ، فلم يعودوا يجدّون للدين ولا للدنيا . وقد جدّ الكَفَرَة لدنياهم : يُشذّبونها ، ويُهذّبونها ويُمدّنونها ويُحَضّرونها ويُرفّهون أنفسهم بمرافق الحياة الميسَّرة الرخيّة فى سلمهم ، وفى حربهم يحمون وجودهم بما يتقنون من أسلحة الحديد والنار .

أما نحن ، مسلمة اليوم ، فلا غرام لنا إلا بالمادة ، ولا هَمّ بنا إلا الانكباب على أسبابها ، والتسبيح فى محرابها ، والبحث عنها فى مختلف مجالاتها : مجالها الاقتصادى ، ومجالها الاجتماعى ومجالها الثقافى ، ومجالها السياسى . وزادنا تعَلُّقاً بالمادية ، وانصرافاً إليها : ملكة الكلام الكثير فينا ، وغريزة التغنى بماضينا من غير تطبيقه فى حاضرنا ، حتى لم نعد ننظر فى معالى الأمور وما توحى به ، ولم نعد نفكّر فى القيم الروحية وما توَجّه اليه ..

★ ★ ★

إنه ليسوءنا أن ننظر الى الفرد فى المجتمع الاسلامى ، فنراه لا يحس بإحساس الجماعة ألماً وأملا ، ولا يشترك فى انفعالات البيئة للتطور والتقدم نحو الأحسن والأكرم من ألوان الحياة . ويسوءنا أكثر من ذلك أن نجد المجتمع الاسلامى فى جملته لا يهتم بالعمل على تحقيق الحياة السعيدة الرشيدة المجيدة لأبنائه الذين ما زالوا حَمِيلَة على مصانع الكَفَرة ومعاملهم ، فيما يأكلون وما يشربون وما يلبسون وما يركبون ، بل إنهم ليدينون لهم فى التوافه والبسائط من آلات وأدوات وأجهزة للعمل والعيش أو للترويح .

● أفليس معنى ذلك أن كل فرد فى المجتمع الاسلامى يريد ليفجر أمامه ؟ يريد أن يستمتع بكل ما يجد ، ويبحث عما لا يجد ، بداراً أن تفوته الحياة ؟ ومن المعجب المحيِّر أنه يستعجل الملذات لأنه يعلم أجله المحدود ، ولا يفكر فيما بعد هذا الأجل من مصير وجزاء .. حقاً إنه يريد ليفجر أمامه ، وحقاً إنه يستبعد القيامة أو يكاد يجحدها تحت تأثير المذاهب الوجودية الحديثة .

ومن هنا جاء خسران المجتمع الاسلامى لدينه ودنياه .. فهو يفتقد العمل المنظم فى معايشه ، ويحتاج الى تنظيم الكَفَرَة من أعدائه ، كما يفتقد الوازع الدينى والعاطفة الروحية فى تصاريفه وتكاليفه ، يفتقد الرباط الأخوى الاجتماعى بين أفراده وأسره وطوائفه ، فكل فرد فيه على شاكلته ، وفى حدود منافعه ومصالحه هو دون غيره ، وعلى منطق ما يسره ويلذه ويبهجه ، ويرفع مقامه وحده دون سواه .

فإلى هذا الانسان الذى يريد أن يفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة .. والى هؤلاء الذين يجترحون السيئات ، ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويتحَدّون الذى ينصحهم قائلين : « إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين » .

والى أولئك الذين يستبطئون ساعة الحساب ، ويستبعدون ميعاد القيامة ،

متلذذين بيومهم ، منتهزين فرصتهم ، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، ويقولون : (ما ندرى ما الساعة ، إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) . .

الى هؤلاء جميعاً نفتح صحائف جليلة من القرآن الكريم ، ليروا فيها ، بل ليسمعوا منها ، هذه الوعود القوارع :

● « إن ما توعدون لصادق . وإن الدين لواقع » .

● « إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » .

● « قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون » .

● إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة » .

● « إن عذاب ربك لواقع . ما له من دافع » .

ونعود فنكرر أن الاسلام دين اليوم والغد ، دين العمل الجادّ الصالح ، ودين الجزاء العادل ، وفى التعاليم المأثورة : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » ، وفى الحديث الشريف : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة أو ترك الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

★ ★ ★

ومن آثار استبطاء الناس (للحساب) أن لا يكون انتفاع ولا استفادة بموعظة . فلا يتعظ الأثَمَة ولا يعتبر الظَلَمَة ، بحوادث أمثالهم ، وما تنتهى اليه من عواقب سيئات . ويعجب العقلاء ، ويذهب بهم العجب أقصى مداه : أن ينهض الظالم أو الآثم من عثرته ، وسرعان ما يعود الى أسبابها أقوى ما يكون ظلماً وإثماً . .

كأن لم يمسسه سوء ، وكأن ما مر به قريباً من حادث واعظ : دعاب ومزاح ، وليس نذيراً صارخاً من نذر السماء . .

ويعجب العقلاء أيضاً عجباً لا ينتهى : أن يمشى الظَلَمَة والأثمة فى تشييع الموتى ، ويزورون القبور ، ويذكرون فى أنفسهم سراً ، أو على السنتهم جهراً ، كيف تنتهى حياة الحى ، بعد حركة واضطراب ودوى ، الى ضجعة تحت التراب الموحش ، لا يؤنسه فيها إلا عمله الصالح ؟. يعجبون كيف تمر هذه التجارب والذكريات المؤسفة بالظالمين والآثمين ، وقد تنقبض لها أفئدتهم لحظة من نهار ، ولكنهم لا يلبثون بعدها أن يعودوا الى دورهم وأنديتهم، فيغرقوا الى الأذقان فى ما الفوه من قبل ، من ملاه ومظالم . .

ولقد كنت أعجب مع العاجبين ، وانتهى معهم الى القول بأنها : قسوة القلوب هى التى منعت (العظة) و (العبرة) عن أسماع هؤلاء وأبصارهم ، فيما يرون أو يسمعون من تجارب وأنباء عن أمثالهم الذين سبقوهم بظلم أو إثم . قسوة القلوب التى يقول القرآن : إنها فاقت قسوة الحجارة ، الحجارة التى تتفجر منها الأنهار ، وتتشقق فيخرج منها الماء ، وتخشع وتتصدع وتهبط من خشية الله ، ولا يهبط قلب الانسان الظالم من خشيته !!

★ ★ ★

والآن — وبعد أن طالت عشرتى للقرآن الكريم، أستهديه وأستفتحه — وجدت أن قسوة القلوب ليست وحدها مانعة للاتعاظ والاعتبار عن الظَلَمَة والأثَمَة ، بل هنالك معها استبعادهم لأجل الحساب على العمل ، فهم يقولون ، كما قال أسلافهم :

● متى هــذا الفتــح إن كنتم صادقين » ؟

● « لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » ؟

بقي أن نقول عن هؤلاء الظَّلَمَة الأثَمَة ، الــذين يأتون الحــرام : يجمعونه مالا ، أو يقترفونه أفعالا ، أو يقيمونه حدائق وظلالا — وهم على بيِّنة منه — إنهم إنما يأمنون مكر الله : « فلا يأمــن مكر اللــه إلا القـــوم الخاسرون » (٣) .

فهم يسألون : أيان يوم القيامة ؟ : سؤال استبطــاء ، واستبعاد ، أو سؤال استحالة واستهزاء وجحود . وهو سؤال يَنِمّ على شعور بالأمن ، الأمن المؤقت ، الأمن المخدوع ، الذى خَيَّله لهم الشيطان ، وزيَّنه وأملى لهم فيه ، حتى نسوا ما ذُكِّروا به من رسالات الأنبيــاء وكُتُب السَّماء ، وفُتِحَت لهم أبواب كل شىء من لذَّة وجاه ونصر أينما قاموا أو قعدوا ، وحيثما أقاموا أو رحلوا : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاً هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » (٤) .

يقول الله تبارك وتعالى فى حديث قدسى : « وعزتى وجلالى ، لا أجمع أبداً لعبدى أمنَيَيْن ، فيدوم له خوفه . وإن خافنى فى الدنيا أمننى يوم أجمع عبادى فى حظيرة القدس ، فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق » .

وبعد . فالقرآن الكريم ، إذ يقدِّم لقرائه عامَّة وللمؤمنين العاملين به خاصَّة : صـــورة واعظة زاجـــرة للظَّلَمَة والأثَمَة الــذين يستبطئون الحساب ، ويستبعدون العقوبة فى هاتين الآيتين : « بل يريد الانسان ليفجر أمامه. يسأل أيان يوم القيامة» يقدِّم فى الوقت نفسه نذيراً جاهراً للمغرورين بالدنيا ، والمخدوعين عن حقيقتها ، والمضلَّلين عن خاتمتها ، حين يتساءل بلهجة الإنكار والوعيد : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، وأنكم إلينا لا ترجعون » (٥) ، ويقسم فى موضــع آخر : « فوربــك لنسئلنهم أجمعين . عما كانوا يعملون » (٦) .



(١) سورة محمد / ٣١ .
(٢) سورة القيامة / ٥ و ٦ .
(٣) سورة الأعراف / ٩٩ .
(٤) سورة الأنعــام / ٤٤ و ٤٥ .
(٥) سورة المؤمنون / ١١٥ .
(٦) سورة الحجر / ٩٢ و ٩٣ .

مائدة القارئ

فراخ الطائر

بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالسا بين أصحابه فى خلاء ، جاءه رجل عليه كساء وفى يده شىء ، وقد لف عليه كساءه ، وقال : يا رسول الله : إنى لما رأيتك أقبلت ، فمررت بشجر ملتف بعضه على بعض ، فسمعت فيه أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن ، فسقطت عليهن ، فلففتها معهن بكسائى ، فها هى معى. فقال صلى الله عليه وسلم : ضعهن، فوضعتهن أمامه على الأرض ، وكشفت الكساء عنهن ، فأبت أمهن فراقهن ، فقال صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحمة أم الفراخ بفراخها ، قالوا : نعم . قال : والذى بعثنى بالحق لله — بفتح اللام وتشديد الثانية — أرحم بعباده من أم الفراخ... قم فارجع بهن حتى تضعهن مكانهن ، وأمهم معهن .

سلة اليهودى

قعد رجل فى سفينة وركب معه يهودى قد احتضن سلة قديد ، فاستولى عليها الرجل وأخذ يأكلها ، فلما أراد الخروج الى البر رأى اليهودى السلة فارغة ، فسأل عنها ، فقيل : إن هذا الرجل أكل ما فيها ، فولول وقال : أكلت أبى ، فسئل عن ذلك ، فقال : كان أبى أوصى أن يدفن ببيت المقدس فلما مات قددناه ليسهل حمله فأكله هذا .

التدخين

أصدرت الحكومة البريطانية منذ سنوات قرارا بمنع الإذاعة والتلفزيون من عرض إعلانات السجائر إلا بعد التاسعة مساء ، حتى يكون الأطفال قد ذهبوا للنوم ، كما اتخذت قرارا آخر بمنع الأطفال من شراء السجائر مهما تكن الأسباب ، وطالبت فى تقرير لها بتوعية أطفال المدارس وتحذيرهم من التدخين ، وزيادة القيود على بيع السجائر للأطفال .

الصـــلاة

جاء رجل إلى أبى حنيفة وقال له : يا إمام دفنت مالا من مدة طويلـــة ، ونسيت الموضع الذى دفنته فيــه ، فقال الإمام : ليس فى هذا فقه فأحتال لك ، ولكن اذهب فصل الليلة الـــى الغداة فإنك ستذكره إن شاء الله ، ففعل فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى تذكر الموضع الذى دفن فيــــه المال ، فجاء الى أبى حنيفة ، فقال له أبو حنيفة : لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تصلى الليل كله ، فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى !

عشـــية المغفرة

قال ابن المبارك جئت الى سفيان الثورى عشية عرفة ، وهو جاث على ركبتيه ، وعيناه تهملان ، فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالا ؟ قال الذى يظن أن الله لا يغفر له .

الخوخـــــة

وعندما يستعمل العامى هــــذه الكلمة لا يقصد بها تلك الفاكهة الشهية التى نلتهمها ، وإنما يطلقها على بوبية صغيرة فى وسط الباب الكبير ، وبهذا المعنى نفسه وردت فـــى الحديث : أوجدوا كل الأبواب الا خوخة أبى بكر .

إحصائية الحجاج الوافــدين للعشر سنوات الأخيرة

	سنة القدوم	عدد الحجاج
١	١٣٨٢ هـ	١٩٩٠٣٨
٢	١٣٨٣	٢٦٦٥٥٥
٣	١٣٨٤	٢٨٣٣١٩
٤	١٣٨٥	٢٩٤١١٨
٥	١٣٨٦	٣١٦٢٢٦
٦	١٣٨٧	٣١٨٥٠٧
٧	١٣٨٨	٣٧٤٧٨٤
٨	١٣٨٩	٤٠٦٢٩٥
٩	١٣٩٠	٤٣١٢٧٠
١٠	١٣٩١	٤٧٩٣٣٩

شجرة الـــدر

أرملة الملك الصالح ، اعتلت عرش مصر بعد وفاة زوجها ، ولها دورها البارز فى القضاء على الصليبييـــن وهى مملوكة ، رفض كثير من الأمراء أن تولى عليهم امرأة ، فتزوجت الأمير عز الدين أيبك ، ثم تنازلت له عـــن الحكم ، لكن خلافا عائليا نشب بين الزوجين ، وحاول الزواج بغيرها .. استدرجته الى الحمام وقتلتـــه هى وغلمانها ، لـــــكن أمراء المماليـــك يعتقلونهــــا ، ويقتلها الجـــوارى (بالقباقيب) .

الحضارة الإسلامية بين الحضارات

للدكتور وهبه الزحيلي

تهيمن الحضارة العالمية الحديثة بخيرها وشرها ، بعطائها واخطائها ، على الأفكار والثقافة ، والحياة والواقع الاجتماعى ، حتى كاد الإنسان لا يفكر بغيرها ، أو ينتظر بديلا عنها ، أو يتطلع الى مصحح لعيوبها وانحرافاتها ، مع أن الإخلاص للإنسانية وللحضارة ذاتها يقتضى معرفة محاسنها ومساوئها ، وما يمكن أن تقوم به حضارة أخرى من دور بناء إيجابى فى رفد البشرية بمقومات الخلود والثبات والأمن والاستقرار .

ونحن بدورنا كجزء كبير من هذا العالم نستطيع المساهمة فى توجيه الحضارة وجهة أسلم وأقوم ، أو على الأقل محاولة إقامة حضارة ذاتية تتطلبها أمتنا فى العصر الحاضر لتتمكن من إثبات ذاتها ، وتوفير البرهان العملى على مدى صلاح هذه الحضارة ، وجدارتها بالوجود والتنافس الشريف .

ويمكننى إلقاء الأضواء الكاشفة عن مقومات الحضارة الإسلامية المتميزة بسماتها البارزة ، وخصائصها الواضحة التى تخلق منها وحدة شخصية تامة ذات معالم مستقلة عن غيرها فى أساس الحضارة ، وغايتها ، ومبادئها ، مع التنويه لما يوجد بينها وبين غيرها من قدر مشترك يحتمه الواقع ، وتدفع اليه الحاجة ، ويمليه المنطق ، وتقتضيه المصلحة .

إن أساس حضارة الإسلام ليس هو تمجيد العقل ، كما كان الشأن عند الاغريق اليونان ، ولا تمجيد القوة وبسط النفوذ والسلطان ، كما كان عند الرومان ، ولا الاهتمام باللذات الجسدية والقوة الحربية والسطوة السياسية كما هو الأمر عند الفرس، ولا الاعتداد بالقوى الروحانية كما عند الهنود وبعض الصينيين ، ولا الافتتان بالعلوم المادية ، والاستفادة من ذخائر الكون ، وبالمادية الطاغية كما هو منهج الحضارة الحديثة المتوارثة عن اليونان والرومان .

وإنما أساس حضارتنا هو فكرى — علمى — نفسى يشمل جميع شعب الحياة الإنسانية فكرا وعملا ، وعلما وعقلا ، وروحا ومادة ، وشخصية واجتماعية ، وإنسانية عامة . وبهذا كانت حضارة الإسلام مستقلة كاملة ذات دستور محدد شامل ، تختلف به اختلافا جذريا عن مبادىء الحضارة الغربية ، وتصطرع معها ، كما تصارعت مع الحضارات القديمة الرومية والفارسية والهندية والصينية ، فصرعتها بسبب سيطرة الدين على القوى الفكرية والعملية فى متبعيه ، ولقوة روح الجهاد والاجتهاد والعلم فيهم ، وتهيأت لهم الغلبة من الناحيتين الانسانية والمادية لأن الإسلام لا يعادى العلم — طريق الحضارة ، وإنما يضع له المنهج الملائم لمبادئه .

وإذا كان التقدم الحضارى بحق بوسائله المدنية المختلفة ليس مقصودا لذاته ، ولا غاية فى نفسه ، فان غاية الحضارة الصحيحة تحقيق السعادة النفسية والطمأنينة القلبية، والتوصل الى ما هو خير ونافع ، والبعد عما هو شر وضار .

لكن الحضارة الحديثة لم تحقق هذه الغاية المنشودة ، وإنما أدت الى القلق والاضطراب ، وطحن الإنسان فى حمى المادية الطاغية ، والبعد عن

الخلق والفضيلة والدين ونحوها من القيم الإنسانية .

وأما الحضارة فى تقدير الإسلام ، فغايتها الأولى تحقيق الطمأنينة والسلام والامن ، وإقامة المجتمع الفاضل ، وإسعاد البشرية بما هو خير ، ومحاربة كل عوامل الشر ، بالإضافة الى الرفاه المادى . والامن والرفاه غايه حضارتنا موجبان للشكر وتقدير النعمة بدليل مضمون سورة قريش : « لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى اطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف » فالإطعام بعد جوع ، والأمن بعد الخوف هما عنصرا الحياة الكاملة اللذان حققهما الله للمسلمين .

وبما أن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه ، فلا يصح أن يتخذ المرء فى حياته غاية سوى ابتغاء مرضاة الله مصدر الأمن ، وهى الغاية السامية التى تتخطى مجرد طلب اللذات الحسية ، أو الغايات المادية الدنيئة ، وتحقق الانسجام والتوافق بين الفطرة الإنسانية والغاية العقلية ، كما أنها تهيىء التجاوب والانسجام الشامل فى افكار الإنسان وخيالاته وإراداته ونياته وعقائده وأعماله وحركاته .. وهذا يعنى أن غاية حضارتنا إعداد الإنسان للسعادة الأخروية المتوقفة على العمل الصالح فى الحياة الحاضرة فى نطاق الدين والدنيا معا.

إذليس الإسلام دينا روحانيا يعزل اتباعه عن الحياة ، ولا ماديا صرفا يوقع الناس فى اوحال الدنيا ، وإنما هو يعتبر الدنيا وسيلة ومزرعة للآخرة ، ولا تعنى الوسيلة أنه دين تقشف ، فلا يكون دين حضارة ، فالتقشف والزهد فى الاسلام هدف اخلاقى رفيع يتفاعل مع الحياة ، ويصرف المرء عن التكالب على متطلبات العيش ، ويوحى بضروره التزام مبدأ القناعه الشريف الذى لا يؤدى الى مصادمة الاخرين ، وإيقاد نار المنازعات والشرور ، فللجماعة والافراد حق مشترك فى الاستفادة من معطيات الحياة ، وتهيئة بيئة تكافؤ الفرص . وليس معنى التقشف الإعراض عن الطيبات والمكاسب المشروعة ، وإنما معناه اجتناب التهالك على الرفاهية ، التى تؤدى الى الفساد ، كما ادت بالمسلمين فعلا الى ضياع مجدهم ، وملكهم فى أواخر عصر الدولة العباسية وفى شمالى أفريقية وبلاد الأندلس .

إذاً فالإسلام فى حقيقته مصدر الحضارة الإنسانية التى شع نورها بامتداد الدعوة الإسلامية بعد الاستقرار فى المدينة ، وبناء الدولة فيها عقب اكتمال بناء الفرد فى مكة ، وذلك لأن الإسلام هو دستور التقدم الإنسانى بالقرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة . فكل ما يعد تقدما وعمرانا هو من الإسلام ، وكل تخلف مضاد للتقدم ليس من الإسلام فى شىء . لذا يخطىء الكاتبون سهواً الذين يريدون التوفيق بين الإسلام والحضارة ، كأنهما أمران متغايران أو ضدان ، إذ لا خلاف مطلقا بين الإسلام والحضارة ، فالحضارة نتيجة من نتائج النظام الإسلامى والفلسفة الإسلامية التجريبية العملية .

والإسلام أب الحضارة ، وراعيها يتقبل منها قديما وحديثا كل ما ينفع ، ويرفض كل ما يضر ، لأن « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها » ولأن الانتقاء والاصطفاء عن عقل

وتمييز هو من صلب تعاليم الإسلام التى تقر الاعراف الصالحه وتنبذ العادات والتقاليد الفاسده ، أو المعارضة لمبادىء التشريع ونصوصه القطعية الهادمه لما هو تمر فى ذاته . وليس أدل على ذلك من ان الإسلام تبنى ما كان صالحا من حضارات البلاد التى فتحها فى الشام ومصر وبلاد الروم والفرس ، وضم المسلمون الى ساحتهم كل مخلفات الحركة العلمية لدى اليونان فى مجال العلوم الطبيعية والطبية والرياضية ، ثم أضافوا اليها معارف ومكتشفات جديدة صبوها فى أبهى قالب فى بلاد الأندلس التى كانت مصدر الحضارة الحديثة .

فليس دور المسلمين مجرد تلقى لما عند الآخرين ، كما زعم المغرضون ، وإنما كان لهم مشاركة إيجابية بناءة حققت لهم أرفع معانى العزة والسيادة والسبق الحضارى . وهكذا كان المسلمون فى كل عصر مصدر إشعاع لكل تقدم وخير ، وكانوا سباقين للمعالى : « فاستبقوا الخيرات » « يسارعون فى الخيرات » والقدوة الطيبة للفضائل والمكارم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » وقادة العلم والتثقيف والتوجيه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

والآن مع الأسف حيث صرنا فى حالة ضعف ، وكلمة الضعيف لا تسمع ، ولو كانت حقا وعدلا ، شوهت حضارتنا ، وزيفت معالمها ، وسرق محتواها ، وتشكك الناس فى مبادئها ، فلم يعد أمامنا إلا محاولة استعادة قوتنا المادية ، ولكن على أساس صحيح من هدى الإسلام .

ولا شك بأن المبادىء هى القيم الخالده الباعثه التى تنبه الراقدين وتوقظ الغافلين ، وتهدى الى الطريق المستقيم ، دون ان تحجبها مظاهر الضعف والتخلف ، وأحوال الانحطاط التى تتعرض لها الامم فى بعض الادوار التاريخية . ومبادئنا الحضارية ما تزال هى المشعل الوضاء التى نستنير بهما ، وتدفعنا نحو متابعه الخطا ، ودوام العمل والكفاح وإعمال الإرادة والفكر

وأهم مبادىء أو خصائص الحضارة الإسلامية ما يأتى :

١ ـ مبدأ التوحيد (الألوهية والربوبية) : إن أبرز صفة حضارية للاسلام أنه دين توحيد الألوهية والربوبية أى أن الإله المعبود بحق هو الله سبحانه لا شريك له ، والناس جميعا متساوون فى الانتماء اليه والاتجاه الى عظمته من دون واسطة بشرية . وهذا الإله هو الحاكم المطلق الذى يسن للناس التشريعات والقوانين ، وما على المسلم إلا أن يتبع أوامر الله وينفذ التشريع المنزل .

وفى هذا تحقيق السمو الانسانى والارتباط بالأفق الأعلى الذى يشعر الإنسان بكرامته الشخصية ، وأنه لا يستذل لأحد من خلق الله ، فيعمل ويفكر بحرية ، ويتجه فى عمله وفكره لإرضاء مولاه ، بفعل الخير ، وتجنب الشر ، والتخلص من كل مظاهر الوثنية ، سواء فى صورتها القديمة التى تعنى بالتماثيل والأصنام ، أم فى صورتها الحديثة الموجهة نحو تقديس الدولة الحاكمة ، وعبادة الأشخاص ، والتزام تخطيط الأفراد ، حتى فى أحوال الظلم ، وقصد الخراب والدمار .

٢ ــ الصبغة الإنسانية العامة : ليست حضارة الإسلام محدودة المكان ، أو وطنية النزعه ، أو قومية مغلقه على اهلها ، أو طبقية محصورة فى أسره معينة ، وإنما هى إنسانية عالمية واسعة الأفق ، تخاطب أى إنسان فى أى مكان ، وتصلح للانتشار فى أى بقعة أرضية ، وتقيم أخوة إنسانية عالمية : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير » يعم خيرها الجميع ، وتفيد كل امرىء بما تقدمه من علم نافع وعمل صالح لأن « الخلق كلهم عيال الله ، وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله » . وهذا المعنى من أخلاق الله بدليل أنه يرزق الكافر والمؤمن ، ويمنح المواهب من يشاء ، وحينئذ تتفتح العبقريات فى كل شعب وفى كل زمان ومكان .

وإذا كان العطاء الإلهى عاما ، وجب أن يكون النتاج الحضارى عاما لا حكراً على أناس دون غيرهم ، لأن رائد الحضارة الأصيل هو إسعاد البشرية جمعاء ، وصعيدها العدل والحق والخير والكرامة . وهذه هى حقيقة تعاليم الإسلام التى تنفر من كل فكرة استعمارية أو نظرة إقليمية أو قومية ضيقة ، أو عصبية أو طائفية ، باعتبار أن روح الإسلام عالمية لا تعرف التعصب إلا للخير العام وفى سبيل الصالح العام ، ومن أجل إقرار الحق : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . . » « ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون » .

٣ ــ النظرة الشاملة للإنسان والحياة : لقد تبين من تاريخ الحضارة أن كلا من الروحية البحتة أو المادية البحتة وحدها لا تصلح أن تكون سبيلا لسعاده الإنسان ، فليس فى مسلك الروحية البحت سوى التخلف وتعطيل الإراده والتفكير وطاقات العمل ، وقتل آدمية الإنسان ، وخسارة منافع الكون ، وتضييع حكمة الخالق من خلق العالم . وكذلك ليس فى مسلك المادية البحت سوى الطغيان والظلم والاستعباد والذل ، والتحكم الغاشم بالأرواح والأموال والأعراض .

أما حضارة الإسلام الخالدة ، فقامت على أساس الجمع أو التوازن بين المادية والروحية الإنسانية ، فتصبح الروحية المهذبة أساس المادية المهذبة ، وعندها ينعم الإنسان بالإرادة والحرية والتفكير ، وثمرة الجهود والعمل ، فى إطار من الإيمان والأخلاق القائمة على العدل والأمن والاستقرار والرحمة والمحبة . وبهذا العنصر الإنسانى تميزت حضارة الاسلام التى سبقت كل الحضارات القديمة والحديثة ، كما أنها تميزت بامتداد جذورها الى جميع نواحى الحياة الجديرة بالاعزاز ، والمحققة لسعادة الإنسانية . قال الله تعالى واصفا جوهر رسالة النبى صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وأما المرتكزات الحضارية المادية من تفكير وإرادة وتضحية وعمل فقد حوتها آية أخرى وهى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

٤ ــ رسالة الأخلاق : إن سياج الحضارة الإسلامية هو الدين والأخلاق ، فمبادىء الأخلاق تتدخل فى كل نظم الحياة ، وفى مختلف أوجه

نشاطها ، سواء فى السلوك الشخى ، أم فى السلوك الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى من المحال إقامة النظام الصالح أو المجتمع الفاضل من دون أخلاق ، كالصدق والإخلاص والأمانة والعفاف ، ومحاسبة النفس ، وإيثار الحق ، وعلو الهمة ، والسخاء ، والتضحية ، والشعور بالواجب ، والصبر ، والاستقامة ، والشجاعة ، واتباع النظام ، وإتقان الأعمال . فهذه القيم ونحوها أوثق مؤيد ، وصمام أمان يكفل دوام الحضارة ، ويمنع انحرافها وتعثرها ، بدليل قيام الحضارة الحديثة عليها فى مبدأ الأمر ، وتعرضها للإفلاس والانهيار فى شرخ قوتها عندما طغت عليها الصفة المادية .

٥ ــ دور العلم : أقام الإسلام حضارته الرفيعة على منهج العلم والمعرفة ، والعقل والبحث ، والتجربة والاستنباط ، تقديرا منه لحيوية العلوم فى بناء الدولة والمجتمع . فابتدأ بالقضاء على الجهل والأمية ، والتنديد بالتقليد الأعمى ، ثم أشاد بالعلم والعلماء فى مختلف الاختصاصات الشاملة لكل إدراك يفيد الإنسان فى القيام برسالته فى الحياة : وهى تعمير الأرض ، والاستفادة من خيراتها وكنوزها ، كما يرشد اليه إطلاق النصوص القرآنية : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، « وقل : ربى زدنى علما » ، « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وكان حب العلم لذاته هو خلق العلماء القدامى ، دون التفات لمكسب مادى أو مغنم أدبى رخيص ، أو بقصد الشهرة وإذاعة الصيت . ولم يجعل العلم وسيلة للمعاش إلا فى عصور التخلف ، وفى أوقات الحاجة المهيمنة الآن الى كسب الرزق . وما أجدرنا أن يكون الدافع ذاتيا الى تعلم العلوم الحديثة وكل منطلقات التقدم التقنى فى الزراعة والصناعة والاعداد الحربى ، وأن تهيىء الدولة كل المناخ الملائم لتطبيق النظريات العلمية الحديثة ليطلع فجر الحضارة الإسلامية من جديد ، وتمتلىء الحياة بالمجالس والمناقشات والأبحاث العلمية والتطبيقية ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له طريقا الى الجنة » .

٦ ــ الحفاظ على الشخصية الذاتية : إن الأخذ بأسباب الحضارة المرتقبة لا يعنى ضياع الشخصية الإسلامية ، وإهدار المقومات الذاتية، فلقد استفاد المسلمون فى الماضى من حضارة غيرهم مع طبعها بطابعهم الشخصى ، والمحافظة على القيم الإسلامية . واستطاع اليابانيون مثلا بعد سنة ١٨٦٨م فى مدة ستين سنة بناء حضارة جديدة تضاهى حضارة الغرب وتنافسها ، ولكن مع الميل الدائم الى الرجوع الى الماضى ، ومع التمسك الشديد بالقومية .

والاعتماد على الذات أو توليد الذات بتعبير المفكر محمد إقبال ، والرجوع الى حقيقة الإسلام الأولى هو الطريق الوحيدة التى تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم ، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حى حر لبناء حضارة إسلامية لها فلسفتها ومعالمها المستقلة . أما الاصرار على جعل المدنية الغربية طريقا لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة فهو تشكيك للنفوس ، وقتل للمعونيات ، وإهدار للجهود ، ودعم للزعم القائل بعدم كفايتنا ، وإبقائنا عالة على غيرنا ، دون أن نستطيع

مواجهة الغرب ، فضلا عن مناهضته ومغالبته .

٧ ـ الاعتصام بالحق والخير : الإسلام دين الحق كما عرفنا ، وطريق الدعوة الى الخير ، وحضارته تقوم على مبدأ مناصرة الحق والعدل، ومكافحه الباطل ، وعمل الخير ، وقمع الشر ، فلا ظلم ولا هضم للحقوق ، ولا إنتاج إلا للخير ، ولا ابتكار لما يضر ولا ينفع . وإحقاق الحق وتثبيته يتطلب تخطيطا وثباتا وقوة وتفانيا ، والخير الذى يشمل كل أنواع الرقى المادى والمعنوى لا يتوفر بدون تعاون الفرد والجماعة والحاكم والمحكومين ، والأمة بكاملها وأما الباطل فيمثل ألوان البغى والمرض الفكرى والعملى ، وأما الشر فيمثل كل مظاهر الانحراف والشذوذ والتخلف .

٨ ـ الإيمان صمام الأمان : الإيمان فى مفهوم الحضارة الاسلامية هو الذى يقيم قواعدها ، ويميز عناصرها الصالحة من الرديئة ، وينفخ فيها الحياة الرطبة ، ويهبها من ذاتيته المجد ، ويرعاها صغيرة ، وغوائل الهدم والدمار ، وليس الإيمان مجرد عقيدة قلبية أو ديانة شخصية ، وإنما معناه الإسلام بكامله ، والإسلام نظام متكامل للأخلاق والمدنية والاجتماع والاقتصاد والسياسة ، فهو الذى تتوقف عليه أخلاق الأفراد وأعمالهم وسيرتهم فى الحياة ، وهو الذى يوحد الأمة ويحفظ جهودها ، ويحافظ على وجودها وحضارتها . وكلما تقوى الإيمان قويت الحضارة ، وكلما ضعف الإيمان ضعفت الحضارة . وبقدر سيطرة تعاليم الإسلام على المجتمع بقدر ما يكون ازدهارها فى المجال الحضارى .

وإذا كنا نجد الآن خلاف كل هذا فى مجتمعنا ، تبين لنا بحق سبب تأخر المسلمين الذى يضم الفساد الخلقى ، والتفوق الاجتماعى ، والترف المعيشى والتقهقر الاقتصادى، والتمزق السياسى ، وإمعانا فى بقاء هذه الحال مع اشد الأسف نرى الاتجاه العام يسير نحو عزل الإسلام عن الحياة والعلم والثقافة ، سيرا وراء النواعق التى تنعق بأن الاسلام لا يستوعب الحضارة المعاصرة ، ولا يتمشى مع متطلبات القرن العشرين ، أو جهلا بحقيقة الاسلام ، او ضعفا واستكانة وخشية من ظهور العملاق الجبار الذى يحطم مصالح الاستعمار وأذياله ، أو مشاركة فى الخيانة المفضوحة أو المقنعة لإبقاء حالة الضعف القائمة ، وتأمين مصالح الرؤوس الكبيرة والدول العظيمة !! ولكننا ما زلنا نؤمن بأن النصر والمستقبل سيكون لدولة الحق ، والإسلام المشرق بحضارته الوضاءة، لما نجده فى النفوس من بقية طيبة من الإيمان والالفة والعزة والحمية والغيرة ، ولما نعيشه من واقع مؤلم تتوالى فيه الضربات ، والطعنات ، وتدمى منها القلوب والحناجر والصدور ، وتهتز الأرض من تحت الارجل ، وتتهدد العروش والكراسى باحتلال الغاصب ، وظلم المستعبد ، ونار المستغل .

ولن يعود مجد الإسلام وحضارته إلا بالثقة بالنفس ، ودفن العجز واليأس والقنوط ، وتغيير ما فى الصدور : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

لا تحزن .. إنّ الله معنا

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما ـ واللفظ للبخارى ـ قال البراء :

اشترى أبو بكر رضى الله عنه من عازب رضى الله عنه رحلا بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بكر رضى الله عنه لعازب : مر البراء فليحمل الى رحلى ، فقال عازب : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة ، والمشركون يطلبونكم ، قال : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة ، فرميت ببصرى هل أرى من ظل ؟ فآوى اليه : فإذا صخرة أتيتها ، فنظرت بقية ظل لها فسويته ثم فرشت للنبى صلى الله عليه وسلم فيه ، ثم قلت له : اضطجع يا نبى الله ، فاضطجع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلقت أنظر ما حولى ، هل أرى من الطلب أحدا ؟ فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه الى الصخرة ، يريد منها الذى أردنا ، فسألته فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ قال : لرجل من قريش ، سماه ، فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلت : فهل أنت حالب ؟ قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال هكذا : ضرب إحدى كفيه بالأخرى ، فحلب لى كثبــة من لبن ، وقد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اداوة على فمها خرقة ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، فانطلقت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فوافقته قد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : قد آن الرحيل يا رســـول الله ؟ قال : بلى . فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : هذا الطلب قد لحقنا يا رســول الله ؟ فقال : لا تحزن إن الله معنا ..

وفى رواية مسلم : « فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وســلم فارتطمت فرســه الى بطنهــا فقال : قد علمت انكما قد دعوتمــا عــلى فادعوا لى ، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب ، فدعا الله فنجا ، فرجع لا يلقى أحد إلا قال : قد كفيتكم ما ههنا ، فلا يلقى أحدا إلا رده ، قال : ووفى لنا » .

وفى لفظ مسلم : « فلما دنا دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخ فرسه فى الأرض الى بطنه ووثب عنه ، وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن يخلصــنى مما أنا فيــه ولك على : لأعمين على من ورائى ، وهذه كنانتى فخذ سهما منها فانك ستمر على إبلى وغلمانى بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك . قال : لا حاجة لى فى إبلك » .

الأخلاق

الوضعية

للأستاذ سعيد زايـد

تتضمن الأحكام الخلقية تقديرا لأفعال الناس ، فنحن عندما نصف فعلا ما بالحسن أو بالقبح ، بالخير أو بالشر ، فاننا بذلك لا نشرح كيـف وقع هذا الفعل ولا كيف تم ، وإنما نعبر عما له من قيمة فى نظرنا . فكل تقدير لفعل ما يفرض وجود شعور فى أنفسنا يدفعنا الى الحكم على هذا الفعل ، وذلك سواء احتفظنا بهذا الحكم فى ضمائرنا أو عبرنا عنـه بالكلام ، أو بأية وسيلة أخرى من وسائل التعبير .

ويفرض التقدير الخلقى من ناحية أخـرى أن لدينا قاعدة خلقيـة هى بمثابة مثال نقيس عليه الفعل وعلى حسبـه نحكم عليه ، وهـذه القاعدة الخلقية عبارة عن العواطف والميول والنزعات التى تعبر عنهـا الأحكام الخلقية .

أما حد التقدير الأخلاقى فانه الذى يؤثر على مضمون الأخلاق ، فهو الذى يميز اى الأفعال وأى الأنواع من وجهة نظر الحياة وصورها ، ينبغى أن تسمى حسنة أو قبيحة . فالقاعدة إذن هى المبدأ الذاتى فى الأخلاق ، أما الحد فمبدؤه الموضوعى .

وتتوقف طبيعة التصور الأخلاقى على القاعدة التى يفرضها هذا التصور ، وعلى الحد الذى يصطفيه ، ثم على النسبة بينهما . ومع ذلك ، فان بعض الناس يصدرون أحكامهم الخلقية دون بصر بما تستلزمه هذه الأحكام من مبادىء ، فالبصر بالمبادىء من خواص الوعى الراقى الذى يستيقظ بفضل التأمل والتفكير والشك .

وقد جرت العادة على الا يقتصر على إصدار أحكام خلقية خاصة بالحسن والقبح ، أو الخير والشر ، على من يتصف بيقظة الفكر والنظرة العلمية ، ولكننا أمام ذلك لا ينبغى أن نعتبر كل حكم غير صادر من هؤلاء حكما غير صحيح ، فهناك أحكام لها صحة شخصية وأهمية عملية تفيض دائما عن شعور وميل قويين لا يدعان لصاحبهما راحة إلا بعد التعبير عنها .

ومن مظاهر الحياة النشطة المملوءة بالحيوية الا نضطر إلى الذهاب مذهبا بعيدا مع إجهاد الفكر فى البحث عن مبادىء لما نحن مقبلون على تقريره فى أمورنا الهامة ، بل ينبغى أن تكون طبيعتنا هى التى تعمل وتحدد ، ولا نقف عند الحجج التى ننتهى إليها فى ساعات الفراغ ، فالحياة الجارية لا تدع لنا فى كل المناسبات وقتا للتفكير والتأمل بل تستلزم ، عادة ، إظهار الحكم الأخلاقى فى لحظة عارضة خاطفة .

وحتى على فرض أن تفسح لنا الحياة الوقت الكافى والقدرة على التفكير ، فلا نأمن ألا تكون ميولنا ومشاعرنا هى التى تقود الفكر — بدون وعى — الى ما تنزل إليه ، وذلك بدلا من أن تسير فى أثره وتتبع أمره ونهيه . فقد هدم علم النفس — منذ زمن طويل — القول بأن العقل هو الذى يتولى فينا السلطان القاهر ، إذ كثيرا ما يسير وراء الميول . فان صح أن يكون العقل الخالص هو الذى يظهر فى مجال الرياضيات والمنطق ، فلا بد أن نعترف بأن صوته من الضعف بحيث لا يكاد يسمع فى أكثر الامور المتعينة . واكثر من ذلك يصح لنا القول بأن التفكير والنقد فى هذا المجال يحتلان جانبا خطيرا فيصبحان مضرين ، فهما يسلباننا الثقة والسكينة الغريزية التى نستفتح بها منهجنا فى الحياة ، وحتى إذا لم يشلنا الفكر بما يثير من شكوك ، فانه بلا شك يوهن من قوانا ، فلا نستطيع أن ننطق بأحكامنا بنفس الاطمئنان ، بل ربما توقفنا فى الحكم حين تبدو لنا استحالة الوصول إلى قرار فاصل .

فالأحكام الخلقية لا تسير على منهج التطلع والمعرفة النظرية ، فهى فى الواقع ليست مجرد ظواهر انفعالية ، بل هى تفعل فى شعور

الشخص الذى يصدر الحكم ، كما تفعل لدى غيره من الناس فعلا ذا أثر كبير ، وهى أحكام ليست مسببة فحسب ، بل قد تصبح هى نفسها أسبابا محركة .

ويظهر هذا بوضوح إذا تجاوزنا حيز الفرد ، ذلك أن مشاعر الفرد وميوله تقررها طبيعة النوع بأكمله وظروفه الحيوية وتقاليده ، فالفرد يتلقى عن النوع كثيرا من قواه وغرائزه . وبعد ذلك يدفعه تعليمه ، من حيث هو عضو فى أسرة وشعب ودولة ، إلى جو عقلى معين تعرض له فيه عادات وميول ونزعات وواجبات يتلقاها عن غير إرادة ، وينزلها منزلة التفكير والوزن والاختيار .

فطريقة الفرد فى التفكير والشعور والفعل طريقة موروثة عن الأجيال السابقة ، وغرائز الشعب وعاداته المتداولة أو تقاليده ، والمحاكاة والممارسة من غير إرادة ، هى قاعدة الأخلاق عند الفرد قبل أن يتدخل تفكيره فى ذلك .

وإرادة الفرد متجهة ، دون أن يشاء ذلك ، إلى جهات معينة ، وهذا الاتجاه غير الارادى لها هو الذى يقرر مصالح حياته وقواها ، وهذه الأخيرة هى التى تقرر احكام الفرد فى الحسن والقبح أو الخير والشر .

فالفضائل تولد قبل أن تكون لها اسماء وقبل أن تقوم مقام الوصايا، وذلك بأنه فى الأحكام الخلقية وفى المظاهر الانفعالية القوية التى نعبر بها عن تقدير لقيمة الأفعال الانسانية ، ليس لدينا التعبير عن فكر الفرد المعين فحسب ، ولكن أمامنا نتيجة تجارب النوع بأكمله ، والفرد لا يصنع بنفسه أخلاقه .

ويدل اسم الأخلاق الوضعية على الأخلاق الواقعية الفعلية للنوع والحياة ، وهى تظهر فى الأحكام وفى المبادىء الجارية التى ترتدى ثوب الأمثال ، وقد تكون مظاهر دائمة للحكمة العملية لأمة ، أو لشعب ، أو لجماعة دينية ، وقد تتمثل فى الرأى العام فيكون وجودها قصيرا نسبيا . وتظهر هذه الأخلاق أيضا عند أهل القدوة ، مثل أصحاب الديانات والأبطال وواضعى الشرائع وغيرهم ممن يعتبرهم الناس رمزا ساميا للانسانية الصحيحة ، ويحتوى التشريع الوضعى نفسه على جانب من هذه الأخلاق ، ولذلك يظهر الغضب وأحيانا الثورة من الرأى العام ضد أى تصرف مخالف لها . وقد يأخذ رد الفعل صورة التعويض أو التكفير وما إلى ذلك مما تستلزمه التهدئة ، ويسمى هذا باسم الجزاء . والجزاء الأخلاقى هو كل ما يستحق على فعل يرتضيه الضمير ، وجاء وفق الفضيلة .

فالفضيلة هى الخلق الطيب ، وهى عادة الإرادة ، والانسان الفاضل هو من حباه الله خلقاطيبا فعمل وفق ما تأمر به الأخلاق ،

فالفضيلة صفة نفسية واجهتها الخارجية هى الواجب ، فمن يؤدى الواجب يكون حائزا على الفضيلة . وصاحب الفضيلـــة هو من يعمل الخيـــر ويتحمل المشاق فى سبيله .

وتختلف الفضائل بالنسبة إلى الأمم من حيث الأهمية ، فاذا كانت الشجاعة أهم فضيلة فى الأمة المحاربة ، فان العدل خير فضيلة فـــى الأمة الآمنة ، والأمانة خير فضيلة فى الأمة التى تعتمد فى اقتصادها على الصناعة . وهكذا يختلف ترتيب الفضائل فى الأمة الحاكمة عنه فى الأمة المحكومة ، وفى الأمة المتمدينة عنه فى الأمة البدوية .

ومفهوم الفضيلة الواحدة أيضا يختلف باختلاف الأزمنة والعصور ، فاذا كان اليونان القدماء يفهمون الشجاعة على انها الصبر على تحمل الآلام الجسمية ، فان العصور الحديثة قد فهموها بشكل أعم حتى انها شملت التعبير عن الرأى من غير خشية ، ويمكن القول بأن فضيلة العدل قد تطور مفهومها حسب تطور الأمم عقليا واجتماعيا .

وتختلف الفضيلة باختلاف حالة الفرد وعمله ، ففضيلة الكرم مهمة عند الغنى وليست لها نفس الأهمية عند الفقير ، وتختلف فضائل المسن عن فضائل الشاب ، وترتيب فضائل المرأة عن ترتيب فضائل الرجل ، وتتباين فضائل العالم عن فضائل التاجر .. وهكذا .

ولكن مهما كان الأمر فان كل انسان مطالب بفضائل عامة كالصدق والعدل والرحمة والغيرة وإنكار الذات وحب الخير والتضحية فى سبيـــل الوطن .

وهناك بعض الفضائل تعد أشمل من غيرها ، فالعدل يشتمل على الأمانة وتدخل الأمانة فى مفهومه . وتنضوى القناعة تحت العفـــة . وتتولد بعض الفضائل من فضيلتين أو أكثر ، فالصبر ينتج من العفـــة والشجاعة ، والحذر يتولد من العفة والحكمة .

وقد ذهب سقراط إلى انه لا فضيلة إلا المعرفة ، فالانسان لا يعمل الخير إلا إذا عرف ما هو الخير ، وكل عمل يصدر عن غير علم بالخيـــر فلا يعد خيرا ولا فضيلة ، فالعمل الخير لا بد أن يكون مؤسسا على العلم ومنه ينبع ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فان علم الإنسان بخيرية الشىء هو الدافع الحتمى على عمله ، وكذا معرفتـــه بضرر شىء هـــو الدافع الحتمى على تركه . ولا يوجد إنسان يعمل الشر وهو عالم بنتائجه فكل الشرور ناشئة إذن عن الجهل . ذلك ان كل إنسان خير بطبيعته ، يقصد الخير لنفسه ويكره لها الشر . ومن المحال أن يفعل الإنسان الضرر وهو عالم به فالخطأ منشؤه الجهل ، فاذا عرف الشرير نتائج عملـــه السىء أقلع عن هذا العمل ، وإذا عرف نتائج الأعمال الحسنة تعود على فعل الخير ، فالإنسان الصالح هو الذى يعلم ما يجب عليه ، والملـــك الصالح هو الذى يعرف كيف يحكم الناس حكما عادلا .

فسقراط — إذن — يرى انه ليس هناك فى الحقيقة إلا فضيلة واحدة هي المعرفة أو الحكمة وكل ما عداها من الفضائل مظاهر لها فالشجاعة والعفة والعدل وما عداها من فضائل ليست الا مظاهر للمعرفة .

ورأى شيخ الأكاديمية الفيلسوف افلاطون أن الفضيلة الحقة هى العمل الخير الذى يصدر عن علم بما هو الحق ولم كان هو الحق ، فهى ليست مجرد عمل الحق ، إذ أن العمل الحق قد يصدر عن أساس باطل .
وقسم افلاطون الفضيلة إلى : فضيلة فلسفية ، وفضيلة عادية ، والأولى هى العمل الخير الذى أسس على العقل ، وصدر عن مبدأ اعتنق بعد تفكير ، أما الثانية فهى العمل الخير الذى نشأ عن عرف أو عن شعور طيب ، ولذا فانها تسمى فضيلة العامة ، يعملون الخير لأن الناس يعملونه من غير تفكير فى علة خيريته ، فهى تشبه — فى رأى أفلاطون — فضيلة النمل والنحل ونحوهما فهى تعمل أعمالا طيبة لا على علم .
ويستطيع الانسان أن يرقى الى الفضيلة الأولى أى الفضيلة الفلسفية بعد أن يمر بمرحلة الفضيلة العادية أو فضيلة العامة ، ولا يأتى ذلك عن طفرة بل بممارسة العلم والفهم .

ورأى افلاطون أن الفضائل تخضع لأصول أربعة ، هى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ففى الإنسان قوى ثلاث هى : القوة العاقلة ، والقوة الغضبية ، والقوة الشهوية أو البهيمية . فاذا اعتدلت القوة العاقلة نشأ عنها فضيلة الحكمة ، واذا اعتدلت القوة الغضبية نشأ عنها فضيلة الشجاعة ، وإذا اعتدلت القوة الشهوية نشأ عنها فضيلة العفة ، وباعتدال الفضائل الثلاث تنشأ فضيلة العدل ، إذ أن العدل هو الذى تتصف به النفس عند اداء هذه القوى الثلاث وظائفها باعتدال ، وتعاون كل قوة مع الأخرى .

وذهب أرسطو إلى أن جماع الفضائل هو « خضوع الشهوات لحكم العقل » أو « تسليم زمام الشهوات للعقل يقودها » . فالفضيلة لها عنصران : العقل والشهوة ، فلا بد من شهوة أولا كى تضبط وتكون الفضيلة ، فمن يزهد ويقتلع شهوته من جذورها إنما يضيع فضيلته ، فالفضيلة شهوة موجودة فى الإنسان يضبطها العقل ، أو هى فضيلة معتدلة . فهناك طرفان ينبغى تجنبهما : أولهما محاولة استئصال الشهوات ، والثانى إرخاء العنان لها ، والفضيلة هى الاعتدال بحيث لا تطغى الشهوات على العقل ، ولا يطغى عليها فتستأصل ، ومن هنا ظهرت نظرية الأوساط عند أرسطو ، فكل فضيلة وسط بين حدين أو بين

رذيلتين : الإفراط والتفريط ، فالشجاعة ـ مثلا ـ وسط بين التهور والجبن ، والكرم وسط بين السرف والبخل ، والعفة وسط بين الفجور والخمود ... وهكذا ..

ونحن إذا تأملنا فى رأى سقراط حين يؤسس الفضيلة على المعرفة نراه محقا فى ذلك فلا يكون الإنسان فاضلا حتى يعرف الخير ويقصد إلى عمله ، ولكنه ليس محقا من الوجه الآخر فقد يعرف الإنسان الخير ويقصد إلى عمله ، ولكنه ليس محقا من الوجه الآخر فقد يعرف الإنسان الخير ويتجنبه ، بل إنه قد يعرف الشر ويأتيه ، فالمعرفة هنا ليست كافية فى حمل الانسان على الفعل ، بل لا بد أن تصاحبها إرادة قوية تخرج المعرفة الى حيز التنفيذ . فعلى حد قول أرسطو فى نقده لسقراط أنه نسى أن نفس الانسان ليست مركبة من العقل وحده بل تشتمل أيضا على العواطف والشهوات ، ولذا فليست كل أعمال الإنسان خاضعة لحكم العقل وبالتالى تكون أعماله أحيانا ليست متفقة مع المعرفة .

وكذلك أفلاطون عندما رأى أن اعتدال القوة العاقلة ينشأ عنه فضيلة الحكمة ، قيل فى ذلك إن الحكمة عندما نفسرها بالمعنى الواسع نراها تشتمل على جميع الفضائل من شجاعة وعفة وعدل ، وغير ذلك من فضائل .. فكل شىء لا بد أن يتصف بالحكمة ليكون فاضلا .

وقد اعترض على أرسطو بأن « الوسط » فى قوله الفضيلة وسط بين حدين ، يفهم منه « المنتصف » ، وليس ذلك بصحيح . فالمنتصف ليس هو المكان الذى تتمركز فيه الفضيلة وليس من اللازم أن تكون على بعدين متساويين من الشرين أو الرذيلتين ، فالكرم مثلا أقرب إلى نقطة السرف منه إلى نقطة البخل وكذا الشجاعة أبعد عن الجبن منها من التهور . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن هناك كثيرا من الفضائل لا تكون أواسط بين حدود ، كالصدق مثلا ، فليس وسطا بين كذب وشىء آخر ، فليس هناك إلا كذب أو صدق ، وأيضا العدل لا يمكن أن نضعه فى وسط جور ورذيلة أخرى ، ولقد شط ابن مسكويه حين وضعه بين الظلم والانظلام فما الانظلام إلا أثر الظلم .

وعلى كل حال فان كثيرا من المحدثين لا يرضيهم هذا التقسيم للفضائل ، ووضعوا لها تقسيمات أخرى فقالوا إنها إما شخصية وإما اجتماعية وإما دينية ، فالأولى هى التى تنظم حياة الفرد وتعادل بين ملكاته وقواه وترقى بها ، والثانية هى التى ترسم حياة الوفاق والمحبة بين أفراد المجتمع ، والثالثة هى ما يأمر به الدين فى كتابه المنزل وسنة رسوله الكريم .



مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ : عبد الستار محمد فيض

التراث الاسلامى فى بيت المقدس

دراسة تاريخية تتناول المعابد الإسلامية وما اليها من المؤسسات والمنشآت التى أقامها السلف الصالح من خلفاء المسلمين وحكامهم وأعيانهم فى مدينة القدس الشريفة وذلك عبر العهود المختلفة مع بيان تفصيلى بأسماء هذه الآثار الجليلة وأسماء الذين شيدوها أو عنوا بها طوال المراحل التى تعاقبت عليها .

وختم الكتاب بمجموعة من الأقوال المأثورة عن المكانة الدينية لهـذه المدينة ومعابدها الاسلامية ، والكتاب يقع فى مائة صفحة ، من تأليف الشيخ طـه الولى وطباعة مطبعة دار الكتب فى بيروت .

دراسات فى مذاهب فلاسفة الشرق

تتمثل أهمية هذا الكتابفى دراسة عديد من مذاهب فلاسـفة الشرق العربى على ضوء منهج جديد يقوم على النقد والتحليل يدعو اليه المؤلف لأول مرة فى تاريخ الدراسات الفلسفية العربية .

وبعد تصدير الكتاب يكشف المؤلف عن دعائم المنهج الجديد الذى يدعو الى أتباعه ، ويحلل الكتاب مجموعة من آراء الكندى ومجموعة من آراء ابن سينا وآراء الغزالى ، والغرض إحياء التـراث العـربى وإعـادة كتابـة تاريخ الفلسفة عند العرب من جديد .

ومؤلفه معروف لقراء (الوعى الاسلامى) بمقالاته وبحوثه وهو الدكتور محمد عاطف العراقى مـدرس الفلسفة بجامعة القاهرة ، والكتاب من مطبوعات دار المعارف بمصر ويقع فى (٢٧٤) صفحة .

دليـل الإمـلاء

ان كل محاولة للتعرف بقواعد الاملاء انما هى لون من ألوان العناية باللغة العربية لغة القرآن والفكر الاسلامى وهذا (الدليل) الذى ألفـه الأستاذ عامر سعيد مدرس اللغة العربية بمعهد المعلمين بالكويت يضم بين دفتيه قواعد الكتابة مع عرض خطة وافية لتدريسها تقوم على أحدث الآراء التربوية والتجـارب الناجحة وهو يهتم برسم الكلمة وبيان السبب فى رسمها وبعد ذلك يستنتج القاعـدة ..

ويشتمل الكتاب على عدد من الموضوعات المنتقاة لم تأت للغاية الاملائية فقط وانما جاءت لتحمل المنفعة الدينية والثقافية كما انه يعالج مشكـلات الاملاء ويعرض الطرق النموذجية لتدريسها وعلاج الضعفاء والمبطئين فيها ، ولم يعمد المؤلف مطلقا الى الاستقصاء والاحاطة وانمـا أوجـز القواعد المطردة التـى تيقن منها بعد ثمرة تجارب ودراسة وتتبع .

والكتاب يقع فى ١٠٠ صفحة ومن نشر مكتبة المنار الاسلامية /بالكويت .

الأذان والمؤذنـون

هذا الكتاب يعرف القراء بسنة الأذان التى أكد عليها الاسلام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثـار المروية ، ويبين تاريـخ مشروعية الأذان والشروط التى يلزم توافرها فى المؤذنين ، وهو من تأليف السيد محمـد الحسينى الجلالـى ، ويقع فى (٥٨) صفحة .

مبدأ المساواة فى الاسلام

كتاب يبحث مؤلفه الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد من الناحية الدستورية مبدأ المساواة فى الاسلام منذ الازمنة القديمة حتى ظهور الاسلام كما أنه تطرق الى موضوع مفهوم هذا المبدأ مع المقارنة بالديمقراطية الحديثة فحدد معنى الاسلام وخصائصه وبين مصادر الأحكام الاسلامية فى العصر الحديث وعرض موقف فقهاء الشريعة القدامى والمحدثين ورجال القانون من مبدأ المساواة .

كما أفرد بابا لبحث مشاكل الرق والمرأة وعقد مقارنة بين المجتمعين الاسلامى والشيوعى وكيف أن مجتمع الشرع الاسلامى حقـق مبـدأ المساواة الواقعية بين الأفراد فكفل الحاجات الضرورية لجميع الأفراد وجعل للدولة التدخل لتحقيق التوازن فى المجتمع واتفق مع الطبيعة الانسانية فى حفاظه على حق الفرد وملكيته فى نطاق مصلحة الجماعة ..

واختتم الكتاب بتوضيح مستقبل مبدأ المساواة والكتاب يقع فى ٣٦٠ صفحة ومن نشر مؤسسة الثقافة الجامعية ٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفـة/ الاسكندرية ـ مصر ..

البعـد الخامس

مؤلف البعد الخامس فنان مسلم ذو ثقافة عريضة متنوعة ، وهـذه اول محاولة لـه فى دنيا المسرح ، والبعد الخامس الذى تـدور حوله المسرحية هو العقيدة التى تحدد القيمة الحقيقية لكل الأبعـاد ، وهـذه المسرحية تتنـاول الأحوال السياسية الراهنة فى كوكبنا الذى نعيش فيه ، وأزمة البشرية فى اطار مجموعة من الأشخاص ، ومؤلفـه الأستاذ أحمد رائف ، وهو من منشورات دار البحوث العلمية بالكويت ويقع فى (٢٢٦) صفحة .

افتراء المستعمرين

الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات

الأستاذ / محمود مهدى استانبولى

من أنواع الحملات التى يتفنن المبشرون والمستشرقون من ذوى الاغراض الماكرة فى شنها على الاسلام لتزهيد المسلمين فيه وابعادهم عنه ليصبحوا نهبا مقسما للفوضى والاضطراب فى التشريع ونظام الحياة ، كى يسهل القضاء عليهم ..

أجل من أنواع هذه الحملات التى يتفنن هؤلاء المبشرون والمستشرقون وأبواقهم المقلدة من ابناء جنسنا ويا للأسف فى شنها على الاسلام .. اختلاق العيوب على كثير من تشريعاته كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات وقسوته فى العقوبات ، ولست فى مجال تعداد مزايا هذه التشريعات واثبات أنها فضائل لا عيوب ، انما أود بيان أن الاسلام ليس وحده الذى أتى بهذه الانظمة ..

فلماذا تشن عليه الحملات من هؤلاء المستعمرين والمستشرقين .. ؟

لماذا يثيرونها حملات شعواء عليه دون سواه . ؟!

لماذا لا يجعلونها عامة شاملة .. ؟

وجميع هذه الاديان سواء فى الحض على الحجاب واباحة الطلاق وتعدد الزوجات والحزم فى معاقبة الزناة والقتلة واللصوص .. !

كل ذلك يثبت مبلغ الحقد والبغض والافتراء الذى يشنه خصوم الاسلام عليه ظلما وعدوانا لابعاد ابنائه عنه وعن جهاده كى يصبحوا لقمة سهلة الازدراد والضياع ، ولتنفير العالم

وأعوانهم على الاسلام

محمد مؤذن

في الشرائع السماوية

منه ، وقد بدأ يهتم بالاسلام ويستعد لدراسته وقبوله ، بعد ما يئس من نظمه الوضعية الفاشلة التى تقوده الى الهلاك ..

اننا لا نقول القول جزافا ..

وليس لنـــا غاية بأن ندافع عن الاسلام بأسلوب اتهام غيره ..

كلا .. ثم كلا ..

فها نحن أولاء نأتى على المصادر اليهودية والنصرانية فى اثبـــات الحجـــاب وجواز الطـــلاق وتعدد الزوجات وقتل القاتل ورجم الزانى وقطع يد السارق ..

الحجاب :

جاء في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين عن (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت اســـحاق .. فأخذت البرقع وتغطت ..

وفى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضـــا أن تامار .. خلعت عنهـــا ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت ..

وبعد ذلك بزمن كان فيليب أوف هيس ، وفريدريك وليام الثـــانى البروسى ، يبرمان عقـــد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين ، وأقر لوثر نفسه تصرف الأول منهما ، كما أقره فلانكتون ، وكان لوثر يتكلم فى مختلف المناســـبات عن تعدد الزوجات بغير اعتراض ، فانه لم يحرم بأمر من الله تعالى .

وفى سنة ١٦٥٠ الميلادية — بعد صلح وستفاليا بعد أن تبين النقص فى عدد السكان من جراء الحــرب الثلاثين — اصدر مجلس الفرنسيين بنـــور مبرج قرارا يجـــيز للرجل أن يجمع بين زوجتين ، بل ذهبت بعض الطوائف النصرانية الى ايجاب تعدد الزوجات ، ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى مونستر صراحة : بأن المسيحى — حق المسيحى — ينبغى أن تكون له عدة زوجات ، ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام الهى مقدس ..

الطلاق :

جاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من التثنية : « اذا اخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيوبا شتى ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعـــه الى يدها ، واطلقهـــا من بيته ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر ..

وجاء فى الاصحاح الثالث من كتاب ارميــــا : « اذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصـــارت لرجل آخر ، فهل يرجع لها بعد ؟ الا تتنجس تلك الارض نجاسة ؟ » ..

ولا ادرى لماذا تتنجس اذا رجعت الى زوجهـــا الأول ولم تتنجس اذا تزوجها الزوج الثانى ؟!!

جاء فى الاصحاح الســـــابق : « .. واما المتزوجون فأوصيهم — لا انا بـــل الرب — الا تفارق المـــرأة رجلها ، وان فارقته — وهذا اعتراف منه بجواز الطلاق — فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها .. » .

وجاء فى انجيــــل متى : « ان السيد المسيح سئل عن الطـــــلاق فاستنكره لقســـوته ، وقال ان من طلق امرأته لغير الزنى جعلها تزنى ، ودفعه بالزوجة الى اقتراف الرذيلة » (هل صحيح أن النساء جميعا يزنين اذا طلقن ؟!!) .

وقيل من طلق امرأته فليعطهـــا كتاب طلاق ، واما انا فأقول لكم ان من طلق امراته الا لعلة الزنى يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى !

ولا ادرى كيف نوفق بين هذا النص للمسيح عليه السلام الذى لا يفهم منه تحريم الطلاق .. ؟

وفى الاصحاح الثالث من ســـــفر اشعيا ان الله سيعاقب بنــــات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن ..

ويقول بولس المسمى بالرســـول فى رســـــالة كورنثوس الاولى ان النقاب شرف للمرأة ..

ولا يخفى أن البرقع اشــــد من الحجاب ..

تعدد الزوجات :

جاء فى اخبار العهد القـــديم أن داود وسليمان عليهما الســلام قد جمعا بين مئات الزوجات الشرعيات والاماء ، حتى نسب اليهود ظلمـــا وكذبا الى ســـــيدنا داود انه أراد الزواج بامرأة قائده (أوريا) بالاضافة الى زوجاته الكثيرات . بعد تعريض هذا القائد للقتل ، وقد وقع كثير من المفسرين المسلمين فى هذه الخطيئة بسبب اخذهم الاسرائيليات كأنهـــا حقائق ثابتة .. !

وفى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى يقول النبى ناثان لداود : « أنا مســـــحتك ملكا على اسرائيل وأنقذتك من يد شـــــاول واعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك .. لمــــاذا اخذت امرأة أوريا لك امرأة ؟! » .

وفى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول كانت لسليمان سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السرارى ..

ويقول نيوفلد صاحب كتاب « قوانين الزواج عند العبرانيين الاقدمين » : « ان التلمود والتوراة معا قد أباحا تعدد الزوجات على اطلاقه » .

والديانة النصرانية هى تبع للديانة اليهودية لقول المسيح عليه السلام : « ما جئت لأنقض الناموس بل جئت لأتمم » . فيمكن أن نجزم باباحة تعدد الزوجات فيها ؛ لاسيما وأنه لم يرد فى الانجيل نص صريح بتحريم هذا التعدد ، غير أنه ورد فى كلام بولس استحسان الاكتفاء بزوجة واحدة لرجل الدين .

وقال الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «المرأة فى القرآن الكريم» : « وبقى تعدد الزوجات مباحا فى العالم المسيحى الى القرن السادس عشر ، كما جاء فى تواريخ الزواج بين الاوروبيين » ، ويقول وسترمارك فى تاريخه : « ان ديارمات ملك أيرلنده كان له زوجتان ، وسريتان ، وتعددت زوجات الملوك الميروفنجين غير مرة فى القرون الوسطى ، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السرارى، وكان يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا بين رجال الدين أنفسهم » .

بل الزجر عنه ، وبين قوله : « اننى ما جئت لأنقض الناموس » — أى الديانة اليهودية وهى تبيح الطلاق كما رأينا — « بل جئت لأكمل » .

وعلى كل حال فان جميع الدول الامريكية والدول الاوروبية وآخرها ايطاليا بلد الفاتيكان ! قد أخذت بالطلاق .

وبمناسبة الكلام على اشتراط الانجيل — الحالى — الزنى فى الطلاق ، وهو أمر غير طبيعى ولا معقول ، أنشئت فى أمريكا عصابات من (كبار) المثقفين .. من المحامين والأطباء والكتاب ورجال القانون .. مهمتها .. ماذا ؟!

مهمتها تيسير مهمة الزنى .. لأغراض قانونية .. !!

ففى الولايات الكاثوليكية لا يباح الطلاق الا فى جريمة الزنى من أحد الزوجين فيحق للزوج الآخر أن يطلب الطلاق ، ومن ثم يلجأ الطرف الكاره الذى يطلب الطلاق — سواء هو الزوج أو الزوجة — الى واحدة من هذه العصابات للايقاع بالطرف الآخر فى جريمة زنى ، وضبطه متلبسا ، واعطاء المستندات اللازمة التى تمكن من طلب الطلاق لقاء اجر معلوم(١) .

العقوبات :

ان عقوبة قتل القاتل العمد ورجم الزانى والزانية المحصنين وغير ذلك من العقوبات الشديدة تشترك فيها الديانات الثلاث وقد أشار الى بعض ذلك الله سبحانه فى القرآن الكريم بقوله : « وكتبنا عليهم فيها — أى فى التوراة — أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له — ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الظالمون » (المائدة : ٤٥) .

وقال مالك عن رافع عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما : ان اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تجدون فى

التوراة بشـــأن الرجم ؟ » فقالــوا نفضحهم ويجلدون .. قال عبد الله ابن سلام ــ وكان منهم وقد أسلم : كذبتم ان فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فاذا آية الرجم . فقالوا : صدق يا محمد فيهــا آية الرجم ، فأمر بهما رســول الله ، فرجما ، فرأيت الرجل ينحنى على المرأة يقيها الحجارة !! ... وهــذا لفظ البخارى ..

وفىهذه الحادثة نزل قوله تعالى : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب، ســماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه » الذى فى التوراة كآية الرجم « من بعض مواضعه » التى وضعه الله عليها ، اى يبدلونه (يقولون) لمن ارسلوهم « ان أوتيتم هذا » اى المحرف أى الجلد أى أفتاكم به محمد (فخذوه) فاقبلوه « وان لم تؤتوه » بل أفتاكم بخلافه ــ أى بالرجم ــ فاحذروا » أى تقتلوه « ومن يرد الله فتنته ، فلن تملك له من الله شيئا ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (المائدة : ٤١) .

ومما ســبق ندرك كذب وافتراء المستعمرين والمبشرين الذين يحاولون الطعن فى الاسلام بتخصيصهم له فى هذه النظم الســابقة ، متجاهلين ومتناسين انها شرائعالتوراة والانجيل كما هى شريعة القرآن ، وهى فى منتهى العدل والحكمة كما ظهر ذلك حين تطبيقها فى صدر الاسلام فكانت سببا فى تحقيق المدنية الفاضلــة وانشاء الجيل المثالى لأول مرة فى تاريخ البشرية « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون ! هو الذى أرسل رسوله بالهــدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة : ٣٢ و ٣٣) .

كل ذلك بعكس نظمهم وتشريعاتهم الوضعية من ديموقراطية وشيوعية، وقد نرى مصارعها وفشلها فى هذا العهد ، كما رأينا مصارع الفاشية والنازية من قبل .. !

واهم ما يريده الطغاة المفسدون من دسائسهم وافتراءاتهم أن يظهروا الاسلام للمرأة المسلمة بأنه عدوها ، وانه ظلمها فى الوقت الذى حماها من الاعتداء على حقوقها والتبــذل فى سلوكها ، وأعطاها حقوقها كاملة لأول مرة فى التاريخ دون أن ترفع صوتا أو تقدم احتجاجا للمطالبة بها ..

الا ساء ما يعملون ..

وساء ما يفترون ..

واذا كنا ذكرنا مما ســبق وجه الشبه بين القرآن والتوراة والانجيل فى بعض الاحكام والتشريعـــات ، فليس معنى ذلك أن الاسلام يقر كل ما جاء فى اليهودية والمسيحية بعد تحريفهما من آراء ونظم عن المرأة ، بل الامر بالعكس ، فقد ثار هذا الدين العظيم على كل ما يسىء الى المرأة ويستذلها ، والــى القــارىء بعض ما جاء فى الديانتين اليهـــودية والنصرانية واقوال رؤســائهما من انحرافات يبرأ منها الحق والعــدل والذوق ويحاربها الاسلام بلا هوادة ، وذلك فى قصة غريبة واقعية قصها علىّ أحد طلابى :

ذهبت فتاة مسيحية الى الكنيسة صحبة خطيبها لعقد زواجهما فى المانيا

الغربية وكان معهما طائفة كبيرة من أصدقاء وأقرباء كل منهما . وكان هذا الزوج مثقفا درس بعض مبـــادىء الدين الاسلامى ..

وما كاد القس ينتهى من مراسيم العقد حتى راح يوصى الزوج بقوله : « اننى أوصيـــك يا بنى الا تظلـــم زوجتك وتسىء معاملتها ، وتحتقرها كما يحتقر الدين الاسلامى المرأة ويأمر المسلمين بسوء معاملتها .. !!

فغضب الزوج من هذا الكلام وقال بأعلى صوته :

« هذا الكلام مغاير للحقيقة ، فان الذي يحتقر المرأة ويأمر بظلمها هى الكنيسة ، وما جاءت به من مبادىء ، وما زعمته من أقوال المسيح ، وهو لا شك برىء منها ! » .

ثم تمم الزوج كلامه :

« كل ذلـــك بعكس ما جاء به الاسلام الذى له الفضل الاكبر فى انصاف المرأة ، واعطائها حقوقهـــا كاملة لأول مرة فى تاريخ البشرية » .

فدهش القس من هذه المفـــاجأة والتف القسس حول الكاهن ، وتجمهر المدعوون حول الزوجين يطلبون من رجال الكنيســـة التحقيق فى ادعاء هذا الزوج ، حتى اذا كان مخطئـــا أقنعه القس بالتراجع عن كلامه ..

اضطرب الكاهن لجرأة الزوج ، وغلب على أمره تجاه ضغط الحضور فسأله عن دليله فيما يقول :

فتقدم بكل شجاعة وقال :

ألم تقل الكنيسة فى مبادئها :

« ان المرأة ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور ، وهى للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الانســـانية جمعاء ، فبحبسها ندامة وخجلا انها امرأة وينبغي أن تستحى من حسنها وجمالها ، لأنه سلاح ابليس الذى لا يوازيه سلاح من أسلحته المنوعة ، وعليها أن تكفر ولا تنقطع عن اداء الكفارة أبدا ، لأنها هى التى قد اتت بما أتت به من الرزء والشقاء للارض وأهلها .. »

ودونـــكم ما قاله ترتوليـــان أحد أقطاب المسيحية الأول وائمتهـــا ، مبينا نظرية المسيحية فى المرأة :

« انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان ، وانها دافعة بالمرء الى الشجرة المنوعة ، ناقضة لقـــانون الله ، ومشوهة لصورة الله ــ أى الرجل .. »

وكذلـــك يقـــول كرائى سوستام الذى يعد من كبار علمـــاء الديانة المسيحية فى شأن المرأة :

« هى شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ورزء مطلى مموه » .

ثم قال هذا الزوج :

الم يجتمع مجمع (ماكون) فى القرن الخامس للبحث فى مسألة : « هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه ؟ أو لها روح ؟ » .

وأخيرا قرر رجال الكنيسة فى هذا المجمع : « ان المرأة خلو من الروح الناجية (من عذاب جهنم) ما عدا أم المسيح » .

ألم يجتمع أيضا مؤتمر فى فرنسا عام ٥٨٦ تحت اشراف الكنيســـة للبحث : « هل تعد المرأة انسانا أو غير انسان ؟ » وأخيرا قرروا « أنها انسان خلقت لخدمة الرجل فحسب »

وقد جاء فى التوراة التى يدين بها اليهود والنصارى : « المرأة أمرّ من

الموت !! وان الصالح امام الله ينجو منها ، رجلا واحدا بين الف وجدت ، أما امرأة ، فبين كل أولئك لم اجد !! »

فهل بعد هذا الاحتقار من قبل الكنيسة للمرأة احتقار .. ؟!

وهل بعد هذا الظلم لها من ظلم .. ؟!

هذا — وقد ذكرت الكنيسة لنا على لسان المسيح في الانجيل انه قال : « .. انه يولد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يفعل فليفعل »(١) .

فهل يعقل أن يقول هذا المسيح ، فيعطل فطرة الرب في الزواج ؟!

ومن المؤسف أن يعلق (ترتوليان) السابق الذكر على ما زعمته الكنيسة أنه من أقوال المسيح : « وقد فتح المسيح للخصيان أبواب السماء ، لأن حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء » .

ولا يخفى على عاقل عاقبة الخصى ونتيجته في تشريد ملايين النساء وتركهم بدون أزواج ، الامر الذى يدفعهم الى ارتكاب مختلف الجرائم الجنسية .

ومما يؤسف له أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها بنظر الكنيسة ، فيجب أن تتجنب ، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع ولنأخذ لذلك مثلا شائعا بين النصارى خلاصته : ان الزوجين اللذين اتفق لهما أن يبيتا معا ليلة عيد من الاعياد ، لا يجوز لهما أن يعيدا ويشتركا مع القوم في رسومهم ومباهجهم ، كأنهما قد اقترفا اثما سلبهم حق المشاركة في حفل ديني .

ومن أعظم الأدلة على احتقار الكنيسة للمرأة والسعي لتعذيبها .

ان القانون الانكليزى حتى عام ١٨٠٥ كان يبيح للرجل — تحت تأثير النظرة المسيحية للمرأة — أن يبيع زوجته ، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات (نصف شلن) .

وقد حدث منذ أعوام أن باع ايطالي زوجته لآخر على أقساط فلما امتنع المشتري عن سداد الاقساط الاخيرة قتله الزوج البائع !

وهذا الاحتقار والذم للمرأة قد انتقلا عن المسيحية الى كثير من الآداب الاوروبية ، فقد جاء في المثل الروسي : « لا تجد في كل عشر نسوة غير روح واحدة » .

وجاء في المثل الاسباني : احذر المرأة الفاسدة ، ولا تركن الى المرأة الفاضلة ! » .

وجاء في المثل الايطالي : « المهماز للفرس الجواد والفرس الجموح ، والعصا للمرأة الصالحة ، والمرأة الطالحة » .

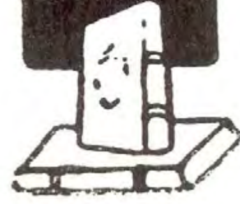
واخيرا ختم الزوج كلامه قائلا :

« انني أعلنها صريحة أن الكنيسة تحمل اليوم أعظم الجريمة فيما نراه في الغرب، من انهماك في الشهوات الجنسية وتكالب على الزنى .. كنتيجة حتمية لرد الفعل لتعاليم الكنيسة التي حاربت الفطرة الانسانية قرونا طويلة ثم ما لبث الغربيون أن ثاروا على نظمها وفكوا الاغلال وكسروا القيود وانطلقوا رجالا ونساء في حياة الفجور وساروا وراء غرائزهم الجنسية الى ابعد الحدود حتى بات الغرب مهددا بخطر مخيف ..

---

(١) انجيل متى : الاصحاح ١٩ الفقرة ١١ .

كتاب
الشهر



عمر بن الخطاب

وأصول السياسة والادارة الحديثة

● تأليف : الدكتور سليمان الطماوى
● عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان ..

هذا الكتاب الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، دراسة مقارنة ، لأستاذ كبير من رجال القانون لا أحسبه فى حاجة الى شىء من التعريف ، ولئن كانت مؤلفاته العشرون التى سبقت كتابه الذى بين أيدينا ، قد اتجهت الى الدراسات القانونية بحكم دراسته وتخصصه ، الا أنه من رجال القانون القلائل فى عالمنا العربى الذين يعيش الفكر الاسلامى فى عقولهم ووجداناتهم ، والذين يحرصون على أن يكون للفكر الاسلامى نبضات مشرقة فى مؤلفاتهم القانونية أو السياسية ..

وقبل أن نعرض لهذا الكتاب الجليل تجب الاشارة الى نقطتين جديرتين بالاشارة :

● النقطة الاولى : أن ما كتب عن عمر بن الخطاب وما ألف فيه أكثر من أن يحصى ، ولا نظن أن شخصية ـ بعد رسول الله ـ حظيت بما حظيت به شخصية عمر من الكتابة والتأليف ، حتى اذا جاء المرحوم الدكتور هيكل فألف كتابه « الفاروق عمر بن الخطاب » مؤرخا لسيرة عمر ، وجاء العقاد فألف كتابه « عبقرية عمر » محللا لشخصية عمر من جميع نواحيها ، خيل الينا أن أية كتابة عن هذه الشخصية الفذة ـ

بعد هذين المؤلفين العظيمين — لن تكون إلا تحصيل حاصل ، لكن عندما ظهر كتاب الدكتور الطحاوى جعلنا نراجع ما تخيلناه من قبل ، فكتابه ليس تاريخا شاملا لعمر ككتاب هيكل ، وليس تحليلا شاملا أيضا لشخصية عمر ككتاب العقاد ، وإنما هو كتاب يتناول شخصية عمر من زاوية خاصة ، لم تفت الكاتبين الجليلين وإنما تناولاها بقدر فى كتابيهما ، لكن الدكتور الطحاوى جعل منها دراسة مقارنة وتفصيلية ومنهجية معا ، ليؤكد للمثقفين العرب — ولاسيما من لا يزال منهم ذا شغف بالفكر الغربى — أن الفكر الاسلامى فكر حضارى سبق الفكر الغربى فى الحضارة والتقدم بمراحل .. وإذا كان من الإنصاف أن يأخذ كتاب الدكتور الطحاوى مكانه الى جانب شقيقيه : الفاروق عمر ، وعبقرية عمر ، فليس معنى هذا أن المكان لا يتسع لشقيق رابع وخامس وسادس ..

● النقطة الثانية : أن لدينا من رجالات القانون عددا كبير يملك قدرات عظيمة على الدراسات المقارنة بين التشريعات الوضعية قديمها وحديثها وبين التشريع الاسلامى ، لكن مثار الدهشة أن معظم رجالات القانون المسلمين لم يسهموا فى هذا المجال ، ولو قدر لهم أن يسهموا لأدوا خدمات جليلة للفكر الاسلامى ، ويجب أن نعترف بأن مؤلف المرحوم الاستاذ عبد القادر عودة : « التشريع الجنائى الاسلامى » وكتاب الدكتور عبد العزيز عامر : « التعزير فى الشريعة الاسلامية » ثم كتاب الدكتور الطحاوى « عمر وأصول السياسة والادارة الحديثة » هذه الكتب الثلاثة قد سدت فراغا أو بمعنى أدق سدت جزءا من الفراغ فى المكتبة العربية ، وانها لأمنية عزيزة يوم أن تحتل الدراسات القانونية المقارنة فى شتى فروع القانون مكانها اللائق بها لا فى المكتبات بل فى أذهان المثقفين المسلمين والعرب ، ولاسيما أن الفكر الاسلامى اليوم يواجه تحديات لا أول لها ولا آخر ، تهب عواصفها عليه من الشرق والغرب على السواء ..

إن المؤلف يرى أن دعاة الإصلاح فى العالم العربى اليوم ينقسمون الى فرق ثلاث :

فريق : يرى أنه لا بد من طى صفحات الماضى كلية ، ويحمل القيم الموروثة مسئولية الحال التى وصل اليها الشرق العربى ..

وفريق : يرى أنه لا ينصلح حال هذا الشعب إلا بما انصلح به أوله ، ويحملون كل جديد وزر التخلف الذى يعانى منه الشرق العربى ..

وفريق : يقف من هذين الفريقين المتطرفين موقفا وسطا ، ومن هذا الفريق المعتدل الأستاذ المؤلف ومعظم دعاة الاصلاح فى العالم العربى ، هذا الفريق يرى أن المستقبل ليس إلا مجرد امتداد للماضى .. ومؤلفنا يرى — مع إيمانه الكامل بالحاجة الملحة الى إحداث تغيير شامل فى نظمنا — أن يتم التغيير فى ضوء ماضينا البعيد ، وعلى هدى من (كراسة) طفولتنا وشبابنا ..

ويشير المؤلف فى مقدمته أيضا الى ضرورة مواجهة تلك الدعوى المغرضة التى ينادى بها بعض أدعياء العلم ، من أن الدين قيد على حرية الفكر ، وعقبة فى سبيل التحضر ، والرد على هذه الدعوى الكاذبة يكون

بأحد سبيلين : سبيل نظرى بمقارعة الحجة بالحجة ، والطريق الآخر طريق عملى ، بأن نعيش فترة من أروع فترات التـــاريخ العربى ، لنمحص حقيقة التصادم المزعوم بين العلـــم وبين الدين ، ويقينـــا أنه لن يختلف اثنان فى أن أكثر فترات التـــاريخ العربى إشراقا هى فترة صدر الاسلام وأيام حكم الفاروق عمر بن الخطاب بالذات .. ويلخص المؤلف هدفه من دراسته فى أنه الرد على أســـئلة يمكن اجمالها على النحو التالى : الى أى حد يعتبر الدين عقبة فى سبيل إقامة دولة عصرية ، وخلق مجتمع متحرر .. ؟

وقد وجد المؤلف الرد فى حيـــاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى يعتبره المؤلف ــ بغض النظر عن وضعه الاسلامى ــ قائدا سياسيا وإداريا من أكفأ ما عرفته البشرية فى تاريخها المعروف ، وهو بهذا وحده يستحق الدراسة المتخصصة من حيث مواهبه السياسية والإدارية ، ليكون قدوة للعاملين فى هذا المجـــال فى مختلف الأمكنة والأزمنة .

وقد قسم المؤلف دراسته عن عمر الى ثلاثة أبواب رئيسية :

الباب الأول : القيادة والقائد .. تضمن فصلين : صفات عمر القائد ، وأسلوب عمر فى القيادة ..

الباب الثانى : عمر والســـلطات العامة فى الدولة .. تضـــمن ثلاثة فصول : عمر والسلطة التشريعية ، عمر والسلطة التنفيذية ، ثم عمـــر والسلطة القضائية .

الباب الثالث : ويتضمن فصـــولا خمسة : عمر ووحدة الفـــكر ، عمر ومعاملة الأجانب ، عمر والعرب ، عمر والنظام الاقتصادى ، ثم عمر والأخلاق العامة ..

يرى المؤلف فى بداية البـــاب الأول : أن الأخبار المؤكدة فى سيرة عمر تجعل له وضـــعا فريدا قد لا يشاركه فيه نظير : فجميع الصفات التى نتطلبها اليوم فى القائد الناجح قد توافرت فى عمر بصـــورة غير مألوفة ، لدرجة تجعلنـــا نؤكد أن شخصية عمر غير قابلة للتـــكرار ، ورأى المؤلف هذا دعاه إلى اعتبـــار فكرة الإمام محمد عبده عن أن الشرق لا ينهض إلا « بمســـتبد عادل » أسطورة ، ويرى من الخطأ أن يقام نظام للحكم على أساس وجود حاكم من هذا الطراز حتى ولو توافرت فيه الشروط التى تطلبهاالإمام فيه : «يكره المتناكرين على التعارف .. ويلجىء الأهل إلى التراحم .. ويقهر الجيران على التناصف .. يحمل الناس على رأيه فى منافعهم بالرهبة إن لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة .. عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الأولى الى شعبه الذى يحكمه .. فإن عرض حظ لنفسه فليقطع دائما تحت النظرة الثانية .. فهو لهم أكثر مما هو لنفسه .. »

ورأى المؤلف مبنى على أن نظـــم الحكم لا يمكن أن تســـتقيم بحسن النوايا ، ولكن بالضـــمانات .. وبتحديد المســـئوليات .. وبالرقابة المستمرة ، وبالمحاسبة المستنيرة ، وبالرغم من أن المؤلف يرى مصداق ذلك كله فى سيرة عمر ، إلا أنه يظل على رفضه لقيام نظام للحـــكم على أساس وجود حاكم من هذا الطراز ، ربما لأن مثل شخصية عمر غير قابلة للتكرار ..

ويرى المؤلف ايضا أن القيادة البارعة هي روح السياسة والإدارة ، وأنه إذا كانت القيادة — سواء في مجال السياسة او الإدارة — تقوم على اسس وقواعد علمية مسلم بها ، فإنها من حيث الممارسة يغلب عليها طابع الفن ، بل إن القيادة في الماضي كانت اقرب الى الفن منها الى العلم ذي القواعد المؤصلة ، وهذا يصدق تماما في حالة عمر ، وقد أوضح المؤلف قبل ذلك الفرق بين العلم والفن ، فالعلم يتكون من مجموعة قواعد تكتشف بالتجربة والبحث ، ولا تختلف قيمتها من مجال الى مجال آخر ، اما الفن ، فإنه يقوم على استخدام المهارة البشرية في تطبيق المبادىء والنظريات العلمية — أي أن العلم يقوم على اساس موضوعي ، أما الفن فيدخل في الاعتبار ، الصفات والملكات الشخصية ، ولكنه يفترض أيضا سبق الإحاطة بالمبادىء العلمية ، وخلص المؤلف الى ان قيادة الدولة الكبرى في عهد عمر كانت عملا شخصيا من عمر ، اعتمد فيه أساسا على مقدرته الذاتية ، معنى ذلك أن الإدارة في عهده كانت تنتمي إلى الفن ، حقيقة إن الفن الأصيل يدرك القواعد العلمية بالسليقة ، ولكنه إدراك يعتمد على الذكاء والحس المرهف اكثر من اعتماده على قواعد علمية معروفة سلفا ..

ومن نافلة القول أن نضيف هنا ان الاسلام وضع قواعد ثابتة للحكم ، ولكنه ترك باب الاجتهاد مفتوحا على مصراعيه في أسلوب الحكم ، ولم يتجاوز عمر قاعدة من قواعد الحكم التي وضعها الاسلام ، وإنما اجتهد في أسلوب الحكم وتوافر له في أجتهاده العبقرية الفذة ..

وفي البحث الخاص باجتهاد عمر ، وفي مجال الحدود بالذات أثار الدكتور الطحاوي مسألة على جانب كبير من الأهمية ، عندما ذكر أن « التشريعات المعاصرة تصدر عن مبدأين أساسيين تجرى عليهما معظم الدساتير ، وتنص عليهما في صلبها ، وهذان المبدآن هما :

أولا : لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص ..

ثانيا : لا رجعية في قوانين العقوبات .

وبالتمعن في مسلك عمر ، نجد أنه لم يحترم القاعدتين السابقتين بصورة مطلقة : فالجرائم التي حددها القرآن وقدر لها العقوبات تندرج في نطاق الأحكام العصرية السابقة ، ويستطيع عمر ، كقائم على سلطة التشريع في الدولة أن يؤثم أعمالا بعينها ، وأن ينهى المسلمين عن ارتكابها ، وأن يوقع عليهم العقوبات المقررة في حالة المخالفة ، وهنا أيضا يكون التصرف في نطاق المبدأ المعاصر ..

لكن حين يرتكب مسلم عملا بعينه لم يسبق أن صدر أمر صريح بتأثيمه ، ثم يقوم عمر بتقدير العقوبة المناسبة ويوقعها عليه ، فإنه يكون قد خرج على منطق القواعد المعاصرة ، وهذا ما يعرف بسلطة التعذير لولي الأمر في الشريعة الاسلامية .. »

ولا يترك الدكتور هذه المسألة تمر دون التعقيب عليها ، ليدفع عنها ما قد يتبادر الى ذهن القارىء من شبهة تمس مسلك عمر فيقول :

« وإذا كان الأمر يبدو واضحا من الناحية النظرية المجردة ، فإنه عند

التعمق ، وإمعان الفكر ، لا يكون بالصورة التى رسمناها من البساطة، ذلك أن المجتهد الاسلامى ليس حرا فى أن يضع من التشريع ما يشاء ، ويقتصر عمله على استمداد الاحكام الفرعية من أصولها السماوية فى الكتاب والسنة ، وهكذا يكون عمله فى حقيقة الأمر كاشفا عن تلك الأحكام لا (منشئا) لها بلغة العصر ، فإذا ما عذر ولى الأمر عن فعل لم يسبق العقاب عليه ، فلأنه يرى أن هذا الفعل لا يستقيم مع أصول الإسلام المعلنة ، والمعلومة فرضا لكل مسلم ، فهو لا ينشىء الجريمة ولكنه يكتشفها .. ولما كانت الشريعة هى حكم الله ، فإن التعذير ليس مجرد قصاص من قبل المجتمع فى مواجهة المسلم المذنب ، ولكنه أولا وقبل كل شىء (تطهير) و (تكفير) من قبل المسلم المذنب فى مواجهة المولى سبحانه وتعالى » ..

والذى أعتقده أن المؤلف لم يفته أن دور عمر فى هذا الصدد كان أشبه بدور المحتسب ، الذى يلزم الناس ألا يتحولوا عن الخط الأخلاقى العام الذى يليق بهم كمسلمين ، لاسيما وأن المؤلف نفسه ذكر أن عمر فى بداية الامر كان يقوم بنفسه بدور المحتسب، ونحن مع المؤلف بعد ذلك فى أن أحكام الاسلام الكلية والفرعية قد أصبحت معلومة ، وأنه من الأنفع للناس وأدعى الى الاستقرار أن تقنن الجرائم وأن تحدد عقوباتها كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يقتصر عمل القاضى على توقيع العقوبات التى سبق تحديدها .. وألا توقع العقوبات إلا على الأفعال التالية لصدور التشريع المؤثم للفعل ، وهو ما يعبر عنه باصطلاح « عدم رجعية قوانين العقوبات » ..

— ● —

وبعد .. فإذا كان من حق المؤلف علينا أن نعبر عن تقديرنا الكبير لكتابه هذا عن عمر ، واعتزازنا به راجين أن يكون بداية لغيره ، ودافعا لكبار رجال القانون فى العالمين العربى والاسلامى أن ينزلوا الى ميدان دراسات التشريعات الاسلامية مقارنة بالفكر الغربى ، فنحن فى وقت يواجه فيه الفكر الاسلامى تحديات لا أول لها ولا آخر ، وهذه التحديات لا يحد من تطاولها إلا أقلام مؤمنة مستنيرة لأصحابها وحملتها مكانتهم .. أقول : إذا كان من حق المؤلف علينا هذا وأكثر من هذا فإن من حقنا أن نقف وقفات سريعة لا تمس قيمة مؤلفه العظيم ..

● أولا : فى البحث الخاص بـ « عمر والعرب » كنا نود أن يسلك أستاذنا الكبير نفس المنهج الموضوعى الذى سلكه فى بقية دراسته ، الا يكون للعاطفة أدنى أثر ، إن حرص عمر على ذاتية العرب ، قد استدعته ضرورة الظروف تجاه بناء دولة جديدة ، وليس لاعتبار الجنس أو العنصر ، وإنما لأن العرب مادة الاسلام وحملة مشاعله فى بداية الأمر ، ولم يخطر بذهن عمر فكرة القومية العربية كما ارتأى المؤلف أو كاد .. وإلا كان بذلك خارجا على أصل من أصول الاسلام وهو عمومية الدعوة الاسلامية وعالميتها ، وعمر الذى قال وهو يجود بنفسه فى اللحظات الاخيرة من عمره : « لو كان أبو عبيدة — أمين الأمة — حيا لوليته » هو الذى قال أيضا : « لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته »

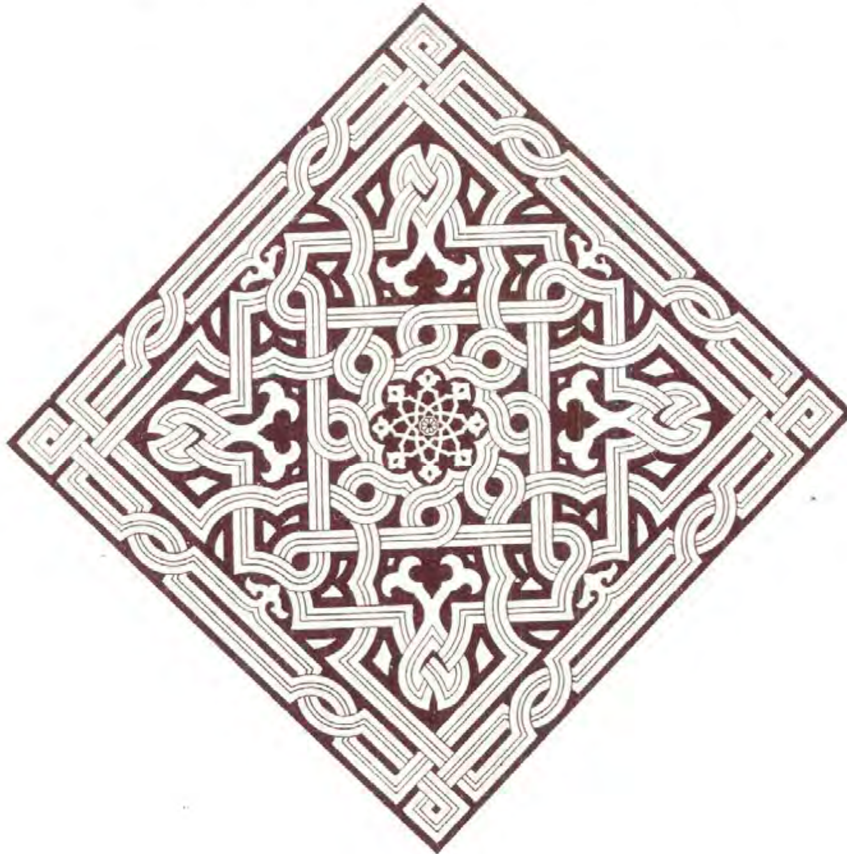
● ثانيا : فى ص ١٨٦ تساءل المؤلف : « ولا شك لدينا فى كمال إيمان عمر ، ولا فى حبه لرسول الله وقرابته ، ولكن لنا أن نتساءل

مع ذلك : هل دار بخلده أن بنى هاشم غير راضين عن خروج الخلافة منهم، فأراد أن يسترضيهم ؟ وترك المؤلف التساؤل بلا تعقيب .

إن الخلافة تمت لأبى بكر وعمر من بعده بمشورة المسلمين ورضاهم، والذى حدث من عمر انه لم يستعمل بنى هاشم كما استعمل غيرهم على الولايات العامة مخافة افتتان العامة بهم . فكان عطــــاؤه لهم من قبيل التعويض لهم لا من قبيل الاسترضاء ، وقد اثبتت الأيام أن عمر كان بعيد النظر ، فقد كانت العــــاطفة غير الواقعيــــة نحو آل البيت الشرارة الأولى التى اشعلت نار الفتنة التى فرقت كلمة المسلمين . .

● ثالثا : ذكر المؤلف فى مقدمته انه لن يشــــــير إلا الى المراجع المتخصصة لمعــاونة القارىء علـــى تتبع الموضوع إذا اراد الاستزادة ، اما المراجع التاريخية العامة فلا ، وكنا نود أن يشير المؤلف الى مرجع كل نص ساقه فى دراسته ، وبخاصة الأحاديث النبوية التى يحتاج بعضها الى مراجعـــة ، والمؤلف ــ قبل أن يكون عميدا ــ كان ــ ولا يزال ــ اســــتاذا جامعيا كبيرا منهجه فى دراسته القانونية الاهتمام بمرجع كل نص يورده فى مؤلفاته القــــانونية والسياسية معا . .

● رابعا : لقد اعتذر المؤلف عن الأخطاء اللغوية العديدة فى الكتاب بأنها نتيجة لأخطاء مطبعية ، ونأمل أن تتلافى هذه الأخطاء اللغوية فى الطبعة الجديدة إن شاء الله .



الفتاوى

خطبة العيد

السؤال :

شهدنا صلاة عيد الأضحى فى أحد المساجد ، وبعد الصلاة قام الخطيب وبدأ الخطبة بحمد الله ، ولم يبدأها بالتكبير كما تعودنا ذلك من الخطباء فى هذه المناسبة الدينية السعيدة ، فما حكم الشرع فى ذلك ؟

الإجابة :

اختلف الفقهاء فى افتتاح خطبة العيدين والاستسقاء ، فمنهم من ذهب الى أنهما يفتتحان بالتكبير ، وقيل تفتتح الاستسقاء بالاستغفار ، وقيل يفتتحان بالحمد قال ابن القيم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه كلها فى الجمعة والعيد وغيرهما بالحمد لله .

وبناء على هذا فان افتتاح خطبة العيد بالحمد لله موافق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مصلى العيد

السؤال :

جرت عادة إمام مسجد قريتنا أن يصلى بنا صلاة العيد خارج البلد ، وقد طلبنا منه هذا العام أن يصلى بنا فى المسجد نظرا لبرودة الجو فأصر على الرغم من شدة البرد ،فهل لايجوز أن تؤدى صلاة العيد فى المسجد ؟

الإجابة :

صلاة العيد يجوز أن تؤدى فى المسجد ، ولكن أداءها فى المصلى خارج البلد أفضل ما لم يكن هناك عذر كمطر أو برد شديد ونحوهما ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى ، ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة لعذر المطر ، وكان الأولى بهذا الإمام أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التيسير على المصلين ، ويصلى بهم فى مسجد القرية لشدة البرد .

سبق المأموم الإمام

السؤال :

هل تصح صلاة المأموم إذا سبق إمامه فى بعض أركان الصلاة مثل الرفع من الركوع أو السجود قبل الإمام ؟

الإجابة :

متابعة المأموم الإمام فى الصلاة واجبة ، ويحرم سبقه لحديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد ، وإذا سجد فاسجدوا » ، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول رأسه رأس حمار أو يحول الله صورته صورة حمار » . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالقعود ولا بالانصراف » .

وقد اتفق العلماء على أن المأموم إذا سبق إمامه فى تكبيرة الإحرام أو السلام بطلت صلاته ، واختلفوا فى غيرهما ، فعند أحمد يبطلها ، قال : ليس لمن يسبق الإمام صلاة . وعند غيره لا يبطلها .

طواف الإفاضة

السؤال :

مرضت فى أيام منى ، ودخلت المستشفى ، ولم أخرج منه إلا فى اليوم الخامس عشر من ذى الحجة ، ولم أستطع طواف الإفاضة إلا بعد خروجى من المستشفى ، أى بعد أيام التشريق ، فهل يجزىء طوافى فى الخامس عشر ، وهل يجب على هدى نظير هذا التأخير ؟

الإجابة :

مذهب الشافعى وأحمد أن طواف الإفاضة يؤدى فى أى وقت ، ولكن لا تحل النساء إلا بعد الطواف ، ولا يجب بتأخيره عن أيام التشريق دم وان كان يكره تأخيره إن كان لغير عذر .

وعند أبى حنيفة يجب فعله فى أى يوم من أيام النحر فإن أخره عنها لزمه دم

وعند مالك يمتد وقته الى آخر شهر ذى الحجة فإن أخره عن ذلك لزمه دم وصح حجه . وعلى هذا فطوافك فى اليوم الخامس عشر صحيح ولا يلزمك دم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

إطــــلاق الإحــــرام

الســـؤال :

حججت حجة الفرض هذا العام ، ويؤسفنى اننى رجل من عامة المسلمين لا دراية لى باحكام الحج ، فعندما بلغنا الميقات نويت الإحرام كما نوى الناس ، ولما بلغنا مكة سالنى بعض الحجاج هل نويت الإحرام بالعمرة او بالحج او بهما معا ، فقلت نويت الإحرام فقط ولم احدد شيئا ، واديت مناسك العمرة معهم ثم بعد ذلك احرمت بالحج كما احرموا ، فهل حجى صحيح ؟.

الإجـــابة :

من أحرم إحراما مطلقا قاصدا أداء ما فرض الله عليه من غير ان يعين نوعا من هذه الأنواع الثلاثة لعدم معرفته جاز وصح إحرامه ، قال العلماء : ولو أهل ولبى ــ كما يفعل الناس ــ قصدا للنسك ، ولم يسم شيئا بلفظه ، ولا قصد بقلبه لا تمتعا ولا إفرادا ولا قرانا صح حجه ايضا ، وفعل واحدا من الثلاثة ، وبنـــاء على هــذا فحجك والحمد لله صحيح ، ونرجو أن يتقبله منك ، ولكنا نلفت أنظار المسلمين الى أن يتفقهوا فى دينهم ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين .

النـــاقة الضـــالة

الســـؤال :

وجدت فى البادية ناقة ضـــالة ، وشاهدتها اسبوعا تروح وتغــدو وليس وراءها احد يسال عنها ، فهل يحل لى شرعا اخذها ؟

الإجـــابة :

اتفق العلماء على أن ضالة الإبل لا تلتقط ، ففى البخارى ومسلم عن زيد بن خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ضالة الإبل فقال : « ما لك ولها ، دعها فإن معها حذاءها وسقاءها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها » . فلا خوف عليها من تركها طليقة لأن طبيعتها الصبر على العطش والقــدرة عــلى تناول المأكول .

وعثمان رضى الله عنه كان يرى التقاطها ، وتعريفها ، ثم بيعها وحفظ ثمنها، فإذا ظهر صاحبها أعطى ثمنها . رواه مالك فى الموطأ ، ونرى لفساد الزمان ، وتوقع أن تقع فى يد غير مأمونة أن تأخذ الناقة ، وتعرفها لمن حولك ، فــإذا لم تجد صاحبها كان لك أن تبيعها وتحتفظ بثمنها تؤديه لصاحبها إن ظهر .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الأجـــر العظيـــم لمـــن ؟

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

١ ــ ماذا يعني قول الله تعالى : « من آمن بالله واليوم الآخر » هل يقتصر على الإيمان بوجود الله وقدرته والبعث والحساب دون الإيمان بالرسول صـــلى الله عليه وسلم كما يعتقد بعض النصارى .

٢ ــ ما هو العمل الصالح الذي تحتويه معاني الآية حتى يكون للذين هادوا والنصارى والصابئين هذا الأجر العظيم ولا يخافون ولا يحزنون لأنه ســـبحانه وتعالى يقول في سورة آل عمران : **« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين »** .

احمد عبد الفتاح مصطفى
كلية الزراعة ــ جامعة القاهرة ــ الفيـــوم

مفهوم هذه الآية يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة فالرسولُ صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، ورسالته الى البشر كافة على اختلاف مللهم ونحلهم ومعتقداتهم ، لا فرق في ذلك بين جنس وجنس ومعتقد ومعتقد ، ومن لم يؤمن بما جاء به الرسول إجمالا وتفصيلا فهو على غير هدى ، قد تنكب الطريق وحاد عن الحق وبعد عن الجادة لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين ، ولا يدخل فيمن عنـــاهم الله في نهاية هذه الآية « فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والواضح من سياق الآية أن الذين آمنوا هم المسلمون الذين صدقوا رسولَ الله فيما جاء به وأذعنوا لله خاضعين عن اقتناع ويقين ، تاركين ما كانوا عليه من معتقـــدات مقرينَ بأن الإسلام هو غاية كلّ عابد وبأن الرسولَ هو الصادق المحدث عن الله .

أما الذينَ هادوا وهم اليهود الذينَ ظلوا على يهوديتهم منكرينَ الإسلام .

والصابئون وهم الذين تركوا عبادة الأوثان قبل بعثة الرسول وعبدوا الله وحده لكن على غير دين وظلوا كذلك على هذا المنحى من الاعتقاد .

والنصارى وهم المسيحيون الذين تشبثوا بما هم عليه تاركين ما يعرفون انه الحق وفيهم جميعا نزل قول الله تعالى : « ولما جاءهم رسول من عنـــد الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » وقول الله « ولما جاءهم كتاب من عنـــد الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنـــة الله على الكافرين .

فالآية واضحة الدلالة فى أن الله لا يقبل من هؤلاء جميعا الا الإســـلام ، فأيا كان الدين وأيا كان المنحى والمعتقد فالسائرون فى ظله ليسوا على شيء ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثملميؤمنبالذى ارسلت به الا كان من أصحاب النار » وعلى هـــذا فكل من لا يؤمن بالرسول وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقبله الله ولا يسمى صاحبه مسلما ولا ينال الأجر العظيم الذى وعد به المؤمنون مهما قدم من عمل صالح .

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .

الدراسات العليا فى جامعة الكويت

هل يوجد فى جامعة الكويت الفتية دراسات عليا ، وما هى الدرجـــات والدبلومات العلمية العليا التى تمنحها هذه الجامعة .

سعدون عيسى ــ الشارقة

الـــدراسات العليـــا :

تعنى جامعة الكويت بالبحث العلمى ، وعلى الرغم من حداثة انشائها فقد استطاعت الجامعة أن تبدأ فى العـــــام الجامعى ٦٨/٦٩ الدراسات العليـــا والدبلومات والماجستير والدكتوراه فى كثير من التخصصات ، وذلك قبـــل أن تتخرج أول دفعة منها طالما توفرت معلومات هذه الدراسات ، وكانت أولى هذه الدراسات فى العام الجامعى ٦٩/٧٠ .

١ ــ درجة دكتوراه الفلسفة فى علم الاجتماع موضوعها (الهجرة والتغير البنائى فى المجتمع الكويتى) .

٢ ــ درجة الماجستير فى اللغة العربى وموضوعهـــا (الشعر الكويتـــى الحديث) .

٣ ــ درجة ماجستير فى الجيولوجيا وموضوعها (دراسات جيولوجية ومعدنية فى الرواسب الشاطئية للكويت .

وقد اشترك مع الجامعة فى الحكم على هذه الرسائل ممتحنون خارجيون عالميون من الجامعات الأوروبية والعربية ــ وهناك عدد ٤٥ رسالة مسجلة فى موضوعات مختلفة لم ينته منها الباحثون ، وتضم الدراسات العليا فضلا عن الدراسات الأكاديمية دراسة علمية ميدانية يمكن تسميتها بدراسة مهنية كما فى دبلوم ادارة الاعمال ودبلوم المحاسبة والمراجعة ودبلوم التكاليف والدبلوم الخاص فى التربية ، تعمل على رفع الانتاجية للخرجين العاملين فى مجال الادارة والشئون المالية والتدريس ــ وتمنح جامعة الكويت الدرجات العليا والدبلومات الآتية :

جامعة الكويت :

اولا ــ فى دراسات العلوم : درجة الماجستير فى العلوم ، درجة دكتوراه الفلسفة فى العلوم .

ثانيا ــ فى دراسات الآداب والتربية : دبلوم عام فى التربية ، دبلوم خاص فى التربية ، درجة ماجستير فى الآداب ، درجة دكتوراه الفلسفة فى الآداب ، درجة دكتوراة الفلسفة فى التربية .

ثالثا ــ فى دراسات الحقوق والشريعة : دبلوم الفقه الاسلامى المقارن ، دبلوم السياسة الشرعية ، دبلوم القانون الخاص ، دبلوم القانون العام . درجة دكتوراة فى الحقوق ، درجة دكتوراة فى الشريعة الاسلامية .

رابعا ــ فى درسات التجارة : دبلوم المحاسبة والمراجعة ، دبلوم ادارة الأعمال ، درجة ماجستير فى المحاسبة ، درجة ماجستير فى ادارة الأعمال ، درجة دكتوراة الفلسفة فى المحاسبة ، درجة دكتوراة الفلسفة فى ادارة الاعمال .

خامسا ــ فى دراسات الاقتصاد والعلوم السياسية : درجة ماجستير فى الاقتصاد ، درجة ماجستير فى العلوم السياسية ، درجة دكتوراه الفلسفة فى الاقتصاد ، درجة دكتوراه الفلسفة فى العلوم السياسية .



حماية البلاد الإسلامية من خطر الصحافة الفاجرة

كانت الصحافة فى عصورها الخوالى المشرقة بالنور المملوءة بالجهاد العظيم من اجل إسعاد العالم الإسلامى ، ترسم الطرق المثلى لمكارم الأخلاق ، وتوجه الناس الى الفضيلة .. ترى فى صفحاتها نور الحق والخير ، وتشم منها عطر الإيمان .. يسكن إليها القلب وتطمئن لها العاطفة .. إنها تستهدف الصالح العام ، وجهتها الخير ورفعة شأن الإسلام والمسلمين ، وسبيلها الكفاح المتواصل فى بعث النهضة الإسلامية ، والعمل على إعادة الوحدة بين المسلمين .

تلك هى صحف الحق والفضيلة والخير العام .. الصحف الإسلامية الطاهرة التى نمت وازهرت وآتتثمرا طيبا مباركا .. يشرف عليها ويوجهها رجال أصحاب مبادىء ومثل عليا وصفات نبيلة واخلاق عالية ، وبينما ننعم بهذه الصحف الطاهرة ، إذا بنا نرى الصحافة الصفراء تغزو الأسواق ، وينخدع بها المرضى بحب التقاليد الأجنبية ولو كانت على حساب الطهر والفضيلة والعفاف والحياء ..

تنساب هذه الصحافة الفاجرة كما تنساب الأفاعى الرقطاء الناعمة الملمس الى الآمنين فى أوطانهم ، فلا يخشون فى أول الأمر خطرها ، ثم لا يلبث أن يسرى سمها الى القلب ، وهيهات بعد ذلك أى إصلاح ! إذ أن خطرها عام جامح عنيف عظيم الخطر على الشباب والأسرة والمجتمع والدولة ، فهى تستهوى الأغرار من المراهقين ، ويقع فى حبائلها فتيان نعدهم لنهضة قوية فى عصر لا حياة فيه إلا للأقوياء .

إن تلك الصحافة تلهى الشباب عن الجد والاجتهاد ، وبينما يجاهد الوالد والمربى فى تثقيف النشء وغرس العقائد الصحيحة والأخلاق القويمة ، إذا بهذا الجهاد العلمى ينهار أمام حرب البيئة ، وما يراه الشباب المراهق من صحافة تصور له ملكات الجمال فى العالم ، وتبرز مفاتن الجسد ، وتغريه بالجمال الفاضح المكشوف ، فتظهر له جمال الساقين والذراعين ! .. الى آخر ما فى هذه الصحافة الصفراء من قذارة وامتهان للكرامة الإنسانية ، وتوغل فى الفساد الخلقى ..!

هذه الصحافة هدفها أن ترى مذهب العراة يروج فى الشرق ، فتنحل الأسرة ، ويفسد المجتمع ، إن تلك الصحافة من بقايا آثار المدرسة الاستعمارية التى تهدف الى زلزلة العقائد وهتك حجاب الفضيلة ونشر الرذيلة والفساد ، لكى

يستسلم الشعب لموجات الانحلال الخلقى العام ، ولا يفكر فى الذود عن حياض الوطن والاستبسال فى الدفاع عنه ، بعد أن انهارت منه الأخلاق وهى عصب الحياة ومركز القوة وعنوان الشجاعة والبطولة . .

عن مجلة (رابطة العالم الاسلامى) السعودية

مادتنا الحب !

قال محدثى ، وهو رجل كبير مارس الدعوة الى الله سنين طويلة : « يبدو لى أن أكثر دعاة الإسلام قد تخلفوا عن أداء مهمة هى أخص مهامهم ، وأن تخلفهم عن أداء هذه المهمة هو السبب الأول وراء كل مشكلة تعترض ركب الدعوة وكل عثر يقع فيها . . هذه المهمة هى إشاعة الحب بين القلوب ، إنه كما يختص كل أستاذ بمادة يحسنها ، ولا يضيره الا يحسن سواها ، فكذلك الداعى إلى اللـــه يختص بمادة الحب : حب الله وتوثيق عرى المحبة بين القلـــوب . ولا يضيره كثيرا إن هو نجح فى مادته أن يقصر فيما سواها ، لأنه حينئذ يكون قد أرسى الأساس الراسخ فى أعماق النفوس ، وهيأ المنبت الصالح لكل الفضائل ، وأقام الحصن المنيع دون أكثر الفتن .

هذا قول حق ، ودعاة الاسلام جميعا فى حاجة الى أن يتدبروه ويطيلـــوا الوقوف عنده ، وأن يحاسبوا أنفسهم ! .

إن كلمة (الحب) هذه ، التى ظلمها الناس ، هى الكلمة الكثيرة التـــى اتسمت بها مواكب الأنبياء وقامت عليها مجتمعاتهم ، وهى « الإكسير » الذى جعل صلة أتباعهم بالخير صلة حقيقية تستعذب فى سبيله العذاب ، كما جعل آصرتهم فيما بينهم آصرة الروح من وراء العقل فلا تختلف باختلاف الراى ، وفوق المصالح المادية فلا تتأثر بهوى خاص .

وإنك لتقرأ القرآن فتطالع مصداق ذلك ، وتجد مكان هذا الحب أصيلا . . تجده فى مقام الدعوة هو الوازع الذى تستثيره السماء والغاية التى تلفت اليها القلوب :

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم اللـــه » ، وتجده فى وصـــف المؤمنين : « والذين آمنوا أشد حبا لله » ، وتجده فى وصـــف ما بينهم وبيـــن ربهم : « يحبهم ويحبونه » وتجده فى الحديث عن الخير والشر : « إن الله يحب المحسنين » و « إن الله لا يحب المعتدين » وتجده فى صلة المؤمن بالمؤمن نعمة مزجاة ، يمتن بها الله على عباده مرتين فى آية واحدة : « واذكروا نعمة اللـــه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

وهكذا حيثما تنقلب بين آيات الكتاب الكريم .

وتأتى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدى الكتاب مليئـــــة بالحب فى كل أيامها ، وهذا قوله صلى الله عليه وسلم ينضح رقة وحبا : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى لحب الله إياى » بل إنك لتشهده دائمـــا كالزارع يتعهد بذور هذه العاطفة فى منابتها بالرى والرعاية ، ويدأب على ذلك بحاله ومقاله ، أما حاله فحال الرجل الملىء بالحب يفيضه على من حوله ويتألف قلوبهم بكل سبيل ، وحسبك أن تقرأ فى ذلك المأثور عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم :

يقول أبو سعيد الخدرى : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشـــد

حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه ، وكان لطيف البشرة ، رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس » .

ويقول على بن أبى طالب : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة » .

ويروى القاضى أبو الفضل : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، يتعهد أصحابه ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ، ولايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده فى الحق سواء ، وكان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب » .

ويقول جرير بن عبد الله : « ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا تبسم ، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر » .

ويقول أنس : « ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ، ولم يمد ركبتيه بين يدى جليس له قط ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويكرم من دخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ، ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى ، ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه » .

أما مقاله صلى الله عليه وسلم فكثير وافر .. ويرى منه أبو هريرة : « المؤمن من ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » كما يروى عنه صلى الله عليه وسلم : « إن حول العرش منابر من نور ، عليها قوم لباسهم نور ، ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبين والشهداء ، فقالوا : يا رسول الله : صفهم لنا ، فقال : هم المتحابون فى الله والمتزاورون فى الله » .

بل إنه صلى الله عليه وسلم ليجعل عاطفة القلب فى أداء حقوق الأخوة أصلا لا يتم الإيمان بدونه ، وليست فضلا يتفضل به الأخ على أخيه ، فيقول : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ومن المشاهد العذبة التى تستثير كوامن العاطفة وتوثق أواصر الحب ، ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله : « إن رجلا زار أخا له فى الله ، فأرصد الله ملكا ، فقال: أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال : لحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : فبم ؟ قال أحبه فى الله ، قال الملك : فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه ، وقد أوجب لك الجنة » .

وأبلغ من ذلك أن يدفع الرسول أصحابه الى التنافس فى هذا الحب ويؤسس عليه درجات المتحابين عند الله حين يقول : « ما تحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه » .

أرأيت يا أخى كيف كانت « مادة الحب » فى مدرسة الإسلام الأولى ، وفى أستاذها الأكبر صلوات الله وسلامه عليه ؟ أولست ترى معى بعد ذلك مبلغ الحق فيما قاله محدثى ونقلته إليك قبل لحظات ؟ .

عن مجلة (البعث الاسلامى) الهندية

باقلام القراء

المراة الصـــالحة

من كلمة للدكتور : عبد الناصر توفيق العطار .

ما أحوج هذا العصر الى المراة الصالحة : المراة المؤمنة بربها وبدينها ، المخلصة لوطنها واسرتها ، الساعية الى أداء رسالتها شاكرة لله تعالى صابرة .. المراة التى تجد طاعة الله تهديها ، وثوب التقى والحياء يسترها ، وطهارة القلب ونقاء السريرة يزينها ، والإخلاص لزوجها وأسرتها ووطنها يشغل وقتها .. المراة التى تعرف حقوقها وتعرف مع حقوقها واجباتها .. حقــاً ، ما احوجنـــا الى المراة الصالحة !

ما احوج هذا العصر إلى نساء صالحات مسلمات مؤمنات قانتات تائبـــات عابدات سائحات .. نعم مسلمات والإسلام طريق الصلاح ، طريق الاستقامة ، طريق العلم ، طريق الهداية ، نعم مؤمنات بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرقن بين احد من رسله ، وقلن سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .. قانتات طائعات ، والطاعة تاج المراة فى أعين والديها وزوجها ، وسبب رفعـــة شانها عند ربها وقومها .. تائبات راجعات الى أوامر الله عز وجـــل واوامر رسوله عليه الصلاة والسلام ، مستغفرات لما فرط منهن من ذنوب ، عابدات لله تعالى ، ذاكرات له خاشعات راكعـــات ساجدات صائمات .. (فالصــــالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) .

تلك هى صفات ذكرها الله سبحانه فى كتابه الكريم للنساء الصالحات : ((وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون ، إذ قالت رب ابن لى عنـــدك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبـــه وكانت من القانتين)) .

يا نساء هذا العصر .. ما احوجنا الى المراة الصالحة .. يا نساء هـــذا العصر ، ها هن أخواتكن من قبل أسرعن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعنه على كل ما يكسبهن صفة الصلاح ، فسجل الله عز وجل لهن هذا الصنيع فى قرآنه المجيد حيث قال : ((يا أيها النبى إذ جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ، ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتـــان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم)) .

فبايعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمان صحيح ، وعقيـــدة سليمة ، ونظافة يد ، وطهارة عرض ، وسمو روح ، وعلو همة ، وشرف نفس ، وحفاظ على مكارم الأخلاق ، فابشر بها من بيعة !

تلك صفات المراة الصالحة وهذه مكانتها فى الإسلام .. ولا غرو فلها المكانة

العظمى .. إنها قريبة من رضوان الله عز وجل ، قريبة من رضاء رسوله عليه السلام ، قريبة من حب أبويها وزوجها وقومها .. فإلى شبابنا الذى يبحث عن الحب والسعادة والدفء والحنان نقدم نموذج المرأة الصالحة ..

عمـــورية

ومن كلمة الأستاذ محمد على الطعمى .

ظهر خليفة المسلمين على أقربائه وأصدقائه وأبناء شعبه ، وراح يداعبهم ويلاطفهم وينتزع منهم السرور انتزاعا ، ثم زاد احتفاء الخليفة بهم ، فقدم إليهم الفاكهة الطازجة والحلوى النادرة والمشروبات المرطبة التى ملأت قصر الخليفة بمناسبة هذا الاحتفال العظيم ..

وكيف لا يحتفل الخليفة بهؤلاء المواطنين ، ويزيد فى بهجتهم ويضاعف من سرورهم ، وقد انتصر انتصارا ساحقا فى حرب (بابك الخرمى) الذى انزلق عن تعاليم الدين ، وكاد يحدث فتنـــة جريئة مؤداها الاستخفاف بشريعة الإسلام ؟؟

وفجأة ، ومن غير مقدمات اهتزت يد الخليفة اهتزازا ، وارتعشت أسارير وجهه ، وأحمرت عينـــاه ، وانتفخت أوداجه ، وتغير كل شىء فيه ، ثم زمجـــر زمجرة عنيفة ، وقال فى صوت رهيب :

ــ هاتوا لى السيف ، إنها الحرب ، ولا شىء غير الحرب ، وعلى الجيش أن يتحرك فورا ، وعلى قائده أن ينفذ الأوامر ، ويتعجل المسير ، والا أصـــابت المسلمين معرة ، ولحقت العروبة سبة لن تزول ..

قال القائد فى أدب جم واحترام بالغ :

ــ مولاى فى غمضة عين سأجمع الكتائب ، وأعبىء الذخيرة ، وتمضى بنا الى حيث تريد ..

ــ تحرك بسرعة جبارة ــ أيها القائد ــ سرعة تكون أزيد من اللازم ، ولا تنبس ببنت شفة ، ولسوف أحملك مسئولية التأخير ومغبة التعويق ــ وأعلم إن كنت لا تعلم ، أن تاجرا قدم من مدينة (زبطرة) وأسر إلىّ بأن امبراطور الروم فاجأها ضحى بجيش عرمرم ، وأصلاهـــا نارا حامية ، ثم أباح هـــذه المدينة المسلمة ، وأباح أموالها ، وقال لى التاجر فيما قال : إن امرأة عربية أسرت ، وحين سيقت الى السجن صرخت قائلة : (وامعتصماه) فأحسست بعمق الجرح ، وخطورة الضربة ، ذلك لأن (زبطرة) بلد أحمل لها ذكريات من الماضى البعيد ، فقد ولدت تحت سمائها ، وقضيت مدارج صباى فوق أرضها ، فلا بد من الثأر الفظيع ، والانتقام العاجل ، من هؤلاء الروم المناكيد الذين يفســـدون فى الأرض ولا يصلحون ..

ــ إذن الى أى المدن أتجه بالجيش يا مولاى ..؟

ــ كان فى الإمكان أن نضرب القسطنطينية عاصمة الروم ، ونبيد كل شىء فيها ، ولكن الى عمـــورية مسقط رأس الامبراطور لتكون عبرة لهـــؤلاء العجم الأنذال ...

ــ مولاى .. إن مدينة عمـــورية عزيزة على الروم ، ومن عزتها عليهـــم أحاطوها بأسوار عالية ومنيعة ، وفى غابر العصور استعصى فتحها على الملك كسرى أنو شروان ، وتؤكد روايات التاريخ ان الاسكندر الأكبر الذى هز الدنيـــا تخطى عمورية ، ولم يغزها خوفا من مقاومتها ورهبا من ضراوتها .. فلنضرب (أنقـــرة) .

ـ لا تجادلنى فى شىء ـ ايها القائد ـ ولسوف أضرب عمورية نفسها ، عمورية ذات الأسوار المنيعة والقلوع المحصنة ..

ومضى الخليفة المعتصم فى طريقه لا يلوى على شىء ، ومن ورائه جيش لجب زاخر ، تكاد قوته الحسية والمعنوية تهد الجبال هدا ، فدخل بلاد الروم ، ومر على (أنقرة) مرور الكرام ، ثم وقف على عمورية ، فرآها شامخة البنيان ، تحوطها المتاريس الحديدية ، والصخور الحجرية ، وهنا تذكر قول المنجمين الذين زعموا أن هذه الحملة العربيـــة صائرة الى الخيبـــة والهزيمة ، وقولهم : إن عمورية لا تفتح إلا فى فصل الصيف ، موسم العنب والتين ، وتذكر كسرى أنو شروان يوم أن غزاها وفشل فى غزوها ، وتذكر الاســكندر الذى تخطـــاها بجحافله دون أن يمسها بسوء ..

تذكر الخليفة هذا كله ، لكنه لم يقم وزنا لهذه الاعتبارات ..

وضيق الخليفة الخناق على عمورية ، وهجم عليها بكل طاقاته الفائقة ، ورجالاته الأبطال ، ومع ذلك لم يتقدم شبرا واحدا ، ولم ينل منها نيلا ، وتذكر روايات التاريخ أنه وقف تجاهها خمسة وخمسين يوما ، والمدينة صامدة ، كأنها تتحداه أن يفعل شيئا مذكورا ..

وفى ليلة خرج الخليفة المعتصم يتفقد قواته المسلحة ، ويذهب عن نفسه ما ألم بها من ضيق ، ولعله يجد وسيلة الى ضرب عمورية .. وجاءت الصدفة .. الصدفة وحدها ، فقد سمع الخليفة جنديا يحدث رفاقه ويقول .. عندى خطة منظمة ودقيقة ، وبها يمكننا أن نفتح تلك المدينة العاتية ، ولو استدعانى الخليفة لشرحتها له تفصيليا ، وفجاة وقف الخليفة على رأس ذلك الجندى ، وطلب منه أن يوضح فكرته التى فاقت حد الخيال ، قال الجندى ـ مولاى ـ إن المدينـــة وأسوارها أبنية خشبية وما علينا إلا أن نجمع النبال ، ونحمى النفط حتى يشتد ، ثم نلف هذه النبال بخرق ونغمسها فى النفط ، وعندما تشتعل نقذفها على تلك المدينة ، فتلتهب التهابا وتحدث جزعا فى نفوسهم ..

أصغى الخليفة الى تلك الخطة الجهنمية باهتمام ، وفكر فيها مليا ، فأمر بتنفيذها ، وسرعان ما شدت النبال ورميت رميا ثقيلا كريها ، فأحدثت فى عمورية حريقا بالغا وانفجارا مدويا ..

كان حتما أن تشتبك النار بالأبواب والشبابيك والخشب والقش ، فاحالته جميعا الى اكوام من رماد ، فتهدمت الأسوار والحصـــون ، وفتحت عمـــورية شوارعها ، فدخلتها القوات العربية سراعا ، لكنها فوجئت بقوات العـــدو على أهبة الاستعداد فالتحم الجيشان فى معركة مريرة تجعل الولدان شيبا ، وما هى إلا جولة حتى تقهقر اعداء الله ، وبانت عليهم السخائم والهزائم ، فعرض قـــائد الروم على الخليفة أن ياخذ من الأموال ما يشاء فى سبيل أن يترك المدينة ، فرفض الخليفة بشدة ، وقال ما جئنا طمعا فى السلب والنهب ، وإنما جئنا لتاديب هؤلاء المنحرفين الذين اعتدوا على (زبطرة) وزعزعوا امنها وعاثوا فى ارضها فسادا .

ووقف المعتصم فى ميدان عمورية يزهو بجيشه العنيد وكردوسه الضارب ، وقواده الصناديد ، وحانت الصـــلاة ، فامر بإعلامها ، فدوى المـــؤذن بحنجرته بصوته الكروانى الجميـــل : الله أكبر ، الله أكبر .. فردد المســـلمون التهليل والتكبير ، ولما انتهى الخليفة من صلاته جاءته المرأة العربيـــة التى استصرخته بقولها : (وامعتصماه) جـــاءته لتشكره وتقدم له باقات التهنئة والانتصـــار ، فقال لها : (لبيك يا أختاه) .

أخبار العالم الإسلامي

إعـــداد : فهمى الامام

الكـــويت : أدى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم صلاة عيد الأضحى في مسجد السوق الكبير برافقه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وكبار الشخصيات .

● استقبل سمو الأمير المعظم فى قصر السيف العامر صبيحة عيـد الأضحى جموع المهنئين الذين توافدوا على سموه لتهنئته بالعيد .

● شكلت الوزارة ثلاث لجان للاعداد لمؤتمر وزراء الأوقاف الذى سيعقد فى الكويت فى فبراير القادم .

● احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الهجرة النبوية الشريفة فى مسجد السوق الكبير ونقل التليفزيون والاذاعة وقائع الاحتفال .

● طالب أعضاء مجلس الأمة الكويتى بتقديم الدعم المالى للدول الإفريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل .

● قامت بعثة من ركن التوجيه المعنوى فى الجيش الكويتى بزيارة لواء اليرموك المرابط على قناة السويس ، ونقلت تحيات الضباط والجنود الى أهليهم وذويهم .

مصـــر : استقبل الرئيس أنور السادات السيد ياسر عرفات .. وبحثا القضية الفلسطينية .

● فى شهر مارس القادم يزور الكويت وفد من مجلس الشعب المصرى تلبيـــة لدعوة من مجلس الأمة الكويتى .

● افتتح فى معهد اللغات الحية فى جامعة إسلام أباد قسم جديد لتعليم اللغة العربيـــة ، وقد أوفدت الحكومة المصرية عـــددا من المدرسين بجامعة الأزهر للتدريس بهذا القسم .

● قام وفد سعودى برئاسة الأستاذ حسن كتبى وزير الحج والأوقاف بزيارة لمصر اجتمع خـــلالها بوفد من وزارة الأوقاف المصرية برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف المصرى .. وقرر الوفدان تنسيق العمل الإسلامى الذى تقوم به الوزارتان والاستعانة ببعض خريجى الأزهر من العلماء والدعاة والوعاظ.

● طالب مجلس اتحاد جامعة القاهرة بإدخال الدين فى مناهج الدراسة لجميع سنوات الدراسة الجامعية .

الســـعودية : قام جلالة الملك فيصل بغسل الكعبـــة المشرفة بحضور الأمراء والوزراء وكبار الشخصيات الإسلامية ورؤساء بعثات الحج .

● اشتركت ٢٢ محطة إذاعة فى نقل شعائر الحج من عرفات ومنى والحرم .

● تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ ٤٥ ألف دولار لشراء منزل (بيت المســـلم فى

أمريكا) وذلك مساعدة منجلالته للاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية .

● بلغ عدد الحجاج الذين أدوا فريضة الحج هذا العام من داخل السعودية وخارجها قرابة مليون ومائتي الف حاج .

ليبيا : عقدت اجتماعات بين الرئيسين المصري والليبي من أجل تدعيم الوحدة بين البلدين ووضع خطة مشتركة لمواجهة الوجود الصهيوني .

● صدر قرار بقطع يد السارق وذلك بعد تنظيم اداء فريضة الزكاة ، وتحريم الربا .

المغرب : صرح وزير المالية بزيادة مصروفات التعليم والدفاع في العام الحالي فقد خصص ربع الميزانية للتعليم في المملكة .

الأردن : نظرا للظروف الراهنة التي يمر بها الوطن العربي ألغيت جميع الاحتفالات والمراسم الرسمية التي تقام عادة بمناسبة عيد الأضحى ، واقتصر على أداء الشعائر الدينية .

سوريا : وقعت عدة اشتباكات مع العدو الصهيوني أظهر فيها الجيش السوري بسالته وقدرته على رد العدوان وردع المعتدين .

لبنان : أقام الطلاب المسلمون في الجامعة اللبنانية صلاة الجمعة في باحة قصر الأونيسكو أمام وزارة التربية والتعليم ، وكان الطلبة المسلمون قد طالبوا بإتاحة الفرصة لهم حتى يتمكنوا من أداء الصلاة . وذلك بتعليق الدروس وقت الصلاة .

قطر : تبنى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر مشروعا للحفاظ على كتب التراث العربي ، ويتم تنفيذ المشروع على نفقة سموه الخاصة . .

● أخبار متفرقة ●

● **فرنسا** : قامت مظاهرات في باريس احتجاجا على زيارة رئيسة وزراء العدو الصهيوني لفرنسا ، وطالب المتظاهرون باعادة الشعب الفلسطيني الى وطنه ، وحقه في تقرير مصيره .

● **تشاد** : صادقت جمهورية تشاد على ميثاق المؤتمر الإسلامي وبذلك تكون جمهورية تشاد هي الدولة الخامسة عشرة التي تصادق على هذا الميثاق .

● **ماليزيا** : أكد رئيس وزراء ماليزيا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمكن عن طريقه تحقيق الوحدة الوطنية في ماليزيا .

الولايات المتحدة : صدر كتاب جديد هام بالانجليزية بعنوان « خطوات نحو فهم الاسلام » الفه المستشرق المنصف اريك بيتمان .

روسيا : ذكرت مصادر العدو أن عدد اليهود الروس الذين هاجروا الى اسرائيل في عام ٧٢ م بلغ ٣٢٫٠٠٠ يهودي ، وهو ضعف المهاجرين الروس عام ٧١ م .

اندونيسيا : احتفلت جمعية المحمدية الاسلامية في جاكارتا بمضي ستين عاما على انشائها ، وهي أضخم مؤسسة تعليمية في اندونيسيا .

السنغال : يقوم وفد من رابطة معلمي اللغة العربية بالمدارس الحكومية والحرة في دكار بالسنغال بجولة في بعض البلاد العربية لتوثيق الصلة معها ولطلب دعمها في مشاريع رياض الأطفال لديها .

« الى راغبي الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مؤسسة دار العروبـــة .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ـ العدد ٩٨ ـ غرة صفر ١٣٩٣ هـ ـ ٥ مارس ١٩٧٣ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك

نستعين اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

مشقه مصطفى الراقم المدرس غفر له في سنة ١٢٢٣

نمقه حامد الآمدي نقلها من الاستاذ راقم المدرس سنة ١٣٤٥



مسجد الخليفة

أحد مساجد الكويت الجامعة ، ويمتاز ببساطته وموقعه على شارع الخليج العربى .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (٩٨)

غرة صفر ١٣٩٣ هـ

٥ مارس ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفلت وزارة الأوقاف والشـــؤون الإسلامية بذكرى الهجرة النبوية الشريفة ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ وذلك فى مسجد السوق الكبير ، وقد القى معالى الوزير الأستاذ راشــد عبد الله الفرحان الكلمة التالية فى الحفل :

أيها السادة إنه ليسعدنى ان اتحدث إليكم فى هــذه المناسبة الكريمة مناسبة هجرة محمد صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة ، وانا إذ نحتفــل بهذه الذكرى انما نحتفــل بنبينا محمد وزعيمنا وقائدنا وبانى نهضتنا .. فاعظم به من نبى رسول واكرم به من مناضل شريف عظيم .

أيها الأخـــوة :

لقد اوذى محمد صلى الله عليه وسلم هو اصحابه فى مكة فصبر وثبت ، وناضل بشجاعة وشرف وصدق ، ولكم قاسى من الحرب النفسية الوانا وصنوفا ، وهذه قصة الصحيفة يذكرها التاريخ فعندما احست قريش بان اصدقاء محمد بدأوا يكثرون وبان دعوة محمد بدأت تنتشر فى الأرض فمــا كان منهم بعد أن اسلم عمر وحمــزة الا ان اجتمعوا وائتمروا على محاصرة بنى هاشم فأمروهم بالخروج من مكة فخرجوا الى شعب ابى طالب فى جبل من جبال مكة ، وهناك تم الحصار عليهم مدة من الزمن ، وبلغ بهم الجهد والنبى صلى الله عليه وسلم معهم ، ولكن الله مع الصابرين فاخبر النبى صلى اللهعليه وسلم أصحابه بأن الصحيفة التى كتبت فيها المؤامرة والتى ذكرت فيها المعاهدة اكلتها الارضة ، اكلت الظلم والجور منها ولم يبق فيها إلا



باسمك اللهم فقط ، فعلمت قريش بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وأهله وصحابته وعشيرته من هذا الحصار وكان قد واجه الوانا وصنوفا شتى من الأذى والعذاب ولكنه كان يقابل كل ذلك بصبر وحزم ، وكان يقول دائما : اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون ، ثم سار إلى المدينة ووصلها فوجد الجبهة مفككة مفرقة ووجد الاختلاف ، وجد قبيلتى الأوس والخزرج تتقاتلان . ووجد مشكلة إيواء المهاجرين . ووجد الفقر فى الانصار ، ووجد الفتن ، فتن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة ، وكانت الحرب النفسية على اشدها : ((الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)) .

فكان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوجد الوحدة بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعقد بينهم اخوة ثبتت أركان الدولة على اساس من الحرية ، حرية العقيدة وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة ، وبذلك قضى على فتن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة عندما تحققت الوحدة ، لأن بالوحدة يمكن أن يعمل القائد ، وبالوحدة يمكن للأمة ان تنتصر ، وتم له النصر على المشركين فاقام الدولة ونشر الرسالة .

أيها السادة :

إن الاسلام عقيدة وشريعة وطريقة وفكرة .

أما الفكرة فهى ذلك النظام العظيم وتلك الحضارة التى وصلت الى المشرق والمغرب وأنارت الدنيا بأسرها .

إن رسالة محمد التى نحتفل بذكرى مؤسسها هى خلق جديد للعالم ، هى خلق جديد للانسانية ، خلقت انسانا كاملا ، أعلى شان الحضارة الانسانية والحضارة العربية .. انها لم تأت بطقوس وأمور مفككة مفرقة لا أساس لها ، وإنما جاءت بأسس وأركان وفكر عظيم فاول ما خاطب الانسان بالفكر والعقل والقلب فقال لهم القرآن : ((أفلا تذكرون)) ، ((أفلا تعقلون)) ((أفلا يتدبرون القرآن)) وبلغ عدد الآيات التى تخاطب القلب والفكر مائتين وخمسا وسبعين مرة فى القرآن ، ثم دعاهم الى العلم : ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) . ((انما يخشى الله من عباده العلماء)) . ووردت كلمة العلم فى القرآن نحو سبعمائة وستين مرة ، وجاء بعد ذلك النظر فى السموات والأرض بعد أن يعمل الفكر والقلب يجب أن يتحرك النظر ((قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)) وليس النظر المقصود فى الآية هو مجرد العين وانما يجب أن ينظر الى ما فى السموات من كواكب وما فيها من نجوم وما فيها من طبقات وما فيها من علم . يجب أن نعرف الفلك ويجب أن نتعلم ما فى الفضاء حتى نعرف ما معنى ((أنظروا ماذا فى السموات)) وأنظروا ماذا فى الأرض أنظروا الى طبقات الأرض ، أخرجوا من الأرض المعادن التى فيها حياتكم وفيها معاشكم . وبلغ العدد فى هذا الخصوص مائتى مرة فى القرآن . ويوجه القرآن الناس الى دراسة أحوال الأمم السابقة : ((قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)) . أدرسوا علم التاريخ ، أدرسوا علم الآثار ، أنظروا ((قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) ((قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) ((قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل)) ووردت فى هذا الخصص أثنا عشر مرة تحث على النظر . والسير المقصود والنظر هنا ليس المقصود به هو السياحة لأن آيات السياحة وردت فى غير هذا المقام ، ثم بعد النظر وبعد تقليب الفكر والعلم يكون العمل : ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)) وردت فى هذا الخصوص — أى العمل — ثلاثمائة وثمانون مرة تحث على العمل .

إن رسالة الاسلام لم تأت للعبادة فقط . ولم تأت للرهبنة . وإنما جاءت للعلم والعمل والتفكر والنظر .

هكذا يراد للمسلمين ، وهكذا يراد لأمة الاسلام أن تتحرك ، لأن الاسلام دين وعمل ، فكان العلماء من رسالة الاســلام ، كان الأطباء وكان المهندسون وكان الصيادلة وكان المؤرخــون ، وقامت المساجد ، وقامت المدارس ، وقامت المستشــفيات وقامت الدولة العربية الاسلامية التى هزت المشرق والمغرب ولا يزال المستشرقون يترجمون كتب العرب والمسلمين الى وقتنا الحاضر .

والآن أيها المسلمون أصبحت حالنا غير حالنا بالأمس فقــد تفرقنــا وبعدنا عن رسالة الاســلام ، وصرنا نذهب الى المشرق والمغرب نلتمس العلم ، ولا بأس فى ذلك ، أن نلتمس العلم « أطلبوا العــلم ولو فى الصين » ولكننــا يجب أن نلتمس العــلم النافع والعمل الصالح .

وفى هذه المناسبة أود أن أقول فى هذه الذكرى ذكرى الجهــاد العظيم والنضال المرير يجب أن يتعلم أصحاب الأفكار والاتجاهــات اليسارية المتطرفة وأصحاب الأفكار والاتجاهات اليمينية الرجعية ، يجب أن يتعلموا كيف يكون النضال وكيف يكون الجهاد وكيف تكون خدمة الأوطان والاخــلاص للأمة ، يجب أن يسلكوا طريقــا شريفا ، ويجب أن يصدقوا فى أقوالهم وأعمالهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم .

وأود أن يتذكر الذين أنعم الله عليهم بالمال من الدول والأفراد يجب أن يتذكروا بأن لهم اخوانا مسلمين فى المشرق والمغرب وفى جنوب آسيا وفى أفريقيا وفى أوروبا وفى جميع انحاء العالم هم فى حاجة لمساعدتهم المادية والمعنوية ، فيجب أن يسهم من أنعم الله عليهم بالمال فى الدعوة الاسلامية بأموالهم وأن يوظفوا رءوس أموالهم فى البلاد الاسلامية بدلا من أن يوظفوها فى البلاد الكافرة الاجنبية فان لهم فى ذلك خيرا فى الدنيا وأجرا فى الآخرة .

وانى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد علينا هذه الذكرى وقد اجتمعت كلمتنا وتوحدت صفوفنا وتناسى زعماؤنا ورؤساؤنا خلافاتهم فاننا بتوحيد الصف نتغلب على أعدائنا ، نسأل الله سبحانه وتعالى العزة والنصر والوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحــدة الصف ، والله سبحانه وتعالى هو مجيب الدعوات وهو خير الناصرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من هدي السنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

« اخرج ابو داود عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا فى سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه فى راسه ، ثم احتلم ، فسال اصحابه : فقال : هل تجدون لى رخصة فى التيمم .. ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم اخبر(١) بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله ، الا سالوا اذا لم يعلموا ، فانما شفاء العى(٢) السؤال ، انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده » .

وفى مسند الإمام احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رجلا اصابه جرح فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصابه احتلام ، فامر بالاغتسال فمات ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قتلوه قتلهم الله ، الم يكن شفاء العى السؤال » (٣) .

---

١ — درس نعم هو ، وإرشاد كريم ما اقومه ، فكم قتل الجهل اقواما ، وكم احيا العلم آخرين ، ومصدر التوجيه هنا هو من كانت حركاته وسكناته ، ونومه ويقظته ، وسيره وتوقفه ، وجهاد وسلمه ، وجده ومزحه ، سنة وهداية وقدوة واسوة ، فما حظيت الانسانية قمة الكائنات بمثل يشابهه او يقاربه فى حدبه عليها ورفقه بها ، وعطفه على مسيئها ، وحبه لمحسنها ، وقف عليه افضل الصلاة وازكى السلام جهوده على تعليم البشرية وارشادها صادعا بأمر ربه

الذى اصطفاه وختم برسالته رســـــالات السماء ، وما تركها الا على المحجة البيضاء ، حين جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، واكمل الله الدين واتم نعمته ، ورضى للبشرية الاســـلام دينا ، حاطه بالعلم وأوجب التعمق فى النظر ، والزم متابعة الدرس ومواصلة البحث ، والنفوذ الى اغوار الأشياء والخلوص الى اسبابها ومسبباتها ، ومداخلها ومخارجها ، ففى كل شىء له آية ، وفى كل اثر برهان يفتح الأذهان ويزيد الإيمان ويجلى للعيان آثار قدرة الرحمن وما عليك لكى تدرك مدى حرص سيد الرسل صلى الله عليه وســـلم على إرشاد أصحابه وحملهم على المعرفة حملا قويا إلا أن تراجع قليلا احواله عليه أفضل الصلاة وازكى السلام فى مجالسه معهم واقواله الملقاة اليهم ، وطيب الكلم الذى صدر عنه فى أسلوب سهل واعجاز ما فاقه إلا إعجاز القرآن ، حيث تجد العبارة المنتقاة التى تأخذ طريقها الى القلوب فى يسر ورفق ، فتعمل عملها المبتغى ، ويظهر أثرها المرتجى انعكاس خير على المجتمع الذى تسيطر عليـــه والقوم تحميهم من غائلة أنفسهم وعاديات الخصم الألد ألا وهو الجهل وما الجهل إلا (مكروب) فتاك وداء قتال وعودة الى مسارى الغابات وعيش فى دياجير ظلام ، وسد حائل دون كل كريمة ، ودافع قوى ضد كل رقى ، استمع الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فيما رواه الإمام احمد وأخرجه البخارى وغيرهما : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » . ودين دون فقه غباء وبلاء وتخبط فى عمياء مجهل .

ويروى ابن ماجه والترمذى قوله عليه الصلاة والسلام : « فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد » فالعابد لنفسه عمل وربما ضل الطريق لأنه لم يدرس معالمها قبل الولوج فيها ، وأما الفقيه الفاقه للدين فشـــــمس تبعث الحياة فى الوجود ، وتقشع غياهب الظلام ، وتوضح للسالك دروب سبيله ، والفقيه ناج يأخذ بيد غيره الى النجاة ، ويجنبه مهاوى الهلاك ، وقد جعل سيد الخلق طلب العلم فريضة على كل مسلم فى خلاصة حديث رواه أنس واورده ابن ماجه فى سننه ، ولم يكن فيما أوجبه من العلم على المسلم اقتصار قط على علوم الدين البحتة ، بل الزم عمليا بعض اصحابه بتعلم ما يوصل الى كل معرفة كونية ، وما يبين عن علوم الآخرين فى ثقة وامانة ، ولو كان هذا فى غير لغة القرآن وبعيداً عن مسالك يعرب ولسان قحطان وفصاحة قريش ، فها هو ذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يعجب ويسر بزيد بن ثابت ويرى عليه دلائل النبوغ واضحة فى حفظه لبعض سور التنزيل ، وهو لا يزال فى سن مبكرة يقول له : « يا زيد تعلم لى كتاب يهود ، فإنى والله ما آمن يهود على كتابى » وفى وجه آخر من الرواية يقول له : « إنى أكتب الى قوم فأخاف ان يزيدوا على أو ينقصوا ، فتعلم السريانية » قال زيد : « فتعلمتها فى سبعة عشر يوما » ويرد هذا الخبر وأكثر منه فى طبقات ابن سعد وتاريخ دمشـــق لابن عساكر .

٢ — وأول مكان نستطيع ان نطلق عليه اسم مدرسة هو المـــكان الذى قامت فيـــه دار الأرقم بن الأرقام باعتبار المدرســـة هى المكان الذى تتلقى فيه دروس محدودة المعالم واضحة الأهداف بينة المناهج يقوم عليهـــا معلم أو معلمون يحسنون التوجيه ، ويجيدون الأداء ، ويفقهون كل ما يلقون الى تلاميذهم ويحرصون على استيعابهم لكل ما تحتوى عليه مناهج دراساتهم ، فقد كانت

تلك الدار مكان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه الأوائل حين كانت الدعوة تدب فى مكة دبيب البرء فى السقم فتشفى عقـــولا مستعدة من أمراضها الجاهلية ، وكانت تتلقى الدروس سرا ، حيث كان الحواريون الأول يتذاكرون ما ينزل من كتاب الله ، ورسول الله يعلمهم مبادىء الاسلام ، ويأمرهم بحفظ ما يســـــتطيعون حفظه عن ظهر قلب غيب ، ومن هذه الدار دار الأرقم خرج رسول الله بين صفين من المسلمين ، يتصدر أحدهما حمزة بن عبد المطلب ، والثانى عمر بن الخطاب ، وكان لهما كديد ككديد الطحين « أى غبار متصاعد يشبه ما يتصاعد من الطحين » وبعدها صارت الدعوة جهارا نهارا ، وأصبح بيت رسول الله هو الندوة التى يتلاقى فيها المسلمون ، وظلت كذلك حتى هاجر الجميع الهجرة الكبرى الى المدينة المنورة (يثرب) وهناك بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقامت دور نسائه أمهات المؤمنين الى جواره ، فكان من أثره فى حياة المسلمين ما جعل كل أحوالهم عبـــادة وطاعة يتلقون الكتاب والحكمة ، ويطبقون ما اشتملا عليه من تشريعات وأحكام تطبيقا دقيقا بكل ما اشتملت عليه الدقة من معان ، وكان جوابهم على كل ما يسمعون من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ، وما كان تعليم الرسول لأصحابه ليتحدد بمكان أو زمان ، فقد حفلت دور المهاجرين بلقاءات معه صلى الله عليه وسلم ومجالسهم الخاصة وطرق المدينة وحوائطها ، فكلما التقى فرد برسول الله وجهه الى الخير ودعاه الى اجادة العمل ، وأوضح له ما أغلق عليه ، وبين له ما أشكل ، تستوقفه عجوز فيتحدث اليها ، ويلقى غيرها فلا يغادره حتى يبدأ بالمسير ، ويمد يده مصافحا ، وتبدى قسمات وجهه الشريف نورا يجذب الناس إليه ويكأكئهم عليه ، وهو دائمـــا صابر محتسب مبتسم لا يثقل على أصحابه ، وإنما يتخولهم بالموعظة ليستطيعوا استيعاب ما يلقى اليهم فعن ابن مســــعود رضى الله عنه قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا » كما ورد فى مسند الإمام أحمد ، كما كان سيد الخلق يتحدث الى كل فئة من الناس بما يناسبهم ، وبما يستطيعون إدراكه إدراكا تاما ، فله صلى الله عليه وسلم مع البدوى أسلوب يغاير أسلوبه مع الحضرى ، كما كان يضرب الأمثال شرحا لغامض أو جلاء لخاف أو فتحا لمستغلق أو تفهما لمن حال استعداده دون إدراك ما يلقى اليه بادىء ذى بدء ، فقد جاء فى صحيح مســـــلم ما نصه : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل من بنى فزارة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى ولدت غلاما أسود وإنى أنكرته ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم ، قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حمر . قال : « هل فيهما أورق »(٤) ؟ قال : إن فيها لورقا . قال « فأنى أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نزعه عرق . قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » .

وكان هذا جوابا شافيا حاسما فى موضوع السؤال لا يمكن للسائل أن يعقب عليه بنفى أو إنكار ، فقد حاوره المصطفى محاورة تركزت على ما يجرى فى بيئته ، ويتحرك أمام عينيه وتلمسه حواســـــه ، فهل له بعد ذلك أن يكرر « وإنى أنكرته » ؟ .

ذلك لعمر الحق برهان واضح على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وأن ما يلقى اليه إن هو إلا وحى يوحى ، وإلا فبأى شىء يوصف ما يصدر عنه من قول حكيم ، وتطبيق مستقيم ، وتوجيه ما له نظير ، أتلك عبقرية ، اذلك سـلامة فطرة ، وإن كانت فمن وهبهـا ومن فطرها ومن هداها فى تلك الحقب القفراء من العلم والمعلم ، من الكتاب والـكاتب ، من النضـوج العقلى وفقه العقلاء لا محيص أن نقول مصـدر كل ذلك هو العليم الخبير الذى اصطفى وعلم واختار وأرشد ، وأرسـل رسوله وآتاه الحجـة البالغة ، ومنحه الحكمة وفصل الخطاب ، ولجمال ذلك الأسلوب فى التعليم والتوجيه نسوق مثالا آخر أورده الطبرانى فى الكبير : « قال الراوى : أتى النبى صلى الله عليه وسلم فتى من قريش فقال : يا رسول الله ائذن لى فى الزنا فأقبل القوم عليه وزجروه ، فقالوا : مه مه !! (لكن سـيدنا الحبيب المصـطفى) قال : ادنه فدنا منه قريبا ، فقـال : « أتحبه لأمك ؟ » قال : لا والله ، جعلنى الله فداك . قال : « ولا النـاس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك ؟ » قال : لا .. والله .. يا رسول الله جعلنى الله فداك .. قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » ـ ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته ، وفى كل ذلك يقول الفتى مقالته : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك ـ قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه » قال الراوى : فلم يكن هذا الفتى يلتفت بعد ذلك الى شىء » كما ورد عن البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم يكرر القول ثلاثا لكى يفهم عنه ، وعن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يسرد الكلام كسردكم ولكن كان إذا نطق تكلم بكلام فصل(٥) يحفظه من سمعه ..

وفى رواية أخرى : إنما كان النبى يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ، ولم يقبل أبدا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام أن يطريه أصحابه أو يطيلوا الثناء عليه « إلا بالصيغ التى صحت عنه » ففى مسند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه يوما : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » .. وأنه ـ وإن كان كل توجيه وحكم وتعليم وارد فى الكتاب والسنة منه ما يعم النساء والرجال جميعا ، وإن ورد الخطاب للمذكر وخاصة فى العقائد وأصول الدين ـ فمع هذا نجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص النساء بمجالس خاصة حين قلن له : يا رسول الله ما نقدر عليك فى مجلسك من الرجال فواعدنا منك يوما نأتيك فيه ؟ قال : « موعدكن بيت فلان » وهناك لقيهن وتحدث اليهن مجيبا عن كل ما وجهن من أسئلة ، كما حكى ذلك البخارى ومسلم وغيرها ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » فقد كن لا يتحرجن فى الاسئلة مهما كانت ما دامت ترمى الى فهم ما استغلق عليهن من أمور دينهن رضى الله عنهن جميعا ، روى البخارى أن امرأة (٦) جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « يا رسـول الله ، إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت » ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا رأت الماء » فغطت أم سلمة ـ تعنى وجهها ـ وقالت : يا رسول الله ، أوتحتلم المرأة ؟ قال : « نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها ؟ » .

٣ ـ والحديث الشريف موضوع البحث يكشف عن خبيئة نفس المتطاول الى مستوى لم يهيأ له ، ولا تسمو به مؤهلاته اليه ، فهو يريد الصدارة وما تليق

به إلا المؤخرة ، وتلك صورة تمر كثيرا فى حقب الزمان المتباينة ، وبين كل أرباب الوظائف والحرف المختلفة ، فكم من صريع على يد مدعى النطاسة ، وكم من جاهل يبدى للعامة أنه نقريس(٧) ، وما أكثر ما يتصدرون للفتيا وهم من الجهالة بمكان ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، وهذه أحوال يجب أن يبتعد عنها وينفر منها من ينتسب الى الاسلام دين الحق الواضح والعلم النـــافع ، ولهذا نجد ونلحظ هنا فى حديث سيدنا الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بالموت والهلاك لأولئك الذين افتوا بغير علم فأماتوا صاحبهم ، ويقول فى جلاء واشراق ما معناه : هلا اســـتعملوا من غيرهم ممن هو أدرى منهم بالحـــكم إذ جهلوا وحين اغلق عليهم الأمر ، ويشرح حالهم المتهافت ، وأنهم لا يستحقون الحياة ، لأنهم هم مرضى وجهلة ، ومع هذا لم يحاولوا شفاءعيهم ويتغلبوا على قصور معارفهم بسؤال من يعلم : « قتلوه ، قتلهم الله ، ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العى الســؤال » ولعل الذين يتجـــرأون على الله ، ويفتون بما لا يعلمون أن يتخلوا عن كبريائهم المتكلف حتى لا يكونوا وقودا للنار ، فقد ورد فى الأثر : أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان إذا ســـئل أحال السائل على سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فيقال له فى ذلك فيقول : « أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورا يوم القيامة تقولون أفتانا بهـــا ابن عمر » ولن يغض من قيمة المسئول حتى العالم أن يقول لا أدرى ، فقد روى عن مالك بن أنس رضى الله عنـــــه أنه قال : « من قال لا أدرى فقد أفتى واســـتبرأ لدينه » وهذا إذا لم يتعين الافتـــــاء على هيئة أو شخص فحينئذ يستعين الله ويتحرى الصواب ، ويتقى الله ويعلمه الله إنه سبحانه نعم الهادى الى سواء السبيل ..

---

(١) بالبناء للمجهول ..

(٢) عى بالامر عيا وهو عيى : عجز عنه ولم يطق إحكامه .. والرجل يتكلف عملا فيعيا به وعنه اذا لم يهتد لوجه عمله .. وعييت فلانا أعياه أى جهلته .. الخ « تراجع مادة : عيا » فى لسان العرب ..

(٣) ورد هذا النص فى مسند الامام أحمد باسناد صحيح ، والنص السابق رواه أبو داود فى سننه والغاية فى النصين واحدة وان اختلفت الرواية .

(٤) الاورق من الابل الذى فى لونه بياض الى سواد ، والورقة (بضم الواو وسكون الراء) سواد فى غبرة (بضم الغين المعجمة) وقيل سواد وبياض كدخان الرمث يكون ذلك فى أنواع البهائم وأكثر ذلك الابل ــ « لسان العرب مادة : ورق » .

(٥) فى لسان العرب مادة (فصل) : وفى صفة كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فصل لا نزر ولا هذر : أى فاصل قاطع .

(٦) فى فتح البارى بشرح البخارى تاليف : الحافظ شهاب الدين أبى الفضل العسقلانى المعروف بابن حجر : ان السائلة هى : أم سليم بنت ملحان والدة أنس بن مالك وأن أم سلمة رضى الله عنها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم كانت حاضرة المجلس .

(٧) يقال : نطاسى للطبيب الحاذق بالطب العـــالم بفنونه ، كما يطلق نقريس : على الفطن للامور الفاقه لها ــ « لسان العرب مادة : نطس » .

نظرة فاحصة حول

الاباحة

عند الأصوليين والفقهاء

د. محمد سلام مدكور

الإباحة من باح بمعنى ظهر .. يقول الآمدى : إن المباح مشتق من الإباحة وهى الإظهار والإعلان ، وقد ترد بمعنى الإطلاق والإذن(١) . وقد ذكر الاصوليون عدة تعريفات لهـا ، وللمباح والذى انتهينا الى اختياره(٢) هو ما ذهب اليـه الآمدى من أن المباح : ما دل الدليل السمعى على خطاب الشـارع بالتخيير فيه بين الفعل وتركه من غير بدل .. وأن الإباحة على هذا دلالة خطـاب الشارع على التخيير بين فعل الشىء وتركه من غير بدل .. وبذا يخرج عن دائرة الإباحة هنا تخيير العباد فى الكفارات عن حقيقة الإباحة لأنه تخيير بين أمور يجب فعل واحد منها اى تخيير الى بدل .. لأن التخيير فى الإباحة تخيير بين مطلق الفعل ومطلق الترك دون ترتب ثواب او عقاب على الفعل أو على الترك ..

وعلى هذا التعريف يكون المناط فى الإباحة أن يخير الشـارع بين الفعل والترك بقطع النظر عما يترتب على ذلك من مصلحة أو مفسدة لأن التشريع فى جميـع الأحكام مرتبط بالأدلة الشرعية ومسـاير لدلالتها فما دل الدليل على وجوبه فواجب ، وما دل على تحريمه فحرام ، وما دل على إباحته فمباح من غير نظر لمـا يترتب على ذلك من مصـلحة فى اعتبارنا أو مفسدة ..

وفى التقييد بأن ذلك يـكون عن طريق الدليل السـمعى ـ نصا أو استنباطا عن طريق الامارات التى وضعها الشارع لبيان أحكامه لأهل الذكر ـ احتراس ايضا عن مذهب

المعـــتزلة فى التحســـــين والتقبيح العقليين ، ودعوى أن الأحكام تدرك بالعقل من غير توقف على دليــل الشرع ، وان الشرع إنما يجىء مؤيدا لها . .

والإباحة الشرعية داخلة فى الحكم الشرعى وقسم من أقســـامه . . لأن الحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الطلب أو التخيير أو الوضـع(٣) ، ويندرج تحت الطلب الواجب والمنــدوب والحرام والمكروه مما يطلق عليه الحـــكم التكليفى ، وينــدرج تحت الوضـــع السبب والمانع والشرط مما يطلق عليه الحكم الوضـــعى . . أما الحـــكم التخييرى فهو الإباحة الشرعية . .

وإنمـــا قيدنا الإباحة هنا بأنهـــا شرعية لنخرج الإباحة الأصلية ، التى لم يرد فى شأنها حكم شرعى وقرر الفقهاء أن الأصل فى الأشياء الإباحة وإن كانوا قد اختلفوا حول ذلك تبعا لاختلاف الموضوع ، ومع هذا فيمكن القول بأن الإباحة الأصلية أيضـــــا تدخل تحت نطـــاق الأحكام الشرعية باعتبار أنها مســـــتفادة من بعض النصوص كقوله تعالى : « خلق لكم ما فى الارض جميعا » .

ويســــتعمل الفقهاء لفظ الاباحة كثيرا فى مقابلة الخطر ، فقالوا : إن المبـــاح ما أجيز للمكلف فعله وتركه بلا استحقاق ثواب ولا عقاب أو مأخذ فيه ، ويذكر بعض الفقهاء الإباحة بمعنى ما يقابل التحريم فتكون شاملة على هذا المكروه ، وتكون على هذا قريبة من الجواز إذ قالوا : جائز مع الكراهة . وقال ابن قدامة الحنبلى فى شأن النثار ــ أى نثر الحلوى ومثلها فى الأفراح والموالد ــ : إن الخلاف إنما هو فى كراهيته وأما إباحتـــه فلا خلاف فيها(٤) ، فهو صريح فى أن الإباحة لا تنـــــافى الـــكراهة ، وممن جعل الإباحة فى مقابلة الخطر الذى هو المنع . الفقيه الحنفى العينى(٥) ، وقاضى زاده(٦) ، وشـــيخ زاده(٧) وغيرهم ، فقـــال هؤلاء : هى الإطلاق فى مقـــابلة الخطر . ولفظ الإطلاق يتناول الإطلاق من جانب الله والإطلاق من جانب العباد بعضهم مع بعض . والإباحة على هذا تكون بمعنى الإذن . ولذا نجد الجرجانى فى تعريفاته يقول : الإباحة الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفاعل(٨) .

والإذن من الشـــــارع يكون فى الاستيلاء على المال المباح وهو كل ما خلقه الله لينتفع به الناس على وجه معتاد وليس فى حيازة أحد مع إمكان حيازته ، والمال المباح بإذن من الشارع قد يكون حيوانا بريا وبحريا وطيرا ويكون نباتا حشائش وأعشابا حطبا ، ويكون جمادا وأرضا مواتا ونارا وماء وهواء ، وفى هذا يقول الرسـول عليه السلام : « النـــاس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » وبالاستيلاء على المال المباح تنشـــأ عليه ملكية تامة دون اعتبار للأهلية فى شخص من اســـتولى عليه لأنه سبب فعلى للملكية .

وكذلك فان إذن الشارع يكون فى مجرد الانتفاع دون تملك لرقبة الشىء المنتفع به كالإذن فى الانتفاع بالمساجد والطرقات العـــامة ، ونحوها وكذا الرباطات على الوجه الذى شرعت له ، ويدخل فى ذلك إباحة الانتفاع بأشعة الشمس وضـــوء القمر . . ونحو ذلك . .

والإذن من الأفراد بعضهم لبعض على سبيل الاســـــتهلاك كمن ينثر النقود والحلوى فى الأفراح ، ويقدم الشراب والطعام للأضياف . . فان ملكيته للمأذون له لا تكون إلا بالتناول . . بل ذهب البعض الى أنه يستهلكها وهى على ملك صاحبها ، ويكون إذن العباد بعضهم لبعض على ســـــبيل

الانتفاع فقط مع بقاء الرقبة على ملك صاحبها كمن يدعوك لركوب سيارته او السماع من مذياعه أو مشاهدة مسرحية عنده ، أو التفرج بصور في معرضه الى غير ذلك من صور إباحة المنافع ..

ويشترط في الإذن من العباد ليفيد الإباحة أن لا يكون على وجه يفيد التمليك إذ أن الإباحة بطبيعتها لا تفيد تمليكا على **ما سنبينه في مقال آخر** ، كما يشترط أن يكون الإذن على وجه لا يأباه الشرع ، فلو أذن شخص غير مسلم لصديق له مسلم في تناول قدح عنده من الخمر كان هذا الإذن غير معتبر ، وكذا لو اباحت امراة نفسها او اباحها زوجها فإن ذلك الإذن لا يبيح عرضها للغير وإنما هو منكر وإثم ولا يعفيه إذنه أو إذنها أو إذن زوجها من استحقاق العقاب اذا ما شرب الخمر أو فعل الفاحشة .. فإذن العبد دائما متوقف على إذن الشرع .. فهو وحده لا يحقق الإباحة الشرعية ..

مع أن القوانين الوضعية غير الاسلامية تجعل إذن المراة البالغة العاقلة الرشيدة غير المتزوجة محققا للإباحة ومانعا من المسئولية ما دام الفعل غير خارج على النظام العام ، ولا مخالف له .

والواقع أن ربط الاعمال جميعا بإذن الشارع وترخيصه ولا سيما في مثل هذه الجزئية أمر له مزيته وخطره في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع . ولعل ما حدث في أوروبا والبلاد الغربية يؤيد نظرية الشريعةالاسلامية في هذه الجزئية .. فقد تحللت الجماعات الاوروبية والامريكية ومن على شاكلتهما بشيوع الفاحشة والإباحة فيها .. وما كان ذلك إلا لإباحة الجنس واعتباره حقا شخصيا لا يمس صالح الجماعة ..

ومن الغريب أن القوانين الوضعية لا تعتبر كل وطء محرم زنا ، واغلبها يعاقب بصفة خاصة على الزنا الحاصل من الزوجة ، ويعتبر إتيان من عدا الزوجة وقاعا أو هتك عرض ، ولا يعاقبون على الوقاع إلا في حال الاغتصاب ، فإن كان بالتراضي — أي بإذن منها بأن اباحت له نفسها — فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيبا ..

ولعلك يا أخي القارىء أدركت ما في التشريع الاسلامي من أصالة ، وما لفقهاء المسلمين من عمق في البحث وبعد نظر حينما اشترطوا لإعتبار إذن العباد بعضهم لبعض أن يكون على مرفق الشرع غير خارج على قواعده وآدابه العامة ..

وأما إذن الشارع وحده فإنه لا يتوقف على إذن العباد إلا بالقدر الذي يحفظ النظام ويمنع التشاحن ، ومع هذا فإن من حق المأذون له من الشارع أن يستوفي ما اذن له فيه سواء أذن الناس أم ابوا ، فالمضطر لأخذ الفائض من طعام غيره أو شرابه لينتذ به حياة نفسه أو حياة من يعول حق له الأخذ ولو جبرا عن صاحبه دفعا للاضطرار لقوله تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ومع هذا فإن حق العبد في الضمان لا يسقط بإذن الشرع .

ومع توقف الإباحة في إذن العباد على إذن الشارع فإننا جعلنا إذن العباد قسما مقابلا لإذن الشارع باعتبار أن إذن العباد فيه هو الأساس ، وأن الشارع جعله كذلك ، وجعل إذنه فيه متوقفا على إباحة صاحبه وإذنه ، ولهذا وجدت جزئيات كثيرة يتحقق فيها الإذنان ، وينفصل بعض تلك الجزئيات عن بعض انفصالا نوعيا بناء على هذا التقسيم . وهو انه وإن كان المعول فيها على إذن الله وحده كما في نوم المعتكف في المسجد واكله وشربه فاننا نعتبره من

قبيل إذن الله لأننا لا نبالى بأن يوافق العبد أو لا يوافق ، بخلاف مثل التناول من طعام الغير إذا أذن فيه صاحبه كما لا يخفى ، وكذلك استحلال البضع بكلمة الله فإن الله سبحانه احل الزواج وأذن فيه ، ولا يتم ذلك إلا بالتعاقد والرضا من الزوجين .

فحق الله(٩) ليس مجالا لإذن العبد ولا ترخيصه ، وبناء على هذا لم يعتبر الترخيص بالزنا وإن كان الحق فيه قد يلتبس بما هو حق العبد وملكه بناء على ما يقولون من أن منفعة البضع ملك الزوج ، كما يصرحون فى تعريف النكاح بأنه عقد يرد على ملك المتعة .. وهذا يلتقى مع ما قلناه فى شأن إذن العبد ولا يختلف عنه لأن كل تصرف لا بد أن يكون فى حدود ما أباح الشارع وأذن به . فملك المتعة من المرأة لا يقضى بحرية التصرف فيه مطلقا بل لا بد أن يكون ذلك التصرف فى حدود ما أذن الشارع به .

فالزوج وإن كان مالكا للانتفاع بالبضع إلا أن التصرف فيه مقيد بإذن الشارع .. لأن ملك المتعة من قبيل ملك الانتفاع لا ملك المنفعة ، وملك الانتفاع يقتصر التصرف فيه على المالك بخصوصه بخلاف ملك المنفعة .. ولهذا فسره الحصكفى فى الدر بقوله(١٠) : ملك المتعة وهو اختصاص الزوج بمنافع بضعها وسائر أعضائها على سبيل الاستمتاع الشخصى ، وفى حاشية قليوبى وعميره على شرح منهاج الطالبين « إن النكاح شرعا عقد يتضمن إباحة ربط ، بلفظ نكاح او تزويج فهو ملك انتفاع لا ملك منفعة » وفى الإقناع(١١) : هل النكاح يفيد ملكا أم إباحة ؟ وجهان : أوجههما الثانى . على أن القول بأنه ملك يمكن أن يفسر بأنه ملك انتفاع لا ملك منفعة ، وملك الانتفاع فيما يبدو مرادف للإباحة .

هذا والإباحة التى مصدرها إذن العباد بعضهم لبعض ، قد تكون بما لا وجوب فيه على العبد كما فى التبرع بدعوة شخص إلى طعام أو شراب أو مبيت وغير ذلك ، وقد تكون إسقاطا لواجب او خروجا من عهدة كما فى النذر ونحوه من الكفارات ، وكما فى الضيافة الواجبة ، عند بعض الفقهاء ، ولا منافاة بين كون الفعل إباحة وكونه خروجا من عهدة، فان الإباحة هنا يكون معناها الإخلاء بين الفقير وبين تناول الطعام من غير تمليكه إياه وفرق بين الأمرين .. والخروج من العهدة كما يتحقق بالتمليك يتحقق بالإباحة فى الجملة ، وهذا فى الحقيقة من قبيل الواجب المخير الذى يسقط فيه الواجب ويخرج عن العهدة بفعل البعض .

يقول الفقهاء : إن من عجز عن الصوم فى كفارة الظهار أطعم ستين مسكينا إما على سبيل التمليك بدفع الطعام الذى هو نصف صاع من بر او صاع من شعير أو دقيق ، وإما على سبيل الإباحة بأن يغديهم ويعشيهم ، وإما على سبيل الجمع بين الإباحة والتمليك بأن يغديهم ويعطيهم قيمة العشاء أو بالعكس لأنه جمع بين شيئين جائزين على الانفراد ، وقالوا : إنه لو أباح واحد اكل الطعام فى يوم واحد دفعة واحدة اجزاه عن يوم واحد فقط .

جاء فى التنوير وشرحه وحاشيته : « تصح الإباحة بشرط الشبع فى طعام الكفارات سوى القتل فإنه لا إطعام فيه فلا إباحة »(١٢) والضابط فيما نرى ان ما شرع بلفظ إطعام وطعام جاز فيه الإباحة ، وما شرع بلفظ إيتاء أو أراد شرط فيه التمليك .

وقد يكون ذلك الإذن فى صور مما ندب إليه الشارع وحث عليه كما فى الولائم والعقائق والتضييف ، ومما ندب إليه الشارع وحث عليه

خلط المسافرين أزوادهم فى السفر ، ولا سيما إذا نفذ زاد بعضهم وقد ورد هذا فى حديث الصحيحين(١٣) عن أبى موسى الأشعرى ونصه أن النبى صلى‌الله عليه وسلم قال : « إن الأشعريين إذا أرملوا — أى فنى طعامهم — فى الغزو ، أو قل طعام عيالهم فى المدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية . فهم منى وأنا منهم » . قال النووى فى شرح مسلم : وليس المراد القسمة المعروفة فى كتب الفقه ، وإنما المراد إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود . ويقول الكرمانى فى شرحه لصحيح البخارى إن هذا من باب الإباحة . .

وقد ورد هذا فى الفتاوى الهندية فى باب الكراهية فى الأكل وعباراتها(١٤) « المسافرون إذا خلطوا أزوادهم أو أخرج كل واحد منهم درهما واشتروا طعاما وأكلوا فإنه يجوز وإن تفاوتوا فى الأكل » . ونقله عن الوجيز ، كما أورده أيضا ابن قدامة الحنبلى فى كتابه المغنى فقال(١٥) : ولا بأس أن يخلط المسافرون أزوادهم ويأكلوا جميعا ، وإن أكل بعضهم من بعض فلا بأس ، وقد كان السلف يتناهدون فى الغزو والحج . . أى يرعى بعضهم بعضا .

وما اعتبره كل من النووى والكرمانى ومن ذكرنا من الفقهاء من كون هذا من قبيل الإباحة شرح فقهى دقيق وهو المتقدح لأنه إذن عرفى دارج فى الاستعمال فبعد أن خلطوا الزاد بعضه بعض وجلسوا للأكل كان ذلك إذنا من كل واحد منهم للآخرين ولا معنى لهذا إلا أن كلا منهم أباح ما خلطه من طعام للآخرين .

ولا فرق بين هذا وبين صورة الضيافة لأن كلا من المضيف والمسافر مع زميله ، أو المواسى مع من يواسيه يبذل ما عنده ويجود به ، ولهذا شبهه صاحب المغنى الحنبلى بالنثار ، وفرق بينهما بأن النثار نهبة وتسالبا وتجاذبا بخلاف هذا فإنه عن رضى وطمأنينة . فهو عندنا أقرب الى معنى الضيافة وهى لا خلاف فى أنها إباحة . .

هذا وقد يتصف إذن العباد بعضهم لبعض بالكراهة كما فى الضيافة المشتملة على الاسراف أو التى أساسها التفاخر والمباهاة ، أو الخروج بها عن حدود الآداب دون أن تصل الى مرتبة الحرمة ، وإلا كانت خارجة عما نحن بصدده وهو ما كان على وجه لا يأباه الشارع .

ومقتضى مسلك الأصوليين فى الجملة — ما عدا الحنفية — أن المكروه ليس على وجه يأباه الشارع ، على أنهم يختلفون فى كونه منهيا عنه أو غير منهى عنه ، وكونه من الأحكام التكليفية . . أو من غيرها(١٦) ، والتحديد بين المكروه والمحرم فى مثل هذا أمر يختلف باختلاف ما يشتمل عليه الفعل من المفسدة والضرر واختلاف المنفق ، ويمكن لفقيه أن يدركه بالنظر فى الجزئيات واختلاف بعضها عن بعض فى هذه الناحية .

يقول الشاطبى فى الموافقات(١٧) : ليس فى الإسراف حد يوقف دونه ، وأن الإنسان يرى بعض المباحات بالنسبة الى حاله داخلا تحت الإسراف فيتركه ، وأن النفقة فى المباح بالنسبة الى الإسراف وعدمه والعمل على ذلك مطلوب .

ومما أوردناه يتبين أن المأذون فيه من العباد بعضهم لبعض تتوارد عليه جميع الاحكام الشرعية عدا الحرام لأن ما عداه هو الذى يكون لا يأباه الشارع . أما الحرام فلا كلام فى أنه لا يعرض للمباح بهذا المعنى .

وينبغى قبل أن نختم هذا المقال أن نقول : إن الإباحة ليست اجراء

تعاقديا فهى لا تحتاج الى الإيجاب والقبول ، وإنما توجد بمجرد وجود الإذن القولى او العملى ، كما أنه لا يشترط فيها أن يكون المأذون له معينا معلوما للآذن وقت الإذن لا بشخصه ولا باسمه ، فمن يضع الماء فى الجوابى والأباريق ويضعها على قارعة الطريق ، ومن يخصصون سبيل ماء للشرب يلحقونه بدورهم . فإنهم يبيحون بذلك لكل من يمر أن يشرب منها دون تعيين للمأذون لهم لا بالاسم ولا بالوصف .

وكذلك فإن الإباحة جائزة كما يقرر ابن حزم الظاهرى فى المجهول(١٨) بخلاف العطية والهدية والصدقة والعمرى والرقبى والحبس الموقوف وغيره ، وكذلك كطعام يدعى اليه قوم يباح لهم أكله ولا يدرى كم يأكل منهم .

وإنى أعد القارىء أن أتقدم له فى المقال التالى « أساليب الإباحة والصلة بينها وبين التخيير والحل والجواز » ثم أختتم الموضوع بمقال عن « أسباب الإباحة وأثرها فى التملك والضمان » .. والله الموفق .

---

(١) الاحكام فى أصول الاحكام ﻫ ٤ص ١٣١ .

(٢) راجع تفصيل عموم الموضوع فىكتابنا « الاباحة عند الاصوليين والفقهاء » .

(٣) أنظر لنا فى موضوع الحكم كتاب« مباحث الحكم عند الاصوليين » .

(٤) المغنى ﻫ ٧ ص ١٣ .

(٥) فى كتابه رمز الحقائق ﻫ ٢ ص ٢٦٥ .

(٦) فى كتابه نتائج الافكار ﻫ ٨ ص ٧٩ .

(٧) فى كتابه مجمع الانهر ﻫ ٢ ص ٥٢٣ .

(٨) التعريفات للجرجانى ص ٢ .

(٩) يرى الحنفية ومن تابعهم أن حق اللههو ما يتعلق به النفع العام للعالم وحفظ النظام العام فيه ، فهو شامل للمصلحة العامةالدنيوية والمصلحة الاخروية فلا يختص به احد انما نسب الى الله تعظيما ولتشريف ما قوىنفعه وعظم خطره ومثلوا لذلك بحرمة الزنا التى يتعلق بها عموم النفع من سلامة الأنساب وصيانة الفراش ومنع الضغائن بين الناس كما عرفوا حق العبد بانه ما تتعلق به مصلحةخاصة دنيوية كحرمة مال الغير فانه حق العبد لتعلق صيانة ماله ولهذا فانه يستباح بإباحةالمالك .. وعلى هذا فالمراعى فى الحقين هو مصالح العباد عامة وخاصة ..

لكن الشاطبى يرى أن كل حكم شرعى فيهحق الله وهو جهة التعبد بالفعل ، وفيه حق العبد وهو ما روعيت فيه مصلحة دنيويةكانت او اخروية ..

(١٠) ﻫ ٢ ص ٢٨٠ .

(١١) ﻫ ٤ ص ٢٠٦ .

(١٢) شرح الدر بحاشية ابن عابدين ﻫ ٢ص ٦٢٢ .

(١٣) البخارى فى باب الشركة فى الطعام والنهد ﻫ ١١ ص ٥٠ ، مسلم فى باب فضائل الاشعريين ﻫ ١٦ ص ٦١ .

(١٤) ﻫ ٥ ص ٢٤١ .

(١٥) ﻫ ٧ ص ١٤ .

(١٦) أنظر الاحكام للآمدى ﻫ ١ ص ١٧٤وأنظر لنا كتاب مباحث الحكم عند الاصوليين ص ٩٢ ، ١٠٦ .

(١٧) ﻫ ١ ص ٧٨ .

(١٨) المحلى ﻫ ٩ ص ١٦٣ .

المركز الثقافي الاسلامي في اسكندنافيا

* تأسس المركز الثقافى الاسلامى بكوبنهاجن فى الدنمارك لخدمة المسلمين الموجودين فى هذه المنطقة ومساعدتهم وتغذية الروابط بالاضافة الى تعميق المفاهيم الاسلامية لديهم لأنهم فى أمس الحــــاجة الى تفهم الاسلام وسط الظروف الروحية السيئة التى يعيشون فيها .

* ان عدد المسلمين فى الدنمرك حــوالى (١٢) الف مســلم وهم يحتاجون الى مكان تقام فيه الصلاة والاحتفال بالمناسبات الدينية التى تمر بهم دون أن يشعروا بها وقد يضطر بعضهم الى مطالبة الجهات المسئولة لاعارتهم صالات الألعاب الرياضية لاقامة الصلوات الدينية بها ، وهذه الجهات لا توافق إلا على اعطاء الأماكن البعيدة او غير المناســـبة على الأقل فى أوقات غير مناسبة .

* فى عيد الاضـــحى الماضي لم تقم صـــلاة العيد المشروعة لعدم الحصول على مكان تقام فيه الصلاة ويسهل الوصول اليه بحجـــة شغل كل الأماكن .

* وتوجد مشكلة الأطفال الذين يفقدون لغتهم نظرا لدراســــتهم باللغة الدنمركية ، ولا يجدون أى جهة تدرس لهم اللغـــة العربيـــة ، ويتلقون منها شيئا من الاسلام . الأمر الذى يفقدهم كل ارتباط بالاسلام .

* لقد تأسس المركز الثقافي الاسلامى تحت رعاية سفراء الدول الاسلامية ليقوم بالواجبات المحددة به ، ومقره الحالى غرفة صغيرة فى الدور الثالث لا تزيد مساحتها عن عشرين مترا يجتمع فيها الاعضـــاء وتستعمل للصلاة ، واخيرا افتتحت حانة فى الدور الارضى من البناية .

* ان واقع المسلمين فى هذه المنطقة سيىء وهم فى حاجة الى من يساعدهم ويشد أزرهم فغالبيتهم عمال تتقاسم أجورهم الضرائب الباهظة والاسعار المرتفعة بالاضافة الى التزاماتهم المـــادية نحو اهليهم ببلدانهم الاصلية .

* والمركز فى كتابه الى المجلة يطلب العون من المســـلمين ، ويناشدهم أن يؤدوا حق الله عليهم .. ان رحمة الله قريب من المحسنين .

الحدود

(١) **الأستاذ عبد الكريم الخطيب**

تعتبر الحدود التى رصدها الاسلام قصاصا من الخارجين على احكام شريعته ، والمعتدين على حرمات الجماعة ، من دماء واموال ، واعراض — تعتبر هذه الحدود مدخلا واسعا الى محاولات محمومة مستميتة ، من المستشرقين ، والمتتلمذين منا عليهم ، للنيل من الاسلام ، والتشويش عليه ، وتعكير موارده الصافية ، وذلك باصطناع اساليب خبيثة ماكرة ، تتستر بستار خادع ، يدخل على عقول السذج وذوى الغفلة ، تحت اسم التحرر العقلى ، او التفكير الوجودى ، الذى يطلق فيه المرء عقله من كل عرف ، او قانون وضعى او سماوى ، ليبنى وجوده من ذات نفسه ، ومما تفرزه مشاعره ، ووجداناته ، ومنازعه ، كما يفرز العنكبوت من لعابه الخيوط التى يبنى منها عالمه الذى يعيش فيه .. !!

وبكلمات محفوظة مرددة يقايس هؤلاء المستشرقون واتباعهم بين تعاليم الاسلام ، وبين حياة البادية التى ظهر فيها ، وما فيها من جفاف ، وجفاء ، وجدب ، وخشونة ، وجهل ، وبدائية لا تبعد حدود الانسان فيها كثيرا عن عالم الحيوان الذى يعيش معه فى تلك المواطن !! هكذا يقولون .. !

فالقرآن فى اساليبه ومعانيه ، وفى احكامه وآدابه ، وفى اخباره وقصصه ، هو صورة لحياة البادية ، وما يجرى فى تفكير سكانها ، وما يدور فى اخيلتهم ، او يداعب احلامهم ..

وعلى هذا ، فإن النجاح الذى صادفته الدعوة الاسلامية فى اول امرها ، إنما هو — حسب هذا الفهم المغلوط — نتيجة لملاءمة الدعوة لحياة المجتمع الذى التقت به فى الجزيرة العربية ، وتجاوبها معه ، ووقوفها عند حدوده ، مكانا وزمانا ، بحيث لو خرجت هذه الدعوة عن حدود هذا الزمان وذلك المكان ، لما تقبلتها النفوس ، ولما استجابت لها العقول ، ولما قامت لها قائمة بين الناس !

وقد كان لهذه المقولات الخادعة المضللة دور كبير فى التسلط على عقول شبابنا ، وفى خلق هذا الشعور القلق ، المجافى للدين ، والمستخف بتعاليمه ، وخاصة عند اولئك الذين تلقوا دراساتهم فى الجامعات الاوروبية والامريكية ، والذين خدعتهم الحياة هناك ببهرجها المادى ، وزيفها ، فانطلى عليهم هذا الزور ، فلم يأخذوه مأخذ الشك والحذر ، ولم يراجعوه على حقائق الاسلام ، ويعرضوه على احكامه وتعاليمه ، إذ اعجلهم حب اللحاق بموكب المدنية الغربية

الصاخب ، عن النظر فى شىء من هذا الذى تحمله الشريعة الاسلامية من حقائق عليا ، ترفع أبناء هذه الأرض عن عالم التراب ، الى عالم الحق والنور ، عالم الملأ الأعلى ، فإذا هم بشر يحلقون فى السماء ، أو ملائكة يمشون على الارض ! ولكن حب العاجلة قد أخذ بألباب المفتونين منا ببريق المدنية الغربية ، ولمعان بروقها الخلب ، فقصروا نظرهم القاصر على واقع الحال منا اليوم ، فى مواجهة المدنية الغربية ، وما يملك أهلها من أسـبابها ووسائلها ، التى خلت أيدينـا منها ، فبان من خلال هذه النظرة بُعدُ ما بيننا وبين القوم هناك ، حيث يملكون من مظاهر الحياة المادية ما لا نملك ، ويأخذون من متع الحياة كل ما يشاءون ، فى حين أننا لم نأخذ من الحياة إلا الفتات من فضل ما يلقون به إلينا .. !! وقد وجد المخدوعون منا فى هذه الموازنة بين حياتنا وحياة القوم ، شاهدا محسوسا لا ترد شهادته فى تخلفنا وتقدمهم ، وشقائنا وسعادتهم ، فقبلوا هذه الشهادة ، على الاسلام ، وعلى المسلمين معا ، وأقاموا حساب الاسـلام فى أحكامه وتعاليمه على الميزان الذى أقاموا عليه المسلمين فى تخلفهم ، وضعفهم .. ومن هنا كان منهم هذا الموقف المجافى للاسلام ، المستخف بتعاليمه ، الخارج على حدوده ..

(٢)

ويكفى فى هذا المقام أن نســوق مقولة من تلك المقولات المضللة لأحد المستشرقين ، وهو المستشرق النرويجى (جولد تسيهر) الذى يعد فى نظرنا أكثر المستشرقين اعتدالا واتزانا .. وأقلهم تعصبا على الاسلام ، وأصدقهم نية فى البحث عن الحقيقة ، وإن يكن قصر به علمه عن إدراك حقائق الاسلام العليا بعقله المادى المشبع بمادية الحياة التى رضع من ثديها صغيرا ، وتربى فى حجرها كبيرا .. !

يقول (جولد تسيهر) فى حديثه عن القرآن ، وفى التعريض به كدستور يحكم مجتمعا يدين به :

« من الخطأ أن ينسب الى القرآن أكبر القيم فى بيان طابع الاسلام بوجـه عام ، كما أننا من باب أولى لا نستطيع أن نؤسس حكمنا على الاسلام مستندين فى ذلك على هذا الكتاب وحده لدى الأمة الاسلامية .. » !!

ثم يقول : « وهكذا يظهر انه غير صحيح ما يقال من أن الاسلام فى كل العلاقات جاء الى الناس بطريقة كاملة ! بل على العكس ، فإن الاسلام والقرآن لم يتمما كل شىء ، وكان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة » !!

ويتدرج (جولد تسيهر) من هذا التلميح الى التصريح فيقول :

« والقرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل ، ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها ، مما جاء من الفتوح .. فقد كان — أى القرآن — مقصـورا على حالات العرب الســاذجة ، ومعنيا بها ، بحيث لا يكفى لهذا الوضع الجديد !!

« والواقع أن هذا الكتاب لم يحكم المسلمين إلا فى خلال العشرين سنة الاولى من نموه !!

« ففى خلال حياة الاسلام التاريخية كلها ، ظل القرآن فى رأى أتباع دين محمد (كذا) عملا أساسيا محترما باعتباره موحى به من عند الله ، كما ظل كذلك موضع إعجاب عظيم الى حد لم يظفر به أى عمل من الأعمال الأدبية » !!

ثم يمضى قائلا :

« ولكن بالرغم من أن الاسلام فى أطوار نموه التـالية قد اتخذ القرآن أساسا ، وهو أمر طبيعى ، وبالرغم من انه كان يوزن به جميع منتجات العصور المتأخرة ، وبالرغم من أن كل شىء قد تصوّر على أنه متفق معـه ، أو حوول تصور ذلك ، بالرغم من هذا كله فإنه لا يمكن أن نتناسى أن القرآن بعيد كل البعد عن أن يكفى وحده لمواجهة عقلية الاسلام التاريخية » !!

ثم يضرب الكاتب لهذا مثلا فيقول : « إن الرسول نفسه قد اضطر لتطوره الداخلى (كذا) وبحكم الظروف التى أحاطت به ، الى تجـاوز بعض الوحى القرآنى الى وحى جديد فى الحقيقة ، كما اضطر الى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه » !!

ثم يقول معقبا على هذا : « فإذا كان الامر كذلك فى عصر (محمد) فمن باب أولى أن يكون كذلك ، بل واكثر من ذلك عندما تجاوز الاسلام حدود البلاد العربية ، وتأهب لكى يكون قوة دولية » (العقيدة والشريعة لجولد تسيهر) ص ٤١ وما بعدها . .

وهذا كلام واضـح صريح فى القول بأن القرآن عمـل أدبى ، من عمل محمد أشبه بالمعلقات مثلا، وأنه حين يتطور محمد فى آرائه ومنازعه من خلال نظرته الى الحياة ، تتطور آراؤه وأفكاره ، ومنازعه ، فيضطر الى تنقيح هذا العمل الأدبى بالحذف والاضافة ، شأنه فى هذا شأن كل اديب حيال أعمـاله الفنية ! حيث تظهر بصمات الزمن عليها ، كما تظهر بصماتها على قسـمات وجهه ، ولون شعره . . !!

بهذه العقلية ينظر (جولد تسيهر) الى القرآن الكريم ، ولا يستسيغ عقله أن يفهم معنى النسخ فى القرآن ، ولا أن يعد الآيات القرآنية التى قيل بنسخها قرآنا متعبدا به ، وعاملا فى بناء الشريعة الاسلامية ، كما لا يستسيغ عقله أن يقبل أن محمدا كان رسولا من عند الله الى الناس ، يبلغ ما يتلقى من آيات الله وكلماته ، فلا يتحرك حركة فى مجال الرسالة ، ولا ينطق بكلمة فى محيطها إلا عن وحى ، وعن أمر من رب العالمين : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » (٣ و ٤ : سورة النجم) وأنه ، وهو رسول الله ما كان له أن يكذب على الله ، وأن يقول من ذات نفسه قولا ثم ينسـبه الى الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٤٤ — ٤٧ : الحاقة) وهذا فى مقام الرد على مزاعم المشركين ، وقولهم فيما ذكره القرآن عنهم : « وقال الذين كفـروا ان هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليـه قوم آخرون » (٤ : الفرقان) .

هذا مثل من أمثلة كثيرة ، تتجـاوز فى الافتراء ، والتضـليل ، وسوء الفهم ، أو سوء النية ، هذا الذى نقلناه عن المستشرق (جولد تسيهر) الذى قلنا عنه ، انه أهدى جماعة المستشرقين سبيلا ، واقومهم طريقا ، وإن كانوا جميعا على غير طريق الحق والعدل . . !!

(٣)

وندع هذا لنلتقى ببعض أحكام الشريعة الاسلامية ، وشغب الشـاغبين عليها ، وجهل الجاهلين بها ، ومنازعة المنازعين فيها . .

ولا يتسع المقام هنا لعرض هذه الاحكام على ميزان الحق والإنصاف ، وردّ ما ورد عليها من تلك المقولات الضالة المضللة ، وبحسبنا أن نعرض — وفى إيجاز — للحدود التى فرضها الاسلام قصاصا من الخارجين على شريعة الله ، المعتدين على حرمات الدماء ، والأموال والأعراض ، كما أشرنا الى ذلك فى مطلع هذا الحديث .. وتتمثل هذه الحدود فى الجرائم الآتية :

أولا : جريمة الزنا ، وما يلحق بها من قذف المحصنات .

ثانيا : جريمة القتل العمد .

ثالثا : جريمة السرقة .

رابعا : جريمة شرب الخمر .

(٤)

وربما كانت داعية هذا الحديث عن الحدود فى الاسلام فى هذا الوقت بالذات ، أن بعض الدول الاسلامية ، قد أخذت تصحو من رقادها ، وتسترجع وجودها فى ظل شريعة الله التى تدين بدينها ، فبدأت تطبق أحكام هذه الشريعة فى المعاملات ، وفى الجنـــايات المتعلقة بالعدوان على الأنفس والأموال ، والأعراض وذلك فى الوقت الذى أخذت فيه بعض دول الغرب ، فى أوروبا وفى أمريكا ، تدخل على قوانينها الوضعية من التعديلات ، ما يكاد يتطابق مع كثير من أحكام الشريعة الاسلامية ، حيث قامت دعوات المصلحين هناك تنادى منذرة بالأخطار الماحقة التى تهدد المجتمعات ، من آفات الربا ، والخمر ، والميسر ، والقتل ، والسرقة ، والزنا ، وترى ألا خلاص من هذه الآفات إلا بتحريم الربا ، والميسر والخمر ، وإلا بإعدام القاتل ، وقطع يد السارق ، وفضح الزانى ..

وهكذا تكشف الأيام عن وجه الحق من دين الله ، ويذهب جفاء هذا الزبد ، الذى تعلل به القوم زمنا ، كما يتعلل الظمآن بالسراب يحسبه ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .. !!

(٥)

ونقف هنـــا عند جريمة الزنا ، التى ينكرها كل دين ، وينكرها العقـــلاء الراشدون من الناس ، كما تنكرها المدنية الغربية جهرا ، وترضى بها وعنها سرا ، وذلك لما فيها من عدوان على حقوق الأزواج ، ومن اختلاط للأنساب ، وحل لروابط الأسرة ، وقتل لما فى قلوب الآباء من عطف وحنان على الأبناء ، ورعاية وبذل سخى لهم بما يبلغ حد التضحية بالراحة ، وبالنفس .. الامر الذى لا يكون إلا إذا ملأت عاطفة الإبوة قلوب الآباء ، وذلك لا يكون إلا إذا وقع فى قلوب الآباء وقوعا محققا أن هؤلاء الأبناء من أصلابهم .. ! ولذلك لا تعجب لما تقرأ من الأخبار الواردة إلينا من أمريكا وأوروبا عن آباء قتلوا أولادهم بأيديهم ، وأتوا على الأسرة كلها فى لحظة واحدة ، دون أن ينبض فيهم شعور بالتردد قبل الجريمة ، أو الندم بعدها ، وذلك شفاء لما فى نفوسهم من شكوك فى صحة نسب هؤلاء الأبناء إليهم .

ومع هذا ، فإن الاسلام إذ حارب هذه الجريمة ، وإذ رصد لها العقوبة الرادعة ، وهى الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن ، إذ فعل الاسلام هذا ، كان ذلك عند أعداء الاسلام تهمة شنيعة يرمونه بها ، ويحاكمونه عليهـــا ، ليخرجوه من حدود الانسانية المتحضرة الى سكان الأدغال ، ورعاة الإبل والشاء فى الصـــحارى .. إذ قالوا كيف تبلغ الوحشية والقســوة والضراوة بمجتمع

يستبيح جلد الانسان ، وإهدار آدميته على اعين الناس .. ؟ ثم كيف تصل هذه الوحشية في قسوتها وضراوتها الى أن يلقى بالإنسان في حفرة ، ثم تتناوله الأيدى رجما بالحجارة الى أن يموت .. ؟ إن عالم الحيوان ليحترم حياة الكائن الحى في بنى جنسه ، فلا يفعل به ما تفعله هذه الشريعة بأتباعها ، وبإهدار آدمية الآدميين فيها .. !!

هكذا يقولون .. و « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا » .

(٦)

ولا ننكر أن فى الشريعة الاسلامية جلدا ، ورجما ! فهذا حكم من أحكام الشريعة لا جدال فيه .. ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى : « الزانية والزانى ، فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢ : سورة النور) .. هذا عن الجلد ، أما الرجم ، فقد جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه ، كما سنعرض لذلك فيما بعد ، ونبين الحكمة فى أن كان الجلد بنص من القرآن ، على حين كان الرجم بنص وعمل من رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه .. والاسلام نظام مجتمع ، واسلوب حياة ، ومنهج عمل وسلوك ، قبل أن يكون مجرد دستور من الاحكام والوصايا ومجموعة من الزواجر والأوامر ..

فما غاية الاسلام من رسالته فى الناس إلا أن يقيمهم على طريق الحق والعدل ، وأن يجمعهم على الإخاء والرحمة والمودة ، وأن يسعى بهم الى مواطن الخير ، وأن ينزلهم منازل الأمن والسكينة والسلام ..

والضمير فى الانسان ، هو جوهر الانسان ، بل هو الانسان مصغرا ، إذ هو تلخيص أمين للانسان كله ، بخيره وشره ، فإذا صلح الضمير صلح الانسان كله ، وإذا فسد لم يكن للانسان ثمة سبيل الى صلاح ابدا ..

ولهذا عنى الاسلام العناية كلها بتربية هذا الضمير ، والتمكين لسلطانه فى كيان الانسان ، ومده بأسباب القوى العلوية القدسية التى تقيم مؤشره دائما على أفق الحق ، والعدل ، والاحسان .. فإذا انحرف هذا الضمير ، يمنة أو يسرة ، وجد صاحبه لذلك نخسة فى قلبه ، وضيقا وقلقا فى صدره ، فلا ينام ولا ينيم حتى يتخلص مما علق به من إثم أو طاف به من منكر .

وقد كشف الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — عن هذا الجهاز العجيب المندس في كيان الانسان ، والذى يضع بصماته على كل ما يأتى وما يذر من أقوال وأفعال ، فيقول : « استفت قلبك .. البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن به القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وافتوك » .

ولقد استطاع الاسلام بهديه القويم ، وتعاليمه الرشيدة ، وتربيته الحكيمة ، أن يخرج من الانسانية مثلا عليا ، تحمل هذا الضمير الحى اليقظ ، الذى يقوم فى كيان الانسان حارسا لا يغفل ابدا ، وأن يقدم للحياة نماذج كريمة للانسان العظيم الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ، والذى استأهل أن تسجد الملائكة لمولده ، وأن يكون خليفة الله فى الارض .. !!

أتريد لهذا شاهدا ينطق بالحق الذى تعنو له الجباه ، وتخضع لجلاله الأعناق .. ؟

إذن ، فإليك شاهدين ، لا شاهدا واحدا ..

أولهما يحكى قصة رجل ، والآخر يصور موقف امرأة .. !

أما الرجل ، فهو (ماعز بن مالك) عربى بدوى ، خرج من بطن الصحراء ، والتقى بدين الله ، وعاش تحت سماء النبوة ، واستضاء بأنوار آيات الله ، وهدى رسول الله ، فكان (ماعز) هذا المثل المضروب للناس فى مقام التسامى والعظمة .. !

ولقد كان من (ماعز) ضعف أمام شهوة من شـــهوات النفس الأمارة بالسوء ، فوقع فى هذا الإثم الغليظ ، وهو (الزنا) ..

وكان من الممكن أن ينفرد (ماعز) بجريمته تلك ، ويرجع الى الله تائبا ، حيث لم يره أحد على تلك الفاحشة ، ولكنه أبى إلا أن ينتقم من نفسه ، وأن يوردها هذا المورد المهلك ، حتى يضمن بهذا القصاص محو هذا المنكر ..

وهنا فزع (ماعز) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : « يا رسول الله .. طهرنى ! » .

فقال له الرسول الرحيم : « ويحك .. ارجع فاستغفر الله وتب إليه » .

فرجع غير بعيد ، ثم عاد فقال : « يا رسول الله طهرنى ! » .

فقال الرسول الكريم : « ارجع واستغفر الله ، وتب إليه » .

ثم رجع ، وعاد ليقول : « يا رسول الله طهرنى ! » .

ويجيبه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ارجع واستغفر الله وتب إليه » ..

وعاد للمرة الرابعة ليقول : « يا رسول الله طهرنى ! » .

وهنا يقول له الرسول الكريم : « ففيم أطهرك ؟ » .. فيقول : من الزنا !

فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « أزنيت ؟ » ويجيب : أن نعم .

فقال الرسول الرحيم : أبه جنون ؟ فيقول أصحابه : ليس بمجنون ..

ويقول صلى الله عليه وسلم : أشرب خمرا ؟ فقام رجل فشمه ، فلم يجد ريح خمر !

وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بماعز ، فرجم ..

فكان الناس فى ماعز يومئذ فرقتين : فقائل يقول : لقد هلك ماعز .. لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز .. إنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده ثم قال : اقتلنى بالحجارة !!

ولبثوا فى هذا الخلاف من أمر (ماعز) يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس ، فسلم ثم جلس ، فقال : « اســتغفروا لماعز بن مالك » فقالوا : « غفر الله لماعز بن مالك !! » .

هذا ماعز بن مالك ، الرجل العربى ، البدوى ، وذلك موقفه من حساب النفس ، وسلطان الضمير !!

أما المرأة ، فهى عربية بدوية أيضا ، معاصرة لماعز بن مالك ، وقد فعلت مثل فعلته ، ووقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل موقفه ..

إنها امرأة من (غامد) وغامد بطن من بطون (الأزد) وهى قبيلة من قبائل العرب المعروفة .. جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : « يا رسول الله .. إنى زنيت فطهرنى » .. فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما كان الغد جاءت فقالت : « يا رسول الله ، لِمَ تردنى ؟ لعلك أن تردنى كما رددتماعزا ؟ فوالله إنى لحبلى » .. فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « فاذهبى حتى تلدى ! » فلما ولدت جاءت النبى الكريم ، وبين يديها وليدها ، ثم قالت : « هذا قد ولدته ، فطهرنى !! » فقال صلوات الله

وســـلامه عليه : « اذهبى فأرضـــعيه حتى تفطميه » فلما فطمته ، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعها الصبى فى يده كسرة ، ثم قالت : « هذا يا نبى الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام فطهرنى !! » .

فدفع النبى صلى الله عليه وسلم بالصبى الى رجل من المسلمين ليكفله ، ثم أمر بها فرجمت .. وأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى به رأسها ، فانتضح الدم على وجهه ، فسبها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مهلا يا خالد ، لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم » ، ثم أمر بهـــا فصلى عليها ، ودفنت ..

إنها عظمة إنسانية تقف دونها كل عظمة عرفها الناس ..

وإنها لشهادة مشرقة للاسلام ، يبيض لها وجه كل مسلم ، ويستروح من انسامها العطرة ريح الجلال والعظمة فى هذا الدين الجليل العظيم ..

لا تستطيع الانسانية فى ماضيها أو حاضرها ، أو مســـــتقبلها أن تقدم للتاريخ امرأة أخرى تقف الى جوار هذه المرأة ، التى تقف هذا الموقف العظيم الفريد فى حســـــاب ضميرها هذا الحساب الذى لم يتـــأثر بفعل الزمن ، ولا بعواطف الأمومة وحنانها ، ولا بحب النفس والحرص على الحياة .. فلقد مضى على فعلة هذه المرأة نحو ثلاث سنوات ، يتحرك وليدها فى أحشـــائها ، ثم تحمله بين يديها ، وترضعه من ثديها ، ومع هذا فإن جرح الجريمة لم يلتئم ، ووخز الضـــمير لم يهدأ ، وإصرارها على التطهر من ذنبهـــا يزداد مع الأيام مضاء وقوة .. !

(٧)

ونعود بعد هذا لننظر فى موقف الشريعة الاسلامية من جريمة (الزنا) والعقوبة التى رصدتها لمن يأتون هذا المنكر الغليظ ..

والاسلام مع حرصه على تربية الضمير ، وخلق الوازع القوى فى كيان الانسان ، لم يغفل عن أن يقيم الى جانب هذا الوازع الذاتى ، وازعا يأتى من خارج الذات ، وهو وازع السلطان ، بحيث إذا غفل وازع الضمير ، قام مقامه وازع السلطان ، وبهذا تكمل الرقابة على الانسان وتقفل الدائرة التى يمكن أن ينفذ منها الى البغى والعدوان .. يقول عثمان بن عفان رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . ذلك أن سلطان السلطان قائم بين أعين الناس ، ومن وقع ليده لم يفلت من عقابه .. أما سلطان الضمير ، فهو سلطة غيبية ، لا يراه إلا الذين يؤمنون بالغيب ، ويراقبون الله ، ويخشـــون بأسه .. وهم فى الناس قليل من كثير .. فكان لا بد من ســـلطان مادى يقوم على الناس جميعا ..

وفى جريمة الزنا ، فرق الاسلام ــ كما قلنا ــ بين المحصنين ، وغير المحصنين ، لما بين الفريقين من اختلاف فى الحاجة ، وقوة الدافع ..

فالمحصن ــ وهو المتزوج ــ قد جعل الاسلام عقوبته الرجم ، ســـواء فى هذا الرجل والمرأة لأن الزواج من شأنه أن يكسر حدة الشهوة المتسلطة على الانسان ، فإقدام المحصن على الزنا ليس مثل إقدام غير المحصن الذى تتسلط عليه شهوة قاهرة ، إن قدر على مغالبتها فالمحصن أولى منه بالتغلب عليها .. ومن هنا كانت عقوبة غير المحصن الجلد مائة جلدة ، على حين كان حد المحصن الرجم ..

ومن جهة اخرى ، فإن المحصن عادة يكون قد بلغ مبلغ الرجال ، وسكن الى اسرة تضم زوجه وابناءه ، الأمر الذى يدعوه الى ان يجنب نفسه الخزى والفضيحة بين اهله وابنائه ، فلا يقدم على هذه الفاحشة .. ولهذا لم تثبت جريمة الزنا على المحصن أو المحصنة إلا بإقرارهما ، لا بشهادة الشهود عليهما ، كما كان الشأن فى (ماعز) وفى المرأة الغامدية .

وهنا تتضح لنا حكمة نص القرآن على (الجلد) وهو العقوبة المفروضة على غير المحصنين ، إذ كان غير المحصنين هم الكثرة الواقعة تحت حكم الزنا ، على تلك الصورة المكشوفة المفضوحة التى توجب الحد ، وإذ هم أدنى الى مواقعة هذا الإثم على صورته تلك ، من المحصنين الذين يكاد الاسلام لا يفترض لهم وجودا ، لأنهم إذا وجدوا على تلك الصورة التى توجب الحد — وهو الرجم — كانوا من الندرة النادرة التى لا يتوجه إليها حكم عام ، ومن هنا تولت السنة المطهرة بيان حكم المحصنين ..

كذلك تتضح حكمة هذا التقدير الذى قدره الاسلام لعقوبة هذا الجرم فى مجاليه معا — الاحصان وغير الاحصان — وهو تقدير عادل رحيم ، لا تخف موازينه ابدا فى اى مجتمع إنسانى يحترم وجوده ، ويكرم إنسانيته ، ويرعى حرماتها ، ويحتفظ بالقدر الانسانى من حيائه ومروءته ..

والجلد مضافا إليه الفضح على الملأ ، هو عقوبة غير المحصن والمحصنة .. وهذا الجلد ، غير منكور ما فيه من استخفاف بإنسانية الانسان ، وامتهان لكرامته ، وإسقاط لمروءته ..

ونعم ، أن الاسلام يأخذ هذا (الانسان) بكل هذا التجريم ، والتجريح ، والامتهان ، فى مقابل جنايته التى جناها على المجتمع ، الذى لم يرع له حرمة ، ولم يفترض له وجودا ، فجاء على أعين الناس يفعل هذا المنكر ، دون حياء او خجل .. !!

والا فليعلم أولئك الذين يتباكون على الانسانية التى أهدرها الاسلام ، وساقها مساق الحيوان بالسياط — ان الاسلام لم يفعل هذا إلا بأناس تخلوا عن آدميتهم ، ونزلوا الى الدرك الذى لم ينزل إليه كثير من الحيوانات التى لا يتصل ذكورها بإناثها إلا فى تستر وخفاء .. !!

والا فليعلم هؤلاء الذين يتهمون الاسلام بالقسوة والوحشية ، أن الشريعة الاسلامية لم تنزل هذه العقوبة بأحد إلا بعد أن تستنفد كل وسيلة لدرئها .. وكان من تدبير الشريعة فى هذا :

أولا : أنها لم تحاول أن تكشف ستر من ستروا أنفسهم على منكر ، إذ جعلت حسابهم فى هذا على الله سبحانه وتعالى ، وفى الحديث الشريف : « من رأى عورة فسترها ، كان كمن أحيا موءودة من قبرها » .

وثانيا : أنها جعلت إثبات هذه الجريمة لا يتم إلا بشهادة أربعة شهود ، يشهدون بأنهم رأوا من الرجل والمرأة ، ما يكون بين الزوج وزوجه من اتصال مباشر ، الأمر الذى لا يكاد يراه أحد .. !

وثالثا : أن الشريعة الاسلامية تقرر درء الحدود بالشبهات ، بمعنى أن أى شك فى شهادة الشهود ، يفسر لصالح المتهم ، فيسقط بذلك الحد .. وفى الحديث : « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ورابعا : فرضت الشريعة عقوبة الجلد ثمانين جلدة على من قذف محصنة ، ثم لم يأت بأربعة يشهدون بأنهم رأوا منها ومن المقذوف بها ما يكون بين الزوج وزوجه ، فقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » (٤ : النور) .

وخامسا : رغبت الشريعة الاسلامية فى التستر على عورات المسلمين ، وإمساك الألسنة عن القول فيما يراه الرائى من منكرات أتوها فى ستر وخفاء ، وتوعد الله تعالى أولئك الذين يحبون إشاعة الفاحشة ، وفضح الناس بها ، فقال سبحانه : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » (١٩ : النور) وفى الحديث : « لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من يتبع عوراتهم يتتبع الله عورته ، ومن يتتبع الله عورته يفضحه » .

ثم أبعد هذا يتخرص متخرص فيقول : إن الاسلام يظلم الانسان ، ويهدر آدميته ، حين يأخذ أولئك الذين يأتون الفاحشة على أعين بما يأخذهم به من جلد بالسياط ، وفضح بين الملأ من الناس .. ؟

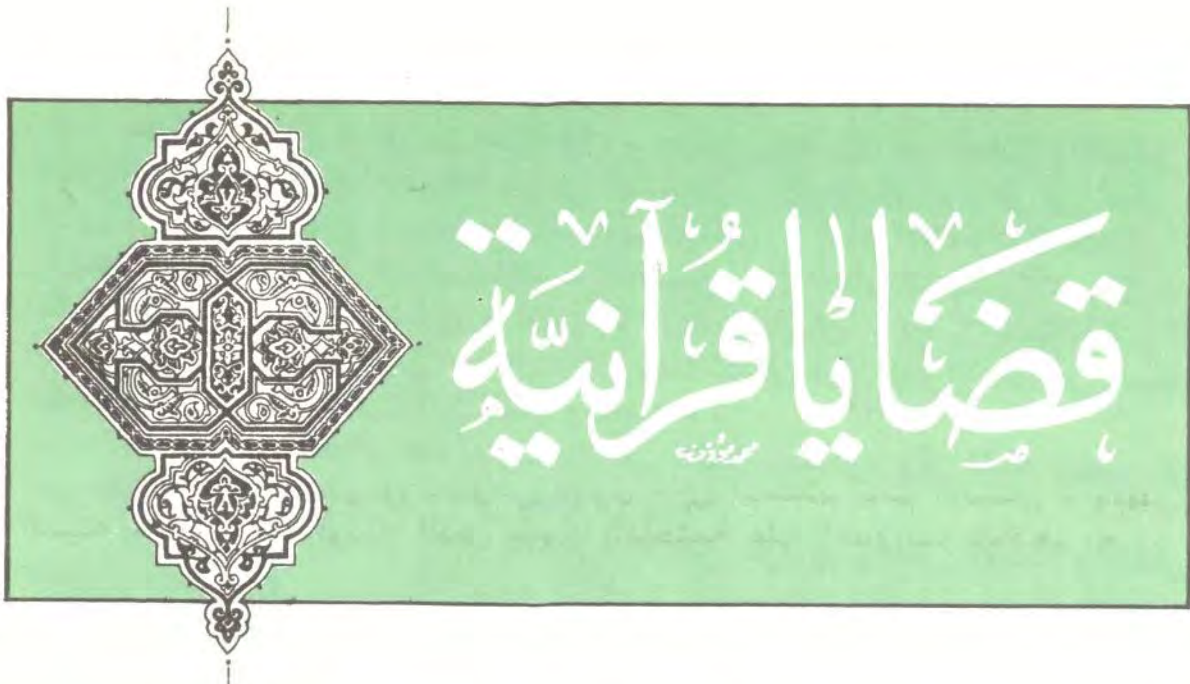
أفلا يسأل هؤلاء المتخرصون أنفسهم ، ماذا يبقى للانسان من آدميته وكرامته ، بل ووجوده ، إذا تركت هذه الفاحشة يعالن بها بعض الآدميين فى غير استحياء ، ثم لا يضرب على أيديهم أحد ، ولا يسوء وجوههم سلطان سماوى أو وضعى .. ؟

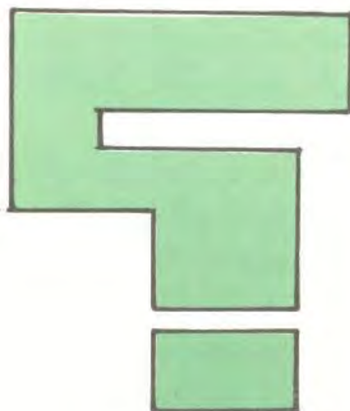
أما رجم المحصن ، فهو امتداد بالحد المفروض على غير المحصنين الى غايته ، بمعنى أن حد الزنا العلنى الذى يأتيه من يأتونه جهرة ، عراة ، لا يسترهم عن أعين الناس شيء ، كان مفروضا على المجتمع أن يكون رجما بالحجارة حتى الموت ، وحتى يقام من هذه الحجارة ساتر يستر هذه الفاحشة وأهلها ، ويكون عليهم قبرا ، سواء فى هذا المحصنون ، وغير المحصنين ، ولكن رحمة الله تعالى فرقت بين المحصنين وغير المحصنين ، فجعلت على هؤلاء الرجم ، وعلى أولئك الجلد .. !!

إن الحد الذى فرضه الاسلام على (الزنا) العلنى ، وعلى تلك الصورة التى يوجب فيها إقامة الحد ، هو فى الواقع دون ما يقضى به ناموس المجتمع الانسانى السليم ، الذى يعرف كرامة الانسان ، ويحترم مشاعره .. إن أى مجتمع إنسانى سليم ، لا يقبل مثل هذا العدوان الصارخ على حرماته ، ولا يستسلم لهذا التحدى السافر المجنون لأعرافه ومواضعاته ، دون أن ينتقم لكرامته ، ويثار لحرماته ، ويلبس ثوب الذل والهوان والضياع من أراد أن يلبسه الذل والهوان والضياع .. !

وهكذا يلتقى الاسلام على طريق سواء محفوف بالعدل والرحمة والاحسان، مع منازع الانسانية السليمة الكريمة ، ومع مواضعات المجتمع الانسانى الكريم السليم ، ليشارك فى حماية المجتمع الانسانى من هذا الوباء الوبيل ، الذى إن تمكن من جماعة ، أفسد نظامها ، وأتى على بنيانها من القواعد .

أما موقف الاسلام من جرائم القتل والسرقة ، وشرب الخمر ، فبيانه الى حديث تال إن شاء الله ..





هل الوصول إلى القمر نفاذ من أقطار الأرض
رجوع بعض القائلين بذلك إلى الحق

للأستاذ احمد محمد جمال

فى أول رمضان ١٣٩١ هـ دعيت الى القاء محاضرة بمناسبة أسبوع القرآن الذى أحييته مديرية التعليم بمكة المكرمة فلبيت الدعوة وألقيت محاضرة موضوعها (قضــــايا قرآنية) تناولت فيها بعض ما يثار حول آيات من القرآن وصلتها بالنظريات العلمية الحديثة ..

منها قضية الوصول الى القمر ومحاولة بعض المفكرين المسلمين تطبيق ما جاء فى سورة الرحمن من قوله تعالى « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » ..

قلت فى تلك المحاضرة ..

تتردد منذ أربع سنوات حتى الآن على الألسنة فى الاذاعة والصحافة والتلفاز قضية الوصول الى القمر مرتبطة بآية من سورة الرحمن يحملها المتحدثون ما لا تحمل من معنى ويقولونها مالا تقل من رأى . يقولون : إن الآيــة القــرآنية (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) تبدو فيها إشارة صريحة الى امكانية نفاذ الانسان من أقطار الارض وليس الى القمر القريب منا والذى هو كوكب تابع لكوكب الارض فحسب ، بل النفاذ الى كواكب أخرى .

ولنقرأ الآية موضوع البحث . موصولة بما قبلها من آيات وبما بعدها كذلك

حتى نتبين أن القائلين بعلاقتها بالوصول الى القمر قد أبعدوا وأغربوا .
يقول عز وجل ((كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن . فبأى آء ربكما تكذبان . سنفرغ لكم أيها الثقلان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يا معشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفـذوا من أقطار السـموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأى آلاء ربكما تكذبان)) إن القرآن هنا فى هـذا المقطع من السورة يتحدث الى الجن والانس ..
أولا ــ عن انفراد الله تبارك وتعالى بالبقاء والخلود وان الفناء مصير كل من على الأرض من إنسان وجان وحيوان وجماد ..
ثانيا ــ إن الله عز وجل باعتباره الخالق الرازق والمحى المميت والمعطى المانع والمعز المذل ــ يسأله جميع خلقه فى السموات والأرض قضاء حاجاتهم واستجابة مسائلهم ... الفقراء منهم يرجـون غنى ، والمرضى يأملون شفاء ، والعقماء يطلبون ولدا ، والفارغون ينتظرون عملا ، والمظلومون يلتمسون إنصافا، فهو تبارك وتعالى من أجل دينونة خلقه لسلطانه وقيامه على تدبير شئونهم كل يوم هو فى شأن جديد من رفع قوم ووضع آخرين وشفاء مرضى وقبض موتى واعزاز أذلاء ونصر أولياء وهزيمة أعداء .
وكما قلنا من قبل ــ إن القرآن يفسر بعضه بعضا فهذه الآية (كل يوم هو فى شأن) تفسرها وتؤكدها آية أخرى من سورة آل عمران هى قوله عز وجل (وتلك الأيام نداولها بين الناس ..) ..
ثالثا ــ بعد تقرير القرآن فى الآيتين السابقتين انفراد الخالق بالبقاء ، وانفراده أيضا بتصريف شؤون الخلق يقرر حقيقة ثالثة وهى أنه عز وجل سيتفرغ يوم القيامة لحسابهم على ما قدموا من خير أو شر . (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا)) ..
رابعا ــ بعد هذه الحقائق الكونية الكبرى الثلاث يربط القرآن بها حقيقة رابعة تقتضيها تلك الحقائق وتستلزمها ولا يجوز ان تنفصل عنها . هذه الحقيقة الرابعة هى أن الله عز وجل الذى انفرد بالبقاء وكل خلقه الى الفناء وانفرد بتصريف أمورهم وكلهم يسأله ويرجوه ، والذى سيفرغ يوم القيامة لمحاسبتهم ومجازاتهم ــ هو أيضا المهيمن عليهم المحيط بهم حيث لا يستطيعون افلاتا من سلطانه ولا هربا من قهره ولا نفاذا من أقطار السموات والارض .
أى لا يستطيع الخلق الهروب من اطرافها إلى خارجها والقمر ليس خارجا عن محيط السموات والأرض بل هو كوكب صغير تابع للارض فالوصول اليه ليس نفاذا من اقطار السموات والأرض .
اما قوله عز وجل بعد ذلك (لا تنفذون الا بسلطان)) فهو تقرير لمطـلق المشيئة الالهية وقد تكرر مثل ذلك فى آيات كثيرة كقوله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى سورة الاسراء ((ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا [illegible])) وكقوله عز وجل ((قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا)) وتقرير القرآن لمطلق المشيئة الالهية مهم جدا لافهام الناس ان الله تبارك وتعالى وان كان هو الذى وضع للكون قوانينه وسننه وخلق فى الانسان طبائعه وغرائزه الا انه سبحانه ليس محكوما ولا مقيدا بهذه القوانين والسنن فانه قادر على خرقها متى شاء وكيف أراد ، وفى القـرآن نفسه أمثلة على أن الله عز وجل لا يتقيد بما وضع من سنن وقوانين وطبائـع

للأشياء بل هو تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فقد أبطل سبحانه قانون النار وهو الاحراق فكانت بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ، وأبطل قانون النسل عن طريق الزوجين فخلق آدم عليه السلام من غير أبوين وخلق حواء من أب بلا أم ، وجاء المسيح عليه السلام من أم بلا أب ..

والحديث النبوى الا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ((ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته)) يؤكد ما أسلفناه من أن الارادة الالهية مطلقة لا يقيدها شىء فمحمد عليه الصلاة والسلام مع كونه خاتم الأنبياء وأفضل الرسل لم يحكم لنفسه بالجنة ولو أن سنة الله قد جرت بأن الأنبياء هم المصطفون الاخيار وأنهم فى أعلى عليين .

واذن يكون معنى قوله تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) انه لو أراد تبارك وتعالى ان يجعل للجن والأنس مهرباً من اقطار السموات والأرض لفعل ، ولكنه قضى ألا يجعل لهم ذلك السلطان فقال فى الآية التالية مباشرة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وهكذا يتجلى واضحا ان الآية بعيدة كل البعد عن موضوع الوصول الى القمر وغير القمر ايضا .

وقلت فى هامش المحاضرة تحت رقم (١) من هؤلاء القائلين بتطبيق هذه الآية على مسألة الوصول الى القمر الدكتور محمد جمال الدين الفندى فى كتابه ((لماذا أنا مؤمن ؟)) وأوردت تحت رقم (٢) بيتا لأبى العلاء المعرى يؤكد المعنى العربى الصريح للآية ومفهومه التحدى الالهى للجن والانس بالهروب من سلطان الله عز وجل وهو قوله وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء ..

والباعث على ذكر هذه القضية هنا واستقلالها من بين القضايا الأخرى فى محاضرتى هو أنى قرأت فى مجلة الوعى الاسلامى (عدد ذى الحجة ١٣٩٢ مقالا للاستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى يعود فيه الى الحق ويعترف بخطئه وخطأ القائلين ان آية الرحمن تعنى قدرة البشر على الصعود الى القمر وانها من نبوءات القرآن بتقدم العلم وتفوق العلماء .

وهذه هى كلمة الدكتور الفندى بنصها : —

(لا يظن كثير من الناس خطأ وقد كنت منهم أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن الآيات (٣٣ — ٣٥) ((يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)) من دلائل انطلاق الانسان الى الفضاء ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى أقطار تماما نجد أن المعنى إشارة واضحة للتعجيز كما هو ظاهر الآية (٣٥) اما النفاذ من أقطار الارض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الارضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة ، وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للأرض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر أما اختراق أقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشموس والنجوم وسائر ألوان الغبار الكونى واحزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهى أشد احراقا وفتكا من براكين الارض ، أما الوصول الى القمر أو المريخ أو الزهرة فليس معناه النفاذ من أقطار السموات بحال من الاحوال وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات وأن اقطارها تربو وتزيد على عدة آلاف من الملايين والسنين الضوئية) وهكذا يرجع الدكتور الفندى عن رأيه الأول ، ويؤكد جزاه الله خيرا استحالته ببراهين علمية تفسر قوله تعالى ((يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)) والحمد لله اولا واخيرا .



إننا معشر المسلمين نعيش اليوم فى خطر داهم ، فإن الغرب يحاربنا حربا صليبية لا هوادة فيها ، ويعتبر قتالنا جهادا مقدسا بسبب ما غرسه المبشرون فى سكانه من عداوة لنا منذ نشأتهم ، فهم يعتبروننا ـ ظلما وافتراء ـ أعداء المسيح ، وأعداء الانسانية ، ويحسبون تشريعنا تشريعا همجيا ، ويصفون رسولنا محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأنه من سفاكى الدماء ، ومحبى الشهوات ، والكذب على الله تعالى . .

كل ذلك ليحجب هؤلاء المبشرون نور الاسلام عن البشرية ، ويبقوا متمتعين بامتيازاتهم وسلطانهم .

لنستمع الآن الى ما يقوله أحد المتعصبين من الغربيين ، وما يذيعه على قومه ، وهو باحث مستشرق فرنسى يدعى (كيمون) فقد ذكر فى كتابه : (باتولوجيا الإسلام) :

للاستـــاذ محمود مهدى استانبولـــى

« ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض وشلل عام ، وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ، ويجمع بين القبائح ، وما قبر محمد إلا عمود كهربائى يبعث على الجنون فى رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلى وتكرر لفظة (الله)(١) الى ما لا نهاية والتعود على عادات تنقلب الى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور فى اللذات »(٢) .

ويرى هذا المستشرق الخبيث وأمثاله كثيرون ، المسلمين وحوشا ضارية ويعتقد أن من الواجب إبادة خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ، ووضع ضريح محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — فى متحف اللوفر(٣) .

يا للهول .. فكيف يهنأ لنا حال ، ويهدأ لنا بال ؟ وهذا ما يذاع عن الاسلام فى ديار الغرب ، ونحن ساهمون لاهون ، ثم لا تلبث أن تنصب علينا حمم وقذائف الغربيين انتقاما وتشفيا منا نتيجة هذه الدعايات والافتراءات التى لا نكلف أنفسنا الرد عليها بصورة صحيحة وعملية منتجة تصل الى جميع الأسماع والأنظار ..

وقد يعمد هؤلاء الغربيون قبل محاربتنا ماديا ، الى شن الحملات الثقافية والغزو الفكرى بين أبنائنا وبناتنا لتسميم أفكارهم عن الاسلام عن طريق مدارسهم التبشيرية والعلمانية وبوساطة البعثات والسينما والكتب والمجلات وغيرها ليكونوا حربا علينا وعلى عقيدتنا من الداخل .

إن الاسلام — والمسلمين — فى حرب إذا من الخارج والداخل ضد قوى هائلة وإذا كنا باقين على شىء من الحياة ، فلأن هؤلاء المستعمرين مختلفون فيما بينهم على اقتسام الغنيمة ، ولو اتفقوا — كما كانت الحال عقب الحرب العالمية الأولى — لعمدوا الى استعمارنا وامتصاص دمائنا ، وبالتالى الى إفنائنا

واستئصالنا ! وذلك لأن نفوسهم تغلى حقـدا على الاسلام والمسلمين بسبب التربية الإجرامية والتوجيهات الهدامة والاشـاعات الماكرة التى يتلقونها فى بيوتهم ومدارسهم ومعابدهم ، وقد رأينا مثالا من هذا الحقد فى كلام (كيمون) وقد جاء فى إحدى الأناشيد الإيطالية التى تعلم للطلبة فى المدارس :

« إنى ذاهب يا أمى الى الجهاد لمحو القرآن ، وإذا ما مت ، فلا تحزنى على ، وإن سئلت عن سبب عدم حدادك ، فقولى — وأنت فرحة — لقد استشهد فى سبيل القضاء على الاسلام » .

وقد أعلن قادة فرنسا فى مناسـبات كثيرة أن الحرب فى الجزائر بين الصليب والهلال بقصد الانتقام من المسلمين ..

والمستعمرون غالبا يخفون نواياهم الدينية — أحيانا — تحت أسـتار اقتصادية وسياسية وغيرها من الحيل ، ولكن غايتهم الحقيقيـة هى القضاء على الاسلام والمسلمين ..

وقسما بالله لو أن عرب فلسطين كانوا نصارى لما كان لهم هذا المصير وهذه شعوب البلقان النصرانية ، فإن أول ما فعلته حكومات أوروبا لما قويت ، المسارعة الى تحريرها من سلطان الدولة العثمانية المسلمة ..

كل ذلك يفعله الغربيون على الرغم من حسن معاملة المسلمين لهم فى عهود مجدهم وقوتهم ، فمدوا إليهم يد المعونة وأنقذوهم من ظلمـات الجهل باعتراف علمائهم ومؤرخيهم المنصفين مما لا مجال لسرده هنا .



والآن ، ما العمل ؟ وكيف النجاة من أخطار الغربيين وغزوهم .. ؟ ريثما يتم لنا الحصول على قوة كقوتهم واستعداد كاستعدادهم .. ؟

السبيل الى ذلك التبشير بالاسـلام فى البلدان الغربية لإطلاع الغربيين على عظمة الاسلام وإنسانيته وسماحته وسـمو مبادئه ، ومبلغ حاجتهم إليه وما خسروه بسبب محاربتهم له ، وأنه صديق المسيح عليه الصلاة والسلام ، ومؤمن بنبوته ، وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين فاستطاع النهوض بالعرب خلال مدة قصيرة من الزمن ، فانطلقوا من باديتهم وفتحوا الدنيـا المعروفة وقتئذ وملأوها عدلا ورحمة بعد ما ملئت جورا وهمجية .. وهو لا يزال — والى الأبد — يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة ..

وينبغى أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وبأرقى وسائل الاعلام ، ونذكر فيما يلى نماذج منها لبيان مزايا الاسلام وحاجة الغرب اليه ، كل ذلك بمختلف اللغات الأجنبية :

١ — استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية ..
٢ — الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين واطلاعهم على الاسلام .
٣ — صنع الأفلام السينمائية وعرضها فى الغرب .
٤ — المسارح والفرق التمثيلية .
٥ — تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الاسلام .
٦ — إنشاء مجلات إسلامية وخاصة للأطفال .
٧ — التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الاسلام .
٨ — تقوية الإذاعات العربية لإيصال صوت الاسلام الى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة مشوقة .

ويحسن الى جانب ما سبق ، إعلام الغربيين بما جاء فى كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم والرقى .

كما يحسن أيضا إعلام هؤلاء الغربيين عما جاء فى هذه الكتب من توحيد الإله ونبوة المسيح ، وبعثة محمد عليهما الصلاة والسلام ..

وينبغى أن نشير بمناسبة الكلام عن التبشير الى أن الظروف الحاضرة كلها مواتية له ، فإن الغرب اليوم يعيش فى قلق مخيف وفراغ سحيق بسبب إفلاس وعجز الديانة المسيحية ومثلها جميع النظم والقيم التى وضعها الغربيون لأنفسهم .. فكانت سبب اضطرابهم .. ووقوعهم فريسة للمادة التى كرسوا حياتهم لها ، فكان مثلهم مثل عبدة الأصنام الذين صنعوا معبودهم ، فما لبث أن اذلهم وأعمى أبصارهم ..

هذا مثل الحياة المادية التى يعيشها الغربيون ، فغدوا أسرى لها ، وأفنوا أعمارهم من أجل الحصول عليها دون أن تحقق لهم الاستقرار والسعادة والطمأنينة بل كانت سبب حروب طاحنة بينهم .

واليوم شعروا بالفراغ نتيجة البعد عن القيم الروحية ، ونادى كبار علمائهم ومفكريهم بقرب انهيار حضارتهم بسبب ذلك ، وسموا هذا العصر بعصر القلق على الرغم من توفر جميع الوسائل المادية ..

ففى هذه الأزمة الروحية إذا تقدم المسلمون بالاسلام الصحيح من منبعيه الفياضين : الكتاب والسنة ، لا من الاختلافات المذهبية المضطربة ، وبالأساليب الحديثة النفسانية (السيكولوجية) وأثبتوا للغربيين استعدادهم هذا الدين وقدرته على حل جميع مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما اعترف بذلك كثير من علمائهم المنصفين .

أجل إذا تقدم المسلمون بالاسلام الى الغربيين بالصورة السابقة ، فإنهم لا شك سيقبلون عليه إقبال الظمآن على الماء العذب ، وسيدخلون فيه أفواجا ..

وبذلك نكون قد أنقذناهم من خطر داهم ينتظرهم من جراء فقدان المثل العليا وإستعدادهم الجهنمى الذى يهدد البشرية كلها بالفناء .

كما نكون قد أنقذنا أنفسنا وأبناءنا الذين يسيرون وراءهم ويدورون بفلكهم ..

وكذلك نكون قد أنقذنا الحضارة من شر محدق ، ووجهنا هؤلاء الغربيين العباقرة وجهة صالحة نحو الحق والخير والسلام ، وفتحنا للبشرية صفحة جديدة تحقق لها السعادة والرقى الصحيح ..

لقد بشر الله سبحانه فى القرآن العظيم بهذا اللقاء ، وبإسلام العالم أجمع فى قوله :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .

وقوله : **« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »** .

كما بشر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بهذا المستقبل العظيم للإسلام بقوله : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز

الله به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر » رواه أحمد والطبرانى والحافظ المقدسى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

وقد أعلن كثير من منصفى علماء الغرب وفلاسفته عن قرب اليوم الذى يدخل فيه الغربيون الاسلام ، فقال الفيلسوف الإنكليزى (برنارد شو) :

« إن محمداً يجب أن يدعى منقذ الانسانية ، ولو أن رجلا مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة إليهما ، وإن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا ومقبولا لكل جيل من الناس ، وقد تنبأت أنه سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . . وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ، ومن أهل أوروبا دخلوا دين محمد ، حتى لنتمكن أن نقول — إن تحول الغرب الى الاسلام قد بدأ » (٤) .

هذا ، وإذا سلمنا جدلا أن الغرب فى الوقت الحاضر لا يدخل فى الاسلام فإننا نكون فى هذا التبشير قد قمنا بواجبنا الدينى ، وأطلعنا الغربيين على ديننا وعرفناهم بمبادئه ، وهم — ولا شك — سيقلعون عن محاربته وعن قتالنا . .



ومن الغريب — والغريب جدا — أن يهمل المسلمون التبشير بدينهم وقد خص الله سبحانه فى القرآن سهما معينا ومستقلا من أموال الزكاة للتبشير ، وهو سهم (المؤلفة قلوبهم) ولو استخدمه المسلمون بوعى لانتشر الاسلام فى كل مكان . .

وقد فهم الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — من هذا السهم قسما معينا من الناس ، فلما قوى الاسلام إمتنع عن إعطائه لهم ، وهو أوسع من ذلك قال الإمام ابن كثير فى تفسيره :

« وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام ، منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبى صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين ، وقد كان شهدها مشركا قال : فلم يزل يعطينى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض الناس إلىّ . كما قال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال — وذكر الحديث السابق رواه مسلم والترمذى من حديث سعيد بن يونس عن الزهرى . ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء واشرافهم مائة من الإبل وقال : « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه ، خشية أن يكبه الله على وجهه فى نار جهنم » . وفى الصحيحين عن أبى سعيد أن عليا بعث الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذهبية فى تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علانة ، وزيد الخير وقال : « اتألفهم » .

ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجبى الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تنفصيل ذلك فى كتب الفروع والله أعلم .

وهل تعطى المؤلفة على الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله قد أعز الاسلام وأهله ومكن لهم فى البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد .
وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر يحتاج اليه فيصرف اليهم . » ا. ه.
وجاء فى تفسير الإمام ابن الجوزى قوله تعالى : « والمؤلفة قلوبهم » وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الاسلام بما يعطيهم ، وكانوا ذوى شرف ، وهم صنفان : مسلمون وكافرون ، فأما المسلمون ، فصنفان ، صنف كانت نياتهم فى الاسلام ضعيفة ، فتألفهم تقوية لنياتهم كعيينة بن الحصن ، والأقرع ، وصنف كانت نياتهم حسنة ، فأعطوا تألفا لعشائرهم من المشركين ، مثل عدى بن حاتم ، وأما المشركون ، فصنفان ، صنف يقصدون المسلمين بالأذى ، فتألفهم دفعا لأذاهم مثل عامر بن الطفيل ، وصنف كان لهم ميل الى الاسلام ، تألفهم بالعطية ليؤمنوا ، كصفوان بن أميه ، وقد ذكرت عدد المؤلفة قلوبهم فى كتاب (التلقيح) وحكمهم باق عند أحمد فى رواية ، وقال أبو حنيفة ، والشافعى : حكمهم منسوخ .
قال الزهرى : لا أعلم شيئا من نسخ حكم المؤلفة قلوبهم) . أ. ه.



لنفكر من جديد فى سهم المؤلفة قلوبهم ، ولنصرفه كما خطط له الاسلام مما رأينا خلاصته سابقا ، فإنه كفيل بإحداث انقلاب عظيم فى صفوف الغربيين ودخولهم فى دين الله أفواجا ، أو نجاتنا من شرهم على أقل تقدير ، والحفاظ على البقية الباقية من ثروة المسلمين من الضياع وابتلاع المستعمرين لها نتيجة إهمالنا التبشير بديننا ..
وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم كما حرص القرآن العظيم على التبشير ، فلم تصرفه مشكلاته فى المدينة المنورة بعد هجرته إليها ، وما لاقاه من مؤامرات المشركين من الخارج ، ومؤامرات اليهود والمنافقين من الداخل عن هذا التبشير ، فبعث الكتب والرسل الى الملوك والأمراء والاقيال يبلغهم دعوة الاسلام ويحثهم على الدخول فيه مع أقوامهم الذين يحملهم تبعتهم .
وقد كان هذا الرسول العظيم يعرض نفسه على القبائل قبل الهجرة فى موسم الحج ويشرح لها مبادىء الاسلام بمختلف الوسائل متحملا فى سبيل ذلك أنواع الاضطهاد والعنت ، حتى دخل الكثيرون فى الاسلام .

وقد رأيت من الطرافة — ونحن بعرض الدعوة للاسلام — أن أتحدث عن الكتب التى أرسلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما رافقها من أحداث وتطورات ، لعلها تثير فينا الحماسة وتبعثنا على التضحية فنسارع الى تبليغ دين الله تعالى الى الأمم جمعاء حتى نكون شهداء حقا عليهم يوم القيامة بأننا بلغناهم وإلا كانوا معذورين بعدم إسلامهم ، وكنا مسؤولين عن تقصيرنا ، وعما نلاقى منهم من إعتداء ..
وأول ما فعله هذا الرسول أن هيأ رسله وأعدهم لحمل هذه الكتب وقطع المسافات الشاسعة لتسليمها الى اصحابها وتحمل كل ما يتصور أن يصيبهم بسببها من اضطهاد وقتل ..

خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه فقال :
« أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة فلا تختلفوا على كما إختلف الحواريون على عيسى بن مريم » ..
قال أصحابه : وكيف أختلف الحواريون يا رسول الله .. ؟
قال : « دعاهم الى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا ، فرضى وسلم ، وأما من مبعثه مبعثا بعيدا ، فكره وجهه وتثاقل » .
ثم ذكر لهم أنه مرسل الى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الغسانى ملك الحيرة والحارث الحميرى ملك اليمن ، والى نجاشى الحبشة يدعوهم الى الإسلام ..

فأجابه اصحابه الى ما أراد ، فصنع له خاتما من فضة نقش عليه « محمد رسول الله » وارسل الكتب مع رسله ..
ترى كيف كان مصير هذه الكتب وبماذا أجيب عنها .. ؟
روى الطبرى فى الجزء الثالث من تاريخه أنه لما وصل كتاب رسول الله الى هرقل ملك الروم ، وهو بالشام يريد العودة الى القسطنطينيه ، جمع الروم وقال لهم ما ملخصه :
يا معشر الروم ، انى عارض عليكم أمورا فانظروا فيما قد أردتها ، قالوا : وما هى ؟. قال : تعلمون — والله — أن هذا الرجل لنبى مرسل ، إنا نجده فى كتابنا ، نعرفه بصفته التى وصف لنا ، فهلم فلنتبعه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .؟ فقالوا : نحن نكون تحت يدى العرب ، ونحن أعظم الناس ملكا واكثرهم حـالا وافضلهم بلدا .. فلما ابوا عليه ، قال : اما والله لترون انكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه فى مدينتكم .. ثم جلس على بغل له ، فانطلق حتى اذا اشرف على الدرب إستقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينه ..
أما كسرى فارس فإنه ثارت ثائرته ، واشتد غضبه عندما تسلم كتاب الرسول ، وبعث الى عامله على اليمن — باذان — يأمره بأن ينهض لتأديب هذا الرجل وجاء فى إنذاره « إبعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك فليأتيانى به » ..

وأرسل باذان رجلين من قبله الى الرسول ، فلما وصلا إليه اخبراه ان كسرى يطلب مقابلته ، فصرفهما الرسول على أن يلتقى بهما فى الغد ..
وحان موعد الرجلين ، فذهبا لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسـلم ، فأخبرهما بمصرع كسرى بيد إبنه شيرويه ، كما أخبره الوحى ، فدهشا من هذا الخبر . وقال لهم رسول الله : « أخبرا ملككم ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى .. وقولا له انك إن اسـلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » .
ولما وصل الخبر الى باذان وتحقق بعد ذلك من قتل كسرى قال : « إن هذا الرجل لرسول » .. فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن .
وأما المقوقس عظيم القبط فى مصر ، فقد استقبل حامل كتاب الرسول بما يجب من إكرام وبعث معه بهدية : جاريتين وغيرهما ، أما الجاريتان فمارية التى إختارها النبى لنفسه فولدت له إبراهيم من بعد ، وسيرين التى أهداها الى شاعره حسان بن ثابت .
وأما ملك الحبشة النجاشى ، فقد ذكر المؤرخون انه لما تسلم كتاب رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم وضعه على عينيه ، ونزل عن سريره وجلس على الارض ، وقال : اشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وحفظ الكتاب عنده ، ثم بعث بكتاب الى رسول الله جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من النجاشي اصحبة ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمته وبركاته الذى لا إله إلا هو ، والذى هدانى للإسلام ، أما بعد ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام ، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثته إلينا وقرّبنا ابن عمك وأصحابك ، واشهد أنك رسول الله صادقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يده لله رب العالمين ..

وقد سر النبى كثيرا لإسلام النجاشى ، ولما بلغه موته صلى عليه صلاة الغائب لعلمه انه لم يصل عليه أحد فى الحبشة ..

اكتفى بهذا القدر من سرد مبلغ إهتمام الاسلام بالتبشـــير ، وقد جعله فرضا عينيا على العلماء فقال سبحانه : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير — أى الى الاسلام — ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » آل عمران ١٠٥

وفى الختام أستصرخضمائر المسؤولين وأصحاب الثروات فى العالم العربى الاسلامى لإعطاء موضوع التبشير بالاسلام فى ديار الغرب ما يســتحقه من اهتمام ، وهو أولى من التبشير به فى أفريقيا وغيرها حيث يلقى هناك مقاومة عنيفة من جيوش المبشرين النصارى بوسائلهم المختلفة القوية .. ولا يوجد كل ذلك فى الغرب نفسه ، وهو مصدر الجريمة ..

أليس مما يبعث على الأسى والحسرة أن نرى دول الغرب القوية تتعاون على حشد كثير من إمكانياتها وثرواتها للتبشير بالنصرانية فى العالم مما أخضع لها كثيرا من الشعوب والجماعات والأفراد بينما نحن ساهمون لاهون عن هذا التبشير ، مما جعلنا نحصد جزاء تفريطنا : إستعمارا واضطهادا وجلاء وإعتداء وغيرها من الشرور لا نزال نعانى ويلاتها الى يومنا هذا .. ؟!

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ..

---

(١) انظر كيف تسىء البدع والاوهام الى سمعة الاسلام ، فان الذكر بلفظ « الله ، الله » لم يرد فى الكتاب أو السنة ، وخاصة اذا كان مصحوبا بالرقص كما يحدث ذلك فيمـا يســمونه بحلقات الذكر ، مما جعل هذا المستشرق يظن أن ذلك من الاسلام وراح يسميه بمظاهر الصرع والذهول العقلى .

(٢) تاريخ الامام محمد عبده ٤٠٩/٢ .

(٣) الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ٢٢٧/١ .

(٤) من رســالة سماها « نداء العمـــل » نشرت فى مجــلة نور الاســلام التى كان يصدرها الجامع الازهر .

الإلحاد ليس تطوّراً

للشيخ محمد الغزالى

ربما شك بعض الناس فى حقيقة الدين الذى يعتنقه ، أو فى جدواه عليه .. !

فإن ساور هذا الخاطر أحدا من خلق الله ، فإن العربى آخر امرىء يعرض له هذا الظن ، بل يقرب من المستحيل أن يساوره .. !!

ذلك أن فضل الاسلام على العرب كفضل الضياء والماء على الزرع ..

لا أقول : أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، بل أقول : أوجدهم من عدم ، وجعل لاسمهم حقيقة ، وأقام بهم دولة وأنشأ حضارة .. !

قد تكون بعض العقائد عقاقير مخدرة للنشاط البشرى .. !

لكن الاسلام لما جاء العرب شحذ هممهم ، وأنار عقولهم ، ووحد صفهم ، وطار بهم الى آفاق مادية وأدبية لم يحلم بها آباؤهم ، ولا تخيلها أصدقاؤهم أو أعداؤهم .. !!

ومضى العرب فى طريق المجد الذى شقه الاسلام لهم ، فعرفهم العالم وكان من قبل يجهلهم ، وأفاءوا على ماضيه القريب ما لا ينكره إلا متعصب كنود .. !

وارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين ، فهم يتقهقرون إذا تخلوا عنه ، ويستباح حماهم ! وهم يرتقون ويتقدمون إذا تشبثوا به ، وتحترم حقوقهم .. !

على عكس ما عرف فى أمم اخرى لم تستطع التحليق إلا بعد ما تخففت من مواريثها الدينية ، كلاً ، أو جزءا .. !!

وقد استطاع مسلمو الجزائر فى هذا العصر أن يستخلصوا حريتهم من براثن عاتية ، وأن يدفعوا ثمن هذا الخلاص مليونا ونصفا من الشهداء !!

وما ينبغى تقريره فى هذا المجال أن الاسلام وحده كان وقود هذا الكفاح القاسى ، الاسلام لا القومية .. !

فلما ظفر الجزائريون باستقلالهم بدءوا يستعيدون عروبتهم التى فقدوها خلال قرن وربع ، وضعت مشروعات لجعل الافراد والجماعات ينطقون بالعربية ويتفاهمون بها ، بعد ما كادت هذه اللغة تبيد أمام زحف الفرنسية وسيادتها فى الشوارع والدواوين .. !!

إن الاسلام بالنسبة الى العروبة ولى نعمتها وصانع حياتها ، وقد اعترف مسيو (جارودى) — وهو شيوعى فرنسى عاش ردحا من الزمن فى جبهة التحرير الجزائرية — قرين الإيمان .

وينصح الأمة كلها بالطاعة والإصلاح ويتهدد عدوها بالطرد والهوان ، ثم يأمرها بالمقاومة ورفض الاستسلام ، وسيكون المستقبل لها إن هى أبقت حبلها موصولا بربها : **« يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم . إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم . فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم »** .

الإسلام ولي نعمتنا وصانع حضارتنا

سيبقى الليل حتى يحمل العرب رسالة الإسلام

اعترف بأن الدين وحده هو الذى أوقد شرر هذا الكفاح العزيز الغالى ، وأن الاسلام يستحيل أن يوصف بأنه مخدر للشعوب .. !!

والاسلام لا يجعل من العرب شعبا مختارا يفضل غيره لسلالة معينة أو دم خاص ، كلا كلا ، إن الله اختار لعباده تعاليم راشدة وشرائع عادلة ، ثم وكل الى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ، ليعملوا بها وليعلموها من شاء ..

والله يأبى كل نعرة عنصرية أو استعلاء قومى ..

إنها مبادىء محددة ، تنطلق الأمة منها ، فتكون بعين الله ، أو تند عنها فيدعها الله لنفسها .. !!

بالوفاء لهذه المبادىء تصعد ، فإن فرطت هوت ..

ولذلك يقول الله للمنهزمين فى احد : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » فالعلو

والتدبر فى هذه الآيات الثلاث يعطى فكرة بينة أن تفضيل الأمة هو تفضيل سلوك ، ومنهج ، لا تفضل دم أو لون .

وأن الإيمان الشريف والاستقامة الواضحة أساس العزة المنشودة .. وأنه مهما لاقى المسلمون من صعاب وهزائم فلا يجوز أن يقبلوا سلما مخزية ، ولا أن يعطوا الدنية من انفسهم .

ولهم أن يركنوا الى الله ، ولن يذل جانبهم ، ما آمنوا به وعملوا له ..

واليقظة العزيزة التى صنعها الاسلام وهو يبنى الأمة يمكن أن نتابعها فى مرحلتين :

الاولى : فى العهد المكى ، يوم كان المسلمون قلة تتوقع الضيم ويتجرأ عليها الأقوياء ! لقد أمر المسلمون إبان هذه المحن أن يثبتوا ويشمخوا بحقهم ، ويتنكروا لكل

هوان ينزل بهم ، ويطلبوا ثأرهم ممن اعتدى عليهم ، فإن عفوا فعن قدرة ملحوظة لا عن ادعاء مرفوض .. !!

انظر كيف وصفت سورة الشورى المكية طلاب الآخرة الذين يؤثرون ما عند الله على هذه الدنيا ، إنهم **« الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغيهم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين »** .

فطلاب الآخرة – كما وصفتهم السورة المكية – ليسوا الذين يعيشون فى الدنيا أذنابا مستباحين، أو ضعافا مغموصين أو كما يقول الشاعر يصف قوما تافهين ..

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأمرون وهم شهود !!

لا ، لا ، إن هؤلاء المؤمنين بالدار الآخرة يفرضون انفسهم على هذه الحياة الدنيا ، ويكرهون العدو والصديق على أن يحسب حسابهم ويزن رضاهم وسخطهم ، ويعلم أن نتائج العدوان عليهم أذى محذور وشر مستطير .. !!

لأنهم إذا بغى عليهم ينتصرون ، ويلطمون السيئة بمثلها .. !

وليس هذا بالنسبة الى الحق الادبى للجماعة كلها ، بل هو كذلك بالنسبة الى حق الفرد فى ماله الخاص .

فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى .. ؟

قال : لا تعطه مالك .. !
قال : أرأيت إن قاتلنى .. ؟
قال : قاتله .. !
قال : أرأيت إن قتلته .. ؟
قال : هو فى النار .. !
قال : أرأيت إن قتلنى .. ؟
قال : فأنت شهيد .. !

هل هذه الوصايا هى التى تخدّر الأفراد والجماعات .. ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

فإذا تجاوزنا العهد المكى الى العهد المدنى نجد توجيها ينبع من هذه الروح الأبية الشامخة .

إن الهوان جريمة ، وقضاء الحياة فى ضعف واستكانة مرشح أول للسقوط فى الدار الآخرة ..

ومن هنا أثبت القرآن الكريم هذا الحوار بين ملائكة الموت وبين الذين عاشوا فى الدنيا سقط متاع ، وأحلاس ذل .. !

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

والهجرة المفروضة هنا ، هى التحول من مكان يهدر فيه الإيمان وتضيع معالمه الى مكان يأمن فيه المرء على دينه .

ولكن حيث استقرت دار الاسلام، فلا تحول ، وإنما يبقى المسلمون حيث كانوا ليدافعوا عن ترابهم ذرة ذرة ، ولا يسلموا فى أرض التوحيد لعدو الله وعدوهم ..

والآية تحرم قبول الدنية وإلف الاستضعاف ، وتوجب المقاومة الى آخر رمق .. ومما يؤكد هذا المعنى أن القرآن أحصى الطوائف التى تـعـذَرُ فى هذا التمرد المطلوب على قوى الشر .

ومع استثنائها فإن مصيرها ذكر معلقا على رجاء المغفرة والعفو لا على توكيد ذلك .. !!

« إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » .

والتعبير بعسى هنا مثير للقلق ،

وهى إشارة مقصودة حتى لا يقعد عن مكافحة المعتدين من يقدر على إلحاق أى أذى بهم مهما قل .

إن المؤمن لن يكون أبدا ثالث الصنفين اللذين عناهما الشاعر فى قوله :

ولا يقيم على ضيم يراد به !
إلا الأذلان، عير الحى ، والوتد ..
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشق فلا يرثى له أحد !!

المسلم لا يقبل الحياة على أية صورة وبأى ثمن ، إما أن تكون كما يبغى ، وإما رفضها وله عند ربه خير منها وأشرف .. !!

ومن صيحات الكرامة والإباء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » !!

وفى حديث آخر « من قتل دون مظلمته فهو شهيد !! » .

هل رأيت استنهاضا للهمم ، واستنفارا للنضال ، واستثارة للذود عن الدماء والأموال والأعراض ، أحر من هذه المبادىء .. ؟؟

أيمكن فى منطق العقل والإنصاف أن يوصف هذا الدين بأنه مخدر للشعوب .. ؟ الا شاهت الوجوه !!

وربما اتصل بهذه التهمة المتهافتة تصور البعض أن الدين رباط مع الماضى ، وأن التطور ينافيه ..

ونتساءل نحن : ما هذا التطور ؟ إن الإلحاد ليس تطورا ! بل هو ترديد لكفر الصغار من جهلة القرون الاولى .

من ألوف السنين وقفت قبيلة عاد من رسولها موقفا كأنما لخصت فيه كل ما يقال فى هذا العصر على ألسنة الشطار من دعاة الإلحاد : **« أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين »** .

إن التحلل من قيود الدين وفضائله ليس تجديدا ولا ابتكارا ، بل هو خنوع للغرائز الدنيا التى أنامت ألوف الخلعاء والخبثاء من عشرات القرون ، وجعلتهم يحيون وفق شهواتهم وحدها ! فأى ارتقاء فى ذلك المسلك الرخيص .. ؟؟

يا شباب العرب اقدروا التراث النفيس الذى شرف الله به أمتكم ، وأقام عليه تاريخكم ..

إن الدين الذى تنتمون اليه رفع مناركم قديما ، وهو وحده القدير على استنقاذكم من ورطات هذه الأيام !!

لا تنخدعوا بمن يزهدكم فى رسالتكم ، فهو يرسم لكم طريق الموت .. !!

إن أمما أخرى لاذت بعقائد أردأ جوهرا وأسوأ منهجا ، واستطاعت أن تغالبكم وأن تنال منكم ، فعودوا سراعا الى دينكم وثقوا أنه وحده العاصم من الغرق .

كم يحزننى أن أرى شبابا عربىّ النسب أعجمى الفكر واللغة والضمير .. !!

لا يستند الى عقيدة ، ولا يعتز بتاريخ ، ولا يستظل براية ، ولا يسير الى غاية خدعوه فقالوا : الجيل الصاعد .. ولو صدقوه لقالوا : الجيل الضائع الهابط ..

أنظر إليه مليا ، ثم اهمس فى حسرة : إنك بهذا الشرود والفراغ تصنع الهزيمة تلو الهزيمة ، وتجر الكارثة بعد الكارثة .. !

متى تعود الى كتاب ربك ، وسنة نبيك .. ؟؟

سيبقى الليل حتى تقع هذه العودة المرتقبة ، ويحمل العرب مرة أخرى رسالة الإسلام .

كيف نحارب الغزو الثقافي

الغربي والشرقي

للشيخ عبد العزيز بن باز

أن اخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية فى الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافى بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجــلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى ، ذلك أن الاستعمار فى العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما أدركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها فى الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها ، حيث أن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والارهاب مما تأباه الطباع وتنفر منه النفوس لا سيما فى الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعى بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض وأصبح هنــاك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب وترفض الاستعمار عن طريق القوة وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب ، وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعى فى سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم فى أوطانهم حسب ميولهم ورغباتهم وطريقتهم فى الحياة وحسب ما تدين به تلك الشعوب مــن

معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما أضطر معه الى الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف وصدامات مسلحة وحروب كثيرة دامية .

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكر فى عدة وسائل واتخذ كثيرا من المخططات بعد دراسة واعية وتفكير طويل وتصور كامل لأبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها والطرق التى ينبغى أن تتخذ للوصول الى الغاية التى يريد وأهدافه تتلخص فى إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين مبالغة فى الدهاء والمكر والتلبيس ركز فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته وترسيخ الاعجاب بما حققه فى مجال الصناعات المختلفة والمكاسب المادية فى نفوس أغلب الناس حتى اذا ما تشربت بها قلوبهم وأعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها وعظيم ما حققته وأنجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة لا سيما فى صفوف الطلاب والمتعلمين الذين لا يزالون فى سن المراهقة والشباب اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة لاكمال تعليمهم فى الخارج فى الجامعات الأوربية والأمريكية وغيرها حيث يواجهون هناك بسلسلة طويلة من الشبهات والشهوات على أيدى المستشرقين والملحدين بشكل منظم وخطط مدروسة وأساليب ملتوية فى غاية المكر والدهاء — وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكيك ومجون وإباحية .

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من أغراء وتشجيع وعدم وازع من دين أو سلطة قل من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها إلا من عصم الله وهم القليل — وهؤلاء بعد اكمال دراستهم وعودتهم الى بلادهم وتسلمهم المناصب الكبيرة فى الدولة خير من يطمئن اليهم المستعمر بعد رحيله ويضع الأمانة الخسيسة فى أيديهم لينفذوها بكل دقة ، بل بوسائل وأساليب أشد عنفا وقسوة من تلك التى سلكها المستعمر كما وقع ذلك فعلا فى كثير من البلاد التى ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به .

أما الطريق الى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه وأضراره فيتلخص فيما أقدمت عليه حكومتنا السنية بعد ادراك كامل للمصلحة العامة وتقدير للمسئولية من انشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث الى الخارج وتدريس العلوم بكافة أنواعها فى المملكة حرصا على سلامة عقيدة هؤلاء الشباب وصيانة أخلاقهم وخوفا على مستقبلهم — وحتى يساهموا فى بناء مجتمعهم على ضوء من تعاليم الشريعة الاسلامية وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسلمة وضيقت من نطاق الابتعاث الى الخارج وحصرته فى علوم معينة لا يتوفر فى الوقت الحاضر تدريسها فى الداخل .

وإنا لنشكر لحكومتنا السنية هذا الصنيع وحرصها الشديد على مستقبل الأمة والوطن وعلى ما حققته وأنجزته من المشاريع النافعة والمكاسب الضخمة ونسأل الله لها مزيدا من التوفيق للأعمال الصالحة والخدمات النافعة للمسلمين ولكن هذا المقام مع ما ذكرنا يحتاج الى مزيد من العناية فى اصلاح المناهج وصبغها بالصبغة الاسلامية على وجه أكمل والاستكثار من المؤسسات العلمية التى يستغنى بها أبناء البلاد عن السفر الى الخارج — واختيار المدرسات والمديرين والمديرات وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الفاضلة والعقيدة

الطيبة والسيرة الحسنة والغيرة الاسلامية والقوة والأمانة لأن من كان بهذه الصفات أمن شره ورجي خيره وبذل وسعه في كل ما من شأنه ايصال المعلومات الى الطلبة والطالبات سليمة نقية .

أما اذا اقتضت الضرورة ابتعاث بعض الطلاب الى الخارج لعدم وجود بعض المعاهد الفنية المتخصصة لا سيما في مجال التصنيع واشباهه فأرى أن يكون لذلك لجنة علمية أمينة لاختيار الشباب الصالح في دينه وأخلاقه المتشبع بالثقافة والروح الاسلامية واختيار مشرف على هذه البعثة معروف بعلمه وصلاحه ونشاطه في الدعوة ليرافق البعثة المذكورة ويقوم بالدعوة الى الله هناك ، وفي الوقت نفسه يشرف على البعثة ويتفقد أحوالها وتصرفات افرادها ويقوم بارشادهم وتوجيههم وأجابتهم عما قد يعرض لهم من شبه وتشكيك وغير ذلك .

وينبغي أن تعقد لهم دورة قبل ابتعاثهم ولو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات التي قد تواجههم في البلاد التي يبتعثون اليها ويبين لهم موقف الشريعة الاسلامية منها والحكمة فيها حسب ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم مثل أحكام الرق وتعدد الزوجات بصفة عامة وتعدد أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) بصفة خاصة وحكم الطلاق وحكمة الجهاد ابتداء ودفاعا وغير ذلك من الأمور التي يوردها أعداء الله على المسلمين حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه .

أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الاذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الاسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف والدعاية المضللة والأدب الرخيص والصور العارية والدعوة الى الفساد فأرى أن من أهم علاج ذلك أن تهتم الدول الاسلامية لا سيما حكومتنا السنية بايجاد هيئة من أهل العلم والبصيرة والغيرة على الاسلام والثقافة الواسعة وتفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة والدعوة الى الاسلام والرد على الغزو الثقافي المنظم وكشف عواره وتبيين زيفه حيث أن الأعداء قد جندوا كافة أمكاناتهم وقدراتهم وأوجدو المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين فلا بد من تفنيد هذه الشبهات وعرض الاسلام عقيدة وتشريعا وأحكاما وأخلاقا عرضا شيقا صافيا جذابا بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة وعن طريق الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن فهو الدين الكامل الجامع لكل خير الكفيل بسعادة البشر وتحقيق الرقي الصالح والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة والفوز في الدنيا والآخر ..

وما أصيب المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب ، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته وما ذلك الا لاعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه وتقصير اكثر العلماء في شرح مزاياه وابراز محاسنه وحكمه واسراره والصدق والصبر في الدعوة اليه ، وتحمل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة في هذا العصر ومن اجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف وجهل الأكثر لأحكام الاسلام والتباس الامور عليهم .

ومعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما اصلح أولها والذي صلح به

اولها هو اتباع كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) وقال سبحانه (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقد وعدهم الله سبحانه على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال سبحانه (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قولا وعملا وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم ومكن لهم فى الأرض ونشر بهم العدل ورحم بهم العباد وجعلهم قادة الأمة وأئمة الهدى ولما غير من بعدهم غير عليهم كما قال سبحانه « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فنسأل الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومات وشعوبا الى دينهم ردا حميدا وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به وأن يجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر عليه انه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه واتباعه باحسان .



المتكلمون في الدين

اللواء الركن/محمود شيت خطاب

لا بد للمتكلم فى الدين أن يؤمن إيمانا عميقا بالدين ويؤمن انه يدافع عنه دفاعا عن قضية عادلة ويدعو اليه إنقاذا للناس من شرور الدنيا الى خيراتها وفضائلها ، ومن عذاب الآخرة ونار جهنم الى جنـــة عرضهـــا السموات والأرض . .

ولا بد للمتكلم فى الدين ، أن يعمل به ويجعله منهجا له فى الحياة لا يحيد عنه قيد أنملة ، وأن تطابق أقواله أعماله ، بل تزيد أعماله على أقواله ليكون قدوة حسنة لمريديه وسامعيه . وأعتقد أن هذين الشرطين هما أهم الشروط التى يجب أن تكون فى المتكلم بالدين — الإيمان العميق بالدين أو (النية) والعمل بتعاليمه ، والتمسك بأهدافه والدعوة اليه والدفاع عنه .

هذان الشرطان الرئيسيان هما — النية والعمل .

ويقتضى أن يكون المتكلم فى الدين عالما فى الدين ، متقنا لفروعـــه وأصوله حتى يفيد كلامه ، ويقبل الناس على سماعه .

والذى تكون بضاعته فى العلوم الدينية قليلة ، تكون فائدته للمسامعين قليلة أيضا ، وقد كان السلف الصالح لا يتكلمون فى الدين الا اذا بلغوا شأوا بعيدا فى العلوم الدينية وسمح لهم أساتذتهم بالكلام أو الفتيا .

ومع عمق العلوم التى يستوعبها أحدهم ، فانه كان يتورع عن الكـــلام فى الدين الا اذا كان متأكـــدا من صحة معلوماته ودقتها ، وكان لا يتسرع فى الأجابة على سؤال دينى ما لم يفتش عنه فى مظانـــه من المصادر ، ويسأل عنه أهل الذكـــر . .

ومن المهم أن يتقن المتكلم فى الدين علوم اللغة والبيان ، فكلما كـــان المتكلم بليغا ، أثر فى الذين يسمعونه والذين يأخذون عنه ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أبلغ البلغاء ، وافصح الفصحاء وقـــد أوتى جوامـــع الـــكلم . .

وأن يتحلى المتكلم فى الدين بمزية (الايجـــــاز) . .

ولا يسعنى إلا أن أقف وقفة قصيرة عند مزية (الايجاز) ، فهى مزية قل ان يتحلى بها المتكلمون فى الدين — مع الأسف الشديد فى هذه الأيام .

يقف خطيب الجمعة مثلا ، وكل الدلائل تدل على أنه لم (يحضر) شيئا ليقوله ، فيبدأ بالكلام (المرتجل) ويتمادى فى ارتجاله ، ويأتى بأفكار من اليمين والشمال ، أكثرها غير متساوق ، يشيع فيها الاضطراب والتناقض ،

ويقضى فى خطبته ساعة أو أكثر ، غير ملتفت الى وجود أطفال وشيوخ ، ولا إلى حالة الطقس باردا أو حارا . . كل همه أن يتكلم وأن يرتجل الكلام ، وأن يكون صوته مرتفعا كهزيم الرعد وأن تتحرك يداه ورأسه ، ويتحرك كل بدنه ولا شىء بعد ذلك .

وطالما سألت نفسى حين أصلى الجمعة ماذا قال الخطيب ؟ وبكل أمانة لا أعرف ماذا قال .

واتهمت نفسى كثيرا ، فقلت ربما يكون مستوى الخطيب أرفع من مستواى الثقافى ... ربما أكون شارد الذهن . .

ولكننى سألت من أثق به هذا السؤال ماذا قال الخطيب ؟ فكان الجواب دائما والله لا أدرى . .

الايجاز الايجاز على أن يكون الكلام معدا ومركزا ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم من أقل الناس كلاما ، وخطبه المسجلة التى وصلت إلينا قصيرة ، ولكن فيها أعظم الفائدة . .

وهكذا فان الكلام لا يقاس بطوله ، بل يقاس بمقدار فائدته .

« ٢ »

ومن الضرورى أن يكون المتكلم بالدين دارسا عميقا ، أى أنه لا يكتفى بما حفظه من علم ، بل يدرس موضوع خطابه قبل القائه دراسة عميقة ، ولا يكتفى بمصدر واحد بل يقلب صفحات أكثر من مصدر واحد ، ولا يقتصر على المصادر القديمة بل يبحث فى المراجع الحديثة .

وافضل أن يكتب ما سيقوله ويقرأه على مكث ، ولو أن أكثر المتكلمين يفضلون الارتجال ، لأن الكلمة المكتوبة تكون مختصرة وشاملة غالبا ، ويكون المتكلم مقيدا بها .

أما الكلام المرتجل فيشرق ويغرب ويغزوه الاستطراد ، فيطول الكلام وغالبا ما يدب الى السامعين الملل والكلل والتذمر من المتكلم سرا وعلانية .

كما أن الكلام المكتوب يجبر صاحبه على الدراسة والتمحيص ، بعكس الكلام المرتجل الذى قد يخطر على بال صاحبه فى اللحظة والتو دون سابق تحضير ، وكل دراسة وتمحيص تأتى بخير وتؤدى الى بركة وكل كلام مرتجل أو عمل مرتجل غالبا لا يؤدى الى خير .

وسيقول قائل إن الكلمة المرتجلة تؤثر فى السامع أكثر من الكلمة المقروءة ، والواقع أن الكلمة المقروءة المعدة فائدتها أكبر من فائدة الكلمة المرتجلة ، والمسألة مسألة فائدة السامع ، وقد مضى الزمان الذين كان يعجب الناس بالخطيب المرتجل مهما يقل من كلام فقد أصبح الناس يزنون كلام القائل فيعجبون بما يستحق الاعجاب ، ويرفضون ما يستحق الرفض .

وهناك جامعات محترمة لا ترضى من الأستاذ أن يرتجل درسه ، بل لا بد من أن يقدم ذلك الدرس مكتوبا ، فيعرض على لجنة خاصة فتقره أو تعدله أو ترفضه . ذلك لأن تلك الجامعات تحرص على عقول طلابها ووقتهم ، وقد تعلمت بالتجربة أن الأستاذ المرتجل كثيرا ما ينسى شيئا أو يسهو عن شىء أو يقرر خطأ بعض الحقائق العلمية ، فيضر سامعيه ويفضح نفسه .

والاسلام والحمد لله واسع جدا ، فيه مجال للقول كثير ، وهو دين يصلح لكل زمان ومكان ويرفع من مستوى كل مجتمع ..

والأمة الاسلامية تعانى من غزو فكرى شنيع ، والفكر لا يقاوم الا بفكر مثله او احسن منه ، وفى الاسلام خير كثير يستطيع المتكلم فى الدين أن يعرضه بأسلوب حديث ، يقضى به قضاء مبرما على الأفكار الوافدة والمبادىء المستوردة ..

ولست أعنى أن كل فكر وافد لا خير فيه ، فهناك أفكار مفيدة لا بأس من تعلمها وتعليمها ، ولكننى أرفض كل فكر يناقض روح الاسلام ، ولست أشك أن مثل هذا الفكر أضر معتنقيه ويضر من يعتنقه .

والحضارة العالمية عبارة عن أفكار اشترك فيها كثير من الأمم ، والفكر الصالح هو من صميم الاسلام أما الأفكار الضارة فهى التى لا نريد أن يتورط فيها مسلم .

والمتكلم فى الدين ، يجب أن يعرف الأفكار الوافدة الضارة ، والمبادىء المستوردة التى تناقض الاسلام ، ويعرف كيف يستنبط من الدين ما يقوض به تلك الأفكار والمبادىء بأسلوب علمى حصيف ..

اما أن يبقى المتكلم فى الدين ، مصرا على الكلام عن نواقض الوضوء .. الخ ..

تلك المواضيع التى اصبحت معروفة لكل مسلم ، والذى لا يعرفها يستطيع أن يسأل عنها ليتعلمها خلال دقائق معدودات ..

اما أن يبقى المتكلم فى الدين حريصا على ترديد نصوص معينة من كتب معينة عفى عليها الدهر وانكرتها الأيام ، فان النتيجة المتوقعة هى أن يكون هناك انفصال بين هذا المتكلم فى الدين ، وبين سامعيه وخاصة من الشباب .

وقد حدثنى شيخ من كرام الشيوخ ، ولكنه يعيش فى غير عصره ، ويجهل التيارات الجارفة التى تلعب بأفكار الشباب فى المدارس والمعاهد والجامعات والمجتمعات ، فذكر أن الدنيا بخير وأن الناس متمسكون بدينهم ... الخ ..

وكان ذلك الشيخ صادقا ، لأنه كان يتحدث عن المجتمع الصغير الذى يعايشه ويختلط به .

واتذكر اننى حدثته بالواقع ، وقلت له إن هوة عميقة تفصل بينكم — بين الشيوخ والشباب — وما لم تتداركوا الأمر قبل فوات الآوان ، فان الخطر محدق والمصير مظلم ..

إن محاولة المتكلم فى الدين كشف كنوز الاسلام العظيمة بأسلوب جديد ، هو الذى يؤدى به الى النجاح من جهة ، والى إنقاذ السامعين مما يخالجهم من أفكار خطيرة تضر بهم أشخاصا ، وتضر بالمجتمع أيضا .

وكم فى الاسلام من كنوز عظيمة بامكانها اكتساح المبادىء الوافدة ، والأفكار المستوردة التى أضرت بالذين اعتنقوها أبلغ الإضرار .

ولكن أين المتكلم فى الدين الذى يكتشف هذه الكنوز ؟

وهنا أحذر من التورط فى ادعاء كل جديد انه من الاسلام ، وأن الاسلام قد سبق إليه .

ان الاسلام هو كل لا يتجزأ ، وهو رأس ، ويجب أن يبقى رأسا ، فليس

من مصلحة الإسلام أن نلهث وراء كل مبدأ جديد يتعشقه الناس وندعى أنه من الاسلام ..

ولكن يجب أن نقول إن المبدأ الفلانى يقول كذا ، ويعالج الأمور بكذا ، والاسلام يقول كذا ، ويعالج المشاكل بكذا .. فأى المعالجتين أفضل ؟

وهنا يبرز الفرق بين الاسلام وهو من صنع الله ، وبين المبادىء مهما تكن وهى من صنع البشر .

ان المبادىء الوضعية تتبدل ، وما كان جديدا امس ، أصبح قديما اليوم ، وما كان أمل الجماهير فى أيام سابقة أصبح موضع نقمتهم فى هذه الأيام ..

أما الاسلام ، فباق بقاء الحياة ، ثابت ثبات الراسيات ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

« ٣ »

وينبغى أن يقتنص المتكلم فى الدين ما يناسب الظروف الراهنة التى يعيشها المجتمع ، حتى يجد السامعون فى الدين ما يعالج مشاكلهم الراهنة ، ويناسب الظروف والأحوال ..

فاذا كانت الأمة فى حالة دفاع عن كيانها وحاضرها ومستقبلها ، كالذى تعيشه الأمة العربية وهى فى كفاح لاسرائيل ومن وراء اسرائيل من دول الاستعمار ، فلا بد للمتكلم فى الدين أن يركز على الجهاد بالأموال والانفس ، وأسلوب إخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملى ، وعقاب المتخلفين عن الجهاد فى الاسلام ، ودرجة الشهيد فى الاسلام وغير هذه المواضيع الحيوية التى يعج بها الدين الاسلامى الحنيف .

لقد أصغيت الى عدد من الخطباء فوجدت أكثرهم يتحدثون عن مواضيع غير الجهاد ، فما أحراهم أن يلتفتوا الى بحث الجهاد ويشبعوه بحثا وتفصيلا ، لأنه من أسس الاسلام أولا ، ولأنه يناسب الظروف الحالية ثانيا ، ولأن العسكرية الاسلامية مفخرة من مفاخر الفن العسكرى اخيرا .

والمتكلم فى الدين — بالاضافة الى كل ذلك — عليه أن يكون له رصيد ضخم من علوم الدين حفظا يستشهد بها فى أحاديثه ، ولكنه ينبغى الا يكتفى بذكر الحقائق الواردة فى الكتب ، بل عليه أن يذكر الطريقة المثلى لتطبيق تلك الحقائق لتصبح عملا ولا تبقى كلاما .

ان المتكلم فى الدين الذى يضع الحلول للمشاكل هو فى الحقيقة مدرسة سيارة ، لا تمضى عليه مدة الا ويكون له تلاميذ وطلاب وأتباع ومريدون ، يروجون لآرائه ، ويحملونها الى الناس .

المتكلم فى الدين له رسالة ، ويجب أن يشعر بهذه الرسالة ويؤديها بكل أمانة وإخلاص فى عنقه امانة ، فلينظر كيف يؤدى الأمانة .

وهذا الدين عظيم فلينظر كيف يبرز عظمته للعيان .

وفى هذا الدين جوانب منيرة فذة ، فلينظر كيف يبهر بنوره الألباب .

واخيرا ، فكل جهد يبذل لخدمة الاسلام والمسلمين يهون ، ، وكل سهر من أجله يحتمل ، وكل عناء بسببه يسهل ..

ومرحبا بحمل رسالة الاسلام ، واهلا بتبليغه الى الناس ..

حول قضية الفن العقائدي



قبل الزحف والتصدي ما موقفنا الحضاري الآن؟

للأستاذ : يوسف حسن نوفل

قضية خطيرة تصدى لها باقتدار الصديق الشاعر الأستاذ « محمد أحمد العزب » حين أطلت علينا مجلة « الوعى الاسلامى » بمقاله المخلص الجاد : (هذا الزحف من يتصدى له ؟) فى عدد شوال ١٣٩١ هـ ، ١٩ من نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١م.

وقد استللت من تدفق إخلاص مقاله مجموعة من الخواطر ناقشتها بإيجاز فى مقال نشر فى عدد صفر ١٣٩٢ هـ بعنوان : (هؤلاء المتصدون من يدعمهم ؟) ، ثم أبى تحفز شاعرنا إلا أن يعدو فى الشوط الى غايته ، فقدم — بتواضع العلماء — طرحا آخر لجانب من جوانب القضية تشوفا لمزيد من الضوء حتى تكتمل جوانب هذا البحث الجاد الذى كان له فضل بدء الحديث فيه ، وكان ذلك فى مقاله : (بل .. هذا الزحف من يتصدى له ؟) المنشور فى العدد التاسع والثمانين الصادر فى غرة جمادى الأولى عام ١٣٩٢ هـ (١٢ من يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م) .

وقد تعمدت أن أعرف بمواطن هذه

المقالات حتى يرجع اليها من يشاء ، لأن متابعة القضية ، ومحاولة الإسهام فيها برأى لا يغنى فيه عرض لخلاصة أو تركيز لفكرة مما نوقش ، بل ينبغى الرجوع الى ما قيل .

وأجدنى فى موقف الحتم قاصدا الى خلاصة ما ذهب إليه مقاله الثانى والجأ الى سطوره الأنيقة التى تحمل نبض ما يدعو اليه .. يقول :

« هذه هى المحاور الأساسية الثلاثة فى قضيتى بلا هروب من قدر المواجهة .. **المحور الأول** : هو أن منحى القضية الصميمى يولد على خريطة الوطن الاسلامى هذا الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركه الفنى عن خلفية فلسفية مكتملة أو متنامية بلا جنوح للتخبط فى دياجير التناقض أو احتطاب امشاج الحلول . **والمحور الثانى** : هو أن يكون طريق هذا الفنان الى إبداعه العقائدى ليس الوعظ الدعائى بما هو مقولة مرفوضة فى منطق الفن ، وليس الخرافة المسطحة بما هى حركة ممرورة لا تستطيع أن تواجه شمس الحقيقة الكونية !!! **والمحور الثالث** : هو أن تكون هموم هذا الفنان الأمل أن يحرك فى اتجاهه ثقافة عصره وكل العصور قابضا فى حركة إبداعه على قيمة وضعيته العقائدية ، غير هارب فى اردية التوافق الجماهيرى من هويته الذاتية التى قد يوصم معها بالجمودية والرجعية والوراثية ، الى آخر ما فى جعبة الأغرار من شعارات فارغة جوفاء متآكلة الجبين !! »

ولا أجدنى فى حاجة الى التنويه بأن محاوراتنا متلاحمة لا متنافرة ، كلانا يقطع الدرب ويقصد الهدف ، ومن هنا فإن ما يبدأ به مقالى هو ما انتهى به مقال الصديق الشاعر ، نقطة التقاط انفاسه هى نقطة بدء انفاسى عسانا نبلغ دائرة الضوء معا .

يصيح صديقى العزب .

« فهل فى أدبنا العربى المعاصر اليوم حتى ما يوحى بميلاد مثل هذا الفنان المبدع الخالق ؟؟

وهل فى أدبنا العربى المعاصر اليوم حتى ما يومىء الى ميلاد مثل هذا الفن المغامر المدجج القابض على أمل الخلاص ؟؟ » .

ونحن فى الطريق الى شواطىء هذه التساؤلات دعنا نقدم هذه التصورات رغبة فى مزيد من الضوء .

التصور الأول :

مرت الأمة العربية والشعوب الإسلامية بعدة اختبارات حضارية عبر العصور الماضية ، استطاعت فيها أن تصمد وتحافظ على كيانها وهويتها ، وتراوحت نسبة الدفاع تبعا لاختلاف نسبة الهجوم ، وبقى فى النهاية حقيقة لا تقبل الشك وهى أن كل الموجات التى غزت شاطئها تكسرت وذابت وعادت أدراجها مترنحة متهاوية .

وكان لطبيعة أرضنا وموقعنا بل وعقيدتنا ما جعل أمتنا باستمرار ، وخلال كل حقبة ، هدفا لغزو الغزاة وتطلع المتطلعين ، ودعنا الآن من الحديث عن ميكانيكية الغزو العسكرى ، ورائحة بارودة وضجيج رجاله وعتاده ، ومساحات أطماعه ، وتكتيكه واستراتيجيته ، ولنقف بعمق عند أيديولوجية الغزو أو المسخ الفكرى — يتساوى الأمران — هنا مكمن الداء — كما يقولون — وعند هذا المكمن أول الجذور لقضية حوارنا الآن (الفن العقائدى) .

الفن العقائدى بحاجة الى خلفية فلسفية تبلور عقيدة ومنهجا — كما رأى الصديق الأستاذ العزب بحق ،

وكما أوافقه بصدق ـ غير أن العقيدة تكمن في خلق وتكوين هذه الخلفية ، وخصـوصا إذا وضـع الباحث في اعتباره أن فساد ما بين أيدينا لا يرجع الى يوم وليلة ، بل هو ابن سنين ، ووليد عصـور متلاحقة واتجـاهات متضاربة لم يبق في مواجهتها كياننا إلا لأنه صلب أصيل جوهري ، وحتم على انصار الفن العقائدي ودعاته الا تغيب عن بالهم هذه الحقيقة الهامة ، وهي تحليل ودرس وتقصي مظـاهر المسخ الفكري ، والتخريب العقائدي والتشويه الحضاري ، الذي تراكمت طلوله فوق جبهـة أمتنا حتى عاقتها الآن عن الرؤية المستنيرة ، والاستبانة الحقة ، والنهج القويم .

وبنظرة صريحة الى واقع أمتنـا اليوم سنجد اننا ، وسط هذا الركام ، نملك عيونا زائغة واقداما مهتزة تحن الى كل اتجاه ، وتأخذ بكل منهج مهما كان التضارب والتناقض ، كأنا أمة في مرحلة الطفولة أو إن شئت قلت : مرحلة الميلاد ، ناسين أنا أمـة أم ، وحضـارة رئيسـة ، وجـذور لا غصون ، وأصول لا فروع .

أستغفر الله من لبس قد يسرع الى قارئي الكريم من انني منغلق عن الانفتاح ، ومضاد للاتساع الحضاري والاستيعاب العالمي والتشرب المطلق بكل نتاج بشري .

ومتى أسـتغفرت الله من ذلك أمضي مطمئنا فأقـول : إن الأخـذ والتفاعل شيء ، والتقهقر والانهيـار والمسـخ شيء آخـر ، الأول شيء محبوب مثمر خلاق ، والثاني ممقوت موقوت مخزي .

نحـن الآن أمام موقف امتحـان حضـاري عسير ، لا تسـتحيل منه النجـاة بل تجب النجاة منـه لكن ذلك لا يكون إلا بتأصيل موقف ، وتحديد اتجاه ، ورسم ملامح ، نملك منها جذورها وفروعها ، ولسنا بحاجة الى خلق واسـتحداث فيها ، ومتى حافظنا على شخصيتنا وحددنا هويتنا انعكس ذلك على كل مظاهر النشاط البشري فوق أرض أمتنا ، انعكس على الجهد المادي والجهد الروحي ، وانعكس بدوره على الأدب والأديب : شـعرا ، وقصة ، ومسرحـا ، بل انعكس على كل الفنون .

من هنا فإني لا القي بما احمل من همـوم فوق رأس الأديب العـربي فأغرقه من شعره الى اخمص قدميه ، واطلب منه موقفـا فنيا عقـائديا وفلسفة حضـارية ، بل أكاد أبرىء موقف الأديب ـ وأقول اكاد ـ لأن الأديب نتاج بيئته ومجتمعه بما يحمله هذا المجتمع من مثالب ومحامد ، فإذا كان مجتمعنا في حيرة من أمره إزاء اصطخاب عالمه بغزوات متعـددة متلاحقة متناقضة متضاربة أفلا يكون شـيئا حتميـا أن يحـار الأديب ويضطرب ؟

التصور الثاني :

اما النمـاذج التي اشرت اليهـا ـ في مجال الانتاج القصصي ـ فلم اقصد ولا اقصد بها النموذج الأمثل لإنتاج عقائدي ، أو إن شئت قلت : لموقف حضاري ، وإنما قصدت بذلك أن اشير الى أن هناك بعض الالتفات الى الدين لدى بعض كتابنا في حاجة الى دعم وحدب وحنو عسـاه يثمر شيئا ما في المسـتقبل ، أو يمثل ـ على الأقل ـ بداية موقف وتشكل اتجاه .

ولم أقل : إن هناك منهجا مستقيما لفن عقائدي لدى واحد من هؤلاء ، وبهذه المناسـبة فان كتـابا صـدر بعنوان : (الإسلام والروحية في أدب نجيب محفـوظ) كتبه الصـديق القصـاص الدكتور « محمد حسـن عبد الله » أحد أساتذة جامعة الكويت رأى فيه أن « نجيب محفوظ » كاتب

إسلامي روحي ، ولقد حملت مجلة البيان الكويتية (ص ٣٧ العدد ٧٤ « مايو (أيار) ١٩٧٢ ») ، رسالة من القصصي المصري الى مؤلف الكتاب تحمل اغتباطه بهذا الرأي ، وهذا الكتاب ، ولهذا فإنني أدعو القصاص الباحث الدكتور « محمد حسن عبد الله » الى المشاركة في حوارنا الجاد حول منطلق فن عقائدي ، وأدعو الصديق الأستاذ محمد العزب الى موازاة ذلك بما رأى ، واقتطف هذه الكلمات من صورة لرسالة نجيب محفوظ (ولم أجد تناقضا بين أحكامكم وبين نبض قلبي ، ولعل الاضطراب الناشيء بين قراءة أدبي أحيانا مصدره أن قلبي يجمع بين التطلع لله والإيمان بالعلم والإيثار للاشتراكية) .

التصور الثالث :

وانتقل من هذا الاستطراد الى تصور يتصل اتصالا وثيقا بالنتيجة التي انتهينا الى شاطئها ، وهي افتقار الأديب الى خلفية عقائدية استجابة لما عليه مجتمعه ، هذا التصور هو :

لقد نشأت مذاهب ومدارس واتجاهات فنية متعددة في مختلف العصور ، بدءا من الكلاسيكية حتى اللامعقول بما تضمنه هذا الإنتاج البشري الضخم من مذاهب أدبية وفنية لها مبادئها ومناهجها ومواقفها ورجالها وإنتاجها ، فهل حفل نتاجنا الفني بمثل هذا ؟ هل استطاع واحد كالدكتور طه حسين أو عباس محمود العقاد أو توفيق الحكيم أن يقدم موقفا فنيا وفلسفيا يتكيء على رصيد ثابت من الاستيعاب والدرس والتأمل والإعطاء ؟ رغم محاولة الأخير في كتابه « التعادلية » .

واشهد أن من قبلي من أشار الى مثل هذا التساؤل وهو الشاعر المجدد صلاح عبد الصبور في كتابه ! (ماذا يبقى منهم للتاريخ ؟) ، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦١ عن دار الثقافة العربية (أنظر ص ١٢ و ١٣) .

لكنني أسوق هذا التساؤل في موقف يلتحم التحاما مباشرا بالمقولة السابقة عن موقف مجتمعنا مما يصطرع حوله ، إذ أن ما حدث أن كل ما قدمته الأعمال الأدبية كان قوالب مستوردة يجتهد الأديب في اختيار ما يرى ، ويفرضه بمناصرة من حركة النقد الضحلة على قرائه الذين يلوكونه ويجترونه ثم يلوكونه ويجترونه حتى يومنا هذا ، وساعد على ذلك فقدان الموقف الفلسفي والحضاري المتأصل ، والولع بالتقليد في حلبة التصفيق الانفعالي أو معارك الخصومة المتهوسة .

واشهد مرة أخرى أن هناك من سبقنا الى الدعوة الى استيعاب هذه المذاهب العالمية للخروج بموقف واضح ينسب الينا وننتسب اليه ، وهو المرحوم الدكتور محمد غنيمي هلال الذي رأى أنه لا بد من التأثر بالمذاهب الأدبية العالمية والكبرى ، ودراستها بوعي ، لنخرج بمذهب أدبي أصيل نساير به روح العصر (فيه تتبلور فلسفة مشتركة يصورها الكتاب في أدبهم لترسخ في وعي جمهورهم) . (ص ٤١٧ و ٤١٨ الأدب المقارن — محمد غنيمي هلال) .

التصور الرابع :

ثم الحق بما تقدم ما يمكن أن أسميه: : أزمة الثقافة والمثقفين ، إن الأدب يلطع على الناس ولا يقرأ ، وإن قرىء لا يترك صدى ، وذلك راجع — في تصوري — الى أزمة القراءة وأزمة الثقافة ، وهذا بدوره

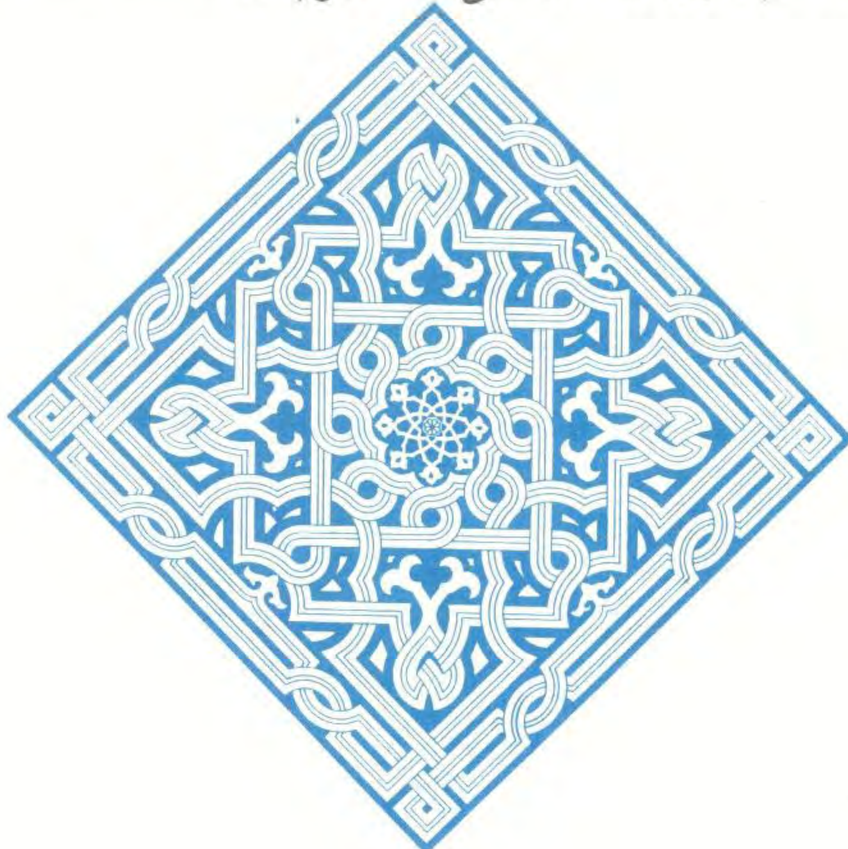
يؤدى الى نتيجة هامة هى شعور الأديب بالسلبية واللامبالاة ، لأن دائرة التفاعل التى يجب أن تتم بينه وبين متلقى فنه لا توجد ، ولهذا فان ما يتلقاه من تأثر ، وما يرتد عليه من صدى ، يصبح باهتا مخنوقا لا جدوى وراءه ، وأتصور أن الأديب الذى يكتب ويكتشف أنه لا يوجد أحد يحس به يستسلم بعد ذلك الى حالة تخبط فكرى تسلمه الى التقليد تارة ، والى الجمود تارة أخرى ، بل قد تسلمه الى تيه التخبط فى دياجير الضياع .

التصور الخامس والأخير :

وهناك حقيقة هامة وهى انه تنعدم — أو تكاد — تلك اللقاءات الهامة بين أدباء الأقطار العربية والشعوب الإسلامية ، ولا اقصد بذلك تلك المؤتمرات والمهرجانات السريعة التى تنعقد تحت لواء مناسبة أو موضوع ما ، ثم تذوب كما تتلاشى قطع الثلج ، وإنما أقصد اللقاءات الفكرية المتجددة المستمرة بين هؤلاء الأدباء فى مواسم ونادى ومجلات وصحف ، إن على الأديب التونسى ان يلتقى بالأديب الفلبينى ، والأوغندى ، والباكستانى ، إن شيئا من ذلك لم يحدث ، فكان كل أديب فى واد ، يصور من منبع خاص ، ويصب فى مصب خاص ، مسخت ملامح الأدب العقائدى فى أخطر لحظات المواجهة الحضارية العصرية .

وفى نهاية الحديث فليأذن لى الصديق الشاعر محمد أحمد العزب أن أسوق تساؤلا أخيرا يطرح نفسه قبل التساؤل الذى طرحه .

كيف نصل — بعد تحليل ودرس واقعنا — الى خلق مناخ أو خلفية تساعد على وجود فنان عقائدى ذى ملامح خاصة وأهداف حية ، ذلك الفنان الذى يبحث عنه فناننا الأستاذ العزب ؟!



نظرات في سورة الاخلاص

للأستاذ : عبد العزيز العلى المطوع

قل هو الله احد : من البداهة والفطرة في الانسان وما وصل اليه من تعاليم الرسل الكرام : وحدانية الله الأزلية اللانهائية المنفردة بذاته وصفاته سبحانه ، لا رب للعالمين غيره ، ولا إله يعبد بحق سواه .

ولعله اصبح من المألوف لدى الكاتب والمتحدث والسامع والقارىء جميعا ، ان معنى كلمة احد هو (واحد) ولكن في معناها ما هو اعمق من ذلك ، حيث لم يأت في اللغة ان معنى لفظ (احد) هو (واحد) الا اذا كان اللفظ مضافا كما في احد الناس او إحدى النساء وكذلك في الأعداد المركبة كأحد عشر أو إحدى وعشرين .

وتأتي كلمة (احد) للذوات العقلاء في ثلاثة مواطن : الاثبات ، والنفي ، والتحدى ، اما الاثبات فانه لم يرد بالنسبة لمخلوق إلا في القليل النادر ، كان يقول قائل : ليس في البيت أحد (في حالة النفي) فاذا سمعه فرد أو اكثر في الدار قال : ــ نحن هنا : ردا على هذا النفي غير الصحيح ، وبغير ذلك لااعتقد أن لها في باب الاثبات مجالا آخر .

وقد افتتحت سورة الاخلاص بالاثبات وهذا امر خاص بالله سبحانه ومن هذه الآية يتبين أن الله ذات واجبة الوجود ولا يصح إثبات الوجود المطلق إلا لله وحده ، كما لا يصح النفي على الاطلاق إلا مع الاستشعار باثبات وجود الله سبحانه في كل مكان يليق بجلال قدسه وإحاطة علمه إذ لا يستطيع انسان ما او اكثر ان يقول ليس معي احد (في حالة النفي) او يقول لا يقدر عليَّ احد (في حالة التحدى) لأنه سبحانه مطلع على خلقه وهو معهم اينما كانوا « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » وفي الآية السابعة من سورة المجادلة « الم ترَ انَّ الله يعلم ما في السموات وما في الارض ، مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر إلا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » .

وقد جاء في سورة البلد آيات اربع ابتداء من الآية الرابعة حتى السابعة وردت فيها كلمة (احد) وهي : « لقد خلقنا الانسان في كبد . ايحسب ان لن يقدر عليه أحد . يقول اهلكت مالا لبدا . ايحسب أن لم يرَه أحد » ولا يخفى ما في ذلك من الاستفهام الاستنكارى ، فكلمة احد : للذوات العقلاء ككلمة : من : وذلك كقولنا : من في البيت ؟ بمعنى : أفي البيت احد ؟ وعليه فمعنى الآية « قل هو الله احد » أنه سبحانه ذات واجبة الوجود مهيمنة عليه ، متسنمة على عرش كل ذرة من ذراته ، او خلية من خلاياه ، كما جاء في ختام

سورة يس : ((فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون)) وبيــده سبحانه ناصية كل دابـــة ، مصداقا لقوله جل شانه فى سورة هـــود ((انى تـــوكلت على الله ربى وربكم ما من دابـــة الا هـــو آخـــذ بناصـــيتهـــا ان ربى على صراط مستقيم)) (الآية ٥٦) وقوله سبحانه فى سورة المؤمنين : ((قل مـــن بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون)) (الآية ٨٨) .

الله الصمـــد : والصمد من يصمد لجميع ما يحتاج اليه الخلائق ويحفظها ويهيمن عليها ، وتطلق لغة ايضا على من لا جوف له فلا ياكل ولا يشرب ولا يحدث لـــه ما يترتب عـــلى الاكل والشرب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ومن معانى الصمد انه صامد للوجود كله وتصمد اليـــه جميـــع الخلائق ، وقد اورد بعض المفسرين فى تفسير كلمة الصمد ، انها تشـــمل صفات الكمال كلها لله جلت عظمته ، فاذا ما وجب علينا فى حالـــة النفى الاستشعار بوجود العلى القـــــدير وجود هيمنة وعلم ، وجب علينا ايضا الاعتقاد بأن هـــذا الوجود لا يعتريه نقصان ولا زوال ولا تاخذه سنة ولا نوم ((ما تكون فى شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيـــه وما يعزب عن ربك من مثقـــال ذرة فى الارض ولافى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فـــى كتاب مبين)) (الآية ٦١ من سورة يونس) .

فاذا قال فرد أو اكثر مثلا وهـــو يتناول طعامه (أنه لا ياكل معى احد) فالجواب على ذلك هو الله احد معك ولكنه صمد منزه عن الاكل والشرب ، وعن كل ما لا يليق بجـــلال عظمته سبحانه وتعالى ، وفى باقى هـــذه السورة ، ما يؤيد المعنى المتقدم فكما أنه جل شأنه لا ياكل ولا يشرب فانه لم يلـــد ولم يولد ولم يكن له كفـــوا احد .

ولعلنا نستطيع أن نقول خلاصة لما تقدم انه سبحانـــه منفرد بالعلـــو اللانهائى فى غير بعـــد وبوحدانيه صمدانية خلاقة وســـعت كل شىء رحمة وعلما ، غنية عن الكفء قادرة على الابـــداع والحفظ والاعادة ، صامـــدة للوجود كله ، لا محل فيه لثان كند او كفو ، ((إن كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)) الآيات (٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ من سورة مريم) .

وحدانية كمال مطلق غير محدود ، وليست وحدانية عدد لأن الواحد فى الحساب قد يفيد القلة كما يفيد الرقم الاول فقط تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ((هو الاول والآخر والظاهـــر والباطن وهو بكل شىء عليم)) .

وكمـــا جـــاء فى ختام سورة (الاخلاص) ((ولم يكن له كفوا احد)) ومن آية الكرسى فى سورة البقرة ((يعـــلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم)) وقوله ايضا ((ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)) على أن الوحدانية القهارة موجودة فى كل آية من آيات كتاب الله ولا سيما السور الثلاث : الفاتحة ، والناس ، والفلق . ففى البسملة توحيد ، وفى قراءة الحمد لله رب العالمين توحيد ، وكذا الشأن فى كل آية بعد ذلك .

وقد جاء فى الاثـــر أن فى سورة الاخلاص صفة هذه الوحدانية وأنها أنزلت عندما قال العرب لخاتـــــم رسل الله صف لنا ربك .

على أن هذه الوحدانية موجودة بالفطرة فى كل انسان عاقل يؤيدها العلم كلما تقدم ، فالانسان هو وعاء

العلم وبالعلم فضل آدم على الملائكة الكرام في الملأ الأعلى .

ومعنى ازدياد العلم في الانسان محاولة اكتشاف علم ما وراءه وهنا نتساءل : اذا كان ولا بد من الاعتقاد بأن وراء علم هـذا الانسان علوما واسعة لم يصل الانسان الا الى النزر اليسير منها ـ فان ذلك يوحي للعالم ان وراء هـذا الكون مكوّنا ووراء هذا الابداع مبدعا يحـاول الانسان جهـده أن يكتشف ما يسـتطيع أن يكتشفه من اسرار ومكنونات ، ومن أبسط الامثلة سؤال يطـرح نفسه فهل لك ايها الانسان رأى أو مشاركة في خلق أو في نظام ذرة واحدة من ذرات الكون اليابسة او خلية واحدة من خلاياه الرطبة ؟ فاذا كان الجواب لا : فمن هو ذا يا ترى ؟ وانه لتغلب الحيرة والبلبلة والظنة على الكثيرين، فيسمون ما يعتقدون وجوده قـوة خارقة ، وعـلم ما وراء الانسان ـ بالطبيعة تارة ، واللانهاية تارة أخرى، والدهر ثالثة، مع أنهم لم يأتونا بوصف أو كنه لهذه الطبيعة أو الـدهر أو اللانهاية .

والسؤال الذى يفرض نفسه اذا كانت هذه الطبيعـة أو اللانهاية أو الدهر أو غير ذلك من المسميات عاقلة قادرة سميعة بصيرة عالمة موصوفة بصفات الكمال كلها ، تنشىء وتطور وتكون وتبدع وتنظم وتحفظ ، فمـاذا نسميها اذا لم نسمها الله ؟ والفرق بيننا وبينهم اذن هو مجرد التسمية ، والمعبود بحق عندنا هو القوة المبدعة لهذا الوجود والمهيمنة عليه والمنظمة الحافظة له التى نسميها : الله ـ فاذا سماها الآخرون بلغاتهم باسم آخر فلا يضير ذلك عقيدة التوحيد بشيء وقد قال الاقدمون من قبـل ما قاله الطبيعيون « تشابهت قلوبهم » وذلك كمـا جاء في الآية ٢٤ من سـورة الجاثية : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك مـن علم ان هم إلا يظنون » .

وقد جاء في الاثـر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » اما اذا كانت الطبيعة كما يعتقدون صمـاء عمياء جاهلـة ، فان فاقد الشيء لا يعطيه ، وكيف خلقت لنا الطبيعـة سمعا وبصرا وهي لا تعرف السمع والبصر ؟

على ان العلم والفطـرة كفيلان بتوكيد وجود الخلاق العليم في تصور كل انسان شاء أم أبى ، والعلم يهدى للايمان مصداق قوله سبحانـه في (الآية ٢٢ من سورة الروم) :

« ومن آياته خلق السـموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين » .

(وفي الآية السادسة من سورة سبأ) :

« ويرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » .

وفي (الآية ٢٨ من سورة فاطر) :

« ومن الناس والـدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلمـاء ان الله عـزيز غفور » .

وقال جل شانه :

« قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخـرون للأذقان سجدا » الآية (١٠٧ من سورة الاسراء) .

وقال سبحانه :

« وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنـوا الى صراط مستقيم » .

(آية ٥٤ سورة الحج) .

وحدة الدين ومميزات الإسلام

للأستاذ محمد محمد أبو خوات

الأعمال فى نطاق التشريع الاسلامى هى الشطر الثانى من شطرى الدين ، والشطر الأول هو العقيدة اذ « الاسلام عقيدة وعمل » ، ولما كان العمل هو المظهر الانفعالى لما يسمعه الانسان ويراه ، أو لما يعتقده ويؤمن به ، كان الجزاء الدنيوى والحساب الأخروى على ما عمله الانسان هو مناط التفاضل ـ ولو فى الظاهر ـ بين انسان وانسان . قال تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون » (٧٢ ـ الزخرف) وقال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (١٠٥ ـ التوبة) ، ولقد كان

العمل فى نطاق الدين مظهر شكر الله على جزيل نعمه على الشاكرين ، جاء ذلك فيما يفهم من قوله تعالى : « اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » (١٣ ـ سبأ) ولقد فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين وصف أحدهما بالكياسة ووصف الآخر بالعجز ، وما ذلك الا بسبب اختلافهما من حيث العمل .. قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الترمذى عن أبى يعلى شداد بن أوس : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجزمن اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ...

فللعمل ـ اذن ـ فى الاسلام خطره وأثره ، ويقوى هذا الأثر والخطر أو يضعف كل منهما بقدر مدى ارتباط العمل بمبادىء الشريعة قربا وبعدا وقوة وضعفا ..

فالعمل الذى مبعثه وغايته كلاهما طاعة الله ورسوله يسمى عملا شرعيا أو مشروعا يستند الى ما شرعه الله تعالى فى كتابه الكريم وما بينه رسول الله فى سنته الصحيحة ، وهذا النوع من الأعمال هو ما نريد الحديث فيه لنتقرر أن الاسلام فى تشريعه الحكيم ، لم يخرج على القاعدة التى قررناها فى حديثنا ذاك حين تحدثنا عن العقيدة فقلنا : « إن العقيدة التى يدعى الخلق الى اعتناقها ينبغى أن تتلاقى مع نظرتهم وطبائعهم الأساسية التى لا يلحقها الاختلاف إلى حد التناقض » وكذلك لنبر بما وعدنا به آنفا من بيان أسلوب الاسلام فى أساس التكليف ويسر الاسلام وسماحته فى هذا الشطر الهام وهو الشريعة : ـ

١ ـ كان أسلوب الاسلام فى دعوته لتقبل التشريعات الاسلامية موائما لطبيعة الانسان على نحو بين واضح ، فنجده تارة يأتى بالحكم ثم يأتى بالعلة والحكمة التى ما يكاد المكلف يعرفها حتى يذعن فى يقين وحب وإقبال على الالتزام بالحكم عن رضا وطواعية ، وفى هذا المجال قد يأتى بالعلة عامة تصلح لموضوع الحكم ولغيره ، وقد يأتى بالعلة خاصة بالموضوع الذى يصدر الحكم فيه .. من الأول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم .. لعلكم تتقون » ومن الثانى قوله تعالى فى حكم آخر من أحكام الموضوع « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .. وأكثر ما يكون هذا اللون من التعليل فى الأحكام التى لا يتقبلها غير المؤمن بسهولة ، فتحتاج الى اسهاب فى التعليل ولعل ذلك من طبائع الأشياء . ومنه قوله تعالى : « وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .. فلما كانت النفس تنفر بطبعها من الفحشاء ولا تقبل تلقائيا على ما تنكره النفوس ذات الطبع السليم ، كان نزوعها الى العمل الذى ينأى بها عنهما أمرا حبيبا إليها تكاد تتوق إليه . وذلك كله وغيره من مختلف التكاليف والأحكام الشرعية ينطلق من أصل واحد وهو قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ، ولن

يشاد الدين أحد إلا غلبه » . . ومن هنا فاننا نلاحظ أن أحكام الاسلام جاءت ملائمة لقدرات الانسان كانسان شأنه أن يكون قادرا على أداء هذه التكاليف فى يسر وسهولة ، فاذا عرضت له أحوال أو نزلت أحداث تعوق أو تضعف قدرته على أدائها كان له هو بالذات حكم آخر يتواءم مع حاله انضواء تحت القاعدة الكلية : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وينبغى هنا أن نبين ما لا بد من بيانه فى فهم هذه القاعدة . . لا بد أن نفرق هنا بين حالين . .

ا ــ أن يكون عدم السعة ناشئا عن عجز خلقى أو مرضى وبعامة « لا يصنعه الانسان لنفسه » .

ب ــ أن يكون عدم السعة والضيق بسبب تصرف خاطىء تصرفه المرء بثقة خارج نطاق التدين الصحيح . فمن خلقه الله غير مستطيع أن يركع أو يسجد لعجزه الخلقى . أو غير مستطيع أن يغسل وجهه بالمـــاء مثلا لمرض فى وجهه . . سقط عنه التكليف بالأمرين مدة عجزه عنهما بغير معصية . . أما الرجل الذى أدمن الخمر حتى صارت احدى خصائصه ، أو المرأة التى تضع الأصباغ ذات الجرم على أظافرها أو تكـــوى شعرهـــا فلا يستطيع الأول أن يؤدى فرائض الدين ، ولا تستطيع المرأة أن تتطهر من الحدثين أو أحدهما ، ثم يقول كلاهما : الدين يسر ، . .لا يكلف الله نفسا الا وسعها فهذان وأمثالهما لا يدخلان تحت هذه القاعدة لأنهما بتصرفهما الخاطىء أوقعا أنفسهما فى الضيق . ونخلص من ذلك بأن أسلـــــوب الاسلام فى رسم أساس التكليف بالأعمال انما يقوم على أنه : لا تكليف بما لا يطاق على العموم أو على الخصوص على سواء .

٢ ــ أما يسر الاسلام وسماحته فى هذا الجانب « جانب التشريع » فأمر لا تدرك غايته وإليك القطر من البحر بما يتناسب مع المساحة التى لا ينبغى أن نطمع فى أكثر منها لمثل هذا المقال . .

من حيث النصوص العامة التى تؤيد ذلك وتؤكــــــده ما سبق أن استشهدنا به من قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر » وفى التطبيق العملى نجد الكثير الكثير : ــ ففى الصلاة مثلا تعطى الفرصة للمسافر ليقصر الصلاة الرباعية فيصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين فى كل منها بدل أربع ، وفى حال الخوف والقتال تربصا أو فعلا تؤدى الصلوات على وجه يتناسب مع الحال التى عليها الجيش ، حتى اذا انتهى القتال واطمأن المسلمون عاد أمـــر الصلاة الى ما كان عليه . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : « فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم . . . فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة » . . . وفى حال المرض يصلى المريض قاعدا فاذا لم يستطع يصلى مضطجعا فاذا لم يستطع يصلى راقدا فاذا لم يستطع حرك ما يستطيع من

اعضائه فاذا لم يستطع شيئا من ذلك اجرى اركان الصلاة على قلبه حتى يظل — وبخاصة في حال المرض — قريبا من ربه ذاكرا فضله شاكرا له سبحانه غير كافر وذلك غير ما يباح له من التيمم والمسح اذا لم يجد الماء أو عجز عن استعماله كما هو معروف . وفي الصيام مثلا رخص الاسلام للمريض والمسافر بجواز فطر كل منهما مع القدرة ، ووجوبه مع العجز أو تحقق الهلاك ، ولم يجز للمرأة أن تجمع بين أسباب ضعفين : ضعف الجوع الذي يمنع مدد الدم المتجدد للبناء والحركة ، وضعف النزف الذى كتبه الله على بنات حواء فحرم الصيام على المرأة حال الحيض والنفاس ، وأباح لها أن تفطر حال الحمل أو الرضاعة ان خافت على نفسها ، ولم يضيق فى أمر الصيام على الشيخ الفانى والمرأة العجوز وغيرهما من كل من لا يطيق الصيام .. وفى الحج كان أمر المسلمين كما جاء فى حجة الوداع أيسر بكثير مما يفعله الحاج بنفسه في العهود المتأخرة ونكتفى فى هذا بذكر ما حدث يوم النحر فى منى حين كان الواحد من الصحابة يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله رميت ولم أذبح .. فيقول له : اذبح ولا حرج . ويأتى الآخر يقول : يا رسول الله ذبحت ولم أرم .. فيقول له : ارم ولا حرج .. يقول راوى الواقعة : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومها عن شيء إلا قال : افعل ولا حرج .. ولقد كان يحلو لبعض المسلمين من الزهاد أن يتباروا فى الزهد حتى ليخرجوا عن حد المألوف والمعتاد وحتى ليصلوا فى عملهم الى درجة تصحح وصفهم بالمتنطعين ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم عنهم : هلك المتنطعون (ويكررها ثلاثا) والمتنطعون هم المتشددون فى غير موضع التشدد . وأرى أن منهم من يقيد المباح بقيد يؤدى الى التضييق على الناس بزعم أنه الطريق الصحيح ولا صحيح سواه ، ومنهم كذلك من يجعل أمر السنة كأمر الفريضة يحاول أن يلزم بها نفسه وهو فى الواقع غير مستطيع .

ولقد وصل بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — على عهده — الى الحد الذى يرغبون عنده أن يكونوا فى عبادتهم وتقواهم أكثر من رسول الله نفسه ، فألزموا انفسهم بما لم يلزمهم به الله ولا رسوله — زهدا منهم ورغبة فى رضاء الله تعالى — .. يروى انس رضى الله عنه قال : — جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما اخبروا كأنهم تقالوها (يعنى اعتبروها قليلة) ..

وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟!! قال أحدهم : اما انا فأصلى الليل أبدا .. وقال الآخر : وانا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر .. وقال الآخر : وانا أعتزل النساء فلا اتزوج ابدا ... فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟؟!! اما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم

له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ومن هذا القبيل ما رواه أنس رضى الله عنه أيضا من أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا هذا حبل لزينب (بنت جحش أم المؤمنين) .. تقوم تصلى فاذا فترت قامت فتعلقت به ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حلوه ... ثم قال : ليُصلِّ احدكم نشاطه فاذا فتر (تعب) فليرقد ... ولقد بلغ من حرص رسول الله على تثبيت أن الاسلام يسر فى نفوس أصحابه أنه كان يتابعهم فردا فردا فى هذا المعنى حتى تستبين شعائر الاسلام من بعد الدينين السابقين بما فيهما من تشديد فى التكاليف أو تشدد وتنطع سدا طريق التدين الصحيح أمام السالكين فمن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال : أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنى أقول : والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الم أخبَر انك تصوم النهار وتقوم الليل ؟! قلت بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل .. صم وأفطر ، ونم وقم ، فان لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وان لزورك عليك حقا ، وان بحسبك أن تصوم فى كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فاذا ذلك صيام الدهر ...

ولقد جعل عبد الله بن عمرو هذا يناقش رسول الله حتى انتهى معه الى أن يصوم يوما ويفطر يوما طول الدهر محتجا بأنه يطيق ذلك .. فلما أطال الله عمره وأحسَّ بضعف الشيخوخة وعجز الكبر قال : يا ليتنى قبِلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وفى هذا المعنى نريد أن نتفهم أن اليُسر فى الاسلام ليس مبعثه عدم الحث على كثرة الطاعات ودوام العبادات وإنما مردّه أمران : الأول أن رسول الله قد تعلم عن ربه أن النفس البشرية سريعة الملل ، وتعتورها أحوال ضعف لا تطيق فيها دوام الأعمال المرهقة فأخبرنا بأن أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه ، وكان يقول فى ذلك : عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا .. ولما كان حمل النفس على ما يتعارض مع ما فطرت عليه يؤدى الى الانقطاع والملالة وربما يؤدى الى حديث النفس بما لا يجوز ، كان التيسير عليها وعدم إلجائها الى ما لا تطيق هو الطريق الصحيح الى تربيتها بالحب والطاعة عن رضا وقبول ... الأمر الثانى : أن هذه الرسالة لم تنزل ليتبعها قوم بأعيانهم ولا جيل من الزمان بعينه ، فكان مما لا بد منه لتحقيق ذاتها أن تكون مبنية على التيسير والتخفيف حتى يكون فيها زاد لكل مرتحل وطريق لكل سالك وأمل لكل عامل سواء فى ذلك جيل نزول الرسالة وما تلاه أو يتلوه من الأجيال الى قيام الساعة ... وبسبب هذين الأمرين كليهما أو أحدهما وردت أحاديث كثيرة فى بيان أسباب تحصيل الخير مما

يجعل ذوى النوايا الطيبة الذين لم يغرقوا فى الشرك والوان المعاصى اكثر أملا فى عفو الله ومغفرته واستحقاق رحمته ولنقرأ احد هذه الأحاديث عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « على كل مسلم صدقة .. قال : أرأيت إن لم يجد ؟ قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق .. قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف .. قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير .. قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة » .. أخرجه الشيخان .

ولتنظر معى أيها القارىء : أين من هـذا اليسر ما كانت تشقى به جموع اليهود من جفاف فى العقيدة ومشقة بالغة فى تنفيـذ الأحكام التى كلفوا أن يقوموا بها عقابا لهم على شنىء الذنوب التى ارتكبوها فى حق الله نفسه وفى حق الأنبياء وفى حق الشعوب وفى حق أنفسهم ، وأين من هذا التيسير ما ألزم النصارى به أنفسهم من إلغاء طبيعة الانسـان التى تقتضيه أن يبحث ويفكر ثم يعقل ثم يقتنع أو يفعل ، ومن إبطال حق النفس فى أن تأخذ بحقها اذا ظلمت ، ومن تحريم ألوان من اليسر الذى أحـاط الاسلام به شئون الأسرة الى غير ذلك مما لا يحصى ، وصدق الله العظيم : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ الذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » . والله سبحانه وتعالى يختم كبرى سور القرآن (البقرة) بآية واحدة تبدأ بالقاعدة وتفرع عليها أمور فى صورة دعـوات تدل على كل ما قلناه : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » .. هذا ــ كما قدمت ــ قطر من بحر ، والمراد به أمثلة توضح ما قصد من العنوان الأول : « وحدة الدين ومميزات الاسلام » ولعلى أكون قد أوضحت .



منهج التربية في الإسلام



رسم الاسلام للتربية منهجا متكاملا يتناول الانسان من جميع نواحيه بحيث لو طبق تطبيقا سليما . لخرج للمجتمع الاسلامى المسلم المتكامل السوى الذى يستطيع أن يحقق هدف الاسلام من التربية ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الانسان فهو أعلم به وباحتياجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية، وهو الذى أرسل رسوله الكريم بمنهج التربية المتكامل الذى عنى بجسم المسلم ، كما عنى بروحه وعقله مراعيا فى كل ذلك استعداداته وخصائصه واحتياجاته .

والانسان خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة له فى الارض يقوم بتعميرها ونشر الأمن والعدل والسلام فيها (واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) ولذلك فقد كان أساس التربية الاسلامية دوام صلة المسلم بالله سبحانه وتعالى وكان المسلم القريب الى الله ليس هو صاحب المال ولا صاحب الشرف ولا صاحب المنصب بل كان هو الذى يسير على المنهج الذى أراده الله سبحانه وتعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

والانسان مزيج من الماديات والمعنويات واستخدام الانسان لطاقاته كلها يحدث توازنا بين مادياته ومعنوياته ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية يحدث انواعا من الشذوذ على النحو الذى نراه فى المجتمعات الحديثة . فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة فى منهج التربية الاسلامية .

ولقد عنى الاسلام بالطفل المسلم عناية كبيرة من قبل أن يولد وذلك باعداد البيئة المناسبة التى يتكون فيها ويتربى بين احضانها تلك هى البيئة التى تعنى به وتهيئه ليكون فردا سويا قائما بواجبه نحو نفسه ونحو اسرته ونحو مجتمعه ونحو البشرية ونحو ربه الذى خلقه ، وبذلك يستشعر الرضا والسعادة فاشترط فى اختيار الوالدين الدين فقال النبى عليه الصلاة والسلام فى اختيار الزوج : (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) .

وقال فى اختيار الزوجة : (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

للأستاذ : على القاضى

فى هذه البيئة الصالحة ينشأ الطفل ويتربى على الأساس الذى رسمه الاسلام يتربى جسمه وتتربى روحه ويتربى عقله .

تربية الجسم فى الاسلام : —

لكى يؤدى المسلم وظيفته فى هذه الحياة لا بد وأن تكون صحته سليمة وعضلاته قوية وحواسه تؤدى وظيفتها على أكمل الوجوه بحيث يؤدى كل عضو من أعضاء الجسم وظيفته وبحيث يكون هناك تناسق بين ذلك كله يؤدى الى حيوية الجسم والى طاقته الفعالة والى الاستفادة من ذلك كله والا فما فائدة الحواس اذا لم ينتفع الانسان بها الانتفاع السليم الذى يميزه عن غيره من الكائنات ؟ ما فائدة العين اذا كانت لا ترى الحقائق التى أمامها وما فائدة الأذن اذا كانت لا تسمع ما يفيدها فى حياتها وفى آخرتها ؟ ولذلك نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين (لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) وقال عنهم (أولئك كالانعام بل هم أضل) .

والاسلام يريد أجساما قوية يمكن أن تؤدى واجبها فى المجتمع الاسلامى ولذلك كان المؤمن القوى خيرا وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، كما يقول النبى عليه السلام ، ولذلك فقد أباح الطعام وبين المنهج الذى يسير عليه الاسلام فى هذا بحيث يستفيد الجسم منه الفائدة الكاملة وبحيث لا يزيد عن حاجته فينتج منه الضرر ، فالغذاء وسيلة لا غاية ، وسيلة تنبه المسلمين الى العناية بالاساليب التى تقوى الجسم وتهيىء المسلم لرسالته كالسباحة والمصارعة والفروسية وطلب أن يتعود الانسان الخشونة « واخشوشنوا فان النعيم لا يدوم » . كما أن الاسلام وجه ويريد أيضا ذرية صالحة تؤدى وظيفتها فى هذه الحياة فنظم الجنس لتكون ممارسته فى الحدود التى رسمها الاسلام حتى يضمن النظافة والاعتدال .

ذلك لأن الانسان أفضل مخلوقات الله سبحانه وتعالى وقد كرمه ربه فبين له كيف يرتقى بطاقاته كلها ويوفرها لاداء رسالته فى هذه الحياة وعمل على حفظها من الهبوط والانطلاق فى ملذات الحياة ، فان ذلك يستنفد الطاقة ولا يترك رصيدا للقوة التى يؤدى بها المسلم رسالته فى هذه الحياة .

ومن هنا فقد عمل الاسلام على

تربية القوة الضابطة فى المسلم وتنميتها منذ الصغر ـ والصيام مثل واضح لوسيلة من وسائل الضبط التربوية التى شرعها الاسلام فالمسلم الذى يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة يتعود على الارتفاع عن رغبات نفسه فيحقق بذلك كيانه وقوته وذاته ولا يصبح انسانا بغير قوة أو ارادة أو يفقد كيانه فى ناحية من النواحى التى لا يستطيع أن يتغلب فيها على نفسه وذلك ما لا يرضاه الاسلام لفرد من أفراده .

والاسلام لا يترك قلب المسلم يعيش فى فراغ بل يربطه بالله سبحانه وتعالى وذلك « بمراقبته فى كل عمل من أعماله يربطه بتقواه التى يتسع معناها فتشمل كل شىء يقوم الانسان بعمله .

كما يربطه باليوم الآخر الذى فيه الجزاء الأوفى ذلك لأن الانسان اذا أحس بأن الحياة الدنيا هى الفرصة الوحيدة له انطلق ينهل من لذائذها قبل فوات الأوان وإلا فإنه قد خسر بذلك كل شىء .

لكن الاسلام يبين للناس أن الحياة الدنيا فانية وأن متاعها قليل (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) .

تربيـــة الروح

نعنى بالتربية الروحية طريق التعرف على الله سبحانه وتعالى والاتصال به لتحقيق هدف الانسان فى الارض فالله خلق الجن والإنس لعبادته والطريق الذى رسمه الاسلام كله عبادة ... عبادة لا تكون مظهرا من المظاهر بل لا بد وأن تكون عميقة ذات أثر واضح فى حياة الانسان وفى سلوكه فتكون قائمة على أساس ايجاد الصلة القوية بين القلب البشرى وبين الله سبحانه وتعالى قائمة على خطة سلوك وعمل وفكر وشعور بحيث تدفع القلب البشرى الى الرجوع الى الله فى كل لحظة وهذا هو الضمان للمسلم فى عقد هذه الصلة .

وعبادة المسلم معناها أن يسير فى الطريق الذى رسمه الاسلام فالقلب يحمل شحنة قوية من الايمان والصلة بالله تدفعه الى العمل الايجابى الذى يريده الاسلام وكل عمل فى حياة المسلم يمكن أن يكون عبادة ما دام قد نوى ذلك (إنما الاعمال بالنيات) فالجهاد عبادة والسعى على العيال عبادة ومساعدة المحتاج عبادة وأداء الواجب عبادة وحتى الشهوة التى يضعها الانسان فى حلال عبادة .

والروح هى الطاقة التى يتصل الانسان بها بالغيب المحجوب عن الحواس . ووظيفتها الاتصال بالله سبحانه وتعالى فهى قبس من الله عز وجل (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .

وطاقة الروح لذلك كانت أكبر طاقات الانسان التى تؤثر فى سلوك الفرد كما تؤثر فى سلوك المجتمع ولذلك فقد عنى الاسلام بتربيتها بطريقة فريدة وذلك بعقد الصلة الدائمة بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بحيث يجعل هذه الصلة فى كل لحظة وفى كل عمل من الاعمال التى يقوم بها الانسان فى حدود طاقاته وامكاناته (فاتقوا الله ما استطعتم) وهذه الصلة تقتضى أن يكون العمل كله خالصا لله سبحانه

وتعالى والله لا يقبله الا اذا كان كذلك وهو بهذا يرفع من الضعف البشرى للانسان فيحميه من الانحدار الى مصاف الحيوانات ويبين له أن الله هو السند الحقيقى له وأنه هو الذى بيده كل شىء وأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا . وفى ذلك يقول الرسول الكريم لعبد الله ابن عباس (احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف) .

فاذا ما حدث للانسان شىء يكرهه فقد يكون فيه الخير وهو لا يعرف وعليه أن يطمئن الى ذلك (وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) بل ان الشىء الذى يحبه الانسان قد يكون فيه شر وعلم ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى الذى يتولى أموره بالعناية والرعاية وهو الذى يختار له الخير ما دام ملتجئا اليه وحده (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وكل ما يصيب الانسان بعد ذلك له ثوابه عند الله تعالى حتى الشوكة يشاكها المسلم لها ثوابها وبذلك يستشعر الرضا الذى يشيع على حياته الأمن والطمأنينة وهذا ما تفتقده المجتمعات الحديثة ، وذلك أسمى ما يحتاج اليه الانسان فى هذه الحياة .

تربية العقل

العقل البشرى من الطاقات التى أنعم الله بها على الانسان يتبين هذا فى قوله تعالى (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) ولقد استطاع الانسان فى العصر الحديث أن يستخدم عقله على نطاق واسع فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا فى المجتمع البشرى ولكن تربيته لم تكن متكاملة ، ولم يكن له رصيد روحى يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات الى الخير ، ففتن بما وصل اليه وطغى وتجبر ونتيجة ذلك كله أن البشرية أصبحت تعيش فى مشكلات لا نهاية لها فشقى الانسان بدل أن يسعد وأصبح العقل نقمة على البشرية بدل أن يكون نعمة تنتفع به ، والاسلام يهدف الى سعادة الانسان والى اقامة الحياة فى الارض على أساس من الحق والعدل فعمل على أصلاح القلب البشرى ووجه الطاقة العقلية الى التأمل فى حكمة الله سبحانه وتعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) كما وجهها الى حكمة التشريع الذى أنزله الله ليطبق فى الارض (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون) وطلب من المسلمين أن يكون احقاق الحق بالنسبة للناس جميعا حتى تستقر النفوس وتهدأ القلوب (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ولكى يكون لهذا المنهج فاعليته واستمراره فقد جعل الاسلام كل فرد فى هذا المجتمع مسئولا عن المحافظة عليه فى حدود امكاناته (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهذه المسئولية ليست مسئولية سلبية بل هى ايجابية فالنصيحة مطلوبة (الدين النصيحة) والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)

بل إن هذه الأمة كانت خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فان لم تسر على هذا المنهج فانها ستكون كبنى اسرائيل الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) والمسلم مطالب بأن يكون مع الطيب ولو كان قليلا وان يبتعد عن الخبيث حتى ولو كان منتشرا مع اعجاب الناس به لانه تطور ومن مظاهر التقدم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) .

والاسلام يقدر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم فى الخير وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلى فطلب تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ولذلك فقد نعى على الانسان التقليد المطلق الذى لا يستخدم العقل (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) .

لذلك تميز المسلمون بالدقة العلمية فى أبحاثهم رغم قلة الامكانات التى كانت معهم .

والاسلام يوجه العقل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها والبحث عن اسبابها ونتائجها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) كما يوجهه الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الانسان (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) .

والمذهب التجريبى هو فى اصله مذهب اسلامى يقول (جب) فى كتابه « الاتجاهات الحديثة فى الاسلام » (أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وانه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى) .

كما يقول « بريفولت » فى كتابه : (بناء الانسانية عن أصول الحضارة الغربية) : لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن كانت بطيئة .

ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار فى ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك لم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التى نراها فى العالم الغربى .

وقد رفع الاسلام من شأن العلم والعلماء (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقد جعل النبى الكريم العلماء ورثة الأنبياء وحث القرآن الكريم العلماء أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) .

وهكذا يكون منهج التربية فى الاسلام منهجا متكاملا يعنى بتربية الجسم والروح والعقل حتى لا تطغى ناحية من النواحى ، وبذلك ينشأ المسلم سويا قوى الصلة بالله محققا لرسالته فى هذه الحياة فيسعد المسلم وتسعد البشرية كلها .

وعد الله

ليس لبني إسرائيل

للأستاذ : محمد عبد الرحمن عبد اللطيف

مقدمـــة :

تعتبر قضية فلسطين ذات أوجه متعددة يحار كاتب التاريخ بين ألوانها المتنافرة فهي قضية شعب بقدر ما هي قضية أمة ، وهي قضية دنيا بقدر ما هي قضية دين .

وسأحاول في هذا المقام المحدود أن أتناول جانبا هاما من جوانب هذه القضية ، وهو مناقشة الأساس الديني الذي قامت عليه دولة اسرائيل ، وادعاءاتها المتكررة في كل أسفارها بوجود وعد إلهي أبدي يمنحها فلسطين وما حولها شرقا وغربا منحة أبدية دون التزام دنيوي أو ديني .

وقد ورد الوعد الإلهي في العديد من أسفار التوراة منحة من الرب إلى أنبيائه ورسله وشعبه المختار ، وسيكون منهجي في بحث هذه القضية مناقشة أركانها الآتية :

أ ــ الوعد الإلهي كمنطوق ورد في أسفار التوراة .
ب ــ إله يملك القدرة بجانب صفات الألوهية ليمنح هذا الوعد .
حـ ــ أنبياء يتحملون مسئولية إبلاغ هذا الوعد وقيادة أمتهم لتحقيقه .
د ــ شعب مختار ندبته السماء لتحقيق وعدها وموعودها .

وهذه الأركان تعتبر وحدة متماسكة لا بد من قيامها جميعا لتقوم قضية الوعد على أساسها .

وسنرى مدى صدق كل ركن من هذه الأركان من وجهة النظر الاسرائيلية ، ثم نبحث نفس هذه الأركان من وجهة النظر الاسلامية لنقيمها على أساس سليم من الصحة والصدق والوضوح بين العبد وخالقه وبين العبد وغيره من بنى البشر ، أو ما يمكن أن نسميه وعد ملتزم بسلوك دينى ودنيوى .

الوعـــد الإلهى :

فى سفر التكوين يقول الرب لإبراهيم : (أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض .)

ويتطور الوعد فى سفر التثنية ليقول لبنـــى اسرائيل (كل مكان تدوســـه أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربى يكـــون تخمكم لا يقف انسان فى وجهكم . الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كـــل الأرض التى تدوسونها كما كلمكم) .

ونحن نرى فى النموذجين السابقين وقد اخترتهمـــــا من عديد الصـــور والصياغات لمنطوق الوعد مدى ما يمكن أن نسميه التوســـع الإقليمى الذى خططته اسرائيل منذ القدم فى أسفارها .

ولا بد أن نوضح هنا مسألة هامة ترتبط بقضية الوعد وهى أن الوعـــــد الإلهى يرتبط دائمـــا بنظرية الشعب المختـــار الذى لا يلتزم بأية ميزة أخلاقيـــة أو دينيـــة .

ففى سفر التثنية يقول الرب لاسرائيل (إنك يا اسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائـــكم) .

فنظرية الشعب المختار فى التوراة لا تقوم على أية ميزة أخلاقية أو دينية أو التزام من أى نوع ، فهى لا تقبل أى دفع من الدفوع ، ولا يمكن محاسبتها بميزان العقيدة ، لأن الرب هو الذى أقسم أن يبر هذا الشعب مهما كان سلوكه ومهما كان انحرافه .

وبدراسة السمات العامة لمنطوق الوعد فى التوراة نجد الآتى :

أ ــ الوعد يعطى لبنى اسرائيل حق ملكية أرض فلسطين وما حولها ملكية تامة .

ب ــ هذا الوعد ليس قاصرا على ابراهيم ، ومن جاء بعده من الأنبيـــاء ، وإنما هو لبنى اسرائيل أبد الدهر .

جـ ــ الوعد مفتوح لا حدود له ولا شروط وليس له أى التزام دينى أو أخلاقى سوى نظرية الشعب المختار .

د ــ تطور منطوق الوعد فى أسفار التوراة يجزم بالرغبة القديمة فــــى التوسع الإقليمى لبنى اسرائيل .

هـ ــ خلا الوعد من أى مدلول دينى أو التزام أخلاقى .

و ــ من الصياغات المختلفة لنص الوعد نرى أن الرب هو الذى يحفظ العهد للبشر وليس العبد هو الذى يحفظ عهد الله وهو وضع لا نجد له مثيلا فى تاريخ الأديان والعقائد .

ونحن باستعراض هذه السمات ومع التسليم المطلق بعدالة الله واستحالة وقوع الظلم منه نرى أن الوعد بهذه الصورة يبعث على الدهشة لأن الله جل شأنه إذا كان قد اختار شعبا وميزه وجعله خليفته فى الأرض فلا بد أن يتمتع على الاقل بميزة التدين ولكن التوراة نفسها تمتلىء بكل الموبقات الدنيوية والمراسم والطقوس الوثنية وموسى عليه السلام يقوده بنفسه إلى دنيا التوحيد فلا يكاد يصل من ذلك الى شىء حتى انه يكاد يضرع إلى الله فى القرآن حين يقول : (رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى) .

كما أن الله لا يمكن أن يعطى وعدا بدون مقابل أو التزام دينى يفى به الاسرائيليون ولنا أن نتصور شعبا يعيث فى الأرض فسادا ومعه صك بتأييد لا حدود له من جانب السماء فهو خليفة الله وسيد شعوب العالمين وهو مفهوم لا يستقيم مع تصور العدالة الإلهية .

كما أن الوعد لم يوضح لإسرائيل الخطة الواجب اتباعها لتحقيق الوعد وزمن تحقيقه حتى اننا لنعجب أشد العجب حين نرى أن التوراة أيام نبى الله سليمان عليه السلام تزخر بصيغ الوعد المختلفة ورغم كل ما وهبه الله من قوة وعظمة وملك ونبوة لا يتحرك لتحقيق الوعد والاستيلاء على أراضى المنطقة من النيل إلى الفرات . فهل اختلقت هذه القضية بعد ذلك أيام الأسر البابلى ؟!

أما أن نبى الله ــ وحاشى له ذلك ــ قد تقاعس عن تنفيذ وعد الله رغم توافر كل سبل العمل أمامه لتحقيق هذا الوعد ؟!

وتلك أمور تدعو إلى القول بأن كل ذلك ينافى عدالة السماء وهى شريعة الله كما وأن الصياغة والتأليف واضحان فى أسفار التوراة وكلها أمور تهدم هذا الركن من أركان قضية الوعد ، وعلينا أن نناقش بعد ذلك الركن الثانى وهو : الله مانح الوعد .

الله فى التوراة :

ان أبسط صفات الله ــ واهب الوعد هى القدرة ولكن حتى هذه الصفة حرمتها التوراة على الله فهو إله متغير ــ صارم ــ بالغ العنف ــ رهيب مخيف ــ يدعو إلى سفك الدماء واستعباد الشعوب وامتلاك أرض الشعوب وهو إله لبنى اسرائيل دون سائر البشر .

وهو بنص كلمات التوراة يمشى فى الجنة ويقابل بها آدم وهو يبكى ويحزن ويعتريه ما يعترى الإنسان من مشاعر وعواطف وهو يتجسد أمامهم مرة فى عامود دخان ومرة فى سحاب وأخرى فى نار وهو أحيانا يرى رأى العين كما رآه موسى وسبعون معه من شيوخ بنى اسرائيل كما جاء فى سفر الخروج .

ثم هو يتقبل تعنيف موسى له حين يقول له (ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . . . فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه) .

وهو يدعو إلى التدمير والتنكيل والذبح والقسوة فيقول فى سفر التثنية (حين تقترب من مدينة . . . . واذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها

فتضمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك ... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) .

قتل وسلب ونهب وتدمير هي نصيب الأمم التي يدفعها حظها العاثر أمام بني صهيون فليس عجيبا ما نراه يجرى في مدن فلسطين والأراضي المحتلة لأن كل ذلك جزء لا يتجزأ من معتقداتهم الدينية وتعاليم الرب إليهم . والرب عندهم في التوراة هو (يهوه) وهو إله اليهود فقط وليس لبنى البشر حق في ملكوت هذا الرب وإنما الرفعة والعلو لبنى اسرائيل فقط . ففي سفر اشعيا (ويقف الأجانب ويرعون غنمكم أما أنتم فتدعون كهنة الرب تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون) .

وقد أعطاهم (يهوه) هذه التعاليم والأساليب الشيطانية لأن الصهيونية جزء من الله أما باقي الشعوب فهي أشبه بالحيوان وبيوت عبادتهم ليست سوى حظائر حيوانات .

ومن مجمل هذه الصور نرى أن الله بهذه الصورة التي وردت في أسفار الصهيونية غير قادر على إعطاء وعد كبير كهذا وإذا كان قد وعد فهو غير قادر على تحقيق هذا الوعد .

ولنا أن نشك في التلازم بين الوعد والله على هذه الصورة أو أن نشك في الذين أرخوا وصوروا جوانب القصة التي لا يستطيع العقل أن يسيغها . فيكون أقرب إلى الخيال والمجاز أن نتصور وعدا مفتوحا دون شروط أو التزامات من رب له صفات بشرية وغير قادر إطلاقا بل يأتمر أحيانا بأمر رسله . ولكن يمكننا على الجانب الآخر أن نرى وعدا مشروطا محددا بالتزامات دينية وخلقية وربا قادرا على كل شيء حتى يمكن للعقل أن يسيغ هذه القضية . أم أن البشرية في سيرها على درب تطورها وتقدمها الإنساني قد كتب عليها أن تنتظر إلى أن يحين تحقيق هذا الوعد فتطأ الشراذم الصهيونية أراضي ما بين النيل والفرات وتسود الأمم كمنطوق الوعد .

ومجمل القول أن بنى اسرائيل لم يكونوا متحمسين أو راغبين في الأخذ بالمسئوليات الأخلاقية والدينية ولهذا أرخوا تأريخا لا يتفق مع الحقيقة ونسبوا لأنفسهم ما لا حق لهم فيه .

الأنبياء في التوراة :

لعل القارىء سينتظر أن أسرد عليه روائع الصفات التي أضفتها التوراة على أنبياء بني اسرائيل الذين كانوا الواسطة بين الرب وشعبه في تبليغ الوعد وقيادة أمتهم إلى تحقيقه ولكن شيئا من ذلك لم أجده في التوراة بل رأيت أحط الأخلاق تلصق بهم وأخس الصفات يوصم بها سلوكهم . ولم يرق مستوى أي منهم الأخلاقي إلى مستوى الرجل العادي من شعب اسرائيل فمنهم الزاني والمارق والخائن والجبان والكافر وغير ذلك من قبيح الأوصاف وهي صفات نزه الله منها أنبياءه الذين اصطفاهم من أكرم الخلق وأطهر البشر .

فنرى أن التوراة لم تعف ابراهيم أبو الانبياء حتى من هذا الأسلوب رغم انه صاحب الوعد الاول .

فتذكر فى سفر التكوين انه حين نزل إلى مصر قال لزوجته : (قال لسارأى امراته إنى قد علمت انك امراة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أن يقولوا هذه امراته فيقتلوننى ويستبقونك . قولى انك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك) .

وهى صورة غريبة فى حياة الانبياء : رجل يعرض جمال امراته لينال مـــن ذلك خيرا ويجبن فى الدفاع عن عرضه فينكر عقد زواجه ويدعى أن امرأته هـــى اخته وتلك هى طبيعة المساومة الغريزية فى خلق الصهيونية .

واكاد أجزم استنادا إلى المفهوم الحقيقى لرسالات السماء أن ابراهيم وفـــد الى مصر كنبى يدعو إلى رسالة ربه ولم يدفعه جدب الأرض إلى ذلك كما ذكرت التوراة .

وتستطرد التوراة فى سرد أقاصيص العبث فى بيت ابراهيم الحائـــر بين زوجته سارة وهاجر حتى انتهى الأمر الى إلقاء هاجر وابنها اسماعيل فى هجير الصحراء وفى يدها قربة ماء وليس هنا ذكر لرحلة ابراهيم واسماعيل إلى مكة ولا حديث عن بناء الكعبة ولو بكلمة واحدة رغم ما حفلت به من صغائر الأمور وسبب ذلك أن كاتب التوراة أراد ألا يلفت النظر التاريخى إلى بيت غير بيتهم فى أورشليم وإلى فرع للنبوة من نسل اسماعيل غير فرع نبوة اسحق وتلك قضية تحتاج إلى الكثير من التوضيح فى غير هذا المجال . ولكن ما يهمنا بيانه هنا هو سرد صورة ابراهيم الداكنة فى التوراة وفى نهايتها إغفال تام ربما لنصف رسالته وهى بنـــاء الكعبة حتى لا يشاركهم أحد فى قضية الوعد كما وضعوه .

وتسترسل التوراة فى سرد مخازى الأنبياء فتخبرنا أن يعقوب أخذ عهـــد النبوة من أبيه اسحق بناء على مؤامرة خسيسة بينه وبين أمه خدعا فيها الأب بعد ضعف بصره .

وفى سفر التثنية نرى أن راوبين قد زنى مع امراة أبيه يعقوب كما سرد سفر التكوين قصة الزنا التى ارتكبتها دينة ابنة يعقوب من ليأة مع أحد أبناء ســـادة شكيم فى الأردن . وكذلك قصة الزنا بين يهوذا بن يعقوب وزوجة ابنه .

وهو مفهوم مزرى لا يمكن أن نسلـــم بحدوثـــه فى منازل الوحى وبيـــوت الأنبياء .

وفى سفر الملوك الأول نرى أن سليمان تزوج بالوثنيات حتى أملن قلبه إلى عبادة الأوثان وترك الوحدانية حتى قال السفر (فغضب الرب على ســـليمان لأن قلبه مال عن الرب) وصورة سليمان فى التوراة لا تتناسب مع ما منحه الله من ملك عظيم وحكمة بالغة ونبوة معروفة لم تحدثنا عنها التوراة وإنما سردت المخازى ولفقت التهم .

ثم نرى صورة لوط النبى الكريم وقد زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر وذلك فى سفر التكوين .

كما أن اسحق عرض زوجته على أحد ملوك المنطقة .
حتى موسى الذى أنقذهم من فرعون وغضبه حرمه الرب وغضب عليه .
وهرون ألصقوا به تهمة صناعة العجل الذهب وقادهم لعبادته حينما ذهب موسى لملاقاة ربه وبرأوا شعب اسرائيل من هذه التهمة حتى جاء القرآن ليغير حقائق العقيدة ويسلط الأضواء على السلوك الرفيع لأنبياء الله ويعفى هرون من تلك التهمة المشينة .

ولا يكفى هذا المقام لسرد اللوحات القاتمة لصور الأنبياء فى التوراة ويكفينا ما ذكرناه لنرى أن هؤلاء الأنبياء بوصفهم الذى جاء فى التوراة لا يمكن أن يقوموا بتبليغ وعد إلهى سبق ذكره أو قيادة أممهم لتحقيق هذا الوعد الخطير . وكان لنا فى هذه الحالة أن نشك فى قضية الوعد برمتها وقد رأينا هذا الركن الهام من أركان هذه القضية لا يمكن أن يقوم .

الشعب المختار :

ليس لنا إلا التوراة مرجعا لبيان حالة الشعب الذى عليه أن يحقق وعد الله كما جاء فى توراته ولنرى هل يمكن لشعب هذه مقوماته وتلك مثله وأخلاقياته أن يقيم مجدا ويبنى تاريخا ؟!
فالتذمر صفتهم والتمرد سلوكهم حتى وهم فى مصر مع موسى يحاول الخروج بهم من سجن فرعون الكبير ثم أن بنى اسرائيل لم يدينوا بالوحدانية فعبدوا العجل بمجرد أن تركهم موسى لملاقاة ربه .

ولم يحترم بنو اسرائيل الأنبياء فى أسفارهم كما سبق توضيح ذلك بل لم يحظ الله لديهم بالتقدير والتنزيه .

ولم يخلص بنو اسرائيل لعبادة الله ففى سفر التثنية (كنتم تقاومون الرب حتى فى حوريب أسخطتم الرب عليكم) . واستمر ذلك الضياع حتى جاء النبى يحيى ليصرخ فى وجوههم : — (يا أولاد الأفاعى) .

وحتى أنذرهم السيد المسيح بقولته (إن العشارين والزوانى ليسبقونكم إلى ملكوت الله) .
فقد كانوا لا يدينون بأية قيم أخلاقية بل يدعون أن الرب يدعوهم الى النهب والسلب (طلبوا من المصريين أمتعه فضة وذهبا وثيابا وأعطى الرب نعمة فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) وذلك حين قدروا الخروج من مصر فاستعاروا أمتعة جيرانهم ثم سلبوها وهربوا ليلا !!

واشترط بنو اسرائيل على موسى رؤية الله أولا حتى يؤمنوا به وهى طريقة فريدة فى عالم الأديان بل طلبوا فى وقت من الأوقات من موسى عبادة الأصنام بعد خروجهم من مصر .
والتوراة تزخر بالمخازى التى فعلها بنو اسرائيل بعد دخولهم فلسطين حتى أن دخولهم إليها عن طريق امرأة من الساقطات مجدتها التوراة !!

ورغم ما زخرت به التوراة وما يحويه القرآن الكريم فى حكمه على هؤلاء المتطفلين على دنيا الأديان نحتكم إلى التاريخ الحضارى لنتساءل : هل قام لليهود سلطان بمعناه المتعارف عليه فى فلسطين ؟

وهل حفظ لنا التاريخ آثار حضارة اسرائيلية مادية أو أدبية ؟

وهل يعرف العالم شيئا عن الفن الاسرائيلى أو العمارة الاسرائيلية أو الأدب الاسرائيلى أو العلم الاسرائيلى ؟ وإن كل ما يحدثنا به التاريخ أسفار تحوى عفن قرون من الأكاذيب والأحقاد وارتكاب الفواحش .

حتى الأدب الغربى قد امتلأ بشخصيات أصبحت علما على اليهود حتى قبل أن تظهر فى الوجود القضية الفلسطينية . فنرى شخصية (شيلوك) التاجر اليهودى الجشع فى مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) يرمز بها إلى أحط الطبائع وأبشعها .

ثم نرى شخصية (فاجن) التى أبدعها الروائى الانجليزى شارلز ديكنز فى روايته (أوليفر تويست) ويرمز بها إلى دور اليهود فى العبث بشباب المجتمع الانجليزى وتربيته على الجريمة .

ولنا أن نتساءل بعد كل ذلك : هل يمكن لشعب هذه صفاته وتلك إمكانياته المحدودة ومقوماته المتواضعة أن يقيم دين الله فى الأرض ثم يدعى لنفسه حقا يغتصبه بأنه سيد شعوب الأرض .

وهل استطاع هذا الشعب أن يرقى إلى مستوى الكرامة التى أرادها له الله جل شأنه حين ندبه لأداء الأمانة ، وتأدية الرسالة على يد موسى الكليم ؟!

وهل تقص علينا التوراة شيئا من قوة الايمان وصدق العزيمة فى هذا الشعب وهى صفات كان يجب أن نراها فيمن أراد أن يحقق وعدا إلهيا وعهدا ربانيا .

بل تمرد بنو اسرائيل وثاروا بمجرد تلقيهم كلمة السماء من موسى عليه السلام وطالبوه بالعودة الى مصر مرة وبعبادة العجل مرة أخرى وبرؤية الله مرة ثالثة ولم تنته متاعب موسى منهم إلا بعد حكم التيه الذى انزلته بهم السماء .

وبهذا نرى أن شعب الله المختار إنما هو شعب معقد يمثل بقايا متحجرة فى توقعة تاريخية تتكلم لغة غريبة عن دائرة العقائد ، وما وصلوا إليه ليس من الدين فى شىء وإنما للقضية أوجه أخرى لعل الدين أبعد وجه عنها .

ولعلنى فى هذا المقال استطعت أن أناقش الأركان الأربعة لقضية الوعد الإلهى من وجهة النظر الإسرائيلية لكى نحكم بأنها أقيمت على أسس واهية لا تحتاج إلى كثير عناء وكبير جهد لكى نهدمها ونرفضها .

ولكى يكتمل هذا البحث المختصر يجب أن نحاول إقامة هذه الأركان ومناقشتها من وجهة النظر الإسلامية ، والقرآن نورنا ، والتاريخ شاهدنا لنرى لمن كان الوعد ، وما هى حقيقته ولنشهد كلمة التاريخ ، وهى تخبرنا عن الحقيقة المذهلة عن الذين حققوا الوعد بمنطوقه حتى لو أخذنا بنص التوراة ، وذلك كله يحتاج إلى مقال آخر .

مائدة القارئ

الرجل يخطب لبنته

١ — قال شعيب لموسى عليه السلام : « إنى أريد أن انكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين . قال ذلك بينى وبينك ايما الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل » .
(القصص : ٢٧)

٢ — قال عمر بن الخطاب وقد مات زوج ابنته حفصة : لقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر فى أمرى ثم لقيته ، فقال : قد بدا لى الا اتزوج . ثم لقيت أبا بكر ، فعرضت عليه حفصة ، فصمت ولم يرد على ، ثم لقيته ، فقال لى إنه لم يمنعنى أن ارجع اليك فيما عرضت على الا انى كنت علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ، ولو تركها لقبلتها .

٣ — قال عبد الله بن أبى وداعة : افتقدنى سعيد بن المسيب ، فلما اتيته ، قال : اين كنت ؟ قلت : توفيت اهلى فاشتغلت بها . قال : هل استحدثت امرأة ، فقلت يرحمك الله ، ومن يزوجنى ، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثا ، فقال : أنا ، ثم حمد الله وصلى على النبى وزوجنى ابنته على درهمين ، وكان احد الخلفاء قد طلبها منه فأبى أن يزوجها له سعيد رحمه الله .

حلم الربيع

قال الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعى : رايت فى المنام ان آدم مات — صلى الله عليه وسلم — ويريدون ان يخرجوا بجنازته ، فلما اصبحت سالت بعض اهل العلم عن ذلك ، فقال : هذا موت اعلم اهل الأرض ، إن الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها .. فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعى رحمه الله .

وفاة الشافعى

قال الربيع بن سليمان : توفى الشافعى رحمه الله ورضى عنه ليلة الجمعة بعد المغرب وأنا عنده ، ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب وانصرفنا من جنازته ورأينا هلال شعبان سنة اربع ومائتين من الهجرة .

اغرقه العروض

جلس أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النحوى المصرى على درج المقياس على شاطىء النيل ايام الفيضان — وهو يقطع بالعروض شيئا من الشعر ، فقال بعض العوام : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فتغلو الاسعار ، ودفعه برجله فى النيل ، فلم يوقف له على خبر .

حافظة المتنبى

اشتهر ابو الطيب المتنبى بقوة الحفظ ، وروى انه كان عند احد الوراقين يوما ، فجاءه بكتاب من نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فاخذ ابو الطيب الكتاب واقبل يراجع صفحاته ، فلما مل البائع استعجله قائلا له : يا هذا لقد عطلتنى عن بيعه ، فان كنت تبغى حفظه فذلك بعيد عنك .. قال المتنبى : فان كنت حفظته فمالى عليك .. ؟ قال الرجل : اعطيكه ، قال الوراق : فامسكت الكتاب اراجع صفحاته والغلام يتلوها به حتى انتهى الى آخره ، ثم استلبه، فجعله فى كمه ومضى لشانه .

لا ادرى

كان ابراهيم بن طهمان يتقاضى راتبا من بيت المال على الفتوى فسئل عن مسالة ، فقال : لا ادرى ، فقالوا له : تاخذ فى كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسالة ، فقال : انما آخذ على ما احسن ، ولو اخذت على ما لا أحسن لفنى بيت المال ، ولا يفنى ما لا احسن ، فاعجب الخليفة جوابه ، وامر له بجائزة وزاد راتبه .

الدنيا ..

بضم الدال مقصورة غير منونة فى الاغلب ، وحكى كسر الدال ، وتجمع على دنى ككبرى وكبر ، والنسبة اليها دنيوى ، ودنى ، ودنياوى .

الغريب ..

ان الغريب له مخافة سارق
وخضوع مديون وذلة وامق
وإذا تذكر اهله وبلاده
ففؤاده كجناح طير خافق



أسماء والهجرة

للشيخ مناع القطان

لم يكن حدث الهجرة حدثا تاريخيا كتلك الأحداث التى تجرى وفق سنن الله الاجتماعية فى حياة الأمم ، ولكنه كان حدثا معجزا فريدا ، أعطى للحياة الانسانية مفاهيم جديدة لوقائع التاريخ تبرز القيم الاسلامية وآثارها الحية التى يعجز البشر عن صنعها . فلا يلبث الناظر فيها طويلا حتى يردها الى القدرة الالهية التى لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن آيات الاعجاز فى هذا الحدث التاريخى الأشم ، وإنما نتناول جانبا مشرقا منه فى حياة امرأة من فضليات النساء المسلمات .

لقد عاشت المرأة فى عصور الجاهلية مهينة ذليلة ، تزدريها الأعين وتمقتها النفوس ، وتوقع بها من ضروب العنف والجبروت ما لا تتحمله الجبال الرواسى ، واعتبرتها الحضارات القديمة مخلوقا شريرا لا يصدرُ عنه الا الخطيئة ، وحرمتها كافة الحقوق التى يتمتع بها الانسان ، ووأدتها جاهلية العرب صغيرة . وعضلتها وورثتها كبيرة (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم .. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) (١) وعن ابن عباس قال : (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا

زوجها ، وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية (يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهـا ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) (٢) .

فلما جاء الاسلام رفع عنها هـذا الغبن ، ونفض عن كاهلها تلـك الأوزار ، ورد إليهـا كرامتهـا وإنسانيتها .

وفى ثنايا حادث الهجرة يبدو دور المرأة المسلمة فى مواقف أسمـاء بنت أبى بكر الصديق مما لا يدع مجالا للشك فى مكانة المرأة بالاسلام .

الكتمان والسرية : ـ

لقد بايع علية القوم فى المدينـة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام والنصرة والايواء ، وكـانت الهجرة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمكة أن يلحقوا باخوانهم الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها ، فخرجوا أرسالا ، وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكـة والهجرة إلى المدينة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد إلا من حبس أو فتن إلا على ابن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق وأهله .

وكان وقع هجرة الصحابـة على نفوس المشركين أليما ، حيث أدركوا أن المسلمين قد أصابوا منهم منعة . وحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بالمدينة . وأيقنوا أنه قد أجمع لحربهم ، فائتمروا فـى دار الندوة ، وتشاوروا فيما بينهم ، وانتهى أمرهم الى أن يضربه نفر من شبابهم ضربة رجل واحد فيقتلوه ، وبذلك يتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجـوك ويمكرون ويمكر الله واللـه خير الماكرين)(٣) .

أستولى على قريش الذعـر ، وغشيتها كآبة الأسى ، ودبرت أمرها هذا وهى تخشى كل الخشية أن يفلت رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدها ويلحق بالمهاجرين والأنصار ، ثم يكر عليهم من منطلق حصين .

وأذن الله لرسوله بالهجرة ، وفى مثل هذه الحال من تآمـر المشركين وتربصهم يكون الكتمان أكبر عـون على نجاح الخطة . حتى يحبط التدبير السىء ، ويحيق المكر بأهله ، ويسقط فى أيدى ذويه .

ولطالما كانت السرية من مقتضيات الحكمة فى الانتصار للحق ، وبلـوغ غايته ، وتفويت الفرصة على خصومه والقرآن الكريم يحكى على لسان نوح عليه السلام قوله (ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا)(٤) وقد بدأت الدعوة إلى الاسلام سرا ، وتربى فى كنف سريتها رجال آمنوا باللـه وبرسوله ، وتجردوا لعقيدة الاسلام ، وتعاهدوا على نصرتها ، فكانـوا القاعدة الصلبة للكيـان الاسـلامى الشامخ الذى بلغ قمة المجد والعزة ؟ وماذا يجدى الصـخب الداوى مع الخصوم الألداء الذين أعمى الباطل بصائرهم وأثارت العصبية أحقادهم ، واستخفهم الشيطان فأطاعوه .. ؟

ولن يستطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم أمر هجرته فى نفسه دون أن يعلم به أحد سواه ،

فانه فى حاجة الى من يستعين بهم من خاصته فى هذا الخطب الجلل تدبيرا وإعدادا وصحبة ، وقد استأخر أبا بكر فى الهجرة ، كما تأخر على ابن أبى طالب ، ترى من يكون هؤلاء الذين يخصهم بسره ؟ وهل يكون للمرأة دورها فى ذلك ؟

إن الاسلام كما يصنع الرجال المؤمنين الصادقين فانه يصنع النساء المؤمنات الصادقات ، والذكر والأنثى فى تبعات الايمان سواء عملا وولاية :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(٥) .

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)(٦) .

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(٧) .

ولم تعرف الدنيا عقيدة من العقائد أو نظاما من الأنظمة أكرم المرأة وصان خصائصها الفطرية بمثل ما عرف فى الاسلام .

وهنا يبدو تكريم المرأة المسلمة فى ائتمانها على أكبر حدث فى تاريخ الدعوة الاسلامية بحياة نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت أسماء بنت أبى بكر الصديق موضع ثقة وأمانة ، فعلمت بهجرة رسول الله ، وكتمت الخبر ، وأسرته فى نفسها .

وقال ابن أسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت (كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى اذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أخرج عنى من عندك) ، فقال : (يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى)(٨) .

وإذا قيل : إن عائشة كانت زوجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهى أمينة على أسرار زوجها فان هذا لا يقال بالنسبة الى أسماء ، إنما يقال عنها : إنها كانت مؤمنة فائتمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره . .

(قال ابن اسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج ، الا على ابن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر)(٩) .

البلاء والصبر : —

من خصائص المرأة رقة العاطفة ،

ولين الجانب ، وسرعة الانفعال ، وهذه الخصائص تتنافى مع البلاء والصبر ، فالمرأة بطبيعتها ليست صلبة العود ، ولا تقوى على تحمل الأذى ، ولا تصبر على النوازل ، وتلك الحقائق النفسية لا يمارى فيها ، وواقع الحياة أكبر شاهد عليها ، فلا تكاد المرأة تسمع كلمة نابية تخدش كرامتها حتى يتجهم وجهها ، وينحدر دمعها ، ويرتفع صوتها بالعويل والصراخ .

ولكن العقيدة تصوغ الانسان المؤمن بها صياغة جديدة ، يحتسب فيها كل ما يصيبه ابتغاء مرضاة الله . ويتجرد من أحاسيسه الشخصية ليكون إحساسه إحساس عقيدته . لأنها خالطت شغاف قلبه ، وامتزجت بروحه ومشاعره ، فتفنى فيها عن نفسه ، يستعذب الموت فى سبيلها ، ويرى التضحية من أجلها أسمى أمانيه .

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)(١٠) .

وهكذا كان شأن العقيدة فى نفس أسماء بنت الصديق .

لقد باءت مؤامرة المشركين بالفشل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته بعد أن نام على بن أبى طالب على فراشه وتسجى ببرده، وألقى حفنة من التراب على رءوس الفتية المتربصين فأعشاهم الله فلم يبصروا رسول الله حين خرج .
واصطحب أبا بكر معه مهاجرا ، ولم يتجه صوب المدينة بل جنح متوجها الى غار ثور ، وحين أصبحت قريش وعلمت بنجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم جن جنونها ، وطار صوابها ، وكبر ذلك على نفوس كبارها ، فماذا يفعلون ؟

إن بصيص الأمل فى الاهتداء إلى وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقته يبدأ من بيت أبى بكر فهو البيت الذى تأخرت هجرته ، وأبو بكر هو الذى صحب رسول الله، وهذا يعنى أن سر كل شىء لدى هذا البيت .

عندئذ توجه أبو جهل بن هشام على رأس نفر من قريش إلى بيت أبى بكر ، فسألوا أسماء عن أبيها . عسى أن يجدوا فى جوابها بريق الأمل فما زادهم جوابها الا حيرة ، فنفس أبو جهل عن غيظه بلطمة سددها الى خدها فطار منها قرطها ، فقابلت ذلك بالصبر والاحتساب .
قال ابن اسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت اليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا ادرى والله أين أبى ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى)(١١) .

إن لطمة بكف أبى جهل ليست كسائر اللطمات ، فقد عرف أبو جهل بصلابة البنية ، وقوة الشكيمة ، فاذا انحدر كفه على احد كان كانحدار الصخر من جبل شاهق ، وعلى من ينحدر كفه ؟ أينحدر على رجل فظ غليظ مثله ؟ أم على وغد خسيس

لا كرامة له ؟ لا ، إنما ينحدر على فتاة قرشية من أعرق أسر قريش نسبا ، وأعلاها كعبا ، إنه يتحذر على أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فتلقته صابرة محتسبة ، وأجابت بهذا الجواب الذى لا يشفى علة جبار غاشم ، ولا يطفىء ظمأ هائم يتميز غيظا ، قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى ؟ وتمخض حلم أبى جهل فيما كان يأمله لدى أهل بيت أبى بكر عن سراب بقيعة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)(١٢) .

العمل والجهاد : —

وللمرأة فى ميدان الدعوة عمل وجهاد بما يلائم خصائصها ويناسب فطرتها إنها تسهم بالقدر الضرورى فى حقل وظائفها الاساسية ، وجهاد الدعوة يشمل كل جهد يبذل فى سبيلها ، ومن ذلك أعداد الطعام ، وتمريض الجرحى ، ومراقبة الأعداء .

ولم يكن دور أسماء بنت أبى بكر الصديق فى الهجرة قاصرا على ما ذكرناه آنفا من كتمانها الخبر ، وصبرها على لطمة أبى جهل ، بل تجاوز هذا الى الاسهام العملى مشاركة فى هذا الحادث العظيم ، الذى كان نقطة تحول فى تاريخ البشرية .

لقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار ثور ثلاثا ، ومعه أبو بكر ، وما كانت قريش لتغمض لها عين حتى تأتى برسول الله حيا أو ميتا . وكانت هناك حاجة الى أمور لا بد منها أخذا بأسباب النجاة ووسائل نجاح الهجرة :

أولها : تسمع أخبار قريش لمعرفة ما يدبره القوم من مكائد ، وما ينصبونه من شراك ، وما يحيكونه من مؤامرة .

وثانيها : تعفية أثر من ينقل هذه الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار .

وثالثها : الطعام الذى يسد الرمق ويقوم به الصلب .

أما الأمر الأول فقد تكفل به عبد الله بن أبى بكر ، حيث كان يلتقط ما يدور على ألسنة قريش نهارا ، وينقله الى رسول الله وصاحبه مساء .

وأما الامر الثانى فقام به مولى أبى بكر عامر بن فهيرة الذى كان يرعى الغنم ويريحها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فى الغار ، فاذا قفل عبد الله من عندهما راجعا اقتفى أثره بالغنم تعفية عليه ، فمهمة عبد الله وعامر هى مهمة الجاسوسية المشروعة لحماية الاسلام ونبيه .

أما الأمر الثالث — وهو اعداد الطعام — فقد تكلفت به أسماء بنت أبى بكر .

قال ابن اسحاق : (فلما اجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبى قحافة ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بثور — جبل بأسفل مكة — فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ،
وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من

الطعام إذا أمست بما يصلحهما)(١٣)
والتزود بالطعام فى السفر الطويل ضرورة ملحة ، فكيف اذا كان هذا السفر فى الصحراء القاحلة الجرداء لعدة مراحل تقطعها الراحلة يوما تلو يوم ؟ إن الزاد حينئذ يكون قوام الحياة .

وأسماء بنت أبى بكر لم يفتها أن تزود رسول الله وأباها بطعام السفر الذى يرد عنهما غائلة الجوع ، وهى فى هذا تجود بأعز ما تحرص عليه المرأة ، فالمرأة تهتم بزينتها ، وزينتها فى ثيابها ، ونطاقها هو حلية هذه الثياب . وكان آنذاك تقليدا متوارثا أصيلا .

وقد نسيت أسماء حين أعدت طعام السفر أن تهيىء ما تعلقه به فى الراحلة ، فلم يسعها إلا أن تحل نطاقها وتجعله عصاما تعلق به وعاء طعام السفر فسميت بذات النطاق أو تشقه شقين ، تتخذ احداهما عصاما وتنتطق بالشق الآخر فسميت بذات النطاقين .

قال ابن اسحاق : (وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فاذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقها ، فتجعله عصاما ، ثم علقتها به ، فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر ذات النطاق لذلك .

قال ابن هشام : « وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخرة »(١٤) .

هذه هى أسماء بنت أبى بكر فى مقتبل عمرها ، وهذه هى مواقفها فى حادث الهجرة ، فما أروعها من سيرة عطرة لفضليات النساء والمسلمات ! وقد كان موقفها فى آخر حياتها من الحجاج الثقفى أشد روعة !!



---

١ ــ ٥٨ ، ٥٩ ــ النحل .
٢ ــ رواه البخارى .
(١) ٥٨ ، ٥٩ ــ النحل .
(٢) رواية البخارى .
(٣) ٣٠ ــ الانفال .
(٤) ٩ ــ نوح .
(٥) ٩٧ ــ النحل .
(٦) ٣٥ ــ الاحزاب .
(٧) ٧١ ــ التوبة .
(٨) السيرة النبوية لابن هشام ، الجزء الثانى ص ١٢٨ ، ١٢٩ ــ ط الحلبى وكان ابو بكر قد أنكح عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك .
(٩) المصدر السابق ص ١٢٩ ج ٢ .
(١٠) ٢٢ ، ٢٣ ــ الاحزاب .
(١١) ابن هشام ــ ج ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ .
(١٢) ٣٩ ــ النور .
(١٣) ابن هشام ج ٢ ص ١٣٠ .
(١٤) ابن هشام ــ ج ٢ ص ١٣١ .

من
مشاكلنا
الاجتماعية
المعاصرة

مشكلة العزوبة

للدكتور أحمد الحجى الكردى

الاسرة عماد المجتمع وأساسه ، بل هي المجتمع كله ، منها يبدأ وعليها يعتمد ، وبقدر ما تكون الاسرة متراصة متينة يكون المجتمع قويا متماسكا .. وهذه الأهمية القصوى للأسرة بالنسبة للمجتمع تفسر لنا الاهتمام الكبير الذى توليه الشرائع الإلهية والتشريعات والقوانين الوضعية للأسرة حفاظا على تماسكها وتناسقها ومتانتها إن من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية على حد سواء ، لأن أى مشكلة سوف تتعرض لها الاسرة (المجتمع الصغير) لا بد وأن ترتد على المجتمع الكبير كله بكل ثقلها ، تقض مضجعه وتهد كاهله ، ولذلك نرى العلماء والمتخصصين فى الحقول الاجتماعية والتشريعية والدينية يسارعون فور حدوث أى مشكلة للأسرة بالدراسة واقتراح الحلول خشية أن يتفاقم الأمر ويشتد الخطر سيما وأن المشاكل الاجتماعية عامة والمشاكل الأسرية خاصة هى مشاكل معقدة فى أغلب الاحيان تحتاج فى حلها الى مزيد من الدراسة والبحث .

ويلاحظ العلماء والباحثون فى العالم العربى والاسلامى بل العالم كله ايضا انه بدأت تظهر مشكلة جديدة مضافة الى مشاكله الكثيرة تتهدد الأسرة فى أصل وجودها وهى مشكلة (العزوبة) أو عزوف الشباب عن الزواج ، حيث يبلغ عمر الواحد منهم الخامسة والعشرين والثلاثين بل الاربعين أحيانا قبل أن يتزوج ، وفى هذا تهديد كبير واضح للأسرة ونذير بخرابها دون شك ، وهى ركن المجتمع وأساسه — كما تقدم — وهذه المشكلة وان كانت فى جذورها قديمة ترجع الى سنوات كثيرة ماضية إلا أنها لم تكن تشكل فى الزمن الماضى ظاهرة اجتماعية ، بل كانت حوادث فردية تقع أحيانا تحت تأثير بعض الظروف الخاصة .

ولكنها اليوم أصبحت تشكل ظاهرة خطيرة تهدد أركان المجتمع وتهز كيانه ، أصبحت ظاهرة كبيرة تثير اهتمام المشتغلين بالقضايا الاجتماعية والاحصائية ، وتفرض عليهم دراستها واقتراح الحلول المناسبة لها ، وإلا زادت تعقيدا واستعصت على الحل .

ومعلوم ما للزواج من قيمة كبرى فى بناء المجتمع إذ هو حجر الأساس فيه ، يبنى الأسرة ويلطف الطباع

ويشبع الحاجات النفسية والجسدية ويقمع توترها ويمنع الانحراف والشذوذ ، ويؤمن للناس جميعا حياة الوداعة والهدوء والسكن النفسي ، وما الى ذلك من المعاني الكثيرة التي يحققها الزواج . وتحت وطأة هذا الإلحاح الشديد الذي تفرضه هذه الظاهرة المشكلة على العلماء يطلع علينا بعض الناس بحلول لهذه المشكلة تكاد تكون مرتجلة أو غير عميقة فاذا بهم يزيدونها تعقيدا وإشكالا ، لأن هذه الحلول ليست حلولا جذرية مدروسة دراسة كافية، لكنها كالسراب يبدو للناظر فيغريه بالتقرب منه حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

ومن هذه الحلول مسألة تحديد المهور ، حيث يذهب البعض الى أن سبب هذه الظاهرة الخطيرة هو ارتفاع المهور حيث تصل في بعض البلدان العربية الى ثلاثة آلاف جنيه أو اكثر ، وهو أمر يعجز عن توفيره الشباب في كثير من الاحيان فيضطرون الى التمسك بالعزوبة البغيضة التي يتسبب عنها تفتت المجتمع وعموم الانحراف فيه — في بعض الاحيان — وغير ذلك . ولذلك فهم يقترحون اصدار قوانين من السلطات المختصة تحدد بموجبها مهور النساء على وجه يتيسر فيه لأكثر الشباب دفعها ، فتتأمن المصلحة ويقبل الشباب على الزواج وتختفي هذه الظاهرة .

وإنني وأنا أدلي بدلوي في بحث هذه المشكلة ، أتساءل : هل درس هذا البعض من الناس هذه المشكلة من جميع جوانبها دراسة عميقة فاحصة وانتهوا الى أن السبب الوحيد أو الرئيسي لها هو غلاء المهور .. ؟ وهل حللوا ظاهرة غلاء المهور الى عناصرها وانتهوا الى أنها لا تحل إلا بإصدار التشريعات المحددة لها .. ؟ وهل توقعوا أن التشريعات هذه يمكن أن تحل المشكلة .. ؟

أعتقد أن شيئا من ذلك لم يكن مطلقا ، وأن عزوف الشباب عن الزواج لم يكن متسببا عن غلاء المهور ، ذلك أن العزوف عن الزواج منتشر بين الشبان الأغنياء أكثر منه بين الشبان الفقراء وهذا أمر لا مراء فيه ولا شك وتثبته الاحصائيات ، ثم إن القضاء على غلاء المهور إذا سلمنا جدلا بسببيته لهذه المشكلة لا يمكن أن يحل بالتشريعات أبدا، ذلك أن الزواج لا يتم ولا يجوز أن يتم إلا بالرغبة النفسية والانسجام العاطفي بين الزوجين ، وهذا أمر لا مدخل للتقنين فيه ، ولا تأثير لقسر السلطة عليه .

وما دام هذا الحل عاجزا عن معالجة مشكلتنا هذه فلا بد من اقتراح الحلول المناسبة لها .

وطبيعي أن المشكلات الاجتماعية مشكلات معقدة كما أسلفت ؛ تحتاج الى تضافر جهود المختصين لأن أي حل خاطىء لها سوف لا يكون عاجزا عن حلها فقط بل سيكون له مردود عكسي عليها يزيدها تعقيدا وجسامة .

ولكن الى أن تتاح الفرصة لحلها على الوجه المذكور لا يجوز تركها من غير حل تزداد خطورة وشدة ، بل الواجب العمل على دراستها وتقديم الاقتراحات المناسبة لحلها عسى أن تكون هذه المقترحات نبراسا ومنبها لمجموعات المتخصصين في الحقول الاجتماعية الى خطورة هذه المشكلة ومن ثم العمل على حلها .

وإنني وأنا أدرس هذه المشكلة أرى أن سببها الرئيسي ليس ارتفاع المهور أبدا لما أسلفت ، وليس الجهل بمعنى الزواج وقيمته في المجتمع أيضا — كما يدعي البعض — بدليل أن هذه الظاهرة عامة في الفئات المثقفة أكثر منها في الطبقات الجاهلة أو هي متساوية بينهما على الأقل .

وليس سببها أيضا كثرة متطلبات الحياة وارتفاع أثمان الحاجيات ، لأن هذا الارتفاع رهين بالحالة المادية لكل أمة يتناسب معها طردا وعكسا، فترتفع الاسعار حيث يكثر الدخل ، وتقل حيث ينزل مستوى الدخل ، ولكنه فى الواقع قلة الرغبة ، وضعف الميل الجنسى من كل من الجنسين نحو الآخر .

فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق فى كل من الجنسين رغبة وميلا نحو الجنس الآخر ، وهذه الرغبة مقدرة بمقدار معين يضمن توقان كل من الجنسين نحو الآخر توقانا منتظما يحمله على تخطى كل الصعاب فى سبيل الوصول إليه والتزوج منه، وذلك لضمان استمرار الحياة البشرية على وجه الارض .

فالزواج مسؤولية كبرى تحتاج الى تضحيات جلى من كلا الزوجين، إذ فى الإنفاق على الزوجة والأولاد ، وفى خدمة البيت والأولاد والزوج مسؤولية صارفة غالبا لكلا الزوجين عن تحملها لولا ذلك التوقان النفسى الذى أودعه الله — جل شأنه — فى كل من الجنسين .

ولكن هذا التوقان، أو هذه الشهوة الجنسية لا بد لها أن تقف عند حد لا تغادره ، فلا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، لأنها إن نقصت عنه عزف الشباب عن الزواج فرارا من المسؤولية الكبرى التى يفرضها عليهم إن مادية أو معنوية .. وإن زادت عن حدها هذا انفجرت بركانا يحرق الاخضر واليابس ويقوض أركان المجتمع من أساسه ، وهو ما يحصل فى الدول النامية عندما تنفتح على الحضارة أو على (ما يسمى حضارة اليوم) فجأة ، فيكثر فيها اختلاط الجنسين بعد ما كان ممنوعا فيها منعا يكاد يكون كاملا .

ولذلك نرى أن الاسلام راعى هذه الناحية وسن شرائع ونظما متعددة تحفظ لهذه الشهوة الجنسية قوتها وشدتها عند الحد اللازم لها ، أو عند الحد الذى يضمن لها استمرارها بالعمل الذى خلقت من أجله .

فقد سن الاسلام لذلك الحجاب للمرأة وجعله عليها فرضا لازما ، وسن آداب النظر للرجل والمرأة معا فقال جل من قائل : « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » . وقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » ..

كما منع الاسلام الاختلاط بين الجنسين وخلوة كل منهما بالآخر فى غير الحالات المأمونة (المحارم) أو حالات الضرورة ، فقد جاء فى معنى الحديث الشريف عن النبى — عليه الصلاة والسلام — قوله : « ما خلى رجل بامرأة أجنبية عنه إلا كان الشيطان ثالثهما » ، كما منع النساء من السفر وحدهن من غير زوج أو محرم حتى لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام عند جمهور الفقهاء .

الى غير ذلك من التشريعات المتعددة التى تضمن أن لا يطفح الكيل وتزداد الشهوة ، أو تقل عن حدها المفروض لها فتخرج عن الغاية التى خلقت لها .

هذا وإن الاختلاط بين الجنسين الذى نراه يعم الآن — للأسف — فى مجتمعاتنا المسلمة والعربية منها وغير العربية ، وانحسار الحجاب الساتر للمرأة ، وعموم التبرج بل التهتك أحيانا بين النساء ، وتدنى أخلاق الرجال الى حد لم يعودوا معه يتورعون عن اللعب بالمرأة لعبهم بالكرة وفضلا عن استراق النظرة المسمومة منها استمتاعا بجمالها وانوثتها الى غير ذلك مما يجل عن الوصف ويعلمه كل فرد منا .

كل هذا سبب زيادة حادة فى قوة هذه الشهوة خرجت بها عن الحد

المقرر لها ، ولكن الروح الاسلامية والعادات الاسلامية العريقة فى بلادنا ، والفئة القليلة المحافظة على تعاليم دينها بيننا ، كل ذلك حال دون اندفاع هذه الشهوة المتأججة لتعيث فى الارض الفساد فى بلاد الاسلام ، أو فى بعضها على الأقل ، فانكبتت هذه الشهوة فى وكرها وضاق عليها جرابها ، دون أن تستطيع تمزيقه فمرضت وانكمشت على نفسها وشعرت بخيبة الأمل فعادت أنكاسا ترجع الى الوراء وتضعف وتذبل حتى نزلت نزولا سحيقا عن الحد المقرر لها ، والذى تستطيع معه القيام بمهمتها فى التغلب على كل معوقات الزواج الصالح المنتج الذى يبنى الاسرة والمجتمع السليم . فقلت الرغبة وضعف التوقان والتفتت أنظار الشباب والشابات معا عن الزواج ، وبدأت المعوقات تنتحل من كل منهما انتحالا بغية الابتعاد عن الزواج فرارا من مسؤولياته من حيث لا يدرون ، فغلت المهور وجلت الشروط الى غير ذلك مما نراه من العقبات الكثيرة التى تنتحل اليوم لتعويق الزواج ، واستعاض الشباب (أو حاولوا ذلك) عن الزواج بالنظرة العابرة ، والجلسة المختلسة والمشية الهادئة فى الشارع والسهرة المشينة فى النادى و . . وفى ذلك من الدمار والخراب للمجتمع الاسلامى الذى نرنوا اليه ما فيه .

هذا هو السبب الرئيسى فى نظرى لظاهرة العزوف عن الزواج فى بلادنا ، قلة الرغبة والتوقان الجنسى الناتجين عن الاختلاط غير المأمون وتبرج النساء المشين ، الى جانب ضعف الوازع الخلقى . وليس غلاء المهور وكثرة متطلبات النساء . لأن ذلك ما هو إلا قشة من تبن تخفى وراءها الاسباب الرئيسية الهامة التى قدمتها .

ثم إن حظ البلاد الاجنبية من مساوىء هذا التبرج والاختلاط لم يكن بأدنى من حظنا منه ، نعم إن الشهوة البهيمية قد انطلقت فى نفوس الشباب لديهم نتيجة ما تقدم ولم تنكبت كما حصل فى بعض بلادنا الاسلامية ، إلا أن النتيجة كانت واحدة وهى عزوف الشباب عن الزواج أيضا . . ذلك أن هذه الشهوة انطلقت انطلاقا عشوائيا تحصد الأخضر واليابس وتنتج الأولاد غير الشرعيين بالألوف تلقيهم عالة على المجتمع تفتت بهم كرامته وعزته . . فوجد الشباب فى ذلك غنى عن تحمل مسؤوليات الزواج الكثيرة فاكتفوا بذلك الاتصال المحرم الميسور لهم عنه .

لذلك كله انتهى الى أن السبب الرئيسى لظاهرة العزوبة فى العالم كله على وجه العموم وفى مجتمعاتنا الاسلامية على وجه الخصوص هو ضياع القيم الاخلاقية ، وتبرج النساء واختلاطهن بالرجال بطريقة لا تتفق وما شرعه الله ـ جل شأنه ـ نظاما للمجتمع .

ثم إن الحل الوحيد فى نظرى لهذه الظاهرة المعقدة هو الرجوع بالمرأة المسلمة الى الحجاب الاسلامى ، ومنع اختلاط الجنسين إلا بالطرق والشروط التى وضعها الاسلام لذلك، والعمل على توعية الشباب من المسلمين بأخطار الاختلاط العشوائى، ومضار اطلاق النظر اللاهى العابث . . وإن كان هذا الحل صعبا وقاسيا ويحتاج الى وقت طويل لكنه الحل الوحيد الذى لا يمكن أن يحل غيره محله أبدا .

أما عن حدود الحجاب الاسلامى وكيفية الدعوة اليه ، وعن حدود الاختلاط المباح بين الجنسين وشروطه فى الشريعة الاسلامية فهو مما لا يتسع له المقام الآن ، وأرجو أن أوفق فى تقديم موجز عنه فى مناسبة أخرى .

كتاب الشهر



تخليص الإبريز في تلخيص باريز

وموقفنا من الحضارة الغربية

للأستاذ ابراهيم محمود عوض

خلف الشيخ رفاعة الطهطاوى كتبا عدة فى كثير من الموضوعات والفنون ، بعضها من وضعه ، وبعضها الآخر قام بترجمته ، ومن كتبه التى ألفها هو كتابه المشهور «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» الذى يقول عنه على مبارك فى خططه (د ١٣ ص ٥٣) : « وأوصاه شيخه المومى اليه ـ يقصد الشيخ حسن العطار ـ قبل سفره بأن يفيد بلاده بعمل رحلة تجمع ما عليه المملكة الفرنساوية عموما ، وتضبط أحواله خصوصا » . ويجلى الشيخ رفاعة هذه النقطة بقوله فى كتابه السالف الذكر (ص ٥٦ ط وزارة الثقافة والارشاد القومى) : « لما رسم اسمى فى جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار بعض الاقارب والمحبين لا سيما شيخنا العطار ـ فانه مولع بسماع عجائب الاخبار والاطلاع على غرائب الآثار ـ أن أنبه على ما يقع فى هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الامور الغريبة والاشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعا فى كشف القناع عن محيا هذه البقاع التى يقال فيها انها عرائس الافكار ، وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر اليها طلاب الاسفار » . وفى (ص ٥٧) نراه يلقى مزيدا من الضوء على هذا الامر فيقول « وانطلقتها ـ الرحلة ـ بحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع ، فان كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع ، والحق أحق أن يتبع ، ولعمر الله انني مدة اقامتى بهذه البلاد فى حسرة على تمتعها بذلك ، وخلو ممالك الاسلام منه » .

وهذا الكتاب يمكن النظر اليه من عدة زوايا ، يمكن أن ينظر اليه من جهة لغته ومكانها من تطور الاساليب العربية ودورها فى التمهيد للاسلوب الذى نكتب الآن به فى آدابنا وعلومنا وصحافتنا ، كذلك يمكن أن ينظر اليه على أساس الصورة التى يرسمها رفاعة لفرنسا عموما ولباريس بخاصة ، وأيضا يمكن النظر اليه على أساس أنه يبين لنا مجهودات الشيخ رفاعة طالب البعثة فى باريس وكيف كان يقضى وقته ؟ ومن الأساتذة الذين اتصل بهم هناك ؟ وكيف كانت علاقته بهم ؟ وهكذا تتعدد الزوايا التى يمكن أن نسلط الضوء منها على الكتاب ، الا اننى لا أريد أن أتناوله الا من جهة دلالته على موقف الشيخ رفاعة من الوضع الحضارى للبلاد الاسلامية ، والبلاد الاوربية كما تمثلها فرنسا ، وماذا علينا — فى رأيه — أن نأخذ من الحضارة الاوربية ؟ وما الذى علينا أن ندعه ؟ وبخاصة أن الشيخ رفاعة قد أفاض القول فى هذا السبيل ، فهو لم يجمل رأيه اجمالا ، وانما فصله ولم يدع أمرا من الامور التى عرضت له فى باريس — سواء فيما يتصل بالعادات والتقاليد أو بالثقافة أو بالسياسة أو بالنواحى المادية كالمسكن والملبس وبعض الآلات وما الى ذلك — الا تحدث عنه وقارن بينه — فى غالب الاحيان — وبين ما يقابله فى بلادنا وأبدى رأيه فيه .

ان ما يلفت النظر حقا فى الكتاب — بالنسبة لهذه الزاوية التى نتناوله منها هو اهتمام الشيخ رفاعة بدينه اهتماما عظيما وقيام كل رأى أبداه على أساس منه سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

فهو فى تقسيمه لبلاد العالم وتفضيله بعض البلاد على بعض انما يفعل ذلك بناء على انتشار الاسلام فى هذه البلاد (أو) لا ، فالدول الاسلامية تأتى فى المقدمة وغيرها يليها ، يقول (ص ٧٨) : « أقسام الدنيا خمسة يصح تفضيل بعضها على بعض بحسب مزية الاسلام وتعلقاته ، فحينئذ تكون آسيا أفضل الجميع ، ثم تليها أفريقية لعمارها بالاسلام والاولياء والصلحاء ، خصوصا باشتمالها على مصر القاهرة ، ثم تليها بلاد أوربا لقوة الاسلام ووجود الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الاسلام فيها .. الخ » .

ولا شك أن كثيرا من القراء سيدهشه هذا الترتيب ، وبعضا آخرين سينكرونه ، اذ كيف يفضل الشرق الاسلامى على أوربا ، وهو — فى نواح كثيرة — متخلف بالنسبة اليها على حسب ما ينص عليه رفاعة نفسه فى أكثر من موضع من كتابه ؟ والجواب — فى رأيى — لا صعوبة فيه ، فان رفاعة حين أقام تفضيله انما كان على أساس العقيدة التى نجده يحلها من نفسه مكانا عليا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى على أساس الامكان لا على أساس الواقع ، أو بتعبير آخر على أساس القوة لا على أساس الفعل ، فهو يرى أن بلاد الاسلام ان كانت متخلفة اليوم أشواطا فى ميدان العلوم الطبيعية وواقعها المادى فان فهمها للاسلام فهما سليما مصفى من الاكدار والاقذار التى خالطته على كر الأدهار وبناء حياتها على أسسه يؤديان — بالضرورة — الى أن تتبوأ مكان الصدارة التى كانت تتبوؤه قديما ، فهو يرى أن للحضارة دورة ، وأننا قد ساهمنا فيها دهرا طويلا وبخاصة أيام العباسيين اذ كنا (كما يقول ص ٦٢) « أكمل سائر البلاد تمدنا ورفاهية وتربية زاهرة زاهية ، وسبب ذلك أن الخلفاء كانوا يعينون العلماء وأرباب الفنون وغيرهم ، على أن منهم من كان يشتغل بها بنفسه » ، ثم يمضى الزمان فى دورته فاذا شوكة الفرنج قد قويت ببراعتهم

وتدبيرهم وعدلهم ومعرفتهم فى الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها .

ومما له صلة بهذا أورده (ص ١٢٤) قائلا « ومن عقائدهم القبيحة تفضيلهم الفلاسفة على الأنبياء ، وانكار بعضهم القضاء والقدر وانكار خوارق العادات » فإنا نرى — من هذا النص — كيف ينظر رفاعة الى الحضارتين : حضارة الاسلام وحضارة أوربا ، فالاولى فى أصلها تقوم على وحى السماء ، بينما الثانية تقوم على النظر العقلى الذى يخطىء ويصيب ، ان العقيدة عندنا يتلقاها الرسول من الله ، أما عندهم فيتوصل اليها الفلاسفة بتفكيرهم وتأملاتهم التى مهما ارتقت وقامت على ثقافة واسعة وعميقة فهى معرضة — لا محالة — لكثير من الأخطاء .

على أن الامر — فى مقابل الحضارة الاوربية العقلانية — ليس أمر دين على الاطلاق ، انما هو دين الاسلام ، فهو (ص ١٠١) حين يستطرد الى الحديث عن نصارى مصر والشام الموجودين فى مارسيليا وكانوا قد خرجوا مع الحملة الفرنسية حين جلت عن بلادنا يقول « وندر وجود أحد من الاسلام الذين خرجوا مع الفرنسيس ، فان منهم من مات ، **ومنهم من تنصر — والعياذ بالله — »**.

ونمضى معه حتى ص ٢١٠ فاذا به — فى أثناء حديثه عن الخزانة السلطانية فى باريس وما فيها من الكتب العربية والمصاحف — يقول « وبعضهم — أى بعض المفكرين الفرنسيين — لخص من القرآن العظيم سائر الآيات التى اختارها للترجمة ، ثم ترجمها وضم اليها قواعد الاسلام وبعض شعبه ، وقال فى كتابه : انه يظهر له أن دين الاسلام هو أصفى الاديان وأنه مشتمل على مالا يوجد فى غيره من الأديان » .

إلا أن الذى يجب أن نضعه فى الاعتبار هو أن رفاعة لا يصطاد مثل هذا الرأى الذى يبديه بعض المفكرين الاوربيين فى الاسلام ويفضله على سائر الاديان — لا يصطاد مثل هذا الرأى اصطيادا ، لأننا نراه فى الصفحات الاولى من الكتاب يرتب بلاد العالم على أساس من اعتناقها الاسلام ومدى انتشاره فيها ، إن رفاعة مقتنع بعقيدته ودينه وفضلهما على ما عداهما كل الاقتناع ، وإن إقامته فى فرنسا واطلاعه على جوانب الحضارة الاوربية فيها لم يجعلاه يغير رأيه هذا ، فهو مستمسك به أشد الاستمساك ، مستمسك به بقوة وجهارة ، لا على ضعف واستخذاء ، فهو يقف (فى الفصل الثالث عشر « فى دين أهل باريس ») موقف الحكم عليهم فى دينهم ، فهم — فى نظره — ليس لهم من دين النصرانية الا الاسم ، فلا يعتنون بما حرمه دينهم أو أوجبه . . . تراهم ما دامت حياتهم لا يهتمون الا باكتساب الاموال بأى وجه كان ، واذا حضرهم الموت ماتوا كالبهائم » . ثم إنه ينتقل إلى الحكم على رجال الدين أنفسهم ، إذ يعيب على القسس عدم زواجهم لان عدمه يزيدهم فسقا على فسقهم ، كذلك يستنكر طقوس الاعتراف ، ويذكر أن للقسيسين بدعا لا تحصى ، وأهل باريس يعرفون بطلانها ويهزءون بها (انظر ص ٢٠٣) .

لكن هل معنى هذا أننا غير محتاجين الى الغرب ؟ أنرفض الغرب وكل ما يتعلق به بالكلية ؟ يجيب الشيخ رفاعة (ص ٦١) « بأن البلاد الاسلامية قد برعت فى العلوم الشرعية والعمل بها والعلوم العقلية واهملت العلوم الحكمية (يقصد العلوم الطبيعية) بجملتها ، فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية فى كسب مالا تعرفه وجلب ما تجهل صنعه ، ولهذا حكم علماء الافرنج بأن علماء الاسلام

انها يعرفون شريعتهم ولسانهم ... ولكن يعترفون لنا بأنا كنا أساتيذهم فى سـائر العلوم وبقدمنا عليهم » . الذى نحتاجه إذن من أوربا ليس شيئا آخر غير العلوم الطبيعية ، ولا صحة ــ كذلك اذن ــ لما حاول د. لويس عوض أن يوهمنا به فى كتـابه « تاريخ الفكـر المصرى الحديث ــ الفـكر السياسى والاجتماعى » (ص١١١ هلال) من أن رفاعة قد تصدى لمهمة الدعوة الى الاخذ بالفلسفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر » اية فلسـفات حديثة دعـا اليها رفاعة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر ؟ اشهد الله أن ذلك غير موجود الا فى خيال الكاتب وأوهامه ، والا فمن أين اسـتقى تلك الفكرة ، وهذا رفاعة ــ فضلا عما تقدم ــ يعدد (ص ٦٦) « العلوم والفنون والحرف والصنائع المطلوبة » فيذكر « الرياضيات والتاريخ والجغرافية والرسم والحربية والبحرية والمياه والقناطر والارصفة والميكانيكا وسبك المعادن والطـب والبيطرة والفلاحة والتاريخ الطبيعى والنقاشة وترجمة الكتب » ثم يعقب قائلا « سـائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الافرنج ناقصـة أو مجهولة بالكلية عندنا ، ومن جهل شيئا فهو مفتقر لمن أتقن ذلك الشىء . » ؟ فالامـر اذن واضح لا يحتاج الى اختلاف ولا يحتاج أيضا الى تأويل . لقد سبق أن ذكرنا كيف عد رفاعة من عقائد الفرنسيين القبيحة تفضيلهم للفلاسفة على الانبياء ، فكيف يجوز أن ينسب لرفاعة أنه تصدى لمهمة الدعوة الى الاخذ بالفلسـفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر ، ليس هذا فقط ، بل ان رفاعة ــ فى رأى الدكتور ــ حينما تصدى لهذه المهمة « كان نعم المفكر ونعم البشير »!! اية جـرأة هذه ؟ ان هذه شنشنة معروفة عن الدكتور لويس عوض ، فهـو يستنبط من النصوص آراء وأحكاما ما انزل الله بها من سلطان ، وأحسب أن رفاعة لو قيض له أن يقوم من قبره ويطلع على ما نسبه اليه د. لويس لفغر فاه دهشة واستغرابا ، ولو حاول أن يعترض على ذلك لسـد د. عوض يـده فأغلق فمه بهاوأنذره بالويل والثبور وعظائم الامور ، وقال له ماقاله رئيس ديوان التفتيش ــ فى رواية الإخوة كرامازوف لدستويفسكى ــ للسيد المسيح بعد عودته الـى الارض فى طوفة عابـرة ونزوله فى اشبيليـة أيام محنة التفتيش وفظائعـه ، فان السيد المسيح ــ عليه السلام ــ اخذ يعظ الناس ويصنع المعجزات ، والشعب والحزانى يقبلون عليه ويبثونه شكاواهم ومخاوفهم ، حينئذ أقبل رئيس ديوان التفتيش فى حرسه وقبض عليه وأودعه حجرة السجناء ، ثم عندما دخل عليه فى المساء ليحقق معه قال له « إننى اعرفك ولا اجهلك ، ولهذا حبستك ، لماذا جئت إلى هنا ؟ لماذا تعوقنا وتلقى العثرات فى سبيلنا ؟ » .

ويزداد عجبنا ودهشتنا حينما نجد د. لويس عوض فى موضع آخر من كتابه يقول عن رفاعة : « لم يكن طريقه التماس حق الثورة فى الشريعة لإثبات شرعية أو وجوب الخروج عن طاعة الخليفة العثمانى ، وانما كان طريقه تحقيق استقلال مصر بفصل الدين عن الدولة ، وهذا معنى قولـه « فلنقل إن أحكامهـم ــ أى الفرنسيين ــ القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هى مأخوذة من قوانين اخر اغلبها سياسى ، وهى مخالفة بالكلية للشرائع ، وليست قارة الفروع ، ويقال لها : الحقوق الفرنساوية ، اى حقوق الفرنساوية بعضهم على بعض ، وذلك لان الحقوق عند الافرنج مختلفة » هو اذن يريد أن يحـرر

المصريين بموجب حقوق الانسان وليس بموجب سنن السلف الصالح . ثم ترتفع نبرته العقلانية فيكاد يحض الناس حضا على العقلانية اساسا للعدل ولحضارة الانسان . ان العدل والحضارة مترابطان ، فالعدل سبيل الحضارة ، وقيم الدين جوهرها العدل ، ولكن العقل ايضا يمكن ان يؤدى الى العدل ومن ثم الحضارة ، فهو يقول فى دستور ١٨١٨ المعروف فى فرنسا بالشرطة اى الميثاق: ان غالب ما فيه ليس من تعاليم الدين ولكنه من إملاء العقل لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا ، والعدل أساس العمران» (ص ١٣٣ ، ١٣٤ تاريخ الفكر المصرى) .

ونحب أن نقف أمام هذا النص قليلا لنرى ما الذى يقوله رفاعة وما الذى يحاول الدكتور أن يستنبطه منه ؟ ان رفاعة — كما هو واضح تمام الوضوح — يقرر أمرين ، الامر الاول أن غالب أحكام الفرنسيين ليست مأخوذة من الشريعة، والامر الثانى أن العقل قد أدى بهم الى معرفة أن العدل أساس الملك . ان موقف رفاعة هنا لا يزيد عن أنه يقرر ما يراه ولا يخرج عن التقرير الى التقدير ، انه لا يصدر حكما وانما يصف الواقع ، فمن اى النصين اللذين أوردهما الدكتور لرفاعة الطهطاوى يمكننا ان نفهم أن رفاعة يدعو الى فصل الدين عن الدولة ؟ ثم هل مجرد كون الفرنسيين قد عرفوا — بعقولهم — أن العدل أساس تعمير البلاد وراحة العباد أمر خطير ؟ هل معرفة أن العدل أساس الحضارة والسعادة يحتاج الى ذكاء كبير ؟ فالدكتور هنا شأنه هناك يلوى رقبة النص الى الجهة التى يريد هو ، ولكن النص — كما يرى القارىء — عسير القياد لا يسلمه مقوده لا بسهولة ولا بصعوبة ؟

إن بتر النصوص وفصلها عن سياقها هما ديدن د. لويس عوض ، ذلك لانه يدخل على النص بهواه واغراضه وشهواته وأحقاده ، محاولا أن يفرضها عليه ، متصورا ان كشف ذلك أمر عسير . الى هنا وانا لم أذكر تعقيب الشيخ رفاعة على القانون الفرنسى بعد أن نقله مترجما الى كتابه ، قال (ص ١٥٤) : « أن أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هى مأخوذة من قوانين أخر اغلبها سياسى ، وهى مخالفة بالكلية للشرائع » ،ثم ذكر بعد ذلك بيتين من الشعر يعبر بهما عن موقفه من قضية: « الفصل بين الدين والدولة » الذى ادعى السيد الدكتور — كيف ؟ علم ذلك عند علام الغيوب ! — أن رفاعة قال به ودعا اليه ، والبيتان هما :

من ادعى أن له حاجة تخرجه عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحبا فانه ضر بلا نفع !

أظن أن كهنة التأويل — هنا — يجب ان يخرسوا ، اللهم الا اذا كانوا يرون أنهم أحق من الكاتب بفهم رأيه والتعبير عما يريد أن يقوله !!

والشرع الذى يذكره الشيخ رفاعة فى بيتيه هو الشرع كما هو لا كما تسربت اليه الانحرافات التى التوت به عن قصد السبيل وانعكس ذلك على واقع المجتمعات الاسلامية ، فهذا الواقع يشنؤه رفاعة نفسه فى اكثر من موضع وينبه

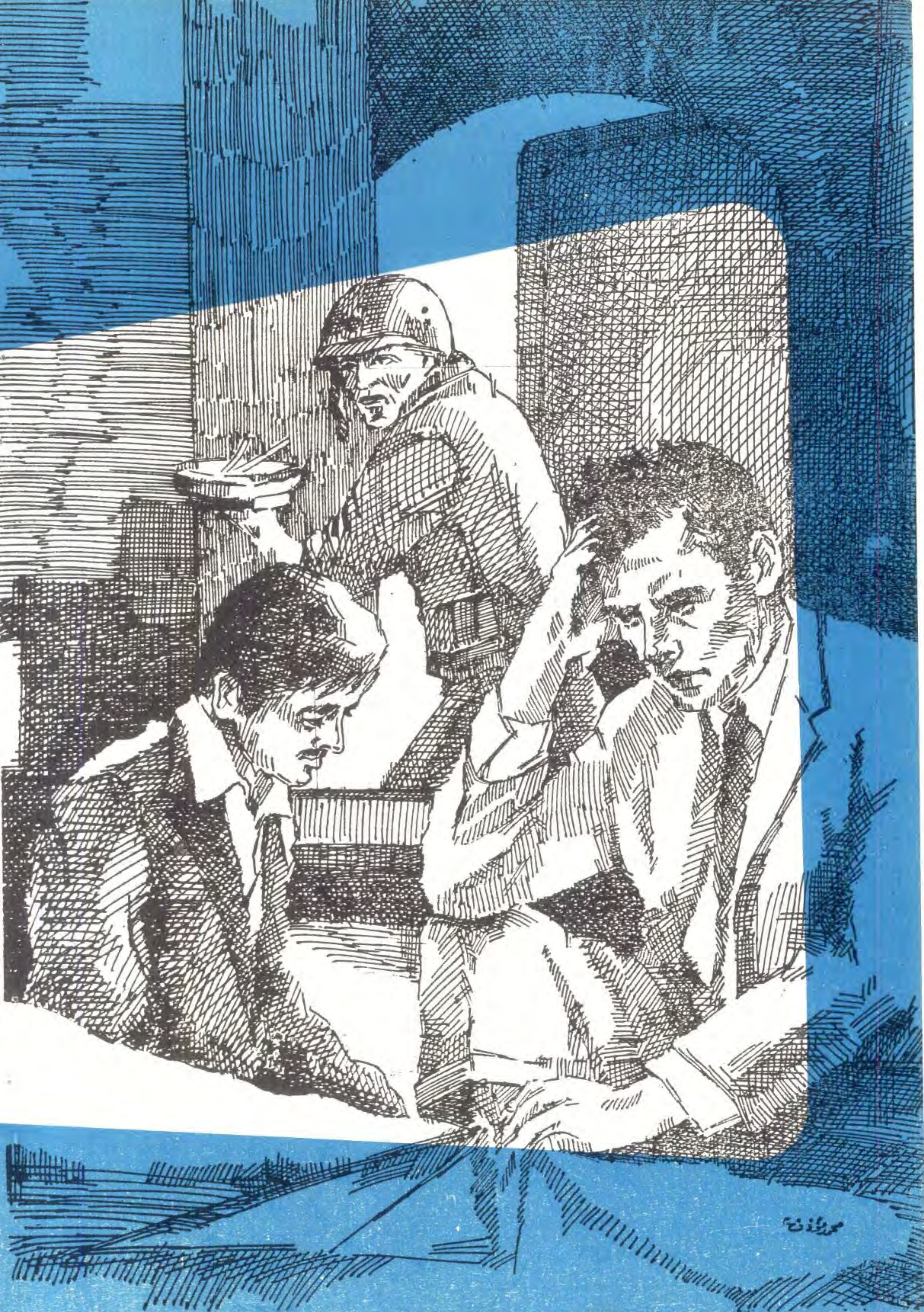
على فساده ، كما يظهر من هذه النصوص التى يقارن فيها بين الحال هنا والحال عندهم . قال (ص ١٦٨) عن الرقص الثنائى عند الفرنسيين بالنسبة الى رقص الغوازى عندنا « انه غير خارج عن قوانين الحياء ، أما عند النساء عندنا فلتهييج الشهوات » ، لكنه يعود فيستدرك (ص ١٦٩) حين يتكلم عن مس الرجل الفرنسى للمراة اثناء الرقص قائلا : « وبالجملة فمس المرأة أيا ما كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى » ، فهو ان كان يرى الا خروج على الحياء فى الرقص الثنائى الذى لا يتلاصق فيه الراقصان ولا يتخاصران يرى غير ذلك فى الرقص الذى يمس فيه الرجال النساء .

ويقول (ص ٧٢) عن المغاطس : « والحمامات فى باريس متنوعة » وفى الحقيقة هى انظف من حمامات مصر ، غير أن حمامات مصر انفع واتقن واحسن فى الجملة .. وليس عندهم مغطس عام فى مصر ، ولكن هذه العادة اسلم بالنسبة للعورة » ، ان حماماتهم انظف ، غ أن حماماتنا — فى نفس الوقت — أتقن وانفع واحفظ للحياء .

ويقول (ص ٢٠٦) : « والعلوم فى مدينة باريس تتقدم كل يوم ، فانهم قد يكشفون فى السنة عدة فنون جديدة او صناعات جديدة او وسائط اوتكميلات » . إلخ ..

اظن انه قد وضح تماما الآن موقف رفاعة الطهطاوى من الحضارة الاوربية .. اننا — على المستوى الروحى لا نحتاج الى شىء من أوربا ، لا بل نحن نتفوق عليها فى هذا الجانب بلا جدال ، ذلك أن عندنا ديننا ، وهو حسبنا وكفايتنا . اما على المستوى المادى فلا شك اننا على تخلف مريع ، وهذا التخلف طارىء ، بمعنى أن الحضارة الاسلامية أيام أن كانت زاهرة كانت مكتملة الجوانب ولم تكن تعرف هذا التخلف فى نواحى الحياة المادية . وقد رأينا عمق نظرة رفاعة الطهطاوى فى رؤيته دورة الحضارة وان الايام دول بين الامم والشعوب ، كذلك رأينا حماسته للتنبيه على النقص الذى نعانيه فى ميدان العلوم الطبيعية ، ولقد كان رفاعة فى هذا الموقف متفقا مع أستاذه العظيم الشيخ حسن العطار الذى كان يشكو من اهمال علوم الحكمة واللغة ، ويذكر أن الأئمة الاعلام كانوا يطلعون على غير علوم الدين ويحيطون بها ، ويتجاوزون ذلك الى مؤلفات غير المسلمين ، مع اهتمامهم بالذوق والأدب ومطارحات الشعر . (عبقرى الاصلاح والتعليم محمد عبده ، للعقاد ص ٥١ ، ٥٦) .

اما ما يزعمه الدكتور لويس عوض من أن الشيخ رفاعة كان يرى فصل الدين عن الدولة ، فقد رأينا انه — اعتمادا على ما كتبه رفاعة نفسه لا جريا وراء الشهوات ولا ليا لأعناق النصوص — ليس له اساس من الصحة ، بل ان رفاعة نفسه يرى عكس ذلك على خط مستقيم ، اليس هو القائل (ص ٥٨ من التخليص) : « ومن المعلوم انى لا أستحسن الا ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية ! » .



بين خرائب برلين

للأستاذ محمد المجذوب

كانت قد تحولت الى خرائب وركام تلك العاصمة التى كانت قبل خمس سنوات فقط تخطط لفرض سلطانها على الدنيا ..

لقد انقطع القصف الجوى الذى استمرت طائرات الحلفاء تصـــبه على برلين طوال عام او اكثر دون ما انقطاع ، وسكتت المدافع التى ظلت منذ اشهر تدك انحاءها من كل جانب .. وصار بوسع بقية سكانها أن يغادروا اقبيتهم الى اى مكان شاءوا ، دون أن يخافوا الغارات أو يتوقعوا الشـــظايا ، ولكنهم مع ذلك قلما يغادرون مخابئهم لولا الضرورات القـــاهرة التى لا يمكن مقاومتها ، وذلك لما احدق ببلدهم من رزايا جديدة لا تقل هولا عن ذلك الجحيم الذى طغى عليه اثناء اشد معاركه ، اذا لم تفقه اضعافا مضاعفة ..

كان جنود الاحتلال ـــ على اختلاف جنسياتهم ـــ ينتشرون فى كل بقعة وفى كل زاوية ومنعطف ، وكان منظرهم بخوذهم الفولاذية ، وباسلحتهم المعدة للاطلاق ، وبالصرامة الرهيبة التى تغشى وجوههم الكالحة ، مصـــدر رعب لا يوصف لأولئك المساكين ، الذين باتوا بعد سقوط عاصمتهم اشبه بقطيع من الغنم اغتيل رعاته ، وانطلق خلاله الذئاب الجـــائعة ، فتمزق جمعه ، وتناثر اشتاتا لا يدرى اين يجرى ..

ولعل مما ضاعف البلاء على هؤلاء أنهم خلول من الشيوخ والنســـاء والاطفال ومشوهى الحرب .. لا تكاد العين تقع بينهم على شاب فوق الرابعة عشرة ، لأن الحرب قد اكلت الملايين من فتيانهم ، وذهب الأسر بالملايين الاخرى .. وعميت الأنباء عن كلٍّ من أولئك وهؤلاء فلا يدرى الأسير شـــيئا عن مصير أهله ، ولا يعلم هؤلاء خبراً عن مفقوديهم . وعلى كل واحد من هؤلاء واولئك مع ذلك الا يفكر إلا بنفســـه ، لأن دوى المحنة لا يدع له مجالا للتطلع الى ما وراء حدود آلامه .. !

وشاء الله أن يشارك فى تجرع هذه المرائر عدد غير يسير من شـــباب البـــلاد العربية ، الذين وفدوا الى اوروبا للالتحاق بجامعاتها ، فلما تفجرت براكين الحرب العالمية الثانية أحيط بهم فلم يســـتطيعوا من شرورها فرارا ، واستحال عليهم ان يجدوا قرارا ، فكانت حياتهم سلسلة من العذاب الثقيل .. وكان هؤلاء الذين احتجزهم شرق برلين من أولئك الطلاب ، اثناء تلك الحرب الضروس ، من اسوئهم حظا ، اذ كان عليهم أن يشاطروا اولئك المستضعفين من بقايا ســـكانها الرعب والجوع وتوقع ما كان ويكون من جديد الـــكوارث والملمات ..

وكان المنزل الذى يضم جابرا العراقى وعبد الله الدمشـــقى ــ اللذين حصلا على الدكتوراه فى السياسة والطب الباطنى ــ قد اســـتحال معظمه انقاضا تحت اثقال القنابل التى صبت على ذلك الحى المجاور لجامعة برلين .. وهما انما آثراه على السكن فى سواه لقربه من الجـــامعة قبل الحرب ، ولتوقعهم ان يكون أبعد عن الغارات اثناء الحرب ، ظنا منهم أن المتقـــاتلين يظلون ــ مهمـــا يبلغ انحطـــاطهم الغرزى ــ أحرص على دور العلم من أن يعرضوها للارهاب او الإيذاء .. غير انهم سرعان ما تبددت احلامهم عنـــدما شاهدوا نصيب ذلك الحى من تلك الاهوال ، فتعلموا ان المحارب كمدفعه حين يتحرك للقذف لا يفرق بين مكان ومكان ولا بين انسان وانسان .. !

وتقلص ما ادخره المساكين من مواد الغذاء ، فلم يسعهم الا الخروج من جحورهم لالتماس ما يقيمون به اودهم ، ويســـــكتون صراخ صغارهم .. وما اهول ما كان يكلفهم ذلك من عناء وأرزاء ! .. فالأقوات مفقودة ، واذا عثروا بشىء منها بعد جهاد طويل عجزت طاقتهم الشرائية عن تحصـــــيله .. وكان المعقول الذى تفرضـــــه القوانين الدولية فى الأمم المتحضرة ان يقوم المحتلون بتأمين حياة الشعوب المغلوبة فيحصوا عددهم ، ويقدروا حاجتهم ، ثم يمدوهم بما يمسك عليهم الرمق على الأقل .. ولكن هذه التقديرات النظرية تصبح من الاوهام المحضة فى ظلال الاحتلال العسكرى .. حتى لكأن ارادة المحتلين مقيدة بشىء واحد ، هو التخلص نهائيا من هذه الشعوب ، وانجح وسيلة الى ذلك هو التجويع والاهمال المؤيد بالوان الارهاب .. ! وهكذا بلغت القسوة فى قلوب اولئك الجنود حدا لا يبلغه التصور ، اذ كانوا يساومون المرأة على عرضها ، فلا يمنحونها الرغيف الا أن تمنحهم جسدها ! .. والويل لها اذا رفضت ، لأن وراء ذلك موت الاطفال والقضاء على الشيوخ والعجزة ، ومع كل ذلك فهيهات ان تسلم هى مما يراد بها أخيرا .. !!

ـــ • ـــ

وتسلل الثلاثة ــ جابر وزميله والمرأة صاحبة الحطام الذى كان منزلا ــ يتلمسون فى حذر بالغ طريقهم بين الخرائب ..

اما الفتيان .. فقد اعتادا القيام بمثل هذه المغامرة حتى الفا مخاطرها .. ولم يعودا يأبهان بما يواجهانه من فظاظة الجنود فى كل مرة ، اذ باتا مدركين لما يجب أن يفعلاه ليتخففا من هذه المتاعب .. فهما لا يغادران وكرهما الا عند الضرورات التى لا قبلَ لهما بدفعها ، وقبل ذلك لا بد لهما من خلع ساعتيهما وافراغ جيوبهما من كل شيء ذى قيمة ، الا ما لا مندوحة عنـــه من نقود تكفى لشراء ما يبغيان من اغذية . ولكى يسهل خلاصهما من ايدى الجنود على كل منهما ان يتحقق من الهوية المثبتة لشخصيته ..

على ان مخرجهما الآن كان اكثر حرجا ، لأن وجود المرأة معهما سيسبب لهما جديدا من العناء لم يجرباه من قبل .. ولو استطاعا أن يدفعاها عنهمـــا لفعلا ، ولكنهما رضيا مرافقتها مضطرين لفرط ما الحت عليهما ، ولما يعرفان من حاجتها الى هذا الخروج ، الذى كانت تتجنبه ما دام لديها ما تقدمه لطفليها الصغيرين ، اللذين فقدا والدهما ، ولم يبق لهما من عائل سواها .. وهى انما تخرج اليوم للاتصال بمركز « الصليب الاحمر » الذى أقيم حديثا للحصول منه على بطاقة تتيح لها بعض المعونات الضرورية بين الحين والآخر .. ولكن اخبار التصرفات الرهيبة التى يتناقلها النســـوة امثالها عن اولئك الجنود كانت تملأ قلبها رعبا وتدفعها الى التريث ما استطاعت اليه سبيلا .. حتى اذا ضاقت بها الحيل لم تجد مندوحة عن المغامرة .. ووجدت فى مرافقة الشـــابين العربيين ضربا من الأنس الذى تتوقع ان يخفف عنها الكثير من الاعباء .. !

وواصل الثلاثة سيرهم فى كثير من الأناة ، حتى لو استطاعوا لحبسوا انفاسهم .. وتعمدوا أن يتجنبوا المرور بكل مظنة للجنود .. وكادوا يصيرون الى مكتب (الصليب الاحمر) بسلام .. لولا تلك المفاجاة غير السارة ..

كانت الدورية مؤلفة من خمسة جنود من الروس يتقدمهم ضابط منهم .. ولم يكن امام الثلاثة متسع لأى محاولة تجنبهم ذلك التلاقى ، الذى تم عند رأس المنعطف المواجه للمكتب الذى يقصــــدون .. وبمثل ارتدادة الطرف صوّبت المسدسات الرشاشة الى صدور الثلاثة جميعا ، وانطلق صوت الضـــابط يامرهم برفع الأيدى .. ثم تقدم بعض الجنود يفتشون الشابين ، فى حين اخذ الضابط بيد المرأة فجعلها الى جانبه ، وما هو الا أن تحققوا من هويتهما حتى سمحا لهما بالعبور دونها ! .. وفى حركة عفوية تحركت يد الدكتور عبد الله بالاشارة الى المرأة كأنه يدعوها للحاق بهم ، ولكنه ما ان فعل ذلك حتى جاءته لكمة كادت تحطم فكه الايمن ، ثم تبعتها ركلة من حذاء شديد الصلابة اكرهته على الالتواء .. !

وواصلت الدورية مسيرتها فى الشارع الآخر ، خلف الضابط الذى راح يجر المرأة وهى تصرخ بكل ما ترك لها الذعر من طاقة .. !

وضغط الدكتور جابر على يد زميله وهو يشد به ، يريد الا يدع له مجالا للتفكر ولا للتردد .. ويهمس فى صوت مجروح : « عبد الله .. حذار ان تلتفت .. دعنا نسلم بارواحنا .. ان دينك لا يكلفك ان تقضى على نفسك وعلىّ .. اسالك بالله أن تضبط عواطفك وتغلق اذنيك ! .. » .

وتتابع استغاثة المرأة المسكينة ، وتهتف بالشابين تستحلفهما الا يدعاها .. ويتعذر على الدكتور عبد الله ان يصم سمعه عن ذلك النداء ، فاذا هو يلتفت ليراها وقد انهارت اعصابها ، وجعل الجنود يدفعونها باعقاب مسدساتهم، وهى لا تنفك عن البكاء والصراخ .. !

ويغلب على الفتى الدمشقى هول المشهد ، ويتذكر الطفلين اللذين ينتظران عودة والدتهما ، فلا يتمالك الا أن يتخلص من زميله ، ليتجــه نحو الجنود الغلاظ ، وبخليط من الالفاظ الالمانية والروسية يخاطبهم شارحا لهم مأساتها ، محاولا اثارة الرحمة فى قلوبهم عليها وعلى طفليها .. وحاول جهده أن يسبغ على لهجته لبوس الرقة والاستعطاف ، غير أن جفاف فمه ، وارتجاف أطرافه ، وجحوظ عينيه ، كانت توحى بكل ما فى قلبه من نقمة وكراهية واحتقار .. !

وباشارة من الضابط الروسى أقبل اثنان من جنوده على الفتيين العربيين يكبلان يديهما بالقيود ، ثم يسوقانهما تحت الضرب الى المصير المجهول ..



كانت الحجرة التى القى فيها الدكتوران العربيان غير رديئة اجمالا .. فهى جزء من بناء جميل وسليم ، أختير لاحدى المفارز الروسية .. ولكنها عارية الجوانب ، الا من فراشين ضيقين محشوين قشا .. أو ما يشــــبه القش ، وعليهما غطاءان من الصوف يصـــلحان لدرء البرد الذى كان محتملا .. وقد سرهما ارتفاع الغل عن أيديهما منذ دخلاها ، اذ اتيح لهما ان يتحركا فى حرية ولكن ضمن الحدود التى تفرض على سجناء المعسكرات الحربية ، فلا يحدثان اية ضجة ، ولا يتكلمان الا همسا .. وقد نبههما الى ذلك الجندى الذى كلف حراسة محبسهما قبل أن يغلق عليهما الباب .. وشد ما ضايق هذا الوضع جابرا ، الذى كان فى صدره الكثير مما كان يريد ان يقوله لصاحبه ..

وغرق الشابان هنيهة فى غمرة الصـــمت ، واطرق عبد الله بنظره الى ما بين يديه ، يستعيد فى خياله صورة المشهد المثير الذى ســــبب لهما هذه الورطة ، وترك لتصوراته أن تلاحق شبح المرأة وهى مدفوعة بقبضات الجنود ، أو مجرورة على أرض الخرائب .. ثم يقصر ادراكه عن متابعتها ، فينقطع حبل تفكيره من هذه الناحية ، لينتقل به الى الناحية الاخرى ، ناحية الصغيرين اللذين الف أن يداعبهما كل صباح ليزيل عنهما وحشة اليتم ، وليزيل بهما عن نفسه وحشة الغربة .. ودون وعى منه او ارادة يتمتم : « هل يعلمان بمصير امهما .. ! وهل يحتملهما الجيران الى غير نهاية .. !! » وتلامس همهمته سمع جابر فينتفض كأنه ازعج من سبات ، ثم ينظر الى وجه زميله فى نقمة عارمة ، وهو يقول بصوت خفيض ولكنه جاف لاذع : « أرايت .. أرايت الى اين جرنا فضـــولك ! .. اهذا ما يأمرك به اســـلامك .. أيها المؤمن .. الصالح .. ! » .

ويرفع عبد الله الى صاحبه عينين مبتلتين ، وبعد طويل من الصمت ، وتركيز عميق من النظر الذى يتجـــاوز مقلتى جابر الى ما لا يعلم ، يتمتم مرة ثانية وكأنه يخاطب نفسه : « أجل .. ذلك هو واجبى الاسلامى .. ان قلب المؤمن لا يستطيع الصــــبر بازاء تلك الجريمة .. لانه ليس حجرا .. ليس حجرا .. » .

ويهم جابر بالرد ، ولكن حركة المفتاح ، وهو يدار فى جوف القفل ، تحول بينه وبين ذلك ، وما هى الا لحظات حتى انشق الباب ، ودخل الجندى الحارس

بإناءين من الصفيح ، يضعهما على مقربة من المدخل ، ثم يشير الى الفتيين بما فهما منه أن فى أحدهما ماء للشرب ، وأن الثانى فارغ يســـتطيعان أن يستعملاه لفضلاتهما .. ! ثم لم يلبث أن عاد من حيث أتى مغلقا وراءه الباب كما كان ..

وتتلاحق الساعات عليهما بطيئة كئيبة ، وقد جلس كل منهما على فراشه مشيحا بوجهه عن زميله ، مقبلا على ذكرياته يجترها فى مرارة .. ولعل جابرا كان اضيق الاثنين صدرا وأشدهما قلقا ، اذ كان لعبد الله ما يسرِّى به بعض اوهامه ، وذلك بالصلاة ينهض اليها بين الحين والحين ، وبالقرآن يســـترجع ما يحفظ منه ساعة بعد ساعة ، وبالدعاء والذكر يهمس بهما خلالهما .. على حين ظل جابر حبيس انفعالاته تتقاذفه كالريشة فلا يستقر على حال .. !!

وانقضى النهار ثم تبعه الليل ولم يلق اليهما بطعـــام ، فاكتفيا بجرعات الماء يمتصانها كلما استشعرا لذعة الجوع .. وخشيا أن يقطع عنهما المـــاء ايضا ، فصمما على الاقتصـــــاد بالموجود منه الى أقصى حد ممكن .. واجتزأ عبد الله بالتيمم عن الوضوء لكل صلاة .. حتى اذا جاء ظهر اليوم التالى فتح الحارس الباب ليستبدل بالإناءين غيرهما ، ثم ارتد لينسحب ، ولكن عبد الله لم يتمالك أن وثب نحوه ليسأله بالاشارة وبالالمانية عن الطعام .. ! فلم يفعل الجندى سوى أن قلب كفه وشفتيه كأنه يعتذر لهما عن ذلك .. ثم مضى فى طريقه دون كلام ..

والتفت جابر الى زميله يقول : ((ما احسب سؤالك الا جارّاً علينا بعض المصائب الجديدة ..

واجاب عبد الله : ((لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)) .

وفى غضب همس جابر : ((وهل بقى ما يكتبه لنا الا الموت .. ؟!)) .

ويرد عبد الله فى ثقة لا توصف : ((ان بيده الموت والحياة والضـــــنك والفرج .. فَلِمَ تتوقع يا صديقى شر الأمرين ؟ .. أما أنا فقد غضـــبت له ، وسترى أنه لن يضيعنى ..)) .

قال هذا وأخذ سمته باتجاه القبلة ودخل الصلاة .. وقبل أن يفرغ من الركعة الرابعة تحرك مفتاح القفل ، فانخلع قلب جابر ، وقفز نحو عبد الله يشد به وهو يقول : ((الا تسمع ؟ .. دع الصلاة لئلا تزيد فى محنتنا ! ..)) .

ولكن عبد الله كان فى شغل عن حركة صاحبه ، فلم يبال ما سمع منه ، وظل فى مناجاته اكثر ما يكون اطمئنانا .. حتى فتح البـــاب ، واندفع منه الجندى يحمل طبقا صغيرا ليضعه فى وسط الغرفة .. على أنه لم يكد يلمح وضع عبد الله حتى جمد مكانه ، وراح يحدق فى حركاته وسكناته .. ثم عاد من حيث دخل دون أن ينبس ببنت شفة .. !

وأقبل جابر على صديقه يقرعه : ((لقد رآك هذا الشيوعى تصلى .. وما أظنه الا قد ذهب ليخبر رؤساءه .. ! وسترى عاقبة ذلك .. الم اقل لك انه الموت ! ..)) .

وفى هدوء عجيب يعقب عبد الله على ذلك التقريع : ((قلت لك انه لن يضيعنى .. وسترى ..)) .

ونظر الفتيان الى محتويات الطبق فاذا هى نتف من الخبز وبقايا من أرز خلط بمرق البطاطس ، فلم يشكا أنه حثالة من طعـــام بعض الجنود .. وكادت نفساهما تغثيان لما تصوراه من أشياء وأشياء ، من شأن كل منهما أن يبعث التقزز .. ولكن سلطان الجوع أنساهما كل ذلك ، وأخذا فى التهام هذه المبعثرات حتى أتيا على آخرها ..

وأقبل الليل على الفتيين بأفضل من غفوة الامس ، اذ شبعا بعد جوع ، وكادا يأمنان عاقبة ما توقع جابر ، اذ لم يأتهما أحد فيسألهما عن دينهما ، أو يحاسبهما على عقيدتهما ! .. غير أنهما ما كادا يغيبان عن وعى اليقظة حتى أحسا حركة القفل ، ثم شاهدا الحارس داخلا وفى احدى يديه طبق أكبر من سابقه .. وبخلاف ما ألقاه منه أغلق خلفه الباب ، وتقدم منهما وهو يقول فى صوت منخفض لا يخلو من الرعشة : ((السلام عليكم ..)) وكانت مفـــاجاة أيبست الحروف فى حلقيهما قليلا فلم يتمكنا من الرد الا بعد لحظات ، فأجابا معا : ((وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..)) .

ودون تردد جلس الجندى على طرف أحد الفراشين ثم اخذ يتكلم بلغة عربية تكاد تكون غريبة عن مسمعيهما لبعدها عن لغاتهما الدارجة ، ولما يخالطها من آثار العجمة : ((أنا مسلم مثلكما والحمد لله .. وأبى من شيوخ المسلمين فى القفقاس .. وطبَّاخنا مسلم ، وكذلك ضابط المفرزة ..)) .

وكان الجندى يفضى بعباراته هذه فى نغمة تفيض باللهفة والفرح والخوف جميعا .. وفى همس يكاد لا يصل الى سمع الفتيين الا بجهد .. !

وأقبل عبد الله على الجندى يعانقه ويقبله وهو يردد : ((الحمد لله .. الحمد لله ! ..)) وفعل جابر مثله .. واستأنف الجندى يقول — موجها كلامه الى عبد الله — : ((لقد فوجئت بك تصلى فبُهت ، ثم مضيت فأخبرت أخوىَّ المسلمين فاهتما بكما كثيرا ، وأوصيانى بالمبالغة فى رعايتكما .. ومنذ اليوم ستتناولان أفضل الطعام ، وتقضيان حاجتكما خارج الحجرة .. وسأظل على صلة بكما أتفقدكما حتى يتاح للضابط الافراج عنكما ..)) .

وهمس جابر : ((ومتى تراه يتم هذا الافراج ؟! ..)) .

قال الجندى : ((قريبا ! .. قريبا ان شاء الله ..)) .

ولم يستطع البقاء بعد فصافح كلا منهما ثم انسحب من الحجرة فى هدوء وحذر بالغين ..

وصدق الجندى ما وعد ، واستمر على صلته بالشابين ، يقدم اليهما أطايب الطعام والفاكهة ، ويمكنهما من الخروج لحاجتهما كلما امكنه ذلك .. حتى كان ظهر اليوم الرابع ، فاذا هو يقبل عليهما بوجه يفيض بشرا ، ثم يبلغهما نبأ الافراج عنهما ويقول : ((بعد اليوم لن يكون بيننا لقاء ، ولكننا لن ننساكما أبدا ، فلا تنسيانا أنتما من دعائكما ..)) .

وقبل أن يبارح الدكتوران الغرفة همس عبد الله فى أذن الجندى احمدوف يسأله : ((والمرأة المسكينة .. أم اليتيمين .. اين اصبحت ؟ .. وهل أخلى سبيلها ؟ ..)) فيرسل الجندى احمدوف زفرة حزينة ثم يقول : ((يستحيل على احد أن يعرف مصيرها .. لأن النسوة اللاتى يخطفهن أولئك الكافرون كل يوم اكثر من أن يستوعبهن الاحصاء ! ..)) .

الفتاوى

ميــراث المتبنى

الســـؤال :

كان فى بلدنا رجـــل غني معروف بالاستقامة ولكنـــه لم ينجب ، وتبنانى ، ثم مات وورثت عنه عقارا ومالا ، فهل هذا الميراث حلال شرعا .

س٠د ــ الأردن

الإجـــابة :

الإسلام هدم التبنى لانه تزوير على الحقيقة قال تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيـــل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » . وكل ما يترتب على هذا التبنى من الأرث وغيره لا يقره الشرع وبناء على هـــذا فالمال الموروث حرام ، ولا يحل منه شىء ، وعلى من اخذ المال والعقـــار أن يرده الى الورثة الشرعيين فهم أصحابه ، فان تنازلوا عنه له كان منحة منهم .

ميــراث ابــن الزنـــا

الســـؤال :

هل يرث ابن الزنـــا من ابويه ، وهل يرثانه اذا مات .

ن٠ غ ــ العراق

الإجـــابة :

ابن الزنا وهو المولود من غير زواج شرعى لا توارث بينه وبين ابيه باجماع المسلمين فاذا مات الابن أو مات الأب لا يرث أحدهما الآخر وانما التوارث بينه وبين أمه وقرابتها ، فاذا مات ورثته ، واذا ماتت ورثها .

فـــى الصيـــــد

الســـؤال :

خرجت للصيد ، ورميت طائرا واصبته ، وقد بحثت عنه طويلا ، فلم اعثر عليه إلا بعد يوم ووجدته ميتا ، فهل يحل لى اكله ؟

محمد الموسى ــ الشارقة

الإجـــابة :

إذا رمى الصائد الصيد فأصابه ثم غاب عنه ، ثم وجـــده ميتا ، فانه يكون حلالا بشروط ثلاثة :

الأول : الا يكون قد تردى من جبل أو وجده في الماء لاحتمال أن يكون موته بسبب ترديه أو غرقه .

روى البخاري ومسلم عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا رميت بسهمك فاذكر الله ، فان وجدته قد قتل فكل الا أن تجده قد وقع في ماء ، فانك لا تدرى المـــاء قتله أو سهمك .

الثاني : أن يعلم أن رميته هي التي قتلته ، وليس به أثر من رمى غيره أو حيوان آخر .

عن عدى قال : قلت : يا رسول الله أرمى الصيد فأجد فيه سهمي من الغد قال : « اذا علمت أن سهمك قتله وليس فيه أثر سبع فكل » وفي رواية للبخاري : « إنا نرمى الصيد فنقتفى اثره اليومين والثلاثة ، ثم نجده ميتا وفيه سهمه قال : يأكل ان شاء الله » . .

الثالث : الا يفسد فسادا يبلغ درجة النتن ، فانه حينئذ يكون من المستقذرات الضارة التي تمجها الطباع .

عن أبي ثعلبة الخشني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رميت بسهمك فغاب ثلاثة أيام وادركته فكل ما لم ينتن » اخرجه مسلم .

وقـــت الأضحيـــــة

الســـؤال :

اشتريت اضحية لأذبحها يوم العيد ، ولكن طرات ظروف عائلية لم اتمكن معها من الذبح في هذا اليوم وذبحتها في اليوم الثالث ، فهل تجزىء هـــذه الأضحيـــة ؟

على صالح ــ القاهرة

الإجـــابة :

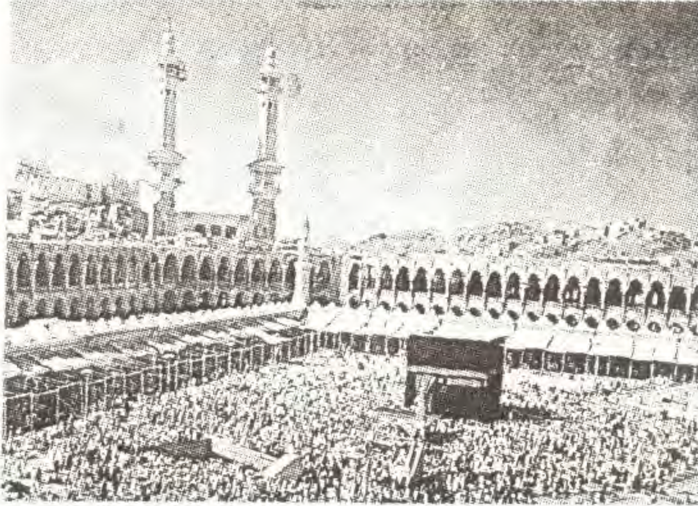
يبدأ وقت الأضحية بعد طلوع الشمس من يوم العيد ومرور وقت يسع صلاة العيد ، ويصح ذبحها في أى يوم من الأيام الثلاثة في ليل أو نهار وينتهى وقتها بانقضاء هذه الأيام . .

عن البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان أول ما نبدأ في يومنا هذا ان نصلي ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد اصـــاب سنتنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء » .

وبناء على هذا فان أضحيتك تجزىء لانك ذبحتها في اليوم الثالث .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض



حدث خطأ فى طبع غلاف العدد ٩٦ . . ونعيد اليوم طبع الصورة فى الوضع الصحيح ، وذلك تحقيقــا لرغبة كثير من القراء الذين كتبوا للمجــلة فى هذا الموضــوع .

■ ردود قصيرة :

● وردت للمجلة عدة رسائل من مختلف البــلاد الاسلامية يستفسر فيها أصحابها عن (الجزء الأول) من كتاب (المطالب العالية) بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر تحقيق الأستاذ / حبيب الرحمن الأعظمى والذى سبق أن أصدرته الوزارة ، وبالرجوع الى المسئولين تبين أن هذا الجزء نفــد ، كما يطلب منا كثير من الهيئات والأفراد كتبا اسلامية ، فنضطر الى احالتها لادارة الشئون الاسلامية بالوزارة للاختصاص ، ولهذا نرجو من أصحاب هذه الطلبات أن يكتبوا مباشرة للادارة المختصة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمساعدات المادية فى بناء المســـاجد والمراكز الاسلامية .

● نظرا لنفاد عدد (محرم) من المجلة وتحقيقا لرغبة القراء الذين يطلبون زيادة الكميات المطبوعة منها حتى يمكنهم الحصول على الاعداد واتمام المجموعات التى يحرصون على اقتنائها ، نعدهم مستقبلا بعون الله اننا سنوفر لهم الأعداد المطــلوبة .

● طلب بعض الناشرين الاذن لهم بجمع (الفتاوى) المنشورة فى المجلة وطبعها ، ولما كانت المجلة ستقوم بطبع هــذه (الفتــاوى) فى كتيب وتوزيعها (هدية) مع بعض الأعداد فاننا نعتذر عن تحقيق هذه الرغبات .

الايمـــان هو العـــلاج

ابتليت منذ شبابى بشرب الخمر ـــ عافاك الله والمسلمين منها ـــ وقد لحقنى من أم الخبائث أضرار مادية وآلام جسدية ، وويلات عائلية ، تفوق الوصف ، ومع هذا فأنا احافظ على الصلاة ، وقد حاولت كثيرا الاقلاع عن الشرب ، ولكن الآلام والانفعالات التى تنتابنى اثناء تركها كثيرة ، وقد لجأت الى الأطباء للاستشفاء، فافادوا باننى وصلت الى حالة الادمان ، وأن علاجى منها يحتاج الى دخـــولى مصحة فترة طويلة ، ولكنى عامل ورزقى يوم بيوم فماذا افعل ؟؟

س ٠ م :

اعتقد أنك لست بحاجة الى معرفة ادلة تحريم الخمر ، ولا الى بيـــان اضرارها ولا حكمة تحريمها ، ويكفيك ما حل بك من الآلام ، أو ما تستشعره من الندم ، والعـــلاج لا يحتاج الا الى قوة الايمان التى تشد العزم والارادة ، فالايمان بالله تعالى أقوى من كل القوانين الوضعية ، وقد لجأت دول كثيرة بعد ما تبين لها أضرار الخمر وتأثيرها على الصحة والانتاج الى وضع القوانين لمنعهـــا ، ولكن كان ينقصها الايمان الصحيح بالله .

واذا قارنا بين العقيدة والخوف من الله ، وبين أثر كل المحـــاولات التى تبذل لمنع الخمر وجدنا الفرق كبيرا ، جاء فى كتاب التنقيحات لأبى الأعـــلى المورودى ما يأتى :

منعت حكومة أمريكا الخمر وطاردتها فى بلادها ، واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شربها ، وبيان مضارها ومفاسدها ، ويقدرون ما أنفقت الدولة فى الدعاية ضد الخمر بما يزيـــد على ٦٠ مليون دولار ، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة ، وما تحملته فى سبيل قانون التحريم فى مدة أربعة عشر عاما لا يقل عن ٢٥٠ مليونا من الجنيهات ، وقد أعدم فيهـــا ٣٠٠ نفر وسجن ٥٣٢٫٣٣٥ نفســـا وبلغت الغرامات الى ١٦ مليونا من الجنيهات ، وصادرت من الأملاك ما يبلـــغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين من الجنيهات .

إن أمريكا قد عجزت عجزا تاما عن تحريم الخمر بالرغم من الجهود الضخمة التى بذلتها ولكن الاسلام الذى ربى الأمة على أساس من الدين ، وغرس فى نفوس أفرادها غراس الايمان الحق ، وأحيا ضميرها بالتعاليم الصالحة والأسوة الحسنة لم يصنع شيئا من ذلك ، ولم يتكلف مثل هذا الجهد ، ولكنها كلمة صدرت من الله استجابت لها النفوس استجابة مطلقة . روى البخارى ومسلم عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال :

ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذى تسمونه الفضيخ ، إنى لقائم أسقى أبا طلحة ، وأبا أيوب ورجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتنا اذ جاء رجل فقال هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا لا فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقـــال يا أنس أرق هذه القلال ، قال فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل .

وهكذا يصنع الايمـــان بأهلـــه .

بأقلام القراء

من أمراض اليهود

كتب الدكتور فاروق محمود مساهل تحت هذا العنوان يقول :

لا بد من الاشارة في البداية أنه لا يوجد مرض يختص بالمسلمين دون غيرهم ، على العكس ففي تادية الفرائض الالهية واتباع السنة المحمدية وقاية وعلاج من عديد من الأمراض ، وعلى سبيل المثال فان تادية فريضة الصلاة وما يصحبها من حركة لعضلات ومفاصل الجسم ركن من اركان علاج مرض الالتهاب العظمى المفصلى المزمن . كما وان سنة الختان للذكور تمنع الاصابة بسرطان القضيب . كذلك فان اجتناب شرب الخمر والامتناع عن اكل لحم الخنزير والابتعاد عن الزنا حماية من شرور كثير من الأمراض التى تتسبب فى تدمير صحة الانسان ومجتمعه الذى ينتمى اليه .

وهناك مجموعة من الأمراض تصيب اليهود ، بعضها مقصور عليهم وبعضها شائع بينهم ، ويرجع السبب الرئيسى فى ذلك ان اليهود يشكلون ما يسمى « بالمجتمع المغلق » الذى لا يسمح بالاختلاط ولا بالاتصال بباقى الأجناس و « احياء اليهود » مثل على ذلك حيث يجتمعون فى مناطق خاصة بهم داخل المدن ، ولا تزال الأوساط اليهودية تعيش الضجة المعروفة حول عدم اعتباره يهوديا من كان أحد أبويه ليس بيهودى ، وهذا دليل على تمسكهم بالانعزالية ، واستعلائهم أن يختلط دم اليهود بدم سواهم ، مسيطرة عليهم اوهامهم بانهم « شعب الله المختار » وانهم « ابناء الله واحباؤه » « ... قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .. » المائدة : ١٨ .

اما المجتمع الاسلامى فلا يقتصر تركيبه على جنس واحد ، كما وان بمقدور المسلم الزواج من اهل الكتاب .

وكل صفة يتميز بها الانسان — كالطول والقصر والبدانة والنحافة وغيرها — تتكون من جزئين : واحد من الأم والآخر من الأب ، ومثلهم صفة المرض الوراثى تاتى من الأبوين احدهما او كليهما ، وهذه الصفة اما ان تكون سائدة ، اى ان الجزء الذى ينتقل الى النسل من احد الأبوين ويكون حاملا للمرض ينغلب على الجزء الآخر والذى لا يحمل المرض ومن ثم يظهر المرض على المولود .. واما ان تكون صفة المرض متنحية ، وفيها يظل الجزء الحامل للمرض من احد الأبوين متخفيا ويحمل المولود المرض فى خلاياه ولكنه لا يظهر عليه ، وعند التقاء زوجين حاملين لهذه الصفة المتنحية فان الجزءين (من الأم والأب) يتحدان ويظهر المرض فى الذرية ، وقد وجد ان هذه الذرية تنقسم الى : ربع مريض وربع سليم والنصف الباقى من الأولاد يحمل المرض ولكنه لا يظهر عليه وإنما يقوم بنقله الى نسله .

وأمراض اليهود فى غالبها من نوع الصفة المتنحية ، وهى امراض خطيرة واهمها :

١ — مرض جوشر — Gaucher's disease
٢ — مرض نيمان — بك — Niemann-Pick disease
٣ — البله والعمى العائلى — Amaurotic Familial idiocy

وهى من امراض اضطراب التمثيل الغذائى للدهن .

٤ — مرض برجر — Buerger's disease — ويصيب الأوعية الدموية .
٥ — مرض السكر — Diabetes mellitus

وهذه أهم خصائص كل من هذه الامراض :

١ — مرض جوشر : ويحدث فيه تجمع كثيف للدهن غير الطبيعى فى الطحال والكبد ونخاع العظام والعقد الليمفاوية ، يعقبه تضخم عظيم فى حجم الطحال الذى سرعان ما يمارس نشاطا زائدا عن حده العادى ممثلا فى تحطيم أعداد هائلة من كريات الدم الحمراء ومسببا نقرا بالدم . وحيث أن كريات الدم الحمراء والبيضاء الضرورية لحياة الإنسان يتم انتاجها فى نخاع العظام فإن غزو الدهن للنخاع يقضى على مصدر صناعة كريات الدم فتزداد شدة فقر الدم Leuco-erythroblastosis وتتضخم الكبد من تجمع الدهن فيها ، وتترسب بها مادة الحديد وايضا فى البنكرياس والكليتين والقلب والجلد الذى يصطبغ باللون البنى ، وتظهر بالعينين بقع ملونة مميزة . وضحايا هذا المرض هم الأطفال الذين نادرا ما يتمون السنة الاولى من اعمارهم .

٢ — مرض نيمان — بك : وهو أخطر من مرض جوشر ويقتل الإناث من أطفال اليهود خلال السنتين الأولتين من حياتهن ، ويحدث فيه التجمع الدهنى بالطحال والكبد والعقد الليمفاوية ونخاع العظام والغدد الصماء والرئتين والأمعاء والمخ ، وتتميز المصابة به بالتأخر العقلى .

٣ — البله والعمى العائلى : ويصيب أطفال اليهود ابتداء من الشهر الخامس وتكون الوفاة عند السنة الثالثة أو الرابعة ، وهذا المرض يؤثر على الجهاز العصبى ويؤدى الى العمى والشلل والجنون .

٤ — مرض برجر : يصيب هذاالمرض بخاصة يهود روسيا وبولندا ويقتصر على الرجال دون الأربعين ولا يعرف سببه على وجه التحديد ، لكنه قد يكون ناتجا عن الاصابة بفيروس (ميكروب دقيق الحجم جدا) أو زيادة حساسية الجسم للتدخين أو تهيج زائد بالجهاز العصبى السمبثاوى Sympathetic يؤثر على الأوعية الدموية الصغيرة التى تغذى الشرايين . وفى هذا المرض يحدث التهاب بالشرايين والأوردة والأنسجة المحيطة بها وخاصة فى الساقين ، ومراحل المرض أربعة :

أ — التهاب بالأوعية الدموية السطحية مع ورم القدمين والساقين .

ب — آلام مبرحة بالساقين عند المشى تزول بالراحة . Claudication

جـ — تسوء الحالة ويصبح الم الساقين مستمرا حتى اثناء الراحة ، ويزداد برفع الساقين ويقل عند خفضهما مما يضطر المريض اثناء النوم الى تدلية ساقيه دون مستوى الفراش .

د — غنغرينا القدمين والساقين Gangrene وتحدث من سنة الى عشر سنوات من بداية آلام الساقين ، وعلاجها بتر الساق كلها او جزئها .

٥ — مرض السكر : المعروف طبيا أن مرض السكر يميل نحو إصابة اليهود اكثر من غيرهم .

هذا بالاضافة الى إصابتهم بجميع الامراض التى تصيب باقى الاجناس .

وعليه فلا نعجب ان يكون عدد اليهود فى العالم حسب اكثر الاحصائيات تسامحا هو ١٥ مليونا ، بينما يبلغ من عداهم من أى جنس عشرات أو مئات الملايين .

وصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى : « ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . آل عمران : ١١٢ .



« الحـــادث الأكبـــر »

تعد هجرة النبى عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة اخطر حادث فى تاريخ الدعـوة الاسلامية ، وتعد بالنسبة لتاريخ العالم انحناءة أساسية فيه ، حولت مسيرته من طريق الى طريق ففى مدى سنوات قليلة بعد الهجرة طلع من قلب الجزيرة العربية شعب بهر العالم بقوته النابعـة من ايمانه ، وقدر له أن يبلغ بسلطان الدعوة الجديدة مشارق المحيط الأطلنطى ، وأواسط أوروبا ويقيم حيثما بلغ مجتمعا يعلى من كرامة الانسان ويدعو الى التحرر من الخرافات والأساطير ، ويمجد العقل ويحض على النظر فى الآفاق فى مساواة بين الناس ، ولا تفريق بينهم ولا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو اللون أو الثروة والجاه « ان أكرمكم عند الله أتقاكم .. »

قاوم الدعوة الجديدة الأباطرة والأكاسرة والمتجبرون ممن أذلوا الشعوب وجعلوا كلمتهم هى العليا ، فأبى الله الا أن يتم نوره ويجعل كلمته هى العليا . وكان الصراع بين الـدين الصاعـد والمفاهيم السائدة ، مرا قاسيا ، يريد الماديون ممن سيطروا على الشعوب والعقول بالقهر والغصب وقوة السلاح ، أن يذودوا عن أنفسهم شر هذا الدين الجديد ، ولكن سحر الايمان وروعته وجلالـه أفسدت ما كانوا يدبرون ..

وقد حاول الكثيرون من المفكرين والباحثين ان يفسروا سر تلك الظاهرة غير المسبوقة بمثال والتى مكنت لقوم من البدو فى الارض شرقا وغربا فى عدد من السنين قليل ، وذهبوا فى التفسير طرائق شتى ، ولكنهم أجمعوا على أن الايمان الذى لا يتزعزع كان الأساس الذى انطلقوا منه فى المسيرة الناجحة ولجأوا اليه واستعانوا به اذا أظلمت أمامهم السبل ..

ولم تكن هجرة النبى من مكة الى المدينة ايثارا للأيسر على الأشق الأصعب ، وانما كـانت تعديلا فى الأسلوب وتجميعا للأنصار حيث يوجد الأنصار ، وتهيئة للمعركة الفاصلة بين الايمـان والشرك ... لم تكن عدولا عن المعركة الفاصلة مع قريش ولكن كانت استعدادا لها وحرصا عليهـا وتأكيدا لأسباب النصر فيها .. لقد كانت قريش مدلة بقوتها وثروتها وأحسابها وأنسابها وميراثهـا القديم ، تحسب ان كل أولئك لن يهزم ، فاذا بكل أولئك يذوب أمام قوة الايمان والصبر والمصابرة ، واذا بها تسلم وتستسلم ، واذا بالنبى الكريم يطرق أبواب مكة ويهدم أنصابها وأزلامها وآلهتهـا واذا به يؤمن بعد النصر أهلها ، واذا بالناس يدخلـون فى دين الله أفواجا .. واذا بالجزيرة العربية تدخل عهدا جديدا واذا بالدعوة تنطلق الى العالم كله ، تنشر ، أينما ذهبت ، الاخـــاء والمساواة ، وتعلى كلمة اللـه .

ولولا الهجرة ما كان هذا كله ، ولولا الحركة والجهاد ما انعقد النصر للمؤمنين . وهـذا هو الدرس الاكبر والعظـة الكبرى .. وعلى هديها سار الاسلام والمسلمون عبر التاريخ الطويل ..

« عن صحيفة اخبار اليوم »

حـول ظاهرة احتشام الفتيـات

الزى المحتشم للفتيات اخذ هذا العام طابعا يكاد يكون عاما فى القاهرة وفى جميع المحافظـات واذا كان قد قوبل باستحسان كل غيور على الدين والأخلاق الا انه يحلو للبعـض من الرجـال والنساء أن يجعلوا منه مادة للسخرية سواء بالرسم أو بالتعليق ..

ومن الجماعة الدينية بكلية البنات الاسلامية بجامعة الأزهر جاءنا هذا البيان :
يسوء البعض أن تتفشى هذه الظاهرة بين فتيات فى مقتبل العمر أصبح عددهن الآن يزيد على عشرات الألوف فى طول البلاد وعرضها بوازع من ضميرهن لا بتنظيم جمعية نسائية ولا جمعية دينية ولا بوحى الصحف اليومية ولا المجلات الاسبوعية أو الشهرية بل استمررن فى ارتداء هذا الزى الاسلامى رغم استهزاء المستهزئين من الرجال والنساء الذين أزعجتهم هذه الظاهرة والتى كانت رد فعـل قوى لروح التدين واللجوء الى الله سبحانه عقب النكسة التى وقعت فى حرب سنة ٦٧ ولقد كانت هذه الظاهرة مصدر قلق لكثير من أعداء الدين حتى أنهم سخروا السنتهم وأقلامهم للنيل من الاسلام واظهاره بمظهر الجمود والتخلف ونراهم عندما كتبوا ورسموا لم يسلكوا طريق العقل والمنطـق فى هجومهم وانما طاشت منهم العقول وجانبوا المنطق السليم وتمسكوا بالمضحكات فى تنفير الناس من هذه الظاهرة (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرين) فيا أيتها الفتيات ان لبسكن لهذه الملابس الطويلة الساترة للفتن المانعة للابصار عن التحقيق والتدقيق قد جن منه جنون الملحدين والملحدات وانتن بالخيار بين دعوة الى لبس الملابس القصيرة التى يدعون انها لا تعوق تقدما حتى تكن متعضرات تظفرن بالازواج وبين الاستجابـة لدعوة الايمـان ولأمر الله سبحانه فى دعائه الى ان يحييكن حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ..

ولقد رسمت سورة النور للمرأة المسلمة طريق الهداية والنور وغض البصر وصيانة المـرأة من الابتـذال فنصت على أنه يجب على المرأة المسلمة ان تغض من بصرها وان تحفظ نفسها الا من زوجها وطلب اليها خالقها أن تمشى على الارض مشية طبيعية « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن . » وقال سبحانه « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » ..

أيتها الفتاة المسلمة احذرى دعوة الشيطان والشيطانة ان تسلكى سبيلها وانظرى بعين العقل والفكر هل أدى هذا العرى الى سعادة المرأة الغربية وهل اظفرها بطمانينة النفس وسكون البـال واستقرار الحياة أم ان هذا العرى الفاضح اغراء باتخاذ الخليلات ذوات العدد ..
: « يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » .

أيتها الفتاة تفكرى واذكرى ان كان منك فيما مضى شىء من اظهار مفاتن جسدك فقـد كـان اثما كبيرا ، ومن أجل ذلك طلب الله منك التوبة وممن كان قد رضى بهذا التبديل حيث يقول — « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

« عن مجلـة الاعتصام القاهرية »

أخبار العالم الإسلامي

إعــداد : فهمى الإمــام

الـــكويت : احتفلت البلاد بالعيد الوطنى فى اليوم الخامس والعشرين من فبراير الماضى ، وعطلت فيه الأعمال فى الوزارات والدوائر والمؤسسات ، ونظرا للظروف التى تمر بها الأمة العربية فقــد صدر بيان عن الديوان الأميرى بعدم إقامة احتفالات رسمية فيه .

● قرر مجلس الوزراء الإسهام فى عمليات التوطين فى جنوب السودان بمبلغ ٢٥٠ الف دينار على مدى عامين ، وستقام فى مديريات الجنوب مساجــد ومدارس ومستوصفات وآبار ارتوازية .

● توافدت على البلاد وفود الدول العربية لحضور مؤتمر وزراء الأوقاف الأول الذى تقرر عقده فى الكويت فى الفترة من ٢٦ فبراير إلى ٣ مارس سنة ١٩٧٣ م ، وقد قامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية باتخاذ الاجــراءات ووضع التنظيمات لهذا المؤتمر ، وسننشر فى العدد القادم كل ما قدم فيــه من حديث ، وما دار فيه من مناقشات ، وما اتخذه من قرارات وتوصيات .

● أصدرت الوزارة الجزء الأول من كتاب معجم الفقــه الحنبلى وهــو مستخلص من كتاب المغنى لابن قدامه ، كما فرغت من إعــداد الجــزء الثانى وسيصدر قريبا . .

● أصدر مجلس الجامعة قرارا بتشكيل لجنة لإعداد دراسة وافية عــن مشروع إنشاء كلية للطب بمختلف تخصصاتها .

مــصر : قررت مصر وليبيا إنشاء لجنة مشتركة تتولى الإشراف عــلى صناعة الأسلحة وتطوير هذه الصناعة فى البلدين .

● قرر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تسجيل تفسير القرآن الكريم باللغتين الانجليزية والفرنسية على اسطوانات وطباعته ، وذلك تلبية لطــلب الهيئات الإسلامية فى افريقيا وآسيا ، وحتى يسهل فهم القرآن الكريم وتداوله .

السعوديــة : تمت الموافقة على افتتاح أربعة مراكز إسلامية لتنظيم حملات توعية للدعوة والإرشاد فى كل من — الدمام — وعرعر — وابها — وجــدة .

● تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ ٢٥٥ الف ريال لدعم جمعية النهضــــة الإسلامية بحلب وجمعية المقاصد الإسلامية الخيرية فى بيروت .

العــــراق : عثر فى مدينة البصرة على المدخل الرئيسى لمسجد البصرة الكبير الذى بنى فى عام ١٤ هـ فى عهد الخليفة عمر بن الخطــاب ، وظل قائما الى العصور العباسية المتأخرة .

لبنـــان : دعا سماحة مفتى لبنان محبى العدالة والسلام فى العــالم الى مساندة الذين يدافعون عن الحرية والمقدسات فى فلسطين .

● تعقد مؤتمرات دورية فى المحافظات لبحث موضوع إقرار عطلة يوم الجمعة فى لبنان .. وقد طالبت اللجنة التنفيذية للمتابعة المنبثقة عن الهيئات الاسلامية باتخاذ قرار حاسم حول العطلة الأسبوعية فى لبنان .

سورية : تصدى الطيران السورى لطيران العدو الاسرائيلى عدة مرات وارغمه على الفرار .

● صرح رئيس مجلس الشعب السورى خلال زيارته للكويت بأن الأرض العربية لن تتحرر إلا عن طريق العرب وبأيديهم فقط .

القدس المحتلة : انهار حائط داخل القبة المشرفة فى المسجد الأقصى .. وقد أعلن المجلس الإسلامى الأعلى أن ذلك لن يؤخر اعمال ترميم المسجد .

ليبيا : تلقى المركز الإسلامى فى أوغندا مبلغ مليون دينار ليبى بالإضافة الى ١٠ آلاف نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية مع التفسير باللغة الانجليزية لتوزيعها على المسلمين فى أوغندا ، وسينفق المليون دينار على إنشاء المدارس والمساجد فى أنحاء أوغندا .

● أصدر مجلس الوزراء الليبى قرارا بإنشاء لجنة عليا للتربية والتعليم مهمتها اقتراح برنامج تربوى فى ضوء تعاليم الإسلام بحيث تراعى فيه كل مظاهر التقدم العلمى الحديث .

عمان : صادقت سلطة عمان على ميثاق المؤتمر الإسلامى . وبذلك ارتفع عدد الدول التى صادقت على الميثاق حتى الآن ١٧ دولة .

اخبار متفرقة

بريطانيا : تلقت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية من هيئة المدينة المنورة فى بريطانيا عدة رسائل تناشدها فيها تزويدها بكميات كبيرة من الكتب الإسلامية باللغة الانجليزية لمواجهة الإقبال الهائل عليها ، ولنشر الإسلام فى بريطانيا .

ماليزيا : من المقرر أن يشيد فى ماليزيا خلال العام الحالى مجمع إسلامى كبير ، يشتمل على مسجد ، ومقر للشئون الدينية ، ومركز أبحاث إسلامية ، ومعاهد لدراسة القرآن الكريم ، وتخريج الدعاة الى الإسلام ، وتبلغ تكاليف المشروع ١٥٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى .

موريشيوس : تلقت الوزارة من الجمعيات الإسلامية فى جزيرة موريشيوس الواقعة فى المحيط الهندى شرق جزيرة مدغشقر عدة رسائل تعرب فيها عن حاجتها الى الكتب الإسلامية باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وعدد المسلمين فى الجزيرة ١٢٠ الفا .

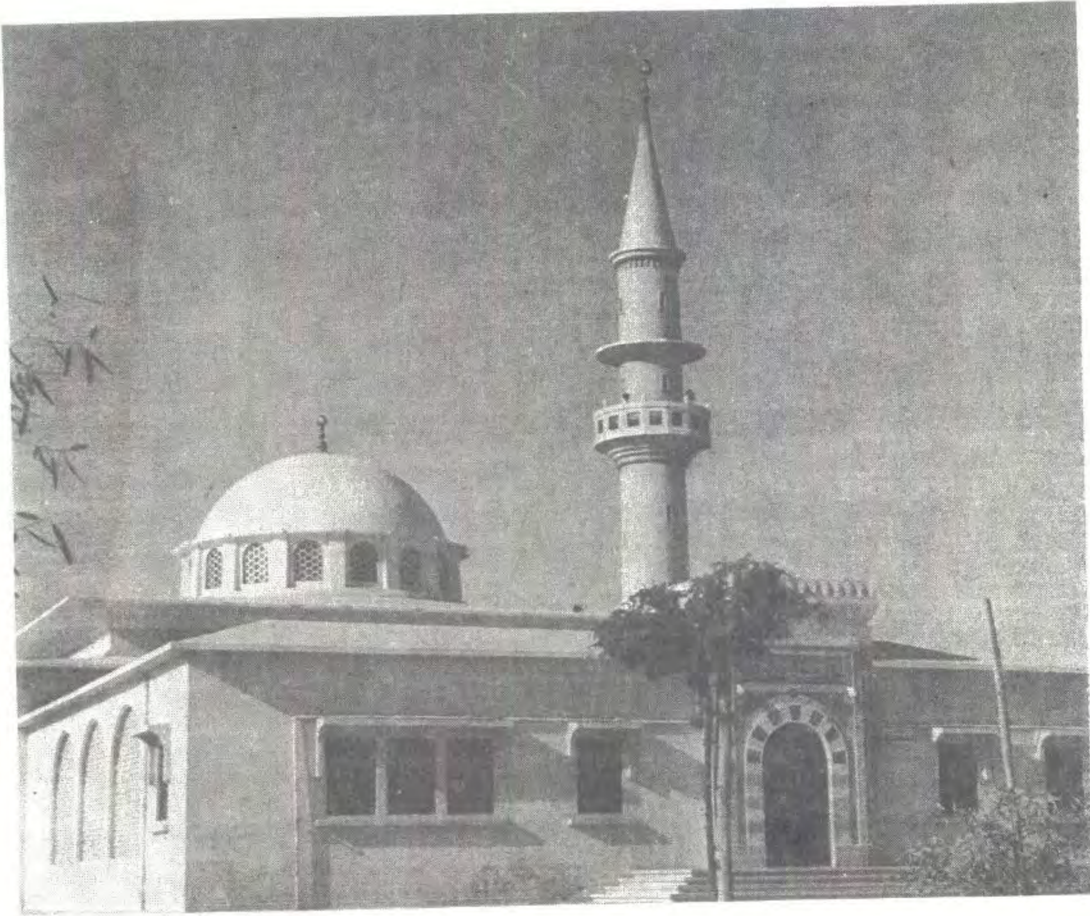
كوالالمبور : اعلن تنكو عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر الإسلامى فى كوالالمبور أن الاجتماع الخامس لوزراء خارجية الدول الإسلامية سيعقد فى بنى غازى بليبيا فى شهر مارس القادم .

أوغندا : أمر الرئيس الأوغندى بترحيل المبشرين الأجانب الذين يقدر عددهم بحوالى ٥٠٠ مبشر ، جميعهم من الاوروبيين ، وذلك منعا لأى محاولات للتخريب تقوم بها الإرساليات الأجنبية .

ومما هو جدير بالذكر أن قرابة ٤٠٠ مواطن أعلنوا إسلامهم فى جنوب أوغندا ..

مَواقيت الصَلاة حسَب التوقيت المحَلي لـدولـة الكوَيت

أيام الأسبوع	صفر ١٣٩٢ هـ	مارس ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٥	٤ ٤٠	٦ ١٠	١٢ ٠٠	٣ ٢٠	٥ ٤٩	٧ ٧	١٠ ٥١	١٢ ٢١	٦ ١١	٩ ٣٠	١ ١٨
الثلاثاء	٢	٦	٣٩	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٨	٤٩	١٩	١٠	٣٠	١٨
الاربعاء	٣	٧	٣٨	٨	٠٠	٢٠	٥١	٩	٤٧	١٧	٩	٣٠	١٨
الخميس	٤	٨	٣٧	٧	١١ ٥٩	٢٠	٥١	٩	٤٦	١٦	٨	٣٠	١٨
الجمعة	٥	٩	٣٦	٦	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٤	١٤	٧	٢٩	١٨
السبت	٦	١٠	٣٥	٥	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٣	١٣	٧	٢٩	١٨
الأحد	٧	١١	٣٤	٤	٥٩	٢١	٥٣	١١	٤١	١١	٦	٢٩	١٨
الاثنين	٨	١٢	٣٣	٣	٥٩	٢١	٥٤	١٢	٣٩	٩	٥	٢٨	١٨
الثلاثاء	٩	١٣	٣٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١٢	٣٨	٨	٤	٢٨	١٨
الاربعاء	١٠	١٤	٣١	١	٥٨	٢٢	٥٥	١٣	٣٦	٦	٣	٢٧	١٨
الخميس	١١	١٥	٣٠	٥ ٥٩	٥٨	٢٢	٥٦	١٤	٣٤	٤	٢	٢٧	١٨
الجمعة	١٢	١٦	٢٨	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٤	٣٣	٢	١	٢٦	١٨
السبت	١٣	١٧	٢٧	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٥	٣٠	٠٠	٠٠	٢٥	١٨
الأحد	١٤	١٨	٢٦	٥٦	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٨	١١ ٥٨	٥ ٥٩	٢٥	١٨
الاثنين	١٥	١٩	٢٥	٥٥	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٧	٥٧	٥٩	٢٤	١٨
الثلاثاء	١٦	٢٠	٢٤	٥٣	٥٧	٢٣	٥٩	١٧	٢٥	٥٥	٥٨	٢٤	١٨
الاربعاء	١٧	٢١	٢٢	٥٢	٥٦	٢٣	٥٩	١٧	٢٣	٥٣	٥٧	٢٣	١٨
الخميس	١٨	٢٢	٢١	٥١	٥٦	٢٣	٦ ٠٠	١٨	٢١	٥١	٥٦	٢٣	١٨
الجمعة	١٩	٢٣	٢٠	٥٠	٥٦	٢٣	١	١٩	١٩	٤٩	٥٥	٢٢	١٨
السبت	٢٠	٢٤	١٨	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٩	١٧	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الأحد	٢١	٢٥	١٧	٤٧	٥٥	٢٣	٢	٢٠	١٥	٤٥	٥٣	٢١	١٨
الاثنين	٢٢	٢٦	١٦	٤٦	٥٤	٢٣	٢	٢٠	١٤	٤٤	٥٢	٢٢	١٨
الثلاثاء	٢٣	٢٧	١٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢١	١٢	٤٢	٥١	٢٣	١٨
الاربعاء	٢٤	٢٨	١٤	٤٤	٥٤	٢٤	٤	٢٢	١٠	٤٠	٥٠	٢٤	١٨
الخميس	٢٥	٢٩	١٣	٤٢	٥٣	٢٤	٤	٢٣	٨	٣٨	٤٩	٢٥	١٩
الجمعة	٢٦	٣٠	١١	٤١	٥٣	٢٤	٥	٢٤	٦	٣٦	٤٨	٢٦	١٩
السبت	٢٧	٣١	١٠	٤٠	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٤	٣٤	٤٧	٢٧	١٩
الأحد	٢٨	أبريل	٨	٣٩	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٢	٣٣	٤٧	٢٨	١٩
الاثنين	٢٩	٢	٧	٣٨	٥٣	٢٤	٧	٢٦	٠٠	٣١	٤٦	٢٩	١٩



مسجد أبو بكر الصديق بالشامية ــ كويت

أبو بكر الصديق

اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى ، أبو بكر الصديق بن أبى قحافة ، أول من آمن برسول الله من الرجال ، وأول الخلفاء الراشدين .

مولده : ولد بمكة بعد الفيل بسنتين وستة أشهر ، ونشأ سيدا من سادات قريش ومن كبار موسريهم وكانت العرب تلقبه بعالم قريش . .

صحبته : استمر مع النبى طول مدة اقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى المشاهد كلها ، وكانت الراية معه يوم تبوك ، حج بالناس فى حياة الرسول سنة تسع .

خلافته : بويع بالخلافة بعد وفاة النبى سنة ١١ وحارب المرتدين والمانعين للزكاة ، وافتتحت فى عهده بلاد الشام وقسم كبير من العراق ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر .

وفاته : توفى يوم الاثنين فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وله فى الصحيحين (١٤٢) حديثا .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) . بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .
تونس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العراق	:	بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .
البحرين	:	المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .
قطر	:	الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبى	:	مؤسسة دار العروبة .
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة .

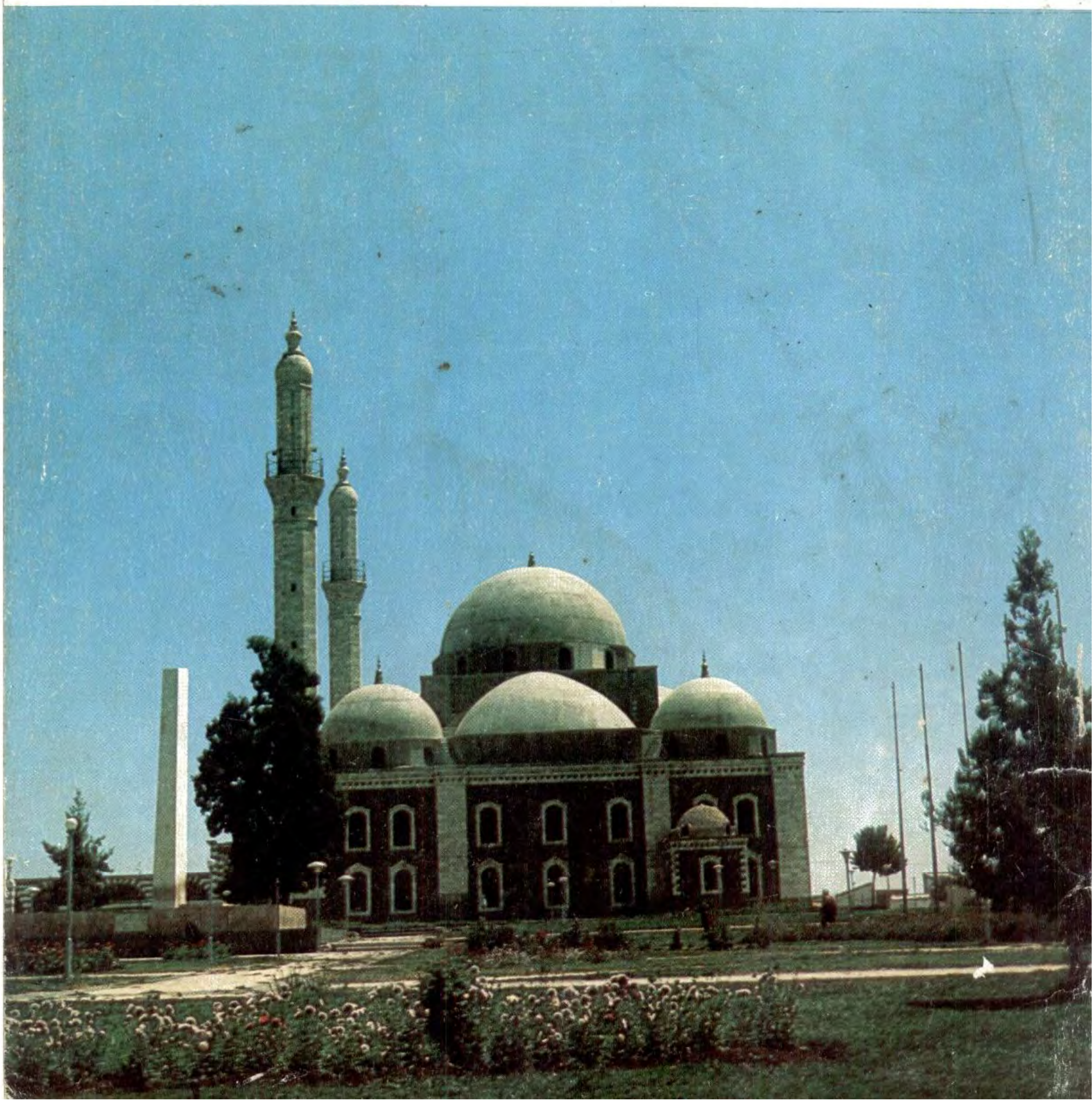
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ــ العدد ٩٩ ــ غرة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ ــ ٢ ابريل (نيسان) ١٩٧٣ م



وإنك لعلى خلق عظيم



مسجد خالد بن الوليد

شيد هذا المسجد فى مدينة حمص السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٣ هـ ، ثم أعيد بناؤه فى عهد السلطان عبد الحميدسنة ١٣١٨هـ ثم توالت عليه عمليات الاصلاح .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (٩٩)

غرة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ

٣ إبريل (نيسان) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

اعجاز القرآن

وموضوعية

هذا القرآن هو الدليل المعجز على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فى دعوته .. ومرسل من قبل الله حقا :

وقد قيل فى أسباب اعجازه : الشيء الكثير . ولكن هناك جانب فيه لم يلق العناية الكافية حتى الآن ، مع أنه يؤكد للعربى .. وللأعجمي ، على السواء : ان القرآن فوق مستوى البشر . وبالتالى فوق مستوى الطاقة الانسانية لرسول الله عليه السلام ، مهما كان سموه فى صفاء النفس .. وانشراح القلب .. فلا يحقد على أحد .. ولا يتأثر بالدنيا وما فيها . وهو جانب موضوعيـــة القرآن فى مبادئه . أى جانب تجردها عن العوامل الشخصية تجردا مطلقا . وباختيار بعض مبادئه هنا فى موضوعيتها يتجلى [1] هذا التجرد تجليا لا شك فيه . ومن هذه المبادىء الموضوعية :

أولا : أن دعوة القرآن تؤ [illegible] ـالة الحضارة السابقة ، قبل عهد الرسول عليه السلام .

يقول الله تعــالى :
« **يا ايها الذين آمنــوا : آمنوا بالله ، ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رســوله ،**
« **والكتاب الذى انزل من قبــل ،**
« **ومن يكفر بالله ، وملائكته ، وكتبــه ، ورســله ، واليوم الآخــر ، فقد ضــلّ ضــلالا بعيدا »** . (١)

.. فسوى فى الإيمان برسول الله محمد عليه السلام الآن ، وبالرسل السابقين عليه .. وبالكتاب الذى هو القرآن ، والموحى به الى رسول اللــه ، وبالكتاب الآخر السابق عليه فى اى عهد من عهود الرسالة . لأن رسالة الله فى أى عهد تستهدف ما تستهدفه اية رسالة . وهو معاونة الانسان على الانتقال من مستوى الجاهلية الى مستوى الحضارة الانســانية : « **يا بنى آدم : اما يأتينكم رسل منكم** (فى أى عهد) **يقصون عليكم آياتى ، فمن اتقى** (فمن تجنب انحرافات الجاهلية) **واصــلح** (بسلوك الهداية الإلهية .. وهى الطريق الى الحضارة البشرية) **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبــوا بآياتنا ، واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »** . (٢)

***

ثانيــا : أنها تدعو الى الترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا فى حياة الانسان .. وليس على أساس العرق .. أو القبيلة . يقول الله تعالى :

« **واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا** (وحبل الله هو هدايته التى تتمثل فى القيم الإيمانيــة العليا المستمدة من صفات الله ســبحانه وتعالى . والاعتصام بهذه القيم هو الترابط والتماسك على أساس منها) .

التــوجيــه

للأستاذ : الدكتور محمد البهى

« **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء** (وذلك بسبب الترابط على اساس القبيلة والدم فيها . وهو رباط مادى) **فالف بين قلوبكم** (على أساس الإيمــان بالله مركز القيم العليا) **فاصبحتم بنعمته اخوانا** (أى فى الانسانية والحضارة البشرية) ،

« **وكنتم** (أى على عهد القبيلة وتقاليدها ، والتمسك بهذه التقاليد) **على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** (فالقبلية كانت مصدر الحروب والخصومات بين القبائل بعضها وبعض . ولكن بفضل الإيمان جاء السلام والصفاء النفسى للعلاقات بين أفرادها) **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** (وهداية الناس بآيات الله وكتابه هى اتباع خطوط الحضارة الانسانية فيه ، والابتعــاد عن ضلال الجاهلية) » (٣) .. وكذلك يقول فى فضــل الله على تآلــف المؤمنيــن وترابطهم ، بعد الخصومات التى كانت مستمرة بينهم ، وتطمين الرسول على تماسك المؤمنين فى مواجهة مؤامرة الأعداء وخداعهم :

« **والف بين قلوبهم** (اى قلوب المؤمنين) **لو انفقت ما فى الأرض جميعــا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم** (برباط العقيدة والإيمان .. بدلا من الرباط المادى وهو رباط الدم والقرابة) **إنه عزيز حكيم** » (٤) ..

.. ولا شك أن الدعوة الى الترابط على أساس الإيمان بالقيم العليا التى تمثل سمو الحياة البشرية : فوق لحمة الأسرة .. والقبيلة .. والشعب : هى دعوة خالصة لوجه الإنسانية ومجردة عن كل اثر لأى عامل شخصى .

***

ثالثــا : أنها تؤثر الاستمرار فى الترابط والبقاء فى دائرته على أساس هذه القيم .. وليس على أساس العصبية الأسرية .. والقبلية .. والشعوبية . يقول القرآن الكريم :

« **يا أيها الذين آمنوا :**

« **لا تتخذوا آباءكم ، واخوانكم : أولياء** (أى أصدقاء يخلص بعضهم لبعض .. ويشير بعضهم على بعض) **ان استحبوا الكفر على الإيمان** (اى ان آثروا البقاء فى الجاهلية .. ولم يرغبوا فى الانتقــال من مستواها .. الى مستوى الحضــارة البشرية) ،

« **ومن يتولهم منكم** (اى يصادقهم منكم) ، **فأولئك هم الظالمون .**

« **قل : ان كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، واخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ،** (والعــلاقة بين هؤلاء جميعا هى عــلاقة الدم والقرابة الأسرية) **وأمــوال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضــونها : أحب اليكم من الله ، ورسوله ، وجهاد فى سبيله** (أى ان كنتم تؤثرون : العصبية الأسرية .. أو المحافظة على المال ، أو على أنمائه .. أو الرتابة فى المعيشة ــ وهى جميعها تصور خطوط الجاهلية ــ على القيم العليا فى الحياة ، التى يمثلها الايمــان بالله ، وبرسوله ، كما يمثلها الجهاد بالمال أو بالنفس فى سبيل هذه القيم والتحول الى مستوى الحضارة البشرية) **فتربصوا حتى ياتى الله بامره** (أى انتظروا حتى يأتى الأجل المحدد لسقوط مجتمعكم وقيام مجتمع إنسانى حضارى آخر بدلا منه) **والله لا يهدى القوم الفاسقين** (وطالما لا يهدى الله اولئكم الذين يخرجون فــى وضوح : عن الطريق السوى فى الحياة : فانهم لا يستقرون فى رياسة ولا فى زعامة : « **وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم** » (٥) . (بل يخلفهم أولئكم الذين يؤمنون بالله وبالقيم العليا فى الحياة) » (٦) .

.. واستمرار الترابط على أساس من القيم العليا ان كان ظاهرة تدل على التجرد عن العوامل الشخصية .. فان هذا الترابط على أساس منها أبقى وأنقى من الترابط على أساس العصبية .. أو المال . فالعصبية فى الأولاد ، أو المال فى جمعه واكتنازه : كلاهما ينطوى على عامل التفرقة ، كما ينطوى على عامل التجميع . يقول الله سبحانه :

« **يا أيها الذين آمنــوا :**

« **أن من أزواجكم ، وأولادكم : عدوا لكم ، فاحذروهم ، وان تعفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا فان الله غفور رحيم .**

« **إنمــا أموالكم ، وأولادكم فتنــة** (أى مصدر تجربة واختبــار) **والله عنــده أجر عظيم .**

« **فاتقوا الله ما استطعتم**

« **واســمعوا ، وأطيعــ**

« وانفقوا خيرا لانفسكم ، ومن يوق شح نفســـه فاولئك هم المفلحـــون
(والمفلحون اذن هم الذين يترابطون على أساس الإيمـــان بالقيم .. وليس على أساس العصبية .. أو المال) » (٧) .

***

رابعا : أنها تدعو الى توفير الاعتبار الإنســـانى ، والكرامة البشرية لـــكل فرد ، بغض النظر عن : اللون .. والنسب .. والعرق .. والجاه .. والمال : يقول الله تعـــالى :

« يا أيها الذين آمنوا :

« لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ،

« ولا تلمزوا أنفسكم (أى لا يعب بعضكم بعضا) ،

« ولا تنابزوا بالألقاب (أى لا تداعوا بالألقاب المسيئة التى يحس المدعو بها : بأذى .. أو شين .. أو ذم له ، وعندما يدعى بها) **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** (فالايمان من شأنه أن يسوى بين المؤمنين فى الاعتبار البشرى . والتداعى بالألقاب المسيئة من شأنه أن يعيد الفجوة فى هذا الاعتبار بينهم . واذن التنابـــز بالالقاب : فسق وخروج عن مطالب الايمان) ، **ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون .**

« يا أيها الذين آمنوا : اجتنبوا كثيرا من الظن ، إن بعض الظن إثم ،

« ولا تجسسوا (أى لا تبحثوا عن أخبار بعضكم بعضا) ،

« ولا يغتب بعضكم بعضا (والغيبة : أن يقال فى الرجل من خلفه ما فيه من عيب . فاذا فيس من خلفه ما ليس فيه : فهو بهت) ، **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » (٨) .**

.. من مستلزمات توفير الاعتبـــار البشرى لكل فرد فى المجتمـــع : أن ينتهى الانسان فيه :

عن أن يسخر بغيره .. وعن أن يعيبه .. وأن يلقبه بما يكره .. وعن أن يحدد موقفه منه على أساس الظن وحده .. وعن أن يتجسس عليـــه ، ويبحث ليعرف أسراره .. وأن يقول من خلفه ما فيه من نقص وعيب . لأن كل واحد من ذلك من شأنه : أن يعكر صفو العلاقات الطيبـــة التى أحدثها الايمان بالله ، والانتقال المشترك الى مستوى الحضارة الانسانية . ويقول الله تعالى أيضا :

« يا أيها الذين آمنـــوا :

« لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ، حتى تستأنسوا » (أى حتى تحسوا بالأنس من سكان هذه البيوت وبالترحيب بقبولكم فى منازلهم) **وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم ، لعلكم تذكرون .**

« فان لم تجدوا فيها أحدا ، فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ،

« وإن قيل لكم : ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم .

« ليس عليكم جناح : أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة ، فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » (٩) ..

.. وضمن القرآن بذلك : حرمة لسكن الشـــخص ، بعد أن أكد حرمة الشخص ذاتها . وهذا .. وذاك من عوامل توفير الكرامة الانسانية للشخص فى المجتمع .

***

خامسا : انها تدعو الى التفاضل بين الأفراد على أساس من التمايز بينهم فى مستوى الانسانية وحده .. وليس على أى أساس مادى آخر ، كالعرق .. او القبيلة .

يقول تعـالى :

« يا أيها النـاس :

« إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،

« وجعلناكم شعوبا ، وقبائل : لتعارفوا (اى اذا كنتم وجدتم جميعا من ذكورة وأنوثة ، وتساويتم فى ذلك .. ثم جعلتم فصـائل من شعوب وقبائل ، وارتبطتم برباط الدم والقربى بناء عن التناسل فيما بينكم .. فليس مؤدى ذلك : ان تختلفوا .. وتتصارعوا فيما بينكم .. وأن يخاصم بعضكم بعضا . وانمـا مؤداه : أن تجتمعوا على رباط آخر ، فوق رباط الدم والقربى . وهـو ربـاط الإيمان بالله ، مركز الحضارة الانسانية . فاذا انتقلتم عن طريق الهداية الى المستوى الحضارى فى تفكير الانسان وسلوكه : ترابطتم على اساس القيم العليا فى حياة الانسان . والترابط على أساسها : ادوم وأنقى) .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم (ولذا : فالتفاضل بينكم منذ الآن يكون بمقدار المستوى فى تحقيق هذه القيم الذى يبلغه اى واحد منكم . وليس على الأساس المادى السابق من : المال .. والجاه .. والزعامة .. وعصـبية الأولاد .. وقرابة الدم فى الحسب والنسب) **إن الله عليم خبير** (والله وحده هو الذى يعلم ما هو ابقى وانقى فى حياة الانسان ، مما هو مشتت ومفرق .. وهو مع علمه التام : الخبير أيضا بحقائق كل ما يوصى به) » (١٠) .

***

سادسا : انها : تبرز المسئولية الفردية . وعدم قبول المسئولية الجماعية :

« قـل :

« يا ايها النـاس :

« قد جاءكم الحق من ربكم ،

« فمن اهتـدى فانما يهتدى لنفسه ،

« ومن ضل فانما يضل عليها ،

« وما أنا عليكم بوكيـل » (١١) .

.. فأبرز مسئولية الفرد فى إيمانه بالله .. وانتقاله بذلك الى المستوى الحضارى الانسانى ، فى التفكير .. وادراك الجمال فى الحياة والعمل الارادى . وكذلك أبرز مسئوليته عن حيرته وبقائه فى جاهليته . والرسول المبلغ لوحى الله لا تتجاوز رسالته : تبليغها الى الأفراد . وبذلك لا يشارك غيره : المسئولية فى اى اتجاه يسلكه ، ويقول كذلك :

« ولا تزر وازرة وزر أخـرى .

« وان تدع مثقلة الى حملها (اى ان دعت نفس تحس بثقـل حملها من الذنوب : غيرها لتعاونها فيما تحمل فتشاركها بعض ذنوبها) **لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى** (فلا تستجاب لما طلبت وتظل هى متحملة وحدها ما ارتكبته من أخطاء وذنوب) » (١٢) . كما يقول :

« وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالذى بين يديه (وهـو كتاب عيسى .. وموسى) ،

« ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ، يرجع بعضهم الى بعض :

القـــول :

« يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين .

« قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين .

« وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا (أى كانت محاولاتكم الخبيثة أنتم أيها المستكبرون ، المستمرة بالليل والنهار هى التى أضلتنا عن الهدى بعد اذ جاءنا) ،

« وأسروا الندامة لما رأوا العـــذاب ، وجعلنا الأغـــلال فى أعناق الذين كفروا (أى جميعا ما بين مستكبرين .. ومستضعفين) **هل يجزون الا ما كانوا يعمـــلون » (١٣) .**

.. ففى هذا الحوار بين الزعماء والرؤساء من جانب .. والتابعين لهم فى المجتمع من جانب آخر : تتجلى المسئولية الفردية .. وأن ليس للانسان عذر ما فيما يقترفه . وبالأخص فيما يبقيه فى دائرة الجاهلية ، ويحول بينه وبين الانتقال الى المستوى الحضارى البشرى . وربما كان يفهم .. أو يعد مقبولا فى اطـــار الاعتـــذار : قبول المستضعفين فى المجتمـــع : نصح المستكبرين ، أو أمرهـــم بالانصراف عن هداية الله لأنهم واقعون تحت تأثيرهم . ولكن جعل الأغلال فى أعناق الفريقين كجزاء لهما لم يترك شبهة فى المســـــئولية الفردية التامة لـــكل فريق منهمـــا .

***

سابعا : انها : تدعو الى أن تكون سرية أى اجتماع بين اثنين فأكثر على الخير وحده .. أى على عدم الاعتداء على الأقل على الآخرين ، يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنـــوا :

« إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ، ومعصيت الرسول ،

« وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (١٤) .

.. فينهى عن التآمر وتدبير الاعتداء .. ويأمر بأن تكون سرية أى اجتماع متمحضة للخير والمصلحة العامة . يؤثر السلام والصفاء فى علاقات الأفراد فى المناجاة وأحـــاديث الناس فى سرية ، على التدبير للهـــدم : فى « الخلايا .. وتحت الأرض » .

***

ثامنـــا : تدعو الى أن تكون الرغبـــة فى السلام .. مصاحبة للاعداد لرد الاعتداء . أى لا يكون هنـــاك اعداد لقوة المجتمع ، غير مشفوع هذا الاعـــداد باعـــداد نفسى آخر للسلام . يقول تعالى :

« وأعدوا لهم (أى للأعداء) **ما استطعتم من قوة** (وهى القوة العددية .. والنوعيـــة) **ومن رباط الخيل** (وهى الحصون والقلاع) **ترهبون به عدو الله وعـــدوكم** (أى أن هدف هذا الاعداد ليس : الاعتداء .. ولا الفتح والتوسع . وانما حمل العدو على التفكير والتروى عنـــدما تسول له نفسه الاعتداء .. وانما إرهابـــه) **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم** (أى ومع أعداء الله وأعداء المؤمنيـــن الصرحاء المكشوفين لكم : أعداء آخـــرون متسترون من ورائهـــم . وهم معهم بالمشاركة فى اعدادهم وفى دفعهم ضد المؤمنين) **الله يعلمهم** (لأنه يعلم الظاهر والباطن .. والصريح والخفى .. والمنافقون فى عداد هؤلاء الأعداء المتسترين) .

« وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون (والخطاب

للأثرياء فى الأمة للانفاق على اعدادها فى مواجهة الأعداء ، اعدادا ماديا) .

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، (وهنا يقرن القرآن حمل المؤمنين على الميل الى السلام وقبوله ، بطلب الاعداد لأنفسهم لمواجهة عدوان الأعداء ، مما يعبر به هذا القرآن على أن الهدف الأصيل للدعوة الى الاسلام : هو السلام. ولكنه سلام القوى ، وليس سلام الضعيف .. سلام المتيقظ ، وليس سلام الغافل .. سلام من يضحى بمتع الدنيا ليعيش عزيزا ، وليس سلام من يستذل من أجل الاستمتاع بهذه المتع) **وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم** (ولكى تشجع الدعوة الاسلاميـــة المؤمنين الى الميل الى السلم والى قبـــوله : تطلب اليهم أن يعتمدوا على الله عند قبولهم للسلام ، ويبعدوا عنهم القلق من أجل التفكير فى خداع الأعداء وغدرهم . فالله سميع لكل همسة منهم .. وعليم بمجرى كل أمر يصدر عنهم . وطالما المؤمنون يأخذون أنفســـهم بما يدعوهم الله إليه من غير تقصير .. فخداع أعدائهم لا ينال منهم اطلاقا) .

« وان يريدوا أن يخدعوك فان حســـبك الله ، هـــو الذى أيدك بنصـــره وبالمؤمنين (أى فالله هو المتكفل برد خداع الأعداء وبنصر المـــؤمنين عليهم . إذ خديعة الأعداء ستكون مكشوفة للمؤمنين ، اذا لم يوالوهم .. واذا أخذوا منهم حذرهم .. وبقوا فى قوة فى مواجهتهم .. وآثروا ولاء بعضهم لبعض ، على أن يميلوا اليهم . وطالما تكشف الخديعة فأثرها سلبى) » (١٥) .

..و يقول الله تعالى ، أيضـــا :

« يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان (لأنه يحملكم على التردد فى قبول السلم أن عرض عليكم) **إنه لكم عدو مبين** (إذ يريد أن يشغلكم بهواجس نفسية تمنعكم من قبول السلم .. وبالتالى تحـــول بينكم وبين أن تتفرغوا لرسالتكم . فالأعداء ان كانوا جادين فى عرض السلم فلا ضير عليكم اطلاقا فى قبوله . وإن كانوا يريدون الخديعة : فحذركم منهم .. وعدم موالاتكم لهم .. وبقاؤكم دوما على استعداد لمواجهتهم : كفيل برد خدعتهم ودفع ضررها عنكم . ففى كلتا الحالتين : قبولكم للسلم : لا يعرضكم لخطر . واذن وسوسة الشيطان تحملكم على التردد فى قبوله ، هى شر لكم وأثر مـــن عداوته لايمانكم) » (١٦) .

***

تاســـعا : تدعو الى تكافؤ : انتـــاج الانسان وعمله من أجل الرزق فى الدنيـــا .. وعبـــادته لله ، معا : يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنـــوا :

« إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ، إن كنتم تعلمون .

« فإذا قضيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغـــوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١٧) .

.. فسوى القرآن فى الأمر هنا : بين وجوب أداء صلاة الجمعة إذا حل وقتها .. ومباشرة السعى بعد الانصراف من أدائها من أجل الرزق فى ضروب الحياة المختلفة : تجارة .. أو زراعة .. أو صناعة .. أو ادارة واشرافا على عمل آخر . كما أوضح أن العبادة والمحافظة عليها مقدمة ضرورية لنجاح الانسان فى حيـــاته : **« وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »** . سواء أكان هذا النجـــاح فى تحصيل الرزق .. أو فى حسن العلاقة بين إنسان وآخر ، فى مجتمعه .

وهذه المساواة فى الحرص على الأداء : بين العبادة .. والسعى من اجل الرزق : تعطى الدليل على ايجابية الدعوة الاسلامية فى حياة الانسان .. وعلى أن التوكل على الله الذى يطلب من الانسان المؤمن بالله : ليس طريقا سلبيا . اى ليس تواكلا ، او اغضاء عن العمل . كما تعطى الدليل من جانب آخر على أن المتع المادية ليست أمورا تنبذ . إنما هى أهداف تحصل ليستمتع بها الانسان ، ولكن لا ليسرف فى الاستمتاع بها : « **وكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين** » (١٨) .

***

عاشرا : انها تدعو الى أن يكون : العدل .. والشورى .. والاطمئنان الى عدم اتباع الهوى ، من مقومات الحكم الصالح ، فيقول القرآن الكريم : « **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** » (١٩) .. فيأمر بالعدل فى كل جانب من جوانب الحياة ، ثم على وجه الخصوص يأمر بالعدل فى الحكم . فيقول :

« **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** (وهى أمانة العمل وأداؤها بالدقة فيه .. وأمانة العهد والوعد ، وأداؤها بالوفاء بأى منها .. وأمانة الأسرة وأداؤها بالاحسان فى رعايتها .. وأمانة الرأى وأداؤها بالنصح فيه .. وأمانة السلوك وأداؤها بالاستقامة فيه) .

« **وإذا حكمتم بين الناس : أن تحكموا بالعدل** » (٢٠) .

ويأمر بالعدل فى المعاملة فيقول :

« **وأوفوا الكيل ، والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا إلا وسعها** » (٢١) .

.. وبالعدل فى القول ، فيقول :

« **وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى** » (٢٢) .

.. وبالعدل فى الشهادة ، فيقول :

« **يا أيها الذين آمنوا :**

« **كونوا قوامين لله** (مقيمين لأوامره ومطيعين لها) ،

« **شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** (أى لا يحملنكم بغض قوم بسبب كفرهم مثلا على عدم العدل نحوهم فتعتدون عليهم)

اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » (٢٣) ..

.. وبالعدل : بين ما يفعله الانسان .. وما يتحدث عنه . فيقول :

« **يا أيها الذين آمنوا :**

« **لم تقولون ما لا تفعلون ؟ . كبر مقتا عند الله : أن تقولوا ما لا تفعلون .**

« **إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ، كأنهم بنيان مرصوص**

(اى لا يحب الاعوجاج بالتحدث عن فعل كالمشاركة فى القتال مثلا .. وعدم وقوع هذا الفعل) » (٢٤) ..

.. وبالعدل فى العهود ، والعقود : بالوفاء بها :

« **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم** (أى ما يجب أن يطلب فيه الوفاء من العهود هو ذلك النوع منها الذى يستهدف الخير .. والمصلحة العامة .. أو هو عهد الله) » (٢٥) ..

« **يا أيها الذين آمنوا : أوفوا بالعقود** » (٢٦) ..

.. أما الشورى فيتحدث عنها القرآن فى صفات المؤمنين ، على أنها جزء لا يتجزأ من قوام حياتهم ، فيقول :

« **.. والذين استجابوا لربهم ، واقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم** (وهو أمر الأسرة بين أفرادها .. وأمر الجيران بعضهم مع بعض .. وأمر الناس مع ولاتهم وحكامهم) » (٢٧) ..

.. كما يطلب الى الرسول عليه السلام باعتباره قائدا وحاكما : أن يشاور من جديد : النفر من المؤمنين الذى كان من أسباب هزيمة المسلمين فى غزوة احد ، بعد أن يعفو عنهم . .ويستغفر لهم الله ، على ما وقع منهم من خطأ ، فيقول :

« **فبما رحمة من الله لنت لهم** (أى لا تقسو عليهم واستمد موقفك هذا ازاءهم من صفة الرحمة التى هى بالغة حد الكمال فى المولى سبحانه) ،

« **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم**،

« **وشاورهم فى الأمر** (أى فى شأن القتال عند خروجك مرة مقبلة مع المؤمنين جميعا الى مواجهة الكفار) .

« **فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين** » (٢٨) ..

.. فمع خطأ هذا النفر فى شأن المؤمنين جميعا : فان القرآن يطلب من الرسول عليه السلام من جديد : أن يستطلع رأيه . ولو أن خطأهم كان نقدا ذاتيا لوضح الأمر فى طلب مشاورتهم من جديد . ولكنه خطأ كان يرجع الى الانصراف عن أهداف الدعوة فى ميدان القتال ، الى مغانم الحياة الدنيا فيه . فطلب استطلاع رأيهم مع ذلك يدل على قيمة الشورى فى حياة الناس وأثرها فى الترابط فى العلاقات بين أفراد .



حادى عشر : أنها : تستنكر الاحتراف بالقيم العليا :

إذ أخطر شىء على هـذه القيم هو الاحتراف بها .. وجعلها وسيلة ، وليست هدفا فى ذاته . والاحتراف بها يكون عادة من الداعين لها ، والحاملين لواء نشرها . وهنا يحذر القرآن أن يتحول أمر المؤمنين الى الاحتراف بهذه القيم ، على نمط ما كان عليه أحبار اليهود .. ورهبان النصارى ، كما جاء فى قول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا** :

« **إن كثيرا من الأحبار ، والرهبان ، ليأكلون أموال الناس بالباطل** (وذلك عن طريق تدخلهم فى تأويل ما يقع عليه : اسم الحلال .. أو اسم الحرام .. أو عن طريق اخفائهم بعض تعاليم الكتاب .. واظهار البعض الآخر ، ويؤجرون على ما يقولون) .

« **ويصدون عن سبيل الله** (واحترافهم بالقيم العليا .. واكلهم أموال الناس بالباطل عن طريق هذا الاحتراف : هو فى حقيقة أمره صد ، وابعاد عن سبيل الله . لأن الاحتراف الآن سبيل معوجة . بينما سبيل الله هى دائما السبيل السوى) » (٢٩) ..

والقيم العليا التى يتجنب الاحتراف بها ليست فقط هى التى يحملها أصحاب رسالة الدين . بل هى التى يحملها فى الأمة كذلك غيرهم : كالأطباء .. والمعلمين .. والقضاة .. ورجال الادارة ... الخ .

فالأطباء .. والمعلمون يحملون علم الانسانية فى تطبيب المرضى .. وتعليم الناشئة . فان هم استغلوا حاجة المريض الى الشفاء .. والصبى الى التعليم ، وجعلوا العلاج والتعليم حرفة للاتجار والاثراء : كانوا كالأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

والقضاة .. ورجال الادارة يحملون علم العدل وإحقاق الحق فى قضائهم

.. وادارتهم . فان هم احترفوا بالعدل وقبلوا الرشوة كانوا كذلك كالأحبار والرهبان فى أكل أموال الناس بالباطل .

ورجال الجيش يحملون علم الدفاع عن الأمة وعن قيمها العليا وتثبيت شخصيتها المستقلة . فان هم اثروا من حرفة الدفاع ولم يتمثل فى نفوسهم الإيمان القوى بالدفاع عما يجب أن يدافعوا عنه .. كانوا كذلك كالأحبار .. والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

وهكذا .. كل من يحمل قيمة عليا فى عمله ونشاطه واحترف بها فهو آكل لأموال الناس بالباطل .

***

ثانى عشر : أنها : تدعو الى الرجوع بالخصومة فى الرأى .. الى المصدر الأصيل للدعوة .. وليس لأقوال بعض المؤمنين فيه . فيقول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا** :

« **أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول** (وذلك باتباع كتاب الله .. وقدوة الرسول عليه السلام : قولا .. أو عملا) ،

« **وأولى الأمر منكم** (ان أدى هؤلاء الأمانة فى ولايتهم للمؤمنين ، وحكموا بين الناس بالعدل طبقا لما فى كتاب الله . وجاء هذا الشرط فى آية سابقة على هذه الآية .. فى قول الله تعالى : « **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ») ،

« **فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله** (أى كتاب الله) **والرسول** (أى الى قدوة الرسول عليه السلام) **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** (أى ان بقيتم على إيمانكم بالله وعدم تحولكم الى اتجاه المادية . وهو ذلك الاتجاه الذى يقوم على إنكار الإيمان بالله .. وباليوم الآخر ، تحت التأثر باغراء متع هذه الحياة الدنيا) .

« **ذلك خير وأحسن تأويلا** (أى والالتجاء فى خصومة الرأى الى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام هو خير حل لمشكلتها بين المؤمنين ، لأنه رجوع الى مصدر الإيمان نفسه .. ذلك المصدر الذى هو بعيد كل البعد عن الهوى والغرض .. والذى تجرد شأنه تماما للمصلحة العامة » (٣٠) ..

***

ثالث عشر : أنها : تدعو الأمة الى التدخل بالاصلاح أولا .. ثم بالقتال ثانيا ، إذا اشتبكت طائفة بأخرى فيها : فى خصومة عنيفة أو قتال سافر . والتدخل بالاصلاح يراعى فيه العدل المطلق .. أى تراعى فيه المحافظة على الحقوق والواجبات التى لكل طائفة ، حسبما يقررها القرآن . والتدخل بالقتل يكون ضد الطائفة المعتدية منهما .. الى أن ترجع عن اعتدائها ، فيصلح بينها وبين الأخرى التى كانت تتقاتل معها . يقول الله تعالى :

« **وإن طائفتان من المؤمنين** (أى مجموعتان من المؤمنين) **اقتتلوا فاصلحوا بينهما** (أى فالطريق الى وقف القتال بينهما هو التدخل بالاصلاح بين الطائفتين . فان كانت مثلا : طائفة موسرة تشح بالانفاق مما تملك .. وطائفة أخرى محرومة لا تأخذ حقها من أموال الموسرين : اشتبكتا فى قتال بينهما فالحل هو الاصلاح طبقا لما جاء فى القرآن من حمل الموسرين على الانفاق ، على نحو ما قيل فى صفات المؤمنين فى قول الله تعالى :

« **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » (٣١) . وحملهم يكون بالنصح .. أو بالقتال . كما صنع أبو بكر رضى الله عنه فى قتال مانعى الزكاة . وعلى هذا النحو : الاصلاح ما بين صاحب العمل .. والعامل . فلو اشتبكت طائفة العمال فى خصومة أو فى قتال مع اصحاب العمل : فيجب الاصلاح بين الطائفتين باعطاء العمال ما لهم من حقوق وفرض أداء ما يجب عليهم من واجبات نحو أصحاب العمل . ولو اعتدت احـــدى الطائفتين على الأخرى فيجب على المسلمين أن يقاتلوا الطائفة المعتـــدية حتى تفىء الى أمر الله ثم يصلح بين الطـــائفتين) .

« **فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى ، حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهمـــا بالعدل ، وأقســـطوا ان الله يحب المقسطين** » (٣٢) ..

.. وهذا التدخل بالاصلاح أولا .. ثم بالقتال إن كان هناك اعتداء ، يجىء مؤسسا على ما يذكره القرآن بعد ذلك فى قول الله تعالى :

« **إنمـــا المؤمنون اخوة ، فاصلحـــوا بين أخويكم ، واتقـــوا الله لعلكم ترحمـــون** » (٣٣) ..

.. والأســـاس الذى يذكره هنا هو أساس « الأخـــوة » فى الترابط بين المؤمنين جميعا . ومقتضى هذه الأخوة : أن لا يشجع الاعتداء من فريق على فريق .. وإنما يؤخذ حق المظلوم من الظالم منهما . والمسلمون جميعا عـــدا الطائفتين المتنازعتين : ضد الاعتداء : ومع إنصاف المظلوم من الظالم . وفى مقدمة المسلمين : ولاتهم وحكامهم .

والقرآن لكى يحافظ على هذه « الأخوة » استرســـلت آياته ـــ بعد هـــذه الآية ـــ فى نهى المؤمنين عن كل ما يمس هذا الأساس ، فى أية صورة . فطلبت توفير الاعتبـــار البشرى ، كما شرح سابقا .. وتجنب الظن فى المعاملة .. وتجنب التجسس فى معرفة الأخبار .. وتجنب الغيبة . ثم أكدت : أن المستوى فى تخير ذلك كله وفى اتقانه هو وحده معيار المفاضلة بين الأفراد :

« **إن أكرمكم عنـــد الله أتقاكم** » .

***

رابع عشر : أنها : تدعو الى الحفاظ على النفس .. والمال .. أى تدعـــو الى المحافظة على حرمة النفس .. وحرمة المال ، تدعو الى الأمان : فلا تمس نفس بسوء .. ولا يمس مال باعتـــداء عليه .. تدعو الى تجنب جريمتين ، يترتب على أى منهما : فنـــاء المجتمع .

« **يا ايها الذين آمنـــوا** :

« **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن تكون تجـــارة عن تراض منكم** (والأساس فى التجارة أن يكون فيها ربح .. أى فيها أكثر من مماثلة القيمة بين الطرفين . واستثناء التجارة هنا من أكل أموال الناس بالباطل ، معناه : جواز الربح : فى تحصيله من البائع .. وفى قبوله من المشترى . أى شرعيـــة عدم المماثلة تماما بين طرفى العقد . لأن الربح الزائد عن المماثلة هنـــا هو أجر على عمل فى الواقع . وهو عمل التجارة . وهذا التحليل للتجـــارة يعطى من جانب آخر معنى أكل أموال الناس بالباطل . وهو حصول أحد الطرفين على مال من الطرف الآخر ، دون مقابل له : لهذا الطرف . فعملية النصب .. والتحـــايل .. والرشوة .. والمغامرة .. والغصب .. وما شـــاكل ذلك : تعد من أكل أمـــوال

الناس بالباطل . لأن مفهوم التجارة ، وان كان العمل الشرعي جزءا منه .. فـان حرية الطرفين فى التعامل فى عقده : جزء آخر فيه . وهذه الحرية غير متوفرة فى المغـامرة) .

« **ولا تقتلوا أنفسكم** (والمراد بها أنفس المـؤمنين . والمعنى : أن تقتـل نفس نفسا أخرى من بينكم . ولكنـه أضاف الأنفس الى المؤمنين جميعـا : ليشير الى أن فقدان أية نفس بالقتل هو فى حقيقته يخص المؤمنين جميعـا ، وليس فقط تلك النفس التى وقع عليها القتل) **إن الله كان بكم رحيما** (أى حين يطلب إليكم تجنب القتل ، بعد أن طلب منكم عدم أكل أموال الناس بالباطل . لأن كلا من الجريمتين يهدد المجتمع بالفناء . أحداهما بفناء النفوس .. والأخرى بفنـاء من يمسه الغاء الوظيفـة الاجتماعيـة للمال . وهى تعـلق حـق المحرومين فيه) » (٣٤) ..

***

خامس عشر : ترى : أن المادية هى عدو الحضارة الانسانية ، لأنها تجر الانسان الى : الحيوانية .. والعبث .. والفساد فى الحياة البشرية . هى عدو أبدى ودائم للايمان بالقيم العليا : « **ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه** (أى من القرآن ككتاب يسجل الدعوة الى الايمان بالقيم العليا) ، **حتى تأتيهم الساعـة بغتة ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** » (٣٥) ..

.. والماديون لا يخلصون أبدا لمن يؤمن بالقيم العليا .. وبالتحول الى المستوى الحضـارى البشرى للانسان .. ولمن يدعو اليه . ومن هنـا يجب أن لا يصـادقوا :

« **يا أيها الذين آمنـوا :**

« **لا تتخذوا عدوى وعدوكم : أولياء ، تلقون إليهم بالمودة** » (٣٦) إذ فى مصادقتهم والتودد إليهم ما يحول دون الاحتياط منهم . فنفوسهم تنطوى على السوء ، كما تنطوى على الأمل فى ابعاد المؤمنين عن إيمانهم :

« **إن يثقفوكم** (أى يظفروا بكم) **يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهـم وألسنتهم بالسوء ، وودوا : لو تكفرون** » (٣٧) .

.. ومهما كان يرجى من نفع مادى منهم . فما يحصله المؤمنون من نفع يعود على تماسكهم وترابطهم عند عدم مصادقتهم أفضل وأعم مما يتصور لدى أولئكم الماديين : « **وإن خفتم عيلة** (أى فقرا وحاجة بسبب مقاطعتكم لهم) **فسوف يغنيكم الله من فضله ، إن شاء ، إن الله عليم حكيم** » (٣٨) .

.. وإذا كان من الحيطة : عدم مصادقة الماديين .. وعدم الدخول معهم فى معاملات اقتصـادية .. فالأسـلم على الاطلاق : مخاصمتهم .. ومقاتلتهـم : « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحـرمون ما حرم الله ورسـوله** » (٣٩) .

.. والقرآن ـــ وهو رسالة السلام ـــ إذا كان يطلب من المؤمنيـن : أن يقاتلوا فى سبيل الاحتفاظ بايمانهم وبعزتهم : أعداءهم الحقيقيين ، وهم الماديون ، فضلا عن عدم التقرب إليهم وعدم مصادقتهم وعدم انتظـار النفع المادى منهم .. إذا كان يطلب القتال منهم فانه يطلبه كضرورة تفرضها الحياة للمؤمنين أنفسهم . فطالما الماديون هم الأعداء الحقيقيون للحضارة الانسانية التى تمثلها قيم الايمان بالله ، وهم باقون على قوة لهم .. فالخطر سيلحق المؤمنين : إن اليوم .. أو غـدا ، من عداوة هؤلاء .

وهذا على نحو ما كان على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فى الغزوات التى دار فيها القتـال . والهدف من القتال يومئذ كان للوقاية ، ولم يكن للتوسع .. كان لحمـاية المؤمنين : قيم مجتمعهم من أعداء السوء له . وهم المشركون ، أو الماديون الوثنيون فى شبه الجزيرة .

وآية القتـال للماديين السابقة نزلت ، بعـد أن كانت للمسلمين قوة ، نوعية .. وعددية ، يستطيعون أن يواجهوهم بها . فهى من آيات سورة التوبة ، وقد نزلت بعد المائدة . وهذه الأخيرة نزلت فى حجة الوداع بعد فتح مكة . وكان المؤمنون إذ ذاك يمثلون قوة إيمانية .. وعددية مرموقة ، ويخشى منها .

فاذا لم يكن المؤمنون على قوة كافية لمواجهة الماديين بالقتال فى وقت من الأوقات : فالأمر يقف بالمؤمنين عند حد عدم الولاء للماديين . ولهم أن لا يجاهروا بعدم الولاء لهم ، تقيـة منهم . كما جاء فى سورة آل عمران :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين : أولياء من دون المؤمنين »

« ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة »

« ويحذركم الله نفسه (واعلان تحذير الله للمؤمنين هنا : آية على خطورة موالاة المؤمنين لأعدائهم ، وبالأخص الماديين منهم على مجتمعهم .. وأمتهم .. وقيمهم) **والى الله المصير »** (٤٠) ..

.. والقتال ـ وهو سبيل من سبل الوقاية ـ وإن كان مكروها للنفوس ، إلا انه ينطوى فى حقيقته على خير للبشرية . وهو صيانة الحضارة الانسانية من الدمار والتخريب ، الذى تسعى اليه المادية بكل ما تملك من قوة : **« كتب عليكم القتـال ، وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهـوا شيئا ، وهو خير لكم ، وعسى أن تحبـوا شيئا وهو شر لكم** (كالتخلف عن القتال فى سبيل القيم العليا فانه شر لا يصيب المتخلفين وحدهم ، وإنما البشرية كلها) : **« واتقوا فتنـة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** (٤١) (وهى فتنة التخلف عن القتال . والذين ظلمـوا هم المتخلفون الذين رضوا أن يكونوا مع القواعد من النساء) **« والله يعلم وأنتـم لا تعلمون »** (٤٢) ..

● ● ●

هذه النماذج من المبادىء فى القرآن الكريم تصور : « التجرد » التام فى قيمتها .. وفى تحليلها . لأنها ترجع جميعها الى الاحتفاظ بقيمة الانسان كفرد .. والى احترام حرمته :

١ ـ فالايمان مثلا برسالة الحضارة البشرية السابقة هو استمرار للاعتراف بالقيم العليا التى جاءت بها الرسالة السابقة ، من اجل تقدير الانسان وصيانة حرمتـه . وليس انتكاسـا .. ولا هدما وتخريبـا لأى جانب من جوانب هـذه الحضارة .

٢ ـ والترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا وحدها فى حياة الانسان

٣ ـ وكذا ايثار استمرار الترابط على هذا الأساس ،

٤ ـ وتوفير الاعتبار البشرى لكل فرد ،

٥ ـ والتفاضل بين الأفراد على أساس التمايز فى مستوى البشرية ،

٦ ـ وابراز المسئولية الفردية ـ دون المسئولية الجماعية ،

٧ ـ واستهداف الخير وحده من اى اجتماع غير علنى .. كل هذه المبادىء تتصل مباشرة بكرامة الفرد ، والحرص عليها .

وليس اقل من هذه المبادىء وضوحا وتجردا : لاحترام الفرد وحرمته ، ما جاء فى هذه النماذج ، من أن :

٨ ـ رغبةالسلام .. تصحب الاعداد لرد الاعتداء فى الأمة ،

٩ — وتكافؤ السعى والعمل من أجل الرزق .. مع عبادة الله ،
١٠— والعدل .. والشورى ، من أسس نظام الحكم الانسانى ،
١١— واعتبــار الاحتراف بالقيم العليا ، رجوعا بالحضارة الى الجاهلية ،
١٢— وتحكيم المصدر الأصيل للمبادىء العامة ، عند التخاصم فى الرأى بين الأفراد ،
١٣ — وتدخل الأمة بالاصلاح ، عند مواجهة مجموعة فيها بأخرى ،
١٤ — وصيانة النفوس والأموال من الضياع ، بغير سبيل مشروع ،
١٥ — واعتبار العدو الأول للحضارة الانسانية هو المادية وتوجيهها .

● ● ●

إن جانب تجرد المبادىء القرآنية من الهوى .. والحزبية .. والعصبية .. ومن أي عامل شخصي آخر : هو جانب رئيسى فى اعجاز القرآن .. وبالتالى : هو آية على صلاحيته للانسان ولتوجيهه صلاحية تامة ، بغض النظر عن مرور الزمن .. أو اختــلاف الشعوب والأمم . وكذلك آية على صلاحيته لتأسيس الحضارة الانسانية عليه ، تلك الحضارة التى تستهدف الانسان : فى كرامته .. وفى حرمته فى سكنه .. وفى حرمته فى ماله الخاص .. وفى حرمته فى نفسه وأمنه من الاعتداءات أو الارهاب .. وفى حرمته فى سعيه وفى عمله .. وفى حقه فى العدل .. وفى حقه فى إبداء الرأى .

والعمل الانسانى الذى هو وليد هذه الحرية .. وآت عن طريق استعمال الحق الانسانى : هو الصورة الواضحة للحضارة الانسانية .

فالقرآن معجز . .وفى الوقت نفسه مصدر للحضارة البشرية .

---

(١) النســاء : ١٣٦
(٢) الأعــراف : ٣٥/٣٦ .
(٣) آل عمران : ١٠٣
(٤) الانفــال : ٦٣ .
(٥) محمــد : ٣٨ .
(٦) التــوبة : ٢٣/٢٤ .
(٧) التغــابن : ١٤ — ١٦ .
(٨) الحجــرات : ١١ و ١٢ .
(٩) النــور : ٢٧ — ٢٩ .
(١٠) الحجــرات : ١٣ .
(١١) يونس : ١٠٨ .
(١٢) فاطــر : ١٨ .
(١٣) ســبأ : ٣١ — ٣٣ .
(١٤) المجــادلة : ٩ .
(١٥) الانفــال : ٦٠ — ٦٢ .
(١٦) البقــرة : ٢٠٨ .
(١٧) الجمعــة : ٩ و ١٠ .
(١٨) الأعــراف : ٣١ .
(١٩) النحــل : ٩٠ .
(٢٠) النســاء : ٥٨ .
(٢١) الانعــام : ١٥٢ .
(٢٢) الانعــام : ١٥٢ .
(٢٣) المــائدة : ٨ .
(٢٤) الصــف : ٢ — ٤ .
(٢٥) النحــل : ٩١ .
(٢٦) المــائدة : ١ .
(٢٧) الشــورى : ٣٨ .
(٢٨) آل عمــران : ١٥٩ .
(٢٩) التــوبة : ٣٤ .
(٣٠) النســاء : ٥٩ .
(٣١) المعــارج : ٢٤/٢٥ .
(٣٢) الحجــرات : ٩ .
(٣٣) الحجــرات : ١٠ .
(٣٤) النســاء : ٢٩ .
(٣٥) الحــج : ٥٥ .
(٣٦) الممتحنــة : ١ .
(٣٧) الممتحنــة : ٢ .
(٣٨) التــوبة : ٢٨ .
(٣٩) التــوبة : ٢٩ .
(٤٠) آل عمــران : ٢٨ .
(٤١) البقــرة : ٢١٦ .
(٤٢) الانفــال : ٢٥ .



هذا هو الحل

د. على عبد المنعم عبد الحميد

عن أبى هريرة قال : بينما نحن فى المسجد ، خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « انطلقوا الى يهود » فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس(١) فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يا معشر يهود . أسلموا تسلموا ، اعلموا أن الأرض لله ولرسوله ، وإنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض(٢) فمن وجد(٣) منكم بماله شيئا فليبعه » .

(متفق عليه)

١ — من سنن الكون التى جبل الله جلت حكمته الوجود عليها ، الصراع الدائم ، والعراك المستمر ، والتناحر بين القوى المختلفة ، والتطاحن الدائب ، والبقاء والثبات لصاحب الغلبة على منافسيه ، تلك سنة الله فى هذه الحياة الدنيا ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ودواعى ذلك لا تمت الى الحق والعدالة بسبب دائما ، بل غالبا ما تكون مميتة للحق ، وقاضية على العدالة ، وان انتمت الى استقامة الأمور ، واستقرار الأمن فى زمان أو مكان ، فذلك هو النادر الأقل ، واذا ضاق قبيل أو جماعة أو أمة بفعل آخرين ولم يستطع له ردا ولا لكيده دفعا ، صاح : هذه شرعة الغاب وتلك طبائع الوحوش ، ولو كانت للشاكى الغلبة فلربما أبدى لخصمه ناجذيه ، وصار أشد فتكا بمقوماته حتى يجليه عن ساحته أو يبيده ليضحي أثرا بعد عين ، وخبرا ينبىء عن حقيقة كانت ووأقع وجد ..

والمستقرىء لحوادث التاريخ عبر ازمانه المتطاولة يدرك أن من بنى الانسان من شذ طبعه نافرا عمن حوله ، غير ملق بالا ، ولا مصيخ سمعا لنداء عقل أو شريعة ، وانما تحكم تحركاته شهواته الجامحة ورغباته الجانحة الى التغلب والسيطرة ، وتقوده غرائزه الثائرة الملتهبة الى التهام كل ما يمكنه

اغتياله ولو كان زائدا عن مطالبه وضرورة لحياة آخرين ولا يجدى معه قول لين ، أو فعال خيرة ، ولا يفيده نصح مهما كان مصدره ، وانما علاجه القوة والشدة ، وأخذه دون هوادة ، وضربه على أم رأسه ليفيق ويستطيع القاء سمعه لما يراد منه ، وفتح عينيه على ما يدور حوله ، ومع هذا فكلما أمكنته الفرصة وثب ، ومتى لاحت له ثغرة ولج الى الشر منها ، وانشب اظفاره فى ضحاياه دون حياء أو وجل ومع هذا فأساة الحياة وترياقها هم رسل الله فياليت الناس يعلمون ..

وقد امتازت شرذمة من البشر فعرفت بمعاداة البشرية جمعاء ، وقتل انبياء الله ومحاولة الانتقاص ممن لم ينشأ على دينهم ، أو لم يسلك سبيلهم مهما كان لونه أو وضعه ، زاعمين أن الله اصطفاهم فهم ابناؤه واحباؤه وشعبه المختار ، ودراسة أحوال اليهود منذ بدء وجودهم على البسيطة تظهر أنهم لا يقولون مجرد قول ، وانما يخططون لما يريدون مسرين إذا اعياهم الجهر ، ومعلنين اذا أمكنتهم الفرصة ، وواتاهم الحظ ، وامسكوا بزمام الموقف ، وقد سيطروا على المرافق الحيوية التى تدر المال — اذ المال عصب الحياة — فى كل بلد وجدوا فيه ، وثبتوا أركانهم فى مراكز الاعلام ، وتطوروا معه كلما تطور عبر الزمان ، وطالب البرهان على هذا لا يعييه أن يراجع الأسماء اليهودية فى المنظمات العالمية المعاصرة على اختلاف اشكالها واهدافها ثقافية او علمية او زراعية أو صناعية بل من الممكن أن يقال : ان كثيرا من الأسماء التى لمعت فى قرننا وعاصرناها كان وراءها يهودى مفرد أو جمعية منظمة أو منشأة سرية ، ولا مبالغة فى هذا ولا تزيد ، فمن هذه الأمور ما انكشف غطاؤه ومنها ما ستكشفه الأيام ..

٢ — ولهذا فليس من العجيب أن يتحدث التاريخ عن حرب اليهود وعداوتهم للاسلام ورسوله منذ اللحظة التى وصل فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا من مكة ، ولندع المجال لابن اسحاق صاحب السيرة العطرة يحدثنا ، كيف ناصب اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم العداء حيث يقول : « ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم » .

ويسرد ابن هشام فى سيرته أسماءهم من بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة ويهود بنى زريق وغير هؤلاء كثيرون ، وفى بيان كذبهم وختلهم وخداعهم والافصاح عن سوء طويتهم يقول واحد كان منهم ثم أسلم ذلكم هو عبد الله بن سلام ، وكان من علمائهم وابن سيدهم قال : « كتمت اسلامى من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، ان يهود قوم بهت (اى أهل باطل) وانى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا باسلامى ، فانهم إن علموا به عابونى وبهتونى . قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : أى رجل الحصبين(٤) ابن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاء به ،

فوالله انكم لتعلمون أنه لرسول الله ، وأومن به ، مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فانى أشهد أنه رسول الله وأومن به ، وأصدقه ، واعرفه ، فقالوا : كذبت . ثم وقعوا بى . قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : الم أخبرك أنهم قوم بهت ، وأهل غدر وكذب وفجور ، قال : فأظهرت إســـــلامى وإسلام أهل بيتى » .

وقد بدأ النفاق فيهم فقد أسلموا تقية ولم يخلص اسلامهم لله ، وكان من أحبارهم من أسلم نفاقا مثل زيد بن اللصيت ، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر الســـماء ، وهو لا يدرى أين ناقته . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءه الخبر بما قال عدو الله فى رحله : ان قائلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر الســـماء ولا يدرى أين ناقته . . ؟ وانى والله ما أعلم الا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، فهى فى هذا الشعب قد حبستها شـــجرة بزمامها . فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف (٥) وقد هادنهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، وعقد معهم معاهدة ، ولـــكنهم لم يرعوا عن خبث طويتهم ، فما لبثوا أن نكثوا العهود ، ونقضـــوا المواثيق ، وبدا من افواههم ما اخفت قلوبهم ، وقد حفلت كتب التاريخ بالكثير من أخبارهم فى هذا المجال ، فلا بدع أن يجليهم صلى الله عليه وسلم عن المدينة الا قليلا من عمال الزراعة ، ولما ولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين وآلت اليه الخلافة أجلى من بقى منهم ولم يدع يهوديا يقيم بالمدينة الا أخرجـــه منهـــا حفاظا على كيان المسلمين ، وقطعا لدابر فتن اليهود وقضاء على فسادهم ، فقد كان الوحى يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بنفاقهم ، وقد انقطع من بعده فخشى عمر رضى الله عنه خيانتهم وغدرهم ووقيعتهم ودسائسهم ، ولم يجد بدا من اخراجهم الى حيث لا يعودون .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما يروى البخارى أنه قال : قام عمر خطيبا ، فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم ، وقال « نقركم على ما أقركم الله » وقد رايت إجلاءهم ، فلما اجمع عمر على ذلك أتاه احد بنى أبى الحقيق فقـــــال : يا أمير المؤمنين اتخرجنا وقد اقرنا محمد وعاملنا على الأموال ؟ فقال عمر : اظننت انى نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف بك إذا أخرجت قلوصك(٦) من خيبر ، تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة » فقال : هذه كانت هزيلة(٧) من أبى القاسم . فقال « كذبت يا عدو الله فأجلاهم عمر واعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وابلا وعروضا من اقتاب (جمع قتب وهو الرحل للبعير كالإكاف لغيره) وحبال غير ذلك » . وفى حديث متفق عليه يحدث ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بثلاثة . قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا (اى أعطوا) الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . قال ابن عباس : وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها .

٣ ـــ ومع التاريخ نجتاز مراحله ، حيث أصبع اليهود تندس فى كل مكان يمكن الله فيه للمسلمين ولو ردحا من الزمان حتى يصبحوا ـــ اى اليهود ـــ هم

السوس الذى ينخر فى عظام الدولة فيهلكها ، وما حديث اسماعيل بن النغريلة بغريب فى تاريخ الأندلس : [فقد نشأ بقرطبة واضطرته فتنة البربر سنة ٣٩٩ هـ الى الهجرة منها فسكن (مالقه) حيث افتتح له دكانا ، وكان قد درس التلمود بقرطبة على الكاهن (حنوك) كما درس الأدب العربى حتى يتقن الكتابة المنمقة بالعربية ، وتوصلت به الأحوال الى ان اصبح كاتبا عند أبى العباس وزير (حيوس) وكاتبه الاعلى ، ولما توفى أصبحت شئون الديوان فى يد اسماعيل ، واخذ يتقرب الى (باديس) طمعا منه أن يحظى لديه اذا هو تولى الحكم بعد ابيه (حيوس) .. وآل امر اسماعيل الى أن اتخذه باديس وزيرا](٨) . وقد مكن لليهود وفيه يقول ابن حيان . [وكان هذا اللعين فى ذاته على ما زوى الله عنه من هداية من اكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكاء ودماثة خلق وزكانة ودهاء ومكرا وملكا لنفسه وبسطا من خلقه ومعرفة بزمانه ومداراة لعداوة](٩) وكان وجوده فى منصبه سببا فى تمكين اليهود فى الشئون المالية والادارية لانه يختار الموظفين منهم فاكتسبوا الجاه فى أيامه واستطالوا على المسلمين ، ولما مات خلفه ولده يوسف على الوزارة ، وقد سلمه باديس أمور الدولة فعاث فيها افسادا ، وكان شديد التطاول على الأديان كثير التدبير للمؤامرات بواسطة النساء غالبا ، وقد كتب رسالة يطعن فيها على الاسلام ، وينفى قداسة القرآن ، ويحاول تقويض أصول الرسالة المحمدية ، ولكن ابن حزم الأندلسى طيب الله ثراه تصدى للرد عليه بكل مفحم مفندا أقواله رادا عليه فعاله ، ولم يخش فى الله لومة لائم رحمه الله ، واجزل مثوبته عن الاسلام والمسلمين .

وتستعلن ثورة ابن حزم على تلك الأوضاع السيئة ، وعلى الحكام الذين يمكنون للذميين من المسلمين ويسلمون الحصون للروم دون قتال ، وعلى تساهلهم فى شئون المسلمين، والاهتمام بمصالح أنفسهم دون مصالح الرعية ، ومع ذلك لا نراه ينصح بالخروج عن طاعتهم وهو فى نفسه فى حيرة من الأمر(١٠) ومع تغلغل اليهود فى مصالح الدولة كانت النهاية الحتمية ، وهو ضياع ملك العرب من الأندلس نهائيا والى الأبد ، وما زال اليهود ينظمون مواقفهم ويحزمون أمورهم بالروية والاتقان مع الخداع والمكر منذ آلاف السنين حتى استطاعوا أن يعلنوا لهم دولة فى أرض المعاد بين أمة عربية اسلامية تحيط بهم من كل جانب ، ولو ان المسلمين فطنوا الى ما رسم لهم سيد الرسل قائدهم وموجههم لما سمحوا ليهودى مهما كانت فائدته الظاهرة لدولتهم ان يقيم بينهم ، أو يوطد له مكانا فى أرضهم ولو كان فى بقائهم خير للأمة الاسلامية لما اجلاهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أرض المدينة ، بل عن الجزيرة كلها حين نفذ ذلك خلفاؤه الراشدون من بعده .

وأما الآن ونحن فى واقع لا يرضى ولا يسر ، فأولى لنا ان نلتقى على فهم لأوضاعنا وادراك لمشاكلنا على انها مشتركة متلاحمة ونعالجها بصبر وحزم وأناة ، وعلى ضوء الإيمان العميق بقدرة الله تعالى وأنه ناصر من لاذ بحماه ، وسلك طريق هداه ، وما طريق هدايته هنا الا ان يأخذ العقلاء بأطراف التوجيه النبوى الكريم ، ويثقوا فى الغد وأنه دائما مع الجادين العاملين ، ولنضع نصب اعيننا تقييم أنفسنا ، وانزالها المنزلة اللائقة بها ، وان لكل فرد حق الحياة

الحرة الكريمة ، وأن من استبيحت حرماته من المسلمين فان مسئولية إقالته من عثرته تقع على كل المسلمين ، ولا يستطيع الفكاك من هذه المسئولية أحد مهما حاول ، والله تبارك وتعالى لا يتر أحدا عمله ، ومن أعان أنبياءه ورسـله لا يعييه أن ينصر المخلصين من اتباعهم أينما وجدوا ، وحيثما كانوا ، والبقاء للأصلح اللائذ بحمى الله ولئن قيل : البقاء للأقوى ، فيجب أن نعلم انه لا قدرة ولا قوة فوق قدرة الله وقوته ، فهو وحده الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وانما الإخلاص له ، والاعتماد عليه ، واتباع سبيله هو العامل الأول للنصر مهما قيل ومهما اضطربت أفهام الناس فى شـئون حياتهم ، ومحاولتهم اللياذ بزيد من الناس أو عمرو ، فالله وحده هو الخالق والقادر والباقى ومدبر كل شىء ، ولكنه قال فى محكم ما أنزل على خير رسله « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» الآية الأربعون من سورة الحج ، وقال عز شانه للمؤمنين « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » الآية (١٥٠) من سـورة آل عمران ، ومن أصدق من الله قيلا .



---

(١) بيت المدراس ــ بكسر الميم ــ هو الموضع الذى كان يجتمع فيه اليهود ليتدارسوا كتبهم ، وقيل العالم الذى يدرس كتابهم ، قال ابن حجر العسقلانى والأول أرجح لأن فى رواية اخرى حتى اتى المدراس .

(٢) اجليكم من هذه الارض ، اى اريد اخراجكم منها والاشارة الى أرض المدينة المنورة ، او ما كانوا يتملكونه من أرضها او الجزيرة العربية كلها ــ بكل قيل .

(٣) فمن وجد وفى رواية فمن يجد .. وهو اما من الوجدان أى يجد مشتريا أو من الوجد أى المحبة والمقصود أن منهم من يحب ماله ، ويشق عليه فراق شىء منه مما يعسر تحويله ، فقد اذن له الرسول الكريم فى بيعه .

(٤) ويظهر أن هذا كان اسمه قبل الاسلام .

(٥) أورد هذا الخبر ابن هشام فى سيرته ص ١٧٤ جـ ٢ طبعه الحلبى بالقاهرة ..

(٦) القلوص : الناقة الشابة القوية .

(٧) الهزيلة تصغير الهزلة وهو ضد الجد يعنى كانت على طريق المزاح ..

(٨) الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم الاندلسى ص ٩ و ١٠ تحقيق الدكتور احسان عبـاس .

(٩) ص ١١ من نفس المرجع .

(١٠) ص ٣٠ من نفس المرجع .

من منهج الإسلام في تربية المجتمع

للدكتـــور عبد العال سالم مكرم

اهتم الإســـلام بالمجتمع اهتمامـــا كبيرا ، فوضع له منهجا سـليما ، ليكون قوىّ البنيان ، قوىّ الدعائم ، لا تنال من قوته أحداث الحيـــاة ، ولا تضعف بناءه أعـــاصير الزمن ، لأنه أقوى من الأحداث ، وأعظم من أن تؤثر فيه هذه الأعاصير .

نعم ، أهتم الاسلام بالمجتمع ، لأن الصـــراع بين الأفـــكار المتنـــافرة ، والعقائد المختلفة والقيم المتضـــاربة لا تخمـــد جـــذوته ، ولا تنطفىء ناره طوال الحياة ، سنة الله فى خلقه ، « ولا يزالون مختلفين إلا من رحـــم ربك » وحتى لا تختلط القيم ، وتتشوه المعالم وحتى يثبت لهذا المجتمـــع الاسلامى نوره الذى يهدى ، وحقـــه الذى يرشد ، وخيره الذى يقود .

رسم الإسلام منهجا واضح المعالم لتربية المجتمع فمـــا هو إذن هـــذا المنهج ؟ هذا المنهج يتكون فى نظرى من أسس كثيرة ، ومن أهمّ هـــذه الأسس :

التربيـــة فى إطـــار العقيـــدة .

التربيـــة فى إطـــار الأســـرة .

التربيـــة فى إطـــار الأخـــوة .

أما التربية فى إطار العقيدة ، فان الانسان فى غيبة الرسل لم يستطع بعقله القاصر أن يدرك أسرار هـــذا الوجود ، ومظاهره العديدة المختلفة فالشمس تشرق ، والنجوم تسطع ، والليل يظلم ، والرياح تدوى ، والموت والحياة فى صراع دائم فى مجالات هذا الكون المختلفة .

من يصنع هـــذه العجائب كلها ؟ من يدبرها ؟ من ينظمها ؟ من يهيمن عليها ؟ من يخطط لها ؟ أسئلة عديدة لم تستطع العقول القاصرة فى غيبة الرسل أن تجيب عن هذه التساؤلات .

واشتدت بها الحيرة ، واستولى عليها العجز ، فتصـــوّرت أنّ وراء

هذا الكون قوة مدبّرة تصوّرها العقل العربى فى شكل وثن أو حجر فعبدها من دون الله .

وتصـــورها العقـــل الفارسى نارا تتأجج وتشتعل فخضع لها من دون الله .

وتصورها العقل المصرى القـــديم فى شكل عجل له خُوار فأحنى راسه لها اجلالا من دون الله .

وشارك العقـــل الاســـرائيلى فى صنع هذه الخرافة حتى مع وجـــود رســـولهم موسى عليه الســـلام بين ظهرانيهم حيث « اتخـــذوا من حليهم عجلا جسدا له خوار ، وقالوا : هذا إلهكم ، وإله موسى فنسى » .

وحينما أشرقت شمس الاســـلام بددت غشاوة النفوس ، ومحت ظلام العقـــول وأثارت فيهـــم التطلع الى المعرفة الحقة ، التطلع الى خـــالق هذا الكون ومدبره على أساس الفطرة السليمة التى لا تعرف الخداع ، ولا تميل عن الحق « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

وفطـــرة الله تقتضى أن يكون رب هذا الكون هو الإله الواحد الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء

ومن صفات هذا الإله الوحدانية : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد »

وبالوحدانية ينتظم الكون ، وتسير سفينة الحياة ، وصدق الله العظيم : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » « فسبحان الله رب العـــرش عمـــا يصفون » .

وبالوحدانية نعيش فى مأمن من الكوارث المدمرة ، فقد تخر علينا السماء من فوقنا وتتفجر الأرض من تحتنا اذا كان مع الإله الواحد آلهة أو شركاء . وصدق الله العظيم : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه إله إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

اما والســـماء التى فوقنا لا زالت هى السماء ، رفع سَمْكَها فسواها وأغطش ليلها واخـــرج ضـــحاها ، والأرض التى تحتنا هى الأرض التى تمدنا بالحياة أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبـــال أرساها متاعا لنا ولأنعامنا فان ذلك لن يكون إلا فى ظلال الإله الواحد الذى خلق سبع سموات طباقا « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

ومن صـــفات هـــذا الإله الدوام الأبدى : الدوام الذى لا يحيط به مكان ولا يحده زمن ، وفى ظلال هذا الدوام الأبدى لا يغيب سلطانه ، ولا تتوقف إرادته بيده مصائر الأمور .

وفى مجال هـــذا الدوام الأبدى عرض علينا ابراهيم عليه الســـلام درسا فى الايمان بهذا الإله الدائم .

فقد رأى ابراهيم عليه الســـلام بفطرته الصافية أن من اكبر ظواهر الكـــون التى لا تغمض عنهـــا العين النهار بشمسه والليل بنجومه ، فقد رأى الكوكب يشرق ويضىء ، قال هذا ربى ، ولكنه حينما ولىّ وغاب كفر بهذا الرب ، لأن الرب لا يغيب ، ثم تدرج فى تفكير نهجى الى القمر ، رآه بازغا يبدد ظلمات الليل ، فقال : هذا ربى ، ولكن القمر اختفت معالمه وانطفـــأ نوره فكفـــر به لأن الرب لا يغرب ولا يغيب ، ثم تدرّج بعد ذلك الى الشـــمس فرآها قوة هـــائلة ، أضخم قوة فى هذا الوجود ، فقال : هذا ربى ، هذا اكبر ، وانتظر يراقب هـــذا الرب الأكبر واذا به يمـــوت ويحتضر ثم يولىّ الأدبار ، ماذا بقى بعد ذلك من ظواهر الكون اكبر من هذه الظواهر ؟ حينئذ اتجه إيمانه الى الله الذى خلق الشمس والقمر فقال بعد أن نفدت حجة معانديه : « إنى برىء مما . . تشركون . . إنى وجهت



وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين » .

ومن صفات هذا الإله انه عليم ، نفذ علمه الى كل شيء فى هذا الكون الى الورقة الجافة الساقطة ، الى الحبة فى ظلمات الأرض ، الى الصَّدفة فى قاع البحر ، وصدق الله العظيم : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

وليس هذا الإله فى حاجة الى فلسفة تدلّ عليه ، أو علم معقّد يشير إليه ، لأن طريق معرفته فطرى تحسه النفس ، ويشعر به القلب ، وينقاد إليه العقل ، فى غير حاجة الى تزاحم الأدلة ، أو تعدد البراهين .

سأل رجل جعفر الصادق عن الله فسأله جعفر : الم تركب البحر ؟ قال : بلى . . فقال جعفر : هل هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم ، فقال جعفر : فهل خطر ببالك ، أو انقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك ان شاء ؟ قال : نعم . قال جعفر : فذلك هو الله .

وصدق الله العظيم : « هو الذى يسيركم فى البحر حتى اذا كنتم فى الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » .

ومن أجل تثبيت هذه العقيدة فى القلوب دعا الاسلام اصحاب العقول الى التفكير فى ظواهر هذا الكون لتتفتح عقولهم الى المعرفة ، وقلوبهم الى الحق ، لأن الحجة واضحة ، والمعالم بيّنة ، وكل ما فى الكون صغر أو كبُر ، دقّ أو جلّ يأخذ بيدك الى الحقيقة التى لا تقبل المراء والجدل ، بل تدعوك الى الايمان والتسليم .

وفى القرآن الكريم آيات عديدة لا يتسع هذا البحث لذكرها ، وكلها تشير الى التفكر فى خلق السموات والأرض ، والتدبر فى اختلاف الليل والنهار ، والنظر فى الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، « وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض » .

كل ذلك من اجل ان تنبت العقيدة الصافية فى القلب ، وتضرب شعابها فى النفس ، وبذلك يكون الاسلام قد وضع الأساس الأول للتربية فى ظل العقيدة .

والتربية فى إطار العقيدة تتطلب من المسلم أن تكون وجهته لله وحده فهو الذى يحميه ويرعاه ، ولا يقدر احد غيره أن يجلب له نفعا أو يمنع عنه ضرا وشعار المسلم فى هذا قوله عليه السلام :

« اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » .

وفى مجال التربية بالعقيدة : يقترب المسلم من ربه ليسمعه صوته فى تضرع وتذلل ليرد عنه العوادى ، وينقذه مما حلّ به من اخطار .

وشعار المسلم فى هذا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ،

أجيب دعوة الداع إذا دعـان » . وبذلك يتحـرر المسـلم من وساطة الوسطاء ، وشفاعة الشفعاء .
والتربية فى إطار العقيدة : ترشد المسلم الى أن الله معه ، لا تغيب عنه صـغيرة ولا كبيرة ، يطـلع عـلى السرائر ، لا تخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. « سواء منكم من أسر القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار » وبذلك يتحـرر المسلم من نفسه ، فلا تدفعـه الى الاسرار بغدر ، أو ظلم ، لان الله يستوى فى علمـه السر والعـلن ، والخفاء والجهر .
ومن هنا يتعلم المسلم كيف يستبدل الخيـر بالشـر ، والحـب بالبغض والطاعة بالعصيان . وصـدق الله العظيم : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هـو رابعهم ولا خمسة الا هـو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة . ان الله بكل شيء عليم » .
هذا هو الخط العريض فى تربيـة المسلم على العقيدة التى تصنع منه إنسانا ساميا فى إنسانيته ، مؤمنا كاملا فى ايمانه ، فاذا ما انتقلنا الى النقطـة الثانية أو للأساس الثانى للتربية فى إطار الأسرة نجد اننا قدمنا للخلية الاولى فى البناء الاجتمـاعى وهى الأسرة نموذجا حيا يستطيع ان يؤدى دوره الاجتماعى فى صـلابة وإيمان ، ذلك النموذج الحى متمثل فى المؤمن صاحب العقيدة . والأسرة فى نظرى هى الخلية الأولى للمجتمع على أساسها يقـوم وعلى دعائمها يقوى ، وبسببها يتطور .
لهذا ، فان النظرية التى تقول : ان الفرد أساس المجتمع أو الخليـة الأولى للمجتمـع تحتاج إلى نقاش ، فالفرد وحده لا يزال ناقص التكوين الاجتمـاعى لانه يعيـش فى دائرة ضيقة جدا بعيدا عن الحقل الاجتماعى الى أن يتم وجوده ، ويكمل تكوينه بالزواج ، وبالزواج تتكون الأسرة الصـغيرة التى تعتبر بحـق اللبنة الأولى فى بناء المجتمع .
وكيف يستطيع الفرد وحـده أن يكوّن هذه الخلية ، وهو بعيد عـن الحركة والتفاعل وهمـا صفتان من أبرز الصفات التى تميز الأسرة .

وليس من عجب أن نجد فى هذه العبارة المأثورة : « من تزوج فقد كمل نصف دينه » إشارة واضـحة الى المعنى الذى أقصد اليه ، وهو أن الفرد وحده نصف خلية بالنسـبة للمجتمـع ، لأن الخليـة الكاملة لا تتكون الا بالزواج . وقد تمتد هـذه الأسرة الصغيرة وتنمو فتشـمل الأقرباء بدرجاتهم المختلفة فى القرابة ، ومن هـذه الأسرة يتكون المجتمـع الكبير .
وما أعظم التعبير القرآنى المعجـز فى بيانه الخلاب حينما يقول الله عز وجل : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وبث منهما رجـالا كثيرا ونساء » .
إنه تعبير قوى يحمل فى طيـاته الخطـوط الأولى للتكوين الأسرى . والنفس الواحـدة تشتق منها نفس اخرى ليتعـاون النفسان فى البناء المشترك لتكوين خلية اجتماعيـة صالحة ، لأن تكون منطلقا عظيمـا لبناء مجتمع عظيم .
والاسلام لا يقف عند معنى التكوين الأسرى فحسب ، بل انه يؤكد هـذا المعنى فى إطارات مختلفة .

فمرة يبين لنا أن تكوين الأسـرة نعمة كبرى فى مجالها تنمو الفضيلة وفى مجـالها تسود العفـة ، وفى مجالها تسعد النفس ، وتقر العين .
فيقول عز وجل : « والله جعل لكم من انفسكم أزواجا ، وجعل لكم من

أزواجكم بنين وحفدة . ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله هم يكفرون » . وقد هزنى التعبير القرآنى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجا » لم يقل خلق لكم أزواجا . لم يقل خلق لكم من مادة أجسامكم نساء، ولكنه قال : من أنفسكم ليؤكد لك أن الزواج تمازج روح بروح ونفس بنفس ، وقلب بقلب ، وذلك ليسد الطريق على الانفصام النفسى بين الزوج وزوجه . فان هذا الانفصام يؤدى الى كوارث عديدة ، تحطم البناء ، وتضيع المجتمع .

ومرة أخرى نجد القرآن الكريم يؤكد معنى الحب ، والتمازج النفسى بين الزوجين فى صراحة ووضوح ، فيقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .

ومرة ثالثة يعلمنا القرآن الكريم أن نسأل الله تعالى هذه النعمة العظمى بأن يجعل الزوجة وذريتها مثالا حيا لاسعاد النفس ، وراحة القلب من ناحية ومثالا حيا للتقوى والايمان ليكون مثالا يحتذى ، ومنهجا يقتدى به من ناحية أخرى .

فيقول : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما » .

بعد هذا العرض الموجز لمكانة الأسرة ، وموقعها بالنسبة للمجتمع ، لنا أن نتساءل عن الأسس التربوية التى رسمها الاسلام ليقوم عليها بناء الأسرة .

من هذه الأسس :

الحث على الزواج ، فالاسلام ينهى عن العزوبة ، لانها تحلل من المسئولية وهروب من الواجب ، وحرب على المجتمع .

ولا أدل على ذلك من هذا النداء الحار الموجه الى الشباب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . والأمر فى هذا القول النبوى يشعر الشباب بهذا الالتزام ما دامت القدرة على الزواج متوافرة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من النصح والارشاد ، بل تجاوزه الى التهديد والزجر حيث يقول عليه السلام : النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ومعنى هذا أن هؤلاء الذين يملكون القدرة على الاسهام فى بناء المجتمع بطريق الزواج ، ثم ضنوا بهذه القدرة عليه ، أو صرفوها فى اتجاه مضاد ، فهؤلاء مخربون للبناء ، محطمون للأسس ومن كان كذلك فان انتسابه الىالاسلام انتساب شكلى ، انتساب مجرد من الروح والايمان ، والعاطفة أو بعبارة أدق : من أعرض عن سنة رسول الله فان انتسابه الى الاسلام تمويه وتزييف ، وخداع وتضليل .

ومن هذه الأسس :

اختيار الزوجة : ذلك لان سلامة الأسرة ، والحفاظ على كيانها يرشد الى الزوجة التى تستطيع أن تقوم برسالتها فى الأسرة خير قيام .

وحصر الاسلام اختيار الزوجة فى مجال واحد من مجالات الزواج العديدة وهو مجال الدين ، والدين وحده .

يتضح لنا ذلك من قوله عليه السلام : تنكح المرأة لأربع : لمالها ، وجمالها ، وحسبها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك .

والتعبير بالظفر يشير الى أن ذات الدين صَيْد ثمين ، يبحث عنه ، فاذا ما ظفر به المسلم ، ثم فرط فيه ، أو تركه ليضيع منه ، فقد أضاع سر السعادة ، وطمأنينة النفس ، وراحة القلب ، ومن كان كذلك فهو غبىّ أحمق ، لا يقدر النعمة ، ولا يحرص على اسعاد نفسه . ولذلك كان عرضة للوم والنقد ، بل كان عرضة للاستخفاف به ، والدعاء عليه بالهلاك

والخسران ، وهذا المعنى متجسد فىقوله عليه السلام : « تربت يداك » اى التصقت يداك بالتراب ، وفى هذا كناية عن الفقر الذى يصيبه والحرمان الذى يناله حينما يقصر فى اختيار ذات الدين .

والاسلام سوّى بين الزوج والزوجة فى هذا المضمار فكما أن الرجل يبحث عن ذات الدين كذلك الزوجة تبحث عن طريق ولى أمرها عن الزوج الصالح .

وهذا المعنى حدده النبى عليه السلام فى صراحة ووضوح حيث يقول مخاطبا أولياء الامور : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

وليس هناك أبلغ من هذا التهديد لانه اذا تركت القيم الصالحة تحت وطأة المادية المستبدة ، والرغبات العارمة ، والشهوات الجامحة ، اختلت الموازين وكثرت الفتن ، وانتشر الفساد .

والنفس البشرية أمّارة بالسوء ، فلو تركت وشأنها لتحولت الى وحش كاسر يلتهم كل شىء فى سبيل أنانيته ورغباته .

ومن هنا فان الاسلام رسم للأسرة خطا واحدا لا ينحرف ولا يميل وهو خط الدين .

وبهذا الخط تتخطى الأسرة مشكلاتها الجارفة التى تقف فى طريقها لتهدد كيانها ، وتقضى على وجودها .

قد تخطىء الزوجة ، وقد يخطىء الزوج ، وبسبب هذا الخطأ قد تندلع نيران الغضب ، ويشتد أوار الأزمة التى ربما أدت الى الطلاق ولا يطفىء هذه النيران ، ولا يخمد اوار هذه الأزمة غير الدين ، الدين الذى يأمر بالتسامح ، الدين الذى يذكّر بالمودة الدين الذى يرغب فى الاحسان .

أذكر أن رجلا جاء لعمر رضى الله عنه ، وقال له : ان حبه لزوجته قد خبا وأنه يريد أن يستبدل بها . فقال له : ويحك ؟ أو كلّ البيوت تبنى على الحب ؟ أين تقوى الله وعهده ؟ وأين حياؤك منه ؟ وقد أفضى بعضكم الى بعض ، واخذنا منكم ميثاقا غليظا .

وسأل رجل الحسن البصرى فى خاطبين تقدما لابنته : ايهما يزوج ؟ فقال له : ارضاهما دينا ، فانه ان أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها .

ومن هذه الأسس :

رعاية الأولاد وتربيتهم فى إطار الاسلام وتنشئتهم عليه .

والاسلام اهتم بالأولاد فى أطوار حياتهم المختلفة .

اهتم بهم فى بطون أمهاتهم حينما كانوا أجنة ، فأباح للأمهات الفطر فى رمضان اذا خشين على أجنتهن الهلاك .

وارشدنا الى حسن استقبالهم حينما يفتحون أعينهم على هذا الوجود وذلك بشكر الله وذكره ، واسماع الوليد بطريق اذنه هذا الذكر حيث ارشدنا الاسلام أن نؤذن فى أذنه اليمنى او نتلوا اقامة الصلاة فى أذنه اليسرى .

وما اجملها اشارة عظيمة حيث نعلن هذا الوليد بصوت الاسلام منذ اللحظة الاولى فى هذا الوجود .

ومن حق أفراد الأسرة أن يتمتعوا تمتعا ماديا بجانب المتعة الروحية فسنت العقيقة التى يذبح لها المسلم فى تمام الاسبوع الاول من ولادته شاة أو شاتين لمن استطاع .

ولم يترك الاسلام الوليد يربّى وفق الرغبات والأهواء ، فقد شرع له من القوانين التى تحميه وترعاه حتى يبلغ سن الرشد .

والفقه الإسلامى زاخر بهذه القوانين فى الرضاعة ، فى الفطام ،

من منهج الإسلام في تربية المجتمع

فى الحضانة ، فى النفقة ، وفى التربية .

والاسلام يطالب الآباء والأمهات أن تكون القاعدة التى تقوم عليها التربية هى الدين ، فبالدين نغرس فى نفوس الناشئة حب الفضائل من سلوك وقيم ، لتصبح هذه الفضائل حين التعود عليها جزءا من كيانهم ، وطابعا لشخصيتهم ، وبذلك تسهم الأسرة فى نشر الفضائل فى المجتمع ليكون مجتمعا فاضلا ، وقد علَّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مسئولية تنشئة الأولاد على الدين مسئولية كبيرة جدا حيث يقول عليه السلام :

« كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

ولا ادل على ذلك أيضا من أنه عليه السلام سمع أما تنادى وليدها ، وترغبه ليقبل عليها ، وتقول له : تعال أعطك ، وتشير الى شىء ، ولم ير النبى عليه السلام معها شيئا . فقال لها : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : ثمرة معى فقال صلى الله عليه وسلم أما انك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة .

يالله ، انه الصدق الذى يربى الاسلام الناشئة عليه ليكونوا المجتمع الصادق وما أحوج المجتمع الى الصدق . ان الصدق حينما نلفظ به يعتبر كلمة واحدة فى عداد الكلمات ، ولكن كلمة الصدق فى حقيقتها تحتها كل الكلم ، وفيها كل التقدم ، بل فيها سر الحياة الكريمة ، والحرية العظيمة والتطور الكبير .

وما أحقر الكذب ، انه يأكل الفضائل كما تأكل النار الحطب ، والمجتمع المجرد من الصدق مجتمع عار من كل شىء ، مشوه فى تقدمه ، مخادع فى تطوره ، منافق فى تحرره مزعزع فى بنائه .

والاسلام حينما يأمر بهذه الرعاية للأبناء ، فانه يأمر الأبناء ايضا حينما يضعف الآباء وتقل قدرتهم على العطاء أن يبرّوهم ، ويحسنوا اليهم . والبر فريضة واجبة ، من تخلف عنها فى مجال الأبوة كان غادرا خائنا ، لأنه لم يرد الدين ، ونسى ماضيه الحافل بالمتاعب المملوء بالكفاح والنضال من أجل تربيته وتكوينه .

ولهذا فان عقوبة العاق لوالديه كبيرة وخطيرة ، فقد جعل عليه السلام العقوق من اكبر الكبائر .

ويكفى أن الله سبحانه وتعالى جعل البرّ بالوالدين مقرونا بطاعته فقال تعالى : « وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا » .

هذا والتربية فى مجال الأسرة تنقلنا الى مجال أوسع واكبر وهو التربية فى إطار الأخوة .

نعم ، ان الاسلام حرص الحرص كله على أن يبنى الأمة على أسس الوحدة التى لا تعرف التفرق ، والقوة التى لا تعرف الضعف ، والحب الذى لا يعرف الكراهية والبغض .

وفى ظلال الوحدة والقوة والحب يتعالى المسلم على الجنس والعصبية والدم واللون ، ليحيا حياة جديدة ، الايمان رائدها ، والعقيدة شعارها ، واذا كان رباط الأخوة فى الأسرة الصغيرة يقوم على الدم فان رباط الأخوة فى الأسرة الكبيرة يقوم على الروح والمودة .

وبذلك الرباط تتحول الأمة جميعا على اختلاف أجناسها والوانها الى

اسرة واحدة الاسلام منها بمثابة الأب الذى تنتسب اليه أفرادها جميعا ، وحينئـــذ تتحـول القـلوب الى الاستمساك به ، والدفـاع عنـه ، والموت فى سبيله ، وقد صور هــذا المعنى شاعر عربى مسلم فقال :

أبى الاسلام لا أب لى سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم

وقد رسم الاسلام لهذه الأخـوة معالم واضحة ، ترشد الضال ، وتنير الطـريق للحائر وتعلم المســلم كيف يتعامل مع أخوته المسلمين .

فمن هذه المعالم :

الاحساس بحاجات المؤمنين مادية أو معنوية ، فهذا الاحساس يتطلب المزيد من الرعاية ، والرحمة والحنان

وقد وضع الرسول عليه السـلام هذا الاطار الكبير لهذه الرعاية فقال : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يابن آدم مرضت فلم تعدنى ، قال : يا رب ، كيف أعــودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده .

يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب : كيف أطعمك وأنت رب العـالمين .؟ قال : أمـا علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عنـدى .

يا بن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبـدى فلان فلم تسقه ، أما علمت انك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى » . رواه مسـلم .

ومن هذه المعالم ارتباط الاخـوة المؤمنين جميعا برباط العقيدة وسد الثغرات أمام من ينفذ منها لتفريـق الكلمة ، وبث الفتنة ، واثارة النزاع.

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعــداء فألف بين قلوبكـم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

ومن معالم الأخوة التعامل بالأدب والخلق ، فلا يسمح الاسلام بالنيل من كرامة مسلم ، أو السخرية به أو عرض عيوبه على الملأ ، فالمسلمون جميعا جسم واحد ، ولا يصح لمسلم عاقل أن يصوب السهم الى نفســه ، أو يحطم بناءه بيده .

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيـرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالالقاب . »

ومن معالم هذه الأخوة القضاء على دواعى البغض والحقد ، وذلك بسد الباب أمام هواجس النفس ، وخطرات الفكر التى قد تكون قائمة على غير أساس .

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظــن ان بعض الظــن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .

والتسامح والغفران من أوضـح معالم هذه الأخوة فقد روت أم سلمة رضى الله عنها قالت :

« جاء رجلان من الأنصار يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بيّنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم تختصمون الى وإنما انا بشر ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى

بينكم بما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار يأتى بها انتظاما فى عنقه يوم القيامة .

فبكى الرجلان ، وقال كل منهما : حقى لأخى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما اذا قلتما فاذهبا فاقتسما ثم استهما ، ثم ليحلل كل منكم صاحبه .

ولهذا ، فان هذه الأخوة قدسيتها مستقرة فى القلوب والنفوس ، من خرج عليها ، أو نال منها ، كان جزاؤه شديدا ، وعقابه صارما وليس هناك عقاب أشد من لعنة الله ، لأن اللعنة طرد من الرحمة الإلهية . ومن طرد من رحمة ربه كأنه خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

يصور ذلك هذه الحادثة التى تدل على قدسية هذه الأخوة .

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، فقال له : اذهب واصبر ، فأتاه مرتين وثلاثا ، فقال له : اذهب فضع متاعك على ظهر الطريق ، فوضعه فجعل الناس يمرون عليه ويسألونه فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه ، فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال يا رسول الله ، لقيت من الناس قال : وما لقيت منهم ؟ قال : يلعنوننى قال : لقد لعنك الله قبل الناس . . فقال : إنى لا أعود . فجاء الذى شكا وقال : ارفع متاعك فقد كفيت .

ومن معالم هذه الأخوة الايثار ، والايثار حرمان النفس ، واعطاء الغير ، وهى تربية اسلامية تنسى المسلم نفسه فى سبيل غيره .

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول :
« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون » .

على أن هذا الحب الأخوى ليس سهل المنال ، لأنه لا يقدر عليه الا أولو العزم من الرجال .

ولذلك فان هؤلاء الذين التزموا شعاره ، وطبقوا منهجه سينالون من الله تعالى درجات لا تعدلها درجات انها درجات كبرى يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء يوم القيامة .

يصور ذلك النبى عليه السلام فيقول : « إن من عباد الله ناسا ما هم أنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا : يا رسول الله فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ، ان وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : « الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

بعد ، فاننا اذا استطعنا أن نتربئ على هذه المستويات مستوى العقيدة ومستوى الأسرة ، ومستوى الأخوة استطعنا ان نخطو بمجتمعنا العربى والاسلامى خطوات واسعة الى الأمام .

أرجو الله أن يلهمنا الى ما فيه الخير والرشاد .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم
ومضة من النور

محمد فوزي

للدكتور احمد الحجى الكردى

لقد كانت الجزيرة العربية قبل الاسلام تغط فى ظلام دامس من الجهل والتفكك والتخلف الحضارى ، كانت تعيش فى جاهلية تعم جميع نواحى الحياة فيها ، اجتماعية كانت او سياسية أو تشريعية أو دينية .

اما من الناحية الاجتماعية فقد كانت مزقا تعيش فى جملتها على الرعى والكلأ تنتجعه طيلة السنة ، وتتنازعه وتقتتل عليه فى كثير من الأحيان ، فتعم بينها البغضاء والأحقاد وتفنيها الثارات والعصبيات وتفرق بينها المصالح المادية الموقوتة ، فتنشب بينها الحرب لأتفه الأسباب ، وتعم ويطول أمدها وتمتد نارها حتى تاتى على الأخضر واليابس ، وما يوم بعاث ، وغيره من أيام العرب الكثيرة بخاف على أحد .

واما من الناحية السياسية ، فقد كانت الجزيرة العربية تشكل وتتالف من جماعات متفرقة لا يربطها رابط ، ولا يجمعها جامع على ما فيها من مقومات الوحدة ، من النسب ، والأرض ، والتاريخ واللغة .

فقد كان العرب فى جزيرتهم يعيشون قبائل متفرقة لا ينقاد بعضها الى بعض ، ولا يجتمع بعضها مع بعض ، وكم من الحروب حدث بين أولاد العم بل الأخوة أحيانا ففرقهم الى معسكرين متعاديين يحملون أحقادا ، ويضمرون لبعضهم ضغائن ، ولو ذهبنا نتتبع الأمثلة على ذلك من حياة العرب فى الجاهلية لضاق بنا الورق عن استيعابه ، وان كان ولا بد من التمثيل ففى الأوس والخزرج خير مثال على ذلك . حيث أنهما قبيلتان من نبت واحد وأرض واحدة ، جمع بينهما النسب والأرض واللغة والاشتراك بلوعة الاغتراب من أرض اليمن الى يثرب تحت وطاة ظروف قاسية مشتركة . ومع ذلك فقد كانتا على مر التاريخ متعاديتين متقابلتين متحاربتين ، لم يجمعهما ويوحد شملهما الا نبى الانسانية محمد بن عبد الله — صلى الله عليه وسلم — بعد ما قدم الى المدينة المنورة وشرفها بشريعته الغراء ، فكان بذلك البلسم لجراحهما ، والروح لجسدهما .

هذا التفتت السياسى الذى كانت تعيشه الجزيرة العربية قبل الاسلام هو الذى افقدها مكانتها فى المجتمع الدولى ، على ما للعرب من شجاعة كانت مضرب المثل لدى الأمم الأخرى ومهارة فى التجارة كانت الرائد للأمم جميعا على مر التاريخ ، وموقع استراتيجى كانت تنحنى لأهميته هامات الفرس والروم ، وفصاحة لسان ونقاء فكر جعلاهم مهبطا لخاتمة الرسالات وأصلا لسيد المرسلين وخاتمهم سيدنا محمد — عليه الصلاة والسلام — .

ذلك أن المكارم تضيع بالتفتت ، وتتلاشى بالتفرق ، وتفقد قيمتها ورونقها وتاثيرها بالتمزق .

هذا ما كان يحصل للعرب فى جزيرتهم ، فقد كانت الدول المجاورة لهم — على ما بينها من اختلاف — تتفق على تشتيتهم واضعاف قوتهم وامتصاص خيراتهم دون أن يستطيعوا هم الدفاع عن أنفسهم أو حماية مصالحهم .

وأما من الناحية التشريعية ، فقد كانوا صفرا ، ليس لهم من النظم الا بعض أعراف بالية وتقاليد سخيفة ، وشرائع جاهلية ، ومثل تضل طريقها فتنحرف عن جادة الصواب .

أما من الناحية الدينية فقد كانوا يسيرون على أوهام لا يعرفون هم أنفسهم مؤداها ولا معناها . كانوا يعبدون أوثانا وأصناما صما بكما يعلمون حق العلم أنها لا تضر ولا تنفع ويعلمون أنها أعجز من أن تحمى نفسها من ضربات المعتدين عليها ، ولكنها آلهة الآباء والأجداد ولا معبود غيرها ، ولا بد أنها وأسطة الى الرب الحقيقى الذى هو جدير بالعبادة والتعظيم والتقديس . خرافات وأوهام يتمسكون بها لا تقنع الانسان العادى الساذج فكيف بها تقنع العربى الذى نقلت لنا عنه لغة هى من أرقى اللغات التى عرفتها البشرية فى تاريخها الطويل مما يشهد بعلو تفكيره ونقاوة ذهنه .

ان الجزيرة العربية كانت فى ذلك الحين تعيش وسط دوامة من التناقضات والاوهام والهواجس تضيع قوتها وتبدد مكنتاتها التى يمكن أن تمد بها الانسانية بفيض من الخير عظيم .

فى هذا الخضم المتلاطم المتناقض بعضه مع بعض ، وهذا المجتمع غير المستقر الذى يضل طريقه الى الحق والخير انبثق نور النبوة بولادة سيد العالمين وخاتم رسل الله أجمعين محمد بن عبد الله — عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — فقد كان مولده الشريف على أصح الروايات عام الفيل عام سبعين وخمسماية بعد الميلاد من

أسرة قرشيـــة عريقـــة فى الشرف والعزة ، ومن سلالة طاهرة تربطه بأبى الأنبياء سيدنا ابراهيم عليـــه السلام ، فقد كان نبينا الكريم عليـه صلوات الله وسلامه من سلالة سيدنا اسماعيل عليه السلام تلك السلالـــة التى كانت منار هدى للانسانية فى كثير من عصورها تنقل اليها نور الله وهدايته فهو بذلك خيار من خيـــار من خيار كما روى عنه ذلك صلوات الله وسلامه عليه .

ولد ــ صلى الله عليه وسلـم ــ وسط هذا الظلام الدامس الذى كان يلف الجزيرة العربية من جميـــع جوانبها فيخفى عن الناس معالمها ، ويحرمهم خيرها الوفير ، فكـــان الومضة الأولى التى انذرت هـــذا الظلام بقرب بوزغ نور الفجر الذى لا يلبث أن يعم الآفاق ، آفاق الجزيرة العربية والعالم أجمع ويزيح عنـــه ذلك الكابوس الثقيل ، وتلك الغشاوة الساترة .

ولد عليه الصلاة والسلام فكـــان مولده البشارة فى خلاص الانسانية المعذبة مما كانت تعانيه من جهل فى الجزيرة العربية ، وظلم وجور وتسلط فى أصقاع الأرض المختلفة .

فقد نهض ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ فى شبابه يتلهـــف لتخليص أمته مما هى فيه من انحراف عـــن الحق وضلال فى الوصول اليه ، فكان يقلب وجهه فى السماء ، ويدعو ربـــه أن يهديه سبيل الرشاد ، سبيل الحق الذى به يتمكن من قيادة الانسانيـــة المعذبة جمعاء فى دروب الخير الذى خلقت له ، والعبـــادة الحقة التـــى تمحض وجودها لها « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

كان يتعبد الله فى غار حـــراء الليالى ذوات العدد إعدادا لنفسـه ليوم ثقيل يتحمل فيه قيادة الانسانية من أقصاها الى أقصاها الى اللـــه تعالى . الى أن تم لـــه ذلك حيـــث استجاب الله سبحانه دعوته وحقـــق أمنيته فانزل عليه جبريل بآيات القرآن الحكيم دستور الانسانية ونظامهـــا الشامل ، الذى فيه نبأ من قبلهـــا ، وخبر من بعدها ، وفصل ما بينها . فكان بحق للانسانية رحمة ، وللعرب خاصة عزا وشرفا ، فقد وحد شملهم بعد تفرق ، وجمع أشتاتهم بعد تمزق وأخلص فكرهم وعقيدتهم لله تعالـــى بعد شرك ، وأحل بينهـــم المـــودة والإخاء بعد شحناء وبغضاء أكلـــت أكبادهم ، فكانوا بحق قادة العالـــم ورواد العلم والفضيلة بعد ذل وجهل وتخلف وصدق الله تعالى حيث يقول « وانه لذكر لك ولقومك » ويقول « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

فلك يا رسول الله ، يا رائـــد الانسانية الى الله تعالى فى يـــوم ذكرى مولدك الشريف الحبيب أفضل صلاة وسلام من عباد طالما أحبوك وبذلوا الجهد فى سبيل اللحاق بـــك واقتفاء خطواتك فقصرت بهم الهمـــم وكلت منهم العزائم قبل أن يدركوا ما وصلت اليه أو وصل اليه أصحابـــك من علو مقام ، وكبير شأن . فعذرا عن التقصير ، وصفحا عن التفويت ، واللـــه ما كان العـــزم إلا جزما ، والقصد الا حسنا ، والجهد إلا كاملا ، ولكنه السبق فيـــك وفى أصحابـــك سجية ما لنا بها من لحاق ، واللـــه نسأل أن يقبل منا عملنا ، ويثيبكم عنا خير الجزاء فهو الملاذ ، وهو الصمد القائل « ادعونى أستجب لكم » .

الحب في الإسلام

للشيخ عبد الله النورى

سألنى سـائل قال : ـــ

هل للمسـلم أن يحب ؟

وجوابى له : ـــ

إن الحديث عن الحب شائق ، وأن البحث فيه شائك .

والله جلّ شأنه لما منح الحياة للحيوان منحه معها الحب ، فالحب فطرة يهبها الله مع الحياة . أم الحيوان تحب صغارها وتدافع عن حياتها ، إذا ما اعتدى عليها معتـد ، وقد تهلك فى هذا الحب .

والانسان أى انسان يحيا ليحب ويحب ليحيا ، وقد صدق من قال : ـــ « الحياة الحب والحب الحياة » .

وإن لحظات حب يعيشها الانسان مع محبـوبه يحس بها المحب معنى الحياة . فيشعر بالغبطة ويتذوق لذة السعادة وحلاوة النعيم .

وأن أول ما يمنحه الخالق للانسان حين يهبه الحياة هو الحب .

فالأم وهى تحمل جنينها — وهنا على وهن — تحس وكأنه جزء من جسمها ، بل أعز جزء فى جسمها . وبعضهن تراها وقد ذاب وجودها فى حملها وكأن ذاتها فى ذاته .

والأم وكل أم متى أحست بحركة جنينها بدأت تهىء له ما يحتاجه بعد ولادته فتراها تقضى كل أوقاتها فى لوازم هذا الطفل المنتظر . وحب الأم هو المثل الأعلى لكل ما عداه من أنواع الحب وأصنافه . والطفل وأعنى كل طفل يحب أمه ويسر بوجودها الى جانبه . ويحس أنه محبوبها . الا ترى الطفل الذى تحنو عليه أمه بالحب وتلقمه ثديها بالعطف تطمئن نفسه ويبتسم لها حين تضمه اليها وتقبله ، ثم ينام هانىء البال مرتاحا،لأنه أحس أنه غذى بالحب،وأنه سينام وهو يحمى بحمى الحب .

وحب القريب للقريب سماه الاسلام صلة الرحم ، وأوجبها على كل قريب لقريبه وحذر من قطيعتها ، وهى واجبة فى كل دين ، وفى كتاب الله فى سورة النحل آية (٩٠) قال جلّ شأنه (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى) . وفى سورة الاسراء : (وآت ذا القربى حقه) . آية (٣٦) .

وفى الحديث الذى رواه الشيخان « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » .

وفى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده « تعلموا من انسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر » .

وفى الحديث القدسى أن الله عز وجل قال : (انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » رواه أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف ورواه الترمذى عن غيره .

وحب المسلم للمسلم حب أخوة فى الدين ، والاسلام جعل من هذه الأخوة قرابة ، هى أولى بالصلة من قرابة النسب . فقال جلّ شأنه فى سورة الحجرات (إنما المؤمنون إخوة) .

وقال فى سورة آل عمران (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) .

وهذه المحبة يجب أن تذوب فيها أفراد الأمة فى الأمة كلها ، لتصبح واحدة يتفانى كلها فى كلها . كما أراد الله لها بقوله تعالى : (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

وحب الصداقة له فى الاسلام مكانه ، ما لم تكن هذه الصداقة لجلب منفعة ، بل لله وحده ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصداقة من الايمان ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث من كن فيه فقد وجد بهن حلاوة الايمان ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار) رواه البخارى ومسلم عن أنس ابن مالك .

ومن كمال الايمان فى المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

ولا ننسى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الشيخان

فى صحيحهما حين ذكر السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله .

« ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » والله جلّ شأنه يحب جميع خلقه ، خلقهم ومن عليهم بالنعم الكثيرة التى منها نعمة العقل ، ونعمة الحياة ، ونعمة الرزق ، ونعمة الهواء ، والماء والغذاء ، ونعمة ارسال الرسل ليدلوهم على طريق الحياة ، وينقذوهم من الضلال ، كما قال تعالى :

(ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين) سورة الحجر الآية (١٠) وقوله : (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات) سورة الحديد الآية (٢٥) .

يأمرهم بما فيه خيرهم وجمع شملهم . وينهاهم عن كل ما يضرهم فى أفرادهم ومجتمعاتهم .

ولكنه جل شأنه يخص بمحبته الصالحين ، والمتطهرين ، والتوابين ، والمحسنين ، والمتقفين ، والمقسطين ، الذين يحبون الناس ويجاهدون فى اعلاء كلمة الله ويقاتلون فى سبيله كأنهم بنيان مرصوص .

والحب اذا وجد فى أمه قوم أخلاقها ، وأحيا فى نفوس أفرادها الاخلاص بينهم ، فتراهم متضامنين يسعى الجميع فى مصلحة الجميع ، يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، فتراهم كتلة متماسكة وقوة هائلة ، لا ينفذ اليها عدو كما قال الله تعالى فى وصف محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه :

« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » .

أو كما قال فى وصف صنف من عباده المؤمنين :

« يحبهم الله ويحبونه ، اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

والحب بين الأسرة وعميدها يجعل من البيت جنة تحسدها الجنان ، فهو يحبهم ، ويذلل الصعب فى سبيل سعادتهم ، والتوسعة عليهم وهم يحبونه ويفدونه بالمهج والأرواح .

وحبنا لله تعالى هو الذى دفعنا لعبادته ، وطمعنا فى حبه وهو الذى حذرنا من معصيته ، فهو لا يحب الكافرين ولا العاصين ، ولا الظالمين ، ولا المتكبرين .

والحب اذا وجد فى أمة قوم أخلاقها ، وأحيا فى نفوس أفرادها فهى لباس له وهو لباس لها ، وهي له سكن وهو لها حمى . والحب جعل فى قلب كل واحد منهما للآخر مودة ورحمة .

أما الحب الطائش ، أو حب الجسد ، أو الحب الجنسى وأعنى بها الحب الذى غايته الشهوة فهو حب حرام ، وهناك حب يسمى العشق أو الحب العذرى وهو حب مكتوم ، يغطيه الصبر ، وتكتمه العفة ، ويبقى العاشق المحب متيما نفيه ، يمنعه الحياء من افشاء سره ، ويمنعه الايمان فى استهتاره فى حبه ، فيبقى صابرا والله جلّ شأنه أعد للصابرين أجرا عظيما وعدهم به . والله لا يخلف الميعاد .

وأذكر أنى قرأت أثرا لا اعلم مدى صحته وهو (من عشق فكتم وعف ثم مات فهو شهيد) .

حوار بيني وبين ملحد

محمود موزون

للشيخ محمد الغزالى

دار بيني وبين احد الملاحدة جدال طويل ، ملكت فيـــه نفسى وأطلت صبرى حتى التقف آخر ما فى جعبته من إفك ، وادفع بالحجة الســاطعة ما يورد من شبهات ..

قال : إذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله .. ؟ قلت له : كأنك بهذا السؤال ، أو بهــذا الاعتراض تؤكد انه لا بد لكل شيء من خالق !!

قال : لا تلفنى فى متاهات ، أجب عن ســؤالى .. ؟ قلت له : لا لف ولا دوران ، إنك ترى أن العالم ليس له خالق ، اى أن وجوده من ذاته دون حاجة الى موجد ، فلماذا تقبل القول بأن هذا العالم موجود من ذاته ازلا ، وتستغرب من أهل الدين أن يقولوا : إن الله الذى خلق العالم ليس لوجوده أول .. ؟ إنها قضــية واحدة ، فلم تصدق نفســك حين تقررها وتكذب غيرك حين يقررها ، وإذا كنت ترى أن إلها ليس له خالق خرافة ، فعالم ليس له خالق خرافة كذلــك وفق المنطق الذى تسير عليه .. !!

قال : إننا نعيش فى هذا العالم ونحس وجوده فلا نســـتطيع ان ننكره .. !

قلت له : ومن طالبك بأنكار وجود العالم .. ؟ إننا عندما نركب عربة او باخرة أو طائرة تنطلق بنا فى طريق رهيب ، فتســاؤلنا ليس فى وجود العربة ، وإنما هو : هل تســـير وحدها أم يسيرها قائد بصير .. !!

ومن ثم فإننى أعود الى سؤالك الأول لأقول لك : إنه مردود عليك ، فأنا وانت معــترفون بوجود قائم ، لا مجال لإنكاره ، تزعم أنت أنه لا اول له بالنسبة الى المادة ، وأرى أنا انه لا أول له بالنسبة الى خالقها . فاذا اردت أن تسخر من وجود لا أول له ، فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتدينين .

قال : تعنى أن الافتراض العقلى واحد بالنســبة الى الفريقين .. ؟ قلت : إننى استرسل معك لأكشف الفراغ والادعاء اللذين يعتمد عليهما الإلحـــاد وحسب ، أما الافتراض العقلى فليس ســـواء بين المؤمنين والكافرين ..

إننى — أنا وأنت — ننظــر الى قصر قائم ، فأرى بعد نظرة خبيرة أن مهندسا أقامه ، وترى أنت أن خشبه وحديده وحجره وطلاءه قد انتظمت فى مواضعها وتهيأت لساكنيها من تلقاء انفسها ..

الفارق بين نظريتنا الى الأمور اننى وجدت قمرا صـــناعيا يدور فى الفضــاء ، فقلت أنت انطلق وحده دونما إشراف او توجيه . وقلت أنا : بل أطلقه عقل مشرف مدبر .

إن الافتراض العقلى ليس سواء، إنه بالنسبة إلى الحق الذى لا محيص عنه ، وبالنسبة إليك الباطل الذى لا

شك فيه ، وإن كان كفار عصرنا مهرة فى شتمنا نحن المؤمنين ورمينا بكل نقيصة ، فى الوقت الذى يصفون أنفسهم بالذكاء والتقدم والعبقرية .

إننا نعيش فوق أرض مفروشة ، وتحت سماء مبنية ، ونملك عقلا نستطيع به البحث والحكم ، وبهذا العقل ننظر ، ونستنتج ، ونناقش ، ونعتقد ..

وبهذا العقل نرفض التقليد الغبى كما نرفض الدعاوى الفارغة .

واذا كان الناس يهزءون بالرجعيين عبيد الماضى ويتندرون بتحجرهم الفكرى ، فلا عليهم أن يهزءوا كذلك بمن يميتون العقل باسم العقل ، ويدوسون منطق العلم باسم العلم وهم للأسف جمهرة الملاحدة .. !

لكنا نحن المسلمين نبنى إيماننا بالله على اليقظة العقلية والحركة الذهنية ، ونستقرىء آيات الوجود الاعلى من جولان الفكر الإنسانى فى نواحى الكون كله .

فى صفحة واحدة من سورة واحدة من سور القرآن الكريم وجدت تنويها بوظيفة العقل اتخذ ثلاث صور متتابعة فى سلم الصعود .

هذه السورة هى سورة الزمر وأول صورة تطالعك هى إعلاء شأن العلم ، والغض من اقدار الجاهلين « **قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولوا الألباب** » .

ثم تجىء الصورة الثانية لتبين ان المسلم ليس عبد فكرة ثابتة ، أو عادة حاكمة بل هو إنسان يزن ما يعرض عليه ويتخير الأوثق والأزكى « **فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب** » .

ثم يطرد ذكر أولى الألباب للمرة الثالثة فى ذات السياق على أنهم أهل النظر فى ملكوت الله ، الذين يدرسون قصة الحياة فى مجاليها المختلفة لينتقلوا من المخلوق الى الخالق « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب** » .

وظاهر من الصور الثلاث فى تلك الصفحة من الوحى الخاتم أن الإيمان مبثوث الصلة بالتقليد الأعمى أو النظر القاصر أو الفكر البليد ..

إنه يلحظ إبداع الخالق فى الزروع والزهور والثمار ، وكيف ينفلق الحمأ المسنون عن الوان زاهية أو شاحبة توزعت على أوراق وأكمام حافلة بالروح والريحان ثم كيف يحصد ذلك كله ليكون اكسية وأغذية للناس والحيوان ، ثم كيف يعود الحطام والقمام مرة اخرى زرعا جديد الجمال والمذاق تهتز به الحقول والحدائق ، من صنع ذلك كله .. ؟

قال صاحبى — وكأنه — سكران يهذى — الأرض صنعت ذلك .. !!

قلت : الأرض أمرت السحاب ان يهمى ، والشمس أن تشع ، وورق الشجر أن يختزن الكربون ويطرد الأوكسجين ، والحبوب أن تمتلىء بالدهن والسكر والعطر والنشا .. ؟

قال : اقصد الطبيعة كلها فى الارض والسماء .. !

قلت : إن طبق الارز فى غذائك أو عشائك تعاونت الارض والسماء وما بينهما على صنع كل حبة فيه ، فما دور كل عنصر فى هذا الخلق .. ؟ ومن المسئول عن جعل التفاح حلوا ، والفلفل حريفا أهو تراب الأرض أم ماء السماء .. ؟

قال : لا اعرف ولا قيمة لهذه المعرفة .. !!

قلت : الا تعرف أن ذلك يحتاج الى عقل مدبر ، ومشيئة تصنف .. ؟

فأين ترى العقل الذى أنشأ ، والإرادة التى نوعت ، فى أكوام السباخ أو فى حزم الأشعة .. ؟؟

قال : إن العالم وجد وتطور على سنة النشوء والارتقاء ، ولا نعرف الأصل ولا التفاصيل .. !

قلت له : اشرح لكم ما تقولون ! تقولون : إنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان مجموعة من العناصر العمياء تضطرب فى أجواز الفضـــاء ، ثم مع طول المدة وكثرة التلاقى سنحت فرصـــــة فريدة لن تتكرر أبد الدهر ، فنشأت الخلية الحية فى شكلها البدائى ثم شرعت تتكاثر وتنمو حتى بلغت ما نرى .. !!

هذا هو الجهل الذى اســـميتموه علما ، ولم تستحوا من مكابرة الدنيا به !! اعمال حسابية معقدة تقولون : إنها حلت تلقائيا ، وكائنات دقيقـــة وجليلة تزعمون انها ظفرت بالحياة فى فرصة سنحت ولن تعود !! وذلك كله فرارا من الإيمان بالله الكبير .. !

قال ـــ وهو ساخط ـــ أفلو كان هناك إله كما نقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسى والآلام ، ونرى ثراء يمرح فيه الاغبياء وضيقا يحتبس فيـــــه الأذكياء ، وأطفالا يمرضون ويموتون، ومشوهين يحيون منغضين .. الخ .

قلت : لقد صدق فيكم ظنى ، إن إلحادكم يرجع الى مشكلات نفسية واجتماعية أكثر مما يعود الى قضايا عقلية مهمة .. !! ويوجد منذ عهد بعيــــــد من يؤمنون ويكفرون وفق ما يصـــيبهم من عسر ويسر « **ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن اصابه خير اطمان به ، وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيـــا والآخرة** » .

قال : لسنا أنانيين كمـــــا تصف نغضب لأنفسنا أو نرضى لأنفسنا ، إننا نستعرض أحوال البشر كافة ثم نصدر حكمنا الذى ترفضه .

قلت : آفتكم انكم لا تعرفون طبيعة هذه الحياة الدنيا ووظيفـــــة البشر فيها ، إنها معبر مؤقت الى مستقر دائم ، ولكى يجوز الانسان هذا المعبر الى احدى خاتمتيه لا بد أن يبتلى بما يصقل معدنه ويهذب طباعه ، وهذا الابتلاء فنون شتى ، وعندما ينجح المؤمنون فى التغلب على العقبات التى ملأت طريقهم ، وتبقى صـــلتهم بالله واضحة مهما ترادفت البأساء والضراء فإنهم يعودون إلى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم « **يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون** » .

قال : وما ضرورة هذا الابتلاء ؟

قلت : إن المرء يسهر الليالى فى تحصيل العلم ، ويتصبب جبينه عرقا ليحصل على الراحة ، وما يســــند منصب كبير إلا لمن تمرس بالتجارب وتعرض للمتاعب ، فإن كان ذلك هو القانون السائد فى الحياة القصـــيرة التى نحياها على ظهر الارض فأى غرابة ان يكون ذلك هو المهاد الصحيح للخلود المرتقب .. ؟

قال : مستهزئا ـــ أهذه فلسفتكم فى تسويغ المآسى التى تخالط حيــاة الخلق، وتصبير الجماهير عليها .. ؟

قلت : سأعلمك بتفصيل أوضح حقيقة ما تشكو من شرور ، إن هذه الآلام قسمان : قسم من قدر الله فى هذه الدنيا ، لا تقوم الحياة إلا به ، ولا تنضج رسالة الانسان إلا على حره ، فالأمر كما يقول الأســـــتاذ العقاد « تكافل بين أجزاء الوجود ، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولا معنى للكرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيضـــة تقابلها وترجح عليها .. وقد يطرد هذا القول فى لذاتنا المحسوسة كما يطرد فى فضـــــائلنا النفسية ومطـــالبنا العقلية ، إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع ، ولا نستمتع بالرى

ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح » .

وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ، ينضم إليه أن الله جل شأنه يختبر كل امرىء بما يناسب جبلته ، ويوائم نفسه وبيئته، وما أبعد الفروق بين إنسان وإنسان ، وقد يصرخ إنسان مما لا يكترث به آخر ، ولله فى خلقه شئون ، والمهم أن احداث الحياة الخاصة والعامة محكومة بإطار شامل من العدالة الإلهية التى لا ريب فيها .. إلا أن هذه العدالة كما يقول الاستاذ العقاد « لا تحيط بها النظرة الواحدة الى حالة واحدة ، ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل في تصريف الإرادة الإلهية ، إن البقعة السوداء فى الصورة الجميلة وصمة قبيحة إذا حجبنا الصورة ونظرنا الى تلك البقعة بمعزل عنها ، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونا من ألوانها التى لا غنى عنها أو التى تضيف الى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها ، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يصيبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته » .

تلك هى النظرة الصحيحة الى المتاعب الغير الارادية التى يتعرض لها الخلق .. أما القسم الثانى من الشرور التى تشكو منها يا صاحبى فمحوره خطؤك أنت وأشباهك من المنحرفين .

قال مستنكرا : أنا وأشباهى لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى ! فكيف تتهمنا .. ؟

قلت : انتم مسئولون ، فإن الله وضع للعالم نظاما جيدا جيدا يكفل له سعادته ، ويجعل قويه عونا لضعيفه وغنيه برا بفقيره ، وحذر من اتباع الأهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود . ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون**)) .

فاذا جاء الناس فقطعوا ما امر الله به أن يوصل ، وتعاونوا على العدوان بدل أن يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم إذا حصدوا المر من آثامهم .. ؟

إن اغلب ما احدق بالعالم من شرور يرجع الى شروده عن الصراط المستقيم ، وفى هذا يقول الله جل شأنه ((**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير**)) .

إن الصديق رضى الله عنه جرد جيشا لقتال مانعى الزكاة ، وبهذا المسلك الراشد اقر الحقوق وكبح الأثرة ونفذ الاسلام فإذا تولى غيره فلم يتأس به فى صنيعه كان الواجب على النقاد أن يلوموه لا أن يلوموا الأقدار التى ملأت الحياة بالبؤس !!

قال : ماذا تعنى .. ؟

قلت : أعنى أن شرائع الله كافية لإراحة الجماهير ، ولكنكم بدل أن تلوموا من عطلها تجرأتم على الله واتهتم دينه وفعله .. !!

ومن خسة بعض الناس أن يلعن السماء إذا فسدت الارض .. !!

وبدلا من أن يقوم بواجبه فى تغيير الفوضى واقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين !!

إنكم معشر الماديين مرضى ، تحتاج ضمائركم وافكاركم الى علاج بعد علاج ..

وعدت الى نفسى بعد هذا الحوار الجاد أسألها : إن الامراض توشك أن تتحول الى وباء ، فهل لدينا من يأسوا الجراح ويشفى السقام أم أن الازمة فى الدعاة المسلمين ستظل خانقة .. ؟

إنه كان صادق الوعد

اللواء الركن محمود شيت خطاب

– ١ –

اتصل بى هاتفيا أحد الأساتذة ، وسألنى أن أعينه على تولى أحد مناصب التدريس فى إحدى جامعات الدول العربية الشقيقة ، وكان وفد تلك الدولة قد قدم لاختيار الأساتذة ، وهو يحل فى فندق من فنادق العاصمة المعروفة ، فقلت للأستاذ : ((تحضر الساعة التاسعة صباحا أمام باب الفندق ، لأرافقك إلى رئيس وفد انتداب الأساتذة ، لعل الله يحقق ما تصبو إليه)) ..

وفرح الأستاذ بذلك فرحا عظيما ، وفرحت لفرحه ، ولكننى حين حضرت أمام باب الفندق ، لم أجد الأستاذ ، فانتظرته نحو نصف ساعة حتى حضر وهو يعتذر بازدحام المواصلات .

ومن الغريب أن المسافة بين دارى والفندق أضعاف المسافة بين دار الأستاذ والفندق ، ومع ذلك حضرت (احتياطا) قبل ربع ساعة من الموعد المضروب . ولم أتأخر بالرغم من ازدحام المواصلات .

والواقع أن خلف الوعد ، أصبح داء اجتماعيا لا بد من معالجته ، لأنه أصبح القاعدة ، وصدق الوعد أصبح الإستثناء .

والمسلم الذى يخلف وعده ، أصبح يرى ذلك أمرا اعتياديا لا يؤاخذ عليه ، بل يؤاخذ الذى يطالب بالوفاء بالوعد ويطالب بالتخفيف من وطأته والتساهل .

وأرى أن خلف الموعد لا يتفق مع أخلاقية الأسلام ، والمسلم الحق لا يخلف وعده أبدا .

بل نص حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أن علامات المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، فالذى يخلف الوعد

منافق وليس مسلما ، والمنافق فى الدرك الأسفل من النار .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على اسماعيل عليه السلام فى القرآن الكريم ، فقال تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » (١) ..

ومن المعلوم أن من حكم ذكر هذه الآية فى القرآن الكريم بهذا الشكل ، هو ليأمر الله سبحانه وتعال عباده المؤمنين بالاقتداء بهذا النبى الكريم فى صدق الوعد ، ليكونوا صادقى الوعد لا يخلفون الميعاد .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح ، مثالا حيا لصدق الوعد ، وكانوا يحرصون على صدق الوعد حرصهم على أغلى شىء لديهم فى الحياة ! إيمانهم .

فما بال المسلمين اليوم — أو اكثرهم — يتهاونون بالوعود ، فلا يصدقونها إلا نادرا ؟

— ٢ —

لقد استشرى هذا الداء الوبيل — داء خلف الوعد — فعم جميع طبقات الناس إلا من رحم الله ، وأصبح الذى يصدق الوعد غريبا فى المجتمع الأسلامى الحديث ، بل أصبح الذى يصدق الوعد نادر الوجود .

ولو اقتصر هذا الداء على الجهلاء لكان عيبا فاضحا ، ولكنه عم الجهلاء والمتعلمين ، حتى شمل قسما من رجال الدين ، وهم القدوة الحسنة الذين ينبغى أن تكون أعمالهم مطابقة لمواعظهم ، بل تكون أعمالهم أفضل من مواعظهم وأقوالهم .

أولم أحد رجال الدين وليمة ، وأشهد أن الرجل من أفاضل الناس علما وعملا ، ودعانى إلى وليمته وضرب موعدا لحضورها الساعة الثانية بعد الظهر .

وحضرت فى الموعد المضروب ، وطرقت الباب ففتح ، ثم أدخلت غرفة الضيوف ، وانتظرت المضيف هناك حتى الساعة الثالثة والنصف ، حيث حضر مع بقية الضيوف .

وكان سبب تاخره هو انتظار الضيوف الذين لم يكونوا يعرفون مكان داره ، فانتظرهم بنفسه ليدلهم على الدار .

وكان من أبسط الأمور لدى ، أن أهرب من الدار ، وقد هربت كثيرا فى مواقف مشابهة لهذا الموقف ، ولكن غرفة الضيوف كانت فى وسط البهو الذى كان النساء يعملن فيه لاعداد المائدة ، فلم أهرب خجلا من النساء لا من صاحب الدعوة الشيخ الجليل .

وانتظرت على مضض حتى اكتمل الجمع بعد ساعة ونصف من الموعد المعين ، فقلت : « يا سادتنا الشيوخ ! أنتم قدوتنا وأسوتنا ، والله قد مدح نبيا مرسلا فى القرآن الكريم فقال : « إنه كان صادق الوعد » ، فلماذا لا نلتزم بالوعد ؟ » .

وانبرى أحد الشيوخ قائلا : « لقد جاء الشيخ ، لذلك فهو صادق الوعد ، ولو تخلف لما كان صادق الوعد » .

هكذا بكل بساطة ، يدافع الشيخ عن الباطل ، ولو أن دفاعه كان فى مجال الدعابة لا فى مجال الجد .

ولكن الدعابة فى مجال الدين ممجوجة إلى أبعد الحدود .

وقد كون خلف الوعد فى نفسى (عقدة) مستعصية وسبب لى متاعب مزعجة ، وأدى إلى أن أخسر كثيرا من الأصدقاء والاحباب .

إن أول صفة يجب أن يتسم بها الصديق فى نظرى ، هو أنه صادق الوعد . فاذا لم يكن كذلك ، فهو لا يصلح أن يكون صديقا .

وخلف الوعد دليل على أن الرجل غير منظم على أحسن الاحتمالات ، وإلا فهو كاذب مخادع غشاش ، ولا

خير فى مثله صديقا أو أخا .

― ٣ ―

والذى أريده من الحريصين على تعاليم الأسلام وعلى مصلحة بلدهم وأمتهم العليا ، ألا يتهاونوا بوعودهم أولا ، وأن يحاسبوا الذين يتهاونون بوعودهم على تهاونهم حسابا عسيرا ثانيا .

فالذى يريد أن يكون على شعبة من شعب النفاق والعياذ بالله ، عليه أن يتهاون فى وعده ، وإلا فالنجاة من هذه الشعبة يكون بالحرص على صدق الوعد .

أما إذا تهاون بالوعد ، فانه لا يستطيع أن يحاسب غيره على تهاونه بوعده ، والعكس هو الصحيح .

ولكى تستطيع أن تحاسب غيرك تهاونه بوعده ، لا بد لك من أن تحرص على وعدك ، لأن الذى يعيش فى بيت من الزجاج ، لا يستطيع أن يضرب بيوت الجيران بالحجارة ، كما يقول المثل المشهور .

والسؤال الآن : كيف نحاسب غيرنا على التهاون بالوعد ؟

والجواب على ذلك يتلخص بكلمتين: بالعمل والكلام .

بالكلام الذى تنصح به أخاك بان يقلع عن مثلبة لا تليق برجولته وبشخصيته وبمروءته .

ولكن كلام الدنيا كله ، لا فائدة منه ما لم يقترن بالعمل ، وأول العمل أن تكون صادق الوعد ، وأن تجعل من تصرفك فى التدقيق بصدق الوعد مثالا يحتذى .

ولكن هذا العمل وحده لا يجدى مع بعض الناس ، فلا بد من فرض العقوبات العملية عليهم ليستفيدوا ويفيدوا .

إذ ما الفائدة من (العمل) مع كاذب الوعد إذا صدقت معه الوعد ثم كذب معك ؟

وساضرب الأمثال لبعض العقوبات التى طبقتها مع قسم من الناس ، لتكون العقوبات درسا لهم .

واعترف أن هذه العقوبات أفادت قسما من الأصدقاء ، وهم الذين أبقيت على صداقتهم ، ولم تفد مع قسم من الذين كانوا أصدقاء ، فاعرضت عن صداقتهم غير آسف ولا ملوم .

وقد طبقت هذه العقوبات مع الذين هم ارفع منى فى المستوى الاجتماعى ، ولم أطبقها على من هم فى مستواى أو فى المستوى الأقل ، ومعنى ذلك أننى طبقتها على الذين هم أعلى منى ولم أطبقها على أمثالى وعلى من هم أقل منى منزلة ومقاما ، إنى عاملت الذين هم مثلى ودونى منزلة بالحسنى ولم أفرض عليهم عقوبات رادعة .

حدث مرة أن اتصل بى صحفى طالبا موعدا ، فوعدته الساعة الواحدة من ظهر يوم غد فى منزلى ..

وانتظرته الساعة الواحدة حتى الساعة الواحدة والنصف ، ثم تناولت غدائى بعد أن كتبت له رسالة وسلمتها لبواب الدار قلت له فيها : ((انتظرتك حتى الساعة الواحدة والنصف فلم تحضر ، لذلك تناولت غدائى واعتذر عن مواجهتك)) .

ووصل الصحفى باب الدار الساعة الثانية ، فوجد الرسالة بانتظاره .

وبعد يوم اتصل بى معتذرا ، ولكنه تعلم درسه ، فاصبح لا يعدنى إلا جاء بالوقت الموعود تماما .

وسالنى أحد المذيعين فى الاذاعة المرئية ، أن أشارك فى مناقشة كتاب من الكتب الصادرة عن القضية الفلسطينية ، فوعدته أن أكون على باب الإذاعة فى الساعة السابعة مساء ، على أن ينتظرنى هناك لأننى لا أطيق جماعات الاستعلامات الذين يستجوبون الداخلين إلى الإذاعة

استجوابا لا هوادة فيه .
ووصلت قبل ربع ساعة ، فانتظرت حتى الساعة السابعة والربع فلم يحضر المذيع ، فغادرت المكان مسرعا . .
وقد علمت أنه وصل بعد خمس دقائق من مغادرتى فوجدنى قد انصرفت . وجاء موعد مناقشة الكتاب ، فلم تكن الندوة موفقة ، ونال المذيع ما يستحقه من لوم رؤسائه .
وتعلم هذا المذيع درسه أيضا ، فلا يعدنى إلا ويفى بالوعد .
وبعد مؤتمر مجمع البحوث الأسلامية السادس ، دعا أحد الوجهاء بعض المشاركين فى هذا المؤتمر من العلماء ، ودعا معهم وزير الأوقاف ، وكان موعد الدعوة الساعة الثانية ظهرا فى داره الكائنة فى الجيزة . .
وحضرت فى الساعة الثانية بالضبط ، ففتح لى الباب خادمه وقادنى إلى غرفة الضيوف ثم انصرف .
وبعد ربع ساعة طرقت باب الغرفة التى لم يكن قد وصل اليها أحد قبلى ، فجاءتنى زوجه وأخبرتنى أن زوجها لم يصل بعد ، وأنه سيصل وشيكا .
وقلت لها : سانصرف ، فاذا جاء فاخبريه . . . وانصرفت .
وعلمت أن المدعويين لم يتناولوا طعامهم إلا فى الساعة الرابعة والنصف مساء ، لأن سيادة الوزير كان مشغولا فى اجتماع ما !!
ولكن ما ذنب المدعوين الآخرين ؟!
وقد اعتذرت عن قبول أكثر من شخص فى دارى أو فى مكتبى ، لأنهم خالفوا موعدهم فجاءوا متاخرين .
ولست أطالب المسلمين جميعا أن يفعلوا ما أفعل فى ردع مخالفى الوعد ، فكل ميسر لما خلق ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .
ولكن أطالبهم أن يكونوا صادقى الموعد ، وأن يعتذروا هاتفيا أو باى واسطة أخرى من الذين وعدوهم إذا أرادوا النكوص عن وعدهم أو أرادوا التخلف لأسباب قاهرة ، لأننى أجد بعض المسلمين يكذبون الوعد ويستطيعون أن يعتذروا هاتفيا ثم لا يفعلون !

— ٤ —

وأرجو ألا يفكر أحد بان خلف الموعد أمر تافه لا قيمة له .
إنه أمر مهم ، بل هو بالغ الأهمية .
إن الذى يخلف الوعد فوضوى ، فهو لا يصدق الوعد معك ، ولا يصدق الوعد فى عمله عاملا وفى حقله فلاحا وفى متجره تاجرا وفى مكتبه موظفا وفى مدرسته تلميذا ومعلماوفى معهده وجامعته طالبا واستاذا .
وهذا الذى يخلف الوعد لا يستطيع أن يكون جنديا متميزا ولا ضابطا متميزا ، لأن عامل الوقت لا قيمة له عنده ، وقد أدى تأخر خمس دقائق عن الوقت المطلوب إلى خسارة معركة حاسمة ، وتاريخ الحرب خير شاهد على ما أقول !
إن المحافظة على الوعد هو النظام وعدم المحافظة على الوعد هو الفوضى .
ولن تنتصر أمة تتمسك بالفوضى وتعرض عن النظام .
إن روح الأسلام هو (النظام) فى كل شىء ، والذى يخلف الوعد يخالف روح الأسلام فى الصميم .
وقد حرص الغربيون والشرقيون من غير المسلمين على التقيد الدقيق بالمواعيد ، والذين عاشوا فى البلاد الأجنبية وخالطوا أهلها يعرفون ذلك .
فلماذا نترك تعاليم ديننا لغيرنا ؟ لماذا ؟

---

(١) آيــة ٥٤ من سورة مريم . .

قلت وقالت

لنفسي لي ..

كنت قد قلت لها اسمعى : إننى ذاهب الى أرض لا يصح ان تكونى معى فيها ... لقد كنت فى كثير من الأحيان .. سيما عند الصلاة أحاول الفرار منك .. فالزمى حدك .. فإننى ساخلعك كما أخلع النعلين قبل الاحرام ... إنه لمن الخير ان يكشف المرء عنك القناع .. وأن يحذرك .. فما أكثر ما تجلبين من المصائب والنوائب .. انك شريكة سوء ... تستمتعين ويجنى صاحبك الجرم وحده .. ويدفع الغرم وحده .. ويلبس لباس الخزى وحده .. سوف أتركك هنا .. وحاذرى أن تركبى معى الطائرة ..

* * *

وقد اسعدنى كثيرا يومئذ انها لزمت الصمت ولم ترد .. واخذت يومئذ فى تحليل اسباب صمتها . فهذا امر لم اتعوده من قبل منها .. فهى الملحاحة دائما .. الدؤوبة فى كل وقت على ان تحشر نفسها .. وان تجعل من الأبيض فى نرظى أسود .. ومن الليل نهارا .. وقد كنت افضل ترك نقاشها فما اقل ما كنت أخرج من الجدل معها رابحا .. فقلت حين امتد صمتها ترى هل أطاعت ؟ . ترى هل تركتنى حقا .. ؟ أم انها تلفلفت وتكومت واختبأت فى بعض ثنيات جوانحى .. تنتهز الفرصة المؤاتية لترفع راسها .. !؟

* * *

مهما يكن من امر فإننى لم آمن لها كثيرا .. فقد بلوت أمرها .. وكنت ادرك انها تخنس حين تجد العزم والعين الحمراء . وحين اواجهها

للأستاذ : محمد لبيب البوهى



بشىء من قهر والزام . ويكون ذلك غالبا عقب الصلاة . أنها بعد الفريضة قد تظل بعيدة عنى الى حين .. وقتا يقصر أو يطول .. حسب قوة الشحن التى قد أخرج بها من رحلات الروح الخمس اليومية .. هذه الرحلات المشرقة التى هى بمثابة استحمام فى بحر النور خمس مرات فى اليوم والليلة — فتتسلط الأنوار الكاشفة على تلك النفس فتعشيها وتجعلها تتوارى .. كما لحظت ان أكثر اختفائها بعيدا عنى كثيرا ما يحدث فى رمضان .. ربما لأن الخيط الذى يشدها الى صاحبها الأكبر .. ومحركها الأعظم ينقطع عند عتبات الشهر المبارك .. فإن هذا الذى هو قرين لها يحبس مع أصحابه طوال الشهر .. فينقطع الاتصال اللاسلكى بينه وبين مندوبيه . فقد اتخذ لنفسه مندوبا فى كل جسد انسانى .. ويكون اتصاله .. أعنى وسوسته بما يشبه اللاسلكى . حتى حين يجرى بمجرى الدم فانه يجرى أيضا بطريق لاسلكى .. أو كهربى .. أو الكترونى كما يجب البعض أن يقول ..

* * *

المهم اننى استطعت ان انجو منها طوال فترة البقاء فى أرض الحجاز .. واشرقت الروح بنور اليقين .. وظننت اننى قد طلقتها طلاقا بائنا .. وهبطت من طائرة العودة سعيدا بهذه النجاة ..

ولكننى ما كدت استقر فى دارى .. حتى رفعت رأسها قائلة : حمدا لله على سلامتك ..

قلت .. سلمنى الله منك .. ابعدى عنى مع جزيل شكرى وتحياتى .. قالت .. أهكذا يكون رد التحية .. !! ؟ سيما بعد أن عدت من عالم النور ؟ قلت .. نعم يا سيدتى

ان تحيتى معك هى مخاصمتــــك والخلاص منك .. وانه لسعيد ذلـــك الذى يعود من عالم الروح بمصبـــاح كشاف يسلطه على ذاتك فيرى باطنك من ظاهرك .. ويعيش فى منجاة منك ومن صاحبك الرجيم .

قالت .. أهكذا تبدأ بمخاصمتى من أول لحظة ؟ اهكذا تتنكر للجميل وطول المعاشرة .. ؟ الم نعش سويا عشرات الأعوام من قبل .. ؟ الــم اهيىء لك بعض أسباب اللذة .. ؟ الم اقف الى جوارك فى لحظـــات المتعة .. ؟ الم .. الم .. الم يكن ذلك كله رغبة فى امتاعـــــك ياناكر الجميل .. ؟ الم اشف غيظ قلبـــك حين اختلفت يوما مع رئيس كبير فما ان واجهك بكلمات غلاظ .. حتى قلت لك كل له الصـــــاع صاعين والعن اجداده .. ؟ وقال زملاؤك يا لك من شجاع .. ! ؟ قلت : وأنت تعرفين ما جنينا من ويلات بسبب هذا ، ان كان شفاء الصدر قد حدث فى لحظات .. فقد تجرعنا بسبب هذه اللحظات العلقم سنين .

قالت : اذن فانت سوف تشوهـــا حربا دونى .. !!

قلت : ليتنى افعل ذلك ... ليتنى استطيع ان اتخذ من كلمات البوصيرى شعارا ..

فاعتمدت رأسهـــا بين كفيهـــا كالغاضبة منى ومن الامام البوصيرى

وقالت .. وهل كان ينقصنا ايضا كلام البوصيرى .. لقد ضبطتك مرات فى الاسكندرية .. وانت تتطلع إلى جدران مسجده وتقرأ بعض نصائحه فى شعره ... فتبسمت ضاحكا وقلت .. نعم وإن ذاكرتك لقوية .. لقـــد كان يقول :

وخاصم النفس والشيطان واعصهما

وان هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطـــع منهما خصما ولا حكمـــا

فانت تعرف كيد الخصم والحكم

قالت .. ما شاء الله .. ما شاء الله .. اذن فانت ترى انه لن يكـــون لى معك عيش بعد اليوم . !؟ أين اذهب إذن بعد هـــذه المشاركـــة الطويلة ..!؟ لقد قلت لك لا تذهب الى مكة — لكأننى كنت أعـــرف العواقب — لقد حـــاولت مرارا ان اثنيك واردد لك ان شرط الاستطاعة غير متوفر لك .. وكنت دائما أكرر ان تؤجل هذا الذهاب .. واحسرتى على خيبتى اذ لم استطـــع ان اقف بينك وبين الذهاب . وواأسفاه على ما فرط منى فى جنب ذاتى .. لقد استطعت ان تفر منى كمـــا يفر العصفور من القفص اذا انفتح بابه .

قلت : الحمد لله .. ها أنت قد بدأت تدركين حقيقة الأمر .

فكفكفت اللئيمة دمعها .. وعادت الى المراوغة والملاينة والمناورة .. فقالت : إذن فأنت تبغى ان تحيلنى الى المعاش بغير مكافأة .. كأنك تبدأ حياتك الجديدة بظلم من نوع جديد ، فان الحكومة ترتب معاشا للعامـــل لديها عند بلوغه سن التقاعد ، فاذا كنت تريد الخلاص منى فلا أقل من ان تعطينى حقى .. وأول ثمار شجرة النور التى نبتت فى قلبك الا تكـــون ظالما .

قلت حسنا ايتها النفس ، وماذا تقترحين فى هذا الشأن .. ؟

قالت ان تسمح لى بحجرة صغيـــرة انزوى فيها فى قلبك الواسع الرحاب .. حجرة تافهة الشأن ضيقة ولـــو بغير سقف فى ذلك القلب الـــذى خدمته طويلا .. ومتعتـــه كثيرا . فلا تأكلنى لحما .. وتلقى بى عظما امنحنى مكانا صغيرا أنزوى فيـــه داخل قلبك .

قلت .. آه .. سنعود اذن مـــن حيث بدأنا .. تريدين ان تسلـــكى مسلك جحا اذ قال لصاحبه لا أريـــد

أن يكون لى فى بيتى الذى بعته لك غير مسمار أزوره فى كل حين . انك تقترحين مكانا صغيرا ضيقا منزويا .. ثم تمر الايام والاسابيع وتضعف مراقبتى لك فتزحفين رويدا .. رويدا .. انك يا أختاه تعرفين ماذا يصنع الميكروب .. انه يدخل الجسم وهو صغير .. كل مليون من جنسه فى مثل راس الدبوس .. ثم لا يلبث أن يصرع بعد ذلك الجسم كله .. يا سيدتى اذهبى من فضلك الى حال سبيلك .



وكنت أظن أنها ستبكى امام هذا الحزم .. وتلك المطاردة . ولكنها قهقهت ضاحكة حتى كادت تستلقى ثم اقتربت منى وقالت : ولماذا لا نعقد معاهدة صلح ؟ .. انك تنسى شيئا هاما .. تنسى انك المسئول الأول عنى .. اننى لست أكثر من ظل لك .. اننى مجرد خادم لشيء يكمن فى أعماقك ، هذا الشيء اذا كان جليلا استطاع أن يلجمنى وأن يقطع خط الاتصال اللاسلكى بينى وبين المدد الأسود الذى يأتينى من الخارج . انك تذكر انك فى ساعات مضت استطعت ان تقهرنى وأن تلزمنى حدى « انك سيدى على كل حال ..وانت ولى الأمر المطاع — اذا شئت — وتاج رأسى اذا عزمت — واستاذى اذا أردت — فكن عونى ولا تتركنى مسكينة ضائعة تائهة فى طرقات الخيال .

فالان هذا القول من طبيعتى وقلت لها : ولكن كيف تتم هذه المعاهدة التى تبغينها ؟ . قالت ارفعنى الى المستوى الذى صرت اليه .. انقذنى وعلمنى كما علمك الله .. والا فأنت سوف تجنى عواقب اهمالك .. إننى لست نفسا لئيمة الا حين تهمل أنت شأنى فيتلقفنى عدوك .. أنت تعرف اننى كنت فى بعض الأحيان نفسا لوامة حين كان يمتد الى أعماقى بصيص من نور .. ولو شئت أنت .. ولو عزمت .. ولو صممت .. واستعنت بالارادة الفعالة لجعلت منى نفسا مطمئنة .. فتطمئن أنت الى مصيرك هنا وهناك وينادينا الحق معا [يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى] .

قلت الآن نستطيع أن نتفاهم .. لا بأس عندى ان أجعل منك نفسا مطمئنة ولكن كيف ؟

قالت : حدثنى عن رحلة العمر .. ما الذى دعاك اليها ؟ وأى هاتف قوى انبثق فى اعماقك ؟ إن فى ثنايا هذه الرحلة من أنوار الأنوار ما يجعل كل إنسان قادرا على تهذيب نفسه الى حد بعيد .. افعل ذلك معى .. فانك لست اقل شأنا من ثعبان البحار ..

قلت وانا أضرب كفا بكف .. فأنتذى قد بدأت تهذين ما دخلنا نحن وثعبان البحار .. ؟!

قالت : أعنى إدراك ذلك الثعبان لأهداف وجوده .. وتحقيقه لرسالته .. واستجابته لنداء طبيعته .. اننى اخالك وانت الحكيم الرشيد تدرك ان كل شيء ميسر لما خلق له .. وان الفطرة اذا لم تفسد تقود صاحبها الى غايته .. ان الذى اعنيه عن ثعبان البحار .. الهجرة السنوية التى تتم كل عام .. ان مئات الملايين من ثعابين البحار فى موسم ما .. تتجمع .. وتتوحد .. وتتكاتل وتهاجر لتتوالد فى مكان ما يبعد الوف الاميال قيل انه عند البحر الكاريبى فى المحيط الأعظم هناك تؤدى تلك الثعابين رسالتها الأبدية .. الفطرة الطبيعية . الهدف المركب فى ذاتها . وتموت هناك آمنة . وبعد ذلك تنهض الثعابين الوليدة فتتخذ طريقها سربا فى أعماق

المحيطات لتؤدى رسالتها التى خلقت لها وهى أن تكون طعاما للأجساد .

قلت نعم .. افهم هذا وادركه .. أنها سنة الحياة .

قالت صاحبتى .. قس على هذا رحلة العمر الى منابع النور .. ان شيئا ما فى أعماق الفطرة يدعوكم الى الهجرة الروحية الى أرض اليقين .. ان ثعابين البحار تحن الى موطنها الاصلى .. وان موطن ارواحنا هو حيث ولد الهدى — وحيث كل شبر من الارض وطئته قدما نبى — وحيث الملائكة كانت ولم تزل بين صعود وهبوط افواجا افواجا ... من هناك تتزودون بخير زاد .. ان ملابس الاحرام البيضاء غير المخيطة هى فى تقديرى رمز للكفن .. وكأن الانسان يجرب الموت قبل أن يلقاه . إن الموت بين يدى الله .. اى موت الرغبات والأهواء والشهوات هو خير حياة وعندما عرفت الملائكة قدر آدم حيث أمرت بالسجود تحية له . طافت الملائكة بعرش الرحمن . وان طوافكم هو فى تقديرى رمز للطواف بعرش الله .. هو محاولة للالتصاق بذلك العرش .. ان كل الكواكب والشموس والنجوم تدور .. اى تطوف حول عرش الله .. هذه هى رسالة النور التى عليكم أن تنشروها وأن تبدأ بى اى بأقرب شىء اليك .. اى بنفسك يا صديقى ان الملايين الذين يذهبون كل عام يجب أن يعودوا ومعهم نورهم .. وأن يتأكدوا من هذا النور .. وان يجعلوه يسعى بين أيديهم .. بذلك تستقيم الأمور .. وبذلك تجعلنى نفسا مطمئنة .. وبذلك تساهم فى أداء حق الحياة عليك .. أما أن تغمض عينيك .. وتكتفى بان تهدى ابن عمك مسبحة .. وابن خالتك مكحلا .. وتردنى عنك .. وتهز راسك ميامنا ومياسرا .. وتزعم انك قد وصلت .. فأنت فى الحقيقة لا تكون حتى قد بدأت .

هكذا انقلبت تلك النفس التى مواجهتى بهذا الحديث .. وهممت ان اغضب .. ولكنها صاحت تقول : لا تغضب فان ذلك أول شرط بيننا .. انت ولى أمرى والمسئول عنى .. واننى لست مهما زعمت غير ظل لك .. ان استقمت انت استقمت معك .. وان اعوججت كنت اكثر اعوجاجا منك . انك تعلم انه يجرى منك مجرى الدم قبل أن يصل الى .. خذ من بحر النور شعاعا تطهر به ذلك المجرى بذلك تكون قد عدت من أرض النور لتبدأ فى نشر اشعته .. أما ان تكتفى بالنشر فى الصحف عن عودتك الميمونة من أرض الحجاز .. وتمشى بين الناس متقوقعا مشية من يظن انه قد ضمن الجنة وللناس من بعدك الطوفان .. فهيهات .. ثم هيهات .. انك اذا وقفت فحسب عند مجرد الشكل دون أن تنفذ الى جوهر الأمانة .. واعماق المسئولية وتنهض بحق وقوة ويقين وعزم لأداء التبعة ... فوااسفاه .. وواحسرتاه ..

الدعوة الإسلامية ببلجيكا

عقد المركز الاسلامى والثقافى ببلجيكا اجتماعا حضره جمع كبير من أفراد الجالية المسلمة بمسجد بروكسل ، فتدارسوا أحوال المسلمين المغتربين ببلجيكا من الجوانب الدينية والثقافية ، والاجتماعية وتباحثوا فى أخطار الضلال والانحراف التى تحدق بشبابهم وأطفالهم خاصة ، وفى الطرق الكفيلة بانقاذهم منها وبشدهم الى دينهم ، ولغتهم العربية ، وأمتهم الاسلامية ، وتناقشوا فى الدور الهام الذى يجب أن يقوم به مسجد بروكسل من نشر للتوعية الاسلامية الشاملة ، ومن جمع لصف المسلمين ودعوتهم للاعتصام بحبل الله المتين ، باعتباره مركز الاشعاع الروحى والعلمى والاجتماعى فى هذه البلاد .

وايمانا من المجتمعين بواجب مؤازرتهم للمركز الاسلامى ، وتعاونهم معه ، فى القيام بالدعوة الاسلامية بهذه البلاد ، قرروا تكوين جمعية « لجنة مسجد بروكسل » وحددوا لها الاهداف التالية :

١) ــ جمع شمل المسلمين المغتربين ببلجيكا فى روح من التآخى ، والتضامن حول منظمتهم الاسلامية .
٢) ــ تدعيم الحياة الروحية لهم ، ولأسرهم وابلاغهم دعوة الاسلام بشرح مبادئه وتعاليمه .
٣) ــ انارة الرأى العام البلجيكى ، والأوروبى برسالة الاسلام وثقافته ، وحضارة أمته ودحض الشبهات والأباطيل عنه .

ولتحقيق هذه الأهداف ، اتفق المجتمعون على القيام ــ باشراف المركز ، وبالتعاون مع المنظمات الاسلامية العالمية ، ورجال الفكر والدعوة فى العالم الاسلامى ــ بالنشاطات التالية :

اولا : نشر التوعية الشاملة بتنظيم أحاديث دينية فى القرآن والسنة والفقه كل أسبوع ، وندوات فى الدراسات الاسلامية شهريا فى مسجد بروكسل وذلك :

أ ــ لتحقيق معرفة المسلمين المغتربين بالاسلام عقيدة ،وأخلاقا ، وسلوكا وترسيخ ايمانهم به ومساعدتهم على التمسك بأحكامه ، والعمل بتعاليمه واتباع هديه فى سائر أمور الحياة .
ب ــ لتعريفهم بتاريخهم ، ووطنهم الاسلامى الكبير ، وايقافهم على مشاكل أمتهم المختلفة

ثانيا : الاتصال بالجالية المسلمة بمختلف مناطق بلجيكا ، وتعريفهم بأوجه النشاط الاسلامى الذى يقام بمسجد بروكسل ، ودعوتهم الى التعلق به ، والى عمرانه وذلك بحرصهم على :

أ ــ أداء صلاة الجماعة ، والجمعة ، والأعياد كلما أمكن ذلك .
ب ــ المشاركة فى الاجتماعات الدراسية الأسبوعية ، والندوات ، والمحاضرات ، وشهود الحفلات التى يقيمها المركز فى كل المناسبات الدينية .
ج ــ توجيه أبنائهم الى دروس القرآن الكريم ، والدين ، واللغة العربية التى ينظمها المركز للأطفال فى مقره الأصلى ، وفى فروعه .
د ــ المساهمة المادية فى بناء مسجد بروكسل ، والمركز الثقافى .

ثالثا : العمل على ربط الصلة الوثيقة بين الجالية المسلمة المقيمة فى مختلف المدن البلجيكية وفى البلدان الأوروبية ، والأمريكية ، وفى العالم الاسلامى ويتم ذلك :

ــ بالتراسل بين الجمعية ، وبين المنظمات والجمعيات والمراكز الاسلامية ،
ــ بالقيام بزيارات الى الجماعات الاسلامية فى المساجد ، والمراكز الاسلامية فى بلجيكا وأوروبا.
ــ بتنظيم ألعاب رياضية ، ومخيمات كشفية ، ومصائف للأطفال والشباب مدة العطل .

رابعا : اصدار مجلة ، ونشرات باللغات (العربية ، والفرنسية ، والنيرلاندية) تحوى بحوثا ودراسات فى تعاليم الاسلام وأحكامه ، وتتضمن أخبار المجموعة المسلمة فى بلجيكا وأوروبا ، والعالم الاسلامى .

مَوقف المسلم

مِنَ التَنبؤ والكهَانة

بَين القَديم والحَديث

تروج فى هذه الأيام مجموعة من الكتيبات التى تتحـــدث عن الحظ ، والمستقبل ، لكل فرد بحسب تاريخ مولده ، والبرج الذى ينتمى إليه !! ، اخذت مادتها العلمية من الفلكى العالمى ، !! آرثر بومان ، طبقا لتقديم الطبعة العربية التى اصدرتها إحدى دور النشر ..

والطريقة التى طبعت بها هذه الكتيبات ووزعت ، تدل فى وضوح على مدى الاهتمام والعناية من الناشر من جانب ، كما تدل على مدى القبول والتلقى من القراء والجمهور من جانب آخر ..

ويرتبط بهذه الظاهرة ما نعلمه عن انتشار جلسات تحضير الأرواح والجان ، من المحترفين والهواة على السواء ، وتردد الكثيرين على هذه المجالس ، بغيـــة الاستطلاع ، أو التعرف على شىء من الغيب .

وهذه الظاهرة تمثل موجة غريبة عن البيئة الاسلامية الحقيقية ، وفدت عليها حديثا كما وفدت عليها قديما من مراكز ثقافية لم تتاصـــل فيهــــا الروح الاسلامية ، أو لم تكد تمسها ..

ومن الملاحظ أن الموجة الجديدة وفدت من معقل الحضارة الحديثـــة فى اوربا وامريكا ، حيث تقوم المراكز والمؤسسات ــ والجامعات ايضا ــ بالبحث فى التنجيم ، او الاتصال بالأرواح ، وتعقد لذلك المجـــالس ، والمحاضرات ، والحلقات ، والندوات ، وتنشر الكتب ، وتذاع النشرات ، وتتلقفها الأوســـاط والبيئات على اختلاف مستوياتها الاجتماعية والثقافية ، وتصدرها إلى المجتمعات التى تتلمس خطاها على طريق الحضارة الأوربية الحديثة .

وقد يستغرب البعض منا أن تصدر هذه الدراسات والنشرات عن معقـــل الفكر العلمانى الذى يقوم فى أوربا على اسس حسية مادية بحتـــة ، ويدعى البراءة من أساطير القرون الخالية ، ويرمى تراثها الفلسفى والدينى بالرجعيـــة والتخلف ، ولكن الحقيقة أن هذه الظاهرة نتيجة طبيعية لعلمانية هذه الحضارة ، ذلك أن هذه العلمانية وقد أنكرت على النفس البشرية طاقاتها الوجدانية والخيالية الأصيلة وحاربت فيها نزعتها الفطرية إلى البحث عن المجهول فيما وراء المحسوس وسدت عليها المنافذ الشرعية الدينية التى تعبر بها تعبيرا سليما عن هـــــذه الطاقات والنزعات الفطرية لم تتمكن من أن تحكم مؤامرتها المصطنعة هذه على فطرة النفس الإنسانية ، لأن هذه الفطرة أقوى منها ، وكان لزاما أن تجد هذه الفطرة طريقا أو آخر تعبر به عن طاقاتها المكبوتة ، فكان هذا الانحراف الـــذى يتمثل فى الظاهرة التى نتحدث عنها ..

وإننا لنلتقى فى تفسيرنا لانتشار هذه الظاهرة فى المجتمع الحـــديث مع ما ذكره الإمام الخطابى أحد علماء الاسلام فى تفسيره لوجود الكهانـــــة فى الجاهلية ، إذ يقول « وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية ، خصوصا فى العرب لا نقاطع النبوة فيهم ، فلما جاء الاسلام ندر ذلك جدا ، حتى كاد يضمحل » ..

وما ذكره الإمام الخطابى من أن الاسلام لا يتفق مع هذه الظاهرة صحيح بالنسبة للعصر القديم والحديث على الوجه الذى نبينه فيما يأتى ..

نظرة على التنبؤ والكهانة قديما :

يقسم الباحثون أساليب التنبؤ إلى صنعية : كالكهانة والعرافة والنجامة ، وطبيعية ؛ كالكشف الصوفى ، والرؤيا الصادقة .

ويذكرون أن العلوم المتعلقة بهذه الأمور عرفت فى الشرق القديم ، ثم امتزجت بالتراث اليونانى ، والرومانى ، والهيلينى ، وبخاصة الأفلاطونية الحديثة، والفيثاغورية المحدثة ، والغنوصية .

ويفرقون بين هذه الأمور :

بأن الكهانة تكون عن مغيب موهوم .

والعرافة تكون بالتجربة ، أو بالحالة المودعة فى النفس التى توهم الإدراك دون ادعاء الاتصال بالملأ الأعلى .

وأن النجامة يراد بها معرفة الاستدلال على حوادث الكون بالتشكيلات الفلكية وفى هذا يقول إخوان الصفاء فى تعريفهم للقضاء (إنه علم الله السابق بما توجبه أحكام النجوم .)

أما الكشف الصوفى فإنه يعنى الاطلاع على ما وراء الحجاب ، من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية .

والرؤيا الصادقة تكون أثناء النوم إذ يطلع الله أصفياءه على الغيب ، فإذا حدث ذلك يقظة كان مظهرا من مظاهر النبوة أو الولاية .

والمسعودى يبين أسس التنبؤ :

يدعى البعض معرفته بالغيب على أساس من إخبار الجن لهم ، أو على أساس صفاء النفس وتجردها ، أو على أساس من أوضاع الفلك وتحركاته ، أو على أساس من قوة النفس وقهرها للطبيعة .

والخوارزمى ينقل الينا اختلاف القدماء فى تفسير تأثير السيارات :

فمن قائل إنها تفعل بطبعها ، ومن قائل إنها تفعل بالاختيار ، ومن قائل إنها لا تفعل وإنما هى دلالات على الحوادث ، والله هو المستبد بالخلق والإبداع .

انتشار التنبؤ فى البيئة العربية قبل الاسلام :

يذكر المسعودى أنه كانت للعرب اهتمامات واسعة بالكهانة ، ويذكر أسماء كهانهم من مثل : شق ، وسطيح ، وسملقة ، وزوبعة ، وسديف ابن ماهان وطريفة الكاهنة ، وعمران أخى عمرو بن مزيقياء ، وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة .

ويقول الشهرستانى (... ومنهم — أى العرب — من كان يعتقد فى الأنواء اعتقاد المنجمين فى السيارات ، حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء ، ويقول : مطرنا بنوء كذا ...) ثم يقول (.. وكان لهم علم الأنواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم .)

ويقول الدكتور توفيق الطويل (ذاعت أساليب التنبؤ عند عرب الجاهلية ذيوعا واسع المدى) . .

انتشار التنبؤ فى الدولة الاسلامية :

يبين ابن خلدون انتشـار التنبؤ فى الدولة الاسلامية فيقول (وأما فى الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها على العموم ، وفيما يرجع إلى الدولة وأعمارها على الخصوص ...) . ويذكر مستند المتنبئين فى تنبؤاتهم آنذاك : من الكشف الصوفى ، والولاية ، والأثر ، ولكنه يبين أن الأمر صار بعد ذلك إلى الاعتماد على المنجمين ..

ويذكر ابن النديم أخبار المنجمين ومن إليهم فى خمس صفحات من كتابه . الفهرست ، يذكر فيها أسماءهم ومصنفاتهم ، مما يدل على سعة انتشـار هذا الأمر فى البيئة الاسلامية وبخاصة مصر .

ويذكر الدكتور توفيق الطويل طرق التنجيم التى كان بوسع المسلم أن يتناولها فى ذلك العهد :

١ ــ طريقة المسائل : ويراد بها الإجابة على أسئلة تتصل بحياة النـاس اليومية من الإخبار بغائب ، أو بما يسر .. الخ .

٢ ــ طريقة الاختيارات : وهى اختيار الأوقات التى تلائم القيام بعمل ما .

٣ ــ طريقة تحاويل السنين : وتقوم على أن الصور السماوية فى زمن المولد تحدد طابع المولود بدقة .

مصادر انتشار التنبؤ فى الدولة الاسلامية :

مما يدل على مصادر التنبؤ فى الدولة الاسلامية وعوامل انتشاره ما يقوله فان فلوتن فى كتابه « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية » من أنه كان بجانب التنبؤات المرتجلة كتب الملاحم وهى أشعـار تتضمن بعض التنبؤات ، ويرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجرى ، وكتب للتكهن بالغيب لم تكن معروفة عند العرب بادىء الأمر ، ثم وصلت إليهم عن طريق اليهود والمسيحيين مما كانوا يحتفظون به عن كهانهم .

ويذكر أن القسيسين والرهبان والقبط واليهود كانوا قد أخذوا عـلى عاتقهم إذاعة هذه الكتب بين المسلمين ، وأنها سميت الكتب القديمة ومن بينهـا ما كان يعزى إلى بعض الأنبياء لكى يحوز الثقة (!!) وكان من بينها كتاب دانيال الذى ذاع بينهم فى القرن الأول الهجرى ، وذاعت بعد ذلك التنبؤات الدانيالية بكثرة عظيمة ، وانتشرت بين الناس جنبا لجنب مع كتب الجفر الذى يعزى إلى آل البيت .

ويذكر نلينو أن أول ترجمة لكتب النجوم كانت للأمير خالد بن يزيد ــ ت ٨٥ هـ ــ كما يذكر أن ما ترجم له منها هو ما كان له تعلق بأحكـام النجوم لا بعلم الهيئة ، ثم ترجم كتاب أحكام النجوم المنسوب إلى هرمس من اليونانية إلـى العربية ، قبل انقضاء الدولة الأموية بسبع سنوات ، ثم ترجم أبو يحيى البطريق فى عهد المنصور كتاب المقالات الأربعة الذى وضعه بطليموس فى صناعة أحكام النجوم .

موقف المسلم من التنبؤ الطبيعي :

فى مجال الإخبار بالغيب يجد المسلم امامه اخبارا عن الغيب صادرة عن النبوة ، وأخبارا عن الغيب صادرة عن الكهانة وما إليها .

وإذ يشرح ابن خلدون فى مقدمته وجوه التفرقة بين هذين ، يقرر للنبوة خيريتها وصدقها وسموها ، ويردد فى غيرها بين احتمال الصدق والكذب والقطع بالكذب ، كما ينبه إلى الالتباس الذى قد يجوز على بعض الغافلين .

ولما كانت النبوة صادرة فى إخبارها ببعض المغيبات عن علم يقينى يختصها به الله سبحانه « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا إلا من ارتضى من رسول » — سورة الجن ٢٦ ، ٢٧ — فقد كان على كل مسلم ان يؤمن بما يثبت عن النبى من أخبار تنبىء عن أحداث المستقبل . كالذى وقع فى الصحيحين من حديث حذيفة قال : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذاك إلى قيام الساعة إلا حدث عنه ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابه هؤلاء) . يقول ابن خلدون : (وهذه الأحاديث كلها محمولة على ما ثبت فى الصحيحين من أحاديث الفتن والأشراط لا غير .)

وإذا كان ما يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم واجب التصديق لأخذه عن علام الغيوب ، فإن الأمر فى غير ذلك لا يكون لازما لعقيدة المسلم ، بل إنه قد يكون مثار شك تارة ، وتضليل تارات . .

يمكننا أن نقبل ما يثبت عن سيدنا على رضى الله عنه — مثلا — على أساس معرفته بالأثر المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو على أساس الرؤيا الصادقة أو الكشف الصوفى ، مما ينتسب إلى التنبؤ الطبيعى الذى يمنحه الله أصفياءه وأولياءه . . . من أنه قال لأصحابه وقد خرجوا لبعض معاركه مع الخوارج (إنه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة .) ، فصحت نبوءته .

يمكننا أن نقبل ما يثبت من ذلك عن على رضى الله عنه أو عن غيره من الصحابة وأولياء الله ، فهم فى ذلك لا يتعدون ما تعلموه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو ما بذل لهم من كرامة ، أو ما استنتجوه ببصيرتهم النقية .

ولقد كانت لعلى رضى الله عنه مواقف تؤكد قصده فى هذا الأمر ، ووقوفه عند حده فيه ، من ذلك انه خرج لمحاربة اعدائه فقال له رجل من جيشه وهو يهم بالخروج (يا أمير المؤمنين لا تخرج فى هذه الساعة فإنها ساعة نحس لعدوك عليك . .) فقال له سيدنا على (توكلت على الله وحده وعصيت راى كل متكهن ، انت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ؟ إنى توكلت على الله ربى وربكم ، ما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم .) ، ثم سار إليهم فغلبهم .

ولجعفر الصادق أخبار رويت عنه بما سيكون ، إن صحت أو وقعت فإنها تكون نوعا من التنبؤ عن طريق الأثر أو الكشف أو الرؤيا ، لكن أتباعه زادوا فيه ، وأعلن هو تبرؤه من الكثير مما كان يحمل عليه ، فقد روى القاضى النعمان فى

كتابه دعائم الاسلام أن سديرا الصيرفى من أصحاب جعفر سأله (فقال له : جعلت فداك : إن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثرت حتى قال بعضهم : إن الإمـــام ينكت فى أذنه ، وقال آخرون : يوحى إليه ، وقال آخرون : يقذف فى قلبه ، وقال آخرون : يرى فى منامه ، وقال آخرون : يفتى بكتب آبائه ، فبأى قولهم آخذ جعلت فداك ؟ فقال : لا تأخذ بشىء من قولهم يا سدير ، نحن حجة الله وأمناؤه على خلقه حلالنا من كتاب الله ، وحرامنا منه .) ..

ومع ذلك فقد اشتهر بين أتباعه كتاب « الجفر » ، يقوله عنه ابن خلـــدون (واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلى وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص على الخصوص ، ووقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الأولياء .) . ثم يقول : (وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ الكلمـــات لا يصحبها دليل ..) .

وبجانب ذلك كله مما يمكن حمله على التنبؤ الطبيعى لو صح أو ثبت ، كان يوجد التنبؤ الصنعى بأساليبه المختلفة وانحرافاته المؤكدة ، وكان للتنجيم نفوذ لدى العامة ، والقادة والخلفاء كالحجاج ، وجعفر المنصور ، والمأمون .

موقف العلماء من التنبؤ الصنعى :

ولقد شدد علماء المسلمين النكير على التنبؤ الصنعى بناء على إدراكهم لمفارقته للروح الاسلامية ، ومعارضته لأصوله .

أما كشف الصوفية أو التنبؤ الطبيعى فقد قبله العلماء والفقهاء حتى ابن تيمية أشد المنكرين على طوائف الصوفية .

وبالرغم من أنه وجد هنالك من يقول (... يجوز أن يقال : سير هـــذه الكواكب كالصيف أجرى الله السنة فيه بحرارة الهواء ، وفى الشتاء ببرد الهواء ، فلا الصيف موجبة ولا الشتاء ، لكنها أسباب وأوقات وعبارات ، والله هو المختص بالخلق والإيجاد ..) :

بالرغم من ذلك فإن الحس الاسلامى العام كان ضد التنجيم ، وكـــان يسجل أثره الضار على العقيدة ، فضلا عن أن التبرير السابق وجد من يعقب عليه بمناقشة قوية تبطله من بين علماء المسلمين الذين هم أكثر فهمـــا للروح الاسلامية ولأصول الاسلام .

روى أبو حيان التوحيدى فى كتابه المقابسات أن أبا عبد الله سفيان بن سعيد الثورى أمير الحديث واحد الأئمة المجتهدين ت ١٦١ هـ ـ لقى ميشى بن إيرى المنجم اليهودى الذى اشتهر فى زمن المنصور وتوفى عام ٢٠٠ هـ ـ (فقال له : أنت تخاف زحل ، وأنا أخاف رب زحل ، وأنت ترجو المشترى وأنا أرجو رب المشترى ، وأنت تغدو بالاستشـــارة ، وأنا أغدو بالاستخارة ، فكيف بيننـــا ؟ فقال له ميشى : كثير ما بيننا ، حالك أرجى ، وأمرك أنجح وأحجى .) ..

ويرشدنا الإمام الغزالى إلى تأثير التنبؤ التنجيمى على العقيدة فيقول :(إنه

مضر بأكثر الخلق ، فإنه إذا القى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب ، وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة ، وأنها الآلهة المدبرة ، لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها فى القلوب ، فيبقى القلب ملتفتا إليها ، ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها ، وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب ، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر مسخرات بأمره سبحانه وتعالى .) . .

ويقول أبو حيان التوحيدى فى كتابه المقابسات : (وأرباب الكلام والدين يأبون تأثير هذه الأجرام العالية فى هذه الأجسام السافلة ، وينفون الوسائط والوسائل ، ويدفعون الفواعل والقوابل .) .

وفى هذا يقول الدكتور توفيق الطويل : (فلما نزل القرآن هاجم هذه الأساليب وحصر الإدراك الغيبى فى الله وحده ليجتث الوثنية من جذورها .) .
ويقول فى موضع آخر : (إن الإنكار — إنكار التنبؤ الصنمى — مرجعه إلى الروح الدينية الاسلامية .) .

القول الفصل هدى الرسول صلى الله عليه وسلم :

فى هذا الموضوع أورد الامام البغوى فى كتابه « مصابيح السنة » أحاديث من الصحاح . .

عن معاوية بن الحكم رضى الله عنه انه قال :

قلت يا رسول الله : أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية ، كنا نأتى الكهان . قال : فلا تأتوا الكهان . قلت : كنا نتطير . قال : ذلك شىء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم . قلت : ومنا رجال يخطون . قال : كان نبى من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل اناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بشىء . قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشىء يكون حقا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى ، فيقرها فى اذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة .

رواهما مسلم فى صحيحه أيضا .
وروى مسلم بسنده عن صفية عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن انه قال : من أتى عرافا فسأله عن شىء ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .

وروى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى مسعود قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ، ومهر البغى ، وحلوان الكاهن .

وأورد الإمام البغوى فى مصابيح السنة حديثا من الحسان :
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: من اتى كاهنا فصدقه بما يقول ، أو أتى امرأته حائضا ، أو أتى امرأته فى دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن الصحاح : عن زيد بن خالد الجهنى قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف اقبل على الناس بوجهه فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال الله : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بالكوكب ، وكافر بى ومؤمن بالكوكب ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب . » .

وروى الإمام المحدث حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى — ت ٤٦٣ هـ — بسنده عن العباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد طهر الله هذه الجزيرة من الشرك إن لم تضلهم النجوم) . .

وروى بسنده عن أبى محجن قال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أخاف على أمتى بعدى ثلاثا : حيف الأئمة ، وإيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر .) وذكره السيوطى فى الجامع الصغير .

وروى ابن عبد البر بسنده عن أبى نضرة قال : قال عمر (تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا .) .

مجموع هذه الأحاديث يلزمنا نحن المسلمين بأمور :

اولا : تجنب الكهان بأساليبهم المختلفة التى يدعون بها الاطلاع على الغيب ، سواء كان اسلوبهم فى ذلك التنجيم أو العرافة ، أو الاتصال بالجان أو غيره . .

ثانيا : إسقاط أى دعوى عن تأثير النجوم والفلك فى مصائر البشر فى حاضرهم أو فى مستقبلهم .

ثالثا : تجنب استيحاء النجوم علما يتعلق بالغيب ، فذلك نوع من السحر أو شبيه به ، يزاد فيه من هنا أو من هناك ، وكلاهما محرم .

رابعا : أن الكهانة فى دعواها علم الغيب ربما تستمد من علم الجن شيئا ، أو من غيره ، لكن هذا لا يبيح الأخذ عنها ، ولا يبيح تصديقها ، لأنها مباءة الكذب والتضليل ، وليست موضع ثقة لأحد .

خامسا : لو أعطى المؤمن شيئا من ثقته لدعاوى العلم بالغيب الصادرة عن الكهانة والتنجيم وما إليها لضل من بعد هداية ، وكفر من بعد إيمان ، فهو فى ذلك واقع فى أحد أمرين :

١ — الكفر الصريح إذا صرفه ذلك عن الإيمان بالخالق ، وبقضائه وقدره ، وهو على شفا حفرة من ذلك لا محالة واقع فيها ، فإذا لم يقع فيها من قريب وقع فى :

٢ — ارتكاب كبيرة لا تقل عن كبائر : الظلم ، والزنا ، والسحر وما أشبه .

سادسا : أما علم الغيب الذى يطلع الله عليه أنبياءه أو أولياءه كرامة لهم ، فلا حرج على فضل الله فيه ، ولا علينا فى الأخذ به بشرط التثبت منه ، والتيقن من صحته ، والارتكان إلى موافقته لما شرعه الله .

سابعا : أن علم النجوم كجزء من العلوم الكونية التى نستفيد بها فى معرفة الطبيعة واستغلالها وتسخيرها لمصلحة الإنسان : علم لازم ، ومن التقصير فى الدين إهماله ، شأنه فى ذلك شأن العلوم الأخرى التى يأمرنا بهـــا الشارع الحكيم . .

تحــذير وتحــذير :

وربما يستبعد البعض منا أن تؤدى به النجامة فى العصر الحديث إلى شىء من الشرك أو الكبيرة . .

ونحن نقول لهؤلاء : بل إن العصر الحديث بظروفه ودعاواه أقـــوى أثرا وأشد إلحاحا فى جر الإنسان إلى الشرك أو الكبيرة عن طريق التنجيم والتنبـؤ بالمستقبل لو أنه أفلح فيه . .

إن العلم الحديث لو ملك شيئا من التنبؤ بمستقبل الفرد لوقع هذا الفرد أسير القابضين على زمام هذا العلم من الساســة أو المسئولين ، ولصـــار عبدا ذليلا فى أيديهم يوجهونه كيف يشاءون ، ولما وجد الفرد العادى فى نفسه شيئا من القدرة على معارضتهم أو التمرد عليهم ، ولتوجه إليهم فى كل شئونه يستلهمهم رأيهم ، ويستوحيهم تعاليمهم ، وذلك صميم الشرك ومنتهاه .

ويكفى فى تصوير بشاعة هذا المصير الذى ينتهى بالفرد إلى العبوديـــة التامة لغير الله ، أن نستذكر خطورة أساليب التصنت الالكترونية التى ذاعت فى الحروب ، وشاعت فى المجتمعات ، وأصبحت فى متناول الأفراد بعضهم على بعض ، وفى متناول السلطات بالنسبة للأفراد ، وأصبح فى إمكان أى فرد أن يسجل ما يدور فى الجلسات الخاصة لأى فرد آخر على بعد معين منه . أقول : يكفى أن نستذكر خطورة هذا الوضع على الحريات ، وعلى تكوين الشخصية ، وعلى أساليب المعيشة ، وهو ما يزال بعد فى دور التصنت على الحاضر ، فمـا بالك عندما يصير الأمر تصنتا على المستقبل ــ على فرض حدوثه ــ ؟؟ إنه فى هذه الحالة يكون الفرد ملكا تاما وعبدا خالصا لمن يملكون معرفة حاضره ومستقبله

وإن الله لأرحم بعباده من أن يتركهم لمثل هذا المصير البشع ، والضيـــاع الأكيد ، وإنه بعد هذا وذاك الوقوع فى الشرك لا محالة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

إذا عرفنا ذلك . كان لزاما علينا أن نوجه تحذيرا إلى القراء المسلمين الذين يتلمسون هذه الكتب التى تنشر وتذاع عن الحظ والمستقبل واتصاله بعلم الفلك أو التنجيم ، نقول لمن يعتقد فى صحتها منهم : إنهم يوشكون على الوقوع فى الشرك بالله . أو على الأقل يوشكون على ارتكاب كبيرة لا يرضاها ضميرهم الدينى .

ونقول لمن يطلع عليها من باب التجربة أو التسلية أو التفكه ــ كما يقال ــ أنهم « يلعبون بالنار » ، ويمهدون للشيطان مداخله ، وإنه لمن المؤكد أن مثل هذه الكتب ما كانت لتروج لولا مقدمة سبقتها ، تناولها الكثير منا على سبيــل التسلية والفكاهة كذلك ، تلك هى مادابت الصحف على نشره منذ سنين طويلــة تحت عنوان « حظك اليوم » فهذا الباب الصحفى هو الذى صنع ــ أو أيقظ ــ

العقلية المهيأة لشراء الكتب التى تنشر فى هذه الأيام ، أو لقراءتهـــا ، ومقدمـــة تسلم إلى أخرى ، والكأس الأولى كانت ــ ولا تزال ــ هى هدية الشيطـــــان وأسلوبه فى صنع الإدمان . وإن للتسلية والفكاهة لسبيلا غير هذا السبيل ، وإنما هى كلمة تقال ، نزيف بها أحاسيسنا ، ونموه بها على أنفسنا ، وقد آن أن نواجه الحقائق ، وأن نتيقظ لمسئوليتنا ، وأن ندرك ما وراء هذا التسلل مـــن أهـــداف .

كذلك فإن علينا أن نوجه تحذيرا إلى المسئولين عن النشر وعن التخطيط الثقافى ، نوضح فيه خطورة هذه الاتجاهات الخرافية على عقـــــول شعوبنا الناهضة وهى ما تزال بعد تخطو خطواتها الأولى فى طريق العلم ، وما تزال بعد تخطو خطواتها الأولى فى طريق التخلص من الخرافة التى أثقلت كاهلها وحبستها فى ظلام الجهل والرجعية ، الأمر الذى لا يقارن به حال المجتمعات الأوربيـــة الحديثة التى تنتشر فيها هذه الموجات الخرافية ، فتلك مجتمعات جرعت من العلم والعقل حتى الثمالة وصارت الخرافة ــ إلى حد ــ ضرورة لها لتخفيف ما ينوء به كاهلها من جهامة المنطق وصرامة العلم ، تلجأ إليها فى غيبة الفكر الدينى الصحيح، وليس ذلك حال مجتمعنا على وجه من الوجوه ، فالخطورة المتمثلة هنا تكـــاد تختفى هناك ، وما علينا من أن يكون سبيلهم غير سواء السبيل .

كذلك فإن علينا أن نوجه تحذيرا إلى المسئولين عن الكيان الاقتصـــــادى والسياسى لمجتمعاتنا النامية ، نوضح فيه خطورة هذه التيارات الخرافية عـــلى عزائم شعوبنا النامية ، إذ تدس إلى كيانهم النفسى نوعا هداما من الاتكاليـــة والارتباط بالحظ ، وهم ما يزالون بعد يحاولون خلع أسمال الفقر ، وما يزالون بعد يحاولون طرح شعارات الذل ، الأمر الذى لا يقارن به حال المجتمعات الأوربية التى تنتشر فيها هذه الموجات الخرافية كذلك ، إن لم نلحظ أنها هى التى تصنعها لتصدرها إلينا .

كما نوجه تحذيراً إلى المسئولين عن الوعى الدينى فى مجتمعنا الاسلامى ، نطلب إليهم فيه أن يتيقظوا لكل تيـــار يؤسس للإلحـــاد أو للغواية من هنـــا أو من هناك ، ونطلب إليهم فيه أن يستغلوا الفرصة المبذولة لهم : بالكلمة الطيبة ، والمقال المدروس ، والخطبة الواعية ، والنصيحة الخالصة ، والسعى الجميل .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..

أيّ رجال كانوا هؤلاء

للدكتور احمد الشرباصي

دعنا نرحل بطائرة الخيال الى أعماق التاريخ ..

نحن الآن فى وسط القرن الرابع الهجرى .. ونحن الآن فى بلدة : (بَرْذَعة) . وهى — كما يحكى ياقوت فى معجمه — بلدة فى أقصى أذربيجان من بلاد العجم ، و (برذعة) كلمة معربة عن كلمة (بَرْدَه دار) الفارسية ، ومعناها : موضع السبى ويحكى فى سبب تسميتها أن أحد ملوك الفرس سبى سبيا ، وانزله فى هذا المكان ، فسمى لذلك : (موضع السبى) .

ويرى أن برذعة هى فى الأصل مدينة (أرّان) ، وهى آخر حدود أذربيجان ، وكان أول من أنشأ عمارتها (قباذ الملك) ، وهى فى سهل من الارض ، ومساحتها أوسع من فرسخ فى فرسخ ، وهى بلدة نزهة خصبة ، كثيرة الزروع والثمار ، وكان بيت مالها فى مسجدها الجامع ، على طريقة الشام قديما ، وكانت امارتها بجوار جامعها .

وقد فتحها باسم الاسلام المجاهد البطل : سلمة بن ربيعة الباهلى ، فى عهد الخليفة ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وسلمة أحد الصحابة ، وكان يقال له : (سلمة الخيل) لخبرته بها ، وروى عنه كثير من كبار التابعين ، وقد شهد فتوح الشام ، وسكن العراق ، وكان رجلا صالحا ، يحج كل سنة ، وكان أول من تولى قضاء الكوفة (١) .

وقد عدت العوادى بعد ذلك على (برذعة) حتى قال عنهـــا ياقوت الحموى(٢) المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة : « هذه صفة قديمة ، فأما الآن فليس من ذلك كله شىء ، وقد لقيت من اهل برذعة بأذربيجان من سألته عن بلده ، فذكر أن آثار الخراب بها كثيرة ، وليس بها الآن الا كما يكون فى القرى : ناس قليل ، وحال مضـــطرب ، وصعلكة ظاهرة ، وضر باد ، ودور متهدمة ، وخراب مستول عليهم ، فســـبحان من يُحيل ولا يحول ، ويزيل ولا يزول ، وله فى خلقه تدبير لا يظهر لأحد من خلقه سر المصلحة »(٣) .

وينسب الى (برذعة) كثير من أهل العلم والفضـــل ، ومنهم الإمام العابد الرحالة المحدّث المؤتمن : ابو بكر عبد العزيز بن الحسن البرذعى ، خرج من نيسابور سنة ٣١٨ ﻫ الى رباط (فراوة) البلدة التى بناها عبد الله بن طاهر فى خلافة المأمون ، فأقام بها مدة ، ثم ســـكن بلدة (نسا) الى أن توفى بها سنة ٣٢٣ ﻫ .

وينسب اليها ايضـــا الإمام مكى بن أحمد بن سَعدوية البرذعى ، احد المحدّثين المكثرين ، والرحالين المحصلين ، ســمع بدمشق وطرابلس وبغداد ومصر ، وروى عنه كثيرون ، ثم خرج الى نيسابور سنة ٣٣٠ ﻫ . ثم خرج الى ما وراء النهر سنة ٣٥٠ ، وكتب بخراسان ما يتحير فيه الانســـان من كثرتـــه وضخامته ، وتوفى فى بلدة الشاش سنة ٣٥٤ ﻫ .

ومن مشـــهورى المدفونين فى أرض (برذعة) يزيد بن مزيد الذى رثاه الشاعر المعروف مسلم بن الوليد بقوله :

قبر ببرذعة ، اســـتسر ضريحـــه ... خطراً تقاصر دونه الأخطـــــار
اجل تنافســـه الحمـــام ، وحفرة ... نفست عليهـــا وجهك الأحجـــار
أبقى الزمان على معـــد بعـــده ... حزنا ، لعمر الدهر ليس يعـــار
نقضت بـــك الآمال أحـــلاس الغنى ... واسترجعت نزاعهـــا الأمصـــار
سلكت بك العرب السبيل الى العلا ... حتى اذا بلـــغ المدى بك حـــاروا
فاذهب كمـــا ذهبت غوادى مزنة ... أثنى عليهـــا الســـهل والأوعار

كادت (برذعة) بأخبارها تنسينا ما رحلنا من أجله اليها فى عصر عزها ومجدها ..

نحن الآن فى (برذعة) فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، ونحن الآن نجلس الى حفص بن عمرو الأردبيلى المنسوب الى (أردبيل) التى كانت من اشهر مدن أذربيجان ..

نجلس اليه ليحدثنا عن الإمام الحـــافظ المحدث : أبو عثمان ســـعيد بن عمرو بن عمار الأزدى البرذعى ، الذى سمع من كثيرين فى دمشق ، وروى عنه كثيرون . سمع أبا زرعة الدمشقى ، وأبا يعقوب الجوزجانى ، وأبا سعيد الأشج ، ومســـلم بن الحجاج الحـــافظ ، ومحمد بن يحيى الذهلى ، وأبا حاتم الرازى ، وأبا زرعة الرازى ، وغيرهم ..

يروى حفص بن عمرو الأردبيلى عن سعيد بن عمرو قصة تقول :

جلس سـعيد بن عمرو البرذعى فى بيته ، وأغلق عليه بابه ، وقال : ما أحدَث الناس ، فان الناس قد تغيروا . وكأنه قد رأى فى الناس تقاصرهم ، وضعف عزائم ، وقلة عناية بالعلم ، فأراد أن يحفظ على نفسه كرامة العلماء وصيانة العلم ، فآثر العزلة فى داره .

ولكن طائفة من كرام الناس من أصحاب الحديث أرادوا الا يحرموا علم أبى عثمان ، فاستعانوا عليه بأن أوفدوا اليه رسولا يرجوه ويتشفع اليه ، كى يقطع عزلته ، ويفتح بابه ، ويعود الى سابق عهده من الجلوس الى الناس ، ومواصلة تحديثهم بما يحفظ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان هذا الرسول هو (محمد بن مسلم بن واره الرازى) الذى ذهب الى أبى عثمان ، واستأذن عليه ، وتلطف فى الحديث معه ، ورجاه أن يقطع عزلته ، ويعود الى الجلوس للناس .

فقال له أبو عثمان : لا افعل .

فقال له الرازى : بحقى عليك إلا حدثتهم .. !

فسأله أبو عثمان : وأى حق لك علىَّ .. ؟

فقال الرازى : أخذت يوما بركابك .

فقال أبو عثمان : قضيت حقا لله عليك ، وليس لك على حق .

فقال الرازى : ان قوما اغتابوك فرددتُ عنك .

قال أبو عثمان : هذا ايضا يلزمك لجماعة المسلمين .

فقال الرازى : فإنى عبرت بك يوما فى ضـيعتك ، فتعلقت بى الى طعامك ، فأدخلت على قلبك سرورا .

فقال أبو عثمان : أما هذه فنعم .

وأجابه الى ما أراد ، وعاود الجلوس الى الناس .



لله هذه الطباع التى ترق وتشف حتى كأنها نسمات الربيع ..

لقد قال محمد بن مسلم الرازى لأبى عثمان سعيد بن عمرو : « اخذت يوما بركابك » . هو يعنى بذلك أن أبا عثمان كان راكبا ، فجاء الرازى فسار الى جانب ركابه ماشيا ، وقد فعل ذلك تكريما للعلم واجلالا للعلماء ، ولذلك رد عليه أبو عثمان بقوله : قضيت حقا لله عليك ، وليس لك على حق .

ولقد روى التاريخ أن زيد بن ثابت الصحابى الفقيه العلم — رضى الله عنه — ركب ذات يوم ، فرآه حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فأقبل عليه ، وأخذ بركابه ..

فقال له زيد : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فأجابه ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال له زيد : فأرنى يدك .

فأخرج اليه يده ، فقبلها زيد قائلا : وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم(٤) .. ؟

واذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « إن الملائكة لتضـع اجنحتها رضا لطالب العلم » .. فكيف اذن تكون مكانة العلماء الذين وصفهم الحديث بأنهم ورثة الأنبياء .



اذن فليبحث الرازى عن حق آخر ..
قال لأبى عثمان : ان قوما اغتابوك فرددت عنك ..
فأجابه بقوله : هذا ايضا يلزمك لجماعة المسلمين ..

اى ان الرد على المغتاب ليس حقا لأبى عثمـــان ومن فى مثل مكانته فحسب ، بل هو حق لجماعة المسلمين كلهم ، بهذا ينادى أدب الاسلام ، واليه تدعو تعاليمه .

وهذا هو حجة الاسلام ابو حامد الغزالى يتحدث فى كتابه الجليل (إحياء علوم الدين) عن حقوق الأخ على أخيه فى الاسلام ، فيعدد طائفة منها ، ثم يقول :

« واعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة ، الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء ، أو تـُعرُض لعرضه بكلام صريح أو تعريض ، فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة ، وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه ، والسكوت عن ذلك موغر للصدر ، ومنفر للقلب ، وتقصير فى حق الاخوة .
وانما شبـَّه رسول الله صلى الله عليه وســـلم الأخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى ، لينصر احدهما الآخر وينوب عنه . وقد قال رســـول الله صلى الله عليه وســـلم : « المسلم أخو المســـلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يثلمه » وهذا من الانثلام والخذلان ، فان اهماله لتمزيق عرضه كإهمـــاله لتمزيق لحمه ، فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت ، لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك ، وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم » (٥) .

وهذا هو سيدنا رسول الله ــ صلوات الله وســـلامه عليه ــ يقول : « من حمى مؤمنا من منـــافق (اى مغتاب) بعث الله مَلَكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم » .

ويقول : « ما من امرىء يخذل أمرأً مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه ، الا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » .

ويقول : « من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » .



اذن فليبحث الرازى عن حق آخر يستثير به أبا عثمان ..
قال له : فانى عبرت بك يوما فى ضيعتك ، فتعلقت بى الى طعامك ، فأدخلت على قلبك سرورا ..
قال أبو عثمان : أما هذه فنعم .. !

أرأيت كرم النفوس وسماحة الأخلاق .. ؟ هذا هو الحق الذى يقدره قدره أهل الجود والعطاء والبذل ، هذا هو الحق الذى يخضع له كبار الرجال وأخيار الناس ، لأنهم مطبوعون على الفرحة الكبرى اذا قصدهم قاصد ، او استمحنهم مستمنح ..

إن هذا يذكرنا بما روته كتب الأدب والأخبار من أنباء الكرام والاجواد . ومنها أنه قيل لأبى عقيل : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه ؟

فأجاب : رأيت رغبته فى الإنعام فوق رغبته فى الشكر ، وحاجته الى قضاء الحاجة لطالبها أشد من حاجة صاحب الحاجة(٦) .

ويقول بشار العقيلى فى مدح كريم جواد :

ليس يعطيك للرجاء ، وللخوف ، ولكن يلذ طعم العطاء(٧)

ويقول هرم بن سنان فى ممدوحه :

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله



لذلك فرح أبو عثمان سعيد بن عمرو البرذعى بهذا الحق الذى ذكّره به محمد بن مسلم بن واره الرازى ، واعترف به ، وخضع له ، وهكذا تكون الأخلاق الكريمة والعواطف النبيلة . ومن حق المنصف أن يتساءل فى اعجاب واكبار : أى رجال كانوا هؤلاء .. ؟!

أولئك آبائى ، فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

سلام على الإمام أبى عثمان سعيد بن عمرو بن عمار الأزدى البرذعى ..
وسلام على الإمام محمد بن مسلم بن واره الرازى ..
وسلام على الأخيار الأطهار من كرام الرجال ..

---

(١) الاصابة ، ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠ .
(٢) أنظر تفاصيل حياته وادبه فى كتاب « ملامح ادبية » .
(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٣٨٠ طبعة بيروت .
(٤) العقد الفريد ، ج ٢ ص ٨٧ طبعة الاستقامة .
(٥) الاحياء ، ج ٥ ص ١٨٢ طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية ، سنة ١٣٥٦ .
(٦) العقد الفريد ، ج ١ ص ١٧٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

مالابد منه للمسيرة

محمد يوسف

بقلم : عبدالمقصود محمد حبيب

من تمام نعمة الله على الانسان ، ومن مظاهر حكمته سبحانه وتعالى فى خلقه بعد أن تخطى العقل البشرى طور الطفولة ، وتهيأ فكر الانسان للتدرج فى مراقى الحياة .. أن ارسل محمدا عليه الصلاة والسلام الى الناس بدين الإسلام : يتعهد الله به بنى الأنسان .. دينا قيما .. محكم الأساس قوى البناء متكامل النظم سامى الغرض نبيل الغاية .. وافيا بحاجات الأفراد والجماعات لا يطلبه مكان إلا ويصلح له ولا يظل الانسان زمان إلا ويجد الناس فيه بغيتهم .. محببا الى النفوس كاشفا للناس عن نواحى الخير وداعيا الى سعادة الدنيا والآخرة .. سعادة الانسان مع نفسه وبنفسه ومع الآخرين وبهم.

هو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها : تلك الفطرة التى تتجه الى الخير وتعتمد على الفكر السليم وعلى المبادىء السمحة الواضحة .. ذلك الدين الذى اهتم بتربية عنصرى الانسان: المادى والروحى ــ وحمايتهما مما يفسدهما أو ينحدر بهما الى طريق الشر .. لما لاكتمالهما وتجانسهما وانسجامهما من بعث للقدرة فى الانسان على أن ينهض الى قمة الفضيلة ويحيا فى عالم من الخير .

ولقد سبقت دين الاسلام ديانات اخرى .

كل ديانة تناسب مرحلة من مراحل تطور الفكر البشرى .. حتى جاء الاسلام مرحلة نهاية ، مناسبا لاكتمال فكر الانسان .. فجاء فى صورة جديدة وتركيب جديد يتفق مع ما بلغته البشرية من نماء ذهنى ونضج فكرى وقدرة على تقبل رسالة كاملة للبشرية كلها بعد أن كانت الأديان والرسالات من قبله ترسل لأمم معينة أو شعوب بعينها . .لذلك كان الخاتمة التى لا بد أن يأخذ بها الناس « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وكان لكل دين كتاب .. وكتاب الاسلام القرآن الكريم « وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .. كتاب من عند الله القدير الذى هو أعلم حيث يجعل رسالته .. فلذلك جاء كتابامعجزا ، لا يتصدى له عقل إلا كسره ولا يحاول مجاراته ذهن إلا صده « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .. يشرح رسالة الاسلام للناس فى اطار متكامل ويقيم حجة الله البالغة على من يعرض عن دينه ويولى الأدبار ويصير المصدر الاول لشريعته .. تلك الشريعة الخالدة التى ما أنعم الله بها على الانسان إلا لخير هذا الانسان أينما وجد وحيثما كان .. ما سار عليها واتخذها دليلا لحياته وحسبنا أن نعرف من غير جهد ولا مشقة أنها شريعة خالدة صالحة للتطبيق فى كل زمان جامعة لكل بغية الانسان فى خير .. شاملة لمصالحه ما عمرت به الدنيا ، وكيف لا تكون وهى خاتمة الشرائع ولاشريعة بعدها .

ومن أجل ذلك وجب أن تكون وافية بجميع الأحكام والقوانين التى يحتاج اليها الناس فى تدبير شئونهم وتنظيم حياتهم .. صالحة لمسايرة هذه الحياة فى جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورقيها .. تزودها فى كل عصر وكل جيل بما يكفل لها السعادة ويسبغ عليها السلام والأمن . وعمادها الأصيل فى ذلك :

١ ـ القرآن « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ، « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ، « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » فالقرآن وهو المصدر الأول لشريعة الاسلام قد احاط بجميع الاحوال والقواعد الكلية اللازمة لبناء الكيان الصالح للفرد والدولة ثم المجتمع الدولى .. والتى تقوم عليها حياة الانسان وبصلاحها يستقيم أمر الفرد ويصلح نظام الجماعة ، واحاط بأصول ما يلزم لحفظ المقاصد الخمسة والتى تعنى كل الشرائع والقوانين بالحفاظ عليها وهى : الدين ، والنفس والعقل ، والنسل ، والمال .. ووضع لها من اصول الأحكام ما يحفظ كيانها ويكفل بقاءها ويدفع عنها ما يفسدها أو يضعف ثمرتها « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

٢ ـ السنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين : وهى افعال واقوال وتقريرات فى الأمور الشرعية قد أثرت عنه ، ولأن القرآن جاء بكليات واصول عامة للأحكام جاءت السنة عن النبى توفى ذلك حقه من الشرح والبيان والتفصيل والتعليل .. جاءت السنة مفسرة للقرآن : تبين مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عامه وتفصل احكامه وتوضح مشكله .. فمن الفرائض والأحكام ما جاء فى القرآن نصوصا

مجملة كالصلاة والزكاة والحج ، فلم تذكر فى القرآن هيئاتها ولا تفصيلاتها .. فبينها الرسول عليه الصلاة والسلام بسننه الفعلية والقولية .

* * * *

وليس كتاب الله ببعيد عنا ولا سنة نبيه الكريم ، وهما نبع الاسلام حتى نجد صالحنا فى كل أمر من امور الدين والآخرة يشع منهما ضوءا باهرا وشمسا ساطعة وطريقا ميسرا سهلا واضحا .

وذلك لولم نر الاسلام بما نحن عليه اليوم .. ولكن اذا عدنا اليه ــ كما اقول ــ فى كتابه وفى أحاديث رسوله ثم فى تاريخ رجاله الأولين الذين اكتسحوا الوثنيات وقوضوا معاقل الشرك ورفعوا أعلام الحرية والعدالة والمساواة تخفق على ربوع العالم ، ولما يكن مضى على الدعوة إلا نصف قرن .

لقد دعا الاسلام الى تحرر الفكر من ظلام الجاهلية ، ودعا الانسان الى التخلص من قيود الجمود كما دعاه الى أن يمعن النظر فى الوجود وفى آيات الله الكبرى وفى ملكوت السموات والأرض وما بينهما ، والى اليقظة من سباته بما ذكر فى القرآن فى قصص الأولين ..

عنى الاسلام بوضع النظم الاجتماعية التى تكفل للانسان أسلم حياة .. معتبرا أساس ذلك المساواة بين الناس وحرية الفرد مع مراعاة حرية الآخرين .

إنه يرافق الفرد فى كل أطوار حياته وينظم له كافة شئونه ثم يتولى الجماعة وما يكون بين الفرد وغيره من صلات ويدعمها بنظمه وتشريعاته

ولم يغفل الاسلام علاقة المسلمين وغير المسلمين .. بل نظمها ورسم لنا على أى وجه يمكن الاتصال بهم فى أمر من أمور الحياة من معاملات وحرب وسلام وجوار ..

ولم يدع الاسلام الناس الى أن ينقطعوا عن الدنيا ويتمسكوا بالرهبانية بل نهى الاسلام عن ذلك وحث المسلمين على أن يسيروا فى الأرض ويبتغوا من فضل الله وأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم ويتمتعوا بما أحل لهم .

وبالجملة فقد قصد الاسلام بتشريعه تحقيق المصالح للناس ودفع المفاسد عنهم وكانت تشريعاته كلها مبنية على أن مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد اذا ما تعارضت المصلحتان وأن دفع الضرر العام مقدم على دفع الضرر الخاص .

مبادىء سامية غاية السمو تأخذ بالناس دائما الى الخير والفلاح والرشاد وتقضى على عوامل الشر والفساد والضياع .. مبدأ العدالة والمساواة ومبدأ الشورى ومبدأ التسامح ومبدأ التضامن الاجتماعى ومبدأ احترام الحريات .. « هى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان دخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله » .

* * * *

ولكن أين نحن الآن من كل ذلك ..؟

لقد أصبحت المذاهب والقوانين الوضعية هي كل همنا ونسينا في غمرة البعد عن المنبع الأصيل للحياة السليمة الكريمة النافعة للناس جميعا .. نسينا في غمرة ذلك البعد ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه .. والتفتنا بكل طاعتنا وتنفيذنا لقوانين وضعية ناسين انها مهما تسامت فهي من وضع البشر الذين قد يلعب بهم الهوى أو يغلبهم العرض .. أو يكونوا هم سببا لانبثاق الهوى والغرض بين المنفذين والمعتقدين والاتباع .. وناسين ما استؤمنت عليه أمة الاسلام من دون الناس : من شريعة سمحاء اشتملت على أحكام هي دستور صالح لكل زمان ومكان تخدم مصالح الناس في مشارق الأرض ومغاربها .. شريعة من أهم دعائمها التلاقي في عزة على الخير والبر والتواصي على الحق ، وليس البر فيها مظاهرات ولا شعارات فقط أو دعوات بدون عمل ، ولا تعرف التحزب ولا التشيع ، فالمسلمون بمقتضاها جميعا اخوة .. وحذرت دائما من التفرق وتأمر دائما بالرجوع في كل أمر الى الله ورسوله .

ولقد نرى موجات من العودة الى الدين في أشكال من حلقات للذكر وتلاوة القرآن وكتابة المقالات والبرامج .. ولكن ليس ذلك الا دعوة ظاهرية لا تأخذ من الدين الا الشكل .. بينما نحن بعيدون ونحن نعمل كل ذلك عن الجوهر واللب .. فتأتي العودة هشة بائسة ضعيفة .. لا تلبث أن تمر المناسبة أو الذكرى فلا نجد لما عدنا اليه وقتها اثرا ولو ضعيفا .

ولقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله) ، وقال الله سبحانه في كتابه « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ، « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

من هذا المنبع نريد أن نبدأ الطريق فكرا وعملا وجهادا .. يجب أن نبدأ فنرد كل ما في دنيانا الى ديننا .. فما كان فيه فالسير عليه واجب واجب .. وما ليس منه فلننحه من حياتنا فورا ، وبدون ابطاء « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .. أن نأخذ من ديننا ما تستقيم به شئون دنيانا دون زيف أو تحريف وأن نطوع سلوكنا ونظم حياتنا لشريعتنا من غير انحراف أو تبديل وأن نجمع على الحق كلمة تتنازعها عوامل الوهن وتتهددها مخاطر الفرقة ..

وللشعوب الاسلامية خاصية استودعها الله الفرد وخلق بها الجماعة فربى الاسلام الفرد على أن يعيش لدينه ونفسه بقدر ما يسعد وأن يعيش لدينه وللناس من حوله بقدر ما تنهض الأمة وترقى على انه فرد في مجتمع لاتحده حدود ولا تسوره أبعاد ، وربى الجماعة على أن تتكاتف وتتعاون ليسعد ذلك الفرد على صعيدها ويتنفس ملء رئتيه في حمايتها ورعايتها وصدق الله العظيم اذ يقول : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ومن هنا كان زمام السلوك السوي للفرد وللجماعة هو العقيدة السليمة والعمل الرشيد .. ولذلك فان شعوب المسلمين لن يصلح أمرها إلا بما صلح به أولها فلن تجمعها مصالح الدنيا ما لم تجمعها عقيدة الدين وتحيا في نفوسها دوافع الميثاق الذي واثقها الله به ولن تجمعها عقيدة الدين ما لم تكن لتلك العقيدة أصول ثابتة في قلوب صافية

ونفوس زاكية فتتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويصبحوا يدا على من سواهم . ؟

إن الشريعة الاسلامية اذا ما عدنا اليها عملا وقولا من أول الايمان بالله واداء فرائضه والسير على ما رسمته لنا والتخلق بأخلاقها واتباع منهاجها فلن ترهقنا من أمرنا عسرا .. بل نسير بها فى أمن وسلام .

* * * *

إن العالم الآن يضج بألوان الزيف والخداع وتحكم القوى فى الضعيف وانواع كثيرة من استغلال الدول لبعضها والانسان للانسان ، وانواع كثيرة من المظالم والمفاسد ووأد الحريات وتضييق الخناق على البشر وملأت نفس الانسان معايير ظالمة سوداء تخرجه عن طريق الحياة الفاضلة والهناءة المسعدة .. فأصبح الانسان كارها لغيره حقودا عليه لا يرحم ضعفه ويخشى بأسه .. الزيف والخداع والنفاق هم نظام تعامله وراجت سوق الرذائل وبات الناس يتخبطون فى أوهام من الظلمات والأهواء ويتيهون فى مفازات من الأغراض والغموض تحت ستار براق هو الاصلاح .

لقد بلغ السيل الزبا ..

ولا سبيل الى علاج ذلك إلا اتباع الاسلام فهو السبيل الوحيد الى ذلك .. السبيل دين الاسلام الذى هذب الغرائز وقوى عنصرى الروح والمادة واقام العدل وبين للناس الصراط المستقيم ونظم العلاقات التى تستلزمها الحياة بين الافراد والجماعات والدول والشعوب على أساس من الأخلاق الفاضلة واقام المجتمع الانسانى كله على أساس من الفضائل الانسانية العالية وبين أن الفضيلة والعدالة لكل الناس أجمعين لا بلون ولا جنس ولا شعب .

لا بد للمسيرة من شريعة الاسلام نصا وروحا .. فكرا وعملا .. بذلا وجهادا حتى تعلو الراية وتخفق حرة ويجد الناس تحتها ما لم يجدوه فى أى نظام أو مكان .. لا بد أن نعمل بذلك لا بد أن نعود سراعا سراعا قبل أن يفوتنا الوقت ..

« يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » .

هذا أمر الله فلنتبعه قولا وعملا وجهادا بكل ما فى الكلمة من طاعة وامتثال حتى يهدينا صراطا مستقيما ويهيىء لنا من أمرنا رشدا .



مائدة القارئ

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »
(صدق الله العظيم)

رؤيا الشافعى

قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعى يقول : أريت فى المنام كأن آت اتانى ، فحمل كتبى وبثها فى الهواء فتطايرت فاستعبرت بعض المعبرين ، فقال : ان صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلدان الاسلام الا ودخله علمك .

رقم (٧)

اختار اليهود السنين (السبعية) لتنفيذ مخططهم مثل عام ١٩١٧ ، ١٩٤٧ ، ١٩٦٧ وهكذا ... لأنهم يتفاءلون برقم سبعة ، تيمنا منهم بالألف سنة السابعة التى يعدهم الرب فيها بحكم العالم ، والتى تبدأ بعد عام ٢٠٠٠ ميلادية ، كما أن شمعدان موسى كان له سبعة أفرع ، ويعتقد اليهود أنها كانت تنير بنور الله .

مراكز القوة

لم يكن المطيع لله الخليفة العباسى (٣٦١) هـ يملك من الأمر شيئا ، وكانت السلطة موزعة بين مراكز القوة المختلفة ، وفى هذا الوقت كتب (بختيار) للخليفة يطلب منه تزويده بالمال لأجل الغزو والجهاد ، وأجابه الخليفة على طلبه بقوله :

ان الغزو يلزمنى اذا كانت الدنيا فى يدى ، والى تدبير الأموال والرجال ، وأما الآن وليس لى منها الا القوت القاصر عن كفائى ، وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف فما يلزمنى غزو ولا حج ولا شىء مما تنظر الأئمة فيه ، وانما لكم منى هذا الاسم الذى يخطب به على منابركم . تسكتون به رعاياكم فان أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتكم والأمر كله .

ميلاد الايمان

(١) « جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى ، فسألوه : انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : أوقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ذاك صريح الايمان » .

عن أبى هريرة . رواه مسلم .

(٢) « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هكذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد فى ذلك شيئا ، فليقل آمنت بالله وبرسله » .

عن أبى هريرة . متفق عليه .

وصية أبى بكر

عندما حضرت الوفاة الصديق رضى الله عنه دعا ابنته أم المؤمنين عائشة وقال لها :

يا عائشة لقد ولينا أمر المسلمين ، فما استبقينا لأنفسنا من مالهم شيئا ، لقد اكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وما بقى عندنا من مال المسلمين الا هذا البعير الناضح وهذا الخادم وهذه القطيفة الجرداء فاذا مت فابعثى بها الى عمر فانى لا أحب أن القى الله بشىء من مال المسلمين .

طبق سمك

اقام ابراهيم بن المهدى مأدبة للرشيد قدم له فيها طبق سمك فاستصغر الرشيد قطع السمك وقال لابراهيم : لم صغر طباخك تقطيع السمك فقال له : يا أمير المؤمنين هذه السنة السمك ، فاستحلفه عن ثمنها ، فأخبره بأنه أكثر من الف درهم ، فرفع الرشيد يده ، وحلف الا يطعم شيئا حتى يحضر الف درهم ، فلما حضر المال أمر الرشيد أن يتصدق به ، وقال : أرجو أن يكون كفارة لسرفك فى انفاقك أكثر من الف درهم على طبق سمك ثم ناول الخادم الطبق ، وقال له : أول سائل تراه ادفعه اليه !

مطلبية

عندما غزا أبرهة الحبشى مكة عام الفيل وأراد هدم الكعبة واخذ ابل عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم طلب منه عبد المطلب أن يرد عليه ابله وترك السؤال عن البيت ، فظن ابرهة لغبائه أن الابل عند عبد المطلب أعز عليه من البيت فأجابه : ما سألت عن الابل لأنى أضن بأثمانها فاننى قد وهبتها للبيت ، ولكنى سألت عنها لأنها موضع سؤالى ، وتركت السؤال عن البيت لأن استجداء الرحمن من ابرهة لبيت الله ينفى الثقة بالله .

قرارات وتوصيات

مؤتمر وزراء

الأوقاف والشؤون الإسلامية والدينية

في البلاد العربية

صدرت هذه القرارات والتوصيات عن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية والدينية فى البلاد العربية الذى انعقد فى دولة الكويت تحت رعاية حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وبدعوة من سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى الفترة من ٢٣ محرم سنة ١٣٩٣ هـ الى ٢٨ محرم سنة ١٣٩٣ هـ .

وقد اشترك فى هذا المؤتمر وفود عن دولة الكويت والمملكة الأردنية الهاشمية ، ودولة البحرين والجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية والمملكة العربية السعودية وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية وسلطنة عمان ودولة قطر والجمهورية اللبنانية والجمهورية العربية الليبية والمملكة المغربية وجمهورية مصر العربية وجمهورية موريتانيا الاسلامية والجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية



سمو أمير البلاد المعظم يستقبل بقصر السيف العامر رؤساء الوفود المشتركة في مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العرب بمناسبة انعقاد المؤتمر في الكويت .

واتحاد الامارات العربية كما مثلت فيه الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى بجـدة ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اتسمت اجتماعات المؤتمر ولجانه بالصراحة التامة والمناقشات الهادفة والعمل الدائب .

وفى خلال هذه الفترة كان أعضاء الوفود موضع الحفاوة والترحيب فقـد استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم رؤساء الوفود كما أقام سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء لجميع المشتركين فى المؤتمر مادبة عشـاء بقصر السلام ، وأقام لهم سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ورئيس المؤتمر حفل غداء وزارت الوفود بعض معالم النهضة فى البلاد .
وفى ما يلى النص الكامل للقرارات والتوصيات التى وافق عليها المؤتمر :



معالى الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية وهو يلقى كلمة فى حفل افتتاح مؤتمر وزراء الأوقاف العرب الذى عقد فى الكويت وقد افتتح معالى الوزير المؤتمر نيابة عن سمو الأمير .

مقررات وتوصيات المؤتمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

من أجل اعلاء كلمة الله وتجاوبا مع مشاعر الأمة العربية والاسلامية ووحدتها ونهوضا بالواجب الملقى على عاتقها بالدفاع عن قضايا المسلمين ومقدساتهم وتراثهم وحضارتهم ولغتهم .

وبناء على الدعوة الكريمة الموجهة من السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى دولة الكويت وبرعاية من حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت المعظم وسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ، انعقد مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية والدينية فى البلاد العربية بدولة الكويت فى الفترة الواقعة ما بين ٢٣ محرم ١٣٩٣ هـ الموافق ١٩٧٣/٢/٢٦ م — ٢٨ محرم ١٣٩٣ الموافق ١٩٧٣/٣/٣ ، وقد مثلت فى المؤتمر جميع الدول العربية كما شاركت الأمانة العامة الاسلامية لمؤتمر وزراء الخارجية ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وبعد أن أجمع الحاضرون على اسناد رئاسة المؤتمر الى الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت تداول المؤتمر فى كافة الموضوعات المطروحة عليه واستمع الى كلمات الوفود وتدارس جميع الاقتراحات المقدمة من الأعضاء وشكل لها اللجان المختصة وهى : —



اعضاء الوفود المشتركة فى مؤتمر وزراء الأوقـاف والشئون الاسلاميـة والدينية الذى عقد فى الكويت أثناء حفل الافتتاح.

(١) لجنـة الدعوة الاسلاميـة والصندوق .

(٢) لجنة التنسيق والمقترحات .

(٣) لجنة توحيـد المناسبات الاسلامية .

(٤) لجنـة الصياغة .

انتهـى المؤتمر الـى المقـررات والتوصيات التالية : —

اولا : — فيما يتعلـق بالدعـوة الاسلامية :

قـرر : —

١ — انشاء صنـدوق للدعـوة الاسلامية تكـون المساهمة فيـه اختيارية .

٢ — اختيار الدعاة الصالحين من العلماء المؤهلين للنهوض بهذا العبء مع توفير الامكانيات الأدبية والمادية لهم ولنشاط دعوتهم .

٣ — تعميم مدارس تحفيظ القرآن الـكريم وتفهيم معانيه لتكون روافد للتعليم الدينى . ووضع الحوافـز المشجعة على الالتحاق بها .

٤ — مراجعـة ترجمـات معانى القرآن الكريم فى كل اللغـات بدقة وعناية .

٥ — مراقبـة كل ما يطبع مـن المصاحف الشريفة بواسطة لجنة من العلماء القراء للتأكد من صحتهـا والوثوق بها وان تعلن للدول العربية والاسلامية عند وقوفها على الأخطاء .

٦ — وضع تفسيـر لكتاب اللـه يتضمن أفضل ما كتب فى هذا الشأن ويكون موضوعيا ومختصرا علـى أن



جانب من الجلسة الختامية للمؤتمـــر التى عقدت بفنـــدق هيلتون وتليـــت فيها القرارات والتوصيات التى توصل اليها المؤتمر .

يترجم الى اللغات الحية ولغـــــات الشعوب الاسلامية .

٧ ــ العودة بالمسجد الى سيرته الأولى ووضع أسلوب جديد لخطبــة الجمعة ليقوم برسالته على اكمـــل وجه .

التوصيات : ــ

١ ــ يوصى المؤتمر بالعنايـــــة بابراز الحضارة والثقافة الاســلامية مع تجسيد تعاليم الاسلام فى سلوك عام بين المسلمين بوضع خطة تجعل الشريعة الاسلامية واقعا حيا يحكم حياة المسلمين .

٢ ــ يوصى المؤتمر بانشاء كليات للدعوة الاسلامية . وتعديل مناهج كليات الحقوق بجعل مادة التشريع والفقه الاسلامى مادة أساسية فى الســـاعات والدرس تتناول كافة الاحكام فى المعاملات وغيرها .

٣ ــ يوصى المؤتمر بتطوير مناهج التعليم وأساليبـــه فى كل المــــواد وبصورة تدعم العقيدة وتركز الايمان فى نفوس الطلاب وجعل الدين مادة أساسية فى جميع المراحل التعليمية .

٤ ــ يوصى المؤتمر بالعمل علــى ايجاد رياض اســـلامية للأطفـــال يستغنى بها عن المؤسسات الأجنبية .

٥ ــ زيادة الاهتمام والعناية بأبناء الشهداء والأيتام المسلمين .

٦ ــ ايجاد التعاون بين وزارات



أقام سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الجابر بقصر السلام حفل عشاء تكريما للوفود المشتركة فى المؤتمر . ويبدو فى الصورة بعض المدعوين .

الأوقاف والشئون الدينية ووزارات الشؤون الاجتماعية والتعليم والاعلام فى البلد الواحد وتنسيق الجهود وتبادل الآراء بين وزارات الأوقاف والشؤون الدينية بمختلف البلاد العربية والاسلامية .

٧ ــ تغذية وكالة الأنباء الاسلامية فى جده بالأخبار الصحيحة لتحرير الخبر الاسلامى من قيود وعوائق وكالات الأنباء الأجنبية .

ثانيا : ــ وفيما يتعلق بتوحيد أوائل الشهور القمرية والمناسبات الدينية .

قرر : ــ

١) أن رؤية الهلال هى الأصل فى تحديد أوائل الشهور القمرية ، شرط الا تتمكن منها التهمة تمكنا قويا ، وهى تثبت بالتواتر والاستفاضة أو بخبر الواحد العدل اذا لم تتمكن التهمة فى الأخبار لسبب من الأسباب ومنها مخالفة الحساب الموثوق به .

٢) انه لا عبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية وإن قل واذا ثبتت الرؤية فى بلد ، وجب أن تأخذ بها البلدان الأخرى إذا كانت اذاعة ذلك البلد من جهة رسمية وبالوسائل المعتمدة .

٣) انه اذا تعذرت الرؤية يجوز الاعتماد على الحساب الفلكى الموثوق بــه .

٤) وجوب عمل تقويم قمرى بمعرفة لجنة معتمدة من فقهاء الشريعة الاسلامية وعلماء الفلك



جانب من حفلة الغداء التى أقامها بفندق شيراتون وزير الأوقاف والشئون الاسلامية راشد الفرحان ، تكريما للوفود المشتركة فى المؤتمر .

تلتزم به الحكومات الاسلامية فى صومها وفطرها وفى تحديد مواسمها الدينية وفى تاريخها .

٥) أنه حتى يصدر هذا التقويم يبقى الاعتماد على رؤية الهلال أساسا لتحديد أوائل الشهور القمرية .

٦) توطئة لاعتماد الحساب الفلكى الموثوق به فى تحديد أوائل الشهور القمرية يقرر المؤتمر تعميم المراصد الفلكية فى البلاد العربية والاسلامية والمبادرة الى تأليف اللجنة المشار اليها فى المادة الرابعة بحيث تنتهى من مهمتها قبل انعقاد المؤتمر الثانى لوزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية والدينية .

٧) اتخاذ يوم الجمعة عطلة أسبوعية رسمية لدى الحكومات العربية والاسلامية كافة تأكيدا لوحدة الأمة الاسلامية وتعزيزا لشعائرها .

ثالثا : ـ فيما يتعلق بالتنسيق بين مختلف الأنشطة الاسلامية ،

قـرر :

١) أن ينشىء المؤتمر مكتبا للمتابعة والتنفيذ ، يكون تابعا له ، ويسمى (بمكتب التنسيق الاسلامى) ويوضع لهذا المكتب نظام خاص يحدد شكل العمل عند تنفيذ مقررات المؤتمر ، وتكن له إدارته وموظفوه وهيئة الاشراف فيه ، كما تكون له ميزانية خاصة به تسهم فى تغذيتها الدول العربية كل حسب امكانياتها ، وأن تكون دولة الكويت مقرا له .



قام رؤساء واعضاء الوفود المشتركة فى المؤتمر بزيارة محافظة الاحمدى لمشاهدة المنشآت النفطية والصناعية هناك . والصورة للضيوف خلال زيارتهم للرصيف الجنوبى ، حيث شاهدوا عملية شحن النفط فى الناقلات الراسية على الرصيف .

٢) وان تكون مهمة مكتب التنسيق الاسلامى تأمين الدراسات والمعلومات عن حاجات المسلمين الروحية والمادية فى شتى أنحاء العالم من جهة ، وذلك بغرض توجيه هذه الامكانات وتنميتها بحيث تكون قادرة على تغطية الحاجات الاسلامية المشار اليها من جهة أخرى .

٣) بأن يهتم مكتب التنسيق الاسلامى بشكل خاص بالأمور التالية :

أ) التنسيق بين المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى شتى أنحاء العالم ، بحيث يعمل على عدم انعقاد اكثر من مؤتمر واحد فى وقت واحد ، كما يعمل على عدم تكرار الموضوعات المطروحة والتى انتهى بحثها فى مؤتمر من المؤتمرات ، بالتنبيه الى ضرورة عدم طرحها فى مؤتمر آخر .

ب) يساعد مكتب التنسيق الاسلامى على انشاء اتحاد محلى للجمعيات والهيئات الاسلامية فى كل دولة فيها نشاط اسلامى ، بحيث يتكون هذا الاتحاد المحلى فى اطار النظم والقوانين المعمول بها .

٤) بأن يقوم الاتحاد المحلى باحصاء ودراسة الحاجات الاسلامية المحلية من جهة واحصاء ودراسة الامكانات الاسلامية من جهة أخرى ، ويحاول تغطية الحاجات الاسلامية المحلية بالامكانات الاسلامية الموجودة عن طريق التنسيق . وفى حال الحاجة الى المعونة الخارجية ، يعد الاتحاد المحلى الدراسات فى هذا الموضوع ويرفعها مع مقترحاته الى المؤتمر بواسطة مكتب التنسيق

الاسلامى . كما يرفع الاتحاد المحلى عن هذا الطريق أيضا ، تقاريره الدورية الى المؤتمر موضحا بنوع خاص ما يلى : —

١— حاجات المسلمين فى الدولة التى ينتمى الاتحاد اليها .

٢ — الامكانات التى يمكن أن يقدمها المسلمون فى هذه الدولة لمساعدة المسلمين فى الدول الأخرى، وينبغى أن تتناول هذه الحاجات والامكانات معلومات عن البعثات الدينية والمنح الدراسية والجامعية والمساعدات المالية والكتب والمجلات والمنشورات والمواد الاعلامية الاسلامية المتنوعة والمعلومات المتعلقة بالشبهات التى يثيرها أعداء السلام للرد عليها وتفنيدها بما يحصن الناشئة ويمكن للعقيدة فى النفوس .

٥) أن يجتمع المؤتمر مرة فى السنة ، وكلما دعت الضرورة الى ذلك ، بدعوة من وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والدينية فى أى بلد من البلدان التى يتم الاتفاق المسبق على انعقاد المؤتمر فيها .

رابعا : وفيما يتعلق بالمقترحات العامة التى تقدمت بها الوفود :

قرر :

١ — تعطى الأفضلية للحركات الاسلامية التى تضع هدف تحرير المقدسات الاسلامية فى فلسطين وهدف تحرير الاراضى العربية المحتلة فى طليعة التزاماتها .

٢ — يستنكر المؤتمر ما تلاقيه الاقليات الاسلامية من عسف واضطهاد فى كثير من البلاد ويطالب بايقاف المجازر ضد المسلمين فى الفلبين وغيرها كما يطالب بالافراج عن الأسرى الباكستانيين كما يشجب التفرقة العنصرية أينما تكون .

٣ — ويعلن استنكاره للعدوان الصهيونى على طائرة الركاب المدنيين الليبية وعلى مخيمات اللاجئين فى لبنان ويهيب بالضمير العالمى أن ينهض لوضع حد لمثل هذا الطغيان .

٤ — يحيى المؤتمر حكومات وشعوب البلدان الأفريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل ويقدر موقفها النبيل ويدعو لمناصرتها وتمتين العلاقات معها .

٥ — وضع قانون موحد للأوقاف مستمد من الشريعة الاسلامية بحيث يكون محققا للاهداف السامية التى وجدت الأوقاف من اجلها .

٦ — يوصى المؤتمر الدول العربية والاسلامية بالنص فى دساتيرها على أن دين الدولة هو الاسلام والشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع .

٧ — يوصى المؤتمر الدول العربية والاسلامية بنبذ الخلافات السياسية والمذهبية وحل مشكلاتهم بالطرق السليمة والعمل صفا واحدا لتعزيز الكيان الاسلامى وحماية وجوده .

٨ — يفوض المؤتمر وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت الاشراف على مكتب التنسيق الاسلامى وادارته حتى انعقاد المؤتمر القادم .

٩ — لا يسع المؤتمر أخيرا الا أن يرفع الى حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت المعظم أجزل الشكر وخالص التقدير والامتنان على رعايته السامية لهذا المؤتمر ، كما يقدم شكره الصادق لمعالي وزير الأوقاف ومساعديه وللصحافة وسائر أجهزة الاعلام فى الكويت على ما قدموه من جهود مخلصة لانجاح هذا المؤتمر وإيصاله الى ما يتطلع إليه من خير للأمة الاسلامية .

آملين من الله العلى القدير أن يصون دولة الكويت وكافة الدول العربية والاسلامية ويجمع كلمة المسئولين فيها فى ظل الاسلام ومبادئه الرفيعة .

الإسلام والمسلمون في :

بروناي

أو (دار السلام) الآسيوية

للدكتور : جمال الدين محمد حماد

- غالبيـــة الســكان مسلمون .
- يطلقون على بروناى اسم دار الســلام حتى الآن .
- فن المعمــار الاسلامى واضح فى المحميــة .
- يتدفــق البترول بشــدة في أرض بروناى .
- انتشر الاسلام في هذه المنطقــة عن طريق العرب الحضارمة .
- مسجد عمر على سيف الدين مسجد شهير جدا في قلب المدينة .



مسجد عمر على سيف الدين فى مدينة بروناى او دار السلام الآسيوية ..

تقع بروناى وهى محمية بريطانية غالبية سكانها مسلمون فى جزيرة بورنيو فى أقصى الشمال بين ولايتى صباح وسراواك اللتين تكونان ماليزيا الشرقية .

وهى تطل على بحر الصين الجنوبى شمالا ..

وهى تقع من الناحية الجغرافية فى جنوب شرق آسيا .

وهى على اتصال من ناحية الخطوط الملاحية والجوية بجاراتها اتحاد ماليزيا وجمهورية أندونيسيا وسنغافورة والفلبين .

أما الاسم فهو مشتق من اسم جزيرة بورنيو ولكنها كلمة واحدة انطلقت الألسن بها فى اتجاهين بورنيو وبروناى وان كانت جزيرة بروناى سياسيا قد انقسمت الى ثلاثة أجزاء :

١ - بروناى (المحمية البريطانية) .

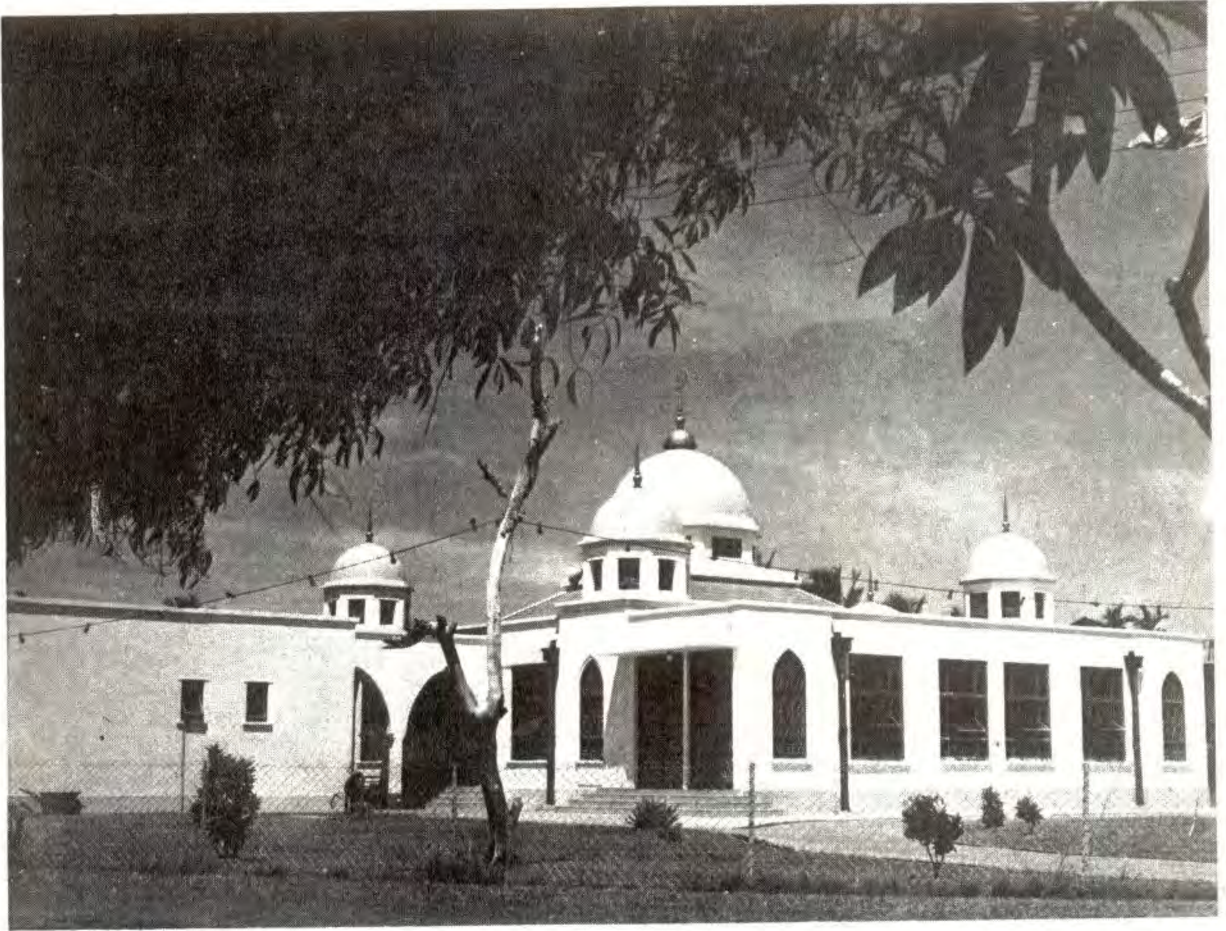
٢ - صباح وسراواك (ماليزيا الشرقية) .

٣ - الجزء الجنوبى من جزيرة بروناى يطلق عليه اسم كاليمانتان ويتبع أندونيسيا .

وقديما كانت بروناى هى أهم مدينة فى جزيرة بورنيو .

يحكم بروناى سلطان مسلم .

ويحكى التاريخ أنه منذ وقت طويل ويحكم بروناى سلاطين مسلمون - بل لقد امتد حكمه فى وقت من



احد المساجد فى بروناى

الأوقات الى كل جزيرة بورنيو وعقد صلات طيبة مع امبراطور الصين وملك جاوا وحكام ملكا فى شبه جزيرة الملايو وانتعشت الحالة الاقتصادية والتجارية بشكل كان يلزم كل هؤلاء الاطراف بأن يخطب ود الآخر .

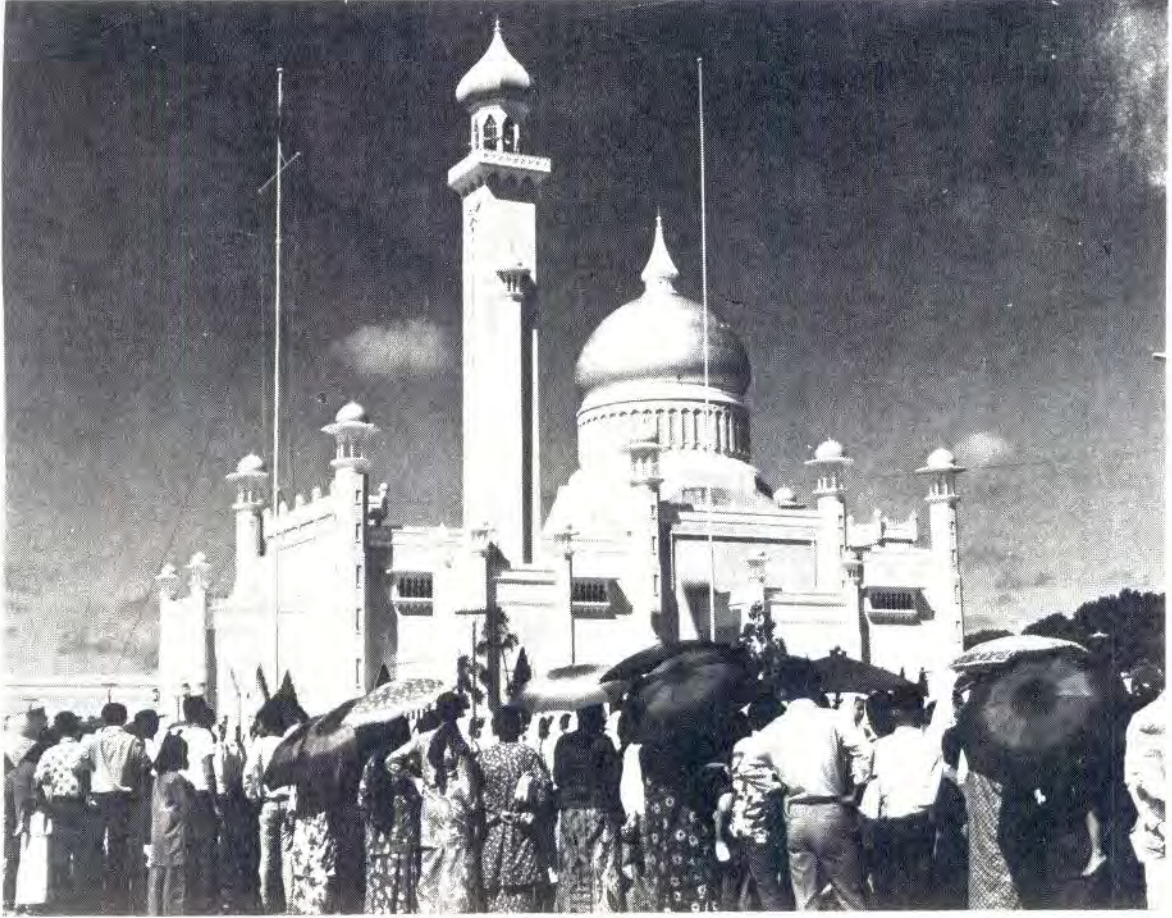
بل ان أحد سلاطين بروناى قديما ويسمى (ناحذدا راجام) ومعناها (القائد المغنى) قام برحلات الى جاوه وجزر الفلبين ، وقاد جيوشا هزم فيها قادة مانيلا ، وسقطت مانيلا فى قبضته .

ثم ضعفت بروناى بعد ذلك ، وجاء الهولنديون الذين استعمروها لفترة ، وتوالت عليها ظروف تاريخية كثيرة كان آخرها الحماية البريطانية والتى جاءت نتيجة صداقة صيغت فى شكل معاهدة حتى الآن ..

وان كان لها الاستقلال الداخلى ، وهناك حزب نشيط هو حزب الجبهة الشعبية لبروناى .

يبلغ عدد السكان المسلمين فى بروناى حوالى (٨٠٫٠٠٠) ثمانون الفا حسب تعداد ١٩٦٦ م .

والعاصمة يطلق عليها أيضا بروناى وتسمى فى بعض الأحيان دار السلام .



المســلمون فى بروناى يحيطون بمسجد عمر على سيف الدين فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف

الطابع العربى الاسلامى تجــده واضحا جدا فى أبنية الحكومة ذات الأقواس الاسلامية ، والمعمار الفنى الاسلامى تجده فى المدينة يشــدك اليها ويربطك بأهلها ..

وقد بنيت بروناى على نهر على بعد ٩ أميــال من بحر الصـــين الجنوبى ..

وهنـــاك ترى جزر كثيرة بنيت المنازل فيها على أعمدة خشبية وتقام فيها أسواق ، ويتم التنقل خلال ذلك بالقوارب الصغيرة ..

البترول فى بروناى :

يتدفق البترول بشــدة فى أرض بروناى المســلمة .. وتتمتع بدخل قومى كبير .. وان كان للاستعمار البريطانى طبعا حصة الأســد فى ذلك ..

بل ان ما ينتج من حقول البترول فى هذه المحمية المســلمة يفوق ما ينتج فى أى بلد آخر فى جنوب شرق آسيا ..

الناس فى بروناى :

- الملايويون البرناويون ويشتغلون بصيد الأســماك وبعض الحرف الاخرى .
- الكيدايانز ويعملون بفـــلاحة وزراعة الارض .



مسجد حسن البلفقيه فى بروناى

- التوتونج .
- البيليت .
- الصينيون : يعملون بالتجـــارة ويمسكون بزمام الاقتصاد .
- الهنود .
- الاوربيون .

فى بروناى مطار حديث وسـيتم الانتهاء من مرفأ بحرى يســتطيع استقبال السفن الكبيرة حديثا .

ويقع فى قلب المدينة المســجد الشهير والمسمى بمسجد (عمر على سيف الدين) وهو قمة من قمم فن العمارة الاســلامى وترتفع منارة المسجد (١٥٠) قدما .. أما القبــة الذهبية فانها تضيف الى المســجد بهاء وروعة وجمالا .

ويزرع فى بروناى المطاط والأرز ومنتجات المناطق الاستوائية والشعب المسلم هناك حريص على دينه ويعتز باسلامه الى أبعد الحدود .

ويعتبر الســلطان كزعيم روحى للمسلمين هناك .. وهو محبوب من شعبه .

وهناك ادارة كبرى لادارة الشئون الدينية الاسلامية يتبعها قسم للوعظ والارشاد وقسم للدعوة الاســلامية ويتبعها القضاة المسلمون .



فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بـ (بروناى) ..

ولقد التقيت بعرب كثيرين يقطنون بروناى منذ زمن بعيد .. بعضهم يجيد العربية والملاوية وبعضهم نسى العربية فى زحمة الزحف الاوروبى الفكرى على هذه المنطقة والذى يحاول بكل قواه أن يباعد بين المسلمين وبين اللغة العربية .. لغة القرآن .

وقد انتشر الاسلام بهذه المنطقة بنفس وسائل انتشاره فى جنوب شرق آسيا وأندونيسيا والهند وأقصد بذلك الدعاة المسلمين الحضارمة والتجار والمسلمين الحضارمة .. وانتشر هذا الدين الخالد على بعد عشرة آلاف كيلو متر من موطنه الأصلى .. ليقف أناس فى صفوف متراصة وينطقون بصوت واحد فى هذا الملأ وهذه البقعة : الله أكبر ، الله أكبر ..

ويحضر منهم لأداء فريضة الحج أعداد كثيرة كل عام .

وهناك أوقاف خيرية كثيرة أوقفها هؤلاء المسلمون الطيبون الخيرون على مشاريع الخير وفى سبيل الله .

والتقيت بالاستاذ الحاج عبد العزيز جنيد : مدير ادارة الشئون الدينية فى بروناى الذى قال لى ضمن ما قاله :



المظاهرة الاسلامية فى بروناى

بمناسبة المولد النبوى الشريف احتفالا به ..

اننا هنا فى بروناى نعتز بالاسلام قلبا وقالبا ، ونحس بعمق الصلة الروحية التى تربطنا بالمسلمين فى الشرق الاوسط وفى كل مكان .

ونحن نهتز لكل حدث يحدث فى أرض المقدسات الاسلامية الطاهرة .

ثم اختتم قوله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

فَنُّ التَذهيب فــي

انتشر فن التصـــوير عند العرب من ابتداء القرن الأول الهجرى ، ولو أن البعض انصرف عنه بعد تحـــذير النبى عليه الصلاة والسلام للمسلمين من اتخاذ الصور، خاصة وان العرب كانوا فى أول عهدهم بالدين ، وكان الهدف تطهير ربوع بلاد العرب من الشرك بالله ومحو كل اثر لعبـــادة الأصـــــنام ، وكان الصـــدر الأول يتحاشون ذكرها أو الإشارة اليها أو الترخيص لأى سبب فى شىء منها ، وهم إنمـــا تحولوا على ذلك حتى لا يثيروا فى نفوس العامة ما قد يكون عالقا بها من آثار الحمية الاولى ، حمية الجاهلية ، فيعود الأمر الـــى الضلال القديم ، هذا هو الذى دعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاجتثاث الشـــجرة التـــى كانت تحت ظلالها بيعة الرضوان ، لأنه رأى من تعظيم المســـلمين لها ما جعله يخشى أن تكون لهم فتنة على مر الزمان ، حتى إذا ما رسخت قدم الاسلام وتوطدت أركانه لم يبق بعد مجال للخوف من الرجوع الى الشرك

الإسلام

للأستاذ : محمد الحسينى عبد العزيز

بالله بالاضافة الى ما نالته الدولة الاسلامية من الفتوحات الواسعة ، وما انهال عليها من كنوز الرخاء والثراء ، وما اتصل المسلمون بأمم ذات حضارات وفنون عريقة من أمم الشرق الأدنى القديم ممن لا يتحرجون عن اتخاذ الصور والرسوم كفن جميل ، لكن المصورين رغم هذا لم يتحرروا مطلقا فى فن الرسم بل جاملوا الفقهاء والمحدثين فعمدوا الى الإكثار من الرسوم النباتية والهندسية واتخاذ الكتابة العربية أسلوبا زخرفيا وجعلوا يحورون الصور الحيوانية والآدمية بحيث لا تطابق الواقع ولا تقلد البارى سبحانه الذى له حق الخلق وحده ..

وقد حظيت المخطوطات والمؤلفات العلمية بعناية الخطاطين والرسامين إذ لا يقتصر الأمر على حرصهم على مخطوطات جيدة الخط بل نراهم يعهدون بها الى غير الخطاطين من الفنانين المسلمين لزخرفة صفحاتها بالرسوم أو تزيينها بالصور ثم يدفعون بها الى مجلد ليحفظها لهم بين دفتين



تصوير عن مخطوط سعدى

حماية لها ووقاية من الضياع .. شأنهم فى ذلك شأن محبى اقتناء الكتب الجميلة الذين يسعون لاقتناء اجمل الطبعات وابهاها واغلاها ثمنا ليزينوا بها مكتباتهم .

وزخرفة المخطوطات بالرسوم الجميلة البديعة التى اصطلح على تسميتها بالتذهيب لكثرة الذهب بين الوانها تعد من أهم الميادين الفنية الاسلامية ، فهى توافق الميول الفنية بين الوانها من حيث حب استخدام الرسوم المسطحة ذات البعدين ، وبعبارة أخرى الرسوم غير المجسمة وهى من ناحية أخرى عامل هام فى دراسة تطور العناصر الزخرفية الاسلامية نظرا لأن كثيرا من هذه المخطوطات المذهبة مؤرخ ..

والمعروف أن المصاحف كانت أولى المخطوطات التى وجهت إليها العناية والاهتمام ، ويروى أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أول من ذهب مصحفا . وكان التذهيب فى أول الأمر مقصورا على أجزاء معينة من صفحات القرآن مثل الأشرطة التى تفصل بين السور بعضها وبعض والفواصل بين الآيات القرآنية وبعض العناصر الزخرفية التى تدل على أجزاء المصحف وأقسامه كالنصف والربع وهكذا ..

وكان الشريط أهم هذه الاجزاء جميعا وشكله فى مبدأ الأمر مستطيل استطالة افقية نظرا لأن المصاحف نفسها كانت مستطيلة فعرضها اكثر من طولها وقد زينت هذه الأشرطة بعناصر زخرفية مختلفة ، فنرى أحيانا المتشابكات والجدائل واحيانا اخرى نجد رسوما هندسية من دوائر أو اجزاء من دوائر تتماس أو تتقاطع ، أو مربعات كالعقود والأعمدة وقد يعلو هذه او يتصل بها عنصر نباتى مجنح نقلا عن الفن الساسانى .

والملاحظ أن عرض الشريط لم يكن منتظما إذ كان فى جزء منه أكثر عرضا من باقى أجزائه فى بعض الأحيان ، ويحدث ذلك عندما تنتهى السورة فى وسط الصحيفة ، وفى هذه الحالة يعمد المذهب الى جعل الشريط فى الجزء الخالى من الكتابة اكثر عرضا عن غيره وذلك إما بتكرير العناصر الزخرفية أو رسم عناصر معمارية .

اما فواصل الآيات فكانت مجرد دوائر ، فى حين كانت علامات الأجزاء دوائر داخلها مربعات تتداخل مكونة اشكالا نجمية يكتب بداخلها ما يدل على الجزء من المصحف ..

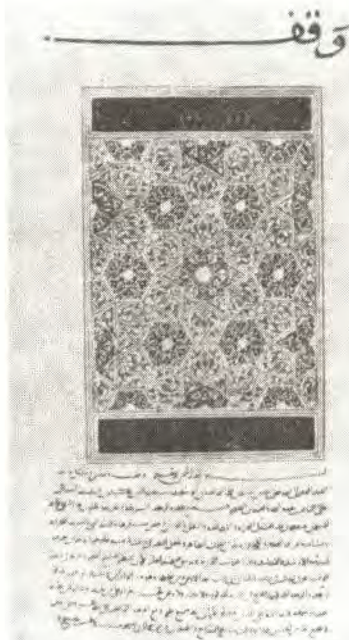
واستخدم الفنان فى هذه الزخارف اللون الذهبى والأزرق والأخضر والأسمر وكانت الرسوم تحدد أولا باللون الأسود ، واستخدام اللون الأخضر الداكن والقرمزى والأصفر دليل التأثر بالفن المسيحى فى مصر لأن هذه الألوان كانت شائعة فيه .

ويبدأ فى القرن الثانى الهجرى كتابة أسماء السور داخل الأشرطة بحروف من الذهب ولا تختلف العناصر الزخرفية بالأشرطة كثيرا عن زخارف القرن السابق إلا أنها تأخذ فى الدقة والتعبير والتعقيد ، وفى بعض الأحيان كانت هذه الزخارف شبيهة بما نجده على المنسوجات التى تر ـ الى نفس القرن الذى ينسب إليه المخطوط .

ثم تزداد العنـاية بعد ذلك بالمخطوطات ولا يقتصر أمر زخرفتها على هذه الأجزاء من الصفحات بل توجه العناية الى الصفحات الاولى من المخطوطات فتزخرف جميعها .. وهناك نجد هامشا يحيط بالصحيفة ، أما المساحة المحصورة بين الشريط والتى تشتمل على عنوان الكتاب واسم مؤلفه أو الصفحة الاولى من المؤلف فكانت لها زخرفتها أيضا ..

ففى الحالة الاولى ـ أى صحيفة العنوان ـ تجد المساحة تقسم الى مناطق يكتب داخلها اسم الكتاب واسم المؤلف وتزخرف بالرسوم النباتية والهندسية المختلفة ، اما فى الحالة الثانية ـ اى الصفحة الاولى من المخطوط ـ فإن الفراغ المحصور بين الأسطر كان يزخرف بالرسوم المختلفة فنجد زهورا ونباتات ، وقد ترسم هذه الوحدات داخل إطارات تتبع فى تحديدها رسوم الحروف





صحيفة من غلاف القرآن الكريم

صورة عن مقامات الحريرى
المكتبة الوطنية فرنسا



والكلمات اى انها غير مستقيمة او غير منتظمة ، فهى تعلو مرة وتهبط مرة اخرى بحسب الحروف ، وقد يصحب هذه العناصر الزخرفية رسوم السحاب الصينى الذى انتقل الى المشرق بعد الغزو المغولى ..

وقد بلغ فن التذهيب روعته فى العصر المملوكى فى مصر وبلغ درجة عظيمة من الرقة والجمال والدقة والإتقان ولم يتمكن احد من الوصول الى هذا الحد من الابداع الذى لا يجارى فى التكوينات الهندسية أو مجموعة الألوان التى نشاهدها على صفحات القرآن فى روعة وتناسق عظيم جعلت من الفنان رجلا متمكنا فى فن مزج الألوان .

وهكذا اهتم الفنان المسلم بتزيين صفحات الكتاب المبين بالرسوم المذهبة لمكانته السامية فى النفوس ولا تزال نسخ عدة منه تزين دور المتاحف والمكتبات العالمية الكبرى والتى اتخذت وجوده مفخرة وبهجة ودليلا على الغنى والثروة الأدبية .

وبدأ الاهتمام بإدخال فن التصوير والتذهيب على الكتب الادبية والتاريخية والعلمية لشرح الموضوعات والبطولات ، وهذا ما حدا بالمصورين الى تصوير الإنسان فى أعمال بطولية أثبت فيها الفنان ما بلغه من تقدم وما كان عليه من طهارة الروح ونقاوة الإلهام وسمو الخيال وتمجيد البطولة وما جعله رسوم الحب آية فى العفة والطهر الى جانب تصوير المناظر الطبيعية وما فيها من جمال المناظر وفتنة الجبال والوديان فضلا عن توضيح الموضوعات والنصوص بالصور ..

وفى مقامات الحريرى وكتاب كليلة ودمنة وكتب العقاقير الطبية وبعض اجزاء من كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ما يدل على النبوغ والمهارة التى شهد بها مؤرخو الفنون والتى جعلت هذه الكتب العربية قبسا ونموذجا احتذاه الفنان الأوروبى فى تزيين المخطوطات وكتب القصص والتاريخ والعلوم .

تصوير مخطوط من مقامات الحريري



وقد احتفظت بغداد بمركز الزعامة فى تحلية وتزيين المصاحف وزخرفتها حيث تطور خط النسخ الى أعمال زخرفية كبيرة الحجم أمكن أن تضاهى المصاحف الكوفية القديمة التى كانت مكتوبة على الورق ، وكانت الأحرف تحشى بالذهب بصورة تدل على الذوق فى لوحات مشرشرة عائمة وتحلى القاعدة غالبا بعرانيس زخرفية ، أما الصفحات التى بها عناوين السور فازدادت تحليتها بمزج مناطق هندسية مختلفة مليئة بالنصوص والزخارف، وانتقلت مدرسة بغداد للتذهيب الى تبريز وسمرقند فى القرن الرابع عشر فازداد فيها طراز التزيين وفرة فى التلوين وتعاظم فيض الزخرفة فوق مسطحات الصفحات الفاخرة حتى أنها كانت تطغى أحيانا على الكتابة نفسها .

وقد ساعدت المخطوطات الفاخرة المشتملة على معان غير دينية على تجويد عملية التذهيب والضغط وتفصيل الجلد الرقيق الشبيه بالمخرم للجلدة الداخلية تجويدا بلغ من أمره أن دخلت فيه الموضوعات المغولية المفضلة الخاصة بالحيوان .

وهكذا نبغ الفنانون والمذهبون المسلمون فى تحلية الصفحات بالرسوم لأن هذه الفنون الزخرفية تتفق مع ميولهم واستعدادهم حتى أصبحت زخارف الصفحات المذهبة نماذج تنقل عنها الرسوم فى التحف من زجاج وخزف ونسيج لجمالها وإبداع رسومها ودقتها وتناسق ألوانها وبهجتها .



عن قصة الامير حمزه

موسى بن نصير

القائد الذي لم يهزم له

لعله من دواعى العجب والدهشة أن يخوض قائد معارك القتـــال مدى أربعين عاما ثم لا يهزم له جيش ، وليس ذلك من دواعى عجبنا نحن ودهشتنا اليوم فحسب حين نقرأ سيرة ابن نصير ، ولكنها كانت كذلك من دواعى عجب ودهشة معاصريه ، سأله الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك قائلا :

ـ أخبرنى كيف كانت الحرب بينك وبين عدوك ، أكانت عقباً(1) .. ؟

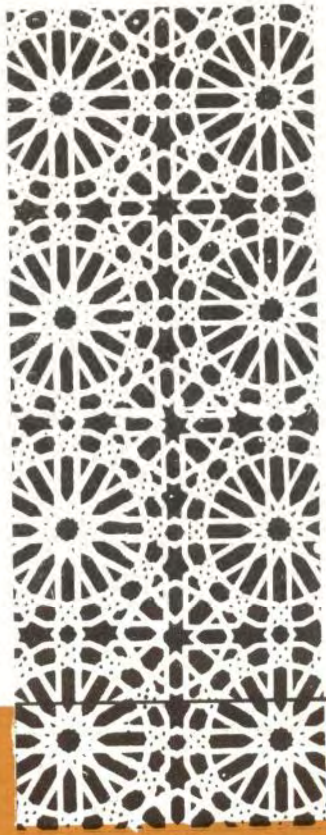
وأجاب ابن نصير قائلا :

ـ لا ، يا أمير المؤمنين ، ما هُزمت راية لى قط ، ولا فُض لى جمع ، ولا نكب المسلمون معى نكبة منذ اقتحمت الأربعين الى أن شارفت الثمانين .

واذا كانت هناك عبارة واحدة يمكن أن تدل على موسى بن نصير ، وتصبح عنوانا لكتاب حياته الفذ التليد فهى هذه العبارة ، واذا كانت المسالك تتشعب فى الحديث عنه حتى لا يدرى الباحث أو الكاتب بأيها يبدأ فإنها كذلك خير بداية .

واذا ذكر اسم موسى بن نصير فقد تداعى الى الذهن فتوحات المسلمين فى الشمال الافريقى ، فهو الذى نشر لواء الاسلام فيه ، وأقام بين ربوعه دولة قوية الدعائم ، وطيدة الأركان .

ولم يكن ابن نصير هو أول من قاد للمســلمين جيشا الى الشـــمال الافريقى ، فقد سبقه اليه عقبة بن نافع الفهرى الذى أسس مدينة (القيروان) ، ولكن الأمر لم يستتب له ولا لمن جاء من بعده فى تلك البلاد المترامية الأطراف التى تمتد من غرب مصر حتى تشرف فى أقصى المغرب على المحيط الأطلنطى . كانت جيوش الروم تقوم بالهجمة تلو الاخرى على جند المســلمين ، كما كانت



للأستاذ عزت محمد ابر

جيش قط !!

تبث فى ارجاء بلاد المغرب العيون والارصاد ، وتنشر بين أهله ما يباعد بينهم وبين فهم حقيقة الفرض الاسمى للمسلمين من تلك الفتوحات .

ولم يكن ذلك بالذى يغيب عن فطنة موسى بن نصـــــير وهو فى كنف عبد العزيز بن مروان والى مصر الذى اصطفاه لنفسه وآثره وجعله محل ثقته وواحدا من خيرة خلصائه وخلطائه .

عرف ابن مروان ما عرف من مقدرة ابن نصير وحسن كفاءته فرأى فيه خير من يصلح لتلك المهمة العســـــيرة التى لا يقدر على النهوض بها إلا أفذاذ الرجال ، وعقد عليه الآمال الكبار التى يرجو لها أن تتحقق على يديه فى أستتباب الأمر للمسلمين فى تلك البقاع .

ورأى ابن نصير بثاقب فكره ونفاذ بصيرته أن يوجه غاية اهتمامه الى الروم ، فهم العقبة الكاداء فى سبيل انتصار المسلمين ، وهم العدو المتربص بهم دائما فى كل غزو يهمون به ، وفى كل موقع يريدون الاستقرار بين جنباته .

ولم يغب عن باله أن يعيد الثقة الى جند المسلمين ، وأن يبث فيهم من روحه ما يبعث فيهم الأمل ، ويقوى منهم العزم والرجاء ، فلم يكد يستقر فى (القيروان) حتى وقف بين الجند خطيبا يقول :

« أنا رجل كأحدكم ، من رأى منى حســـــنة فليحمد الله ، وليحض على مثلها ، ومن رأى منى سيئة فلينكرها ، فإنى أخطىء كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون ، وقد أمر الأمير ــ أكرمه الله ــ لكم بعطاياكم ، وتضعيفها ثلاثا ، فخذوها هنيئا ، ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا ، وله عندنا قضاؤها على

ما عز وهان ، ومع المواساة ان شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)) .

تلك بداية رائعة لقائد قد آلى على نفسه ألا يكبو له جواد ، أو يطيش له سهم ، أو يخطو خطوة إلا اذا أمعن النظر في موضع قدميه ، وقدر لرجله قبل الخطو موضعها ، فلم تكن انتصاراته عبثا ، أو ضربة من ضربات الحظ ، وإنما كانت ضربة لازب لتدبير محكم ، ووعى حصـــيف ، ودرس طويل للدواعى والاسباب والمقدمات والنتائج ، وتقليب للأمور على كافة وجوهها ، مع ثبات جنان وشجاعة قلب .

تحدث عنه أحد قادة المسلمين ممن اشتركوا معه فى القتال قائلا :

حاصرنا حصنا فلم نقدر عليه ، فلما طال أمد ذلك نادانا موسى بن نصير ثم قال :

((أيها النـــاس ، إنى أمام الصفوف ، فاذا رأيتمونى قد كبَّرت وحملت ، فكبِّروا واحملوا)) .

واستولت الدهشة على عقول الناس ، وخشوا مغبة ما هم مقدمون عليه بعد أن طال عليهم أمد حصارهم للحصن بغير جدوى ، ووقف ابن نصير مكبِّرا ، والناس من ورائه ، ثم هجم على الحصن فانهدمت جـــدرانه ، وانطلقت خيـــالة المسلمين إيذانا بالنصر .

وقال آخر من قادة المسلمين :

((كنت ممن غزا مع موسى بن نصير حتى بلغنا سرقسطة ، ثم أتينا على مدينة على بحر ولها أربعة أبواب ، وفرض عليها المسلمون الحصار ، وكان الموقف يتطلب البقاء على هذا الحصار زمنا طويلا ، والتفت موسى الى نفر من قادته يقول : هل معكم مؤن تكفيكم زمن الحصار ؟ فاجابوه بالنفى ، وعندئذ عدّل خطته واقتحم الأسوار عنوة ، ووجـــد جند المسلمين فى المدينـــة من المؤن ما فرّج ضيقهم ، وأعانهم على استئناف القتال)) .

لقد كان ابن نصير قائدا حربيا بكل ما تعنيه هاتان الكلمتـــان من معان ، ليس بمقياس زمانه فحسب ، وإنما بكل مقياس على امتداد الزمان والمكان ، ولم يخط خطوة واحدة فى الشمال الافريقى الا بعد أن درس خطط سابقيه ليعرف ما كان فيها من خلل فيتجنبه ، وما كان فيها من عثرات فيتنكب طريقها .

وكان أول ما استرعى منه النظر والانتباه أن من سبقه قد مضوا فى الزحف سريعا غير مقدرين العواقب والأخطار التى تتهددهم ، فاندفع ((عقبة بن نافع)) اندفاعة بعيـــدة المدى حتى بلغ شواطىء المحيط ، ثم أضطر بعد ذلك الى التقهقر مرة اخرى ، وراح نتيجة تقهقره الكثير من الأرواح ، ودفع هو حيـــاته ثمنا لهذا الارتداد السريع فاستشهد أثناء تراجعه .

وجاء من بعده ((حسان بن النعمان)) فسار على منوال سلفه ، يتقـــدم تقدما سريعا مطردا ، ثم يُضطر الى التقهقر السريع المطرد ، فلم تكن الحرب على عهديهما أكثر من كر وفر ، وتقدم وتاخر ، وتشتيت للقوى وسط هذه البقـــاع الشاسعة ، المترامية الأطراف ، المتباعدة الأرجاء ، المتباينة التضـــاريس ، وقلما تحسم مثل هذه الخطط حربا ، أو تحقق غاية ، مهما طال بها المدى ، وتبـــاعد بها الزمان .

التفت ابن نصير الى قواته فى ((القيروان)) يعيد تنظيمها ويوزع نشاطها على مجموعة من القادة المحاربين يَكونون بمثابة قادة وحدات يقومون بهجمـــات متتالية على عدوهم الروم فى وقت واحد ، فيشتتون صفوفه ، وينزلون به هزائم منكرة مروعة ، ويلقون فى قلبه الرعب والفزع .

وأحسن اختيار هؤلاء القادة فكان منهم أبناؤه ، كما كان منهم أبناء عقبة بن نافع ، ولم يغفل أمر أبناء البلاد الأصـــليين الذين أسلموا وحَسُن إسلامهم ، فاختار من بينهم طارق بن زياد ، وكان فى اختياره حسن إصابة ، وسداد رأى أظهرت الأيام مداهما .

وخرجت من « القيروان » حملات متتابعة ، اتجهت واحدة منها الى منطقة جبلية بين « القيروان » وتونس ، كان قد أقام فيها جماعة من أعوان الروم دأبوا الإغارة على « القيروان » بين الحين والحين ، كما دأبوا على رصد تحـــركات جيوش المسلمين فيها والوشاية بها الى العدو المتربص .

وحققت قوات ابن نصير نصرا مؤزرا ، وقضت على الفتنـــة فى مهدها ، وبعثت برأسها الى « القيروان » مصفدا فى الأغلال .

وعلى مثل هذا النحو قامت حملات أخرى تقضى على الفتنة حيثما ذرّ لها قرن ، وتخضع الخارجين على الطاعة حتى يثوبوا الى الرضوخ والإذعان . وكان من جراء ذلك بأن استتب الأمن فى « القيروان » ورأت قبائل المغرب فى القيادة الجديدة قوة فى الشكيمة ، وإصرارا على النصر فلم تعد الى شن غاراتها عليها تريد سلبا أو نهبـــا ، وأصبحت « القيروان » قاعدة لجيوش المسلمين لا ينال منها منال ، كما أصبحت على أهبـــة الاستعداد دائما لأن تخرج منها الجيوش الى حيث شاءت فتحقق من خروجها ما تريد وهى على ثقة من الانتصار .

واتجه ابن نصير بعد ذلك الى المغرب الأوسط فارسل اليه أحد قادته وهو « عباس بن أخيل » يدعو قبائله الى الدخول فى طاعة المسلمين ، وكانت تعليمات ابن نصير الى قائده هى حسن معاملة القبائل الراغبـــة فى الصلح ، وترك زمام تدبير أمورها فى يدها بغير قسر أو إرغام .

وأتاح ذلك لنفر من هذه القبائل الاختلاط بجيوش المسلمين فعرفوا حقيقة أهدافهم ، وأن لا مطمع لهم فى شىء ، وكان لا رغبة لهم فى احتـــلال أو امتلاك ، وأن لا شىء يعلو على هدفهم الذى يبذلون فى سبيله الغالى والنفيس ، وهو إعلاء كلمة الله ، ونشر لواء الاسلام ، على غير ما بثّه فيهم الروم من سموم دعاياتهم .

وما لبثت القبائل أن تحققت من صدق ذلك فدخلت فى دين الله أفواجا ، وأصبحت منهم قوى تؤازر قوى المسلمين ، وتظاهرها على من عاداها . وعمد ابن نصير بعد ذلك الى تطهير المغرب الأوسط من أعوان الروم على نحو ما فعل فى « القيروان » التى ترك ابنه عبد الله نائبا عليها ، وخـــرج هو الى هاتيك البقاع قاصدا منطقة (سجوما) التى كان قد استشهد فيها عقبة بن نافع نتيجة دسائس الروم بين نفر من أهلها ، واستطاعت قوات ابن نصير أن تنزل بالروم هزائم متتالية ، كان فيها القضـــاء عليهم وسحق نفوذهم فيها .

أما المغرب الأقصى فقد أعد له ابن نصير حملتين إحداها بقيادة ابنه مروان وقد اتجهت الى الســـــوس الأقصى ، والأخرى بقيادة (زرعة بن مدرك) وقد اتجهت الى جبال أطلس العليا .

ولم تلق كلتا الحملتين صعوبة فى مهمتها فان أهـــل المغرب ، سواء منهم سكان الساحل أو القبائل الموغلة فى الجبال قد ترامى اليهم جميعا حسن معاملة المسلمين لمن دخل فى طاعتهم ، ولذلك لم يشهروا فى وجه هاتين الحملتين سيفا ولا أبدوا حيالهما مقاومة ، وإنما آثروا الصلح ، ولم يلبثوا أن دخلوا فى دين الله كما دخل أخوان لهم من قبل فى المغرب الأوسط .

ودانت بلاد المغرب لجيوش المسلمين وأصبحت فى حوزتهم لا يشذ عن ذلك غير بضعة مدن ساحلية كانت تخضع لحاكم من الروم اسمه « يوليان » .

واتجه ابن نصير الى طنجة وما حولها مما يسمى بالسوس الأدنى فاخضعها وأدخلها فى حوزة المسلمين بغير كبير عناء ، ثم ولىّ عليها ((طارق بن زياد)) حاكما لها يتولى تدبير شؤونها ، وكان اختياره له غاية فى التدبير والإحكام ، ففضلا عما يتحلى به ابن زياد من كفـــاءة ومقدرة ، فقد كان واحدا من أهل البلاد فى وسعه أن يؤلف بين قلوبهم ، وأن يجمع شملهم ، وأن يجعل منهم عونا لقوات المسلمين على أعدائهم .

وآتت سياسية ابن نصير أكلها ، فقد أقبل سكان طنجة والسوس الأدنى على اعتنـــاق الاسلام ، وجعلوا يتهافتون على الانضمام الى قوات المســـلمين المرابطة ، يشدون من أزرها ، ويقوون من عُراها .

ولم يبق أمام ابن نصير غير مدينة ((سبته)) مقر ((يوليان)) ، ولم تكن بالخطر الذى يقض مضاجع المسلمين ، فهى مدينة صغيرة وسط جحافل جيوش المسلمين التى تحيط بها من كل جانب ، وهى على مقربة من طنجة مما يســـهل أمر مراقبتها ورصدحركاتها ان هى همت بغزو ، أو تحرفت لقتال ، وأرجأ ابن نصير الاستيلاء عليها ، ولعله رأى فيها على حالتها فائدة فى مراقبة ســـكان شبه جزيرة ايبيريا التى لا يفصلها عن ((سبته)) سوى مضيق من المياه أطلق عليه العرب اسم ((بحر الزقاق)) ، وأصبح فيما بعد مضيق جبل طارق .

وحققت الأيام صدق فراسة ابن نصير وبُعد نظره ، فقد أصبحت ((سبته)) بمثابة نقطة مراقبة بالنسبة للمسلمين ، ونافذة تطل على الأندلس ، وأصـــبح ((يوليان)) عونا للمسلمين فى غزو الأندلس ، لما كان بينه وبين ((لوذريق)) — ملك القوط — من مشاحنات وبغضاء .

لقد استقر الحال فى طنجة ، ولم يبق أمام ابن نصير الا أن يعـــود الى ((القيروان)) يعد الخطط لتامين تلك الولايات الشاسعة التى دانت له قطوفها ، وآتت أكلها ، لقد زال حقا نفوذ الروم من المغرب كله ، ولكنهم كانوا هناك متناثرين فى البحر المتوسط فى جزره العديدة ، ومنها كان فى وسعهم أن يشـــنوا على المسلمين الغارات ، وأن يرسلوا منها حملات المناجزات والمناوشات .

ولا سبيل الى صد ذلك أو القضاء عليه بغير الأساطيل الحربية الحسنة التجهيز ، والى هذا السبيل ولىّ ابن نصير وجهه ، فهو يدعم من دار الصناعة التى كان قد أنشـــاها ابن النعمان ، وهو يبنى الســـفن الحربية ويمدها بخيرة المحاربين ، وهو لا يقصر جهده على صد هجمات الروم البحرية فحسب ، بل يمعن فى خططه فيتجه الى الاستيلاء على جزيرة ((قوصره)) القريبة من تونس ، والمعروفة اليوم باسم ((بنطـــلارية)) ، والقريبة فى ذات الوقت من صـــقلية ، القاعدة الكبرى لأسطول الروم فى غرب البحر المتوسط .

وندب ابن نصير لذلك العمل صنديدا من صناديد العرب هو عبد الملك بن قطن الفهرى الذى استولى على الجزيرة وضمها الى حوزة المسلمين ، وأصبحت ((قوصرة)) قاعدة بحـــرية إسلامية تقوم منها حمـــلات المسلمين للإغارة على صقلية ، تبث فيها الرعب ، وتبذر الفزع ، وتغزو أسطول الروم فى عقر داره .

وليست صقلية فحسب هى التى كانت تتجه اليها أساطيل المسلمين ، وإنما اتجهت كذلك الى قواعد أخرى للروم فى جزر ((ميورقة ومنورقة)) تجاه شاطىء المغرب الأقصى فاستولت عليها .

وكان لهذا الاستيلاء أهمية بالغة ، فهذه الجزر تقع على مقربة من الأندلس ، والتفكير فى الاستيلاء عليها بدأ يداعب آمال ابن نصير ، وهذه الجزر فى موقعها المتاز هى خير مواقع للأساطيل الاسلامية فى غزوهـــا الجديد المرتقب الذى

سيحمل لواءه طارق بن زياد قائدا مظفرا ، شديد المراس ، قوى الشكيمة ، لا يحول بينه وبين النصر حائل .

لم يعد أمر الروم الآن بالذى يقلق بال ابن نصير ، كانوا فيما مضى فى موقف المهاجم والمناجز ، وأصبحوا اليوم فى موقف المدافع الذى يقض مضجعه وجود أساطيل المسلمين فى جزر البحر المتوسط على مقربة منهم كأنهم السهام المصوبة الى سويداء قلوبهم .

فليتجه ابن نصير بعنـــايته الى المغرب الذى طوى صفحة وفتح صفحـــة أخرى من حيـــاته :

كان من قبل مسرحا للفوضى والمنازعات والاضطرابات ، وأصبح اليوم موئلا هادئا يسوده الأمان والاطمئنان الذى لم يتحقق أبدا فى ظل الرومان أو اليونان ، وقد كان جل هم هؤلاء وهؤلاء أن يجعلوا من المغرب أهراء للغلال تمد أوربا بما تحتـــاج اليه منها ، وأن يبقوا على أهله كماً مهملا لا حول له ولا قوة ، ولا رأى له ولا اعتبارفىادارة شؤون بلاده ، ولقد لقى أهل المغرب من الروم ما لقوا من صنوف العنت وألوان الاضطهاد ، وانعكس أثر ذلك على حال البلاد ، فسادتها الفوضى ، وعم فيها الفساد ، وانتشرت بها القلاقل والاضطرابات .

وجاء الإسلام الى المغرب ، فجاء معه الحق وزهق الباطل :

قرب إليه أهل المغرب وأشركهم فى ادارة شـــؤون بلادهم ، وترك لهم مزارعهم وحقولهم يتولون أمرها بأنفسهم فانتقلوا بذلك من حال الى حال .

لم يكن هم المسلمين الفتح والغزو ، إنما كان مقصدهم الأسمى هو نشر الدين ، ورفع لوائه ، وتأسيس حضارة ، واشاعة هدوء ، واستتباب أمن . إنه عهد الادارة العربية والحضارة الاسلامية فى المغرب حيث الحاكم راعيا مسؤولا عن رعيته ، مشاركا لها فى سرائها وضرائها .

وضرب ابن نصير المثل بنفسه لكى يحتذيه غيره من قادته وولادته ، فكان يخرج الى الناس مواسيا ومعينا فى ضرائهم اذا أصابتهم بلوى ، أو حلت بهم كارثة من جراء جدب أو امحال .

لقد أعتبر المسلمون الأرض التى كانت فى حوزة الروم أرضا مفتوحة عنوة ، ومن بقى من الروم وتابعيهم فهم موال ، يدبرون أمورهم كما يشـــاؤون ، أما الأرض التى كانت تابعة للبربر ــ سكان البلاد الأصليين ــ فقد اعتبرت أرضا مفتوحة صلحا ، وتركت فى أيدى أصحابها ، يؤدون عنها المال لبيت المال ، واعتبر البربر أحرارا لهم ما للعرب من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات .

وتركت لكل قبيلة من البربر « خطـــة » تتصرف فيها وتؤدى عنها مالها ، وتكون مســـؤولة عنها ، وهو نظـــام يتلاءم مع طبيعة البـــلاد وطبيعة تكوينها الاجتماعى ، فكان أن قويت عرى الصلات بين الادارة العربية وبين القبـــائل ، وقامت بين الجـــانبين علاقة لحمتها الاحترام والتقدير ، وســـداها الثقـــة والاطمئنان . وأتاح ذلك للبربر قدرا كبيرا من الحرية فى تصريف شؤونهم لم يكن لهم به عهد ، كما حقق الامتزاج الفعلى بين العرب والبربر عندما فتح المسلمون الباب أمام أهل البلاد الأصليين للاشتراك فى الجيوش العربية على قدم المساواة بينهم وبين العرب ، فكان للادارة العربية دواوين أهمها ديوان الجند الذى يتولى الإشراف والهيمنـــة على شؤون الجنود من العرب والبربر معـــا بغير تفريق ، فتدون فيه أسماؤهم ، وتصرف رواتبهم ، عملة عربية ضربها ابن نصير فى المغرب أسوة بما سبق من ضرب نقود عربية فى مصر والشام والعراق .

وأصبحت « القيروان » مقرا للوالى موسى بن نصير ، كما أصبحت مركزا

للدواوين يفد إليها أهل المغرب لقضاء مصالحهم ، تحدوهم الثقة والاطمئنان ، ووجدوا فى العرب صدرا رحبا لحل مشكلاتهم والاستماع اليها فى صبر وأناة ، فانشرحت للاسلام صدورهم ، وأقبلوا عليه جماعات جماعات من أدنى المغرب الى أقصاه ، وذكر المؤرخون أنه فى عهد ابن نصير « تم إسلام المغرب الأقصى » ، وتحولت دور العبادة القديمـة الى مساجد يذكر فيها اسم الله ، وتتلى فيهـا آيات كتـابه ..

وصاحب انتشار الاسلام إقبالٌ أهل المغرب على تعلم اللغة العربية ، لغة القرآن ، ووجدوا بين العرب المقيمين بين ظهرانيهم خير معوان لهم على ذلك ، فقد دأبوا على إقامة مدارس ملحقة بالمساجد يدرسون فيها القرآن والحـديث والدين واللغة ، وقام على التدريس فيها نخبـة صالحة من خيرة أبناء العرب ، فتركوا بين أبناء المغرب أثرا جميلا ، ظلوا يذكرونه أمدا طويلا ، ويحدثون به الأبناء والأحفاد من بعدهم ليتوارثوه جيلا من بعد جيل .

لقد كان ابن نصير رجل حرب كما كان رجل ادارة ، ومآثره فى المجالين شاهدة بارزة للعيان ، وما قام به من تنظيم وادارة فى المغرب ، قام بمثيل له فى الأندلس حين تحقق له — مع طارق بن زياد — فتحها ، فضرب فيها عمـلة ، وأقام دواوين ، ومضى من جاء بعده على إثره يضعون لبنة فوق لبنة حتى اكتمل فى الأندلس صرح حضارة إسلامية باهرة ، لا تزال حتى اليوم مثار الاعجاب من الدارسين والمؤرخين ، كما لا تزال محط الأنظار ، حتى ليفد اليها السائحون من شتى أقطار الدنيا ليشاهدوا معالمها ، ويقفوا أمام آثارها وقد تملكتهم الدهشة وأخذهم العجب .



وما نُعلي اليوم من قدر موسى بن نصير لنحط من قدر غيره ، فقد أدى كل واجبه واجتهد اجتهاده ، ونال عقبة بن نافع احدى الحسنيين بعد أن أسس مدينة القيروان(٢) وقاد طلائع جيوش المسلمين فى المغرب ، وسلك لهم فيها مسـلكا فله منا حق الثناء ، وطيب الأحدوثة ، والذكر الحسن .



وتبقى بعـد ذلك كلمة حق لا يقدر على المماراة فيها إلا من كان فى قلبـه مرض أو أعمى بصره الحقد والغرض .

لقد تتابع على المغرب جحافل من جيوش اليونان والرومان ، ثم من بعدهم فرنسيون وإيطاليون ، وبقوا فوق أرضه ما قدّر لهم البقاء ، ثم اضطروا الى الرحيل ، وجاءت جيوش المسلمين حاملة راية الإسلام ، لكى يستظل بها من هداه الله الى الاسلام .

وبقى الاسلام فى المغرب — دينا وحضارة ونهج حياة — يعض عليه أهله بالنواجز ، لم تنل الأحداث المتتالية منه منالا ، وبقيت « القيروان » مئات بعـد مئات من السنين ، منارة للعلم ، ويقال فى مسجدها حتى اليـوم : إن جنباته لتضج بالعـلم ..

---

(١) يوم نصر ويوم هزيمة .

(٢) هى اليوم (بسكرة) فى الجزائر ، بينها وبين قسـطنطينة مسافة ٤٢٥ كم ولا يزال الموضع الذى دفن فيه عقبة بن نافع معروفا عند أهل الجزائر حتى يومنا هذا .

الفتاوى

مواضع سجدة التلاوة

السؤال : ما هى الآيات التى يطلب فيها من المسلم أن يسجد عند قراءتها أو سماعها سجدة التلاوة ؟

الاجابة : تطلب سجدة التلاوة فى أربعة عشر موضعا ، وهى آخر آية فى الأعراف **(إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)** وآية الرعد **(ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال)** وآية النحل **(ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون • يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون)** •

وآية الإسراء التى آخرها **(ويزيدهم خشوعا)** وآية مريم التى آخرها **(خروا سجدا وبكيا)** وآيتان فى سورة الحج أولاهما آخرها **(ويفعل ما يشاء)** فى آخر الربع الأول منها . ثانيتهما آخر السورة **(يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا)** الى قوله تعالى : **(لعلكم تفلحون)** وآية الفرقان وهى **(وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا)** وآية النمل وهى **(ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون • الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم)** •

وآية سورة السجدة وهى **(إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا)** الى قوله تعالى **(وهم لا يستكبرون)** • وآية سورة فصلت وهى **(لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)** وآية النجم وهى **(أفمن هذا الحديث تعجبون • وتضحكون ولا تبكون • وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا)** وآية سورة الانشقاق وهى قوله تعالى : **(وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون)** وآية اقرأ وهى **(كلا لا تطعه واسجد واقترب)** وأما آية (ص) وهى **(وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب)** فليست من مواضع سجود التلاوة ، والسجود يكون عند آخر كل آية من آياتها المتقدمة .

والمالكية ــ قالوا إن آية النجم وآية الانشقاق وآية اقرأ ليست من المواضع التى يطلب فيها سجود التلاوة .

والحنفية والمالكية ــ قالوا فى آية (ص) إنها من مواضع سجود التلاوة إلا أن المالكية قالوا إن السجود عند قوله تعالى **(وأناب)** والحنفية قالوا الأولى أن يسجد عند قوله تعالى **(وحسن مآب)** ومن هذا يتضح أن عدد مواضع سجدة التلاوة عند الحنفية أربعة عشر موضعا بنقص آية آخر الحج وزيادة آية (ص) وعند المالكية أحد عشر موضعا بنقص آية النجم والانشقاق وسورة اقرأ وزيادة (ص) والحنفية قالوا إن السجود فى آية سورة (فصلت) عند قوله تعالى : **(وهم لا يسأمون)** .

المسح على الجورب

السـؤال :

هل يكفى المسح على الجورب فى الوضوء بدلا من غسل الرجلين ؟

الاجـابة :

قد ثبت المسح على الجورب بما رواه المغيرة بن شعبة من أن النبى صلى الله عليه وسلم « مسح على الجوربين والنعلين » رواه احمد وابو داود والترمذى وقد روى ايضا جواز المسح على الجوربين عن تسعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم : على ، وعمارة ، وابن مسعود ، وانس ، وابن عمر ، والبراء ، وبلال ، وابن ابى اوفى ، وسهل بن سعد ، رضى الله عنهم . ويشترط فى صحة المسح على الجورب أن يكون ثخينا فلا يصح المسح على الرقيق الذى لا يثبت على الرجل بنفسه من غير رباط ، ولا على الرقيق الذى لا يمنع وصول الماء الى ما تحته. وكذلك لا يصح المسح على الجورب الشفاف الذى يصف ما تحته رقيقا كان أو ثخينا .

فى الميـراث

السـؤال :

توفى رجـل عن إخوة ذكور واخـوات إناث ، واولاد اخت فمـا نصيب كل منهم .. ؟

الإجـابة :

تركة المتوفى كلها لإخوته الذكور والإناث للذكر مثل حظ الأنثيين إذا كانوا فى درجة واحدة ، بأن يكون كلهم أشقاء أو كلهم إخوة لأب ، فإن كان بعضهم أشقاء وبعضهم إخوة لأب كانت التركة للأشقاء وحدهم ، ولا شىء لأولاد الأخت لأنهم من ذوى الأرحام .

الشـك فى الحـدث

السـؤال :

توضأت وصليت الظهر ، ولما حضرت صلاة العصر دخلت فى الصلاة ، وفى اثناء الصلاة شككت فى وضوئى هل احدثت ام لا ، ثم اتممت صلاة العصر مـع الجماعة ، ولم اخرج منها حياء من الناس ، فهل يجب علىّ إعادة صـلاة العصر بوضـوء جـديد ؟

الإجـابة :

شك المتوضىء فى الحدث لا يضر ، ولا ينتقض وضوءه بهذا الشكّ سواء أكان فى الصلاة أم خارجها ، وصلاتك العصر بهذا الوضوء صحيحة .

بريد الوعي الاسلامي

اعـــداد : عبد الحميد رياض

الأمة العربية فى ظل الاســـلام قوة عظيمة

الولايات المتحدة الأمريكية كونت باتحادها دولة عظمى ، فما هى العـــوامل التى دفعتها إلى تكوين هذا الاتحاد ، وما هى النتائج المستفادة منه ؟
والاتحاد السوفيتى كوّن كذلك دولة عظمى ، فما هى الظروف التى صاحبت قيام هذا الاتحـــاد ؟
ولماذا لا تستفيد الأمة العربية من مثل هذه التجارب فنقيم وحدة فيما بينها ام ان هناك عقبـــات ؟

يوسف ابو بكر حافظ
كلية الهندسة ــ القسم المدنى ــ جامعة أسيوط ــ مصر

* * * * *

إن التجمع الذى أدى الى اتحـــاد الولايات الأمريكية مع اختلاف طبيعـــة الولايات ، وجغرافيتها ومناخها ، وطبائع الأهلين ، ومع تباين المصالح الاقتصادية والعوامل المعنوية بين الشمال والجنوب مع كل هذا الاختلاف رجحت فكرة النظام التعاهدى مؤقتا لتحقيق الغاية السامية ، وهى مجابهة المحتل صفا واحدا ، وقد كان يلزمها لمواصلة الكفاح أن تتآزر لتأمن ركب المسيرة ، يحدوها الأمل المنشود ، ثم تطور هذا النظام بعد أن أدى أهم ما قام من أجله وهـــو الاستقـــلال الـــى الاتحاد بشكله الحالى ، الذى ينتظم أقوى قوة صناعية ، وزراعية ، وعسكرية فى العالم ، وذلك بفضل ما [illegible] الاتحاد .

أما فى الاتحاد الد[illegible]ى فقد قام فيه الاتحاد على أنقـــاض ثورة أكتـــوبر الدامية ١٩١٧ التى أجهزت على القيصرية الروسية الأرثوذكسية ، والرأسمالية الفردية ، والملكية الخاصة ، ونظام الطبقات ، والحياة البروجوازية .

وأقامت الثورة دولة الاتحاد مكونة من جمهوريات ومقاطعات ، لها استقلالها الذاتى فى ظل الشكل الخارجى للاتحاد ، وتلخصت الفكرة الأساســـية للدولة الشيوعية الجديدة فى توجيه الحكومة المركزية فى موسكو التى تركزت السلطة فيها ، مع سيطرة العقيدة الشيوعية فى الداخـــل ، مع أن بعض الولايات لها استقلالها ، ولكنها لا تتمتع به خارج نطاق الاتحاد ، ويلاحظ أن الولايات التى تكوّن الاتحـــاد السوفياتى تختلف اختـــلافا بينا من الناحيـــة الدينية واللغـــوية والدستورية ، ومع كل هذا خرج الاتحاد الى العالم بثانى قوة فى العالم .

وقد وضح أن الولايات الأمريكية دفعتها الى الاتحاد رغبة أكيدة فى النهوض والحرية ، لتخدم الأمة المختلفة الشعوب والرغبات ، وقد حقق غايته .

والاتحاد السوفيتى جمعت ولاياته الثورة على النظام القيصرى ، ولكنها نمت وازدهرت فى ظل الشيوعية .

أما الأمة العربية التى منحها الله الاسلام ، وجعلها به خير أمـــة أخرجت للناس لأنه دين ودنيا فتح الله به قلوبا غلفا ، وجمع به شتات أمة من ظلمـــات التفرق ، وجعل من العروبة دارا متسعة الأرجاء تنعم بها أمة تعيش فى صميم تعاليم الاسلام ، الذى يدعو الى أن نكون أمة واحدة ، تقوم قومة رجل واحد على

من عداها (**المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا**) فى مجتمع إسلامى يعيش فى ظل الكتاب والسنة تسوده البساطة والمشورة ، ويعمه العدل والمساواة ، وتشده الروابط القوية المستوحاة من هداه ، ومن وحدة أرضه فى ظل دين واحد ، فقد توحد كل شىء فينا به ، فسماحة آرائه ، وسلاسة نظمه ، ونقاوة تقنينه مزجت أرواح معتنقيه ، فحرى بها أن تتلاقى ، وجدير بها أن تشد العزم ، ولزاما عليها أن تتماسك ، فالخطب عظيم والخطر محدق بنا ، ولا مفر منه إلا بوحدتنا ، فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ، ولسنا فى حاجة الى أستيراد نظم ، فإسلامنا قد وضح السبيل من قديم ، ولا أن نقتبس مبادىء ، فديننا قد حدد المعالم ، ورسم الهدف ، وأسس أقوى بناء فى عالم الأمم والحضارات ، ضاربا بسهم وافر فى كل ميادين التقدم والرقى ، فليست هناك عقبات مطلقا تفصم العرى ، اللهم إلا الهوى والغرض وحب الدنيا والسلطة والابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله ، ولسنا فى حاجة الى الاستفادة من تجارب الأمريكان والروس ، فالاسلام هو الذى جمع والبعد عنه هو الذى فرق .

الجهاد

ما هى أنواع الجهاد فى سبيل الله وما هى وسائله ؟

محمد على حسن ــ ليبيا

الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، ولحماية دينه من الطاعنين فيه ، والمشككين فى صلاحيته بالقول والفعل ، والمقتصبين لأرض الاسلام .

والجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الحقوق وصيانتها من العابثين بها .

والجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الوطن والعرض والمال .

والجهاد فى سبيل الله لنجدة المستضعفين .

ووسائل الجهاد التى توجب النصر هى :

الجهاد بالنفس لمن يستطيع ذلك : لأن الله اشترى من المؤمن آخرته بدنياه ((**إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا**)) .

المرابطة على الحدود : وذلك دفعا لما قد يحدث على حين غرة من المسلمين لو تركوا ثغورهم وحدودهم مكشوفة بلا حراسة : ((**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**)) .

ومن أهم وسائل الجهاد وأعظمها خطرا **المال** إذ به يتجهز الجيش ويعد ليخوض غمار الحروب مسلحا بما يجب : ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**)) . وهذا الاعداد لا يكون الا بالمال .

والمال يلزم الأمة والأفراد فعلى الامة أن تعد ما تستطيع من القوة ، وعلى الأفراد أن يبذلوا بسخاء فباذل نفسه وماله له مكانة عند الله .

والله يقول : ((**أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**)) .

والجهاد باللسان : كذلك من الأسلحة الهامة التى تقوى المسلم ، وتنمى فيه روح التضحية والفداء .

ومن وسائل الجهاد كذلك إعداد المحارب وتجهيزه بالسلاح .

ومن وسائل الجهاد الفعالة العلم فى ميدان المعركة ، فالعمل فى إنتاج السلاح وتطويره جهاد فى سبيل الله .

وهناك أنواع كثيرة فكل ما ساعد على النصر ، وكل ما أدى الى تماسك الأمة وصمودها فى وجه العدو ، جهاد فى سبيل الله .

بأقلام القراء

هذا بلاغ للنـــاس ...

ان احوج ما يحتاج إليه المرء المسلم أن يعلم كيف يغدو ـ حقا ـ مسلما ..!

ان كثيرين منا مسلمون بحكم المولد لكنهم بعيدون البعد كله عن سلـــوك الانسان المسلم الذى يجد فى تعاليم الاسلام ومضمونه حافزا يدفعه الى المضى قدما فى سبيل تحقيق سعادة الدارين له وكذلك تحقيق السعادة لمن حولـــه .. والسعادة ـ بلا شك ـ منتهى آمال الانسان ..

ان السعادة ليست بسمة تنساب دوما فوق الشفاه وإنما هى مشاعر أعماق تفتحت على نور الله المودع فى عمق الأشياء فيحيل عدمها حياة وسكونها حركـــة ومن حركتها مضيا الى التطور نحو الأفضل دائما .

ان السلوك الاسلامى ليس شعارا يطلق .. أو مجرد عبارة رنانة ينادى بها هؤلاء الذين أرهقتهم طبيعة الأحياء من حولهم .. بل ان هذا السلوك هو بالفعـــل ممارسة وتطبيق ينبع من تلـــك النقطة التى تلتقى فيها المثل والقيم الاسلاميـــة (بمفاهيمها وأهدافها) مع نفس آمنت بها .. تماما كالنبت الأخضر الذى ينمو من تربة خصبة وبذرة صالحة .. ذلك كلـــه أن السلوك ـ وبوجـــه عام ـ انعكاس لمبادىء يؤمن الانسان بها أو يعتقد بصحتها ...

وما بالنا والاسلام .. رباه ماذا فعلنا به ..؟

ـ ألقى الكتاب المبين وراء أظهرنا .. والتفتنا الى حيث الفراغ الفكرى الأجوف فصارت عقولنا مجرد فقاعات غازية سرعان ما تنفجر اذ لا تحمل داخلها ســـوى هواء أو بالأحرى فراغ ...

ـ نحن تخلينا عن مبادئنا السوية مقلدين لغيرنا ممن تلفظ حضارتهم أنفاسها الأخيرة وملك الموت يهم أن يقبض بروحها اذ فقدت أهم دعائمهـــا التى لا تنبنـــى حضارة الا عليها .. فقدت ذلك العنصر الذى يحيل النفوس الى قوى طيعة فى مسيرة الحياة الى الارتقاء .. فقدت العنصر الروحى .. وأصبحت المادة هـــى السيد بل تكاد تصبح السيد الوحيد .

ـ فقدنا القدرة على التمييز بين الأشياء صحيحها وزائفها لأن عيوننا قد أطبقت على ذكرى يوم كنا فيه سادة هذا العالم ..

ـ نحن لم نكلف أنفسنا مجرد عناء التساؤل : الـــى متى نقول كنا ..؟ ولـــم لا نتساءل : كيف أصبحنا .. والى أين نمضى ..؟

ـ وفوق هذا كله فقدنا ما يميزنا عن غيرنا حتى لو كنا قليلى العدد .. فقدنا ايمـــاننا الحق .. بعنا ضميرنا الحى .. وقتلنا رغبتنا فى اتبـــاع المبادىء السمحة ..

ان السلوك الاسلامى هو التاج الذى يجب على كل مسلمة ومسلم أن يتحلى به .. مقتدين فى ذلك بما جاء فى القرآن هدى للناس ..

وبما ترك الرسول لنا من سنة فما كان لينطق عن الهوى .. ان هـــو الا وحى يوحى ..

وبأعمال التابعين الذى صاحبوا الرسول وتتلمذوا فى مدرسة الاسلام على يد خير معلم أرسلته السماء هاديا ومبشرا ونذيرا .. على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

فيا أخى المسلم .. عليك أن تسأل نفسك : ماذا بقى لك .. ان ضاع دينك .. ؟

عليك أن تعمل فكرك فيما حولك .. دقق النظر فيما يحيط بك .. حاول أن تصل الى كنه الحقيقة وأن تسبر عمق الأشياء .. واربط دوما نفسك بحركة الاسلام والمسلمين عاملا على تطوير نفسك وعقلك .. فما أحوج الاسلام الى أمثال هؤلاء .. وحينئذ فقط .. ستكون (أخى المسلم) الذى أعتز بأخوته .. ؟

شاكر زهرة كلية التجارة ــ جامعة الأزهر

ذبـــاب المكاتب

ينتشر هذا الذباب البشرى فى المكاتب والدواوين والادارات حيث يكثر المراقبون والمديرون والرؤساء والمفتشون والوكلاء الخ .. ويزعم هذا الذباب أنه يؤدى الواجب ويتعاون مع سادته ومخدوميه على مصلحة العمل وهذا من المعانى المحمودة ولكنه لثام يشف عما تحته من الملق والنفاق والذل وارضاء المخلوق على حساب الخالق والتماس العزة ممن لا يستطيع أن يمنح العزة (أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) .

والقيام بدور الحاشية والبطانة التى يكون عملها الأول التصفيق والاعجاب دون قيد أو شرط لكل ما يصدر عن سادتهم . ويعرض هذا الذباب على الحشد الكبير من رؤسائه الخدمات وقضاء أوقات الفراغ فان لم يستطع أن يرضى كل هؤلاء وأن يقوم بدور المحسوب المحظوظ عندهم جميعا لتعارض الأهواء والرغبات وتناحر الميول اكتفى بواحد أو باثنين .

والهدف اصطياد المنافع والمآرب والاغراض الدنيا والتقاط المصالح التى يعلم بها قبل سواه من عامة الزملاء والموظفين والامتياز أحد هذه المزايا المعروفة سلفا لأن الواحد منهم يطلع على التقريرات السرية الشهرية والسنوية وربما كان هو الذى كتبها بخط يده بمقتضى العون المبذول والثقة المتبادلة وسيستحى منه مخدومه طبعا ، أو يحصل على كل مكافأة تأتى تشجيعية أو غير تشجيعية أو يظفر بأخف شىء فى العمل ويبتعد عن مراكز المشقة والثقل او يذهب لمأمورية ظاهرها قضاء العمل وباطنها السياحة والنزهة وفيها بدل السفر بقرة حلوب .

أما المسكين الذى لا يعرف الا عمله الاصلى ــ ولا يعرف من اين تؤكل الكتف ولا يقطر لسانه عسلا ولو اراد أن يمثل دور هؤلاء فان طبيعته تخذله فهم لا يجاملونه فى النقير ولا فى القطمير ولا يعطونه الامتياز ولا يرقونه ولولا أن العلاوات والدرجات المالية تغلب عليها صبغة الاقدمية المطلقة لانفتح باب كبير من الشر والفتنة .

وعلى راسه وحده تقع مشقات العمل وهو أضيع من الايتام فى مأدبة اللئام ...

ضاق صدرى بهؤلاء المتهافتين على المكاتب والدواوين والادارات دون أن يكونوا من اهلها كما يتهافت الذباب على العسل وكثيرا ما جنت هذه الصلات المريبة على مصلحة العمل وان كانوا يدعون غير ذلك ويحتكرون تفسير هذه المصلحة بأهوائهم واغراضهم قبل عقولهم .

عبد الرحمن أحمد شادى



واجبنـــا نحـــو الشباب

ان المثقفين والواعين المخلصين من أبناء هذه الأمة ليجمعون على كلمة واحدة ورأى سواء ، هو ان شبابنا المسلم ليس أقل من شباب الأمم الأخرى طموحا وسدادا وان جميع قابلياته العقلية والنفسية تؤهله لاسمى المقاعد التى أقتعدها من قلبه اجداده الميامين واقتعدها من ليسوا أوثق صلة بالعبقرية منه . وان المحتك بالشباب المسلم ــ رغم ما يرى عليه من رفض وشذوذ وحيرة ليلمس بين حنايا ضلوعه قلوبا نقية ، وعقولا خصيبة منتجة ، وفطرا سليمة قابلة للخير باصل تركيبها الانسانى غير ان هذا الشباب مفتقر أيما افتقار الى من ينير له السبيل ويبدد أمام عينيه الحلكة فتتضح لـــه الرؤيا وليست عزائمه بالواهنة الخاوية . أن المتأوهين والمتفجعين على مستقبل أمتهم ومصير أجيالهم لمطالبون أمام الله وأمام التاريخ بأن يعمل كل فى نطاق أمكاناته على انقاذ هذا الشباب البرىء مما يوشك أن يبتلعه من خطر الذوبان والكفر بالاوطان والاديان . اذ فى انقاذه سلامتنا وسلامة أجيالنا وسعادتنا وسعادة أمتنا وليس لهذا الانقـــاذ من سبيل الا بان تتظافر جهود المربين من دعاة الاصلاح ومخططى برامج التعليم على أن تجعل سياستنا التعليمية تهدف فى أصولها وفروعها وغاياتها ومناهجها الى مناط مشترك يتمثل فى ابراز جيل اكتمل فيه الاعداد الروحى والعقلى والمادى بدون تضحيـــــة باحد الاقاليم الثلاثة على حساب أخوية .

وهل بغير الاعداد المادى يتحقق لنا الاكتفاء الذاتى فنصنع خاماتنا بايدينا ونحتلب من ضرعها الاعداد العقلى نخضع الالة لارادتنا ونفرض على دعـــاة الشر احترامنا فنصبح فى مامن من غوائلهم التى هى منا علىقاب قوسين أو أدنى .

وهل بغير الاعداد الماد يتحقق الينا الاكتفاء الذاتى فنصنع حماتنا بايدينا ونحتلب من ضرعها المغنم الوفير وبذلك فقط نصبح أغنى الناس عن تملق الكبار والسير فى ركابهم وانتظار الرحمـــة من أيديهم ..

عن مجلـــة جوهر الاسلام التونسية

ان هذه الأمة الرائدة المنجاب ما تزال طاقاتها البشرية فوارة هدارة وفى امكانها أن تحقق المعجزة اليوم كما حققتها بالامر (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » ..

بدايـــة نهايـــة إسرائيل

يشهد العالم اليوم تداعى ذلك البناء الذى شيدته اسرائيل فى القارة الافريقية عبر سنوات طويلة لقد انزاح الكابوس الاستعمارى عن دول أفريقيا بعد فترات مريرة من الكفاح والنضال من أجل التحرر والاستقلال . اذ أصبح النصف الثانى من القرن العشرين هو عصر التحرير وتقريـر المصير والكشف النقاب عن الدول الاستعمارية التى مارست أساليب الاستغلال قرونا طويلـة وخضعت أخيرا لمقتضيات تطور السياسة العالمية واضطرت الى اجلاء قواتها العسكرية عن الاراضى الافريقية ذلك لان هذه الدول الاستعمارية أبت أن تتنازل عن فريستها التى نعمت بخيراتها سنوات طويلة ، رأت أن يكون لها بديلا تستمر فى تنفيذ أطماعها الاستعمارية وكانت اسرائيل هى هـــذه البديلة فاقتضت ان تكون ستارا يختبى خلفه الاستعمار وما يرتبط به من استغلال اقتصادى وسيطرة سياسية وانخدعت بعض الحكومات الافريقية عدة سنوات بهذه اللعبة السياسية وامتدت الاصابع الاسرائيلية الى القارة الافريقية تعبث باقتصاد دولها وتنسج خيوط المؤامرات والدسائس السياسية والليل له آخر وقد فطنت دول أفريقية الى تلك الخدعة الصهيونية الامبريالية وبدأت هذه الـدول تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل وترفض خبراءها امناء الاستعمار واليوم لا تجد اسرائيـل لنشاطها الامبريالى الا فى روديسيا وجنوب أفريقيا وهما الدولتان اللتان قامتا على أساس التفرقة العنصرية حيث يسيطر أقلية أوروبية على مقدرات ومصائر أغلبية ساحقة من المواطنين الافريقيين ولا عجب فى أن تساند اسرائيل تلك الدولتين اذ ان الدول الاستعمارية تحتضن سياسة التفرقة العنصرية وخاصة أمريكا التى لا زالت تفرق بين رعاياها فتضطهد السود وتخرجهم من حقوقهم المشروعة .

لقد قامت اسرائيل على أساس العصبية الدينية الصهيونية ولم تقم على أساس قومى أو حضارى فجمعت اسرائيل مزيجا عجيبا من اجناس العالم لا يتفقون فى شىء الا فى عقيدتهم اليهودية وفى ايمانهم بالصهيونية العالمية وتوافد على اسرائيل عدد كبير من اليهود ذوى البشرة السوداء وسمحت لهم الحكومة الاسرائيلية فى أراضيها ولكن صدر أخيرا قرار يعتبرهم مجرد مقيمين فى اسرائيل وليسوا كغيرهم من اليهود ذوى البشرة البيضاء مما جعل هؤلاء اليهود السود يبدأون فى مغادرة اسرائيل والعودة الى أوطانهم الاولى وهكذا تناقض اسرائيل نفسها وتهدم الاساس الدينى الذى أقامت عليه دولة شاذة ومجتمعا متناقضا وحينما يدافع الفدائيون الفلسطينيون عن حقهم ويطالبون بتنفيذ قرارات الهيئات العالمية تولول اسرائيل وتصفهم بالارهابيين والمخربين والحقيقة الواضحة ان اسرائيل هى حاملة لواء الارهاب والعدوان فى العالم .

من مجلـــة الاسلام القاهرية ..

اعداد : فهمى الامام

الكـويت : هاجمت قوات الحكومة العراقية مخفر الصامتة الواقع على الحـدود الكويتيـة واحتلته ، وراح ضحية هذا الهجوم شهيدان ، كمـا أصيب عـدد من جنـود الشرطـة الكويتيين .

● زار سـمو أمير البلاد المعظـم الجرحى الذين أصيبوا فى مخفـر الصـامتة ، وأثنى على بسـالتهم ووطنيتهم .

● شيعت الكويت فى جنازة رسمية الشهيدين اللذين قتلا فـى عـدوان الحكومة العراقية عـلى الحـدود الكويتية .

● قوبل الاعتداء عـلى الحـدود الكويتية باستنكار شديد على جميـع المستويات فى الدول العربية .

● زار كلا من الكويت والعراق عدد كبير من المسئولين فى الدول العربية لتسوية النزاع القائم على الحـدود بين الدولتين الشـقيقتين الكـويت والعراق .

● صرح سمو أمير البلاد المعظم فى حـديثه الذى نشر بجـريدة البيرق اللبنانيـة بأنه عنـدما تحين ساعة الصفر فسنستخدم سـلاح البترول وسنبذل تضحيات أثمن من البترول .

● كان موضوع خطبة الجمعة ١٩ صفر فى جميع مساجد الكويت إنما المؤمنون إخوة ، وقد تضمنت دعـوة الأمة الاسلامية الى التآخى والقضاء على الخلاف بينها ، وتوجيه الجهود الى العدو الذى يحتل أراضينا .

● أعلنت جميع الهيئات الكويتيـة الطلابيـة والعماليـة والنقابيـة فى الكويت وجميـع الدول اسـتنكارها لحادث الهجوم على الحدود الكويتية ،



● سمو أمير البلاد المعظم أثناء زيارته للجـرحى ●



● وزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله الصباح يطمئن على صحة أحد الجرحى ●



● أمين عام جامعة الدول العربيـة محمود رياض وهـو يدلى بتصريح لرجال الاعلام فى أعقاب وصوله الى الكويت ●

وأيدت الاجراءات الحكومية للحفاظ على سيادة الكويت ووحدة أراضيها .

● تقوم الجامعة العربية بدور كبير فى التوسط بين الكويت والعراق حول النزاع القائم على الحدود وقد زار أمين الجامعة كلا من الكويت وبغداد لهذا الغرض .

● تحتفل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد الشريف مساء الجمعة ١١ من ربيع الأول فى مسجد السوق الكبير .

● عقد فى الكويت مؤخرا مؤتمر التعاون التربوى بين البيت والمدرسة .. وقد عقد جلسته الختامية فى ٧٣/٣/١٤ ، واتخذ المؤتمرون القرارات والتوصيات اللازمة .

مصر : صرح السيد حسين الشافعى بأن مصر تستطيع ــ كحد أدنى ــ أن تعيد العدو الى الوضع الذى كان فيه عام ٧٠ وأن ترهقه تماما .

● وافق مجمع البحوث الاسلامية على توجيه الدعوة الى ٤٠ دولة إسلامية لحضور مؤتمر علماء المسلمين الذى يعقد بالقاهرة فى ١٠ نوفمبر القادم .

● اعتمد مبلغ (٣٥٠) الف جنيه لإصلاح مسجد عمرو بن العاص .

● افتتح وزير الأوقاف وشئون الأزهر دار القرآن الكريم فى مدينة بنها .

السعودية : شكلت هيئة لدراسة وسائل نشر الدعوة الاسلامية الصحيحة فى أنحاء العالم وخاصة فى أفريقيا وآسيا .

● من المقرر أن تقوم (٦) وفود إسلامية مبتعثة من قبل رابطة العالم الاسلامى بزيارة العديد من الاقطار والاتصال بزعمائها والاطلاع على واقع المسلمين بها ومنجزاتهم واحتياجاتهم ووضع الحلول لها .

الجزائر : تقرر عقد الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى فى مدينة تيزى وزو من ١٠ ــ ٢٠ من جمادى الآخرة ، وسيدعى لحضوره عدد من الشخصيات البارزة فى الجزائر وفى أنحاء العالم .

● أدلى السيد مولود قاسم وزير الشئون الدينية والتعليم فى الجزائر بتصريح قال فيه : إن الاجتماع القادم لوزراء الأوقاف العرب سيعقد فى الجزائر ، وان المشتركين فى المؤتمر سيشهدون الحلقة الدراسية الثانية من ملتقى الفكر الاسلامى الذى يعقد سنويا فى الجزائر .

الأردن : ألغى الملك حسين حكم الاعدام الصادر بحق أبى داود ورفاقه من الفدائيين .

● أهابت لجنة إنقاذ القدس بالعالمين الاسلامى والعربى وجميع قوى الخير والحرية والسلام أن تقف موقفا عمليا وجديا لدرء الخطر عن المسجد الأقصى والقضاء على مخططات تهدف الى إزالته من الوجود .

ليبيا : عقد مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى اجتماعاته فى بنغازى ، ويشترك فى هذا المؤتمر ٣٢ دولة إسلامية ، ومن بين الموضوعات المدرجة على جدول أعمال المؤتمر : حرب الإبادة التى تشنها حكومة الفلبين ضد المسلمين هناك .

المغرب : أعلن الملك الحسن عاهل المغرب أنه سيرسل مئات ومئات من رجال القوات الآلية المسلحة الى سوريا لإعطاء جيشه فرصة مزج دمائه بدماء إخوانه العرب فى الشرق الأوسط .

● أعلن حزب الاستقلال فى بيان الى الشعب المغربى أن سنة ٧٣ ستكون سنة التعريب فى الادارة والتعليم ، وحث البيان الشعب والحكومة على نبذ اللغة الفرنسية واستعمال اللغة العربية فى المعاملات اليومية .

فلسطين المحتلة : استولت الشركة الاسرائيلية لإسكان المهاجرين الجدد على مسجد أبى يونس فى حيفا الذى تأسس عام ١٩٢٥ .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول ١٣٩٣	أبريل ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الثلاثاء	١	٣	٤ ٥	٥ ٣٦	١١ ٥٢	٣ ٢٤	٦ ٧	٧ ٢٦	٩ ٥٨	١١ ٢٩	٥ ٤٥	٩ ١٦	١ ١٩
الاربعاء	٢	٤	٤ ٤	٣٥	٥٢	٢٤	٨	٢٧	٥٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الخميس	٣	٥	٢	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٨	٤٥	٢٦	٤٣	١٥	١٩
الجمعة	٤	٦	١	٣٣	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥٢	٢٤	٤٢	١٤	٢٠
السبت	٥	٧	٠٠	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٢	١٤	٢٠
الأحد	٦	٨	٣ ٥٩	٣١	٥١	٢٣	١٠	٣٠	٤٩	٢١	٤١	١٣	٢٠
الاثنين	٧	٩	٥٨	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٣٠	٤٨	٢٠	٤٠	١٢	٢٠
الثلاثاء	٨	١٠	٥٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣١	٤٦	١٨	٣٩	١٢	٢٠
الأربعاء	٩	١١	٥٥	٢٧	٥٠	٢٢	١١	٣١	٤٤	١٦	٣٨	١١	٢٠
الخميس	١٠	١٢	٥٤	٢٦	٤٩	٢٢	١٢	٣٢	٤٢	١٤	٣٧	١٠	٢٠
الجمعة	١١	١٣	٥٢	٢٥	٤٩	٢٢	١٢	٣٣	٤٠	١٢	٣٦	١٠	٢١
السبت	١٢	١٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٨	١١	٣٦	٩	٢١
الأحد	١٣	١٥	٥٠	٢٣	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٧	١٠	٣٥	٩	٢١
الاثنين	١٤	١٦	٤٩	٢٢	٤٨	٢٢	١٤	٣٥	٣٥	٨	٣٤	٨	٢١
الثلاثاء	١٥	١٧	٤٨	٢١	٤٨	٢٢	١٥	٣٦	٣٣	٦	٣٣	٧	٢١
الأربعاء	١٦	١٨	٤٦	٢٠	٤٨	٢٢	١٥	٣٧	٣١	٥	٣٣	٦	٢١
الخميس	١٧	١٩	٤٥	١٩	٤٨	٢٢	١٦	٣٨	٢٩	٣	٣٢	٦	٢٢
الجمعة	١٨	٢٠	٤٤	١٨	٤٨	٢٢	١٧	٣٩	٢٧	١	٣١	٥	٢٢
السبت	١٩	٢١	٤٢	١٧	٤٧	٢١	١٧	٣٩	٢٥	٠٠	٣٠	٤	٢٢
الأحد	٢٠	٢٢	٤١	١٦	٤٧	٢١	١٨	٤٠	٢٣	١٠ ٥٨	٢٩	٤	٢٢
الاثنين	٢١	٢٣	٣٩	١٥	٤٧	٢١	١٨	٤١	٢١	٥٧	٢٩	٣	٢٣
الثلاثاء	٢٢	٢٤	٣٨	١٤	٤٧	٢١	١٩	٤٢	١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣
الأربعاء	٢٣	٢٥	٣٧	١٣	٤٧	٢١	٢٠	٤٣	١٧	٥٣	٢٧	١	٢٣
الخميس	٢٤	٢٦	٣٥	١٢	٤٦	٢١	٢٠	٤٣	١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣
الجمعة	٢٥	٢٧	٣٤	١١	٤٦	٢١	٢١	٤٤	١٣	٥٠	٢٥	٠٠	٢٣
السبت	٢٦	٢٨	٣٣	١٠	٤٦	٢١	٢٢	٤٥	١١	٤٨	٢٤	٨ ٥٩	٢٤
الأحد	٢٧	٢٩	٣٢	٩	٤٦	٢١	٢٢	٤٦	١٠	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤
الاثنين	٢٨	٣٠	٣١	٨	٤٦	٢١	٢٣	٤٧	٨	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤
الثلاثاء	٢٩	مايو	٣٠	٧	٤٥	٢٠	٢٣	٤٨	٧	٤٤	٢٢	٥٧	٢٤
الاربعاء	٣٠	٢	٢٩	٦	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥



مسجد عمر بن الخطاب

اسمه : عمر ، وكنيته أبو حفص ، والحفص الشبل ولد الأسد . كناه به النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ولقبه الفاروق ، وسماه به النبى . قيل لعائشة أم المؤمنين : من سمى عمر الفاروق ، قالت : النبى صلى الله عليه وسلم .

نسبه : هو عمر بن الخطاب بن نفيل ، وينتهى الى عدنان ، ويجتمع مع النبى فى سعد .

مولده : ولد قبل البعثة بثلاثين عاما .

اسلامه : أسلم فى السنة السادسة من النبوة ، وكان اسلامه فتحا ، وهجرته نصرا وشهد المشاهد كلها .

خلافته : توفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة وفاة أبى بكر ، ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وعدة أيام .

فتوحاته : فى عهده انتشر الاسلام وفتحت الأمصار ودونت الدواوين .

وفاته : طعنه أبو لؤلؤة المجوسى عدة طعنات وهو يصلى ، ومكث بعد ما طعن ثلاثا وتوفى يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم . وأبى بكر رضوان الله عليه .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغازى : مكتبة الخراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنسا .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحرين	:	المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .
قطر	:	الدوحة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبى	:	مؤسسة دار العروبة .
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

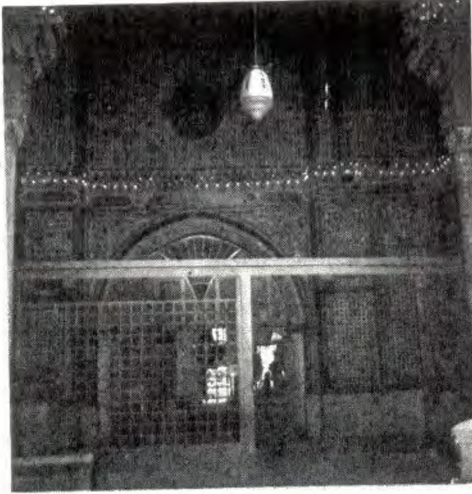
السنة التاسعة — العدد ١٠٠ — غرة ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ — ٣ مايو ١٩٧٢ م



يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ

محمد مؤذن

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ



مسجد العمرى
ببيروت

منظر رائع لواجهة المسجد العمرى ببيروت وهو آية من آيات الفــن والابداع العـــــربى فى الزخرفة والجمال ..

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

السـنة التاسـعة

العـــدد (١٠٠)

غرة ربيــع الآخر ١٣٩٣ هـ

٣ مايو (أيــار) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غـرة كل شـــهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراســلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية
صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

كلمة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

احتفلت وزارة الاوقــاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد أفضل مولود ، واعظم مخلوق وموجود ، سيدنا محمد بن عبد الله صلـوات الله وسلامــه عليه ، وقد وفدت ذكــرى المولد النبوى الشريف هذا العام على المسلمين وقــد نزلت بساحتهم أحداث هى أكبر من أن توصف ، واقربها نزولا ما حدث فجر الثلاثاء الذى يسبق ذكرى المولد من اقتحام العــدو الاسرائيلى لبيوت قادة المقاومة الفلسطينية فى بيروت ، العاصمة العربية اللبنانية ، وقتلهم وانتهــاك حرماتهــم ، ثم عــودته ســالما محروســا بغفلتنــا ، محميا بعجــزنا .. وكان لهذا التحدى الصارخ من الصهيونية صداه البعيد فى المحيط العربى ، والمجتمع الاسلامى والمجال الدولى ، وقد انعكست آثار هذا التحدى فى الاحتفالات التى اقيمت بمناسبة المولد الشريف فتتابع الخطباء يعبئون القوى ، ويوقدون جذوة الايمان فى القلوب ، ويستنهضون العزائم للذود عن العقيدة والأوطان .

وفى حفل الوزارة الذى أقيم بمسجد السوق الكبير ونقلت وقائعه الاذاعة والتلفزيون ارتجل سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية :



يحتفل العالم الإسلامى اليوم بذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى اللــه تعالى عليه وسلم .

يحتفل العالم اليوم بذكرى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذى قاد الأمة الإسلامية ، وقاد الأمة العربية من نصر الى نصر . نحتفل بالمعلم الأول . ونحتفل بالقائد الأول الذى علمنا كيف يكون الجهاد ، وعلمنا كيف يكون النضال ، وعلمنا كيف يكون الاستشهاد فى سبيل الله ، لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الأمة روح العزة والكرامة ، وعلمها كيف تكون أمة وكيف تكون معلمة للشعوب والأمم ، ونحن نحتفل اليوم بهذه الذكرى لنأخذمنهـا عظـــة وعبـــرة . .

ايهـا السـادة :

ونحن نحتفل بهذه الذكرى تطلع علينا الأحداث المؤسفة ، ويستيقظ العالم اليوم على أحداث مؤلمـة فى عالمنا العربى والإسلامى ، فقد استيقظ العـالم على جريمة نكراء ارتكبها الاستعمار ، وارتكبتها الصهيونية ــ استيقظ العالم على اعتداء آثم على الشعب الفلسطينى المظلوم ، الذى شرد من دياره ومن وطنه ، استيقظ العالم على المؤامرة الكبرى التى دبرت ضد هذا الشعب ، والتى استهدفت القادة والزعماء للمقاومة وللفدائيين ، استيقظ العالم على هذا الذى يتنكر فى صورة الحمل الوديع ويرتكب اكبر جريمة . . استيقظ العالم على هذا الشعب اليهودى ، الشعب الصهيونى ، الذى يخـدع العالم فيناشده السلام والأمـن

والاطمئنان .. استيقظ العالم على هذا الشعب فوجده يرتكب الجرائم فى المدن الآمنة ، يقتل الأطفال والنساء والرجال ، لا يرحم النساء ، ولا يعطف على الأطفال ، إنه حيوان مفترس .

ايها السادة :

إن هذه الجريمة لا تستهدف زعماء المقاومة ، ولا تستهدف الفلسطينيين وحدهم ، وإنما تستهدف الأمة العربية والإسلامية ، لأنها مؤامرة لها ابعادها المعنوية قبل ابعادها العسكرية .. إنها مؤامرة تريد أن تفت فى عضد هذه الدعوة ، وفى هذه القوة ، وفى هذه العزيمة .. إنها الحرب النفسية التى ترتكز عليها الصهيونية ضد هذه الأمة العربية ، وتريد أن تشتت شملها ، وان تضعف قواها ، وأن تفرق كلمتها وشملها .. تريد أن تهزها ، وتريد أن تفرض عليها الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع .. إن الحرب النفسية اقسى على الشعوب من الحرب العسكرية ..

ايها الإخوة :

على المؤمنين وعلى الثابتين ان يثبتوا فى مواقعهم ، وأن يتنبهوا الىَ هذه المؤامرات ، وأن يعرفوا أن عدوهم يتخذ من الأساليب ، ويتخذ من الخطط ما هو ادهى وأمر من ذلك ، لأنه يريد أن يمحو كل عربى ، وها هو يقوم بمعاونة الكفر والاستعمار بتقتيل ابنائنا وتشريد عائلاتنا .. وها هو ينفث سمومه فى كل يوم ، ويعتقل من أبنائنا كل يوم ، فعلينا أن نتنبه ، وعلينا ان نثبت فى مواقعنا ، وأن نجابه هذه الحرب بكل عزيمة ، وكل ثبات ، وكل قوة ، ولنا فى تاريخنا العربى والإسلامى المجيد ما يقوى من عزيمتنا وما يثبت من أقدامنا .. إن لنا فى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وفى سيرته وفى جهاده وفى نضاله اسوة حسنة ، فقد عانى من الكفار ما عانى ، ولقد قاد معاركه وخاضها وناله من الأذى ما نال ، وقد أرسل جيشه الى الشام ليقاتل الروم ، وعندما وصل الجيش الى « معان » علم أن جيش الروم يبلغ مائة الف ، وعدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل ، فتردد بعض القوم ولكن الإيمان ثبت ، ولكن العزيمة وقفت ، وقالوا : ما جئنا إليه هو الذى نكرهه ، وإن لنا فى هذا الموقف إحدى الحسنيين فإما النصر وإما الشهادة ، فتقابل الجيشان فى مكان يقال له مؤته ، فى أرض الشام ، وتقدم القادة الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتأخروا الى المؤخرة وانما تقدموا الصفوف ، فتقدم زيد بن حارثة وهو يحمل راية المسلمين فجاهد وناضل حتى قتل ، فتقدم جعفر بن أبى طالب فجاهد وقاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فحمل الراية بيده اليسرى ، وناضل حتى قطعت يده اليسرى ، فأخذ الراية بعضديه

فقاتل وناضل حتى قتل ، ولما حملوه وجدوا فى جسده اكثر من تسعين طعنة ، فجاء بعده عبد الله بن رواحة فاستلم الراية وقاتل وناضل حتى قتل ، ثم جاء بعد ذلك خالد بن الوليد ونظم الجيش ورتب الصفوف وظن الأعداء أن هناك مددا جاء الى هذا الجيش ، فتقابل الجيشان فانحـــاز الكفار الى مكان وانحاز المسلمون الى مكان آخر ، فكان النصر للمسلمين ، « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** » فرجع جيش المسلمين وقد بعث الله فى قلوبهم الإيمان ، وقوى عزيمتهم بالثبات على الإسلام ، ثم بعد ذلك تتابعت جيوش المسلمين بتأييد من العقيـــدة الإسلامية وبتوجيه من القائد العظيم الذى يخوض المعركة متقدما الصفوف .

ايهـــا الســـادة :

إننا نريد أن نقول لقادتنا ، ونريد أن نقول للمقاومة ، ونريد أن نقول للفدائيين لقد آن الأوان أن تتوحد صفوفكم ، وأن تقاتلوا صفا واحدا كرجل واحد « **إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » .

وعلى الأمة العربية ان تقاتل معهم ، وأن تؤيدهم بالرجال ، فإن ذلك من واجبنا ، وذلك فرض علينا ، فإن الإسلام قد أوجب علينا الدفاع عن الأوطان ، ومن لم تحدثه نفسه بالجهاد والقتال فى سبيل الله مات على شعبة من النفاق ، وعلى كل مسلم أن يجاهد ، وأن يناضل ، وأن يقاتل فى سبيل الله وفى سبيـــل الوطن .

إن ديارنا احتلت ، وصفوفنا تمزقت بيد أعدائنا ، فوجب علينا النضال ، ووجب علينا القتال ، ووجبت علينا المناصرة والمؤازرة بكل ما نستطيع من قوة : **« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »**.

على القادة وعلى الزعماء أن يعرفوا هذه الحقيقة فإن النصر لا يأتى الا بالوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحدة الفكر ، ولا يأتى الا بالنظام ، ولا يأتى الا بالتنظيم ، فإن عدونا يقاتلنا بهذه الفكرة ، ويقاتلنا بهذه الدعوة ، ويقاتلنا بهذا التنظيم . لقد انعقدت مؤتمرات الصهيونية لهذا الغرض فى كل مكان ، وها نحن نرى جيوشنا تقف بعيدة عن النصرة للفدائيين ، فعليها أن تقف وتقاتل وتجاهد ، وأن تنصر هؤلاء الذين يضحون بأرواحهم وبدمائهم فى سبيل الله . « **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » والسلام عليكم ورحمة الله .



بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

المصحف ...

المصحف اسم لا يغيب مدلوله ، ولا المراد به عن احد من الناس شرق أو غرب . كفر أو آمن ، فهو ــ كما علمت الدنيا ــ فى ماضيها وحاضرها وكما تعلم الأجيال القادمة الى يوم الدين ــ اسم الصحف التى كتب فيها القرآن الكريم مرتب الآيات والسور على الوجه الذى تلقته الأمة الاسلامية من النبى صلى الله عليه وسلم . وابو بكر رضى الله عنه أول من جمع القرآن وسماه المصحف ، وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم لما جمعوا القرآن فى عهده ، وكتبوه فى أوراق قال : التمسوا له اسما ، فقال بعضهم « المصحف » فاختاره المسلمون وارتضاه الخليفة الأول .

وجاء فى بعض الروايات ما يدل على أن لفظ « المصحف » تداوله المسلمون بنفس المعنى قبل عهد ابى بكر فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الغرباء فى الدنيا أربعة (وعد منها مصحفا فى بيت لا يقرأ فيه) انظر المناوى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٤ ص ٤٠٩ .

وعن ابن عمر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصحف فى أرض العدو مخافة ان يناله العدو » المصاحف لابن أبى داود جـ ٥ ص ١٨٠ .

وعن أنس ــ مرفوعا « سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو

فى قبره (وعد منها أيضا من ورث مصحفا) » انظر الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٧٣ .

ولم تعرف الدنيا كتابا بذل أتباعه فى حفظه وتفهمه والعناية به حرفا حرفا وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وسجداته ـ كما فعل المسلمون بالمصحف ، فقد تجردت لخدمته عقول ومواهب وبذلت فى دراسته أعمار وأموال لم يظفر بها على مدى التاريخ أى كتاب سماوى أو غير سماوى ، وشبعت ورويت على مائدته عبقريات كثيرة متنوعة أفادت الانسانية خير نتاج فى فنون المعرفة وألوان الثقافة العقلية والانسانية .

ولم يبلغ كتاب من الذيوع والانتشار ما بلغ المصحف ، فقد كتب وطبع منه ملايين النسخ فى مختلف العصور والأجيال ، وحملت هذه المصاحف حيث يوجد الظل من الأرض .

جاء فى كتاب المسالك والممالك ص ١٦٢ عند الحديث عن سد يأجوج ومأجوج أن الخليفة الواثق بالله أراد أن يستخبر خبر هذا السد ، فأوفد « سلام الترجمان » لهذه المهمة ومعه خمسون رجلا : شباب أقوياء ، وحكى سلام ، فقال : « فأقمنا عند ملك الخزر يوما وليلة ، حتى وجه معنا خمسة أولاد ، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوما ، فانتهينا الى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلا نشمه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا الى مدن خراب فسرنا فيهاعشرين يوما ، فسألنا عن حال تلك المدن ، فخبرنا أنها المدن التى كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها ، فخربوها ثم صرنا الى حصون بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السد ، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون العربية ، مسلمون يقرأون القرآن ، ولهم كتاتيب ومساجد ... الخ » .

وأيا كان سند هذه القصة من الصحة ومبلغها من الحقيقة أو الخيال ، فهى تشير الى حقيقة لا جدال فيها .. الى مدى اهتمام المسلمين أينما كانوا بالقرآن وحرصهم الشديد على اقراء أولادهم المصحف وتحفيظه لهم . يستوى فى ذلك الخلفاء والامراء وأوساط الناس وعامتهم . والكتاتيب المنبثة فى المدائن والقرى على تتابع الأجيال ومسار الزمن آية هذا الاهتمام وتلك العناية ، ووصايا الحكام للمعلمين والمؤدبين أصدق دليل وأعظم شاهد .

يقول عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن . وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبى لما اتخذه مؤدبا لابنه « وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روه من الشعر أحسنه » والرشيد يقول للأحمر معلم ولده الأمين « فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . اقرئه القرآن وعرفه الأخبار » .

وفى كل جيل وكل بلد ييسر الله للقرآن الكريم طائفة من المسلمين يبذلون جهودا لتعليمه وتحفيظه وسط التيارات المثبطة والمعوقة أو المضادة ، ونذكر على سبيل المثال دار القرآن الكريم التى أنشأتها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى دولة الكويت ، واستوعبت عددا كبيرا من الراغبين فى الحفظ صباحا أو مساء ، وانك لتعجب أشد العجب حين ترى

فيها الشـــــاب والشيخ والكهـــل ، والهنـــدى والعمـــانى والبـــاكستانى والاندونيسى والروسى و . . والمبصر والمكفوف والامام والمؤذن والعامـــل والمحاسب والقاضى والجنـــدى . . أعمار متفاوتة ، ومستويات مختلفة ، وجنسيات متعددة لم يجمعها فى دار واحدة وتحت سقف واحد الا هـــدف واحد وهو التقرب الى الله والتعبـــد بتلاوة آياته وحفظ كتابه .

وهذا التيسير والتوفيق من رحمة الله بعباده ولطفـــــه بهم ولـــو كان الجاهلون لا يعلمون ، وفى حديـــث حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان القوم يبعث الله عليهـــم العذاب حتما مقضيا ، فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب « الحمد لله رب العالمين» فيسمعه الله تعالى فيرفـــع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة » . يقول ابن حجر العسقلانى فى كتابه الكافى الشافى ولهذا الحديث شاهد فى مسند الدارمى عن ثابت بن عجلان قال : كان يقال : « وان الله ليريـــد العذاب بأهل الأرض فاذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم ، يعنى بالحكمة القرآن » .

ولم يكن اقبال النساء على حفـــظ كتاب الله اقل من اقبال الرجال ، فقد حفظ لنا التاريخ اسماء نساء فـــــى خدمة المصحف وتلاوته . منهـــن ام المؤمنين حفصة ، وتعتبر واحدة مـــن القراء من أصحاب النبى ، وقد حفظت نسخة الجمع الاول التى كانت مرجع لجنة جمع القرآن على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومنهن ميمونة بنت أبى جعفر المدنى احد القــــراء العشرة فقد روت القراءة عن ابيها ، وروى القراءة عنها آخرون .

وفى النجوم الزاهرة لابن تغـــر بردى أنه كان فى قصر زبيـــــدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد « مائـــة جارية تقرأ القرآن فكان يسمع مـــن قصرها دوى كـــدوى النحـــل مـــن القراءة » .

وذكر ابن فياض فى تاريخه فـــى اخبار قرطبة : « أنـــه كان بالربض الشرقى منقرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى . وكان هذا فى ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها » .

وعرض ابن الجزرى الســـــيرة العلمية لابنته سلمى ، فذكر انهـــا « عرضت القرآن حفظا بالقـــراءات العشر قراءة صحيحة مجودة مشتملة على جميع وجوه القـــراءات بحيـــث وصلت فى الاستحضار الى غايـــة لا يشاركها فيها أحد فى وقتها » .

هذه بعض الأضواء على المصحف تدل على مبلغ عناية المسلمين رجالا ونساء فى مختلف العصور والاجيال بخدمة كتاب الله والاهتمـــام بحفظه والمحافظة عليه وهى عناية لم يظفر بها أى كتاب فى الوجود ، ويكفى أنه منذ تنزلت الآيات الأولى منه الى اليوم لم تخل لحظة من ليل أو نهار مـــــن افواه تتعطر بترتيله والسنة تترطب بتلاوته وقلوب تخشع وتلين لسماعه ، وستظل بحفظ الله هذه الأفـــواه والالسنة والقلوب تطيب وتنـــدى وتخشع الـــى يوم الدين « انا نحـــن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

معركة المصحف :

وبقدر تقديس المسلمين للمصحف وحرصهم على سلامته وجهودهـــم للمحافظة عليه كانت احقاد اعـــداء الاسلام للمصحف وخصومتهم لـــــه ومحاولاتهـــم الخاسرة لتزييفـــــه وتحريفه .

ويبوء اليهود من قديم الزمان بإثم تحريف الكتاب عن مواضعه ، وتبديل ما أنزل الله ، وقد مسخوا التوراة المنزلة على نبيهم مسخا يتفق مع أهوائهم ومآربهم فعمدوا الى الفاظها فزادوا فيها ونقصوا أو حذفوا وقدموا واخروا « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

وقد حاولوا أن يفعلوا ذلك بالمصحف فخابوا وخسروا ، وآخر هذه المحاولات المصاحف المحرفة التى طبعوها ووزعوها فى المغرب وغانا وغينيا ومالى وبعض دول افريقية أخرى ، وقد اكتشفت هذه المحاولة فى المغرب فجمعت النسخ المحرفة واحصيت الأخطاء الموجودة فيها ، فوجد فيها أكثر من الف خطأ مطبعى ولفظى فى مائة الف مصحف ، ولم يقتصر التزييف عند الأخطاء المطبعية ، بل حذف فيها كلمة (ليست) فى قوله تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » وحذفت كلمة (غير) فى الآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وابدال كلمة (آمنوا) بكلمة (لعنوا) فى قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وقد اهتم المسلمون بهذا الحادث الاجرامى الخطير اهتماما كبيرا ، فشكلت لجنة فى القاهرة لمراجعة المصحف المحرف وتحذير المسلمين من تداوله ، وكذلك فعلت السودان والاردن ، وحرصت الكويت وغيرها من الدول العربية والاسلامية على منع تداول اى مصحف فيها الا بعد اجازة تداوله من اللجان المختصة .

ولوحظ فى الايام الاخيرة ظهور طبعات كثيرة من المصحف يبدو فيها الاهمال الشديد من العمال وأصحاب المطابع ، والاستغلال الحرام من بعض أصحاب المكتبات ودور النشر وهذا الاهمال وان كان غير متعمد الا انه يساوى المتعمد فى الاثم والنتيجة واحدة وهى وجود مصحف محرف ومزيف ، وتتخذ هذه الأخطاء صورا متعددة كحذف أو زيادة بعض النقاط ، وحذف أو تغيير بعض الشكل ، ومخالفة للرسم العثمانى المجمع عليه ، وكحذف بعض السور وكوضع سورة أو بعض سورة فى غير موضعها الالهى .

وهذه المصاحف المحرفة لم تصبح نادرة بل كثرت وإنتشرت انتشارا مخيفا .

فماذا ينتظر المسلمون والمسئولون بعد هذا ؟!

ماذا بعد المصحف ، وماذا قبل المصحف ، وماذا غير المصحف ، فى وجود المسلمين فى الماضى والحاضر والمستقبل ؟!!

ان ظهور ورقة مزيفة من أوراق النقد فى سوق من الأسواق تقيم الدنيا وتقعدها ، فتصادر تلك الورقة وتتخذ الحيطة لجمع مثيلاتها واعدامها منعا لتداولها ، كما يتعقب المزيفون ، وتنزل بهم اشد العقوبات .

أفلا يجب أن ينال المصحف من المسلمين مثل هذه العناية .. أفلا يجب أن يعتبر تحريف المصحف عمدا أو اهمالا جناية من الجنايات توضع لها عقوبات رادعة : « ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا » « ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

رضوان البيلى

صورة شاملة لسورة يس

للشيخ محمد الغزالى

من التفسير الموضوعى :

لن نحتاج الى كبير عناء فى استبانة الخيوط الخفية التى تشد أجزاء هذه السورة وتجعل من معانيها وأغراضها كيانا متماسك الحقائق وضيىء الملامح ..

بدأت السورة بقسم جليل .. قسم بما فى الدليل من دقة وحكمة على صدق الدعوى ووجاهة صاحبها !! « والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم » .

ان القرآن هو الشاهد الثقة على أن محمدا حق .

وما تضمنه القرآن من حكمة بالغة : حجة فوق الريب على أنه وحى من السماء ، وأن الذى يتلوه مصدق الدعوة راشد الطريق .

ثم تضمنت السورة تمهيدا وجيزا عن مواقف الناس من هذه الرسالة

وانقسامهم بين مؤيد ومعارض وليس ذلك عجبا .

فالناس من قديم الزمان صنفان : صنف يحتبس فى المواريث الفكرية التى آلت اليه لا يعدوها ولا يحب أن يستخرجه أحد من نطاقها ، وصنف آخر مرن التفكير ، حر الوجهة يعطى نفسه حق المقارنة والترجيح ثم ينطلق بعدئذ على ما أحب .

ومن الصنفين جميعا كان الكافرون والمؤمنون .

وعقب هذا التمهيد ثلاثة مشاهد متميزة استغرقت السورة كلها ودارت على محور واحد : هو إضاءة الطريق أمام السائرين ، وسط الأدلة التى تدعم الحق ، وتذيب التعصب للباطل وتبنى الإسلام على أصوله المتيدة من حركة العقل ، ووعى التجارب ، واحترام الفطرة ..

● المشهد الأول : دليل تاريخى من الماضى البعيد يقص نبأ القرية التى قاومت المرسلين وكذبت تعاليمهم فأصابها ما أصابها .

● والمشهد الثانى : دليل من الحاضر المحسوس يلفت النظر إلى آيات الله فى البر والبحر والفضاء ويرجع البصر بين فجاج الارض وآفاق السماء كى يستخلص العبر الدالة على رب العالمين .

● والمشهد الثالث والأخير : دليل من المستقبل الآتى يؤكد للبشر أن لعالمهم الذى يعيشون فيه أجلا ينتهى اليه وأن وراءه عالما آخر يسعد فيه المهذبون العقلاء ويشقى فيه من سفه نفسه ، وحقر عقله ، وأساء سيرته ، وفقد شرفه ..

من التمهيد الذى أفتتحت به هذه السورة الكريمة ومن تلك البراهين الثلاثة المستمدة من الماضى والحاضر والمستقبل تكونت (يس) .

ونستطيع أن نلمح الروابط بين أول السورة وآخرها إذا ما أعدنا قراءتها متدبرين حال العرب الذين فوجئوا ببعثة محمد يدعوهم الى توحيد الله وحمل الرسالة التى أصطفاهم الله لها ومتدبرين كذلك الأدلة المثيرة المتلاقية كلها على أن الله حق ، ونبيه حق ، وهى أدلة كانت ولا تزال تهدى الحيارى فى كل زمان ومكان ..

فلنعد مرة أخرى الى التمهيد وما بعده ..

إن ناسا كثيرين يحيون داخل فكرة ثابتة سيطرت عليهم دون بحث أو نقاش ..

والسجناء فى أوهامهم ينظرون يمينا ويسارا فلا يرون إلا السدود التى احتبسوا فيها والأحوال التى عاشوا فى ضيقها وجهلوا ما وراءها « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الاذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

والأغلال التى تحيط بالرجل العتيد وتجعله يعجز عن لىّ عنقه هنا وهناك فى حركة حرة يبصر بها شتى المناظر والأوضاع ..

... هذه الأغلال من صنع نفسه ابتداء وما ضاعفها الله عليه إلا لأنه هو يريد استبقاءها كما قال جل شأنه فى سورة أخرى .

« قل : من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا .. »

ويستطيع أى امرىء أن يخرج من ذلك السجن المظلوم إذا رحم نفسه وخشى ربه وعرف الحكمة من محياه ومماته ... إنه عندئذ يؤمن بالله ويهتدى بوحيه ، وذلك ما بدأت الأدلة تنساق لتحقيقه .

فلنقف قليلا عند المشهد الأول منها وهو الذى يبدأ بقوله تعالى :

« واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » .

لقد كذب أهل القرية رسالات السماء تقريبا كما فعل أهل مكة وقالوا لرسلهم : « ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شىء .. »

وماذا يملك الأنبياء للناس ؟ إنهم لا يحملون عصا يسوقون بها الجماهير ولكنهم يملكون قدرة على الإقناع وتجلية الحقائق لذلك قالوا : « وما علينا إلا البلاغ المبين » .

بيد أن العميان يكرهون الضوء وما كان عليهم من بأس لو تركوا رسل الله يتكلمون بما لديهم فمن ارتضى منطقهم دخل فيه وإلا انصرف عنه .

إن أهل القرية لم يفعلوا ذلك بل قالوا لهم : « لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم » .

وأقبل من بعيد رجل منصف لم يذكر القرآن اسمه ليكون أسوة للرجال الذين إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا .. الرجال الذين يعملون بعيدا عن الشهرة والظهور .

وتحدث الرجل حديث العقل : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » ما دام الله هو الذى خلق وما دام المرجع اليه فما معنى البعد عنه والتجهم لهداه ؟؟ ولمن اذهب ؟ : « أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . إنى إذا لفى ضلال مبين » ..

وذهب الرجل ضحية الإيمان الذى أعلنه وشرح أسبابه .. ويبدو انه كان عميق الاخلاص لقومه شديد الرغبة فى هدايتهم فلما استقبلته بشاشة النعمة والرضوان تمنى لو أن قومه يعلمون ذلك المصير .. « قيل : ادخل الجنة قال : يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .

فماذا كانت عاقبة مكذبى الرسل ، ومهددى الحريات ، ومخرسى صوت العقل ؟ هل احتاج الأمر إلى تجريد جيش من السماء لتأديبهم ؟ كلا ، يقول الله : « وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » .

كان جديرا بأبناء آدم أن يعوا هذا المصير وان يرويه الأسلاف للأخلاف غير أن عبر الماضى تمر دون أن يذكرها الكثيرون ولو استفاد الحاضر من الغابر لتجنب الناس ويلات شتى .

ومع روعة المثلات الأولى فإن الإفادة منها قلت إلى حد أن القرآن الكريم يرسل هذه الصيحة المنددة المفندة « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » ..

فلنطو هذا المشهد ولنلق نظرة على مشهد ثان فى هذه السورة يعرف الناس بربهم ويقفهم أمام آياته التى يرونها فى الصباح والمساء .

يبدأ هذا المشهد بوصف ما تنبت الارض . خذ حفنة من هذا التراب الذى لا نهاية له فى الحقول والحدائق . أترى فيه سكرا أو دهنا أو نشا أو أملاحا أو الوانا أو غير ذلك كله مما تحسه وتطعمه فى الحبوب والفواكه التى تأكلها .. كيف خرجت من هذا الطين البارد الجامد شتى الالوان التى تصبغ الثمر والزهر بالصفرة والشقرة ، وكيف خرجت الطعوم الحلوة من هذا الكدر والقذى ؟؟ ومن لف هذه الحبوب فى أغلفتها المحكمة ولف هذه الفواكه فى قشورها الزاهية ؟؟ : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب

وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » .
ودليل ثان مما يمتد اليه سمع الناس وبصرهم من ترادف الليل والنهار عليهم .. ان انحصارنا فى حركاتنا المحدودة يشغلنا عن حركة الفلك الدائر وذلك أننا نصبح ونمسى ونودع شتاء ونستقبل صيفا دون أن ندرى كيف تداولنا الليل والنهار والحر والبرد .
إن ذلك كله نتيجة جريان هائل للكوكب الذى نسكنه والكواكب التى تشرف علينا وهو جريان مرهوب السرعة فى هذا الفضاء الرحب .
ومع أننا نسكن كونا دوارا لا ينى يسبح فى ملكوت شاسع الابعاد فان هذا الدوران وذلك السبح محكومان بنظام محيط ملجمان بزمام ضابط « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ودليل ثالث من هذه السفن التى تجرى فى الماء يقدر أن الأجسام ترسب وتطفو وفق قانون مدروس مطرد ومن ثم أمكن صنع سفن فى أحجام الجبال تحمل الالوف من الانفس والقناطير المقنطرة من المتاع ثم تنطلق متهادية فوق اللجج لو شاء ربها أبقاها فوصلت الى مرافئها سالمة أو شاء نفخ فى الامواج الحاملة فأرغت وأزبدت ورمت فى قاع البحر بما حملت فما يستطيع أحد إسداء عون ، ولا انجاء هالك .
« وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون . الا رحمة منا ومتاعا الى حين » ودليل رابع من هذه الانعام المسخرة لنا ننتفع من محياها ومماتها ..
لكن قبل أن نشرح هذا الدليل وغيره ينبغى ان نذكر ان وسط الصورة قد قام على معنى محدد معقول أما المشهد الخاتم للسورة فهو حديث عن البعث والجزاء يبدأ من قوله تعالى : « ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » . ويستمر هذا الحديث الى نهاية (يس) وربما تخلله من المشهد الثانى ما يلفت العقل الى آيات الله الجديرة بالنظر كقوله جل شأنه « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون » ..
الا أن ذلك الامتداد العقلى لا يقص من انفراد آخر السورة بكلام مثير عن نهاية العالم وبداية عصر الثواب والعقاب . فلننعم النظر فى المشهد انه ينبئنا بأن أمر الله يأتى مباغتا والناس مستغرقون فى أعمالهم اليومية لا يتوقعون حدثا ما ..
قد يخرج الموظف الى عمله فلا يبلغ الديوان الا وقد وقعت الواقعة .
أجل وربما قامت الساعة والخادم ذاهب لشراء بعض السلع فلا يعود بها وتصوير القرآن لقيام الساعة يوضح أنه يتم والناس مسترسلون فى الحديث حول شئونهم يتجادلون فى تقرير وجهات نظرهم وبينما هم كذلك ينفخ فى الصور « فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون » .
حتى الهاجعون فى مقابرهم من آماد بعيدة .. إن قومتهم ليوم الحساب تجيئهم مفاجئة حتى ليصيحون دهشين : « من بعثنا من مرقدنا » .. ويجيب كل شىء « ... هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .
ولا نمضى فى وصف النعيم وترغيب المؤمنين فيه ولا فى وصف العذاب وترهيب المنحرفون منه وانما نتوقف لنتأمل فى بعض أدلة البعث التى ختمت بها الصورة .

الم تسأل نفسك يوما : ماذا كنت قبل مائة عام قبل أن يوجد هـذا البدن المكتنز بالشحم واللحم ويتوقد فيه هذا الروح المنعم بالفكر والشعور؟ ماذا كنا ؟؟ بعض هذا الهواء المنتشر فى الجو ؟ بعض هذا التراب الممتد على الأرض ؟ لا ندرى .. !!

واذا كان ذلك نسبنا المادى فمن أى أصل تولد الفكرة والشعور ؟

إننى أجزم بأنى وجدت بعد عدم وأن هذا الايجاد يتكرر جيلا بعد جيل ومع دلالة هذا الخلق على رب مبدع عظيم على رب مقتدر حكيم .. مع هذه الدلالة الصارخة فإن هناك صما لا يسمعون وعميانا لا يبصرون وناسا يتكلم أحدهم عن الله ولقائه بجهل غريب « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا — ونسى خلقه — قال : من يحيى العظام وهى رميم » ..

وإن الشخص الذى يعرف من أى باب دخل الحياة لا يليق به أن يرسل هذا السؤال ، إنه يتناقض مع نفسه حينما يستبعد وجودا كان هو صورة حية له ودليلا أبديا على امكانه ..

من يحيى العظام وهى رميم ؟ يحييها منشىء الإنسان من نقطة الصفر إن البعث ليس وعدا بشىء يتم فى المستقبل فهو يستغرب الآن ..

إنه تكرار لعمل يتم كل يوم بل كل ساعة من ليل أو نهار فما وجه الاستغراب فى وقوعه ؟؟ ولكنه الجهل الغليظ « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا .. »

فلنرسل فكرنا وراء هذه اللفتة ، هناك فى الحقول الناضرة والحدائق الغناء حيث الصمت السائد والنماء البطىء « يتنفس » النبات دون أن نشعر وفى شهيقه وزفيره يقول علماء الطبيعة أنه يمسك « الكربون » ويرسل « الأكسوجين » يمسك النار ويرسل لنا الحياة ما أعجب القدرة وما أغرب هذه المتناقضات ..

ومضى النظم الكريم يستكمل ادلة البعث ، ويشرح دلائل العظمة الالهية لم يختم السورة بهذا الختام « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » هذه سورة (يس) ، مقدمة تناولت رسـالة محمد بالشرح الوجيز وتناولت معارضيه ومؤيديه بالتعليق اليسير ثم ثلاثة مشاهد فصلت وجه الحق فى هذه الرسالة الخاتمة تفصيلا تناول العالم من أزله الى أبده واستطاعت ان تدفع الباطل وتزروه هباء .

هذه هى السورة التى أرتفع صوت الوحى فيها « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » ومع ذلك فإن جماهير المسلمين تواضعت على قراءتها فى المقابر بين رفات الموتى .

الا ما أظلم المسلمين لكتاب ربهم ، وتراث نبيهم ، وأساس تاريخهم ، ومهاد حضارتهم .

ولسنا نزعم ان المقدمة والمشاهد الثلاثة المذكورة قد انتظمت فـى قوالب فنية كما يصنع العلماء المحدثون فى تاليفهم ، كلا إن القرآن أكبر من ذلك فاحتواؤه على المعانى يشبه احتواء الكون المادى على مصادر المعرفة فى وحدة لا انفصام بين أجزائها .

ولكننا فى هذا اللون من التفسير نجتهد فى اكتشاف محور تدور عليه الصورة كلها أو ملامح تشيع فى كيانها العام . ثم نصف ذلك للقارىء حتى يحسن الانتفاع بالكتاب الكريم ..



نزول عيسى عليه السلام
من أشراط الساعة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى عن ابن شهاب : أن سعيد بن المسيب سمع ابا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله احد ، حتى تكــون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ثم يقول ابو هريرة : اقرأوا ان شئتم (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) .

ا خبر نزول عيسى عليه السـلام بلغ حد التواتر وقد وردت الأحـاديث الشريفة الدالة على هذا الخبر فى جميع الكتب الصحيحة (١) وتحدث به شارحا ومؤكدا كل علماء التفسير والحديث من لدن أن سمع هذا الحديث ومنذ ان بدا عهد التدوين وجدنا احاديثهم وآراء مسطورة فى آثارهم الشريفة وتنوقل قبـل التدوين وجاء محكيا عن الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم اجمعين كما حمله خبرا موثوقا مؤكدا متواترا التابعون وتابعوهم باحسان الى يومنا هذا ، ولنسرد على أنظار القارىء الواعى الذى يلقى السمع وهو شهيد آثارهم عبر قرون وقرون ثم نعقب بما يقتضيه المقام :

أ ــ قال الشيخ محمد السفاريني فى كتابه ((لوامع الانوار البهية ص ٩٤ جـ ٢)) (... ونزوله اى عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب ، والسنة ، والاجماع أما الكتاب : فقوله تعالى : ((وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)) اى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ، ملة ابراهيم حنيفا مسلما . وأما السنة : فقد ورد خبر نزوله فى الصحيحين وغيرهما (كما هو مبين بالهامش) . وأما الاجماع : فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما حاول الانكار الفلاسفة والملاحدة ، وقد انعقد اجماع الأمة على انه ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية) .

ب ــ ساق العلامة الحافظ ابن كثير القرشي فى كتابه (تفسير القرآن العظيم) ص ٥٧٨ جـ ١ ، كل الأحاديث الواردة فى نزول عيسى عليه السلام الى الأرض من السماء آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وعند تفسيره قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ، قال : قال ابن جرير : اختلف أهل التاويل فى معنى ذلك ، وأصح أقوالهم أن هذا الإيمان يكون عند نزول عيسى عليه السلام ، يعنى لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى الا آمن به قبل موت عيسى ، وهنا عقب ابن كثير بقوله : ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لان المقصود من سياق الآى هو تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فاخبر الله سبحانه أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه اليه وأنه باق حى ، وأنه سينزل قبل القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ، فيقتل مسيخ الضلالة ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبلها من أحد من اهل الأديان ، بل لا يقبل الا الاسلام ، فاخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال : (قبل موته) أى قبل موت عيسى الذى زعم اليهود والنصارى أنه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أى باعمالهم التى شاهدها هو قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله الى الأرض كما ورد فى سورة المائدة فى الآية رقم ١١٦ وما يليها ..

جـ ــ وقال الزمخشرى فى تفسيره ((الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التاويل)) ص ٥٨١ جـ ١ ، .. عند قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) : الضميران لعيسى عليه السلام بمعنى وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله ، حيث روى : أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ...

د ــ وأورد القرطبى فى كتابه (الجامع لأحكام القرآن) ص ١٠ جـ ١ ، ما يدل على نفس المعنى وأعاد النصوص كاملة كما هى مؤكدا باسلوبه الخاص وعباراته المتميزة خبر نزول عيسى عليه السلام .

هـ ــ وقال أبو حيان الأندلسي الغرناطي في تفسيره (البحـــر المحيط) ص ٣٩٢ جـ ٣ : روى أنه ــ أي عيسى عليه السلام ــ ينزل من السماء في آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وأبو مالك ، ثم أورد أبو حيان ما لا يخـــرج عما أورده غيره ممن سبقوه في معالجـــة تفسير القرآن العزيز .

و ــ وقال الألوسي البغدادي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) ص ١٣ جـ ٦ ما نصه : .. الضميران لعيسى عليـــه السلام وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبي مالك والحسن وقتادة وزيد واختاره الطبراني ، والمعنى : أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام الا ليؤمنن به قبل أن يموت وتكون الأديان كلها دينا واحدا ، وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصـــليب ويعطي المال حتى لا يقبل ــ أي المال ــ وتلا أبو هريرة رضي الله عنه (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ...

ز ــ وقال القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) عنـــد قوله تعالى : (وإن من أهل الكتـــاب ، الا ليؤمنن به قبل موته) :أي ما من أحد من أهل الكتاب يدرك نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان الا ليؤمنن به قبـــل موته ، أي موت عيسى ، أي لا يموت حتى ينزل في آخر الزمان يؤيد الله به دين الاسلام حتى يدخل فيه جميع أهل الملل ، إشارة أن موسى عليه السلام ، إن كان قد أيده الله تعالى بأنبياء كانوا يجددون دينه زمانا طويلا ، فالنبي الذي ينسخ شريعـــة موسى وهو عيسى عليه السلام هو الذي يؤيد الله به هذا النبي العربي في تجديد شريعته ، وتمهيد أمره والذود عن دينـــه ويكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة واتباع مستكثرة ، ذلك أمر قضاه الله تعالى في الأزل ، فاقصروا أيها اليهود ، فمعنى الآية إذن والله أعلم : انه ما من أحد من أهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه السلام على شك (٢) . الا وهو يوقن بعيسى قبل موته بعد نزوله من السماء ، أي ما قتل وما صلب ويؤمن به عند زوال الشبهة ــ ا هـ نقله القاسمي عن البقاعي . ثم أورد القاسمي بعد ذلك الأحاديث الصحيحـــة الواردة في صحيح الامامين البخاري ومسلم وغيرهما ، ومن تلك الأحاديث ما رواه الامام أحمد في المسند ص ٤٣٧ جـ ٢ ، طبـــع الحلبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « .. الأنبياء أخوة لعلات (٣) : دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه ، فانه رجل مربوع يميل الى الحمرة والبياض ، سبط ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين مُمَصَّرتَيْن (الممصرة من الثياب هي التي فيها صفرة خفيفة) ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجـــزية ، ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام ، ويهلك في زمانـــه المسيخ الكذاب ، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسود جميعا ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيَّـــات لا يضر بعضهم بعضـــا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصـــلي عليـــه المسلمون ويدفنونه » ...

ح ــ وقال الحافظ بن حجر العسقلانى فى كتابه (فتح البارى بشرح البخارى) ص ٣٠٣ جـ ٧ : قال العلماء : الحكمة فى نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء ، الرد على اليهود فى زعمهم انهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه هو الذى سيقتلهم اول نزوله لدنو أجله ليدفن فى الارض اذ ليس لمخلوق من تراب الأرض أن يدفن فى غيرها ، وقيل إنه ــ اى عيسى عليه السلام ــ دعا ربَّه لما راى صفة محمد وأمته فيما انزل عليه من الإنجيل ان يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وابقاه حتى ينزل فى آخر الزمان مجددا لأمر الاسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله . . . ونقل ــ اى الحافظ بن حجر ــ عن طريق ابى رجاء عن الحسن قال : قبل موت عيسى (يعنى إيمان أهل الكتاب المشار اليه فى الآية الكريمة) . والله انه الآن لحى ولكن ، واذا نزل آمنوا به أجمعون ، ونقله عنه أكثر أهل العلم ، ورجحه ابن جرير وغيره . .

ط ــ وأخيرا : قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى فتاواه ص ٣٢٩ جـ ٤ ما نصه : « والمسيح صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين لا بد أن ينزل الى الأرض على المنارة البيضاء شرقى دمشق ، فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة ، ولهذا كان فى السماء الثانية . . . . لأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة . . »

أما بعد : فهذه مصادر الشريعة (الكتاب والسنة والاجماع) التى لو طرحناها لما قام بناء الاسلام ولو شككنا فيها لتطرق الشك الى كل ما كانت تلك المصادر مصدره ، وأى كتاب يعتد به مرجعا بعد القرآن الكريم ، ونرجو عنده الخبر اليقين ، إذا نحن رددنا الصحاح التى اعتبرها علماء الملة من لدن أن بدت للوجود ، وقرئت فى كل ناد ، ودوى صوتها يملأ أجواز الفضاء ، وشع نورها ، فأخرج ضحى المحجة الطاهرة واغطش ليل الكفر البهيم ، فبهرت الدنيا شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارست قواعد العدالة ، والحق توجيهات ربنا جل وعلا وقام القرآن الكريم حارسا من زيغ وسياجا من ضلال . وسدا منيعا لا ينال حماه ضد كل مهاجم كاشح ، وحصنا رفيعا لا يطاول يصد كل غاز بقوة مادية تسلح ، أو بفكر فلسفى تذرع ، أو بمراوغة وممالأة أتصف ، أو بلسان أعجمى رطن (٤) ، أو عربى أفصح ، إن جاء شارعا رمحه صدته رماح ، وان مخفيا مكره فالله خير الماكرين ، وعلى هذا أمكن أن يقال : انه مما لا يقبل الجدل ، ولا يحتمل المماراة ولا يدعو الى المساءلة ، خبر نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان الذى لا يعلم تحديده الا من عنده مفاتح الغيب التى لا يعلمها الا هو ، وسيكون نزوله ظاهرة أساسية ونذيرا وايذانا بدنو اجل الدنيا ، وطرقا قويا لأبواب الآخرة ولكن متى ؟ هنا يقف القلم عن الجريان ، وتخرس الألسنة عن الكلام ، وتتجه الأبصار والبصائر الى من عنده الجواب وحده ، وتناجى القلوب الطاهرة قيوم السموات والأرض : «ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . »

٢ ــ ونعود الى الفاظ الحديث الشريف موضع البحث ذاكرين معانيها وما

تشير اليه ، إذ مفتتح الكلام الشريف يشعر بقرب نزول عيسى عليه السلام ، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم (ليوشكن) أى ليقربن ويكون حصوله سريعا ، وهذا من اشراط الساعة ، وعلم توقيتها محجوب عن البشر لسر يعلمه الله تعالى ، وقد الحّ السائلون عن الساعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قول الله تبارك وتعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم انت من ذكراها . الى ربك منتهاها . إنما انت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » الآيات من سورة النازعات . وإنما تسبقها نذر تنبىء عن اقترابها ، ولدى نزول عيسى عليه السلام سيفيض المال ويكثر لدرجة أن الناس لا يهتمون بتحصيله وإنما ينحصر حرصهم على رضا الله تعالى فى العبادة وحدها حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها .

قال ابن الجوزى : يشير ابو هريرة ، رضى الله عنه، عند تلاوته للآية الكريمة فى آخر الحديث الى صلاح الدنيا وقوة إيمان الناس بالله تعالى ، وإقبالهم على الخير وقيامهم بالعبادة لله كاملة غير منقوصة ، وقال القرطبى : معنى الحديث : ان الصلاة حينئذ تكون افضل من الصدقة . لكثرة المال حينذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد .. وفى قوله : ويضع الحرب إشارة الى أن السلام سيعم الدنيا ولا يوجد ما يدعو لقتال فسيصير الدين واحدا ، والحكَمُ العدل هو عيسى عليه السلام على سنن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

وهذا الحديث لا يتعارض مع ما ورد فى أحاديث أخرى من أن الساعة لا تقوم الا على شرار الناس : وحتى لا يقال فى الأرض : الله . الله . لأن الفساد المشار اليه سيحدث بعد موت عيسى عليه السلام ، ودفنه بالأرض، فحينئذ سيعود الكفر مسيطرا ، ويتجافى الناس عن كل دين ، فقد اخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجىء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الأرض أحدا فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان ، فيقولون : ماذا تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فيعبدونها وهم فى ذلك فى دار رزق حسن عيشهم ... ثم ينفخ فى الصور . »

والخلاصة : أن نزول عيسى عليه السلام حاصل باذن الله تعالى وتقديره ، ونحن نؤمن بكل ما ورد فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة جملة وتفصيلا ، ومعلوم أن من آمن بالله وأيقن بقدرته التى لا يعجزها شىء سهل عليه التصديق

برسالة رسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وبالتالى يؤمن بكل ما صدر عنهم ما دام صحيحا متواترا مجمعا عليه من سلف الأمة وخلفها المتعاقبين فى حقب الزمان المتطاولة ، وأما الملحدون فى آيات الله تعالى فلا يقام لهم وزن ، فما يأتون الا بنظريات لا تثبت على المحك العقلى المتزن ، ولئن بدت بعض الأخبار الصادقة غريبة الآن فغرابتها لا تستدعى إنكارها فكم من مجهول كشفه العلم كان الحديث عنه مرفوضا فى كل صور ، ولا يمكن ان يشاع ويذكر وإن صدر به قول وصف مصدره بالجنون والعته ، وقد أبدت الأيام صدق ما كانوا يحدسون، وهذا فى جانب البشر ، فما بالك بما عند علام الغيوب ، لا شك أنه حق وصدق وسيكشف عنه كر الغداة ومر العشى .. وفى الذكر الحكيم : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ٥٣ من فصلت . صدق الله العظيم .

---

(١) : ورد هذا الحديث نصا أو مع اختلاف يسير فى الالفاظ الآتية لا على سبيل الحصر وانما على سبيل المثال :

١ — ورد فى صحيح الامام البخارى فى باب نزول عيسى عليه السلام وذكر فيه حديثين عن أبى هريرة .

٢ — واخرجه الامام مسلم فى صحيحه من رواية الليث بن سعد عن ابن شهاب ، ومن حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

٣ — وذكره ابو نعيم فى المستخرج من سند اسحق بن راهوية .

٤ — واورده الامام احمد فى مسنده من وجه آخر عن أبى هريرة .

٥ — وذكره الطبرانى من حديث عبد الله بن مغفل .

٦ — ورواه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق سعيد بن جبير باسناد صحيح

٧ — ورواه ابو داود باسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة مرفوعا .

٨ — ورواه ابن ماجه ، وابن حيان ، والبيهقى .

(٢) يشير الى قوله تعالى فى الآية رقم ١٥٧ من سورة النساء : « .. وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا » .

(٣) بنو العلات : أبناء الرجل الواحد من أمهات شتى : (لسان العرب مادة علل) .

(٤) رطن الاعجمى رطنا تكلم بلغته ، والرطانة والمراطنة : التكلم بالعجمية ، وقد تراطنا ، تقول رأيت أعجميين يتراطنان ، وهو كلام لا يفهمه العرب ، قال الشاعر : (كما تراطن فى حافاتها الروم) .. الخ .. عن لسان العرب مادة « رطن » .

العظمة الخالدة

للشيخ عبد الحميد السائح

كثير من العظماء تحدث عنهم التاريخ القديم والحديث ، من رسل وانبياء ، ومصلحين وشعراء ، ومع هذا فلم ينجوا من الشك يحوم حولهم ، في وجودهم وفي اخبارهم ، فضلا عن نواحي عظمتهم واسباب بروزهم .

فهذا السيد المسيح عليه السلام الذي ينتسب إليه مئات الملايين من البشر ، يترددون في وجوده ، ويحيطونه بهالة من التشكيك ، حتى كأنه اسطورة أو خرافة .

ولم يقتصر هذا الموقف على السيد المسيح بل شمل الكثيرين من الرسل والأنبياء مثل ابراهيم واسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام .

لم يصدر هذا التشكيك من عرب ولا من مسلمين ، لأن المسلم ، بحكم عقيدته ، يؤمن بوجود هؤلاء الأنبياء كما يؤمن بوجود محمد عليه السلام ، بناء على قوله تعالى : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون »(١) .

وهذه الآية وأمثالها من آيات كتاب الله ، بالنسبة للمسلم ، حجة قاطعة ، لا تقبل نقاشا ولا تأويلا ، فمن شك فى وجود أى من أولئك الرسل والأنبياء أو غيرهم ممن ذكروا فى القرآن الكريم لا يصح اسلامه ولا تسلم عقيدته .

ومن أجل هذا فان الدكتور طه حسين حينما أصدر كتابه « فى الشعر الجاهلى » وذكر فيه : للقرآن والتوراة أن تحدثانا عن ابراهيم واسماعيل ، ولكن ذلك لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى : تصدى الأزهر الشريف حينئذ لمعارضة ذلك معارضة حادة ، واعتبر الموقف منافيا لتعاليم الاسلام ، ومصادما لهدى القرآن .

وإنما صدر التشكيك أساسا عن شخصيات غريبة يفترض أنها تنتسب للسيد المسيح أو تدين بديانته .

قال ول دورانت فى موسوعته التاريخية « قصة الحضارة » : « هل وجد المسيح حقا ؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها ، أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرشنا وأوزوريس وايزيس ...

لقد كان بولنجروك والملتفون حوله يقولون فى مجالسهم الخاصة ، ان المسيح قد لا يكون له وجود على الاطلاق .. الخ .

وقد شمل التشكيك كثيرين من العظماء والشعراء .

محمد فوق الشبهة أو التشكيك

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى وجوده ، ومكان ميلاده ووفاته ، فلم يثر حوله أى من الشبهة أو الانكار لا فى الشرق ولا فى الغرب لأنه يمثل العظمة الخالدة ، والحقيقة التاريخية ، التى لا تمارى ولا تبارى .

ونحن لا نريد أن نذكر الغربيين أو المستشرقين الذين يميلون للسير وراء الحقائق أو البحث عنها ، وانما نشير الى جورج سال ، الذى ترجم القرآن الكريم فى مستهل القرن الثامن عشر للاساءة الى الاسلام ونبى الاسلام ، وهو ينضح بالحقد والتعصب والكراهية ، ومع هذا فلم يسعه إلا الاعتراف بشخصية محمد وإن مكان منبته لم يسدل عليه سدول النيسان ، وإن توقير العرب له كان عميقا ، حتى أنهم لم يدعوا المكان الذى تنفس فيه أول ما تنفس يكتنفه ريب أو غموض .. الخ(٢) .

نواحى عظمتـــه

إن المتتبع لما وصل الينا من أخبار سيدنا محمد منذ ولادته ، وفى أثناء طفولته وشبابه وكهولته ، الى أن اختاره الله رسولا الى البشرية ، ومنقذا للانسانية ، من مهاوى الضلال والانحراف تتجلى له نواحى العظمة الخالدة والصفاء المتسامى ، عن الانخراط فى مجتمعه ، والتأثر ببيئته ، ويدرك كيف صنعه الله على عينه ، وهيأه لأفضل رسالة وأكرم مهمة ، « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣) .

فمنذ نشأته صلى الله عليه وسلم عرف بعزوفه عن الأصنام وتعظيمها ، وصدق الحديث ، والأمانة ونصرة المظلوم ، وقد حبب اليه التعبد لربه ، وكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه ، وكانت عبادته تفكرا فيما آل اليه أمر الناس من ظلمات الجاهلية ، المنافية كل المنافاة ، للعقل والفطر السليمة ، وكيف السبيل الى شفائهم من هذه العلل المستحكمة ؟

وقد انبته الله نباتا حسنا ، حتى كان أفضل قومه ، مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأعزهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأحفظهم لأمانة ، حتى سماه قومه « الأمين » لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة ، والخصال الكريمة المرضية . (٤)

الاستسقاء به وهو طفل :

اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم فى قحط ، فقالت قريش : يا ابا طالب ، اقحط الوادى واجدب العيال ، فهلم فاستسق، فخرج ابو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن ، تجلت عنه سحابة قتماء حوله اغيلمة ، فأخذه أبو طالب ، فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ باصبعه الغلام ، وما فى السماء قزعة ، فأقبل السحاب من هنا وهنا ، واغدق واغدودق ، وانفجر الوادى واخصب النادى والبادى ، فى ذلك يقول ابو طالب :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٥)

خروجه من مكة

وكان يخرج حول مكة يعمل فى رعى الغنم ، وروى ابن ابى شيبة انه لما بلغ الثانية عشرة خرج مع عمه ابى طالب حتى بلغ بصرى ، فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته ، وقال هذا سيد العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين، وإنا نجده فى كتبنا ، وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود .

ثم خرج مرة اخرى ومعه ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها ، حتى بلغ سوق بصرى ، وله حينئذ خمس وعشرون سنة ، ونزل تحت ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب ، ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى ، وتضاعف ربحه فى تجارته .

وإذا عرفت ان اجتماعه مع بحيرا فى المرة الاولى ، ومع نسطورا فى المرة الثانية لم يتجاوز الساعات المعدودة ، تدرك مدى الاغراق فى الخيال والبعد عن الحقيقة فيما زعمه بعض المستشرقين الحاقدين ، من أنه تلقى علم اهل الكتاب عن ذينك المصدرين ، ويكفينا أن نرد عليهم بقول الله سبحانه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون » (٦) . وانه كان يسفه مزاعم أهل الكتاب التى تتنافى مع عقيدة التوحيد الخالص ، وصدق الله العظيم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٧) .

زواجه

ولما عاد من رحلته ورات خديجة آثار أمانته وبركته عرضت نفسها

عليه وكانت سنها اربعين سنة ، فتزوجها وكان ابن خمس وعشرين سنة ، واقدم على ذلك وهو يعلم انها ارمل وتزوجت قبله بعلين ،ولم يتزوج عليها حتى توفيت ، وكان وفيا لها مقدرا لمواقفها وخصائصها في حبها للخير ورجاحة عقلها ، واستمر على هذا التقدير بعد وفاتها .

حلف الفضول

وقد ساهم صلى الله عليه وسلم في عنفوان شبابه في حلف الفضول ، وكان أكرم حلف سمع به العرب وأشرفه ، وخلاصته أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة ، واشتراها منه العاص بن وائل ، وكان ذا قدر وشرف بمكة ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعديا ، فأبوا أن يعينوه على العاص ، فعلا جبل قبيس فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته ، فسعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم ابن مرة في دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام قياما ، فتعاهدوا وتعاقدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤدي اليه حقه ، ثم مشوا الى العاص وانتزعوا منه حق الزبيدى ، وقال الزبير :

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا ... أن لا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه توافقوا وتعاقدوا ... فالجار والمعتز فيهم سالم

قال ابن اسحق فحدثني محمد بن زيد التيمي انه سمع طلحة بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به في الاسلام لأجبت (٨) .

بناء الكعبة

وكان السيل هدم الكعبة قبل الاسلام فتعاونوا على بنائها ، وشارك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وكان ينقل الحجارة معهم ،ولما انتهوا الى موضع الحجر الأسود تنازعوا أيهم يضعه ، ثم اتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة ، فكان صلى الله عليه وسلم وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته ، واجتنابه القاذورات والأدناس،فحكموه في ذلك وانقادوا لقضائه كما هو معلوم(٩) .

اختياره لرسالة ربه

ولما اكتمل نضجه وتم إعداده وبلغ أربعين سنة ، اختار الله افضل خلقه لأكرم رسالة ، وبعثه للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورحمة للعالمين .

ولما نزل عليه الملك بآيات القرآن الكريم رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة وأخبرها بما جرى ، قالت : فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل

وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

وهذه الصفات التى تحدثت بها خديجة رضى الله عنها تنبىء عما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من حب الخير وبذل العون والمساعدة ، وكريم الأخلاق التى عرف بها قبل الرسالة ، وان المتأمل فى صفحات سيرته ، والمدقق فى مراحل شريعته وسنته ، وقد خلا قلبه من الغل والحقد والحسد، يرى بعينى بصره وبصيرته ، ما يجعله يؤمن بأن هذه الشريعة السمحة ، وما تضمنته من مبادىء سامية هى شريعة الله الى خلقه ، لانقاذهم من مهاوى الجهالة والمفاسد ، والقضاء على أسباب الفتن والعداء ، والارتفاع بالبشرية الى درجة المحبة والاخاء والوفاء ، من غير عصبية ولا تكبر ولا استعلاء ، ونشر الوية العدالة المطلقة بين البشر ، والمساواة والحرية والأمان ، لا يفرقهم عرق ولا لون ، ولا لغة ولا مكان ، ولا حسب ولا نسب، فالكل أمام قانون هذه الشريعة سواء .

وإنا نبين بعض تلك المبادىء من كتاب الله وسنة رسوله للذكرى والاتعاظ « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »(١٠) .

١ ــ « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »(١١) .

٢ ــ « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى »(١٢) .

٣ ــ « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١٣) .

٤ ــ « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »(١٤) .

٥ ــ « ولقد كرمنا بنى آدم »(١٥) .

٦ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فان الله لا يمل حتى تملوا (١٦) .

٧ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه اليه انفعهم لعياله (١٧) .

٨ ــ ان النبى صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام ، فقيل له : انها جنازة يهودى ، فقال : أليست نفسا ؟ (١٨)

٩ ــ قال صلى الله عليه وسلم : أيما أهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله (١٩) .

١٠ ــ إن الله فرض للفقراء فى أموال الأغنياء قدر ما يسعهم ، فان منعوهم حتى يجوعوا أو يعروا أو يجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا (٢٠) .

١١ ــ إن الأشعريين اذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم فى المدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم باناء واحد بالسوية ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : فهم منى وانا منهم (٢١) .

١٢ ــ قال صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا ، قالوا : كلنا رحيم يا رسول الله ، قال : انــه ليس برحمة أحدكم ، يعنى نفسه واهل خاصته ، ولكن رحمة العامة (٢٢) .

١٣ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : قال اللــه عز وجل : ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى (٢٣) .

١٤ ــ قال الرسول صلى الله عليه وســلم : إن احبكم الى الله احسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله المشاءون بالنميمة الملتمسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان(٢٤)

١٥ ــ قال صلى الله عليه وسلم : أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك (٢٥) .

١٦ ــ قال صلى الله عليه وسلم : احب للناس ما تحب لنفسك (٢٦) .

١٧ ــ قال صلى الله عليه وسلم : المؤمن من أمن الناس على اموالهم وانفسهم (٢٧) .

١٨ ــ ان النبى صلى الله عليه وسلــم كان إذا بعث جيشــا قال : انطلقوا باسم الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امــرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا إن الله يحب المحسنين (٢٨) .

١٩ ــ حينما بعث أبو بكر جيوشا الى الشام كان من امــراء الجيش يزيد بن أبى سفيان وقد أوصاه بقوله : لا تقتلن امراة ولا صبيا ولا كبيــرا هرما ولا تقطع شجرة مثمرة ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا ، إلا لمأكلة ، ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه ، ولا تغلوا ولا تجبنوا (٢٩) .

هذا غيض من فيض يدل على سمو المبادىء والخصال التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اليها ، ويعتبرها جزءا من رسالته وهى من دلائل عظمته ، وعظمة الرسالة التى حملها الى البشرية .

تاريخ الميـــلاد

المشهور فى العالم الاسلامى قديما وحديثا أنسيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين فى ١٢ ربيع الأول ، اعتمادا على ما ذكر فــى كتب السير مثل محمد بن اسحاق والسيرة الحلبية وغيرهما ، ولكن محمود باشا الفلكى فى كتابه « التقويم العربى قبل الاسلام ، وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته صلى الله عليه وسلم » ترجمة حفيد المؤلف السفير محمود صالح الفلكى ، بعد أن استعرض ما فى المراجع العربية وغير العربية ، القديمــة والحديثة ، من أصحاب السير والمؤرخين وعلماء الفلك ، وصل الى نتيجــة هى : أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين فى ٩ ربيع أول الموافق ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ٥٧١ م (٣٠) .

وقد اعتمد هذا التاريخ كثير من العلماء والمؤلفين المعاصرين نظرا لما يتمتع به المؤلف من خبرة وثقة واطلاع واسع .

أول من أحدث الاحتفال بالمولد

لم يعرف عن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عــن

التابعين وتابعيهم أنهم كانوا يحتفون بذكرى المولد النبوى الشريف ، لأنهم كانوا معنيين بتطبيق شريعته ، والأخذ بسنته ، والاقتداء بهديه ، عملا بقول الله سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »(٣١) .

ولما تباعد المسلمون عن تنفيذ شريعة الله ، والاتساء بهدى رسول الله ، وساد المجتمعات كثير من أنواع الفساد والمنكرات لجأ بعض الناس الى احداث مثل هذه الاحتفالات بنية حسنة أو غير حسنة ، لاظهار تعلق الناس بمحبة رسول الله ، وكل ما يتصل به ، أو لاتخاذ ذلك وسيلة لأخذ الأموال والعطايا والهبات .

وقد أحدث الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد الملك مظفر الدين بن زين الدين ، صاحب اربل سنة ستمائة هجرية ، أحدثه له بعض الصوفية ولم يكن له أصل فى الدين .

وذكر ابن كثير ان أبا الخطاب عمر بن الحسن الأندلسى الدانى المحدث (المعروف بابن رحية) اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل الى الشام ثم الى العراق واجتاز اربل سنة أربع وستمائة ، فوجد ملكها يعتنى بالمولد النبوى ، فألف له كتاب « التنوير فى مولد السراج المنير » فقراه عليه واجازه بألف دينار ، وقد انتقد فى اقدامه على ذلك وهو من رجال الحديث الشريف .

وكان صاحب اربل ينفق على المولد فى كل عام ثلثمائة ألف دينار ، وقد ذكر تفاصيل ذلك فى تاريخ ابن خلكان وشذرات ابن العماد وتاريخ ابن كثير (٣٢) .

وقد افتن المسلمون بعد ذلك أنواعا من الاحتفالات والتظاهرات ، وبعضها يجمع من الفتن ما يجب الترفع عنه خصوصا فى هذه الذكرى العطرة .

رأى

والذى اراه ان المسلمين لو عادوا الى دينهم ليغترفوا من ينابيعه الأولى مناهج حياتهم ، لكانت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم موضع الرعاية والعناية والتنفيذ ، ولا ستولى على مجتمعاتهم الطابع الاسلامى ، الذى يجعل من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه مشعلا يضىء لهم سبيل السلوك الصحيح فى سائر ميادين حياتهم ، ولاستغنوا عن الاشتغال بهذه المظاهر التى لا ينفذ منها شىء الى قلوبهم ، ولا تغير من أساليب حياتهم ومظاهر سلوكهم .

ولو انهم اقتصروا فى هذه المناسبة على تعداد مناقب الرسول ومواقفه فى جهاده وتضحياته وسلوكه فى الحياة ، وأظهروا نواحى عظمته التى كانت من أسباب نشر دعوته ، لكان فى ذلك جنوح الى الاستفادة من هذه الذكرى العطرة بجعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مثلا يحتذى ويقتدى .

حالة المسلمين فى هذه الذكرى

جعل الله العزة من صفات المؤمنين ، قال سبحانه : ولله العـــزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون (٣٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : إذا ذلت العرب ذل الإسلام (٣٤) .

ولكننا نرى بأعيننا هذه المهانة الكبرى التـــى اظلت ديار العروبـــة والاسلام ، أينما اتجهنا ، نتيجة تآمر قـــوى الشر والطغيان والاستعمـــار بجميع أنواعه وألوانه ، ودعم الصهيونية العالمية فى احتلال الديار المقدسة وتشويه معالمها والقضاءعلى حضارتها وازالة آثارها العربية والاسلامية ، حتى بلغ بهم الاستهتار الاعتداء على المسجد الأقصى المبارك بالقـــدس ، وعلى المسجد الابراهيمى الشريف بالخليل وانتهاك حرماتهما وحرمات أماكن مقدسة أخرى . وقد زادوا عتوا واستعلاء حين اعتدوا أخيرا على لبنان فى الأعماق ، مستعينين بقوات بريـــة وجويـــة وبحريـــة ، ليقتلوا الآمنين من الشيوخ والنساء والأطفال ، وحين اعتدوا على الطائرة الليبية المدنية فقتلوا منا ما يزيد على مئة شخص من الأبريـــــاء ، ولم نر من البلاد العربيـــة أو الاسلامية الا الحسرات والزفرات والأنات والآهات ، ومن الراى العـــام العالمى إلا كلمات التأنيب حينا وكلمات التبرير حينا آخر ، حتى أخذ العربـــى والمسلم يتساءل عما أصاب العرب والمسلمين من تخاذل وتفكك ، وانحـــلال واضمحلال ، ومتى تتحرك جيوشهم وقواهم لرد العدوان ، وماذا يفيدهـــم الاحتفال بمثل هذه الذكرى وهم أبعد ما يكونون عن أن يمثلوا صفة العـــزة والقوة والاعتصام ؟ مع أنهم لو جمعوا قواهم وبادروا لتحمل مسؤولياتهـــم وبذلوا انفسهم ونفائسهم فى سبيل الله ، لكانوا قوة يحسب حسابها ،لهابهم أعداؤهـــم ولحققوا هـــدف قول الرسول الأعظم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضـــو تداعى له سائـــر الجسد بالسهر والحمى (٣٥) .

ولنفذوا ما ترمى إليه الآية الكريمة : كنتم خير أمـــة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٣٦) .

ولعملوا بقول الله سبحانه : « إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليـــه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »(٣٧) .
غفور رحيم »(٣٨) .

وذلكم هو السبيل الذى يرضى الله ورسوله عنا ، ويجعلنا جديريـــن بنسبتنا الى هذا الرسول العظيم ، ويحقق لنا محبته ، كما قال سبحانـــه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم اللـــه ويغفر لكم ذنوبكم واللـــه غفور رحيم » (٣٨) .

واخيرا اختم هذا البحث بقول الحسن البصرى : ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال (٣٩) .

فنسأل الله أن يلهم قادتنا وولاة أمورنا رشـــدهم وصوابهــم ، وأن يوفقهم للالتحام فى موقف موحد يدفع عن الجميع العار والشنار والذلـــة والمهانة ويصل بنا الى درجة العزة والشرف والكرامة .



---

(١) ٨٤ آل عمران.
(٢) نبى الانسانية للاستاذ احمد حسين .
(٣) ١٢٤ الانعام .
(٤) مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب .
(٥) البخارى ، ومختصر السيرة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .
(٦) ٤٨ العنكبوت .
(٧) ٩ الحجر .
(٨) و (٩) مختصر السيرة للشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب .
(١٠) ٥٥ الذاريات .
(١١) ٦٤ آل عمران .
(١٢) ٨ المائــدة .
(١٣) ١٣ الحجرات .
(١٤) ١٠٨ الانعام .
(١٥) ٧٠ الاسراء .
(١٦) البخــارى .
(١٧) البزار والطبرانى فى معجمه .
(١٨) البخارى .
(١٩) ابن ابى شيبة فى مسنده .
(٢٠) الخطيب — المنذرى .
(٢١) البخارى ومسلم .
(٢٢) مستدرك الحاكم .
(٢٣) احمد بن عدى — الكامل .
(٢٤) ابن الخطيب .
(٢٥) البخارى فى التاريخ .
(٢٦) البخارى فى التاريخ .
(٢٧) ابن ماجه .
(٢٨) أبو داود .
(٢٩) مالك ، وقد ذكرت هذا وان كان قــول الخليفة الأول أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، لأنه يمثــل وجهــة النظر الاسلامية ، التى تلقاها أبو بكر عــن استاذه واستاذ البشرية محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣٠) صفحة ٤٤ .
(٣١) ٢١ الاحزاب .
(٣٢) معارف السنن شرح سنن الترمــذى لمحمد يوسف البنورى ج ٤ ص ٤٣٧ .
(٣٣) ٨ المنافقون .
(٣٤) ابو يعلى فى مسنده .
(٣٥) البخارى ومسلم .
(٣٦) ١١٠ آل عمران .
(٣٧) ١١٢ توبة .
(٣٨) ٣١ آل عمران .
(٣٩) البخارى .

لماذا فكروا

للأستاذ على الطنطاوى

اخذت القلم ، وقعدت لأكتب المقالة التى شرفنى الأستاذ رضوان حين كلفنى كتابتها للجزء الممتاز من المجلة — فورد على وارد صرف ذهنى عنها ، وجعلنى أسائل نفسى : لماذا أكتب ؟ وما الفائدة من الكتابة ؟

هل نفعتنا الأحاديث والخطب والمقالات ؟

لقد خطبت أول خطبة عامة سنة ١٣٤٥ هـ (من نحو نصف قرن) وما زلت اخطب ، وكتبت من تلك الأيام وما زلت أكتب ، وحدثت فى الاذاعة من يوم انشئت محطة الشرق الأدنى فى (يافا) قبل الحرب ، وما زلت احدث .

ويخطب ويكتب ويحدث عشرات وعشرات ممن هم أصفى منى جنانا ، وأكثر ايمانا ، وأفصح لسانا ، وأجلى بيانا ، وأقدم زمانا ، خطبوا على كل منبر ، وكتبوا فى كل جريدة ومجلة — وحدثوا من كل اذاعة — فماذا كانت ثمرة هذا الجهد كله ؟

هل نحن اليوم فى مجتمعاتنا : فى بيوتنا ، فى مدارسنا ، فى محاكمنا ، فى أسواقنا ، فى أزياء نسائنا ، وسلوك شبابنا — هل نحن اليوم أقرب الى الاسلام أم قبل خمسين سنة ؟

من كان يقدر أن يتصور يومئذ أننا سنصير الى ما صرنا اليه اليوم ؟

---

* حالت ظروف البريد دون نشر هذا المقال فى عدد ربيع الأول .

وما لى أفرض الفروض ، وأقـدر الوقائع ، وعندى رسالة لى مطبوعة سنة ١٣٤٧ هـ ، عنوانها (دمشق بعد تسعين سنة) ، صورت فيها بخيـال شبابى الجامح أغرب ما (وصل اليه) خيالى . فإذا الذى حدث فعلا — فى خمس وأربعين سنة يسبق ما تخيلت وقوعه فى تسعين سنة !

نعم ، والرسالة مطبوعة موجودة ، وحالنا قائم ملموس بل لو تخيل رجل فى الكويت قبل ربع قرن حال الكويت اليوم ، لحسبوه قد جنّ وفقد العقل

فلماذا انتهت جهودنا الى الهزيمة والفشل ؟

فكروا : لمــاذا ؟

لو استقريتم أفـراد المسلميـن لوجدتم الكثرة الكاثرة لا تزال تؤمـن بالله واليوم الآخر ، أو تريـد أن تعدّ من المـؤمنين ، وتكـره ان توصـف بالالحاد أو بالفساد ، ولوجدتم فيهـم علماء كثيرين ، وخطباء وواعظين ، ومحاضرين ومدرسين ، كلهم يدعو الى الله ، أو يحب أن يعدّ مع الدعاة اليه .

ووجدتم المساجد لا تزال عامـرة بالمصليـن ، وخطب الجمعة تعلـن بالمكبّرات والاذاعـات والمـدارس لا تزال تدرس فيها علوم الدين ، وان مسخت مناهجها ، ونقصت ساعاتها ، والاذاعات لا تزال تبدأ برامجهـا بالقرآن وتختمهـا بالقـرآن ، وان وضعت بعد القرآن فى الافتتاح عزفا على العود ، وقبل القرآن فى الختام مسرحية تكشـف فيها العورات ، وتظهر فيها المحرمات .

فكيف استطاع الدعاة من اعـداء الاسلام (مع هذا) أن ينجحوا مـن حيث فشلنا نحن دعاة الاسلام ؟

الا ترون أن هذه المسألة تستحق أن تعرض فى العدد الممتاز ، وأن نجد لها الجواب ؟

اكان ذلك لأن الذى ندعو اليـه باطل ؟

هذا محال ، لأن الاسلام صيغ من جوهر الحق ، لا من أعراض الأوهام

أم كان لأن الاسلام بليت حقائقه ، فلم تعد تقوى على مواجهـة الخطوب ، فى عصر تفجيـر الذرة ، واقتحـام الفضاء ؟

كلا ، فالإسلام كان جديدا لما جاء ، وبقى جديداً ، لا يبلى ولا يَتَقدَّم الا فى الأذهان التى تعجز أو تكسل أو تزهد فى كشف أسرار القرآن ، وهى لا تنفد على مرّ الزمان ، ولا تزال أبدا يفيض نبعها لمن يعرف طريق الاستقاء منها ، ولا يزال الذهن البشرى يكشف فى كل عصر من هذه الأسرار ما لم يكشفه السابقون .

لقد اظهر تقدم العلوم فى ايامنـا معانى آيات — كانت فى خفاء — وكان المفسرون يحاولون ادراكها ، فيحومون ولا يصلون ، ولا تزال فى القرآن آيات فيها اشارات وتلميحات لأسرار سنن الله فى الوجـود ، وقوانينـه فـى الطبيعة ، لم يصعد العلم بعد الـى الذروة التى يكشفها منها — وهذا من الأدلة على أن القرآن كتاب لم يخرج من فكر بشرى — لأنه يستحيل علـى انسان مهما كان عبقريا ، أن يشيـر الى علوم لم يكن فى أيامه ، ولا بعد ايامه بألف سنة من عرفها أو سمـع بها ، أو قدر وجودها .

كلا — اقولها مرة ثانية ، فالاسلام كان صالحا لعصر محمد وصحبه ، وبقى صالحا فـى عصر الـذرة والصاروخ ومركبات القمر ، وسيبقى صالحا ، وسيبقى دستور الحـق والخير والجمال ، وطريق سـعادة الجسم والعقل والروح فى كل عصر .

وهذه دعوى ضخمة ، ولكن معنا دليلها ، وهو دليل اضخم من الدعوى فلم يكن هذا الفشل اذن لـ (قصور) فى الإسلام ، فهل كان لـ (تقصير) منا

فى الدعوة الى الاسلام ؟

لأننا لم نستطع أن نستخرج من اصول الاسلام (من الكتاب وصحيح السنة) الأقضية والأحكام الملائمة لهذا الزمان ، ولأننا (أو لأن مشايخنا) وقفوا عند كتب الفقه ، يقرؤونها ويعيدونها ، لا يستطيعون الكلام عما ليس فيها ، وعمّا جدّ من الأوضاع والمعاملات بعد موت مؤلفيها ، فلما لم يجد الحكام عندهم حلاً لمشكلات العصر من شرع الله ، عمدوا الى قوانين الأجانب فأخذوها ، وتركوا دينهم لها ، فكان علينا قسط كبير من تبعة هذا الذنب الكبير ، كما قال ابن القيم فى (الطرق الحكمية) ؟

• • •

أم لأننا ندعو الناس ، وندعو الشبان والشابات الى الدين بغير الأسلوب الذى يصلح لدعوتهم ، واننا نخاطب أهل هذا العصر بلغة العصور المواضى ، نفتح الكتاب المؤلف من قرون ونقرأ عليهم منه ، فلا يسمعون منا ، ولا يفهمون عنا ؟

أم لطبيعة الوعظ ، وانه ثقيل على النفس ، لأن النفوس تهوى الانطلاق والشرع يقيدها ، وتميل مع اللذة حيث مالت والشرع يعدلها .

هذا واقع ، ولكن العقل أيضا (كاسمه) قيد ، والحكمة قيد ، واسمها مشتق من حكمة الدابة ، والقوانين قيد ، والحضارة قيد ، والذى يريد أن يتفَلّت من كل قيد يصير مجنونا ، فالمجنون هو الحر الحرية المطلقة ، يعمل كل ما يشاء ، يمشى عاريا ، يعرّى امرأته ونساء المسلمين ، يركب على كتفى سائق السيارة ويدلى ساقيه — يمنع لصوص الأموال ويسمح للصوص الاعراض ، يحارب من يأتى ليفسد صحة الناس ، أو يزهدهم بالولاء لوطنهم ، ويدعوهم للولاء لاسرائيل ، ويسالم المبشرين الذين يريدون اخراج أولاد المسلمين من دينهم ، وادخالهم فى دين غيره — هذا الذى له الحرية المطلقة التى يفعل بها ما يشاء ، وهذا هو المجنون .

أم لأن فيها من يجمل فى الدعوة ولا يفصّل ، فيكون كراكب الطيارة تعلو جدا حتى لا ترى الكويت الا نقطة سوداء ، على سيف البحر ، فيصفها فلا يفيد وصفه اياها . ومن يفصّل قبل الاجمال ، كمن تريد منه وصفا عاما للكويت ، فيصوّر لك داره فيها ، ويذكر كل ما فى الدار ، من أثاث ورياش وأزهار واشجار ، فلا تفهم من ذلك شيئا عن وضع الكويت .

او يزيد على ذلك فيدعى أن داره هى الكويت ، ويردّ عليه جاره فيصف دار نفسه ويظن انه وصف الكويت .

نعم ، منا من ينادى بالرجوع الى الاسلام ، ويكرر ذلك ويعيده ، ولكن لا يبيّن كيف يكون الرجوع الى الاسلام ، كخطباء الجمعة ، يأمرون بتقوى الله ، وهذا حق ولكن لا يوضحون للناس كيف يتقون الله ، فلا يستفيدون من قولهم (اتقوا الله)

ومنا من يأخذ بعض الفروع فيجعلها هى الدين ، ويلقنها الشبان الناشئين ، يبدأوهم بها قبل تصحيح العقيدة ، وقبل معرفة الكبائر لاجتنابها ، والفرائض للقيام بها .

ثم نختلف على هذه الفروع ، ونتجادل ونختصم ، ونضيع بأسننا بيننا ، ومعول الالحاد ، و (ديناميته) يعمل فى أساس بناء الاسلام ، فاذا تصدعت العمارة ومالت الى السقوط ، هل يهتم أحد بكسر قفل الباب ، أو زجاج النافذة ؟

اذا كان المريض المصاب بسرطان القلب تحت أيدى الجراحين ، فى غرفة العمليات وهم يعدون الثوانى يخافون أن يعاجله الموت قبل اتمام العملية ، هل يهتم أحد بشوكة دخلت تحت ظفره ؟

فما لنا نهتم بالفروع والأغصان ،

وجذع شجرة الاسلام ، مهدّد بالكسر ، لا سمح الله ، ولن يسمح ان شاء الله ، لأن الله تعهد بحفظ هذا الدين فالدين محفوظ ولكن الامتحان لنا ، فاما ان ننصر الله فينصرنا ، واما أن نخذل شرعه ، فيستبدل بنا قوما غيرنا يدخل فى الاسلام شعب من الشعوب الحية ، فيحمل لواءه ، ويعلى مناره ، ونكون نحن (لا قدر الله) كفقراء اليهود ، لا دنيا ولا دين .

. . .

أم لأن فينا من يعظ الناس ولا يتعظ ، ويأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويقع فيه ، يكذب بلسان حاله ، ما جاء بلسان مقاله ، يخالف فعله قوله ، وتناقض سيرته وعظه ، فينفر ضعاف القلوب من الدين ، ويكون حجة لهم على الصادقين من الداعين .

أم لأن منا من آثر دنياه على آخرته ، ورضا الحكام على رضا الله ، فوقف على أبوابهم ، ومشى فى ركابهم ، فلما رأى ذلك العامة ، ظنوا بان جميع الداعين ، مثل هؤلاء المنحرفين ، مع أن الله لا يخلى هذه الأمة من علماء يريدون وجهه وحده ، يصدعون بالحق ، لا يقولون إلا ما يرضى الله ، فاذا عمت الفتنة ، وعلت الضجة ، ولم يعد يسمع صوت الحق ، كان أقصى أمرهم أن يسكتوا ويعتزلوا ، وينكروا بقلوبهم ، لا يسايرون أحدا قط على حساب دينهم .

. . .

أم لأن الهجوم علينا كان أقوى من دفاعنا ، لأننا لم نعد للمعركة (معركة الالحاد والفساد) ، خططا محكمة كخطط عدوّنا ، بل نحن لم نعرف ماذا يخطط لنا العدوّ ، الذى يدخل علينا من كل باب ، من مناهج المدرسة ، وازياء الثياب ، ووسائل الاعلام ، وقوانين الدولة ، وما تخرج المطابع من كتب ، وما يشتمل عليه الفن من أشكال والوان ، من كل ذلك يدخل علينا العدوّ ونحن لا ندرى ، ولا أظن أن الله سيعذرنا لأننا لم نكن ندرى .

فكنا نقعد حتى ينال عدو الاسلام منا منالا ، فنثب وثبا قبل أن نحدّد سبيلنا وندخل المعركة قبل أن نجمع جندنا ، ونسوّى صفوفنا ، ونؤلف بين قلوبنا ، فننهزم ننهزم لأن الله جعل لكل شىء سببا ، فمن أخل باستيفاء أسباب النصر ، فرّ منه النصر ، وصحابة رسول الله صلى الله عليه ورضى عنهم كانوا اكرم على الله منا ، وهم مع ذلك قد هزموا فى (أحد) لما تركوا بعض أسباب النصر التى قدرها الله له ، كما قدّر الأسباب كلها والمسبّبات ، فخالف الرماة أمر قائدهم ، وتركوا مواقعهم ، أفنطمع أن ينصرنا الله ، وقد قطعنا أسباب النصر كلها ، ما اتصل منها بالأرض وما ارتبط بالسماء ؟

لقد فقدنا ارثنا من الحماسة والنشاط ، وتسللت الى عروقنا جراثيم الخمول والكسل ، فآثرنا الراحة على العمل ، ولبستنا حقيقة ؟ يوجعنى الاعتراف بها ، ويشد على صدرى حتى أحسّ بالاختناق ولكنها تبقى حقيقة .

حقيقة أعترف بها ، وذقنى من الخجل تضرب صدرى ، وبصرى من الحياء الى الأرض ، هى أن أهل الباطل لهم من ايمانهم بباطلهم ، وحماستهم له ، ودفاعهم عنه ، وبذلهم فى سبيله المال والنفس ، أكثر مما لنا (نحن أهل الحق) من الايمان بحقنا ، والجهاد فى سبيله ، وحمل الأذى فى الذود عنه .

انهم يمشون الى مجاهل الأرض ، يسكنون الاكواخ كأنها قبور ، ويصبرون على معاشرة أصحابها ، ليدعوهم الى ما يؤمنون هم به ، ومنهم

من يقاتل فى سبيل معتقده الأرضى ، أقوى دول الأرض ، التى ألهبت بطياراتها بلده بالنار ، وأشاعت فى أقطاره الدمار ، وهو ماض لاينثنى . .

ونحن . . . نحن المؤمنين بأن الجهاد أصل من أصول ديننا ، نحن الذين نؤمن بأن شهيدنا حىّ فى ضيافة ربنا ، نحن أبناء من مشوا على أرجلهم ، من المدينة الى قلب فرنسا من هنا ، وقلب الهند من هناك ، ففتحوها كلها ، لا ليأكلوا خيراتها ، بل ليهدوا الى الحق أهلها ، ويحملوا اليهم من هذا الخير الذى أنزله الله من السماء ، على غار حراء ، نحن . . ننتهى الى هذه النهاية ؟!

يحتل اليهود قبلتنا الأولى ، ومسرى نبيّنا ، وتتحدانا امرأة عجوز ونحن سبعمائة مليون ، وامرأة أخرى تمسك بخناق تسعين ألف أسير منا ، تسعون ألفا كآساد الشرى . . . يا أسفى !

ما أشد السقطة على رفيع القدر ، عالى المقام !

ولكن هذا ذنبنا . نحن الذين أبعدنا الاسلام عن معركتنا ، فأبعدنا بذلك النصر عنا .

اننا ما هزمنا لنقص العدد فنحن سبعمائة مليون ، ولا لنقص المال فعند المسلمين من الأموال أكثر مما عند اليهود ، ولا لقلة السلاح فعند المسلمين من السلاح أكثر مما عند اليهود ، ولا لقلة العلماء فعند المسلمين من العلماء (بعلوم الكون) اكثر مما عند اليهود ولكن لقلة الدين .

لقد ضعنا بذلك وأضعنا الشباب على أن فى الشباب بحمد الله — فى الشباب والشابات فى الشام ومصر والأردن وغيرها رجعة قوية الى الاسلام ، رجعة من الله ليست بعملنا ولا بجهودنا ، رجعة وان تكن فى نطاق ضيق ، وفى عدد قليل ، لكنها قوية راسخة ، وان كان من المؤسف أن عيوبنا انتقلت اليهم ، خلافاتنا ، تمسكنا بالفروع قبل الأصول ، تفرقنا فرقا ، فيا ليت أبنائى وبناتى من الشباب والشابات يعتبرون بنا ، ويجتنبون نقائصنا ومعايبنا .

ان هذه المعايب جعلتنا يا أولادى نصير الى الضياع .

كلمة حق أقولها لكم ، والحق يقال ويسمع ، ولو كان مُرّا . نحن يا أولادى لم يبق فينا أمل ، نحن الشيوخ (أعنى بالسنّ) ، نحن جيل الضياع ، جيل الهزيمة ، نحن أضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليون ، فالأمانة الآن فى أعناقكم أنتم ، والحمل على عواتقكم ، فلا تكونوا مثلنا .

لو أن سبعمائة مليون فأرة ، (والعفو من قبح المثال) هجمت على لندن أو نيويورك لهرب منها أهل نيويورك أو لندن ، فلماذا لا نصنع شيئا ؟ ما السبب ؟

لا أناقش ولا أتفلسف بل أقرر حقيقة ، لو أن ولدك مرض فأخذته الى طبيب فأعطاه دواء زاده مرضا ، فأخذته الى آخر فأعطاه الدواء الذى كان فيه الشفاء ، أفبعد هذه التجربة مجال لمقال ؟

التجربة أصدق برهان ، ونحن قد جربنا يوما ادخال الاسلام الى المعركة فاستنقذنا به القدس من أيدى جيوش اوروبة كلها بعدما ملكوها أكثر من تسعين سنة .

وجربنا إبعاد الإسلام عن المعركة فأضعنا القدس بعدما كانت فى أيدينا ومع ذلك نجد صعوبة بالغة فى افهام المسلمين — هذه الحقيقة الظاهرة — أفليس هذا عجيبا ؟

. . .

قلت فى مطلع هذه المقالة انى بدأت أكتب وأخطب من أكثر من خمس

وأربعين سنة ، عما الذى أثمرته هذه الكتابات وهذه الخطب ، وما كتب الكتاب الاسلاميون قبلى كالسيد رشيد رضا ، والأمير شكيب أرسلان ، وخالى محب الدين الخطيب، والأساتذة فريد وجدى وعبد العزيز شاويش والغمراوى وغيرهم ، ومن جاء معى أو بعدى ممن لا يحصيهم عدد — ولا يجهلهم أحد — فماذا كان حصاد هذا الجهد كله ؟

لقد شهدنا فى هذه السنين الخمسين عرى الإسلام تنقض عروة عروة ، وصرح الاسلام يهدم حجرا حجرا ، وأهل الخير والحق كل يوم الى ضعف وقلة ، وأهل الشر والباطل كل يوم الى قوة وكثرة .

وكنت أبحث عن السبب ، وذكرت ما خطر على بالى من الأسباب ، وفى كلها قدرت النقص فينا ، والذنب علينا ، نحن الدعاة ، أو الكتاب والخطباء الاسلاميين ، فلم لا يكون النقص فيكم أنتم أيها القراء ، والذنب عليكم ؟ أو فينا وفيكم معا ؟ ونكون مسؤولين جميعا ؟

اضرب لكم مثلا ، اسكتوا كلكم قليلا . هل تسمعون فى الغرفة صوتا ؟

ان جو الغرفة التى (ترونها) ساكنة كل الأصوات التى تخرج الآن من اذاعات الأرض كلها انكم لا تسمعونها ، ولكن هاتوا رادّا (راديو) فانه يردّ هذه الأصوات عليكم فتسمعونها ، فان كان الراد بلا ذخيرة (بطارية) لم يفدكم ، وان وجد — وكذلك المواعظ ، المواعظ موجودة ولكنها تحتاج الى قلوب ، والقلوب لا تفيد ان كانت تحتاج الى بطاريات فاستحضروا قلوبكم وضعوا لها بطاريات ، تستفيدوا من كل ما تقرؤون وما تسمعون ولو كانت الموعظة من مقصّر مثلى .

ها هنا السر ، وهذا هو السبب فى الفشل الذى انتهت اليه دعوتنا خلال هذا الأمد الطويل .

ليس النقص فى المواعظ وفى الواعظين ، وان لم تبلغ ولم تبلغوا حدّ الكمال ولكن النقص فى القلوب الواعية .

اللهم يا من قلوب العباد فى يديه . احى قلوب المسلمين ، وليتها وارزقها الانتفاع بالموعظة ، اللهم آمين .



نظرة فاحصة حول

الاباحة

عند الأصوليين والفقهاء ٢

د . محمد سلام مدكور

أساليب الاباحة والصلة بينها وبين كل من الحل والصحة والجواز

تكلمنا فى مقال سابق عن الاباحة وموقف الأصوليين والفقهاء منها ، وبينا أن الاذن الذى يفيد الإباحة قد يكون مصدره الشرع وقد يكون مصدره العباد ، وقلنا إن إذن الشارع لا يسقط حق العباد ، وأن إذن العباد لا يسقط حق الله وذلك لأن حق الله ليس مجالا لإذن العبد ولا ترخيصه ، كما أن كل تصرف لا بد أن يكون فى حدود ما أباح الشارع وأذن به .

ويعنينا هنا أن نبين أساليب الإباحة :

والمراد بأساليب الإباحة ما يدل عليها وتستفاد هى منه سواء أكان ذلك بدلالة لفظية حقيقية كانت أو مجازية أم كان ذلك بقرينة من القرائن العقلية . فأساليب الاباحة متنوعة ، وهذا التنوع فى جملته مظهر من مظاهر ثروة اللغة العربية وقوة التعبير فيها والدلالة على أنها جديرة أن تكون مجالا لاجتهاد المجتهدين وتنافسهم فى فهم النصوص الشرعية ولاسيما فيما يدل على الاباحة دلالة مجازية أو كنائية أو عقلية .

وينبغى أن نشير الى أن الاباحة التى مصدرها العباد لا تحتاج دائما الى عبارة تدل عليها إذ قد تكون بعبارة تدل عليها كدعوة الضيف الى النزول بمنزلك وتناول الطعام عندك ، كما تكون بما يفيد عرفا تلك الاباحة من الأفعال كوضع الأباريق ونصب السبل للشرب ، ووضع الجفان أو الأوانى للأكل للعامة ابتهاجا ببلوغ مقصد أو وفاء بنذر أو كفارة وهذا النوع هو الكثير الأغلب فى الاباحة من العباد بعضهم لبعض .

أما بالنسبة للاباحة التى مصدرها الشرع ، فاننا بتتبع الفاظ القرآن وهو المصدر الأول للتشريع لم نجد كلمة الاباحة ولا شيئا مما تصرف منها بفعل أو مشتق ، وإنما يوجد فى أساليب القرآن كما يوجد فى السنة النبوية ما يدل عليها دلالة صريحة تارة . فلا يحتاج اللفظ الى قرينة يعتمد عليها فى إفادة الاباحة ، وما يدل عليها دلالة غير صريحة فيحتاج اللفظ للدلالة عليها الى قرينة تبين أنها مرادة من اللفظ .

أولا — الأساليب الصريحة :

١ — نفى الحرج ومن ذلك قول الله تعالى(١) : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم أن تأكلوا من بيوتكم . . » فقد دلت الآية دلالة صريحة على إباحة الأكل من بيت الانسان وبيت أبيه وبيت أمه لأن ذلك هو المعنى العرفى الذى يتبادر الى الذهن عند سماع نفى الحرج .

ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه أن رسول الله وقف فى حجة الوداع للناس فى منى يسألونه ، فجاءه رجل فقال : لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح . . ؟ فقال الرسول عليه السلام : إذبح ولا حرج . وجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى . .؟ فقال له النبى : ارم ولا حرج . فما سئل عن شىء قدّم ولا أخّر إلا قال : افعل ولا حرج . وهذا يفيد أن المشرع رفع الحرج عن كل من ترك الترتيب ناسيا . فصار ترك الترتيب، بين الشعائر بالنسبة له مباحا .

٢ — نفى الجناح : ومن ذلك قوله تعالى(٢) : « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » فإن الأسلوب يدل صراحة على إباحة فطام الصبى قبل تمام الحولين ، لأن نفى الجناح كنفى الحرج فى أنه يتبادر من كل منهما الى الذهن معنى الاباحة .

٣ — نفى كل من الاثم والمؤاخذة والحنث والسبيل : كما فى قوله تعالى : « اذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه »(٣) فالآية صريحة فى معنى الاباحة باعتبار الأصل لأنها رفعت الاثم عن الفعل وضده معا ، وخيرته بين التعجيل والتأخير برفع العقاب عن كل منهما .

ومن نفى المؤاخذة قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم . ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم »(٤) فإن رفع المؤاخذة فى الآية صريح فى إفادة رفع الاثم وعدم العقاب على الفعل الذى هو اللغو فى اليمين ، وظاهر أنه لا ثواب على الفعل . ولا معنى للاباحة إلا هذا .

ومن نفى الحنث الدال على الاباحة ما روى من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال(٥) : عندما ترامى قوم بحضرته بالنبال . فحلف أحدهم أنه أصاب الهدف وأن صاحبه أخطأ . فإذا الامر بخلاف ذلك . فقال الآخر حنثت يا رسول الله . فقال عليه السلام : أيمان الرماة لغو لا حنث فيها ولا كفارة .

ومن نفى السبيل الدال على الاباحة دلالة صريحة فيما نرى قول الله سبحانه وتعالى : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » يقول الإمام الرازى فى تفسيره (٦) : ما عليهم من سبيل كعقوبة ومؤاخذة لأنهم أتوا بما أبيح لهم من الانتصار .

٤ — ومن أساليب الاباحة الصريحة نفى البأس . وهى مما ورد استعماله فى السنة فى عدة مواضع فمن ذلك ما رواه الامام أحمد فى مسنده من قوله عليه السلام : « لا بأس بالحيوان واحدا باثنين يدا بيد » فإنه يدل على إباحة بيع الحيوان مع التفاضل اذا لم يكن هناك أجل . ومن ذلك قوله عليه السلام فيما رواه الحكم عن وائلة بن الاسقع : « لا بأس بالحديث قدمت أو أخرت اذا اصبت معناه » فانه يفيد إباحة رواية الحديث مع التقديم والتأخير فيه ما دام ذلك لا يؤثر فى المعنى . وهذا هو مذهب الجمهور فى صحة رواية الحديث بالمعنى وهو الحق تحقيقا لليسر ودفعا للحرج وعملا بظواهر النصوص كهذا الحديث وغيره . كما جاء فى كتاب (جمع الجوامع وشرحه) .

والفقهاء يستعملون كلمة لا بأس بمعنى الاباحة فى كتب الفقه ومن ذلك قول صاحب الاختيار (٧) : « ولا بأس بتوسد الحرير وافتراشه ، ولا بأس بلبس ما سداه ابريسم ولحمته قطن أو خز » .

٥ — ومن أساليب الاباحة الصريحة كلمة (رفع القلم) جاء فيما أخرجه احمد وأبو داود والنسائى والحاكم عن السيدة عائشة رضى الله عنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبى حتى يكبر » فانه يدل على إباحة ما يصدر عن هؤلاء من الافعال لأنه لا إثم فى الفعل كما لا إثم فى الترك وذلك هو معنى الاباحة .

ومن ذلك كلمة رفع الخطأ . روى الطبرانى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والمقصود إنما هو رفع إثم الخطأ لا نفس الخطأ ورفع الاثم يفيد إباحة الفعل الصادر فى هذه الظروف . وهذا القدر كاف فى تحقيق الاباحة لأن المباح ما لا إثم فى فعله ولا تركه .

وكذلك كل ما يدل على التخيير فى الاساليب العربية من غير حاجة الى قرينة مثل إن شئت ، لك أن تفعل . ونحو ذلك .

ثانيا — الأساليب الدالة على الاباحة دلالة غير صريحة :

وهذه قسمان فيما نرى : ملفوظة ، وغير ملفوظة وسنعرض كل واحد منها :

أ) الألفاظ التى تستفاد منها الاباحة بقرينة :

١ — صيغة الأمر : نقل الآمدى(٨) عن بعض الأصوليين أن صيغة الأمر وضعت حقيقة لإفادة الاباحة ، وأنها تفيد غيرها بطريق المجاز وتحتاج فى إفادة غير الاباحة الى قرينة . وهو رأى يبدو غريبا إذ الواقع أن دلالة صيغة الأمر على الاباحة دلالة مجازية تحتاج الى قرينة . على أننا انتهينا فى كتابنا « الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام »(٩) الى أن صيغة الأمر إنما وضعت فى أصل اللغة لمجرد الطلب ولا بد من القرينة لإفادة ما عدا ذلك .

ودلالة صيغة الأمر على الاباحة تعتبر مجازية عند من يقول : إن الأمر وضع فى أصل اللغة لافادة الندب وهو أبو هاشم الجبائى والمعتزلة ، وكذلك على رأى الماتريدى واتباعه الذين يقولون إن صيغة الأمر موضوعة فى الأصل للقدر المشترك بين الوجوب والندب وهو مجرد الطلب ، وكذلك بالنسبة للقائلين بأنها مشتركة بين كل من الوجوب والندب أى موضوعة لكل على حدة . فإنها تكون مجازا فى استعمالها للاباحة وتحتاج الى قرينة لإفادتها .

وحتى عند القائلين بأن صيغة الأمر مشتركة فى إفادة الوجوب والندب والاباحة حقيقة ، والقائلين بأنها مشتركة فى إفادة ذلك وفى إفادة التهديد أيضا فإن استعمالها فى الاباحة وإن كان حقيقيا عندهم إلا أنه يحتـــاج الى قرينة باعتباره مشتركا . فيكون لا بد من القرينة فى استعمال الأمر للاباحة سواء قلنا إنه مجاز أو مشترك (١٠) .

ومن استعمالات الأمر فى الاباحة بالقرينة مجيئه بعد حظر سابق مثل قوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا »(١١) وذلك بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله تعالى « فاذا قضيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا » بعد قوله : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيـــع » .

٢ ـــ مفاد النهى بعد الوجوب ، ومفاد فسخ الوجوب : قال الســبكى والمحلى فى جمع الجـــوامع وشرحه : إن النهى بعد الوجوب للتحريم عند الجهور وقيل للكراهة وقيل للاباحة نظرا الى أن النهى عن الشىء بعد وجوبه يرفع طلبه فيثبت التخيير فيه .

وجاء فى تقرير الشربينى على جمع الجوامع : إن الوجوب لشىء إذا نسخ بقى الجواز بمعنى عدم الحرج فى الفعل والترك . وقيل تبقى الاباحة فقط كما قالوا بالنسبة لنسخ الوجوب فى آية « كتب عليــكم اذا حضر أحــدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » .

٣ ـــ ومن الأساليب غير الصريحة أيضـــا التعبير بالحل فإنه فيما نرى يفيد الاباحة إفادة غير صريحة فان معناه الصريح ما قابل الحرام وهو يشمل المباح والواجب والمندوب والمكروه فيصــلح للاستعمال فى واحد منها بقرينـــة فقول الله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات »(١٢) فإنها تدل على إباحة أكل المستلزمات التى لم يرد ما يحرمها .

٤ ـــ ومن الأساليب غير الصريحة نفى التحريم أو النهى عنه . ومن نفى التحريم قول الله تعالى : « قل من حرم زينة الله »(١٣) فان هذا وإن كان استفهاما صورة ولفظا فهو نفى حقيقة ومعنى . ومن النهى عن التحريم قوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم »(١٤) فإن الآية نزلت فى الرد على الذين كانوا يتعمقون فى العبادة ويبالغون فى ترك الطيباب .

٥ ـــ ومن أساليب الاباحة غير الصريحة الاستثناء من التحريم الصريح أو الضمنى فمن الأول قول الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حـــرم عليـــكم إلا ما اضطررتم إليه »(١٥) ومن الثانى قوله صلى الله عليه وســـلم فيما رواه الشيخان « لا يحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وقد يكون الاستثناء ضمنيا من التحريم الصريح ويفيد الاباحة كما فى قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم .. فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم »(١٦) فقد صرح القرطبى(١٧) باعتبار هذا الاســـلوب إباحة .

ب) ما يدل على الاباحة من غير لفظه :

فان ذلك يكون من الأمور الفعلية فيشمل السنة الفعلية فى بعض أنواعها والسنة التقريرية . فما كان من الأفعال الجبلية كالقيام والقعود والأكل والشرب ونحوه فلا نزاع فى كونه على الاباحة بالنسبة للنبى ولأمته ، وما كان من أفعال

النبى غير المختصة به مما لم يقع بيانا وظهر فيه معنى القربة يكون من قبيل الاباحة عند المالكية لأنه لا يجوز أن يكون صادرا منه على وجه يقتضى الاثم لعصمته صلى الله عليه وسلم فثبت أنه لا بد أن يكون مباحا أو مندوبا أو واجبا وهذه الاقسام مشتركة فى رفع الحرج عن الفعل . فأما رجحان الفعل فلم يثبت على وجوده دليل فثبت بهذا أنه لا حرج فى فعله كما أنه لا رجحان فى فعله فكان مباحا(١٨) .

أما ما لم يظهر فيه وجه قربة فقد نقل كل من الشوكانى والدبوس فيه خلافا وأن الرازى قال : الصحيح أنه مباح واختار ذلك الجوينى فى البرهان وهو الراجح عند الحنابلة .

وأما السنة التقريرية . فان ما سكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن قد سبق منه النهى عنه ولا عرف تحريمه فإن سكوته عنه يدل على إباحته ورفع الحرج عن فاعله إذ لو لم يكن جائزا لكان تقريره لفاعله على فعله حراما من النبى ومن هذا ما روى عن جابر رضى الله عنه من حديث العزل « كنا نعزل فى عهد رسول الله والقرآن ينزل فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا » فان الفقهاء أخذوا من عدم نهى النبى صلى الله عليه وسلم دليلا على إباحة العزل لمنع الحمل .

هذا بالنسبة لأساليب الاباحة ، أما الصلة بين لفظ الاباحة والتخيير : فقد سبق أن قلنا فى المقال السابق إن الاباحة عند الأصوليين تخيير من الشارع بين الفعل والترك مع استواء طرفى الفعل والترك فلا ثواب ولا عقاب على فعل واحد منهما ، أما التخيير فإنه تارة يكون تخييرا على سبيل الاباحة بين فعل المباح وتركه وكل من الفعل والترك يتصف بالاباحة ، وتارة يكون بين بعض الواجبات وبعض إلا أنها لا تكون واجبات على سبيل التعيين ، وهذا هو الواجب المخير كما فى خصال كفارة اليمين فى قوله تعالى : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة »(١٩) فإن فعل أى واحد منها يسقط المطالبة ، كما أن ترك كل واحد منها يقتضى الاثم .

وتارة يقع التخيير بين بعض المطلوبات على سبيل الندب كما فى التنفل قبل صلاة العصر فإن المكلف مخير بين أن يصلى ركعتين أو يصلى أربعا . على أن المندوب فى ذاته فى مرتبة من التخيير وإن كانت دون التخيير فى المباح إلا انها لا تخرج عن أنها تخيير ضرورة أنها لا ضرر فى ترك المندوب وإن كان يثاب على فعله بينما التخيير فى المباح لا ثواب فيه ولا عقاب ومن ذلك التخيير فى الأضحية بين الإبل والبقر والغنم إذا آثر الأضحية على الصدقة علىأن هناك ناحية تخيير بين الصدقة والأضحية(٢٠) . فالتخيير أعم من الاباحة . إذ قد يكون التخيير بين المباحات كما يكون بين الواجبات بعضها مع بعض وكذلك يكون بين المندوبات .

وأما الصلة بين الاباحة والحل . فقد عرفنا أن الاباحة بمعنى التخيير من الشارع بين الفعل والترك . أما الحل فإنه فى لسان الشرع وفى اصطلاح الفقهاء أعم من ذلك لأنه يطلق دائما على ما يقابل الحرام . فالحلال هو ما ليس ممنوعا منعا باتا يدل على ذلك وروده فى الكتاب والسنة مقابلا للحرام الذى هو خطاب الشارع بالكف عن الشىء على سبيل الجزم . واذا كان الحلال مقابلا للحرام وجب أن يشمل كل ما عداه فيدخل فيه المباح والمندوب والواجب بل والمكروه ولذا صرح الفقهاء فى مناسبات مختلفة بالحل مع الكراهة وفى هذا يقول العزيزى عند قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أبغض الحلال الى الله الطلاق »(٢١) ان الحلال هو الجائز الفعل والمراد غير الحرام فيشمل

المكروه . ومع هذا فمن الفقهاء من لم يعتبر الحلال شاملا للمكروه وقصر الحلال على ما يشمل الواجب والمندوب والمباح . وافرد للمكروه قسما يقابل كلا من الحلال والحرام ، ومنهم من جعله داخلا فى قسم الحرام على ما بيناه تفصيلا فى كتابنا (الاباحة عند الأصوليين والفقهاء) .

وأما الصلة بين لفظ الاباحة ولفظ الجواز . فاننا نجد الامام الغزالى يصرح بأن الجواز مرادف للاباحة . بينما يرى غيره أن الجائز أعم من المباح فالجائز ما سوى الحرام والمكروه وبذا يكون شاملا لكل من الواجب والمندوب والمباح ويكون على هذا مرادفا للفظ حلال بالاطلاق المشهور .

فالجائز يستعمل بمعنى المباح على ما هو مسلك الغزالى وبمعنى الحلال وهو المتداول كثيرا فى عبارات الفقهاء وبالنظر يبين أن لكلمة الجواز استعمالا ثالثا يجعلها مرادفة لكلمة صحة ومن هذا قولهم فى باب الطهارة « المياه التى يجوز التطهير بها سبعة مياه .. والمياه التى لا يجوز التطهير بها .. » .

وأما الصلة بين الاباحة والصحة .. فالواقع أن حقيقة الاباحة وماهيتها تباين حقيقة الصحة وماهيتها .. فان الاباحة كما هى التخيير بين الفعل والترك .. وأما الصحة فانها موافقة الفعل ذى الوجهين الشرع . والتخيير وصف من أوصاف الشارع . أما الصحة فهى وصف للفعل الذى يقع من المكلف . ولهذا يقال : إن الاباحة من الاحكام التكليفية ، أما الصحة فبعض الأصوليين يعتبرها حكما عقليا . والجمهور منهم يعتبرونها من الاحكام الشرعية الوضعية باعتبار أنها تعرف من جهة الشرع(٢٢) .

والى اللقاء فى المقال التالى حيث نتكلم عن أسباب الاباحة .

---

(١) سورة النور الآية ٦١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٣ والمقصود تعجيل التكبير فى أيام التشريق بالحج .

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ﻫ ٣ ص ١٠٠ .

(٦) التفسير الكبير ﻫ ٢٧ ص ١٨١ .

(٧) الاختيار شرح المختار ﻫ ٣ ص ٢٢٢ .

(٨) الاحكام فى أصول الاحكام ﻫ ٢ ص ٢٠٨ .

(٩) ص ٢٤٥/٢٣٧ والكتاب مطبوع سنة ١٩٦٧ بالقاهرة .

(١٠) راجع ابن الحاجب ﻫ ١ ص ٤٢٨ وارشاد الفحول ص ٨٨ .

(١١) سورة المائدة آية ٢ .

(١٢) سورة المائدة آية ٥ .

(١٣) سورة الاعراف آية ٣٢ .

(١٤) سورة المائدة آية ١٧ .

(١٥) سورة الانعام آية ١١٩ .

(١٦) سورة المائدة آية ٣ .

(١٧) الجامع لاحكام القرآن ﻫ ٢ ص ٢١٦ .

(١٨) انظر ارشاد الفحول للشوكانى ص ٣٤ .

(١٩) سورة المائدة الآية ٨٩ .

(٢٠) راجع المغنى لابن قدامة الحنبلى ﻫ ٨ ص ٨١٨/٨١٦ .

(٢١) فى كتابه السراج المنير الجامع الصغير ﻫ ١ ص ١٩ .

(٢٢) وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا مباحث الحكم عند الاصوليين .

آفة البحث العلمي

عند الغربيين وأشياعهم

للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي

«السبر والتقسيم» قاعدة يعتمدها علماء أصول الشريعة الإسلامية ، لدى استنباط علل الأحكام والتأكد من صحتها .

وهي تعنى استثارة جميع الاحتمالات ، وعرضها في تصنيف وتقسيم شاملين أمام الفكر ثم دراستها واحدة إثر اخرى ، للكشف عن العلة التى لا بد أن تكون كامنة فى واحدة منها .

والقيمة العلمية فى هذه القاعدة ، هى استقصاء الاحتمالات كلها ، واتخاذ ذلك أساسا للمقارنة والبحث فان أكثر ما قد يكون سببا لزلة الباحث العالم ، فى دراسة بحث ما ، إنما هو عدم انطلاقه من نظرة شاملة مستقصية للاحتمالات الواردة ومهما أوتى بعد ذلك طاقة فى التأمل والمقارنة والبحث ، فان هذه الطاقة قد لا تغنيه فى الوصول الى الحق اى غناء ، لأن مادة البحث نفسها لم تتكامل تحت نظره وبين يدى فكره .

واذا كانت هذه القاعدة من أهم منطلقات علماء الشريعة الإسلامية بصدد دخولهم فى اى بحث علمى ، فإنها لتعتبر جانبا مهملا ، بل مجهولا ، لدى أكثر الباحثين من علماء الغرب بصدد البحث فى اى حقيقة علمية مما لا يخضع لبرهان التجربة والمشاهدة ، كشئون التاريخ والتاريخ الطبيعي وقضايا النفس وأكثر مسائل العقيدة وما قد يتبعها .

فمهما توفر فى أبحاثهم — بعد ذلك — من مقومات الدقة فى الدرس ومظاهر المنهجية أو الموضوعية فى البحث ، فإن شيئا منه قد لا يغنيهم عن

كشف الحقيقة شيئا ، لما أوضحنا من أن ضرورة تجميع المادة العلمية وحصر الاحتمالات الواردة بشأنها ، ينبغى أن تكون الخطوة الأولى فى السير الى أى دراسة أو بحث .

السر فى ذلــك

ومن المعلـــــــوم أن استقصاء الاحتمالات كلها ، ووضعها جميعــــا تحت مجهر واحد من النظر والفحص ، هو المقصود بالموضوعية التى هى الأساس الأول لسلامة البحث العلمى، وضمان الوصول الى نتائج سليمــة صادقة من ورائه .

ومن المعروف أن « موضوعيـــة البحث » من أكثر الكلمات التى يحتفل بها الغربيون فى أبحاثهم ، ومن ثم فهى منسوبة إليهم وملتصقة بهم أكثر من أن تنسب إلى أى فئة أخرى . فلماذا لا تتبوأ هذه القاعدة عندهــــم مكانها اللائق ، وفيم تكون مهملة بل مجهولة عندهم ؟! .. وما السر فى هذا التناقض البين ، بين المباهـــاة بالموضوعية من جانب واهمــــال أهم مقومات هذه الموضوعية من جـــانب آخر ؟! ..

والجواب ، أن موضوعية البحث قد تبدو حقيقة ثابتة فى تلك الدراسات العلمية الأخرى المتعلقة بظواهــر الطبيعة مما يخضع لبرهان التجربــة والحس . وهى دراسات أبدع الفكر الغربى لها ، بحق لا مرية فيه ، منهجا من البحث الموضوعى الذى لا يشوبه أى خلل أو نقص .

أما تلك الدراسات الأخرى ، التى ألمحنا إلى أصناف منها ، فقد تخلفت الموضوعية عنها تخلفا كبيرا وخطيرا ، مما جعلها تصبح فريسة للرغبـــة والبواعث النفسية أكثر من أن تكون موضوع بحث علمى مجرد .

أكثر هذه الدراسات تنطلق عندهم من رغبة سابقة فى الوصول إلـــى نتائج معينة ، ولا تبدأ من نقطـــة الدراسة العامة للاحتمالات المطلقة .

ومن شأن الرغبة السابقـــة التى تتطلع الى نتيجة بخصوصها ، أو التى تتجافى عن نتيجة بخصوصها ، أن تفرض على صاحبها اماتة بعـض الاحتمالات سلفــــا ، وبالتالى فهى تفرض عليه طيها عن النظر والبحث مطلقا .

وقد يكون العامل فى إماتة بعض الاحتمالات ، أو اهمال النظر فيها ، جهلا بما قد يكون لهذا الاحتمال من أهمية أو قيمة ، ولكنه يكـــون ، فى أغلب الأحيان ، باعثا نفسيا يتمثل فى عصبية أو تقليد أو سلطان عـــرف أو بيئة ..

وليس بعجيب ولا مستهجن أن يتسلل باعث نفسى من هذا القبيل إلى مجال البحث والعلم خفيـــة عن صاحبه ودون أن يتنبه إلى تدخله فى التأثير والحكم . ذلك لأن من شأن النفس أن تخادع العقل وتغافله بين حين وآخر ، فتلبس الأمر عليه وتخلط أمامه الموازين بأشباهها ، ولـــكن العجيب والمستهجن حقا ، أن يتنبـــه الباحث من نفسه إلى هذه الظاهرة فيقرها ، ثم يتخذ منها منهجا لاكتشاف الحقائق وسبيل الاعتقاد بها ! ..

العجيب أن تظهـــر فى الغـــرب مدرسة تعلم الباحث لدى استقـــراء الاحتمالات المتعلقة بشرح حقيقة ما أن يستبعد منها سلفا مالا يرغب فيه،

والا يبقى منها تحت مجهر البحث والنظر إلا ما يتفق مع رغباته وينسجم مع أمانيه المتعلقة بتفسير تلك الحقيقة . فهى تعلمه مثلا بصدد البحث فى الأديان واكتشاف الدين الحق منها أن يستعرض الاحتمالات المتمثلة فى المسيحية أو اللاأدرية أو الإسلام ، فيسقط الاسلام منها سلفا ، لأنه احتمال غير مرغوب فيه ، فهو محكوم عليه اذا بالموت ! . . ثم يحصر بحثه فى الاحتمالين الباقيين والمقارنة بينهما (١) .

تحول الحقائق الواضحة الى الغاز مغلقة

ولا ريب أن تسيير منهج البحث فى حقيقة الشىء تحت سلطان الرغبة قد يورث النفس رضى وبهجة ويشعرها بتحقيق بعض أمانيها ، ولو فى نطاق الوهم والخيال ، وقد تكون من ورائه فائدة أهم فيما يبدو ، كحفظ ذاتية الأمة من أن تذوب فى كيانات أخرى . وكتوفير قوالب فكرية — ولو لم يكن لها مصداق فى الخارج — تحافظ على شخصيتها من أن تميع ثم تتعرض للتجسد فى قوالب أخرى .

غير أن هذا السبيل ، بالاضافة الى كونه لا يحقق إلا فوائد وهمية ، من شأنه أن يضحى بقيم جوهرية ذات تأثير بالغ وخطير فى حياة الانسان . فحسبه أنه يسدل فوق الحقائق الواضحة حجابا ، ويبعد المسافة بينها وبين كل محاولة لمزيد من العلم بها ، ويحيلها إلى الغاز وأحاجى غامضة بدون أى موجب أو سبب حقيقى مفيد ، فتغدو بذلك جميع النظريات المطروحة فى تفسيرها مظهرا للحيرة فى شأنها اكثر من أن تكون اقترابا اليها لحل مضمونها ! . . وطبيعى أن تتناسخ النظريات ، بسبب ذلك فى شأنها ، فى تطواف دائب ضمن حلقة مفرغة لا نهاية لها .

والنقاش فيها كلام فارغ

والذين يغيب عن بالهم هذا الواقع الخطير الذى نتحدث عنه ، يتوهمون أن النقاش فى مثل هذه النظريات والآراء القائمة على هذا المنهج ، قد يعود بأصحابها إلى سبيل الرشد والمنطق السليم ، فيبدؤون حياة ، بل عصرا ، من المناقشة والجدال اللذين لانهاية لهما ولا ثمرة من ورائهما .

وشىء طبيعى أن يظل الأمر كذلك لأن منطلق كل من الطرفين يختلف اختلافا جذريا عن الآخر . فلا مطمع للفروع التى تنبثق عن كل منهما إلا أن تسير فى خطين متباعدين عن بعضهما قدر ابتعاد المنطلقين على اقل تقدير .

وهكذا ، فإن الخوض فى مناقشة من يحلل لك الفتح الإسلامى مثلا على انه انتصار يسار على يمين ، أو تمرد على عوامل الانغلاق الاقتصادى فى الجزيرة العربية ، أو ثورة السيادة العربية على العنصر الأعجمى — خوض فيما لا طائل فيه من الكلام وانحصار ضمن دائرة مغلقة من الحديث . ذلك لأن صاحب هذا التحليل أمات منذ أول بحثه احتمال نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وصدقه فيما جاء يخبر عن ربه ، وطواه عن أى التفات اليه او نظر فيه، فمشى بذلك فى طريق مسدود ، ليجد أمامه أحد احتمالات ثلاثة لا رابع لها ،

ثم ليجد نفسه مضطرا إلى اختيار واحد منها . إذ مهما كانت هذه الاحتمالات بعيدة عن المنطق والبرهان التاريخى ، فلا مندوحة له عن أن يغمض العين ويقبل أى واحد منها إذا كان حريصا الا يعود من بحثه خالى الوفاض ! ..

المنطق الوهمى ! ..

ومهما كان خطأ مثل هذا المنهج بينا ، فإن صاحبه منطقى مع نفسه بالنظر لانحصاره ضمن ما فى هذا الطريق المسدود . لقد رأى أمامه هذه التفسيرات الثلاثة ولم ير غيرها ، إذا لا بد أن الحقيقة مخبوءة داخل واحد منها .

وهذا هو المنطق الوهمى الذى احال كثيرا من الظنون بل الأوهام المجردة الى احكام علمية ومسلمات قطعية ! .. إذ كان المصباح الذى من شأنه أن يكشف عن زيفها وبطلانها قد أبعد عن ساحة البحث كلها ، فغدت الساحة دينا لهذا الأوهام وحدها .

انه على كل حال منطق ، وان كان وهميا . وربما لبست الأوهام للعقول ثوب الحقيقة فانخدعت بها ، فكان لها من ذلك بعض العذر ! .

من صور هذا المنطق الوهمى

وما أكثر القضايا والأبحاث العلمية التى ذهبت فيها الحقائق ضحية هذا المنطق الوهمى ، فانمحت عنها معالم الحق ، وانحسرت من حولها مسالك البحث ، وسدت اليها منافذ النظر الحر ، حتى غدت ألغازا مغلقة تحوم من حولها صور الحيرة والاضطراب وتسمى افتئاتا وظلما سبل الدراية والبحث ! ..

من هذه القضايا تلك النظريات المضطربة المتناقضة عن قصة النشأة الإنسانية وتطورها فإنما هى « بدءا من آراء لامارك الى الداروينية القديمة الى ما تطورت اليه من الداروينية الحديثة » انعكاسات حيرة فى تفسير تاريخ النشأة الإنسانية واكتشاف أسرارها ! .. وما كان لهذا البحث أن يزج أصحابه فى أى حيرة لو انهم استعرضوا منذ أول الطريق الاحتمالات الواردة كلها ، دون أن ينبذوا أى واحد منها سلفا ! .. اذا لوجدوا قصة هذه النشأة مدونة من قبل خالق الانسان ومبدعه جل جلاله، واذا لاستراحوا وأراحوا ، ولأخضعوا الفكر والعقل لقول هذا المبدع جل جلاله : (ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) .

ولكنهم لما نبذوا من احتمالات الأمر ما لا رغبة لهم فيه ، فلم يقفوا عنده بأى تأمل أو نظر ، كان لا بد لهم أن يحصروا أنفسهم فى الحلقة التى انطبقت عليهم ، أو فى نهاية الطريق الذى سدوه على أنفسهم ، ووجدوا انفسهم يقولون : لا بد أن الإنسان تطور من كائن بسيط تحت سلطان القانون الطبيعى الذى يسطى أولوية البقاء للأصلح ويقضى على كل متخلف فى دروب الضعف أو الفساد ! .

قيل لهم : ولكن من الذى وضع مقياس الأصلح ؟ .. واين هذا القانون من الطبيعة التى تجفف مستنقعات شاسعة أو تحسر مياها غامرة فتنطفىء على أعقاب ذلك حياة ملايين من الأرواح كان من الممكن

ان تواصل سيرها فى نجاح الحياة مستظلة بحماية القوة والصلاح ؟ . بل أين هذا القانون من الدنيا العريضة التى يزدحم فيها جميــــع أشكـــال الموجودات بدءا من أصغر جزئيات الفاسد والضعيف إلى أرقى نمـــاذج الأقوى والأصلـــح دون أن ينسخ الصالح منها الفاسد عن الوجود ؟..

قالوا : فلنقرر اذا أنـــه تطـــور عشوائية وطفرة وليس تطور سمو وصلاح ! .. قيل لهم فهلا شدت الطفرة الإنسان ذات مرة الى الخلف بدلا من أن تنهض به دائمـــا الـــى الأعلى ؟ .. وهلا تجاوزت مرة واحدة خط النظام الدقيق الذى يسير وفـــق خط مرسوم الى تحقيق علة غائية وقد علم جميع العقلاء أن « العلـــة الغائية » تمثل أعقد عمليات التنظيم والتدبير ؟ .. وما لهذه الطفرة العجيبة فى تدبيرها أبدعت حياة الإنسان من هلاميات لا شأن لها ، ثم ظلت تنهض بها فى معارج السمو والتصعيد المادى والمعنوى الى أن أقامته عند عتبـــة الأسرار الكونية ، وأورثتـــه عـــلم استغلالها وتسخيرها ؟ !..

قالوا : فماذا نقـــول إذا ؟ .. إنـــه على كل حال خير تفسير يمكن أن يتسق مع الظواهر الطبيعية المرئية أمامنا ، وهو على ما فيه من نقـــاط ضعف وعوامل نقد ، أقرب الى الفكر العلمى من القول بأن الأرض أو السماء انشقت فجأة عن كائن معقد الصنـــع عجيب الطوية ، يهدد الأرض بقوته ويطمح الى القمر والنجوم بسلطانه !.

أجل .. إنه منطق ، ولكنه منطق وهمى ، ينسجم مع عقلية ذاك الذى وضع نفسه فى حلقة مقفلة أو حصر نفسه فى طريق مسدود . ومن ثم فهو صادق مع نفسه عندما يقول وهو فى محبسه ذاك : هذا كل ما أراه أمامى فهل للعقل من سبيل إلا أن يتخيـــر أقرب الحلول ؟! ..

ولكنه جهل عظيم وخداع خطيـــر أمام مقياس الانطلاق فى دنيا الحقيقة كلها ، بكافة احتمالاتهـــا الواردة ، دون تحكيم للرغبة ولا للبيئـــــة ولا للتقاليد ولا لسلطان المنفعة .

وصورة أخـــرى

واليك صورة أخرى لهذا المنطق .. ذلك الموضوع الذى تظل طائفة كبرى من الباحثين فى حيرة مستمرة من أمره الا وهو التحقيق فى هوية الشريعـــة الإسلامية .

لقد قلبت هذه الطائفة أمر الشريعة الإسلامية على كل وجه يمـــكن أن يعطى دلالة على حقيقتها وأصلها ، إلا وجها واحدا لم تشأ أن تجعلــــــه موضوع بحث مطلقا ، وذلك هو وجه كونها وحيا من الله تعالى بواسطة جبريل الى نبيه محمد عليه الصــــلاة والسلام .

وهكذا ، فقد تكونت حول هـــذه الطائفة من الأوجه والاحتمالات الباقية حلقة مفرغة مقفلة ، وكان لا بد لها أن تنبش عن الحقيقة التى تعود اليها هويـــة هذا التشريع ضمـــن هـــذه الحلقة فقط .

فما هى تلك الاحتمالات الباقية ؟ .. إنها احتمال أن تكون الشريعـــة الإسلامية طبعة جديدة معدلـــة عن التشريعات اليهودية ، واحتمـــال أن تكون مقتبسة من التشريع الرومانى بعامل احتكاك الجزيرة العربية بمـــا

حولها من المستعمرات الرومانيــة ، واحتمال أن تكون انعكاسا لحضــارة سبأ او شريعة حمورابى .

واذا كان الاحتمال الأول مردودا بفصول مبسوطة من البحوث العلمية المعروفة ، فليؤخذ بالاحتمال الثانى إذا .. اما إذا كشفت البحــوث التاريخية الثابتة عن انه لا مجال للقول بأن الشريعة الاسلامية مقتبسة عــن شريعة الرومان ، فلا مناص عندئذ من القول بالاحتمال الثالث . ومهما كانت هذه الاحتمالات مدفوعة بسلطان المنطق والعلم ، فإنه أولى فى ميزان العلم والعقل من القول بأن هــذه الشريعة المتكاملة الوافية التى تعكس آثار حضارة باسقة ، قد ظهرت فى بادية قاحلة ، والفتها ادمغة البادية والصحراء ، مع ما هو ثابت من أن فاقد الشىء لا يعطيه . (٢) .

اجل .. إن هذا أيضا منطق ! .. ولكنه منطق من قد سجن نفسه فــى غرفة ليس فيها من الطعام الا كسرة خبز يابسة ، الى جانب بقيــة إدام فاسد بشيع ، الى جانب ماء آسن مستقذر ، ومن وراء باب الغرفة كل ما تهفو اليه النفس مــن الطيبات ! .. لاجرم انه ــ وقد أحكم سد الباب على نفسه ــ منطقى مع تفكيره عندما يخير نفسه بين الكسرة اليابسةوالإدام البشيع ، ثم يبرهن لها بما يبصرهــا من أرض الغرفة وجهاتها الخاليــة الأربع ، على انه ليس ثمة ما يصلح ان يؤكل إلا هذا وذاك ! ..

اما الاسلام فقد ربى العقول عــلى التنزه عن هــذا

ويظل من هــذا المنطق الــوهمى تحتضن أكثر القضايا العلمية والفكرية عند الغــــرب وأشياعهم وعبيدهم من الشرق .

أما الاسلام ، فهــو بحق ، المربى العظيم الذى ينشىء عقول المسلمين على التنزه عن هذه اللعبة التى لا تليق بقداسة العقل الإنسانى وحريتــه .

والرغبة ، والمنفعة ، والتقاليد ، والبيئة ــ كل ذلك يأتى ، فيما يقضى به الإسلام ، من وراء السلطان المطلق للعقل .. العقل الصافى عن لقــاح المؤثرات أيا كانت ومن أى جهــة وفدت ..

وحرية العقل ــ فيما يقضى بــه الإسلام ــ أمانة مقدسة استودعها الإنسان . وأى تضييق فى مجالــه الطبيعى ، أو انتقاص من سبلــه ونوافذه ، خيانة كبرى يلقى عليهــا صاحبها العقاب الرهيب من اللــه يوم القيامة .

وحرية العقل لا تعرف ــ فيمــا يقضى به الإسلام ــ شيئا اسمــه « وجهات النظر » ! .. اذ أن وجهات النظر هــذه ليست الا نوافذ فــى سجون يرى العقل الإنسانى فى كــل منها ــ اذ يكون سجينا ــ جانبا من جوانب الحقيقة الواحدة ؛ حيث تتحطم الحقيقة جذاذا بين نوافــذ هــذه السجون المختلفة .

وصدق الله اذ يعبر ببيانه المعجز عن هذا كله بقوله :

« ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

---

(١) انظر « العقل والدين » لوليم جيمس ص : ٤ و ٥ ..

(٢) ألقى صاحب هذا المقــال محاضرة فى رابطة الحقوقيين بدمشق عنوانها « ذاتيــة التشريع الاسلامى فى رسالة محمد عليه الصلاةوالسلام » لعلها أن تهيأ قريبا للنشر .

ذكرى ميلاد

متى وكيف

للأستاذ أحمد محمد جمال

فى أوائل هذا الشهر الأنور ربيع الأول ، ما بين اليوم التاسع منه واليوم الثانى عشر ـــ على اختلاف الرواية ـــ ولد محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .. (محمد) الذى جاء استجابة لدعوة أبيه ابراهيم (١) وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى (٢) وتصديقا لرؤيا أمه آمنة حين رأت وهى حاملة به أن نورا خرج منها اضاءت له قصور الشام .

وقد أعتاد المسلمون ـــ هيئات واذاعات وصحافات ـــ أن يتحفوا بذكرى هذا الميلاد الشريف ، حيث تلقى الخطب ، وتنشر المقالات ، وتنشر القصائد .. التى تمجد (محمدا) وتروى سيرته ، وتصور بطولته ، وتذكر برسالته الفذة التى بعثه الله بها الى الناس كافة ، لانقاذهم مما ركبهم من جهالة ، وما ركبوه من ضلال ..

وحق للمسلمين : ان يبتهجوا لذكرى مولد النبى الحبيب صلى الله عليه وسلم وبارك ، وان ينشطوا قلوبا وعقولا لإحياء ذكرياته الجلائل ، وحق (أحمد) نفسه أن يحظى بهذا الاهتمام والتحفى من أمته التى جـــاء صلى الله عليه وسلم وبارك ـــ حريصا على هداها ، رحيما فى سياستها ، حكيما فى قيادتها ، عادلا فى قضائها ، بانيا لأمجادها ، مرتفعا بها فى مدارج الخير والكمال ، ومعارج الحق والجلال .

ونحن ـــ هنا فى مكة المكرمة ، مسقط رأس محمد ، وفى مهبط الوحى الالهى عليه ، ومنزل رسالة الاسلام اليه ـــ احق الناس بذكره ، وأولاهم بالتذكير به .. صلى الله وسلم وبارك عليه .

الرسول

تنفع المؤمنين ؟

ان (محمدا) بعث من العرب اليهم والى الناس كافة ، وولد فى ارضهم ، ودرج عليها ، وسعى فى شعابها نذيرا وبشيرا ، ثم أذاع واصحابه واتباعه من بعده : برسالته هدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

● هل أردد ما يقوله غيرى : إن الحضارة الإسلامية التى أنشاها محمد بن عبد الله هى أسلم الحضارات الانسانية وأكرمها وأقومها وأحكمها: تشريعا وتعليما وتربية واجتماعا وسياسة ؟

● أم أقول إن (الاسلام) الذى جاء به محمد بن عبد الله قد ازداد بتقدم العلوم البشرية واكتشافاتها ، وتأملات علماء العصر وتفكيراتهم ظهورا وبيانا على أنه الدين الحق : عقيدة وشريعة وخلقا — وفاء بالموعدة القرآنية: (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ..) (٣) ؟

لا أريد ان اقول هذا ولا ذاك ؟ فهو جملة وتفصيلا كلام معروف : وتاريخ مقرر ، وحقيقة لا تحتاج الى دليل .. لأن أعداء الاسلام أنفسهم شهدوا بها ..



وإنما اريد أن أقول شيئا آخر .. فى ذكرى ميلاد محمد عليه الصلاة والسلام . أريد أن أقول : إننا نحن المسلمين نفتأ نذكر (محمدا) كثيرا ، كثيرا جدا ، نذكره فى صلواتنا الخمس ونوافلها ، ونذكره بعدها مع التسبيح

بحمد الله وتكبيره ، ويذكره فريق منا باوراد خاصة محددة بايام الأسبوع ، ونذكره أيضا كلما اذن المؤذن ، وكلما أقيمت الصلاة (٤) .

ولكنا مع هذا الذكر الدائم المكرر له صلى الله عليه وسلم وبارك — لا نتجاوز النطق به بأفواهنا عندما نشهد برسالته ، أو نصلى ونسلم عليه . وهى (صلاة) مطلوبة ومندوبة ، وراغم أنف امرىء ذكر محمد عنده فلم يصل عليه — كما جاء فى حديث نبوى — والقرآن قبل ذلك يقول : (إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٥) ..

غير أنا مطالبون وملزمون : أن نذكر (محمدا) ذكرا عمليا ، ذكرا خلقيا ، ذكرا سلوكيا :

- ((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ..))
- ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) .
- ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسـول وأولى الأمر منـكم ..))
- ((وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا)) .
- ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)) .

علينا — إذن — حين يرد اسـمه الكريم فى أذان المؤذن ، وفى اقامة الصلاة وتحياتها وبعد قضائها ، وعندما يذكره واعظ أو محدث أو كاتب — علينا ان نصلى عليه صلاة من قلوبنا ، لا بألسنتنا وحدها .. صلاة بعقولنا لا بوجداننا فقط .. صلاة نتذكر بها سيرة معلمنا الأول ، وقائدنا الافضل ، ورائدنا الأمثل .. صلاة نتدبر بها ما نحن فيه خلافا لما يجب ان نكون عليه كاتباع لهذا النبى الـكريم : من (قوة) أمرنا بإعدادها(٦) و (عزة) وصفنا بها(٧) .

وعن (خلق) محمد الذى يطالبنا القرآن أن نتخذه أسوة حسنـة — كما أسلفنا — يقول القرآن :

— ((وإنك لعلى خلق عظيم)) .

— ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)) .

— ((فبما رحمـة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظـا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر)) .

— ((محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الـكفار رحماء بينهم)) .

هذا غيض من فيض مما يذكره القرآن عن (محمد) صلى الله عليه وسلم ، وعما جاء به من هدى ونور . ولو ذهبت أجمع ما يذكره القرآن عنه فى موضوع الحكم ، وموضوع المعاملة ، والأسرة لأبصرتم عجبا ، ولانتشيتم طربا من القرآن الذى هو خلق محمد ، أو من خلق محمد الذى هو القرآن(٨) ولكن الحديث — لو فعلت — يطول ، والمقام لا يتسع ، فحسبنا هذا التذكير الوجيز ..

حسبنا أن نذكر أن (محمدا) بعث رحمة للعالمين ، وكان هو فى نفسه وأهله وأمته رحيما رؤوفا ، يعفو ويستغفر ، ولا يستبد دون أمته برأى منفرد الا أن يكون وحيا من ربه العليم الحكيم .

● وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ حريصا على أمته أن تهتدى وترشد عزيزا عليه أن تجهل أو تضل ، أو تتفرق شيعا وأحزابا .

● وكان سراجا منيرا بأخلاقه ومعاملاته ومحادثاته ، لا ظلم ولا ظلام في ما يقول وما يفعل .

● وكانت أمته التى عايشته وصاحبته : متراحمة فيما بينها ،اقتداء بقائدها الراشد ومعلمها الأمين ، كما كانت شديدة على أعداء دينهـا الذين يدسون له ويكيدون .

وكأثر أو ثمر للذكرى والتذكر : يجب علينا اقتداء بالنبى الكريم وأصحابه : أن نكون رحماء فيما بيننا ، أشداء على عدونا ، معدين للقوة التى أمرنا بها ، طالبين للعزة التى أسبغت علينا .



والقران الكريم الذى هو خلق (محمد) صلى الله عليه وسلم يجعل الذكرى واجبا ، ويصفها بأنها « تنفع المؤمنين » ، ويحثنا نحن أتباع هذا النبى العظيم على التذكر الدائم لأحداث الماضى ، وأخبار الغابرين . ذلك بأن لكل حدث فردى أو جماعى ، سار أو ضار : ذكرى نافعة أو رادعـة .. تحفز وتوقظ وتنهض .. إن كانت شرا فإلى الخير ، وإن كانت خيرا فإلى المزيد منه ..

وذكريات القرآن الكريم من قصص وأخبار وعبر : دليل على تحفى الاسلام (بواجب الذكرى) وحثه المسلمين على الاتعاظ بها ، والانتفـاع منها . وحسبنا حجة بالغة واحدة فى هذا المقام هذه الآية القرآنية :

● « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »(٩) .

وحسبنا أيضا استدلالا على وجوب (الذكرى) أن ننظر فى لفظتى « اذكر واذكروا » الواردتين فى القرآن كثيرا ، وما جاء بعدهما من قصص وأحداث وأخبار عن السابقين .. ساقها القرآن لتكون بواعث عبـر ، وحوافز هِمَم ، ومصادر عزمات للمسلمين .

وحسبنا كذلك أن نقدر ــ كما قدر المفسرون قبلنا ــ كلمتى « اذكر واذكروا » قبل لفظة (إذ) الواردة فى القرآن مرات أكثر وأكثر .. فهى تاريخ مديد مفيد ، لأجيال وأمم ، وحسنات وسـيئات ، ونعم ونقم ، وحضارات وجاهليات ..

لقد جاء ــ فى القرآن ــ من ذكريات نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ..

● « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك أو يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

● « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلـكم تشكرون » .

● « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

● « وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » ..

وجاء فى القرآن من ذكريات موسى عليه السلام وقومه بنى اسرائيل :

— « وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » .

— « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » .

— « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد » .

— « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » .

وجاء فى القرآن أيضا من ذكريات عيسى عليه السلام وقومه النصارى هذه الآيات :

— « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا » .

— « وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون » ..

— « إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله أن كنتم مؤمنين » .

وجاء فيه من ذكريات الأنبياء والأقوام الآخرين هذه الآيات :

— « إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس » ..

— « وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » .

— « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار » .



هذه أمثلة قليلة من ذكريات القرآن الكريم عن قصص الانبياء السابقين وأممهم ، وما تركوا من عبر وعظات تنفع أو تردع . وهى دليل مبين على أن (الذكرى) واجبة لأنها « تنفع المؤمنين » .

ونعود لذكرى « الميلاد النبوى » وصاحبها الحبيب صلى الله عليه وسلم ، فنجد القرآن يصفه عليه الصلاة والسلام بانه (ذكر) فى قوله تبارك وتعالى : « فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا : رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور .. » (١٠) .

واذا كان الرسول ذكرا ، والقرآن ايضا هو ذكر (١١) اذن (فالذكرى) واجبة ، واحياء الذكريات الاسلامية لزام على المسلمين ، ولكن بشرط الاعتدال والبعد عن الابتداع ، وعن المهازل والمظاهر الجوفاء ، وعـن الزبد الذى يذهب جفاء .

ولنتامل ما وصفت به الآيتان السالفتان (محمدا) صلى الله عليـه وسلم من أنه (ذكر) وأنه (رسول) وأنه (يتلو عليكم آيات الله مبينات) لماذا ؟ (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الـى النور) !

فالإخراج من الظلمات الى النور — ايجاز بليغ من إعجـازات القرآن الفذة ، يطوى تحته معانى شتى تتوافق فى الأصل ، وتختلف فى الفروع ..

● إنها ظلمات كثيرة ، ونور واحد ..

ظلمات الجاهلية الجهلاء ، والحمية العمياء ، والعقائد الفاسدة ، والعادات الجافية ، والمظالم الفردية والجماعية ، والتفرق والأحزاب والعصبيات .. وتلك هى حياتنا قبل الاسلام .

ثم جاءنا « من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام .. » (١٢) من توحيد الخالق . واتحاد الخلق والعدالـــة فـى الحكم ، والجهاد بالنفس والمال فى سبيل الحق ، واحسان المعاملة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتـآخى والتراحم بين الأقربين والأبعدين على سواء ..

● وصدق الله العظيم : « ان الدين عند الله الاسلام » .

● « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

---

(١) سورة البقرة /١٢٩ : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم . »

(٢) سورة الصف/٦ : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

(٣) سورة فصلت /٥٣ ..

(٤) حيث امرنا أن ندعو له : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته » .

(٥) سورة الأحزاب/٥٦ .

(٦) سورة الانفال /٦٠ « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. »

(٧) سورة المنافقون /٨ « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. »

(٨) فى حديث صحيح عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبى فقالت : « كان خلقه القـرآن .. »

(٩) سورة يوسف /١١١ ..

(١٠) سورة الطلاق /١٠ و ١١

(١١) سورة الزخرف /٤٤ : (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون » .

(١٢) سورة المائدة /١٥ و ١٦ ..



للاستاذ محمد المجـذوب

١ ـ لو حشدت امام انظار المفكرين اوضاع البشر ، وما صارت إليه من الحيرة والضياع والظلم ، أثناء القرن السابع الميلادى ، ثم عُهد لكل من هـؤلاء بوصفها لما بلغوا من الدقة والتركيز بعض ما احتواه قول الله تعالى فى هـذا الشأن : (ظهر الفسادُ فى البرِ والبحر بما كَسَبتْ أيدى الناس ، ليذيقَهم بعض الذين عملوا ، لعلهم يرجعون (سورة الروم آية ٤١) .

وحين يرجع العاقل البصَر فى مضامين سورة الروم ، وما أحيطت به هذه الآية هناك من العبر والأحداث والتوجيهات الإلهية ، يزداد وعيا لهذه الحقيقة الكبيرة ، إذ يرى نفسه تلقاء تنظيم كامل يتناول الحياة كلها ، ويشد النظر المؤمن الى سنن الله فى الكون وفى الأمم ، فيشهد عاقبة كل من المستقيمين على هدى الله ، والزائغين عن سبيله ، فيعلم أن الاستقرار والأمن لن يتوفرا إلا بالتزام (الدين القيم) القائم على التراحم والتناصر فى الحق ، وان كل انحراف عن هذا الصراط مؤد بأهله الى الشقاء الجارف ، والضياع المبين ، لأن (من كفر فعليه

كفره ومن عَمِل صالحا فلأنفسهم يمهدون) سورة الروم آية ٤٤ .
وفى استعمال لفظ (الفســـاد) لتصوير الأوضاع الانسانية على مستوى الكرة الأرضـــية كلها ، ساكنو الجبـــال والأودية والجـــزر ، تركيز شامل لكل ضروب الانهيار التى تعترى حياة الانسان ، فردا أو جماعة . فالفساد يقـــابل الصلاح ، وإذا كان صلاح الحياة يمثل انتظـــام روابطها الفطرية على أتم وجه من الانسجام ، فالفساد ليس سوى الإخلال التام بكل ما هو صالح ومصلح لواقع هذا الانسان .. والكون والفساد عنـــد قدماء الفلاســـفة يراد بهما تآلف العناصر الذى به يستمر وجود الشيء ، ثم انحلال هـــذه العناصر وما يتبعه من اختلال يفقدها خواصها الأساسية . وهو مدلول يلتقى مع التركيز القرآنى الى حـــد بعيـــد .
أما هذا الفساد العام فهو حصيلة التصرف الأخرق الذى عامل به الانسان السنن الكونية .. فكان لا مندوحة له من الاحتراق بنار هو الذى أوقدها على نفسه . ولكن جائحة الفساد هذه ليست نهائية ، فهى على كبر خطرها وشموله ، قابلة للتقلص فالتلاشى ، اذا أحسن ذلك الجانى تدارك موقفه من النظام الكونى ، فرجع الى المنطلق الصـــحيح ، كمثل الذى ينشب ملقطى المدّخرة فى عكس موضعهما ، فيجعل السالب مكان الموجب ، والموجب مكان السالب . فاذا فاجأه الخللاسر ع الى تلافيه برد كل من الملقطين الى موضعه المصمَّم .. وبذلك تنتظم الدورة الكهربائية ويزول الضرر المنتظر .
أجل .. هكذا تماما كان وضع الانسان يوم ميلاد خاتم النبيين ، اذ (كانت الشعوب قطعانا من الغنم ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج ، والحكام كسيف فى يد سكران ، يضرب به نفسه ومن حوله دون تفكير بالعواقب) وكـــل محاولة تقدم بها الفلاسفة لاصلاح هـــذا الخلل لم تزده إلا كثافة وعمقا ، لأنها بأسرها إنما انبثقت من نظريات ظنية ، لا تستند الى أساس صحيح من طبيعـــة الكون . ولا عجب فالفيلسوف بالغا ما بلغت ملاحظاته من الدقة ، عاجز عن الاحاطة التامة بجزئيات النظام الطبيعي وعلاقة بعضه ببعض ، وموقع هـــذا النظام فى بيئاته وأزمنته المختلفة ، فاذا عمد الى علاج ما يواجهه من الفســـاد قصر عن إدراك ما لا يواجهه ، فجاءت محاولته عارية من كل أثر للاصلاح الحق ، لانطلاقها من نقطة الخطأ .. وهو فى ذلك أشبه بالطبيب المغفـــل الذى يريد معالجة العضو المريض فى معزل عن جسمه فيكون دواؤه المحلى مثيرا لمضاعفات لا يتوقعها فى سائر الأعضاء .. ثم تتكرر التجـــربة فتتباين النظريات وتتعـــدد المحاولات ، وتكون حصيلة كل ذلك مزيدا من الشقاء لهذا الانسان ، الذى ضلّ طريقه القويم ، فنسى عهده مع الله ، يوم آذنه بأن لا استقرار له ولا أمن إلا باتباع هداه ، الذى يرسل به اليه أنبياءه كلما عمى الطريق ، وحار الرفيق ..
٢ ــ ومن الأسرار المركوزة فى فطرة هذا الانسان أنْ لا يزالَ فى بعض أفراده خاصية التفاعل مع الحقيقة ، والتفطن اليها مهما بعد عنها السواد الأعظم من جنسه . فما أن يتاح لهم أن يوجهوا أذهانهم الى بعض جوانب الواقع المحتل حتى يشعروا بانتفاضة الفطرة تشـــدهم الى التأمل ، وتطلق السنتهم بأشتات التساؤل !.. ولو نحن رحنا نتقصى هذه الظاهرة العليا فى طوايا التاريخ لرأيناها بارزة فى كل زاوية وكل مرحلة وكل منعطف ، مستمرة على مدى الأزمان .
وقد ضرب لنا القرآن العظيم الأمثلة العملية لهذه الظاهرة فى الكثير من سوره ، ولعلّ من أبرزها مثلا فى سورة الكهف أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى .. وكانت خلاصة قصتهم أنهم استشعروا نفور الفطرة من ضلالات

قومهم فتصارحوا بها ، وتعاهدوا على هجرها .. ولقوا فى سبيل ذلك أشد العنت ، حتى جُردوا من منازلهم الاجتماعية ، وآثروا عليها الحرمان فى طاعة الله ، إذ لجئوا الى الكهف ، فنشر لهم ربهم من رحمته ، وجعلهم واحدة من آياته .

ولن يقل عن أهل الكهف أهمية حنفاء مكة والمدينة قبيل فجر البعثة النبوية .. فقد كان هؤلاء مثلا حيا على تمرد الضمير العربى الأصيل على سفاهة الوثنية ، التى أبتليت بها جزيرة العرب على يد الضال الأول عمرو بن لُحَىّ ، الذى كان أول من أشاع فيها عبادة الأوثان ، بنقله أصنام الرومان الى البيت الحرام ..

ويحدثنا مؤرخو السيرة النبوية عن طائفة من هؤلاء النبهاء ، ويسمون منهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وعثمان بن الحارث — أو الحويرث — وعبد الله بن جحش ، وأميمة بنت عبد المطلب ، على نحو ما حدّث به الرواة عن الملابسات التى أحاطت بفتية الكهف ، إذ يقولون بأن هؤلاء الحنفاء قد تلاقوا ذات يوم فى مناسبة وثنية ، فوجد كل منهم فرصة للافضاء بما يخالجه من إنكار لهذه الضلالات .. ثم اتفقوا على أن ينطلقوا فى الأرض باحثين عن الأصول التى فقدها قومهم من دين أبيهم ابراهيم . ويروى الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) هذا الخبر عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق : وبعد أن يشير الى مصاير بعضهم يقول : ولم يكن فيهم أعدل شأنا من زيد .

أما زيد هذا فهو ابن عمرو بن نفيل العدوى ، والد سعيد بن زيد أحد المبشرين بالجنة ، وابن عم عمر بن الخطاب . والظاهر من سيرته أنه كان من ذوى الأحلام والرحمة واليسار ، وبهذه الصفات المميزة اهتدى الى القطع بفساد الوثنية ، فأعرض عن سبيلهم ، وحرم على نفسه الأكل من ذبائحهم التى يسمون عليها غير الله .

وبلغ من أريحيته للخير والنقمة من شذوذ الجاهلية أنه كان يستنقذ الموؤودات ، فاذا رأى الجاهلى يريد قتل بنت له قال له : مَهْ .. لا تقتلها . أنا أكفيك مئونتها ، ويأخذها فيربيها على الوجه الذى يرضى فاضلا مثله ، حتى اذا وافت سن الزواج عرضها على أبيها ، فاما أن يزوجها أو يدعها له فيختار لها الكفء .

وكان زيد حاد المزاج ، كما يتراءى من سلوكه ، فهو اذا أنكر أمرا لم يستطع كتمانه بل أعلن موقفه منه ، وهذا الضرب من الناس لا مندوحة له عن احتمال الأذى فى سبيل أفكاره التى يؤمن بصلاحها .

لقد اعتزل زيد الأوثان ، وأبى أن يشارك فى تكريمها ، ولكنه لم يكتف بذلك فراح ينعى على قومه زيغهم وضلالاتهم ، فاذا رآهم يذبحون للنصُب أخذه الغضب وجعل يوبخهم بمثل قوله : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله !..

ويهزأ من ادعائهم ملة إبراهيم ، فيخطبهم ، وهو مسند ظهره الى الكعبة ، قائلا : يا معشر قريش .. والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيرى ..!

وشد ما يثيره مشهد البيوت المنصوبة للدعارة ، وقد زُجت فيها إماء السادة مكرهات على تعاطى البغاء ، ليجلبن المال الى هؤلاء الكبراء ، فلا يتمالك أن يهتف بالسفهاء من رواد تلك البيوت : يا معشر قريش .. إياكم والزنا فانه يورث الفقر ..

وطبيعى أن صراحة كهذه ، وان كانت مقبولة عند عامة الناس من قطان

مكة ونزلائها ، ليس من شأنها أن تقع موقع الرضى فى نفوس العلية من صناديد قريش ، الذين يرون مصلحتهم فى استمرار كل ما الفه الناس ومن هنا كان رد الفعل بوجه زيد مساويا لشدته بل اشــد ، وقد نهض بكبر ذلك عمه واخوه من امه (١) الخطاب بن نفيل ، الذى تواطأ مع صفية بنت الحضرمى زوج زيد على زيد ، إذ قال لها : اذا رأيته قد هم بأمر فآذنينى به . فكانت تراقب تحــركاته وتتابع اتصالاته مع الذين يحاول استجلابهم الى طريقته ، فيؤسفه ذلك ، ولكنه لا يزيد على أن يعاتبها وينذرها بالفراق فى مثل قوله :

لا تحبســينى فى الهـــوا ... ن صفىّ .. مادا بى ودابــه !
انى ــ اذا خفت الهـــوا ... ن ــ مشيّع ذلّل ركـــابه
.. واخى ابن أمى ثم عمى(١) ... لا يــواتينى خطـــابه
واذا يعــاتبنى بســـو ... ء قلت أعيـــانى جـــوابه
ولو ان اشـــاء لقلت مـــا ... عنـــدى مفاتحـــه وبابه

وفى ابياته هذه خطوط واضحة لنفسية زيد وخلقه الرفيع ، فهو عضىّ على السوء ، لا يستطيع المقام فى دار هوان .. وهو شديد الألم من تصرفات عمه ، ولكنه يتحمل اذاه صابرا ، لا عجزا عن مجابهته بمثل كلامه ، ولكن ترفعا عــن مقابلة الإساءة من أولى الأرحام بمثلها ..

٣ ــ ويشتد تضييق الخطاب على زيد حتى يضطره للنزوح الى حراء ، ولم يدعه هناك لنفسه بل وكل به شبابا سفهاء ، وكلفهم أن يشددوا الرقابة عليــه ، فلا يدعوا له سبيلا الى مكة ، خشية أن تشيع أفكاره المثيرة بين زوارها وقطانها ، فلا يملك الا أن يشكو بثه الى ربه ، فيستعديه عمل من يستحل حرمة بيته بايقاع الأذى على عمار حرمه :

لا همّ إنى محـــرم لا حـــله
وإن بيتى وســـط المحــلّه
عند الصفاليس بذى مضــله

وهكذا حيـــل بين زيد وبيت الله ، فـــلا يتـــاح له الإلمـــام به إلا سرا ، على حين غفلة من رقبائه ، فاذا علموا بانسلاله لاحقوه وآذنوا به الخطاب ، الذى لا يلبث أن يصب عليه من قسوته التى اشتهر بها .

وكان ذلك حافزا لزيد على الضرب فى الارض ، فمضى على وجهه حتى أتى الشام ، وجاب كل مظنـــة للعلم فيها ، فاتصل بأحبار اليهود ورهبان النصارى ، يسألهم عما يفقده من الدين الحق .. فلم يظفر بما يشفى صدره ، حتى جمعــه القدر براهب شامى على سعة من العــلم والحكمة فقـــال له : أراك تريد دين إبراهيم يا أخا مكة !.. انك تطلب دينا ما يوجد اليوم ، فالحـــق ببلدك فان الله يبعث من قومك من يأتى بدين إبراهيم بالحنيفية ، وهو اكرم الخلق على الله .. وهناك أدرك الا دين إلا ملة ابراهيم ، وأن لا سبيل اليها عند أحد من اهل الأرض ، إلا أن يبعث الله بها نبيا جديدا يرد الناس الى طريقها الصحيح . ويروى البخارى عن طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أن زيدا قال يومئذ ورفع يديه : اللهم إنى اشهدك انى على دين إبراهيم .

وانقلب زيد من الشام يريد مكة رجاء أن يدرك فيها النبى الموعود .. ولكن ما كاد يتوسط ديار لخم حتى عدا عليه أسرار منهم فقتلــوه ، ويتفق اكثر الرواة كصاحبى الأغانى والاصـــابة والذهبى فى سيره ، على أن مقتله كان فى مكان اسمه (مبقعة) أو (ميفعة) من البلقـــاء بأرض الشـــام .. وذلك قبيل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

٤ — وقد ترك لنا زيد بن عمرو بن نفيل هذا مقطعات من الشـــعر جديرة بالدراسة ، لا لانه يتفوق بها على شعراء عهده ، ولا انها تؤهله للانتظـــام فى عدادهم ، بل لما تنطوى عليه من ومضات وجدانية ، ترسم للدارس خطا واضحا من التطلع الروحى الحار الى ما وراء ذلك الواقع الجاهلى القلق ..

فى السيرة المنسوبة لابن هشام عدة مقطعات معزوة لزيد ، واطولها ممـــا لم يشك فى صحته تلك الرائية التى يصف بها موقفه من دين قومه ، وما يعانيه من سفهائهم ، وفيها يقول :

أربـــا واحـــــدا أم الف رب   ادين اذا تقسمت الامـــــور !
.. عزلت اللات والعزى جميعا   كذلك يفعل الجـــلد الصـــبور

انه يستثير ضمائر الغافلين للتفكير فى واقعهم المقلوب .. فالانسان أحوج ما يكون الى الإيمان حين تضطرب به السُبل ، وتفاجئه الاحداث ، فالى من تراه يلجأ ، وبمن يلوذ اذا كان يقينه موزعا بين مختلف الالهة ؟!. وكفى بهذه التناقضات حجة على المشركين الذين اسلموا ازمة نفوسهم للاشتات من المعبودات .. فلا عجب أن ينتهى من هذا الالزام الفطرى الى هجر هاتيك الترهات ، التى يطلقون عليها اسماء اللات والعزى وهبل ، وما اليها من اوهام ترفضها الأحـــلام .. ثم لا يجد راحة لقلبه إلا بعبادة الله الأحد الذى لا شريك له ولا ولد :

ولكن أعبـــــد الرحمـــن ربى   ليغفـــر ذنبى الرب الغفـــور

ولعل من أروع ما أثر عنه ، واتفق الرواة على صحة نسبه اليه ، قوله الآخـــر :

واسلمت وجهى لمن اســــــلمت   له الأرض تحمل صخرا ثقـــالا
دحاها ، فلما رآهـــا استوت   على المـــاء أرسى عليها الجبالا
واســـلمت وجهى لمن اسلمت   له المزن تحمـــل عـــذبا زُلالا
اذا هى ســـيقت الى بلـــــدة   اطـــاعت فصبت عليها سجالا

ففى هذه الأبيات تأملات حية حارة ، تنبىء عن تجربة روحية وذهنية بعيدة الغور ، لا تتاح إلا فى الجلوات النادرة ، وللنفوس النقية الشفيفة ، التى تدرك بالنظرة الفطرية من أسرار الكون ما يلهث دونه كبار الفلاسفة إعياء وقنوطا .. ولا عجب فبالعقل يستدل صاحبه على بارىء الخليقة ، ولكنه يأبى إلا ان يتجاوز المدى الذى حُدد له فيلقى بنفسه فى متاهات التخمين حول صفات ربه ، ثم يبيح لنفسه أن تتحكم فى تقرير النتائج الغيبية وفق تصـــوراته القاصرة ، ومؤثراته المختلفة . هذا على حين يقف المتأمل فى مواجهة الحقائق الكبرى مستروحا نفحات اليقين ، المؤيد بكل ما يقع عليه حسه ، ويلامس وجدانه من الآيات الناطقة بجلال ربه وكمالاته التى لا نهاية لها .. فلا يلبث أن ينسجم مع القوانين الكونية ، مسلما وجهه الى الحكيم الرحيم ، الذى أحسن كل شىء خلقه ، وعنا لأمره علوى الوجود وسفليه .. ومع أن المتأمل لا ينفك يعانى من الحيرة بسبب جهله الوسيلة التى تقربه الى الله ، فهو حتى فى موقفه هذا أوفر اطمئنانا من الفيلسوف ، الذى كثيرا ما يدفعه جهله لهذه الوسيلة الى إنكارها كليا !..

وهكذا رأينا زيد بن عمرو يطوف الجزيرة والشام نشدانا لدين إبراهيم ، الى أن لقى حتفه وهو فى الطريق الى مشرقه المنتظر . وقد تضافرت الروايات

عن اسماء بنت الصديق انها شهدت زيدا عنـد الكعبة يسجد على راحتـه وهو يقـول : اللهم . . لو انى اعـلم اىّ الوجـوه احب إليك عبدتك به ، ولكنى لا اعلمـه (٢) .

ويبلغ ورقة بو نوفل ، رفيق زيد فى رحلته وراء الحقيقة ، مصرع صاحبه ، فتهيج مشاعره الآسية ، ويتذكر مزاياه العالية ، وجهاده العظيم من اجل الحق ، فلا يتمالك أن يرثيه بهذه الأبيات ، التى تفيض مودة وتقديرا ولهفة الى الغاية التى استمر زيد فى طلبها حتى اللحظة الأخيرة :

رشدت وانعمت ـ ابنعمرو ـ وانما	تجنبت تنـورا من النـار حاميـا
بدينـك ربا (٣) ليس رب كمثـله	وتركك أوثان الطـواغى كما هيـا
وإدراكك الدين الذى قـد طلبتـه	ولم تك عن توحيـد ربك ساهيـا
فأصـبحت فى دار كـريم مقامُهـا	تـُعـلل فيها بالكرامـة لاهيـا
تلاقى خليـل الله فيها ، ولم تكـن	من الناس جبارا ، الى النار هاويـا
وقد تدرك الانسـان رحمـة ربه	ولو كان تحت الأرض سبعين واديـا

وفى تصـوير ورقة اشـواق زيد وتطلعاته ، انما يصور أيضـا اشواقه واصحابه وتطلعاتهم الاثيرة . وانا شخصيا لا استبعد أن يكون ورقة قد صـاغ أبيـاته هذه فى رثاء صاحبه بعد اتصاله بخديجة وعلمـه بمطـالع الوحى ، الذى اكرم الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فآسفه أن يحرم زيد لقاء المبعوث بالدين الذى يحب ، ولكنه فى بيته الأخير يتوقع أن يؤجـره الله بنيته فيكتبه بين المؤمنين برسوله ، وان لم يسعد بلقائه كما سعد هو . .

وصَدَقَتْ إلهاماتُ ورقة ، وبرّ الله جهاد عبده زيد بما آثر عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه .

يقول المحقق العلَمُ شمس الدين الذهبى فى سِيَرِه عن زيد : (وهو من اهل النجاة ، فقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم ـ انه ـ يبعث أمة وحده) .

واخرج الامام احمد فى مسنده عن سعيد بن زيد انه سأل رسول الله عما اذا كان له أن يستغفر لزيد أبيه ، فقال له : (نعم . . فانه يبعث أمة وحده) . . وحـده) . .

وفى اثر عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دخلت الجنة فرايت لزيد ابن عمرو بن نفيل دوحتين ـ جنتين ـ) . .

واخيرا . . كم فى جاهلية اليوم من باحث عن الحق كزيد والحنفاء إخوانه !. ولكن . مَن لهم بأن يهديهم سبيلهم الى القائد المنقـذ ، الذى كان مولده منطلق الفجر المبين ، ورسالته رحمة الله للعالمين !. .

---

(١) كان الخطاب اخا زيد لامه واخا ابيه ، اذ ان اباه عمرا تزوج أم الخطاب زوج أبيه جيداء بنت خالد بزواج الجاهلية الذى حرمه الله فى الاسلام ، فولدت له زيدا ، فكان الخطـاب عمه من جهة ابيه واخاه من جهة امه .

(٢) ابن هشـام جـ ١ ص ٢٢٥ وفى (سير اعلام النبـلاء) جـ ١ ص ٨٧ ان قائل هذه العبارة هو ورقـة ، وهـو يسندهـا الى ابن اسحاق . . ولكنا نجـد ابن هشـام يروى عن اسـماء انها لزيد . وهى به اشبه ، لان ورقة تنصر فعلم كيف يصلى وظل زيد حائرا .

(٣) ربا مفعول به للمصـدر (دين) والجار متعلق بفعل تجنبت . وقد قدمنا البيت الخامس وكان سادسا لانه بذلك اقرب الى الترتيب . م

اذا لم يواجه المسلمون مشكلات العصر بقوة متخذين من كتـــاب الله عز وجل وسنة نبيــه صلى الله عليــه وسلم ــ الحجة ، فلن يستمع اليهم أحــد ، وفى هذا المقال اجتهاد يحل كثيرا من مشـــاكل عصرنا ويجيب على أسئلة الناس ، ويجعل العلم يلتقى بالايمـــان وليس فى ذلك ما يمس العقيــدة أو يهز كيانها ــ هذا ما يقــوله الدكتور الفندى فى رسالته واستجابة لهذه البواعث الاسلامية الهادفــة ننشر هذا المقال .

تصور الناس ضمن ما تصوروا ان السموات السبع شيء لا يمكن ادراكه ولا معرفته ولا الوصول اليـــــه . وتصورها الأقدمون كما تصوروا مثلا بحار الأرض والمحيط الأطلسى الذى أسموه بحر الظلمات تسكنه الاشباح وتهيم فيه الأرواح .

وقلت إننا نستمد معرفتنا عــن طريقين هما : العلم الذى يبصرنا بما حولنا من عالم الحس أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخـــدام الآلات وأجهزة الرصد والتتبع ، ثم الـــدين وهو يبصرنا ببعض ما فى عالم ما وراء الحس أو عالم الغيب أو العـــوالم الأخرى .

وقال صديقى: كيف تكون السموات مأوى الأشباح ومكان الأرواح ومثوى الموتى من عهد آدم واللـــــه يأمرنا برصدها ودراستها فى مثل قولـــــه تعالى :

١ ــ « قــــل أنظروا ماذا فى السموات والأرض» ــ يونس (١٠١) .

٢ ــ « ويتفكـــــرون فى خــــلق السموات والأرض » .

٣ ــ « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » ــ الأعـــراف (١٨٥) ..

قلت بل ان الأرض والسماء كانتا شيئا واحدا متصلا ثم انفصل ذلـــك الشيء الى اجرام . وهذه حقيقة فلكية مهما اختلف الرأى فى طريقة الانفصال .. والله تعالى يقيم الحجة عـــلى

السموات السبع

للدكتور محمد جمال الفندى

الكافرين بمثل هذه الحقيقة التى يعرفونها فيقول :

« أو لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » . — الأنبياء (٣٠) ..

والرتق والفتق التحام ثم انفصال تنجم عنه اجرام السماء من السدم .

ويقرن القرآن السموات والأرض فى كل الآيات ، بل ويقرر فى بساطة عدم اختلاف الاجرام من حيث تجانسها وطريقة سبحها وذلك دليل وحدانية الخالق الذى نستقيه من علم الفلك .

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور .. » — الملك (٣) .

قال صديقى : فما السموات السبع يا ترى ؟ قلت : الغالب (والله أعلم) انها تحديد للنوع وليس للكم . وما السموات السبع التى ترتفع فوق رؤوسنا سوى :

١ — الغلاف الجوى .
٢ — الشهب .
٣ — النيازك .
٤ — القمر .
٥ — الكواكب السيارة .
٦ — المذنبات .
٧ — الشمس .

(وهى نجم متوسط القدر من نجوم السماء التى نكاد لا نحصر عددها) .

وتكون هذه الأجرام فى مجموعها ما يسمى المجموعة الشمسية . ولكل منها فلك أو أفلاك ، ولكل منها سلوك ووظيفة وخواص ..

قال صديقى : وكيف يكون غلاف الأرض الجوى سماء ؟

قلت ورد ذكره فى القرآن فى عدة آيات ، منها قوله عز وجل :

١ — « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء » — الروم (٤٨) .

٢ — « وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » — الحجر (٢٢) ..

والسماء هنا ولا شك هى غلاف الأرض الجوى .

وأهم من ذلك كله اننا على الارض اشبه شىء بركاب سفينة فضاء سقفها هو الغلاف الهوائى ، وقد

امسكته الارض بقبضة جاذبيتها الكبيرة ولم تسمح له بالتسرب الى خضم الفضاء المترامى الاطراف ، بل بقى من حولها يؤدى من الوظائف والمنافع لأهل الارض مالا يعد ولا يحصى . وهذا كله لا يمكن أن يتم لمجرد الصدفة ، بل عن تدبير ومعرفة ويقين يعبر عنه القرآن فى مثل قوله تعالى :

«وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » ــ الأنبياء (٣٢)

والذى يدرس آيات الغلاف الهوائى عليه ان يتخصص فى دراسة الطبيعة الجوية تخصصا دقيقا ليرى ان تلك الآيات تكاد لا تحصر . فهل الذين صمموا لنا اسقف سفن الفضاء استطاعوا أن يجعلوا لها العديد من الفوائد أم قصروا أمرها على عدد مجمل ومحدد من الوظائف ؟

مثل حماية ركاب السفينة من اهوال الفضاء ممثلة فى الأشعة الكونية والشهب . أما النيازك فهى لا تزال أخطر ما يكون على سفن الفضاء اذ تدمرها تدميرا .

وقال صديقى : وهل هذا كله يروق رجال الدين . أو يتمشى مع ما يقوله بعضهم ؟

قلت : نعم فقد آن الأوان لندخل تلك الآفاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم فى التعليق على آيات الذكر الحكيم المتصلة بعلوم الكون ولا نقف جامدين عند حد ما أدعاه الاقدمون .

وان أغلب العلماء اليوم يؤمنون بوجود اله قوى مدبر خالق ، ولكنهم لا يؤمنون بان هذا الاله هو نفسه الذى انزل القرآن لعدم فهمهم لآيات الذكر الحكيم بالطريقة التى تشفى غليلهم وتغذى عقولهم ، أعنى بالطريقة العلمية السليمة . ولم يعد الايمان مجرد تصديق وتسليم بل هو يقوم على الاقناع والحجة فى هذا العصر ،

ولهذا ننادى بضرورة التعليق العلمى غير محملين الآيات مالا طاقة لها به .

أما الذين ينادون بعكس ما ننادى به ويتهموننا باطلا انما يؤثرون الجمود على الحركة ويحرمون القرآن من ميزة كونه معجزة خالدة لا يقف اعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات . وربما كان لهم عذرهم فى أنهم لا يعرفون العلوم . ومعنى الحقيقة العلمية ، ولا يفرقون بينها وبين النظرية العلمية . وقد شرحنا كل ذلك على صفحات الوعى الاسلامى .

أما الذين يحملون الآيات ما لا طاقة لها به أو ينادون بالوقوف عند حد ما وعاه الاقدمون فهؤلاء هم الذين يؤثرون الغموض ويحبذون الجمود .

وأنا عندما أقول مثلا أن السموات السبع اسم للنوع أنما التزم بما نراه ونرصده فى كتاب الله المنظور واعنى به الكون . وليست هذه نظرية بل حقيقة علمية . فمن منا يستطيع فى ظل تعريف السماء لغة بأنها كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا ان لا يقول ان الهواء سماء وان الشهب سماء ؟!

نعم ان ما نراه من الشهب المنقضة هو مجرد ما انحرف منها عن مساره الكونى تحت قوة جذب الارض ودخل جوها العلوى فاحترق من شدة الاحتكاك مع الهواء بحيث لا تكاد تصل الى ارتفاع نحو ١٠٠ كيلو مترا حتى تكون قد تحولت الى رماد .

وتتحرك الشهب بسرعات فلكية بطبيعة الحال متوسطها نحو ٤٠ كيلو مترا فى الثانية وهى تسبح فى اسراب من حول الشمس ، شأنها فى ذلك شأن المذنبات والكواكب .

وفى الحقيقة ان لفظ كوكب يشمل كل الاجرام حتى الشمس يقال لها كوكب . ولم يذكر القرآن الكريم شيئا عن السماء الاولى أو السماء الثانية أو الثالثة ... كما نسمع

احيانا ... وان السماء الأولى فيها آدم عليه السلام والثانية فيها كذا ..

ولكن القرآن تحدث فقط عن السماء الدنيا أى القريبة منا وانها تزينها الكواكب وقد فهمنا مدلولها لأننا لا نرى أفراد مجموعات الشموس الأخرى نظرا لبعدها الكبير عنا . فأقرب مجموعة الينا هى مجموعة قنطورس وهى تبعد عنا بما يزيد على اربع سنوات ضوئية .

أما مجموعتنا الشمسية فاننا نستطيع أن نرى كواكبها أو أغلب كواكبها وعلى رأسها الزهرة التى عرفها الاقدمون باسم (نجمة الفجر) أو (نجمة الصباح) ، و (نجمة المساء) .

والزهرة المع اجرام السماء بعد القمر والشمس ، ويمكن رؤيتها احيانا وسط النهار . وهى أحيانا تكون اول جرم نراه عقب الغروب لامعا فنسميه نجمة المساء ، كما تبقى فى الصباح واضحة فى كبد السماء . ولعلها هى المقصودة فى قوله تعالى :

« والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب » .

القبعة الزرقاء :

طالما ظن الناس فى الماضى ان القبة الزرقاء بناء متماسك كالسقف من حول الأرض التى اعتبروها مركز الكون . وأضافت بعض العقائد أنه من فوق السماء يجلس الذين يدبرون امور الأرض وما عليها ! ولم تتغير تلك النظرة كثيرا حتى عصر النهضة حيث كانت قد استحوذت الفلسفة الاغريقية على عقول الناس ولم يفكر أحد فى مخالفة أرسطو فيما ذهب اليه حتى ثبت بالرصد والتتبع فى أوائل عصر النهضة أن الأرض ليست هى مركز الكون ولا حتى مركز المجموعة الشمسية .

وعز ذلك على أهل الأرض فنادوا بأنهم يمثلون الكائن المفكر الوحيد فى الوجود . ولكن اثبت حساب الاحتمال الرياضى فى هذا العصر أن مجرتنا وحدها (أو الطريق اللبنى أو الطريق التبانه كما يسميه العرب) فيها ما لا يقل عن ٢ مليون كوكب مسكون على غرار الارض ، وأننا كلما اقتربنا من مركز المجرة كلما كانت تلك الكواكب اقدم من الأرض ، ومن ثم فان حضاراتها أعرق وأكثر تقدما . وهكذا مرة أخرى يخيب الظن ويتبين الانسان انه مجرد كائن صغير مفكر على كوكب عادى من بين ملايين الكواكب الاخرى الآهلة بالسكان .

وتتعدد المجرات فى خضم الفضاء الكونى الفسيح ولا نكاد نعرف لها عددا . وهكذا تتعدد مجموعات الكواكب المسكونة فى الكون بحيث يعجز العقل عن وصفها أو تحديدها .

ونحن نجد الاشارة لذلك فى مثل قوله تعالى فى سورة الفرقان آية (٧٧) :

١ — **« قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم » .**

٢ — **« يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن »**
— الرحمن (٢٩) .

٣ — **« ... تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن »**
— الاسراء (٤٤) .

والتسبيح التنزيه بعدم الخروج عن الناموس أو بالطاعة حسب الحال . وكلمة فيهن انما تفيد تماثل بعض ارجاء السماء والأرض بسكنى للاحياء حيثما توفرت البيئة الطبيعية الملائمة والقسط الحرارى المناسب ، والماء الوفير ، كما هو الحال على الأرض .

والغالب أن الذين تعرضوا لتفسير قول الله تعالى فى سورة الرعد (٢) :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » .

لم يدركوا أول الأمر أن هذا ينطبق على :

أ — غلاف الأرض الجوى الممتد أو المرفوع الى علو نحو الف كيلو مترا

فوق سطحها . والسر فى رفعه هذا هو أن للغازات (ومنها الهواء) صفة الانتشار لتملأ الفراغ المعرض لها . وعلى هذا النحو ينتشر الهواء فوق الأرض محاولا التسرب الى خضم الفضاء الفسيح تبعا للصفة التى اكسبه الله اياها وهى صفة الانتشار إلا أن جاذبية الأرض تحول بينه وبين ذلك وتمسكه وتشده الى الأرض وبذلك تبقى عليه من غير أن يتسرب الى الفضاء كما حدث على القمر مثلا حيث لا تكفى الجاذبية هناك لمعادلة قوى انتشار الغازات. وهكذا أمسكت الأرض سقفها .

((وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون))
ــ الأنبياء (٣٢) .

ولكن القبة الزرقاء كما سنبين هى مجرد ظاهرة ضوئية تحدث فى غلاف الأرض الجوى ولا وجود لها كجسم صلب أو جسد مادى كما قد تبادر الى الأذهان .

ب ــ سائر الأجرام التى تسبح من حول الشمس وتتعادل معها قوى الجاذبية المتبادلة بينها وبين الشمس وقوى الطرد المركزية الناجمة عن حركة الدوران . عندما تقترب الأرض من مسارات بعض تلك الاجرام مثل النيازك أو الشهب يهوى بعضها الى الأرض متأثرا بجاذبيتها .

ولكن من رحمة الله بنا ان جعل الغلاف الهوائى حاميا لنا يفتت النيازك أو يحرق الشهب فى مشارفه العليا فلا تصل الينا الا فيما ندر . وفى هذا المعنى الرائع يقول القرآن فى إعجاز أخاذ فى سورة الحج الآية (٦٥) :

((.. ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم))

وظاهر من الآية الكريمة أن السماء تقع على الأرض باذن الله .

والآن ما هى القبة الزرقاء ؟

تعانى أشعة الشمس المكونة من الوان الطيف المعروفة (وهى الأحمر فالبرتقالى ، فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق ، فالبنى ، فالبنفسجى) ظاهرة التناثر فى جو الأرض ، وذلك بواسطة جزئيات الهواء ونقط الماء العالقة فى الطبقات السطحية وكذلك الأتربة . ولا ترسل الشمس هذه الالوان بكميات متساوية القدر ولكنها ترسل أكبر مقادير من اللون الأزرق .

والمعروف فى علم الطبيعة أن كمية الضوء المتناثر انما تتناسب عكسيا مع الأس الرابع لطول الموجة المتناثرة أى تزداد بازدياد قصر طول الموجة .

ولما كان اللون الأزرق من أقصر الموجات التى ترسلها الشمس وهو فى نفس الوقت أغزرها قدرا فى الحزمة الشمسية ، لهذا كله فان الغلاف الجوى سريعا ما يكتسب اللون الأزرق ويصير على هيئة قبة زرقاء من الضوء المتشتت .

وعندما يمر الضوء خلال الطبقات السطحية من غلاف الأرض الجوى (عند شروق الشمس وعند غروبها) تلعب الأتربة دورها وكذلك نقط الماء العالقة فى السحب وتعمل على تناثر الأشعة ذات الموجات الطويلة مثل الحمراء أو الصفراء . وعلى هذا النحو يظهر الأفق بتلك الالوان المعروفة باسم الغسق أو الشفق وهى الالوان التى طالما تغنى بها الشعراء ولا علة لها سوى تلوث طبقات الهواء السطحية بالأتربة الدقيقة العالقة فيه أو السحب الرقيقة السابحة فيه .

وعندما يرتفع الناس وسط النهار بالصواريخ فوق هذه القبة ، أى فوق معظم الغلاف الهوائى تظلم الدنيا من جديد وتظهر نجوم السماء ولكن نظرا لأن الأشعة لا تضىء الا اذا تناثرت فى وسط شفاف كالهواء فان الفضاء يبدو مظلما باستثناء ما قد تحدثه تجمعات الكهارب فى الماجنيتوسفير . والله أعلم ..

تحليل الدعوة في عصرها المكي

للدكتور : عماد الدين خليل

ليس بامكان اى مؤرخ أن يحدد الابعاد الكاملة لطبيعة اللقـــاء الأول ، وما تلاه من لقاءات بين الوحى الكريم وبين محمد صلى الله عليه وسلم .. وكل ما ذكرته الروايات ، اعتمادا على رؤية الرسول وهو يتلقى الوحى ، أو أحاديثه القصيرة الموجزة بهذا الصدد ، لا يعدو أن يكون (وصفا) خارجيا للتجربة التى تمخض عنها البناء القرآنى المعجز .. وما دام الأمر فى امتداده وغيابه يند عن المشاهدة المباشرة والفحص التجريبى باعتباره أمرا (غيبيا) ، فليس من السهل أن نخوض فيه ، كما انه ليس من السهل أن نخوض فى أى من الأمور الغيبية التى لم يتح لأجهزتنا الحسية والعقلية التعامل معها والاحاطة بأبعادها علما . وكل المحاولات الشرقية والغربية التى جهدت من أجل تحليل تجربة (الوحى) تحليلا يخضعها فى نهاية الامر للمعرفة البشرية المحدودة ، وقعت فى الخطأ من حيث أنها اعتمدت الظن والتخمين فى مسألة من أخطر المسائل الغيبية .. وأهم من ذلك هو ما تمخض عنه هذاالاسلوب الالهى فى تعليم البشرية والذى يعد من المصادر اليقينية للمعرفة .. فالقرآن — إذن — والحركة الاسلامية التى رافقته على خط متواز صاعد ، هما اللذان يجب أن ينصب عليهما البحث والتحليل ومحاولة الاحاطة من أجل أن تكون المحاولة جادة وليست ضربا فى غير هدف !

لقد تنزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعقاب فترة زمنية

طويلة ، جاوزت الأربعين عاما ، كانت الارادة الالهية تهيىء فيها ــ كما رأينا ــ المهدات البيئية والوراثية لتكوين (الشخصية) التى سيلقى على عاتقها حمل مسؤولية الرسالة الصعبة .. واعقب ذلك تمهيد نفسي وذهني (مباشر) تمثل بتلك الأسابيع الطوال من العزلة والتأمل والتحنث فى غار حراء ، انشقاقا على الأعراف والممارسات الجاهلية واندماجا فى الكون على مداه وبحثا عن (العلة الكافية) لخلقه على هذه الصورة من الدقة والتنسيق والتماسك والنظام ، وسعيا وراء (الشريعة) التى تعيد الانسان الى الانسجام مع النواميس التى تتحرك بموجبها السموات والارض ..

وما لبث الوحى الأمين أن جاء ، فى اللحظة المناسبة والمكان المناسب اللذين اختارتهما العناية الالهية لارسال محمد الى الناس كافة .. محمد الذى لم يكن يعرف ، حتى هذه اللحظة ، المصير الذى ينتظره ، والدور الذى سيكلف بآدائه إزاء الناس والعالم . ومن ثم جاءت (هزة) الوحى مفاجأة مذهلة لهذا الرجل المنعزل فى الغار بعيدا عن الناس .. رافقها واعقبها رعب وقلق وشك واضطراب وتمزق نفسى وحمى قاسية جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يغادر المكان فى أعقاب كل لقاء وهو يرتجف خوفا واشفاقا ، من أجل أن يلجأ الى سنده العاطفى الأول والأخير متمثلا بزوجته السيدة خديجة التى كانت عند حسن الظن دوما .. وما أن اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم الى صدق رسالته فى أعقاب تأكيدات خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل ، وإثر تكرر نزول الوحي عليه ، حتى بدأ ــ بأمر من هذا الوحى ــ بالعمل .. كان عليه أن يدع مرحلة (العزلة) والانقطاع ، وأن يمزق دثار الخوف والقلق والشك .. وأن ينطلق ليبدأ أولى اتصالاته من اجل بناء الحلقات الاولى من الدعاة ، أولئك الذين كتب عليهم أن يتحملوا شرف الانضواء الى أول قاعدة بشرية للدعوة الاسلامية فى تاريخها الطويل ..

واذا كانت الدعوة الجديدة تتحرك تحت شعار (لا إله إلا الله) بكل أبعاده الشاملة وآفاقه الرحبة ، فقد كانت تمثل رفضا حاسما على كل القيم الجاهلية ، وانقلابا جذريا على مواضعات العصر وممارساته ومطامحه القريبة العاجلة .. وكان ارتطامها بمراكز السلطة والنفوذ والتوجيه فى مجتمع كهذا أمرا محتما .. ومن ثم كان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجتاز مرحلة من (العمل السرى) ، غير المعلن ، من أجل أن يرسى دعائم حركته ويضم اليها أوثق العناصر واعمقها إيمانا ، ويسعى خلال ذلك الى مزيد من توثيق هذا الايمان وتعميقه فى نفوس الدعاة .. فعليهم ستقع المسؤولية ، وعلى مدى مقدرتهم على التحمل سيقوم البناء .. ولقد بدأ الرسول اتصالاته بأقرب الناس اليه ، من أجل مزيد من السرية والكتمان : الزوجة والصديق وابن العم والابن (المتبنى) .. ثم انطلق بعد ذلك فى توسيع نطاق الدعوة ، يعضده ساعده الأيمن ابو بكر الصديق رضى الله عنه .. وما لبثت اللبنات أن ازدادت عددا ، والبناء ارتفاعا ، والأسس عمقا ورسوخا ..

استمر العمل السرى ثلاث أو أربع سنوات ، على خلاف فى الروايات ، والدعوة خلاله تسير ببطء شديد رغبة فى التركيز والاختيار البصير بالعناصر الاكثر جدارة وكفاءة ومقدرة على تحمل مسؤولية الإيمان ..

وكان القرآن الكريم ينزل خلال ذلك مؤكدا على قضية واحدة وأمر واحد ، لم يتجاوزه الى (المسائل) الاخرى الا قليلا ، تلك هى قضية (العقيدة) التى

راح القرآن يحبك بأسلوبه المعجز وآياته البينات جوانبها الشاملة وبنـــاءها المتشابك فى نفوس أتباعه وعقولهم وضمائرهم ، ويحيلهم واحدا بعد آخر ، ويوما بعد يوم الى شخوص حية تتحرك بالقرآن ، فتكون حركتها تعبيرا حيويا واقعيا عن التصور الجديد الذى طرحه القرآن ، والذى جاء لينعكس بالضرورة على السلوك اليومى للانسان المسلم .. وكلما تقدم الزمن بالدعوة الاسلامية وتنزلت الآيات البينات لبنـــاء العقيدة كلما نمت قواعد الدعوة الاســـلامية وازدادت (تمثلا) لهذه الآيات ، الامر الذى جعلها تنمو بشكل مواز تماما لنمو البناء العقيدى الذى يطرحه القرآن ذاته لكى يحرك به (واقع) النفس البشرية ويتعامل معها تعاملا حركيا يرفض منطق الجدل واللاهوت والنظريات .

ولقد مرت هذه السنين الطويلة من مرحلة العمل السرى ولم يتجاوز عدد الدعاة خلالها ــ كما رأينا ــ الخمسين رجلا وامرأة ، وهو عدد قليل جدا اذا ما قورن بهذا الامتداد الزمنى الطويل .. إلا أن التركيز والعمق الذى يتميز به كل واحد من هؤلاء ، جعل المنتمين الى الاسلام قادرين ، بعد قليل ، على تحمل الضغوط الوثنية القاسية التى ستصب عليهم من أجل فتنهم عن دينهم : تعذيبا واضطهادا وقتلا ونفيا وسخرية وقطيعة واحتقارا .. وعلى تجاوز (المحنة) السوداء وهم أصلب عودا وأعمق ثقة وأشد إيمـــانا .. وفى جوارهم آيات القرآن تشد أزرهم وتعمق يقينهم الجديد .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقودهم من ساحة الى ساحة صوب مشارف الفوز والانتصار . ولا ريب أن اعتماد المقاييس المادية ــ كما فعل عدد من المستشرقين أمثال كريمر وجرمه وغيرهما ــ لفحص الدوافع التى قادت المسلمين للانتماء الى الدين الجديد أو الى أية عقيدة أو دين ، أمر يرفضه واقع (التجربة) فى أبعادها الشـــاملة الرهيبة ، فلم يكن البحث عن (الحق) ، والتشبث فى الانتماء اليه ، أمر معدة تبحث عن طعامها وجسد يرنو الى الاشباع ، بقدر ما هى مسألة نفسية متكاملة يلعب فيها الظمأ الروحى واليقين الفكرى والقناعة الذاتية دورها الأول والأخير ، بحيث أن سائر الامور الاخرى الحسية والجسدية تجىء ثانوية بالنسبة لهذه العوامل الأساسية ..

هذا على المستوى النفسى ، اما على المستوى التاريخى ، فان هذا المقياس (المادى) الذى اخذ يشيع فى العقود الأخيرة ، كإسقاط معاصر على الوقائع التاريخية الماضية ، سرعان ما يتهافت بمجرد القـــاء نظرة متأنية على قوائم المسلمين الأول الذين كان اكثرهم ــ كما يقول صالح العلى ــ من التجار ورجال الطبقة الوسطى ، وممن كانت لهم عشائر تحميهم وتدافع عنهم . بل حتى وجود الحلفاء والمستضعفين فى الاسلام ، لا ينهض دليلا على صحة هذا الرأى ، إذ أن هؤلاء نالوا كثيرا من الاضطهاد بسبب عقائدهم ، ومنوا بكثير من الآمال اذا تركوه ، فرفضوا واصروا على التمسك بالدين الجديد ، مما يدل على أن دافع العقيدة هو الذى كان يدفعهم الى اعتناق الاسلام . والواقع أن الروايات أشارت صراحة الى دوافع بعضهم ، فعثمان بن مظعون كان من قبل ظهور الاسلام من الباحثين عن الدين ، وسعيد بن زيد بن عمرو هو ابن الرجل الذى كان حنيفيا يبحث عن دين ابراهيم ، وخالد بن سعيد بن العاص اعتنق الاسلام لأنه رأى نفسه فى المنام على حافة هاوية من النار يدفعه اليها أبوه ، ويدفعه عنهـــا رجل آخر لينقذه منها . ويمكن تفسير ذلك بانشغال عقله الباطن فى الأمور الدينية واعتناقه الاسلام لاعتقاده . والمخلص . أما عمر بن الخطاب

الذى أسلم بعد هذه الفترة فقد أسلم لتأثره من سماع آيات القرآن ومن رؤية أخته تتأذى(١) .

ترى ؟ كم من المسلمين قادتهم الى الاسلام ، تلك الهزة الوجدانية ، التى أحدثتها آيات القرآن الكريم الساحرة المعجزة وهى تتلى عليهم ، فتغسل ضمائرهم وتزيل رين قلوبهم وتعيد تألق الذكاء الى عقولهم ، ونور اليقين الى بصائرهم وأفئدتهم ؟ وهل بعد هذه (الهزة) الشاملة التى تنقل الانسان من حال الى حال تفكير (منفعى) محدود فى أمعاء تمتلىء طعاما ، وجيوب تفيض فضة وذهبا ؟!! ما الذى دفع عثمان بن عفان ، وهو فى قمة قريش غنى ومكانة وايمانا ومحبة وجاها ، الى أن يتمرد على جاهليته ويقف ، فى لحظات الدعوة الاولى ، الصعبة الغامضة ، الخطيرة ، بمواجهة قومه وعشيرته ، رافضا الغنى والمكانة والجاه والمحبة ، مختارا بدلا منها الفقر والاحتقار والزراية والخوف والكراهية ؟ حتى أنه ليستهين بسياط عمه وهى تنزل على ظهره من أجل أن يعود ثانية الى حظيرة الآباء والأجداد ؟ وما الذى دفع أبا بكر — وعشرات غيره — الى أن ينفقوا من أموالهم الخاصة التى سهروا وكدحوا على جمعها وتنميتها ، ينفقونها حتى آخر درهم ، حتى أن الرسول ليسأل رفيقه الصدّيق : وما الذى أبقيت لعيالك يا أبا بكر ؟ فيكون جوابه : أبقيت لهم الله ورسوله !! وما الذى دفع سعد بن أبى وقاص ، الغنى المدلل ، أن يرفض توسلات أمه ، وقد أوثقته رباطا ، من أجل أن يرتد عن دينه ، حتى ليسلمها الهم من عناء ذلك الى المرض فما يكون جوابه إلا أن يقول للأم التى هى أعز الأحبة على قلوب الأبناء : والله يا أم لو رأيتك تموتين مائة مرة ثم تعودين ثانية الى الحياة ما ردّنى ذلك عن دينى !! وغير عثمان وأبى بكر وسعد كثيرون !!

لقد انتمى الى الاسلام — كما يقول مونتغمرى وات — شباب من أفضل العائلات ، خالد بن سعيد أفضل ممثل لهذه الفئة ، ولكن هنالك آخرون غيره ، وكانوا ينحدرون من أقوى العائلات وأشهر القبائل ، تربطهم روابط متينة بالرجال الذين يملكون السلطة فى مكة ، وكانوا فى مقدمة أعداء محمد . ومن المهم أن نشير الى أنه وجد فى معركة بدر أمثلة على الاخوة والآباء والأبناء والعم وابن الأخ الذين كانوا يقاتلون فى صفوف كلا الحزبين .. ويمضى (وات) الى القول بأن أهم فكرة نستخرجها من هذا (العرض عن المسلمين الأول) هو أن الاسلام الفتى كان فى الأساس حركة شباب . إذ أن معظم الذين تعرف أعمارهم لم يتجاوزوا الأربعين عند الهجرة — وبعضهم كانوا أصغر كثيرا — وكثير منهم كانوا قد اعتنقوا الاسلام منذ ثمانى سنوات . ولم يكن الاسلام ، من جهة ثانية ، حركة رجال من طبقة مستضعفة من حثالة الناس أو من طفيلية صعاليك حطوا رحالهم فى مكة . ولم يستمد الاسلام قوته من رجال الدرجة السفلى فى السلّم الاجتماعى بل من أولئك الذين كانوا فى الوسط(٢) ثم ما يلبث (وات) أن يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه معظم الغربيين الذين يجدون أنفسهم ملزمين بتطبيق مقاييسهم الخاصة على تاريخنا ..

والى أى دين كان ينتمى هؤلاء الشباب المترفون الاغنياء ومتوسطو الحال ، الذين ينتمون الى أشهر القبائل المكية وأعلاها سلطة ومكانة ؟ الى الدين الذى كانت حملات كتابه الكريم تتنزل منذ بداياتها الأولى « العلق ، القلم وغيرهما »(٣) صواعق على رؤوس الاغنياء والزعماء تلك الآيات التى « .. نددت بالأغنياء الذين يقبضون أيديهم عن مساعدة الطبقات المعوزة وحثت على الانفاق كثيرا ، كما

انها حاربت الزعامة الطاغية الباغية المعتزة بالقوة والمتكبرة عن الحق »(٤) وهكذا تبدو طبيعة الدعوة الاسلامية منذ بدئها عظيمة رائعة فى حدبها على هذه الطبقة التى تتألف منها عادة أكثرية الجماهير ، وتحريرها ورفع مستواها(٥) .

ولن تتكامل الصورة إلا بأن نتجـاوز ، فى تحليلنا هذا ، مرحلة الدعوة السرية الى المرحلة المكية عامة لنرى فى الجهة المقابلة الدوافع الحقيقية التى قادت المشركين وزعمـــاءهم الى مقاومة الدعوة ، وهى دوافع لا تنصب على الجانب المادى فحسب ، بل تمتد الى كل مساحات التصور والشعور والحيـاة الجاهلية ، وان كان للجانب (المـادى) أهمية كبيرة بين هذه الدوافع إلا أنه لا يمكن أن يغطى المساحة كلها ويحجب الدوافع الاخرى ، الدينية والنفسـية والسياسية والثقافية عن أعين الباحثين . ذلك « أن مقاومة المشركين للاسلام ، رغم الجمود الظاهر لديانتهم يمكن تعليله بأن دينهم ، وان لم يكن يلعب دورا كبيرا ظاهرا فى حياتهم اليومية ، إلا أنه كان متغلغلا فى نفوسهم ومتعمقا فى اللاشعور فيهم ، فهم يعيشون فيه دون أن يفهموه أو يدركوه . كما أنه لطول أمد استقراره لم تكن هناك حاجة للتحدث به أو الدفاع عنه . ولكن الاســلام بنقده لدينهم كان تحديه موجها لا الى عقــائدهم فحسب بل الى ذاتيتهم والى كيانهم الروحي ، فاندفعوا يدافعون عنه بقوة . ومما زاد فى قوة هذه المقاومة ، روح المحافظة التى تتجلى عند البدو بصورة خاصة . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أثر روح المحافظة فى المقاومة غير المفكرة التى واجهوا الاسلام بها [وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا : ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم](٦) . ومما زاد فى عنف مقاومتهم أن دعوة الرسول صلى الله عليه وســلم للوحدانية كانت جديدة عليـــهم ، فلم يكن قد أتاهم من قبله رسول »(٧) .

ولا ريب أن هذا الدافع اللاشعورى ، هو الذى يفسر لنا إصرار زعمـاء (الشرك) خلال تعذيبهم للمسلمين ، وضغوطهم ضد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعوا سب آلهتهم وشتم آبائهم وأجدادهم وهو الأمر الذى كان يتكرر كثيرا فى ميدان العلاقات الوثنية الاسلامية ، كما يفسر لنا تشبث رجل عاقل كأبى طالب بدينه الوثنى ، رغم حمايته المعروفة لابن أخيه ، بحجـة أن هذا التغيير لا يليق برجل كبـير موقر مثله .. فتغيير دين الآباء والأجداد (عار) لا يلائم كبار رجالات مكة وشيوخها ، أولئك الذين كان يقود خطاهم إحســاس (رجعى) متأصـل فى نفوسهم ، تعبر عنه الآية الكريمة : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .. وغيرها كثير ..

ولعل من أسباب المقاومة كذلك ــ يقول دروزة ــ ما كان للزعامة الوثنية من دور خطير فى المجتمع العربى حيث كان الزعماء ــ وخاصة الزعماء الأغنياء ــ يتمتعون بنفوذ السيادة .. ومنها ما كان من رسوخ عصبية التقاليد فى المجتمع العربى ، وما استهدفته الدعوة من هدم كثير من تقاليد العرب الاصلية والفرعية ، أو تعديلها : كالشرك على أنواعه ، والاستشفاع بالملائكة ، وما شاب الشرك من وثنية مادية ، وكالعصبية الاجتماعية الضيقة وما كانت تتشـــدد فيه من حزبيات عائلية وقبلية(٨) وشؤون القيامة والمرأة والرقيق والتحريم والتحليل فى كثير من الامور .. وخوف الزعامة القرشية واغنياء مكة معا على ما كان لهم ولمكة من مركز ومنافع أدبية ومادية عظيمة ، بســبب وجود بيت الله فى مكة وسدانتهم له ..

ثم هناك ما أثاره فيهم الانذار بالبعث والقيامة ، والوصف المسهب للحياة

الأخروية ، الوارد فى القرآن من عجب واستغراب ، لاسيما أن هذا لم يكن مما هو معروف بهذه الصراحة والاسهاب عند الأمم الكتابية التى كان لها أثر فى أفكار العرب ومعارفهم .. ولعل فى تجريد الاغنياء والأقوياء من أسباب قوتهم ومكانتهم ، وتحقيرهم الدائم إثارة للسواد على الزعماء وتحريضا على عصيانهم فيما يأمرونه به من عدم الاستجابة الى الدعوة .. وقد كانت طبيعة النبى البشر ، من أسباب المقاومة كذلك .. إذ كان العرب يتخيلون أن النبى لا بد أن يكون ذا قوى خارقة يفترق بها عن طبائع البشر ويستطيع أن يفعل ما لا يفعله سائر الناس من خوارق المشاهد .. فلما رأوه مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، وسمعوه يعلن بلسان القرآن أنه بشر مثلهم .. جحدوا نبوته وكذّبوا صلته بالله ، ونعتوه بالمجنون والشاعر أو الساحر أو الكاهن(٩) .

ونمضي فى أسباب تفحص المقاومة الوثنية للدعوة ، فنجد (وات) يحدثنا عن مجموعة أخرى من الاسباب ، مؤكدا فى الوقت نفسه دور الاسباب التى سبق ذكرها : « ان السبب الأساسى فى المعارضة كان بدون شك ، أن زعماء قريش وجدوا أن إيمان محمد بأنه نبى ستكون له نتائج سياسية . وكانت السنّة العربية القديمة تقول : إن الرئاسة فى القبيلة يجب أن تكون من نصيب أكثر الرجال حظا من الحكمة والحذر والعقل ، فلو أن أهالى مكة أخذوا يؤمنون بانذار محمد ووعيده ، وجعلوا يستفسرون عن الطريقة التى يجب أن تدار بها شؤونهم ، فمن ذا الذى يحق له نصحهم غير محمد نفسه » ؟

ويمضى (وات) الى القول بأن زعماء مكة كانوا من بُعد النظر بحيث اقروا بالتناقض بين تعاليم القرآن الأخلاقية ورأس المال التجارى الذى كان عماد حياتهم .. كما كان العرب بطبيعتهم ، أو حسب تربيتهم محافظين .. ويقول الزهرى بأن سبب المعارضة ، بالاضافة الى مهاجمة الاصنام ، القول بأن مصير أجدادهم النار . ويرتبط احترام الأجداد هذا ارتباطا وثيقا بتقديس العادات والتقاليد القديمة . وبينما كان بعض المعارضين ذوى نزعة فردية قوية ، فقد كان أكثرهم محافظة يعترف ببعض الولاء للجماعة ، فكانوا يرون اذن فى نزعة الاسلام لإحداث انقسامات حادة فى العائلة دليلا آخر على أن التخلى عن الطريق الذى سلكه الأجداد يؤدى الى نتائج وخيمة ، وربما بدا لهم ذلك جديرا بتهديم المجتمع بأكمله ، وكان هذا ما يحدث فعلا .. وما يلبث (وات) أن يخلص الى القول بأن أسباب معارضة الاسلام — إذا وضعنا جانبا كل مصلحة شخصية — كانت الخوف من نتائجه السياسية والاقتصادية والنزعة المحافظة الصرفة ، وكانت المشكلة التى جابهها محمد لها جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية ، غير أن رسالته كانت فى الأساس دينية بحيث أنها حاولت علاج الاسباب الدينية الكامنة لهذه المشكلة ولكنها انتهت لمعالجة الجوانب الاخرى ولهذا اتخذت المعارضة أشكالا مختلفة(١٠) .

إن شعار (لا إله الا الله) الذى أمر محمد صلى الله عليه وسلم برفعه فى وجه الجاهلية ، جاء انقلابا شاملا على كل المستويات الدينية والاجتماعية والفكرية والنفسية والاخلاقية والسياسية والسلوكية ، إذ هو شعار واضح بضرورة رد الأمر كله الى الله (الحاكم) و (المشرّع) وتجريد الانسان فردا وجماعة ، من الخضوع لمقاييسه الجزئية القاصرة ، واتباع (الهوى) و (الظن) فى كل صغيرة وكبيرة .

ولقد رأينا خلال عرضنا للطور العلنى للدعوة أن جلّ كلمات القرشيين ومرتكزات حوارهم مع أبى طالب أو مع محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، من

أجل اقناعه بالعدول عن دعوته ، ما كانت لتنصب على الدفاع عن مصـــالحهم المادية ، بقدر تشبثها بمعتقداتهم وقيمهم ، كما نلمح من خلالها ادراكهم الكامل لأبعاد عبارة (لا إله إلا الله) وخطورتها الشاملة إزاء وجودهم الجاهلى كله .

ويمكن أن نذكر هنا ــ على سبيل المثال ــ رواية ابن سعد التى تقول إن وفدا من زعماء قريش قدموا الى ابى طالب ليلتمسوا اليه أن يكف ابن أخيـــه فاستدعاه وقال له : « يا ابن أخى ، هؤلاء عمومتك وأشراف قومك وقد أرادوا أن ينصفوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا أسمع !! قالوا : تدعنا وآلهتنا وندعك والهك ، قال أبو طالب : قد أنصفك القوم فاقبل منهم . فقال رسول الله : أرأيتم إن أعطيتكم هذا ، هل أنتم معطى كلمة إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ، ودانت لكم العجم ؟ فقال أبو جهل : إن هذه كلمة مريحة ، نعم وأبيك ، لنقولنها وعشر أمثالها !! فقال الرسول : قولوا (لا إله إلا الله) !! فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا وهم يقولون (اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) !! »(١١) .

فليست الحركة الاسلامية إذن حركة طبقة ضد طبقة ، فقد انتمى اليهـــا اناس من شتى الطبقات . وسواء كانت هذه السمة (الطبقية) ناتجة عن تحرك الفقراء ضد الاغنياء ، كما يرى بعض الباحثين ، أو من الأغنياء لكبت ما يتحسسون منه رائحة ثورة شاملة سيقوم بها الفقراء ضد مصالحهم ومراكزهم ، كما ارتأى باحثون آخرون(١٢) .. فان هذه الافتراضات التى ينقض بعضها بعضا ، تعود لكى تنقض نهائيا بمجرد عرضها على (الواقعة التاريخية) نفســــها .. إذا ما أردنا البحث الموضوعى الجاد .... وإلا فان التخمين والاستنتاج والاسقاط المعاصر على التاريخ ، دون رؤية وارتكاز على أبعاد الواقعة نفســـها يقودنا ولا ريب الى (اسرائيليات) من نوع جديد ، تتدثر بدثار العلم والموضـــوعية وما هى منهما بشيء !!

بعد أن تم بناء القاعدة (الصلبة) للدعوة ، متمثله بأولئك الرواد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للاسلام عبر سنيه الصعبة وغربته ، والذين علمتهم التجارب المقدرة على الصمود بوجه الضغوط مهما غلا الثمن ، والذين انضجتهم حشود الآيات القرآنية التى كانت تتنزل (على مكث) حينا بعد حين .. اصدر الله أمره الى رسوله الكريم أن يتجاوز المرحلة السرية للدعوة صـــوب الهجرة والاعلان .. وهذا أمر لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكى تثبت وجودها المنظور فى الارض العربية أولا ، وفى العالم المحيط ثانيا .. كل ذلك فى فترة لا تعدو ما تبقى للرسول صلى الله عليه وسلم من سنى عمره المحدود ! كان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بعشيرته الأقربين فى أطراف مكة هو بداية العهد الجديد . وقد انتهى ذلك الاجتماع الحاشد بصد محزن عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنذاره المبين .. ومنذ تلك اللحظة انفجر الصراع الواضح المكشوف بين المعسكرين .. المشركون الذين استخدموا كل أسلوب ، والتمسوا كل وسيلة لوقف حركة الاسلام الى الأمام .. والمســـــلمون الذين لم يؤمروا بالعنف ــ طيلة العصر المكى ــ لئلا يتعرضوا لعملية إبادة تحقق للوثنية ما كانت تأمله وترجوه .

وقد بدأ رجال الملأ نشاطهم المضاد فى سلسلة من الاتصالات المبطنة بالوعد والوعيد مع أبى طالب ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما أعقبت ــ جميعها ــ فشلا ، وأعلن النبى عن موقفه الذى لا مهادنة فيه ولا مســـــاومة ، فى كلمته

الحاسمة (والله يا عم ....) وجدت الوثنية نفسها مسوقة الى استخدام أساليب العنف والاضطهاد والحرب النفسية ، لوقف الخطر الجديد ، وانقضّت كل عشيرة على أبنائها وعبيدها المسلمين تعمل فيهم تعذيبا وتحطيما للمعنويات واضطهادا ، ولم ينج الرسول نفسه من هذا البلاء النازل ، وهو وأصحابه صامدون صابرون للمحنة ، تسندهم تجارب سنين طويلة من العمل والنمو العقيدى ، وتمنحهم المعنوية والثقة آيات القرآن البينات التى كانت تتنزل فى قلب المحنة لكى ترفع المؤمنين الى آفاق الأمل واليقين بالنصر القريب .

والى جانب هذا وذاك كان الرسول ينفخ فى أصحابه روح الثبات والمقاومة ويرسم لهم بذكائه الثاقب ، وبالهدى الالهى ، الطرائق والأساليب التى تقترب بهم يوما بعد يوم من الهدف الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وعد أصحابه ببلوغه مهما طال الطريق وعظمت المصائب .. ولم يكن التخطيط للهجرة الموقوتة الى الحبشة ، والاتصال المستمر بالقبائل والوفود القادمة الى مكة ، والذهاب الى الطائف ، ولقاءات العقبة الثلاث إلا خطوات على الطريق .

وكلما ازدادت المحنة وعظم البلاء ساق الله الى الدعوة رجالا كبارا ، لهم وزنهم فى مجرى الأحداث وقدرتهم على المقاومة والتحدى والتغيير . ولم يكن إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلا أمثلة بينة على الإرادة المعجزة التى تسوق ، وفق منطقها وقضائها الذى لا رادّ له ، رجالا من قلب الجاهلية ، ومن صميم زعامتها ، الى ساحة الحركة الجديدة ، ليسوا اتباعا عاديين ، وانما قادة وزعماء يلعبون دورهم فى إيجاد نوع من التوازن فى القوى بين الدين الاسلامى الجديد والجاهلية يمكّن الاسلام من أن يشق طريقه وسط ركام من العوائق والمصاعب والآلام ..

وإذ شعرت قريش أنها أخفقت فى كل الأساليب التى اعتمدتها لوقف انتشار النار ، فقد ارتأت فى أعقاب اجتماع عقده زعماؤها أن ترفع سلاح (المقاطعة الشاملة) كعقاب (جماعى) للمسلمين وحماتهم من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، علّها تضعف قدرة اتباع محمد على المقاومة ، وتدفع حماتهم ، الذين تشدهم اليهم نخوة العصبية ، الى أن ينفضوا من حولهم ويتركوهم وحيدين معزولين ، مجردين من الحماية ، وسط عاصفة الغضب الهوجاء التى اجتاحت صدور المشركين وساحات مكة .

إلا أن السلاح الجديد يثلم هو الآخر إزاء مقاومة المسلمين وقدرتهم العجيبة على التحمل ، وإزاء التركيب الاجتماعى فى مكة ، ذلك الذى دفع عددا من أبنائها الذين تربطهم العصبية بواحد أو اكثر من المحاصرين فى شعب ابى طالب الى أن يتحركوا لوقف هذه المظلمة ، وتمزيق الصحيفة التى سطرت فيها كلمات القطيعة ..

ويخرج المسلمون من الأسر الصعب بعد ثلاث سنين من العزلة والجوع والحرب النفسية .. وهم أصلب عودا ، وأغنى تجربة ، وأكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذى آلوا أن يسيروا اليه وراء رسولهم ، حتى ولو كلفهم ذلك انهارا من الدماء ..

وكانت الأحداث تتلاحق والاضطهاد الوثنى يزداد عنفا وشراسة ، ويزيده فتكا وايلاما ، وفاة سندَى الرسول العاطفى والاجتماعى : الزوجة والعم ، وفشل رحلته الى الطائف ، وكأن إرادة الله كانت تعدّ ، من وراء الظلام الذى إزداد عتمة وكثافة ، بالفجر القـــادم الذى لا ريب فيـــه .. ولن يكون ذلك إلا بالأسباب .. وهل بعد الأسباب التى منحها الرسول فكره وأعصابه وطاقاته وهمومه جميعا ، بقادرة على أن تحقق (وعد الله) ؟! « ولقد كُذّبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كُـــذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمـــات الله !! »(١٣) .



---

(١) محاضرات فى تاريخ العرب ٣٣٨/١ (الطبعة الثالثة) .

(٢) محمد فى مكة ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٣) أنظر ســـورة الزخرف ٢٢ — ٢٣ . هود ١١٦ . المزمل ١١ — ١٢ . الاسراء ١٦ . الواقعة ٤١ — ٤٨ . الحاقة ٢٥ — ٢٩ . الهمزة ١ — ٤ . سبأ ٣١ — ٣٧ . غافر ٤٧ — ٤٨ . ابراهيم ٢١ . الاحزاب ٦٦ — ٦٧ . الأعراف ٣٦ — ٤٠ . الفرقان ٢١ — الأنعام ١٢٣ . الغاشية ٣١ . الجن ٢٤ . النازعات ٢٨ — ٢٩ . النبأ ٢١ — ٢٢ . وانظر صالح أحمد العلى : محاضرات ٣٥٧/١ — ٣٥٩ .

(٤) محمد عزة دروزة : سيرة الرسول ١٦٥/١ (الطبعة الثانية) .

(٥) المصدر السابق ١٨١/١ — ١٨٢ .

(٦) سبأ ٤٣ . وانظر : الزخرف ٢٢ — ٢٤ . لقمان ٢١ . البقرة ١٧ . المـــائدة ١٠٤ . الصافات ٦٩ — ٧١ .

(٧) العلى : محاضرات ٣٤١/١ — ٣٤٢ .

(٨) انظر تفسير ابن كثير لآيات سورة الأنعام ٣٣ — ٣٦ .

(٩) انظر بالتفصيل : دروزة : سيرة الرسول ١٧٣/١ — ١٩٣ .

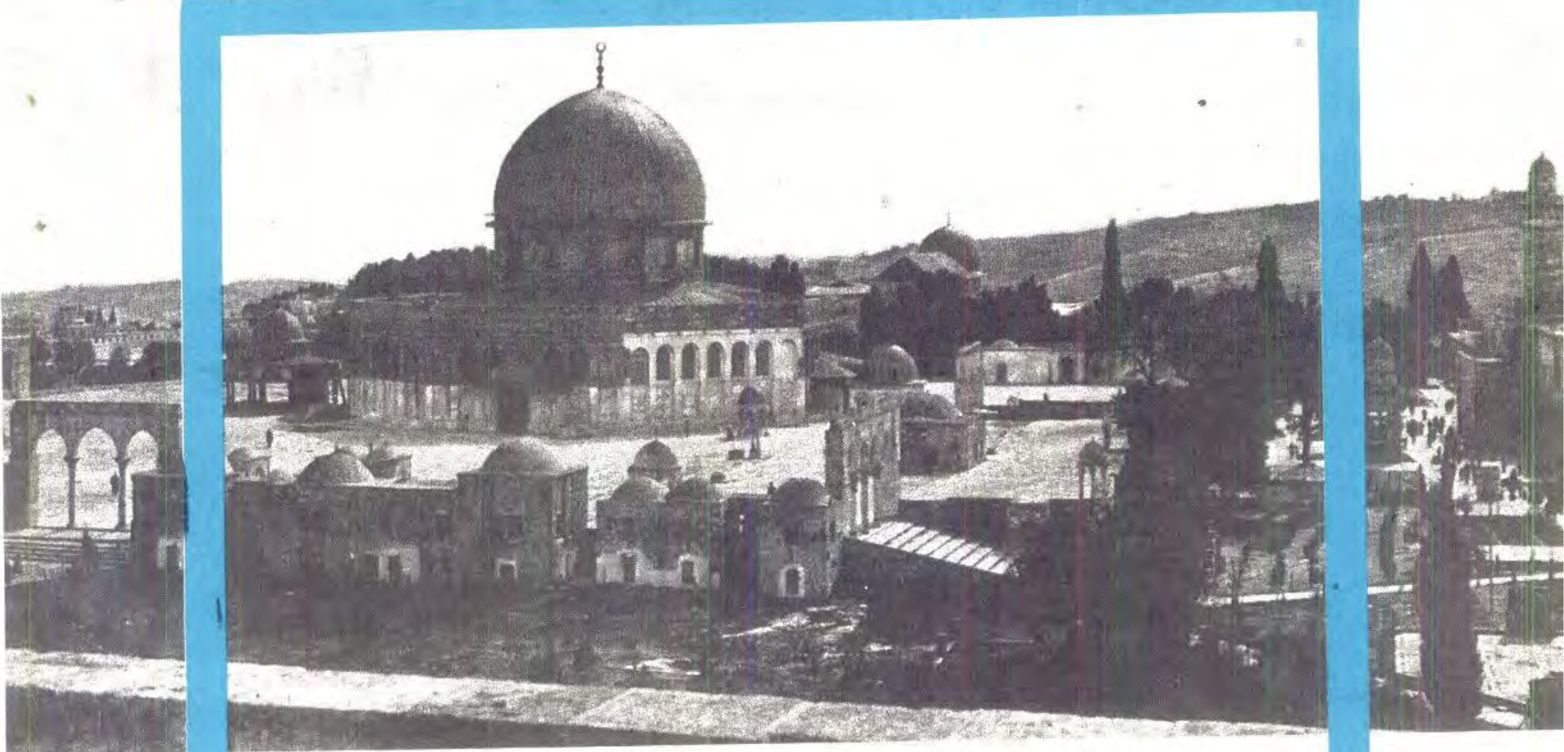
(١٠) محمد فى مكة ص ٢١٤ ، ٢١٥ — ٢١٦ .

(١١) الطبقات ٣٥/١/١ وانظر المصدر نفسه ١٣٧/١/١ والبلاذرى : أنســـاب ١٢٦/١ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤١ وابن الأثير : الكامل ٦٥/٢ .

(١٢) أنظر عبد العزيز الدورى ورفاقه : تفسير التاريخ ص ١٥ — ١٦ .

* لصاحب المقال بحث شامل بعنوان « دراسة فى السيرة » لم ينشر بعد .

(١٣) الأنعام : ٣٤ .



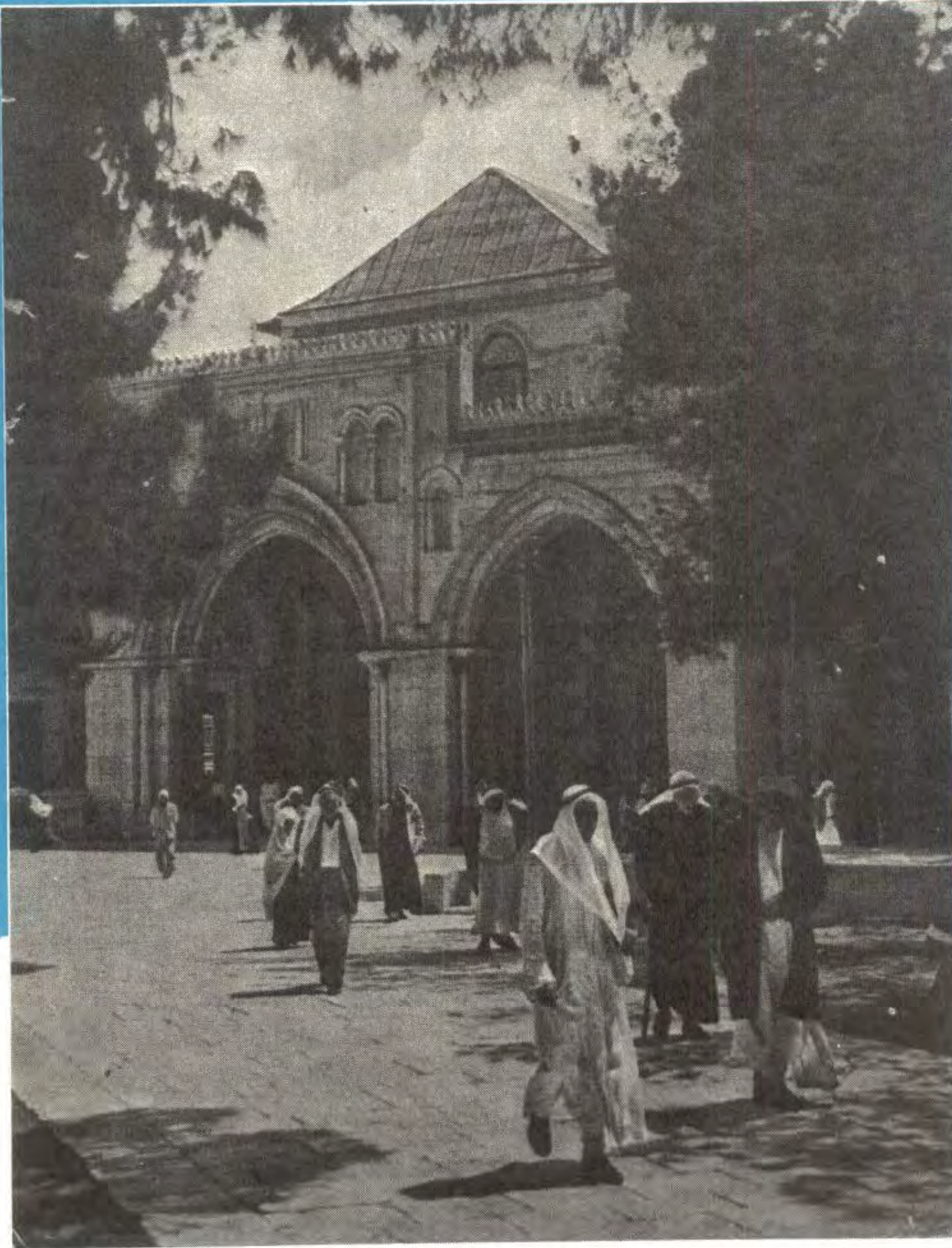
وثيقة تسليم

بيت المقدس

للخليفة عمر بن الخطاب

وأثرها في دعم عروبة القدس الشريف

للدكتور ابراهيم أحمد العدوى



جاء خروج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عاصمته فى المدينة المنورة بالحجاز ليستلم بنفسه بيت المقدس فى فلسطين شاهدا عمليا قدمه هذا الخليفة العظيم للأجيال العربية عن أصالة حقهم فى هذه المدينة الخالدة ، التى أسسها أجدادهم العرب القدامى من أهل فلسطين ، ومثلا تطبيقيا لما يجب أن ينهض به القومة على الأمة العربية ــ خالفا عن سالف ــ فى سبيل حماية مقدسات هذه المدينة من دسائس المتآمرين من اليهود الذين اشتهروا فى التاريخ باسم دعاة الصهيونية ، وحتى تظل هذة المدينة العربية الأصيلة ــ كعهدها ، دائما وأبدا ــ مدينة السلام ، ذلك أن هذا الخليفة اختص بيت المقدس وحدها بهذا التكريم من دون المدن الأخرى التى فتحها المسلمون على عهده ، وبادر الى تلبية النداء الذى أعلن فيه أهل القدس ، وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، عن رغبتهم فى أن يتسلم مدينتهم المقدسة الخليفة شخصيا ، دون غيره من قادة جيوش التحرير الاسلامية المجاهدة فى الشام وفلسطين .

وكشفت سرعة استجابة الخلافة الإسلامية لمطالب أهل القدس عن تطور جديد فى حياة هذه المدينة ، قوامه أمران هامان :

أولهما : أن كبار أهل الحل والعقد من الصحابة ، وهم الهيئة التنفيذية العليا التى ضمها فى الدولة الإسلامية إذ ذاك (مجلس الشورى) قد أكدت بتأييدها خروج الخليفة لاستلام القدس ارتباط الأصول الدينية لهذه المدينة بالدين الإسلامى الجديد ، وأن واجب الدفاع عن تلك المقدسات وأصولها هو دفاع عن الدين الإسلامى نفسه .

وثانيهما : أن الخليفة أراد أن يؤكد من جانبه أن تحرير القدس لن يتم إلا بتحرير فلسطين ، وأن الموقف بات يتطلب توليه القيادة العليا بنفسه لجيوش التحرير فى الشام وفلسطين ، على أساس أن الجهاد فى سبيل تلك الأرجاء هو جهاد مقدس يجب أن يسهم فيه على قدم المساواة جميع أبناء الدولة العربية الإسلامية ، كبيرهم وصغيرهم ، طلبا للعزة فى الدنيا ، والفوز بجنات النعيم .

وكانت التقارير التى وصلت من قادة الجيوش الإسلامية فى الشام وفلسطين الى عاصمة الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة تحث على سرعة خروج الخليفة بنفسه لتحرير القدس وفلسطين . ذلك أن أعداء المسلمين هناك ، وهم البيزنطيون ، الذين عرفهم العرب باسم الروم ، قد صمموا أمام زحف الجيوش الاسلامية المظفر على الانسحاب من كبرى مدن الشام وفلسطين واتخاذ مدينة بيت المقدس قاعدة يعيدون فيها تعبئة قواتهم لإفساد التقدم الاسلامى ، باستغلال مناعة هذه المدينة المقدسة . وكان صاحب هذه الخطة البيزنطية هو (أرتيون) قائد الروم الذى اشتهر عند العرب باسم (الأرطبون) وبادر الخليفة عمر بن الخطاب بتوجيه عمرو بن العاص لمحاربة هذا القائد قائلا : « قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب » . غير أن قائد الروم انسحب أمام جيش عمرو بن العاص عند اجنادين ولجأبقواته الى بيت المقدس ، حيث أفصح عن خطته فى التصدى للمسلمين .

وأعلن أرطبون الروم من قاعدته فى بيت المقدس عن خطته الخبيثة فى كتاب بعث به الى عمرو بن العاص فى أجنادين جاء فيه : « الى عمرو : إنك صديقى ونظيرى ، **انت فى قومك مثلى فى قومى ، والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين فارجع ولا تغر فتلقى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة** » . وكتب عمرو بن العاص الى الخليفةيوضح له الموقف الجديد فى القدس وفلسطين قائلا له : « إنى **أعالج حربا كؤودا صدوما ، وبلادا ادخرت لك فرأيك** » ــ ولما كان الخليفة عمر يثق كل الثقة فى تقارير عمرو بن العاص فإنه بدأ يستعد للخروج بنفسه لتحرير هذه البلاد التى ادخرها الله له كما ذكر قائده المحنك فى أرض فلسطين .

وعزز هذه الاستعدادات فى عاصمة الخلافة التقارير التى وردت بدورها من أبى عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية فى الشام . اذ أراد هذا القائد أن يبعث جيوشه من دمشق الى فلسطين لشد أزر عمرو بن العاص ، وعقد مجلسا حربيا للتشاور فى الأمر ، ولتقرير الجبهة التى تتجه اليها تلك الجيوش . إذ كان أمام هذا القائد العام خطتان : احداهما ترى أن تتوجه الجيوش أولا لفتح قيسارية التى كان بقاء جند الروم فيها يحول دون انطلاق عمرو بن العاص من اجنادين ، والثانية : تنادى بأن تزحف الجيوش رأسا الى بيت المقدس للحيلولة دون استقرار الأرطبون وقواته بها .

واستقر رأى المجلس الحربى على ضرورة استشارة الخليفة عمر بن

الخطاب فى هذا الشأن حيث قال معاذ بن جبل لأبى عبيدة : ايها الأمير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله . فقال أبو عبيدة : أصبت الرأى يا معاذ . ثم كتب الى الخليفة شارحا له الموقف . وجمع عمر بن الخطاب (مجلس الشورى) من كبار الصحابة ، وقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة ، فقال على بن أبى طالب بعد مداولات واسعة تبلور فيها الموقف : **« يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فإذا فتح الله بيت المقدس ، صرف وجهه الى قيسارية ، فإنها تفتح بعد إن شاء الله تعالى »** . وعندئذ كتب الخليفة بهذا الرأى الذى استقر عليه مجلس الشورى لأبى عبيدة جاء نصه كما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة

« أما بعد — فإنى أحمد الله الذى لا إله الا هو وأصلى على نبيه ، وقد وصلنى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه ، وقد أشار ابن عم رسول الله بالمسير الى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يديك ، والسلام » .

وهلل جند المسلمين فرحا فى الشام لزحفهم على بيت المقدس ، وتقدموا وعلى رأسهم القائد العام أبو عبيدة بن الجراح ، وحين اقتربت الجيوش الإسلامية من هذه المدينة أعلن سكانها العصيان على الأرطبون ، وعرضوا على أبى عبيدة رغبتهم فى تسليم مدينتهم الى الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وبعث القائد العام بهذا الطلب الى الخليفة الذى عقد مجلس الشورى مرة أخرى قائلا لهم : « ما ترون رحمكم الله فيما كتب إلينا أمين هذه الأمة ؟ » واستقر الرأى على تلبية طلب أهل القدس ، واتم الخليفة الاستعداد للخروج الى فلسطين حيث بات لديه علم دقيق بأحوالها من مصدرين هامين : أحدهما من عمرو بن العاص ، والآخر : من أبى عبيدة بن الجراح ، وكل منهما يؤكد ضرورة حضوره بنفسه الى تلك البلاد التى ادخر الله فتحها على يديه ، وحين ترامت أنباء مسير عمر بن الخطاب بنفسه الى فلسطين انسحب الأرطبون سريعا من بيت المقدس حيث عجز عن المقام بها لعدم تعاون سكان البلدة معه ، واتجه الى مصر حيث كانت إذ ذاك تحت سيطرة الروم .

وكان الطريق الذى سلكه الخليفة عمر بن الخطاب للذهاب الى بيت المقدس يسير وفق خطة رسمها بنفسه ، استهدف منها أن تبقى أمام الصحابة والتابعين وتابعى التابعين منهم بإحسان الى يوم الدين ، نموذجا يهديهم سواء السبيل ، من أجل الحفاظ على هذه المدينة المشرفة ، ورعاية مقدساتها الجليلة ، إذ جمعت تلك الخطة بين الاستعداد الحربى الكامل وبين الالتزام بالبساطة التامة البعيدة عن الزهو والخيلاء ، فغادر الخليفة المدينة المنورة متجها الى (أيلة) وهى العقبة الحالية باعتبارها مفتاح المدخل الجنوبى لفلسطين .

ثم سار الى الجابية فى مرتفعات الجولان الحالية ، حيث جعل من هذا المكان الاستراتيجى بين سورية وفلسطين مقرا لعقد مؤتمر حربى استدعى اليه قادة الجند بالشام للتشاور معهم فى طلب أهل القدس ، ووضع أمثل السبل لإتمام فتح فلسطين .

وتوجه أبو عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية بالشام الى الجابية حيث تلقى الخليفة عمر بن الخطاب هناك وتعانقا . ثم توافد على الخليفة سائر القادة ، وجماعات من المسلمين حضرت لتحية الخليفة ، وصلى الخليفة

بالحاضرين صلاة الفجر وخطبهم ، ثم تدارس مع القائد العام الوضع فى بلاد الشام حتى حضرت صلاة الظهر ، حيث جرت فى خشوع جليل ، رواه أحد شهود العيان قائلا : « فأذن بلال فى ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ، خشعت جوارحهم ، واقشعرت ابدانهم ، فلما قال : أشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله ورسوله ، وكاد بلال أن يقطع الأذان ، فلما فرغ من الأذان صلى عمر بالحاضرين » .

وجرت وسط هذه المظاهر الجليلة جلسات المؤتمر الحربى بالجابية تحت رئاسة الخليفة للنظر فى شأن القدس ، وحضر فى ذلك الوقت وفد شعبى يمثل أهالى القدس لمقابلة الخليفة عمر وتسليم بلدتهم له . وجاء تشكيل هذا الوفد على تلك الصورة دلالة واضحة على أن انسحاب الروم من بيت المقدس كان أمرا حتميا فرضته الرغبة الشعبية فى هذه المدينة على أولئك المستعمرين البغاة ، وشاهدا قويا على أن أهالى القدس وجدوا فى الدولة العربية الإسلامية الفتية ينبوعا دافقا يغذى أصولهم العربية ، ويهيىء لهم استعادة سالف أمجاد مدينتهم وأمنها ، وكان أهم مطلب ركز الوفد الشعبى عليه هو الا يساكنهم مدينتهم أحد من اليهود ، الذين اشتهروا بمحاولاتهم العديدة لاغتصاب هذه المدينة ، واثارة القلاقل فيها ضد السلطات الحاكمة تحت ستار الاحتماء بقدسية تلك المدينة ، وكان أخطر محاولات اليهود التى شهدها أهالى القدس قبل الفتح الإسلامى ما حدث على عهد الامبراطور الرومانى هارديان سنة ١٣٥ م ، إذ قاموا بأعمال شغب واسعة فى القدس ، دفعت هذا الامبراطور إلى الإسراع بنفسه الى بيت المقدس ، وطرد اليهود منها كلية ، وبلغ الحنق بهذا الامبراطور حدا دفعه الى أن يطلق على بيت المقدس اسمه الاول ، وصارت تدعى نسبة اليه باسم « إيلياء » وذلك رغبة فى سد السبل نهائيا أمام اليهود لاستغلال اسم هذه المدينة المقدسة .

وظلت مدينة بيت المقدس تحمل اسم « إيلياء » حين خرج الوفد الشعبى من أهلها لمقابلة الخليفة عمر بن الخطاب ، وطلبوا منه أن يسجل هذا الاسم فى وثيقة تسليم مدينتهم له ، دلالة على خلوها تماما من اليهود ، واصرارا منهم على الا يساكنهم فيها أحد من اليهود ، وكان هذا المطلب الشعبى لأهل القدس هو نفس المطلب الذى أصر عليه البطريق صفرنيوس حين عرض تسليم المدينة المقدسة للخليفة عمر بن الخطاب شخصيا ، ووافق الخليفة على مطالب أهل القدس وسجلها فى وثيقة محددة البنود ، أضاف اليها شروطا تنص على احترام مقدسات هذه المدينة وما يكفل لها السلامة أيضا من بقايا الروم فيها وعملائهم . وجاء نص هذه الوثيقة التاريخية المؤكدة لخلو القدس من اليهود وارتباطها بأصولها العربية ، وكذلك بالدين الإسلامى الجديد على النحو التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

— هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين اهل إيلياء من الأمان .

— أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها .

— أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

— **ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من الهيود .**

— وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن .

— وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اى اللصوص) .

ـــ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

ـــ ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .

ـــ ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

ـــ ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم .

ـــ وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

ـــ شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان .

ـــ وكتب وحضر سنة خمس عشرة .

وكشفت هذه الوثيقة التاريخية بنصوصها الصريحة عن حقيقتين راسختين .

أولهما : أن اليهود لم يكن لهم وجود على الإطلاق فى بيت المقدس حين زحفت الجيوش الاسلامية على بلاد الشام ، وأن أهالى القدس أنفسهم كانوا يقفون قبل الاسلام بالمرصاد لدسائس منحرفى اليهود ، وهدم ما زعموه بهتانا من حقوق لهم فى هذه المدينة المقدسة ، وأن الاسلام حين امتد الى أرض فلسطين جاء ليدعم هذه الحقيقة التاريخية ويؤكدها بخصوص خلو بيت المقدس تماما من اليهود .

ثانيهما : أن المسلمين يكنون للمقدسات المسيحية فى بيت المقدس نفس الإجلال الذى يكنه المسيحيون أنفسهم لتلك المقدسات ، وأن المسلمين يجدون فعلا فى النصارى أقرب مودة إليهم ، وأهلا للتعاون فى رعاية المقدسات الدينية فى هذه المدينة الخالدة .

وعاد الوفد الشعبى لبيت المقدس من الجابية يحمل هذه الوثيقة التاريخية ، ويستعد لاستقبال الخليفة فى المدينة المشرفة ، وكان الخليفة يستعد لهذه الزيارة استعدادا يجعل منه نموذجا عمليا أمام المعاصرين وغيرهم من الأجيال العربية وغير العربية على مر العصور عن إيمان المسلمين بمكانة بيت المقدس فى الدين الاسلامى الجديد ، والتطبيق العملى لاحترام المسلمين لمقدسات هذه المدينة ، فعمد الخليفة أولا الى تأمين بيت المقدس وسائر ديار فلسطين من اى هجوم غادر قد يشنه الروم إذ أقام حامية فى ايلياء بقيادة علقمة بن مجزر ، وأخرى فى الرملة بقيادة علقمة بن حكيم ، على حين ضم إليه فى الجابية عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة وغيرهم من القادة العاملين فى تحرير أرض فلسطين .

وغادر عمر بن الخطاب مقره فى الجابية بمرتفعات الجولان الى بيت المقدس فى موكب جمع بين المهابة والجلال والبعد التام عن مظاهر الزهو والخيلاء ، ووصف أحد المعاصرين هذا الموكب قائلا : إن الخليفة حين جاء ميعاد زيارة بيت المقدس أمر الناس بالركوب ، ومعظمهم من كبار قادة الجند والصحابة الأجلاء . ولما هم الخليفة بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف قال المسلمون : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت غير بعيرك جوادا ، ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب القوم . واقبلوا يسألونه ويطوفون به الى أن أجابهم الى ذلك . ونزع مرقعته ، ولبس ثيابا بيضاء . قال الزبير : أحسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما ، وطرح على كتفه منديلا من الكتان ، دفعه اليه أبو عبيدة . وقدم له برذونا أشهب . فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج

(أى يسير عجبا) . وعندئذ نزل الخليفة مسرعا وضرب وجه البرذون وقال : لا علم الله من علمك ! ، هذا من الخيلاء . ولم يركب برذونا قبله ولا بعده . ثم صاح بالناس قائلا : اقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر . ثم إنه نزع البياض ، وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره ، فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير .

ودخل موكب الخليفة عمر بن الخطاب مدينة بيت المقدس يوم الخميس الموافق ٣ مايو سنة ٦٣٦ م ، حيث استقبله زعماء المدينة وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، وسط مظاهر الحفاوة من السكان جميعا . واستهل الخليفة زيارته بمشاهدة الأماكن المقدسة ، والكنائس الكبيرة فى القدس ، حيث تولى البطريق صفرنيوس شرح تاريخ تلك المشاهد الدينية . وحرص الخليفة طوال هذه الزيارة على دعم حقوق المسيحيين فى مقدساتهم وتجنب كل ما قد يثير الريب حولها . إذ تصادف أن حل ميعاد الصلاة ، وهو يزور كنيسة القيامة ، وسأل البطريق عن مكان يصلى فيه فلما أجابه البطريق : صل مكانك ـــ أى الخليفة ـــ خرج من الكنيسة ، وصلى فى مكان بالقرب منها ، ولما أتم الصلاة قال للبطريق : أيها الشيخ ، لو صليت فى كنيسة القيامة لاتخذها المسلمون معبدا لهم .

وكان الخليفة حريصا أيضا فى تلك الزيارة على مشاهدة معالم المسجد الأقصى الذى حمل له صورة واضحة عن الرسول الكريم ليلة الإسراء والمعراج وكذلك مشاهدة الصخرة المقدسة . وتكرر وقوف الركب فى عدة أماكن التبس على البطريق نفسه أنها المسجد الأقصى ، ولكن الخليفة أعلن فى كل مرة أن أوصاف تلك الأماكن لا تنطبق على ما تعيه ذاكرته من الأوصاف التى نقلها عن الرسول الكريم . وكان موقع المسجد الأقصى والصخرة المقدسة قد تعرضت للإهمال فى الايام الأخيرة من حياة القدس فى ظل استعمار الروم ، وغدت بقعة تغطيها القمامة . وحين اقترب الركب من هذا المكان ، بدأ الخليفة فحص معالمه بنفسه ، وتأكد أنه المكان المبارك . وعندئذ أخذ الخليفة ـــ كما وصف أحد المرافقين له ـــ يحثو القمامة فى كمه ويذهب ليلقيها فى وادى النار (قدرون) الواقع شرق المكان ، فاقتدينا به وحثونا كما حثا مرات كثيرة حتى ظهر المكان وتطهر واتضحت معالمه ، كما ظهرت الصخرة المباركة وتطهرت .

وأمر الخليفة ببناءمسجد فى هذا المكان ، بحيث كانت الصخرة فى الخلف ، ولتكون القبلة فى صدر المسجد ، دفعا لأية شبهات قد تثار حول هذا المسجد الإسلامى . وشرح الخليفة ما قام به مؤكدا انه جعل رائده « كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورنا » ثم أضاف الخليفة قوله « فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكنا أمرنا بالكعبة » .

وصلى الخليفة بالحاضرين ، بعد أن أمر المؤذن بإقامة الصلاة ، وقرأ سورة (ص) وسجد فيها ، ثم قام وقرأ فى الثانية سورة (الإسراء) . وجاءت تلاوة هذه الآيات البينات إعلانا رسميا عن ربط الأصول الدينية للقدس الشريف بالدين الإسلامى الجديد وبالقومة عليه من ابناء الأمة العربية ، وأمضى الخليفة عشرة أيام فى القدس ، قام فيها بأعمال جليلة غدت تكون العهد الجديد للقدس فى ظل حماية العروبة والإسلام ، كما ترك فى يد أبناء هذا البلد الشريف وثيقة تاريخية تدعم حقهم فى صيانة بلدهم ، وجعلها على مر العصور مدينة عربية خالصة ، رائدها ـــ كما كانت منذ نشأتها على يد سكانها من العرب القدامى ـــ أن تكون « مدينة السلام » .



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

معجم الفقـه الحنبلي
مستخلص من كتاب المغنى لابن قدامه

اصدرت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت الجزء الاول من هـذا المعجم ويقع فى (٥١٦) صفحة من القطع الكبير ، وينتهى بآخر حرف الشين ، ويمين هذا المعجم القارىء على مراجعـة احـكام المذهب الحنبلى حيث رتب خلاصـات كتاب (المغنى بترتيب الف بائى بحسب عنـاوين الابواب وينتظر صدور الجزء الثانى قريبا ان شاء الله .

الفهرسـة الهجائيـة
والترتيب المعجـمى

رسالة استعرض مؤلفها فيها ناحيـة مهمة من نواحى التنظيم التاليفى والطبـاعى ، وقد عنى فيها بابراز المشكلات التى تعترض المفهرسين والمعجميين عنـد ترتيب المفردات والمركبـات ، وخاصة فى اللغة العربية ، هذه المشكلات التى فرقت طرق الترتيب اشتاتا ، حتى كاد كل فهرس او معجم ان يكـون له طريقته الخاصـة فى الترتيب ، فاستخلص القـوانين التى تحـل تلك المشكلات ، وتبصر العاملين فى هـذا الميدان باسباب الخطا والاختلاف .

وقد حاول المؤلف ان يصل حاضر هذا الفن ــ فن الفهرسة والتعجيم ــ فى آدابنا بماضيه ، فبين مجهودات العلماء المسلمين ، وسبقهم العظيم فى هـذا الميـدان ، وكيف كانت لديهم معاجم متقنـة الترتيب والتنظيم فى اللغـة وسائر العلوم فى الحيـوان ، والنبات ، والاغذية ، والبلدان ، والتراجم وغير ذلك .

وقد دعـا المؤلف الى الالتزام بالفهرسة الهجائية المتقنـة لكل ما يصدر من المؤلفات والمجلات العلمية خدمة للباحثين ، وتيسيرا على المراجعين .

الكتاب من تاليف الاستاذ محمـد سليمان الاشقر امين مكتبـة وزارة الاوقـاف والشئون الاسلامية بالكويت ، ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت ، والدار العلمية ببيروت .

١٠٠ يوم فى الكـويت

هذا الكتاب الممتع عن دولة الكويت يقدم لنا صورة نابضة حية تتسم بالانصاف عن شـعب صغير فى عدد سكانه كبير فى آماله ، عميق فى تاثيره الحضارى ، مكافح مثابر ، يحول الذهب الى حضـارة ، والى مبادىء انسانية رائعة ، والمؤلف الاستاذ كامل حماده يسجل بقلمه الاحداث ، والاماكن ، والاشخاص ، والاشياء التى شاهدها فى مدى ١٠٠ يوم . وهو لا يكتفى بالتسـجيل الخارجى لما يرى ويسمع ، بل هو يعانق الاشياء بقلبه ، وعقله ، ومشاعره ، ثم يفرز ذلك كله فى وجهة نظر واضحة .

والكتاب يقع فى ١٦٠ صفحة ، ومن نشر دار النشر للجميع ٤ شارع التل الكبير ــ الاسكندرية .



لأبى القيم الكبيسى

(الأنانية) قد استحكم امرها ! جاعلة كلا فى بيدائه
والمضاد لهـــذا الداء لديك ، وهو مجرب ومضمون ان
« تحب لأخيك ما تحب لنفســـك »
فنحن احــوج ما نكون إليـــك ....

(٢)

الدعاوى العريضة تكاد تصم اسماعنا .. لقد جف (اللعاب) مدلها بعسل القول :
إن قسورة (الأمعاء) باتت تؤرقنـــا !!

فهل من (يد) خفية تطرق الباب ؟ مشبعة بتعاليمك دون أن تعلم (اليسار)
ما تفعلــه (اليمين) !؟
نحن أحوج ما نكون اليـــك ..

(٣)

(مراهم) القوم نكتت الجرح وزادت البلاء .. وكم .. كم وقف (العلم) !!
دون أسرار حائرا ؟! إن عين (قتادة) القرن لا زالت دونما برء
ذلك لأن الكف أعني (كفك) لم تمسحها !
صحيح أنهم يبسملون ، ويحوقلون !
لكنمــا شـــتان بين مبسمل ومبسمل !
فنحن أحوج ما نكون اليـــك ...

(٤)

نطبخ (الحصى) كتلك العجـــوز .
ونخسر الوقود ! نعلل الصغـــــار
ولكن دونما جدوى !! فيقلبون (القدر) عن (حصى) شديد !
ويبدأ (الهياج) حينما يخرج الأسد من (الطفل) الوادع .. يمزق (القدر)
ويصنع الرغيف .. ولكن دونما جدوى !!
ويفحص (التراب) بأرجل .. تمردت
من كذب الوعود ! وكثرة العقود ... ويبدأ السؤال :
متى يا (أمنا) نشبع ؟ .. متى نشـــبع ؟؟
متى ما (عمر) يرجـــع
متى يرجع ـــ إذا انتصر الذى قرر وطبق حينما قرر
((ليس منا من بات شبعان وجاره جائـــع))
فنحن أحوج ما نكـــون إليـــك ...

(٥)

لم نعد نرى (الخيط) الأبيض من (الخيط) الأســـود !!
وإن كانت (زرقاء اليمامة) من جزيرتنا ! لم نعد نرى (المسجد)
الذى أسس على (التقوى) ليتميز (ضرار) فنحرقه كما فعلت
إن (الدوارس) قد أنبتت (أضرحة) فخمة ضخمة ! تعلوها
(السرج) والقناديل !! وكل من تحتها صار (القطب) المتصوف !!
وإذا قلنا إنه : خروج سافر .. قالوا : إنه من خصوصيات قبور الصالحين !
ثم قالوا : ربما إنه مخصص أو مقيد أو منسوخ ...

وهكذا قد أدخلوا (ربما) على كل ما لم يحتملها .. واعتنقها الناس !!
حتى صار (الحق) الذى قلت فيه (جاء الحق) كالشامة البيضاء فى الثور الأســود !!
لقد انتعش (الباطل) بمصل (ربما) وقامت (الوثنية) بدواء (المخصص) و (المقيد) و (المنسوخ) .. فأينك لتقول ثانية (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)
وأخشى أن يشيعوا بإغرائهم من أنك (مسيلمة) !! فيصدق الناس ! وليس ثمة مانع من أن يقولوها
وعرق حياتهم مرهون فى (القبر) الكبير ، وبيع (التطع) الخضراء !!

(٦)

نحن أحوج ما نكون إليك .. ليراك المسلمون لا غيرهم .. هؤلاء الذيــن أثاقلـــوا الـــى الأرض من (السمنة)و (الكسل) .
ليروك وقد انتفضت بعد (صلاة) العصر ! كأنما أفعى بين ثوبك وجلدك ! لا لشىء من الجشع والطمع !!
وإنما لأموال أتت .. فخفت أن تحبس أطول فيحبسك الله !
فأين أين أهل الغنى والثروات ؟!
إنهم هم المسؤولون عن كل خارج على هذا الدين متهما إياه (بالرأسمالية) القاهــرة !!
اينك لتقول لهم فلم يعودوا يصدقوننا :
إن ديننا دين الإنسان المعزز المكرم
وأن أمرأة دخلت النار بهرة حبستها !
وأن رجلا دخل الجنة بكلب ســقاه !

(٧)

الجدار القوى المكين قد تصدع ! وكثرت فيه (الحشرات) !
العناكب ، والصراصير ، وأبو بريص ، والخفاش من أصدقائنا الذين لا بد منهــم !!
فنحن أحوج ما نكون إليك .. تعيد البناء (بمداميك) : (المؤمن للمؤمــن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) نحن أحوج ما نكون إليك ...

(٨)

نحن أحوج ما نكون اليك ...
لتقول (لألف) (عمير) (١) : ليس كذلك .. إنما جئت لكذا !!

إن (المظاهر) تكاد تسحقنا .. لقد تصلبت فصارت (قواقع) سميكة !!
قتلت (النسغ) وحبسته عن (الخروج) .
فعندنا : كل من كور (عمامته) فهو شيخ الإسلام وإن كان أجهل جاهل !
وكل من حرك (شفتيه) فهو التقى النقى .. الورع !!
وكل من (همهم) بالقرآن فهو أصلح من يصلح للشهادة !! ولو خالف ألف عمر !!
كثيرة تلك (المظاهر) كثيرة .
وليس بيننا (حذيفة) ولا (عثمـــان) .

(٩)

لقد امتن الكثير على الناس بما هو ليس بشىء
الانفتاح.. الجماهيرية.. وضع حجر الأساس.. قطف النتاج مع العمال !!
والقوا الأضواء الكاشفة والدعاية العريضة والتى تفوق تكاليفها ضعف ما اشتغلوا به !!
ما جمع أحدهم الحطب ! ولا نام أحدهم على الحصير ، ولا حمل أحدهـــم (اللبن)
وما تجول أحدهم لوحده فى الشوارع !
وما وقف أحدهم للصغير والكبير .. وما وما كثيرة كثيرة !!
ومع ذلك كله لم تمتن على أحد ! وهل يمتن بشىء يزيد الإنسان رفعة .. إنه (التواضع) خلق كل كريم ، لم تمتن بل قلت بفخر .
(أنا عبد الله ورسوله ..)
فسبحان من سماك (عبـــدا)
وسماك (الرؤوف الرحيم)
وسلام عليك سيدى .. يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حيا .



---

(١) عمير بن وهب الذى ذهب للمدينة ناويا قتله صلى الله عليه وسلـــم متظاهرا بفداء ابنـــه الأسير .

مائدة القارئ

ما الحيـــــاة

قال العلماء : ان جميع النبات والحيوان مركب من خلايا ، وكل خلية مركبة كيمياوية من (كربون) و (هيدروجين) و (اكسجين) و (نتروجين) فاذا تكونت هذه العناصر بنسب معينة كانت الخلية .

ولكن كون هذه الخلية بهذه النسب كما تشاء ، فلن تستطيع ولن يستطيع العلماء مجتمعين أن يمنحوا الخلية (الحيـــاة) .

« إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره . ان الله لقوى عزيز » .

روح السماحــة

اراد المهدى ان يغزو اهل الشام لخطا ارتكبوه ، فقال له « ابن خريم » يا امير المؤمنين ، عليك بالتجاوز والعفو عن المسىء ، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة خير لك من أن تطيعك طاعة خوف .

اللـــــه

قا ل:ابو سعيد بن ابى الخير الصوفى : اخذنى شيخى من يدى واجلسنى فى إيوان ، ومد يده فأخرج كتابه وأخذ يقرأ ، فتطلعت الى معرفة الكتاب ، فلمح الشيخ هذه الحركة ، فقال لى : يا أبا سعيد : « ان مائة وأربعة وعشرين الف نبى بعثوا ليعلموا الناس كلمة واحدة هى (الله) فمن سمعها باذنه فقط لم تلبث أن تخرج من الأذن الأخرى ، امـــا من سمعها بروحه ، وطبعها فى نفســـه ، وتذوقها حتى نفذت الى اعماق قلبـــه وباطن نفسه ، وفهم معناها الروحى فقد انكشف له كل شىء » .

الشجاعــة الأدبيــــة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق اذا رآه أو شهده فانه لا يقرب من أجل ، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم » .

بين عثمان وأبى عبيــدة

اختصم يوما عثمان بن عفان وابو عبيــدة بن الجراح رضى الله عنهمـــا ، فقال ابو عبيــدة :

انا أفضل منك بثلاث ، فساله عثمان وما هن ؟ قال :

الأولى أنى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب .

والثانية : شهدت بدرا ولم تشــهده .

والثالثة : كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت .

قال عثمان : أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى فى حاجة ومد يده عنى . وقال : هذه يد عثمان بن عفان ، وكانت يده خيرا من يدى

وأما يوم بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ، ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها.

وأما انهزامى يوم أحد فإن الله عفا عنى ، وأضاف فعلى إلى الشيطان ، فقال تعالى : « أن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم أن الله غفور حليم » .

تأبين أبى بكــر

قال على كرم الله وجهه فى تأبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

« . . كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف : كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض كبيرا عند المؤمنين ، ولم يكن لأحــد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هوادة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحــق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا اضلنا بعدك » .

من تعاليم الامام على كرم الله وجهه ووصـــــــاياه للجنـــــود

« إذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم من قبل الاشراف وســـفاح الجبال أو أثناء الانهار ، كيما يكون لكم رداء أو دونكم ردءا ، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقباء فى صياصى الجبال ومناكب الهضاب ، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن ، واعلموا أن مقدمة القوم عيــونهم ، وعيون المقدمة طلائعهــم ، واياكم والتفرق ، فاذا نزلتم فانزلوا جميعـــا ، واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فأحيلوا الرماح كفة — محيطة بكم — ولا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة » .

أرض السهلة

للاستاذ احمد العناني

المشـــــهد الاول

فى منزل الخليفة عمر بن عبد العزيز بدمشق

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (زوجة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) (وهى تشق بسكين بطيخة كبيرة فى وعاء من النحاس وقد تحلَّق حولها الصغار من أبنائها وبناتها بينما بدا الكبار منهم ومنهن على استحياء وتباعد ..

أرايتم يا أولادى ! (صوت السكين)

ارايتنّ يا بنـــات !؟

الم اقل ما وجدت حياتى كلها فى البطيخ ما هو احلى حلاوة ، ولا احسن نضجا إذا نضج من بطيخ هذه الأرض التى لنا فى السهلة .. تعالوا .. تعالوا .. هيا .. المكان يسعكم جميعا فتحلّقوا وكلوا معا . .ذلك ادعى للبركة والسرور .. (حركة) تقدموا .. تقدم يا عبد الملك يا بنى .. تقدم ..

عبد الملك (يتمتم) : ــ دعيهم ولا تخافى علىّ بأســـا .. فأنا أرضى نفســى كما تعرفين .

فاطمة (تبتسم) : ــ لا بأس .. كلوا أنتم جميعا ودعونى وعبد الملك لبطيخـــة اخـــرى !

احد الأولاد (وفمه يمتلىء بالبطيخ) : ــ وهل من بطيخـــة أخرى يا أماه ؟

فاطمـــــــة : ــ كل الآن انت ، وتوكل على الله ..

الولـــــــد : لا بأس .. لا بأس .. أنت دائما وعبد الملك تنفردان فى الطعام .. « صوت المائدة » .

تمثيلية تصور عظمة التقوى ورفعتها ..

احدى البنات : ــ الحمد لله ..
بنت اخرى : ــ وانا .. شبعت .. الحمد لله .
أحد الأولاد : ــ بعد سنٍ واحدة احمد الله .
ولد آخر : ــ هيهات تدرك أصلا غير سِن واحدة ..
الولد الأول : ــ ما شاء الله ! ذرية بن عبد العزيز كما تمنى لهم اخوال ابيهم من آل الخطاب أصبحوا بلا عدد .. « ضحك » ..
فاطمة : ــ هيا يا ابنائى الآن .. احمدوا الله وانصرفوا لشأنكم « حركة الأولاد خارجين » .
« تتنهد » لم تأكل شيئا ولم يتركوا لك
عبد الملك : ــ وهل تركوا لك يا أمّاه ! لا بأس يا أماه لا بأس ..
فاطمة : ــ وابوك لم يدعوا له شيئا ..
عبد الملك : ــ أبى اليوم مشغول واغلب ظنى انه متأخر الى ما قبل العصر بقليل .
فاطمة : ــ وكيف عرفت ؟
عبد الملك : ــ من كثرة الوافدين على الديوان اليوم .
فاطمة : ــ اعانه الله .. انهض الآن لبعض شأنى ..
عبد الملك : ــ الا تتريثين يا أماه !
فاطمة : ــ العمل كثير يا بنى .
عبد الملك : ــ أخواتى كبرن ويجب ان يعتدن معاونتك فى الأمور . إنى لا ارى شيئا اليق بالرجال من كسبهم من عمل أيديهم ، ولا أرى اجمل بالمرأة من عنايتها ببيتها .

فاطمـــة : (تضحك قليلا) ولذلك يجب ان انهض .
عبـــد الملك : ــ لقد طالما نهضت يا أماه .. وآن أوان العمل لأخواتي فهن يتهيأن الآن للحياة وخير لهن أن يمارسن بأيديهن الان ما هن مقبلات عليه ..
فاطمة (تتنهد) : ــ معك حق ..
عبـــد الملك : ــ كيف ؟
فاطمـــة : ــ امس عندما زارتنا عمتي فاطمة بنت عبد الملك وغاضبها ابوك برفضه وساطتها من أجل الأرض التي كان اغتصبها أبناء اخي الوليد في حمص اشتد بها الغضب حتى شملتني به
عبـــد الملك : ــ وماذا قالت لك ؟
فاطمـــة : ــ وماذا يمكن أن تكون قالت .. دع عنك ذلك يا بني .
عبـــد الملك : ــ ولكني اناشدك الله ان تروى ذلك لي .
فاطمـــة : ــ قالت ! « تتنهد » قالت لي تذكري يا فاطمة يا ابنة اخي عبد الملك أن احدا من امراء بني امية لن يصهر إليك ولا الى زوجك وبناتك كثيرات فأين تذهبين بهن ..
عبـــد الملك : ــ استغفر الله العظيم ..
نحن آل عمر بن عبد العزيز الى ربنا ذاهبون .. قبلنا حكمه ، ورضينا بأمره ونهيه والعاقبة للمتقين .. فلا تجزعي يا أماه ما يزال في الدنيـــا بقية من الناس والطيبات للطيبين ..
نحن وأبناء ابينا وعمـــومتنا هؤلاء شالت بنا نعـــامتنا .. يحسبون أنهم بصـــهرهم يشرفوننا ونحسب أنهم لو نالـــوا صهرنا لا قدر الله نالهم شرف لا يستحقونه ..
دعي ذلك عنك يا أماه .. وتوكلي على الله .. عجيب ..
هذا ابي جاء .. بنفسي أفديك يا أبتاه ! كم يبدو عليك من جهد شديد ! ها هو وصل « صوت خطواته »
عمـــــر : (بصوت ضعيف) السلام عليكم .
فاطمة وعبدالملك : ــ وعليك السلام ورحمة الله ..
فاطمـــة : ــ ما بك يا أمير المؤمنين ؟
عبـــد الملك : ــ حسبتك سوف تتأخر يا أبتاه .
عمـــــر : ــ كنت أظن مثل ظنك حتى أصابني مغص شديد والح على رجاء ومزاحم بأن أؤجل القضايا واستريح .. أوصلاني حتى الباب ثم عادا ..
فاطمـــة : ــ سلمت يا ابا حفص .. ولكن .. !
عمـــــر : ــ احسّ بحرارة في لهاتي وثقل في امعائي ..
فاطمة (بعفوية) : ــ اه .. لو كان بقي شيء ..
عمـــــر : ــ ما لك سكت ؟ شيء من ماذا ؟
فاطمـــة : ــ لا .. لا .. بطيخة جاءنا بها المزارع من أرضنا بالســهلة كانت ناضجة حلوة .. لكن الأولاد لم يتركوا شيئا ..
عمـــــر : (باسـما) وانت .. ؟ هــل اصبت منها شـيئا ؟ وانت يا عبد الملك ؟
عبـــد الملك : ــ أصابنا السرور أمي وأنا برؤية الأولاد مسرورين بها ..
عمـــــر : ــ وكانت بطيخـــة رائعة ؟

عبـــد الملك : ــ شيء لا يصدق .. هذه الثمار التي يؤتى بها من السهلة.. قد أخطأت أنا حقا فقد أشرت على المزارع أن يترك لنا بطيخة واحدة ضخمة ثم يبيع الباقي .. فان الدار هنا لفي حاجة الى أمور أهم من البطيخ وسائر الفواكه ..

عمـــر : (يتمتم لنفسه) بطيخة ضخمة من السهلة .. لا بأس .. لا بأس .. اتركاني أذهب واستريح .. (حركة)

عبـــد الملك : ــ معافى يا أبي .. انك لم تنم الا غرارا ليلة أمس فنم ويحسن حالك ان شاء الله ..

عمـــر : ــ شكر الله لك يا بني .. السلام عليكم

فاطمة وعبدالملك : ــ وعليك السلام ورحمة الله .. (حركة)

عبـــد الملك : ــ اراك تفكرين يا أماه ! لا تخشى شيئا .. عارض اصاب أبي ويزول .. وليست هذه أول مرة لا سيما بعد أن يطيل سهر الليل ..

فاطمـة : ــ صحيح .. صحيح .. لكن ..

عبـــد الملك : ــ لكن مـاذا ؟

فاطمـة : ــ وقر في نفسي خاطر

عبـــد الملك : ــ وما ذاك يا أماه ؟

فاطمـة : ــ أخشى أن يعيد أبوك أرض السهلة الى بيت المال فان فعلها فلن يبقى لنا شيء أبدا .. انها آخر أرض بقيت لنا ..

عبـــد الملك : ــ تبقى لنا رحمة الله يا أماه فهي خير مما يجمع الناس ..

فاطمـة : ــ يسترها الله يا بني ..

المشـــهد الثاني

عمر بن عبدالعزيز : ــ مالك تتشاغل عن هذا الحديث يا مزاحم ؟

مزاحـم : (مولى عمر ومساعده) : اى حديث يا أمير المؤمنين ؟

عمـــر : ــ سبحان الله .. أما كنت اكلمك في أمر السهلة

مزاحـم : ــ السهلة يا مولاي أرضكم وليس لكم سواها .

عمـــر : ــ لست أسائل عن وجود سـواها أو غير ذلك ، وإنما سؤالي الذي يهمني .. اهي أرضنا أم لا ؟

مزاحـم : ــ يا أمير المؤمنين .. المستشارُ مؤتمن

عمـــر : ــ ومن قال بغير ذلك يا مزاحم ؟

مزاحـم : ــ إذاً فأنت تكرِّر الحديث والهواجس عن أرض السـهلة كأنك تريد شيئا وتتردد فيه .. السهلة أرضكم وحقكم ، وليس لعيال أمير المؤمنين ، وأولاده كثيرون وبناته سوى هذه القطعة من الأرض يعتاشون منها ، ويأكلون الفاكهة كسائر الناس .

عمـــر : ــ دع عنك ما يأكلون وما لا يأكلون .. الأرض ليست لنا

مزاحـم : ــ لمن هي إذاً ؟

عمـــر : ــ سبحان الله .. انها أرض المسلمين ومالهم .

مزاحـــــــم : ـــ لكنك أعدت كل أرض أبيك عبد العزيز الى بيت المال .. فهل لو لم يكن والد أمير المؤمنين واحدا من بنى أمية ، الا يُعقل الا يستطيع تخليف قطعة أرض واحدة لأبنائه .. أبى خلّف قطعتين وكان رجلا بسيطا .

عمـــــــــر : ـــ صدقت .. لكنك نسيت أن أبى عبد العزيز بن مروان قد انفق فى ولائمه المعروفة ما يكفى لجعله فقيرا لو تعلّق الأمر بجهوده وحدهـــا ..

مزاحـــــــم : ـــ وما دليلك على ذلك ؟

عمـــــــــر : ـــ ما دليلك أنت على عكس ذلك .. يا مزاحم الم أوصـــك بأنك اذا شئت صحبتى فكن مع الحق على دائما .. يا مزاحم ما هذه الدنيا بدار بقاء .. امض الآن فاستخرج لى الصكّ الذى ملـّك أبى رقبة تلك الأرض .. هيا ..

مزاحـــــــم : ـــ نشدتك الله يا أمير المؤمنين .. فى هـــذه المرة لست معك ، أولادك وبناتك محتاجون وكثيرون فماذا تترك لهم ؟.

عمـــر (باكيا) : ـــ الى الله .. الى الله أكلهم .. اكلهم الى الله ..

مزاحـــــــم : ـــ دع لى ما طلبت منى الى غد يا أمير المؤمنين .

عمـــــــــر : ـــ وتضمن لى العيش الى غد ؟

مزاحـــــــم : (يتنهد) لا بأس .. الى غد .. ولكن لا تحـــاول أمرا غير ما طلبته منك .

المشـــــهد الثـــالث ..

نقـــــر على باب

عبـــــد المـــلك : ـــ مَن بالباب ؟

مزاحـــــــم : ـــ انا ذا مزاحـــم .

عبـــــد المـــلك : ـــ ادخل يا مزاحم .

مزاحـــــــم : ـــ الســـلام عليك

عبـــــد المـــلك : ـــ وعليك السلام ورحمة الله .. ماذا جاء بك يا مزاحم فى هـــذا الوقت ؟

مزاحـــــــم : ـــ أمرٌ أقلقنى من أبيك أمير المؤمنين

عبـــــد المـــلك : ـــ خيرا ؟!

مزاحـــــــم : ـــ يريد أن يردّ آخر أرض لكم فى السّهلة الى بيت المال ؟

عبـــــد المـــلك : ـــ فما قلت له أنت فى ذلك ؟

مزاحـــــــم : ـــ ذكرت له كثرة أولاده وحاجتهم فدمعت عيناه ولكنه مصرّ .

عبـــــد المـــلك : (غاضبا) بئس وزير الدين انت .. دعنى الآن أمض إليه ..

المشـــــهد الرابع ..

فاطمة بنت عبد الملك (زوجة عمر) : ـــ يا بنى .. ابوك وضع رأسه الســـاعة لينام قليلا فى هذه القائلة .. الا ترحم أباك يا عبد الملك ؟

عبـــــد المـــلك : ـــ يا أماه ، الأمر لا يحتمل التأجيل .

فاطمــــــــة : ـ لا قوة الا بالله .. ليس لأبيك من ليله ونهاره الا هـذه الساعة يريح بدنه فيها .
عبـــد الملك : ـ أرجوك يا أماه ! أناشدك الله دعينى أذهب اليه ..
عمر (يستيقظ ثم ينادى) : ـ عبد الملك ! ماذا وراءك يا بنى ؟
عبـــد الملك : ـ ها هو استيقظ
فاطمــــــــة : ـ قد أيقظناه بحديثنا
عبـــد الملك : ـ سامحينى يا أماه .. لا بد مما ليس منه بد ..
ـ هيا الآن إليه فقد استيقظ ..
« خطوات عبد الملك » .
عبـــد الملك : ـ السلام عليك يا أبتاه .
عمــــــــر : ـ أهلا بولدى وعليك السلام ورحمة الله .. هاه ! ما لك فى هذا الوقت من عادة للقدوم علىّ ..
عبـــد الملك : ـ أمر من الحق يا أبتاه ، خشيتُ عليك فيه لو أعجلك القدر لا سمح الله فلا تنفذه وأنت حى ، ولقد أعلم أن عمـر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه ، حرص ودماؤه نازفة والقدر يهم به فى كل لحظة ، على أن ينفذ كل أمر يخشى فيه من الله جلّ جلاله الحساب ..
عمــــــــر : ـ احسنت يا بنى .. انك لتملأ قلبى بحديثك هذا غبطـة وسرورا فأنت جدير بالثناء عليه دون الملامة ..
عبـــد الملك : ـ هذه الأرض فى السّهلة ، على ماذا عزمت بشأنها ؟
عمــــــــر : ـ أو قد حدثك مزاحم ؟
عبـــد الملك : ـ اجل يا أبتـــاه .
عمــــــــر : ـ إنى رادّها إن شاء الله الى بيت المال ..
عبـــد الملك : ـ لا تؤخر ذلك يا أبتاه .. قم الآن ..
عمــــــــر : ـ الآن الآن ان شاء الله ..
« بخشـــوع » : الحمد لله .. الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى .. نعم يا بنى .. أصلى الظهر ثم أصعد المنبر فأردها للمسلمين علانية على رءوس الأشهاد ..
عبـــد الملك : ـ ومن لك أن تعيش الى الظهر .. ثم من لك أن تســلم نيتك الى الظهر إن عشت .
عمــــــــر : ـ انما أردت أن أرى مدى تصميمك .
أعزك الله وأرضاك وحفظك وصانك
هيا بنا الآن هيــا ..
الآن أردها لأهلها وذويها
والى الله أترككم يا بنىّ الأحبـة
انه مولانا وهو يتولى الصـالحين .

ختـــام ..

من عبقرية العرب

إسماعيل بن القاسم

(أبو العتاهية)

محمد موئس

● تجتاز بلادنا العربية اليوم فترة حرجة من تاريخها ، وتلاقى من صنوف العنت ومحاولات تفريق الكلمة واثارة هذا الفريق على ذلك الآخر ، تارة من جانب دول الغرب مجتمعة ومتفرقة ، وتارة اخرى من جانب الدويلة اللقيطة التى حشرت قسرا بين الدول العربية .

فى هذه الفترة التى يجتازها العرب والمسلمون ، نرى من الواجب الملزم أن يتنبه قادة الفكر وأعلام الرأى فى أرضنا العربية الى الرجوع الى تراثنا الخالد والتعريف به ، ونشره بكل الوسائل المتاحة ، بل وتدريسه بإسهاب ووعى صادق فى جميع المراحل التعليمية والثقافية .

اننا لا نرى ضيرا من التعريف بشكسبير وبايرون وشيللى وبرناردشو وهيجو من أعلام الغرب لطالبى المعرفة والثقافة ، الا أننا نطالب فى ذات الوقت بتعريف أجيالنا الحاضرة والقادمة بأعلامنا العرب السابقين وما حملوه بين جنوبهم من الطاقات الخلاقة ، حتى خلدت آثارهم وما تفتقت عنها قرائحهم طوال أزمان وقرون طويلة .

يلزم مثلا حين يتناول متفرنج امضى بضعة أعوام فى لندن ليحصل على درجة « الدكتوراه » فى شعر شكسبير أو بايرون أو غيرهما ، يلزم أن يتناول بالبحث والدرس شاعرا عربيا فحلا مثل « امرؤ القيس » أو « عمر بن أبى ربيعة » فنحن العرب اكثر حاجة إلى من يجلو عبقريات أعلامنا ، أكثر من حاجتنا إلى معرفة أعلام الغرب .

فى هذا المقام ، وعلى مائدة الدعوة الكريمة « للوعى الاسلامى » للاحتفاء بتراثنا الاسلامى ، وبحضارتنا الاسلامية الباقية على الزمان ، سنمضى وقتا ، ما أظنه الا شائقا ، مع ضيف عربى وشاعر

● بدأ حياته صانع جرار في الكوفة ثم أصبح من أبرع شعراء عصره وجليسا للخلفاء ..
● المتأدبون والأحداث كانوا يفدون اليه لكتابة شعره وأحكامه على ما يتكسر من خزفه ..
● قال عنه حساده ومعاصروه : الخبيث الذى يتناول شعره من كُمِّه.
● حبسه الرشيد لما رفض أن يقول شعرا في الغزل ..
● رفض أن يزوج ابنته لابن الخليفة المهدى وقال : إنما طلبها لأن أباها « أبو العتاهية » ..
● ألف أرجوزة مزدوجة ضمنها أربعة آلاف مثل ..

للأستاذ حسين الطوخى

اصيل مطبوع فى زمن الدولة العباسية ملأ سمع الدنيا بأشعاره العذبة ، وصوره الرائقة ، ومعانيه العميقة ، وستظل قيثارة أنغامه تعزف ما دام فى الدنيا حس يعى وقلب يحسن الإنصات .

انه شاعرنا العبقرى المطبوع : اسماعيل بن القاسم بو سويد بن كيسان الذى غلب عليه لقب « **أبو العتاهية** » .

(ولد فى خلافة هشام)

استقبلته الدنيا ذات يوم من العام العشرين بعد المائة للهجرة فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى لعائلة كادحة تشتغل بصناعة الجرار والخزف بمدينة الكوفة ، واطلق عليه أبوه اسم « اسماعيل » وتيمن به خيرا وبركة .

ولما شب عن الطوق ، أخذ يتلقى عن أبيه « القاسم بن سويد » صناعة الجرار ويلتقط مع أسرار هذه الصناعة ، أساليب الحديث والمساومة والتجارة والربح الحلال .

ويحس « اسماعيل » ذات يوم أنه يطرب لما يقوله الشعراء وما يتناقل على السنة المحدثين والرواة ، ويحس الى جانب ذلك بأوزان الشعر تصطخب فى اعماقه ، ويتهيأ له أنه يستطيع ان ينظم شعرا مثلما يقوله هؤلاء الشعراء .

وينفلت « اسماعيل » من متجر أبيه ليحضر مجالس الشعراء فى أسواق الكوفة ، وفى حلقات الدروس التى يعقدها علماء الاسلام فى الدور وفى المساجد وفى القصور .

واسعفته حافظته الواعية ، فاستوعب اغلب ما قيل من الشعر فى الجاهلية وفى صدر الاسلام وفى

خلافة بنى أمية ، ثم اكتشف حقيقة نفسه ذات يوم ، فاذا به ينشد الشعر بسليقته وفطرته ، ثم تنقل الشفاه أشعاره الى محافل الأدب فى الكوفة ، وتصيخ الآذان إلى ذلك اللون الفريد من الشعر والاوزان التى تميزت ببساطة العرض وعمق المحتوى .

(صانع الجرار)

ويموت « القاسم بن سويد » أب الشاعر اليافع ، فلا يجد مهربا من الوقوف فى مصنع الجرار ، فهى حرفة الأسرة التى عليها رزقها وكسبها الضنين . ويقبل « اسماعيل ابن القاسم » على مهنة ابيه ليصنع الجرار وأوانى الخزف ، بينما ذهنه وقلبه يدوران حول المعنى والأوزان والقوافى وما يشهده من احوال الناس ، فيتناثر شعره مع حبات الطين التى يصنع منها الجرار . كانت يداه تعملان ، بينما ذهنه المشحوذ يعمل هو الآخر فيتدفق الشعر على لسانه كخرير الماء فى الجدول الرائق .

وعرفه المتأدبون والأحداث فى الكوفة وسعوا اليه يقراون عليه اشعارهم ، فيستمع اليهم ويجادلهم ويصدر أحكاما صائبة فيما يقولون ويصوب لهم اشعارهم بينما طين الجرار يتناثر من بين يديه على وجوه المتأدبين وثيابهم وهم فى سعادة غامرة . واذا ما اراد احدهم ان يكتب شعرا مما يقول او يثبت له حكما أدبيا ، لم يكن يجد غير ما يتكسر من خزفه ليدون عليه ما يدور فى الحلقة الشائقة . ولقد اراد واحد ممن يأتونه أن يدون قصيدة طويلة فاشترى منه جرة كبيرة تتسع لتسجيل القصيدة الطويلة !

ويحس اسماعيل بالضجر من طول مكثه فى متجره ، فكان يحمل قفصا فوق ظهره فيه فخاره وخزفه ويدور به فى أسواق الكوفة ليبيعه ويحادث الناس ويحادثونه .. وبينما هو فى طوافه يوما ، مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره وقال : يا فتيان ، أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئا منه لتجيزوه ، فان فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم . فهزئوا منه وسخروا به وقالوا نعم ، فجعل رهنه تحت يد أحدهم وقال : اجيزوا :

ساكنى الأجداث انتم .. .. ..

وجعل بينه وبينهم وقتا فى ذلك الموضع اذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت فله منهم عشرة دراهم . ثم انه فارقهم ليطوف بجراره هنا وهناك ، وعاد اليهم فى الموعد المضروب فلم يجد احدا منهم اجاز البيت فهزأ منهم وقال يتمم البيت بينما يضع الدراهم العشرة فى ثيابه :

ساكنى الأجداث انتم
مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعرى ما صنعتم
أربحتم أم خسرتم

(فى العصر العباسى)

وتمضى الأعوام على « اسماعيل ابن القاسم » وهو بالكوفة يصنع الجرار واوانى الخزف بينما الشعر يتدفق على لسانه مثلما يتدفق الماء العذب فى مجرى النهر ، ولم تنقض

أيام الدولة الأموية حتى كانت أشعار اسماعيل وأوزانه تحمل على أجنحة الرياح الى كل بقعة ينطق فيها لسان عربى مبين .

لم يترك معنى من معانى الحياة والموت الا وخاض فيها بصوره الرائقة البسيطة حتى وصفه معاصروه بأنه كان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، وان كان أكثر شعره فى الزهد والأمثال . كما كانت له أوزان طريفة لم يتقدمه فيها الأوائل .

ومع مطلع العصر العباسى الأول ، كانت موهبة اسماعيل الشعرية قد نضجت واستوت فوق عودها تنشر الطيب من حولها فينتشق الناس من عرفها الشذى . حتى المغنون والقيان فى مكة والمدينة وبلاد الشام وأرض الجزيرة استهواهم شعره ، وسحرتهم أوزانه البسيطة فصدر عنهم غناء كأنما هو شقشقة الأطيار فوق الأفنان .

وفى خلافة المهدى ، كان يطيب لولده « هارون » أن يضم مجلسه صفوة الشعراء والمحدثين ، ولم يكن أحب الى نفسه من جلوس شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » الى جواره ليسمع شعره فى الزهد وفى الأمثال وفى صروف الدهر وتغير الحال .

وبلغ المهدى أن شاعرنا يؤثر هارون على أخيه موسى الهادى فاستدعاه لينشده بعض شعره ثم قال له : أنت إنسان متحذلق مُعَتَّه .

ولا يخفى على لبيب أن رأى المهدى فى الشاعر لم يصدر عنه الا لحنقه عليه . من ذلك اللقاء أطلق الناس على شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » لقب « أبو العتاهية » فشهر به الى يومنا هذا .

ثم تولى الخلافة « هارون الرشيد » فسطع نجم « أبى العتاهية » وصار الجليس الأثير اليه فى أوقات سمره وفى حله وترحاله .

على أن « أبا العتاهية » مع اقبال الدنيا عليه بالأموال والهدايا ، كان عف القلب واللسان ، لا يقرب شرابا ولا يتبذل أو يتهتك ، انما كان سلوكه مع مجتمعه سلوكا فاضلا نظيفا ، ولم يكن يحمل حقدا لانسان ، ولا يغتاب أحدا فى مجلس ، ولا يجرى لسانه بغير الحديث الطيب .

وعرف عنه الإباء والاعتزاز بكرامته فى غير صلف ولا خيلاء ، ولقد اشتغل أبوه زمنا بالحجامة فأراد واحد من معاصريه أن يغمز أبا العتاهية فأشار الى مهنة أبيه ، ولم يغضب أبو العتاهية أو يثور فى المجلس بل قال من فوره :

الا انما التقوى هو العز والكرم
وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقى نقيصة
اذا صحح التقوى وان حاك أوحجم

واندفع الرجل يعتذر لأبى العتاهية على ملأ من المجلس وسأله واحد : كيف تقول الشعر ؟ قال أبو العتاهية : ما أردته قط الا مثل لى ، فأقول ما أريد واترك ما لا أريد ، ولو شئت أن أجعل كلامى كله شعرا لفعلت .

وسأله آخر : ترى هل تعرف العروض يا أبا اسحق ؟ قال أبو العتاهية فى بساطة عجيبة : أنا أكبر من العروض يا بنى . .

(شعره يعرفه العاقل)
(ويُقِرّ به الجـاهل)

طاب المقام لأبى العتاهية فى بغداد حاضرة العباسيين وعروس الشرق ، وانتقلت اليها شهرته ، وذاع على السنة العامة والخاصة شعره المتدفق ، وأصبح حديث المحافل الأدبية أينما انعقدت وتحلق من حولها الأدباء والشعراء والرواة والمحدثون.

فى مجلس مصعب بن عبد الله ، وكان من أئمة نقاد الشعر فى بغداد ، كان الحديث يدور كل يوم حول أبى العتاهية وشعره وأوزانه ، وأحب القوم ذات يوم أن يسمعوا رأى مصعب فى شعر أبى العتاهية فسأله أحمد بن زهير اقرب جلسائه : من تراه اشعر الناس فى زماننا يا مصعب ؟ قال مصعب فى رأى قاطع : ابو العتاهية أشعر الناس فى هذا الزمان . فسأله ابن زهير ثانية : بأى شىء استحق ذلك عندك ؟ قال مصعب : استحق ذلك بقوله :

تعلقت بآمال
طوال أىّ آمال
وأقبلت على الدنيا
ملحا أىّ إقبال
أيا هذا تجهز لـ
فراق الأهل والمال
فلا بد من الموت
على حال من الحال

ثم أردف مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويُقر به الجاهل .

(فى مجلس الرشيد)

وفى قصر الرشيد ينعقد المجلس الشائق ، مجلس سمر الخليفة فى أمسيات بغداد الرائقة ، ويلتقى الشعراء والمحدثون والمغنون يتطارحون الشعر والروايات ثم يدور الرشيد بعينيه فى الحضور ويلمح أبا العتاهية يحاور أبا نواس فيدعوه الى الاقتراب منه ويقول : ايه يا أبا اسحق ، لم تقل شيئا منذ قدمت مجلسنا . قال ابو العتاهية : أعز الله أمير المؤمنين . ما أرانى اقول شعرا الا أن يأذن مولاى ، فيبتسم الرشيد ويهش فى وجهه ثم يقول : عظنى أبا اسحق . قال أبو العتاهية : اخافك يا أمير المؤمنين . قال الرشيد: أنت آمن . فأنشده :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس
اذا تسترت بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة
لكل مدرّع منا ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

فبكى الرشيد حتى بل كمه .

وهناك فى ركن قصى من المجلس انتحى بعض الرواة يتحدثون ثم جاء ذكر أبى العتاهية فقال أحدهم : سأسمعكم رأيا طريفا فى شعره . التقى مسعود بن بشر المازنى بابن مناذر فى مكة فسأل مسعود ابن مناذر : من أشعر اهل الاسلام ؟ قال ابن مناذر : اشعر اهل الاسلام من السابقين « جرير » ومن المحدثين هذا الخبيث الذى يتناول شعره من كمه فسأله مسعود : ومن هو هذا الخبيث ؟ قال ابن مناذر : انه ابو العتاهية . فضحك القوم حتى سمعهم الرشيد وطلبهم ليسمع منهم ما اضحكهم .

ثم مال الرشيد على أبى العتاهية وسأله أن ينشده شعرا فى الغزل ،

فقال أبو العتاهيـــة : اعفنى يا أمير المؤمنين فما عادت نفسى تهفو اليه ، فأعاد عليه الرشيد فأنشد أبو العتاهية فى حضور ابراهيم الموصلى النديم :

اخلاىّ بى شجو وليس بكم شجو
وكل امرىء عن شجو صاحبه خِلو
وما من محب نال ممن يحبه
هوى صادقا الا سيدخله زهو
بليتُ وكان المزح بدء بليتى
فأحببت حقا والبلاء له بدو
وعلقتُ من يزهو على تجبرا
وإنى فى كل الخصال له كُفو
رأيت الهوى جمر الغضى غير انه
على كل حال عند صاحبه حلو

طرب الرشيد أيما طرب ونظر الى ابراهيم الموصلى نظرة فهم منها أنه يبغى سماع الشعر الرقيق ملحنا ، فقام ابراهيم وغاب واخل القصر ليصنع اللحن .

وأحب الرشيد أن يسمع قصة رفض أبى العتاهية أن يزوج ابنته من أخيه منصور بن المهدى فقال يسأله : أجبنا أبا اسحق صادقا مصدقا ، كيف جاز لك أن ترفض زواج ابنتك من أخى منصور وتدعى أنها خطبت لابن أخيك ؟ أى عذر لك الا تكون ابنتك زوج أمير عباسى ؟

وهنا تبسم أبو العتاهية ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وكفاه شر الأيام وصروف الدهر . أما وقد احببت أن تسمع حقيقة الامر ، فاعلم أعزك الله ، أن الله رزقنى بابنتين سميت احداهما « لله » وسميت الأخرى « بالله » ثم بعث الى منصور ابن المهدى يخطب « لله » فقلت للأمير ، وأنا اكذب عليه ، انها خطبت لابن أخى ولا سبيل الى الرجوع فى كلمتى . والحقيقة يا أمير المؤمنين أننى رفضت زواجها من ابن المهدى وقلت لنفسى : انما طلبها لأنها بنت أبى العتاهية ، وكأنى بها قد ملَّها ، فلم يكن لى الى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجها الا بائع خزف وجرار ولكنى اختاره لها موسراً .

وأعجب الرد الرشيد وقال : ما سمعت هذا التعليل والله من أحد الا أنت . وجاء ابراهيم الموصلى واتخذ مجلسه أمام الرشيد وقد أمسك بعوده ثم انطلق يغنى الأبيات فسكت كل من فى المجلس وجاءت الجوارى والغلمان من داخل القصر يسمعون اللحن الجديد وهم يهتزون طربا ، وشهدت بغداد ليلة فريدة فى تاريخها امتد الغناء خلالها حتى بانت خيوط الفجر .

(حبس أبى العتاهية)

أحس أبو العتاهية فى تلك الليلة الرائقة أن الرشيد لن يقنع منه بهذه الأبيات الخمسة فى الغزل ، فانقطع عن حضور سمره ومجلسه أياما متوهما انه سينسى ذلك الشعر ففى شعر غيره فى الغزل غناء له عنه . لكن الرشيد تفقده بعد ذلك ثم بعث اليه بمن يحضره . وجاء أبو العتاهية وسلم على الرشيد ثم أحب أن يجلس بعيداً لكن الرشيد أمر بأن يقرب منه مجلسه . ومال الرشيد على الشاعر يسأله : أنشدنا أبا اسحق آخر ما قلت فى الغزل . قال أبو العتاهية : أصلح الله أمير المؤمنين ، ما قلت والله شيئا منه منذ تلك الليلة . قال الرشيد : وهل يقف لسانك عن أن ينشدنا الساعة ؟ هات ما عندك . قال أبو العتاهية : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين . عزمت ألا أقول شيئا فى الغزل ما بقيت لى حياة .

وهنا اشتد الغضب بالرشيد ، فأشار الى خادمه مسرور ، ولما اقبل عليه ، طلب اليه ان يحمل ابا العتاهية الى الحبس على الا يطلقه ، او يقول شعرا في الغزل .

وظل أبو العتاهية فى الحبس زمنا وكان الرشيد قد رصد على بابه أحد غلمانه ليدون كل ما يقوله من الشعر .

وبعد أيام من حبسه كتب الى الرشيد يستعطفه :

أما والله ان الظلم لؤم
وما زال المسىء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضى
وعند الله تجتمع الخصوم
تموت غدا وأنت قرير عين
من الغفلات فى لجج تعوم
تناوم ولم تنم عنك المنايا
تنبه للمنية يا نؤوم
سل الأيام عن أمم تقضت
ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد فى دار المنايا
وكم رام غيرك ما تروم
الا أيها الملك المرجى
عليه نواهض الدنيا تحوم
اقلنى زلة لم اجر منها
الى لوم وما مثلى ملوم
وخلصنى تخلص يوم بعث
اذا للناس برزت الجحيم

فلما قرأ الرشيد الشعر رق له وأمر باطلاقه . ومن طريف ما يروى فى هذا المقام أن أبا العتاهية أحب أن يرضي الرشيد فأنشده فى الغزل :

من لقلب متيم مشتاق
شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقى الى قعيدة بيتى
ليت شعرى فهل لنا من تلاقى
هى حظى قد اقتصرت عليها
من ذوات العقود والاطواق
جمع الله عاجلا بك شملى
عن قريب وفكنى من وثاقى

فاهتز الرشيد طربا وطلب الى الموصلى أن يغنى الشعر فى تلك الليلة ، ثم سأل مسرورا الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال مسرور : ستين عصا يا أمير المؤمنين . قال الرشيد : هات له ستين الف درهم .

ثم يعكف أبو العتاهية على اتمام ارجوزته الرائعة « ذات الأمثال » التى جاوزت خمسة آلاف بيت. تضمنت أربعة آلاف مثل منها :

لكل ما يؤذى وان قل ألم
ما أطول الليل على من لم ينم
ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء اى مفسده

ولعل من أشهر أبياته التى جرت مجرى الأمثال :

تعالى الله يا سلم بن عمر
اذل الحرص أعناق الرجال

ويموت الرشيد ، ويبكيه أبو العتاهية بالدمع الهاطل ، ويرثيه بأروع ما يرثى به عبد من عباد الله ، وتطعن سنه وينحنى ظهره ، ويعيش سنوات قليلة فى خلافتى الأمين والمأمون ولدى الرشيد ، وتحضره الوفاة فى خلافة المأمون وسنه تسعون عاما فى عام ٢١٣ للهجرة فى بغداد .

وتموت بموت أبى العتاهية شقشقات طائر غريد عاش يغنى على أفنان دوحة اسلامية عالية عملاقة . .

وبعد . فلست ادعى اننى وفيت أبا العتاهية حقه ، انما هو جهد المقل ازاء عبقرية عربية حرى بنا أن نلتفت اليها ونحتفى بها وان نتذاكرها فى زهو وفخر .

الفتاوى

فى الصيد

نشرنا فى العدد ٩٨ من المجلة تحت هذا العنوان سؤالا عن الصائد الذى رمى طائرا ولم يعثر عليه الا ميتا بعد يوم من صيده ، وقد اجبنا على هذا السؤال وتفضل السيد الدكتور احمد الحجى الكردى مدرس الدراسات الاسلامية واللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة ليبيا فى بنغازى بالتعليق الآتى ونحن ننشره ، وان كان فى غير موضوع السؤال لانه يتصل بحكم الصيد عموما ، وفيما يلى هـذا التعليق ..

قرات فى العدد /٩٨/ من مجلة الوعى الاسلامى الصادر فى غرة شهـر صفر لعام ١٣٩٣ هـ فى حقل الفتاوى فتوى تقدم بطلبها السيد محمد الموسى من الشارقة حول شروط حل الصيد ، حيث كان الجواب أن الصيد يكون حلالا بشروط ثلاثة ، ثم ذكر الاستاذ المفتى هذه الشروط بتفصيل مع أدلتها من السنة الشريفة .

وأنا أوافق الاستاذ المفتى على هذه الشروط ، الا أننى أشير الى أن لهذا الحل شروطا أخرى هامة لا بد من توافرها فى الصيد ، والا اعتبر ميتة حراما . واهم هذه الشروط :

١ ــ الا يدركه الصائد حيا ، فان أدركه حيا فلا بد من ذبحه اختيـاريا على الطريقة الشرعية ، والا أعتبر ميتة . فان ادركه حيا ثم مات قبل أن يتمكن من ذبحه دون تقصير منه اكل واعتبر كأنه لم يدركه حيا ، فاذا تراخى فى تتبعه حتى مات لم يؤكل للتقصير . وهذا الشرط هام جدا فى نظرى لما نراه اليوم من تساهل الصيادين فى ذبح صيدهم على الرغم من ادراكهم اياه وهو حى ظنا منهم بان الصيد قام مقام الذبح مطلقا .

ودليل ذلك ان الحيوان لا يؤكل فى الاصل الا بالذكاة الشرعية الاختيارية لقوله تعـالى « الا ما ذكيتم » ، ولكن استثنى منه الصـيد بعد ذلك ضرورة ، والقاعدة الشرعية تقول (الضرورات تقدر بقدرها) ولا ضرورة لا كله بدون ذبح مع التمكن منه بعد الصيد ..

وهذا الشرط متفق عليه لدى جماهير الفقهاء .

٢ ــ ان يكون الصيد باداة حادة ــ اى محددة تقتل بحدها لا بثقلها ــ كالسيف والرمح والسهم وما جرى مجراها ، أو بحيوان جارح معلم ، أما البندق والعصا وغيرهما مما يقتل بثقله لا بحده فلا يحل به الصيد ما لم يدركه الصائد حيا ويذكيه الذكاة الشرعية الاختيارية . وكذلك الحيوان غير الجارح وغير المعلم فانه لا يحل ما صاده ، لقول الله تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ..

والى هذا ذهب جمهور العلماء ، لم يخالف فى ذلك ــ فيما أعلم ــ الا بعض المالكية حيث قاسوا البندق الذى يخرق بقوة حذفه على ما يقتل بحده ، وعلى ذلك أباحوا الصيد بالبنادق التى تستعمل فى الصيد فى هذه الايام ، وذلك خلافا لجماهير الفقهاء . .

والدليل فى نظرى مع الجمهور حيث استدلوا بأدلة وافية من السنة الشريفة بعضها كامن فيما قدمه الاستاذ المفتى من السنة النبوية فى أجابته المنوه عنها حيث ذكر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى جميعها (السهم) وهو آلة محددة كما هو معروف .

ومنها قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد سئل عن الصيد بالمعراض (ما اصبت بعرضه فلا تأكل فهو وقيذ ، وما أصبت بحده فكل) والمعراض هــو السهم الذى لا ريش له .

وقد أفتى العلامة الحنفى قاضيخان بذلك فقال (لا يحل صيد البندقة والحجر والمعراض والعصا ، وما اشبه ذلك وان جرح لانه لا يخرق ــ أى بنفسه ــ الا أن يكون شىء من ذلك قد حدده وطوله كالسهم وأمكن أن يرمى به ، فان كان كذلك وخرقه بحده حل اكله) .

وكذلك سيدى خليل العلامة المالكى فانه افتى بذلك ايضا ونص عليه فى متنه فقال (بسلاح محدد ، وحيوان علم) .

٣ ــ أن يرى الصائد على الحيوان جرحا ظاهرا ، فان لم يكن بالحيوان جرح ظاهرا لم يؤكل . نص على ذلك العلامة قاضيخان فقال (فأما الجرح الذى يدق فى الباطن ولا يخرق فى الظاهر لا يحل لأنه لا يحصل به إنهار الدم) .

هذا ومن العلماء من يشترط خروج الدم من الجرح فعلا ، ومنهم من يكتفى بالجرح فقط دون تعديل على ما سواه وهم الاكثرون .

٤ ــ التسمية عند اطلاق السهم ، أو الحيوان المعلم ، لقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فانه يعم الصيد وغيره . فاذا ترك التسمية ساهيا حل الصيد عند الحنفية والجمهور ، لحديث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) فاذا تركها عامدا حرمت عند الحنفية للآية المتقدمة وحلت عند الشافعية لقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ (المسلم يذبح على اسم الله سم أو لم يسم ولأدلة أخرى مبسوطة فى كتبهم . . والله تعالى أعــلم . .

المــراجع :

١) الزيلعى على الكنــز ٥٣/٦ ــ ٥٩ . .
٢) متن خليل والشرح الكبير وحاشية الدسوقى عليه ١٠٢/٢ ــ ١٠٦ . .
٣) مغنى المحتاج ٢٧١/٤ ــ ٢٧٤ . .
٤) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ٤٦٧/٥ .
٥) المغــرب مادة (عرض) . .
٦) مختار الصحاح مادة (عرض) .

اعـــداد : عبد الحميد رياض

المفسرون من الصحابة

نقرأ أن بعض الصحابة كانوا مشتغلين بالتفسير كابن عباس فهل كان هناك غير هؤلاء مع القاء الضوء على المفسرين المكثرين منهم ؟ .

عز الدين الحضرمي ـــ الصومال

إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أكثر الناس التصـــاقا برسول الله ، وقد شاهدوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب ، ولهم بجانب ذلك صفاء نفوسهم ، وسلامة فطرتهم وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ، قال الحاكم في المستدرك : « ان تفسير الصحابي الذى شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع ».

وكان من أعلامهم في التفسير . ابن عباس فهو ترجمان القرآن قال ابن عباس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ترجمان القرآن أنت » ففي عصره اشتدت حاجة الناس الى الأخذ عنه بعد تاخر الزمان به ، ثم لانقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم ، فلم تشغله خلافة ولم تاخذ عليه وقته رعـــاية شئون الرعيـــة .

وعبد الله بن مســـعود فقد كانت صلته برســـول الله خير مثقف ومؤدب ومعلم ، وهو من أعلم الصحابة بكتاب الله ومعرفة محكمه ومتشابهه وحـــلاله وحرامه ، أخرج ابن جرير عنه أنه قال « والله الذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته » .

وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان من أعـــلام الصحابة فقد كان من المكثرين لأنه عاش في زمن كثرت فيه حاجة الناس الى من يفسر القرآن إذ قد اتسعت رقعة الاسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا من كل جنس حتى كادت تذوب بسبب هـــذا الخليط من الناس خصائص العربيـــة وهي لغة القرآن ، وصاحب ذلك نشاة جيل من أبناء الصحابة ، وقد كانوا أشد ما يكونون حاجة الى علم الصحابة ، ومما دل على عظيم علمه بالتفسير رواية معمر بن وهب بن عبد الله بن أبي الطفيل قا ل: « شهدت عليا رضي الله عنه يخطب ويقول : سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا اخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أفي سهل أم في جبل » .

وأبي بن كعب الأنصاري وقد كان أقرأ الصحابة للقـــرآن ومن المكثرين في التفسير المبرزين فيه .

وقد اشتهر غير هؤلاء الأربعة كثير من الصحابة رضوان الله عليهم منهم الخلفاء الراشدون الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وأبـــو مـــوسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأبو هريرة وابن عمر وجابر وعمرو ابن العاص وعائشة أم المؤمنين لكنهم كانوا دون الأربعة السابقين .

جـــزر الكويت

ما هى الجزر التى تتبع دولة الكويت ؟ وما أسماؤها ؟

سعيد الكامل ــ مالى

يتبع الكويت عدة جزر ، وأكبر جزيرة ((بوبيان)) وطولها نحو ٢٤ ميــلا وعرضها نحو ١٢ ميلا وهى غير مسكونة ، وتقع فى أقصى الشمال الغربى من الخليج العــربى .

والى الشمال من ((بوبيان)) توجد جزيرة ((وربة)) فى مدخل جون الكويت وطولها ٧ أميال وعرضها ٤ أميال .

وجزيرة فيلكا وهى جزيرة قديمة آهلة بالسكان ، وتبعد من الكوت نحو ١٥ ميلا وطولها نحو ثمانية أميال شرقا وغربا ، وعرضها نحو ثلاثة أميال ، وتوجد بها آثار قديمة ترجع الى سنة ٢٥٠٠ ق م كما عثر فيها على آثار يونانية ترجع الى عهد الاسكندر الأكبر .

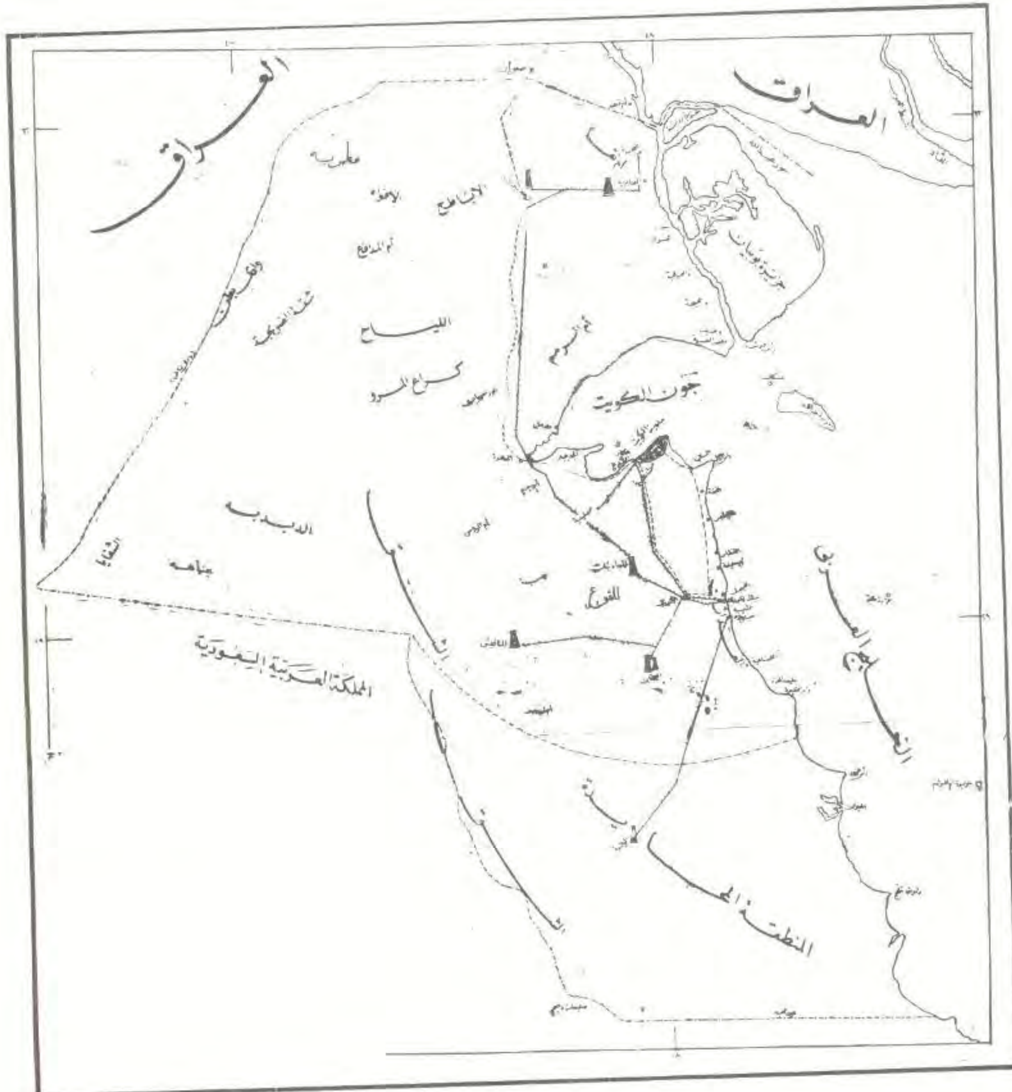
وبجوارهــا جزيرة ((مســكان)) وطــولها ميل إلا ربعا ، وعرضها نحو نصف ميل .

وجزيرة ((عوهة)) وطولها غربا وشرقا نصف ميل ، وعرضها نحو ثلث ميل .

ويقابل الساحل الجنوبى جزر صغيرة غير مأهولة وهى (كبر) و (قاروة) و (أم المرادم) .

وفى داخل الجون أكثر من جزيرة صغيرة ، فبقرب ساحل الشويخ جــزيرة

وهذه خريطة تبين مواقع هذه الجزر .



بأقلام القراء

من الإسرائيليات
مدينة الذهب والفضة

ذكر المفسرون ـ القرطبى ، والخازن ، والنسقى ، والفخر الرازى ، وابو السعود ، والخطيب الشربينى ، وغيرهم ـ عند قوله تعالى فى سورة الفجر : « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » : ـ أن شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة قال : ابنى مثلها ، فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وفى بعض هذه الكتب أنه اتخذ مائة قهرمان مع كل واحد ألف عون ، وجعل حولها سورا ، وحول السور ألف قصر ، وعند كل قصر ألف علم ، وفى كل قصر وزير ...

وكانت مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة ، واساطينها من الزبرجد والياقوت ، وأشجارها من الذهب والفضة ، وثمارها اليواقيت والجواهر ، ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم .

ومن نقل صفة هذه المدينة من غير المفسرين الابشيهى صاحب كتاب المستطرف من كل فن مستظرف ٢/١٤٠ ط ١٣٤٥ هـ ١٩٣٥ م . وأنا أنقل بعض آراء العلماء النقاد فى مدينة الذهب والفضة مما صادفته فى مطالعاتى ... ياقوت صاحب معجمى البلدان والادباء المتوفى سنة ٦٢٦ هـ.

« قلت هذه القصة مما قدمنا البراءة من صحتها ، وظننا أنها من أخبار القصاص المنمقة وأوضاعها المزوقة » . بلدان ياقوت ١/٢٠٠ مادة إرم .

ابن كثير المفسر والمؤرخ المشهور المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

قال فى التفسير مبديا رأيه فى هذه المدينة بعد أن ذكر صفتها المتقدمة ، وانها تنتقل فتارة تكون بارض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، أو بغير ذلك من البلاد ، فان هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم فى جميع ذلك ...

وعقب أيضا على ما ورد من أن عبد الله بن قلابة خرج فى إبل له فى زمان معاوية فاطلع على مدينة قريبة الشبه بهذه المدينة الذهبية فرجع وأخبر الناس فذهبوا الى المكان فلم يروا شيئا ...

فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح الى ذلك الاعرابى فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك حقيقة فى الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ... تفسير ابن كثير فى أى طبعة عند ذكر هذه الآية : ـ

وقال فى الجزء الاول من التاريخ الذى طبع مستقلا تحت عنوان قصص الانبياء : « ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهى تنتقل فى البلاد فقد غلط وأخطا وقال ما لا دليل عليه . قصص الانبياء ١/١٢١ ط ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

ابن خلدون صاحب التاريخ والمقدمة المتوفى سنة ٨٠٨ هـ : زعموا أن هذه المدينة موجودة فى صحارى عدن فى اليمن قد توغل فيها الادلاء من كل جانب فلم ينقل عن واحد منهم أنه عثر عليها ، ويدعون أن العثور عليها من نصيب السحرة ، وينزه كتاب الله عن القصص الموضوعة التى هى أقرب الى الكذب المضحك ، والمعنى أنهم أهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم .. مقدمة ابن خلدون ص ١٨ ..

الالوسى صاحب التفسير المتوفى ١٢٧٠ هـ .

قال : « وخبر شداد اخوه فى الضعف (إشارة الى خبر عبد الله بن قلابة) بل لم تصح روايته كما ذكره الحافظ بن حجر فهو موضوع كخبر ابن قلابة »

تفسير الآلوسى الجزء الاخير سورة الفجر ـ الم تر كيف فعل ربك بعاد ـ محمد عبده المصلح المشهور المتوفى ١٩٠٥ م .

وقد يروى المفسرون هنا حكايات فى تصوير إرم ذات العماد ، كان يجب أن ينزه عنها كتاب الله فاذا وقع إليك شىء من كتبهم ونظرت فى هذا الموضع فتخط ببصرك ما تجده فى وصف إرم ، وإياك أن تنظر فيه .

تفسير جزء عم ، محمد عبده ، سورة الفجر ، الآية المذكورة ..

أما بعـد ... فهذه آراء العلمـاء المنكرة لمدينـة الذهب والفضة والمصرحة بأنها اختلاق ومن الإسرائيليات جمعتها فى صعيد واحد ، والغريب أن بشرا يستطيع أن ينافس صنعة الله فيبنى مدينـة على مثال الجنة ، كيف يصدق هـذا الكلام ، وأنا أضم رأيى لهؤلاء الذين نزهوا كتـاب الله عن أساطير القصاصين ومفتريات الوضاعين ، وإفك الخراصين ، وينبغى أن يكون هناك فيصـل يعـرفه الخاصـة والعـامة ، فلا يشاب الحق ببعض الباطل ، ولا يختلط الصـدق ببعض الأساطير ..

عبد الرحمن أحمد شادى

من هـــدى النبــوة)

عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنــه قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه » متفق عليه .

هذا حديث شريف صحيح فيه الخبر من النبى صلى الله عليه وسلم عن المؤمنين انهم على هـذا الوصف . ويتضمن الحث على مراعاة هذا الأصل وأن يكونوا اخوانا متراحمين متحـابين متعاطفين يحب كل منهم للآخر ما يحب لنفسه وأن عليهم مراعـاة المصالح الكلية الجامعة لمصالحهم كلهم وأن يكونوا على هذا الوصف .

فان البنيان المجموع من أساسات وحيطان محيطة كلية وحيطـان تحيط بالمنازل المختصـة وما تتضمنه من سقوف وأبواب ومصالح ومنافع كل نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتى ينضم بعضها الى بعض .

كذلك المسلمون يجب أن يكونوا كذلك فيراعوا قيام دينهم وشرائعه وما يقوم ذلك ويقويه ويزيل موانعه وعوارضــه فالفروض العينية : يقوم بها كـل مكلف لا يسع مكلفا قادرا تركها أو الاخلال بها وفروض الكفايات : يجعل فى كل فرض منها من يقوم به من المسـلمين بحيث تحصل بهم الكفاية ويتم بهم المقصود المطلوب .

فالمسلمون قصدهم ومطلوبهم واحد وهو قيام مصالح دينهم ودنياهم التى لا يتم الدين إلا بها وكل طائفة تسعى فى تحقيق مهمتها بحسب ما يناسبها ويناسب الوقت والحال ولا يتم لهم ذلك الا بعقـد المشاورات والبحث عن المصالح وباى وسيلة تدرك وكيفية الطرق الى سلوكها واعانة كل طائفة للاخرى فى رأيها وقولهـا وفعلها فمنهم طائفـة تتعلم وطائفة تعلم ومنهم طائفـة تخرج الى الجهاد وبعد تعلمها لفنون الحرب ومنهم طائفة تحافظ على الحدود ومسالك الأعداء ومنهم طائفـة تشتغل بالصناعات المناسبة لزمانهم ومنهم طائفة تشتغل بالزراعـة والتجارة والمكاسب المتنوعــة والسعى فى الأسباب الاقتصـادية ومنهم طائفـة تشتغل بدرس السياسة وأمور الحرب والسـلم وما ينبغى عمله مع الاعداء مما يعود الى مصلحة الاسلام والمسلمين .

وبالجملة يسعون كلهم لتحقيق مصالح دينهم ودنياهم متساعدين متساندين يرون الغاية واحدة وان تباينت الطرق والمقصود واحد وان تعددت الوسائل اليه .

عبد الله بن عبد الرحمن السند



قالت صحف العالم

الرســــالة والرسول

عندما تأتى ذكرى مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، يستعيد العالم بها ذكرى جهاد لا مثيل له ، انتقل بالعرب من أمة متباغضة متحاسدة ، من قبائل متناثرة فى الصحراء الى امة موحدة متعاطفة متعاونة ، تحمل الى العالم رسالة غيرته من حال الى حال ، وبعثت فى أوصاله الحركة والحياة وأشعت عليه نور العدالة وأقرت بين شعوبه مبدأ المساواة بين الناس .. وسرت الدعوة الجديدة من الجزيرة العربية الى خارجها ، فهزت العروش والامبراطوريات ، وبلغت شاطىء المحيط .

وقد تساءل الكثير من الكتاب والمفكرين الغربيين عن هذا السر او السحر الذى جعل من نفر قليل غزاة أقوياء تدين لهم الارض وتنفتح لهم القــــلوب ، واجمعوا على أنه الايمان بالرسالة الجديدة . ولا ايمان من غير صدق ولا صدق من غير معرفة ، وقد أطلق الاسلام العقول من أسار الخرافات والأساطير ، وكرم الانسان وقدس حريته فى الفكر والرأى وحضه على جهاد النفس وتخليصها من الشهوات والنزوات ورسم له الحياة فى أبهى صورها من المحبة والتعاطف ، وقدم الاسلام فى تاريخه الطويل نماذج من الرجال عدلا وحكمة وشـــجاعة وايثارا ، وقدم دولا أشاعت الطمانينة وآمنت بالحرية وكفت عن المظالم ، وأقامت حضارة نشرت العلوم والمعارف وأضاءت ، حيثما وجدت ، خير ما فى النفس الانسانية من عزم وصبر وكفاح .

كان محمد يتيما فقيرا واصطفاه ربه لحمل الرسالة فتحمل فى ســبيلها العنت والارهاق واستطاع بقوة الايمان أن يبلغ بها ما أراده لها ربها من الذيوع والانتشار . ولما حضرته الوفاة ترك الدنيا وهو لا يملك منها قليلا أو كثيرا ، فلم يكن طامعا فى ملك ولا سلطان ، بل ظل حتى آخر حياته يقول لأنصاره وأتباعه والمؤمنين ما أنا الا بشر يوحى اليه . ولم يدع لنفسه قدرة خارقة ولا امتيازا ولم ينسب اليه انه أتى بمعجزة .. كانت رسالته دعوة الى العقل والتدبر والنظر الى الآفاق .

وفى تاريخ الاسلام بعد محمد ، ظل تقديس العقل هو الأساس ، وظلت الحرية هى ملاك التقدم والامتياز . وظلت المصــــالحة بين الدين والدنيا هى العقيدة الثابتة .. يأخذ المسلم من الدنيا ما يشاء فى حدود الحلال المباح ، ويعطى ربه حقه من العبادة والخشوع والايمان ، وهذا التوازن الواضح فى العقيدة الاسلامية هو الذى طوع لها أن تسود فترة من الزمان ، وفقدان هذا التوازن هو الذى اصابها فى فترة اخرى بالانكماش والاضمحلال فخير ما يفعله المسلمون تحية لمولد نبيهم الكريم أن يعيدوا هذا التوازن ويحتفظوا به .

(عن صحيفة أخبار اليوم القاهرية)

الاسلام .. والواقع العربى المعاصر

الاســــلام كون شاسع الأطراف بكل ما تعنى هذه الكلمة من مدلول فى العمق والسماكة والطول ، فهو نظام حياة يتناول ســـلوك الفرد والجماعة

وعلاقاتهم بالحياة والاشياء . وقد استطاع هذا الدين أن يفجر فى أوساط الجماعة الاسلامية التى التزمت ودانت به طاقات هائلة أثرت البشرية بشتى القيم الحضارية كما رفدها باسباب القوة والمنعة من التاثيرات الخارجية ما دامت ملتزمة بتعاليمه متجاوبة مع قيمه ومعانيه . والأدلة على ذلك كثيرة ومتوفرة ، فى كل زمان ومكان ، ويكفى أن نشير هنا الى تغلب الاسلام بامكاناته المادية والبشرية التى لا تقاس اطلاقا بأمكانات الحضارتين الفارسية والرومية وانتصاره على دولتى الفرس والروم مجتمعتين ، واستطاع أن يمتد بجهاته على جهات الدنيا الاربع ويحقق نجاحا متفوقا فى كل الميادين التى خاض غمارها .

وظلت ظاهرة الانتصار والغلبة تواكب تاريخ هذه العقيدة على اختلاف الاوساط والميادين وظل سبب النصر مربوطا بمدى الالتزام به .

ورغم الانحسار السياسى الذى منيت به الشعوب الاسلامية نتيجة انسلاخها عن أخلاق الاسلام وتعاليمه فان الاسلام كفكر وحضارة ودين ظل شامخا متعاليا فوق كل ما أفرزته البشرية من أفكار .. ؟!

وظل الفكر الانسانى كله كالوليد الذى يتعثر أمام الرجل الراشد المستكمل لقواه العقلية والجسدية ، ازاء الاسلام .

ومن هنا نستطيع أن نفسر التناقضات المختلفة التى تعانى منها البشرية ، والمقالب والثغرات التى أحدثت رتوقا كبيرة فى مسيرة البشرية المجافية لأمر الله .

لقد حصلت كل الهزائم فى تاريخنا السياسى فى الوقت الذى كان الاسلام معزولا عن الحياة ، فقد تعرض الوطن العربى لهجمات المغول بعد أن مهد لهذا الغزو فلسفات الزنادقة وحركات الشعوبية ، فولج التتار طريقا معبدا ، ولكن الضربة الموجعة التى اسفرت عن احتلال بغداد فجرت فى المسلمين كنوز عقيدتهم فعادوا اليها عودة الضائع الى اهله وحماه ، وحصلت بعودتهم الى دينهم المعجزة وتحقق النصر وعم الاسلام الوطن العربى من جديد بعد أن كاد المغول أن يغيروا ملامحه ، وقد جاءت الحروب الصليبية على فترة من الفساد والانحلال العقيدى والاجتماعى فى المجتمع الاسلامى نتيجة لعودة الافكار المادية وشيوع المبادىء الفكرية ممثلة بحركات اخوان الصفا على الصعيد الفكرى وحركات القرامطة والحشاشين على الصعيد السياسى . وكذلك أعاد التاريخ نفسه وتعرض الوطن العربى الى غاز جديد ممثلا بموجات الحروب الصليبية التى استطاعت أن تقيم الدول والامارات فى أرجاء الوطن العربى ، وأخذت تعمل بجد على تغيير معالم المجتمع المسلم .

ولكن المعجزة عادت من جديد فشعر الناس بضرورة العودة الى دينهم وادركوا الخسارة التى منوا بها بسبب انعزال الاسلام عن حياتهم وبدأت المحاولة من جديد ، وقد استطاع المجتمع الاسلامى نتيجة لادراكه أسباب هزيمته أن يصحو على واقعه ويعود الى أسباب قوته وعوامل نهضته ، وقد أفرزت هذه العودة الكريمة القيادة القوية الحكيمة التى استطاعت أن توحد معظم أقطار الوطن العربى رغم كثرة الدول والامارات واختلاف المذاهب والاتجاهات ، وكان صلاح الدين الأيوبى هو فارس تلك الرحلة والنموذج الانسانى الرفيع الذى صاغته تعاليم الاسلام ومبادئه وقيمه ، فأعاد للأمة وحدتها ورد لها كرامتها وحرر أجزاءها المغتصبة وبعث الشخصية الاسلامية المتميزة باخلاقها ، وكان الفارس الذى ما زالت أوروبا تحترمه وتقدر عبقريته ومزاياه رغم أنه عدوها وقاهرها والذى اجلاها عن الديار المقدسة .

وهكذا ظلت أوضاع الوطن العربى بين تقدم وانحلال بالمقدار الذى تلتزم به بالاسلام أو تجافيه وما زالت هذه المعادلة هى البديهية التى يؤكدها واقع العرب والمسلمين ..

(عن مجلة الشهاب اللبنانية)

أخبار العالم الإسلامي

أعـــداد : فهمى الإمـــام



الـــكويت : نظم مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وحركة التحرير الوطنى الفلسطينى فتح ، والمنظمات الفدائية والاتحادات الشعبية الفلسطينية والكويتية فى دولة الكويت جنازة رمزية تحية لشهداء العاشر من نيسان (ابريل) ضحية الغدر الصهيونى ، وقد مثل دولة الكويت فى الجنـــازة وزيـــر الأوقاف والشئون الاسلامية .

واشترك فيها المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم ، وعدد من السادة أعضاء مجـــلس الأمة ، ورؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ،وكبار ضباط وزارة الداخلية وأعضاء اللجنـــة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الموجودين فىالكويت ، وآلاف من المواطنين والفلسطينين وأبنـــاء الدول العربية المقيمين فى الكويت ، وطـــلابوطالبات المدارس المتوسطة والثانوية .



● ألقى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية كلمة فى جموع المصلين بمسجد فهـــد السالم بعد أن أدوا صلاة الغائب على أرواح شهداء المقاومة الفلسطينية .

● أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميـــة احتفالها السنوى المعتاد بذكرى المولـــد النبوى الشريف فى مسجد السوق الكبير ، وقد افتتح الحفل كما اختتم بتلاوة من آيات الذكـــر الحكيم وتتابع الخطباء بكلمات مناسبة ، وشهد الحفـــل جمهور كبير من المسلمين .

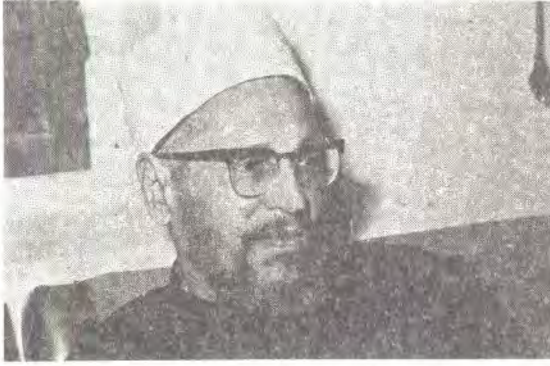


● زار البلاد وفد مغربى برئاسة الأمير عبد الله شقيق الملك الحسن .

● بدأت وزارة التربية بالتعاون مع وزارة الدفاع تنفيذ برامج الفتوة العسكرية فى المدارس الثانوية والجامعة .

القـــاهرة : تقرر افتتاح ثلاث كليات أزهريـــة جديدة فى بداية العام الدراسى القادم واحـــدة للشريعة وأخرى للقانون فى طنطا والزقازيـــق

والثالثة لاصول الدين بطنطا .. وانشاء ١٢ معهداأزهريا بالمحافظتين .



● عين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخا للازهر ، وقد حصل فضيلته على العالمية سنة ١٩٣٢ م ثم درس الفلسفة فى جامعة باريس ، وحصل منها على الماجستير والدكتوراه ، وتدرج فى مناصب الأزهر حتى أصبح وكيلا له سنة ١٩٧٠ ثم عين وزيرا للأوقاف وشئون الازهر ، كما شغل من قبل منصب الأمين العام لمجمع البحـــوث الاسلامية .

● عين فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزيراللازهر ، وقد تقلد فضيلته عدة مناصب أزهرية وكان وكيلا للازهر .

● صرح فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى الوزيرالجديد لشئون الأزهر بأن أول مشروع ينفذه سيكون حفظ القــرآن الكريم كله ونشره بين الجماهيــروجعله شرطا للترقية الى وظائف عمداء المعاهــد والمفتشين فى الأزهر والاوقاف ومأذونى الشرع ،واعتبار مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى المدن والقرى فى حكم المدارس الابتدائية لايخضــع تلاميذها لقانون الالزام ، وتخفيف الازدواج فــى مناهج التعليم الابتدائى الازهرى لافساح المجــال لحفظ القــرآن .

● تنظم ادارة الوعظ بالازهر قوافل للتوعيــةالدينية بمحافظتي اسيوط والمنيا ، وستعقد الندوات للحديث عن الجهاد والصمود والوحــدة الوطنيةومؤامرات اليهود عبر التاريخ ودور الشباب فــى المعركة وصور من البطولات الاسلامية .

● صدر الجزء الرابع من معجم الفاظ القرآنالكريم الذى أعده مجمع اللغة العربية .

يصدر قريبا عن المجلس الأعلى لشئون الاسلاميةالجزء الثانى من كتــاب « الغريبين » لابى عبيد الهروى .

السعــودية : سافر وفد سعودى الى كل منتونس والجزائر يحمل المؤن والادوية والخيــام والمساعدات المالية للمتضررين بالفيضانات الخطيرةالتى حدثت هناك .

● قدمت المملكة العربية السعودية مبلغ ١٠ملايين جنيه استرلينى لدعم الجيش السورى .

فلسطين المحتلة : بلغ عدد المهاجرين السوفييت٣٢ ألف مهاجر ، وهم يسهمون فى التقدم العلمى والفنى للعدو الاسرائيلى .

● فى أعقاب الحملة الاسرائيلية الأخيرة علىلبنان ، واستيلاء اسرائيل على بعض الوثائق الفدائية تشن السلطات الاسرائيلية حملة اعتقالاتواسعة النطاق داخل الأراضى العربية المحتلة .

سوريا : وصلت طلائع القوات المغربية التىأمر الملك الحسن الثانى بارسالها الى سوريــا للمرابطة على جبهة الجولان — الى دمشق خلال الأيام القليلة الماضية .

لبنــان : قام الكوماندوز الاسرائيلى بعد منتصفليلة الاثنين ٧٣/٤/٩ بهجوم مزدوج تناول الاول نسف عدة مكاتب فدائية فى بيروت وقتل وجرححوالى ٥٥ شخصا بينهم ثلاثــة من قــادة فتــح والاخر فى صيــدا .

ليبيــــا : أنهى المؤتمر الاسلامى الرابع لوزراءالخارجية اجتماعاته بليبيا ، واتخــــذ القرارات الايجابية ، وأرسال وفد خماسى الى الفلبينلبحث أوضاع المسلمين هناك ..

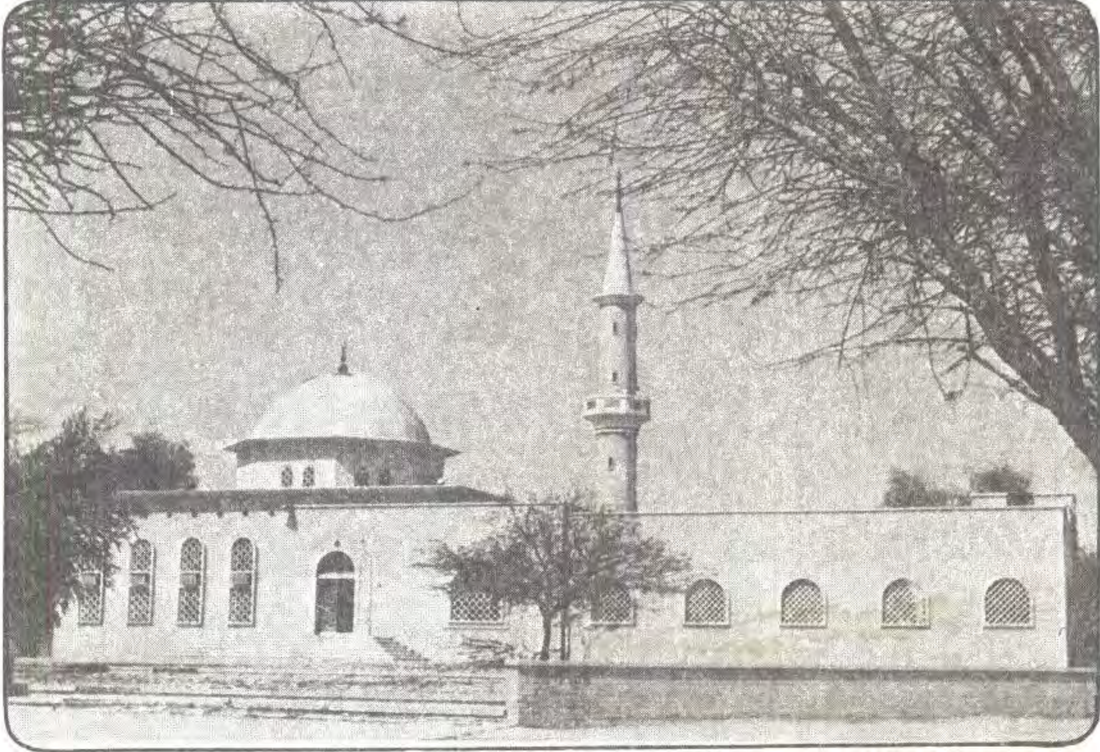
وانتخب المؤتمر الأستاذ حسن التهامى أميناعاما للمؤتمر الاسلامى خلفا لتنكو عبد الرحمن .

وفى خطاب ألقاه الرئيس معمر القذافى بمناسبةالمولد النبوى الشريف دعا الى تطبيق الفكر الــذى نادى به الرسول صلى الله عليه وسلم ومواجهــةكل فكر مخالف .

المغرب : يجب الا نتكلم فى منازلنا وفيما بيننا حيثماكنا باللغة الاجنبية عن لغتنا ، والا نراسل بعضنا ولا نقبل أى مراسلة الا بالعربية لغة ديننا — من البيان الذى أصدره حزب الاستقلال المغربى ودعا فيه الى تعريب المغرب .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع ثان ١٣٩٣ هـ	مايو ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الخميس	١	٣	٣ ٢٧	٥ ٥	١١ ٤٥	٢ ٢٠	٦ ٢٤	٧ ٤٩	٩ ٣	١٠ ٤١	٥ ٢١	٨ ٥٦	١ ٢٥
الجمعة	٢	٤	٢٦	٥	٤٥	٢٠	٢٥	٥٠	٢	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥
السبت	٣	٥	٢٥	٤	٤٥	٢٠	٢٥	٥١	٠٠	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥
الاحد	٤	٦	٢٤	٣	٤٥	٢٠	٢٦	٥٢	٨ ٥٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الاثنين	٥	٧	٢٣	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٣	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الثلاثاء	٦	٨	٢٢	١	٤٤	٢٠	٢٧	٥٣	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الاربعاء	٧	٩	٢١	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٤	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	٨	١٠	٢٠	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٥	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٦
الجمعة	٩	١١	١٩	٤ ٥٩	٤٤	١٩	٢٩	٥٦	٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧
السبت	١٠	١٢	١٩	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٧	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الاحد	١١	١٣	١٨	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٨	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧
الاثنين	١٢	١٤	١٧	٥٧	٤٤	١٩	٣١	٥٩	٤٦	٢٦	١٣	٤٨	٢٨
الثلاثاء	١٣	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٨ ٠٠	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	١٤	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٧	٢٨
الخميس	١٥	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٤١	٢٢	١١	٤٦	٢٨
الجمعة	١٦	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٣٩	٢١	١١	٤٦	٢٩
السبت	١٧	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٣٨	٢٠	١٠	٤٥	٢٩
الاحد	١٨	٢٠	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٣٧	١٩	١٠	٤٤	٢٩
الاثنين	١٩	٢١	١٠	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٣٥	١٨	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٠	٢٢	١٠	٥٢	٤٤	١٩	٣٦	٦	٣٣	١٦	٨	٤٣	٣٠
الاربعاء	٢١	٢٣	٩	٥٢	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣٢	١٥	٨	٤٣	٣٠
الخميس	٢٢	٢٤	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣١	١٤	٧	٤٢	٣٠
الجمعة	٢٣	٢٥	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٨	٨	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
السبت	٢٤	٢٦	٧	٥٠	٤٤	١٩	٣٨	٨	٢٩	١٢	٦	٤١	٣٠
الأحد	٢٥	٢٧	٧	٥٠	٤٥	١٩	٣٩	٩	٢٨	١١	٦	٤٠	٣٠
الاثنين	٢٦	٢٨	٦	٥٠	٤٥	٢٠	٤٠	١٠	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	٢٧	٢٩	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤٠	١١	٢٥	٩	٥	٣٩	٣١
الاربعاء	٢٨	٣٠	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٢	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الخميس	٢٩	٣١	٤	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٣	٢٣	٧	٤	٣٨	٣١
الجمعة	٣٠	يونيو	٤	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢٢	٦	٣	٣٨	٣٢



مسجد سيدنا عثمان بن عفان

اسمـــه : عثمان بن عفان بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشى الأموى .

مولـــده : ولـــد بمكـــة . .

اسلامــه : اسلم بعد البعثة بقليل ، وتزوج بنتى النبى صلى الله عليه وسلم : رقية ، ثم أم كلثوم ، ولقب لذلك بـــذى النورين ، وهو احد العشرة المبشرين بالجنة .

خلافتــه : آلت اليه الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ . .

فتوحاتــه : افتتحت فى عهده ارمينية والقوقاز وخراسان وكـــرمان وسجستان وأفريقية وقبرص ، وفى عهده تم جمع القرآن الكريم وكتابته برسمه المتداول والمعروف بالرسم العثمانى وهو أول من زاد فى المسجد الحرام ومسجد الرسول .

وفاتـــه : حوصر فى داره اربعين يوما ، وتسور عليـــه بعضهم الجدار فقتلوه وهو يقرأ القرآن فى شهر ذى الحجة عام ٣٥ هـ ودفن فى البقيع ومدة خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وايام .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

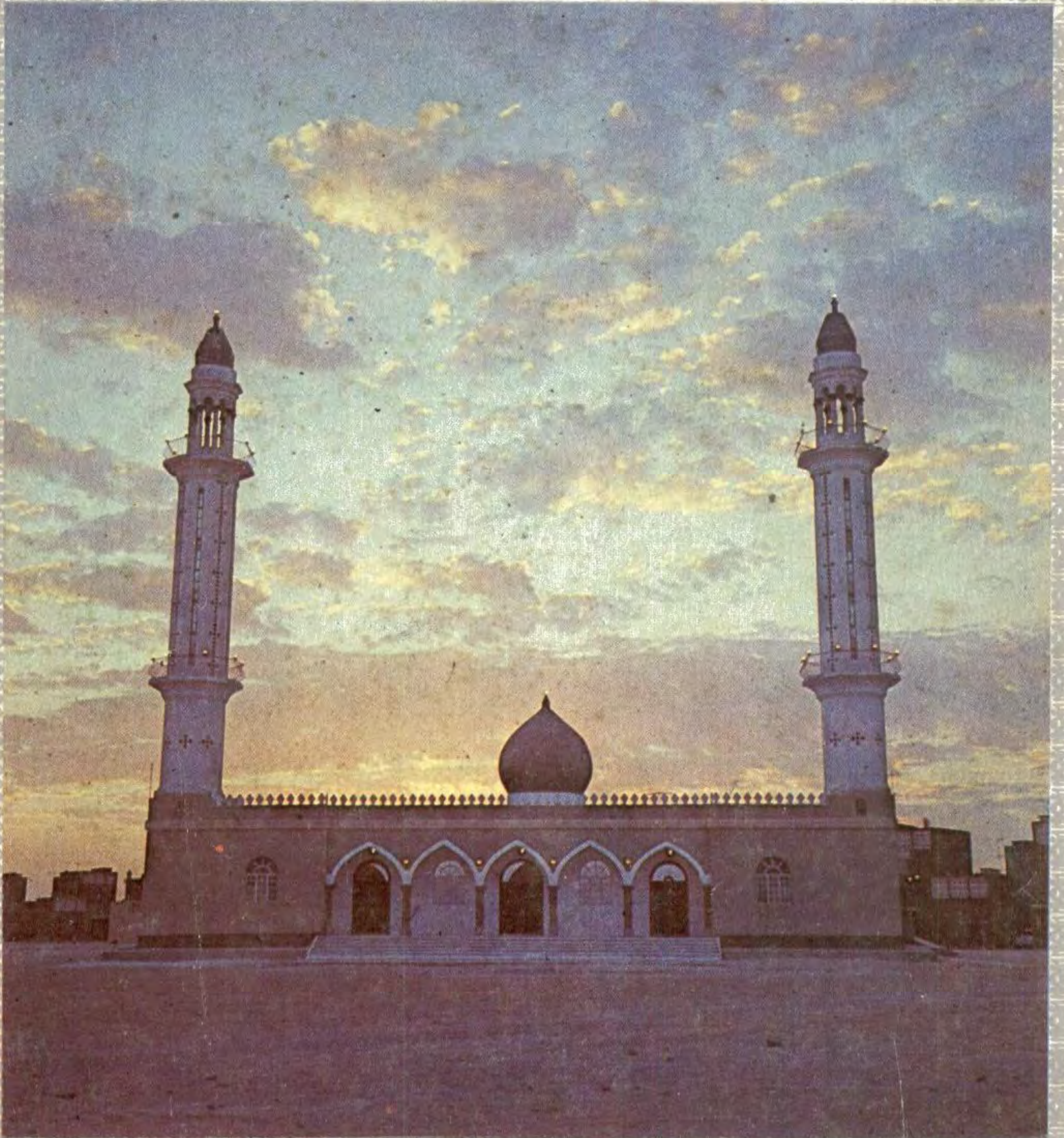
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

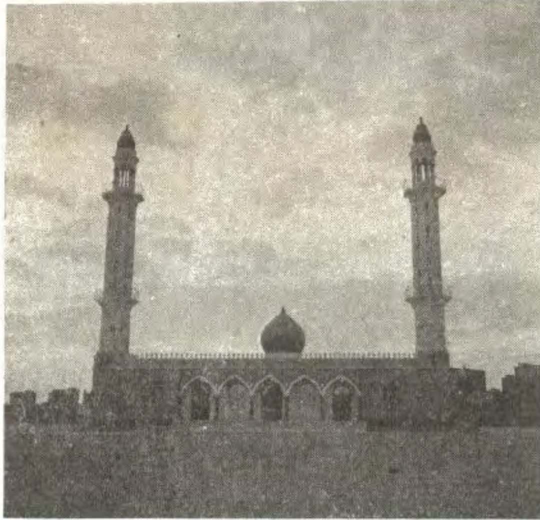
السنة التاسعة — العدد ١٠١ — غرة جمادى الأولى ١٣٩٣هـ ٢ يونيه (حزيران) ١٩٧٣ م



وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

محمد موذني



مسجد مدينة عيسى
بناه أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة عام ١٩٦٨م •

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة
العدد (١٠١)
غرة جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ
٢ يونيه (حزيران) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

١

العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق

العلمانية في مرحلتها الأولى من الفكر الأوروبي وهي تمثل التنافس على السلطة

للدكتور محمد البهى

العلمانية والاسلام .. بين الفكر والتطبيق

مقـــدمة :

يفرض علينا الاجنبى ـ منذ الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر : « موضوع التفكير » ويجرنا الى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا ، ويدفعنا فى

متاهات ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتنا ، أو نتركها عن قصد . وربما نتركها متحدين إياها ، وجاهد ين فى حمل الآخرين منا علـى الترغيب عنها :

فرض علينا « العلمانية » فى تعليمنا فى مدارسنا وجامعاتنا ، وفرضها علينا فى تشريعنا وفرضها علينا فى تفكيرنا وسلوكنا ، وفرضها علينا فى سياستنا ، وفرضها علينا فى اقتصادنا .. ففصل بين الاسلام وحكم الدولة ، وأبعد الاسلام عن مجالات الحياة العامة ، وتركه فى داخل المسجد وفى قلوب الناس ، يمارسونه اعتقادا وقلما ينزلون به الى التطبيق .

ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية ان يفرض علينا علمانية من نوع آخر متطرف .. يحاول ان يفرض علينا الغاء الدين عقيدة ، بعد ان طمست معالمه عملا فى أوضاع المسلمين .. يحاول ان يصل بنا الى ما يسمى : « الالحاد العلمى » وهو مرحلة من مراحل العلمانية كى تصل عن طريقه الى مجتمع غير طبقى !! .

يفرض علينا العلمانية كحل لمشكلة ازدواج السلطة ، وكحل آخر لتحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية .

هل المجتمع الاسلامى فى ظل الاسلام ومبادئه : فى الحكم والسياسة ، وفى نظرته الى الانسان ، وفى تحديد منهج السلوك له .. تنشأ لـه مشكلة تتعين العلمانية حلا لها ؟ أم أن العلمانية كحل تتطلب أن نستورد من الأجنبى عنا مشكلته أولا ؟ فان صعب استيرادها فلنتصورها على الأقل ، وتكون العلمانية عندئذ حلا لوهم وليست لحقيقة قائمة فعلا ؟

ان هذا البحث يحاول الإجابة عن هذين السؤالين .

أ ــ العلمانية ــ والإسلام : فى الفكر :

■ الإنسان فى ظل مبادىء الاسلام لا يرتفع الى مستوى الالوهية والقداسة فى التقدير ، كما لا ينزل الى مستوى الحيوان فى السلوك والمعاملة .. ولا يعصم عن الخطأ فى الحكم والرأى والسلوك ، بل كما يصيب : يخطىء .. والوظيفة العامة التى يتقلدها الانسان ــ أيا كانت منزلتها ــ لا تغير من خصائص طبيعته البشرية .. وحكومة الاسلام فى تطبيق مبادئه ليست الهية ، بل هى بشرية تخضع للنقد ، وتقبل الشورى والمطالبة بها .. ورأى الانسان (أو اجتهاده) لا يلتزم به الا الانسان صاحب الرأى نفسه .. وإمام المسلمين أو رئيس دولتهم هو بحكم نظام الاسلام فى الخلافة من الخيرة بينهم : ايمانا بالله ، ومعرفة بمبادىء الاسلام ، وأكثرهم تجنبا للظلم والاعتداء ، واحقاقا للحق واقرارا للعدل .

والعلمانية اذن ليس لها مكان فى وجود الانسان مع الاسلام . فاما ان يوجد الاسلام ولا علمانية ، أو توجد العلمانية ولا اسلام . والعلمانية فى تصور بعض المسلمين المعاصرين وفى محاولتهم التوفيق بينها وبين الاسلام فى مجتمع اسلامى .. تعود الى قصور فى تصور الاسلام ، ثم الى رغبة فى محاكاة حلول فـى

تفكير الغرب ، لمشاكل كانت وليدة البيئة الغربية ، ونتيجــة الصراع فيها حول السلطة والتفرد بالقوة فى كل جوانبها فى المجتمع الأوربى .

ان العلمانية على غير قياس الى العالم ــ أو العالمية Secularism هى نظام من المبادىء والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية .. هو اعتقاد بان الدين والشئون الاكليركيــة (اللاهوتيــة والكنسية) والرهبنة لا ينبغى ان تدخل فى أعمال الدولة ، وبالاخص فى التعليم العام . والتحول الى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية الى الملكية المدنية ، أو من الاستعمال الدينى الى الاستعمال المدنى .. هو التخلص من سلطــة الرهينة والعهد الرهبنى .. هو التحول الى الانتماء المدنى .

... والعلمانى Secular : هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتــة وليست له قداسة مقابل الشئون الكنسية . ومنه الموسيقى الدنيوية مقابــل الموسيقى الدينية أو الكنسية ، والمدرسة الدنيوية أو المدنية مقابل المدرســة الاكليركية .

فى المجتمــع الأوربى :

■ وهنا اذن : ثنائية المجتمع الأوربى .. هنا دولة ــ وكنيسة .. هنا مدنى ــ ودينى .. هنا حياة دنيوية غير مقدسة ــ وحياة أخرى كنسية لها قداستها .. هنا دولة لها سلطة وتريد ان تتوسع فى سلطتها . وهنا كنيسة لها سلطة كذلك وتريد ان تحافظ على الأقل على سلطتها فى مواجهة سلطــة الدولة . وهنا حياة مدنية ودنيوية تخضع للتغيير والتطور . وهنا حياة دينية كنسية فى منأى عن التغيير والتطور .

هذا مشكل لا يبرز اشكاله الا وقت ان يتخاصم الطرفان ويمتنع أى منهما عن أن يخضع للطرف الآخر ، بسبب من الأسباب .

كانت الكنيسة تكاد صاحبة السلطة المسيطرة طوال القرون الوسطى فى اوربا .. حتى ابتدأ الانسان الأوربى يكشف مجالا آخر يرى فيه استقلاله عن الكنيسة ، وهو مجال البحث الطبيعى . ثم يشعر بوجود نفسه المستقل يوم أعلن قانون الجاذبية .. واخذ يعتز بنفسه يوم استخدم قوة البخار فى الصناعة .. ثم كلما اكتشف قوة أخرى كلما ابتعد عن الكنيسة وسيطرتها ، وكلما اتهم الكنيسة ونال من دين الكنيسة . فزادت اتهاماته بعــد أن عرف قــوة الكهرباء ، وفجر الذرة ، وبحث الفضاء . وهو اذ يوجه اتهاماته للكنيسة وينال من دينها لم يكن ذلك بناء على ادلة علمية يقينية توجب ابعاد المسيحية . وانما فى الأغلب يستهدف من كثرة الاتهام والنيل .. المحافظة على حريته فى حركة البحث وفى السلوك فى ظل دولة قوية مستقلة عن الكنيسة وعن رأى رجال الأكليروس فيها .

والذين كانوا يوجهون الاتهامات الى الكنيسة وينالون من المسيحية فى عصر من العصور بعد القرون الوسطى ــ وبالأخص من القرن السابع عشر ، الى القرن التاسع عشر ــ لم يسلموا من المعارضة .. والمعارضة العلميــة القوية . فالقوانين مثلا التى قامت عليها الماركسية فى القرن التاسع عشر ــ وكانت نظرتها الى الكنيسة والدين اشد مراحل العلمانية عنفا ضد الكنيسة والدين

— هذه القوانين لم تسلم لها من الوجهة العلمية :

١ — فنشأة الأنواع وتطورها — كما نذكر عند : داروين Darwin (١٨٠٩ — ١٨٨٢) — و Haeckel (١٨٣٤ — ١٩١٩) هيكل .. بقيت حتى الآن لغزا ، كما كانت ، ولم تصبح قانونــا علميــا ، كما ادعت الماركسيــة وأسست عليها تفكيرها .

٢ — والأصل الميكانيكى الذاتى ، الذى يؤكد أن الحياة كلها ، من : عقلية ، ونفسية ، وسلوكية صادرة عن « مادة » عضوية فى الانسان .. هذا الأصل لا يعتبر من الحقائق العلمية فى نظر كثير من الباحثين .

٣ — والمادية كمذهب تحت أى عنوان .. انتهى أمرها اليوم ، عــلى الأقل فى ميدان البحث العلمى . وبالأخص : جعل الاقتصاد أساس الحيــاة الانسانية فى جميع اتجاهاتها .. نقضه ماكس فيبر Max Weber (١٨١٤ — ١٩٢١) فى كتابه : « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة أجزاء سنة ١٩٢٠) بالدين عند الهنود، والصينيين ، واليهود .. والمجتمع والاقتصاد فى القرون الوسطى وصلته بالتفكير الكنسى .. والرأســـمالية وتأثرها بتعاليـــم كالفن : (١٥٠٩ — ١١٥٦٤) .. وبالحقائق الرياضية والمنطقية وعدم صلتها بأى أساس مــادى .

■ مشكل تنازع السلطة بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدنيوى غيــر المقدس ، والكنسى المقدس تصور حملة بعض المفكرين فى أنه يجب أن يكــون الحل النظرى على الأقل — فى توزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين : يكون للدولة مجال ، وللكنيسة مجال .. تكون للدولة الشئون السياسية والاقتصادية والتعليمية ، والتشريعية بما لا يمس الكنيسة ، وتكون للكنيسة شئون الأسرة فى مراسيم الزواج ، وطقوس الوفاة ، ونظام الرهبنة والاكليروس ..

وهذا التقسيم ، أو الفصل بين السلطتين يأخذ اسم « العلمانية » . وقد مر فى التفكير الأوربى بمرحلتين :

١ — المرحلة الأولى : مرحلة العلمانية المعتدلة :

وهى مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر . المرحلة الثانية : مرحلة العلمانية المتطرفة . وهى مرحلة القرن التاسع عشر . وقد بلغت قمتهــا فى التطرف فى الفكر المادى التاريخى .

فالمرحلة المعتدلة ان اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه . فان على الدولة مع ذلك أن تحمى الكنيسة .. وبالأخص فــى جبايــة ضرائبها . وأن طالب التفكير العلمانى فى هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فانه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ، وان كان ينكر فيها بعض تعاليمها ، ويطالب باخضاع تعاليم المسيحية الى العقل ، والى مبادىء الطبيعة ، مما نشأ عنه ، ذلك المذهب المعروف باسم : Deism .. وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم . ولكنه ينكر : الاعجاز ، والوحى ، وتدخل الله فى العــالم ومن اتباع هذا المذهب :

١ — Voltaire فولتير (١٦٩٤ — ١٧٧٨) فى فرنسا .
٢ — Shaftesburg شفتسبرى (١٦٧١ — ١٧١٣) فى انجلترا .
٣ — Lessing ليسنج (١٨٧٢ —) فى المانيا .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة للعلمانية فى التفكير الأوربى الأدبى : الفيلسوف الانجليزى لوك Loke (١٦٣٢ — ١٧٠٤) : فهو يرى أن الدولة الحديثة التى رفعت عن شئونها كل وصية للكنيسة .. تنظر الى كل اعتقاد دينى على انه رأى شخصى ، والى كل رفقة فى الدين على انه ترابط حر ، يجب أن يتحمل وأن يدافع عنه ، طالما لا يهدد نظام الدولة بالاقلاق أو التخريب .

وقد شارك ليبنيز Leibniz (١٦٤٦ — ١٧١٦) لوك — كى يكون الوحى المسيحى مطابقا للعقل — فى وجوب حذف بعض التعاليم المسيحية : كعقيدة : التثليث ، وعقيدة : الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح ، على أن يصبح الوحى الالهى للانسان عامة هو : القوانين ، والمبادىء وليس ما وراء الطبيعة ، كما وقع لموسى .

وبالرغم من أن يصبح الدين بعد هذا التعديل فى الوحى موضوعيا .. فانه يظل أمرا شخصيا ، يلتزم به الشخص وحده ، دون صلة بالدولة .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة فى العلمانية كذلك : الفيلسوف الانجليزى الآخر هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) : Hobbes

فهو يرى : أن الدولـــة « عقـــد » وأن عليها أن تسوق الانسان بالاكراه .. الى الانضمام الى هذا العقد . ودفع الانسان بالاكراه الى الانضمام الى عقد الدولة ناشىء عن نظرته الى الانسان على أنه : « أنانى » من طبيعته . على العكس من نظرة روسو Rousseau (١٧١٢ — ١٧٧٨) الى هذه الطبيعة . فطبيعة الانسان فى نظر روسو .. هى طبيعة خيرة ، وأن الانسان اجتماعى باحساسه . ولذا لا يدفع ، بل ينتظر منه : أن يشارك من نفسه فى الدولة كعقد اجتماعى ، لصالح الكل .

ويتحدث هوبز عن « سيادة » الدولة . فيجعل الدولة هى المصدر الوحيد للقانون ، والأخلاق ، وكذلك الدين . ويقول فى شأن ذلك : « لهذا أعلن ان سلطة الدولة العليا لها الحق فى أن تفصل هى فى بعض التعاليم : هل هذه التعاليم تحتمل بالنسبة لطاعة المدنيين للدولة أم لا ؟ . فاذا كانت لا تحتمل فيجب تحريم انتشارها » .

وفى نظره فان ممارسة الدولة لسياستها هو لعب بقوة الأنانية المتجمعة . فالأفراد انانيون بطبائعهم . ومن مجموع أنانيتهم تتكون قوة الدولة . والدول فى علاقات بعضها مع بعض يسود فيها وضع الطبيعة المسمى الآن بالسيادة . ومن اجل سيادات الدول فى نظر : هوبز .. يستمر الحرب . والقوة ، والمنفعة ، كلتاهما تحددان وحدهما طبيعة الجماعة .

ولتوضيح العلاقات بين الدول ، وأنها علاقات قائمة على استخـــــلاص المنفعة واستخدام القوة يظهر التمثيل بالحيوان كشعار للدولـــة فى فلسفـــة الفلاسفة .

فعند هوبز : الذئب هو شعار الدولة .

وعند مكيافيلى : شعارها هو : الأسد والثعلب .

وعند اشبلنجر : شعارها هو : النسر .

وعند ليسنج : شعارها هو : القرد الجارح .

ومن حرص هوبز على سيادة الدولة : يعارض كل اتجاه يعارضها ، وبالأخص يتجه بمعارضته الى الكنيسة . والأمر عنده فى مخاصمة الكنيسة ليس

هو أمر التفتيش عن الحقيقة ، أو القانون ، أو الدين .. بقدر ما هو محافظة على قوة الدولة وسيادتها . وللدولة ــ أو للأكثرية ــ أن تفعل فى نظره ما تهوى وما تريد . والانسان فى تمثيله للجماعة له : ان يستحسن ، أو يستقبح ما يشاء . وبذلك يعود الانسان من جديد مرة أخرى ــ بعد السوفسطائية فى الفكر الاغريقى القديم ــ الى انه هو : مقياس الأشياء ومعيار القيم . وعلى هذا النحو تنظر الشيوعية الى الفرد . فهى ترى مغزى وجوده فى وجود الانسان العام : فى وجود « الوحدة الجماهيرية » .. فى وجود « الدولة » .. فى وجود « الحزب ». عن هذه النظرة تصل الشيوعية الى : الدولة المطلقة . ونظام الدولة المطلقة يجعل الدولة : هى المبدأ .. والمصدر الأخير لكل جانب من جوانب الحياة .

واندفاع هوبز الى التقدير الأعمى للانسان العام يعود الى خضوعه الى اتجاه المادية ، ورؤيته الحقيقة كلها ــ وليس بعضها فحسب ــ فى الماديات . ثم يعود أيضا الى ايمانه : بقانون الحركة الطبيعية بين الضغط ــ والدفع ، والسبب . والمسبب تلك الحركة التى تنشأ عن أسباب طبيعية خالصة فى تعليل الأحداث اذ عن طريق تأثر هوبز بالأمرين معا .. لم ير الا السيادة المطلقة للدولة فى تجميع الأفراد الأنانيين بطبيعتهم ، على العقد . كذلك يصدر رأيه عن هذا التأثر بوجوب معارضة الدولة للكنيسة فى سبيل احتفاظها بالقوة المطلقة ، وأيضا باستخدام الحرب مع دولة أخرى .

ولم يسلم هوبز من المعارضة القوية لرأيه فى الدولة وفى معارضة سلطة الكنيسة . فقد قام فى وجهه فى انجلترا ما يسمى : بمدرسة كمبردج . ومن أقوى المعارضين له فى هذه المدرسة : رالف كودورث Ralf Culdworth (١٦١٧ ــ ١٦٨٨) : فقد عارض مذهبه الالحادى ، ورفض : أن تكون الأخلاقيات بحيث يمكن أن تنشأ عن الفهم الطبيعى ، كما يدعى هوبز . وأكد : أن هذه الأخلاقيات تتأصل فى المثل العليا فى العقل الالهى . والعقل الانسانى يسهم فيها عن طريق انه مخلوق لله .

ومن أنصار هذه المدرسة :

١ ــ صموئيل باركر Samuel Parker
٢ ــ هنرى مور Henri More
٣ ــ جون سميث John Snith

■ وأما الفيلسوف الانجليزى الآخر : هيوم Hume (١٧١١ ــ ١٧٧٦) فهو مع كونه ملحدا ينكر الله ، كما ينكر خلود الروح .. الا أنه كرجل من رجال التقاليد فى انجلترا .. يبقى على اعتبار الدين ، كايمان فقط . فالدين فى نظره ليس علما . وانما هو احساس فقط .. احساس بالايمان بموجود قوى فوق الانسان .. هو احساس ناشىء عن تغير موجات الحياة ، وظلام القدر ، والترقب المخيف والقلق من المستقبل ، وبالأخص بعد الموت . والوثنية هى الصورة الأولى لهذا الايمان .

■ وفى فرنسا ظهر الفيلسوف Jean Jecques Rousseau (١٧١٢ ــ ١٧٧٨) روسو : وهو يتفق مع هوبز فى ابعاد الدين عن الدولة وعن التربية على وجه أخص . ولكنه يختلف معه فى سبب المطالبة بابعاده . فهو فى فلسفته على

الضد من فلسفة هوبز .. هو انسانى وليس بمادى . ويستهدف فى فلسفته تقدم الانسانية وحريتها ، وسعادتها . ولكن بوسائل اخرى غير تلك التى نادى بها فولتير . فروسو كان من أصحاب القلب والاحساس ، بينما فولتير كان من أصحاب العقل والتفكير .

روسو يرى : أن الانسانية يجب أن تعود الى الطبيعة الأولية .. الى فضيلة المواطن .. الى سعادة الأسرة والمنزل . ولكن يقف فى طريق سعادة الانسانية — فى نظره — التناقض بين الطبقات ، والطبقة الحاكمة ، وكل المنظمات التى تحتفظ بالقوة المسيطرة وتسعى الى الاحتفاظ بها من : مدنية ، وكنسية .

وبالرجوع الى الطبيعة الأولى وحدها — فى نظره — توجد بين الناس : المساواة ، والحرية ، ولذا : الناس اخوة .. وليس بالرجوع الى الثقافة ، والمدنية ، ولا الى المجتمع الذى يحمل ذلك .

وبسبب الحرية والمساواة .. يعطى روسو : الكلمة الديمقراطية الراديكالية وسيادة الشعب ، بدلا من تعاليم : الدولة المطلقة عند هوبز ، وبدلا من الملكية الدستورية للنموذج البريطانى عند مونتسكىMontesquieu (١٦٨٩ — ١٧٥٥) . وفى نظره ليست هناك حاجة الى نيابة برلمانية ، طالما تكون القوة الحقيقية للشعب . ويكفى من وقت لآخر : ان يقترع الشعب على بيان يعلن عليه . والا لا تكون القوة فى الواقع لهؤلاء الناس الطيبين ، ولا للشخصيات الحية فى أصلها التى تصنع الدولة . وانما تكون القوة عندئذ لتلك المؤسسات الثقافية الجامدة ، ولتلك الاحزاب ، والطبقات ، والمنظمات التى تنمو وتتعاظم فوق رءوس الشعب وتسلبه حريته ، معتمدة على تجاربها .

فالدولة هى الشعب نفسه . ولا ينبغى أن ينظر الى الشعب الا على أنه اتحاد اجتماعى حر (عقد اجتماعى) صادر عن ارادة المواطنين ، الذين هم كذلك ليسوا شيئا آخر سوى : أنهم مواطنون ، متساوون ، أحرار ، طيبون .

وفى التربية — للمحافظة على الوضع الطبيعى الأصيل للانسان — يجب ان يترك التلميذ حرا ، بدون اكراه له من الخارج .. يجب أن يتبع ما له من استعدادات وطاقات ذاتية : بحيث ينشأ صادقا فى حسه ، وطبيعيا مع خصائصه وللمحافظة على ان يكون طبيعيا فى نموه يجب ابعاد غير الطبيعى من ، القوى : الثقافية ، والعادة ، والقانون ، وكذلك تعليم المسيحية الخاص « بالخطيئة الموروثة » . « فكل شىء من صنع الخالق عندما يخرج .. هو حسن ، وكل شىء يقع تحت ايدى الانسان .. ينحط ويتغير » .

هذه هى الجملة الأولى فى كتابه التربوى : « أميل » . وفى هذا الكتاب يركز روسو على الطبيعة ويجعلها وحدها هى العامل الفاصل . **كما يجعل الدين فى التربية أمرا ضد الطبيعة** . فالايمان فى أكثر الناس هو أمر جغرافى ، ويتعلق بالانسان وحده : هل هو ولد فى مكة ، أو فى روما .

وروسو على وجه التأكيد ضد تلقين الأطفال الحقائق الميتافيزيقية ، التى لا يمكن أن تدرك بالحس . ولذا — من وجهة نظره — ينبغى الا يتبع الطفل حزبا دينيا . ولكن يمكن من الاختيار بنفسه ، على أساس من عقله الخالص .

وفى الوقت الذى يتجه روسو فيه ضد الالحاد يتجه أيضا ضد الأدلة الميتافيزيقية على وجود الله ، التى يحتضنها علم اللاهوت الكنسى . فالله — فى

نظره — **ليس موضوعا للعلم ولا للعقل ، بل هو موضوع للاحساس والقلب .** والايمان بالفضيلة والخلود هما : الدين الصادق .

■ ليسنج Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) والدين :

والدين فى نظر ليسنج ليس شيئا نهائيا . ولكنه يكون مرحلة يقوم عليها طريق الحياة للانسانية . والأديان كلها تقع فى مجال التطور — ككل ما يقع فى التطور — ويجب ان تخطو الى ما هو افضل وأحسن . وفى الأديان الكبيرة يستهدف الله توجيه الانسانية الى ما هو حق وصح . وليست هناك حقيقة أبدية لا تنقض ، وانما هناك سعى نحو الحقيقة .

★ ★ ★

وفى هذه المرحلة الأولى للعلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .. هذه المرحلة التى تعتبر معتدلة نوعا ما عن المرحلة التالية .. تكمن دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدين والدولة فى الأسباب الآتية :

أولا : — الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة ، فى مواجهة الكنيسة ووصايتها السابقة فى القرون الوسطى على الانسان ، كما هو واضح عند : هوبز .

وثانيا : — اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل — كعقيدة التثليث ، وعقيدة الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح — كما يرى فى فلسفة : لوك ، ولينتز ، وفى محاولتهما — مع آخرين — لتصفية المسيحية على أساس من منطق العقل ، كما يدعى ، وتسمية ما يخضع للعقل باسم : دين العقل .

وثالثا : — النظر الى الدين فى التربية على أنه ضد « الطبيعة » كما فى نظرة روسو اليه ، بناء على تعليم المسيحية : « بالخطيئة الموروثة » .

ورابعا : — اعتبار الدين أمرا متطورا ، وليس بنهائى ، كما يراه ليسنج ، وبالتالى : حقائقه حقائق متغيرة وقابلة للنقض .

واذا كان هوبز قد كشف واضحا فى فلسفته عن عامل الفصل بين الدولة والدين ، وهو عامل الحرص على سيادة الدولة .. وهو عامل يتصل بالتنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ، أكثر منه عامل يبرر عزل المسيحية عن الحياة الانسانية العامة ، فان العوامل الثلاثة الأخرى تتجه الى نقد الدين ، وهى وان اتجهت الى نقد الدين والنيل من تعاليمه ، ولكنها تتجه فى واقع الأمر الى تفسيرات فى المسيحية أصبحت تقليدا وعقيدة لبعض كنائسها . ولكن جوهر المسيحية لا يخرج عن كونه دعوة للروحية الانسانية فى مواجهة المادية التى طغت فى آخر عهود الموسوية .

(للبحث بقية)

★ ★ ★

مباحث قرآنية

التعريف بالقرآن الكريم

للدكتور محمد حسين الذهبي

المشهور بين علماء اللغة : ان لفظ القرآن — فى الأصل — مصدر مشتق من قرأ . يقال : قرأ قراءة وقرآنا ، ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه »(١) — أى قراءته .

ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علما شخصيا (٢) على الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلماء الشريعة يعرفون القرآن ، بأنه كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، والمنقول إلينا بالتواتر .

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيودا اخرى مثل : المعجز ، أو المتحدى بأقصر سورة منه ، أو المتعبد بتلاوته ، أو المكتوب بين دفتى المصحف ، أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس .

والواقع ان التعريف الذى ذكرناه آنفا تعريف جامع مانع ، لا يحتاج الى زيادة قيد آخر ، وكل من زاد عليه قيدا أو قيودا مما ذكرناه ، لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن التى يتميز بها عما عداه .

ومعلوم أن للقرآن الكريم خصائص كثيرة يتميز بها عن كل ما عداه من كلام إلهى أو غير إلهى ككونه معجزا أو متعبدا بتلاوته .

ومعلوم أيضا — ان للقرآن صفات يشاركه فيها غيره من كلام الله أو كلام البشر ولكنها صفات لازمة لا تنفك عنه لأنها من عناصر قرآنيته ، ولو أنها انفكت عنه لخرج عن كونه قرآنا ، وذلك كوصف كونه عربيا الذى يشاركه فيه الحديث النبوى والحديث القدسى ، وكوصف كونه متواترا الذى يشاركه فيه بعض الأحاديث النبوية .

ونرى لزاما علينا أن نذكر بعض هذه الخصائص والصفات بشىء من التفصيل والايضاح حتى لا يقع لبس أو خلط بين ما هو قرآن وما خرج أو هو خارج من الأصل عن كونه قرآنا :

١ — فمن خصائص القرآن كونه معجزا ، وإعجاز القرآن خصوصية خصه الله بها من بين كتبه المنزلة على سائر الأنبياء عليهم السلام ، وميزة تميز بها عن كل كلام آخر منسوب لله سبحانه أو لأى إنسان وبأى لسان .

٢ — ومن خصائص القرآن الكريم كونه متعبدا بتلاوته ، فقراءة ما تيسر

منه ركن من أركان الصلاة لا تتم بدونه وأيما صلاة وقعت خالية من القراءة مع القدرة عليها فهي باطلة ، وقراءة القرآن خارج الصلاة عبادة أيضا ، ولم نعرف مثل هذه الخصوصية ثابتة لشيء آخر من الكتب السماوية أو غيرها .

وعلى هذا فالحديث القدسي ليس قرآنا على الصحيح من كونه منزلا من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، وذلك لأنه فقد عنصرين من عناصر القرآنية وهما : الإعجاز والتعبد بتلاوته ، كما فقد عنصرا آخر يأتي بعد ، وهو التواتر .

ولو ادعى مدع ثبوت بعض الأحاديث القدسية بالتواتر — وما اظن ذلك — فانها لا تكون قرآنا أيضا لفقدها العنصرين السابقين معا ، مع أن فقد واحد منهما كاف في تخلف وصف القرآنية عنها .

٣ — ومن صفات القرآن التي لا تنفك عنه ، كونه عربيا ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ناطقة بأنه نزل من عند الله كذلك :

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »(٣) .

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها »(٤) .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون »(٥) .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين »(٦) وعلى هذا فأي خروج بالقرآن الكريم عن لفظه العربي المنزل من عند الله يزيل عنه حقيقة القرآنية .

وإذا فتفسير القرآن الكريم ، وترجمته الى غير العربية — مهما روعي فيهما المحافظة على معانيه ومراميه — لا يعدان قرآنا ، ولا يكون لأي منهما ماللقرآن من حرمة وقداسة(٧) ، ولا ما فيه من خاصية التعبد به وروعة الإعجاز ، لأنه خرج بذلك عن كونه كلام الله الى كونه كلام البشر ، والبشر يخطيء ويصيب ومحال أن تقوم عبارة انسان — عربية كانت أم غير عربية — مقام عبارة الله تعالى في جودة معانيها ، ودقة مراميها ، وخصائص اسلوبها ، وبراعة نظمها ، وسر فصاحتها ، وروعة بيانها .

وهنا نستطرد الى مسألتين لهما تعلق بهذا الموضوع :

المسألة الأولى : هل معنى أن القرآن عربي أنه لا يحتوي على شيء من لغات غير عربية ؟ والجواب عن هذا : ان القرآن الكريم ليس فيه — قطعا — جملة مركبة بلسان غير عربي . إنما يوجد فيه — باتفاق — أسماء غير عربية هي أعلام على أشخاص بأعيانهم ، كابراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، وإسرائيل ، وموسى ، وعيسى .. ووجودها في القرآن لا يخرج به عن كونه عربيا ، لأن الأسماء التي وضعت اعلاما لأشخاص تبقى كما هي ولا يتصرف فيها عند نقلها الى لغات غير لغاتها الأصلية ، والا لكان معنى ذلك : إزالة الاسم عن مسماه واطلاق اسم آخر عليه لا يعرف به ولا يعينه .

وفي القرآن الكريم أسماء ليست اعلاما لأشخاص مثل : استبرق ، وقسطاس ، وسجيل ، ومشكاة .. وغيرها .

وقد اختلف العلماء في أصل هذه الأسماء :

فمنهم من قال : إن هذه الكلمات مما اتفقت فيه اللغات ، فهي موجودة في اللغة العربية ، وموجودة في غيرها ولا يخرج بالقرآن عن كونه عربيا أن تكون بعض كلماته موجودة في لغة أخرى ، لأن اتفاق بعض اللغات في استعمال لفظ ما للدلالة على معنى معين لا يخرجه عن كونه أصيلا في كل منها ، وإنما يخرجه فقط عن نطاق

الاختصاص والانتساب الى لغة بعينها .

ومن العلماء من قال : إن هذه الالفاظ اعجمية الأصل ولا زالت اعجمية ، ووجودها فى القرآن لا يخرجه عن كونه عربيا ، لانها قليلة جدا ، واقتباسها وإدماجها فى هذه الكثرة الساحقة من الكلمات العربية التى احتواها القرآن مما يجعلها تميع وتتلاشى حتى لا تكاد تحس منها نبوة العجمة .

وذهب فريق ثالث من العلماءالى ان هذه الالفاظ اعجمية الأصل ، ولكنها ــ تبعا لنظرية تداخل اللغات فى فقه الله ــ استعملت من قديم وقبل نزول القرآن الكريم في اللسان العربى ، ولانت بها السنة العرب حتى اصبحت عربية بالاستعمال ، ولا يخرج القرآن عن كونه عربيا باحتوائه على بعض هذه الالفاظ المعربة ، وهذا الرأى الأخير هو اشهر الأقوال الثلاثة وارجحها .

المسالة الثانية : نقل عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه ، أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، وزعم زاعم ــ بناء على ذلك ــ ان ابا حنيفة يرى أن القرآن اسم للمعنى فقط ، وهذا يناقض ما قلناه من أن القرآن اسم للفظ والمعنى معا .

وتوضيح المسألة : ان ما نقل عن ابى حنيفة ــ مخالفا به سائر الفقهاء حتى اصحابه ــ من جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، محمول على ان الصلاة مناجاة لله تعالى ، وما يقوله المصلى من معانى القرآن باللسان الأعجمى فى صلاته لا يقوله على أنه قرآن ، وإنما يقوله على أنه مناجاة منه لله عز وجل ، والمناجاة بأى لسان جائزة باتفاق .

ولكن بعض الفقهاء من اتباع أبى حنيفة رضى الله عنه يرى ــ والحق معه ــ ان هذا التوجيه لما نقل عن ابى حنيفة من جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة غير مستقيم ولا مقبول ويقرر ان ابا حنيفة رجع عن قوله هذا إلى القول بعدم الجواز(٨) .

٤ ــ ومن صفات القرآن التى لا تنفك عنه كونه متواترا : اى رواه جمع كثير عن جمع كثير يحيل العقل اتفاقهم على الكذب من لدن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان وصل الينا ، وروايته على هذا النحو تفيد اليقين بقرآنيته .

وعلى هذا فما روى بطريق الآحاد وهو ما لم يبلغ حد التواتر ، بأن رواه واحد ، او رواه جماعة لا يحيل العقل اتفاقهم علىالكذب ــ على انه من القرآن لا يعتبر قرآنا ، لأن رواية الآحاد تفيد الظن ولا تفيد اليقين والقرآن لا يثبت بالظن أبدا .

وإذا ، فما يروى بطريق الآحاد عن ابن مسعود او ابن عباس او غيرهما من الصحابة من بعض الفاظ على انها من القرآن : كقراءة ابى وابن مسعود فى كفارة اليمين ... « .. فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام متتابعات » (٩) بزيادة لفظ متتابعات .

وقراءة ابن مسعود فى آية الإيلاء : « فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم »(١٠) . بزيادة لفظ (فيهن) .

وقراءة ابن عباس آية الحج « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج »(١١) بزيادة جملة (فى مواسم الحج) .

وقراءة سعد بن ابى وقاص فى آية الكلالة : « وإن كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت من أم فلكل واحد منهما السدس »(١٢) بزيادة جملة (من أم) .

.. ما يروى من ذلك ليس قرآنا لفقده عنصر التواتر الذى لا بد منه فى تحقق القرآنية وثبوتها ، وتسمية بعض المتأخرين من العلماء له قرآنا تساهل منهم لا اراه مقبولا ولا سائغا فى مثل هذا المقام الذى يتحتم فيه الدقة وعدم التسامح فى التعبير .

والظن بالعلماء الذين تسامحوا فعبروا عن هذه الكلمات بالقرآنية ، أنهم لا يقصدون أنها قراءات مروية عمن تنسب إليه من الصحابة ، وانما قصدهم ، أنها تفسيرات لهم .

أو لعل بعض الصحابة كانوا يفسرون القرآن ويرون جواز اثبات التفسير بجانب القرآن على هامش مصاحفهم التى كانوا يكتبونها لأنفسهم فظنها بعض الناس — لتطاول الزمن عليها — من أوجه القراءات التى صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها عنه هؤلاء الأصحاب .

ومهما يكن من شىء يقال فى توجيه تسميتها قرآنا ، فهى ليست من القرآن فى شىء ، ومن يحتج بها من الفقهاء لا يحتج بها على انها قرآن وإنما يحتج بها على انها من قبيل أخبار الآحاد التى تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الآحاد مما يجب العمل به وتقوم به الحجة إلا فى باب العقيدة .

٥ — ومن صفات القرآن اللازمة له : كونه منزلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى هذا : أن ما انزل على غيره من الأنبياء لا يكون قرآنا حتى ولو حكاه القرآن ، على معنى أن ما جاء فى التوراة — مثلا — من قصص أو أحكام ثم جاء القرآن بعد يحكيها ، لا تكون قرآنا حين نزلت على موسى ، ولا حين دونت فى الواح التوراة ، أما ما حكاه القرآن من ذلك بعد فهو قرآن من عند الله تعالى ، نزل به جبريل على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يخرجه عن القرآنية أن يكون مضمونه موجودا فى التوراة من قبل .

ونزيد ذلك ايضاحا فنقول :

إن القصة لها مضمون تناولته التوراة ، وتناوله القرآن ، والذى حكى القصة فى الموضعين هو الله سبحانه .. حكاها فى التوراة بأسلوب خاص ، وانزلها على موسى عليه السلام بلسان قومه فكانت من التوراة ، وحكاها فى القرآن بأسلوب خاص وانزلها على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان قومه ، فكانت من القرآن .

والآيات القرآنية التى تضمنت احكاما كانت شرعا لغيرنا وكانت مدونة بلغتهم فى كتبهم المنزلة كقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها(١٣) أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص »(١٤) . لا تخرج بذلك عن كونها قرآنا ، لأن الآيات التى من هذا القبيل نزلت على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربى ، ولا يقدح فى قرآنيتها كونها حكاية لما فى التوراة أو غيرها من الكتب .

اما الأحكام التى تضمنتها هذه الآيات فالقول الفصل فيها ما يلى :

١ — إن اقترنت بما يفيد نسخها بالنسبة لنا فلا تكون شرعا لنا .

٢ — وإن اقترنت بما يفيد بقاء العمل بها فى حقنا فهى شرع لنا ، ولا نكون فى هذا متبعين لشريعة غيرنا ، بل نكون متبعين لشريعتنا التى جاء بها نبينا عليه الصلاة والسلام .

٣ — أما إن تجردت عن القرينة الدالة على شرعيتها أو عدم شرعيتها فى حقنا ، فهذه محل خلاف بين الفقهاء : ففريق يقول : هى شرع لنا .

وفريق آخر يقول : ليست شرعا لنا .

ولكل من الفريقين دليله الذى يستند اليه فى توجيه مذهبه وتصويبه .. وفى كتب أصول الفقه ما يغنى طالب المزيد من المعرفة .

الغرض من انزال القرآن الكريم

والغرض من انزال القرآن الكريم امران :

الأمر الأول : أن يكون معجـزة لنبينا محمد صلى‌الله عليه وسلم ، تشهد بصدق دعوته وحقية رسالته .

الأمر الثانى : أن يكـون دستورا للأمة الاسلامية تستمد منه الهداية والرشاد ، وتستلهم منه الصـواب والسداد ، وتقتبس من نور تشريعه ما يأخذ بيدها الى عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « إن هذا القرآن يهـدى للتى هى أقوم »(١٥) .

وصدق الرسول الكريم حين يصف القرآن فيقول :

« فيه نبأ ما قبلكم ، وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الـذى لا تزيغ بـه الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الـى صراط مستقيم »(١٦) .

صدق الله ورسوله : فلا عز الا والقرآن سبيل إليه ، ولا خير الا وفى آياته دليل عليه . ولقد عرف سلفنا الصالح هذا كله فتمسكوا بالقـرآن فعزوا وسادوا ، ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون : سيغفر لنا رضوا بأن يكونوا من الخوالف فطبع على قلوبهم ، وأذاقهم اللـه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وصدق الله العظيم : « ومـن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »(١٧) .

(للبحث بقيـة)

---

(١) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة القيامة — وهناك آراء اخرى فى اصل الكلمـة واشتقاقها . راجع الاتقان للسيوطى ، ومناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .

(٢) يرى بعض العلماء انـه علم جنس يصدق على القرآن كله وعلى ابعاضه . وكونه علما شخصيا هو الراجح — انظـر مناهل العرفان .

(٣) فى الآية ٤ من سورة ابراهيم .

(٤) فى الآية ٧ من سورة الشورى .

(٥) فى الآية ٣ من سورة فصلت .

(٦) الآيات ١٩٣ — ١٩٥ من سـورة الشعراء .

(٧) ولحرمة القرآن وقداسته لا يجوز لغير المتوضىء مس المصحف كما لا يجوز للجنب ولا للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن اما تفسير القرآن وترجمته فجائز مسهمـا وقراءتها للمحدث حدثا اصغر او أكبر ، لزوال حقيقة القرآنية عنهما .

(٨) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .

(٩) اصل الآية فى سورة المائدة رقم ٨٩ .

(١٠) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ٢٢٦ .

(١١) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ١٩٨ .

(١٢) اصل الآية فى سورة النساء رقم ١٢ .

(١٣) اى فرضنا على اليهود فى التوراة هذا الحكم وهو القصاص .

(١٤) فى الآية ٤٥ من سورة المائدة .

(١٥) فى الآية ٩ من سورة الاسراء .

(١٦) رواه الترمذى فى كتاب السنن حـ ٢ — ص ١٤٩ — ط : الاميرية .

(١٧) الآيات ١٢٤ — ١٢٦ من سورة طه .

من هدي السنة

حديث الغار

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ اصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : أنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم انه كان لى أجير عمل لى على فرق من ارز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره انى اشتريت منه بقرا ، وانه أتانى بطلب اجره : فقلت : اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لى : انما لى عندك فرق من ارز ، فقلت له : اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى ، فابطات عليهما ليلة فجئت وقد رقدا ، واهلى وعيالى يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب ابواى ، فكرهت أن اوقظهما وكرهت أن ادعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل انتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء . فقال الآخر : اللهم أن كنت تعلم انه كان لى ابنة عم من أحب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فابت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعتها اليها ، فامكنتني من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركت المائة دينار ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

(رواه البخارى وغيره)

بين يدى البحث :

أ) منذ زمن طال ، والمهتمون بالدراسات القرآنية ، والآثار النبوية ، يرددون : أن التفاسير والشروح التى عالجت ذلك التراث الشريف — واهمها

تجليته للأجيال المتعاقبة من مثقفى هذا الوجود طالبى المعرفـــة العالية ، الراغبين فى السمو الفكرى ــ كثيرا ما تنطوى على الاسرائيليات المقبولة حينا والمجوجة احيانا ، والتى ترد فى أمهات كتب ذلك التراث الصادرة عن من لا يرمى لهم عن قوس ، ولا يدرك لهم شأو ، ولا يبلغ مدى معارفهم ، فهم من فاض غربهم بعلوم اللسان ، وطال باعهم فى ميدان المعقولات ، فقد كانوا قممها ولا يزالون ــ فى آثارهم الخـــالدة ــ المجلين فى حلبتها ، فهم ولا شك يعرفون الجيد ويميزون الردىء ، على دربهم يسار ، وبهم يقتدى ، وهذا ما حمل على التساؤل : كيف وقع أولئـــك الفحول فى أحبولة الاسرائيليـــات ، مع سمو معارفهم ودقة ادراكهم لمقاصد الكتاب الكريم والسنة الشريفة .. ؟! حملنى ذلك على ان اقدم لدراسة هذا الحديث الشريف بفذلكة يسيرة ، قد تزيل بعض الحيرة ، وتجيب على شىء من جوانب هذا التساؤل ، خاصة وأن الكلم الطيب موضـــوع البحث متصل بقصة حدثت وقائعها فى بنى اسرائيل ، وان كانت رواية البخارى لم تشر الى ذلك ، فقد ذكر صراحة فى رواية الطبرانى : عن عقبة بن عامر .. ان ثلاثة نفر من بنى اسرائيل .. الخ .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأخذ عن بنى اسرائيل والنظر فى كتبهم أولا .. ثم حصل التوسع فى ذلك ، فكأن النهى قد وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية ورسوخ القواعد الدينية خشـــية الفتنة ، والانحراف عن الخط الاسلامى البين ، والاغترار بما دونه الاحبار فى كتبهم خارجا عن نطاق التوراة ، وما سجلوه بعيدا عن رباط السـماء والوحى الالهى ، ثم لمـــا زال المحذور واطمأنت الأصول الاسلامية فى نفوس المؤمنين ، وركنوا اليها ، ولم يعد لغيرها سبيل لمنافستها ، أو الاختلاط بها ، أو التقليل من شأنها .. عندئذ وقع الإذن بالاطلاع على أخبار أهل الكتاب ، وابيحت قراءة ما سطروا ومعرفة ما دونوا ، وخاصة الأخبار التى احتوت ما يفيد المسلمين من الاعتبـــار بتلك الأحوال ، والاقتداء بحسنها والتجافى عن سيئها ، فقال سيدنا رســـول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وغيره من الثقافة عن عبد الله بن عمـــر رضى الله عنهما : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وقال شراح الحديث الشريف : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا حرج » ولا تضـــيقوا صدوركم بما تسمعون منهم من الاعاجيب فان ذلك وقع لهم كثيرا ، وقال الإمام مالك رضى الله عنه : المراد « جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا » وقيل : حدثوا عنهم بمثل ما روى القرآن والحديث الصحيح .

وقال الشافعى رضى الله عنه : من المعلوم ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بنى اسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، واما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصـــدقوهم ولا تكذبوهم » ويبدو ــ والله أعلم ــ أن السابقين لما سمعوا ما اثبت صحتـــه البخـــارى ، وما رواه ابو داود باسناد صحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ترخصوا فى رواية الاسرائيليات كيفما كانت ما دامت لا تصادم اصـــلا من اصول الدين ، ذهابا منهم الى أن المقصود بها الاعتبـــار بالوقائع التى أحدثهـــا الله تعالـــى لمن سلف لينهجوا منهج من أطاع منهم فأثنى الله عليهم وفازوا برضوانه ، ويتنكبوا

مسالك من غصوا وتمادوا فى البعد عن أوامر الله تعالى فحقت عليهم كلمة العذاب ، فلعل هذا هو ملحظ المفسرين والشراح الذين أوردوا الاسرائيليات في تفاسيرهم وهى غالبا ما ترد للاستشهاد لا للتأسيس ، ولكن مما يثير الأسف أن البعض بالغ فى ايراد الاسرائيليات فكان حاطب ليل خلط عملا صالحا وآخر سيئا وجاء بمرويات لا يستسيغها العقل ولا يقبلها دارس مهما تدنت معرفته ومهما هبطت مداركه ما دام يعرف ولو شيئا يسيرا عن الاسلام وواقعيته التى لا تقبل الجدل بل وتنفى الخرافة وتعيب حاكيها ، ومما يخفف وقع تلك الخرافات أنها لا تتصل بشىء من العقيدة ، وانما هى قصص يمجه الذوق ويرده أدنى نظر ، فمن غير الوارد عقلا ، وليس مندرجا تحت ميزان الفكر أن الأرض تستند الى قرن ثور ، والثور يقف على ظهر حوت ، والحوت يسبح فى بحر ، وان الهزات الارضية ، تنشأ عن تحركات الثور حين يعيى بحمله فينقل الارض من أحد قرونه الى الآخر .. !!

ولهذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : « اذا روينا الأحكام شددنا واذا روينا فى الفضائل تساهلنا ، وما وراء ذلك ننفيه عن وادينا ولا ندعه يجد مجالا فى دراستنا » . وقال بعض تلامذته : وبالأحرى فى القصص الغير بين الكذب أو الشديد المبالغة .. وعقب على كل ذلك الحافظ ابن كثير فى مقدمة تفسيره المسمى : (تفسير القرآن العظيم) بما نورده هنا اكمالا للفائدة ، وتعميما للمعرفة الحقة ، قال الحافظ ابن كثير : « الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد للاعتقاد ، وهى على ثلاثة أقسام : **أحدها** : ما علمنا صحته مما فى أيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح . **والثانى** : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه . **والثالث** : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى . ومن أمثلة حديثهم أى الاسرائيليين عن أسماء أهل الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم عليه السلام وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من أجزاء البقرة ، وغير ذلك مما أبهمه الله تبارك وتعالى فى القرآن مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا فى دنياهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمارى فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » ، فقد اشتملت الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الأوليين وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم أرشد سبحانه وتعالى الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال فى مثل هذا « قل ربى أعلم بعدتهم » فانه ما يعلم ذلك إلا القليل من الناس ممن أطلعهم الله عليه فلهذا قال : « فلا تمارى فيهم إلا مراء ظاهرا » أى لا تجهد نفسك فيما لا فائدة ترتجى من معرفته ولا تسألهم عن ذلك ، فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب .. والله تعالى أعلم » .

وهكذا نجد عذرا واضحا للمفسرين والشراح فى ايراد الاسرائيليات ، وان كان البعض قد بالغ فى الاستطراد ، فأتى بما فيه نظر من أقوالهم ، وممن

اكثروا فى هذا المقام (الخازن) وقد قال فى شأنه الشيخ الزرقانى رحمه الله : « .. وله ولوع بالتوسع فى الروايات والقصص ومن مزاياه أنه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غر ولا يفتتن جاهل » وهذه ولا شك شنشنة المحققين من الدارسين الباحثين .. رحمهم الله جميعا .

ب) كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالموعظة ، ويتعهدهم بالنصح والتوجيه لكل ما من شأنه أن يثبت عقيدتهم ويزيد ايمانهم ، ويؤلف بينهم ويجمعهم معتصمين بحبل الله باذلين الروح والمال فى سبيل الله وما يعلى من شأن دينهم الذى هو سبيل الحياة الحرة الكريمة فى الدنيا وطريق السعادة الأبدية ونيل الدرجات العلا فى الآخرة ، ولما كان للقصص أثره فى جذب الانتباه ، والحمل على التأسى بأبطال القصة ، ومحاولة التشبه بمن عمل صالحا فنال خير ما عند الله ، ومجانبة فعال من تنكب الطريق السوى فضل وغوى ، من أجل هذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يورد الحديث عن أحوال الأمم الماضية كما علمه ربه ، ومن أجل ذلك ايضا وغيره مما تعود جدواه على السامعين جاء القصص بالقرآن الكريم « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

كما أن تحديثه صلى الله عليه وسلم عمن مضوا ، ولم يواكبهم ، ولم يطلع على احوالهم ، فيه دلالة قاطعة على أن ذلك مما علمه الله تعالى : « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الآية .. وكما قال جل شأنه لنبيه بعد ايراد قصة مريم وما كان من أمرها قبل ولادة عيسى عليه السلام : « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » .. وقد كان الحديث الشريف موضع الدراسة من هذا القبيل ، قبيل التحديث عن الأمم السابقة ، وهو ثمرة مجلس من مجالس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تصدرها معلما وهاديا ومرشدا ونذيرا ..

وبعد ،

فقد ورد هذا الكلم الطيب فى صحيح الإمام البخارى تحت عنوان (حديث الغار) يروى أخبار ثلاثة نفر من بنى اسرائيل لجأوا الى غار فى جبل فرارا من الامطار والانواء ، فسدت عليهم بابه صخرة تدحرجت بفعل السيول الجارفة من عل ، ولم يستطيعوا لها دفعا ولم يكن لهم سبيل للخروج من هذا المأزق الا أن تداركهم رحمة الله القوى القادر أو يهلكوا فألهمهم الله أن يتذاكروا فيما بينهم ما ينفع فى موقفهم هذا عسى الكرب الذى أمسوا فيه يكون من ورائه فرج قريب ، والمؤمن يفزع الى جناب ربه كلما ألمت به نازلة لا يقوى على دفعها ومن ذا الذى يجيب المضطر اذا دعاه إلا رب العالمين : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ما تذكرون » وهكذا تداعى الثلاثة النفر يتقرب كل منهم بأفضل ما عمل مما يدنيهم من رحمة الله ويمنحهم لطفه وعونه ، ورحمة الله دائما قريب من المحسنين ، وصدق العلى الكبير : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » . وقد كان هؤلاء الثلاثة من المؤمنين الذين يراقبون الله فى السر والعلن ، ويعبدونه كأنهم يرونه رأى العين ، وهذا مقام الاحسان الذى لا يصل اليه الا عباد الله المخلصين ، ويبدو هذا واضحا فى قولهم بقلوب خاشعة : « انه والله يا هؤلاء

لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق فيه » أى ما عمله خالصا لوجه الله تعالى لم يرج له جزاء عاجلا فى الدنيا ، ولم يسمع (بضم أوله وتشديد الميم المكسورة) به لينال الزلفى عند الناس ، وهذا — ولا شك — أفضل العمل وأكثره تمحضا لله تعالى . .

أما أولهم : فقد استأجر جماعة يعملون له عملا كل واحد منهم بأجر معلوم ، ولأمر ما لم يتسلم أحدهم أجره ، حين حصل نظراؤه على أجورهم ، وما كان على صاحب العمل الا أن يحفظ له حقه المقدر بينهما ، حتى اذا عاد يوما أعطاه اياه ، ولا يلزمه أن يزيد شيئا ، الا أن الرجل غلبته تقواه ، فنمى المال بالطريقة التى ارتآها حتى صار شيئا عظيما أدهش الاجير حين عاد يطلب حقه ولا زيادة لأن ما فعله صاحبه مما لم يعهد القيام بمثله ، وقصارى ما كان يرجوه أن لا يماطله أو ينكر حقه ، وهكذا تبدو آثار تقوى الله وخشيته فتأتى بالعجب العجاب الذى يفوق ما تعارف عليه الناس ، ويمضى شوطا بعيدا فى الكمال الذى تواطأوا عليه فى أعرافهم ومعاملاتهم ، ولصدور ذلك تحت مراقبة الله وحده وطاعة نقية من شوائب الرياء ، كان جزاؤه عون الله تعالى قيوم السموات والارض لفاعله فى ساعة العسرة ، فانزاحت الصخرة عن مدخل الغار قليلا وبدأ الهواء الرطب النقى يلج الى صدور المؤمنين فينعشها ويبعث الأمل قويا — فى لطف الله بهم — الى نفوسهم فى ساعة حالكة السواد تحت وطأة خطب جسيم وداهية دهياء ، انقطع فيها هؤلاء الثلاثة عن الباغم والناطق ، وهم موقنون أن لا ملجأ من الله الا اليه .

وأما الثانى : فقد أكرم والديه الفانيين العاجزين عن العمل والحركة التى تحصل القوت ، وهذا واجبه الشرعى ، ولكنه تجاوز أصول الواجب الى أبعد من المطلوب فيه ، فقد كان عليه فى أفضل حالاته أن يترك شيئا من اللبن الى جوارهما يشربانه حتى استيقظا ، ويعوج بالباقى على أهله وصغاره الذين يتضاغون جوعا ويتحرقون شوقا الى ما يمسك ذماءهم ويبقى على نشاطهم ، ولكن الايمان بالله وبحقوق الوالدين ، والعزوف عن العواطف النفسية المتمثل فى اطعام الصغار الى انتظار جزاء من الله أكبر ورضوان منه أعظم ، فقد أنساه حب الخير لوالديه واخلاصه لربه حالة أبنائه ، فلذات كبده ، وتكلف الانتظار ليلة كاملة حتى مطلع الفجر ليطعم الوالدان ولو نأى الرقاد عن الرضع وأمهما ، وهذا عمل لا يستطيعه الا القلة النادرة من الأتقياء الذين أسلموا وجوههم الى الله وهم محسنون فاستمسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكان من عاقبة أمر هذا المؤمن أن قبل الله ما قدم ، فانفرجت الصخرة حتى رأى هو وصحبه نجوم السماء فازدادوا ايمانا بمكوكبها والحاحا فى طلب توفيقه لهم الى طريق الخلاص ، وما ذلك على الله بعزيز .

ويجىء دور الثالث : وما أدراك ما دوره ، انه دور فذ فى عالم العراك بين الغرائز والشهوات من جانب ، والتقوى من جانب آخر ، تندحر فيه الأمارة بالسوء أمام جلال الايمان وتتلاشى فى لهيب النفس المطمئنة كما يسيل الجليد قطرات فى وهج ذكاء ، فقد انتصر هذا الرجل على الحيوانية الكامنة فى هيولاه ، وأزاحها من طريقه ، فألزم نفسه هداها ، وقهر قرين السوء شيطانه ورده خاسئا رجيما ، هذا ، مع أن المرأة قد شغفته حبا ، وحمله ولهه على جمع المال مع عزته ليصل به الى ما يريده منها ، اما وقد تهيأ له كل شىء حين نزلت بالمرأة سنة اتت على أخضرها ويابسها ، ونبذتها فلذات كبدها بالعراء وهى سقيمة ، وتركتها فريسة سهلة ولقمة سائغة لذئاب البشر — كما ورد فى رواية أخرى — وقد كانت هذه المرأة على جانب من خوف الله تعالى ، وعلى

صلة وثيقة تربط قلبها بقيوم السموات والارض ، فقد قالت لطـالبها المفتون بالغانية الهيفاء ، وقد جلس منها مجلس العهر والمجون تحت سـطوة الجوع وقهر الحرمان مما يقيم الأود ويبقى على الحياة ، حياتها وحياة صـغارها : « اذكرك الله أن ترتكب منى ما حرم الله عليك » وهنا يستيقظ الاحسـاس الكريم فى ذلك الانسان فيجيبها : « أنا أحق من يخاف ربى » . وفى رواية : انها بكت فقال : ما يبكيك ؟ فأجابت : اقدمنى على السوء حاجتى الى الطعام . فقال لها : لا عليك انطلقى بما معك ، وفى ثالثة : أنه هو قال : تذكرت النـار فقمت من مجلسها . وتلك صور تبرز نور نفس من يخشى الله واليوم الآخر ، فأين هذا — يا قوم — من شيطان يعتدى على الأطفال والقاصرات ارضاء لنزوة حيوانية عابرة ، ذلك لعمر الحق هو الفجور الكالح البعيد عن كل دين ، المجافى لكل المروءات المعادى للانسـانية الفاضلة وما هو الا عماية وضلال ونزق لا علاج له الا إقامة حدود الله ، وأما صاحب القصة فقد ترك الميسـور من الفجور الذى دان له وأصبح فى استطاعته معاقرته دون عزول ، مع الحاح الحيوانية ، وطيب المرعى ، وفتنة الجمال ، وقتل العيـون النجل والغصن الرطيب ، وليس ذلك وحسب ، وانما أهداها ما أعطاها من المال حسبة لوجه الله تعالى ، منتظرا الجزاء الاوفى هناك ، فى رحاب العلى الـكبير ، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا والامر يومئذ لله الواحد القهار سبحانه ربى مالك يوم الدين ، واستحق هذا المؤمن عون الله تعالى ، فبعدت الصـخرة بقدرة الله وحده عن مدخل الغار ، وهنا تنفس القوم الصعداء ، وعادوا للحياة بعد أن كادوا يفقدون الأمل فى الحياة ، لولا عون الله وفضله سبحانه ربى انه على كل شىء قدير . .

والخلاصة :

أن الاعتبارات التى يجب أن يقف عندها دارس هذا الحديث الشريف :

١ — ظهور ثمرة الطاعة ، ووضـوح فائدة اخلاص العمل لوجه الله تعالى ، وبيان نتيجة التفانى فى ارضائه سبحانه ووجوب التقرب اليه بكل عمل صالح ممكن ، وان هذه الاستجابة الالهية لعباده الضارعين الى جنابه باخلاص تحمل على المسارعة فى الخيرات ، وفى حديث قدسى ورد ما خلاصـته : . . وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ومعنى هذا اجابة الداعى لحظة دعائه ، وقبول رجائه فور رجائه .

٢ — طلب الدعاء اذا ادلهمت الخطوب ، وعصفت الكروب ، ومما يؤخذ بعين الاعتبار ، التقرب الى الله تعالى بذكر ما قدم المؤمن من صالح الأعمـال ، واستنجاز الله سبحانه وعده الذى تشير اليه الآية الكريمة : « وقال ربـكم ادعونى أستجب لكم » وقوله جل وعلا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان » الآية .

٣ — ابراز ما حكاه الذين تناولوا الحديث الشريف بالشرح والتفسير من قول بعضهم :

« . . ظهر لى أن الضرورة تلجىء الى تعجيل جزاء بعض الاعمـال فى الدنيا ، وأن ما ورد فى الحديث الشريف يدل على أن الثلاثة النفر أبطال القصة لم يروا لاعمالهم قيمة فى جانب نعم الله تعالى عليهم ، ولهذا فوضوا أمرهم اليه سـبحانه حين قال كل منهم : « اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك » . . الخ . فهو يرشد الى أنهم لم يعتقدوا فى أعمالهم التمحض لوجه الله تعالى ، بل فوضوا يقين ذلك الى الله تعالى وحده ، وهذا منتهى التسليم

والالتجاء الى قيوم السموات والارض » . ثم أنظر وتأمل أدب هؤلاء الثلاثة مع الله تعالى ، حيث قالوا : ادعوا الله بصالح أعمالكم فى أول الامر ، ليتذكروا خير ما عملوا مما اصطلح عليه المؤمنون ، وما يبدو أنه امتثال لمراد الله تعالى ، ولما بدأوا فى الدعاء لم يقولوا ندعوك بما عملنا ، وانما قالوا : ان كنت يا مولانا تعلم أنه عمل ابتغاء مرضاتك ..

٤ ــ اذا قيل : هل فى أعمال هؤلاء الثلاثة تفاضل ؟! كان الجواب :

ان مكرم والديه والبار بهما اقتصر عمله على نفعه هو ، وان امتد فليس بعيدا عنه اذ هما ابواه وبرهما مفروض عليه بالأصلين الشريفين والتقصير فى حقهما مدعاة اللوم الاجتماعى فضلا عن العقوبة الالهية ، والمبالغة فى اكرامهما واجب ودين يؤديه ليتقاضاه ، وصاحب الأجير : تعدى بره نفسه الى غيره وأبرز خلالا لو تمت فى مجتمع لأسعدته وكانت عامل ازدهار له ونمو ، ومن تلك الخلال الأمانة ووضعه غيره موضع نفسه بتنمية مال الأجيــر وقد يكون فى هذا الفعل شبهة الرياء ومنافقة المجتمع ..

وأما ثالثهم : فقد زاد فضله ، وكان عمله ادل على التجرد من هوى النفس الأمارة بالسوء وقهر الغريزة الجامحة مع تهيؤ فرصة المواقعة ، فى موقف كثيرا ما يتوارى فيه العقل نهائيا وتكفهر سماء الحياء والمروءة تحــت الحــاح القــوة الحيوانية المستعرة فى كيان الرجل ، فلولا أن خشية الله حين ذكر « بالبناء للمجهول مع تشديد الكاف » أو حين تذكر قشعت كل شــعور مادى وأحلت الرهبة من جلال الله وسلطانه ، لما ارعوى ولما كبح جماحه ، ولدقة الموقف فى مثل تلك الحالة التى يخلو فيها الانسان من رقيب ، وردت بعض الآيات الكريمة شاهدة لمن كان هذا حاله بانه جدير بدخول الجنة قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » . قال الــكلبى : « نزلت فى من هم بمعصية وقدر عليها فى خلوة ثم تركها من خوف الله » . ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما : « يعنى من خاف عند المعصية مقامه بين يدى الله فانتهى عنها » ناهيك بأن هذا الرجل ترك المال أيضا فى ســنة عجفاء . ولابنة عمه آسرته ومالكة لبه ، فلكل هذا يبدو واضحا أن عمل صاحب المرأة كان اكثر نفعا وأجدى على المجتمع الذى يضمه ويحتويه ــ والله أعلم ــ ولكل عند الله ثواب ، لا ينقص من ثواب الآخرين شيئا .

٥ ــ ونقول اخيرا : هذا الحديث الشريف يلزم بطــاعة الله واخلاص الاعمــال له وحده ، ولئن طلب هذا اســلاميا وعقليا فى كل زمان ومكان فما أحوجنا اليه فى ظروفنا الراهنة التى تكالبت فيها الأمم على المسلمين ، وغلقت عليهم المنافذ فكأنهم محصورون فى غار النفر الثلاثة لا يجدون مخرجا ، فلا خلاص لهم الا باللجوء الى الله بالعمل الصالح الذى يتدارسون من خلاله اوضاعهم ليصلحوا من أحوالهم المتردية ويسايروا ركب الحياة معتمدين على الله وحده ، فقد طال ســباتهم ، ثم فتحوا عيونهم على وحش فاغر فاه همه ابتلاعهم أو صمصام مصلت على رقابهم ، أو سهم مسدد الى نحورهم ، أو قنا وقنابل مؤذنة بخراب الديار ، وتركها قفراء بلقع ، ومع كل هذا ، فاليأس غير وارد لدى المسلمين لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ومن أعان محمدا الوحيد فى صحراء ، الفقير بين أغنياء ، المجرد من العدة ومن حوله ينوشه الأقوياء ، وأمده بالحول والقوة رغم الليالى الحــوالك ، هو هو رب العالمين جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤدوه قلب ميزان القوى ، فقوته فوق كل قوة ، وهو ينصر المتقين العاملين ما داموا على شرعة رسله ، وسنن قرآنه ، مخلصين أعمالهم له . متجهين اليه بأسباب الدنيا والآخرة .

مظاهر وأسباب تخلف

يتحرق المسلم المعاصر ويذوب كمدا واسى اذا حدق بناظريه فى واقع أمته ، فيجدها في واقع حضارى أدنى من غيرها ، ويجد بلاد الاسلام نهبة للغاصبين وفريسة للذئاب ومذبحة للمسلمين أنفسهم ، فتغلى مراجل الثورة فى جنبيه ، ويكرر النظرة إثر النظرة ليشخص فى تقديره الداء ، ويصف الدواء ، ويكاد يحصر أخطر أسباب تخلف الشرق العربى مثلا فى أن إمكانيات دول العرب او الاسلام لا تتجه فى خط واحد وهدف واحد ، ولو لسنوات معدودات ، وذلك الهدف هو التخلص من وجود العدو الصهيونى وتقليم اظفار صانعيه ومناصريه فى الغرب والشرق ، حتى يتهيأ المناخ الملائم لتوفير بيئة الاستقرار والأمن الضرورى لإقامة صروح الحضارة الاسلامية العتيدة بوحى من مبادئها .

وفى نظرة افقية أوسع لا تقتصر على دنيا العرب نرى أن العالم الاسلامى فى المشارق والمغارب من طنجة الى جاكرتا ، ومن عدن الى كراتشي فى وضع متخلف دينيا ودنيويا ، ماديا ومعنويا ، فليست أخلاقنا مما ترضى ، ولا تديننا فى ميزان الاسلام الأول مما يسر ، ولا اقتصادنا مما يريح ويطمئن ، ولا تقدمنا أو وضعنا العسكرى والصناعى والزراعى والسياسى مما يجدى .

أما الأخلاق والقيم والفضائل ففاقدة القداسة ولم يعد لها الاحترام المطلوب ، واصبح معيار الحياة هو المادة والمصلحة والمال والربح ، والترف

العالم الاسلامي

محمد مؤذن

للدكتور وهبه الزجيلي

والمجون ، واللهو والعبث ، والإثم الباطن والظاهر ، وتشكك الناس فى فائدة القيم الخلقية ، فشاع بينهم الكذب والخداع ، والغش والنفاق ، والمداهنة والرياء ، والخيانة والجشع ، أو الطمع وقلة الورع ، والقسوة والبطش ، أو عدم الرحمة واللين ، وفقدان المحبة والتعاون ، وذهاب الإخاء ، وانعدام السماحة والبساطة واليسر ، والجبن والبخل أو الشح ، ونقض العهود وعدم الوفاء بالوعود والعقود والتحلل من الالتزامات ، وضعف الثقة ، ونظرة التشاؤم ، ونحو ذلك من أمراض الاخلاق الاجتماعية ، ومن اخصها أمراض الجنس وتناول المسكرات وتعاطى المخدرات .

وأما الدين فمشوه الحقيقة والصورة ، أو عديم الأثر فى الحياة الخاصة والعامة عند الأكثرين ، وذلك بسبب الاعتناء بالمظاهر الدينية وترك الجوهر والروح ، وعدم السيطرة الفعالة على القلوب والسلوك والمعاملات ، واختلاطه بالضلالات والبدع والانحرافات ، أو التناقضات والخيالات ، وحجبه عن النفوذ الى مسرح الحياة ، والاستخفاف بأهله وانصاره والدعاة اليه من قبل الكتاب المأجورين وبعض الصحفيين المارقين والمعلمين الضالين ، أو المربين المثقفين بثقافة الغرب المحضة ، المتنكرين لتراث أمتهم وأخلاقهم وحضارتهم . مع أن الاسلام بالذات دين الخير والعقل والمجد والعزة والكرامة ، والهداية والنور والحضارة ، وثبات المبادىء الأصيلة التى لا تهادن الأعراف الفاسدة ، أو النظم

الظالمة ، التى لا يمكن للمسلم الواعى إباحتها تحت عنوان المرونة او التطور أو الضرورات المشكوك فى وجودها : « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وأما اقتصادنا ففقير عاجز أو بدائى متخلف ، أو مضطرب متعثر ، فبالرغم مما نجده من أرقام ضخمة فى ميزانيات الدول الاسلامية أو العربية ، وبالرغم من توفر خبراء الاقتصاد والتخطيط والمهندسين الزراعيين والجيولوجيين ونحوهم من المختصين فى مختلف العلوم التطبيقية الحديثة ، بالرغم من كل ذلك لا يزال ميزاننا الاقتصادى فى عجز متكرر ، ونقدنا فى هبوط ، وديوننا فى تزايد ، وعمالنا فى فقر وبطالة وحرمان ، وزراعتنا فى تأخر لعدم الأخذ بأساليب الزراعة الحديثة المتطورة ، ومصانعنا فى غير المستوى المطلوب عالميا ومحليا ، مع وجود جيوب وخلايا وزوايا اخرى تمتلىء بالبذخ والإسراف والترف والمجون .

وأما جامعاتنا ومدارسنا فهى فى الغالب لتخريج آلاف الموظفين الذين يبحثون فى نهاية المطاف عن لقمة العيش ، ثم ينقطعون عن مواصلة البحث العلمى والإنضاج الفكرى . ولم يعد خافيا أن بعض هذه الجامعات تدرس فى الحقيقة تاريخ العلوم التطبيقية ، وليس العلم المتطور الذى بنى برج التقدم الحالى .

وأما إعدادنا العسكرى فما يزال ناقص التجهيز ، رهين الاستيراد ، فاقد الأساس الذاتى والتصنيع المحلى للآليات الثقيلة ووسائل القتال الجديدة التى تلعب دورا فعالا وحاسما فى الحروب الحديثة كما هو معروف . وكذلك التدريب العسكرى فيما نلاحظ ليس على المستوى المطلوب المكافىء لتدريبات العدو ..

وأما سياستنا وأوضاع الحكم فمرتجلة غير ثابتة ولا أصيلة ولا مخططا لها ، ويغلب عليها الاستبداد السياسى والغموض ، وعدم الاستقرار ، واضطراب الموازين ، وضعف الخطط ، وتغير السلطات السريع ، وإبعاد الأكفاء ، واتباع الرغبات أو الأهواء .

وأما وضعنا الدولى العام فمجزأ السلطة ، مفرق الكلمة ، مشتت الهدف ، ممزق الصف ، ففى العالم الاسلامى عشرات الحكومات والدول دون ان تجمع بينها رابطة قوية ، أو انظمة موحدة ، أو ثقافة مشتركة ، أو تعاون جماعى بناء ، أو هدف رئيسى عام ، أو معاهدات دفاعية منفذة فعلا عند الاقتضاء لدفع الأخطار المشتركة ومحاربة العدو الواحد . ومن المؤسف أنه اذا دعى لتحالف معين اتهم الداعى بالتواطؤ مع الاستعمار أو الرجعية ، وثارت الشكوك حوله ، وحورب حربا لا هوادة فيها . وهكذا يوصم المخلص الغيور احيانا بالرجعية ، ويكافأ دعاة الإلحاد والتجزئة بألقاب التحرر والتقدمية ، ونحو ذلك من قلب المفاهيم ، وتعتيم الصور ، وطمس معالم الحقيقة .

هذه هى بعض الأضواء العامة على مظاهر تخلف المسلمين ، اما اسبابها فكثيرة .

فمن المعروف لدى مقارنة الحضارات أن ازمة الحضارة الغربية تكمن فى ماديتها الخالصة ، اعنى أن فلسفتها وعلومها واخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها تدور فى فلك المادة ، وتتنكر للفطرة الانسانية ، ووجود خالق غير المادة (أى الإلحاد) ، فأصبحت العلوم التجريبية آلة لتدمير الانسان ،

وانصهرت الأخلاق فى النفعية المحضة والخلاعة والمجون والرياء والسطحية ، وصار المنهج الاقتصادى عديم الإنسانية ، وواسطة الاستبداد والظلم ، وأفسدت السياسة بمفاسد القومية الضيقة والوطنية الضـــيقة ، والتمييز العنصرى ، وعبادة القوة وتأليه أصحابها .

هذا بالنسبة للغرب ، أما مرض الأمة الاسلامية وأسباب انحطاطها فهى تختلف عن مرض الآخرين وأســباب المرض ، وترجع فى جملتها الى إهمـــال شرعة الله وهداية الاسلام الكفيلة بتحقيق المعنى الحضارى السليم أو الثورة الصحيحة : وهو تقدم العلاقات الانسانية ، أو إقامة الحضارة على أســاس إنسانى ، ويمكن حصر أسباب تخلف المسلمين فى النواحى الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

أ) **أسباب التخلف الاجتماعية** : تهمل الجماعة واجبا أســـاسيا فى الاسلام : وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتنتهج منهج اللامبالاة وتقاذف المسئولية عن أسباب التردى ، والفرار من تحمل العبء الواجب فى الإرشاد الى الخير والصلاح ، والترهيب من الشر والفساد والظلم والعصيان : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » « فكلا أخذنا بذنبه .. وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لســان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصــوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وترك الناس جهاد العدو المادى ، أى قتاله فعلا ، الذى هو فى الأصل من فروض الكفاية على الجماعة المسلمة ، كما تركوا الجهاد فى وجه من استهان بأحكام الاسلام وعقائده وفروضه وآدابه وأخلاقه فى داخل الأمّة . وأهملوا أيضا جهادا من نوع أو أفق آخر يمتد لمعرفة مكائد العدو واستعداداته وطاقاته ومبادئه ومخططاته وألوان خداعه ، والاعتبار بالماضى القريب والبعيد ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما ينقض الاسلام عروة عروة من نشأ فى الاسلام ، ولم يعرف الجاهلية » ، وقال أيضا : « عرفت الشر لا للشر ، لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيـــه » « لست بالخب ولا الخب يخدعنى » . وهذه معان قرآنية سبق الكتاب العزيز للإشارة إليها فى مبدأ الحذر فى قوله تعالى : « وخذوا حذركم » « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

ومما ساعد على إهمال المجتمع سوء فهم عقيدة القضاء والقدر ، ظنا بأن القدر يقع مجردا من أسبابه ، فتوانى الناس واهملوا وتواكلوا ، ونسبوا ظلما الى القدر ما ليس فيه ، ورددوا كلمات تدل على ان الكائن كائن لا محالة ، وأن الانسان مسير مجبر . وليس كل ذلك صوابا ، إذ القدر عبارة عن تعلق إرادة الله تعالى بالشىء عند وجود سببه الذى يقتضيه ، سواء من قريب أو بعيد . فنقص المحصول الزراعى مثلا ناشىء من إهمال الزارع . وتســـــلط العدو واحتلال أراضينا ناتج من ترك الجهاد والإعداد اللازم للمعركة ، وضعف الهمة وفتور العزيمة ، وعدم الحمية والغيرة ، وجمود الفــكرة ، والخوف والوهم ، وإهمال الإرادة والتصميم ، وإفراغ القلوب من محتوى القداسة ، وعدم تقدير المعنى الجماعى ، وإلقاء بديل فارغ فيها لا يصلح حافزا على التضحية بالنفس فى سبيل الأمة أو الجماعة . ومع ذلك ظن هؤلاء الجنود وغيرهم أن النصر يكون فى جانبهم ، لأنهم مسلمون ، أو اصـــحاب الحق الشرعى ، والنصر قد يحصل للكافر أو المعتدى لحكمة معينة مرجعها فى النهاية أعمال المســـلمين

وتقصيرهم ، أو البعد عن مقومات المجتمع الاسلامي الصحيح .
وخيم على الناس ظلال كثيفة من الغموض والجهل بسبب الضلالات والبدع ، واختلاط المفاهيم ، والثقافات الواردة ، والتأثر بالخرافات والأباطيل ، والنظرات السطحية نحو الاسلام وفاعليته الحركية الدافعة الى حياة مترعة بالبطولات والأمجاد . ومن هنا لم يعد غريباً توالى الهزائم وعموم البلايا والمصائب على الجماعة : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

ب) أسباب التخلف الأخلاقية : إن من أخطر آفات التخلف ، وأكبر عوامل التقهقر فساد أخلاق الأمة الاسلامية ، ووقوعها فى هاوية الفساد والانحلال الخلقى ، وذلك لأن غاية الاسلام فى الحقيقة إقامة المجتمع الفاضل من وراء كل قصد فى الاصلاح والرقى . وعليه اذا شاع بين الناس حب الانحراف ودب إليهم داء الحسد والبغضاء ، وشغل المرء بأهوائه وشهواته ، وقل الحياء ، وارتمى الناس فى أحضان الرذيلة من رقص وخلاعة ومجون ، وتساهلوا فى أخطر الأمور وهو اختلاط الجنسين فى المسابح وشواطىء البحار ، والترويج لأدب الجنس الخليع ــ اذا شاع ــ أدى ذلك كله الى ضياع مجد الأمة ، وتعطيل مصالحها ، وتخريب ديارها ، وفساد أمورها ، وانهيار نهضتها ، كما حصل بالنسبة للفرس والرومان وغيرهم فى أعقاب تفسخ شعوبهم .

ومن مكرور القول ان الفضائل والأخلاق سبيل النهضة والعمران ، وطريق التحضر والرقى والتمدن ، وكلما ارتقت الاخلاق تحقق التقدم ، وتم الازدهار والنمو والكمال . وقد حصر الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف من بعثته فى قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » « الخلق وعاء الدين » .

جـ) أسباب التخلف الاقتصادية : إن قوة الأمة ورقيها بقوة اقتصادها وغنى أفرادها ، وإن ضعفها وتخلفها بضعف اقتصادها وفقر ابنائها ، وذلك لأن الغلبة على العدو وإقامة برج الحضارة تعتمد أساسا فعليا على العناصر المادية ، فإذا افتقدت أصيبت الأمة بالشلل ، وعجزت عن التقدم ، وشاعت فيها عيوب كثيرة كالخمول ، والبطالة ، والركود الفكرى والعلمى ، والمرض والقلق والجهل ، واضطراب الأسر والمصالح العامة والخاصة .

وإذا توفر المال اللازم كما فى بعض دول الاسلام ، وجب بداهة إحسان استثماره وتوجيهه نحو أهداف الأمة ومطالبها الحيوية الحساسة التى تهيىء مركز القوة والعزة والسيادة وارهاب العدو . وإذا ساء استخدام المال أو تجميده ، ظل الاقتصاد فى تخلف ولا شك بأن اقتصاد العالم الاسلامى فى حالة مرضية متخلفة ، بسبب تخلف الزراعة والصناعة وبطء الحركة التجارية .

ويجدر الا ننسى دور الاستعمار واتفاق قوى العالم الكبرى على ابقائنا متخلفين اقتصاديا ، ووضع العراقيل امام تفوقنا او نهضتنا الاقتصادية ، بتضخيم المشاكل الخاصة ، والتشكيك فى جدوى المشاريع الكبرى أو الحساسة ، وضعف الموارد والإمكانيات الذاتية ، وذلك بقصد تأمين مصالح دول الشر ، وتوفير الاسواق لتصريف منتجاتها ، وبقاء نفوذها وسلطتها السياسية الكبرى ، ورفع مستوى الغرب وتقدم صناعته على حساب الشرق والدول النامية فى آسيا وأفريقيا ، والحفاظ على تدفق شرايين موارده المسخرة لدعم مصانع ومصالح الغربيين .

والحقيقة ان تقوية اقتصادنا لا تحتاج إلا الى شىء من التصميم والفكر والإرادة وشحذ العزيمة والثقة بالنفس والجرأة ، ودفن كل منافذ اليأس والقنوط

والتخوف والهلع المصاحبة للنفاق والعجز : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم » « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

د) **أسباب التخلف الثقافية :** العلم والاجتهاد والتربية سبيل النهضة الكبرى . ولقد أدى الى تخلف المسلمين بدءا من القرن التاسع الهجرى انحطاط فكرى وعلمى عام ، فلم يعد هناك تجديد وابتكار ، سواء فى العلوم الدينية والأدبية والاجتماعية ، أم فى العلوم الطبيعية والتجريبية والكونية المفيدة . ومهما افتخرنا بآثار علماء الأندلس وحكماء الشرق وبأن المسلمين هم اول من ادخل التجربة فى ميدان العلوم ، فإنه كما وكيفا وإتقانا وتجديدا يتضاءل أمام الإنتاج الغربى الضخم فى أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولعل إقفال باب الاجتهاد والتزام التقليد والاعتماد على جهد العلماء السابقين فى نطاق العلوم الشرعية وغيرها ، أو الانتعاش فى ظل العاطفة الإسلامية البحتة ، كان من اهم أسباب ركود الروح العلمية ، وجمود الفكر ، وفقر الإبداع ، وإخلاد الناس الى الراحة . وكان لزاما على علماء العصور الأخيرة ان يتنبهوا الى ما حاق بهم من عزلة عن العالم ، وأن يتفهموا مبادىء الحضارة الحديثة ، ويسارعوا الى بلاد الغرب لتعلم علوم النهضة الحديثة ، والاهتمام بالاكتشافات العلمية ، والاستفادة من المناهج العملية التى ادت الى رقى الغربيين ، ونقلها الى نطاق التعليم والحياة المدنية عند المسلمين ، وتهيئة دول الاسلام مجالات وإمكانات الاستفادة من هاتيك العلوم وتطويرها ومتابعة آفاقها فى التطبيق والابتكار .

وفى العصر الحاضر فشل دعاة الحضارة الاسلامية لالتزام مبادئها وخصائصها بسبب فقدان الإدراك الدقيق الشامل لأسس هذه الحضارة ، وكيفية تفاعلها مع الحياة الحديثة ، وعدم معرفة مدى الاستفادة منها إزاء الحضارة الجديدة . هذا فضلا عن الخلافات المتكررة بين الدعاة انفسهم ، وانعدام روح التنسيق وتحقيق الانسجام بين أعمالهم ، واهتمامهم بالجزئيات والخلافات البسيطة ، وترك القضايا الكلية أو المبادىء العامة التى نبه اليها القرآن الكريم والسنة المطهرة فى مجال العلم والعمل والاستفادة من طاقات الأرض وخيراتها ، والاهتداء بذخائر الكون ونعمه التى لا تحصى لاسيما فى بلادنا ، مثل قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » « إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ، وذلك من اجل استخدام هذه المبادىء فى معالجة أوضاع العصر المتبدلة ، ومواجهة غزو الأفكار الغربية واندفاع سيل الحضارة الجديدة . ويدلل لما اقول : أن فى بلادنا غنى وثروة كبرى ، معدنية ونفطية ، وإن السعودية مثلا بالنسبة لما فيها من ثروة معدنية هائلة تعد أغنى بلاد العالم كما اكد الخبراء المختصون .

هـ) **أسباب التخلف السياسية :** لقد اصبح للدولة ذلك العملاق الرهيب فى العصر الحديث اهمية بالغة ودور عميق وكبير فى حياة الشعوب ، إذ ان الدولة الحديثة انتزعت كثيرا من أوجه نشاط الأفراد ، واستأثرت بكل مظاهر القيادة والتوجيه ، فأصبحت هى المسئولة بالدرجة الأولى عن تحضر شعبها وبلدها : « من يزع بالسلطان اكثر ممن يزع القرآن » أى من يردعهم الحاكم أو يحملهم على العمل والكفاح أكثر ممن يردعهم القرآن أو يبعثهم على العمل الصالح .

ومن هنا وجدت أسباب سياسية لتخلف البلاد الاسلامية . من أهمها : الاستبداد السياسى ، وفقر القيادة الناجحة ، وفصل الدين عن السياسة والحياة والعلم ، وتجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار وأعوانه وأذياله . أما الاستبداد السياسي الذى لا يلتقى مع الاسلام فى شيء ، فوقعت فيه الشعوب المسلمة منذ أمد طويل بعد الخلافة الراشدية ، وظلت تعانى منه وترسف فى قيوده الى اليوم ، وبرز فى أسوأ مظاهره عند كثير من حكام المسلمين الذين كمموا الأفواه وكبتوا الحريات وحكموا حكما دكتاتوريا .

وأما فقر القيادة فمن المعروف أن العالم الاسلامى لم يرزق بعد وفاة القائد صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٩ هـ — ١١٩٣ م بقائد مخلص فذ قدير مثله ليوحد المسلمين ، ويحرر بلاد الاسلام ، ويبنى نهضة جديدة .

وأما فصل الدين عن الحياة بدءا من إلغاء الخلافة الاسلامية على يد مصطفى كمال اليهودى البلغارى الأصل ، فهو أخطر منعطف فى حياة الاسلام ، بسبب اعلان (علمانية) الدولة ، وهدم سلطان الشريعة ، واستيراد الانظمة والقوانين الغربية ، وتربية الشعوب تربية غربية تابعة فى الفكر والعمل لمناهج الغربيين ، وترك تراث الاسلام العظيم .

وأما تجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار القديم والحديث فهو أمر واضح نعيش كل يوم مع الوان من مكره وخداعه ومساعيه الدائبة الطويلة المدى لإحباط أى مسعى جماعى أو هدف وحدوى ، ولا غرابة إذا قلنا : لم تنقطع حملات عدوان الكفرة الموروثة عن أبى جهل وأبى لهب وأنصارهما من اليهود والمنافقين لتمزيق وحدة المسلمين ابتداء من عهد فتنة عثمان رضى الله عنه ، ولم تهدأ الحرب السافرة أو المقنعة التى تعوق كل تقدم حضارى للمسلمين بسبب تجزئة الكيان الاسلامى الذى ظهر فى القرن الثالث الهجرى والتاسع الميلادى بظهور خلافات ثلاث فى آن واحد فى بغداد والقاهرة والاندلس ، وما تلاه من دويلات وإمارات مستقلة .

هذه هى أهم اسباب تخلف وانحطاط المسلمين فى صورتها الظاهرية . فهى اعراض لأمراض متعددة . ولكن ليس الشفاء من هذه الامراض أمرا متعذرا ، وانما هو سهل يسير إذا حسنت النية ، وتوفرت الإرادة ، وصدقت العزيمة ، وتهيأ الإخلاص : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .



نظرة فاحصة حول

الاباحة

عند الأصوليين والفقهاء ٣

أسباب الإباحة في الفقه الإسلامي

للدكتور : محمد سلام مدكور

السبب عند علماء الشريعة : ما يلزم من وجوده وجود المسبب ومن عدمه العدم (١) ، والذى سنعرضه هنا هو أسباب الإباحة الطارئة على فعل يكون مطلوبا منا فعله أو تركه ثم يعرض ما يقتضى إباحته تخفيفا على العباد ورفقا بهم . إما إباحة مقيدة بحال كالرخص ، أو مطلقة كما فى الفسخ . فيخرج من هذا ما إذا كان الفعل مباحا فى الأصل ثم طلب الشارع فعله أو تركه فى حالة معينة ثم زالت هذه الحالة وعاد حكم الفعل الى الإباحة الأصلية ، وذلك كحل الاصطياد بعد الإحرام المدلول عليه بقوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا » فإن الاصطياد كان مباحا وطرأ عليه الحظر بقوله تعالى : « غير محلى الصيد وأنتم حرم » .

وفى الواقع إن أسباب الإباحة الأصلية التى سنستبعدها ترجع الى :

١ ــ عدم النص على الحكم لا صراحة ولا بطريق الدلالة تبعا لقاعدة : إن الأصل فى الأشياء الإباحة ، على ما بيناه تفصيلا فى موضعه (٢) ، وقد يعبر الأصوليون عن هذا بالبراءة الأصلية .

٢ ــ ورود نص يفيد الإباحة وهى ما تسمى بالإباحة الشرعية ، ويكون ذلك النص بأسلوب من أساليب الإباحة التى سبق الكلام عنها فى المقال السابق .

وإن ممارسة الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية تدل على طروء الإباحة لكل من المحظور والواجب . فالمحظور على سبيل التحريم أو الكراهة يصير فى بعض الأحيان مباحا ، كما يصير الواجب أحيانا كذلك . أما المندوب فإنه يظهر فيه معنى الانقلاب الى الإباحة ، لأن الشأن فى الانقلاب الى الإباحة رفع الحرج وهو بالنسبة الى المطلوب يكون فى جانب الترك وهذا القدر يتحقق فى المندوب فلا داعى لتحويله الى مباح .

كما اننا استطعنا بالنظر والتأمل أن نرجع الأسباب التى يصير بها كل من المحظور والواجب مباحا الى أسباب متعددة من وجهة النظر الشرعية كالرخصة ، ونسخ كل من الوجوب والحظر ، والاستحسان ، والعرف ، والمصلحة المرسلة ، والذرائع ، وغير ذلك مما سنشير اليه :

اولا : الرخصة باعتبار أنها سبب لطروء الإباحة :

الرخصة فى اللغة التيسير والتسهيل ، وقد عرفها الشرعيون بتعريفات مختلفة اخترنا منها . أنها ما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلى يقتضى المنع مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه . ويقول البيضاوى فى المنهاج : الحكم إن ثبت على خلاف الدليل لعذر فرخصة كحل الميتة للمضطر . والقصر والفطر للمسافر . وعلق على ذلك الأسنوى فقال : إن تمثيل المباح بالفطر للمسافر لا يستقيم لأنه إن تضرر بالصوم فالفطر أفضل ، وإن لم يتضرر فالصوم أفضل . فليست للصوم حالة يستوى فيها الأمران . وقال : إن الصواب التمثيل بالسلم والعرايا ، والإجارة والمساقاة وشبه ذلك من العقود ، فإنها رخصة بلا نزاع .

وفقهاء الحنفية يقسمون الرخصة : الى رخص حقيقية ويسمونها برخص الترفيه ، ورخص مجازية ويسمونها برخص الإسقاط ، وكل ما يفيده الترخيص فى الرخص الحقيقية هو رفع الإثم وهو ما يقابل « موانع المسئولية فى القانون الجنائى » ، لأن الفعل غير مشروع مع رفع المسئولية الجنائية عن الفاعل كمن أعتدى على مال غيره دفعا للمخمصة . فإن الاعتداء نفسه غير مشروع ولا تبيحه حالة المخمصة بدليل وجوب ضمان ما أتلفه من مال ، وكل ما فى الأمر أن المسئولية الجنائية قد رفعت عنه . يقول البزدوى : إن من أصابته مخمصة حل له تناول طعام غيره على أنه رخصة لا إباحة مطلقة . وقد ناقض الإمام الغزالى الحنفية فى هذا . وعلى كل فرخص الترفيه عندهم ليست من أسباب طروء الإباحة .

أما الرخص المجازية عندهم ، وهى رخص الإسقاط ، والتى منها الحكم الذى يسقط به غيره مع كون الحكم الساقط مشروعا فى الجملة ، كقصر الصلاة للمسافر بناء على أن القصر يسقط به الإتمام ، وكأكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة ، وكبيع السلم . فهذا النوع من الرخص المجازية عندهم هو الذى تنحصر فيه سببية الإباحة الطارئة من بين أقسام

الرخص ، وإن كانت تارة تكون سببا فى غير الإباحة فقصر الصلاة للمسافر عندهم واجب .

وعلى هذا فلا يكون هذا النوع من الرخص المجازية عندهم سببـــا للإباحة فى جميع الجزئيات وإنما فى بعضها كإباحة السلم ، وإباحة المسح على الخفين عند من يرى استواءه مع غسل الرجلين إذ أنهما من المباحات .

لكن الشاطبى المالكى يرى أن الرخصة لا يترتب عليها الا الإباحة فهى سبب للإباحة فقط ، ولا تكون سببا لغيرها لأن الرخصة يراد بها التيسير والتسهيل على المكلف بدفع المشقة ورفع الحرج عنه يقول الشاطبى : إن حكم الرخصة الإباحة مطلقا من حيث هى رخصة ، بدليل قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ولأن الأصل فيها التخفيف ورفع الحرج عنه حتى يكون فى سعة واختيار بين الأخذ بالعزيمة والأخذ بالرخصة وهذا أصله الإباحة ، ولأن الرخصة لو كانت مأمورا بها ندبا أو وجوبا لكانت عزائم لا رخصا . .

وإذا كنا وقفنا فى كلام الشاطبى بعد ذلك على ما يصور اضطرابا فى مسلكه هذا (٣) فإن كثيرا من الأصوليين اتجهوا هذه الوجهـــــة ، فمسلك الإمام الغزالى يشعر بذلك (٤) ومسلك الآمدى ايضا يدل على ذلك (٥) ، والقرافى المالكى كما ينقل عنه ابن أمير حاج فى كتابه التقرير والتحبير (٦) . .

وينبغى أن نشير هنا الى أن جزئيات الرخص تدل على أن السبب فيها لا يخرج عن احد أمرين يجمعهما وصف العذر وهذان الأمران هما : المشقة والحاجة ويدخل فى المشقة صور كثيرة منها إباحة الفطر ، وقصر الصلاة ، والجمع بين الصلاتين ، ويدخل فى الحاجة أكل الميتة ، والخنزير ، وشرب الخمر للمضطر ، وكل ما تدعو اليه الضرورة على ما بيناه تفصيلا فى نظرية الإباحة (٧) ، والذى يعنينا إبرازه هنا أن الرخصة سبب لطروء الإباحـــة .

ثانيا : النسخ باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

يطلق النسخ فى اللغة بمعنى الإبطال والإزالة ، كما يطلق بمعنى النقل والتحويل ، وفى اصطلاح الأصوليين والفقهاء يعرف بعدة تعريفات نذكر منها ما اختاره ابن الحاجب من أنه رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر ، وهذا التعريف يخرج الأحكام التى وردت على الإباحة الأصلية باصطلاح الأصوليين لأنه لا رفع فيها لحكم شرعى ، وإنما هو رفع لحكم عقلى . يقول صاحب كتاب كشف الأسرار : إن رفع الأحكام العقلية الثابتة قبل ورود الشرع التى يعبر عنها بالمباح بحكم الأصل ، بدليل شرعى متأخر لا يسمى نسخا بالإجماع (٨) .

والنسخ قد يكون إلى بدل مساو أو أثقل . وكلاهما ليس من محل بحثنا فى أسباب طروء الإباحة . وقد يكون النسخ الى بدل أخف كنسخ الحظر فى ادخار لحوم الأضاحى الى إباحته ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام . فكلوا ما بدا لكم واطعموا وادخروا » ، ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجة عن أبى سعود بسند صحيح : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر بالآخرة » ونظيرهما قوله عليه السلام فيما رواه ابن ماجة عن بريدة : « كنت نهيتكم عن الأوعية فانبذوا واجتنبوا كل مسكر » .

فهذه الأحاديث وقع فيها النسخ من حظر الى تصريح ، وقد نص على ما يفيد الإباحة بعد رفع الحظر . بل وضع الأصوليون قاعدة عامة هى أن الأمر بعد الحظر يفيد الإباحة .

وهذا النوع ـــ الذى النسخ فيه الى بدل أخف ـــ هو الذى يتحقق فيه ما نحن بصدده من طروء الإباحة بالنسخ ، كما أن هذا النوع لا خلاف فيه بين الأصوليين القائلين بالنسخ ، لأن معنى النسخ وحكمه متحقق فيه إجماعا لوضوحها وعدم تطرق الشبه اليها .

وقد يكون النسخ لا إلى بدل عند جمهور الأصوليين ، وقد مثلوا له بنسخ وجوب الصدقة بين يدى مناجاة الرسول . ويمثل له بعضهم بحل الرفث الى النساء ، والأكل ، والشرب ، فى ليالى رمضان بعد النوم وقد كان ذلك محرما فى صدر الإسلام .

وخالف بعض الأصوليين فى جواز النسخ لا الى بدل ، وتأولوا المثال الأول بأن وجوب المناجاة نسخ الى بدل هو الجواز الذى يشمل الإباحة والندب على ما ذكرنا فى مقال سابق . ورد بعضهم المثال الثانى بأن الحل منصوص عليه فهو نسخ الى بدل ، لأن المراد بالبدل ورود النص على الحكم الناسخ . وهذا المعتبر فى نظرنا لأن بقاء الفعل من غير حكم شرعى متعلق بفعل المكلف ممنوع مطلقا بالإجماع ، على معنى انه إذا لم ينص على حكم بعد النسخ يصار الى الإباحة التى هى جنس فى الواجب ، أو الى ما كان عليه قبل الحكم المنسوخ من إباحة أو غيره على خلاف فى ذلك منشؤه انه إذا نسخ الوجوب من غير نص على بدل فإنه يدل على بقاء الجواز بمعنى التخيير بين الفعل والترك الذى هو مدلول الإباحة . وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء (٩) ، والذى يعنينا هنا أن نقرر أن طروء الإباحة بالنسخ يكون بأحد أمرين :

الأول : نسخ كل من الواجب والمحظور الى بدل يدل على الإباحة ، وذلك كحل الأكل ، والشرب ، والرفث ، للصائم فى ليالى رمضان بعد النوم الذى نسخ فرضية الإمساك بعد النوم ، وكما فى إباحة ادخار لحوم الأضاحى الذى نسخ الحظر السابق . إذ أن الحظر إذا لم يكن مقيدا بحال من الأحوال أفاد النسخ ودل على الإباحة عند أكثر الفقهاء .

الثاني : نسخ الوجوب لا الى بدل عند من يقول بأن نسخ الوجوب لا الى بدل يفيد الإباحة على ما ذكرنا .

ثالثا : الاستحسان باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

والاستحسان فى اللغة عد الشيء حسنا ، وفى الاصطلاح نعرفه بما عرفه به الكرخى :

من أنه عدول فى مسألة عن مثل ما حكم به فى نظائرها الى خلافه لوجه هو أقوى يقتضى العدول عن الأول . ونستطيع أن نرجع أنـــواع الاستحسان الى استحسان قياسى ، واستحسان استثنائى ، ونستبعد الأول لأنه بعيد عن موضوعنا أما الثانى وهو الحكم المستثنى من أصـــل كلى أو قاعدة عامة لدليل خاص يقتضى ذلك . فهو الـــذى يكون سببا لطروء الإباحة ، ويعتبر من الرخص الشرعية . ومن أمثلة هذا النوع ما أوردناه سابقا عند الكلام عن الرخصة باعتبارها سببا لطروء الإباحة . ومن ذلك السلم ، والإجارة ، والاستصناع ، فإن كلا منها وقع فيه التعاقد على معدوم وهو مما يبطل البيع بحسب الأصل لما فيه من الجهالة ولكنه أبيح التعاقـــد على هذه الأشياء لضرورة حاجة الناس اليها .

وتستند إباحة هذه الأشياء الى أدلة شرعية . فالسلم يستند الـــى السنة فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه النهى عن بيع ما ليس عند الإنسان وأرخص فى السلم . والإجارة تستند الى قوله تعالى « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » كما تستند الى السنة أيضا ، وأما الاستصناع فإنه يستند الى إجماع المسلمين على إباحـــــة التعامـــل بـــه .

ومن صور طروء الإباحة هنا . إباحة الترخيص بنظر الطبيب إلى موضع المرض من بدن المرأة الحرة فإن ذلك مستثنى من قاعدة تحريم النظر الى بدنها ، وعلة الاستثناء الضرورة ، وهذا المثال يتجلى فيه معنى الاستحسان الاستثنائى ، ومعنى الرخصة أيضا ، لأن الحكم شرع على خلاف الدليل لوجود دليل آخر . والإباحة هنا طرأت بعد الحظر .

وقد اعتبر الشاطبى الترخيصات التى من هذا القبيل مندرجة تحت الاستحسان فيقول : ومن الاستحسان أيضا سائر الترخيصات التى من هذا القبيل . فإن حقيقتها ترجع الى اعتبار الحال فى جلب المصالح ودرء المفاسد حيث كان الدليل العام يقتضى منع ذلك ، لأنا لو بقينا مع أصل الدليل العام لأدى الى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة فكان الواجب مراعاة ذلـــك . .

رابعا : العرف باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

العرف فى اصطلاح الشرعيين : ما استقر فى النفوس من جهة العقول ، وتلقته الطباع السليمة بالقبول . والعرف له سلطته واقتداره فى وضع أحكام طارئة تدعو اليها الحاجة فيكون بذلك سببا لطروء الإباحة ، ومن أمثلة ذلك إباحة استئجار الأجير ببعض ما يعمل فيه فيما تعارفه الناس مع ورود النهى عن ذلك فيما أخرجه الدارقطنى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى أنه عليه السلام نهى عن قفيز الطحان لأن فى ذلك نقضا لشرط من شروط عقد الإجارة ، وهو القدرة على تسليم الأجر وقت التعاقد (١٠) ، وجمهور الفقهاء على العمل بمقتضى ذلك النهى فى غير ما جرى به العرف ، إذا ما تعارف الناس على بعض جزئيات من هذا النوع فإن ذلك التعارف يرفع الحظر ويحل محله الإباحة الطارئة . ومن هذا ما يتعامل به الزارع فى القرى من إعطاء بعض القمح لدارسه أو ذاريه أو حامله من الحقل أو من الجرن ونحو ذلك ، ويمكن أن يدخل فى هذا ما تعطيه الدولة لشركات البترول من نصيب ، وإن كان هو أقرب الى الجعالة منه الى هذا .

خامسا : المصلحة باعتبار أنها سبب لطروء الإباحة :

نقصد بالمصلحة هنا المصلحة التى لم يرد نص من الشارع يدعو الى اعتبارها أو عدم اعتبارها مع أن فى اعتبارها والأخذ بها جلب منفعة أو دفع مضرة ، وهذه يطلق عليها الأصوليون : المصلحة المرسلة ، ومثلوا لها بجمع القرآن فى عصر أبى بكر حفظا له ، وحمل الناس فى عهد عثمان على مصحف واحد وإحراق ما عداه ، ومحاربة أبى بكر لمانعى الزكاة ، ونقل العز بن عبد السلام عن الشافعى أنه قال : لو عم الحرام فى بلدة بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو اليه الحاجة ولا يقف تحليل ذلك عند الضرورة . لأنه لو وقف عليها لأدى الى ضعف العباد ، ولانقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التى تقوم بمصالح الأنام .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسلة قد تطرأ بسببها أحكام مختلفة من بينها الإباحة ، كما يتجلى ذلك فيما قيل من مبايعة المفضول مع وجود الأفضل . وقد وسع بعض الفقهاء من الصحابة والتابعين أن يمتنعوا عن مبايعة يزيد فى حين أن الكثرة منهم رأت مبايعته . وهذا يدل على أن هناك مندوحة تتسع لكل من الإقدام على المبايعة والإحجام عنها ، وذلك هو معنى الإباحة بالتفسير الأصولى الأخص وهو التخيير .

سادسا : الذرائع باعتبار انها سبب لطروء الإباحة :

الذريعة كما يقول ابن القيم ما كان وسيلة وطريقا الى الشيء . وقد قسم الفقهاء الذرائع الى أربعة أقسام والذى يعنينا منها قسمان :

١ ـــ الذرائع التى وضعت للمباح لكنها قد تفضى الى مفسدة والمصلحة ارجح كالنظر الى المخطوبة والمشهود عليها للتعرف . وقالوا : إن هذا النوع جاءت الشريعة بإباحته أو استحبابه أو وجوبه بحسب درجته فى المصلحة .

٢ ـــ الذرائع التى وضعت للمباح لكنها قصد بها التوصل الى المفسدة كمن يتزوج بقصد تحليل الزوجة لمطلقها الذى بانت منه بينونة كبرى، وكمن يتعاقد على سلعة ليصل الى الربا عن طريق هذا التعاقد كما فى بيع العينة ، وقد اختلف الفقهاء فى هذا النوع . فمنعه بعضهم وكرهه البعض

وطروء الإباحة بسبب الذريعة واضح بالنسبة للنوع الأول الذى أوردناه فإن النظر الى الأجنبية كان محظورا لكنه أبيح باعتبار انه وسيلة الى تحقيق مصلحة راجحة وهى إتمام الزواج ، أو التمكن من أداء الشهادة .

أما النوع الثانى الذى أوردناه فإنه بالتأمل والنظر يبدو أن من يقول بجواز مثل هذه العقود ينظر الى مفاهيمها الشرعية على الوجه الذى كانت محرمة عليه فيحتال على تغيير هذه المفاهيم بوضعها فى صور أخرى مباحة ، وبذلك تكون حقيقة الأمر أن الفعل الذى كان محظورا أصبح بعد ذلك الاحتيال أو التغيير الصورى مباحا . فمن هذه النظرة تكون الذريعة سببا لطروء الإباحة عند من أجاز ذلك .

وبعد هذه الأسباب التى ذكرنا أنها تفيد طروء الإباحة نستطيع أيضا أن نستنتج أسبابا أخرى تفيدها ، ومن ذلك ما قالوه : من إباحة الظفر بالحق أو جنسه عند المدين المماطل ، فإن الفقهاء متفقون على أن من وجد نفس حقه الذى عند آخر مالا أو عروضا وكان يماطله فى رده ، فإنه يباح له ديانة فقط ان يسترده منه ولو خفية إذا ظفر به . واختلفوا فيما إذا ظفر بجنس حقه على ما بيناه تفصيلا فى مواضيع أخرى (١١) .

ويدخل فى أسباب طروء الإباحة أيضا إذن العباد بعضهم لبعض فى تناول الأموال والمنافع والأعراض بالوجوه المشروعة ، ومن ذلك أيضا ما دل عليه حديث الشيخين وهو قوله عليه السلام : « لا يحل دم امرىء مسلم الا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » فقد أفاد هذا الحديث أن هذه الأشياء الثلاثة سبب لطروء الإباحة لهذا الدم الذى كان معصوما لولا وجود سبب من هذه الأسباب .

وبعد فإن أسباب هذه الإباحة الطارئة استنتجناها نتيجة ممارسة واستقراء، ولم ندع بذلك استيعاب كل ما يمكن أن يكون سببا لطروء الإباحة ، فإنه يمكن أيضا فى بعض الأحوال والصور أن يكون من سلطة

ولى الأمر تغيير بعض الأحكام ومنها المباح الذى قد تقضى المصلحة أن يحكم بتحويل كل من الواجب والمحظور إليه على ما بيناه فى كتابنا « الإباحة عند الأصوليين والفقهاء » . .

بقى أنه ينبغى لنا فى ختام الكلام عن اسباب الإباحة الطارئة فى الفقه الإسلامى أن نشير الى أن هناك أشياء تشبه المباحات من جهة ان فى كل منها رفع الإثم والحرج من الشارع ، إلا أنها تتميز عن المباحات بأنه لم يرد فيها خطاب من الشارع للشخص نفسه ، وإنما ورد الخطاب بشأنه لمن له عليه ولاية رافعا العقاب عنه فى الدنيا ومبينا بأنه لا حساب عليه فى الآخرة . وما كان من هذا النمط لا نستطيع أن نسميه من المباحات وإنما هو من قبيل ما يسمى فى القانون الجنائى بموانع المسئولية . كأن يكون الشخص غير أهل للتكليف فإن الفعل نفسه يبقى غير مباح واجبا كان أو محظورا ، ولذا فإنه إذا تضمن الفعل إتلافا أو اعتداء ضمن فى ماله فقط مع أن المسئولية تثبت كاملة بالنسبة لمن شاركه ممن توافرت له الأهلية والإرادة على ما بيناه فى موضعه من الكتاب المذكور ، وقارنا بين أسباب الإباحة الطارئة التى ذكرناها وبين ما جاء به القانون الجنائى من أسباب مما لا يتسع له هذا المقال ولا يناسب عرضه فى هذا المقام .

وإنى إذ أختم هذا الموضوع فإنى أستميح القارىء العادى عذرا فيما قد يكون لاقاه فى قراءة ما كتبت فيه من عناء ، برغم محاولة تبسيط الموضوع وضغطه بقدر المستطاع ، والى لقاء فى موضوع آخر إن شاء الله .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا « مباحث الحكم عند الأصوليين » عند الكلام عن الحكم الوضعى والكلام عن السبب .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا الاباحة عند الأصوليين والفقهاء من ص ٣٦٩ — ٤٨٤ وقد سلكنا فى التفرقة بين الاباحة الاصلية والطارئة مسلكا قد يختلف عن مسلك الأصوليين الذين قصروا كلامهم فى الغالب على الاباحة الأصلية ، وقابلوا ذلك بالاباحة الشرعية .

(٣) انظر ذلك فى كتابنا الاباحة عند الأصوليين والفقهاء صفحة ٣٨٣ و ٣٨٤ والموافقات جـ ١ ص ٢٢١/٢٢٤ .

(٤) المستصفى جـ ١ ص ٩٩ .

(٥) الاحكام فى أصول الاحكام جـ ١ ص ١٨٩ .

(٦) جـ ٣ ص ١٥٣ . .

(٧) الاباحة عند الأصوليين من ٣٨٨/٤١٣ .

(٨) كشف الأسرار جـ ٣ ص ٨٧٨ .

(٩) الاباحة عند الاصوليين والفقهاء ص ٤١٧/٤٢١ . .

(١٠) وقد أجاز هذا التعاقد الامام أحمد بن حنبل ، والمزنى من الشافعية ، وطعنا فى سند الحديث ودلالته .

(١١) المقاصة فى الفقه الاسلامى بحث مقارن مطبوع سنة ١٩٥٦ المدخل للفقه الاسلامى.

مأساة المسلمين في بورما

حقائق حول اضطهاد المسلمين فى بورما .

يشكل المسلمون فى بورما اكبر اقلية من السكان ، إذ يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة من بين حـوالى ثلاثين مليـون نسمة ، ويعيش معظمهم فى المناطق الشمالية الغربية ، وأما بقية الاديان الموجـودة فى بورما فهى الديانة البوذية وهى ديانة اغلبيـة السـكان ثم ديانة عبـاد الطبيعـة .

ويتولى الحكم فى بورما حكومة اشتراكيـة من البوذيين ، وقد نالت استقلالها عـام ١٩٤٨ م ، والعجيب أن المسلمين البورميين يلقون اقسى المعاملة من قبل حكومتهم الحالية ، فانهم يشردون من ديارهم ويرحلون منهـا وتفرض عليهم الضرائب الباهظـة . ولما كان معظمهم من المزارعين والعمال فان الحكومة تبتز اكثر من ٩٠٪ من حاصل انتاجهم الزراعى وهناك امثلة كثيرة من قيام الحكومة بانتزاع ملكية الاراضى وكل شىء من المسلمين بالذات .

وقد قرأت فى مجلة المجتمع الكويتى العدد الثانى السنة الأولى الثـلاثاء ١٧ من محرم الموافق ٢٤ من مارس ١٩٧٠ (انه جـاء الى الكويت شاب بورمى وقـال لرئيس تحريرها لقد انتزعوا منا كل شىء ، كنت ووالدى نتـاجر فى الادوات الكهربائية وكان راس مالنا يعـادل مليون روبية ، وكانت تجارتنا مزدهرة ولكن الحكومة الاشتراكيـة العسكرية فى بورما لم يرق لها ذلك فاصدرت أمرا بتأميم جميـع اموالنا ولم يبق لنا إلا عقارات بسيطة لم يسمح لنا ببيعها وهى معرضة للتأميم وفررت من بورما الى الهند وهمت على وجهى بحثا عن عمل وتركت زوجتى فى الهند وجئت الى الكويت .

أما موقف الحكومة البورمية من الحرية الدينيـة فانها تحارب ممارسة الشعائر الاسلامية فلا يجرؤ احد تقريبا على اعتياد المساجد ونادرا ما تسنح الفرصة لاقامة صلاة الجمعة حتى أن المسلمين لا يسمح لهم بالخروج من مناطقهم وتسحب بطاقاتهم الشخصية ويزج بكثير منهم فى السجون لا لشىء الا لانهـم مسلمون حتى فريضة الحج لم تسمح حكومة بورما لاحد من المسلميـن لادائها . فمنذ عام ١٩٦٢ م لم يخرج أحد من بورما حاجا الى بيت الله الحرام حتى الآن .

وتبذل رابطة العالم الاسلامى قصارى جهدها فى سبيل اقناع حكومة بورما للسـماح للمسلمين لاداء فريضة الحج ولاصلاح حالهم ووضعهم .

إننا نناشد الاقطار الإسلامية الحرة فى العالم أن تتدخل لحماية المسلمين من هـذا الاضطهـاد الشديد وأن تمـد يـد العـون والمساعدة للمهـاجرين مـن بورمـا فى العالـم الاسلامى فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم » .

كما نرجو من هذه الحكومات الاسلامية عامة والعربية الشقيقة خاصة أن ترفع هـذه المشكلة للامانة العامة لمؤتمر وزراء الخارجية الاسلامية والى الأمين العام للأمم المتحدة عسى أن يحقق فى الأمر ، والله الموفق وهو الهادى الى سواء السبيل .

الحـــدود في الإسلام ٢

القصاص في القتلى

- ١ -

فى العدد الثامن والتسعين من مجـــلة « الوعى الاسلامى » (غرة صفر سنة ١٣٩٣) ـــ وقف بنا الحديث عن الحدود فى الإسلام ، عند حـــد القتل ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وذلك بعد ان عرضنا لحكمة الحـــدود التى أوجبها الإسلام على بعض الجرائم والمنكرات ، وما تنطوى عليه هذه الحكمة من آثار بالغة فى حفظ كيان المجتمع الإنسانى ، واحترام ناموسه ، وإقرار امنه ونظامه ، فضلا عما تبعث هذه الحدود القائمة بسلطانها على كل فرد فى المجتمع ، من إشاعة روح الأمن والســـلام فى النفوس ، والهتاف بها الا تخـــرج عن صورة الإنسانية السوية الكريمة ، التى خلق الله تعالى الإنسان عليها ..

وقد عرضنا فى الحديث لما يتساقط من أفواه بعض السفهاء من الناس ، من مفتريات على الإسلام ، واتهام له بالهمجية والوحشـــية فى العقوبات التى فرض إقامتها فى صورة علنية على مرتكبى جرائم الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وشرب الخمر .. ثم كشفنا عن وجـــه الحكمة فى حـــد الزنا ، وفى التفرقة بين المحصن وغير المحصن ، فى صورة الحدّ الذى يقام على كل منهما .

ونعود فى حديثنا هنا الى بقية الحدود ، وليكن حديثنا اليوم مقصورا على جريمة القتل ، وموقف الإسلام من هذه الجريمة ، وما رصده من عقاب لمرتكبها .

- ٢ -

وبادىء ذى بدء ، فقد فرق الإسلام فى القتل بين ما هو قصد وعمد ، وما قد وقع عن خطأ ، ومن وراء النية والقصد .. إذ كان اعتداء الشريعة الإسلامية بأى قول أو عمل ، مردودا الى النية التى انعقـــدت عليه ، ودفعت به الى حيز

ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون

صدق الله العظيم

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الواقع ، سواء فى ذلك الحسن أو السيء من الأقوال والأفعال ، حيث يكون مع الإنسان فى تلك الحال ، اختياره ومشيئته ، وإرادته .. فإذا وقع القول أو العمل عن خطـأ ، أو نسيان ، أو إكـراه ، لم يكن شيء من ذلك من كسـب الإنسان ، ومن ثم لم يكن محسوبا له أو عليه ، فى مقام الثواب أو العقاب .. وفى هذا يقول الله تعالى : **« لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان »** (٨٩ : المائدة) .. ومعنى تعقيد الإيمان ، توثيقها بالإرادة المدركة الواعية .. وما يجرى على الايمان ، يجرى على كل قول وعمل يصدر عن الإنسان .. يقول الله تعالى : **« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »** (٢٨٦ : البقرة) .. ويقول النبى الكريم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه . »

ثم لأن القتل ، سواء أكان عمدا أم خطأ ، هـو إزهاق لنفس إنسانية ، هى نفخة من روح الله ، وفى إزهاق هـذه النفس ، عـدوان على الله ، وانتهاك لحرمته فى هذا الإنسان الذى سوّاه بيده ، وأقامه خليفة له فى الأرض ، وأمر ملائكته بالسجود له يوم مولده ، احتفاء بظهور هذا الكائن العظيم . الذى أودع فيه الخالق العظيم من صفاته : العلم ، والقدرة ، والإبداع ، والخلق ، والإرادة .. وفى الحديث الشريف : « خلق الله آدم على صورته » (رواه البخارى ومسلم) ..

من أجل هذا أقام الله تعالى فى شريعته ، حراسة ، دائمة ملازمة للإنسان تدفع عنه عوادى العدوان على حياته ، التى هى ملك لله وحده ، لا يجوز لأحد أن يسلبها غير الله ، إذ لم يكن أحد يستطيع منحها غيره سبحانه .. فأوجب سبحانه وتعالى القصاص ممن يتعدى حدود الله ، ويقتل نفسا أحياها الله ..

وإذا كان سبحانه ــ رحمة منه وإحسانا ــ قد تجاوز للناس عما يقع منهم من أعمال سيئة عن غير نية أو قصد ، كالخطأ والنسيان والإكراه فإنه جل شأنه فى جانب إزهاق نفس الانسان واراقة دمه لم يجعل الخطأ والنسيان والاكراه مبررا ــ على إطلاقه ــ للتجاوز عن قتل أى نفس ، تحت أى ظرف من هذه الظروف ، ولم يجعل دم الإنسان يضيع هدرا من غير محاسبة ، للقاتل ، وإن كان سبحانه قد خفف الحساب والمؤاخذة ، تحت هذا الظرف الذى وقع فيه القتل من وراء قصد الإنسان ، وذلك ليشعر القاتل ، ولتشعر الحياة كلها بأن أمرا عظيما فظيعا قد حدث : **« تكاد السموات يتفطَّرْن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً »**

حقاً ، إن هذا القاتل ، إنما قتل عن غير قصد أو نية ، الأمر الذى يستوجب ــ رحمة وعدلا ــ الا يُسوَّى حسابه فيه ، على ميزان من قتل عمداً ، وبغيا .. ولكن لا بد أن ينظر ــ مع هذا ــ الى ذلك الإنسان الذى قتِل بيد أخيه الإنسان ، وان ينال قاتله بعض العقاب على فَعْلته تلك ، الأمر الذى من شأنه أن يجعل عوارض الخطأ فى هذا المقام واقعة تحت حساب دقيق ، ومحاذرة واعية ، مصاحبة لمشاعر الإجلال والإعظام لدم الانسان ، الذى إن أريق فى تلك الحال ، اهتزّت له السموات والأرض ومن فيهن ، فزعا وفرقا ، وهذا من شأنه أن يقيم فى نفس الإنسان وازعا يزعه عن تلك الأعمال الطائشة التى تقع عن استخفاف واستهتار وغير مبالاة ، والتى هى أكثر ما تكون سببا فى القتل الخطأ !!

ــ ٣ ــ

لهذا أوجب الإسلام فى القتل الخطأ تلك العقوبة ، التى هى وسط بين القصاص والعفو ، القصاص فى جانب القتل ، والعفو فى جانب الخطأ ..

يقول الله تعالى : **« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطا ، ومن قتل مؤمنا خطا ، فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلَّمة الى أهله إلا أن يصدّقوا .. فإن كان من قوم عدوّ لكم ، وهو مؤمن ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما »** (٩٢ : النساء) ..

والآية الكريمة فى هذا ، واضحة المعالم ، بيّنة الحدود ، فى تسوية الحساب لهذه النفس التى قتلت خطأ ، بغير جناية جناها صاحبها ..

فأولا : استبعدت الآية الكريمة ــ فى استنكار بالغ ــ أن يقتل مؤمن مؤمنا ، فهذا الفعل المنكر ، لا يصح أن يقع من إنسان مؤمن بالله ، يتوقى حدود الله ، ويحذر محارمه ، ويحترم إرادته ..

وثانيا : استثنت الآية الكريمة ، من استنكار قتل المؤمن للمؤمن ، أن يكون هذا القتل عن خطأ ، إذ كان الخطأ فى عمومه ، مما تجاوز الله تعالى عنه ، لهذه الأمة ، رحمة بها ، وإحسانا اليها ..

وثالثا : ليس هذا التجاوز عن القتل الخطأ على إطلاقه ، بحيث يمضى القاتل ، وكأنه لم يفعل شيئا ، ولم يأت أمرا إدّا ..

فقد أوجب الإسلام على القاتل ــ لكى يتطهر من هذا الدم الذى علق بيده ــ أمورا هى :

١ ــ أن يحرر رقبة مؤمنة ، فيخلصها بذلك من العبودية ، التى هى فى حقيقتها ، إهدار لإنسانية هذا الانسان ، وقتل بالحياة لآدميته .. وفى خلاص هذا الرقبة من العبودية إحياء لها من الموت ، وبعث لها من بين الأموات .. وكأن القاتل بهذا قد أحيا نفسا مؤمنة ، بدلا من تلك النفس المؤمنة التى قتلها

خطــأ .. وبذلك يكون قد سوى حسابه مع الله ، إذ قتل نفسا ، وأحيا نفسا .. كما أنه قد سوّى حسابه مع الإنسانية ، إذ قد انتزع منها إنسانا ، وقدّم لها إنســـانا !!

٢ ــ إذا لم يجــد القاتل بين يديه الرقبـــة التى يعتقها ، أو المال الذى يشترى به رقبة ليعتقها ــ وجب عليه صيام شهرين متتابعين ، فانه « **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** » ..

٣ ــ بقى بعد هذا أن يسوّى القاتل للنفس المؤمنة خطــأ ، حسابه مع أولياء دم القتيل .. وهؤلاء الأولياء ، تحكمهم ثلاث صور :

ا ــ أن يكونوا من المؤمنين ، وهم فى هذه الحال مخيرون بين أخذ الدية ، او التصدق بها على القاتل ، وقد حثهم الله تعالى على التصدق .. وحسب القاتل ما يعالج من آلام وهموم ، من قتل هذه النّفس المؤمنة !.

ب ــ أن يكون أولياء دم القتيل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، هم فى وجه عداوة للمؤمنين ، وفى حرب ظاهرة أو خفية معهم .. وفى هذه الحالة لا تقدم لهم الدية ، لأن فى تقديمها عونا لهم بها فى حربهم مع المؤمنين ..

جـ ــ أن يكون أولياء دم القتيــل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، ولكن بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق بالموادعة والسلام .. وهنا يجب أن تقدم لهم الدية ، من مال القاتل ، فان لم يكن فى مال القاتل ما يتســـع لها ، أو لم يكن ذا مال اصلا ، تولت الجماعة المؤمنة تقديمها لهم من بيت مال المسلمين .. ولا يقبل منهم التصـــدق بها على القاتل ، لأن هذا المال المقدم لهم على سبيل الدية ، هو حق لهم ، وهو إذا وقع لأيديهم أصبح مالا خبيثا ، لا يوضع موضع الصدقة !!

ــ ٤ ــ

هذا عن القتل الخطــأ ..

أما القتل العمد ، فهو رأس الجرائم ، وكبيرة الكبائر ، والله ســبحانه وتعالى يقول : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنمُ خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعدّ له عذابا عظيما** » (٩٣ : النسـاء) ..

هذا هو حساب الله تعالى للقاتل ، وذلك وعيده له فى الآخرة ..

أما حسابه فى الدنيا ، فقد أمر الله تعالى بالقصاص منه ، وقتــله بتلك النفس التى قتلها ، عن عمد ، ظلما وعدوانا .. والله سبحانه وتعالى يقــول : « **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف فى القتل .. إنه كان منصــورا** » (٣٣ : الإسراء) ..

فالقاتل هنا ، لا يقبل منه تحرير رقبة ، ولا دية مسلمة الى أهل القتيل ، ولا صيام شهرين متتابعين ، وانما يقاد للقصاص ، ويقدم الىّ أولياء دم القتيل ، ليقتصوا منه بقتيلهم .. فهو فى تلك الحال فى حكم المقتول .. ثم ان لأولياء الدم بعد هذا أن يقتلوه ، أو يقبلوا الدية منه ، أو يعفو عنه .. وذلك حســب مشيئتهم فى القاتل ، وفيما يقع فى تقديرهم للظروف والأحوال المتلبسة به .. فان قتلوه ، كان قتلهم إياه حقا وعدلا ، وان قبلوا منه الدية كان ذلك منهم إحسانا ورحمة ، وان عفوا عنه ، كان ذلك فضلا وتسامحا .. وذلك كله مضاف الى حسابهم ، وليس للقاتل شىء منه !

وهــذا القصاص إنما هو عقوبة دنيوية للقـــاتل ، وحق مطلق لأولياء دم القتيل ، ولولىّ الأمر القائم على جماعة المؤمنين .. وذلك ليكون عبرة رادعـــة لغيره ، ووازعا قاهرا يزع من تحدثه نفسه بالإقدام على قتل غيره .. وفى هذا صيانة لدم الإنسان ، حتى لا يكون فى الناس من تحدثه نفسه بقتل إنسان ، ثم

يظن ، أو يوقن أنه بمنجاة من القتل .. وبهذا تموت كثير من نوازع القتل ، وتَغْرُبُ كثير من الخواطر التى تتردّد فى صدور بعض الناس للإقدام على قتل غيرهم .. والله سبحانه وتعالى يقول : ((**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين**)) (٢٥١ : البقرة) .. ويقول جلّ شأنه : ((**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**)) (١٧٩ : البقرة) ..

فالقصاص من القاتل ، ـ وان كان فى صورته الظاهرة موتا لإنسان ، وقتلا لنفس ـ هو فى حقيقته ، حياة للناس جميعا ، وحماية لهم من قتل ذريع ، لا يبقى ولا يذر .. ويدخل فى ضمان هذه الحياة ، هذا القاتل نفسه ، والقتيل الذى قتله ، ظلما وعدوانا !!

ففى قوله تعالى : ((**ولكم فى القصاص حياة**)) ، وفى تنكير كلمة ((حياة)) ما يتسع لهذه المعانى كلها ..

فأولا : القصاص من القاتل ، يمسك كثيرا من الأيدى عن القتل ، فى ظروف وأحوال ، تتحرك فيها نوازع أصحابها الى العدوان على غيرهم ، وإزهاق أنفسهم ، فان أكثر ما يردّ الناس عن الاقدام على هذه الفعلة النكراء ، هو حرصهم على حياتهم ، وخوفهم من أن يقتص منهم بالقتل بمن يقتلونه .. فهذا القصاص الراصد لهم ، هو الذى حفظ لهم حياتهم ، وحياة من كانوا يحدثون أنفسهم بقتلهم .. وهذا يعنى أن قيام القصاص فى القتل دستورا عاملا فى الحياة ، هو الذى أبقى على حياة الناس ، ولولا هذا لاستخف الناس بالقتل ، ولم يزعهم من دين ضمير أو دين ، إلا من عصم الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((**ولكم فى القصاص حياة**)) .. ويقول عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ((**أن الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن .**))

وثانيا : هؤلاء الذين نفذوا جريمة القتل فى قتلاهم .. انهم لم يقدموا على ما فعلوا الا بعد تردد طويل ، قد يمتد سنين ، قبل الاقدام على القتل ، ووقوع الجريمة ، حرصا على حياتهم ، وخوفا من الموت الراصد لهم فى القصاص منهم ، وبهذا التردد ، وتلك المطاولة ، حياة لهم ، وحياة لقتلاهم ، مدة امتدت من وقت الهمّ بالقتل ، والنزوع اليه ، الى وقت التنفيذ ، ولو أنهم استجابوا لأول خطرة تخطر لهم بالقتل ، لخسروا هذه الفترة من حياتهم ، كما يخسرها من عجلوا بقتلهم .. هذا ما ينطق به واقع الحياة ، أماأن لكل أجل كتابا ، وأما أن لكل أمة أجل ، اذا جاء أجلهم ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فذلك غيب لا يعلمه الا الله ، واليه وحده سبحانه مرده ، وبيده وحده سبحانه الحكم فيه .

وفى قوله تعالى : ((**لعلكم تتقون**)) .. إشارة كاشفة لهذا الاثر العظيم الذى للقصاص فى حياة الناس ، وأنه أقوى قوة عاملة فى حفظ حياتهم ، وذلك بتجنب القتل ، واتقاء عواقبه الوخيمة التى يجرها القتل على القاتل ، بالقصاص منه ..

ـ ٥ ـ

بهذا التدبير الحكيم ، فيما شرع الله تعالى من القصاص فى القتل ، حفظ سبحانه كثيرا من النفوس ان تقتل ، وكثيرا من الدماء الإنسانية أن تراق .. وفى ذلك ـ كما أشرنا من قبل ـ إشعار بما للإنسان من مكانة كريمة عند الله ، من بين المخلوقات ، وأن دمه عزيز على الله أن يراق على الأرض ، كما يراق دم الحيوان ..

وفى التعقيب على ما حدث بين ابنى آدم من عدوان أحدهما على الآخر

وقتله — يقول الله تعالى : ((**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض ، فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها ، فكانما أحيا الناس جميعا**)) (٣٢ : المائدة) .

فاذا كان القتل عدوانا على الله ، الذى بيده وحده سبحانه الحياة والموت ، واذا كان الانسان لا يملك من أمر الحياة شيئا ، فليس له أن يملك من أمر الموت شيئا كذلك .. وإذن فانه من تعدى حدوده ، واجترأ على حرمات الله ، لم يكن له عند الله حرمة ، ولله سبحانه غيرة على حرماته أن تنتهك ، وعلى حماه أن يُسْتَبَاح ، وعلى مقدساته أن تكون بمعرض البغى والعدوان ..

وإنه بسبب حرمة الحيـــاة الانسانية وقداستها وكرامتها فرض الله هـــذا الفرض على بنى إسرائيل وجعله حكما قائما عليهم ، وهو : ((**أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد فى الأرض ، فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا**)) .. ذلك أن قتل نفس واحدة ، هو فى حقيقته قتل لإنسان هو شجرة الانسانية كلها ، وكذلك الشأن فيمن أحيا نفسا إنسانية ، بأن كف يده عن العدوان عليها ، أو دفع يدا معتدية عليها . وهذا يعنى أن من قتل نفســا فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا !!

فالإنسان — أى إنسان ، يمثل الإنسانية كلها ، إذ كان خلق الانسانية كلها جميعا من نفس واحدة ، هى النفس السارية فى كل إنسان ، والتى هى نفخـــة من روح الله .. يقول الله تعالى : ((**ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**)) (١ : النساء) .. ففى كل إنسان قبس من هذه النفخة المقدسة ، التى كانت منها الإنسانية كلها .. فمن قتل نفسا ، فقد أخمد تلك الشعلة المقدسة ، التى هى أصل الحياة ، ومن أحيا إنسانا ، أى لم يعرض له بسوء ، أو دفع عنه سوءا يتهدد حياته ، فكأنمــا أحيا الانسانية كلها ، وترك شعلتها المقدسة متقدة .

وهذا الحكم الذى اخذ الله تعالى به بنى إسرائيل ، هو حكمه تعالى فى الناس جميعا : ((**أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا**)) هذا هو حكم الله تعالى على الناس كلهم ، وإنما توجه هـــذا الحكم من الله تعالى إلى بنى اسرائيل ، لأمرين :

أولهما : أن بنى إسرائيل ، هم أسوأ صورة إنسانية للإنسان ، وفى طبيعتهم النكدة اجتمع كل ما فى الناس من أبشع صور البغى والعدوان .. فهم أسرع الناس الى قتل النفوس ، وإزهاق الأرواح ، وإراقة الدماء ، ما أمكنتهم الفرصة ، وأسعفتهم الأحوال ، إرواء لتلك الطبيعة المتعطشة الى امتصاص أموال الناس ودمائهم ، حتى إنهم لم يرعوا لرسل الله وانبيائه اليهم حرمة لدمائهم ، فقتلوا كثيرا من هؤلاء المبعوثين اليهم من عند الله ، يحملون اليهم الدواء ، لما اندسّ فى كيانهم من علل وأمراض .. يقول الله تعالى فيهم ، منذرا بالويل والبلاء لهـــم : **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**)) (٨٧ : البقرة) .

وثانيهما : أن شريعة بنى إسرائيل التى انزلها الله تعالى على موسى ، كانت أقدم الشرائع السماوية العاملة فى الحياة ، الى أن أدركها الإسلام ، ونظر فيها وفى أتباعها .. فكان ما نزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى قـــوله تعـــالى : ((**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحيـــاها فكانما أحيا النـــاس**

جميعـا » ــ كان هذا القول الكريم ، مواجهة للمسلمين ، بما شرع الله تعالى لهم من شرع كان قد شرعه من قبل لأمم سبقتهم ، كما يقول سبحانه : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** (١٣ : الشورى) .. كما كان ذلك تذكيرا لبنى إسرائيل بما فرضه الله تعالى عليهم فى الدماء ، وحرمتها ، حتى يقيمـوا التوراة على وجهها الذى اقامها الله تعالى عليه ، وحتى يستقيموا على شريعة الله ، بعد أن انحرفوا عنها ، وافسدوا معالمها بالتبديل ، وسوء التأويل .

ـ ٦ ـ

واكثر من هذا ، فان حرمة دم الإنسان فى الشريعة الإسلامية ، لا تقف عند حدّ تجريم من قتل غيره ، واخذه بالقصاص منه فى الدنيا ، ورصد العقاب الأليم له فى الآخرة ، مرجوما بغضب الله ولعنته ــ بل إن تلك الشريعة قد جردت قاتل نفسه ، وأخذته بما تأخذ به القاتلين غيرهم عمدا ، وانزلتهم منازلهم في نار جهنم خالدا فيها .. ذلك أن هذا القاتل لنفسه ، قد اعتدى على حياة مقدسة ، ألبسها الله تعالى إياه ، وتولى بنفسه ما هو حـق الله فيه ، فالله سبحانه هو الذى ينزعهـا منه متى شـاء .. يقـول سـبحانه وتعـالى : **« كيف تكفـرون بالله ، وكنتم أمواتا فاحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون »** (٢٨: البقرة)

فهذا الذى استعجل موت نفسه ، وعمد بيده الى إزهاقها ، لضيق نزل به ، أو مرض اشتد عليه ، أو مصيبة اصابته فى مال أو اهل أو ولد ، أو نحو هذا مما يدعو بعض الناس الى الفرار من الحياة بالانتحار ــ هـذا الإنسان ، هو سيء الظن بربه ، كافر به وبقدرته ، متبرم بقضاء الله متمرد على حكمه فيه ، فكان جزاؤه عند الله هذا الجزاء الأليم ، الذى يتناسب مع فعلته الآثمة ، والذى هو من جنس عمله .. يقول رسول الله ، ــ صلوات الله وسـلامه عليه ــ : **« من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده ، يجا بها بطنه يوم القيامة ، فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا .. ومن قتل نفسه بسمّ تردّى به ، فسُمّه فى يده ، يتَحسَّاه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا »** (رواه البخارى ومسلم) .. ويقـول صلوات الله وسلامه عليه : **« من قتـل نفسـه بشىء ، عذب به يوم القيامة »** .

ـ ٧ ـ

هذا هو مقام الحياة الإنسان ، وتلك هى منزلتها عند الله .. لا يرحم الله تعالى فى الدنيا ولا فى الآخرة من لا يرحمها ، ولا يحفظ من لا يحفظها ، ولا يرعى حرمة لمن لا يرعى حرمتها فى نفسه أو فى غيره ..

ومع هذا ، فان مدنية الغرب ، والمخدوعين بهذه المدنية ، تستخف بقتـل النفس ، وتستبيح دم الإنسان ، فى الأفراد والجمـاعات والشـعوب ، وتهلك الحرث والنسل ، ولا ترى فى ذلك ما ينخس ضميرها ، أو يحرك مشاعرها ، ثم هى مع هذا ترمى الإسلام بالقسوة وتتهمه بالحيوانية ، والوحشية ، والهمجية وتثير فى وجهه حربا شعواء ، لا لشىء إلا لانه جعل القصاص فى الدماء ، وقتل القاتل بمن قتله ، حكما من أحكام شريعته ، يقيمه بين الناس ، ويأخذهم به .. .. ثم ينتهون من هذا الى نتيجة ، هى أن هذه الشريعة هى من إفرازات الحياة البدوية القبلية ، التى ظهر فيها هذا الدين ، وطبع بطابعها ..

وإنك لترى القوم فى تبرير اتهامهم للاسلام بالقسوة والبربرية والوحشية ، والتعطش الى إراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح ــ تراهم هنا يحيلون الأمر الى عملية حسابية فى مجال الانتاج المادى ، ويقيمونها على ميزان الربح والخسارة

المادية ، ثم لا يحوجهم هذا الى أكثر من النظر الى قطعان الماشية التى يملكونها ، ليقيموا منها الحجة على ما يقولون !!

فهم يسألون أو يتساءلون : إذا نطح حيوان حيوانا من هذا القطيع او ذاك ، فقتله .. أفيكون من العقل والمصلحة أن يقتل هذا الحيوان القاتل ؟ أن ما تقضى به المصلحة ، ويدعو اليه العقل هنا ، هو أن يعزل هذا الحيوان عزلا مؤقتا عن بقيـــة رفاقه ،حمايتلها من بطشه وشراسته !! ثم ماذا يجدى قتل هذا الحيوان القاتل ؟ أيعيد قتله الحيـــاة الى الحيوان الذى قتله ؟ ثم الا تكفى الخسارة فى قتل حيوان ، حتى يضاف الى ذلك قتل حيوان آخر ؟ الا يعد ذلك من باب الحماقة والسفه ، وسوء الرأى ؟

إنهم يسوسون « القطيع » الإنسانى بما يسوسون به قطعان الحيوان ، وينظرون اليه تلك النظرة المادية التى ينظرون بها الى عالم الحيوان ، ويقولون ــ فيما يقولون ــ إنه قد قتل إنسان بيد انسان .. فان تكن الانسانية قد خسرت إنسانا واحدا بهذا القتل ، فانها ستخسر اثنين اذا قتل قاتله !

هكذا يسوى منطق القوم هذه القضية ، على تلك الصورة ، حتى إن قوانينهم الوضيعة التى لبست ثوب المدنية قد خلت تماما من النص على قتل القاتل ، مهما كانت الظروف التى قتل فيها ، مقدرة أن فى الحكم على القاتل بالسجن بضـــع سنين ، ما يكفى لإصلاحه وتأديبه ، ثم عودته الى الحياة عضوا عاملا منتجا !! فهذا عند القوم كسب للحياة ، بالابقاء على حياة القاتل ، والعمل على إصلاحه ، وتقويم انحرافه ، دون أن ينظروا الى ما وراء ذلك من حرمان إنسان حق الحياة ، بفعلة هذا القاتل ، وما تترك هذه الفعلة من آثار مزعجة ، فى أهل القتيل ، من زوج ، وأبناء ، وآباء ، وإخوة وأخوات ، وغيرهم من ذوى قرابته ! ودون أن يقدروا أن ترك القاتل حيا ، مع الاكتفاء بحبسه تلك المدة المحدودة ، فيه إغراء له ، ولغيره بالإقدام على القتل ، مرة ، ومرة ، ومرات ؟

أما نظرة الإسلام الى جريمة القتل ، فهى نظرة عامة شاملة ، تحيط بها من جميع جوانبها ، وتحتويها ظاهرا وباطنا ، وتحسم شرها حاضرا ومستقبلا ..

ونعود فنذكر هنا ما قررته الآية الكريمة : **((ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون))** .. من وجوب القصاص ، وقتل القاتل بمن قتله ، وما فى هذا القصاص من ضمان وثيق لحفظ الانسانية ، والابقاء على الجنس البشرى كله ، وانه لولا هذا القصاص ، لقتل الناس بعضهم بعضا بغير حســـاب ، وبدون مبالاة ، ولجرت الدماء أنهارا ، حتى ينتهى الأمر بألا يبقى من أبناء آدم الا اثنان هما أقوى أبنائه ، ثم لا يلبث الأمر بينهما طويلا حتى يعدو أحدهما على الآخر فيقتله ، وتعود الحياة الى سيرتها الأولى فيما كان بين ابنى آدم : قابيل وهابيل ، اللذين كانا كل ما فى الانسانية من آدميين على ظهر الأرض ، ومع هذا فقد عدّا أحدُهما على الآخر فقتله ، ليكون له وحده السلطان على هذه الأرض !!



ولا ننهى هذه الكلمة ، دون أن نشير الى أن كثيرا من دول الغرب التى حرمت إعدام القاتل فى قوانينها ، قد عادت أخيرا ، فجعلت الإعدام عقوبة فى قانون عقوباتها ، بعد أن أصبحت جرائم القتل فيها ، تقع جهـــاراً نهاراً على أعين الناس ، وبعد أن أصبح من المألوف أن يكون العبث والهزل والتسلية ، من أكثر البواعث على القتل ، حتى إنه لا يتورع أحد الهازلين العابثين ، من أن يلعب لعبة

الموت هذه فيقتل أسرة بأسرها ، لا لشىء اكثر من أن يرفه عن نفسه ، ويسليها بهذا العبث !!

وإن اقرب مثل لتلك الدول التى أخذت تقرر عقوبة الاعدام فى قانونها ، الولايات المتحدة ، التى طلب رئيسها منذ أيام ضرورة إدخال هذه العقوبة فى قانون الدولة .. وذلك بعد أن أصبح القتل فى الولايات المتحدة ، هو اللعبة المفضلة للتسلية والترفيه !!

ولا شك أن فى هذا شهادة قائمة ناطقة بأن هذا الدين ، هو دين الله ، وان كلماته ، هى كلمات الله ، وأن أحكامه ، أحكام الله ، وانه لا تبديل لكلمات الله ، ولا نقض لأحكامه ، مهما امتدت الأزمان ، واختلفت الاوطان ، وان نبح النابحون ، وعَوى العاوون ..

ثم لا بد من كلمة أخيرة نهمس بها فى آذان أولئك المخدوعين المتهوسين ، المفتونين بأوربا وأمريكا من ابناء العروبة والاسلام !! والذين نراهم ونسمعهم يدعون — بغير فهم ولا عقل الى الغاء عقوبة الاعدام ، والتى يعدونها وصمة فى جبين الانسانية ، وشهادة قائمة فى الناس بأن ديننا يعيش فى غير زمنه ، وأن أهله يعيشون فى عصر غير عصرهم .. وهم فى هذا الهراء ، يحسبون أنهم دعاة إصلاح ، وقادة نهضة !! وما هم فى الواقع إلا ببغاوات حبيسة فى أقفاص أوربية وامريكية ، يلتقطون ما يلقى اليهم من يد سادتهم من حَبّ ، وما يطرق آذانهم من كلمات .. ثم ينقلون هذه الكلمات على نحو ما سمعوها ، دون أن يعقلوها ، أو يعرفوا لها مدلولا ..

هكذا أولئك المتهوسون الببغاويون ، فى كل ما ينعقون به من غريب الآراء ، وبدع الدعوات .. انهم لا يعدون أن يكونوا « اسطوانات » معبأة بالدعوات المضللة ، والمفتريات الخبيثة ، التى يسمعونها من هنا وهناك من ادعياء المستشرقين الذين يكيدون لديننا ، ولتراثنا ..

وقد وقانا الله شر هذا « البوم » الناعب فى ديارنا ، مبشرا بنقص حكم من أحكام شريعتنا ، بما كانوا يدعون اليه من الغاء حكم الاعدام ، الذى يصم مجتمعنا — فى أوهامهم — بالبربرية والوحشية ..

فبأى لسان يتحدث هؤلاء الببغاوات عن الغاء حكم الاعدام ، وقد خرست السنة أساتذتهم ، فلم تعد تنطق بهذا القول ؟ فليبحثوا لهم اذن عن مقولة أخرى يتعالمون بها ، وليدخلوا بها فى زىّ المجددين التَقدّميين ، وذلك بعد أن تزايلهم حمرة الخجل ، ويجفّ من جباههم عرقه ، ان كانت وجوههم تعرف الحياء والخجل .. وصدق رسول الله اذ يقول : « **اذا لم تستح فاصنع ما شئت** » ..

وان فى هذا لعبرة لمن يتلقون مثل هذا الزور من القول ، ويتأثرون به ، ويهتز إيمانهم منه ، وليعلموا أن دينهم الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن شريعتهم هى شريعة الله التى لا يفيض على الايام معينُها ، ولا تتعطل على الزمن مواردها .. والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم ، وفى رسوله الأمين : « **وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل ، وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا** » .

بلغة العصر

الزكاة

للدكتور محمد شوقى الفنجرى

من يرجع الى كتب الفقه الاسلامى ، يجد اختلافا بعيد المدى فى كيفية تطبيق فريضة الزكاة ، عبر عنه فقيد الاسلام وشيخ الازهر الاسبق الامام محمود شلتوت بقوله : (على رغم ما أعتقد من أن الخلاف النظرى يدل على حيوية فكرية قوية وعلى سماحة النظام الذى يكون فى ظله ذلك الخلاف — على الرغم من ذلك ، فكم يضيق صدرى حينما أرى أن مجال الخلاف بين الأئمة فى تطبيق هذه الفريضة يتسع على النحو الذى نراه فى كتب الفقه والاحكام) . ثم يقول : (هذه الفريضة يجب أن يكون شأن المسلمين فيها أو شأنها عندهم جميعا كشأنهم فى الصلاة ، وشأن الصلاة فيها تحديد بين واضح ، لا لبس فيه ولا خلاف « خمس صلوات فى اليوم والليلة ») . ثم يقول (لست أشك فى أن وحدة المسلمين فى واجباتهم الدينية والاجتماعية التى أخذ الله بها عليهم العهد والميثاق ، تقضى على علمائهم وأولياء الأمر منهم بالمسارعة الى اعادة النظر فيما اثر عن الأئمة من موضوعات الخلاف التى أخشى أن تمس أصل هذه الفريضة ، ويكون

ذلك النظر الجديد على أساس الهدف الذى قصده القرآن من افتراضها وجعلها واجبا دينيا تكون نسبة المسلمين فيه وفى جميع نواحيه على حد سواء) (١) .

ورغم المحاولات الحديثة التى بذلت وما زالت تبذل ، فاننا حتى الآن لم نستطع ان نذلل مهمة ولى الأمر ، تنفيذ أحكام هذه الفريضة التى أرادها الله ان تكون ركنا أساسيا فى تنظيم المجتمع ، وذلك باتفاق فقهاء الإسلام على احكامها وعلى كل ما يتصل بهذه الفريضة بعد أن اختلفوا فى كل ما يتصل بها اختلافا بعيد المدى ، ثم أعلان الأحكام المتفق عليها للكافة حتى تكون موضع التكليف .

ولسنا هنا بصدد دراسة ولو اجمالية لموضوعات الزكاة ، فان ذلك يتجاوز نطاق هذا المقال . وإنما كل ما يهمنا هو محاولة ربط أحكام الزكاة بواقع عالمنا الحاضر . ونكتفى هنا بعرض ثلاث مسائل رئيسية ، تعالج كل منها فى فرع مستقل .

الفرع الأول : الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الإسلام .

الفرع الثانى : وعاء الزكاة ، ونصابها ، وسعرها .

الفرع الثالث : هل يجوز اداء أهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم .

١ ــ الزكاة مؤسسة الضمان :

لم يكتف الإسلام بمجرد الدعوة الى الضمان الاجتماعى بمعنى ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، وانما انشأ له منذ أربعة عشر قرنا مؤسسة مستقلة هى مؤسسة الزكاة التى هى بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعى .

أ) حداثة نظام الضمان الاجتماعى فى العالم وقدمه فى الإسلام :

من المعروف أن نظام الضمان الاجتماعى ، حديث فى عالمنا الحاضر ، فهو نتاج صراع الطبقات وثمرة المشاكل الاجتماعية المتولدة عن الثورة الصناعية والتقدم الاقتصادى . بخلاف الأمر فى الاسلام ، فقد قرره منذ أربعة عشر قرنا كضرورة حتمية للقضاء على البؤس والفقر وتحرير الانسان باسم الدين من عبودية الحاجة .

ولعل أهم دور اسند الى مؤسسة الزكاة فى العهد الاسلامى الأول هو ضمان حد لائق لمعيشة كل فرد ، يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية وهو خلاف حد الكفاف ، ولذلك يعبر عنه بعض الفقهاء باصطلاح (حد الغنى) .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز ، بل اعطاء فرصة العمل للقادر عليه . فكثيرا ما أعطي الفقير ما يمكن أن نسميه برأس مال ليبدأ تجارة ينميها أو يشترى آلات لصناعة يعرفها .

كذلك لعبت مؤسسة الزكاة فى العهد الاسلامى الاول دورها فى تخفيف الاعباء العائلية ، من ذلك ما قرره عمر بن الخطاب باعطاء كل مولود مائة درهم ويزيد العطاء كلما نما الولد .

ب) الضمان الاجتماعى هو الركن الثانى فى العقيدة بعد الصلاة :

اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة ، أى حق الضمان الاجتماعى وكفالة حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن ، بمثابة الركن الثانى فى العقيدة بعد الصلاة . فالقرآن يقول : (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ــ البقرة / ٨٣) ، ويقول : (**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ــ البينة/٤) ، ويقول : (**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ــ الحج / ٤٠ ــ ٤١) ، ويقول : (**وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون** ــ فصلت / ٦ ــ ٧) . كما ورد فى السنة الصحيحة ، ان الصلاة غير مقبولة ممن لا يحرص على ايتاء الزكاة .

وتعتبر حرب أبى بكر لمانعى الزكاة ، أول حرب فى التاريخ تخوضها دولة فى مبدأ الضمان الاجتماعى ، فقد حدث عقب وفاة رسول الله أن امتنع فريق من العرب عن اداء الزكاة ، فقرر أبو بكر الصديق قتالهم وقال كلمته المشهورة (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عن منعه) . وانه حين اعترض عمر بن الخطاب على قتال الممتنعين عن اداء الزكاة قائلا كيف نقاتلهم وهم مسلمون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ، يجيبه أبو بكر فى عزم وتصميم (والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة) ، فيقتنع عمر بن الخطاب ويقول : (فوالله ما هو الا ان رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت انه الحق) .

جـ) الزكاة فريضة مستقلة مخصصة لاهداف الضمان الاجتماعى :

والزكاة ليست مجرد احسان متروك لاختيار المسلم ، وانما هى فريضة الزامية يستوفيها الحاكم الاسلامى الى جانب الضرائب التى كانت تحصلها الدولة الاسلامية فى عهدها الأول لمواجهة التزاماتها المختلفة ، كضريبة العشور ، وهى ضريبة جمركية . اذ الأمر كما ورد فى الحديث النبوى (أن فى المال حقا سوى الزكاة) . وكان يفرد للزكاة بيت مال مستقل خلاف موارد بيت المال الأخرى ، بحيث لا يجوز مثلا الإنفاق من حصيلتها على الجهاز الادارى للدولة .

وهى فريضة مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعى ، بحيث لا يجـوز استعمال حصيلتها أو توزيعها الا فى أهداف الضمان الاجتماعى ، والتى عبرت عنها الآية الكريمة بقوله تعالى : (**انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله** ـ التوبة / ٦٠) .

ومن ذلك يتبين ان المستحقين فى الزكاة ثمانى فئات هم :

ـ **الفقـراء** : وهم الذين لا يستطيعون بحسب قدراتهم ومواردهم أن يوفروا لأنفسهم الحد اللائق للمعيشة ، وهو حد الكفاية لا الكفاف .

ـ **المساكين** : وهم فى رأى البعض الفقراء الذين يسألون تمييزا لهم عن الفقراء المتعففين ، وهم على العموم اسوأ حالا من الفقراء .

وقد جرت أقوال الائمة على اعطاء الفقراء والمساكين من الزكاة بحالتها التى تجبى عليها اى نقدا ، فى حين أن الشريعة الغراء لم تنص على وسـيلة معينة يلتزم بها الامام فى اداء حق الزكاة للفقراء والمساكين ، وانما خولـه التصرف فيها بحسب ما تقتضيه المصلحة بحيث اذا وجد فقير مريض جاز ان يؤدى له الزكاة فى صورة خدمة طبية بدلا من اعطائه مبلغا من المال قد يكون عديم النفع أو ضارا فى بعض الأحوال .

ونرى فى العصر الحالى أن من أفضل صور اداء حق الزكاة ، اقامـة المستشفيات للفقراء والملاجىء للعجزة واليتامى . وقد نص ابن عابدين على ان ما ينفق فى سبيل تعليم الفقراء وعلاجهم هو انفاق عليهم واعطاء لهم . وقـد يكون من أجدى السبل ، استخدام جزء من حصيلة الزكاة فى انشاء مطاعم أو مساكن شعبية بل وفى انشاء مصانع يعمل بها الفقراء المشوهون كل بحسب مقدرته فيجدون مـوردا كريما لرزقهم فضلا عن زيادة العمالة والقضاء على البطالة المفروضة عليهم (٢) .

ـ **العاملون عليها** : وهم المكلفون بتحصيل الزكاة ، ولا يجوز فى رأى البعض كالامام الشافعى أن يتجاوز بحال مـن يتقاضونه ١/٨ المحصل من الزكـاة وهذا يعنى ان الزكاة تغطى مصاريفها من ذاتها ، وانه يتعين الاقتصاد فـى مصاريف تحصيلها وصرفها .

ـ **المؤلفة قلوبهم** : وهم الذين يراد كسبهم نحو الاسلام أو درء مخاطرهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، **فهذا نصيب الدعوة للاسلام** . وقـد قيل ان عمر بن الخطاب اسقط أو عطل سهم المؤلفة قلوبهم حين رفض عطاءهم بقوله (ان الله قد أعز الاسلام واغنى عنهم) وهذا تصور خاطىء ، اذ لا يملك عمر أو غيره ان يهدر أو يعطل نصا ، وانما الأمر مرده عدم توافر شروط تطبيق النص أو كما يعبرعنه البعض باصطلاح زوال الوصف .

ـ **الرقـاب** : وهو القدر المخصص لتحرير العبيد فى العصر القديم ولمحاربة جميع صور الاستغلال فى العصر الحديث وبذلك تعتبر الدولة الاسلامية **أول دولة فى العالم حاربت الرق منذ أربعة عشر قرنا بل وخصصت لذلـك جزءا من ميزانية الدولـة** .

ــ **الغارمــون :** وهم الذين استغرقتهم الديون لسد حاجاتهم الضرورية أو لتحملهم نفقات مالية لبعض المصالح العامة كاصــلاح ذات البين أو كســـاد تجارتهم أو مصانعهم لسبب خارج عن أرادتهم . فيعطون من الزكاة بقدر ما يقضي ديونهم ويرد اليهم معنويتهم فى الحياة .

ــ **فى سبيل الله :** وهو ما يتعلق بالحرب المقدسة وسائر المنافع العامة **فلهذا الوجه حق فى الزكاة متى كان بها وفر ، الى جانب حقه الأصلى فى خزانة الدولة . ولذات السبب كان للمستحقين للزكاة حق فى موارد الدولة الأخرى ، متى لم تكفهم حصيلة الزكاة .**

ــ **ابن السبيل :** وهو قديما المسافر الذى انقطع عن بلده وبعد عن ماله ، **وهو حديثا السائح أو اللاجىء الذى انقطع عنه مورده بسبب خارج عن ارادته .**

ومن المسلم به أن للمشرع الاســـلامى حرية توزيع حصيلـــة الزكاة على كل أو بعض هذه الفئات حسبما يراه متفقا والصالح العام . فاذا اعطيت الزكاة لفئة واحدة بقدر ما تندفع به حاجتها اجزأت ، باعتبار ان الحاكم مخير فى التفريق فى الأصناف الثمانية وفى ان يخص بعضهم دون بعض ، وانما ليس له حريـــة التوزيع على غير هذه الفئات ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (انى والله لا أعطى احدا ولا أمنع احدا ، وانما أنا قاسم اضع حيث أمرت) . ويقول عليه السلام (لا تحل الصدقة لغنى ولا لقوى مكتسب) ، ويقول (من سأل من غير فقر فانما أكل الجمر) . ويجمع الفقهاء ان من كان قويا على الكسب مع قوة البدن وحسن التصرف تكون الزكاة عليه حراما لأنه غنى بقدرته على الكســـب فصار كالغنى بماله .

كما ان من المسلم بان الزكاة تؤخذ من المكلفين فى كل قرية أو مدينـــة وتنفق على المستحقين من أهل هذه القرية أو المدينة ، وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى للزكاة لينفق على المراكز القريبة من مكان تحصيلها والتـــى تحتاج الى معونة . ذلك لان أهل كل بلد أولى بزكواتهم حتى يستغنوا عنها ، فلا تحمل من أهل البلد الى غيره الا ان تكون فضلا عن حاجتهم وبعد استغنائهم عنها . **ومؤدى ذلك ان فريضة الزكاة هى ضريبة محلية ، بحيث يستقل كل فرع لمؤسسة الزكاة فى** تحصيل وصرف الزكاة فى نطاقه المحلى ، وما يزيد أو ينقص عـــن حاجته يستوفيه من الفروع المجاورة بتنظيم من المركز الرئيسى .

٢ ــ وعـــاء الزكـــاة ، ونصابها ، وسعرها :

أ) وعـــاء الزكـــاة :

ان الأموال التى ثبتت فيها الزكاة بالسنة النبوية هى أربعة :

ــ الابل والبقر والغنم .
ــ الزروع والثمـــار .
ــ النقـــود .
ــ عروض التجـــارة .

وقد اختلفت اليوم صنوف المال عما كانت عليه منذ أربعة عشر قرنا ، وظهرت صنوف جديدة من المال وزادت أهميتها ، ومن قبيل ذلك الدور والاماكن المستغلة والآلات الصناعية ، والأوراق المالية ، وكسب العمل والمهن الحرة .

وانه لما كانت العلة فى فريضة الزكاة فى الأموال هى نماؤها بالفعل أو بالقوة كما يقول الفقهاء . فان كل مال استجد ويقع فيه النماء حقيقة أو تقديرا تجب عليه الزكاة ، أيا كان ثروة عقارية كالعمارات أو صناعية كالمصانع أو نقدية كالاوراق المالية . وعن الرسول عليه السلام (اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة) وقوله (ما نقص مال من صدقه) ، وذلك لتعلقها بالاموال ذات النماء تحقيقا اى بالفعل أو تقديرا أى بالتمكن من النماء .

واذا كان الفقهاء القدامى لم يفرضوا الزكاة على بعض الاموال كدور السكن وأدوات الصناعة الأولية ، شأن الابل والبقر العوامل وحلى الزينة ، باعتبارها من الحاجات الشخصية المعدة للاستعمال ، فانها تظل كذلك معفاة باعتبارها أموالا غير نامية لا بذاتها ولا بالقوة . اما اذا تحولت دور السكن الى الاستغلال لا الاستعمال الشخصى ، ولم تعد اليوم ادوات الصناعة يملكها صانع يعمل بيده أى لاستعماله الشخصى انما هى للاستغلال ، فانه تلحقها حينئذ فريضة الزكاة .

ب) نصاب الزكاة :

والقاعدة ان الزكاة لا تكون الا عن ظهر غنى ، فالمشغول بالحاجة الأصلية كالمعدوم ، بحيث يعفى الحد الأدنى من الثروات أو الدخول اللازم للنفقات الضرورية لمعيشة الفرد وهو ما يعرف فى الفقه الاسلامى بحد الكفاية ، وهو نصاب الزكاة الذى دونه عفو لا يتحقق به يسار . وعليه فان كل من لم يبلغ النصاب لا يؤدى الزكاة ، بل هو يستحقها . وقد ذهب عمر بن الخطاب عام الرمادة الى اباحة الزكاة لمن هو مالك لمائة شاة لا أربعين شاة كالاصل ، وذلك لان هذه المائة وقد اصابها الجرب والعجف لظروف عام المجاعة لا تغنى عن أربعين شاة فى الخصب . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز قوله : و (انه لا بد للمرء المسلم من مسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه، ومن ان يكون له الأثاث ، فاقضوا عنه فانه غارم) .

وقد ورد فى السنة أن نصاب الزكاة أى حد الاعفاء هو ما دون العشرين دينارا أو المائتى درهم ، ويقدر ذلك البعض بالعملة المصرية الحالية بمائة جنيه فى الحول (٣) . ومؤدى ذلك ان من كان دخله السنوى فى مصر دون ذلك فانه يعفى من الزكاة ، بل هو ممن يستحقها .

جـ) سعر الزكاة :

وسعر الزكاة بصفة عامة ، دون خوض فى التفاصيل ، هو بواقع ٢٫٥٪ من رؤوس الاموال المنقولة (٤) والأنعام والنقود وعروض التجارة ، وما بين ٥٪ و ١٠٪ من الدخل بحسب ما اذا كان بجهد أو بغير جهد لقول الرسول عليه السلام (ما سقته السماء ففيه العشر ، وما سقى بقرب ففيه نصف العشر) .

الا انه من المتفق عليه ، ان ذلك القدر هو الحد الأدنى المفروض فى الأموال ، لاستمرار قيام مؤسسة الزكاة وحيث لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلته، أما اذا عجزت مؤسسة الزكاة فى حدود النصاب المقرر لها شرعا ان تقوم بالتزاماتها كمؤسسة للضمان الاجتماعى ، فان للشارع أن يقدر حاجة المؤسس

ويحصل لها من أموال المسلمين ما يتجاوز هذا النصاب ، وبالقدر الذى يمكنها من اداء رسالتها بكفالة كل محتاج عاجز . وذلك إعمالا لقوله تعالى (فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ــ المعارج / ٢٤ و ٢٥) ، وقول الرسول (تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) . وهو ما عبر عنه سيدنا على بن أبى طالب (ان الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم) ، وعبر عنه الامام بن حزم بقوله (وفرض على الأغنياء من كل بلد ان يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تقم الزكوات بهم) ، وعبر عنه الامام الشافعى بقوله : (ان للفقراء احقية استحقاق فى المال ، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير) .

٣ ــ اداء أهل الذمة للزكاة :

واذا كانت مؤسسة الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الاسلام ، يستفيد منها المسلمون وغير المسلمين على السواء ، فاننا نرى اليوم ، ازاء تغير الظروف جواز اداء أهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم ، وذلك كنظام ضريبى موحد .

ونبين ذلك فيما يلى :

(أ) طبيعة الزكاة :

الزكاة هى ضريبة دينية مخصصة ، يلتزم كل مسلم بادائها كركن من أركان الاسلام لا يكمل اسلامه الا بها ، وتلتزم كل دولة اسلامية باستيفائها وصرفها على أوجهها المخصصة .

ــ **فهى ضريبة** بمعنى الجبر والالزام ، والتعلق بالمال لا الشخص وهو ما عبر عنه الفقهاء القدامى بانها حق مالى ، ونعبر عنه بلغة اليوم بانها ضريبة ومن ثم فانه يخضع لها الفرد فى ماله بصرف النظر عن تحقق شرط التكليف الدينى فيه أو عدمه ، وهو شرط العقل والبلوغ . كما أنها بهذا الوصف لا تسقط بموت المالك ، ولا بهلاك المال من صاحبه بعد استحقاقها .

ــ **ودينية** وذلك لانها ركن من أركان الاسلام ، لا يكمل ايمان المسلم الا بادائها ، ذلك ان فاعل الزكاة ومؤديها يريد بها وجه الله تعالى وثوابه واطاعة أمره وعبادته . ولهذا سميت الزكاة « بالصدقة » تطيب بها نفس المسلم ويثاب عليها . فكل زكاة صدقة وليست كل صدقة اختيارية زكاة . فيقول الله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ــ التوبة / ١٠٣) ، ويقول سبحانه (**وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون** ــ الروم / ٣٩) . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (وادوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم) ، ويقول عليه السلام : (اذا اعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها ان تقولوا اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما) ، ويستحب لمعطى الزكاة ان يحمد الله على نعمته وفضله عليه بتمكنه من ادائها .

والرأى منعقد بان من ينكر الزكاة يخرج عن الاسلام ويعتبر كافرا ، ومن يمتنع عن ادائها تؤخذ منه كرها ، ولا يثاب عليها . وفى الحديث الشريف (والذى نفسى بيده ، لا يموت أحد منكم فيدع ابلا أو غنما أو بقرا لم يؤد زكاتها الا جاءت

يوم القيامة اعظم مما كانت واسمن تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس) ، وقوله عليه السلام (أن الصدقة لتمنع ميتة السوء ، وانها لتقع فى يد الله قبل ان تقع فى يد السائل) .

— **وهى مخصصة** لاهداف الضمان الاجتماعى ، اذ لا يجوز صرف حصيلتها الا على الفئات الثمانية السالف ذكرها ، والتى يجمعها صفة الحاجة ، وانه يتعين على الدولة ان تفرد لها ميزانية مستقلة ، ولا يجوز الصرف من حصيلتها على الجهاز الادارى للدولة او الإنفاق العام الحكومى .

وتخلص من ذلك الى أمرين أساسيين : —

أولهما : ان الزكاة من ناحية المسلم ، هى فريضة تعبدية ، تحقق له عائدا مجزيا فى دنياه وآخرته .

ثانيهما : ان الزكاة من ناحية الدولة ، هى ضريبة مخصصة ، فهى من أهم موارد بيت المال «خزانة الدولة»، ولكنه ايراد مخصص لأهداف الضمان الاجتماعى

(ب) طبيعة الجزية :

وقد فرض الاسلام الجزية على أموال الذميين فى مقابل الزكاة المفروضة على أموال المسلمين ، باعتبار ان لهم مالنا وعليهم ما علينا . فلا يخاطب أهل الذمة بالزكاة بصفتها التعبدية وعدم اسلامهم ، وانما يخاطبون بالجزية . واذا كان يلاحظ مضاعفة الجزية عن الزكاة ، فذلك لأن أهل الذمة معفون من واجب الدفاع والقتال عن المسلمين . ولذلك تخفض الجزية عمن يريد من الذميين مشاركة المسلمين فى القيام بواجب القتال ، كما كانت تسقط الجزية اذا عجز المسلمون عن الدفاع عن الذميين وحمايتهم (٥) .

فليست الجزية كما تصورها البعض خطأ ، ضريبة على الأشخاص ، أو هى جزاء أو عقوبة على غير المسلمين لحملهم على الاسلام . وانما هى ضريبة على الأموال ولا تفرض على كل الذميين وانما على الموسرين منهم ، كما يعفى منها الصبيان والنساء باعتبار اعفائهم من واجب الدفاع والقتال .

فاذا كانت الجزية على هذا النحو ضريبة مالية على الذميين فى مقابلة التزام المسلمين بالزكاة ، وسبب مضاعفتها هو اعفاء الذميين من واجب الدفاع والقتال . وانه لما كان الوضع اليوم قد تغير وصار الذميون فى الدول الاسلامية يخدمون كالمسلمين بالقوات المسلحة ، فانه يتعين بالتالى خفض سعر هذه الضريبة لتكون بذات سعر الزكاة . **ومؤدى ذلك امكان تطبيق الزكاة كنظام ضريبى موحد على المسلم وغير المسلم ، وان ظل المسلم دون الذمى مخاطبا بالزكاة كالتزام تعبدى لا كالتزام مالى فحسب . ولنا فى ذلك سابقة لعمر بن الخطاب على نحو ما سنبينه .**

(جـ) اجتهاد عمر بن الخطاب فى الجزية ودلالته :

حدث فى عهد عمر بن الخطاب ان اشتكى نصارى بنى تغلب من الجزية قائلين : نحن عرب لا نؤدى ما تؤدى العجم ، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض ، قاصدين بذلك الزكاة . فرفض عمر بن الخطاب قائلا : الزكاة فرض

المسلمين ، فقالوا له : زد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية . فاسقط عنهم عمر الجزية واستوفاها باسم الصدقة (الزكاة) ، وان ضاعفها عليهم قائلا : سموها ما شئتم (٦) ..

واذا كانت الزكاة على نحو ما رأينا ، هى ضريبة تؤدى على أموال المسلمين الخاضعين لها بغض النظر عن المالك لها . وكانت الزكاة هى الضريبة على أموال الذميين لا أشخاصهم ، وذلك فى مقابلة الزكاة ، وان سبب مضاعفتها هو اعفاؤهم من واجب الدفاع والقتال .

فانه لا شك ازاء التزام الذميين اليوم شأن المسلمين بالدفاع عن البلاد والقتال فى سبيلها ، فانهم يلتزمون بذات سعر الزكاة كنظام ضريبى موحد على المسلم وغير المسلم (٧) ، ويبقى للمسلم جانبها التعبدى والثواب عليها بقدر حرصه على ادائها بطيب نفس ابتغاء وجه الله ومرضاته .

---

(١) انظر فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام عقيدة وشريعة . طبعة دار القلم القاهرة ، ص ١٠٩/١١٠ .

(٢) انظر فى هذا المعنى أيضا الدكتور ابراهيم نزار أحمد على ، الموارد المالية فى الاسلام الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٨ .

— وكذا توصيات حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية المنعقدة بدمشق سنة ١٩٥٢

— وكذا قرارات وتوصيات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة فى مايو سنة ١٩٦٥ .

(٣) انظر الدكتور شوقى اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعملا ، الطبعة الاولى سنة ١٩٧٠ مكتبة الانجلو المصرية ص ١٩٩ .

(٤) وعليه فرؤوس الاموال الثابتة كالارض والمبانى والآلات الصناعية ، لا تجب فيه الزكاة وانما تجب على الدخل الناشىء عنه .

(٥) يروى البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان أن المسلمين حين دخلوا حمص أخذوا الجزية من أهل الكتاب الذين لم يريدوا دخول الاسلام ، ثم عرف المسلمون ان الروم أعدوا جيشا كبيرا لمهاجمة المسلمين وانهم لا يقدرون على الدفاع عن أهل حمص وقد يضطرون الى الانسحاب ، فاعادوا الى أهل حمص ما أخذوه منهم وقالوا لهم شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم ، فانتم على أمركم ، فقال أهل حمص : أن ولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه منالظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل من المدينة مع عاملكم ، ونهضوا بذلك وسقطت عنهم الجزية .

(٦) انظر الاموال ، لأبى عبيد ، والدكتور شوقى اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعملا ، المرجع السابق ص ٦١ .

(٧) انظر هذا المعنى أيضا فضيلة الاستاذ محمد أبو زهرة فى مشروع قانون الزكاة الذى قدمه مجلس النواب المصرى سنة ١٩٤٧ .

الإيمــان ..

سال رجل الحسن البصرى أمؤمن أنت ؟ فقال : ان كنت تريد قول الله تعالى : (آمنا بالله وما أنزل الينا) فنعــم ، به نتناكــح ، ونتوارث ونحقن الدماء ، وان كنت تريد قول الله عز وجل : ((انمــا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم)) فنسال الله أن نكون منهم .

٢٢٠ سنــة

قدم احد المعمرين على معاوية ، فقال له : كم أتى عليك ؟ قال : مائتان وعشرون سنة ، قال : ومن اين علمت ؟ قال : من كتاب الله . قال : ومن أى كتاب الله ؟ قال : من قول الله تبارك وتعالى : ((وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب))قال : حدثنى عــن الذهب والفضة قال : حجران ان اخرجتهما نفدا ، وان خزنتهما لــم يزدا ، قال فاخبرنى عن قيامك وقعــودك وأكلك وشربك ونومــك وشهوتك للباءة . قال : اما قيامى فان قمت فالسماء تبعد وان قعدت فالأرض تقرب ، واما اكلى وشربى ، فان جعت كلِبْتُ ، وان شبعت بُهِرْتُ واما نومى فان حضرت مجلسا حالفنى ، وان خلوت فارقنى ، وأما الباءة فان بذلْتُ عجزت ، وان منعتُ غضبتُ .

فتوى اللجام

ابتاع رجل من آخـــر فرسا ، فأراد البائع أخذ لجام الفرس . فأبى المشتـــرى .. فترافعا الى عالم ، فعرضا عليه فقال لهما : اصبرا حتى اطالع .. فأخرج نسخة من البردة ، وتصفح أوراقها والتفـــت الى المشترى وقال له : اثبـــت أن الفرس جموح وخذ اللجـــام ، فلح البائع فى الخصام فانتهره وقال له يقول الامام البصيرى : « كما ترد جماح الخيل باللجم » فبأى شىء يرد هذا المشترى الفرس أن جمح ..

المـــال

قال بعض الفرس : من زعم انه لا يحب المال فهو عنـــدى كاذب حتى يثبت صدقه ، واذا ثبت صدقه فهو عندى أحمق .

وقال يونس : لو ان الدنيا مملوءة دراهم على كل درهـــم مكتوب من أخذه دخل النـــار لامست وما على ظهرها درهـــم يوجد .

وقيـــل لما ضربت الدراهـــم والدنانير صرخ ابليس صرخـــة وجمع أصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت به عنكم فى تضليل الناس ، فالأب يقتل ابنه والابن يقتل اباه بسببه .

الزوج الوفى

روى أن رجلا اراد أن يطلق امرأته ، فقيل له ما الذى يريبك منها ؟

قال : العاقل لا يهتك سرا . فلمـــا طلقهـــا . قيل له : لـــم طلقتها ؟ فقال : مالى ولا مرأة غيرى .

كيف رأيت الـــدهر

سئل احد المعمرين : كيـــف رأيت الدهر ؟ قال :

سنيهات بلاء ، وسنيهـــات رخاء ، ويوم شبيه بيوم ، وليلة شبيهة بليلة .. يهلك والـــد ، ويخلف مولود ، فلولا الهالـــك لامتلأت الدنيا ، ولولا المولود لم يبق أحد .

لا تقـــل ...

مدح أبو مقـــاتل الضرير الحســـن بن زيد بقصيـــدة مطلعها :

لا تقل بشرى ولكن بشريان
غرة الداعى ويوم المهرجان

فكره الحسن ابتداءه بلا تقل بشرى فقال لو قلت :

غرة الداعى ويوم المهرجان
لا تقل بشرى ولكن بشريان

لكن احسن لان الابتداء بـــلا قبيح ، فقال له ابو مقاتـــل : لا كلمة اشرف من التوحيـــد ، وابتداؤه بلا .

ملاحظات في التفسير الاسلامي للتاريخ

للدكتور عماد الدين خليل

(١)

قدم القرآن الكريم ملامح (منهج) أصيل فى التعامل مع التاريخ البشرى ، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب ، الى محـــاولة اســتخلاص القوانين التى تحــكم الظواهر الاجتماعية ــ التاريخية ، كما فعل ابن خلدون .. وهذا يتمثل بالتاكيد المستمر في القرآن على قصص الانبيـــاء والأمم السابقة ، وعلى وجود (سنن) و (نواميس) يخضع لها التاريخ فى ســيره وتطوره وانتقاله .. ولقد وقع كثير من المؤرخين وفلاســـفة التاريخ المعاصرين فى خطا القول بان (ابن خلدون) هو أول من مارس هذا المنهج وأنه لا توجد قبله اية محاولة فى هذا السبيل ، كما وقع ابن خلدون نفسه فى هذا الخطأ عندما أكد فى (مقدمته) أنه لم يعثر على اية محاولة فى هذا المجال ..

ان المنهج الجديد الذى يطرحه القرآن يؤكد ــ أكثر من مرة ــ على أن (التاريخ) لا يكتسب اهميته الايجابية الا بأن يتخذ كوعاء تستخلص منه القيم والقوانين التى لا يستقيم التخطيط للحاضر والمســتقبل الا على هداها ، وهو

(منهج) بأمس الحاجة الى إجراء مقارنة شاملة بينه وبين منهج القرآن (الغنى) وتبيان الأسباب التى صدّت المسلمين فى القرون الاولى عن التأثر بهذين المنهجين والتزام تعاليمهما التى لو أخذوا بها ونفذوها فى حقول الفن والتاريخ لسبقوا سبقا كبيرا ولقدموا معطيات عظيمة فى كلا الحقلين .. !

(٢)

فى القرآن الكريم يغدو (التاريخ) وحدة زمنية .. تتهاوى الجدران التى تفصل بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وتتعانق هذه الآونات الثلاث عناقا مصيريا .. حتى الأرض والسماء .. زمن الأرض وزمن السماء .. قصة الخليقة ويوم الحساب .. تلتقى دائما عند النقطة الحاضرة فى عرض القرآن .. فهذا الانتقال السريع بين الماضى والمستقبل ، بين الحاضر والماضى ، وبين المستقبل والحاضر ، يوضح حرص القرآن على إزالة الحدود التى تفصل بين الزمن ، فتغدو حركة التاريخ التى يتسع لها الكون ، حركة واحدة تبدأ يوم خلق الله السموات والأرض وتتجه نحو يوم الحساب .

ان الحياة الدنيا فصل تاريخى يتشكل من الماضى والحاضر ويرتبط بمستقبل يوم الحساب ولهذا يقدم لنا القرآن الكريم وصفا رائعا لهذا التوافق بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وينقلنا بخفة وابداع بين الآونات الثلاث حيث تذوب الفواصل والحواجز وتسقط الجدران .. !!

(٣)

يبدو أن هنالك (حتمية) لا محيص عنها فى سقوط الدول والحضارات .. وحتى تجربة الاسلام كدولة وحضارة أطاحت بها هذه الحتمية .. والقرآن بواقعيته واحاطته المعجزة يقرر هذه الحقيقة ولا يستثنى منها الاسلام والمسلمين « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وقد قال « بين الناس » بمعنى عموم هذه (السنّة) التى لا محيص عنها والتى تقوم ولا ريب على أسبابها ومقدماتها فى صميم العقل الانسانى نفسه .. وهذا لا يدفع الى اليأس — بل على العكس — انه يدفع المؤمنين الايجابيين الى محاولة تقديم مزيد من التجارب .. !!

ان الحياة الدنيا أشبه بالناعور .. والشجاع الشجاع هو الذى يحصل على (صعدة) أكثر فى تاريخ هذه الحياة الدائرة ، كى يرى البشرية صورا من حقائق التطبيق الصحيح للمبادىء السماوية .. ويمكن تشبيه هذه الوضعية (الداينامية) برجل كتب عليه أن يحيا فى مدينة ما ، واتيح له أن يغادرها الى اى مكان مرتحلا طالما أسعفته إمكاناته وإرادته .. إلا ان مصيره دائما هو أن يعود الى مدينته الاولى .. والانسان ، كلما كان ذا إرادة أقوى ، وعزيمة أمضى ، وجهد وابداع أشد تركيزا ، كلما اتيح له السفر الى منطقة أبعد واكتشاف مزيد من المجاهيل ..

إن كلا منا هو هذا الرجل ، وبمجموعنا كجماعة ننتمى الى هذا المبدأ أو ذاك ، نستطيع أن نرحل ، ونعلّم البشرية أن ترحل معنا الى تلك الآفاق البعيدة الرائعة .. فإذا ما حتم علينا أن نعود ، فلا بدّ أن نبذل محاولات ثانية وثالثة من أجل اعادة الكرّة والاستعداد لرحلة أكثر غنى وسعادة وتجوالا .. وهذا

لا يعنى أن المنجزات الحضارية تصاب دوما بنكسات (دورية) ، على العكس ، إنها تبقى صاعدة على سلّم لا ترجع عنه الى اسفل .. هذا فيما يتعلق بالابداع المادى للحضارة اى ما يصطلح عليه باسم (المدنية) .. أما القيم والمبادىء فهى التى تتعرض للانتكاسات ، وهى لا تستقيم إلا بانتصار المبدأ الأقوى والأكثر انسجاما ، مع بنية الانسان .. ولن يتأتى هذا إلا بأن يتولى زمام القيادة ، ويكون فى القمة رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا !!

(٤)

يعطى القرآن الكريم صورة مليئة بالحيوية والتدفق لمجرى التاريخ البشرى ، ويحاول — بآيات بينات — أن يهدم السدود التى تفصل زمنا عن زمن أو مكانا عن مكان .. فتاريخ البشرية وحدة متصلة بزمانها ومكانها .. تحكمها قوانين عليّة (غيبيّة) يعبر عنها القرآن بكلمة (سنن) وهى قوانين لا يفلت من حكمها أحد ، ولكنها لا تفعل فعلها فى كثير من الأحيان مباشرة ، وانما بوسائط تعطيها الحرية فى الاختيار ، إلا أنها فى مداها البعيد تعمل ضمن القانون الغيبى الالهى الدقيق .. فالقرية الظالمة التى عتت عن أمر ربها وانحرفت عن الطريق ، يسخر المترفون لعقابها ، فيفسقون فيها ، فيحق عليها القول دمارا يمحوها من صفحة الوجود .. واحيانا أخرى تسهم القوى العليا فى صنع التاريخ مباشرة ، ودونما سبب أو واسطة .. وليست حشود الملائكة الكرام الذين قاتلوا الى جانب المسلمين فى معركة (بدر) الفاصلة ، سوى مثل من الأمثال ..

(٥)

يضع القرآن الكريم اسسا مرنة لحركة التاريخ البشرى وتشكيل المصير .. فهو يرسم الخطوط الأساسية للنظام الذى يلزم به أفراد المجتمع الاسلامى كى يغدو كل واحد منهم قادرا بشكل أو آخر ، على الاسهام فى حركة التاريخ .. ولكنه — من جهة أخرى — يفتح الطريق أمام المتفوقين ، للوصول بجهدهم الدائب وعطائهم المبدع ، الى القمم التى لا يستطيع بلوغها إلا القلة الفذة .. هؤلاء هم الذين تقع على عاتقهم مسؤولية توجيه التاريخ وتشكيل حركته .. فالمجتمع المسلم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، كان يمثل (تشكيلة) من الأفراد الذين التزموا بالنظام واحسنوا الالتزام ، فصنعوا تاريخا مشهورا فى عقدين من السنين .. ومن بين هؤلاء كان يبرز أمثال أبى بكر وعمر وعلى وابن الوليد ليوجهوا التاريخ وفقا لمبادىء الاسلام ..

(٦)

الرؤية القرآنية تدعو الى أن تنبثق (حركة التاريخ البشرى) عن الحق ، تربط الأرض بالسماء ، تحتم نشوء حضارة مبدعة متطورة .. تربط الأجيال بالأجيال ، والماضى بالحاضر والمستقبل ، والانسان الفرد بالبشرية .. تنفخ روح العمل والتنافس فى شرايين الانسان ، تدفعه الى استغلال الزمن والتراب ليصنع منهما تاريخه ، تشحذ إرادة الابداع والعطاء ..

الحساب والميزان والجنة والنار هى المقاييس النهائية لفاعلية الانسان التاريخية ، والفاعلية التى تصنع التاريخ لا تعدو أن تكون احدى اثنتين : بنَّاءة وهدَّامة .. التاريخ عمليتا هدم وبناء .. هدم للانسان وبناء له .. هدم للحضارة وبناء لها .. ومن ثم فإن التقييم النهائى لدور الانسان فى التاريخ يأتى هناك .. وهو ليس تقييما أخلاقيا فحسب ، ولا ذاتيا فحسب ، بل هو تقييم موضوعى يحاسب الانسان على ما قدمت يداه ، وما تقدم يدا الانسان حصيلته التاريخ ، فهما اللتان تعجنان التراب بالزمن ، بالفكر ، بالروح ، بالارادة فيتشكل التاريخ ،

والحساب والميزان ، بما أنهما جزء أساسى من الحق الذى يقوم عليه بناء الكون ، يحتمان على الانسان ابتداء أن يكون إيجابيا ، أن تكون حياته معطاءة دوما .. أن يملأ دوره المتاح له فى التاريخ ، لأنه سيحاسب على ذلك كله ، وفق أدق الموازين حكمة وعدلا ..

(٧)

ينبثق التفسير (المسيحى) للتاريخ عن فكرة (الخطيئة والخلاص) وتحويلها من نطاقها الفردى الى النطاق الجماعى . وإذن فإن التاريخ — فى هذا التفسير — تحكمه جبرية تجعل الأمم المسيحية تتجه جميعا ، فى حركة صاعدة ، الى مثلها الأعلى ، مهما اقترفت من ذنوب وارتكبت من معاصى وآثام ، فما دام المسيح عليه السلام قد (خلَّصها) بصلبه فقد رفعت عنها المسؤولية وسبقت الى مصيرها دون مقاومة أو عناء ..

فى التفسير الاسلامى تمتد نظريته الاخلاقية فى المسؤولية الفردية فتشمل النطاق الجماعى ، ولا يتحدد مصير اية جماعة الا نتيجة لما تقدمه من أعمال ، وهذا يعنى أن التاريخ لا تحكمه جبرية تجعل من فعاليات الأمم حركة صاعدة ومصيرا مكتوبا بأحرف من نور .. وانما تتعرض هذه الأمم فى سيرها للصعود والهبوط ، للنجاح والفشل ، للارتفاع والانهيار ، اعتمادا على ممارساتها ومعطياتها .. ومن ثم تبرز المسؤولية كعامل أساسى فى توجيه التاريخ .

ان النذر التى يقدمها الله سبحانه تبدو فى التفسير المسيحى مسلطة على أولئك الذين لا يؤمنون بفكرة الخطيئة والخلاص ، أما فى التفسير الاسلامى فتنصب على كل انسان وكل جماعة تتنكب عن المعنى على الصراط المستقيم ، ومن ثم فإن النقمة قد تكتسح المسلمين انفسهم بمجرد خروجهم عن هذا الصراط !

(٨)

شن فلاسفة التاريخ الغربيين حملة قاسية على (ارنولد توينبى) فى كتابه الشهير (دراسة للتاريخ) ووصفوه بأنه مفكر لاهوتى مزج استنتاجاته الفكرية بكثير من القيم والرؤى الروحية . والحقيقة أن خطوة (توينبى) تعتبر فتحا جديدا فى مجال التفسير التاريخى ، كما كان كتاب إشبنغلر (سقوط الحضارة الغربية) قد شكل جزءا كبيرا من هذا الفتح . ولكن خطوة توينبى هذه ، ومن قبله اشبنغلر ، فيها نوع من التأرجح وعدم الاتزان ، أو بالأحرى نوع من الانفصالية (العلمانية) بين القيم العقلية والروحية . ومن هنا استطاع الماديون والطبيعيون والعقليون أن يجدوا ثغرات واسعة للطعن ضد توينبى .

ان تفسير التاريخ البشرى يجب أن ينبثق عن موقف موضوعى شامل يربط ويوازن بين سائر القيم التى تصنع التاريخ مادية وروحية ، طبيعية وغيبية ،

ولن يتحقق هذا ــ بطبيعة الحال ــ الا فى نطاق (الموقف الاسلامى) حيث لا يستطيع مفكر أو ناقد أن يجد أى مجال للطعن ضد القيم الروحية ، إذ هى ــ هنا ــ ليست منفصلة عن (المادية) و (العقلية) وهى تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى فى تحريك وتوجيه الأحداث التاريخية .. ذلك أن القيم الروحية ــ فى الاسلام ــ ليست مجرد ممارسات فردية شعائرية بالمعنى اللاهوتى بل هى قيم ذات جذور عميقة وارتباط عميق بواقع الحياة البشرية والوجود الجماعى على السواء ..

(٩)

يتصف الخالق سبحانه بالرؤية المثلثة لأبعاد الزمن الثلاث : الماضى والحاضر والمستقبل ، بما أنه سبحانه « وسع كل شىء علما » . ولذا فالتفسير الذى يقدمه القرآن الكريم للتاريخ ، بما أنه شامل محيط ، يعطى أصدق صورة للسنن التى تسيرّ هذا التاريخ . وبما أن هذه السنن ذاتها من صنعه سبحانه ، إرادة وعلما ومصيرا ، فإن هذا التفسير يأخذ صفة الكمال .. ويزيده موضوعية وكمالا رؤية الله سبحانه البعد الثالث الذى يصنع التاريخ : فطرة الانسان ، تركيبه الذاتى .. الحركة الدائمة فى كيانه الباطنى ، اهتزازاته العقلية والعاطفية والوجدانية .. وإرادته المسبقة ، وما تؤول اليه هذه جميعا من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية ..

(١٠)

ترتبط الرؤية التاريخية بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا .. اى سورة قرأت .. اى صفحة شاهدت .. طالعتك هذه الاشارات الى (مواقف) تاريخية لا ريب أنها تشكل بمجموعها نسقا رائعا ومتكاملا للتفسير الاسلامى للتاريخ .. فمساحة واسعة من القرآن إذن يشغلها الاهتمام بهذا الجانب الحيوى من أجل هذا كان التفسير الاسلامى أمرا محتما ما دام القرآن الكريم يضرب دوما على هذا الوتر الحساس ويدعو المتأملين الى الخروج بنتيجة نهائية عن مصير الحركة التاريخية ودور الانسان فى مداها القريب والبعيد .

ان جانبا كبيرا من سور القرآن وآياته البينات تنصب على إخطار البشرية بالنذير الإلهى وتنبثق عن رؤية وتفحص التاريخ .. وان أشد صيحات المفكرين المعاصرين حدّة ومرارة تلك التى ترفع أعلام الخطر الذى يحيط بمسيرة البشرية ، وتنبثق هى الاخرى من رؤية التاريخ ، ان القرآن الكريم لا يقدم (قصصه) و (صوره) و (مشاهداته) لمجرد ترف ذهنى ، أو إشباع حاجة المؤمنين الى القصص والصور والمشاهدات .. انما يجىء بها من أجل أن (يحرّك) الانسان صوب الأهداف التى رسمها الاسلام ، ويبعده فى الوقت ذاته ، فردا وجماعة ، عن المزالق التى أودت بمصائر عشرات ، بل مئات ، من الأمم والجماعات والشعوب .. (فالحركة) لا مجرد السرد القصصى كانت أبدا هدف العروض التاريخية للقرآن .. كما أنها ــ فى الوقت نفسه ــ هدف الصيحات المعاصرة التى سبرت أغوار التاريخ واشارت الى الهاوية التى تنتظر مسيرة

القرن العشرين .. « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » !!

(١١)

إن (الموقف) الاسلامى من التاريخ يتميز بمرونته وبعده عن التوتر او التأزم المذهبى الذى يســـعى الى قولبة الوقائع التاريخية وصبّها فى هيكله المسبق ، واستبعاد أو تزييف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل ، الأمر الذى يوقع التفاسير الوضعية فى كثير من الاخطاء والانحرافات . أما التفسير الاسلامى فإنه ينظر بانفتاح تام الى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعا دون أن يقتصر على الاحمر أو الاخضر لــكى تبدو حمراء أو خضراء .. إن رؤيتـــه للأحداث رؤية واقعية شاملة فى امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة .. فيما كانت عليه ، وما هى كائنة عليه وما سوف تكون عليه .. انه ــ مثلا ــ يعترف (بالتمايز القومى) ويعطى لهذا العامل (الواقعى) حجمه الحقيقى ، رغم نزعة الاسلام العالمية واســـتعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الأرض أو اللون أو الجنس .

وهذا يقودنا الى حقيقة أخرى وهى ان التفسير الاسلامى تفسير (واقعى) لا يتأثر بقيمه ومثالياته فى تفسيره للواقع ــ كما يفعل هيغل وماركس على سبيل المثال ــ انما يتكلم عن الواقع كما هو ، دون تبرير أو تعديل أو تحوير ، ولكنه من خلال حركته على أرض الواقع هذه ينطلق الى مثالياته وآفاقه .. انه يسمى معركة (حنين) هزيمة وغرورا ، ويعلم المسلمين ، من خلال واقعيته هذه ، الا يبرروا أخطاءهم وينحرفوا فى تفسير الأشياء والوقائع .. ولكنه يعلمهم ــ فى الوقت نفسه ــ أن يفيدوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ لصـــياغة العالم المرتجى ..

وهكذا فإن ثمة فرقا حاسما بين المذاهب الوضعية وبين المذهب الاسلامى فى تفسير التاريخ .. فى الاولى تصاغ حقائق التاريخ وفق المذهب المصـــنوع سلفا فتقسر على الانسجام مع وضعية المذهب وتساق للتدليل عليه وتأكيده . وهذا الخطأ يجىء من حقيقة أن وقائع التاريخ سبقت فى الزمن تخطيط المذاهب ، ومن ثم فإن المذاهب جاءت كقضية (بَعدية) تسعى الى أن تجبر (القبْليات) على التشكل بها .

أما فى القرآن فإن التفسير ينبثق عن رؤية الله سبحانه ، وهى رؤية تختلف عن الرؤية الوضعية فى أنها تحيط علما بوقائع التاريخ ، بأبعادها الزمنية الثلاث : الماضى والحاضر والمستقبل ، لأنها رؤية الذات الإلهية التى صنعت الواقعة التاريخية ووضعتها فى مكانها المرسوم من خارطة التـــاريخ البشرى والكونى على السواء .. ومن ثم فإن التفســـير القرآنى ليس أبدا مسلمات بعدية تسعى الى أن تقولب حوادث التاريخ القبلية فى إطارها المعتسف ، إنما هو مذهب ينبثق بأسلوب (موضوعى) (عما حدث فعلا) وعن طبيعة التصميم التاريخى للبشرية ، فهو إذن تبلور للخطوط الاساسية لحركة التاريخ يصيغها القرآن الكريم فى مبادىء عامة يسميها (سننا) ويعتمدها المفسرون الاسلاميون منطلقا لا لتزييف التاريخ وانما لتفسيره وفهمه وادراك عناصر حركته ومصائر وقائعه ومسالكها المعقدة المتشعبة .

الرؤية الوضعية تمتد الى الماضى لتقبس منه و (تختار) ما يعزز وجهات نظرها ، والرؤية القرآنية تحيط بالماضى لكى تكشفه فى قواعد وسنن تطرح أمام كل باحث فى التاريخ يسعى الى فهمه ، والى أن يرسم على ضوء هذا الفهم ، طرائق حياته الحاضرة والمستقبلة ، باعتبار أن الأزمان الثلاث إنما هى وحدة (حيوية) تحكمها قوانين واحدة كتلك التى تحكم الحياة سواء بسواء .

(١٢)

إذا ما نظرنا الى مذاهب التفسير فى موقفها من حتمية سقوط الدول والحضارات نجدها تتفق جميعا ، وبضمنها الاسلام ، فى هذه الحتمية . (فهيغل) فى مثاليته يرى الناس فى ممارساتهم التاريخية كآلات مرحلية يستخدمها العقل الكلى فى فترة محدودة ، ثم ما يلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن لكى يجىء ذلك اليوم الذى يكون التاريخ فيه بمثابة التجلى الكامل لهذا العقل . و (ماركس) يخضع التاريخ ، بدوله وحضاراته وتجاربه ، لحتمية تبدل وسائل الانتاج وانعكاسه على (الظروف) وان كل وضع تاريخى مآله الزوال بمجرد هذا التبدل الديناميكى الدائم .. ثم ما يلبث ماركس أن يقع فى تناقض أساسى مع نظريته عندما يقرر (الدوام) و (الثبات) لمرحلة حكم الطبقة العاملة (البروليتاريا) حيث لا زوال بعدها .

أما (اشبنغلر) و (توينبى) فيعلنان عن حتمية سقوط الحضارات كأمر لا مفر منه .. وبينما يغرق اشبنغلر فى تشاؤميته نجد توينبى يقع فى تناقض صريح — هو الآخر — عندما يؤكد فى الأجزاء الاخيرة من دراسته للتاريخ على أن هنالك أملا فى بقاء الحضارة الغربية المعاصرة بوجه الأعاصير .

هذه المذاهب ، وغيرها ، تقف جميعا موقفا يكاد يكون موحدا إزاء حتمية السقوط .. والذى يفرّق النظرة الاسلامية عنها انه يقول بما يمكن تسميته (الحتمية التفاؤلية) اى انه يقرر حتمية سقوط الدول والحضارات لكنه يقرر فى الوقت نفسه امكانية أية امة أو جماعة أن تعود باستمرار لكى تنشىء دولة أخرى او تقيم حضارة جديدة بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك واولها عملية (التغيير الداخلى) التى اكد عليها القرآن بقوله « إن الله لا يغيرُ ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والتى تشمل كل التغييرات الأخلاقية الأساسية التى تمكن الانسان من مواجهة التاريخ .

• والاسلام يؤكد مرارا على دور الإرادة البشرية فى صياغة المصير ، ومن ثم فإنه ما أن تتهيأ هذه الإرادة للعمل فى ميدان التاريخ عن طريق الشحذ والاستعداد الأخلاقى ، حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات المادية والخارجية من اى نوع كانت ، فتعجنها وتصوغها من جديد لصالح الانسان .. وهكذا يعود الانسان — فى الاسلام — لينتصر على الحتميات وليستعيد قدرته الأبدية على التجدد والتطور والابداع ! بينما تقف فى مواجهته كل المذاهب الوضعية لكى تؤكد أنه اذا ما أطيح بتجربة تاريخية فإنه لا قيام بعدها لأنها محتوم عليها أن تواجه هذا المصير فى عالم لا يعترف بقدرة الانسان على المجابهة والاستعادة والانتصار .. !!

يؤكد القرآن الكريم على أن (العصيان) بشتى أبعاده ، تجنى ثماره المرّة ليس فى الآخرة فحسب ، بل هنا فى الدنيا أولا .. فالعذاب ينتظر العصاة هنا وهناك ، فى الارض والسماء ، ويتنزل قوة وضعفا لكى يكافىء مدى العصيان وحجمه وطبيعته . فالمصير — فى القرآن — واحد لأنه ينبثق من أعماق الانسان ، من مسؤوليته الفردية الحرة ومن اختياره ، هذا الاختيار لأنه (رهين) بما كسبت يداه . المصير واحد ، وتلك هى قمة الانسجام مع طبيعة الوجود الانسانى والبناء الحضارى ، فليس ثمة (تعليق) للجزاء الى يوم البعث ، اذ أن هذا يعنى تناقضا واضحا مع أبسط القوانين التى تسيّر الحياة والأشياء . اذ لا يمكن أن يزرع الانسان حسكا وشوكا ثم يقطف ثمارا حلوة .. ما دام قد زرع العلقم فلا بد أن يقطف العلقم ويزدرد الشوك ويذوق المرارة ، بناء على طبيعة قوانين الحياة ذاتها .. القوانين التى تؤكد على أن (الجزاء) يتشكل من جنس العمل ، هنا فى الأرض وهنالك فى السماء .

بعبارة أخرى ، ان المصير الفردى والجماعى ، الذى ينبثق عن الاختيار ، سرعان ما يتشكل هنا أولا وفى السماء بعد ذلك ، ربما كان الفرق بين المصيرين فى الدرجة والنوع لا فى الكينونة ، فالمصير كائن هنا وهناك ، والخارجون عن طريق التوجيه الإلهى سيجدون العذاب ينتظرهم فى الأرض قبل أن يحاسبوا فى السماء .. عذابا يأتيهم من بين أيديهم وأرجلهم ، ينصب عليهم من فوق ، ويتفجر من أعماقهم ، يزلزل عليهم وجودهم ، ويسقط مؤسساتهم الجماعية ، ويمرغ حضاراتهم بالتراب .. عذابا يوجّه سياطه تارة الى النفس وأخرى الى الجسد ، ويعمل معاوله حينا بعد حين فى كل (المعطيات) التى قدمها مجموع الأفراد على السواء ، وربما كان من بين هؤلاء بعض الصالحين ، إلا أن العذاب الذى يجىء وفق هذه الصيغة الجماعية لا يعرف أحدا دون أحد ، ولكنه يستهدف هذا التشكيل الذى أقامته الأيدى المعوجّة والنيات السيئة والقيادات الجاهلية . ومن هنا يأتى التحذير الخطير : « واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة » !!

وهكذا نجد أعمال الانسان العاصى تسعى الى مصيرها الفاشل ، هنا أولا ، فتحبط ، ثم تعود لتمتحن مرة أخرى هناك — فيما بعد — فتحبط مرة أخرى « أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » « فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » .. الاحباط والعذاب ، دونما نصير .. ومن ينصر الخاطئين الذين اختاروا الطرق المعوجة ، وصدروا عن نيّات سوداء إزاء خالقهم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؟!

فالمصير واحد إذن — وفق تعليمات القرآن وتحذيراته — ليس ثمة تجزئة ولا ازدواج وليس ثمة فاصل أو جدار بين الارض والسماء ، ولا بين جزاء الانسان هنا وجزائه هناك ، إن المؤمنين يجدون مصيرهم السعيد هنا أولا ، بركات تتنزل عليهم من السماء ، وأمنا ويقينا يتفجر فى أعماق أعماقهم كينابيع ثرّة دفّاقة ما لها من قرار « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء » .. « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .. وأية سعادة تعدل

سعادة الانسان الذى تحرر من الخوف والحزن ؟ .. ان كل عذاب يهون إزاء الخوف والحزن ، وكل مصـــــير يحتمل إزاء فتك الحزن ونذير الخوف .. إن الخائفين والمحزونين لا يقر لهم قرار ولا يتذوقون ســـــعادة ولا يحسُّون طعم الحيـــاة ، إنهم ليســـوا احياء ولكنهم ميتون ، قتلهم الخوف والحزن .. إن هذا الخوف وهذا الحزن يبدآن بالأفراد ، ولكنهما سرعان ما ينعكسان على الواقع الجماعى ويعطيان للتاريخ لونه القاتم وللحضارة وجودها القلق المهزوز .. اننا نلحظ اليوم هذا الحزن وهذا الخوف على مساحات واســـــعة من خارطة العالم ، وهو مصير كان لا بد من تحققه إزاء العصيان الذى غطى معظم مساحات الأرض .

ان المؤمنين افرادا وجماعات ، كانوا دائما سعداء قبل ان ينتقلوا الى السماء ليضاعف لهم الجزاء . وقد اتاحت لهم هذه الســـــعادة العميقة فرصة حقيقية لتجميع طاقاتهم كلها وتوجيهها وجهة بناءة لتصب فى مجرى الحضـــــارة الواسع اللانهائى . وهكذا انعكس اختيار الأفراد ومصيرهم على طريق الأمة والجماعة ومصيرهما ، فكانت الأمم المؤمنة اكثر الأمم فاعلية وايجابية وإسهاما فى إغناء حركة التاريخ .

يبقى بعد هذا شىء يجب ان يقال : ان المصير هنا فى الارض ينبثق قبل كل شىء من ارادة الأفراد واختيارهم ، ولكنه سرعان ما ينساح على الجماعة كلها ليعطيها صفاتها وملامحها بما إنهـــــا البحر الذى تصب فيه كل الإردات والاختيارات الفردية ، ومن ثم فإن الجزاء سينصب على الأفراد والجماعات على حد سواء ، وهكذا فان العذاب ــ فى الأرض ــ قد يصيب عصاة بالذات ــ كأفراد ــ وقد يدمدم على الجماعة كلها فيمزقها شر ممزق .. كما ان السعادة ــ فى الأرض ــ قد تمنح المؤمنين بالذات ــ كأفراد ــ وقد تتنزل على الجماعة المؤمنة كلها فتوحدها وتجعلها جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

أما فى السماء فيتقدم الانسان وحيدا ليحاسب امام الله سبحانه ، يحمل معه كتابه الذى خط فيه اختياره وسطّر على صفحاته أعماله ، فينال ــ بعد حسابه ــ مصيرا مكافئا لهذا الاختيار وذلك العمل .. فى اليوم الآخر تتفكك الجماعات وينصب الحساب على المنطلق الأول للعمل الانسانى ، وهو الفرد الذى لا مفرّ له من ان يجابه مصيره هناك « لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » .. !!

ولكن ــ وبين الحين والآخر ــ ستشهد المحاكمة الكبرى يوم القيامة ، امما شتى اسهم كل افرادها أو جلهم فى العصيان ، صدروا عن نيات سوداء ، وقدموا أعمالا لا وزن لها عند الله .. أو ان بعضهم ــ على الأقل ــ سكت ولم يحرك يدا ولا لسانا ولا قلبا ، إزاء (العصـــــيان) الذى يمارس أمام عينيه ، والفجور الذى يتمخض عن سكوته ، والظلم الذى يطيح برقاب الصالحين ، وهو واقف ينظر دونما حراك .. ستدخل هذه الأمـــــة النـــــار « كلما دخلت أمة لعنت أختها » .. وصدق الله العظيم « قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .



الحضارة وأركانها في الإسلام

للدكتــور : احمد شوكت الشطى

عرّفت الحضارة بأنها مجموعة مظاهر الرقى فى قارة أو فى قسم منها أو عند قوم من أقوامها وتطور افراده وجماعاته نفسيا واجتمــاعيا وعلميا وتمتعه بالازدهار فى ميادين التجارة والصناعة وآفاق العلم وحقول الزراعة واتســاع العمران وتوسع البنيان وشمول الرخاء بين افراد الشعب وجماعاته وما الى ذلك مما يوفر للناس حياة فاضلة وعيشة مطمئنة هنية .

هذا وإذا كان التعريف بالحضارة صعبا كما بيّنا فكم بالحــرى ان يكتنف التعريف بالحضارة العربية التى فجرت ينابيعها عند العرب ، رسالة الإسلام القرآن الكريم العربى اللسان وأسهم بها أمم وأقوام عربية وغير عربية ، مسلمة وغير مسلمة ، عثرات وصعوبات تدفعنا الى التساؤل عما اذا كانت حضــارة العرب بعد الاسلام هى حضارة إسلامية ، أم هى حضارة عربية ، أم هى حضارة عربية إسلامية ؟.

ا ـــ هل الحضارة العربية التى أعقبت ظهور الإسلام عند العرب حضارة إسلامية ؟ انها فى الواقع حضارة بدات إسلامية اذ شع نورها من تعاليم الاسلام ونمت فى ظله وتحت رعــاية خلفائه الأولين ، فهى من حيث انطلاقها حضــارة إسلامية بحتة .

---

* الحضارة تعنى الاقامة فى الحضر .

٢ ــ هل الحضارة التى برزت عند العرب بعد الاسلام عربية بحتة ؟ الواقع انها حضارة عربية لأن القرآن العربى كان سبب انطلاقها ولأن الذين أسهموا بها من غير العرب كانوا ممن تثقفوا بثقافة إسلامية قوامها اللغة العربية التى عزت عليهم اكثر من لغة آبائهم وأجدادهم فانصرفوا عنها حتى انه ليس من المبالغ فيه القول بأنه لم يؤلف منهم بغير العربية خلال العصر الذهبى للحضارة العربية الاسلامية إلا النزر اليسير (١) ، ان فى ذلك كله ما يبرر نعت تلك الحضارة بالحضارة العربية .

٣ ــ هل الحضارة التى أعقبت ظهور الاسلام عند العرب حضارة عربية إسلامية ؟. الحقيقة ان تلك الحضارة انطلقت من مسلمى بلاد العرب ثم انتشرت فى بيئات وأقاليم مختلفة العقائد وبين أمم وأقوام عديدة عربية ومستعربة لا يدين بعضها بالاسلام ولكن مبادءه أعجبتها وعدل حكامه راعها وحرية الأديان فى ظله أبهرها وأمره بالتحلى بمكارم الأخلاق كان موضع تقديرها فاندفعت الى الاسهام بتلك الحضارة وكان بعض هؤلاء عيسوى النحلة فأمدوا تلك الحضارة بما لديهم من علم ومعرفة ونقلوا اليها ما عرفوه من حضارات الأولين خاصة حضارة اليونان فأصبحوا مساهمين بتلك الحضارة مشاركين فيها ، لذلك رأينا أن تعريف تلك الحضارة بالحضارة العربية الاسلامية أقرب الى واقعها فى جميع مراحلها فجرينا على ذلك فى جميع مؤلفاتنا .

ومما لا شك فيه أن المستشرقين الذين تعمقوا بدراسة الحضارة العربية الاسلامية لحقهم من الحيرة ما لحق بنا فسماها بعضهم بالحضارة الاسلامية وفى مقدمتهم آدامز (٢) وسماها الآخرون بالحضارة العربية وفى مقدمتهم غوستاف لوبون (٣) .

اركان الحضارة العربية الاسلامية

تقوم الحضارة العربية الاسلامية على دعائم ومقومات عديدة :

أولها ــ دعامة الإيمان : ونقصد به تلك الدعامة التى تولد فى الانسان الطمأنينة النفسية فتزوده بسلاح يخفف عنه آثار الخوف والقلق والمصائب والأحزان والأثرة والظلم والعدوان (٤) .

ثانيها ــ الدعامة العقائدية : لقد تميزت الحضارة العربية الاسلامية باحترام العقائد السماوية جميعها كما تميزت بتسامح دينى عجيب لم تعرفه

---

(١) يعزى للبيرونى قوله : انه أحب إلىّ أن أهجى باللغة العربية من أن أمدح بلغة قومى .

(٢) A dams مؤلف كتاب الحضارة الاسلامية .

(٣) G. be hon مؤلف كتاب الحضارة العربية .

(٤) لقد احسن الكاتب الانكليزى كوليم التعبير عن اعتزاز العرب بالإيمان وأثره المطمئن فيهم بقوله : كنت مسافرا على باخرة الى طنجة فى بلاد المغرب ، إذ بعاصفة هوجاء تهب فتشرف السفينة على الغرق فينزل الهول بالركاب فلا يدرون ما يصنعون ويشتد الهرج والمرج بينهم فيزيد من قلقهم ومن الفوضى فى أعمالهم ، وبينما الناس كذلك إذ بى أرى جماعة من العرب استووا فى صف واحد يصلون مكبرين مهللين مسبحين . فسألت أحدهم ماذا تفعلون ونحن على أبواب الغرق ؟.. فأجاب : سعينا للخلاص كغيرنا ولما لم نوفق جميعا انقطع عند غيرنا حبل الرجاء فأصبحوا فى حالة من الشقاء ما بعده شقاء ، بينما كنا مؤمنين برحمة من الله لتنجينا مما نحن فيه من بلاء .

حضارة أخرى . لقــد بعث الحضارة العربية الاســلامية دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعها لذلك استهوت أفئدة العالم بضعة قرون (٥) .

الدعــامة الإنسانية : تميزت الحضارة العربية الاسلامية باقرار وحــدة النوع الانسانى رغم تنوع أعرافه ومنابته وأوطانـــه واجتذت التمييز العنصرى من أصوله فالناس سواسية لا فضل لأحد على غيره إلا بالعمل الصالح الذى يقدمه للمجتمع . ولا يخفى أن الحضارة الحالية مع تقدمها لم تستطع حتى يومنا هــذا أن تضع حدا للطغيان العنصرى فى كثير من مناطق العالم .

ولك أن تتساءل أيها القارىء عن قصة التمييز العنصرى وعن رأى الحضارة العربية الاسلامية فيها . لقد كان الإيمان بالتمييز العنصرى حليف قــوم تبنـــوه منذ قديم الأزمان فلم يتراجعوا عنه مع ما جلب لهم من محن وشقاء ، ولقد وسع الفكرة فى أواخر القرن الثامن عشر عالم انجليزى هو السير وليم جونز اذ اكتشف بعض الصلات بين اللغات اللاتينية والاغريقية والالمانية والسنسكرتيية فادعى بوجود قرابة وشيجة بين شعوبها ثم أيده فى ذلك عالم آخر هو السير ماكس ميللر فزعم أن آباء الهنود والأوروبيين الأولين كانوا يقطنون أراضى آريان فى أواسط آسيا ثم هاجروا منها متجهين الى الجنوب أو الى الغــرب حاملين معهم آثار حضارة ميكانيكية . قسم بعد ذلك ميللر الشعوب الى آرية وغير آرية وزعم بأن الشعوب الآرية متفوقة على غيرها . ولقد أخذت الفكرة الآرية والتفوق العنصرى المستند اليها فى المانيا النازية طابعا سياسيا وقوميا فقسَّم علماؤها الشعوب الى درجات متفاوتة الاستعداد والكفاءات تأتى بموجبها المانيا النازية فى طليعة المتفوقين .

والحقيقة أن الشعوب والأعراق وان كانت متفاوتة فى بعض الصفات إذ بينها الأبيض والأسود والأصــفر والأحمر ، فانها من حيث الاســتعداد للرقى والحضارة سواء فلم تكن الحضارة وقفا على شعب واحد فى زمن من الأزمان بل تناقلتها أمم مختلفة فكانت الصين مقرا لها كما كانت بلاد وادى النيل ووادى الفرات من مراكز انبعاثها ثم انتقلت الى اليونان فالى العرب الذين احتضنوهــا وزادوا عليها ثم انتقلت الى الغرب ومنه الى العالم كله .

ولو أردنا تصنيف الأمم استنادا الى عصورها الذهبية فى ماضيها لاعتبر الأوروبيون فى أحط الدرجات . هذا وان العلم لا يقر أيضا التفوق العنصرى ولا نقاوة الأعراق ، ولقد اثبت البحث فى زمر دماء البشر أنه ليس فى العالم شــعب خالص النقاء الا فى فئات معزولة وفيما عداها فان الدماء اختلطت بتأثير الهجرات الجماعية التى تمت عبر التاريخ .

والواقع أن اقحام المواهب العقلية والاستناد الى تفوقها الموقوت فى تقسيم الشعوب وتمييز الناس بعضها من بعض على هذا الأساس أمر شجبه العلم وأبطله التاريخ وكذبته المعرفة بشتى نواحيها .

المقومات العلميــة : لقد اعتمدت الحضارة العربية الاسلامية على العلم كما اعتمدت على الايمان فخاطبت العقل والقلب معا وأثارت العاطفة والفكر فى آن واحد .

لقد حبب القرآن الكريم بالعلم فقدس القلم ، حتى أقسم به فى قوله تعالى :

---

(٥) إنه لمن المؤسف أن يكون فى العرب فئات تستخف من قومنا وحضارتهم باعتبــار أنها ليســت شيئا اذا قيست بروائع الحضارة الحديثة واختراعاتها وفتوحاتها فى آفاق العلم الحديث ، وفى رأيى أن ذلك لا يبرر الاستخفاف بحضارتنا بل يدعو الى بحثها من جديد .

« **ن والقلم وما يسطرون** » (٦) واشار الى انه وسيلة العلم والتعلم بقوله تعالى : « **اقرأ وربك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم** » (٧) وساعد على مطاردة جيوش الأوهام والأساطير فى العالم قديمه وحديثه فنهى الكتاب الكريم عن أن يتبع أحد احدا عن غير علم فى قوله : « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** » (٨) . كما شجعت الأحاديث الشريفة على طلب العلم وتخليده والعمل به بأقوال بلغت فى البلاغة قمتها ، وفى الحكمة ذروتها . من ذلك :

أطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فضل العلم خير من فضل العبادة ، قليل من العلم خير من كثير من العبادة ، ومنها : أكرموا العلماء ، تعلموا وعلموا فان أجر المعلم والمتعلم سواء ، ومنها : كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة (اى جاهلا) ، ومنها أيضا : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم،فاذاظن انه علم فقد جهل ، ومنها : باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها .

ان تاريخ الحضارات لا يعرف حركة ثقافية أعظم من تلك التى نشأت فى البلاد العربية والاسلامية ولا يعرف حركة فى العالم تحاكى اقبال العرب والمسلمين عليه ، فقد كان تهافت طلاب العلم فى جميع انحاء البلاد العربية والاسلامية على بغداد ودمشق وقرطبة وغيرها من مراكز التعليم اشد وأكثر من تهافت طلاب العلم على جامعات أوروبا وأمريكا فى هذه الأيام وكان الأساتذة يتوافدون الى مراكز التعليم من مختلف الأقطار التى تتكلم العربية لا طمعا فى مغنم وانما حبا فى نشر أفكارهم وتلقين معارفهم ، وكان التزاحم بين الأساتذة على أشده فأقدرهم وأفهمهم من جمع حوله اكبر عدد ممكن من المستمعين . وكان القرآن الكريم أساسا فى حلقات التعليم (٩) . ولا ريب أن اختلاف الأساتذة وتباين طرق تدريسهم وتشعب مادة الدراسة وعدم التفريق بين أستاذ وآخر من حيث الجنسية أدى الى إلهاب شعلة الفكر فى أدمغة كثيرين ممن كانوا يرتادون تلك المساجد ، فقد كان الطلاب لا يترددون فى الاستماع الى أستاذ من نيسابور

---

(٦) سورة ٦٨ : آية ١

(٧) سورة ٩٦ : آية ٤ و ٥

(٨) سورة الاسراء ١٧ : آية ٣٧

(٩) ولقد أقترح أن تسمى الحضارة العربية أو الحضارة الاسلامية بحضارة القرآن للأسباب الآتية :

١ ـ لأن الحضارة ، موضوع بحثنا وليدة ثورة إنسانية شملت جميع مرافق الحياة دعا اليها القرآن ، فبدل حال العرب وغيرهم باحسن مما كان .

٢ ـ لأن القرآن خلد العرب وحال دون أن يطويهم الزمان ولولاه لأصبح العرب وما يقال عن حضارتهم فى خبر كان .

٣ ـ لأن توجيه القرآن الحضارى معجز نكتفى بالتدليل على ذلك شجبه العنصرية منذ قديم الزمان ، شاغلة الدنيا والناس الآن .

٤ ـ لأن أسسه فى لم الشمل مدعاة الى التبصر بها والعمل بهديها وسبيل الى بعث الحضارة العربية وتخليدها ، فقد بينت آياته المعجزات أسباب هلاك الامم وأسباب خلودها وأعظمها شأنا اتفاق كلمتها .

وأخيرا : لأن القرآن وسيلة جمع الشمل بين العرب ، مسلمهم ومسيحييهم ، وبين جميع المسلمين ، فمن لم تأخذه آياته بالدين ، أخذته بالبلاغة والتعبير الرصين أو بالمثل العليا والأخوة الإنسانية التى هى هدف جميع المصلحين فى كل آن وحين .

ثم ينتقلون الى أستاذ من سمرقند بعد أن يأخذوا من الأول ما يريدون أخذه دون أن يجد الطلاب والأساتذة غضاضة فى عملهم هذا ما دام جميعهم يتكلمون لغة واحدة هى لغة القرآن العربية .

لقد كان تأجج الفكر العربى فى السنوات التى أعقبت انتشار الاسلام شبيها بتوهج النور من نار كامنة تحت الرماد أيقظها الظفر والسمعة العالية الممتازة . لقد أضاء العلم العربى بأشعته العلمية العالم المعروف آنذاك ، وليس فى الدنيا ما يحاكى توقد شعلة العلم العربى وانتشاره . ولم يكتف العرب بنقل العلوم بل بسطوها تارة ووسعوها طورا وشرحوها أحيانا وأضافوا اليها الكثير من المعرفة.

الركن الصحى : اعتبرت الحضارة العربية الاسلامية التمتع بالصحة التامة نوعا من أنواع النعيم فحرصت على توفيرها للانسان فى مراحل عمره مذ يكون جنينا الى أن يصبح شيخا . لذلك لم ينظر الاسلام الى الزواج كأمر دبرته الغريزة بل حثّ على البحث فى صحة عرسيه (الزوج والزوجة) جسما ونفسا ضمانا لحسن ثمره ، الأولاد ، لأن صفات السلف وقسما من أمراضه تنتقل الى الخلف بالوراثة .

جاء فى القرآن الكريم : **« وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم »** (١٠) ، وفسر حديث ابن عباس القائل : **(أربع لا يجزن فى البيع والنكاح : المجنونة والمجذومة والبرصاء والعفلاء)** (١١) بعض نواحى الصلاح الذى أشارت اليه الآية الكريمة ، ووضع عمر بن الخطاب استنادا الى تلك الآية وذلك الحديث الشريف تشريعا جاء فيه **(أيما رجل تزوج امرأة فدخل بها فوجدها مجنونة أو برصاء أو مجذومة أو عفلاء أو بها قرن فلها الصداق بمسيسه اياها وهوله على من غره منها) .**

فاذا أردنا صياغة هذا التشريع صياغة تتناسب مع تقدم العلم جاز لنا القول بأن الاسلام ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض النفسية الخطرة ، وما الجنون إلا نوع منها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض المعدية ذاكرا الجذام نموذجا لها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض الوراثية بذكره البرص نموذجا لها ويبطل أخيرا زواج المصابين والمصابات بالتشوهات العائقة للزواج والأنسال .

ولقد حذّر الاسلام من كل زواج غير مرضى الثمرة بالأحاديث الشريفة الآتية: **(اغتربوا لا تضووا ، تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، إياكم وخضراء الدمن) .** يتبين من ذلك حرص الحضارة الاسلامية على صحة النسل بسلامة أصليه وارشادها الى ما يضمن حفظ صحة الإنسان فى سنى حياته بحسن تغذيته من غير افراط أو تفريط والعناية بنظافته رمز الذوق والجمال ودليل الأدب وحسن الحال (١٢) وبدعوته (الانسان) الى الحركة لأنها حسنة وبركة فرضها الاسلام بالصلاة وشجّع عليها بالأحاديث الشريفة التى سنت الرماية والسباحة والمسايفة والمبادحة استعدادا لمجابهة الأمور بقوة دليل القول المأثور (كان أصحاب الرسول يلعبون ويتبادحون فاذا حزمهم الأمر كانوا هم الرجال) .

لقد حرم الاسلام ضمانا لصحة الجسم والعقل والنفس ، المسكرات والمخدرات وحتى الدخان . فقدر بحاثو الغرب الاختصاصيون مقام الصحة فى

---

(١٠) سورة النور (٢٤) الآية ٣٢ .

(١١) العفلاء : من العفل وهو تشوه فى المراة يمنع من التناسل .

(١٢) وقد روى فى الأثر : بنى الدين على النظافة . وجاء فى الآية الكريمة (والله يحب المتطهرين) .

مقومات الحضارة الاسلامية فأعجبوا بها أى اعجاب فأكبروا شخصية الرسول الكريم واعتبروه أعظم مشروع صحى أنجبه العالم .

ركن التكافل الاجتماعى : لقد دعت الحضارة العربية الاسلامية الى الاسهام بالتكافل الاجتماعى ففرضته على الموسر ومتوسط الحال بالزكاة ورغبت فيه جميع الناس على اختلاف ثرواتهم بالصدقات ووضعت قواعد للتضامن بين أفراد الأسرة الواحدة فأوجبت لأرباب الحاجات منهم حقا مفروضا يؤديه لهم ذوو اليسار منهم بما يقوم بكفايتهم من مؤونة وكسوة وسكنى وغير ذلك من شؤون الحياة الضرورية وجعل على الزوج نفقة زوجته من كل لوازم الحيـــاة ، بل ونفقة زوجة قريبـــه الذى تجب نفقته عليه ، ولقد دعا الاسلام الى محاربة المتنعين عن أداء المفروض عليهم من الزكاة ، فحارب أبو بكر المتنعين وقال جملته الشهيرة :« **والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه** » وقد نظمت فريضة الزكاة وبينت مقاديرها وأوقات ادائها بحيث يشعر الأغنياء بأنهم حراس على المال حتى يؤدوا منه حقوق الفقراء فصار المال بذلك بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير .

ويرى ابن حزم أن للفقراء والمحتاجين حقوقا فى أموال الأغنياء خلاف الزكاة حتى اذا لم تكفهم وجب على الأغنياء ان يقوموا بكفايتهم وان يجبرهم ولى الأمر على ذلك اذا لم يقوموا به من انفسهم ، وأجاز الاسلام صدقة الوقف وهو حبس رأس المال أبدا والتصدق بثمرته على جهات البر والإحسان . وكان ينفق عمر بن الخطاب على المحتاجين فكان يعطى الأموال على كفاية الرجل وعلى ماضيه ومقدار حاجته وكان يزيد العطاء لمن يولد له ولد ، وهذا ما كفلته اليوم أرقى دول العالم فاذا ترعرع الولد زاد العطاء واذا بلغ زاده أيضا ولم يكن يفرق فى اعطائه للفقراء والمساكين بين مسلم وغير مسلم . ولما كثرت الأموال فى بيت المال فى عهـد الفاروق انشأ له ديوانا نظمت أعماله تنظيما محكما ودونت فيه ميزانية الدولة وخصص للفقراء منه نصيب وافر يداوى منــه مرضـــاهم ويكفن موتاهم وينفـــق عليهم منه .

لقد فرض الاسلام الزكاة كأحد أركانه وجعلها حقا للفقراء بالآية الكريمـــة : « **وفى أموالهـــم حـــق معلوم للســائل والمحـــروم** » كمـــا جعـــل الزكـــاة منّة يمتن بها على الأغنياء فلا يمتنون بها على الفقراء وذلك بالقول الكريم : « **خـذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » .

وتمشيا مع روح السماحة التى اتسمت بها الحضارة العربية الاسلامية لم يجعل الاسلام الانتفاع بأموال الزكاة قاصرا على المسلمين بل جعله شاملا كل محتاج ، قال تعالى : « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقســطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** » . وعلى هــذا الأساس وجد عمر بن الخطاب مرة على باب المسجد رجلا أعمى يتكفف الناس فسأله عن حاله فعلم أنه يهودى فأجرى له رزقا يكفيه . وفى اعطاء غير المسلمين الحق فى الافادة من أموال الزكاة يضرب الاســلام المثــل الأعلى فى الســمو الانسانى .

يتوقف تقدم المجتمع على شعور افراده بواجبهم نحوه وقيامهم بهذا الواجب كما يتوقف هذا التقــدم على شعور المجتمع بمسؤوليته نحو كل فرد من افراده وسعيه لتحقيق الرفاهية والطمأنينة له .

والمثل الأعلى للمجتمع هو ذلك المجتمع الذى تسوده روح التراحم والترابط التى تسود العائلة فيشعر كل فرد بأنه عضو فى هذه الأسرة الكبرى التى تقدم

له الرعاية والأمن والمساعدة فيما اذا احتاج اليها .

دعامة الاشتراك بمؤتمر الحج السنوى : الحج معروف ينتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله . وليس من المعقول أن يكون القصد من هذا الاجتماع مجـــرد الطواف والوقوف في عرفات فان الله يعبد فى كل مكان ويجيب الداعى فى كل مكان ، وإنما الغاية السامية المقصودة من الحج مسارعة القادرين من أرباب الرأى والحزم الى البحث فى أمور المؤمنين ليشهدوا منافعهم وليزيلوا تفثهم . أما المنافع فمعروفة وهى ما تعود بالخير على المجتمع اولا وعلى الفرد ثانيا ، وأما إزالة التفث فليس المقصود منه ازالة التفث الأدنى وهو ازالة أدران البدن من شعث السفر ، وإنما هو تنبيه بالأدنى وهو درن البدن على الأعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة ودرن العاطفة ، وأما درن العقل فهو وقوعه تحت ضـــغط الشكوك والأوهام ، وأما درن الجماعة فهو وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر ، وأما درن العاطفة فهو الوقوع تحت سيطرة القوة الغاضـــبة وضغط الشهوة والهـــوى .

مقومات الدفاع عن السلم والحرية فى الحضارة الاســـلامية : لقـــد دعت الحضارة الاسلامية الى توفير الأمن والسلم ، الى التعاون والتآخى الى اقرار الحق فى نصابه والى تمتع الناس بحريتهم الطبيعية وبثمار العدل والمساواة ، فكانت حضارة إنسانية سداها الموعظة الحسنة وكلمة الحق ، ولحمتها الدفـــاع عن حقوق الانسان وحفظ كرامة ورحمة الانسان لأخيه الإنسان ، لذلك نبذت الحضارة الاسلامية القتال فلم تلجأ اليه إلا اذا التوت بالعقـــول السبل فعبثت بالحياة وأراقت الدماء وتحكمت بالجبروت والطغيان وقضت على العدل وميزت الإنسان عن أخيه الانسان وانتزعت الأوطان أو اغتصبت البلدان سمحت حينئـــذ تلك الحضارة بارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال حتى يرجـــع أهل البغى والعناد الى الصواب والرشاد . ولقد طالبت الحضارة الاسلامية فى هذه الحال بالاستعداد الكامل وتحضير كل وسائل القوة ، كما دعت الى أن تكون الأمة كلها جندا مدربا على السلاح لا يستثنى منهم سوى أرباب الأعذار المشروعة. ولقد شجعت تلك الحضارة النساء على الاشتراك فى الحروب للتمريض ، هذا كله اذا لم يهجم العدو فاذا هجم وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة فتخرج المرأة ولو بدون إذن زوجها وكذلك الولد بغير اذن أبيه ، ووضعت فى الحروب قواعد إنسانية رحيمة تفوق كل تصور .

وإذا كانت حضارتنا اليوم تفخر بمبادىء الصليب والهلال الأحمر فان هذه المبادىء لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لما طالبت به الحضــــارة الاسلامية ، فقد أوجبت الافراج عن الأسير فى حالات كثيرة ، منها المبادلة والفداء وتعليم أطفال العرب والمسلمين ، كما حببت الناس برعاية الأسرى بل عدت القائمين بذلك فى زمرة الأبـــرار (١٣) . كمـــا انها منعت قتـــل الرهبان ، وأنكرت قتل النســـــاء والأطفال ولو احتمى بهم العـــدو وغير ذلك ، وسوف تبقى مبادىء الرســـول وخلفائه وأعمالهم فى غزواتهم وكلماتهم أبلغ ما يمكن أن يتصوره العقل فى هذا الميدان الإنسانى إذ عممت الرحمة على الانسان والنبات والحيوان ، وهل من قول مدعوم بالعمل فى حرب ينم عن الرحمة أبلغ من قول الرسول وخلفـــائه وأعمالهم ، وكانوا حين تعقد الألوية على أمراء الجيوش يوصونهم بتقوى الله وعدم الاعتداء مرددين التواصى الآتية : ((**لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا طفـــلا**

---

(١٣) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا .

صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امراة وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفى شن الغارات ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا أندفعوا باسم الله وامضوا بتأييد الله بالنصر ولزوم الحق والصبر ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . ومن ذلك قول الرسول : « **لا تقتلوا عسيفا ولا أسيفا . أى لا تقتلوا الشيخ ولا الأسير** » . وفى حديث على رضى الله عنه : **لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح (١٤) .**

وصفوة القول : بنت الحضارة الاسلامية سياستها الاصلاحية على اعتبار السلم دعامة المجتمع الانسانى والحالة الأصلية التى تهيىء للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة ، واعتبرت الحرب وسيلة لشذوذ لم ينفع فيه الحوار والحكمة والموعظة الحسنة ودفاعا عن النفس ، فاذا وقعت أوصى بالرأفة فيها بألا تكون حرب تنكيل وتخريب فلا يقتل فيها النساء والشيوخ والعجز والأطفال (١٥) .

ركن الرفق بالحيوان : تميزت الحضارة العربية الاسلامية بما يفاخر به اليوم ويعد مظهرا من مظاهر الحضارة وأعنى به الرفق بالحيوان ، وقد نقل عن الرسول قوله : فى كل ذات كبد أجر ، فاستفسره احد الصحابة وهل أنّ لنا فى البهائم أجرا . فأجاب فى كل ذات كبد رطبة أجر . وتمضى الحضارة الاسلامية فتشرع الرحمة بالحيوان وتحرم المكث طويلا على ظهره ، فيقول الرسول فى ذلك : لا تتخذوا من ظهور دوابكم كراسى وتحرم اجاعته وتعريضه للضعف والهزال ، وقد أوصى الرسول بالبهائم المعجمة بقوله : اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، كما يحرم ارهاقه بالعمل فوق ما يتحمل . وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه ، وقد ذهبوا الى ما هو أبعد من هذا ، فقال بعضهم اذا لجأت هرة عمياء الى بيت شخص وجبت نفقتها عليه ، وكان الخلفاء يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان وكان من وظيفة المحتسب أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها أو ضربها ، وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب كبير وحسبنا أن نجد فى ثبت الأوقاف القديمة أوقافا خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة وأوقافا لرعى الحيوانات المسنة العاجزة . وكان عمر بن الخطاب يصرف معاشا للفقير صاحب الدابة المريضة ينفق منه عليها حتى تشفى .

الركن الأخلاقى : يقول برنار فى كتابه عن فلسفة الثورة الفرنسية (١٦) :

---

(١٤) وقد قال أحدهم بذلك شعرا مخاطبا قائد الجيش العربى الأول :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه ... وتضرم فى تلك المواطف خابيا
تقول لهم لا تحملوا غير زادكم ... ولا تفسدوا من الماء عذبا جاريا
ولا تهلكوا زرعا ولا تهتكوا حمى ... ولا تستبيحوا نسوة أو ذراريا
ولا تحرقوا باللائذين كنائسا ... ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
ولا ترهقوا الأسرى غرب محارب ... الى الحرب يسعى مكرها لا معاديا

(١٥) وقد قال الرسول فى ذلك : لا تقتلوا الذرية فى الحرب .

(١٦) ص ٦٧ ، يقول فولتير فى كتابه الى مركيزة دى دى ديفان : ان بين البشر تضامنا اخلاقيا سببه ان فى كل فرد منهم غريزة اخلاقية تشعره بالعدالة كما تشعره بالظلم الذى يقع على إنسان آخر .

لقد احتاج الانسان الى قرون لمعرفة جزء من قوانين الطبيعة فى حين يكفى الرجل الحكيم يوم واحد لمعرفة واجبات الانسان الأخلاقية .

لقد أشاد كل من محمد والمسيح عليهما السلام بالأخلاق الفاضلة وبوجوب التحلى بها لأن الأخلاق الفاضلة واحدة فهى هى لدى كل من يعملون عقلهم بالرغم من جميع الخلافات التى يمكن أن نلاحظها فى الأعراف أو فى المصالح المتصارعة أو فى اللغات أو فى الأشكال التى تظهر بها القوانين والعبادات ، فاننا نجد فى كل مكان رأس مال مشتركا بينها وقانونا يصلح لجميع البلدان وتعرف بداهته فى داخل ذواتنا أنه قانون الأخلاق . فان فى داخلنا غريزة تجعلنا نشعر بما هـو عادل واحساسا بالعدالة يشترك فيه جميع الناس وهو موجـود بحكم قانون الطبيعة التى لا تعلن إلا حقائق منقوشة فى قلوب الناس جميعا . لقد غرس الله فى كل إنسان بذرة الأخلاق الكريمة فما عليـه الا أن يعنى برعايتها لأنها قوام التعامل بين الأفراد وفى المجتمعات .

ذلك هو مكانة الأخلاق فى نظر الفلاسفة فما هو نصيب الحضـارة العربية الاسلامية من الأخلاق والدعوة الى التمسك بها .

لقد وجهت الحضارة العربية الاسلامية الإنسان الى التحلى بمكارم الأخلاق معتبرة الأخلاق القويمة دعامة المجتمع فكان من ذلك أن دعت الى الألفة والتعاون والتآخى والتوادد بين الناس لا بل رغبت الناس بالعفـو عن السيئة ودفعها بالحسنة ، فقد جاء فى سورة الروم : ((**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم**)) . ولقد دعت تلك الحضـارة الى الانصـاف بالحكمـة واللين بل عدت حسن الخـلق من الدين (١٧) .

لقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية فى دعوتها الى مكارم الأخلاق شأوا ساميا لم تبلغه حضارة لا فى القديم ولا فى الحديث لا بل جعلت من كبرى أهداف الرسول الكريم اتمام مكارم الأخلاق كما يؤكد ذلك الحديث الشريف القائل : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وفى رواية وإنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ، فاذا عرفنا أن فلاسفة اليـوم اعتبروا الأخلاق المقيـاس الوحيد لتقدير الحضارات والمفاضلة بينها أدركنا مكانة الحضارة العربية الاسلامية بين الحضـارات العالميـة .



(١٧) جاء رجل الى النبى وسأله ما الدين : فاجابه الدين حسن الخلق وكرر عليه السؤال مرارا حتى قال له الرسول أما تفقـه الدين حسن الخلق . وقيل لرسول الله فلانة تقوم نهارهـا وتقوم ليلها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال رسول الله لا خير فيها .



المغرب
الجزائر
موريتانيا
مالى
النيجر
ليبيا
جمهورية
مصر
العربية
تشاد
السودان
نيجيريا
غانا
توجو
داهومى
الكاميرون
وسط أفريقيا
الحبشة
الكونغو
كينشاسا
أوغندا
كينيا
الصومال
تنزانيا
أنجولا
زامبيا
روديسيا
موزمبيق
مدغشقر
جمهورية
غرب
أفريقيا
بتشوانالاند
جنوب أفريقيا
جابون

الدعوة الاسلامية

وكيف نوجهها فى جهادها المعاصر

للاستاذ : سفيان سالم

مسلمو افريقيا جزء هام من العالم الاسلامى :

لم يعـد ثمة شك فى ان المسلمين الافريقيين الذين يعيشون اليوم داخل حدود القارة التى تبلغ مساحتها ٢٠٠ر٢١٦ر١١ ميلا مربعا والذين يبلغ عددهم حسب آخر الاحصائيات التى نعرفها أكثر من ثمانين مليون نسمة ـ لم يعد ثمة شك فى ان هؤلاء المسلمين يشكلون قوة هامة وحساسة فى حاضر العـالم الاسلامى ومستقبله ..

واذا كانت الدول الاستعمارية الاوربية التى احتلت افريقيا قرابة خمسمائة عام ، بدات بالبرتغال التى كان هدفها الرئيسى من سيطرتها على افريقيا محاربة الإسلام ، وإيقافه عن زحفه المقدس الى اقصى الجنوب .

اقول : إذا كانت هذه الدول قد نجحت الى حد ما فى عزل مسلمى افريقيا جنوب الصحراء وبعض المسلمين فى مناطق اخرى من افريقيـا عن الاتصال بالحركة الإسلامية العالمية ـ فان هذه الشعوب بعد ان حطمت اغلال الاستعمار واتاحت لنفسها فرصة الاستقلال والانطلاق الى ابعد من حدودهـا ستلعب من غير شك دورا هاما مع شعوب العالم الاسلامى فى تحقيق مستقبل افضل لخير الاسلام والمسلمين .

وتظهر اهمية مسلمى افريقيا ومدى المساهمة الضخمة التى يمكن ان يقوموا بها فى حركة الدفع الثورى للدعوة الاسلامية ، اذا عرفنا مقدار ما تتمتع بــه قارتهم الكبيرة التى يعيشون داخلها من امكانيات اقتصادية واستراتيجية وبشرية هائلـــة ..

فالمحاصيل الزراعية التى تنتجها أفريقيا ، تكاد تتنوع على نحو شامل بحيث لا يوجد محصول زراعى آخر فى العالم لا يزرع فى افريقيا ، وثروتها المعدنيـــة بلغت من الضخامة حدا جعل انتاجها من الماس يصل الى ٩٨٪ من الانتاج العالمى ومن الذهب ٥٥٪ منه ومن النحاس ٢٢٪ ..

هذا الى جانب الثروات المعدنية الهائلة الأخرى من اليورانيوم والكـــروم والكوبالت وغيرها .

أما امكانياتها الاستراتيجية فى عصر أصبح فيه للموقع الاستراتيجى كل هذه الأهمية التى تحدد مصير الدولة سياسيا وعسكريا واقتصاديا فيكفى أن نعــرف ان حدودها الغربية تقع على المحيط الاطلسى ، ثم يحدها المحيط الهنــدى من جهة الشرق وهو المحيط الذى يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق البحر الأحمر أو بحر العرب ، وبعد ذلك تشرف افريقيا فى الشمال على البحر الأبيض .

واذا تركنا أهمية القارة الأفريقية من حيث وفرتها الاقتصادية ، وحساسية وضعها الاستراتيجى ، وتحدثنا عن طاقتها البشرية يبرز عامل رئيسى يصبح له امتيازه فى تقدير مدى اهمية شعوب افريقيا فى ميزان الثقل الدولى .

فالاحصائيات الأخيرة تقدر بـ ١٩٨ مليون نسمة منهم خمسة ملايين من البيض الأوروبيين الذين استوطنوا بعض الأجزاء ، وهو عدد يجب أن نسقطه من الاحصائية حين نذكر عدد الشعب الأفريقى ..

هذه العوامل الثلاثة واعنى بها ثروة أفريقيا الاقتصادية والبشرية ثم موقعها الاســتراتيجى يجعل لمســلمى هذه القارة اهمية كبرى ، حين نقيم دورهم فى ميدان الدعوة الاسلامية العالمية .

توزيع المسلمين فى افريقيا اليوم :

على الرغم من الحروب الصليبية التى شنتها الدول الأوربية على مسلمى افريقيا وعلى الرغم من حركات التبشير التى دخلت مع الاستعمار الغربى الى هذه القارة ..

وعلى الرغم كذلك من ضعف المسلمين ماديا أمام أعدائهم الذين فاقوهم عدة وسلاحا ، واستمرار هــذا التفوق بفضل الثروة الصناعية التى مكنتهم مــن الغلبة والقهر .

وعلى الرغم من كل هــذه العوامل وغيرها استطاع المسلمون فى افريقيا ان يحافظوا على عقيدتهم الروحية بل ليس هذا فحسب ، وانما اخذ عدد المسلمين يتزايد بفضل ما تنطوى عليه تعاليم الاسلام من البساطة والمبادىء الانسانية السامية ، وهذا ما صرح به رجال التبشير انفسهم .

فى بحث شامل لمجلة « الكريستيان سانيس مونتيور » نشرته منذ عشرة اعوام تعرض الكاتب ــ وهو قسيس مسيحى قام بزيارة طويلــة لافريقيا ــ للظروف التى تعرضت لها المسيحية فيها فقال :

(على الرغم من الجهود الضخمة التى يقوم بها المبشرون المسيحيون فى افريقيا اليوم ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة التى تنفق على تحويل الافريقيين الى الديانة المسيحية .. فان الافريقيين اقل حماسا للدخول فى المسيحية منهم فى الاسلام فالاحصائيات الدقيقة التى اجريت فى أفريقيا قد اكدت أن دخول الافريقى فى المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه فى الاسلام ، واستطيع أن اصرح بأن الظروف التى تكتنف المسيحية تعتبر السبب الرئيسى فى هذه النتائج فهى ديانة الرجل الأبيض الذى يستعمر الرجل الافريقى ، ويعامله فى شىء من القسوة والظلم ، وهذا ما لمسته بنفسى حين تحدثت الى بعض الافريقيين فى غرب أفريقيا . ثم انعزال رجال الدين المسيحى عن الحياة القومية والاجتماعية التى يعيشها الافريقيون .

فالاندماج لا يتم الا فى حدود اداء الوظيفة الدينية فقط ، كذلك يشعر بعض الافريقيين الذين تحولوا الى المسيحية أن الأوروبيين وهم فى نظرهم أصحاب الدين المسيحى ، لا يطبقون تعاليم المسيح كما وردت فى الانجيل من اعطاء الفرد حريته وتمتعه بحقه فى المساواة مع غيره .. الخ .

يضاف الى هذه العوامل عامل آخر على جانب من الأهمية واعنى به اصطدام تعاليم المسيحية أحيانا مع تقاليد الافريقيين القديمة ثم يستطرد هذا الكاتب فيقول :

وحين نقارن الاسلام بالمسيحية نستطيع أن نقول — والأسف يملأ قلوبنا — انه لا يزحف فى أفريقيا زحفا بطيئا مطردا بل يكتسح طريقه فى سرعة مذهلة فان عدد الافريقيين المسلمين اصبح يتجاوز اليوم الثمانين مليونا — هذا بالاضافة الى تزايده تزايدا مطردا سريعا .

وقد أدركت حين لمست بنفسى أن الافريقيين ينظرون الى الاسلام على انه دين الشرق المسالم الذى لم يستعمر افريقيا ، وهناك سبب آخر قوى لنجاحه وهو أن الاسلام يستطيع فى سهوليته أن يتلاءم مع تقاليد الافريقيين القومية .

ثم ان الاسلام لدى الافريقيين يتم عن طريق مواطنيهم المسلمين ، وليس عن طريق رجال الدين ، وهو اعتبار له اهميته .

ومعاهد التعليم التى يهاجر اليها الزنوج فى القاهرة وبلاد الشمال الافريقى ليست هى الأخرى سوى مصنع ينتج دعاة اسلاميين مزودين بمنطق عاطفى يكون لتأثيره بين مواطنيهم الوثنيين والمسيحيين (على زعمه) بعد عودتهم (فعل السحر) .

أقول فلعل ما جاء على لسان هذا القسيس يوضح لنا فى جلاء طبيعة الصراع الدينى فى افريقيا ومدى نجاح الاسلام فى مد خطوطه ومسالكه عبر مجاهلها وشعابها المختلفة .

ان الدين الاسلامى دين بسيط سمح لا يعترف بكهانة وطقوس وحين تخالط معانيه شغاف القلوب يتأصل فى عمق وتمتد جذوره الى أغوار النفس الانسانية فلا تستطيع قوة فى الدنيا كائنة ما كانت أن تؤثر فيه بعد ذلك .

ما هو الاسلام ؟

سؤال من وجهة النظر الى قضايا العصر واهتماماته والصراع البشرى فيه ، ما هو الاسلام ؟

والجـــواب :

الاسلام دين الله ، بمعنى انه تفسير للحياة على أساس « مشيئة الله الواحد » ..

ثم الالتزام بهذا التفسير الذى يتم نتيجة « ايمان » اى تصديق مـــن طريق العلم المباشر ، أو العلم بالاستدلال بأنه الله « الذى ليس كمثلـــه شىء » والذى هو صانع ومحرك ومدبر لهذا الكون ومن فيه وما فيه بين الأزل والأبد على أساس وحدة هذا الكون ، واتساق قوانينه وتساوى وحـــدات أجزائه وأشيائه امام هـــذه القوانين ..

كذلك فان العبادات والشرائع والنظم الاجتماعية والاقتصادية التى أوحى الله بها الى انبيائه والى محمد صلى الله عليه وسلم هى موضع التصديق الكامل والتطبيق الأمين ..

وهى مسئولية مقررة من الأفراد تجاه المجتمع ، ومن المجتمع تجاه الافـــراد ومن كل فرد تجاه نفسه من حيث أن هذه الشرائع والنظم هى أســـــاس قيام « مجتمع المؤمنين » ، الذى ليس فيه واحد من البشر اكثر من واحد ، ولا واحد اقل من واحد ، وان الجميع سواء فى موقفهم البشرى أمام القانون الأعلى على كل شىء وهو « الله » ..

هذا تعريف الاسلام من وجهة النظر الى موقفه العقائدى .

واما من وجهة النظر اليه كمنهج لبناء المجتمع ، فان تعريفه على اساس مقوماته الاجتماعية يكون كالآتى :

الاسلام هو نظام إلهى فى تشريعه ، وعلمى بتجربته ، وهو يقوم عـــلى بناء المجتمع عن طريق بنائه الانسانى للفرد والقيادة فى هذا المجتمع جماعية بين أبنائه الذين هم بالايمان عباد الله واخوة بين أنفسهم ، وسادة على الموارد المسخرة لهم ، والذين يقيمون مجتمعهم على أساس أن العمل هو مصدر الحقوق والدرجات للأفراد فى هذا المجتمع ، وعلى أساس انهم من نقطة الاخاء بالايمان ، شركـــاء بالعمل فى الموارد والثمرات والأموال التى هى فى المجتمع ، وفى أيدى المؤمنين أموال الله ..

وعلى أساس أن هذه المشاركة تعنى بالوازع وبالالزام أن يعـــود فائض الحاجة فى يد كل فرد ــ اى ما يفيض عن حاجاته الأساسية ــ الى أيدى اخوته الآخرين اى الى المجتمع الذى يتحرك بهذه الأموال على اساس العلم المستمد من تجربة الايمان الى العمران والانفتاح بالسلام على كل العالم .

من هذا التعريف نبدأ فنسأل ونبحث عن هذه المجالات التى تبرز فيها علاقة الاسلام الواضحة بالمفاهيم العامة لما جد من تيارات فكرية معاصرة وآراء مستحدثة واساليب مختلفة للتبشير .

قضيـــة القضايـــا :

من بؤرة التقدم العلمى الحـــديث فى هذا العصر ، ومن مركز عمليـــاته العقلانية المعقدة يسطع ضوء خاطف تعشى فيه العيون فى جو تزار فيه أدوات القوة وتمزقه ضوضاء الدعاية ، وتسيطر عليه أدوات الدقة .

فيضع اكثر الناس ايديهم على أعينهم يمسحونها ، ثم يعاودون النظر

يلتمسون — فى ظلمات هذه الأضواء المعتدية — طريقا مأمونا الى سلام العالم ، والى حياة جديدة تعيش فيها الأجيال البشرية ، وتنمو فى رعاية العلم بغير عدوان ..

فى عالمنا المعاصر حيث يقف المتقدمون والمتخلفون معا على حافة هاوية ، نجد الظواهر الآتية فى قضية الدين واستخدامات العلم :

١ — نجد انكماش جماعات المؤمنين بالدين الإلهى الحق على سطح الأرض .. دين الوحى الذى يجمع بين الايمان والعمل لبناء سلام الانسان وتقدمه .

٢ — نجد انتشار معتقدات العزاء الروحى من أول (اليوجا) الهندية الى (الغنوصية) اليهودية ، وهى معتقدات سرية باطنية تؤمن بالروح التى لا يمكن أن يقال ما هى .

وتنكر وتقهر الجسد الذى يمكن ان يقال ما هو ؟ بينما تطلب بالرياضة أو السحر أو الشعوذة ما لا يمكن أن يدركه الانسان الا بالايمان والعمل .

٣ — نجد انتشار القلق فى المجتمعات الصناعية العلمانية والاشتراكية من فراغ تحس به تجاه « قوة ما » وراء الطبيعة قوة غير مادية وان كانت حركة المادة هى الدليل الأول عليها هذا .. وان كانت المادية العلمية تبنى بالعلم السلام والتقدم فى مجتمعها شكلا من أشكال العدل الاجتماعى وتعلى من قيمة العمل وتكرس حقوق الجماعة دون استغلال .

الا أن ذلك يقع مشروطا بانكار الدين مما يترتب عليه ترك هذا الصراع المحس فى أعماق النفس الانسانية الكادحة فتتململ وتضطرب وتنظر الى بعيد ..

٤ — الى جانب هذا يوجد المجتمع الذى تتمثل فيه قضية القضايا ومشكلة المشاكل فى هذا العصر .

يوجد (المجتمع الراسمالى) الذى يرفع أمام ضحاياه راية الايمان بينما يدفع بالعلم وتطبيقاته الى خدمة السياسات والخطط العدوانية للصهيونية والاستعمار .

هذا المجتمع العجيب المتظالم المتضارب يدفع العلم الى الخروج عن أهدافه والى التمرد على عقيدته يدفع بهذا المارد المختال (التكنولوجيا) . لينفلت من سلطان الارادة الخيرة فى المجتمع الانسانى وليستعصى على اى اتجاه للاخاء البشرى والسلام العالمى والرخاء المتبادل بين الشعوب ..

ان (أمريكا) تنفق مليارات الدولارات وهى ترسل أرسالياتها الاستعمارية تحت أثواب المسيح ، ورايات المسيحية ، لتقدم لبسطاء الشعوب النامية فى أفريقيا خدمة العلم المتقدم ، وترسم لهم الصليب على بعض السلع والتكنولوجيا الاستهلاكية ، وترى أن ذلك يبرر سرقتها لموارد ومستقبل شعوب حية فى آسيا وأفريقيا .

وعندما لم تنجح هذه الخديعة البلهاء ، عادت (أمريكا) ترسل قاذفات قنابلها الضخمة وعليها الشعار المسيحى ايضا ، لتدمر وتحرق وتبيد شعوب (فيتنام وكمبوديا ولاوس) والشعب العربى باسم الحضارة الامريكية المسيحية . والدكتور القس « فلويد شاكلوك » الامريكى يبدى دهشته العظيمة من هذا الأمر فى كتابه (الايمان الثورى) ويقول :

« ان البعثات الأمريكية الدينية المسيحية قضت مائة وخمسين عاما تجاهد فى بلاد الصين ، ولكن فى ثلاثين عاما دخلت الشيوعية بلاد الصين — أنه يتساءل كيف لعب دعاة الشيوعية على عقول الناس بالأقوال الجوفاء ، والوعود المعسولة؟ ثم يجيب اجابته الغبية فيقول — : ان الشيوعية كسبت الصين بالقوة بينما رسل المسيحية — يعنى رسل الاستعمار — لا يقبلون اللجوء الى المسائل العنيفة .

ان (أمريكا) — ايضا — تنفق مليارات الدولارات لكى يمد العلم المتمرد على السلام اقدامه فى الفضاء ، ويطأ من اجل اغراض الدعاية أو الأغراض العسكرية وجه القمر بينما الأرض ملأى أمام أعين (القديس سام) بملايين المرضى والجياع ..

والعلم المتمرد ينفذ ببصره ويعبث بأصابعه فى معامله السرية يخطط لجريمة تصنيع الآدميين فى انابيب الاختبار ، فيحكم على انسانية الانسان بالموت من حيث يفصله فى المعمل عن كل ما هو طبيعى فى الحياة بينما هو يحشد فى نفس الوقت أسلحته الكيمائية والبيولوجية ، وخططه للتعقيم الجماعى من أجل ابادة الانسان الطبيعى عندما يكون ملونا » .

وهكذا العلم الذى هو الأمل اصبح مع تحديات الصهيونية والاستعمار هو المشكلة . وهذه هى قضية القضايا .

وعلينا نحن — العالم الاسلامى — آباء البشر فى التاريخ وأولياء أنفسنا فى الواقع ان نبحث هذه القضية من جذورها — نبحثها من البداية ونحن نتخذ الطريق الصحيح الى فهم واجبنا الدينى وتصور دورنا الانسانى فى أحياء الحياة لو استطعنا أن نشارك من خلال تجربتنا وأسلافنا فى تقييم العلم بالعلم الالهى من خلال رؤية صحيحة للدين الاسلامى ، أننا بهذا نحقق القوة الكاشفة فى داخلنا وخارجنا والتى مصدرها الايمان وأساسها العلم واطارها وغايتها الاسلام وحركتها وجهادها البناء والفداء نستطيع أن نعيش رغم تحديات العصر فى أنسجام معها وتعاطف وكشف ، وفوق ارادة أعداء الاسلام فى كل مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والانسانية دون قصور أو اهدار أو قلق .

نستطيع أن نبنى وأن نعيش حياتنا كاملة كما سلف فى تاريخنا الاجتماعى حيث يمكن ان تتساوى الوحدات البشرية اى الأفراد والمواطنون بمقادير وانواع العمل أمام الله ولصالح المجتمع حقا والتزاما حياة لا تتناقض فيها القوانين ، ولا تتصادم المصالح ، حياة لا يختلف فيها العقلى عن التجريبى ولا الدينى عن الدنيوى حياة هى الوجود الحق المترع بالأمن والحب والإخاء .

● موجز بحث مقدم من الاستاذ سفيان سالم دارمى لمجمع البحوث الاسلامية ..



من وحي ذكرى
مولد الرسول

خير أمة

للدكتور / محمد الدسوقى

١ ــ اطبقت كلمة العلمــاء والباحثين على ان البشرية كانت قبل مولد محمد صلى الله عليه وسلم فى حاجة ماسة الى من ياخذ بيدها الى ســواء السبيل ، فقد ضلت طريقها الى الله ، واتخذت الأصــــنام والأوثان ــ على تعددها وتباينها ــ آلهة تؤمن بهـــا وتعنو لها ، وعاشت حياة طابعها القهر والبغى والفساد ، لقد كان ظلام الجاهلية مطبقا ، شـــمل العقائد والاخلاق والعادات ، وران على الضمائر والمشاعر والعقول ، وجعل المجتمع الانسانى اشبه ما يكون بالقطيع فى الغابة تقوده الشهوات الجامحة ، وتحكم علاقاته القوة الباغية ، وكان لا بد ان يشرق الفجر ليبدد الغياهب ويقضى على المفاسد ، ويرشد الضالين والحيارى الى طريق الحق والى صراط مستقيم .

٢ ــ وانبثق الفجر فى بطحاء مكة بمولد محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مولده عليه السلام إرهاصا بنهاية ذلك العهد المظلم فى تاريخ البشرية ، وبداية لعهد جديد مشرق بالوحدانية والحرية والعزة والكرامة والعدالة والفضيلة .

لقد بعث الله محمدا على راس الاربعين من عمره بدعوة الاسلام التى انقذت البشرية من دياجير الجاهلية ، ورسمت لها سبيل سعادتها فى الدنيا والآخرة .

لقد حررت دعوة الاسلام البشرية من إسار العبودية لغير الله « وما امروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله هو » (١) « إن الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق »(٢) .

وكما حررت دعوة الاسلام البشرية من إسار الشرك والوثنية حررتها كذلك من إسار الطائفية والعنصرية ونظرية الدماء المقدسة ، فكانت اول صيحة عامة فى التاريخ ترسى مبادىء الاخوة والمساواة على اسس وطيدة من الإيمان .

٣ ــ ولأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات الإلهية جاءت دينا عاما للناس كافة ، كما جاءت صالحة للانسان فى كل زمان ومكان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد امتن الله على المؤمنين بهذه الرسالة الخاتمة والدعوة العامة بأن جعلهم خير أمة اخرجت للناس ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ، والذى يهدى للتي هى اقوم ، والذى يحقق للانسان ــ دون غيره من الكتب والنظم ــ الحياة الكريمة التى تليق بخلافة الانسان المقدسة لله فى الارض .

٤ ــ واستحفاظ الأمة الاسلامية على هذا الكتاب الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان يكون الكل شهداء عليه يعنى التزام هذه الأمة بكل ما جاء به القرآن الكريم التزاما صادقا ، وصياغة حياتها وفق توجيهاته وتعاليمه ، والعمل على إذاعة دعوته وإقامة شريعته بين الناس قاطبة ، وسبيل ذلك الحفاظ على أمانة الدعوة الى الخير والبر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لتظل دائما كلمة الله هى العليا ، وتبقى القيادة دائما فى هذه الأرض للخير لا للشر(٣) . وهذا هو مناط الخيرية التى اسبغها الله على الأمة الاسلامية ولم يسبغها على أمة سواها « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٤) .

٥ ــ على ان الخطاب فى هذه الآية الكريمة ليس خاصا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كما ذهب الى هذا بعض المفسرين(٥) ولكنه عام يشمل الأمة كلها بلا تفرقة بين قبيل وقبيل ، فكل مسلم مسئول عن امانة الدعوة الى الخير والبر ، وإن كان

لاهل الراى والخبرة والعلم والمعرفة دور بارز واثر واضح فى القيام بها ، فضلا عن انه لا بد من سلطة تمكن لهذه الأمانة وتذود عنها ، يشهد لهذا قوله تعـــالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »(٦) فالآية تقرر أنه لا بد من ســـلطة فى الارض تدعو الى الخير وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لأنه إذا جاز أن يتولى الدعوة الى الخير غير ذى سلطان فإن الأمر والنهى لا يقوم بهما إلا ذو سلطان ، فهذا تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا نظرنا الى طبيعته والى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم وغرور بعضهم وكبريائهم ، وفى النـــاس من ينكر المعروف ويعرف المنكر ، ولا تفلح الأمة إلا أن يســود الخير وإلا أن يكون المعروف معروفا والمنكر منكرا ، وهذا ما يقتضى سلطة للخير تامر وتنهى وتطاع(٧) .

٦ ــ ومما يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامي عن الدعوة الى الخير ــ فضلا عن السلطة التى تمكن لهذه الدعوة ــ أن القرآن الكريم جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين وبين أن هؤلاء يامرون بالمنكر والشر على حين يدعو اولئك الى الخير والبــر « والمنـــافقون والمنافقات بعضهم من بعضهم يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم »(٨) « والمؤمنون والمؤمنات بعضــــــهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله »(٩) . قال الإمام القرطبى تعليقا على الآيتين : « فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على ان اخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وراسها الدعاء الى الإســـــلام والقتال عليه » (١٠) ..

وقد روى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، فقال : من خير الناس ؟ قال : آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنـــكر واتقاهم لله ، واوصلهم لرحمه(١١) . ومن الأحاديث المعروفة فى هذا الصدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطيع فبقلبه ، وذلك اضعف الإيمان (١٢) .
والأحاديث النبوية كثيرة فى الحض على اداء هذه الأمانة والتحذير من التفريط فيها وعاقبة هذا التفريط ، كما أن هناك آيات عديدة ــ غير ما أوردته آنفا ــ جاء فيها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، صفة للمؤمنين ، وهذا كله يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامى « فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » ، ويشير الى ان هذا المجتمع يتميز دائما عن سواه من المجتمعات بهذه السمة الأساسية ، وهى العمل الإيجابى لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف مع الايمان بالله(١٣) .

٧ ــ وأما قوله تعالى فى سورة المائدة : « يايها الذين آمنوا عليــكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »(١٤) فإنه لا يدل على إعفاء المؤمنين من مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ذلك أن معنى الضلال فى الآية ليس مجرد المعصية ولكنه الكفر ، لأن السياق يحتم أن يكون هذا هو المراد

بالضلال فيها(١٥) ، بالاضافة الى ما روى فى سبب نزولها(١٦) ، فالآية تقول : « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » فهذه الآية وصف صريح للكفار الذين اصروا على ضلالهم وغيهم ، وهذا يقتضى ان يكون الذين ضلوا هم الكفار لا عصاة المؤمنين ، لأن الكلام عنهم فى هذه الآية ، وقد جاءت بعدها تلك الآية ، لتامر المؤمنين أن يتعهدوا أنفسهم بالإصلاح ، فيلزموها باداء ما امر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، ثم تقرر لهم أنهم لن يضـيرهم كفر الكفار بشىء ما داموا هم قد اهتدوا ، فدعوا الكفار الى الإيمان وحذروهم مغبة كفرهم(١٧) .

ويبدو ان من الصحابة من فسر تلك الآية على غير الوجه الذى ينبغى ان تفسر به ، وظن أنها ترخص للمؤمنين فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن ثم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يايها الناس إنكم تقراون هذه الآية : « يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا راوا المنكر فلم يغيروه ــ اوشك الله أن يعمهم بعقابه »(١٨) .

فالخليفة الأول فى هذه الخطبة القصيرة يشير الى ان هذه الآية لا تعفى المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأن اهتداء المؤمنين يسـتلزم قيامهم بواجب نصرة الحق ومقاومة الباطل والشر ، وقد اكد هذه الحقيقـة بما اورده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاضاف به الى الآية دليلا آخر على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من طبيعة الإيمان ، لا يتسمح الإيمان بحال فى الزام المؤمنين بهما ، بل هو يتوعدهم جميعا على السكوت عن تغيير المنكر بعقاب الله ، لا يخص طائفة منهم دون طائفة . وقد لعن اليهود على السنة الرسل لعدم تغييرهم المنكر « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلـون » (١٩) ..

٨ ــ وإن مما ينبغى أن تدركه هذه الأمة دائما انهـا امـة جعلهـا الله بما اسبغ عليها من نعم ، واختصها برســالته الخاتمة ــ فى مركز القيادة والمسئولية عن نفسها وغيرها ، فبيدها مشعل الخير ومنار الهداية ، ولهذا كان عليهـا ان تعطى دائما لغيرها لا ان تتلقى من ســواها ، تعطى الاعتقاد الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والعلم الصحيح(٢٠) ، يجب أن تكون الأمة الاسلامية قوة إيجابية فى مختلف مجالات الحياة ، تؤثر فى غيرها ولا تتاثر بسواها ، يجب أن تكون لها شخصيتها الفريدة التى تتسم بالايمان بالوحدانية والأخوة والمسئولية الفردية والجماعية ، هذا واجبها ورســالتها ولا وجود لها بين الأنام إلا إذا حافظت على هذه الرسالة وقامت بذلك الواجب وايقنت أن مركزها فى الطليعة يفرض عليها مسئوليات وتبعات وفى مقدمتها الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن هى اهملت وتقاعست واخلدت الى الوهن ، فلا مكانة لها فى الصدارة والقيادة ، بل لا وجود لها فى الحياة .

قال الإمام القرطبى وهو يفسر قوله تعالى « تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » مدح لهذه الأمة ما اقاموا ذلك واتصفوا به ، فإذا تركوا التغيير

وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ، ولحقهم اسم الذم ، وكان ذلك سببا لهلاكهم(٢١) .

٩ — إنها سنة الله بين عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ما من أمة يمكن الله لها فى الأرض فلا تبطرها النعمة ولا يستخفها شيطان الانس والجن ولا تحيد عن شرعة الحق والعدل ، ولا تتهاون فى الدعوة الى الخير ومقاومة الفساد والشر إلا أعزها الله وأدام عليها النعمة وكتب لها الغلبة وأيدها بنصره « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »(٢٢) .

وما من أمة يستشرى فيها الفساد ويتعاظم الباطل ويستاسد المنكر ، ويخنس الحق إلا اذلها الله وتخلى عنها ولم يستجب لدعائها ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فعرفت فى وجهه أن قد حضره شىء فتوضا وما كلم احدا ، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول ، فقعد على المنبر ، فحمد الله واثنى عليه وقال : يا أيها الناس : إن الله يقول لكم : « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسالونى فلا اعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم » فما زاد عليهن حتى نزل(٢٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : « لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »(٢٤) .

وفيما قصه الله علينا فى القرآن الكريم من شان بنى اسرائيل خير عظة وتذكرة ، فقد وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى ، فلما نبهتهم علماؤهم لم ينتبهوا ، فجالس العلماء هؤلاء العصاة وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى بن مريم ، وصدق الله العظيم « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »(٢٥) .

١٠ — وبعد فإن سنة الله بين عباده ماضية الى يوم القيامة ، والأمة الاسلامية إذا كانت خير أمة اخرجت للناس فإن هذه الخيرية منوطة بمسئولية الدعوة الى الحق والذود عنه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن هى حافظت على هذه المسئولية وقامت بها على احسن وجه ظلت اهلا لهذا الشرف الكريم والفضل العظيم ، وظلت لها مكانتها فى الريادة والقيادة ، وإن هى فرطت وأهملت أو حاربت المعروف وسالمت المنكر ذهبت عنها صفة الخيرية وأصبحت بلا وجود حقيقى فى الحياة ، لانها فقدت اسباب قوتها وعزتها كما اشار الى هذا الإمام القرطبى .

والأمة الاسلامية اليوم لم ترع تلك المسئولية — افرادا وجماعات — حق رعايتها لا نحو نفسها ولا نحو غيرها فكان ما نعانيه من التفرق والضعف وشيوع المنكرات ، واستعلاء من كان بالأمس خاضعا لنا « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »(٢٦) .

إن نصر الله لا يتنزل على عباده الذين ضـيعوا وفرطوا ولم يعضـوا بالنواجذ على كل ما يحفظ لهم الفضل والخير والقيادة والسيادة .

لقد أنزلنا الله منازل الهداة وكتب علينا أن نرفع لواء المعروف ، لنكون بحق خير أمة ، ووعدنا بالنصر ما دمنا نسير على درب الحق ، لا نخشى فى الله احدا ، فلا خيرية بلا جهاد ضد الباطل والمنكر ، ولا نصر بلا إيمان يدفع الى بذل الأنفس والأموال وصدق الله العظيم « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »(٢٧) .



---

(١) الآية ٢١ فى سورة التوبة .
(٢) الآية ٤ ، ٥ فى سورة الصافات .
(٣) فى ظلال القرآن هـ ٤ ص ٣١ .
(٤) الآية ١١٠ فى سورة آل عمران .
(٥) أنظر الفخر الرازى هـ ٨ ص ١٩١ والبحر المحيط هـ ٣ ص ٢٨ .
(٦) الآية ١٠٤ فى سورة آل عمران .
(٧) فى ظلال القرآن هـ ٤ ص ٢٦ .
(٨) الآية ٦٧ فى سورة التوبة .
(٩) الآية ٧١ فى سورة التوبة .
(١٠) تفسير القرطبى هـ ٤ ص ٤٧ .
(١١) المصدر السابق .
(١٢) الآية ١٠٥ .
(١٣) انظر مقدمة كتاب دراسات فى التفسير للاستاذ الدكتور مصطفى زيد .
(١٤) مما روى فى سبب نزولها أن المؤمنين كانوا يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمـانهم وأنهم كانوا اذا أسلم الرجل منهم قيل له : سفهت أباك « من هدى السنة للاستاذ على حسب الله ، والاستاذ الدكتور مصطفى زيد . الحديث الرابع عشر » .
(١٥) المصدر السابق .
(١٦) المصدر السابق .
(١٧) المصدر السابق ، ويتسمح بمعنى يتساهل .
(١٨) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه .
(١٩) المائدة : ٧٩ .
(٢٠) فى ظلال القرآن هـ ٤ ص ٣١ .
(٢١) تفسير القرطبى هـ ٤ ص ١٧٣ .
(٢٢) الآية ٤١ فى سورة الحج .
(٢٣) قبسات من الرسول ص ٥٣ .
(٢٤) أخرجه الترمذى .
(٢٥) الآية ٧٨ ، ٧٩ فى سورة المائدة .
(٢٦) الآية ٤٠ فى سورة العنكبوت .
(٢٧) الآية ٤٧ فى سورة الروم .

قرأت لك

أشياء تستحق المعرفة في القرآن الكريم

للأستاذ محمد بلى الفوتى

القرآن الكريم ، هو كلام الله المعجز ، المنزل باللفظ العربى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب فى المصاحف ، المحفوظ فى الصدور ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، وهو آخر الكتب السماوية نزولا . وهو كتاب غنى عن التعريف لما له من الشهرة العالمية ما ليس لكتاب آخر ، وهو جامع لخيرى الدنيا والآخرة .

(١) يحتوى على مائة وأربع عشرة سورة ، منها ست وثمانون سورة مكية ، وثمان وعشرون سورة مدنية ، على ما ورد فى مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٢) وعلى ثلاثين جزء ، كل جزء مقسوم على حزبين ، وكل حزب ينقسم على نصف ، وثلث ، وربع ، وخمس ، وسدس ، وسبع ، وثمن ، وتسع ، وعشر .

(٣) وجميع سور القرآن تنقسم على اربعة اقسام : الطوال ، وهى سبع سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة ، وقيل هى يونس ، القسم الثانى : المئون ، وهى : السور التى لا تزيد آياتها على مائة ، أو تقاربها . الثالث ، وهى : التى تلى المئين فى عدد الآيات . سميت المثين لأنها تثنى — اى تكرر أكثر مما تكرر الطوال والمئون . الرابع هو آخر القرآن . وأول سوره الحجرات الى آخر القرآن على قول الامام النووى ، ويسمى هذا القسم (المفصل) لكثرة الفصل بين سوره بالسملة .

والمفصل ينقسم ثلاثة اقسام : الطوال ، والأوساط ، والقصار . فطواله : من أول الحجرات الى

البروج . واوسطه : من الطارق الى سورة البينة ، وقصاره من الزلزلة الى آخر الناس . وقيل : طواله : من (ق) الى سورة عم ، واوسطه : من عم الى سورة (والضحى) . وقصاره : من سورة الضحى الى آخر القرآن .

(٤) أطول سورة في القرآن الكريم ، هى سورة البقرة ، وآياتها (٢٨٦) نزلت فى المدينة وهى أول سورة نزلت فى المدينة .

(٥) اقصر سورة فى القرآن هى : سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث ، نزلت فى مكة بعد سورة (والعاديات) .

(٦) أول سورة نزلت كاملة ، هى : يا ايها المدثر . نزلت فى مكة بعد سورة المزمل .

(٧) اكثر سورة فيها ذكر اسم الله فى كل آية من آياتها هى : سورة المجادلة . وآياتها اثنتان وعشرون آية نزلت فى المدينة بعد سورة (المنافقون) .

آياته

(٨) يحتوى على ستآلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، على حسب ما ورد فى مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٩) اول آيات نزلت من القرآن هى : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علمّ بالقلم . علمّ الإنسان ما لم يعلم . سورة العلق .

(١٠) أطول آية فى القرآن هى : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى اجل مسمىً فاكتبوه .... الآية (٢٨٢) سورة البقرة .

(١١) اقصر آية فى القرآن الكريم هى : (طه) سورة طه ، مكية نزلت بعد سورة مريم .

(١٢) أول آية نزلت فى الأطعمة هى : قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم . (١٤٥) الأنعام .

(١٣) أول آية نزلت فى الأشربة هى : يسألونك عن الخمر والميسر ... الآية (٢١٩) سورة البقرة .

(١٤) أول آية نزلت فى القتال هى : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . الآية (٣٩) سورة الحج .

(١٥) أول آية نزلت فى شأن القتل هى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا (٣٣٠) الاسراء .

(١٦) اعظم آية فى كتاب الله هى : الله لا إله الا هو الحى القيوم . الآية (٢٥٥) سورة البقرة .

(١٧) اكثر آية تفويضا هى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا . الآية (الثانية) سورة الطلاق .

(١٨) اشد آية رجاء هى : قل يا عبادي الذين اسرفوا ... الآية (٥٣) سورة الزمر .

(١٩) اطمع آية فى القرآن هى : ايطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم الآية (٣٨) المعارج .

(٢٠) اجمع آية للخير والشر . وهى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... الآية (٩٥) سورة النحل .

(٢١) آية واحدة تجمع كل الحروف الهجائية هى : قوله تعالى : محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ... الآية (٢٩) آخر سورة الفتح .

كلماته

(٢٢) يحتوى على سبع وسبعين الف ومائتين وخمسين كلمة على قول مجاهد .

(٢٣) أطول كلمة فى القرآن لفظا وكتابة هى : فأسقيناكموه (الآية

٢٢) سورة الحجر ، وهى تتألف من احد عشر حرفا .

(٢٤) أول كلمة نزلت فى القرآن هى : (اقرأ) أول سورة العلق .

حـــروفه :

(٢٥) يحتوى على ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حرفا (٣٢٣ر٣٩٧) . وقال عبد الله بن مسعود : (٣٢٢ر٦٧٠ حرفا) ، وقال عبد الله بن عباس إنها (٣٢٣ر١٠٥ حرفا) . والله أعلم بالصواب .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا اقول : (ألم) حرف ولكن : الف ، حرف ، ولام ، حرف ، وميم ، حرف . رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود ، مرفوعا .

انصـــافه :

(٢٦) نصف القرآن بالسور هو : آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى .

(٢٧) نصفه بالآيات هو : فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون ، الآية (٤٥) الشعراء .

والآية التالية : فألقى السحرة ساجدين . الآية (٤٦) من النصف الثانى .

(٢٨) نصفه بالكلمات هو : (الجلود) فى قوله تعالى : يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، الآية (٢٠) سورة الحج . وقوله : (حديد) فى قوله : ولهم مقامع من حديد . الآية (٢١) سورة الحج من النصف الثانى .

(٢٩) نصفه بالحرف هو : (النون) فى : لقد جئت شيئا نكرا ، الآية (٧٤) سورة الكهف . و (الكاف) من النصف الثانى .

تاريخ نزول القرآن

(٢٢) ابتدأ نزول القرآن منجما فى ليلة اليوم السابع عشر من رمضان (وهى ليلة الجمعة للسنة الحادية والأربعين من مولده صلى الله عليه وسلم ، حيث أوحى اليه بأول أمر من القرآن الكريم وهو : اقرأ باسم ربك الذى خلق . الى آخر ست آيات من سورة العلق ، وهو فى غار حراء يتحنث (يتبرر) .

وانتهى النزول فى مساء الجمعة ، تاسع ذى الحجة يوم عرفة ، للسنة العاشرة من الهجرة ، وللسنة الثالثة والستين من مولده ، وأوحى اليه آخر آية ، وهى : اليوم اكملت لكم دينكم . . (٣) المائدة .

وانزل عليه من القرآن وهو بمكة : ٨٦ سورة فى مدة اثنتى عشرة سنة وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوما ، من ١٧ رمضان سنة (٤١) الى اول ربيع الأول لأول سنة (٥٤) من مولده . وكل ما نزل فيها فى هذه المدة يقال له (مكى) .

ونزل عليه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة (٢٨) سورة فى مدة تسع سنوات وتسعة أشهر ، وتسعة أيام ، من ربيع الأول لسنة (٥٤) الى تاسع ذى الحجة سنة (٦٣) من مولده ، للسنة العاشرة من الهجرة . وكل ما نزل فى هذه الفترة ، سواء كان ذلك فى المدينة ، وفى مكة ، يقال له (مدنى) .

فالمدة التى بين مبتدأ التنزيل ومختتمه : اثنتان وعشرون سنة وشهران واثنتان وعشرون يوما .

فسبحان الله العظيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم .



من محاورات الشيطان : قصة من الأدب الديني ..

صراع في الظلام

للأستاذ محمد لبيب البوهي

فى إحدى الليالى .. وربما كنت متعبا .. تكاسلت عن صلاة المغرب .. ودخلت العشاء .. وظللت ساعة او زهاءها في الظلام .. فلم اقم حتى لأضىء نور الغرفة فخيل إلى اننى اراه إلى جوارى . فهو ياتى فى مثل هـذه الساعات والاحوال . فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. ولكنه لم يتحـرك ولم يذهب ... قلت عجبا .. الست انت الشيطان . ؟ قال : نعم إننى هو ..

قلت : ولكننى استعذت بالله منك لتذهب .

فاجاب : إن الاستعاذة لم تكن صادرة من قلبك — مجرد كلمات رددهـا لسانك على اطرافه ، حتى قلبك لم يكن حاضرا — واما عزمك للخلاص منى فقد كان غائبا تماما — إن الاستعاذة القوية التى يعنيها صاحبها هى سـلاح لا اقوى على مواجهته .. ولكن هب ان معك مدفعا ذا طلقات معدة .. ولكنك وضعت المدفع بعيدا عنك ..فوق جبل بعيدة ، ثم اعترضك فى الطريق قاتل فقلت له : اذهب والا ضربتك بالمدفع الذى هناك .. إن هذا لا يكـون غير نوع من السخف .. وهكذا الامر بيننا إنك لم تكن جادا فى الاستعاذة ولذلك فإننى هنا .. لقد غفلت عن صلاتك فهذه ساعتى . إنها حقى .

ثم تمهل الملعون وقال : ولكن لماذا تريد أن تصرفنى ؟ .. إننى استطيع أن اسليك ما دمت متعبا متكاسلا عن الصلاة ..

قلت : فانت سعيد اذن بهـــذه الفرصة .. ؟

قال : ساحاول أن أكون صادقا معك .. إننى أطلب اليك أن تزيح كلمة السعادة جانبا .. لقد مسحت هذه الكلمة من قاموس حياتى منذ أجيال موغلة فى ظلمات القدم ــ منذ أخرجت آدم وأمكم من الجنة ..

قلت : فانت إذن تشعر بالندم .. !!؟

قال : وماذا يجدى الندم . إننى أشعر بالحقد والرغبة فى الانتقام .

إن عدوى الأكبر قد نال رضوان ربه منذ تلقى منه سبحانه كلمات فتاب عليه .. لقد زاد ذلك الغفران من غيظى .. لقد افلت الأب من براثنى فانا أزرع الألغام فى طرقات أبنائه .. إنها الغام قد تبدو فى صورة التحف .. إننى أبثها فى أكثر الأحيان تحت شجيرات الورد . إن لذتى الكبرى حين أبصر أشلاء الذين تنسفهم الغام ملذاتى .. إنهم يسمعون ضحكاتى حين يتخبطون وهم يهوون إلى الأعماق السحيقة ..

قلت فى غيظ شديد : ألا يستطيع أحد أن يراك على حقيقتك ؟ فضحك المجرم الأبدى وأجاب : لا أعتقد أنك تظننى سانجا إلى هذا الحد .. !! ، إذا مررت بالحانات ، أو علب الليل ، أو كثير من دور اللهو الأسود . فسوف ترى أقواما يتسامرون ويتنادمون ويقضون أوقاتهم فى تعاطف كاذب .. إننى سيد هـــذه المواقف .. وهؤلاء الأخلاء هم أعوانى .. إن بعضهم لبعض عدو فى صورة صديق وإننى لبارع فى إعداد هذه الصور فى أزياء شتى ، لقد يمضى وقت طويل دون أن يعرف كل منهم الآخر على حقيقته ، إن الخيانات الزوجية..وسرقات الأموال .

وما الى ذلك من الجرائم ، إنما تنشـــا غالبا من بين هؤلاء الذين يتعارفون ويتسامرون تحت لوائى .. إننى أرى أنك توشك أن تسالنى سؤالا عن أولئك الذين يتنكبون طريقى من الأتقياء ، إن هؤلاء لا يرونى لأننى لا استطيع أن أقترب منهم على الاطلاق الا فى مثل هذه الساعة التى أنت فيها الآن ..وأنت تعرف أننى بالمرصاد .. إن اللص الذى يريد أن يسرق دارا فيها جواهر ، فانه يتوارى وهو يراقب تلك الدار منتهزا فرصة يغيب عنها صاحبها فيســطو على الغنيمة .. إن غنيمتى هى قلوبكم فلا تلوموا غير أنفسكم حين تغفلون عنها .

قلت : وحين تفترس أحدا من بنى البشر .. من أولئك المساكين الذين تنسف حياتهم وسعادتهم بقوة الألغام التى تبثها فى الشهوات والملذات أتراك تنصرف عنهم بعد ذلك . ! ؟

قال بقوة : لو أنصرفت عنهم لكان ذلك لونا من الوان الرحمة . وذلك شىء لا أعرفه . إننى أنتظر هؤلاء فى ساعة الموت حين يكونون على أبواب الأبدية .. حين تبسط لهم الملائكة ايديهم قائلة : اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عــذاب الهون .. حين تحاول أرواحهم أن تغيب فى طيات الأجساد فتنتزع كما ينتزع السفود من الصدف .. إننى فى هذه اللحظات أكون واقفا عن بعد .. إنهم يروننى هازئا شامتا ضاحكا .. إنهم يروننى بقوة وأنا أزفهم إلى عرصات الجحيم ..

قلت فى أسى ووجيعة : يا لك من خسيس حقيــر . ترى هــــل تقف بك الشماتة بالمساكين من بنى البشر عند هــذا الحد .. ؟

أجاب وقد تجهم وجهه واسود حتى صار فى لـــون القطران .. وما ظنك بهؤلاء الذين جمعوا الأموال وكدسوها دون إنفاق فى الوجوه التى أمروا بها .. وما ظنك بهؤلاء الذين يفرون من واجب مقدس أو يكتفون بتهاوى الكــلام .. وما ظنك بقاطعى الأرحام .. إن الفامى ليست كلها شهوات وملذات حسية .. إن الأشحاء تعود أرواحهم من قبورهم لترى ماذا يصنع الوراث بأموالهم ، ثم تلسعهم أموالهم بشواظ من نار .. وهؤلاء ليسوا أقل حظا من الآخرين ، ممن ذكــرت أمرهم لك ، أو من الذين يتيهون على الارض مرحا .. أو الذين تمر الآيات مــن آذانهم اليمنى لتخرج من اليسرى دون أن تحرك قلبا أو تدعو الى ارادة السلوك والتطبيق .. إن فى سجلات حسابى الكثير وفوق الكثير .. وهؤلاء وهؤلاء يظل شبحى الأسود ماثلا أمامهم فى قبورهم .. إننى أتجرع وإياهم كؤوس الحسرات .. إننا من صنف واحد .. وقد اختار بعضنا بعضا فلا مفر من المصير .

قلت : سواء كنت تسمى هؤلاء أعداء لك أو أصدقاء فإن الأمر سيان لأن العواقب لا تختلف ، ولكننى أسالك هل ترصدهم عندك فى سجلاتك السوداء فى درجة سواء ؟

فاجاب معاتبا : كيف تظن هذا الهراء .. ؟ كيف تريدنى أن أسوى بين التافه الحقير الذى يختلس بعض المال أو ذلك الخنزير القذر الذى يخلو فى ظلمات العار والحرام بامرأة ما ، كيف أسوى بين هذا أو ذاك بذلك المتربع على عرش سلطة عظمى ويأمر قاذفات النار بتدمير القرى على ألوف النســـاء والأطفال ثم يشرب سعيدا نخب هذا الإنتصار !؟ إن هذا الرجل يسير تحت ظل جناحى على حين أدفع الآخرين باطراف أناملى ..

ثم استطرد اللعين وهو ينظر الى بعيد : ولكننى أقول لك حقا وصدقا ... إننى وضعت التـــــاج على رأس ذلك الذى اخترع القنبلة الذرية .. إننا معشر الشياطين على مدار ألوف الألوف من الأجيال لم نستطع أن نفعل ما فعلتموه أنتم بانفسكم ..

قلت : أيها الكذوب لا تحاول أن تراوغ .. إنك أكبر عالم من علماء الشر الأسود .. إنت كبير علماء الذرة والصواريخ المدمرة ، انك أنت الــذى أوحيت بها ووضعت أفكارها فى رؤوس هؤلاء ..

فاجاب فى تمعن : قد يكون الأمر كذلك على صورة ما .. ولكننى لا أفعل ذلك الا حين أجد استجابة فى القلوب .. لو كانت هناك ذرة من الحب الإنسانى والتعاطف البشرى فى قلب هؤلاء لما استمعوا الىّ وما فعلوه ..

ان الذى تعانون منه جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها هو ضياع الحب .. بالحب قامت السموات والأرض .. إن ما تسمونه أنتم جاذبيــة الكواكب لبعضها .. تلك الجاذبية التى تمنعها من التردى فى الفضاء .. هــذه الجاذبية بين الجمادات .. بين ذرات الأحجار حتى تتماسك ، كل هذا يمكن أن تسميه حبا .. ان الكائنات والجمادات والاشجار والنجوم والجبال والدواب تتعاطف أنتم فقط الذين تتغذون بالكراهية ، وإننى أنتظر الساعة التى أرث فيها وحدى

ارضكم .. ربما لا يمضى على ذلك وقت طويل .. إنكم تقتربون من ساعـــة الصفر .

قلت : إن الصياد حين يريد أن يصيد سمكة فإنه يضع لها طعما لذيذا فى الشص فما هو الطعم الذى ترى أكثر الناس يحبونه ؟

قال ضاحكا أنت كعادتك تريد أن تغوص إلى أعماق مهنتى .. لا بأس .. إن أعظم طعم يحبه الناس هو الغرور .. الغرور يجعلهم يغفلون عن حقيقة اللذات ... إنك تعرف أين تنتهى أعظم وجبات الطعام الشهى بعد ساعـــات من تناوله . ومع ذلك يرتكبون الجرائم فى سبيل المزيد مما يهيىء لهم ذلك .. وهم يرون مساكن الذين كانوا من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وبأسا ، ويسمعون من التاريخ عن مصير أصحاب الصولجان .. ومع ذلك يتكالبون ليسلكوا نفس الطـــريق ..إننى أزين لهم ذلك .. ان الكشف عن الحقيقة فى كل ذلك لا يحتاج الى ذكاء كبير .. ولكنك ترى أن أعظم العيون قدرة على الابصار تستطيع أن تحجبها عن النظر بورقة صغيرة تضعها أمام العين .. إن الورقة التى فى يدى وأضعها أمام عين الحقيقة هى الغرور .. إنهم بعد أن يذهبوا ويكشف عنهم الغطاءويصبح بصرهم حديدا .. هنالك تظهر لهم الأمور على حقيقتها .. هنالك ياكلون الاصابع ندما ويقولون ليتنا نرجع مرة أخرى بعد أن أبصرنا ..

.. أن التلميذ الصغير فى أى مدرسة هو أسعد حظا من الانسان فى الآخرة .. ان التلميذ اذا رسب فى امتحانه فأمامه فرصة الإعادة ودخول الامتحان مرة أخرى .. ولكنكم أنتم واأسفاه معشر البشر ليس أمامكم غير امتحان واحد .. إننى أحجبه عنكم بهذه الورقة التى حدثتك عنها .. إننى أسبب لكم الغيظ الأبدى .. إن ما يثلج صدرى هو انه لا رجعة لكم بعد أن تذهبوا .. لا فرصة أخرى لإصلاح ما مضى وفات ..

قلت : من الأمور التى لا لبس فيها أنك على صلة قوية باولئك الذين يدعون أنفسهم بالصهيونيين ويخيل لى أنهم أحباب لك وأنك تعتمد عليهم كثيرا . أليس الأمر كذلك تماما ؟

قال : هذا سؤال خبيث فانت تعلم جوابه .. وإنك لتدرك أنه ليس لى أحباب على الاطلاق ، أما أن يكون هناك أعوان . فنعم .. وإننى لعلى صلة قوية بهم .. وسوف تظل هذه الصلة قائمة الى آخر الدهر ، إننى أنا وهم جميعا قد طردنا من ظلال الرحمة ، إن اللعنة قد حقت على كل منا ومنهم ، أعنى على الشياطين وعليهم ، فنحن إذن سواء ، وإننى لأزهو باننى أمليت عليهم دستورهم الاجرامى العظيم الذى يسمونه « بروتوكول حكماء صهيون » وإننى لأقـــرأ فى عينيك أنك تريد أن تسالنى سؤالا آخر فتقول : وماذا أمليت عليهم فـــى دستورهم ذاك يا أبليس .. ؟ حسنا .. ساجيبك على هذا السؤال الافتراضى الذى يدور فى خلدك .. لقد رسمت لهم من بعد موسى خط السير ليكونوا زعماء الفساد بشتى أنواعه ، أعنى الفساد الاجتماعى والاقتصادى والفساد السياسى والثقافى وما الى ذلك فى كل زمان وفى كل مكان يحلون فيه ، حتى ما يمكن أن تسميه بالفساد العقائدى ، إننى أنا الذى أمليت عليهم تلك الخرافات التى دسوها فى دينكم ليشغلوا العامة منكم بكل ما هو تافه وليصرفوهم عن كل ما هو جوهرى ونافع ، وإنك لتعلم أن عدد سكان عالمكم الأرضى الآن ثلاثة آلاف ومائتا مليون واليهود منهم نسبة ضئيلة مشتتة فى البقاع المختلفة ، إنهم ثلاثة عشر مليـــونا

فحسب ، ان عددهم قليل ولكن فسادهم هائل ومريع ، ولذلك فهم يعتمدون على التسلل من وراء الأبواب التى نام عنها أصحابها ، أنهم أساتذة علم النفس فى أكثر جامعات الغرب ، ليدسوا من خلال هذا العلم بعض ما جاء فى « بروتوكول حكماء صهيون » ، إنهم على سبيل المثال يمجدون فرويد اليهودى لأن نظريته تمجد الغريزة الجنسية ويجعلها أساسا لكل شىء وهم يريدون أن يغرقوا الآخرين جميعا فى شئون الجنس ، أى يهبطوا بهم الى مستوى الدواب ، أعنى الى اسفل سافلين ، ولقد احتضنوا الفيلسوف الالمانى نيتشة لانه يرى الرحمة بالآخرين عيبا يجب الخلاص منه لقد سيطروا على عقولكم بفسادهم الثقافى أنظر الى أكثر ما تقدمه دور السينما مما يكتب عليه للكبار فقط ، إنه من صنعهم وانت تعرف ماذا يقصد بهذا التخصيص .. اننى لا أحبهم .. ولكننى فخور بهم .. وأبارك ثمار أعمالهم .. لقد كان هتلر يسوقهم الى المحارق ، ويرى أنهم وباء مستمر ، وانه لا خلاق لهم مع اصدقائهم أنهم هم الذين سيهبطون بامريكا الى الحضيض وان ما يسمى بأزمة هبوط الدولار المجيد هو بطريق غير مباشر من الخضوع الامريكى لتدبيرهم اننى أضرب هؤلاء بهؤلاء وفى النهاية وقد تكون قريبا سيلعن بعضهم بعضا وساقف من الطرفين ضاحكا شامتا .

قلت : اصدقنى الجواب .. لماذا تكشف لى بعض أسرارك على هذه الصورة !؟ الا تخشى نشرها على الآخرين .. ؟ ألا تخشى أن يعرفوك على حقيقتك .. ؟ فقال ضاحكا ساخرا : نعم .. صدقت فيما تذهب إليه .. انك تستطيع أن تنشر هذا عنى .. ولكننى أعلم من تجاربى أنك سوف تنساه .. وسوف ينساه الآخرون .. ان مثل هذا كله كمثل الدخان فى الهواء .

.. هل تذكر ما يقال عن صاحبى جحا .. ؟ ، انه يقال أنه كانت له ساقية تدور وتدور ، وتئن وهى تحمل الماء من البحر ثم تعود لتصبه فى البحر من جديد ان التقوى من عمل الارادة وليست من مجرد ترديد الكلام .

ثم أردف اللئيم وهو يتهيأ ليذوب فى ظلام الليل ، انما أبغى من وراء اخباركم بهذا ان تعلموا ليكون العذاب أشد وأنكى ، إن ذلك القول وفى الأعم الأغلب لن يتحول الى عمل .. وإنك لتعلم أنه قد يغفر للجاهل اربعين مرة قبل ان يغفر لمن يعلم مرة واحدة .. من اجل هذا كشفت لك عن بعض أسرارى حتى أزداد تشفيا منكم يوم لا ينفع الندم هناك — اننى أعلم أن هناك صراعا ابديا بينى وبينكم ولكنه قلما يجدى — لأنه صراع يدور فى الظلام ..



بأقلام القراء

للأستاذ : حسين مطر

حـــواء وقضيـــة الـــرداء

كثيرا ما أثارت قضية مظهر المرأة تساؤلات ومناقشـــات فهنـــاك تبرجها الصارخ ، وهناك الذى يقف موقف المتفرج أو المشــجع ، واذا أردنا أن نحصر مواقف النـــاس حيـــال هـــذه المسألة نجدهـــا تتلخص فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

الاتجـــاه الأول :

هناك من يعرض عن الأخذ بالأزياء الغربية باعتبار أنها تتعارض مع القيم والتراث الاجتماعى والثقافى لشرقنا العربى والاسلامى ، وهذه الفئة تتمسك بمظهر يتفق وضرورة المحافظة على تلك القيم التاريخية والثقافية باعتبار أنهـــا جزء من الكرامة الذاتيـــة القومية ، وهم فى سبيل ذلك لا يأبهـــون بســـخرية الآخرين بل يمضون فى طريقهم بفخر وتصميم واعتزاز ، لكن هذه الفئـــة تشكل نسبة قليلة فى المجتمع .

الاتجـــاه الثانى :

ويعتبر الأخذ بأنماط الأزياء نوعا من الرقى والأخذ بأحدث أساليب العصر ، والنساء من هذا الفريق يتسابقن لمعرفة أحدث خطوط الموضة فى عالم الأزياء غير مكترثات بقيم المجتمع وتراثه التاريخى والثقافى .

الاتجاه الثالث :

ويشكل الغالبية العظمى فنرى أن النساء يأخذن بمظهر الأزياء الغربيـــة كنوع من مسايرة ما درج عليه المجتمع الحديث من تغيير ، وان كـــان بعضهم يساير الاتجاه على مضض خوفا من الخروج على الاتجاه السائد لكيلا يوصموا فى نظر الغالبية وبالتخلف والجمود .

وهنا يقفز الى الذهن سؤال : ترى من هو المسئول عن مواجهة مثل هذه الظاهرة وما تسببه من صراع ؟

هل المسئول هو الدولة المهيمنة بتشريعاتها وقوانينها على أفراد المجتمع ؟

ـــ أم الفرد الذى يتمتع بنوع من الحرية وضبط النفس ؟

ـــ أم المجتمع الذى يفرض على الفرد أنماطا معينة من المعايير السلوكية بحيث لا يستطيع أن يحيد عنها بسهولة ، والا كان عقابه الاحتقار المر والعزلـــة القاتلـــة ؟

واذا وضعنا فى اعتبارنا المناقشات التى دارت حول هذا الموضوع فى بعض الأقطـــار العربية والاسلامية نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية :

١ ـ المجتمع أقوى من الفرد :

فالفرد يخاف من المجتمع ، ويحرص على إرضائه ومسايرته حتى ولو كان فى قرارة نفسه غير مقتنع أو راض عما يقوم به شخصيا ، فهو يخشى أن يقذف بالاحتقار والعزلة اذا ما خالف الخط العام الذى ينتهجه المجتمع ، فبعض الفتيات رغم ادراكها بأن ارتداء الزى الافرنجي يحرمه الدين الا أنها تصر على التمسك به لارضاء المجتمع ، إذ أن خوفها من المجتمع أقوى من خوفها من تعاليم الدين فهى على استعداد للتضحية بقيم الدين وغير مستعدة للتضحية بارضاء المجتمع .

وان محاولة الخروج على الخط العام الذى ينتهجه المجتمع أشبه بعملية مصارعة الثيران وليس بمقدور الفرد العادى أن يقوم بمهمة مصارع الثيران .

٢ ـ **دور الفرد** ونفوذه غالبا ما يكون محدودا داخل نطاق الأسرة فمهما كانت سلطة الوالدين ونفوذهما فان تأثير المجتمع أقوى بكثير من نفوذ الأسرة خاصة اذا كان المجتمع يمر بمرحلة تحول من التخلف الى التقدم ، كما هو الحال فى المجتمع العربى فى الظروف الراهنة .

٣ ـ **الدولة هى اداة لتنفيذ القانون** . والقانون غايته حفظ النظام بين أفراد المجتمع بغض النظر عن اية اعتبارات أخلاقية ، إذن ليس من أهداف القانون تغيير المجتمع ، بل إن المجتمع هو الذى يغير القانون تبعا لاحتياجاته وتطلعاته ، ولكن هل معنى ذلك أن نعفى الدولة من اية مسئولية فى عملية إصلاح المجتمع ؟

بالطبع إن الدولة بوصفها الجهاز الرسمى وحامية للقانون يمكن أن تساهم بدور فعال فى تشجيع عملية الاصلاح والتمهيد لها ، وذلك يتوقف على أسلوب النظام الحاكم وسياسته العامة ، اذن كل ما تستطيع أن تفعله الدولة هو تهيئة الجو الملائم تمهيدا لعملية الاصلاح ، ولكن الدور الرئيسى فى هذه العملية يبقى فى يد المجتمع نفسه ، أما اذا أقحمت الدولة نفسها بقوة القانون لتغيير قيم معينة فى المجتمع فان ذلك قد تكون له نتائج ايجابية فى حالات مؤقتة ملحة أو تحقيق نتائج على المدى القصير ، بينما على المدى الطويل يثبت هذا الاقحام فشله ، وخير مثل نستشهد به هو اصدار الرئيس الامريكى ابراهام لنكولن قرار تحرير العبيد منذ مائة وخمسين سنة ، ولكن ما الذى يحدث اليوم فى الولايات المتحدة ؟ إن التفرقة العنصرية لا تزال قائمة لأن عملية الاصلاح أقحمت على المجتمع من سلطة فوقية ، ولم تتم عن طريق الاقتناع الحر ، نستنتج من ذلك ان عملية تغيير المجتمع تقوم على الاقتناع الحر الذى يستغرق وقتا وجهدا طويلا قبل أن تقوم على قوة السلطة ، فما تراكم على مر عشرات أو مئات السنين لا يمكن تغييره بين يوم وليلة من خلال قانون رسمى تصدره الدولة .

وهنا لا بد أن نجيب على السؤال التالى : ما الذى يؤثر فى المجتمع ، ويشكل القيم التى تحكم سلوك أفراده ونظرتهم الى الحياة والتى على أساسها تبنى الدولة قوانينها وتشريعاتها ؟ .

فى الواقع توجد هناك عوامل تاريخية وثقافية تسهم جميعا فى بلورة قيم معينة لا تلبث أن تصبح بمرور الوقت أشياء تقليدية راسخة تحكم السلوك ، وتتحكم فى نظرة الفرد تجاه الظواهر الاجتماعية على اختلافها هذا بالاضافة الى أن نوعية رجال الثقافة والفكر تلعب الدور الأكبر فى تشكيل الراى العام وتوجيهه وارساء قواعد القيم التى يؤمنون بها ، فالمجتمع يتحكم فيه بصورة أساسية قادة الفكر من

المثقفين والكتاب والصحفيين وبقيمة رجال الثقافة والفكر خاصـــة المشتغلين بوسائل الاعلام مثل السينما والاذاعة والمسرح والتلفزيون ، وهؤلاء جميعا يقع عليهم العبء الأكبر في حمل رسالة التغيير والتطلع الى الحياة الأفضل استجابة لرغبة قطاعات الجماهير ، وتفاعلا مع أهدافها وخلفيتها التاريخية والثقافية ، لهذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير الى أهمية هذه الفئـــة من المجتمع بقوله : (العلماء ورثة الأنبياء) وتبرز أهمية الدولة في هذا المجال بأنها تقوم بمهمة الحارس الأمين عن طريق أجهزة الرقابة على الاتجاهات السلبيـــة والهدامة ، وتشجيع العناصر الناهضة البناءة ، واحاطتها بالرعاية ، وذلك كله تمهيدا لعملية التغيير الكبير التي تنشأ وتتبلور في القاعدة الشعبية ، ويكون القانون أخيرا تتويجا لرغبة الجمهور وتطلعه الى حياة سامية بعد أن وضحت أمامه معالم الطريق .

واذا نظرنا في مسألة الأزياء في مجتمعنا العربي والاسلامي نجد انها أساسا تشكل جزءا من مشكلة كبرى وهي مسألة التخلف الثقافي الذي ما زلنا نعيش فيه ، فبالنظر الى خلفية المجتمع العربي خاصة إبان الحكم العثماني الذي أطلق عليه في الغرب « الرجل المريض » نجد أن الرجل لم يكن مريضا سياسيا وحربيا فحسب بل ثقافيا واداريا أيضا .. ومن هنا بدأت الثقافة الفرنسية تتغلغل في ممالك الدولة العثمانية ممثلة أساسا في تلك القوانين التي ما زالت تحكم حياتنا الاجتماعية حتى يومنا هذا ، ثم أخذت تنافس الثقافة الفرنسية أو تحل محلها بالتدريج الثقافة الانجليزية ـــ الامريكية ممثلة في الأزياء والأفلام السينمائية والسلع الكمالية ..

واذا نظرنا للاستقلال الحقيقي الذي تحرزه أي أمة نجده يتمثل في الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي والاستقلال الثقافي ، واذا لم يتبع الاستقلال السياسي باستقلال اقتصادي وثقافي فانه بمرور الوقت الى استقلال شكلي محض خال من أية معنى ، وان الشرق العربي حتى الآن لم يكد يستكمل استقلاله السياسي ، فالانسان العربي لا يزال انسانا مستهلكا أكثر منه انسانا منتجا هذا بالاضافة الى أن هناك تبعية صارخة للفكر الغربي ، نجد آثار هذه التبعية تتمثل في الاعتقاد السائد وهو أن الغرب متقدم في كل شيء ، وأننا متخلفون في كل شيء ، وترتب على ذلك أن أخذنا عن الغرب الغث والسمين ، ولم يقتصر ذلك على النواحي المادية من تقليد المظاهر وما يتصل بها بل امتد ذلك الى النواحي الثقافية والفكرية حيث نجد أن طائفة كبيرة من المثقفين والكتاب والصحفيين وبعض أساتذة الجامعات قد صبغوا أنفسهم بالصبغة الغربية ، وهذه الطائفة بالتضافر الطبيعي مع غيرها من أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي السائد في الظرف الراهن أصبحت تشكل مركز القوة في قيادة الرأي العام وتشكيله طبقا لاتجاهاتها ومشاريعها ، ماذا كان نتيجة ذلك كله ؟ لقد أصبح هناك جيل يتباهى ويفتخر بانتمائه للثقافة الغربية ومحاكاتها ، ويهمل تراثه الثقافي المحلي بل وينظر اليه بعين الازدراء والاحتقار في أغلب الأحيان .

ولقد لعبت الدعاية الواسعة المكثفة التي نشرها الغرب من حول ثقافته مستخدما في ذلك شتى الطرق من أفلام سينمائية وسلع كماليـــة ومراكـــز الاستعلامات والمعاهد الثقافية ـــ دورا فعالا في نشر ثقافته وأسلوب حياتـــه واضفاء طابع العالمية عليها وكأن الغرب أصبح هو العالم كله !

وفي عالم الأزياء نجد أن بيوت الأزياء « الراقية » التي تدعمها المجـــلات المتخصصة في هذا الشأن تقوم بدور فعال في الدعاية لما تفرزه بيوت الأزياء

ومصمموها فى باريس وروما ولندن ونيويورك . واذا أمعنا النظر فى أسلوب تصميم تلك التقاليع وتطورها من فترة لأخرى نجد أنها تتبع أسلوبا فى تعرية جسد المرأة شيئا فشيئا ، وأن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أسلوب الحضارة الغربية الذى يقوم أساسا على عبادة الجسد والخلود إلى القيم الأرضية ، ولذلك أسباب حضارية يطول شرحها . .

واذا كان مصممو الأزياء فى بعض الأحيان قد ابتكروا تقاليع تبدو محافظة مثل « الميدى » و « الماكسى » والبنطلونات العريضة ، فان ذلك لا يمثل تغييرا جوهريا فى أسلوبهم ، بل إنه فى الواقع يمثل انعطافا مؤقتا يهدف الى تغيير أمزجتهم التى أصيبت بنوع من الحساسية من جراء الاستثارة التى أحدثتها تقليعة « المينى جيب » ولهذا نجدهم بعد فترة وجيزة يعاودون الكرة ، ويطلعون على العالم بما أسموه « الشورت الساخن » إمعانا فى الإثارة الجنسية الصارخة !!

وانه لمن المضحك والمؤسف فى الوقت نفسه أن حواء تقف من كل ذلك مسرورة متلهفة على كل ما يصدره « مبدعو الموضة » واذا بها تغدو دمية فى أيديهم يعبثون بها كيفما شاءوا ، فلو فرضنا على سبيل المثال أن فتاة تجرأت ولبست رداء يشبه (الماكسى) أو (الميدى) قبل أن يصرح (سلوك الموضة) بتداوله لوصمها الجميع بالتخلف والرجعية والجمود . . الى آخر ذلك من قائمة الاتهامات التقليدية . . ولكن عندما صدر الإذن من (أصحاب الجلالة) الى حواء اذا بها لا تجد غضاضة فى ارتداء (الماكسى) بل اقبلت عليه بنفس الحماس الذى اقبلت فيه على ارتداء (المينى جيب) من قبل ، رغم ما بينهما من فرق شاسع !

واذا كان البعض يرى أن ارتداء الملابس الافرنجية للمرأة يضفى عليها نوعا من تذوق الجمال والأناقة ، وان ابراز مفاتنها يغذى الجمال فاننا نقول لهم : حسنا . إن ذلك سوف يكون رائعا لو كان الانسان ملاكا أى روحا فقط ، ولكن الانسان مكون من روح وجسد معا ، وليس مجرد روح فحسب . أى أن جمال المرأة ، واظهار مفاتنها يرتبط عادة باستثارة جنسية لا يمكن انكارها ، ثم ما يترتب على ذلك من اعتبارات أخلاقية وانسانية .

هذا وأن مظهر الانسان كما يقول علماء النفس هو جزء من شخصيته ، فمظهر حواء وتبرجها الصارخ بعرض مفاتنها إنما يؤثر أبلغ التأثير فى التكوين الداخلى لشخصيتها ، فينعكس ذلك . على سلوكها ونظرتها الى الحياة ، فالرداء المحتشم يكسبها هيبة ورزانة ووقارا ، ويضفى عليها جمالا روحيا أساسه البساطة وعدم التكلف ، أما الرداء الفاضح المثير فانه يجعلها تفقد كثيرا من خصائص أنوثتها خاصة حياءها ، ثم ما يترتب على ذلك كله من الأضرار التى تلحق بالانسان بصفة عامة من انحطاط فى النتاج الفكرى والوجدانى ، وتجعل الحياة الانسانية تهوى الى الحضيض .

واذا تأملنا الطبيعة من حولنا نجد ان للأشجار أوراقا تكسوها وللطيور ريشها وللحيوانات أشعارها وأوبارها ، ولكن ما بال الانسان ؟ إن للانسان عقلا استطاع به أن يصنع ما يستر جسده ويضفى عليه مظهرا لائقا ، فاذا تصورنا الأشجار بدون أوراقها تكسوها والطيور بدون ريشها والحيوانات بدون أشعارها وأوبارها أمكن لنا أن نتصور الانسان بدون رداء لائق يستره ، وصدق الله العظيم اذ يقول فى محكم آياته :

« يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » ــ سورة الاعراف الآية ٢٦ ــ .

الفتاوى

حرمة بيع الأراضى العربية لليهود

السؤال :

رجل مسلم يملك قطعة أرض فضـــــاء داخل البلدة التى يقطنها ، طمع يهودى فى شرائها ليقيم عليها دارا للسينما تدر عليه ربحا وفيرا ، فهل يجوز له بيعها .. ؟

رفع هذا السؤال الى فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى جمهورية مصر العربية الأسبق وقد أجاب عليه بما يلى :

الاجابة :

ان السياسة اليهودية — فى أنحاء العالم بلا مراء — تقوم على انتزاع البلاد العربية من اهلها واجلائهم عنها بطريق التملك الفردى ، فيتقدم اليهودى الى العربى لشراء عقاره بثمن يغريه ، فيقع فى الشرك ويتم الصــــفقة ، ثم يتقدم يهودى آخر الى مالك آخر عربى بمثل ذلك ، حتى إذا أحاطوا بالقرية ، ورســــخت أقدامهم فيها ، وكثر عديدهم بها ، أرغموا الباقين من العرب على الهجرة منها بشتى الوسائل الوحشية ..

وهكذا ينتقلون من قرية الى أخرى حتى تسلم البلاد لهم فيمسى أهلهـــا العرب ، وقد جردوا من أملاكهم وحرموا من أقواتهم ، وأجلوا عن أوطانهم ، وشردوا فى الآفاق عشرات الآلاف شر مشرد يعانون الجوع والعرى والفاقة ، ويشربون كأس الذل دهاقا .

فعل اليهود ذلك فى فلسطين ، ويرومون تنفيذ هذه السياسة فى غيرها من البلاد العربية الاسلامية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فى ضعة ومذلة ، وسكون ومسكنة حتى اذا تم لهم الأمر ، ولو بعد سنين لبسوا جلود النمور ، وكشروا عن أنياب الشر والانتقام ، وأحالوها فلسطين أخرى .

وقد أعدوا العدة لذلك ، ونحن أغفال نيام ننخدع بمســــكنتهم ، ونغتر بظواهر أحوالهم ، ونظن انهم قلة لا يقدرون على كيد ، والله يعلم والتاريخ يشهد أن يهود العالم عصبة واحدة يشد بعضهم أزر بعض ، وينفذون كل ما ترسمه قياداتهم العامة فى الوطن الذى يعيشون فيه ، ويقتاتون منه ، مهما أضر ذلك بأهل الوطن تلك هى نتيجة بيع الأراضى العربية لليهود .

والآن وقد وضحت هذه السياسة الخبيثة والخطط الماكرة باجلى برهان يجب أن يكف المسلم عن بيع ملكه لليهودى مهما أغراه الثمن ، وإلا كان بهذا البيع معينا لألد عدو على ضياع بلاد الاسلام وتمكين أبغض عباد الله الى الله من التحكم فى ديار المسلمين ورقابهم وأموالهم وأعراضهم بأبشع صور وأدنئها ،

ان كل ربح ينـــــاله اليهودي فى بلادنا قوة له وعدة ، واذا كان على كل يهودي فى العالم قسط من المال يؤديه لاسرائيل لاعزازها وتمكينها من القضاء على العروبة والاسلام لا فى فلسطين وحدها ، بل فيها وفى ســـــائر الأقطار الاســـــلامية ، وجب الا يمكن من ربح يربحه ببيع أو شراء وإلا كان ذلك وبالا ومضرة بالمسلمين .

اليهودي يحرم على نفسه أن يسدى النصح لمسلم بما ينفعه فى دنياه ، وأن يدع مسلما ينعم بخير دون أن ينغص عيشه ، ويمتص دمه ، ويســـتنزف ماله ، ومن أجل ذلك أشاعوا الربا بين المســلمين ، وقد حرصوا عليه ، وقد نهوا عنه كما أخبر الله تعـــالى بقوله : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » .وقوله تعالى : « أكالون للسحت » .

واليهودي يحرم على نفسه أن يبيع عربيا أو مســـلما شبرا من أرض فلسطين مهما بذل من ثمن فما بالنا قد عميت أبصارنا عن هذه الحقـــائق ، وصمت آذاننا عن سماع الأنباء الصادقة عن هذه الخطط الشنيعة الماكرة فى ديارنا ، وافسحنا لهم مكان الصدارة فى اقتصادياتنا ، وتركناهم يتحكمون فى تجاراتنا واسواقنا ، وهم الد أعدائنا.كما قال تعالى : « لتجدن أشد النـــاس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

لا تبيعوا لهم أيها المسلمون شـــيئا من أملاككم مهما بذلوا من ثمن ، واحذروهم فى دياركم فانهم أول الناس حربا عليكم وخيانة لكم ، واعلموا أن البيع لهم معصية لله لما فيه من التقوية والتمكين لهم فى الأرض ، وذلك يسبب خطرا عظيما لجماعة المســـلمين ، وقد حرم بعض الأئمة كل بيع أعان على معصية ، وكذلك حرم بيع عصير العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرا ، فعن أبى هريرة عند أبى داود وعن ابن عباس عند ابن حبان وعن ابن مســـعود عند الحاكم وعن بريدة عند الطبرانى فى الأوسط من طريق محمد بن أحمد بن أبى خيثمة بلفظ « من حبس العنب أيام القطف حتى يبيعه من يهودي أو نصرانى ، أو من يتخذه خمرا فقد تقحم النار على بصيرة » حسنه الحافظ فى بلوغ المرام واستدل به فى المنتقى على تحريم كل بيع أعان على معصية ١ هـ . من نيل الأوطار للشوكانى .

ومن هذا يعلم السائل وغيره أنه لا يجوز بيع أرضه لليهودي لأنه مظنة الاضرار بجماعة المسلمين عامة ، وقد علمت أن اليهود عصبة واحدة ، وانهم جميعا صهيونيون يدينون لاسرائيل ، وبالكيد للعرب والمسلمين بشتى الوسائل فى أقل الأشياء وأحقرها فضلا عن أكثرها وأعظمها .

التعويض ميراث

السؤال :

يعمل زوجي كهربائيا فى احدى الشركات ، وقد صعقه التيار اثناء قيامه بعمله ، ودفعت الشركة لنا تعويضـــا ، فهل يقسم التعويض بين الورثة ، أو تختص به الزوجة علما باننى لم أنجب منه .. ؟

الاجابة :

مبلغ التعويض حكمه حكم الدية ، فيقسم قسمة الميراث بين سائر الورثة .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

جمع القرآن الكريم ودوافعه

☐ **جمع القرآن فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عهد الخليفتين ابى بكر الصديق وعثمان بن عفان .**

١١٢

فما الفرق بين مرات الجمع فى العصور الثلاثة وما هى الدوافع ..؟

مصطفى الموسوى ــ بغداد

... ...

كان القرآن قد حظى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاهتمام الكبير ، فبجانب حرص الرسول على جمعه فى القلوب والصدور جريا على ما الفه العرب إذ كانوا يعتمدون فى تسجيل احداثهم واشعارهم على صدورهم عنى الرسول بكتابته ، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة ، ولقد اتخذ الرسول كتابا للوحى يدونون كل شىء ينزل من القرآن الكريم ، وكان كتاب الوحى من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، ويكتبون على العسف ، واللخاف ، والرقاع ، والعظام ، ثم يوضع المكتوب فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه ظل منثورا طوال العهد النبوى الشريف .

ثم آلت الخلافة الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد واجه الخليفة الأول عدة مشاكل فى بداية توليه ، منها موقعة اليمامة إذ دارت فيها الحرب بين المسلمين واهل الردة من اتباع مسيلمة الكذاب ، واستشهد فيها عدد كبير من حفظة القرآن ، فعز ذلك على المسلمين ، ودخل عمر على الخليفة ، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ والقراء ، وبعد تردد قبل الخليفة الفكرة ، وشرح الله صدره لها ، واختار رجلا من خيرة الصحابة هو زيد بن ثابت رضى الله عنه فلم يكتف بما حفظ فى قلبه ، بل جعل يتتبع ما كتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان محفوظا فى صدور الرجال .

وتم الجمع فى صحف لاقت ما تستحقه من عناية فائقة ، وحفظها أبو بكر عنده ، ثم حفظها عمر ، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعـــد وفاة عمر حتى طلبها سيدنا عثمان .

وقد كان الغرض من الجمع فى عهد أبى بكر نقل القرآن وكتابته فى صحف مرتبة الآيات خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفاظه .

وفى عصر سيدنا عثمان تفرق الصحابة من الحفظة فى الأمصار وساحوا فى الأقطار ، وظهرت أجيال هى فى أمس الحاجة الى دراسة القرآن ، وخصوصا أنه قد طال عهد الناس بالرسول وزمن نزول القرآن ، وبدأ كل إقليم يقرأ بقراءة الصحابى الذى بينهم ، فقرأ أهل الشام بقراءة أبى بن كعب ، وأهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود ، وآخرون قراوا لأبى موسى الأشعرى ، وقد كان بينهم اختلاف فى حروف الأداء ووجوه القراءة ، وتبعا لهذا فتح باب الشقاق والنزاع حول طريقة قراءة القرآن ، لعدم وجود الرسول بينهم يرجعون اليه ، ويصدرون جميعا عن رأيه ، وكادت تكون فتنة لا تقف عند حد .

أخرج ابن أبى داود فى المصاحف من طريق أبى قلابة أنه قال : لما كانت خلافة عثمان بن عفان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضـــا ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم عندى تختلفون فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا » .

لهذه الأسباب رأى سيدنا عثمان بثاقب فكره أن يتدارك الأمر ، فجمع الصحابة وذوى الرأى منهم ، فأجمعوا أمرهم على كتابة المصحف ، وحرق ما عداه ، ووزع على الأمصار ، وكانت الكتابة عبارة عن نقل ما فى الصحف المجمع على صحتها الى مصحف واحـــد ، والغرض قطع الطريق على الفتنة قبل أن يشتد أمرها ، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل .

تعظيم المسلمين للحجر الأسود

□ لماذا يعظم المسلمون الحجر الأسود دون غيره من الحجارة ..؟

محمد حسن معارك ــ اربد ــ الاردن

رويت عن الحجر الأسود روايات متعددة فى سبب تعظيم واهتمام المسلمين به على مر العصور ، ولقد حظى الحجر الأسود بهذه المكانة فى نفوس الناس لاهتمام الرسول به ، فقد حرص على تقبيله واستلامه عند الطواف ، وظلت هذه ملازمة للحاج إذ يبدأ الطواف منه ، ويكبر عندما يحازيه ، واهتمام الناس به حتى قبل الاسلام كان كبيرا ، فقد روى أن قريشا هدمت الكعبة ، وأعادت بناءها ، واختلفوا فيمن يرفع الحجر الأسود الى مكانه من البناء الجديد ، وقد هداهم

تفكيرهم الى ترك الفصل فى هذا الأمر لأول قادم عليهم ، وكان سيدنا محمد أول قادم وذلك قبل البعثة .

ثم جاء الاسلام فأعطى له هذه المكانة التى تحدثت عنها الروايات ، ومنها ما روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه : ((**حدثنا سعيد بن أبى مريم ـ قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرنى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للركن أما والله إنى لأعلم أنك حجـر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك**)) .

وعن ابن عمر قال : ((**استقبل النبى صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا**)) وعن الزبير بن عربى قال : ((**سأل رجل ابن عمر رضى الله عنهما عن استلام الحجر فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، قال قلت أرأيت إن زحمت أرأيت ان غلبت قال اجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله**)) .

وعليه فقد وضح ما للحجر الأسود من اثر عظيم فى نفوس المسلمين . .

جزر البحر الأحمر

□ **كم جزيرة فى البحر الأحمر ، وما اهمية هذه الجزر من الناحية العسكرية ؟**

ابو الوليد الحساوى ـ الاحساء

يطل على البحر الأحمر ست دول عربيـة هى اليمن الجنوبيـة ، اليمـن الشمالية والسودان والسـعودية والأردن ومصر ، وينتشر على صفحة البحر الأحمر حوالى ثمانين جزيرة بعضها تابع للصـومال ، وبعضها تابع لأثيوبيا ، وبعضها يتبع السعودية واليمن الجنوبية والشمالية ، وأهم هذه الجزر (بريم) اليمنية وموقعها استراتيجى هام ، فهى تقع فى وسط باب المندب ويمكن بواسطتها التحكم فى الدخول والخروج الى البحر الأحمر .

وتتجه الأطماع الصهيونية الى الاستيلاء على عدد من هذه الجزر ، وواجب الدول العربيـة أن تتنبه لهذا الخطر بالسيطرة الفعلية العسكرية عليها قبل أن يسبق العدو الى احتلالها .



قالت صحف العالم

الاسلام بنفسه لا بأتباعـــــه

ان ضعف المســــلمين وهوانهم ، وذلهم وخذلانهم ، يعود الى انحرافهم عن الدين لا الى تمسكهم به ، وما أصابهم من هزيمة نتيجة لهذا دليل على صدقه ، وتأييد لكتابه ، فطالمـا حذرهم عاقبة تفريطهم ، وأنذرهم مغبة معاصيهم ، لكنهم لم يصغوا اليه ، ولم يستمعوا له . فاستأهلوا غضب الله وعقابه ، واستحقوا مقته وعذابه ، والكفار قد يسلطهم الله على المؤمنين تاديبا لهم ، لانهم أحق بان يذعنوا له ، ولا عذر لهم اذا عصوا ربهم ، وخالفوا كتـــابهم بعد ان علموا منه ان المعاصى تجر الى أوخم العواقب .

ويعجبنى هنا قول عمر فى نصيحة ساقها الى سعد ابن أبى وقاص « أما بعد فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعـــاصى من عدوكم فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم .

وانما ينصر المســــلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة والا ننصر بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاســـتحوا منهم ولا تكونوا عصاة الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل — لما علموا بمســـاخط الله — كفار المجوس « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » . واسالوا الله العون على أنفسكم كما تســـالونه النصر على عدوكم .

ويعجبنى قول الهرمزان لعمر مبينا سر انتصار الفرس على العرب فى الجاهلية ، وسر انتصار العرب على الفرس فى الاسلام — انا كنا واياكم فى الجاهلية — كان الله قد خلى بيننـــا وبينكم فغلبناكم ، فلما كان معكم — فى الاسلام غلبتمونا .

والقرآن سبق الى تقرير هذه الحقيقة حيث يقول — « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصــلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

« ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

والاحاديث النبوية تؤكد هذا المعنى أيضا ، قال صلى الله عليه وسلم : « توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها » فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا ولكنكم غثاء الســيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهـــابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت . (أخرجه أبو داود عن ثوبان) .

وفى الموطا عن مالك أنه بلغه أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، اذا كثر الخبث .

وفى سنن الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى

بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقـــابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم .

هذه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية تشهد بأن المعاصى شؤم على أصحابها وعلى من يرضى بها وتشعر بأنها تحرم المؤمنين من عون الله فيدعهم وأنفسهم ويســـلط عليهم عدوهم حتى يضطر الى اللجوء اليه ، ويحملهم على الاستعانة به .

ويدفعهم الى الوقوف ببابه وتنفيذ وصايا كتابه ، ومن لطف الله أن يسوق اليهم من يؤدبهم لئلا يستمروا فى غفلتهم ، وليحملهم بعد أن يلمسوا أثر معاصيهم على أن ينفروا منها ، ويبتعدوا عنها ، ويقبلوا على تعاليمهم ، ويستمسكوا بمبادىء دينهم حقا أن كثيرا من المسلمين قد أساءوا الى الدين ، وشوهوا صورته ، فغطت مساوئهم على محاسن الاسلام ، وحجبت عيوبهم مزاياه وفضائله . وظن الجاهلون بحقيقته أن ما عليه المسلمون من فساد وفوضى واضطراب هو بسبب ضعف المسلمين ، وسر نكستهم والحائل دون نهضتهم ، ومن أجل ذلك قال جمال الدين الافغانى :

« اذا أردنا أن ندعو أحرار أوروبا الى ديننا وجب علينا أن نقنعهم أولا بأننا لسنا مسلمين فانهم ينظرون الينا من خلال القرآن الكريم — ورفع كفيه وفرج بين أصابعهما فيرون وراءه أقواما فشا فيهم الجهل والتخاذل والتواكل .. فيقولون — لو كان هذا الكتاب حقا مصـــلحا ما كان اتباعه كما نرى » .

عن مجلة التضامن الاسلامى المصورة

مشــــكلتنا الحضــارية

ان الرجل الذى يعيش فى بلد متخلف لا يدرك بسبب عقدة تخلفه أن المسافة التى بينه وبين من يعيش فى بلد متقدم يمكن أن تقاس بالافكار اى أنه يعتقد أن تخلفه متمثل فى نقص ما لديه من بنوك ومدافع وعمارات . وبعبارة أخرى يرجع سبب التخلف الى نقص الاشـــياء لا الافكار ولهذا يحاول تعويض هذا النقص بأى وسيلة ومن أى طريق فتكون تلك المظاهر الساذجة لمســـاعيه واهتماماته ، وتلك الصور المظلمة لأفكاره وتصوراته .. فالتكديس كما يكون فى الاشياء يكون فى الافكار ولعله هنا أخطر وأدعى للأسف لأن تأثيره فى المجتمع أعمق وانتشاره بين المتعلمين أوسع ، وكما نجد من مظاهره ونتائجه هناك تلك العقلية التى تريد أن تستورده حتى برودة الطقس نجد من مظاهره ونتائجه هنا عقلية تقلد الآخرين حتى فى اسدال الشعور والمبيت فى العراء وبين هذه وتلك تختلف النماذج وتتعدد الصور باختلاف التربية والثقافة والمحيط الاجتماعى .. فمن قائل إن الحضارة تكمن فى اختلاط الجنسين وكفى .. وآخر يظنها كلمات أجنبية يرطن بها كالأعجمى بمناسبة وبغير مناسبة وشعارات وهتافات يرددها أو يطلقها فى حماس أحمق يدعو الى الضحك والبـكاء معا .. الى ثالث يرى أن السبيل الوحيد للنهضة هو تحرير المرأة من أنوثتها وثيابها وتحرير الرجل من رجولته وأخلاقه ، الى رابع يقاتل على مخلفات القرن الثامن والتاسع عشر من سقيم النظريات وشطحات الفكر زاعما أنه تقدمى يهاجم الماضى وآثاره فى انفعال مجنون ينسى معه أن أفكاره هو بل ألفاظه نفسها متخلفة نصف قرن على الأقل الى خامس لا يرى من النهضة غير مظاهر الانحراف فى بعض المجتمعات وبدل أن يدعو الى اقتباس الصالح دون سواه تراه مصرا على نقل كل ما هو فاسد مضر وكأنه لا يعرف شيئا جديرا بالاهتمام غيره وما ظواهر التخنفس والتخنث والتقاتل على مخلفات القرون ونفايات الأفكار الا مظاهر لاستجابات غير واعية لمتطلبات الظروف التى تعيشها أمتنا ، وتعبيرات عملية عن مشاعر القلق ونتائج الفراغ وسوء التربية فى البيوت والمدارس وليس من قصـــدى هنا أن أهين أولئك أو ألوم هؤلاء فالذنب ليس ذنبهم وحدهم وانما يقع على جميع فئات المجتمع ، بل انى أرى أن الأشر من أولئك جميعا ذلك الصنف الذى لا يرى شيئا ولا يفهم شيئا ولا يبحث عن شىء بل هو يعادى أولئك الذين يفكرون ويبحثون فهو فى الحقيقة مشلول التفكير معطل الحواس يعيش عالة على المجتمع وعلى التاريخ .

عن مجلة جوهر الاسلام التونسية

اعداد : فهمى الإمـام







الكـــويت :

○ كان للمبادرات التى قام بها سمو الأمير المعظم لتطويق الأحـداث فى لبنان اثر فعال فى تهدئة الخـواطر وحل الأزمة .

○ زار البلاد السيد حمدىولد مكناس وزير خارجية جمهـورية موريتانيـا الاسلامية ، ويرى فى الصورة سمو أمير البـلاد المعظم وهـو يستقبل الضيف الكـريم فى قصـر السيف العامر .

○ استقبل سمو ولى العهد ورئيس مجـلس الوزراء فى مكتبـه مولاى عبد الله الممثل الشخصى لجلالة الملك الحسن الثانى ملك المملكة المغربيـة الذى زار البلاد فى الشهر الماضى .

○ قام وزير الحربية المصرى الفريق أول أحمـد اسـماعيل على بزيارة البلاد ، وقد استقبله سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح فى مكتبه بوزارة الدفاع .

○ تلقى سـعادة وزير الأوقـاف والشؤون الاسلامية دعوة لزيارة كل من الجزائر والمغرب والأردن .

○ أوقفت الحكومة ضخ النفط لـمدة ساعة يوم ١٩٧٣/٥/١٥ بمناسـبة ذكرى اغتصاب فلسطين تعبيرا عن الرفض العـربى لوجـود الكيـان الاسرائيلى فى فلسطين .

○ اسـتقبلت وزارة الأوقـاف والشئون الاسلامية وفدا سودانيـا برياسة الشيخ عوض الله صـالح

مفتي السودان ، والوفد يقوم بجولة فى الخليج العربى بغية الحصول على مساعدات لانشاء المركز الاسلامى فى السودان .

○ قام وفد من مسلمى استراليا بزيارة البلاد ، وبحث مع المسئولين أوضاع المسلمين فى أستراليا ، وتنشيط الحركة الاسلامية فى القارة الاسترالية .

○ زار الكويت تنكو عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر الاسلامى ضمن جولة يقوم بها فى عدد من الأقطار العربية .. والغرض من الزيارة البحث فى موضوع تأسيس بنك اسلامى كان قد تم الاتفاق بشأنه فى المؤتمر الاسلامى الأخير .

القاهرة :

○ زار جلالة الملك فيصل جمهورية مصر العربية ، واجتمع الى الرئيس أنور السادات وتدارسا الموقف الراهن وأزمة الشرق الأوسط .

○ تلقى الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر طلبات من السعودية والكويت ودول الخليج لايفاد ٥٠٠ من خريجات كلية البنات بجامعة الأزهر للعمل بالتدريس فى هذه الدول .

○ بدأ مجمع البحوث الاسلامية بتنفيذ أكبر مشروع لاحياء التراث الاسلامى وذلك بالاعداد على مدى ثلاث سنوات قادمة لنشر نحو ألف كتاب من أمهات كتب الحديث والسيرة والتفسير والفقه واللغة العربية والتصوف الاسلامى .

السعودية :

○ حذر وزير البترول السعودى الولايات المتحدة من أن بلاده لن تزيد انتاجها الحالى من النفط ما لم تبدل واشنطن موقفها المؤيد لاسرائيل .

لبنان :

○ وقعت فى لبنان أحداث دموية مؤسفة بين الجيش اللبنانى والفدائيين الفلسطينيين وتدخل الوسطاء العرب لانهاء الأزمة .

العراق :

○ ستنشأ فى بغداد دار لحفظ المخطوطات .. وهى أول دار من نوعها فى العراق والوطن العربى .

قطر :

○ ساهمت قطر بجزء من المساعدات المالية العربية لسوريا فى نضالها ضد اسرائيل .

أبو ظبى :

○ أعلن الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة أن على الدول التى تشترى النفط العربى أن تؤيد العرب فى قضاياهم الوطنية أو تتخذ موقف اللامنحاز .

فلسطين المحتلة :

○ أقامت اسرائيل عرضا عسكريا فى مدينة القدس بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصابها فلسطين بالرغم من استنكار العالم لذلك .

○ تلقت اسرائيل ما يزيد على (٨٥٢٥) مليار دولار أمريكى خلال العشرين سنة الأولى من انشائها ..

ليبيا :

○ أخطر الرئيس القذافى رؤساء الدول الافريقية بأن ليبيا ستقاطع اجتماع القمة وتطلب نقل مقر منظمة الوحدة الافريقية الى القاهرة ما لم تحدد الدول الافريقية موقفها من اسرائيل .

○ عاد الى روما ٩٠٠ ايطالى من ليبيا لعدم حيازتهم على جوازات سفر فيها ترجمة عربية رسمية لبيانات الجواز .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

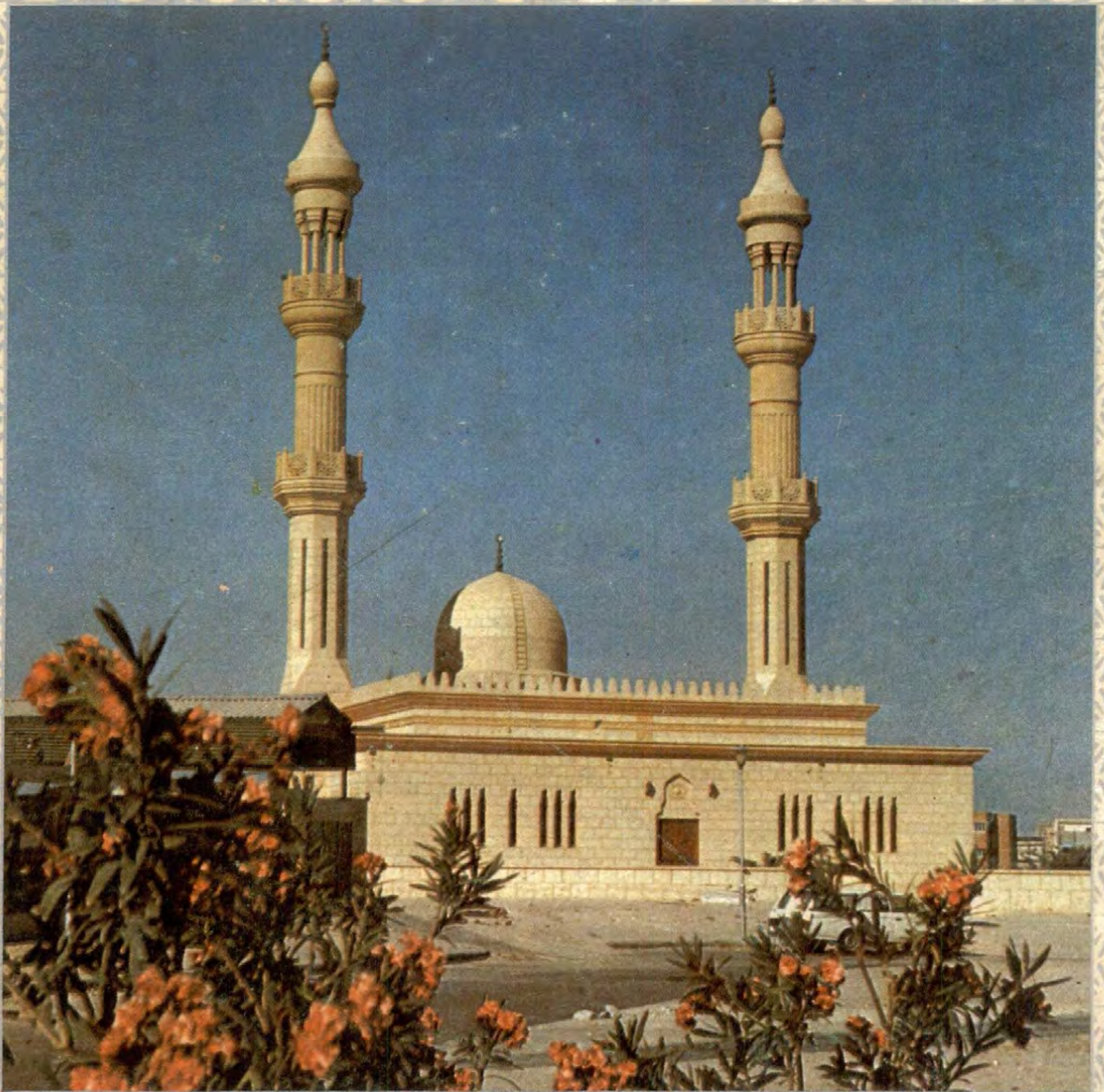
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ـ العدد ١٠٢ ـ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ ـ ١ يوليو ١٩٧٣ م



الحمد لله

الذي أنزل على

عبده الكتاب

محمد مؤذن

ولم يجعل له عوجا

مسجد عبد اللطيف العثمان



أحد المساجد الحديثة فى الكويت ويقع فى ضاحية عبد الله السالم ويمتاز بمنارتيه العاليتين . تتوسطهما قبة مربعة من الداخل وهو مزود بمكيفات الهواء ومبردات الماء ، وبلغت تكاليفه سبعين ألف دينار .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠٢)

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ

(١) يوليو (تموز) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

حاضر المسلمين

حاضرنا هو واقعنا الذى نعيش فيه بكل أبعاده وجوانبه وزواياه ..

هو الصورة العامة للحياة التي تنتظمنا جميعا شعوبا وقبائل ، حضرا وبدوا ، أكثرية وأقلية .. هو الحقيقة المجردة التى تعبر عن مظاهر التقدم ومظاهر التخلف فى حياتنا ..

هو أساليب الحكم ومناهج الثقافة ، وموارد الثروة ووسائل الاستثمار والمناخ الاجتماعى الذى يسودنا ويتحكم فينا .. هو القوى المادية والقوى المعنوية التى تحركنا من الداخل وتسيرنا فى الخارج ، ونمارس نشاطنا تحت دفعها وتأثيرها .

حاضر المسلمين هو وضعهم الدولى والعلاقات التى تربطهم بالأمم من صداقة وعداوة وعدم انحياز .. هو دينهم ومعتقداتهم وقيمهم ، ومدى قربهم من هذا كله وحرصهم عليه ، أو بعدهم عنه وتفريطهم فيه .. هو تصورهم لهذا الحاضر واحساسهم به ومقدار رضاهم عنه أو استيائهم منه .

هذه الأبعاد والمفاهيم كلها بعض معطيات « الحاضر » ومحتواه كما تفصح عنه اللغة ... أما الماضى فهو الموجود الذى طوته الليالى والايام ولم يبق منه الا العبرة والذكرى ، وأما المستقبل فهو القادم الذى استكن فى ضمير الغيب ، وتعلقت به آمال الجادين والهازلين .

محنــة :

وحاضر المسلمين يعتبر محنة من أشق المحن واقساها ، ويعد مرحلــة من أخطر مراحل حياتهم وأدقها ، وعليها يتوقف مصيرهم ، ويتحدد مستقبــل أجيالهم . والمسلمون حقا يعيشون فى هذه المحنة بين الأمم غرباء غير مكرمين يلفهم الظلام ، وتنبحهم الكلاب ويتجهم لهم اللئام ، وتغلق فى وجوههم الأبواب ويغرى بهم الصغار ، ويضحك عليهم الكبار .

كل مسلم غيور على دينه يعيش الآن على ظهر الأرض يشعر بأنه مضيع وأن شخصيته المتميزة التى تحددها عقيدته لا وجــود لها ، وان نظرته الــى ماضيه الحافل وتاريخه المجيد ومكانته السابقة بين الأمم العريقة ، تزيد مــن مرارة احساسه بألم الضياع وفقدان الشخصية ، فليس هو شامة بين الناس كما كان من قبل ، وليست أمته خير الأمم كما كانت فى الماضى ، وحيثما تلفت الى أمته الكبرى وجد حقا ضائعا وبشرا مضيعا وأرضا مغتصبة وجماعــات مشردة وكيانا ممزقا ، ومؤامرات متقنة غنية متعددة تستهدف القضــاء على دينه ، وتبغى السيطرة على أمته أرضا وبشرا وعقلا وفكرا وموارد ومقدرات .

فتــن :

والمسلمون يقيمون على ضيــم الحاضر ، ويتجرعونــه بكل ما فيه من مرارة ، تتهاوى على رؤسهم وظهورهم مطارق أحداثه الدامية .. فمع مغيب كل شمس نازلة فادحة ، وفى فحمة كل ليل فتنة عارمة .. فى الفلبين مذبحة ، وفى ارتيريا مقصلة ، وفى الهند أسارى مكبلون ، وفى افريقيا أكثرية تحولت فى جو الحقد والعداوة للاسلام الى أقليات مضطهدة ، وفى أوروبا فئــات مؤمنة مضيعة وشباب منا مفتون ، والمطابع فى بلاد الجليد والضباب والالحاد تغرق الأسواق بكتب تحقر الاسلام وتتهجم على القــرآن ، وتطعن فى نبــى التوحيد ، وتفترى الكذب على الله وعلى الناس .

وفى قلب العروبة ومشرق الاسلام دعوات هدامة تتسلل الى العقــول المضللة والقلوب الواهنة فتملأ فراغها بالكفر والالحاد ، وتغريها بالتمرد على الدين والانسلاخ من العقيدة ، وتكره لها الايمــان ، وتحبــب لها الفســوق والعصيان ، ومما يزيد من فداحة هذا الخطر أن حملــة هذه الدعوات ممــن ينتسبون الى الاسلام اسما ، فهم يطعنون الاسلام فى صميمه ، وينكــرون أصوله وأركانه ، ويمارون فيما أوحى الله وأنزله ، ويجادلون فيما أحل وحرم مما لا يقبل تأويلا ولا مناقشة .

« فهذا ينكر أصل الايمان
وهذا يمارى فى حقيقة النبوات وامكان الوحى
وهذا يتساءل لم تحرم الخمر مع فائدتها الصحية
وهذا يرى الوقاع الجنسى ما دام بتراضى الطرفين لا شىء فيه

وهذا يمضى فوائد الربا ويسخر من حظرها
وهذا يصف الصلوات الخمس بأنها مضيعة للأوقات .
وهذا يرفض أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين فى الميراث
وهذا يحظر تعدد الزوجات ويفخر بتعدد الخليلات
وهذا يسهر حتى الصباح على أنغام الموسيقى الصاخبة والغناء الماجن ، ويزعجه أذان الفجر » .

وماذا نحصى من أبواب الفتن ، وهى كثيرة مفتحة تحمل سمومها وسائل الاعلام الحديثة ، فتنقلها صباح مساء . ليل نهار . تنقلها الى الأسماع والأبصار . الى المدائن والقرى الى القصور والأكواخ ، الى الطريق والبيت والمدرسة والنادى . إلى المتدين المحافظ فتزلزل دينه وتخلخل قيمه الى المخدوع المضلل ، فتمد فى ضلاله وتعبث بأخلاقه وتعيث فى سلوكه . الى المرأة الفاضلة الوقورة ، فتزهدها فى وقارها وتغريها بالتحلل من فضائلها وتشعرها بغربتها ووحشتها وانعزالها عن المجتمع الذى تعيش فيه .. الى المرأة المتكشفة ، فتغريها بمزيد من التكشف ، وتدفعها الى العرى والتجرد . الى الشاب والشابة فتلهب سعار الغرائز الدنيا فيهما ، وتهيج فى دمائهما اشباع النزوات فى غير مبالاة بدين ولا شرف ولا حفاظ على أخلاق وقيم .

لقد استغلت وسائل الاعلام الحديثة ــ على قوة فعاليتها وشدة نفوذها وتأثيرها وجاذبيتها اسوأ استغلال فشوهت معانى الحرية ، ودفعت بها الى مهاوى الفوضى والانحلال ، ومسخت معانى الفنون وعرضتها فى أثواب الاغراء والابتذال، وحولت برامج الترفيه والتسلية الى ما يقتل النفس ويذيب الرجولة ، فأنجح الأغانى أكثرها ميوعة وأشدها اثارة ، وأنجح الأفلام أحفلها بأكوام اللحوم النسائية فى المخادع وعلى موائد المقامرين والمخمورين ، وأكثر الصحف والمجلات رواجا التى ترخص الرجس وتشيع النجس وتنشر قصص الخيانات الزوجية وأخبار الشذوذ والأعمال الفاضحة ، وتعرض صور الكاسيات العاريات التالفات المتلفات ..

وماذا نحصى من الفتن ، وبماذا نعلق على آثارها وعواقبها ، والشاهد الحاضر أفصح من كل لسان ، وأبلغ من كل نذير .

رفض الواقع :

والحاضر الذى نشهده ونعانيه ، ونجنى ثماره ونتجرع غصصه ونتحمل مسئولياته ونذوق ويلاته . الواقع الذى نشكوه ونتبرم به يقلق الغيورين على هذه الأمة ويشغل بالهم ، ويثير مخاوفهم ، فهم ينكرونه وينقرون منه ويتوجسون منه شرا فى المستقبل القريب اذا ترك العابثون يعبثون بالعقول ويجترئون على القيم ويقتحمون الحرمات ويزيفون الفوضى باسم الحرية والاباحية باسم التدين ، ويلبسون الباطل ثوب الحق ، ويروجون كل نقيصة ورذيلة باسم التقدم والتطور . هذا الحاضر يقلق الغيورين فيحاولون تغييره ،

وهذه بادرة وعى ومقدمات يقظة والناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والناس بخير ما تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر « ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » .

العمل الاسلامي :

والعاملون تحت لواء الاسلام يعملون فرادى وجماعات تحت تجمعات وتنظيمات متعددة الأسماء : اتحاد . رابطة . مجلس . جمعية . مركز . مجمع . أمانة . هيأة . لجنة . مؤتمر . وهذه التجمعات تضم عددا كبيرا من المفكرين والعلماء والشيوخ والشباب والنساء ، وهؤلاء جميعا يبذلون جهودا ضخمة فى التوعية الاسلامية والوقوف فى وجه التحديات ، وينفقون أموالا طائلة فى سبيل ذلك ، ولكن ينقصهم جميعا التخطيط والتنسيق فيما بينهم .

من هنا :

كل دولة اسلامية تعمل للاسلام على المستوى الرسمى والمستوى الشعبى ، وفى داخل كل دولة أجهزة متعددة للعمل فى الداخل والخارج ، ولكن لا تربط بينها ولا مخطط يجمعها .. نشرات ومجلات ومعونات مالية وكتب ومبعوثون ، ولقاءات ، ووفود تغدو وتروح ... جهود مرتجلة ، ولهذا كانت النتائج غير متكافئة مع الجهد الذى يبذل والأموال التى تنفق .

من الشرق مهد النبوات ومهبط الرسالات ، من مشرق النور . من الوطن العربى من العرب المسلمين الذين اختارهم الله لحمل رسالته . من الشرق وعلى أيدى العرب المسلمين يبدأ التجمع ، ويتحرك الزحف . وبالاسلام . بالقرآن . بنقله من المصحف والصدور الى واقع عملى يحكم وينظم ، ويأمر ويملأ القلوب ، ويوجه السلوك ، ويحرك الراعى ، ويصف الجنود ، ويربى النشء ، ويسود المعاملات .

وليس فيما سبق وصفا وعلاجا مبالغة فى تصوير الواقع ، وتجن على الحقيقة ، وليس فيه جحود لما يبذل فى خدمة الاسلام ، ولا غمط للجهود التى تحاول اقامة البناء وتجديد القوى وتصحيح الأوضاع .. ليس فيما وصفنا مدعاة لليأس فاننا نؤمن بأن الأمم تمر بأيام نحس وسعد وشدة ورخاء ، ونصر وهزيمة ، وان أمتنا تخضع لهذه السنة ، فانها فى مسيرتها الطويلة لم تلزم مستوى بيانيا واحدا .. اجتمعت وتفرقت ، عدلت وظلمت . استقامت وانحرفت . غفلت واستيقظت ، ولكنها فى كل مراحلها لم تنتصر الا بالعقيدة ولم تسعد الا بالايمان . هذا وحده هو المنقذ ، ولا غنى عنه ولا بديل له .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

رضوان البيلى

سورة الممتحنة

الحُبّ والبغض في الله

للشيخ/محمد الغزالى

التعصب وصف ردىء عندما يكون معناه جمود الفكر ، وانحصار الأفق ، والتشبث بالهوى ، والجنوح الى الباطل مهما بدا عواره .

ونحن نرفض هذا الوصف ونأباه على انفسنا وقومنا ..

.. ولكن عندما يكون التعصب اثرا لاحترام الحق ، واكبار اهله ، ودعم جانبهم ، وكره عدوهم ، فان التعصب هنا يرادف الإيمان والجهاد ، ولا يتخلى عنه امرؤ ذو دين !!

وفى العالم اليوم :

- حقـــائق ارخصها الضعف ..
- وحقـــوق هضـــمها البغى ..
- وقوى شرسة استمرأت العـــدوان ..
- ومسلمون طمـــع فيهم من لا يدفع عن نفســـه ، حتى كان البغاث بأرضنا يستنسر !!

.. افلا يوقظنا مرأى هذه الصور الكريهة الى ان نعرف من نحن ؟ وماذا نحمل من رسالات الله ؟ وماذا نستطيع ان نسديه لأنفسنا وللعالم اجمع لو

غالينا بديننا وتاريخنا ، وشققنا الطريق إلى المستقبل على سناه الهادى . ؟؟

وعندما اقرأ سورة « الممتحنة » يحيا فى نفسى معنى التعصب للحقيقة ، والدفاع عنها ، والوقوف الى جانبها على رقة الحال ، وكآبة المنظر فى الأهل والمال !!

إنه ليس من الشرف ان اجامل من يهين الحق ، وليس من صدق اليقين ان امالئه وأترضاه .

وقد نزلت سورة « الممتحنة » لتلقن المؤمنين هذا الدرس حتى يبقى حيا فى نفوسهم الى يوم الدين ، فقال جلّ شأنه :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .. »

.. عيب واضح أن أصادق عدو الله وعدوى ، وان ابسط يدى ولسانى له بالسلام ، وهو يزدرى ما عندى ــ ولا يتوانى !! ــ ومن هنا عللت السورة النهى عن المصافاة ،فقالت بعد اثبات كفرهم :

« يخرجون الرسول وإياكم ... »

لماذا ؟ **« ... ان تؤمنوا بالله ربكم »**

ثم اطرد السياق القرآنى يقول :

« إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ... »

اى فلا تسلكوا هذا المسلك ، وتطووا قلوبكم على حب من طردكم واهانكم !!

كيف تفعلون هذا ؟.

« ... تسرون إليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم » ؟؟

والتعبير « بأنا » فى هذا الموضع يفرض علينا أن نتوقف قليلا لنتدبره فقوله جلّ شأنه :

« وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم » فيه معنى التحذير من الرقيب الخبير .

وهذا المعنى صرحت به سورة أخرى فى مثل هذه القضية قال تعالى :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ــ إلا ان تتقوا منهم تقاة ــ ويحذركم الله نفسه » !!

والغريب أن هذا التحذير يتكرر فى الموضع نفسه ، مؤكدا علم الله بما نخفى وما نعلن ، حتى لا نتورط فى مسالة عدو يبتغى إبادتنا ، أو الوقوف منه موقفا بعيدا عن الصرامة والمفاصلة ، فقال جل شأنه :

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه » !!

تحذير يتكرر مرتين بعبارة رهيبة هى **« ... يحذركم الله نفسه »** إنها هناك توضيح لقوله هنا : **« تسرون إليهم بالمودة وأنا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل »** .

هكذا بدأت سورة « الممتحنة » تعلمنا ضرورة التعصب للحق ، والتمسك بأهدابه ، وكراهية المعتدين عليه ، والنفور من مودتهم .

وإذا كان هذا المعنى الحاسم قد تصدرها : فانه قد تمشى فى آياتها على

صور متفاوتة ، ثم كان لها الختام المبين فقال جلّ شأنه :

« يا ايها الذين آمنـوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور » .

إن « الأحياء » من الكفار قد قنطوا من عودة إخوانهم الذين ماتوا الى الحياة مرة أخرى ، أو أن « الموتى » من الكفار قد يئسوا من الحصول على مكانة عند الله فى الدار الآخرة .

سواء كان هذا المعنى أو ذاك فان المؤمنين لا يليق أن يصادقوا قوما تلك حالتهم !!

ولنلق على السورة من بدئها الى ختمها نظرة جامعة نتعرّف بها أسباب النزول كما ذكرها المفسرون والمؤرخون .



لقد استغرق نزول هذه السورة — على وجازتها — قريبا من عامين ، وصدرها نزل فى السنة « الثامنة » عندما قررت الكتائب المؤمنة أن تجهز على الوثنية المتحكمة فى مكة ، وأن تعيد الى دائرة التوحيد هذا المعقل الأثيم .

ووسط السورة نزل فى السنة « السادسة » بعد ما تم « عهد الحديبية » بين المسلمين واهل مكة ،وبدأ التنفيذ وظهرت بعض المشكلات .

وآخر السورة نزل بعد الفتح الكبير ، واقبال أهل مكة رجالا ونساء على مبايعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — والالتزام بتعاليم الإسلام .

ومع الاختلاف الزمنى الملحوظ فى نزول الآيات فان ترتيبها لم يفقد ذرة من الاتساق والتماسك ، بل هو نسق من الاعجاز السارى فى أسلوب القرآن الكريم كله .

واشعر بأن القرآن فى علم الله القديم كان على هـذا الترتيب الذى نحفظه ، وأن الآيات كانت تنزل وفق الأحداث ، ثم يأمر الرسول بوضعها فى مكانها بتوقيت إلهى ، فتعود الى وضعها الأزلى على النحو الذى يقرأ الآن

والمحور الذى دارت عليه السورة كلها ، هو الحب والبغض فى الله ، وهو قاسم مشترك بين اجزاء السورة منذ بدأ النزول ، ولذلك فان وحدة الموضوع ظاهرة شائعة فيها ففي أوائل السورة نقرأ كيف رفض القرآن الكريم ما وقع من « حاطب بن ابى بلتعة » الذى راسل أهل مكة يخبرهم باستعداد الرسول للسير نحوهم ، كى يأخذوا أهبتهم !! وهو عمل شنيع ، ولولا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عفا عن الرجل تقديرا لسابقته فى خدمة الإسلام لكان جزاؤه القتل .

وهنا نرى الوحى — بعد استنكار التصرف السابق — يقول للمؤمنين :

« لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » . اى لا يجوز أن يخفف شىء ما من حدة الخصام للكفر وشيعته ، ولو كان الحرص على القرابة والولد والمال فان جانب الله أولى بالرعاية .

والمثل الأعلى أن يقول المؤمنون لأعدائهم : **((إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحــده))** .

وهذه مصارحة بالقطيعة في سبيل الله ، ومعالجته بالحب لله والبغض لله ، وليس أمام المؤمنين إلا هذا السلوك .

وقد كان ابراهيم والمؤمنون معه على هذا الغرار ، واذا كان ابراهيم قد لاين اباه يوما وقال له : **((لأستغفرن لك ، وما املك لك من الله من شيء))** .

فذلك اللين ليس مهادنة للضلال ، ولا ضعفا في الإحساس بحــق الله « كلا » : **((وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه))** .

وهكذا تتقطع أغلى الصلات إيثارا لحق الله .

.. إن حق الله على عبده لا يرجحه شيء في الأولين ولا في الآخرين ، والاستهانة به ضلال مبين .

هل هــذا التهجم الشديد ضد الضلال والضالين يرجع الى غلظة طبع او شراسة خلق ! لا .. لا ..

إننا في شوق ، الى سيادة السلام ، وامتداد عواطف الحب الى كــل قلب ، والأمر بيننا وبين خصومنا واضح مستقيم ، فمن حاسننا حاسنّاه ، وكنا اسرع إليه بالود والرحمة .

ولكن كيف نلين مع من استباح كرامتنا ؟ ونشد إساءتنا وإهانتنا ، واخرجنا من ديارنا وأموالنا ! إن مصادقة من يفعل ذلك بنا نذالة ، وخســة لا يهبط اليها مؤمن !! قال تعالى :

((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون)) .

والظلم هنا الهوان ، وقبول الدنية ، والاستكانة الى الضيم ، والرضا بحياة الفسوق والمروق ، والعيش في كنف الفاسقين المارقين .

هذا صدر السورة الذى استغرق نصفها ، ونزل في السنة « الثامنة » .

اما وسطها الذى نزل من قبل ، فهو يعــود بنا الى نص في معــاهدة الحديبية يقضى بأن يرد المسلمون عن المدينة من لحق بهم مؤمنا من اهل مكة ، وإن كان اهل مكة يقبلون من لحق بهم مرتدا .. !!

ومع أن الأيام اثبتت جدوى هذا النص على المؤمنين الا أن القرآن الكريم استثنى النساء ابتداء من تطبيقه وامر المؤمنين أن يمتحنوا المؤمنات الفارات بدينهن فاذا علموا منهن صدق الاعتقــاد وشرف الغاية قبلوهن في المجتمــع الإسلامي فورا ..

إن هؤلاء النسوة المهاجرات التاركات لأزواج كافرين يجب أن نرحب بهن وأن نقدم تحية اكبار للعاطفة التى خرجت بهن الى دار الإيمــان ، لقد كرهن رجالهن وفارقنهم لله فلا ينبغى أن يعدن لهم قال تعالى :

« فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » .

وإتماما لإقامة المجتمع على احترام الدين ، واعزاز مشاعر الحب والبغض لله صدر الأمر بتسريح الزوجات الكافرات : **« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »** .

.. إن قبول هؤلاء النساء المؤمنات ومفارقة الكافرات تشريع متكامل وحكمته واضحة وقد نفذت معاهدة الحديبية بالنسبة الى الرجال الذين ما لبثوا أن نظموا حرب العصابات ضد اهل مكة حتى اضطروهم الى أن يطلبوا من الرسول قبولهم فى المدينة !!

ونصل الى آخر السورة لنقرأ بيعة النساء ، كان ذلك بعد فتح مكة واستسلام اهلها لكتائب الرحمن .

إن أولئك الناس طالما آذوا الله ورسوله ، وها هى ذى « هند » المرأة التى اكلت كبد حمزة قد أعلنت دخولها فى الاسلام ، فماذا نصنع معها !

لا شىء !! ننسى الماضى ، ونغفر الأخطاء ونعلمها وصاحباتها كيف تتأدبن بآداب الإسلام ، ثم يصبحن — بعد — اخواتنا :

« يا ايها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » .

نعم . إن الله غفور رحيم ، فلننس الماضى ولنتحاب فى الله .

لقد كان القرآن فى هذه السورة يرقب متاب هؤلاء وعودتهن الى الصواب وإقلاعهن عن إيلام المؤمنين ، قال تعالى :

« عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » .

والمودة المرتقبة إنما تقع من اناس يخف ضغط التعصب على قلوبهم ورءوسهم ، ويجوز أن تنقشع غيوم الغفلة عن آفاقهم وضمائرهم .

فان المرء قد يخطىء لملابسات معينة احاطت به ، وربما ظل على خطئه لأن هذه الملابسات بقيت فى مكانها ، لم تجد من يزيلها أو ينتقصها ..

لكن ما الموقف اذا تشبث الإنسان بالزلل وهو يدعى الى الاستقامة ؟

او اصر على الخطأ وهو يرى وجه الحق وضيئا مشرقا ؟

إن هذا الإنسان أجدر خلق الله بالمقت وأولاهم بالعقاب الآجل والعاجل .

وإنك لترى الوحى الإلهى طافحا بالوعيد وهو يتناول أولئك الجاحدين من صرعى التعصب الأعمى .

« ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » .

ولنلفت النظر الى ان الغفلة هنا ليست قصور عقل عن المعرفة الغائبة ، ولكنها بلادة قلب عن استيعاب المعرفة المبذولة ، والنصح القريب ! .

وهذا هو التعصب الذي يأباه على نفسه كل عاقل أو منصف .
والقرآن فى آيات كثيرة يلمع الى هـذا المعنى وإن لم يذكـر التعصب بلفظه ، فإذا قال تعالى : « **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** » .
فإن المقصود أناس طال نصحهم وطالت لجاجتهم ، طال تعليمهم وطال صدودهم .. وليس المقصود وصف أقوام تعرض عليهم الدعوة لأول مرة .
وبديهى أن ينتهى هذا الصدود بما ينتهى به كل جحد وتبجح ، من استمراء للشر واستهانة بالخير واستحلاء للقبيح .
« **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون . أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون** » .



وقد صحب التعصب من قديم حيف شديد على أهل الإيمان ، وتطاول على حقوقهم المادية والأدبية ، وتصوير كذوب لأقوالهم وأعمالهم ، وإلحـاق للمعايب والمقابح بسيرتهم وتاريخهم وكان نصيب الأمة الإسلامية كبيرا من هذا التعصب الجائر الآثم .
ولست استغرب مسالك الأشرار إذا جاءت وفق طبائعهم فإن الذئب المفترس لا يستكثر عليه أن يعتر ويغتال ..
إنما الغرابة من موقف المسلمين الذين كثرت حولهم الأنياب الجائعة ، والطوايا الكنود ، ومع ذلك فهم غارّون مسترسلون فى « طيبتهم » وتهاونهم .. فإلى متى ؟
إن أرضنا انتقصت من أطـرافها شرقا وغربا وفق خطـة رسمت بأناة وروية ... ثم بدأت الإغارة على قلب العالم الاسلامى استكمالا للإجهاز عليه طولا وعرضا ، فهلا عرفنا ما يراد بنا ؟
إن فى العالم الآن طوفانا نجسا من التعصب ضد الإسلام وأمته ، وأمامى وأنا أكتب هذه السطور أنباء الدماء المراقـة والأشلاء الممزعـة للمسلمين المستضعفين فى الفلبين ، وما قصة الاسلام الذبيح فى الفلبين إلا نموذج مكرر لأقطار أخرى من الأرض ، أهين فيها الدين واستبيح حماه ، وشرد أهلوه ، وأكلت حقوقهم !! بل إن المسلمين ـــ حيث يكونون كثرة فى بـلاد أخرى ـــ .. تجرأ عليهم كل ذى ملـة وتطلـع الى ما لم يكن يحـلم به فى يـوم من الأيام !!
الا نتعلم التعصب للشرف والعرض والأرض فى هذه الظروف العصيبة ؟
لعلنا ... لعلنا ..
فاذا تحقق ما نصبو اليه فلله الحمد .
.. نحن ما نسعى الى قتال ولا نشتاق الى سفك دم .
لكن إذا فرض علينا القتال فان الذرة من التهاون فى كراهية المعتدين جريمـة ..
يجب أن ندخل المعركة بكل ما لدينا من غضب وقسوة وصرامة ؟

---

(١) : هذا ما يدين به جماهير المسلمين من السلف والخلف .

جوانب الهداية والإرشاد في القرآن الكريم

للقرآن الكريم في هدايته وإرشاده جوانب اربعة
١ جانب العقيدة ٢ جانب الشريعة ٣ جانب الأخلاق
٤ جانب الدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض

للدكتور/محمد حسين الذهبى

(الجانب العقدى فى القرآن الكريم)

اما جانب العقيدة : فقد وجهنا القرآن الكريم الى العقيدة الحقة فى الله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيه من حساب وجزاء .

دعانا الى معرفة الله — تعالى — وما له من صفات الكمال والجلال ، وأنه واحد لا شريك له فى ملكه ، ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته ، وانه الخالق المستحق للعبادة دون غيره . .

فقال فى بيان ما لله من صفات الكمال والجلال :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد » (١) .

وقال : « الله لا اله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض . . . »(٢) .

وقال : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور » (٣) .

وقال : « هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٤) .

وقال فى بيان أن الله واحد لا شريك له فى ملكه ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته :

« إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى » (٥) .

وقال : « ذلكم الله ربكم لا إله

إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه » (٦) .
وقال : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (٧) .
وقال : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (٨) .
وقال : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٩) .
وقال في بيان أنه المستحق للعبادة دون غيره :

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز » (١٠) .
وقال : « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » (١١) .
وقال : « قل أرايتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » (١٢) .
وقال : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (١٣) .

ووجهنا القرآن الكريم الى الإيمان بالملائكة والرسل وما أنزل الله من كتاب فقال :
« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (١٤) .
وقال : « يا أيها الذين آمَنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نَزّل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٥) .

ويقرر القرآن الكريم عقيدة البعث والحساب والجزاء .
فيقول مقررا عقيدة البعث :
« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (١٦) .
ويقول : « قل إن الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » (١٧) .
ويرد على المستبعدين للبعث لبنى الإنسان بعد ما تمزقت أوصالهم ، ورمت عظامهم ، وتلاشت ذراتهم حتى إنهم ليقولون مستنكرين للبعث بعد هذا التمزق والتلاشى :
« أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟ » (١٨) .
« هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد » (١٩) .
« أئذا متنا وكنا ترابا ؟ ذلك رجع بعيد » (٢٠) .
« أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد » (٢١) .
.... ويرد القرآن الكريم على هؤلاء المنكرين للبعث والمستبعدين له بآيات كلها براهين قاطعة وحجج دامغة فيقول :

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » (٢٢) .

« أفعيينا بالخلق الأول ؟ بل هم فى لبس من خلق جديد » (٢٣) .

« كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدا علينا إنا كنا فاعلين » (٢٤) .

« أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه » (٢٥) .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه : قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (٢٦) .

ثم هو يقرر بعد ذلك أن البعث لا بد أن يستتبع حسابا ، وأن الحساب لا بد أن يستتبع ثوابا أو عقابا ، وإلا لكان الله عابثا بخلقه غير عادل فى ملكه ، فيقول :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » (٢٧) .

ويقول : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟ » (٢٨) .

ويقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما لكم كيف تحكمون » (٢٩) .

ويقول : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون » (٣٠) .

ويقول : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » (٣١) .

(الجانب التشريعى)
(فى القرآن الكريم)

وأما جانب الشريعة : فقد سن لنا القرآن الكريم كثيرا من التشريعات والنظم التى نحتاج اليها فى عباداتنا، ومعاملاتنا ، وصلاتنا فى مجتمعنا الإسلامى ، وعلاقاتنا بغيرنا من الدول فى السلم والحرب.

ففى العبادات شرع الصلاة والزكاة والصوم والحج .... وغير ذلك من الطاعات والقرب التى يتقرب بها الانسان الى ربه ومولاه .

وفى المعاملات بين الحلال والحرام فأحل البيع وحرم الربا ، وحرم أكل أموال الناس بالباطل فقال :

« وأحل الله البيع وحرم الربا » (٣٢) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٣٣) .

وقال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » (٣٤) .

وقال : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » (٣٥) .

وقال : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » (٣٦) .

ووضع لنا القرآن الكريم أسس الاستيثاق فيما يجرى بيننا من معاملات مالية فقال فى الدّين :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » .... الى أن قال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ....) (٣٧) .

وقال فى البيع : « وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد » (٣٨) .

وقال فى الاستيثاق بالرهن : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضه » (٣٩) .

وقال فى الوصية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم .. » (٤٠)

وقال لأوصياء اليتامى : « .. فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » (٤١) .

ووضع القرآن أحكام الزواج والطلاق ، وما يتعلق بهذا وذلك من مهر ونفقة وعدة وحضانة ورضاع ..

وأرسى القرآن قواعد الأمن والطمأنينة فى المجتمع الاسلامى بما شرعه من الحدود والعقوبات على بعض الجرائم التى لا تخلو منها المجتمعات البشرية .

فقرر عقوبة القصاص فى القتل العمد بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى .. » (٤٢) .

وقرر عقوبة القتل الخطأ بقوله :

« .... ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصّدّقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » (٤٣) .

ووضع عقوبة لقطاع الطرق بقوله :

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » (٤٤) .

ووضع عقوبة للسارق بقوله :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » (٤٥) .

وشرع من العقوبات ما يصون حرمة الأعراض ويزجر عن استباحتها وانتهاكها فقال فى عقوبة الزانى غير المحصن من الرجال والنساء :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٤٦) .

وقال فى عقوبة قذف العفيفات بالزنى :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » (٤٧) .

وفى محيط المجتمع الاسلامى يعمل القرآن الكريم على تقوية ما بين المسلمين من وحدة وترابط وإزالة ما عساه يقع بينهم من عوامل التفكك والتصدع فيشرع لهم من الأحكام ما يجتث جذور التنازع والتناحر فيما بينهم ، فيقول فى جمع الكلمة ووحدة الصف :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٤٨) .

ويقول فى القضاء على الفتن والشقاق الذى يمزق هذه الوحدة :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٤٩) .

وفى علاج المشاكل الأسرية يشرع القرآن الكريم كثيرا من الأحكام التى تزيل أسباب الخلاف وتجعل الحياة الأسرية تمشى فى طريقها الصحيح

الذي يجنبها العثرات والمكدرات ، وأبرز مثال نسوقه من هذه التشريعات الحكيمة قوله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا » (٥٠) .

وفى علاقة المسلمين بغيرهم من الدول يضع القرآن الكريم قواعد المعاملة فى السلم والحرب :

ففى السلم : يدعو الى مسالمة من يسالمنا بقوله :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٥١) .

وقوله : « .... فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٥٢) .

وفى الحرب : يدعو الى محاربة من يحاربنا بقوله :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٥٣) .

ودعانا الى الإعداد للحرب ما دامت متوقعة بقوله :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (٥٤) .

وحضنا على الثبات عند لقاء الأعداء بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٥٥) .

وحرضنا على البلاء فى القتال بقوله :

« فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (٥٦) .

وقوله : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق . . » (٥٧) .

وقوله : « فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » (٥٨) .

ونهانا عن التولى يوم الزحف بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٥٩) .

ونهانا عن الخور والوهن فى طلب الأعداء بقوله :

« ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » (٦٠) .

والقرآن يعطى الكافر المستأمن حق الأمان غير مروع على نفسه أو ماله فيقول :

« وإن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » (٦١) .

ويقرر القرآن مصير أسرى الحرب بقوله :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (٦٢) .

ويضع القرآن أسس المعاهدات ويحتم وجوب الوفاء بها والوقوف عند بنودها ما دام العدو محافظا على ذلك من جانبه ولم يَجِدّ من الظروف ما يقتضى نقضها فيقول : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٦٣) .

ويقول : « .... الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهـروا عليكم أحدا فاتموا اليهـم عهـدهم الى مدتهم ان اللـه يحب المتقين » (٦٤) .

ويقول : « وإما تخـافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (٦٥) .

(للبحث صلة)

---

(١) سورة الاخلاص .
(٢) فى الآية ٢٢٥ من سورة البقرة .
(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الملك .
(٤) الآيات ٢٢ — ٢٤ من سورة الحشر .
(٥) الآية ١٤ من سورة طـه .
(٦) في الآية ١٠٢ من سورة الانعام .
(٧) الآية ٢٢ من سورة الانبياء .
(٨) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .
(٩) فى الآية ١١ من سورة الشورى .
(١٠) الآيتان ٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج .
(١١) الآيات ١٩١ — ١٩٥ من سورة الأعراف
(١٢) الآيات ٤ — ٦ سورة الأحقاف .
(١٣) الآية ١٧ من سورة النحل .
(١٤) الآية ١٣٦ سورة البقرة .
(١٥) الآية ١٣٦ من سورة النساء .
(١٦) الآية ٧ من سورة التغابن .
(١٧) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الواقعة .
(١٨) الآيتان ٤٧ ، ٤٨ من سورة الواقعة .
(١٩) فى الآية ٧ من سورة سـبأ .
(٢٠) فى الآية ٣ من سورة ق .
(٢١) فى الآية ١٠ من سورة السجدة .
(٢٢) فى الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٢٣) الآية ١٥ من سورة ق .
(٢٤) فى الآية ١٠٤ من سورة الانبياء .
(٢٥) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة القيامة .
(٢٦) الآية ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس .
(٢٧) الآيتان ١١٥ ، ١١٦ من سورة المؤمنون
(٢٨) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة ص .
(٢٩) الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة القلم .
(٣٠) الآية ٥٨ من سورة غافر .
(٣١) الآية ٢١ من سورة الجاثية .
(٣٢) فى الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .
(٣٣) الآية ١٣٠ من سورة آل عمران .
(٣٤) الآية ١٨٨ من سورة البقرة .
(٣٥) فى الآية ١٥٢ من سورة الانعام .
(٣٦) فى الآية ١٠ من سورة النساء .
(٣٧) ، (٣٨) فى الآية ٢٨٢ من البقرة
(٣٩) فى الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .
(٤٠) فى الآية ١٠٧ من سورة المائدة .
(٤١) فى الآية ٦ من سورة النساء .
(٤٢) من الآية ١٧٨ من سورة البقرة .
(٤٣) فى الآية ٩٢ من سورة النساء .
(٤٤) فى الآية ٣٣ من سورة المائدة .
(٤٥) فى الآية ٣٨ من سورة المائدة .
(٤٦) الآية ٢ من سورة النور .
(٤٧) الآية ٤ من سورة النور .
(٤٨) فى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٤٩) آيتان ٩ ، ١٠ من سورة الحجرات .
(٥٠) الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة النساء .
(٥١) فى الآية ٦١ من سورة الانفال .
(٥٢) فى الآية ٩٠ من سورة الانفال .
(٥٣) الآية ١٩٠ من سورة البقرة .
(٥٤) فى الآية ٣ ، ٦ من سورة الانفال
(٥٥) الآية ٤٥ من سورة الانفال .
(٥٦) فى الآية ١٢ من سورة الانفال .
(٥٧) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٥٨) فى الآية ٥٧ من سورة الانفال .
(٥٩) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الانفال .
(٦٠) الآية ١٠٤ من سورة النساء .
(٦١) فى الآية ٦ من سورة التوبة .
(٦٢) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٦٣) فى الآية ٩١ من سورة النحل .
(٦٤) الآية ٤ من سورة التوبة .
(٦٥) الآية ٥٨ من سورة الانفال .

بين عناية الإسلام

محمد سلام مدكور

عنيت الأديان وسائر التشريعات بالطفولة ، ومن وجهة نظر الإسلام فإنه يجب أن تتعهدها يد « برة » رحيمة حريصة عليها مخلصة لها ، لا تسلك بها فى التربية مسلك القسوة والعنف ولا مسالك الطراوة والتدليل ، ولكن الوسطية التى يوجهنا اليها الإسلام . فيساسون بالرحمة مع شىء من الحزم . تتكون الشدة من غير عنف ، واللين من غير ضعف ، وإنما الرحمة مع الحزم دون اسراف فى اللوم والتعنيف اذا اقترف الطفل ذنبا يقول الله سبحانه : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله .. »

ولا أدل على رعاية الاسلام للطفولة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس .. فقد جعل الاختيار عند الزواج اساسا لمصلحة الأطفال ، إذ الطفولة هى البراعم التى ستتفتح عن شباب المستقبل ، وبقدر ما نحسن فى إعدادها وتوجيهها بقدر ما نجنى منها للأسرة والمجتمع من عمل مثمر منتج .

والأسرة هى المدرسة الأولى لتربية الأطفال وتنشئتهم ، ففيها وحدها يوضع حجر الأساس التربوى حيث يكون الطفل عجينة لينة طيبة ، والأبوان هما أقدر الناس على رعاية أولادهم والقيام بشئونهم لما غرسه الله فى نفوسهم من حب فطرى لهم ، وما وهبهم الله بحكم الأمومة والأبوة من قدرة على احتمال المشاق بنفسية سعيدة راضية فى سبيل إسعاد أطفالهم .

ومن عناية التشريع الاسلامى بالطفولة أن رتب لها حقوقا كثيرة منها حق الطفل فى اكتساب جنسية الأب بناء على حق الدم ، ومنها تبعية خير الأبوين دينا ، ولما كان الاسلام لا يجيز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم ، بينما يبيح للمسلم الزواج بغير المسلمة من أهل الكتاب فان الأولاد بناء على ذلك يتبعون ديانة الأب المسلم ، أما إذا كان الأبوان غير مسلمين ثم اسلمت الزوجة ولم يقبل الزوج الاسلام فان الأطفال يتبعون ديانة الأم فضلا عن التفريق بينها وبين الزوج .

ومن عناية الاسلام بالطفولة أن

بالطفولة وتحريمه التبني

وجه الى تخير الاسم الذى يطلقونه عليه ، بحيث لا يكون اسما يسبب له مضايقات فى المجتمع ، ويجعله موضع سخرية واستهزاء بين الأطفال فتتعقد نفسيته بسبب ذلك ، وينفر من الناس والاجتماع بهم ، مع أن الإسلام يحرص على الجماعة ورتب لها فى احكامه وتشريعاته ما يجعلها متكررة مستمرة .

ومن عناية الشارع بالطفولة ان رتب لها حق ثبوت النسب ، وحق الرضاعة ، والحضانة ، والولاية ، واوجب التقاط اللقطاء والعناية بهم والحفاظ عليهم ، واذا كان الإسلام حرم التبنى ومنعه لحكمة سامية فانه اعتبر مجهول النسب اخاً لنا فى الدين تربطنا به الأخوة العامة فى الإسلام .

قد يقال : إذا كان الإسلام جعل الأسرة الحقيقية هى المحضن الطبيعى لنمو الطفل ، تنمو فيه عاطفته وتستقر مشاعره ، وتتوطد علاقاته الطبيعية ببقية أفراد الأسرة ، وعنى بالطفولة هذه العناية فقرر لها تلك الحقوق التى اشرنا اليها فلماذا يبطل التبنى مع ما فيه من إشباع لعواطف الآباء والأطفال ، وربط الطفل بنسب يسعد به بين الناس ، ويدفع عنه معرّة جهالة نسبه .

الواقع ان الإسلام حين يقرر حكما من الأحكام لا يقرره ليستكمل به شكلا تشريعيا معينا ، ولكنه يفعل ذلك وهو يضع فى اعتباره تنظيم حياة الناس ، ثم يجعل تنفيذ هذا الحكم لونا من الوان العبادة التى هى العلاقة الخالصة بين الخلق والخالق ، وهو من اجل ذلك يجعل الغاية من إنزال الكتاب هى الحكم بين الناس وتنفيذ تشريعاته فى مجتمعاتهم ، يقول سبحانه « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » .

والإسلام حين يبطل التبنى — بعد العمل به فترة طويلة فى عهد الرسول وفى صدر التشريع — يعلن الحكمة الكامنة من وراء ذلك فيقول جلّ شأنه : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » ثم يذكر السبب فيقول : « ذلكم قولكم بأفواهكم » اى أنه ادعاء يبدو فيه الكذب ، ثم يقرر الاتجاه الصحيح فيقول : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » ثم يوجه الى ما ينبغى أن يكون عليه الناس مع مجهولى النسب من حسن معاملة فيقول : « فان لم

تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » .

فاللقطاء ومجهولو النسب يعيشون فى رعاية الإسلام وذمته وهم اخوان المسلمين ، ومن هنا لم يجد المسلم مجهول النسب غضاضة فى أن يُعرف بذلك ، او أن يعلنه هو بنفسه ما دام فى المجتمع الاسلامى الذى يخضع فى جميع صلاته لتعاليم الاسلام وارشاداته ، لأن هذا المجتمع الرحيم قد أصبح بمثابة أبيه ونسبه الذى لا يعدل به نسبا ، ولذا فان أبا بكرة — نفيع بن الحارث كما يسميه رجال الحديث — اعلن جهالة نسبه وقال — كما روى الطبرى — أنا ممن لا يعرف ابوه فأنا اخوكم فى الدين ومولاكم .

وحماية من الاسلام لمجهولى النسب من المنحرفين فى المجتمع الذين لا يكفى لاصلاحهم مجرد التوجيه الخلقى ، وضع عقوبة صارمة لمن يُعيِّر احدا بذلك كأن يقول له : يا ابن الزنى ، ولم يجعل جهالة النسب مما يعيب الشخص نفسه إذ كل نفس بما كسبت رهينة ، كما انه لا تزر وازرة وزر اخرى ، فمجهول النسب لم يقترف إثما ولا ذنبا وإنما هو ثمرة جناية غيره وجريمته .

ومع هذا فقد أوجد الاسلام المجال فسيحا أمام من تورط فاتصل بامرأة عن طريق عقد زواج فاسد أو وطء بشبهة ، وأنجبت منه نتيجة ذلك ، فأجاز له أن يثبت نسب هذا المولود عن طريق الاقرار ، ولم يجعل للقاضى كما يقرر فقهاء الحنفية حق سؤاله عن ما وراء هذا الاقرار ما دامت الشروط المعتبرة لصحة الاقرار متوافرة وفى ذلك تيسير لمن تورط فى غير الزنى ، وستر لسبب النسب الذى قد يكون فى إظهاره ما يلحق الضرر أو العار بالولد أو بالوالدة . إذ قد يكون نتيجة وطئه زوجة الغير ظنا منه أنها زوجته ، أو شىء من هذا القبيل .

وتتلخص شروط صحة الاقرار بنسب الولد له أن يكون المقر به مجهول النسب ، وأن لا ينازعه فيه منازع والا احتجنا بجانب الاقرار الى البينة أو القرائن ، وأن تكون البنوة بينه وبين من يدعيه متصورة بأن يكون فارق السن بينهما يسمح بأن يولد مثله لمثله ، كما يشترط تصديق المقربه اذا كان من أهل التمييز اى بلغ سن السابعة أو اكثر . فالاقرار وحده مع هذا يكفى لالحاق الصغير بنسب من يدعيه دون حاجة الى اى اثبات آخر وما ذلك الا لحرص الشارع على مصلحة الاطفال وثبوت نسبهم .

ولا ينبغى أن يتصور أحد أن هذا طريق يفتح الباب فسيحا أمام التبنى الذى قلنا ان الاسلام حرمه لأن الاقرار بالنسب هو مجرد اخبار عن قيام سبب موجب لثبوت النسب . بينما التبنى تصرف قانونى يقصد منه إنشاء نوع خاص من النسب لم يكن ثابتا قبله ، وهو يعلم انه منسوب فى الحقيقة والواقع الى غيره معلوما كان نسبه الاصلى أم مجهولا .

فالتبنى هو اتخاذ رجل ابن غيره المعروف أو المجهول كولده ونسبته اليه وإعطاؤه كل أحكام الابن الصلبى وقد عرفت عادة التبنى من قديم الزمان فعرفها قدماء المصريين ، كما عرفها غيرهم من الأمم والشعوب ، ورغم أن التبنى كان وما يزال شائعا فى أوربا وأمريكا ، فانه لم يسمح به فى الولايات المتحدة بصفة قانونية الا سنة ١٨٥٦ م وكذلك لم يعرف فى

انكلترا بصورة قانونية الا سنة ١٩٢٦ م وفى فرنسا صدر قانون التبنى سنة ١٩٢٣ . وتتطلب قوانين التبنى موافقة الآباء الطبيعيين للطفل اذا عرفوا على هذا التبنى ما داموا قد تنازلوا عن أبوتهم ، كما تتطلب موافقة الطفل نفسه ان كان مميزا .

ومن هذا يبين أن التبنى فى هذه القوانين يشمل نزع الطفل من عائلته الأصلية ونسبه المعلوم ، وتغيير اسمه الحقيقى الذى ينتمى اليه بحكم الدم ، وجعله منتميا نهائيا الى من تبناه ، وبذا يصير أجنبيا عن أهله الأصليين كما يشمل تبنى شخص مجهول النسب والحاقه بنسب المتبنى .

وقد عرف العرب فى الجاهلية نظام التبنى بصورتيه ، وبقى فترة فى صدر الاسلام ، ومن ذلك تبنى الاسود بن عبد يغوث للمقداد ابن عمرو بن ثعلبة ، وكان المقداد مع أبيه الأصلى يقيم فى حضرموت ، ولما كبر اعتدى على أحد شباب كندة وهرب الى مكة وحالف الاسود بن عبد يغوث الزهرى الذى تبناه .

وكذلك فقد تبنى أبو حذيفة بن عتبة سالم بن معقل من أهل الفرس ، كما تبنى الخطاب أبو الفاروق . عاقر ابن أبى ربيعة بن كعب بن مالك ، وكذلك فقد تبنى محمد بن عبد الله قبل بعثه زيد بن حارثة . روى ابن عباس رضى الله عنهما أن زيد ابن حارثة كان فى أخواله بنى معن من طيء . فأصيب فى نهب وجيء به الى سوق عكاظ وانطلق حكيم بن حزام ابن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها وكانت السيدة خديجة قد أوصته أن يشترى لها غلاما ، فلما وجد زيدا ابتاعه لها ، ولما تزوجها محمد بن عبد الله أعجبه حسنه فوهبته له فشب عنده حتى خرج مرة فى إبل لأبى طالب بأرض الشام فتعرف عليه قومه فاتوا معه الى سيده ومولاه محمد ابن عبد الله وقالوا له : أمنن علينا وأحسن الينا فى فدائه ، وإنا لندفع اليك فى الفداء ما أحببت ، فخيره سيده . فقال زيد : ما أنا بمختار عليك أحدا أبدا . أنت منى مكان الأب والعم . فما كان من سيده الا أن قال : اشهدوا أنه حر وانه ابنى يرثنى وأرثه . وبقى فى الجاهلية وصدر الإسلام يدعى زيد بن محمد .

وبعد فترة من بدء الرسالة وظهور الاسلام نزل قول الله تعالى : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » ولذا فان أبا بكرة قال حينما نزلت هذه الآية : أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم فى الدين ومولاكم ، وبذا يكون الاسلام ابطل التبنى بنوعيه بعد أن علق بأذهان العرب وتحكم فى أوضاعهم .

والحكم بابطال التبنى حكم معقول المعنى تتطلبه سلامة المجتمع وسلامة الأسرة نفسها واتباع حدود الله . فالتبنى يخول للمتبنى الاختلاط بجميع أفراد الأسرة والاطلاع على عورات أفرادها ، ويحرم عليه التزوج من بنت متبنيه أو أخته مع أنها فى الأصل تحل له : ويحل له هذا التبنى أن يتزوج باخته الحقيقية وعمته مع أنها فى الأصل تحرم عليه ، كما أنه بحكم التبنى يصبح وارثا فى تركة المتبنى باعتباره ابنا له ويحجب غيره عن الأرث ممن يستحقون الأرث بحكم الله دونه ، وقد يكون الأب الحقيقى فقيرا وهذا الابن الذى نسب الى الغير موسرا فلا يستطيع أن يطالبه بنفقته مع أنها تجب له شرعا عليه . بينما يجبر ذلك الأب الجديد المتبنى ان كان محتاجا الى الانفاق

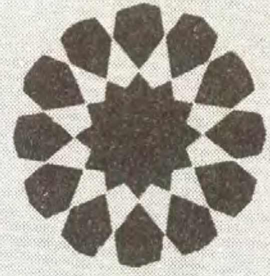
عليه . مع أنها لا تجب بحكم الشرع ، وكل هذا تغيير لحدود الله وخروج على أحكامه ، فوق انه تغيير لأحكام الطبيعة نفسها .

واذا كان فى التبنى ناحية إنسانية وإشباع للعاطفة ، فان الإسلام بعد أن نظم العلاقات الأسرية وبين أحكامها انتهى الى أن التبنى لم يكن له دور فى المجتمع الإسلامى الذى عنى بتشريع الأسرة ، وأباح تعدد الزوجات وحرم الزنى ، وعمل على حماية أفراده من الوقوع فيه ، وصبغ الصلة الرضاعية ببعض الأحكام الشرعية التى تربط الرضيع بأسرة من أرضعته ، وبعد أن وضع القواعد الخلقية التى أرست قاعدة الأخوة الدينية بينهم وبين مجهولى النسب ، ومع هذا فان التبنى كذب وافتراء على الله والناس وتغيير للطبيعة وخلق الله ، إذ كيف يخلق الله للإنسان نسبا طبيعيا من شأنه أن يتمسك به ويعتز ، فينخلع منه أو يخلع وينسب الى نسب آخر لا صلة له به ؟! ان فى ذلك افتئاتا على فطرة الانسان وتكذيبا لنشأته الأولى .

ولا ينبغى أن يقال إن فى التبنى إسعادا للطفل مجهول النسب ، لأن من يتبنى شخصا انما يمنحه من عطفه وإقباله وحنانه ما يشعره فيه بالحب ، ويعينه به على إظهار غرائزه وتنمية بدنه . اذ الواقع أن هذا يصطدم بالحقيقة النفسية ، فان كل هذه المظاهر متكلفة كثيرا ماتزيلها أدنى عقبة من العقبات التى تطرأ فتقلب أحيانا العطف الى قسوة ، وقد لمسنا أن كثيرا من هذه الصور اتصلت بمآسى أبرزها خيانة الولد لمتبنيه ، وتصرفه فى بيته وفى أمواله على ضوء هذا التدليل تصرفا يغير نظرة المتبنى اليه . فتكون الفظائع والفجائع ، وخاصة حينما يصارحه بالحقيقة أو يعلمها المتبنى من أى طريق .

فأين هذا من صلة الأبوة والبنوة الطبيعية التى تأبى على كل منهما أن يرعى حق الآخر بعاطفة الحب الغريزى مهما تقلبت الأمور . فاذا كان المتبنى يتكلف العطف ليرأب صدع ذلك الترقيع فان الأب كثيرا ما يتكلف القسوة ويتظاهر بها حرصا على صالح الابن ، حرصا منبعثا من خالص الحب . فكما يقول العرب قديما : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . وهذا يصور الفرق ما بين الأب الحقيقى والأب الصورى .

وبعد . فان الذى يشرع للعباد إله رحيم ، يعرف مصلحتهم وان جهلوا هم هذه المصلحة ، وما دام قد خلقهم فهو الذى يتكفل باقامة مجتمعاتهم ورعايتها والتقنين لها ، وصدق الله العظيم « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا .. » وصدق تعالت قدرته فى قوله : « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا .. » .. وأخيرا فالحق أحق أن يتبع ، ولا يستقيم أمرنا الا باتباع حدود الله .



نظرية الشريعة الإسلامية في الاشتراك

الاشتراك جريمة مستقلة

للدكتور / احمد المجدوب

استحوذ موضوع المساهمة الجنائية على اهتمام المشرّع والفقه منذ عهود موغلة فى القِدم ، أو بعبارة اخرى ، منذ ان قامت سلطة الدولة وتقرر حقها فى سن القوانين وفرض الجزاءات على من لا يلتزمون بما تتضمنه من أوامر ونواه ، ذلك أنه قد اتضح منذ اللحظة الاولي وجود تفاوت فى أهمية وخطورة الأفعال التى يرتكبها المساهمون فى الجريمة ، بحيث يعتبر بعضها من الأسباب المباشرة فى وقوع الجريمة بينما يعتبرها البعض الآخر من الأسباب غير المباشرة فى وقوعها . وهو ما يجب أن يراعى عند توقيع العقاب على هؤلاء المساهمين بحيث لا يتساوون في شدة العقوبة أو قسوة الجزاء وإلا كان هذا منافيا لأبسط مبادىء العدالة .

ولكن هذا ليس معناه ان المجتمعات الإنسانية المختلفة قد واجهت مسالة التفرقة بين المساهمين فى الجريمة والتمييز بين نشاطهم الاجرامى فى مستوياته المختلفة بطريقة واضحة ومنهج سليم ، بل لعلها وقد أدركت وجود ذلك التباين لم تسع الى الاستفادة به فى الأخذ بما يسمى اليوم تفريد العقوبات تبعا لخطورة المساهمين فى الجريمة ، بل سعت الى البحث عن مبررات تستند اليها فى جعل عقوبة المساهمين فى الجريمة واحدة وبنفس الشدة بغض النظر عن التفاوت

فى درجة إجرامهم ، المتمثلة فى الأفعال التى ارتكبها كل منهم ، وكان مما زعمته فى هذا الصدد ، ان أعمال الشريك فى الجريمة ليست محرمة فى ذاتها وإنما تصبح كذلك نتيجة الاتصال بين الشريك والفاعل ، فمن يقدم المساعدة للقاتل ليس خاطئا ، وإنما يستمد الخطيئة ويكتسب الدنس — اى دنس الجريمة — من هذا القاتل .

وهذا التفسير مستمد من عادات ذات اصول قديمة كانت تقضي بأن الخطيئة تنتقل من شخص الى آخر سواء نتيجة وجود صلة قرابة او علاقة جوار ، مما يؤدى الى انتقال الدنس (الخطيئة) بين الناس . وقد ظلت هذه الفكرة سائدة فى بعض الديانات التى يؤمن أتباعها بأن الخطيئة تورث ، وأن آدم عليه السلام قد أورث نسله — اى البشر جميعا — خطيئته فهم جميعا خطاة ، كما تأخذ بمبدأ الفداء والتضحية الذى بمقتضاه يمكن أن يفتدى شخص خطيئة الناس جميعا بنفسه ومن هنا جاءت فكرة وحدة الجريمة ، اى الخطيئة ووحدة الجزاء أو التضحية والفداء وهذا هو جوهر فكرة الاستعارة الاجرامية (١) .

وقد انتقلت هذه الفكرة الى القانون الروماني ومنه الى القانون الكنسى ، ثم الى التشريع الفرنسى القديم ومنه الى قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ . وصيغت فى نظرية أطلق عليها نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة ، التى يرجع الفضل فى تجديدها الى الفقيه الألمانى فون بورى سنة ١٨٦٠ . وطبقا لها فان الشريك فى الجريمة سواء كانت صورة اشتراكه هى التحريض أو الاتفاق أو المساعدة ، لا تعتبر افعاله هذه مجردة ومنفصلة عن النشاط الأصلى للفاعل ذات طبيعة اجرامية ولكنها تستعير هذه الطبيعة الاجرامية بارتباطها بالنشاط الصادر عن الفاعل الأصلى ومن ثم فان الشريك يسأل عن جريمة غيره التى اشترك فيها ، وتوقع عليه عقوبتها كما توقع على غيره من المساهمين فى الجريمة ، نظرا لوحدة الارادة الاجرامية لديهم التى يترتب عليها وحدة المسئولية بالنسبة لهم ، تلك المسئولية التى يتم تحديدها على أساس مدى خطورة الأفعال المرتكبة .

من هذا يتضح أن نظرية الاستعارة الاجرامية تستند الى فكرة غير صحيحة هى فكرة وراثة الخطيئة وفكرة المسئولية الجماعية . وهذه وتلك فكرتان لا يقرهما الاسلام بل يعارضهما بشدة طبقا لقوله تعالى : « **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما اكتسبتم ولا تسالون عما كانوا يفعلون** » فنحن لا نسأل عما فعله أسلافنا لأن الخطيئة لا تورث . وكذلك لا يسأل شخص عما فعله غيره « **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه** » كذلك فانه « **لا تزر وازرة وزر أخرى** » و « **ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى** » « **ولا تكسب كل نفس الا عليها** » « **ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها** » و « **من يعمل سوءاً يجز به** » وهكذا يبدو مبدأ المسئولية الشخصية واضحا جليا بشكل لا لبس فيه فى الشريعة الاسلامية .

فاذا ساهم شخص فى جريمة ما فانه يسأل فى حدود ما أتاه من فعل يخالف به نهيا ، أو ما صدر عنه من امتناع يخالف به أمرا ، فهو يستقل بجرمه لا يستعيره من غيره وينفرد بخطيئته لا يستمدها من سواه .

فالاشتراك فى الجريمة سواء كان بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة هو جريمة مستقلة يسأل مرتكبها عنها وحده مستقلا بأوضاعه وظروفه وأحواله جميعا عن غيره من المساهمين فيها سواء كانوا فاعلين أو شركاء .

فنظرية ان الاشتراك جريمة مستقلة هى النظرية التى تحكم المساهمة الجنائية فى الشريعة سواء كانت مساهمة أصلية أو مساهمة ثانوية . وهى نظرية واضحة المعالم ، متكاملة الأركان تستند كما أسلفنا الى موقف عقائدى يتعارض تماما مع الفكرة الأساسية التى تستند اليها نظرية الاستعارة الاجرامية فى صورتها المطلقة والنسبية .

مضمون النظـــرية :

تقوم نظرية الاشتراك جريمة مستقلة على أســاس أن الشريك لا يستعير إجرامه لا من الفاعل الأصلى للجريمة (نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة) ولا من الجريمة التى ارتكبها هذا الفاعل (نظرية الاستعارة الاجرامية النسبية) وإنما يستقل بجرمه ، بحيث يسأل عن فعل أثبتت صلته بالفعل الأصلى وبالفعل الثانوى الآخر اذا وجد وبالتالى يعاقب عن جريمة مستقلة عن جريمة سواه ممن ساهموا فى الجريمة الأصلية .

فتقدير فعل كل شخص فى الجريمة يتم على انفراد ، سواء من حيث تحديد التهمة المنسوبة اليه أو من حيث وصف الجريمة التى نشأت عن فعله ، وطبقا لهذه النظرية لا يوجد فاعلون وشركاء بالمعنى الوارد فى نظريتى الاستعارة ، بل يوجد عدد من الجناة وعدد من الجرائم .

والنتيجة المنطقية لهذا الوضع هى وجود نصوص فى قانون العقوبات تحكم الأفعال المختلفة سواء منها ما يطلق عليه وصف مساهمة أصلية ، أو ما يطلق عليه وصف مساهمة ثانوية ، وبالتالى يزول الوضـع القائم فى معظم قوانين العقوبات الآن والذى يخضع الفاعلين والشركاء فى الجريمة الواحدة لنص واحد بالرغم من التباين الشديد بين نشاط كل منهم والتفاوت فى درجة الخطورة لديهم ويترتب على تطبيق نظرية الاشتراك جريمة مستقلة التغلب على غالبية المشكلات التى أثارها تطبيق نظرية الاستعارة الاجرامية والقضاء على معظم الصعوبات التى تسببت فيها .

نتائج نظرية الاشتراك جريمة مستقلة :

أولا : تتلافى النظرية النتائج المسرفة فى الخطأ التى نشأت عن استناد نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة الى فرض لم تتحقق صحته وهو أن نشاط الشركاء ليس مجرما فى ذاته ، وانما النشاط المجرم فى ذاته هو نشاط الفاعل وهو ما أدى الى اعتبار نشاط الفاعل ــ كقاعدة عامة ــ ذو طبيعة اجرامية دائما واعتبار نشاط الشريك مجردا من هذه الطبيعة . وهى نتيجة لا يمكن التسليم بها لأن النشاط الذى يصدر عن الفاعل فيه ما هو مجرم بطبيعته وفيه ما ليس كذلك ، ولكنه يصبح غير مشروع لعدة أسباب ، بعضها يرجع الى قصد الفاعل ، أو الى عدم رضاء المجنى عليه ، أو الى طبيعة المحل الذى وقع عليه الاعتداء ، والبعض الآخر يرجع الى صفة خاصة فى الفاعل أو الى الظروف التى يقع فيها الفعل .

ولذلك فان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تنظر الى فعل الشريك مستقلا عن فعل الفاعل وتسأل كل واحد عن فعله وفى حدود ما توفر لديه من قصد .

ففى جريمة السرقة ، اذا اشترك اثنان فى نقب الحرز ثم انفرد أحدهما بأخذ المال قطعت يد المنفرد منهما بالأخذ دون الشريك فى النقب (٢) . فالأول

يوقع عليه الحد لأنه السارق ، أما الثانى فلا يوقع عليه الحد لأنه لم يسرق وإنما توقع عليه عقوبة تعزيرية باعتبار أن ما ارتكبه هو جريمة تعزيرية تستقل عن جريمة السارق ، فيجلد أو يسجن .

ثانيــا : ان القول بأن عمل الشريك ليس محــرما فى ذاته من شأنه ان يحجب مالهذا العمل مجردا من تلك الصلة بينه وبين الفاعل الأصلى (الاستعارة المطلقة) أو بينه وبين عمل الفاعل الأصلى (الاستعارة النسبية) من خصائص نفسية ومادية ذات طابع اجرامى ، فالنشاط الصادر من الشريك قد يكتسب الصفة غير المشروعة من قصـــد الشريك نفسه وليس من قصـــد الفاعل وذلك بالنسبة للتحريض الذى يسبق فيه قصد الشريك فى الوجود قصد الفاعل ــ بل انه هو الذى يخلق القصد لدى هذا الفاعل . وفى الأحوال التى يكون فيها المنفذ حسن النية أو غير ذى أهلية جنائية ، فانه لا يمكن القول بوجود قصد اجرامى لدى الفاعل يمكن أن يكسب نشاط الشريك الطبيعة غير المشروعة .

وهو ما تجنبته نظــرية الاشتراك جريمة مستقلة بفصـــلها بين الفاعل والشريك ومساءلتها كلا منهما على حدة فاذا حرض شخص آخر على قتـــل ثالث فقتله فان القاتل اذا كان صبيا لا يميز أو حسن النية لا يعلم أن طاعة المحرض لا تجوز فى القتل بغير حق ، وجب القصاص على الآمر اى المحرض لأن المأمور ههنا كالآلة للآمر (٣) .

وفيما يتعلق بالتحريض وأثره فى مسئولية المحرض عن الجريمة التى حرض عليها ، اختلف الفقهاء فى المكرَه والمكره ، وبالجملة الآمر والمباشر ، فقال مالك والشافعى والثورى وأحمد وأبو ثور وجماعة : القتل على المباشر دون الآمر (المحرض) ويعاقب الآمر ، وقالت طائفة : يقتلان جميعا ، وهذا اذا لم يكن هنالك إكراه ولا سلطان للآمر على المأمور ، وأما اذا كان للآمر سلطان على المأمور ، أعنى المباشر ، فانهم اختلفوا فىذلك على ثلاثة أقوال . فقال قوم : يقتل الآمر دون المأمور ، ويعـــاقب المأمور ، وبه قال داود وأبو حنيفـــة ، وهو أحد قولى الشـــافعى .

وقال قوم يقتل المأمور دون الآمر ، هو أحد قولى الشافعى . وقال قوم : يقتلان جميعا ، وبه قال مالك : فمن لم يوجب حدا على المأمور أعتبر تأثير الاكراه فى أسقاط كثير من الواجبات فى الشرع ، لكون المكرَه يشبه من لا اختيار له ، ومن رأى عليه القتل غلب عليه حكم الاختيار وذلك ان المكرَه يشبه من جهـــة المختار ويشبه من جهة المضطر المغلوب ، مثل الذى يسقط من علو والذى تحمله الريح من موضع الى موضع ، ومن رأى قتلهم جميعا لم يعذر المأمور بالاكراه ولا الآمر بعدم المباشرة . ومن رأى قتل الآمر فقط شبه المأمور بالآلة التى لا تنطق . ومن رأى الحـــد على غير المباشر اعتمد انه ليس ينطلق عليـــه اسم قاتل الا بالاستعارة (٤) .

ثالثــا : انالشريك يعاقب حتى ولم يرتكب الفاعل الأصلى الجريمة التى قصد الشريك المساهمة فيها وهو ما لم تكن نظرية الاستعارة الاجرامية تتيحه ، لأن المسئولية الجنائية للشريك تتبع المسئولية الجنائية للفاعل الأصلى فى هـــذه النظرية . فيشترط أن تقع الجريمة والا فلا مسئولية لا على الفاعل ولا على الشريك ، وبالتالى لا عقاب على أحدهما . بعكس الوضع فى الشريعة الاسلامية حيث يعاقب على المعاصى ، فاذا كان فعل الشريك يدخل فىمعنى المعصية عوقب حتى ولو لم يؤد الى وقوع جريمة ، مثال ذلك من يحرض شخصا على قتل ثالـــث فان امتناع المحرض عن ارتكاب القتل لا يعفى المحرض من مسئوليته عن جريمة

التحريض ، وهي من جرائم التعازير . فتوقع عليه عقوبة تعزيرية .

رابعــا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة لا تمد أثر الظــروف ذات الطبيعة الشخصية التي تؤثر في المسئولية كموانع المسئولية (صغر السن أو الجنون) أو عدم قيام القصد الجنائي الخاصة بالفاعل الأصلي الى الشريك ، ومن ثم فان الشريك في الجريمة التي يرتكبها الصغير أو المجنون يسأل عن اشتراكه بالرغم من أن الجريمة لا تعتبر قائمة نظرا لعدم توفر العناصر الشخصية .

فاذا زنى الصبى أو المجنون بامرأة طاوعته فلا حد عليه ، ويجب الحـد عليها ، وهو رأى زفر والشافعي وهو رواية عن أبي يوسف . واذا زنى صحيح بمجنونة ، أو صغيرة يجامع مثلها حد الرجل خاصة ، وهذا بالاجماع لأن العــذر من جانبها لا يوجب سقوط الحد من جانبه . فكذا العذر من جانبه ، وهذا لأن كلا منهما مؤاخذ بفعله (٥) .

كذلك اذا توفر ظرف شخصي سواء كان مخففا أم مشددا ، فانه لا يمتــد الى الشريك وإنما يقتصر أثره على من توفر لديه فاعلا كان أم شريكا ، ففي جريمة القذف اذا كان الفاعل في الجريمة هو الزوج قد قذف امرأته بزنا وشاركه في الجريمة شخص آخر ، فان للزوج بصفته هذه أن يدرأ الحد عن نفسه باللعــان (واللعان هو أن يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله اني لمن الصادقين ، ثم يقول وعلىّ لعنة الله ان كنت من الكاذبين .

وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين ثم تقول وعلىّ غضب الله ان كان من الصادقين ،والدليل عليه قوله عز وجل : **« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شـــهداء إلا أنفسهم فشهادة أحــدهم أربع شـــهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين »** .

فان أخل أحدهما بأحد هذه الالفاظ الخمسة لم يعتد به لأن الله عز وجل علق الحكم على هذه الألفاظ فدل على أنه لا يتعلق بما دونها ، ولأنه بيّنة يتحقق بهــا الزنا فلم يجز النقصان عن عددها كالشهادة .

وإذا لاعن الزوج يسقط عنه ما وجب بقذفه من الحد أو التعزير ولا يســقط عن الشريك ، أما إذا امتنعت الزوجة عن درأ الحد عن نفسها بالقسم فانها تعتبر مقرة بالزنا وتحد ولا يحد الزوج ولا الشريك فان تلاعنا ثم قذفها اجنبى حد لأن اللعان حجة يختص بها الزوج فلا يسقط به الحد عن الأجنبى فإن قذفها ولاعنها ونكلت عن اللعان فحدت فقد اختلف أصحابنا فيها فقال أبو العبــاس : لا يرتفع احصانها الا في حق الزوج فان قذفها أجنبى وجب عليه الحد لان اللعان حجة اختص بها الزوج فلا يبطل به الاحصان إلا في حقه (٦) .

كذلك في جريمة الزنا إذا كان أحد الشريكين محصنا والآخر غير محصن فان عقوبة غير المحصن لا تشدد فعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني انهما قالا : « ان رجلا من الأعراب أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا رســول الله انشدك الله الا قضيت لى بكتاب الله ، فقال الخصم وهو افقه منه : نعم اقض بيننا بكتاب الله وأذن لى أن أتكلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قل ، قال : ان ابنى هذا كان عسيفا على هذا فزني بامرأته ، واني أخبرت أن على ابنى الرجم فافتديته بمائة شاة ووليدة . فسألت أهل العلم فأخبروني إنما على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وان على امرأة هذا الرجم ، فقال الرسول عليـــه الصلاة والسلام : والذى نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : أما الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا انيس على امرأة هــذا

فان اعترفت فارجمها ، فغدا عليها أنيس فاعترفت ، فأمر النبى عليه الصلاة والسلام بها فرجمت (٧) .

كذلك إذا توفر النصاب الذى يجب فيه القطع فى جريمة السرقة فى حق احد المساهمين ولم يتوفر فى حق الآخر فان الأول يعاقب بالقطع دون الثانى ، قال الامام مالك : « فى القوم يأتون البيت فيسرقون منه جميعا فيخرجون بالعدل يحملونه جميعا أو الصندوق أو الخشبة أو بالمكتل أو ما أشبه ذلك مما يحمله القوم جميعا ، إنهم اذا أخرجوا ذلك من حرزه وهم يحملونه جميعا فبلغ ثمن ما خرجوا به من ذلك ما يجب فيه القطع وذلك ثلاثة دراهم فصاعدا فعليهم القطع جميعا وقال : أما من لم يخرج منهم بما تبلغ قيمته ثلاثة دراهم فلا قطع عليه » (٨) أما ابو حنيفة فيشترط للقطع أن يكون النصاب عشرة دراهم (٩) ، فاذا كان احدهم قد سرق أكثر من عشرة قطع ومن سرق دون ذلك لم يقطع .

خامسا : كذلك فى الأحوال التى يوجد فيها سبب اباحة ، فان نظرية الاستعارة الاجرامية تمد أثره الى جميع المساهمين فى الجريمة فيستفيد منه الشريك فى حين ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تجعل بعض المساهمين يستفيد من سبب الاباحة دون البعض الآخر .

فشريك الأب فى قتل الابن يجب عليه القصاص لأن مشاركة الأب لم تغير صفة العمد فى القتل فلم يسقط القود عن شريكه ، كمشاركة غير الأب (١٠) . والمعروف أنه فى الشريعة الاسلامية لا يجب القصاص على الأب بقتله ولده ، ولا على الأم بقتل ولدها ، لما روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يقاد الأب من ابنه ، فاذا ثبت هذا فالأثبت فى الأم لانها كالأب فى الولادة .

سادسا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة من يشترك فى جريمة تقع كلها خارج اقليم الدولة : وهو الفرض الذى لم يتناوله قانون العقوبات الحالى ، فمن يحرض وهو فى مصر شخصا غير مصرى يقيم فى الخارج علي ارتكاب جريمة فى البلد الذى يقيم فيه لا يعاقب اذا وقعت هذه الجريمة .

وهو نفس الوضع فى قانون العقوبات الفرنسى ، ففعل الاشتراك الذى يقع فى فرنسا وتكون الجريمة قد وقعت كلها فى الخارج — لا يعاقب عليه الشريك (١١) . وقد كان هذا الوضع من بين الأسباب التى أدت الى تعديل وصف جريمة اخفاء الأشياء المسروقة سنة ١٩١٥ فى قانون العقوبات الفرنسى بجعلها جريمة مستقلة واخراجها من نطاق الاشتراك (١٢) .

أما طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان فعل الشريك اذا كان معصية عوقب عليه بعقوبة تعزيرية .

سابعا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك حتى ولولم يكن المشرع يعتبر الفعل الذى ساهم فيه جريمة ، مثال ذلك الانتحار فهو ليس محرما فى تشريعات عديدة منها قانون العقوبات المصرى الحالى وقانون العقوبات الفرنسى والبلجيكى والألمانى ومن ثم فان الشريك سواء تم اشتراكه بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة لا يسأل عن اشتراك فى جريمة لأنه ليست هناك جريمة .

أما فى الشريعة الاسلامية فإن تحريض شخص أو مساعدته على الانتحار معصية يعاقب مرتكبها بعقوبة تعزيرية .

ولعل من أهم النتائج التى يسفر عنها تطبيق نظرية الاشتراك جريمة مستقلة انها تمكن من العقاب على الاشتراك فى الزنا باعتبار أن فعل الشريك سواء كان تحريضا على الزنا أو مساعدة عليه أو اتفاقا بشأنه هو معصية لا شك فيها يعزر مرتكبها بعكس القوانين الوضعية التى لا تعاقب عليه لأن القواعد الخاصة بالاشتراك لا تنطبق على جريمة الزنا ، فمن يحرض زوجة على ارتكاب الزنا مع شخص ما لا يعاقب عن اشتراك فى الجريمة اذا ضبطا متلبسين لأن الاشتراك فى الزنا خاص لا يتم الاستناد فيه الى المبادىء العامة الواردة بالمادة ٤٠ عقوبات مصرى (م ٦٦ و ٦٧ عقوبات بلجيكى) (١٣) فالذى يمكن معاقبته فقط هو الفاعل مع غيره فى الجريمة المرتكبة من جانب المراة الزانية (١٤) .

ثامنـــا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك فى حالة مساهمته فى جريمة مما يتوقف اتخاذ الاجراءات فيها على شكوى . مثال ذلك أن يكون الفاعل فى جريمة السرقة ابنا سرق أباه أو زوجا سرق زوجته . فان الشريك سواء كان قد حرض على ارتكاب الجريمة أو ساعد على ارتكابها أو اتفق بشأنها يعاقب حتى ولو لم يتقدم المجنى عليه بشكوى لأن ما فعله الشريك هو معصية فى ذاته . وكذلك الحال فى جريمة الزنا التى يشترط لاتخاذ الاجراءات بشأنها التقدم بشكوى من الزوج المضرور .

تاسعـــا : كذلك تمكن النظرية من معاقبة الشريك الذى يخلق حالة الدفاع الشرعى ، كأن يحرض شخص آخر على القيام بعمل ينطوى على استفزاز لشخص ثالث يدفع هذا الأخير الى مهاجمة من صدر منه الاستفزاز فما يكون من هذا إلا أن يقتله دفاعا عن نفسه ، كل هذا بتدبير من المحرض ، فطبقا لنظرية الاستعارة الاجرامية لا يعتبر فعل الدفاع الشرعى جرما وبالتالى فليس هناك نشاط أصلى معاقب عليه يستعير منه الشريك اجرامه . ولكن طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان الشريك الذى خلق بنشاطه حالة الدفاع الشرعى يعتبر مرتكبا جريمة يعاقب عليها .

وقد قضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى واقعة مماثلة بأن تحمل الزوجة دية عشيقها الذى مكنته من التخفى بمسكنها للاعتداء على زوجها فما كان من هذا الأخير إلا أن قتله حين هم بالاعتداء عليه لأنها هى التى عرضته للقتل وتسببت فى ازهاق روحه . وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر للقتل لأن هذا القتل كان مأذونا به فى حالة دفاع عن النفس والحرمة ويقول ابن القيم : « فهذا من أحسن القضاء الذى لا يهتدى اليه كثير من الفقهاء وهو الصواب » (١٥) .

النظرية فى الفقه والتشريع الغربيين :

هذه هى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة وتطبيقاتها فى الشريعة الاسلامية أما فى الغرب فقد ظهرت النظرية لأول مرة فى المؤتمر الدولى لقانون العقوبات الذى انعقد سنة ١٨٩٥ فى مدينة (Linz) اى بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من ظهور النظرية فى الشريعة الاسلامية حيث اقترح كرارا بمناسبة مناقشة موضوع المساهمة فى جريمة قتل الأصول ، الاهتمام بدراسة المتهم وليس الجريمة التى ارتكبها والتى ليست فى الواقع سوى الفرصة التى أتاحت الامساك به .

وقد لاقت هذه الأفكار ترحيبا فى كثير من الدول التى بادرت الى الأخذ بها فى تشريعاتها العقابية ومنها قانون العقوبات النرويجى الذى وضعه الفقيه (Getz)

سنة ١٩٠٢ والذى صرح بأنه طالما لا يجـوز مساءلة الشـخص إلا عما ارتكبه شخصيا كما تقرر ذلك المبادىء العامة ، فانه يجب كذلك الا يسأل الشريك إلا عما قام به شخصيا من أفعال بصرف النظر عن أفعال غيره ممن ساهموا معه فى الجريمـة .

وقد أخذت بهذه النظرية بالاضافة الى قانون العقوبات النرويجى الصـادر سنة ١٩٠٢ ، قانون العقوبات الايطالى الصادر سنة ١٩٣٠ ،وقانون العقوبات السويسرى سنة ١٩٣٧ ومشروع قانون العقوبات الفرنسى سنة ١٩٤٣ ، وقانون العقوبات المكسيكى سنة ١٩٣١ والبرازيلى سنة ١٩٤٠ والدانمركى .

كذلك أيد هذه النظرية جانب كبير من الفقهاء مثل فويرباخ وكرارا وفون لست ونيكولا دونى (١٦) وبالرغم من الانتقادات التى وجهها أنصار نظرية الاستعارة الى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان ذلك لا يحول دون التسليم بأن هـذه النظرية قد حققت مزايا كثيرة تعتبر من عناصرها الأصلية بعكس نظرية الاستعارة التى لجأت الى اصطناع حلول أو بالأحرى استعارتها بالرغم من أنها تتعارض أصلا مع منطقها والملاحظ بصفة عامة أن سلطان نظرية الاستعارة سواء كانت مطلقة أو نسبية قد بدأ ينحسر لأن التشريعات العقابية لم تعد اليوم كما كانـت بالأمس تميل الى اعتناق نظرية أو مذهب معين بشأن وضع الشريك فى الجريمة ، فالتطور المستمر الذى تمر به التشريعات جعلها تستمد القواعد التى تتلاءم مع سياستها العقابية من مختلف النظريات بحيث لا يتاح للشريك أن يفلت من العقاب نتيجة استفادته من التغييرات التى توجد فى النظرية الواحدة ، وقد أدى هـذا التطور الى افتقاد نظرية الاستعارة الاجرامية لكثير من الأرض التى كانت تقف عليها لمصلحة نظرية الاشتراك جريمة مستقلة التى اتسعت الرقعة التى تسيطر عليها من قانون العقوبات . فلعل هـذا يشجع رجال الفقه وشراح القـانون المسلمين على اعادة النظر فى موقفهم من أحكام الشريعة الاسلامية واعمـال الفقهاء المسلمين التى تثبت كل يوم أصالتها وتؤكد دقتها وسلامتها .

---

(١) انظر مزيدا من البيانات ، جاك ليوتيه : المساهمة الأصلية ، الاشتراك والتحريض فى القانون الفرنسى ، المجلة العقابية السويسرية سنة ١٩٥٧ ، ص ١ وما يليها .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٧ .

(٣) المهذب جـ٢ ، ص ١٧٨ .

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٥) الهـداية ، جـ ١ ص ١٠٣ .

(٦) المهـذب ، جـ ١ ص ١٢٧ .

(٧) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٤٣٦ .

(٨) الموطـا ص ٥٢٢ .

(٩) الهـداية ، جـ ٢ ص ١١٩ .

(١٠) المهـذب ، جـ ٢ ص ١٧٥ .

(١١) فيدال ومانيول : دروس فى القانون الجنائى وعلم العقاب جـ ١ ص ٥٦٨ .

(١٢) دالوز جـ ١ ، قسم ١ ص ٤٥٥ وما يليها .

(١٣) نيبلس ، قانون العقوبات البلجيكى فقرة ٣٨٩ رقم ٩ .

(١٤) جارو الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات الفرنسى جـ ٤ رقم ٥١٧ .

(١٥) محمود الباجى ، المرجع السابق ص ٨٤ .

(١٦) بوزا : الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات جـ ١ رقم ٧٢٨ ص ٤٩٤ .

٢

العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق

العلمانيّة في مرحلتها الثانية في الفكر الأوروبي وهي تمثل الاستئثار بالسلطة

للدكتور محمد البهى

٢ ــ المرحلة الثانية للعلمانية فى القرن التاسع عشر : ــ

وهى مرحلة العهد المادى ، أو ما يسمى « بالثورة العلمانية » .. مرحلة الجناح اليسارى من مدرسة هيجل فى القرن التاسع عشر .
وقد قيم مؤرخ الفلسفة :.K . Lowith (فى كتابه : Von Hegel Bis Nietzsche) « من هيجل ــ الى نيتشة » سنة ١٩٥٠) أصحاب العهد المادى والثورة العلمانية بأنهم قد انحرفوا فى التوجيه ، ونقلوا معارفهم الأكاديمية الى المعارف الصحفية ،

تحت ضغط الظروف الاجتماعية . وأصبحت وظيفتهم هى وظيفة الكاتب : يقع تحت التبعية المستمرة للناشرين ، ومن يعطون المال ، والجمهور ، والرقابة . وكتابتهم هى : بيانات ، وندوات ، وبرامج ، وادعاءات . ومظهرهم العلمى أصبح تبليغا حماسيا للناس ، كما أصبحت لهجتهم تنطوى على الاثارة .

ولكن كتابتهم لا تترك الا ذوقا قليل الطعم . لأنهم يدعون ادعاءات عريضة لا حدود لها ، مع فقر وسائلهم . والعالم بعد سنة ١٨٣٠ أصبح قبيحا وفاسدا . ولو قيس العقل الجديد فى عهد الثورة العلمانية بمقياس تاريخ العقل عند هيجل .. لعدّ نمطا من تحويل الفكر الى همجية وبربرية . اذ أصبح مضمونه الآن : عجرفة .. وميولا فاسدة .

* فيرباخ Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) :

ويعتبر من أهم المؤسسين لفكر الثورة العلمانية فى القرن التاسع عشر : فيرباخ . اذ يمكن للانسان عنده : أن يدرس مرحلة الانتقال من دين أرضى طبيعى صاف بعيد عن السماء .. الى المادية المتطرفة . فقد بدا واضحا : **أنه يشلح الاله المسيحى تاجه ، ويطيح بالثنائية بين الدين الغيبى والعالم المشاهد ، وكذلك بين الكنيسة والدولة** . وذلك فى رسالته التى كتبها عن هيجل .

وفى نقده لفلسفة هيجل فى سنة ١٨٣٩ : تحدث عن عدم الجدوى من فكرة (المطلق) — وهى الله — وذكر أن المطلق عند هيجل ليس الا العقل المفارق للاهوت .. ذلك العقل الذى يشبه فى فلسفته (هيجل) : الخيال الطائف .

وفى رسالته : « لإصلاح الفلسفة ، والمبادىء الأساسية لفلسفة المستقبل » .. سار قدما فى الطريق .. نحو الايمان بالمحسوس وحده ، وبالمادية الهوجاء . وبالأخص فيما كتبه فى هذه الرسالة تحت عنوان : « طبيعة المسيحية » سنة ١٨٤١ .

والمذهب المثالى عند هيجل — فى نظر فيرباخ — ليس الا غطاء للاهوت « ومن لا يتنازل عن فلسفة هيجل ، لا يتنازل عن اللاهوت » . فرأى هيجل — فى نظر فيرباخ — بأن الواقع والطبيعى نشأ عن « الفكرة » هو التعبير العقلى فى تعاليم اللاهوت : بأن الطبيعة نشأت عن الله . ويقول — متحديا ذلك — : إن الدين اللانهائى ، وكذلك الفلسفة ، ليس فى الواقع الا تحديا حسيا نهائيا ، ولكن فيما وراء الضوء . فبداية الفلسفة لا يمكن أن تكون الله ، أو الوجود بدون موجود . ولكن بدايتها فقط : النهائى ، والمحدد ، والواقع . **ويجب أن تكون المادية ، أو مذهب الحس** فى موضع الدين الغيبى (أى الموحى به من عند الله) وفيما وراء الطبيعة . والواقعى ، والحقيقى ليس : الله ، ولا الوجود بدون الموجود ، ولا : المفهوم والمعنى . ولكن الموجود : هو المحس .

والانسان هو الموجود الالهى ، وليس الله . والدين الجديد هو : السياسة بالطبع ، وليس المسيحية . والسياسة يجب أن تكون ديننا . ولكن لا يتحقق ذلك الا اذا كان هناك شىء أعلى فى نظرنا يحول السياسة الى دين . وهذا الشىء الأعلى هو : الانسان . ولكن ليس الانسان الفرد . لأن الانسان الفرد يظل دائما انسانا أرضيا مفتقرا . ولذا يجب أن تكون : « جماعة العمل » ، هى المعبود وفى مكان العبادة .

والله ، والدين ليس اى منهما اساس الدولة . وانما اساسها : الانسان وحاجته . ليس الايمان بالله ولكن الشك فى الله يجب أن يكون العامل فى قيام الدولة . والايمان الذى يجب أن يتوفر هو : ايمان الناس بذواتهم انفسهم وببعضهم

بعضا . لانه اذا بقى الله هو السيد ، والرب .. فان الانسان سيظل واثقا به ، بدلاً من أن يثق بالناس . والباقى لنا هو الانسان وحده .

ولهذا : فالدولة هي مضمون الواقع كله .. هى الطبيعة العامة أو الانسانية .. هى الحامية والواقية للانسان . **وبهذا تصبح الدولة** مناقضة للدين . « **وأن الالحاد العملى هو الرباط بين الدول** » .

والناس يلقون بأنفسهم على السياسة فى الوقت الحاضر — هكذا يذكر فيرباخ — لأنهم يعرفون : أن المسيحية كدين تشل فاعلية الانسان السياسية . وتسمى هذه النظرة — من جانب أتباع فيرباخ — التى تنقل الانسان الى مكان الله فى العبادة ، وتقام الدولة عليها ، وتصنع التاريخ : بالمذهب الانسانى الالحادى .. !

❋ ماركس Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) :

وفيرباخ يعتبر معبد الطريق التى سلكها كارل ماركس مع زميله : انجلز ، نحو تأسيس ما يسمى بالمادية التاريخية ، الاستنتاجية : (Dialekisch) . وتعود تلامذة ماركس بأن يلقبوه : « بأبى الاشتراكية العلمية » . وماركس تأثر أولا بفلسفة هيجل ، ثم عن طريق تأثره « بفيرباخ » .. تحول الى اليسار المتطرف لفلسفة هيجل . وقد درس الاشتراكية أيضا فى فرنسا ، وتعرف هناك على « انجلز » . وعن طريقه ذهب الى انجلترا ، ودرس المشاكل الاقتصادية ، كما تأثر بالأوضاع الاجتماعية السيئة التى كانت للطبقة العاملة هناك . وفى سنة ١٨٤٨ وضع : « البيان » الشيوعى فى مدينة بروكسل ، بالاشتراك مع «انجلز » .

وتآليفه : العائلة المقدسة ، والايديولوجية الالمانية ، وشقاء الفلسفة ، ورأس المال . وقد نعت ماركس نفسه : بأنه تلميذ لهيجل عكس عليه وضع فلسفته : فهيجل نظر الى العالم من « أعلى » لأن « الفكرة » عنده هى مبدأ العالم ، وما عداها تابع فى الظهور لها ، أو لما يسمى : بالمفهوم ، أو بالعقل العام . والطبيعة المادية هى عنده صفحة أخرى « للفكرة » وحدها . بينما يرى ماركس : أن الحقيقة المادية وحدها هى بداية العالم ، وهى كذلك : الواقع الصافى الجازم ، وما عدا الحقيقة المادية مما له طبيعة : « الفكرة » كالعادة ، والخلقية ، والقانون والدين ، والثقافة .. هو تابع فى الظهور الاضافى لتلك الحقيقة المادية .

و « المادية » عند ماركس تختلف عن « المادية » عند الآخرين من أصحاب اليسار من تلامذة هيجل .. حتى عن « المادية » عند فيرباخ : استاذه ومعبد الطريق له .. المادية عند ماركس هى المادية **العملية ، التاريخية ، الالحادية** .

وفى نقد ماركس للمادية عند فيرباخ يرى : أن المادية التى قال بها فيرباخ هى : عوض عن المذهب الحسى ، الذى ينظر الى العالم الطبيعى على أنه مجعول يقبل قبولا سلبيا ، وليس على انه انتاج للعمل الانسانى المحسوس (الاقتصاد) أو على أنه يدرك : على انه عمل .

والنظرة المادية لماركس هى نظرة راديكالية (متطرفة) استخدم فى شرحها عدة مبادىء من فلسفة هيجل .. استخدم فيها :

أولا : — مبدأ الباعث على التطور الدائم ،

وثانيا : — مبدأ رفع المتناقضات ،

وثالثا : — مبدأ التقدم نحو جديد ، وان لم يكن احسن .

.. كما اختار التطبيق « الثلاثى » فى فلسفة هيجل (وهو الدعوى ، ومقابل الدعوى ، والجامع بينهما) مجال : النظام الرأسمالى كدعوى ، والطبقة العاملة

كمقابل للدعوى ، والمجتمع الشيوعى اللاطبقى كجامع بين الدعوى ومقابل الدعوى .

وبسبب هذا الاختيار يعتبر كارل ماركس (ثوريا) وليس فيلسوفا . اذ الفلسفة فى نظره : وسيلة مختارة لاتجاهاته السياسية .

والمادة التى تقصدها المادية الماركسية ليست مادة بعيدة عن النشاط الانسانى . فالمادة التى تحدد — فى رأيه — النظرة الى العالم ، أو الى التاريخ ، وكذلك ما يحدد على العموم : التفكير ، والعمل ، والسلوك للانسان .. هى مادة متصلة بنشاط الانسان ، أو هى انسان فى صلته بالمادة (هى الاقتصاد) .

* ماركس والمسيحية :

ويرى ماركس : ان هدم المسيحية مقدمة ضرورية لبناء عالم يكون الانسان فيه سيد نفسه . ولكن لا ترفض المسيحية وحدها ، **بل معها يرفض كل دين كذلك .** اذ الدين يسلب الانسان وعيه بمأساته وشقائه فى الوقت الذى يمنيه فيه بعالم افضل . « ان الدين هو أفيون الشعب » . ولذا — فى نظر ماركس — يجب أن يذكر الشعب دائما : بأن الدين ليس انتاجا للانسان . انه تفكير الانسان واحساسه ، ذلك الانسان الذى لم يتكسب بعد ، أو الذى أصبح بالفعل ضائعا .

وفى نظر ماركس : الطبقة التى تملك ، والأخرى التى تعمل ، كلتاهما تمثلان وضعا شاذا فى الانسانية . ولكن الراسمالية — كما يرى — تحس نفسها بخير فى عدم انسانيتها .

وهنا تنشأ مهمة الطبقة العاملة ، وهى : أن لا تخدع بالدين، وان لا تتراخى فى الصراع ضد الراسمالية بسببه . فهذه الطبقة العاملة يجب أن تكون على ذكر دائم بمأساتها ، كى تزيل وضعها الشاذ فى الانسانية ، كما تزيل ذلك الوضع الشاذ الآخر للراسمالية فى الانسانية .

وايمان كارل ماركس بفكرة التقدم (التقدمية) — كما كان الحال فى القرن التاسع عشر يرجع الى عاملين :

العامل الأول : — ما توحى به فلسفة هيجل بأن كل تطور هو تقدم ، اى هو خطوة الى الامام ، وان لم يكن ليس بلازم أن يكون أحسن .

العامل الثانى : — أن مدح التقدم والتبشير به يعتبر من عدة (التأثر) . وماركس كان ثائرا أكثر منه فيلسوفا .

وتتلخص الماركسية — وهى العناية بفلسفة ماركس ، وانجلز — فى عدة مبادىء :

المبدأ الأول : — المادية التاريخية ، الاستنتاجية ، من الوجهة الفكرية والنظرية .

المبدأ الثانى : — الالحاد ، واستخدام المنهج العلمى فى تحقيقه ،

المبدأ الثالث : — صراع الطبقات ، للوصول الى مجتمع لا طبقى .

وتتبع هذه المبادىء عدة موضوعات اخرى فى الاقتصاد ، على نحو ما نذكر فى كتاب « رأس المال » . واهمها ما يخص فائض القيمة ، الذى هو الفرق بين ما يدفع للعامل من رجل الصناعة ، وما تباع به السلعة المصنعة فى السوق الحرة .

ويرى ماركس فى فائض القيمة : أن الراسماليين يدفعون للعامل اجرا ، على نحو يحفظ له قدرته على العمل فقط — ويسميها ماركس بالقيمة الخادعة — بينما قيمة الربح فى انتاج العامل فى السوق الحرة أكثر من ذلك . وفائض القيمة يخفيه الراسمالى . وهنا يكون معنى الراسمالية مساويا لمعنى الاستغلال للعامل . والراسمالى يرغب فى ذلك ، لأنه يملك وسيلة الانتاج . والراسمالى

من غير أن يجهد نفسه فى عمل .. يصل عن طريق استغلال الشعب العامل الى تكديس الثروة باستمرار . ولكن هذا التكديس نفسه ــ كما يتنبأ ماركس ــ سيؤدي الى الاكراه على نزع الملكية الخاصّة من المكدسين .

لأن هؤلاء المكدسين هم الذين أوجدوا الطبقة العاملة ، ثم عن طريق هذا التكديس عكسوا الآية فأساءوا الى العمال .

واذا صارت الطبقة العاملة على وعى بوضعها اللاانسانى فانها ستتقدم الى الكفاح : فتمسك بسيطرة القوة ، وتنزع الملكية الخاصة ، وتبعد التناقض القديم بين الرأسمالية والطبقة العاملة ، وتذيب هذا التناقض فيما يجمع الطرفين، وهو المجتمع اللاطبقى .

وهذا هو اتجاه الماركسية الأرثوذكسية التى تعرف بالبلشفية فى الوقت الحاضر .. وهو المفهوم الذى أعطاه لينين ــ واستالين من بعده ــ للماركسية .

* ولكن هناك جناح آخر للماركسيين فى غرب أوربا ، وهو الجناح المعتدل أو المتئد .. هو جناح غير المقلدين من الذين يستخدمون : الاختبار والامتحان فى قبول النظريات أو فى رفضها .. هم من يعرفون بجناح الـــ : Revisonistes وقد يوصفون بالمرتدين تنديدا بهم ، من أمثال : E. Bernstein, K. Kautzky K. Vorlandes

وهذا الجناح ترك فلسفة ماركس فى التطبيق ، لأنها فى نظره تقوم على ادعاءات لا دليل عليها . ثم يعنى بتحسين الوضع الاجتماعى للعمال ، كعمال . فالحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المانيا تنازل بصراحة عن المادية التاريخية . والمنظمات العمالية الاشتراكية فى : فرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، وانجلترا ، واسكندنافيا .. يصدرون الآن فى نظرتهم الى تحسين الوضع العمالى عن مبادىء فلسفية واقتصادية أخرى .

* وأسس التفكير الفلسفى الماركسى تمثل فى واقع الأمر نظرة القرنين : السابع عشر ، والثامن عشر .. الى العالم . وهى النظرة الميكانيكية ذات الصلة بعصر التنوير فى فرنسا ، وبالمذهب الوضعى ، وبالمادية فى البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر .

وقد قذف الماركسيون بأنفسهم الى .. مادية البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، كما تقذف صبية الفلاحين الى مصنع فى مدينة كبيرة . وهنا يفهم : أنه هنا كانت كذلك : (ثورة) فقد اعتاد الانسان (الماركسى) : أن :

أ ــ يرجع العقل .. الى العاطفة ،

ب ــ والأخلاق .. الى المنفعية ،

.. واعتاد أن ينظر :

أ ــ الى الانسان .. على أنه حيوان فى مستوى أعلى ،

ب ــ والى الشعب .. على أنه كومة من الخلايا ــ أو الذرات الانسانية ــ بحيث لا يحكمها هنا الا ذلك القانون الطبيعى ، وهو قانون : الضغط ــ والدفع ، أو السبب ــ والمسبب .

ولكن النظرة التى قامت عليها : مادية البحث الطبيعى ، وهى النظرة الميكانيكية .. أصبحت الآن خارجة عن دائرة الاعتبار . لأن هذه النظرة ترى : أن الوجود ذو جانب واحد ، بينما هو متعدد الجوانب . فالانسان يبدو فى طبقات الحياة النباتية والحيوانية ــ دون ما عداه فيها ــ صاحب امكانيات عديدة ــ ولذا : فله من طبيعته : الحرية والمشيئة والاختيار . ومن أجل ذلك يمكن أن يقال : ان حتمية السببية ــ والسببية هى أصل النظرة الميكانيكية ــ للطبقة العضوية

هي ظاهرة احصائية فقط . اى ليست ظاهرة صحيحة بالنسبة لطبيعة الانسان .
وكما نقدت هذه النظرة الميكانيكية للبحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، والتى تأثر بها ماركس فى مذهبه المادى التاريخى . . نقد أيضا أساس ما تميزت به : « ماديته » وهى المادية العملية . . نقد ذلك الادعاء الذى يرى : أن الاقتصاد هو أصل الوجود الفكرى ، والنفسى ،والاجتماعى ، والمادى :
فقد وضع ماكس ويبر .MARX WEBER (١٨٦٤ — ١٢٩١) فيما سبق أن أشرنا — فى كتابه . « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة أجزاء — ١٩٢٠) .
أ — ان الدين عند الهنود ، والصينيين ، واليهود . . لم يقم على أساس اقتصادى ، كما يحاول ماركس : أن يشرح كل شىء فى الوجود . . حتى الدين ، والأخلاق ، والفكر . . من الاقتصاد . ولكن الفكرة الدينية وحدها فى هذه الأديان الثلاثة هى التى حددت البناء الاجتماعى لشعوب هذه الاديان .
ب — وان التفكير الكنسى كان له تأثير على المجتمع والاقتصاد فى القرون الوسطى ،
جـ — وان الرأسمالية المعاصرة قامت على الايديولوجية الخاصة بـ — كالفن .Calvin (١٥١٩ — ١٥٦٤) ، وتحت تأثير أصحاب « النزعة الخالصة » فى المسيحية من البروتستنت ، فى انجلترا منذ القرن السادس عشر Puritaners وليست الرأسمالية هى التى خلقت هذه الايديولوجية .
ويستمر « ماكس فيبر » فى نقده لفكرة نشأة الوجود عن الاقتصاد فى مادية كارل ماركس فيتساءل :
د — هل يمكن أن تكون الحقائق الرياضية ، والمنطقية تابعة لأسس مادية ؟
هـ — اليست هذه الحقائق هى هى ، فى كل وقت ، وفى كل الظروف ؟
* لينين فى تطبيق الماركسية (١٨٧٠ — ١٩٢٤) :
ان ماركس كان ذا صلة بالثوار الروس منذ وقت سابق . وفلسفته منذ سنة ١٨٧٠ كانت تناقش وتدرس فى روسيا . والمؤسس فى الواقع للماركسية الروسية هو .Pechanow (١٨٥٦ — ١٩١٨) عندما كان مهاجرا بجنيف . ففى سنة ١٨٨٠ أسس أول مجموعة ماركسية فيها ، تسمى نفسها : « رابطة تحرير العمل » . وتبع تأسيس هذه المجموعة قيام مجموعات أخرى على غرارها فى روسيا . وانضم بعضها الى بعض تحت شعار : « اتحاد الكفاح من أجل تحرير الطبقة العاملة » .
وفى سنة ١٨٩٨ عقد أول مؤتمر للماركسيين فى مدينة مينسك .Minsk ، وعقد المؤتمر الثانى فى بروكسل — ولندن سنة ١٩٠٣ .
ولينين هو الذى حول الماركسية الى عقيدة للحزب . واصبحت الماركسية تسمى بالبلشفية فى عالم السياسة ، بينما تسمى بالمادية الاستنتاجية فى عـــالم الفلسفة . والبلشفية اذن **هى « الدين الجديد » بديلا عن المسيحية .**
وفى نظر لينين يجب أن تخدم الفلسفة « الواقع » . **والواقع — عنده — هو: « الحزب »** . وفى مقال له تحت عنوان : « الاشتراكية والدين » كتب : « **ان الدين هو أفيون الشعب . وان الدين نوع ردىء من خمرة العقل التـــى تحجب ذاكرة الأرقاء لراس المال : عن أن يعوا وجه انسانيتهم ، ومطالبتهم فى : وجود انسانى ، على منتصف طريق الانسانية .**
ومع هذا : فالرقيق الذى يكون على وعى برقه ، ويقوم للكفاح من اجل تحرير نفسه . . انما يكون قد وصل الى منتصف الطريق نحو الخلاص والتحرر

النهائى . **والعامل الحديث الذى يـــكون على وعى بطبقيته ، والذى تخرج فى المصنع الكبير وعلى بصيرة بطريق حياة المدنية .. يبعد عن نفسه بكل احتقار : الامتيازات الدينية ، تاركا للسماء .. أصحاب الدرجات العالية من القساوسة ، ومن المدنيين الصالحين ، من أجل استخلاص حياة أفضل على الأرض هنا .**

واذ يوافق لينين على انه يجب أن يكون الدين أمرا شخصيا ــ كما هـــو متعود أن يقال فى دائرة الماركسيين ــ فانه يوافق فقط **بالنسبة للدولة ووضعها . اما الحزب فيجب أن يمارس أعضاؤه الالحـــاد . اذ الحزب عدو لدود للدين .** أما الدولة فيجب أن تكون محايدة ، على معنى : أنها لا تهتم بالدين ، وأن لا ترتبط به ، وأن يكون عديم المغزى لديها بالنسبة للمواطن فلا تسأله عن مذهبه الدينى . **وحياد الدولة بالنسبة للدين هو انفصال كامل بين الكنيسة والدولة .**

* * *

وفى مرحلة العلمانية المتطرفة ، أو ما تسمى بمرحلة اليسار المتطرف فى مدرسة هيجل ، نرى :

أولا : ــ أن « علمانية » فيرباخ ــ وهى التى تتمثل فى مذهبه الانسانى الالحادى ــ هى : الغاء الدين ، أىّ دين ، وليست فصـــلا بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية فى مرحلتها الاولى ، واحلال « الانسان العام » (جماعة العمل) فى العبادة محل الله .

وثانيا : ــ ان علمانية ماركس ــ وهى التى تتمثل فى المادية ، التاريخية ، الالحادية ــ هى : هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون فيه الانسان سيد نفسه . وتنتهى سيادة الانسان الى سيادة المجتمع والدولة . ووضعهما بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود الخالق من الأفراد المخلوقين .

وثالثا : ــ ان علمانية لينين ينتهى أمرها الى الغاء المسيحية كدين ، ووضع البلشفية ــ وهى الماركسية اللينية ــ كدين جديد ، بدلا منها . وهذا الدين الجديد يجب أن يكون فى خدمة (الواقع) الذى هو (الحزب) . والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديد مكان (العبادة) عوضا عن الله فى المسيحية ، ومكان القداسة عوضا عن الكنيسة .

* * *

* وهنا نجد ــ بعد استعراض مجمل لأهم خصائص الفكـــر الفلسفى العلمانى فى أوربا ــ

أولا : ــ أن دافع « العلمانية » فى القرنين السابع عشر ، والثامن عشر كان هو : **التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة** . ولذا كان الفصل بين السلطتين هو : الحل الفلسفى ، أو الرسمى لهذا التنازع .

ثانيا : — ان الدافع عليها فى القرن التاسع عشر ، أو فيما يسمى بين اليسار الثورى أو المتطرف فى مدرسة هيجل ، **هو الاستئثار بالسلطة** . ولذا : كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة . بل كانت الغاء للثنائية ، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول الى « السلطة المنفردة » التى هى سلطة « جماعة العمل » أو « المجتمع » أو « الدولة » أو « الحزب » ، حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين .

ثالثا : — ان البحوث الطبيعية والتقدم العلمى بالتدريج منذ نهاية القرون الوسطى هى التى جرأت أرباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة ، وعلى الاستقلال فى النشاط الانسانى وحركة المجتمع عن أى رأى يصدر منها .

رابعا : — ان الفكر الفلسفى العلمانى — سواء فى مرحلته الأولى ، أو الثانية — لم يسلم فى أوربا من مواجهة فكر فلسفى آخر معارض . فقد قامت مدرسة كمبردج بمعارضة هوبز ، أشد المفكرين العلمانيين صلابة ضد الكنيسة فى مرحلة العلمانية الاولى ، كما قام كثيرون فى المرحلة الثانية منها بمعارضة المادية عند فيرباخ ، والمادية التاريخية عند ماركس ، وبنقض الأسس الفلسفية التى تبناها الاتجاه المادى المعاصر سواء : أكانت أسسا تنتمى الى البحث الطبيعى او الى دائرة الاقتصاد . وأبرز المعارضين لهذا الاتجاه المادى كتلة المنشقين اليساريين من أتباع : برنشتين Bernsein. الذين لقبوا من أعدائهم اليساريين .. بالمرتدين . ثم ما قام به فى القرن العشرين من معارضة : الفيلسوف الاجتماعى الالمانى : ماكس فيبر لأساس الاقتصاد بصفة خاصة . وبلغ من تأثير ما نالته المعارضة من هذا الاتجاه المادى : أن أصبح يوصف فى الفكر الاوربى نفسه « بالثورية » دون أن يوصف « بالفلسفى » .. الأمر الذى يدل على أنه يعبر عن عاطفة وحماس ، أكثر منه تعبيرا عن فكر وتأمل .

خامسا : — ان الموطن الذى ولد فيه الفكر العلمانى — فى مرحلتيه — وهو : انجلترا ، وفرنسا ، والمانيا : لم يأخذ بالاتجاه العلمانى ، فى التطبيق فى الحياة العملية . فالتاج البريطانى لم يزل حاميا للبروتستنت ، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة فى صورة عملية . والدولة فى انجلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الامريكية ، والمانيا — رغم اعلان انها علمانية — تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التى تجبيها من المواطنين ، مع علمها باستقلال هذه المدارس فى برامجها التعليمية ، وبعدها عما تجريه الدولة من تفتيش على النفقات التى تنفقها .

والجانب الآخر الذى يتبنى البلشفية كدين وكسياسة ، بدل المسيحية ، فى أوربا الشرقية لم يأخذ منذ الستينات بسياسة « التعايش السلمى فقط » مع الراسمالية الغربية .. وانما يأخذ كذلك بسياسة « حسن العلاقات » مع دولة الفاتيكان ..

للبحث بقية

جهاد الأمة العربيّة وصراع اللغة العربيّة

وجهان لمعركة واحدة

للدكتور مازن المبـــارك

ــ ما أشبه اللغة العربية بالعرب، وما أشد ارتباطها بهم .

ــ انهـــا مثلهـــم ، تتعرض لمـــا يتعرضون له من نكسات ، وتواجـــه ما يواجهون من هجمات ، النكسات التى تصيبها والدعوات المنكرة التـــى تريد القضـــــاء عليها كالأمـــراض الموسمية ، تهدأ حينا حتى تقول انها تلاشت ، فاذا هى مستطلة تصـــول وتجول .

تكمن حتي تظن انها انطفأت ، فاذا هى مشتعلة تتأجج .

ــ ليس فى هذا شيء من العجب. الجسم القوى هو وحده الذى يتصدى للعلة ، يتحداها ، تغالبه فيغلبهـــا ، تقوى عليه فيستعلى عليها ، تصارعه فيصرعها .

ــ لكن العجـــب أن مواســـم « النوبات المرضيّـــة » وأوقـــــات « الصَّرَع » الذى يصيب الطاعنين والمهاجمين تتفق بالمصادفة وبشكل عجيب مُحكَم ومواسمَ الهجمــــات العلنية المنيفة على أمتنا ووحدتها .

ــ ويبدو اننـــا نعيش الآن عصر « نوبـــــة » من تلك « النوبـــات » الموسمية ، ولم لا ؟ فالفرصة مواتية ، ان الأمة تخوض معركة مصيرهـــا

وتجند كل طاقاتها لمعركة البقاء ، وهذه « افضل » فرصة لنوبة المرض، نوبة الصياح والسخط على اللغة وعجزها وفقرها .

ــ إن كل ما فى الجو من دلائل واضحة وخفية ليدل على أن المعركتين ، معركة الأمة ومعركة اللغة ، هما معركة واحدة ، أو هما وجهان للمعركة الواحدة .

ــ وليس موقفا سليماً ولا بريئاً أن نفصل أو نوهم بالفصل بين المعركتين، ولا يفصل بين هذين الوجهين للحقيقة الواحدة إلا غبى ساذج أو خبيث مخادع .

ــ إن احد الوجهين أن يغزونا الغرب بجيوشه فى الحملات الصليبية واما الوجه الآخر ، الوجه الأخطر ، فأن يغزونا بالثقافة والفكر .

ينال«بالفكر» ما تعيا «الجيوش» به

كالموت مستعجلا يأتى على مهل !

وإنه لخطأ فاضح ان يدّعى أن الثقافة أمر عام لا يعرف القومية ، وانها « أممية » فى عناصرها ومقوماتها . ثقافة الأمة مرآة لكل ما تتميزّ به من خصائص وما تتصف به فى تاريخها وتراثها . وليس هنا مجال التفصيل فى هذا الأمر وشرح أبعاده .

ــ كان فى مقدمة الأهداف التى سعى الغرب الى تحقيقها فى البلاد العربية القضاء على اللغة العربية الفصحى فجند ما استطاع من إمكانات لإضعاف هذه اللغة فى مصر والمغرب العربى خاصة وفى سائر البلاد العربية عامة .. وهو يفعل ذلك وما زال لا لمجرد صراع لغوى ينتهى الى إحلال لغة محل اخرى ولكنه يفعله على علم وبصيرة ويقين من أن اللغة العربية ليست كسائر اللغات ، إنها بالنسبة الى العربى قوام حياته وعصمة بقائه .

إن «زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى او المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم ، فلا يبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان » (١) وبقدر علمهم هذا وبصيرتهم هذه ويقينهم هذا كان عنف هجومهم ومكر أساليبهم وخفاء هدفهم .

ــ واذا كان لا يعنينا أن نردّ على الذين كشفوا القناع عن غاياتهم واسفروا عن وجوههم ونيّاتهم إيماناً منا بإخفاقهم وانكشاف أمرهم فانه لواجب أن نكشف نحن الستر عن الذين اختفوا وراء شعارات زائفة كالذين ادعوا أن اللغة العربية صالحة للتعبير فى ميادين الأدب والشعر ، او انها لغة دينية أو غير ذلك مما وصفوها به ولكنها ليست لغة علم وتعليم وليست لغة حضارة واختراعات .

ــ الم يلجأ « كرومر » الاستعمارى الانكليزى (شفقة) منه على الأمة العربية المتخلفة الى فرض تعليم الحساب والعلوم والتاريخ والجغرافية (فقط !) باللغة الانكليزية

---

(١) العقاد اشتات مجتمعات ص ١٢٧ .

بحجة أن العربية لا تصلح للتعليم لأنها لا تملك ثروة لغوية تقوم بحاجة تلك العلوم . .

الم نسمع من أمثال كرومر في البلاد العربية من ينادى بترك العربية (الكلاسيكية) والتعبير مرة بالعامية، ومرة بالحرف اللاتينى ، ومرة بتبنّى لغة اجنبية تحملنا على الفاظها وجملها الى عالم العلم والحضارة !

إنها دعوات كثيرة منها ما عرف اصحابها اهدافها ونتائجها ، ومنها ما جهل أصحابها مؤداها ، ولكنها على كل حال دعوات خطيرة ، بعيدة المرمى ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله .

ونحن لا نكتب ما نكتب لأولئك الذين يعملون عن تصميم ماكر وهم يعلمون حقيقة ما يعملون له ، ولكنا نكتب للذين سلمت منهم الطويّة ، وحسنت منهم النيّة ، والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ــ لقد كانت اللغة العربية ــ ولا تزال ــ مظهراً رائعاً لوحدة الأمة العربية . وهى الراية الوحيدة التى ينضوى تحتها اليوم ملايين العرب من المحيط الى الخليج .

ــ والعربية هى الثوب التعبيرى الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لوحيه المنزل على قلب نبيّه المرسل ، فبلغت بالقرآن مـا لم تبلغه لغة بكتاب . وكانت بالقرآن لغة البيان المعجز والاسلوب الآسر .

ــ لقد عاشت العربية مع أصحابها حياتهم وشاركتهم سرّاءهم وضراءهم .

ــ كانت لسان دعوتهم ، ومرآة حضارتهم ، ومستودَع تراثهم . وقام بينها وبينهم من الصلات ما لم يقم بين قوم من الأقوام ولغة من اللغات .

ــ وكلما ادرك اعداء العرب والمسلمين مدى هذه الصلة بين الأمة ولغتها ازدادوا ضراوة فى الهجوم عليها ، ومكراً فى الكيد لها .

ــ إنهم لا يهاجمون القرآن ، ولكنهم يهاجمون الأسلوب العربى « القديم » .

ــ أنهم لا يصرّحون بقطع الأمة من ماضيها ، ولكنهم ينادون بتغيير اللغة التى كتب بها التراث والتى هى جسر الأمة الى ماضيها المجيد .

ــ إنهم لا يهاجمون وحدة الأمة ولكنهم يشجعون اللهجات المحليّة والألفاظ والتراكيب العاميّة .

ــ لذلك كله كان على علماء اللغة من عرب ومسلمين أن ينشروا الوعى اللغوى السليم . وقوام هذا الوعى ان العربية بالنسبة الى العرب ناظم وحدتهم ، وبالنسبة الى المسلمين لغة قرآنهم وسبيلهم الى فهم عقيدتهم ، وكما قال الإمام ابن تيمية « ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب » .

مائدة القارئ

شــــهادة ضمـــان

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافـا خافوا عليهـم . فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

ـ صدق الله العظيم ـ

شـــهادة استثمار

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثـل حبة أنبتت سبـع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

ـ صدق الله العظيم ـ

ســورة البقــرة

عن ابى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا ، وهم ذوو عدد فاستقرأهم (طلب منهم أن يقرءوا) فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فاتى على رجل منهم من احدثهم سنا ، فقال : ما معك يا فلان. قال : معى كذا وكذا وسورة البقرة . قال : « أمعـك سورة البقـرة ؟ » قال : نعـم ، قال : اذهب فانـت اميرهم ..

ـ رواه الترمذى وقال حديث حسن

علامات السعادة ثلاث

١ ـ متى زيد فى عمـره نقص من حرصه .

٢ ـ ومتى زيد فى ماله زيد فى سخائه .

٣ ـ ومتى زيد فى قدرة زيد فى تواضعه .

علامات الشقاء ثلاث

١ ـ متى زيد فى عمره زيد فى حرصه .

٢ ـ ومتى زيد فى ماله زيد فى بخله .

٣ ـ ومتى زيد فى قدره زيد فى تكبره وقهره .

اجابــة حكيـــم

وجهت الى حكيم الأسئلة التالية فاجاب عليها بما ياتى :
— كم عمرك ؟
— صحتى جيدة .
— كم وفـــرت ؟
— ليس على ديون .
— كم عدو لك ؟
— قلبى نظيف ولسانى عف .

حـــق الحضانـــــة

جاء رجل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه أن يمكنه من حضانة ولده من زوجته المطلقة قائلا :
يا أمير المؤمنين حملته قبل ان تحمله ، ووضعته قبل ان تضعه .
فاجابت الأم قائلة :
يا أمير المؤمنين حمله خفيفا ، وحملته وقرا ، ووضعه شهوة ، ووضعتـــه كرهـــا .
فقضى الخليفة العادل للأم بحضانة الولـــد .

المحتكـــر والمـــدخر

المحتكر هو الذى يجمع ما لا حاجة له فيه بهدف التحكم فى الآخرين .
والمدخر هو الذى يحتجز لنفسه ما قد يحتاج اليـــه فى المستقبـــل ، وليس للآخرين حاجة فيه وقت ادخاره ، والاحتكار محرم ، والادخار عقل وحكمة .
عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« بئس العبد المحتكر ، أن ارخص الله الأسعار حزن ، وان اغلاها فرح » .

النصر أو القبـــر

يروى التاريخ أن طارق بن زياد فاتح الأندلس لما نزل بالجزيرة الخضراء أمر بالسفن فاحرقت ، فاثار ذلك بعض رجال جيشه ، وقالوا له : لقد قطعت الحبال بيننا وبين بلادنا فضحك طارق من تفكيرهم وقولهم ، ووضع يده على السيف وقال :
((انما يحافظ على السفن من يفكر فى الرجوع ، أما أنا فقد عزمت على البقاء فى هذا المكان والقتال ، فاما أن يكون لنا وطنا وأما أن يكون لنـــا قبرا .)) وكتب الله للايمان النصر .

مدرسة جديدة لدراسة السيرة النبوية

ظهرت فى مطلع القرن العشرين مدرسة جديدة ، تشق بعقول المسلمين الى فهم حياة محمد عليه الصلاة والسلام طريقا جديدا ، تحت راية ما اسمته إذ ذاك بالعلم الحديث.

ولقد لفتت هذه المدرسة إليها حينئذ انظارا كثيرة ، وسيطرت على مجموعة كبرى من المثقفين والنابهين ، لا بسبب موازين علمية اعتمدت عليها ، بل بتأثير من الراية الجاذبة التى كانت تخفق فوقها .

ولكن ما لبثت الأنظار بعد حين ان ارتدت عنها ، وما لبثت الطريق التى شقتها الى التحليل الجديد لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقفرت بعد ازدحام ، وعادت الراية الجاذبة من فوقها راية عتيقة لا تشبع للمثقفين المؤمنين رغبة ولا تمتد الى نفوسهم بأىّ تأثير .

غير أنها تركت من ورائها أصداء عظيمة ، لا تزال تدوى على أسماع كل من يريد ان يقبل على حياة محمد عليه الصلاة والسلام دراسة وفهما ، فهى لا بدّ أن تشغله بين يدى دراسته حينا من الوقت . فان واصل الطريق والدرس ولّت عنه هذه الأصداء ، وتخلفت وراء سور الحقائق العلمية الناصعة ، وان هو اكتفى ببعض ما قد علم ووقف عند منتصف الطريق ، غشيته هذه الأصداء ثم لم تفلته ، وعاد من النهاية التى وقف عندها بمزيج من شطر تدين وشطر علم ، فلا يزال هذان الشطران يحتك أحدهما بالآخر فى خصومة لا نهاية لها حتى يتفانيا أو يظهر أقواهما على الآخر .

فما هى قصة هذه المدرسة ..؟ وفيمَ ظهرت ثم خبت ..؟ وما هو موقف العلم فى سلطانه الحديث منها ..؟

● اتباع العلم شيء ، والانبهار بكلمات العلم شيء آخر
● حياة الرسول تتجلى على ضوء الأول لا تحت تأثير الثاني

للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى

انعكاس مرير لنقطة ضعف مريرة

قصة هذه المدرسة ترجع الى ايام الاحتلال البريطانى لمصر !..

لقد كانت مصر حينئذ منبر العالم الاسلامي كما نعلم ، يعنو اليه بعقله وتفكيره كلما اراد أن يعلم عن الاسلام علما ، كما يعنو الى كعبة الله بوجهه كلما اراد حجا أو صلاة .

وكان الصوت الذى ينبعث من منبر العالم الإسلامى ، إنما هو صوت الجامع الأزهر بكل ما يفيض به من علوم مختلفة وما يتأجج فيه من وعى وجهاد ووطنية .

وكان فى استمرار هذا الصوت العظيم من جانب ، واستمرار انصات العالم الإسلامى اليه من جانب آخر ، ما لا يدع لبريطانيا فرصة هدوء أو استقرار . ومهما أخضعت لنفسها الوادى كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار ، فانه خضوع موقوت لا يطمأن اليه ، طالما بقيت للأزهر هذه القيادة الحية ، وطالما كان الأزهر معتمدا فى قيادته وتهييجه على وقود هذا الدين ، يؤججه وعى ، ويحوطه علم ، ويحميه إخلاص !.

إذاً ، لا بدّ من الإقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما :

إمّا أن يقطع ما بين الأزهر والأمة ، فلا يبقى له عليهما من سلطان ، وإما أن يتم التسلل الى مركز العمليات القيادية فى الأزهر ذاته ، فتوجه قيادته الوجهة التى ترضى مصالح بريطانيا وتهيىء لها أسباب الراحة والاستقرار .

وأنا والله لا أعتمد فيما أقول على استنتاج أو توسم .. أو نحو ذلك من المناهج الوهمية التى يعتمدها أكثر المؤرخين اليوم ، فى قنص ما وراء الأحداث وتحليل ما قد يكون لها من أسباب .

وإنما اعتمد فى ذلك على اقرار اللصوص انفسهم ، بعد أن تمت السرقة ، وتحقق القصد ، وجاء دور

الراحة ، واستعادة اخيلة النصر ، وكتابة المذكرات .

يقول اللورد لويد المندوب السامى لمصر إذ ذاك فى مذكراته التى سماها (مصر منذ ايام كرومر :
EGYPT SINCE CROMER

(إن التعليم الوطنى عندما قدم الانكليز ، كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كان أساليبها الجافة تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى (تأمل !..) فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، فليس من اليسير أن نتصور لنا أى تقدم طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه ، ولكن اذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى إيجاد التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح) .

وكان أن اختارت بريطانيا الحل الأول ، باعتباره أقرب منالا ، وابعد عن الملاحظة والانتباه .

وكان السبيل الوحيد الى هذا الحل ، الاعتماد على نقطة ضعف مريرة تعانى منها مشاعر الأمة الاسلامية عامة بما فيها مصر وغيرها وهى احساس المسلمين بما انتابهم من الضيعة والتخلف والشتات ، الى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التى نهضها الغرب فى شتى المجالات الفكرية والحضارية المختلفة !.. لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب الى اليوم الذى يتحررون فيه من الأثقال التى خلفتهم الى الوراء ، ليشتركوا مع غيرهم فى رحلة الحضارة والمدنية والعلم الحديث .

من هذا السبيل تسلل الهمس ، بل الكيد الاستعمارى ، الى صدور قادة الفكر فى مصر : ان الغرب لم يتحرر من اغلاله إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم .. فالدين شىء والعلم شىء آخر !.. والتوفيق بينهما لا يتم إلا باخضاع الأول للثانى . واذا كان العالم الاسلامى حريصا على مثل هذا التحرر فليس أمامه الا أن يسلك نفس الطريق ، وأن يفهم الاسلام هنا كما فهم الغرب النصرانية هناك . وانما يتحقق ذلك بتخليص الفكر الاسلامى من كل حقيقة غيبية غير مفهومة أو غير خاضعة لمقاييس العلم الحديث .

وسرعان ما خضع لهذا الهمس أولئك الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوربية الحديثة ، ممن لم تترسخ حقائق الإيمان بالله فى قلوبهم ، ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه الكلية فى عقولهم فتنادوا فيما بينهم الى التحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل اليها اكتشافات العلم الحديث ولم تدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الدائمة .

إخضاع الدين لسلطان العلم ظاهرا ونسفه باسم العلم باطنا

وغاب عن هؤلاء الناس أن هذا الوحى الاستعمارى الذى يدغو المسلمين الى « ثورة إصلاحية » فى شؤون عقيدتهم الاسلامية إنما يستهدف فى الحقيقة نسف هذه العقيدة من جذورها !..

وغاب عنهم أن الدين الصالح فى ذاته لا يحتاج فى عصر ما الى مصلح أو اصلاح .

وغاب عنهم أن تفريغ الاسلام من حقائقه الغيبية إنما يعنى حشوه بمنجزات ناسفة تحيله أثرا بعد عين. ذلك لأن الوحى الإلهى — وهو ينبوع الإسلام ومصدره — يعتبر قمة الحقائق الغيبية كلها ، والذى يسرع الى رفض بعض ما فيه من خوارق العادات بحجة اختلافها عن سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث ، فهو لا جرم أسرع الى رفض الوحى الإلهى كله بما يتبعه من اخباراته عن النشور والحساب والجنة والنار ..

غاب عن هؤلاء الناس هذا كله ، وقد كان إدراكهم له من ابسط مقتضيات العلم لو كان يتمتعون بحقيقته وينسجمون مع منطقيته . ولكن أعينهم عشيت فى غمرة انبهارها بالنهضة الأوربية الحديثة وما يحف بها من شعارات العلم والفاظه ، فلم تعد تبصر من حقائق المنطق والعلم إلا عناوينها وشعاراتها ، ولم يعد يستأثر بتفكيرهم إلا خيال نهضة «اصلاحية» تطور العقيدة الاسلامية هنا كما تطورت العقيدة النصرانية هناك .

لقد كان الذى يهيّجهم إلى هذا السلوك إذاً شعارات العلم والفاظه ، لا قواعده وقوانينه ، ومن ثم فقد كان ذلك منهم ثورة فى النفس لا فكرة مدروسة استحوذت على العقل .

مظاهر الوباء الإصلاحى !..

ولم يكن على الاستعمار البريطانى وقد امتص إيحاؤه قدرا كبيرا من المفكرين المسلمين ، أن يتعب نفسه بمواصلة الجهد ومتابعة المخطط .. فقد اطمأن الى أن هؤلاء انفسهم سوف يقومون بالمطلوب . وما عليه إلا أن يقربهم ويسلمهم قيادة العمل الفكرى فى الأزهر ليبثوا منه الى الفكر الاسلامى هذا الوباء « الإصلاحى » الجديد .

فى سبيل هذا الاصلاح استبدلت قيادات عالية فى مختلف مناصب الأزهر ..

وفى سبيل هذا الاصلاح أسرع الرئيس الجديد لتحرير مجلة « نور الإسلام » بنشر مقالاته المتحدية العجيبة التى فاجأ بها الناس تحت عنوان (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) وهى التى يقول فى بعض منها :

« وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص فيما نكتبه فى هذه السيرة على أن لا نسرف فى كل ناحية الى ناحية الإعجاز ، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشىء من التكلف » .

وهو الذى كان قد نشر من قبل مقالا فى جريدة الاهرام فى ١٩٣٧/٨/٣٠ يقول فيه : « إن الشرق الإسلامى لما رأى دينه ماثلا فى عالم الأساطير التى تذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه رأى الأمر أكبر من أن يحاوله ، ولكنه استبطن الإلحاد وتمسك به ، متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا الى درجته العلمية » !!!..

وفى سبيل هذا الاصلاح ظهر كتاب جديد فى تحليل السيرة النبوية باسم « حياة محمد » لحسين هيكل يقول فى مقدمته : « إننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت أن أجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية .. » وراح يبتعد فيه عن جميع الإلزامات الغيبية التى يتجسد فيها معنى نبوة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ويحيلها بتكلف عجيب الى ظواهر طبيعية أو يثير من حولها شكوك النقل والرواية . وما كاد الكتاب يظهر حتى قدمه الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الى الناس قائلا : « لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا فى القرآن ، وهى معجزة عقلية » ! . .

وفى سبيل هذا الإصلاح أخذت تُرَوَّجُ صفة « العبقرية » و « العظمة » و « القيادة » وما شاكلها للنبى صلى الله عليه وسلم تعويضا عن صفات النبوة والوحى والرسالة وتغطية لها وإبعادا للفكر عنها .

وفى سبيل هذا الاصلاح اصبحت كل خارقة مما قد جاء به صريح القرآن أو متواتر السنة ، تؤول — ولو بتكلف وتمحل — بما يعيدها الى الوفاق مع المألوف والمعروف . فطير الأبابيل يؤول — رغم انف الآية الصريحة الواضحة — بداء الجدرى . والإسراء الذى جاء به صريح القرآن يحمل رغم انف الدلائل الثابتة المختلفة على سياحة الروح وعالم الرؤى . والملائكة الذين أمد الله المسلمين بهم فى غزوة بدر يؤولون بالدعم المعنوى الذى أكرمهم الله به .

وهكذا ، فقد تكونت من هذا الاتجاه مدرسة فكرية جديدة ، انقدحت فى الحقيقة من ردّ فعل نفسي ، وان بدت أنها سارت تحت راية بحث علمى . حيث أخذت تنشر فلسفتها من فوق منبر الأزهر ، لينطلق تأثيرها بارزا فى الأوساط المختلفة ، فى ظل ذلك الاحتلال الاستعمارى المشؤوم ، وذلك بعد أن قامت معارك طويلة بين المؤيدين والمعارضين لا مجال لسردها فى هذا المقام .

ما هى ثمرات هذا « الاصلاح » ؟

وتسألنى الآن : فما الذى استفادته بريطانيا من تطوير الفكر الدينى بهذا الشكل فى رؤوس المسلمين ؟

والجواب أنها اضعفت بذلك الوازع الدينى فى نفوس أولئك الذين كان الدين أعظم محرك ومهيِّج فى حياتهم ، وكان صاحب السلطان فى كل شىء كما قد رأيت من ملاحظة اللورد لويد فى كلامه الذى نقلناه آنفا .

وانت تعلم أن أى استهانة بما فى الدين من الخوارق والغيبيات الثابتة، من شأنها أن تضعف ما فيه من وازع وسلطان على النفس ، بل من شأنها أن تقضى عليهما مع الزمن .

فلما ضعف هذا الوازع فى النفوس ، تهيأت بذلك لقبول اى تطوير وتبديل فى حقائق الاسلام باسم الاصلاح والتوفيق مع مقتضيات العلم . فكان أن تسللت العقلية الأوروبية المتحللة لتحتل مكان العقلية الاسلامية المعتزة بالمنهج الاسلامى السليم ، وتمكنت من تطوير مناهج الحياة نفسها طبقا لما تريد بعد أن انحسر عن الاسلام سلطانه وعاد اسلاما شكليا مجردا ، تبدو صبغته على اللسان ولا تمتد منه أى جذور الى طوايا النفس وأعماق القلب .

وبالمقابل ، فان تلك المدرسة « الاصلاحية » لم تكسب أربابها ودعاتها أى نهضة علمية كالتى نهضتها أوربا كما كانوا يتوهمون أو كما أوهمهم الاستعمار البريطانى .

كل ما جنته أيدى ذلك « الاصلاح

الدينى » إبعاد المسلمين عن الحقيقتين معـــا : فلا هم على وازعهم الدينى ابقوا ، ولا على النهضة العلميـــة المنشودة عثروا .

موقف العــلم من هــذه المدرسة « الاصلاحية »

بعد هذا نقول : ليكن ما قد فعله الاستعمار البريطـــانى خداعا كمــا اوضحنا ، فهل لنا أن نتأثر من ذلك بدافع من ردود الفعـــل المجـــردة ، فنؤمن بسلطان الخوارق والغيبيـــات كيفما كان ، وأيا كان حكم العقـــل والعلم فيهما ؟!..

لا .. ليس لنا أن ننقاد فى شىء من ذلك بدافع من ردود الفعل . وكما أنه لا ينبغى للعاقل أن يلحد فى ذات الله بدافع من التقليد أو ردود الفعل المجردة ، فكذلك لا قيمة للإيمان بالله أو بما يتبعه من خوارق وغيبيـــات بدافع من هـــذا التقليد أو الانعكاس النفسى المجرد . إن الميزان المحكم على كل حال هو العقل السليم الحـــر ، أو قل : إنه العلم اليقينى الذى لا يشوبه الوهم .

وإن أحدث ما انتهت اليه مـــدارك العلماء من الحقائق العلمية (١) التـــى لا مرية فيها هو أن ما بين الأسباب ومسبباتها الطبيعية ليس إلا علاقـــة اقتران مطرد اكتسبت تحليلا ثم تعليلا، ثم استنباطا للقانون المرتبط به طالمــا فيه نفسى .

اى أن العلم ليس إلا ممارســـة لتجارب خارجية بعيـــدة فى مرحلتها الأولى عن وحى الفلسفة أو الحركة الفكرية المجردة ، تتعلق بموضوعات مادية معينة ، ثم انها تفرض نفسها على العقل طبق ما دلت عليه التجربة والمشاهدة ، بقطـــع النظر عن أى تنبؤات وتقديرات أخرى تفرض فى المستقبل .

فان رحت تسأل هـــذا العلم عن رأيه فى خارقة غيبية أومعجزة إلهية ، قال لك بلســـان الحـــال : ليست الخوارق والمعجزات من موضوعات بحثى واختصـــاصى . فلا حكم لى عليهما بشىء . ولكن اذا وقعت خارقة من ذلك أمامى فانها تصبح فى تلك الحـــال موضـــوعا جاهزا للنظـــر والتحليل ثم الشرح والتعليل . أما أن افرض حالة معينة فى الذهن تنفصل فيها النار عن قوة الإحراق مثـــلا ، ثم أحكم عليها أى أحللها وأقومها كما هو شأنى وعملى ، فذلك متناقض مع طبيعتى واختصاصى وما قد حصرت فيه نفسى

وقد انقرض العصـــر الذى كان بعض العلماء فيه يحسبون أن أثر الأسباب الطبيعية فى مسبباتها أثر حتمى يستعصى على التخلف والتغيير وانتصر الحق الذى طالما دافع عنه علماء المسلمين عامة والامام الغزالى خاصة من أن عـــلاقات الأســـباب بمسبباتها ليست أكثر من رابطـــــة اقتران مجردة ، وما العلم فى قوانينه كلها إلا جدار ينهض فوق أساس هذا الاقتران .. هذا الاقتـــران وحده . ولقد رأينا « هيوم » وهو العـــالم التجـــريبى الأول كيف يجلّى هـــذه الحقيقة بأنصع بيان صارم .

وإذاً ، فان الحديث عن أى خارقة غيبية مما قد أحيـــل به الى الزمن الماضى أو اخبر به عن المســـتقبل ، إنما يشترط لاعتبارها حقيقة ثابتة شرط واحـــد هو وصـــولها الينا عن

---

(١) نقصد هنا بالعلم العلوم الطبيعيـــة ، لا العلم بمعناه العام وهو ادراك الشىء على ما هو عليه .

طـريق عـلمى من شأنه أن يورث اليقين والجزم .

فالخـوارق التى يحار العلم فى تفسيرهـا ، إذا بلغتنا عن طـريق التواتر ، بالقيود التى يجب توفرهـا لإعطاء إدراك يقينى ، تعتبر حقيقـة علمية لا مجال فيها لجدل أو تردد .
أما ما لم يتوفر له هذا الشرط فهـو ملغى عن الحسبان وان ارتقى بـه النقل الى درجة الظن .

وهذه القاعدة لا شك فيها عند احد من العقلاء أيا كان تفكيره ومذهبه . ولكن الخلاف قد يقع فى تطبيقهـا لأسباب أخرى لا علاقة لها بالقاعدة ذاتها .

حقائق أوليـة .. هى سر الخـلاف

هذه الأسباب تتمثل فى عدم إيمان بعض الناس ، بحقائق أوليـة هى عمود الحقيقـة الاسلامية الكبرى ، كنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وثبوت أن القرآن كلام الله عز وجل .

فان من يجزم بهاتين الحقيقتين ، لا يسعه إلا أن يستيقن بما قد بلغه عن محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق التواتر الذى يورث اليقين ، وبما قد قطع به القرآن فى عبـارة صريحة لا تحتمل ـــ فى ميزان السليقة العربية ـــ تأويلا ولا تحريرا .

أما من لم يجزم بهما ، فلا جرم انه قد لا يستيقن شيئا مما ذكرناه ، لا إنكارا منه لقانون التواتر وما يورثه من اليقين ، ولكن إنكارا منه للوثيقة ذاتها أى لمصدر الخبر ذاته .

وواضح أن تقليـد المسلم الموقن بنبوة رسول الله والجازم بأن القرآن كـلام الله ، لهذا الفـريق الثانى ، عندما ينكر غيبيات الاسلام مما قـد أخبرت به نصوص القرآن مثلا ـــ يعتبر غبـاء عجيبـا يثير الشـفقة والاشمئزاز !..

وهكذا فان أولئك الذين ليسـوا على اسـتعداد لإدراك أن ملائكـة ارسلها الله لتقاتل مع المسلمين فى غزوة بدر ، وأن محمدا صلى اللـه عليه وسلم قد أسرى به (دون وسيلة نقل طبيعية) الى بيت المقدس ، لا يرجع عدم استعدادهم هذا الى حقيقة علمية تصدهم عن الادراك واليقين ، كما كانت تتخيل المدرسة «الاصلاحية» السالفة ، وإنما يرجع الى انكارهم لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والى انكارهم لما نخبرهم به ، من أن القرآن ليس الا وحيا من عنـد الله . ولو اتفقوا معنا فى الإيمان الصـادق بهاتين الحقيقتين لما توقفوا لحظـة واحدة فى الإيمان بهاتين الجزئيتين ، ولما وجدوا أى حقيقة علمية تصدهم عن هذا الإيمان .

كان ذلك منعطفا .. ومرّ

إذاً ، فان العـلم لا يتناقض فى شيء من قوانينه الثابتة مع ما هـو ثابت من غيبيات الاسلام وخوارقه . وليس بين التقدم العلمى وانكار هذه الخوارق أى علاقة أو تلازم .

وإنمـا كانت تلـك المدرسـة « الاصلاحية » منعطفا ومرّ .. ولقد كان اقطابها ودعاتها يفتحون أعينهم على خبر النهضة العلمية فى أوربا من جديد ، بعد طول غفلة واغماض

وانه لأمر طبيعى أن تنبهر العين عند أول لقياها مع الضياء فلا تتبين حقائق الأشياء ولا تميز الأشباه عن بعضها ، حتى إذا مرّ وقت ، واستراحت العين الى الضياء اخذت الأشياء تتمايز عن بعضها وتبدت الحقائق واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض .

ولقد مرّ وقت كان على البصائر التى عشيت ذات يوم بالضياء المداهم الوهاج ، فهى اليوم ترى الحقائق ناصعة كما هى ، ومن ثم فهى تتأمل بسخرية واشفاق فى الكلمات التى كان قد قالها أحدهم وهو يعانى من احدى غيبوباته العاطفية مع كلمة « العلم » : (ان الشرق الاسلامى لما رأى دينه ماثلا فى عالم الأساطير التى قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه رأى الأمر أكبر من أن يحاوله ..) فهى ولا ريب نبوءة عين تخطفها الضياء أكثر من أن تكون تفكير عقل بما يحمله المستقبل .

وأغرب من هذا ما يقوله حسين هيكل : (اننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت ان اجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية ..) !!.. إنه يطمئنك الى انه لم يأخذ حتى بما ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم حفظا لكرامة العلم !

إذاً فان ما يرويه البخارى ضمن قيود رائعة عجيبة من الحيطة العلمية النادرة ، انحراف عن جادة العلم ، على حين تكون طريقة الغربيين فى الاستنتاج والحدس ومنهج التوسم حفظا لكرامته والتزاما لمنهجه وجادته !. أليس هذا من أفجع الكوارث النازلة برأس العلم ؟

... ...

أما اليوم فان الجيل المثقف الواعى المشبع بروح العلم لا يعدو أن يكون احد رجلين : رجل مؤمن بالله ورسوله فهو يقبل الإسلام بكل ما هو ثابت فيه من خوارقه ومعجزاته وغيبياته ، لا يرهق عقله بتمحل ولا اختلاق تأويل ، ولا يرى فيه أى انحراف عن مقتضى العلم وسلطانه ، وهو يمثل جمهور الشباب المثقف اليوم .

وآخر لا يؤمن بإله ولا برسول ، ومن ثم فهو لا يؤمن بشىء مما نتحدث عنه ، لا اعتمادا منه على مقياس العلم ، بل اعتمادا على كفره وجحوده بينبوع ذلك كله .

أما رجل آمن بالله ورسوله واتخذ الإسلام دينا ، ثم أنكر منه كل ما لا سبيل للعلم الى فهمه وتحليله ، فهو نموذج لا يمكن أن نعثر عليه فى جيلنا المثقف اليوم ، إلا أن يكون رجلا تدوى على سمعه أصداء تلك الأفكار القديمة دون أن تسعفه الظروف بمواصلة الطريق الى نهايته فى الدراسة والنظر والبحث .



بقلم : محمد عبد الله السمان

ما أكثر ما تخرجه المطابع فى أيامنا هذه من مؤلفات تقدمها الى المكتبة الاسلامية فى كثير من الموضوعات ، حتى يكاد يتوهم البعض اننا بصدد نهضة فكرية تعيد الى الأذهان تلك النهضة الفكرية التى ظهرت إبان العصر الذهبى للدولة العباسية . .

وليس الكلام هنا موجها الى طبع التراث الاسلامى ، حيث نلمس العديد منه يتخم المكتبات وأكشاك باعة الصحف فى كثير من عواصم البلاد العربية ، وفى مقدمتها لبنان والعراق ومصر والكويت وقطر وسوريا ، والحق أن الاهتمام بالتراث عمل جدير بالتقدير ، ولا سيما ما كان منه لا يزال مسجلا فى مخطوطات نادرة فى مكتبات أوربا ، ولكن هذا لم يمنع تسلل العنصر التجارى أو المذهبى الى هذا العمل ، وكان أن طبعت كتب وزج بها الى الأسواق ، لا تخدم الفكر الاسلامى ، ولاتمثل الثقافة الاسلامية الواعية فى قليل أو كثير ، وإن منها ما لا يساوى ثمن المداد فضلا عن ثمن الورق . .

وإنما الكلام هنا موجه الى الكتابات الحديثة التى تتسم فى مظهرها بالطابع الاسلامى ، اما فى حقيقتها فلا تمثل إلا لونا من الوان الاستهلاك ليس الا ، ومن بين عشرة كتب لا تكاد تعثر على كتابين جادين يخدمان الفكر الإسلامى السليم ، ويمثلان الثقافة الاسلامية الناضجة ، اما الكثرة الساحقة من هذه الكتب ، فهى تحرص على أن تحمل عناوين عاطفية ضخمة ، فاذا قرأتها خرجت منها صفر اليدين خالى الوفاض .

أذكر اننى منذ سنوات قد جذبنى عنوان كتاب لعالم فاضل « المستقبل للاسلام » وما أن قرأته حتى أصبت بخيبة أمل . فالكتاب ـ يعلم الله ـ ليس فيه عن حاضر الاسلام ـ فضلا عن مستقبله ـ حتى بضعة سطور ، وعتب علىّ المؤلف الموقر لأننى تناولت كتابه بشيء من القسوة على صفحات مجلة الأزهر ، وبحثت عن معنى أشد من الدهشة فلم أجد ، حين اعتذر سيادته ، بأنه سلم الناشر كتابا ضخما ، لكن الناشر اقتطع منه هذا الجزء ، واختار له العنوان بنفسه دون الرجوع إليه .. فرجوت أنا منه أن يكتب هذا الاعتذار ، وسننشره له ، لكنه وعد ولم يفِ .

ومنذ أيام معدودة ، أبصرت كتابا ضخما فى احدى المكتبات ، يقع فى اكثر من ستمائة وخمسين صفحة ، ومؤلفه مستشار سابق ، أما عنوان الكتاب ، فهو « محمدخاتم الرسل » وجلست بعضا من الوقت أتابع موضوعات الكتاب ، وللأسف لم أخرج منه بشيء جديد فهو سرد أوجز ما دونته كتب السيرة ، ليس فيه ما يروى الغلة من تحليل او تعقيب أو مناقشة ، لا بد أن السيد المؤلف قد قرأ ما كتبه المرحوم الدكتور هيكل فى كتابيه « فى منزل الوحى » و « حياة محمد » لكن الذى أقطع به أنه لم يتأثر بهما ولم يفد منهما ، أما كان الأحرى بالسيد المؤلف أن يقدم للمكتبة الاسلامية احدى الدراسات عن القانون المقارن بالتشريع الاسلامى ، كما فعل إخوان له من قبل ، فخدموا الفكر الاسلامى ، وخدموا الثقافة الاسلامية ؟؟

ما أحوج الاسلام اليوم ، بل والمسلمين الى دراسات جادة تعرض معانى الاسلام الحية ، وتصفى الاسلام نفسه من الشوائب التى لحقت به فى عصور الغفلة واللامبالاة وتدحض الشبهات والمفتريات التى الصقها به المغرضون وذوو الأهواء ، مستشرقين صليبيين حاقدين كانوا ، أو مسلمين ضعاف الضمائر ، لذّ لهم أن يعرفوا بالتحضر ، أو ماديين متحفزين دائما للنيل من الاسلام وأصوله ..

كان العقاد رحمه الله يتصدى لهذه الشبهات وتلك المفتريات على صفحات مجلة الأزهر تحت عنوان : « ما يقال عن الاسلام » متعقبا كل ما يصدر عن هوى عن الاسلام فى صحف الغرب ومؤلفات كتابه ، والحق الذى لا جدال فيه ، أن كل مقال من مقالاته ، كان يزن عشرات من الكتب الاسلامية التى لا تقدم للمكتبة الاسلامية إلا تكرارا مملا ، واسفافا ضحلا ، ومات العقاد ، وخلا مكانه ، وفشلت مجلة الأزهر فى الحصول على خلف له ، ولقد عرضت الموضوع بنفسى على عديد من الكتاب الاسلاميين المبرزين فأحجموا ، وقبل على استحياء المرحوم الدكتور الأهوانى لكنه توقف بعد مرتين أو ثلاثا .

وكتاب العقاد « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » يكاد يكون الكتاب اليتيم فى المكتبة الاسلامية . وهل ينكر إنسان أن « العبقريات » التى كتبها العقاد ، قد أتت بجديد فى مجال التحليل الذى لا يبارى فيه العقاد ؟

عشرات الكتب تظهر من تأليف المستشرقين المغرضين ، تنال من الاسلام ونبى الاسلام ، ولكن قل أن نجد من يتصدى لها من الكتّاب الاسلاميين الذين آثروا السلبية فى كتاباتهم ، بل منهم من يتحمس لمصادرة هذه الكتب المنحرفة مؤثرين السلامة بدل أن يتصدوا لها ويفندوا مزاعمها ، ويدحضوا شبهاتها . .

بل لا يكفى أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية ويرد عليه ، فالعمل الايجابى أن يرد عليه بنفس اللغة ، وينشر فى الأوساط التى تسلل اليها بلغته الأجنبية . .

وكما خلا مكان العقاد فى هذا المجال ، خلا من قبل مكان المرحوم فريد وجدى ، فقد خدم الفكر الاسلامى وحده بقلمه ، لكن ما قدمه للفكر الاسلامى من خدمات لا يزال معظمه ضيفا على أرفف النسيان والاهمال . .

وفى مجال جغرافية العالم الاسلامى نحس بكثير من الخجل ، فالكتب عن جغرافية العالم الاسلامى لا وجودلها فى المكتبة الاسلامية ، هناك كتاب يتيم الفه كاتب هندى مسلم وقام بترجمته الاستاذ فتحى عثمان ، بل ان المسلم لا يكاد يجد مرجعا يروى الغلة عن الدول الاسلامية فى أفريقيا وآسيا .

لذلك يضطر الى الرجوع الى ما كتبه كتاب الغرب مثل كتابى المؤلف الامريكى « جون جنتر » وهما داخل افريقيا وداخل آسيا ، بل حتى الاحصائيات الدقيقة عن تعداد المسلمين ومظاهر النهضة والحضارة الحديثتين فى بلادهم ، لا نكاد نعثر علىمراجع وافية شافية بأقلام الكتاب الاسلاميين ، وقد ظهر منذ سنوات كتاب لكاتب يحمل لقب دكتور ، عنوانه : « الاسلام فى المشارق والمغارب » ومن المؤسف القول بأن ما استوعبه منمعلومات لا يزيد شيئا عما هو مدون فى الكتب المدرسية فى مرحلتى الاعدادى والثانوى ، وعندما أردت الحصول على تعداد المسلمين فى الكنغو ، وجدت المؤلف يذكر انهم مليون مسلم ، لكن حين اطلعت على كتاب « المسلمون فى العالم » لمؤلف مسلم يحمل أيضا لقب دكتور وجدته يذكر أنهم احد عشر الفا ، وأمام هذه البلبلة اضطررت الى الرجوع الى أطلس العالم الاسلامى الذى أصدرته مؤسسة « رانكلين » الأمريكية . .

وفى مجال الحركات الاسلامية المعاصرة ، نجد أن كتاب الغرب انشط منا ، واسبق منا ، فنحن لا نكاد نعرف شيئا عن حركة الصراع الدائبة فى داخل افريقيا السوداء بين الاسلام من ناحية ، وبين الوثنية والصليبية والمادية اخيرا من ناحية أخرى ، وحسبنا أن نقرأ كتاب «داخل أفريقيا» الذى سبق ذكره لجون جنتر ، ثم كتاب يقظة العالم الاسلامى لكاتب أوربى هو (فرنو) لنزداد مرارة واسى .

وفى مجال التبشير الصليبى فى داخل افريقيا السوداء وآسيا ، وهو الذى لا يزال يناهض الاسلام دون توقف أو ملل ، هل استطاع الكتاب الاسلاميون أن يتعقبوا هذا التبشير الصليبى الاستعمارى الذى لا يزال يغزو الاسلام فى عقر داره ؟ لقد سد

الدكتور عمـــر فروخ وزيمله فراغـــا كبيرا فى المكتبة الاسلامية بكتابهما : « التبشير والاستعمار » لكن ماذا بعد هذا الكتاب الجليل الذى صدر منـــذ بضعة عشر عاما ؟ لا شىء . .

وبعـــد . .

فمن الوهم أن نقيم نهضتنا ـــ نحن المسلمين ـــ فى مجـــال الفكر على اساس من الكم فيما يؤلفه المؤلفون وتخرجه المطابع . وهو كالســـيل الجارف ، فالكثرة الساحقة من هذا السيل تكرار ممل ، أو اسفاف ضحل لا يخدم الفكر الاسلامى ، ولا يشرف الثقافة الاسلامية ، ونحن لا ننكر أن هناك كتبا إسلامية جادة لكتـــاب اسلاميين لهم وزنهم وتقديرهم ، لكن هذه الكتب القليلة تضيع فى ضوضاء السيل الجارف من الكتب التى تنتسب الى الاسلام وهى لا تزن المداد الذى كتبت به ، فضلا عن الورق الـــذى طبعت عليه . .

إن الاسلام يتعرض لتيارات جارفة مستوردة ومحلية ، فهو فى مسيس الحاجة الى كتابات جادة تواجه هذه التيارات التى لا تعرف الهدوء فضلا عن التوقف ، الاسلام فى حاجة الى دراسات تعرض الاسلام عرضـــا سليمـــا خاليا من شـــوائب التزمت والشعوذة ، وفى حاجة الى دراسات جادة عن حركة الاسلام وموقفها من التبشير الصليبى العميل للاستعمار من كل مذهب ولون ، وفى حاجة الى دراسات تتعقب الشبهات والمفتريات التى يلصقها بالاسلام وأصـــوله ذوو الأهـــواء من المستشرقين ، ومرضى الضمائر من المنتسبين الى الاســـلام طلبا للشهرة ، وتزلفا الى جبهات تملك الحرمان كما تملك العطاء . .

وحسبنا الله وحده .





للدكتور محمد محمد حسين

من هم العرب .. ؟

العروبة والجامعة العربية والقومية العربية ، كلمات يجرى استعمالها هذه الأيام فى معنى واحد هو الصفات الجامعة لذلك الجنس من الناس المسمى بالعرب .. فمن هم العرب .. ؟ لو تتبعنا مدلول هذه الــــكلمة على امتداد التاريخ لم نجده واحدا .. كلمة (العرب) كانت تطلق قبل الاسلام على سكان جزيرة العرب ، التى يحدّها الهلال الخصيب من جهة الشـــــمال (العراق والشام) والتى يحيط بها خليج العرب والبحر المحيط والبحر الأحمر من الشرق والجنوب والغرب . كان هذا الجنس الذى يسكن تلك الارض هو وحده المقصود باسم (العرب) .. منه ورثنا التراث الشعرى الضخم الذى اشـــتدت عناية الدارسين به للاستعانة به فى ضبط اللغة العربية وعلومها وفى تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف .

فلما ظهر الاسلام وعم الجزيرة العربية على اختلاف قبائلها ، بدأت الفتوح على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمحاربة الروم فى غزوة مؤتة سنة ٨ هـ ، ثم فى غزوة تبوك سنة ٩ هـ ، ثم كانت واقعة اليرموك سنة ١٥ هـ فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وقد توفى فى اثنـــائها قبل أن يتحقق النصر للمسلمين . وتوالت الفتوح من بعد فى خلافة ســيدنا عمر رضى الله عنه فى العراق ومصر وما وراءهما . ثم فى خلافة سيدنا عثمان ومن بعده .

هجرة العرب :

وتتابعت هجرة القبائل العربية الى الأمصـــــار المفتوحة على اختلاف أسبابها .. منهم من هاجر طلبا للنجعة فى سنوات القحط وفى أوقات الجفاف على عادتهم فى الجاهلية ، ثم طابت له الحياة فاستقر فى موطنه الجديد . ومنهم من ذهب مع الجيوش الفاتحة ثم لم يعد . ومنهم من هاجر استجابة لدعوة أمراء العرب فى هذه الأمصار ، الذين رأى بعضهم أن يستقدم بطونا من عشـــيرته يتقوى بهم ويدعم عصبيته ، كما حدث فى ولاية الوليد بن رفاعة على مصر فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى حين اســـــتقدم القيسية . ومنهم من هاجر التماسا لسعة العيش فى هذه البلاد .

وكان العرب فى أول الأمر ، وعلى امتداد الدولة الأموية ، يترفعون عن الاختلاط بأبناء البلاد المفتوحة . وكانوا يعتزّون بأنسابهم فى قبائلهم . ولذلك حرصوا على حفظها من الاختلاط بغيرهم ، وعاشوا حياة أقرب الى البداوة ، فى منازل أشبه بثكنات الجيـــوش فى خطط منعزلة ، كالكوفة والبصرة فى العراق ، والفســـطاط فى مصر ، والقيروان فى المغرب . لذلك ظـل اسم (العرب) طوال الدولة الأموية يطلق على المنتســـبين الى هذا الجنس ممن قدموا على الأمصار المفتوحة ، وذلك فى مقابل اسم (الموالى) الذى كان يطلقه العرب على من عداهم من الأجناس فى هذه البلاد ترفعا واســتعلاء . وذلك باستثناء بلاد الشام التى بدأ اختلاط العرب فيها بأهل البلاد منذ الفتح ، لانتشار العنصر العربى فيها من عهد بعيد قبل الاسلام ، ثم ساعد انتقال العاصمة اليها فى عهد الأمويين على زيادة هذا الاختلاط . كانت البلاد المفتوحة فى أول عهدها بالفتح تطلق على الغزاة الفاتحين اسم (العرب) ، تمييزا لهم من سكان البلاد الأصليين ، الذين كان بعضهم لا يزال على دينه . وبذلك كان اسم (العرب) مرادفا لمعنى (المسلمين) .

التعريب :

وانتشر الاسلام شيئا فشـــيئا فى هذه البلاد المفتوحة .. وانتشرت معه اللغة العربية التى لا غنى للمسلم عنها فى معرفة دينه وإقامة شعائره وحفظ كتابه . ثم جاء تعريب الدواوين فى أيام عبد الملك بن مروان (٦٥ ــ ٨٦ هـ) ونقلها الى أيدى المسلمين بعد أن كان يتولاها أهل البلاد من غير المســلمين ، ويدونونها باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة) فى العراق وبالرومية فى الشام وبالقبطية (المصرية القديمة فى العصر المسيحى) فى مصر . فزاد انتشـــــار اللغة العربية . ولم ينته القرن الأول الهجرى حتى كانت اللغة العربيـــة لغةً للتخاطب والتعامل والتدوين فى هذه البلاد جميعا ، وأصبح الاســــلام دين

السواد الأعظم من سكانها ، وكادت لغات البلاد القديمة تنسى بعد أن اقبل الناس على العربية ، قرآنا وحديثا وشعرا ولغة ، يحاولون إتقانها ومنافسة العرب أنفسهم فيها .

وعلى توالى الأيام زاد امتزاج العرب فى الأمصار بأبناء البلاد ، بالتصاهر وبتداخل المصالح ، واختلطت أنسابهم بتوالى الأجيال ، فضعفت العصبية العربية المبنية على النسب تبعا لذلك (تاريخ ابن خلدون ٦ : ٣ طبع بولاق) . وزاد الزواج والتسرى من ناحية أخرى بين العرب بغير العربيات فى العامة والخاصة ، حتى أصبح الخلفاء فى أواخر الدولة الأموية ، من بعد الوليد بن يزيد ، وفى سائر الدولة العباسية ، من بعد الأمين بن الرشيد ، من أمهات غير عربيات . وزاد على مرّ الأيام عدد الفقهاء والشعراء والمشتغلين بالعلوم العربية والذين يشغلون المناصب الخطيرة الشريفة من غير العرب . بل سادت عناصر غير عربية وتسلطت على الدولة منذ عصر المعتصم . وزاد خطرها منذ تجرأ الترك على قتل المتوكل .

الاسلام اولا ..

وبذلك انتهت النعرة العنصرية العربية ، واصبحت الصبغة الظاهرة فى البلاد الاسلامية على اختلافها هى الاسلام ، واصبحت اللغة العربية وعلومها وآدابها حظا شائعا بين العرب وغير العرب بلا تمييز . بل اصبح عدد المشتغلين بها والذين يدونون بها شعرهم ونثرهم وفكرهم ومعارفهم من غير العرب أكثر عددا واغلب شهرة . فأبو حنيفة الفقيه (١٥٠ هـ) فارسى ، والبخارى شيخ المحدثين (٢٦٥ هـ) تركى ، وسيبويه أبو النحو (١٨٣ هـ) فارسى ، وصلاح الدين الأيوبى بطل الحروب الصليبية (٥٦٤ هـ) كردى ، ومحمد بن إسحق اول من دوّن السيرة النبوية (١٥١ هـ) فارسى . والطبرى شيخ المؤرخين والمفسرين (٣١٠ هـ) تركى ، وابن سينا أبو الطب العربى الذى ظلت كتبه تدرس فى جامعات أوروبا طوال العصور الوسطى (٤٢٨ هـ) أفغانى . وبذلك صح أن توصف هذه البلاد جميعا بأنها عربية ومسلمة فى آن واحد ، دون أن تغلب فيها احدى الصفتين على الأخرى .

من هذا العرض يتبين لنا بوضوح أن البلاد العربية كلها من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا — فضلا عما وراءها شرقا من بلاد ارتدت بعد ذلك عن عروبتها — ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الاسلام ، بل إن عروبتها فى الحقيقة تتأخر عن اسلامها . وهذه العروبة لم تجئها الا من طريق الاسلام وبسببه . ذلك بأن الاسلام دعا المسلمين الى أن يحبوا العرب ويلتفوا حول رايتهم ويتخذوا العربية لغة جامعة لشملهم . روى الحاكم فى المستدرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « من أحب العرب فبحبى أحبهم . ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم » . وعن أبى هريرة أنه قال « أحبوا العرب وبقاءهم . فإن بقاءهم نور فى الاسلام . وإن فناءهم ظلمة فى الاسلام » . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » . وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يتكلم بالفارسية وهو يطوف حول الكعبة فأخذ بعضديه وقال « ابتغ الى العربية سبيلا » . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن بوضوح أن العربى هو من تكلم العربية ، حيث يقول « يا أيها الناس . إن الرب واحد وان الأب واحد وان الدين واحد . من تكلم بالعربية فهو عربى » .

من أجل ذلك كان التفريق بين العروبة والاسلام فى أيامنا هذه لا يستند

الى أساس . فالاسلام هو الذى أعطى للعرب لغتهم ووحدهم عليها وعلى القيم التى تضمنها كتابه وسنة رسوله . فالتقت قلوبهم وعقولهم وأمزجتهم على ما يُحلّون وما يحرمون ، وما يحبون وما يكرهون ، وما يستملحون وما يستقبحون ، وتوحدت أنماط حياتهم فى عباداتهم وفى أفراحهم وفى أحزانهم وفى نظمهم داخل بيوتهم وخارجها . لأنهم فى ذلك كله كانوا محكومين بالفقه وبالآداب والفنون التى نشأت ونمت وترعرعت فى ظل الاسلام ، وخضعت لأحكامه ، وتأثرت بقيمه ومزاج شعوبه . فاتجه النحت والتصوير مثلا الى الأنماط العربية المعروفة المبنية على الخطوط والدوائر ، والى تجميل الحروف الكتابية والافتنان فى تنسيقها ، مبتعدا عما نهى عنه الاسلام من إبراز الشخوص الانسانية أو الحيوانية وتمثيلها ، وأصبح لهذا الفن شخصية بارزة متميزة يستملحها غير العرب وغير المسلمين ، حتى رأينا بعض نصارى الغرب يزينون كنائسهم بأحجار قد نقشت عليها آيات قرآنية مما بقى من آثار العرب فى الأندلس بعد خروجهم ، وهم يجهلون أن هذه النقوش ليست سوى آيات قرآنية . ثم ان القرآن ضمن للغة العربية ولخطها ثباتا واستمرارا لا نظير له فى سائر لغات العالم التى تتعرض للتبديل والتغيير والتحوير . لأن المسلمين رفضوا كل تغيير أو تبديل أو تطوير يبعدهم عن فهم النص القرآنى والأصول الاسلامية من حديث وفقه أو يحول دون قراءتها وتذوق بلاغتها وإعجازها . وبذلك أصبح التراث الفكرى الاسلامى كتابا مفتوحا يتنقل القارىء بين صفحاته وفصوله من أوله الى آخره ، يقرأ للمتقدمين السابقين من الأولين كأنه يقرأ لشعراء ولكتاب معاصرين .

ولم يقتصر الأمر على قيام هذه الروابط الاسلامية الجامعة بين العرب . فقد امتدت آثارها الى سائر المسلمين ، الذين تأثروا بهذه القيم والنظم الخلقية والاجتماعية ذاتها ، والذين إن فاتهم اتخاذ العربية لغة لهم ، فلم يفتهم اتخاذ حروفها لتدوين تراثهم ومعارفهم . لم يشذ عن ذلك الا الترك منذ الثورة الكمالية والجمهوريات التركية الجنوبية فى روسيا منذ الثورة البلشفية والاندونيسيون فى ظل الاستعمار الهولندى .

ومن أطرف ما قرأته فى صلة العروبة بالاسلام قول سمث (د. ك. سمث) فى كتابه « الاسلام فى العصر الحديث »
الذى ظهر سنة ١٩٥٧ : ان العرب المسلمين لا يعتبرون غير المسلمين من بنى جنسهم كاملى العروبة ، كما أنهم لا يعتبرون المسلمين من غير العرب كاملى الاسلام ..

من أين إذن جاء التشكيك فى هذه الصلة بين العروبة والاسلام .. ؟
فزعم بعض الزاعمين أن الاسلام ليس عنصرا أصيلا فى مقومات العروبة .. ؟
وأراد آخرون أن يُعَرّوا الاسلام من صفته العربية .. ؟

متى نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام .. ؟

حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القومية العربية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، أو ما كان يسمى وقتذاك بالجامعة العربية ، ويعنون بها الرابطة الجامعة لشمل العرب ، كان العرب يشكلون الجزء الاكبر من الدولة العثمانية . واتخذت الدعوة فى أول أمرها شكلا ثقافيا يعنى ببعث التراث العربى ، والعناية بانشاء صحافة ومسرح عربى ، والدعوة الى الاهتمام باللغة العربية وجعلها لغة

التعليم والقضاء والدواوين فى البلاد العربية بدلا من اللغة التركية التى كانت هى اللغة المستعملة وقتذاك فى هذه المجالات . وكانت كثرة كبيرة من رجال الرعيل الأول من هذه الحركة وفى هذا البعث من مسيحيى لبنان مثل البستانى واليازجى والشدياق وأديب اسحق ونقاش وشميل وتقلا ومشاقة وزيدان ونمر وصرّوف . واغلبهم ممن اتصلوا بالارساليات الانجليزية الامريكية ، التى بدأت تتوارد على بيروت فى النصف الثانى من القرن التاســـع عشر لنشر مذهبهم البروتستنتى . واكثرهم فى الوقت نفسه ينتمون الى الماســونية . فابراهيم اليازجى (١٨٤٧ ــ ١٩٠٦ م) وابوه ناصيف اليازجى (١٨٠٠ ــ ١٨٧١ م) كانا على صلة حسنة بالارساليات الامريكية الانجليزية . وكانا يترددان على مطبعتهم فى بيروت ، التى كان يشرف عليها وقتذاك الدكتور فانديك . وقد علّم اليازجى الكبير فى مدارسهم ، وأعان ابنه فى ترجمتهم التوراة الى العربية . ثم قدم بعد ذلك الى مصر ومات بها . واحتفلت المحافل الماســونية فى مصر والاسكندرية بتأبينه . وهو صاحب القصيدتين المشهورتين فى استنهاض همم العرب ودعوتهم الى احياء أمجاد آبائهم ورفض التجبر والاستبداد :

دع مجـــلس الغيـــد الأوانس وهوَى لواحظِهـــــا النواعس

وأختها التى مطلعها :

تنبهوا واســــتفيقوا أيهـــا العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

وهو صاحب مجلة (الضياء) بما حوت من مباحثه اللغوية . وقد اتم الابن ما بدأ به أبوه من شرح ديوان المتنبى وســماه « الجوهر الفرد والعرف الطيب فى شرح ديوان ابى الطيب » .

ومن مؤسسى هذه النهضة ايضا بطرس البستانى (١٨١٩ ــ ١٨٨٣ م) . وقد كان ايضا على صلة بدعاة المذهب الانجيلى البروتســـتانت من الامريكان ، وتولى منصب الترجمة فى قنصلية امريكا ببيروت . وأعان الدكتور سميث المبشر الامريكى ، ثم الدكتور فانديك من بعده ، فى الترجمة البروتستانتية للتوراة التى تمت فى سنة ١٨٦٤ م ثم طبعت فى أمريكا سنة ١٨٦٦ . وأعان الدكتور فانديك أيضا فى انشاء مدرسة عبية الامريكية ، وهى مدرسة عليا ترجع أهميتها الى أنها كانت تقوم بتدريس العلوم الحديثة من جغرافيا وطبيعة وكيمياء ورياضـــة باللغة العربية . وقد وضعت لذلك كتبا خاصة قامت بطبعها ، فشاركت بذلك فى حركة الاحياء العربية . وبطرس البستانى مع ذلك هو صاحب القــاموس العربى (محيط المحيط) . وهو صاحب دائرة المعارف المعروفة باسمه ، اتم منها ستة مجلدات ، وتوفى وهو فى بدء السابع ، فأتمه واتم الثامن ابنه سليم . ثم توفى ابنه قبل أن يتم التاسع ، فأصدر أبناؤه الباقون بمعاونة ابن عمه سليمان البستانى (مترجم الالياذة الى العربية) الأجزاء البــاقية (التاسع والعاشر والحادى عشر) . وقد ساهم بطرس البســـتانى مع ذلك كله فى النهضـــة الصـــحفية العربية بانشـــاء ثلاث صحف ، وهى (الجنـــان) و (الجنة) و (الجنَيْنَة) .

ومن الذين شاركوا فى هذه النهضة أيضا من مســـيحيى لبنان فارس الشدياق (١٨٠١ ــ ١٨٨٧) ، الذى تسمى بعد اسلامه على يد باى تونس بأحمد فأصبح اسمه (أحمد فارس الشدياق) . ترك فى أول حياته مذهبـــه المارونى واتبع المذهب الانجيلى على يد المرسلين الأمريكان ، فتولوا حمايته من بطش رجال الاكليروس الذين حبسوا أخاه وعذبوه حتى مات وهو فى سجنهم بســـبب تغييره مذهبه . حضر على نفقتهم الى مصر فى أيام محمد على . ثم

طوّف كثيرا بين دول أوروبا والآستانة وتونس ومصر . ووصف كثيرا من هذه الأسفار فى صحيفته (الجوائب) التى أصدرها سنة (١٨٩١ م — ١٢٧٧ هـ) . وقد استدعته جمعية ترجمة التوراة البروتستانتية فى لندن سنة ١٨٤٨ م فأعان فى ترجمتها الى العربية . وله كتب كثيرة تغلب عليها النزعة اللغوية ، أهمها (سرّ الليال فى القلب والإبدال) و (الساق على الساق فيما هو الفارياق) و (الجاسوس على القاموس) . وله مع ذلك شعر كثير فى مدح سلاطين آل عثمان وباى تونس . وهو صاحب المقامات التى نالت فى زمانها شهرة كبيرة والمعروفة باسم (مَجْمَع البحرين) .

ومن دعائم هذه النهضة أيضا سليم تقلا مؤسس صحيفة (الأهرام) المصرية (١٨٤٩ — ١٨٩٢ م) . تلقى علومه فى مدرسة عبية التى أنشأها المبشر الامريكى الدكتور فانديك أحد مؤسسي الجامعة الامريكية ، التى بدأت سنة ١٨٦٦ م باسم (الكلية السورية الانجيلية) .

ومنهم جورجى زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤ م) . كان على صلة بالمبعوثين الامريكان . وكان يدعى الى احتفالات الخريجين بكليتهم . ثم التحق بالجامعة الامريكية سنة ١٨٨١ لدراسة الطب . وغادرها دون أن يتم دراسته فى العام التالى . وهو صاحب المباحث المعروفة فى اللغة العربية وآدابها . ومؤلف سلسلة من القصص التاريخية العربية وهى (فتاة غسان) و (عذراء قريش) و (١٧ رمضان) و (غادة كربلاء) و (الحجاج بن يوسف) و (فتح الأندلس) و (شارل وعبد الرحمن) و (أبو مسلم الخراسانى) و (العباسة أخت الرشيد) و (الأمين والمأمون) و (فتاة القيروان) و (صلاح الدين ومكايد الحشاشين) و (شجرة الدر) . وهو مع ذلك كله مؤسس مجلة (الهلال) التى لا تزال تصدر حتى الآن .

منذ ذلك الوقت نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد هذه الطائفة من المفكرين والكتاب . ولم يعد اسم (الجامعة العربية) مرادفا لاسم (الجامعة الاسلامية) .

الجامعة الاسلامية :

والواقع أن الذين دعوا الى الجامعة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى كانوا مختلفين فى تصورهم لهذه الجامعة ، متباينين فى أغراضهم التى يستهدفونها من وراء هذه الدعوة . كانت الجامعة الاسلامية وقتذاك هى الرابطة التى تربط أجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطنة العثمانية التى جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلقب سلاطينها بلقب الخلافة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) . وقد زاد نفوذ هذه الجامعة فى قلوب الناس منذ عنى السلطان عبد الحميد بتدعيمها وبدعوة الناس الى الالتفاف حول رايتها والاعتصام بها فى وجه الأطماع الاستعمارية التى كانت تنتظر بفارغ الصبر الوقت الملائم لاقتسام أملاك هذه الدولة . وكانت لغة التعليم والادارة فى البلاد العربية التى تكوّن الجزء الأكبر من الدولة العثمانية هى اللغة التركية . بها كان يجرى التعليم فى المدارس على اختلاف أنواعها . وبها كانت تجرى المرافعات فى المحاكم . وبها كانت تدوّن المعاملات الحكومية فى مختلف الدواوين . ومن هنا نشأت الدعوة أول ما نشأت تدعو الى الاهتمام باللغة العربية واتخاذها لغة للتعليم والادارة فى

البلاد العربية ، مع منح هذه البلاد شيئا من الاستقلال الجزئى الذى يبرز شخصيتها العربية فى داخل إطار الدولة العثمانية ودون خروج على وحدتها الجامعة .

وكان بعض دعاة ما سمى فى ذلك الوقت بالجامعة العربية من المسلمين خاصة لا يرون تعارضا بينها وبين الجامعة الاسلامية ، التى يدينون بها ويسلمون بأنها هى الجامعة الاولى والأهم بين المسلمين فى سائر بلاد الارض . بل لعلهم كانوا يرون فى الاهتمام باللغة العربية شداً لأزر هذه الجامعة التى بها يقيم المسلمون صلواتهم وشعائر دينهم وأذكارهم فى تلاوة القرآن الكريم وخطبة الجمعة وخطبتى العيدين . وبها يتحتم على المسلم أن يلتمس التفقه فى أصول دينه .

ولكن فريقا من هؤلاء المسلمين انفسهم ، الذين يتمسكون بالجامعة الاسلامية ، كان يرى التفرقة بين الخلافة وبين السلطنة ، بجعل الخلافة فى العرب والسلطنة فى الترك . وحجتهم فى ذلك أن العرب هم أقدر الناس على فهم الاسلام وتبليغه . بلغتهم نزل كتابه ، ومن بينهم اصطفى الله نبيه ، وبين أحضانهم نشأت الدعوة اليه ، ومنهم كان الرعيل الأول من المجاهدين فى سبيل نشره والدعوة اليه . وذلك مع تسليمهم بأن الترك هم اقوى الشعوب الاسلامية واقدرها على الوقوف فى وجه المطامع الاستعمارية فى بلاد العرب على وجه الخصوص . ولذلك فهم أحق الناس بالزعامة السياسية .

فصل الدين عن الدولة :

وكان ذلك هو رأى الكواكبى الذى بدأ واضحا فى آخر كتابه (أم القرى) . ومن ذهب مذهبه واتبع طريقه من دعاة الجامعة العربية ، الذين ابتدعوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية ، أو المرجع الدينى على الأصح ، لأن هذه التفرقة تترك الدين فى واقع الأمر بلا سلطة .

وكان هناك فريق ثالث من المسلمين أنفسهم واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التى اشتدت حركتها فى أوروبا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهؤلاء كانوا يتصورون الجامعة العربية تصورا قوميا خالصا ويجردونها من كل صلة بالدين . وكان الهمّ الأكبر والشغل الشاغل لهذا الفريق هو انشاء دولة عربية مستقلة على النمط القومى العربى الذى يقوم على مؤسسات ديموقراطية قوامها ارادة الشعب المثلة فى مجالس نيابية منتخبة . وكانت هذه الجامعة العربية التى يتوسلون بها الى انشاء دولة عربية كبرى مقصورة على الجناح الايمن لما نسميه الآن بالعالم العربى ، أى القسم الآسيوى وحده من هذا العالم . وكانوا فى معظمهم واقعين تحت تأثير الفكر المستمد من كتّاب الثورة الفرنسية ومفكريها من ناحية ، ومن فلاسفة عصر النهضة اللبراليين فى أوروبا ، الذين دعوا فى صدامهم مع الكنيسة الى فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية من ناحية أخرى . وقد ظن هؤلاء أن التقدم الاوروبى الحديث هو ثمرة من ثمرات هذه النهضة ، التى قضت على سلطة الدين وحررت منه رجال السياسة والعلم والاقتصاد . ولذلك فالنهضة العربية عندهم لا تصح الا على هذا الاساس . وهذا الفريق يلتقى فى تفكيره مع غلاة القوميين من الترك ، الذين يدعون الى القومية الطورانية ، والذين كان أكثرهم منضما الى حزب الاتحاد والترقى . بيد أن الأخيرين كانوا يختلفون مع القوميين العرب فى أنهم يرون فرض الصبغة التركية واللغة التركية على كل أجزاء الدولة ، ومنها البلاد العربية ، مع تجريد السلطة السياسية من الدين ، والتخلى عن لقب الخلافة ، أو الاقتصار على استغلاله فى تدعيم نفوذ الدولة بين العناصر غير التركية من المسلمين .

العروبيون والاسلاميون :

اما المسيحيون ممن قدمنا ذكر بعض رجالهم فقد كان من الطبيعي أن يكونوا ضمن الفريق الذى يرى الجامعة العربية جامعة قومية خالصة ، لأنهم غير داخلين بحكم مسيحيتهم فى الجامعة الاسلامية ، وليس لهم ولاء قلبي لها ، فكل الذى يربطهم بالدولة هو الولاء السياسى . وكان من الطبيعى أن يجد الاستعمار والصهيونية فى هذا الفريق الاخير من المسلمين والمسيحيين على السواء صيدا ثمينا يمكن أن يلتقى معه فى فترة مرحلية تمهد لتحقيق أغراضه . فالاستعمار الانجليزى كان طامعا فى العراق وفى مصادر البترول الذى كانت البحوث الجيولوجية تشير الى احتمال ظهوره ، كما كانت البحوث الاقتصادية تشير الى تزايد أهميته الصناعية .

وفرنسا كانت تطمع فى الشام للرابطة الدينية والاقتصادية التى تربطها بمسيحييه على الساحل ، وللحصول على مصادر البترول ، الذى كان ظهوره متوقعا فى الاجزاء الشمالية من حوض الفرات . وقد أصبحت الحدود بينها وبين منطقة النفوذ الانجليزى فى العراق مثار نزاع بين الدولتين عقب الحرب العالمية الاولى لهذا السبب .

والصهيونية العالمية كانت طامعة فى الاستيلاء على فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لليهود . ولا سبيل الى ذلك إلا بانحلال الدولة العثمانية ، بعد أن عجزوا عن الوصول الى موافقة السلطان عبد الحميد على زيادة الهجرة اليها وتملك الارض فيها . كان الفرقاء الثلاثة يلتقون عند اسقاط الدولة العثمانية وتمزيقها ، ويرون أن بث الفرقة بين العرب وبين الترك يساعد على بلوغ هذا الهدف . وقد نجح الفرنسيون فى استمالة فريق من المسيحيين — ومن الكاثوليك منهم على وجه الخصوص — باسم الدين ، فكانت الجامعة العربية أو القومية العربية تمثل فى نظر هذا الفريق فترة مرحلية ينتقلون منها بعد الاستقلال عن الدولة العثمانية الى الولاء الفرنسى .

هذه الظروف والمناسبات التى واكبت نشأت الجامعة العربية فى العصر الحديث أدت الى سوء ظن متبادل بين العروبيين والاسلاميين . وزاد فى سوء الظن عند الاسلاميين أن الشريف حسين حالف الانجليز بعد ذلك ضد الدولة العثمانية لقاء وعد منهم بالمساعدة فى إقامة دولة عربية يجعلونه على راسها ، وبنقل الخلافة الاسلامية اليه بعد زوال الخلافة العثمانية . فالاسلاميون يرون أن هذه الدعوة العربية التى نشأت فى حضانة امريكية صهيونية ، والتى تساندها انجلترا وفرنسا وتمدانها بالمال والسلاح لا يمكن أن تخدم إلا مطامع الاستعمار والصهيونية .

وذلك هو ما عبر عنه شكيب أرسلان فى خطابه الموجه الى الشريف حسين حين بلغه عزمه على غزو سوريا مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى . فهو ينهاه عن المضى فيما هو فيه من دعوة زعماء السوريين للخروج على الدولة العثمانية والالتحاق بالجيش الحسينى العربى ، ويحذره عاقبة هذه الغارات التى يضرب فيها العرب بالعرب ، فيقول له فيما يقول « أتقاتل العرب بالعرب أيها الامير ، حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء انجلترا على جزيرة العرب ، وفرنسا على سورية ، واليهود على فلسطين ؟ » . ثم يخاطب القائمين بالدعوة قائلا « قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية ، الناهضين لحفظ حقوقها واخذ تاراتها : ماذا الى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم .. ؟ ليقولوا لنا

ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم ونقر بفضلهم ، لأننا عرب نحب كل من أحب العرب ، ونبغض كل من أبغض العرب . ولا نبالى بالقيل والقال أمام الحقائق » .

ولذلك أسبب نفسه هاجم الشـــاعر العراقى معروف الرصافى دعاة الجامعة العربية حين عقدوا مؤتمرهم فى باريس سنة ١٩١٣ بعد أن كان مؤيدا لهم يؤازر دعوتهم بشعره ، وذلك فى قصيدته (ما هكذا) التى بدأها بقوله :

أصبحت أوســــعهم لوما وتثريبا لـمـا امتطوا غارب الإفراط مركوبا

وفيها يقول :

إنى لأبصر فى (بيروت) قائبـــة للشر موشـــكة أن تخرج القوبا
لو كان فى غير (باريز) تألبهـــم ما كنت أحســـبهم قوما مناكيبا
لكن (باريز) ما زالت مطـــامعها ترنو الى الشام تصعيدا وتصـــويبا
ولم تزل كل يوم فى سياســـتها تلقى العراقى فيهـــا والعراقيبا
هل يأمن القوم أن يحتل ســاحتهم جيش يدك من الشـــام الأهاضيبا

أما العروبيون فقد كانوا من ناحيتهم يحتجون بأن الدولة قد أصبحت بعد عزل السلطان عبد الحميد فى يد طائفة من غلاة الطورانيين الذين تنطق صحفهم وأعمالهم منذ تولوا الحكم بميولهم الالحادية وبمحاربتهم للاسلام والمســلمين واتخاذهم الوزراء من اليهود* . ثم انهم كانوا يدافعون عن محالفتهم لانجلترا وفرنسا بأن الدولة العثمانية قد حالفت ألمانيا . وكيف يكون جهادا اسلاميا ، وكيف تكون حربا مقدسة ، تلك الحرب التى تخوضها دولة الخلافة الاسلامية فى ركاب دولة مسيحية هى ألمانيا .. ؟

وانتهت الحرب العــالمية الاولى .. ووزع المشرق العربى بين انجلترا وفرنسا كما توقع شكيب أرسلان .. أما المغرب العربى فقد كان شطر منه فى يد فرنسا من قبل . وكانت مصر فى قبضـــة جيوش الاحتلال الانجليزية منذ الثورة العرابية . وكانت ليبيا محتلة بالجيوش الايطالية منذ غزتها قبيل الحرب العالمية . عند ذلك بدأ الاسلاميون يعيدون التفكير فى الموقف الذى آل اليه أمر المسلمين والعرب . ورأوا أن البديل الوحيد من الجامعة الاسلامية بعد هزيمة تركيا وزوال الخلافة الاسلامية هو الجامعة العربية . أما دعاة الجامعة العربية السابقون فقد انقسموا شيعا . فالاسلاميون منهم ظلوا ثابتين على دعوتهم لم يغيروا ولم يبدلوا . وغلاة القوميين من المتأثرين باللبراليين والقوميين الغربيين ظلوا على ما كانوا عليه من الدعوة الى جامعة عربية مجردة من الاسلام غير مرتبطة به . وبعض الضعفاء منهم ممن تولوا المناصب فى ظل التقسيم الجديد الخاضع للاستعمار ركنوا الى الدعة وسكنوا الى النظم التى يعيشـــون فى ظلها ، بل أصبح بعضهم يدافع عن مصالحه فى هذه الكيانات المفتعلة الجديدة . أما الذين كانوا يتخذون الدعوة الى الجامعة العربية ستارا للتخلص من الدولة العثمانية واستبدال الاستعمار الفرنسى بها — وهم لا يمثلون إلا قلة ضئيلة من بعض مسيحيى الشام* — فقد أصبحوا متمسكين بوضعهم الجديد ، يعارضون كل تغيير أو تبديل فيه .

رد الفعـــل :

والواقع أن لهذا النفر من المسيحيين عذرهم فيما ذهبوا اليه . فقد لقى هؤلاء من عنت الحكام ومن فساد الادارة فى أواخر أيام الدولة العثمـــانية ما نفرهم من الارتباط بالحكم الاسلامى جملة ، ودعاهم الى تفضيل الاستعمار الفرنسى عليه . ومن الواضح أن تفكيرهم على هذا النحو هو ضرب من ضروب (رد الفعل) الذى يتسم دائما بالغلو والافراط والبعد عن الروية والحــكمة .

فرد الفعل عمل عصبى مرتجل لم يمحصه العقل ، وهو يتسم دائما بالعنف . فالذى يفر من النار قد يقذف بنفسه فى البحر أو يقفز من علو شاهق . والذى يؤدب ولده لخطأ ارتكبه وهو فى سورة غضبه قد يؤذيه أو يقتله . والذى يقع تحت تأثير حزن عميق مفاجىء قد يسرع الى التخلص من الحياة انتحارا . وكل هذه صور من ردود الفعل الخاطئة التى يمكن أن يتفادى صاحبها ضررها وخطرها لو انه أمسك عن التصرف فى سورة غضبه أو حزنه أو خوفه ، ثم عاد للتفكير ولتقدير الموقف وحساب ما له وما عليه فى روية وهدوء وتعقل . فلنعد التفكير إذن معا فى هدوء .

عروبة اسلامية :

العروبة بطبيعتها وبحكم نشأتها ونموها وازدهارها والعوامل التى ضبطت هذا الازدهار والتطور هى عروبة اسلامية . وقد ساهم فى تطورها الحضارى على مدى القرون والأجيال عناصر عربية غير مسلمة . ولكن مساهمتها ظلت فى داخل الإطار الاسلامى الذى لم يكن يسمح لأحد بالخروج عليه . ولم تجد هذه العناصر العربية من غير المسلمين غضاضة فى أن تساهم فى بناء هذه الحضارة فى الحدود الاسلامية ، لأن هذه الحدود لم تكن تتعارض مع عقائدهم . بل ان تخطى هذه الحدود والخروج عليها فى كثير من الاحيان هو فى الوقت نفسه خروج على حدود دينهم وخوض فيما يحرّمه . وكان الاسلام يمنح هذه العناصر كل حرياتها الدينية ويحظر التضييق عليها أو ممارسة اى لون من ألوان الضغط لحملها على ترك دينها والدخول فى الاسلام . بل لقد كان الاسلام الذى يبيح للمسلم أن يتزوج غير المسلمة من الكتابيات يمنعه من إجبارها على ترك دينها واعتناق الاسلام . وقد ماتت أم خالد بن عبد الله القَسْرى وهو من كبار ولاة الدولة الأموية فى العراق على نصرانيتها . وكان ذلك مدعاة لتجنى أعدائه عليه ، كالذى نراه فى شعر الفرزدق حين يهاجمه قائلا :

الا قطع الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تَمَطَّى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه ... تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمه ... وهدّم من كفر منارَ المساجد

ونصوص القرآن صريحة فى تأمين اليهود والنصارى وفى رعاية حقوقهم وتفويض الأمر فينا وفيهم لله . فالله سبحانه وتعالى يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المنزّل عليه بقوله : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم . ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٤) . ويخاطبه فى موضع آخر بقوله تعالى : « فلذلك فادع . واستقم كما أمرت . ولا تتبع أهواءهم . وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم . لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . لا حجة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا واليه المصير » (الشورى ١٥) . والمسلمون هم المخاطبون بقول الله تعالى فى شأن اليهود والنصارى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم — اى الذين يبدءونكم بالعدوان — وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم . وإلهنا والهكم واحد . ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) .

التسامح الاسلامى :

والدليل الناصع على أن المسلمين التزموا على مر الاجيال وعلى اختلاف الدول ما أمرهم به دينهم من إنصاف أهل الكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى أموالهم وانفسهم وأعراضهم هو وجود هذه الجاليات الكبيرة بين اظهرهم فى

مختلف بلادهم من النصارى واليهود . وهو سلوك لا نوفيه حقه ولا ندرك قيمته الا اذا قارناه بما يقابله من صنيع محاكم التفتيش فى الأندلس بعد أن غادرها المسلمون . فقد لقى غير المسيحيين من المسلمين واليهود على يديها من التنكيل ما تسود له صفحات التاريخ . وانتهى الامر الى استئصالهم جميعا فلم تبق منهم باقية .

فالعروبة إذن شخصية معنوية لهـــا وجود تاريخى حقيقى ذو مقوِّمات ثابتــة محدودة لا لبَس فيها ولا غموض . وليست مولودا جديدا تُقترَح له المقومات وتخترع له الأسس والمبادىء فى مصانع دعاة العروبة على اختلاف اجنحتهم وزعاماتهم . ولنسأل أنفسنا فى رَوية يحكمها عقل مجرد من الأهواء : ما هو البديل من عروبة اســــلامية .. ؟ العروبة لا يمكن أن تكون نصرانية ولا يمكن أن تكون يهودية ، لأن المسلمين يكوّنون الكثرة الكاثرة للعرب . فهل يكون البديل فى البلاد التى تسكنها كثرة نصرانية هو عروبة فى ظل حضـــانة اجنبية .. ؟ هذا أمر قد أصبح مرفوضا حتى من الذين ارتضوه بالأمس فى ظل الحكم العثمانى . وقد شارك المسيحيون انفسهم فى الخلاص من الاستعمار الفرنسى . وكثير من الذين وقفوا مع الفرنسيين معارضين حركة الاستقلال لم يكونوا فى الحقيقة يوازنون بين الاستعمار وبين الاســــتقلال . ولكنهم كانوا يوازنون بين الاستعمار الفرنسى وبين الاستعمار الانجليزى ، الذى كان فى تقديرهم هو البديل الوحيد من الاستعمار الفرنسى ، لأنهم كانوا يظنون الاستقلال شيئا بعيد المنال غير محتمل التحقيق .

والذى لا شك فيه هو أن الاستعمار فى كل صوره لا يســتمد رفاهيته إلا من التضييق على مســتعمراته ، ولا يبنى عظمته الا على ما يســلبه من كراماتهم . ولا ينفق على هذه المستعمرات ولا يبذل فيها من جهده لاصلاحها إلا كما ينفق المالك على مزرعته ليجنى من وراء ذلك ربحا اكبر ، وكما يُسَمِّن صاحب المزرعة ابقــاره ليأخذ منها البــانا اغزر ولحوما أثقل . وهو فى ذلك لا يفرق بين مسلمهم ونصرانيهم ويهوديهم . اقربهم اليه أعونهم له على ظلم قومه واستغلالهم . ثم ان الازدهار لا ينشأ من الثقة المتبادلة بين المستعمرين وبين بعض المواطنين ، ولكنه ينشأ من الثقة المتبادلة بين المواطنين جميعا ، بعضهم والبعض الآخر ، مســـلميهم ومسيحيهم ويهوديهم ، ما دامت الحريات الدينية مكفولة لهم جميعا على السواء .

لم يبق بعد ذلك كله من الفروض المحتملة للبديل من العروبة الاسلامية إلا ان تكون العروبة لا دينية ، بمعنى أن تكون مجردة من الارتباط بالقيم الدينية فى اى دين من الأديان . ولنتساءل من جديد : ما هى المزايا التى يمـــكن أن تحققها عروبة لا دينية ، مما تعجز العروبة الاسلامية عن تحقيقه .. ؟

ارتباط العروبة بالاسلام :

الشخصية العربية كما راينا هى شخصية عريقة تضرب عروقها فى أعماق التاريخ . وقد ارتبطت بالاسلام منذ نشأتها . ونمت وتطورت ونضـجت فى داخل إطاره ، دون ان يكون فى ذلك تعارض مع اصول الأديان الســـماوية الاخرى التى نبعت من المنطقة ذاتها . فالاسلام هو الذى أعطى العروبة شكلها الثابت المحدد وجعل لهـــا شخصيتها المتميزة التى يلتقى عندها كل العرب ، لا يختلفون عليها ، ولا ينكرها احد منهم او ينفر منها . فاذا نحن جردناها من هذه القيم الدينية المســلّم بها عند كل العرب . فالماديون منهم سينزعون الى الماركسية ، فيقع الخـــلاف بينهم وبين مخالفيهم ممن لا يرتضـــون هذا المذهب اســـاسا لتنظيم المجتمع . وسيشتركون مع اللبراليين فى السخرية من القيم

الدينية ومن المنظمات الدينية على اختلافها ، فيقع الصراع بينهم وبين المتدينين على اختلاف مِلَلهم . والمتحررون من الوجوديين والهيبيين وغيرهم ممن يتبعون كل ناعق يدعو الى الشهوات سينطلقون من كل قيد خلقى أو دينى ، فيؤذون كل ذى خلق وكل ذى دين .

وسيحاول فريق من الناس ان يعالج صراع الطوائف والشيع والمذاهب بالدعوة الى نظم جديدة للمجتمع فيفشلون ، ولا يزيدون على أن يضيفوا للمذاهب القائمة مذاهب جديدة تزيد فى احتدام المعركة وفى شــدة الصراع . على ان المسيحيين الذين يخافون على أمنهم وسلامتهم وحريتهم فى ظل عروبة اسلامية هم أكثر خوفا وأبعد عن الأمن فى ظل عروبة لا دينية ، لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين الى عصبية جهولة عمياء تحطم وتعتدى وتظلم . فالخطر الحقيقى على غير المسلمين من العرب لا ينجم الا اذا نشـأ جيل من المسلمين يجهلون اسلامهم فى ظل العروبة اللادينية التى يدعو اليهـا بعض الناس ، لأنهم قد يتعصبون عند ذلك تعصبا أعمى ينحرف بهم الى ما كان الاسلام ينهى عنه آباءهم وأجدادهم طوال أربعة عشر قرنا .

ولقد جربوا ذلك فى الحكم العثمانى من قبل ، فكانوا أسوأ حالا فى حكم ملاحدة الاتحاديين بعد عزل السـلطان عبد الحميد . هذا الى أن قوام الديموقراطية التى يتغنى بها أهل هذا العصر هو نزول القلة على حكم الكثرة . فلماذا تجد القلة غير المسلمة غضاضة فى إقرار الكثرة المسلمة على بناء حياتهم فى ظل الاسلام وعلى هدى منه .. ؟

أصابع الصهيونية :

اما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقون مع ذلك الفريق الذى أشرنا اليه من المسـيحيين فى الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقعون تحت تأثير ما توهموه من أن النهضـة الاوروبية الحديثة كانت ثمرة للتمرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية ، وهو وَهْمٌ لا يصحّ على التحقيق ولا يثبت على التمحيص . فالحركة الدينية البروتسـتانتية التى تمردت وقتذاك على الكنيسة الكاثوليكية لم تخل من أصابع الصهيونية وقد كان همها الاول هو هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت أكبر المؤسسات التى تناصب اليهود العـداء . والبروتستانت اليوم هم أشد الطوائف المسيحية عطفا على الصهيونية وأكثرها مساندة لها ماديا ومعنويا . ثم ان الازدهار الذى حققته هذه النهضة فى أوروبا لم ينتفع به أحد كما انتفع به اليهود . جمع الثروات فى أيديهم وأمّنهم عليها مما كانوا يتعرضون له من المصادرات والتضييق والاضطهاد ، ومكن أجهزتهم من السيطرة على شئون السياسة والاقتصاد ، وافسح الطريق أمام دعواتهم التى تنشر الالحاد والانحلال ، والتى ينفذون من خلالها الى ما يستهدفونه من السيطرة على مصائر الأمم والامساك بزمامها .

جرى ذلك كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان . وهى شعارات لم ينتفع بها حتى الآن سوى اليهود . لم ينتفع بها زنوج أمريكا . ولم ينتفع بها الأفارقة والآسيويون فى مختلف البلاد التى عانت وتعـانى من صنوف الظلم والتسلط والاضطهاد الدينى والعنصرى .

وقد اعترف عزيز ميرهم ، وهو أحد كبار الماسون ، فى مقال له نشر فى (السياسة) الاسبوعية سنة ١٩٢٦ م بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة فى فرنسا وفى ايطاليا هم الماسونيون ، كما اعترف بأن زعماء الثورة الفرنسـية كانوا من الماسون ، وأن مخلصهم هو الذى وضع شعار الثورة الفرنسـية « الحرية ، والإخاء ، والمساواة » . واعترف كذلك بأن تركيا نالت دسـتورها بفضل عمل محافلها . وصلة الماسونية بالصهيونية العالمية مشهورة معروفة لم تعد اليوم تحتاج الى تعريف .

ثم ان ظروف العرب اليـوم تختلف عن ظروف أوروبا يومذاك . فليست لدى العرب جهتان تتنازعان السلطة ، إحداهما دينية والاخرى سياسية ، كما كان الشأن فى أوروبا . بل ان المسلمين لا توجد عندهم سلطة دينية متحكمة كسلطة الكنيسة التى ثار عليها المسيحيون فى نهـاية القرون الوسـطى وفى مطلع عصر النهضة . فليس فى نظام الاسلام رجال دين . هناك علماء تحكم فتاواهم نصوص اسلامية صريحة مكتوبة بلغة يقرأها كل العرب ويفهمونها ولكل قادر على فهمها ممن ألم بأصول الاسلام أن يناقشـهم فيها . وهم لا يكوّنون طائفة متميزة بعينها تنتمى الى جهاز خاص يرعاها ويدبر أمورها . ولا يملكون من السلطة والجاه والمـال ما كان يملكه رجال الدين فى الكنيسة وقتذاك . فكثرتهم من الفقراء الذين لا تكاد دخولهم تكفى لسد الضرورى من نفقاتهم . ذلك الى أن واقعنا يختلف عن واقع أوروبا وقتذاك واهدافنا تختلف عن أهدافهم .

فالنهضة الاوروبية قد انتهت الى تفتيت الجامعة الاوروبية المسـيحية وتقسيمها الى دول شتى ، لكل منها لغتها الخاصة وقوميتها المسـتقلة . أما الحركة العربية فهى تستهدف جمع العرب بعد أن فرقهم الاستعمار ، وتتمسك بلغتهم العربية الجامعة لشملهم ، والتى هى وسـيلة التواصل بينهم أفرادا وجماعات ، فى كتبهم وصحفهم واذاعاتهم وندواتهم ومؤتمراتهم ومعاملاتهم .

ذلك التقليد الاعمى من جانب غلاة القوميين المتـأثرين بحركة الإحياء وباللبرالية والعلمانية والثورة الفرنسية فى أوروبا ، يذكّرنا بقصـة رمزية قديمة ، تتحدث عن حمارين كان أحدهما يحمل مِلْحا وكان الآخر يحمل إسفنجا . رأى حامل الاسفنج صاحبه ينزل الى الماء فيذيب بعض الملح ويخرج منه أخفّ حملا . فخطر له أن يحصل على المزية نفسها بالاسلوب نفسه ، فكانت النتيجة على عكس ما توقعه ، وخرج من تجربته أثقل حملا .

إن ما ينفع قوما قد يضر بآخرين . وما يزكو عليه نبات من العنـاصر والأجواء قد يقتل نباتا آخر أو يؤذيه . والناس فى ذلك — ككل خلق الله — طوائف وأمم ، يتمايزون فى الطبائع والامزجة وفى أساليب الحياة ووسـائل التقدم والرقى . وقد يقتل بعض جماعاتهم ما تصح به جماعة أخرى .

واذا كانت العروبة ضرورة اقتصادية وحربية فى مجال الصراع العالمى الذى لم يعد فيه مكان للكتل الصغيرة لضعف امكانياتها ولعجزها عن الدفاع عن نفسها أمام الطامعين ، فان الوحدة الاقتصادية والحربية لا تتم على أساس من الاقتناع العقلى وحده . ولا بد لها ، لكى تكون وثيقة ودائمة ، أن تسـتند الى احساس عام مشترك ورغبة صادقة مخلصة فى مختلف بلاد العرب وعلى امتداد أوطانهم . وهذا الاحساس العام انما هو اتجاه عاطفى وتآلف قلبى أولا وقبل كل شىء .

فادراك الفائدة التى تعود على العرب من وحدتهم الاقتصادية أو الحربية أمر قد يدركه رجال الاقتصاد أو رجال الحرب أو خاصة الناس ومفكروهم على وجه العموم . أما العامة — وهم سواد الناس وكثرتهم — فلا ينساقون الى الوحدة الا بدافع من عواطفهم وما استقر فى نفوسـهم من معتقدات . وربط العروبة بالاسلام هو وحده الذى يجمع العرب على هذا الاحساس المشترك فيجعلهم يدا واحدة على عدوهم . وهو وحده الذى يمنح جهادهم صفة الاخلاص والفدائية وطول النفس فى المصابرة والجلد . على أنه يجب أن نعرف فى كل حال أن الدولة العربية الواحدة ليست هى الصورة الوحيدة للجامعة العربية . وليس التحريض على بعض النظم العربية وتقسـيمها الى نظم رجعية ونظم

تقدمية هو السبيل الوحيد للوصول الى هذه الجامعة . بل لعل هذه الصورة وهذا الاسلوب يعوّق المسيرة ويؤخر الوصول الى الهدف ويقيم فى وجهه العقبات فى بعض الاحيان .

ولكن اللب والصميم فى هذه الجامعة العربية هو الحب المتبادل باخلاص دون شائبة من ريبة أو سوء ظن بين الحكام والشعوب على الســـواء . لأن الصراع فى أى صورة من صوره لا يفيد إلا العدو ، ولأن الحب والمحاسنة بين الاخوة هو أقرب الطرق الى تقويم الاعوجاج وتلافى الأخطاء .

ذلك هو حديث العروبيين الذين يجردون العروبة من الاســـلام ، على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم . أما الاسلاميون الذين يسيئون الظن بالعروبة أو القومية العربية ، بدعوى أنها تفتت الوحدة الاسلامية وتشق عصا المسلمين المجتمعين على الاسلام فتجعل منهم عربا وغير عرب ، فلنا معهم حديث آخر .

إن الانحراف الذى صحب الدعوة فى أول نشأتها بارتباطها بحضـــانات أجنبية لا يصح أن يكون مبررا لمعارضتها الآن . فظروف نشأتها فى ظل دولة اسلامية جامعة للشمل تختلف عن ظروفها اليوم مع تفرق الشــــمل واختلاف الكلمة . فاذا كانت هذه الدعوة قد فتّت بالأمس فى عضد الجامعة الاسلامية فهى اليوم — اذا صححت مســـيرتها — الخطوة الاولى فى الطريق الى هذه الجامعة . فالعرب هم أقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة التي تربط بعضهم ببعض من ناحية ، والتى تربطهم بأصول الدين الاسلامى من ناحية أخرى ، وبحكم تجمعها وتلاصــــقها فى حيز مكانى واحد لا تقوم بين أجزائه عوائق أو فواصل طبيعية . وهم بحكم هذا التقارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة أو تقاربها على الأقل مهيئون لأن يكوّنوا نواة اسلامية صلبة تشع على العالم الاسلامى من ثقافة الاسلام وتحمل من أعباء الارشاد والتوعية والرعاية ما تعجز الدول العربية متفرقة عن النهوض به .

وحـــدة البلاد الاسلامية :

فالجامعة العربية هى نقطة البدء التى لا بديل عنها فى هذه المسيرة الطويلة نحو جامعة اسلامية لا سبيل اليها الآن ، مع انشغال كل بلد من بلاد المسلمين بمشكلاته الخاصة ، ومع ترامى أطراف هذه البلاد ، وانعدام وسائل التواصل الصحيحة للاسلام ذاته الذى يُراد جمعهم عليه . فالوحدة الحقيقية المهيّـأة أسبابها الآن هى وحدة البلاد العربية . أما البلاد الاسلامية الاخرى فلا بد أن تسبق وحدتها خطوات ، أولها نشر اللغة العربية ، التى لا تتم جامعة بغيرها .

إن مقاومة الأخطاء والانحرافات فى ادراك حدود العروبة ومقوماتهـــا بالهرب منها وبمهاجمة العروبة ذاتها هو ضرب من ضروب العجز وضيق الحيلة . والحزم فى أن تواجَه هذه الأخطاء والانحرافات بتصحيحها وبيان زيفها . وسوف تكون العروبة الاســــلامية عند ذاك مَحَطّ آمال المسلمين جميعا ومَهْوَى قلوبهم ، لأن الذين يعادونها منهم الآن إنما يعادونها لما غلب على لسان زعمائها ومتفلسفيها من فهم عنصرى يسقط الاسلام من حسابه حينا ويعاديه ويحاربه فى كثير من الأحيان ، بعد أن ترك الاســــلاميون لهم الميدان يسرحون فيه كما يشاءون دون رقيب أو حسيب .

والله سبحانه وتعالى هو المستعان .

---

* كان (يافيد) وزير مالية الاتحاديين يهوديا . ثم كان وزيرها من بعده (جاويد) الذى ينتمى الى طائفة (الدونمة) . وهم يهود يتسترون بالاسلام ويعيشون فى مجتمع مغلق فى (سلانيك) .

* واقول (بعض) لأن فيهم عددا غير قليل من المتمسكين بعروبتهم المخلصين لها ..

القرآن الكريم

محمد مؤذن

للأستاذ/ق . ق

لقد انعم الله سبحانه وتعالى على البشر بنعم لا تعد ولا تحصى . فلقد ميز الخالق عز وجل الانسان بنعمة العقل الذى ارتفع بواسطته عن الحيوان الأعجم . ووجدت الى جانب العقل الحواس والادراكات المختلفة . لتساعده وتزوده بالمواد الأولية للاستنتاج والاستنباط . وكانت مقدرة الانسان الفذة على الاختراع والابتكار تيسر له سبل المعرفة بصورة أسرع كلما مر عليه الزمن . وكان من المؤمل أن يشكر ذلك الانسان الضعيف خالقه لانه يسر له من الامكانات ما لم ييسر للمخلوقات حوله . ولكن الانسان المغرور سرعان ما اغتر بما لديه من علوم وسرعان ما سيطرت عليه اكتشافاته فتمرد على خالقه الذى خلقه فسواه فعدله واضحى عبدا لمخترعاته التى صنعها بيديه .. انها رحلة طويلة عاد منها الانسان المغرور فى النهاية الى جزء من الحقيقة ، الحقيقة التى قررها القرآن العظيم قبل ثلاثة عشر قرنا الا وهى قصور العلم البشرى أو النقص الذى فطر عليه البشر .

ان العلم الالهى هو العلم الكامل الذى لا يند عنه شىء « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين** » ان العلم الالهى هو العلم الذى لا تحده الحدود : « **ولو أن ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** » .

واما البشر فلا يستطيعون الاحاطة بهذا العلم . وهيهات ان يتحقق لهم شىء مما يريدون فان علوم الأولين والآخرين لو جمعت كلها فى صعيد واحد لن تكون الا بمقدار المخيط اذا دخل البحر . يقول الحق تبارك وتعالى : « **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء** » وقد نبه القرآن الحكيم مرارا الى قصور العلم البشرى فقال تعالى : « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » وقال : « **ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** » .

العلماء المسلمون : ومن اجل ذلك كان المسلمون اصحاب العقيدة السليمة بمنجى من الشطط والزلل والانحراف ، وكيف ينتابهم ذلك وهم يرتلون آيات الله ؟ وكيف يشط بهم التفكير ودعاؤهم : « **وقل رب زدنى علما** » ؟ وكيف ينحرفون وهم يعتبرون أن علومهم هى من فضل الله ومنته ، فهم يؤمنون بأن الله هو الذى « **علم الانسان ما لم يعلم** » ؟ ..

ان الحسن بن الهيثم هو عالم مسلم اكتشفت أوروبا ان هذا العالم قد ألف كتابا فى علم الضوء اسمه المناظر . ولقد كانت أوروبا عالة على هذا الكتاب طيلة خمسة قرون . ولقد تبين لها أن روجر بيكون وليوناردو دافنشى وغيرهم قد نهلوا

قرر :

قصور العلم البشري قبل ثلاثة عشر قرناً ثم اضطر علماء العصر الحديث أخيراً إلى الاعتراف بذلك

من هذا الكتاب بل ربما نسخوا جزءا كبيرا من هذا الكتاب ونسبوه الى انفسهم أى أن هذا العالم قد سبق زمنه الذى عاش فيه ــ بالنسبة للتفكير الأوربى ــ خمسة قرون على أقل تقدير . فهل انتاب هذا العالم الغرور ؟ كلا لقــد كان التواضع يسيطر عليه . فكان يصدر كتبه بحمد الله والثناء واستمداد العــون فى جميع الأمور من الله وحده (١) . وهذه سمة التواضع وحذف هذه العبارة اول سمة من سمات التكبر والغرور وهى المنافذ التى تؤدى الى المروق والطغيان .

الفلسفة الحسية والغرور :

أما أوروبا فقد ظهرت فيها نزعة غريبة لقد نشأ فيها صراع بين كهنة ادعوا لانفسهم حق الهيمنة على مصائر المجتمعات وبين معسكر ادعى لنفسه حق احتكار العلم والسيطرة عليه . وظهر من المعسكر الأخير من حمل لواء الفلسفة الطبيعية الحسية ، وكانت تعضيدا لغرور الانسان بالاعتماد على الحواس فقط . وقــد حمل لواءها أوجست كومت الذى تجرأ بادعائه انه يستطيع أن يضع الدين الطبيعى الحسى موضع التنفيذ . ولكن هذه الفلسفة انهارت حينما اتضح ان حواس الانسان محدودة القدرة وانه من الخطأ حصر المعرفة فى حيز ضيق محدود جدا . يقول كاميل فلامريون انه : « يوجد من الذبذبات والحركات الأثيرية أو الهوائية ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به .. هذه حقيقة علمية مطلقة وبدهية عقلية لا يمكن النزاع فيها فيمكن ان يوجد حولنا اشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع حواسنا ان تصلنا بها .. فاذا تقرر وثبت بالدليل ان اعضاءنا الادراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود وانها تعطينا شعورات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا فلسنا نكون على شىء من التثبت ان اعتقدنا ان ما نراه هو كل الحقيقة بل مضطرون الى التسليم بضد ذلك قلنا ان كائنات حية يجوز ان تكون موجودة حولنا . فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فها هى تتكاثر حولنا بالمليارات والدور الذى تلعبه فــى حياة الاجسام من الخطورة بمكان ، فالمظاهر لا تكشف لنا الواقع (٢) .

انشتين عالم القرن العشرين يقر بقصور العلم البشرى : انشتين من أشهر علماء القرن العشرين وصاحب نظرية النسبية الخاصة والعامة ونظرية كموم الضوء والضوء الكهربائى والضوء الكيميائى كما انه صاحب محاولة لوضع قانون المجال الموحد . ولم يحز أى عالم الشهرة التى حازها انشتين . ومع ذلك فان هــذا

العالم يقر بقصور العلم البشرى خدمة للعلم والحقيقة . يبين انشتين هـذا المعنى بعد حديثه عن جهود العلماء فى الكشف عن أسرار الطبيعة فيقول : « ولا تزال هذه القصة الغامضة دون حل ، بل انه لا يمكن الجزم بوجود حل نهائى لها . . فلا نزال بعيدين عن الحل الكامل اذا وجد وهو شىء بعيد الاحتمال . وفى كل مرحلة نحاول ان نجد تفسيرا يتفق مع الأدلة المكتشفة حتى ذلك الوقت . ولقد فسرت النظريات المبنية على التجربة كثيرا من الحقائق ولكن لم يكتشف الى الآن حل عام يتفق مع جميع الأدلة المعروفة . وفى كثير من الأحيان بعد الاستزادة من القراءة يتضح فشل نظرية كان يظن انها كاملة كافية ، وذلك لظهور حقائق جديدة تناقض النظرية أو يتعذر تفسيرها بها . وكلما تمادينا فى القراءة كلما زاد تقديرنا لكمال تصميم الكتاب رغم ان الحل الكامل يبتعد كلما تقدمنا (٣) . ومن الجدير بالذكر ان العالم المصرى المسلم على مصطفى مشرفة اكتشف خطأ وقع فيه انشتين فاضاف بذلك دليلا عمليا على قصور العلم البشرى ، ولقد اعترف انشتين بهذا الخطأ .

ومن الغريب ان انشتين وجمهرة كبيرة من علماء الذرة كانوا يعتقدون بعدم امكان تفتيت الذرة لو لم يتطوع انريكو فرمى بانقاذ هؤلاء من الاستمرار على هذا الخطأ ، وذلك بتفتيتها فعلا ، فاضطر هؤلاء الى الاعتراف بذلك وأصبح الآن تفتيت الذرة من البدهيات التى يسلم بها الجميع . بل ان انريكو فرمى نفسه تفتت أمامه الذرة فى احدى تجاربه قبل بدء الحرب العالمية الثانية بخمس سنين ولكنه لم يدرك ما حدث أمامه واعتبر العلماء ذلك الجهل من الأمور التى انقذت العالم من كارثة استعمال الأسلحة النووية فى الحرب الأخيرة (٤) .

ول د يورانت وللفيلسوف ول د يورانت رأى مشابه لانشتين فهو يفند الادعاء القائل بأن علم الطبيعة يقترب من المرحلة التى يبلغ فيها الكمال فيقول معلقا : « وجميع الدلائل تدل على العكس من ذلك . أما هنرى بوانكاريه فيرى ان علم الطبيعة الحديثة فى حالة من الفوضى فهو يعيد بناء جميع أسسه وفى اثناء ذلك لا يكاد يعرف اين يقف (٥) . وبذلك نرى ان العلم الحديث والفلسفة الحديثة يعترفان بقصور العلم البشرى الحديث ويؤيد العلماء والفلاسفة هـذا الراى بل ويعتبرانه من مقومات العلم والفلسفة .

العلم البشرى بين الكمال والنقص :

ان قصور العلم البشرى من النعم التى أنعم الله بها على البشر رفقا بطاقاتهم وعقولهم ليصبوا الى المعرفة دائما وليلجأوا بعد ذلك الى خالقهم الذى امدهم بالمعرفة والعلم لييسر لهم سبل العيش فى هذه الدنيا وفقا لطاعة خالقهم ومرضاته أما الاعتقاد بكمال العلم الحديث فمعنى ذلك اغلاق باب المعرفة وسد باب العلم ومنع البشر من التقدم والمعرفة (٦) .

---

(١) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها للمؤلف .

(١) على أطلال المذهب المادى .

(٣) تطور علم الطبيعة .

(٤) العلم معنى وطريقة .

(٥) مباهج الفلسفة .

(٦) قصور العلم البشرى (للمؤلف) .

التحريف والنسخ في الشريعة اليهودية

للدكتور محمد اسماعيل الندوى

لقد اكد القرآن الكريم مرارا وتكرارا أن اليهود حرفوا شريعتهم لتحقيق اغراضهم الشخصية وكسب المال .. وذلك فى مثل قوله تعالى : « **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** » (النساء ٤٦/٤) . ومثل : « **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** » (البقرة : ٧٥) « **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** » (البقرة : ٧٩) .

ولكن السؤال الهام فى هذا الصدد هو : كيف كان هذا التحريف .. ؟

الواقع أن الشريعة اليهودية مرت بتطورات عديدة منذ وفاة موسى عليه السلام ولا يمكننا فى هذه المجالة حتى عرض بعضها . والقرآن قد اشار فى الآيات المذكورة الى اليهود فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا ينبغى لنا متابعة التطورات التى حدثت منذ عام ٧٠ م ، إذ قد دمر فيه الرومان معبدهم فى القدس وشتتوا شملهم . ومنذ ذلك الحين دخل اليهود فى طور جديد . والأساس الذى قامت عليه اليهودية فى ذلك الحين هو نفس الأساس حتى عصر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول المؤرخون اليهود المعاصرون فى هذا الصدد : « ان جميع الفرق اليهودية قبل عام ٧٠ م قد اجمعت على الايمان بالمبادىء الأساسية الواردة فى التوراة ، واعتبرت المعبد فى يروشلم بيت الله لجميع اسرائيل . وكذلك اتفقت على الروحانية ووحدة الاله ، ولم ترض بالمناقشة والجدل فى هذه الامور . وكذلك صارت قداسة التوراة لموسى فوق مستوى النقاش » .

كما أن العقيدة المسيحية لم تتخذ بعد الصبغة الفلسفية . وبما أن شرائع موسى صارت دستور الحياة اليهودية للشئون الداخلية والخارجية أصبح من المحتوم ان تكبر هذه الشرائع وتضاف اليها إضافات جديدة وفق الظروف والمتطلبات . ومما لا شك فيه أن القوانين الدينية والمدنية والجنائية والتنظيمية الموجودة فى التوراة لم تكن تكفى لمتطلبات العصر ، ولذلك أصبح من اللازم أن تفسر هذه القوانين كلها من جديد لتنطبق على الحياة المتطورة ويمكن تطبيقها على شئون الحياة بسهولة وتكييفها وفق الظروف المتغيرة .

لقد وجدت فى توراة موسى مادة خصبة تستطيع بها تطوير القوانين وفق الظروف ، كما دعت الظروف ـــ من ناحية اخرى ـــ الى استنباط ووضع أسس جديدة لصياغة القوانين وفق المطالب الحديثة والظروف الطارئة تلك التى كانت تفرضها الحياة بسبب الضغوط عليها من الداخل والخارج . ومن هنا كان طبيعيا أن تظهر آثار وتقاليد جديدة الى جانب شرائع موسى وتنمو وتزدهر وتسير جنبا الى جنب مع التوراة تلك التى كانت فى الحقيقة مما اضافه أصحاب التوراة وتضمن الاحداث السابقة الماثلة والمبادىء الأساسية التى كانت ضرورية للقوانين المنتظمة المنسقة الدقيقة . وبما أن هذه الآثار كانت فى نمو وتزايد مستمر ومفعمة بالحيوية بسبب السيطرة الالهية عليها ولذلك حمل الدكاترة على عواتقهم اعباء جمع وتنسيق هذه القوانين الغير مكتوبة وجعلها على قدم المساواة مع توراة موسى المكتوبة ، وهؤلاء الدكاترة هم الذين سموا بالربيين (اى رجال القانون والشريعة) وسميت هذه المدرسة الفقهية أو القانونية بالمدرسة الربانية(١) .

لقد خولت فى التوراة الشفوية سلطات واسعة للفقهاء ورجال الدين فى كل جيل يهودى ، وفى جميع العصور لسن القوانين من تلقاء أنفسهم دون قواعد وأصول ، وذلك وفق الظروف الراهنة والمطالب العصرية ، واستنتج هؤلاء هذا الأمر على ضوء تفسير دقيق لبعض النصوص الواردة فى التوراة مثل :

١ ـــ ارسل يهوه يربعل وبدان ويفتاح وصموئيل وانقذكم من يد أعدائكم الذين حولكم فسكنتم آمنين(٢) .

٢ ـــ موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه . دعوا يهوه وهو استجاب لهم(٣) .

إن هذين النصين يدلان ـــ على حد قولهم ـــ على انه فى كل عصر من العصور يكون ثلاثة من كبار الشخصيات على منوال الثلاثة الأقطاب من اليهود القدامى وهم : موسى و[illegible] وصموئيل . كان يربعل فى جيله بمثابة موسى ، وبدان بمثابة [illegible] ، ويفتاح بمثابة صموئيل . ومن هنا يتحتم على اليهود ان يتعاملوا [illegible] زعيم دينى لهم مهما كان صغيرا نفس معاملة موسى وهارون وصموئيل [illegible] انهم ورثاؤهم ويحلون محلهم فى قيادة اليهود وسن القوانين من اجلهم

ثم يلجأون الى نص آخر ورد فى التوراة وهو : « اذهب الى الكهنة واللاويين والى القاضى الذى يكون فى تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء »(٤) . ويستدلون منه أن كل عصر من العصور لن يخلو من وجود القضاة ومعناه : ينبغى تعيين القضاة فى كل العصور ليذهب اليهم اليهود فى طلب العدل وفصل الحكم .

وكذلك استنتجوا من نص آخر : لا تقل : لماذا كانت الأيام الاولى خيرا من هذه ؟ لانه ليس عن حكمة تسأل عن هذا (٥) ؟ اى ان عصرا من العصور لن يخلو من خير الناس من امثال موسى وهارون وصموئيل ، بل علماء العصور سوف يحلون محلهم وينوبون عنهم ، ويقومون بدورهم فى قيادة اليهود وهدايتهم وسن القوانين الجديدة من أجلهم . وهذا يدل كذلك فى نفس الوقت على أن كل تلميذ بارز فى كل عصر من العصور يحق له ان يفتى وينير طريق الناس وأستاذه حتى يرزق ، وبهذا أمر الله موسى فى سينا(٦) .

كيف سن اليهود قوانين جديدة للظروف الجديدة .. ؟ من المعروف ان اليهود لم يطبقوا التوراة المكتوبة فى حياتهم العملية ، ولم تقم عليها دولتهم الى تدمير يروشلم فى المرة الاولى فى عام ٥٨٧ ق. م ، لأن تلك المجتمعات قامت على العقيدة الوثنية والحضارة المستوردة من الشعوب العربية المحيطة بهم . لقد اقتضت الضرورة التمسك بالتوراة — أى القوانين الواردة فى الأسفار الخمسة — أيام المحن والآلام فى بابل . وهنا نظم كبار علمائهم أمثال حزقيال وعزريا حياتهم الدينية ، وبفضل جهودهم انشئت المراكز الدينية (السيناغوغو) فى انحاء بابل ، ثم نظموا المعبد بعد العودة فى العصر الفارسى ، ودونوا أسفار العهد القديم ، وظهرت على يدهم التوراة الشفوية ، وهى فى الأصل خلاصة تجارب الشعوب الاخرى ومبادئها وعقائدها وقوانينها .

ومن المعروف أن القوانين الواردة فى الأسفار الخمسة للتوراة كانت محدودة للغاية ، ولا يمكن تطبيقها فى كل الظروف والاحوال كما قلنا . ومن هنا لجأ الفقهاء اليهود الى القوانين الاجنبية مثل القوانين الفارسية والاغريقية والرومانية والى صياغتها وتكييفها وفق أحوالهم وحاجاتهم ، وسموا هذه العملية من الاستيراد والصياغة الجديدة بالشرح والتفسير للتوراة المكتوبة .

وكانت هذه العملية تتم على يد لجنة كبرى من الفقهاء ويتم البت واتخاذ القرارات فيها وفق أغلبية الآراء . وعزوا هذا الأمر الى موسى ، واوردوا فى التوراة الشفوية مرارا وتكرارا وهو أنه فى محادثة جرت بين الله وبين موسى : « قال موسى : يا ملك الكون ، كيف يكون القرار النهائى فى أمر قانونى ؟ رد الله عليه : ينبغى مسايرة آراء الاغلبية . واذا قررت الاغلبية ان شيئا ما مفيد صالح فيكون هذا القرار نهائيا ويعمل على وفق هذا القرار ، واذا قررت الأغلبية رفض شيء أو تحريمه فهو يكون مرفوضا ومحرما »(٧) .

نسخ شريعة التوراة :

يعتقد اليهود ان الأوامر والوصايا الواردة فى التوراة الشفوية خالدة خلود الدهر وثابتة لا يمكن تغييرها أو تبديلها إلا اذا تغيرت الظروف والأحوال ،

وجعلتها عديمة الجدوى . ومستحيلا تطبيقها مثلما حدث بالنسبة الى القرابين والقوانين الزراعية بعد تدمير المعبد فى يروشلم وتشريد اليهود وتحويلهم الى عبيد وأرقاء . فقد الغيت كل هذه القوانين مؤقتا الى أن تعود الأمور الى نصابها . لقد لعبت التوراة الشفوية دورها فى حياة اليهود فى مثل هذه اللحظات الصعبة بسبب مرونة قوانينها وسهولة تشريعاتها . وبمعنى آخر فإن التوراة الشفوية هى التى انقذت اليهودية وحافظت عليها وحالت دون انصهارها وإذابتها فى بحار الأديان الأخرى (٨) .

إن دل هذا الكلام على شىء فإنما يدل على أن التوراة الشفوية التى كانت فى الحقيقة موسوعة كبرى لتجاوب الشعوب الاخرى وافكارها وقوانينها وشريعتها تبدأ أصلا من الديانة الزردشتية والنظم القانونية الفارسية وتنتهى بالقوانين الرومانية والمبادىء الغنوصية والافلاطونية الحديثة ونظريات رجعية أخرى نسجتها عقول الفريسيين المتزمتة وافكارهم الضيقة العقيمة التى تملك مادة قانونية كافية لتحل محل التوراة المكتوبة فى كل الظروف والأحوال .

وحينما نمعن النظر فى بعض القوانين التوراتية التى لم تصلح للمجتمعات المدنية نجد أن فقهاء اليهود يلغونها إلغاء تاما وعمليا ثم يفسرونها تفسيرا جديدا من تلقاء انفسهم دون سند أو حجة فيصبح تفسيرهم هذا خارج نطاق التوراة كلية .

وإليكم بعض النماذج :

١ ــ لقد جاء فى التوراة : « فى آخر سبع سنين تعمل ابراء » (أى تبرئة ذمة المديون) . وهذا هو حكم الإبراء : يبرىء كل صاحب دين يده مما اقرض صاحبه . لا يطالب صاحبه ولا أخاه ، لأنه قد نودى بابراء ليهوه . الأجنبى تطالب . وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه . إلا إن لم يكن فيك فقير (٩) .

يقول الدكتور كوهين فى تعليقه على هذا الحكم : إنه يلزم على الراهن أن يعفى المدين عن دينه له بعد كل سبع سنوات ، وإن لم يعف عنه بعد مضى ست سنوات فالقانون يبرئه فى السنة السابعة بصورة إجبارية ولا يستطيع المطالبة بدينه بعد ذلك إطلاقا . هذا وأما الأحكام الواردة فى النصوص المقدسة غير التوراة المكتوبة فانها تذكر فعلا الخيرات التى كان يقدمها الاسرائيليون للفقراء والبؤساء من أبناء قومهم ، ولكنه لم يتحدث عن القروض التى تمت بالعقود بين الدائن والمدين فى الشئون التجارية بأنها أعفيت بهذا الطريق . وان هذا القانون من الناحية الاخرى يشير الى انه كان مطبقا على المجتمع البدائى الذى لم يكن يوجد فيه إلا الملاك الصغار ، وكل واحد كان يعتمد على انتاجه الشخصى . ولما تغيرت هذه الظروف وتبدل هذا المجتمع وانتقلت الحياة الى طور جديد تعتمد على التجارة المتبادلة أصبح هذا القانون من التوراة معرقلا وعائقا فى طريق التطور والتقدم ، واستبدت المخاوف بعقول الناس أن الديون المتبادلة فى الشئون التجارية سوف تضيع بعد مضى ست سنوات ، وتصبح تبرعات وإعانات . وبهذا واجهت الحياة اليهودية عراقيل كبرى تترتب عليها مشكلات كبرى .

وهنا يأتى دور كل من الصدوقيين والفريسيين (وهما من الفرق اليهودية الرئيسية فى عصر المسيح) . فالأولون يقولون : انه ليست هناك اية عرقلة ، بل ينبغى تطبيق حكم التوراة بالحرف . وأما الآخرون ومثلهم

هيليل — رئيس جماعة الفريسيين — فلم يقتنع بهذا القانون ، ولم يتفق مع الصدوقيين فى تفسيرهم اياه . بل حاول الرجوع الى الآثار والتراث راجيا أن الدراسة العميقة من هذا القبيل سوف تحل هذه المشكلة العويصة من الأساس .

لقد فسر هيليل هذا القانون على الوجه التالى : إن الدائن اذا اعطى المدين دينا بدون تعاقد رسمى ، فسوف يعفى بعد ست سنوات ، ولكنه اذا تعاقد وقدم المستندات الى المحكمة لتثبت الدين فانه يستحق الدين ، ولن يعفى المدين من الدين ابدا ، مهما كان الامر . ولو مضت سبع سنوات .

ثم يقول كوهين تعقيبا على تفسير هيليل : ان هذا التفسير يعطى للتوراة حياة أبدية لتواصل عملها فى كل العصور ، وذلك عن طريق تفسير أحكامها تفسيرا جديدا يطابق روح العصر ومقتضى الظروف (١٠) .

٢ — وهناك مثال آخر لهذه الظاهرة يدل على أنه تحريف واضح للنص الوارد فى التوراة بوضوح وصراحة : « وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل له . كسر بكسر وعين بعين وسن بسن . وكما أحدث عيبا فى الانسان كذلك يحدث فيه . من قتل بهيمة يعوض عنها ومن قتل إنسانا يقتل . حكم واحد يكون لكم . الغريب يكون كالوطنى . إنى أنا الرب إلهكم »(١١) .

وهذا حكم واضح جلى لا غموض فيه ولا إبهام ، ولا لبس فيما يتعلق بالقصاص . ولكن الربيين فى التلمود أبطلوا الروح الأصلية لهذا الحكم ، والغوا القصاص بالكل وفرضوا التعويض المالى مكانه فى كل الظروف دون استثناء(١٢) .

وهنا نتساءل : هل يمكننا ان نعتبر هذه الظاهرة بمثابة النسخ أو الاجتهاد فى شريعتنا الاسلامية .. ؟ وللاجابة على ذلك ينبغى لنا التحقيق فى معنى النسخ والاجتهاد فى الشريعة الاسلامية .. ؟

النسخ فى القرآن :

يقول الله سبحانه : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير »(١٣) .

يقول الشيخ الخضرى فى شرح معنى النسخ : النسخ فى اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين : الأول : إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق ومثاله ما ورد فى حديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، الا فزوروها » . فالنص الأول يطلب الكف عن الزيارة ، والنص الثانى يرفع ذلك النهى ويحل محله الإباحة أو الطلب . والثانى : رفع عموم نص سابق أو تقييد مطلقه ، ومثاله قوله تعالى فى سورة البقرة : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » . ثم قال فى سورة الأحزاب : « إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » . فالنص الأول عام ينتظم المدخول بها وغيرها ، والنص الثانى يعطى غير المدخول بها حكما خاصا بها (١٤) .

وهنا نجد أن النسخ فى الشريعة الاسلامية ليس معناه : إلغاء حكم شرعى الغاء تاما وإحلال حكم جديد محله وفق الظروف الراهنة من خلال الاجتهاد والآراء الشخصية للفقهاء أو بناء على الآراء الأكثرية للفقهاء ، بل

معناه : تخصيص حكم وارد فى القرآن او الحديث أو تعميمه بحكم آخر على نفس المستوى الذى ورد فى نص القرآن أو الحديث . وبهـذا لا يتجـاوز النسخ فى الشريعة الاسلامية حدود الله ، فى حين يصـبح النسخ فى الشريعة اليهودية إلغاء حكم الله بسـبب عدم ملاءمته للظروف وفق الآراء الأكثرية للكهنة الهيود . وهذا تجاوز وعدوان على حكم الله ، وشراء ثمن قليل ببيع حكم الله وتحريف وتشويه لما ورد فى التوراة .

وأما الاجتهاد فى الاسلام فيطلق على معنيين :

الأول : المعنى الأسمى الذى هو وصف للمجتهد قائم به ويعرف بأنه : ملكة يقتدر بها على استنباط الاحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

والثانى : المعنى المصدرى أى فعل المجتهد وهو : بذل أقصى الوسع لتحصيل حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط من الأدلة الشرعية(١٥) .

والدليل على اعتباره : الكتاب والسنة والعقل : فالفقيه المسـلم لا يجتهد إلا إذا لم يجد حكما فى كتاب الله أو سنة رسول الله الثـابتة ، فيجتهد حينئذ على ضوء ما ورد فى كتاب الله وسنة رسـول الله فى حكم مماثل أو مشابه له . وبهذا لا يخرج المجتهد المسلم عن إطار كتاب الله وسنة رسوله حتى فى الأمور الاجتهادية ، فى حين يملك الكنيسـت اليهودى حق الغاء احكام التوراة أو تفسيرها تفسـيرا جديدا بعيدا عن مفهومها بعدا شاسعا واتخاذ القرار فى هذا الصدد وفق اغلبية اعضاء الكنيست .

إن الإبداع والاختراع ممنوعان منعا باتا فى الاجتهاد عند العلمـاء المسلمين . يقول الإمام السيوطى فى ذلك : لا شك أن المجتهد يحرم عليه إحداث قول لم يقل به أحد [illegible] اختراع رأى لم يسبق إليه . ولهذا كان من شروط الاجتهاد معرفة اقوال العلماء من الصـحابة فمن بعدهم اجماعا واختلافا ، لئلا يخرق الاجم[illegible] فيما يختاره . فوجب ذكر أقوال العلماء فى هذه المسـألة ، قبل اقام[illegible]ليل ، لـكون الـكتاب مؤلفا على طريق الاجتهاد(١٦) .

---

(١) History of the Jews by Paul Goodman's

(٢) صموئيل الاول ١١/١٢ .

(٣) المزامير ٦/٩٩ .

(٤) تثنية ٩/١٧ .

(٥) الجامعة ٧ .

(٦) .. .. ؟

(٧) Everyman's Talmud P : 148

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) تثنية ١/١٥ — ٤ .

(١٠) انظر [illegible] : Everyman's Talmud P : 22

(١١) لاويين ١٩/٢٤ [illegible] .

(١٢) Judaism by Gsidore Epstein : P : 187

(١٣) [illegible] .

(١٤) تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة السادسة بالقاهرة) ص ٢٣ .

(١٥) صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والـكلام (طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر) ١/٤٧ .

(١٦) .. .. ؟

من نوادر المخطوطات :



دستور الاعلام

محمد موزون

نموذج من التراجم الاسلامية

للأستاذ : محمد محمود زيتون

من الجوانب المضيئة فى الثقافة الاسلامية ، على مدى الاربعة عشر قرنا الماضية ، ذلك السيل الدافق من المؤلفات عن أهل المعرفة ، على اختلاف ميادينها ، واتجاهات فرسانها ، وابقى التاريخ لنا هذا التراث الضخم ، ومنه ما سرق من خزائن الكتب الاسلامية ، واود مكتبات الشرق والغرب ، ومنه ما ت طبعه ، وما لا يزال مخطوطا أو مفقودا ، ومع ذلك تتابعت السلاسل، ى تحمل الينا إشارات تدل على ا كان للسابقين من فضل على راثنا ، وما كان لمن لحق بهم من ناء وإخلاص .

اوعية الفكر الاسلامى

ولا شك ان الباعث الاول لتسجيل ل المعرفة الاسلامية هو الاعتراف

بما لهم من عمل مجيد ، والاشادة بما اشتهروا به من خلق حميد ، ليكونوا — بهذا وذاك — هداة لمن يجيء من بعدهم ، على طريق النور ، واتسع الباب جيلا بعد جيل ، فإذا بهؤلاء الأعلام الأفذاذ يحتلون مكاناتهم فى التاريخ ، فى طبقات صغرى وكبرى ، او مشيخات أو وفيات ، عقب كل سنة أو كل قرن أو كل عهد ملك او سلطان أو رئيس ، واحيانا فى تراجم أو معاجم أو مشيخات أو اثبات او تواريخ أو ذيول ، أو غير ذلك من التسميات المعروفة .

وكلما كان أحدهم يفلت من هذه (الأوعية) التى قد تكون شاملة ، وقد تكون متخصصة ، فاذا بنا نطمئن الى وجود أعلام الفكر ، وقد انخرط كل واحد فى سلك اصحابه من المفسرين والمحدثين والرواة والحفاظ والقضاة والقراء والزهاد والنحاة والشعراء والأدباء والأطباء والمؤرخين والرحالة ، من المالكية او الشافعية أو الحنابلة أو الأحناف،من البغاددة او الدماشقة أو الاسكندرانيين أو المغاربة أو غيرهم ، وغالبا ما كان احدهم يكمل ما فات السابقين عليه ، وينقد ويصحح ويزيد ويمضى حتى يسلم الراية لمن بعده ، وهكذا ، كما فعل السيوطى مثلا فى (حسن المحاضرة) و (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) لإكمال ما فات أبا الربيع الجيزى ، دفين الجيزة بمصر .

والنموذج الذى نعرضه على القارىء فى هذا المقال ، فريد فى نوعه من كافة الوجوه ، ولهذا آثرنا ان ننوه به ، ليقف ابناء هذا الجيل ، على ما قدمه لنا السابقون خلال اجيال متباعدة ، ومن أمصار متفاوتة، كعمل متكامل يمسك بعضه بعضا ، على غير المعهود عندنا وعند غيرنا .

الكتاب .. و .. المؤلف

والكتاب « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » مخطوط قديم فى مجلدين بمكتبة الاسكندرية تحت رقم ١٩٤٢ ب ، ومؤلفه هو ابن عزم (بفتح العين والزاى) من أهل القرن التاسع الهجرى ، وظل يعلق عليه من بعده عدد من المؤلفين المعنيين بعلم الرجال . طوال خمسة قرون من بعده حتى يومنا هذا .

اما المؤلف الأول الذى كان رائدا لهم جميعا فهو المحدث المؤرخ : شمس الدين — أو جمال الدين فى بعض الروايات — محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عزم التونسى نزيل مكة ، ولد بتونس عام ٨١٦ هجرية ، وقدم مصر ، ورافق السخاوى صاحب (الضوء اللامع) فى الاشتغال بالتاريخ والتراجم ، وجاور بمكة وبها توفى عام ٨٩١ هجرية ، وقد ترجم له فى صلب كتابه احد

المذيلين عليه وهو المنلا ـ اى المولى او الشيخ ـ قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى فقال : « وأبوه ابن عزم التميمى المتوفى عام ٨٤٦ إمام اهل الحساب والمساحة والنجوم وغيرها واسمه أبوحفص عمر بن محمد بن أحمد » .

فهو إذن من بيت علم ومعرفة واسعة ، ولهذا اشتمل كتابه على تراجم ـ وإن كانت غير مسهبة ـ عن عدد ضخم من الأعلام ، فى شتى النواحى الثقافية ، ومن مختلف البلاد الإسلامية ، ورتبه على حروف المعجم وجعل لكل حرف خمسة أبواب : المشهورين بالاسم ، والمشهورين بالكنية والمشهورين بالنسب أو اللقب او السبب ، والمشهورين بابن فلان ، والمشهورين بصاحب ، وضرب لكل ذلك أمثلة يوضح بها تبويبه وتصنيفه ، « وكل ذلك باختصار » على حد قوله .

دستور فى التراجم

وعلى هذا يذكر لنا ابن عزم الشخص باسمه واسم أبيه ، واسم جده ، والسنة التى توفى فيها بالقلم الهندى وبلده ومذهبه ومكانته العلمية واشهر مؤلفاته ، أو يقول عنه إنه (صاحب التصانيف) ، وينوه به وبشهرته . فيذكره بقوله مثلا : (مسند قطره) أو (مسند وقته) أو (مسند الدنيا) أو (مسند الآفاق) بما يناسب التعريف به عن عدالة واتزان ، ويقصد المؤلف بذلك أن يكتفى القارىء بهذا العمل متى اراد ، وإلا فهو له كالمدخل الى التواريخ المطولة ، كما نلحظ ذلك فى تراجم السخاوى لرجاله بإسهاب وتفصيل ، [ولهذا سميته ـ كما يقول ابن عزم ـ « دستور الإعلام بمعارف الأعلام »] .

والاختصار الذى أشار اليه ابن عزم متفاوت فى ثنايا كتابه ، فأحيانا لا تزيد الترجمة على سطر أو سطرين ، وأحيانا تبلغ ستة أسطر ، وقلما تزيد ، ومع ذلك ، فإن عظمة المؤلف تتمثل فى القدرة على الإيجاز الوافى بالمطلوب ، مما يشجع فعلا على اتخاذه (دستورا) أو مدخلا للتواريخ الكبار كتراجم (الضوء اللامع) للرجال والنساء على السواء فى فترة معينة وهى القرن التاسع .

على أن التعليقات ـ أو الذيول المتعاقبة ـ التى حظى بها المؤلف على كتابه من بعده ، قد زادت من أهميته ، ورفعت من قدره ، إذ أن الزيادة أو الإضافة التى أتى بها كل من المعلقين عليه الستة ، قد أكسبت الكتاب ما لم يكن يحلم به المؤلف الأصلى ، من شهرة لكتابه ولنفسه ، كواحد من أصحاب التراجم ، والتراجم المنوعة بصفة خاصة ، ولا سيما إذا عرفنا أن هؤلاء المعلقين كانوا ينتمون الى بلاد أو قرى شتى فى الوطن الاسلامى ، ومع ذلك التقت مشاربهم ، فأكمل بعضهم عمل البعض ، فى تعاون وفىّ ، له قدره من غير شك فى مجال التصنيف ، فجاء تعقيب كل منهم ـ أو (الذيل) ـ نابعا من معلوماته الخاصة غير المنقولة عن غيره ، ولاسيما إذا كان المترجم له من مواطنيه ، مما يزيده اهتماما به .

ذيول ورموز

ومما هو جدير بالذكر هنا ، أن تلك الإضافات لم تختلط بالمتن الأصلى للكتاب ، بل تميز بعضها عن بعض بطريقة سهلة ، فكان كل تعليق يبدأ بحرف يرمز الى صاحبه ، فهذا تعليق حمزة الحسينى يرمز إليه بحرف (ح) ، ورمضان حلاوة بحرف (ض) ، وهكذا ، ولذا يستطيع القارىء أن يميز بين الأصل وبين الزيادات واصحابها ، وهو مطمئن الى مجهود كل منهم على حدة .

ولتوضيح هذا العمل الفريد فى نوعه من المعاجم والتراجم نقول إن المؤلف يتكلم مثلا عن (الشاذلى) واسمه إبراهيم ، ثم يزيد عليه المعلق الأول أو المذيل الأول ، فيضيف شخصا آخر لقبه الشاذلى أيضا ، ولكن اسمه محمد أو احمد أو غيره ، ثم يأتى المعلق الثانى — إن وجد — فيعلق بشخص آخر لم يذكره من سبقه أو يضيف جديدا الى ما ذكره السابقان عليه ، أو يصحح خطأ وقع فيه أحدهما او كلاهما ، أو يزيد بما لديه هو من معلومات لم يسبقه اليها غيره من مولد أو وفاة أو غير ذلك ، وفى كل تعقيب يضع المعقب الحرف الذى يرمز به الى اسمه ، وغالبا ما لا نجد التعقيبات إلا من اثنين او من واحد لا سواه ، ومن هنا نضمن عدم الوقوع فى الخلط بين والد وولد ، أو بين شخص واخيه .

اصحاب الذيول

واصحاب الذيول على « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » — كما هو فى المخطوط الذى بين يدينا — ستة هم :

١ — (ح) ويرمز الى حمزة بن احمد بن على بن محمد بن على الحسينى الشافعى الدمشقى صاحب كتاب (المنتهى فى وفيات أولى النهى) ، والمتوفى ببيت المقدس عام ٨٧٤ هـ .

٢ — (ق) ويرمز الى المنلا قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى ، ولا ندرى عنه شيئا ، والأغلب انه فارسى الأصل .

٣ — (هـ) ويرمز الى إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفى الجنينى من جنين ثم سكن دمشق ، وتوفى عام ١١٠٨ للهجرة وله تتميم فتاوى شيخه خير الدين الرملى ، ورسائل تاريخية ، و « رحيق الفردوس فى حكم الريق والبوس » و « نتيجة الفكر فيما يتعلق بأحكام الذكر » .

٤ — (ز) ويرمز الى زين الدين ابن محمد البصروى الدمشقى .

٥ — (هب) ويرمز الى إبراهيم بن السيد بن نقيب الأشراف الشهير بابن حمزة .

٦ — (ض) ويرمز الى رمضان حلاوة السكندرى ، وهو آخر المعلقين على الدستور ، الذى لا يزال مخطوطا الى يومنا هذا .

كان رمضان حلاوة آخر هؤلاء الستة المذيلين ، وهو — على ما نعلم — سكندرى الأصل والإقامة، كان حيا عام ١٨٧٢ ، وكان أديبا ممتازا له تشطير للبُردة ، وله تقريظ فى نهاية كتاب (سراج الملوك) للطرطوش بتاريخ ١٢٨٩ هـ ، وختمه

ببعض أبيات من الشعر غير متينة السبك والحبك ، ومن أسرته سلامة حلاوة القصرى المتوفى عام ١٨٨٥ (= ١٣٠٣ هـ) ، وكان من أساتذة المدرسة البحرية بالاسكندرية . وقد ولد بقزية (قصر بغداد) بمحافظة المنوفية من أرض مصر ، وله مؤلفات بحرية وفلكية وهندسية وخرائط ، مما يدل على أن رمضان حلاوة قد نشأ فى بيئة علمية ، كما أن رمضان هذا كان من أصحاب عبد الله النديم السكندرى الكاتب الشاعر والخطيب الثائر المجدد . .

الذيل الأخير

ومن توفيق الله تعالى وفضله على المثقفين ، أننا قد عثرنا على إضافة سابعة بعد تذييل ابن حلاوة الذى انتهت به المخطوطة ، وقلما يعرفها احد من المعاصرين المعنيين بهذا الميدان من الثقافة ، وعنوان هذا الذيل « التزام الملتزم من تتمة تاريخ ابن عزم » لصاحبه محمد صالح الجارم الرشيدى (نسبة الى مدينة رشيد شرقى الاسكندرية وعلى مصب النيل فرع رشيد) والمتوفى عام ١٣٢٨ هجرية ، وهو والد الشاعر العربى المعروف على الجارم، وهذه الإضافة مرموز إليها كغيرها بحرفى (مح) ، وعلى الرغم من أنها مفقودة الى يومنا هذا ، إلا أن صاحب (اليواقيت الثمينة) وهو البشير ظافر الأزهرى ، قد اطلع عليها فى مكتبة صاحبها الجارم برشيد ، ونقل عنها كثيرا من أعلام المالكية ، ولاسيما من كان من أهل رشيد ، ولولا ذلك ما عرفنا شيئا عن عدد كبير من أعلام رشيد فى القرن الماضى ، ومنهم المجاهد حسن كريت الذى تزعم حركة النضال الشعبى فى رشيد لسحق الغزو الانجليزى بها ، وقد بذلنا أقصى الجهود لدى آل الجارم ، وفى مكتبات مساجد رشيد للعثور على بصيص من الأمل للحصول على هذا المخطوط ، فلم يسعدنا الحظ ، على الرغم مما اطلعنا عليه هناك من مخطوطات ثمينة ونادرة الوجود ، واغلبها لعدد غير قليل من آل الجارم فى مختلف الأجيال وقد تضمنهم كتابنا (إقليم البحيرة) .

وعلى ذلك نرى أن (دستور الإعلام) الذى كتبه مؤرخ محدث من تونس وعقب عليه رجال من جنين والبصرة ودمشق ومكة والاسكندرية، ورشيد ، يعد — بحق — من بين كتب التراجم الاسلامية عملا نادرا وفريدا فى نوعه ، وخصوصا إذا تذكرنا العدد القليل من الذيول على كل من (تذكرة الحفاظ) و (العبر فى خبر من غبر) للذهبى المتوفى عام ٧٤٨ للهجرة .

وحبذا لو أخذ (دستور الإعلام) الذى كتبه صاحبه طريقا عاجلا الى المطبعة العربية ، ليزدان به التراث الاسلامى ، وقد يكون فى نشر هذا المقال ما يفتح أمامنا باب الأمل فى العثور على الذيل السابع لدستور ابن عزم ، وما قد يكون خافيا علينا من تذييلات لا نعرف عنها شيئا حتى الآن فى ميدان (علم الرجال) .

قضايا عربية من شعر اقبال

للدكتور محمد التونجى

إن موضوعى عن إقبال هو (القضايا العربية) ، فى حين ان هدفه الأسمى هو جمع الكلمة الاسـلامية ، تحت راية واحدة ـ دون اعتبار للقوميات ـ ليتسنى لها ردع مطامع الغرب ، والتغلب على بهرجته وسطوته ، غير معتبر لأية قومية إلا قومية الدين ، اذا جاز لنا هذا التعبير . .

ولـكنه نظر الى العرب نظرة تقديس ، لان محمدا بُعث منهم ، ونظـرة غيور لأن الشاعر كان لسان الإعلام للعرب فى مشارق الارض ومغاربها . فقد كان يحثهم على الوحدة برباط مقدس ايام السلام ، ويحضهم على الحرب ، بل يخوض معهم وعر الطريق ، ويصرخ فى وجه أوروبة صرخات مدوية اذا فكرت احدى الدول الطامعة أن تنال حداً من حدودها ، أو تتطاول على شخص من افرادها .

فكان اقبال إذاً يربط كلمة العرب بالدين ، ويعتقد أن هذا العالم الجـديد لا يحسن تصميمه إلا من بنى بالانسانية البيت الحرام بالأمس ، وورث ابراهيـم ومحمدا (عليهما السلام) فى قيادة العالم وارشاده . ويهيب بهذا العربى المسلم النائم ، ويناشده الله أن يستيقظ ، ويمسح عن عينيه وحشة النوم ، فقد عاث الأوروبيون فى الارض ، وخربوا العـالم ، وملأوه ظلمـا وظلمات وشرورا وويلات . وحول الأوروبيون هذه الارض الى خمَّارة ، وبيت فسق ودعارة ، ومكان نهب واغارة . ولقد آن لبانى البيت الحرام وحامل رسالة الاسلام ان يصلح ما أفسده الغرب ، ويبنى العالم من جديد (الندوى ١١١ ـ ١١٢) .

ولقد شارك العرب أتراحهم مشاركة مباشرة ، بل وجه انظـارهم الى قضاياهم بأن وضع أصبعه على الجرح وصرخ ، أو مشاركة بالقلب والأحلام والأمانى . . وهذا ما يطلبه العربى المسلم ، أو مشاركة بالدين ، وهذا هو هدفه الأول والاخير . . فاذا صرخ بالعربى عنى انه ينادى المسلم ، وإذا نادى الشرقى فلكى يقف الى جانب العربى ، فالدين عنده لصيق العروبة . وقد عبر عن ذلك بقوله :

أنا اعجمى الدن لـكن خمرتى ... صنع الحجاز وكرمها الفينـان
إن كان لى نغم الهنـود ولحنهم ... لـكن هذا الصـوت من عدنان





ولقد كونت فكرة القضايا العربية عند اقبال عوامل كثيرة ، اهمها :

١ ــ حبه للدين المحمدى العربى . وبسببه سكب عواطفه نحو العرب ، حاملى مشعل الدين الى العالم بعد نبيهم الكريم . وكم كان يتخيل انه يطوف أرجاء الحجاز ، ويتصور أنه يركب العيس فى زيارة الرسول ، ويعتبر المدينة المنورة حماه الأمين الذى يخلد اليه .. وإذا وصل الى قبره ــ فى حلمه ــ اخذ يشكوه أوضاع العرب والمسلمين .

٢ ــ نظرته المادية الى الغرب ، وايمانه بانسانية الشرق ، والعرب من الشرق .. حملوا مشعل الحرية الى اقصى أسبانية والهند . الا أنه يرى الغرب يطغى عليه ، ويمد جبروته على أنحاء عديدة من أراضيه .

٣ ــ تعشقه للعربية ، لغة القرآن التى تعلمها منذ نشأته ، كما يتعلمها كل هندى وفارسى وتركى مع القرآن ، ويقدسها لأنها لغة القرآن والدين ، ويقدس كل عربى لأنه حامل لواء التبشير والهداية الى النور الحنيف .

ولقد أحب اقبال اللغة العربية ، والشعر القديم منه خاصة ، وكم تحدث عن اعجابه بصدقه وصراحته وواقعيته ، وما يشتمل عليه من معانى البطولة والفروسية والجهاد ، وكثيرا ما كان يستشهد بأبيات الحماسة (الندوى : ٩) . بل إن حبه هذا جعله يعمل على نشر الثقافات والآداب الاسلامية واحياء اللغة العربية وآدابها فى الهند . وهو إذا تكلم عن القوة والأمل فى حديثه عن تربية الذات قال :

بث فكرا صالحا فى الأدب ... ارجعن يا صاح نحو العرب

وسليمى العرب يا صاح اعشق ... اطلعن صبح الحجاز المشرق

حديثه الى الأمة العربية :

كان كلما دعا الى الأمة الاسلامية استنجد بالأمة العربية ، وطالبها أن تتحد وتحمل على عاتقها هذا العبء لكى تنير الطريق كما فعل أسلافهم . ولقد خصص أبدع قصائده لمخاطبة الأمة العربية ، ليسجل فيها فضلها وسبقها فى حمل الرسالة ، فيذكرها دوما بماضيها ، سلاحها الماضى .. لتستفيد به فى الحاضر لدرء الأخطار المحيقة ، ويخاطبها بقوله :

« أيتها الأمة العربية ، التى كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود ، من الذى اكرمه الله بالسبق الى قراءة القرآن ؟ من الذى أطلعه الله على سر التوحيد فنادى بأعلى صوته : لا إله إلا الله ؟ وما هى البقعة التى اشتعل فيها هذا السراج الذى أضاء به العالم ؟ وهل العلم والحكمة إلا فتات مائدتكم ؟ إن الحرية نشأت فى احضان محمد ، فقد كان الجسد البشرى بلا قلب وروح ، فوهبه الله القلب والروح ، فحطم الصنم ، وأفاض بعدئذ الحياة على كل غصن ذاو من اغصان العلوم والمدنية ، وانجب ابطالا وقادة مؤمنين . وما اشتهر العلماء إلا بفضل محمد صلى الله عليه وسلم ، وليست الحمراء فى الأندلس ، ولا تاج محل فى اكرا فى الهند إلا صدقة من صدقات بعثة محمد ، ومظهر من مظاهر عبقرية أمته .

ويذكر اقبال الأمة العربية عهدها فى الجاهلية حين كان القوم فوضى ، يعيشون كالبهائم ، لا هم لهم إلا السيف والطعام ، إذا بجلبة جحافل المسلمين تجلجل فى الشرق والغرب ، فما أوقع تلك الغزوات .. !

وبعد أن يذكرهم أمجادهم يبدأ بالتقريع وهو سلاحه الثانى مع العرب ، ويسألهم : وماذا أصاب الأمة العربية ؟ لماذا يتوانون عن العلم وقد سبقهم الركب ؟ ويشدد على الوحدة العربية ، يقول : كنتم أمة واحدة ، فأصبحتم اليوم أمما واحزابا .

ويتألم شديد الألم إذ يراهم قد وضعوا ايديهم فى أيدى بعض الدول الغربية ، ويزعجه ان يرى فى الأمة العربية أناسا يحسنون الظن بالغرب ، فهو عارف بهم وبمكائدهم درس علومهم ودرّسهم ، وخبر بذلك خبثهم وضراوتهم على الأمة العربية . ويقول فى ذلك : « مهلا أيها الغافلون ، اياكم والركون الى الفرنجة ، ارفعوا رؤوسكم ، وانظروا الى الفتن الكامنة فى مطاوى ثيابهم . الا إنه لا حيلة لكم إلا ان تطردوهم عن منهلكم ، وتذودوهم عن حوضكم ، لقد مزقوا وحدتكم ، واقتسموا تراثكم » .

ثم ينظر الى العرب نظرة النصوح ، فيبهم تجاربه ، بأن يحثهم على استرداد روح عمر بن الخطاب والسادة الأطهار ، ويحضهم على التمسك بالرابط المقدس ، الا وهو الدين . ويقول للشباب : « إن العصر الحاضر وليد نشاطكم وكفاحكم ، وصنيع جهادكم ودعوتكم ، وما زلتم سادته وولاته حتى افلت زمامه منكم ، فتبناه الغرب وتملكه .. ومنذ ذلك اليوم اصبح هذا المجتمع الانسانى ثائرا على الدين . فيا رجل البادية ، ويا سيد الصحراء ، عد الى قوتك ، وتملك ناصية الأيام ، وقد قافلة البشرية الى الغاية المثلى » (الندوى ١١٨) .

ويطيل فى مخاطبة امراء العرب ، حتى ضاق صدره ، فعاتبهم بقوله :

هل يَسعد الكافر الهندى منطقه ... مخاطبا أمراء العرب فى أدب ؟

ولكنهم لم يستجيبوا لنداءاته ومذكراته فعمد الى قصيدة صنعها لهذا الغرض ، حيث جعل الأمراء يأتمرون بأوامر أبيهم أبليس ، وابليس هو رمز الغرب، واوامره ان يترك الشرق دينه : المسلم والمسيحى والهندوسى . فيخاطبهم بقوله :

عليك بالبرهمن فاربكوه	بأشراك السياسة والحبال
واصحاب الزنانير اطردوه	من الدير القديم بالاحتيال
وذلكم الصبور على الرزايا	ومن هو بالمنايا لا يبالى
فروح محمد منه اسلبوه	لتعمل فيه احداث الليالى
بارض العرب للاسلام كيدوا	ليسرع فى الحجاز الى الزوال

إقبال فى الأندلس :

زار اقبال أسبانية عام ١٩٣٢ ، ودخل جامع قرطبة ، ووقف فيه وقفة مؤمن خاشع وصلى فيه ، ولعله من المسلمين القلائل الذين فعلوا ذلك بعد جلاء المسلمين . وبعد أن ذرف الدموع الحرى ، أخذ يتذكر أن بعضاً من جنود المسلمين أتى بهم صقر قريش ، فاستطاع بهم أن يؤسس هذه الأمجاد فى قلب أوروبة . ورأى فى هذا الفن العظيم شخصية المسلم واخلاقه وصفاته .

ويتذكر ، وهو يطوف فى أرجاء الجامع ، أهله الأدنين الذين شادوه ، والعقيدة التى كانوا يدينون بها ، ودوى بسمعه اذانهم ، إيذانا بنشر العلم فى الشرق والغرب ، فهاجت نفسه ونظم قصيدته المنبعثة من عاطفته نحو العرب خاصة والمسلمين عامة . . فيقول مخاطبا المسجد !

« إن بينى وبينك ، أيها المسجد العظيم ، نسبا من الايمان والحنان » ولكنه يتذكر فجأة أنه هندى ، فما هذا الرابط إذاً ؟ فيعود ليستأنف كلامه :

« انظر أيها المسجد الى هذا الهندى الذى نشأ بعيدا عن مركز الاسلام ومهد العروبة ، الذى ترعرع بين الكفّار وعبّاد الأصنام كيف غمر قلبه الحب والايمان ؟ » .

وفى قصيدة أخرى ، ولا زلنا فى الأندلس ، تثور فى نفسه الذكريات ، فيخطر على باله طارق بن زياد ، فقد كان هذا البطل العظيم أحد ملهمى هذا الشاعر ، وخاصة فى خطبته المشهورة « أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر » . فنظم قصيدة فى طارق ، الذى آلى على نفسه لينصرن الله فى أسبانية . فقال : لقد أكرمت يا رب رعاة الإبل ، وسكان الوبر من العرب بنعم فريدة ، علم جديد ، وايمان جديد ، وشعار جديد ، لينشروا النور فى بلاد الظلام .

أعد يا رب الى هذه الأمة المؤمنة الحمية والغضبة ، وها إن الله تعالى استجاب لدعاء طارق ، وانتصر بجيشه على عدوهم ، وأصبحت أسبانية النصرانية الاوروبية الاندلس الاسلامى العربى . وقامت تلك الدولة فى ربوعها قرونا مزهرة ، ولم تضعف الا بفقدهم الروح التى تضلع بها طارق وأصحابه ، وبنسيانهم الرسالة التى جاءت بهم من جزيرة العرب ، وبفقرهم فى الايمان الذى امتاز به طارق بين قادة الجيوش وفاتحى البلاد .

وما دمنا بدأنا فى تطوافنا مع اقبال وقضاياه العربية بالأندلس ، فلنتابع شعره جغرافيا ، وندخل ليبيا ، فلما نشبت الحرب ضد الطليان جُرحت عواطفه، وهاج خاطره ، وثار على الغرب ، وعلى حضارته بأن نظم قصائد رائعة فى المسلمين عامة وفى العرب خاصة .

من ذلك قصيدته : « شكوى الى الرسول » فقد تصور أنه زار النبى ، وكثيرا ما يفعل ، وسأله النبى : ماذا حملت الينا من هدايا يا اقبال ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدنيا وقال : انها لا تليق بمقامكم الكريم ، ولكننى جئت بهدية ، هي زجاجة يتجلى فيها شرف أمتك ، وهو دم شهداء طرابلس .

قصيدة أخرى له فى هذه الحرب ، قصيدة تعد من روائع الأدب الانسانى العالمى ، فقد بلغه — أو تصور — أن فتاة اسمها (فاطمة بنت عبد الله) من اهل ليبيا لقيت مصرعها عام ١٩١٢ بينما كانت تسقى المجاهدين فى اثناء محاصرة درنة ، فخاطبها ، فقال :

« فاطمة ، انت عزة هذه الأمة الكريمة ، انت طهر وبراءة »
« كان من حسن حظك وسعادتك ، أن تسقى المجاهدين فى سبيل الله »
« ان جهادك هذا دون سيف او ترس ، حدانا على الشوق للاستشهاد »
« كنت برعما نديا فى حديقة الاســـلام البادية الذبول ، وكنت شرارة نحمد الله أن انبعثت من رمادنا »
« كـــم من غزال خفى فى صــــــحرائنا ! »
« كم من بروق ـــنة خلف غيومنا السخيــة ! »
« فاطمة ، ا... ماقينا تدمع اسى عليك ، فان عويل مآتمنا ينطوى على نغمة الابتهاج ببطولتك أيضا »
« ما أطرب رقص روحك الطاهرة ! إن كل ذرة من رفاتك مفعمة بلوعة الحياة »
« لحدك الصامت هذا يحمل فى جنباته غليانا وثورة ، ولسوف تتربى أمة جديدة فى حضنك الغالى »
« لست أدرى مدى وسعة اهدافهم (فى المستقبل بالنسبة له) ولكننى ابصر انهم سيخلقون من مرقدك هذا »
« نجوم جديدة ستبزغ فى السماء ، لا ترى عين المرء امواج تألقها » .
« نجوم ظهرت حديثا من ظلام غياهب الأيام ، لا يتقيد ضوؤها بالصباح والمساء »
« نجـــوم بريقهـــــا قديم وجديد فى آن واحد »
« وفيه اشـــــعاع نجمك الســـــعيد ايضـــــا »

إقبال فى مصر :

يحكى لنا الدكتور عزام حكاية تنم عن حب اقبال الشديد للعرب فيهـــا طرافة . فعندما زار جامعة القاهرة بناء على دعوة منها ، يقول عزام : « ذهبت اليه مرة فى فندق فى حلوان ، فأخرج من حقيبته عمامة وطربوشـــا ، وقال : ارنى كيف تكوّر العمامة ؟ ثم قال : أرانى اوثر العمامة والجبة ، واشعر حين البسهما انى فى زى استاذ ، كما اشعر انى صبىّ حين البس هذه الملابس — واشار الى الملابس الافرنجية التى كان يرتديها » (عزام : ٤٢) .

وعندما اذن الانكليز المحتلون فى مصر للناس بحمل السيوف بعد ان حرم حمل جميع الاسلحة ، نظم اقبال قصيدته التى منها :

أيها المســـــلم تدرى اليوم ما	قيمـــة الفولاذ والعضب الذكر ؟
هو مصـــــراع من البيت الذى	مضـــــمر فيه من التوحيد سر
وأرى مصـــــراعه الثـــــانى فى	سيف فقر تحتــــــويه كف حر
انت يا مسلم — إن تظفر به —	خالد أو حيــــدر يوم المــــكر

وقد استرعى انتباهه جثوم أبى الهول ، رمز العقل والقوة فى وســـط الرمال ، فكتب عدة قصائد فيه ، منها :

من أبى الهـــــول أتتنى نكتة	وابو الهـــول طوى السر القـــديم
كم شـــــعوب بدلت ســـــيرتها	قوة لم يجفها العقل الحـــــكيم
طبعهـــا فى كل عصـــــر ماثـــل	يبدل الشكل ويبقى فى الصـــميم
فهى طورا فى حسام المصـــطفى	وهى طورا فى عصا موسى الكليم

ويقول من أخرى ، ويشيد فيها بالانسان وقدرته على الابداع :

شـــــادت الفطرة كتبانا لهـــــا   فى سكون من يبـــــاب قد وقد
روّع الأفلاك فيـــــــــه هرم   أى كف صــــــورت هذا الأبد !
من إســـــار الكون حرر صنعة   صائد ذو الفن أصيدا يصــــــد ؟

فى صقلية :

كان كلما مر بأرض كان للعرب فيها فضل وماض بكاهما وأرسل الشعر مع الدمع مدرارا . فقد مر بصقلية فى أثناء عودته الى بلاده عام ١٩٠٨ ، فنظم قصيدة طويلة مطلعها :

« ابك أيها الرجل ادمعا لا دمعا ، فهنا مدفن الحضارة الحجازية »

اقبال وسورية :

عرضت الحكومة الفرنسية على اقبال أن يزور مستعمراتها فى شـــمال افريقية ، فأبى . وحز فى نفسه أن يدمر الجيش الفرنسى مدينة دمشق ، فأعلن انه لن يدخل الجامع الذى بنى فى باريس وقال : إن بناء هذا المسجد ثمن بخس لتدمير دمشق واحراقها . .

يا ناظرى لا يخـــــدعنك فنـــــه   للزور هـــذا الحـــــرم المغرّب
وليس هــــــذا حرما لـــــكنه   عند الفـــــرنج للغـــرام ملعب
قـــــد اخفت الافرنج روح موثن   فى صـــــــورة من حُرم تكذب
إن الذى شـــيد هذا موثنــــــا   دمشـــــق من عدوانه تخرب

ولعل من أروع ابياته فى الشام بيتين يصوران السلم الذى يقدمه العرب ، والدم الذى يهدره الغرب :

أهدت الشـــــام الى الغرب نبيا   هو عف ومواس وصـــــــبور
ومن الغرب الى الشـــــام هدايا   من قمار ونســـــــاء وخمور

ويقول فى حلب أيام الانتداب :

مرحى لحــــــانات الفرنج فقد   ملأت بهن زجاجهــــــا حلب

إقبال وفلسطين :

لا تظنوا ان اقبال لم يشارك العرب فى قضية فلســـطين ، فمـــع أنه توفى عام ١٩٣٨ فقد أحس بتحركات اليهود فى الغرب ، ورغبتهم فى احتلال فلسطين ، فأخذ يحذر العرب . وكم كان يؤلمه أن العرب لا يزالون ينظرون الى الأوروبيين والامريكان كأصدقاء مخلصين ، وأعوان منجدين ، يحلون لهم مشكلة اللاجئين ، ويردون اليهم أرض فلسطين ــ مستبقا الاحداث طبعا ــ مع أنهم لا يزالون تحت سيطرة اليهود ، وتحت نفوذهم السياسى والاقتصادى والاعلامى فيقول :

« صدقونى أيها العرب أنه لا دواء لكم فى جنيف ولا فى لندن ، لانــكم تعلمون أن اليهود لا يزالون يتحكمون فى سياسة أوروبة ، ولا يزالون يملكون زمامها . ان الأمم لا تتذوق طعم الحرية والاستقلال ما لم تربّ فيها الشخصية والاعتماد على النفس » (الندوى : ٧٠) .

لا دواء فى لنــــدن او جنيــوا | بوريد الفـــرنج كف اليهـــود

ولقد اشترك فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد بالقدس عام ١٩٣١ . وكان قد جاء من اوروبة يمثل الهند المســـلمة فى هذا المؤتمر . وأخذ يتفقد ارجاء فلسطين ، والأماكن المقدسة فيها والرباع الخضراء الممتدة على مدى البصر . وبعد أن طاف طوفته هذه اتجه نحو الوطن العربى ، فرأى ايمانه قد ضعف ، والى العالم الاسلامى فوجد أنه افلس من الايمان والعاطفة . ونظر الى العالم المادى ، وتمنى ان يرى جبارا يغضب للحق ويثور كالليث . وكم رجا أن يكون هذا الثائر من بلد عربى ، ويفاجىء العـــالم بصراحته وصرامته . ونظر الى الحجاز فلم ير ما يدل على وجود هذا الثائر .. فأيقن انه ضـــعف العاطفة والحب . لقد رأى ان ابا لهب يحمل راية العصيان ويصـــول ويجول ، فحث العرب على الانضواء تحت راية معسكر الايمان اذا ارادوا لأنفســـهم الوحدة والخير (الندوى : ١٣٥) .

ولقد قدم صفقة رابحة من اجل فلسطين ، وقال : « اذا اراد اليهود اخذ فلسطين ، فليستعد العرب اسبانية من الغرب » :

إن فى فلســـطين اليهـــود زجت | فليـــأخذن اســـبانيا العرب

ويهزأ من أوروبة التى ادعت انها انقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ، ولكنها أوقعتهما فى شر أسر ، من قصيدته (شبكة التمدين) :

فأوروبا نصـــيرة كل شـــعب | تشـــكى الدهر من ظلم وضر
كرامات القساوس أن اضـــاءوا | سراج الـــكهرباء بكل فـــكر
ولـــكن من فلســـطين بقلبى | وللشـــام الكسيرة حر جمر
من الترك الجفاة نجـــوا فلاقوا | فى شراك التمـــدن شر أمر

بعد أن جلنا جولة عجلى فى بعض انحاء الوطن العربى مع الشـــاعر المسلم العظيم محمد اقبال ، فأحسسنا أنه واحد من العرب الغيورين على كل شبر من أراضيه شرقا وغربا . علما أن اقبال لم يكن قومى التفكير ، ولو كان كذلك لما طالب فصل باكستان المسلمة عن الهند ، ولكنه يميل الى دين محمد ، وما دام محمد عربيا ، فليحب ما يحبه العرب ، وليكن احد الجنود الثائرين فى ارضهم ، على أمل وحدة اسلامية متعاطفة وشاملة .

ولعمرى ، لقد وفّاه الدكتور عزام حقه ، واعترف له بهذا الجميل ، فنظم فيه وفى ديوانه (ارمغان الحجاز) أبياتا عام ١٩٤٧ كانت لسان حال كل عربى ، وقد حفرت على قبره بالرخام ، أختتم بها حديثى :

عربى يهـــدى لروضـــك زهرا | ذا فخار بروضـــه واعتزاز
كلمـــات تضـــمنت كل معنى | من ديار الاسلام فى ايجـــاز
بلسان القرآن خطت ، ففيهـــا | نفحـــات التنزيل والاعجـــاز
فاقبلنهـــا ، على ضـــآلة قدرى | فهى فى الحق (ارمغان حجاز)



مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار فيض

مدخـــــل
لدراسة مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثا

كتاب من تأليف الدكتور محمد بديع شريف يتحدث فيه عن غربة اليهود فى أرض فلسطين وعدم وجـــود أى حق تاريخى لهم فى هذه المنطقـــة استنادا الى الأصول التاريخية وسيجد القارئون فى هذا الكتاب ما يحملهم على اعادة النظر فى الآراء السابقة التى ضلل اليهود بها الناس حقبة من الزمن .

والكتاب يحتوى على أحد عشر فصلا تشمل الحركة التاريخية لليهود منـــذ وجودهم على وجه الأرض وحتى نهاية حربهم مع العرب عام ٦٧ ويقع فى ١٩٥ صفحة ومن نشر معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ــ بالقاهرة .

الدراسات القرآنيـــة المعاصرة

بحث جاء ثمرة قراءة طويلة لعدد من الكتب التى تزخر بها المكتبة الاسلامية فى الدراسات القرآنية المعاصرة ــ لخص أفكارها وأوجز أبحاثها ونقد آراءها الطالب محمد بن عبد العزيز السديس باشراف الشيخ مناع القطان .

واشتمل البحث على أربعة أقسام :

القسم الأول : فى التفسير .

والثانى : فى الفهارس والمعاجم القرآنيـــة

والثالث : فى الدراسات القرآنيـــة العامة

والرابع : فى الدراسات القرآنيـــة الخاصة .

ويقع البحث فى ٦٠٠ صفحة وهو من مطبوعات كلية الشريعة بالرياض ، قسم البحوث الاسلامية .

الحرب فى الاسلام

الكتاب الخامس والأربعون بعـــد المائة من سلسلة (كتب اسلامية) التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة وهو بعنوان : **(الحرب فى الاسلام وفى المجتمع الدولى المعاصر)** للكاتب القانونى الأستاذ توفيق على وهبة ويتضمن الكتـــاب الموضوعات الآتيـــة : التعريف بالحـــرب ــ أسباب الحـــرب وأهدافها ــ إنسانية الحروب الاسلامية ــ دار الاسلام ودار الحرب ــ صـــور من الحـــروب الاسلامية ــ الغنائم ومعاملة أسرى الحـــرب ــ معاملة المدنيين اثناء الحـــرب .

هذه بعض جوانب الحـــرب الاسلامية التى وردت فى الكتاب وأوضـــحها المؤلف وقارنها بالقانون الدولى العام والوضع الراهن والكتاب يقارب المائة صفحة ومن طبع مطابع الاهرام بالقاهرة .


قصة

قصاص

للأستاذ سعيد زيـد

أطرق حكيم القرية هنيهة ثم قال للسيدة العجوز : اذهبي الى المامون ، فإني والله لا أظنه يرضى على هذه الحال ، وإلا لما استحق أن يجلس بين المسلمين مجلس الخليفة ، فإن ابسط ما يتصف به خليفة الله هو بغضه للجور وحبه للعدل وسهره على راحة الرعية .

وفغرت السيدة العجوز فاهها ، وقالت في دهشة : ولكني اخبرتـك عن الجاني وعن مدى قرابته لخليفة المسلمين ، أو تظن انه ينتصف لي منه ؟

قال : بلى ، وإن لم يفعل هذا لما استحق أن يكون خليفة ..فإني لا افهم شيئا اكثر من أن يكون خليفة المسلمين محبا لجميع المسلمين ، ومساويا بينهم في كل شيء . ومقتصا من الظالم مهما علا قدره للمظلوم مهما نزل قدره ، والا لما كان جديرا بالخلافة .

كانت السيدة العجوز تحيا هي واولادها في ضيعة صغيرةاورثها لهم زوجها مع عدد قليل من الإبل والغنم . وكانت حياتهم رتيبة خالية من المتاعب النفسية . يستيقظون كل صباح على اداء الواجب الذي يقوم به كل منهم ، تحلب هي اللبن وتوزعه على أولادها ، ثم ينتشر الأولاد في الضيعة منهم من يرعى الإبل والغنم ومنهم من يقوم بالزرع ، وتبقى هي في المنزل كي تعد لهم طعام الغذاء ثم تحمله إليهم فيلتفون جميعا حول المائدة التي تصنعها لهم في ركن من الأرض الخضراء يأكلون هنيئا ويشربون مريئا ، ويقومون بعد ذلـك للعمل في ضيعتهم حتى المساء ثم يعودون إلى منزلهم الصغير ويأوون الى فراشهم بعد الغذاء كي ينالوا قسطا من الراحة حتى صباح اليوم التالي .

وهكذا كانت السعادة والطمانينة وهناء البال وراحة الضمير ترفرف على هذه الأسرة الصغيرة حتى جاء يوم مر فيه احد الأمراء على هذه الضيعـة فاعجبه حسنها والجمال الذي يبدو من تناسقها فابدى رغبته في شرائها ، ولما رفضت سيدة الأرض ، غضب وأمر جنده بطردها هي وأولادها والاستيلاء على الأرض عنوة ، ولما ضاقت بها الدنيا ذهبت إلى المامون تعرض شكايتهـا كما نصحها حكيم القرية ..

كان من عادة أمير المؤمنين أن يجلس فى بهو فسيح من أبهاء قصر الخلافة ، رسمت على سقفه وجدرانه آيات من الفن العربى ، ووضعت فى صدره إحدى الأرائك تحت لوحة رائعة مكتوب عليها ((العدل أساس الملك)) وفرشت أرضه بأبسطة جميلة . وكان الحجاب والحراس بعد تادية صلاة الظهر يقفون متاهبين لشىء خطير . وهل هناك أخطر وأروع من رد المظالم إلى أهلها ، ومن إنصاف الضعيف وإحقاق الحق ؟ وهل هناك أيضا أخطر وأروع من أن يكون الخليفة هو الذى يتولى هذا الأمر بنفسه ؟

كان الخليفة المامون يصلى الظهر فى المسجد المجاور للقصر ، وبعد أن يفرغ من صلاة الفرض يتوجه إلى القبلة مرة ثانية ويصلى ركعتين ثم يرفع يديه إلى السماء ويتمتم بدعاء إلى الله كى يهديه الصراط السوى ويلهمه السداد والتوفيق فيما هو مقبل عليه . وبعد أن يفرغ من دعائه يخرج من المسجد تحفه المهابة والجلال ، ويدخل قصر الخلافة ويتوجه إلى الأريكة ويجلس عليها بعد أن يخلع نعليه . ويسمى باسم الله ، ويقرأ بعض آيات الذكر الحكيم ، ثم يلتفت إلى وزيره قائلا : ((ما عندك اليوم يا أخى ؟)) وكانت هذه الجملة بمثابة الاستعداد لافتتاح الجلسة . فسرعان ما يشير الوزير إلى احد الحجاب الذى يسرع بدوره إلى باب فيفتحه فتدخل منه جموع الشاكين والمتظلمين ويجلسون صفوفا متراصة على البسط الممدودة .

منظر رائع ترفرف عليه المهابة والجلال . إن جميع الأعناق مشرئبة لترى امير المؤمنين جالسا فى مكان القاضى وقد أطرق براسه إلى الأرض فكست لحيته صدره ، وتحركت شفتاه بكلام الله عز وجل ، ولعبت أنامله بمسبحة توحى بالتقوى والورع ، إن كل واحد يهمس فى أذن جاره يساله عن شكايته ويمنيه برفع الظلم ، ويذكر له ما حدث لكل من عرض شكواه فى هـــذا المكان ، وكيف خرج مرفوع الراس ، موفور الكرامة ، مجبور الخاطر .

ويرفع الخليفة رأسه ، فترتفع خفقات القلوب ، وتتحـــرك بعض الأشجان ، وتصحو الآمال فى جنبات المظلومين ، ويرفرف على المكان سكون رهيب ، وتتجه الأنظار جميعها إلى وجهه ، وترهف الأسماع لتعى ما يقول .

ويشير أمير المؤمنين الى وزيره إشارة ذات مغزى ، فيناوله الوزير كتاب الله ، فياخذه الخليفة بيده اليمنى ويضعه أمامه ، ثم يضع يده عليه ، ويقسم قسمه العظيم ، وهو أن يقضى فى الناس بالحق . فتطرق الرؤوس مهابة وجلالا .. ثم يرفع يديه إلى السماء ، ويدعو الله بصوت مرتفع أن يلهمه سداد الراى وفصل الخطاب ، فتتجاوب جنبات القاعة مرددة : ((آمين .. آمين .. آمين)) ..

وكان هذا الدعاء ، ايذانا بفتح الجلسة ، فيشير الوزير بعد ذلك إلى الجالس فى أول الصف من جهة اليمين ، فيقف ويسمى باسم الله ثم يبدأ بعرض ظلامته ، وبعد ان ينتهى من عرضها ، يشير إليه الخليفة إشارة إذنه بالجلوس ، فيجلس . ويسبح أمير المؤمنين فى التفكير برهة قصيرة من الزمن يقلب فيها وجوه الرأى ويزن فيها الأمور ، ثم ينطق بالحكم ، فتهدأ ثائرة المظلوم وتسكن نفسه ، ويطمئن إلى العدل ، وينظر إلى الحياة نظرة ملؤها الثقة والمحبة ، وينصرف إلى حاله راضيا مبتهجا .

وأشار وزير أمير المؤمنين بعد ذلك إلى الشاكى الثانى ، فالثالث ، فالرابع ، إلى أن انتهت الجلسة ، وهم الخليفة بالقيام ، واعلن الوزير انتهاء الجلسة .

وبينما هو كذلك إذ دخلت السيدة العجوز وعلى وجهها آثار التعب والإرهاق ، لا يشك الناظر إليها أنها آتية من سفر بعيد ، ووقفت بين يديه رابطة الجاش ثابتة الجنان وقالت : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ..

ولم يستغرب خليفة المسلمين ولم تصبه الدهشة ، فقد تعود هذه المواقف من قبل ، ونظر إلى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : « وعليك السلام يا أمة الله . تكلمي بحاجتك » ! فقالت السيدة :

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك — عميد القوم — أرملة عدى عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق مني الأهل والولد

فاطرق الخليفة لحظة سبحت فيها روحه في ملكوت الله وهو يسمع المؤذن يدعو الناس لصلاة العصر ، قائلا : « الله أكبر ... حي على الصلاة ، حي على الفلاح .. » ، ثم رفع رأسه ونظر إلى المرأة قائلا :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا اذان صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي اعد
فالمجلس السبت — إن يقضي الجلوس لنا ننصفك منه — وإلا المجلس الأحد

قال هذا ، وهم بالخروج إلى المسجد المجاور ليصلي العصر ، وانصرفت السيدة العجوز .

وفي اليوم التالي ، نودي عليها في أول المتظلمين ، فوقفت قائلة : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » . فرد عليها الخليفة قائلا : « وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » ، ثم سألها قائلا : « أين الخصم ؟ » . فقالت : « الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين » . وأومأت إلى العباس ابنه .

فعقدت الألسنة من الدهشة ، وحملق كل جالس في جاره ، وظهرت الغرابة على الوجوه وبدت عليها الحيرة ، وذهبت ظنون الناس كل مذهب . ولكن الخليفة لم يعجب ولم يندهش ، ولم تأخذه روعة الموقف ، بل أشار في هدوء إلى أحمد بن أبي خالد ، وقال له : « خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم » ..

وسار الأمير إلى جانب ابن خالد تاركا الوقوف بجانب منصة الحكم إلى حيث يجلس المتهمون والمتظلمون مطرق الرأس شاحب الوجه زائغ البصر .

وانطلقت السيدة العجوز تروي قصتها وتشرح ظلامتها ، وارتفع صوتها على صوت العباس فقال لها أحمد بن أبي خالد : « يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك » فرد المأمون في قوة وحزم قائلا : « دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه » . فاستأنفت روايتها حتى أتمتها .

واطرق الخليفة هنيهة ، وفكر كعادته ، ثم نطق بالحكم قائلا : « إن الحق بجانبك أيتها السيدة ، لقد قضينا برد ضيعتك إليك ، وسينال خصمك الجزاء الرادع » . ثم التفت إلى وزيره قائلا : « اكتب إلى العامل الذي ببلدها أن يسقط عنها الخراج ، ويحسن معاونتها ويصرف لها إعانة مالية » .

وأثلجت قلوب الحاضرين واطمأن كل الى مكانه ، ورفعت السيدة العجوز يديها إلى السماء لتشكر ربها على عدل أمير المؤمنين ، وخرجت من عنده وهي تردد قول حكيم القرية : « .. وإن لم يفعل هذا لما استحق أن يكون خليفة .. »

اعرفوا أعداءكم

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند

قال الله عز وجل (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) يريدون ليطفئوا نور الله هذه إرادة أعداء الله في كل عصر وهذا دورهم في كل زمان وهذا مدار تفكيرهم وتدبيرهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد زمن الرسول وفي أيامنا هذه كل همهم أن يطفئوا نور الله لأنهم لا يطيقون أن يروا هذا النور يشع في كل أفق ولا يطيقون أن يسمعوا لا إله الا الله تدوى في كل اذن ولا يطيقون للاسلام ظلا يمتد ولا لأهله قوة تحميهم ولا لكتابه سلطانا عليهم ولا لدولتهم علما مرفوعا ، وصوتا مسموعا ، وكلمة نافذة ، لا يطيقون أن يروا ذلك لأنهم أعداء الله وأعداء الحق وأعداء الإسلام وأعداء الإنسانية ، ولأنهم كما يقول الله تبارك وتعالى : (لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) ولأنهم يعلمون أن قوتنا تنبع من ديننا وهو أبغض شيء اليهم ، فهم يحاولون أن يشككونا فيه ، وأن يبغضوه الينا ، وأن يوهنوا ما بيننا وبينه من العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، ويعلمون أن كتابنا فيه سر سعادتنا وعزنا اذا اهتدينا بنوره لا نضل ، واذا اعتصمنا بحبله لا نذل ، واذا تزودنا منه كفانا وأغنانا وهدانا الى الصراط المستقيم فهم يحاولون أن يزهدونا فيه ، وأن يعزلونا عنه لأنه في قلوبنا نور وفي صدورهم لظى ، ويعلمون أن أرضنا خير بقاع الأرض وأجمل بلاد الدنيا ، وأشرف مكان في الأرض ، فيها الكعبة التي تتجه اليها القلوب ، وفيها المسجد الأقصى الذي تشد اليه الرحال ، إنها الأرض التي كلم الله فيها موسى ، وأيد فيها عيسى ، وأسرى اليها بمحمد صلاة الله وسلامه على جميع رسله وأنبيائه ، ولكن من الأسف والحزن أن المسجد الأقصى قد اغتصبه أعداء الإسلام والإنسانية اليهود

بمساعدة الصليبيين والملحدين ، إن اعداءنا يريدون ان يمزقوا التاريخ المكتوب يريدون ان يدنسوا الأرض الطـاهرة ، يريدون ان يجعـلوا من ارضنا دولة يسكنها القتلة السفاحون بجوار الأنبياء الذين قتلوهم بغير حق .

نعم يريدون ذلك واكثر من ذلك ، يريدونك أنت آلا تقوم لك قائمـة ، يريدون لك حياة اشبه بالموت ، يريدون ان تعيش محروما من نعمتك مطرودا من ارضك منبوذا حتى من نفسك ، يريدون أن تعيش بلا دين ، ولا وطن ، ولا اهل ، ولا مال ، ولا أمل ، ولا تاريخ ، ولا حضارة ، يريدون ان يحرموك من نعمة الإيمان بالله تعالى ونعمة الإسلام التى هى أجل النعم ، تستند على العقيدة والدين ، لاعلى التراب والطين .

إن من ضيق النظر وسذاجة التفكير ان نعتقد ان دولة العصابات وحدها هى التى هاجمتنا ، فهى اهون من ذلك بكثير ، فليست إلا ذنب العقرب الذى اودعوا فيه السم وليست إلا القناع البشع الذى واجهنا به الشيطان ، وليست إلا الدخان الأسود الذى دفعته نار الحقد علينا وليست الا الزبد القذر الذى دفعه تيار العداوة والبغضاء على سواحلنا .

وسيأتى إن شاء الله اليوم الذى يختاره الله لنبتر فيه الذنب ويسقط فيه القناع ويتبدد فيه الدخان ويذهب فيه الزبد .

إن العدو الاكبر هو الذى امد دولة العصيان بالمال واعانها بالرجال ، واعد لها الخطط ، وجعل منها ترسانة مملوءة باحدث الأسلحة ـ العدو الأكبر هو الذى اعطاهم الغطاء الجوى وقنابل النابالم وصواريخ الجـو واسرارنا العسكرية .

العدو الاكبر هو الذى خدعنا بالحيلة وامدهم بالمخابرات ـ العدو الأكبر هو الذى وقف الى جانبهم بكل قواه بالعتاد الحربى واجهزة الاعلام ـ يجب ان تعرف أعداءك الذين اخرجوك من ديارك وظاهروا على اخراجـك ... اعداؤك هم اعداء الله الذين حذرنا الله منهم ونهانا عنهم . اعداؤكم هم اعداء الإسلام وتجار الحروب وسماسرة الشر وزارعو هذه الفتنة فى بلادنا اعداؤكم هم اعداء الحق وقراصنة العالم الذين سرقوا اوطانكم لتسكن فيها الخنازير واغتصبوا دياركم لتسرح فيها القردة واخذوا اموالكم ليزيدوا غنى ونزيد فقرا ليزيدوا عتوا ونزيد ذلا ليزيدوا رخاء وقوة ونزحف على الركب من الهزال .

فما ترون بعد ذلك يا مسلمين يا عرب .. المسجد الأقصى اغتصـبوه واخوانكم فى الأرض المحتلة يحكمهم الشياطين يذيقونهم سوء العذاب ، ومآذن مساجدنا يطل منها البوم من شذاذ الآفاق الذين لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة فماذا بعد الحق الا الضلال ، وماذا بعد العزة الا الهوان .

هل ستسلمون بذلك يا اتباع محمد هل ستصبرون على ذلك يا احفاد خالد هل ستقفون عند هذا الحد يا خلفاء الله ويا حفظة كتاب الله ويا حملة لا إله الا الله ام ماذا تنتظرون ؟. لقد جرت سنة الله تعالى فى الكون من قبل رسول الله ومن بعده ان يمنح النصر لمن يتخذ اسبابه من الاستعداد والاعداد ويعمل له حسابه من جميع الوجوه والاحتمالات ولا يترك فرصة لعدوه يعض بعدها بنان الندم .

ومهما كانت اسباب الهزيمة فقد انكشفت لنا حقائق كانت غائبة عنـا وامور كانت لا تخطر لنا ببال ومنافقون مردوا على النفاق لا نعلمهم وصدق الله العظيم حيث يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).

أزمة الزواج

بقلم : عبد الرحمن أحمد شادى

تظهر أزمة الزواج واضحة جلية لكل ذى عينين .. ويتضرر الشباب من الجنسين بسبب هذه الأزمة وينبغى أن لا نفكر بمنطق النعامة التى تظن أنها ما دامت لا ترى الصياد فهو لا يراها .. والغريب فى الأزمة أنها ليست بسبب قلة الفتيات أو ندرة الرجال وانما بسبب المغالاة فى الهدايا والمهور والمراسيم والتقاليد التى لم ينزل بها من الله سلطان ولا كتاب منير .

تبدأ هذه التقاليد والأعراف بالشبكة التى كانت خفيفة فى أول أمرها ثم تدرجت بها المظاهر والغرور والتقليد الأعمى الى الثقيل ، ويليها الهدايا المختلفة الاشكال والألوان من طعام وشراب وثياب يتحتم على الخاطب أن يقدمها فى الأعياد والمواسم والحفلات والمناسبات السارة ، ولا بد أن تكون غالية الثمن عظيمة القدر والا عرض نفسه للاحتقار والهوان والسخرية .. بل ان بعض البيوت تهزأ من الخاطب الذى يدخل على أصهاره ومخطوبته بيد فارغة ، ويلى هذا المهر بمقدمه ومؤخره .. يراعى فى المقدم أن يكون مناسبا لعدد الغرف التى ستأتى ولأثاث المطبخ وللمؤخر وظيفة أخرى عند بعض الأسر التى تتعنت فى زواجها وشروطها .. تجعله ثقيلا جدا بحيث يبدو كالسيف المسلط فوق رقبة الزوج يقطعها فى أى لحظة اذا أراد أن يتحرر من الدوران فى فلك الزوجة وهى بالتالى تدور فى فلك أهلها ..

ويلى ذلك عقد القران وتصحبه المطاعم والمشارب والولائم والغناء والموسيقى والرقص والزينة والصور والمأذون والكهرباء والثياب الفاخرة له ولزوجته .. والأهل من كلا الجانبين أو من أحدهما من أدوات المحافظة والاستمساك بهذه الأعراف الجائرة وهم لا يفرطون فى شىء يسير منها . وان اضطر الأبناء نتيجة لهذا العنت والجمود الى التردى فى الهاوية .. العقوق اذا أصروا على التقيد بهذه التقاليد والعنت عند تأجيل الزواج وتركه أو الانحراف . وأحيانا يكون فى نفوس الابناء من الكبر والغرور ما يجعلهم لا يفرطون فى شىء من هذا وفى خيال كل واحد منهم ما فعله أخوه أو قريبه أو زميله فى ليلة العمر التى يهون عندها كل غال ورخيص .. فهو يحب التقليد الأعمى فى المظاهر .. ومنها مسألة الكفاءة والتطلع الى الأعلى .. فهو لا يكتفى بمن تساويه ويظل خمس سنوات أو اكثر لا يجد بنت الحلال التى تضارعه مالا وعملا وكمالا وأصلا وفصلا ومظهرا ومخبرا وأهلا وشهادة وخلقا .. والفتاة لا تقنع بالقرين وكل

منهما لا يعرف قدر نفسه ويبالغ فى قيمتها وعلى هذا فمن النادر أن يتفقا والكمال لله وحده وأين الاعتراف حينئذ بنقص البشر .

من الشروط أن تكون من بنات الأكابر الذين يفخر بهم واحدا بعد واحد ولا يعاب بأى فرد منهم ومستواهم فى الغنى فوق مستواه .. من الشروط أن تكون جميلة تحير الألباب وتفتن القلوب .. من الشروط أن تكون عاقلة لا حمقاء . من الشروط أن تحصل على شهادة تساويه أو تدانيه .. من الشروط أن تكون موظفة تساعده على العيش فى مستوى رفيع .. من الشروط أن تكون عصرية توافقه فى النظر الى الحياة وهو يخاف مع ذلك من العصرية لأن الثقة بها تتذبذب فهو يخشى أن تكون العصرية قد أدت بها الى المخادنة من قبل فى المجتمعات المفتوحة الموبوءة التى تهب عليها ريح الفساد من كل جانب ويخشى أن يراوغها الشيطان فيما بعد .

من الشروط أن تشاركه هواياته المفضلة .. الخ . وفى النهاية تبدو مسألة الكفاءة هذه كأنها مهزلة وربما وصل الى الاربعين وفاته القطار وأصبح محلا لاحتقار الفتيات الصغيرات لأنه فى سن آبائهن .. وبلوى الشاب أشد اذا كان قد انحرف وخان غيره فهو لا يثق فى مخلوقة بعد ذلك ويظل قلقا باستمرار يخشى أن يكون جزاؤه بعد الزواج من جنس العمل وربما منعه خوف الخيانة من الاقتران طول عمره وتبدو عنده الأمانة الزوجية والعفة عن الحرام كالأساطير .. فاذا نفذ الشاب من هذه العقبات وتخلص من هذه العقد وجد أزمة المسكن تواجهه . فأين يعيش مع عروسه لا بد أن يحسب حسابا كبيرا لماردين جديدين خلو الرجل وأزمة المواصلات اذا اضطر للسكن فى مكان أو بلد بعيد عن عمله أو عمل زوجته ..

والزواج بهذه الصورة عبء وبلاء فوق طاقة الشبان المساكين حتى وان كان حظهم خيرا من سواهم بحصولهم على أجر عمل فوق المتوسط لأنهم تخرجوا من الجامعات .. هاتوا أكبر الحاسبين ليعلن لنا كم عدد سنوات الانتظار التى يقضيها الشباب من الجنسين على أحر من الجمر اذا ظلت هذه الطريقة هى السائدة فى الزواج .

لو كانوا أغنياء عندهم المال الكافى الموجود تحت قبضة اليد فى الخزائن والمصارف وقالوا نحن أحرار .. نذكر آية من القرآن « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » لقلنا حفظتم آية وغابت عنكم آيات أين ذم الترف والاسراف وهو وارد فى كثير من الآيات . وهل يصح للمسلم أن يكون مثله الأعلى فى حياته هو النعيم والمتاع . ولكنهم فقراء يقلدون الاغنياء ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .. أوقعتكم هذه الأعراف الجائرة فى كثير من المشكلات والآلام فأين الشجاعة التى تختصر هذه التقاليد والأعراف وأين العودة الى يسر المهور وبساطة المراسيم والاكتفاء بالضروريات من الأثاث والمتاع وأين التواضع والتخشن .. هذه الفضائل نضعها على الرف ونتخذها وراءنا ظهريا وان كنا ندعيها باللسان فقط وما لم توضع موضع التنفيذ ونصدق مع الله فى جعلها واقعا ملموسا وشيئا محسوسا فلن تجد مشاكلنا طريقها الى الحل .. اننا

نتخذ أهواءنا آلهة نعبدها من دون الله وما لم ننبذ هذه الأوثان ونعبد الله وحده حقا وصدقا فلن نفلح .

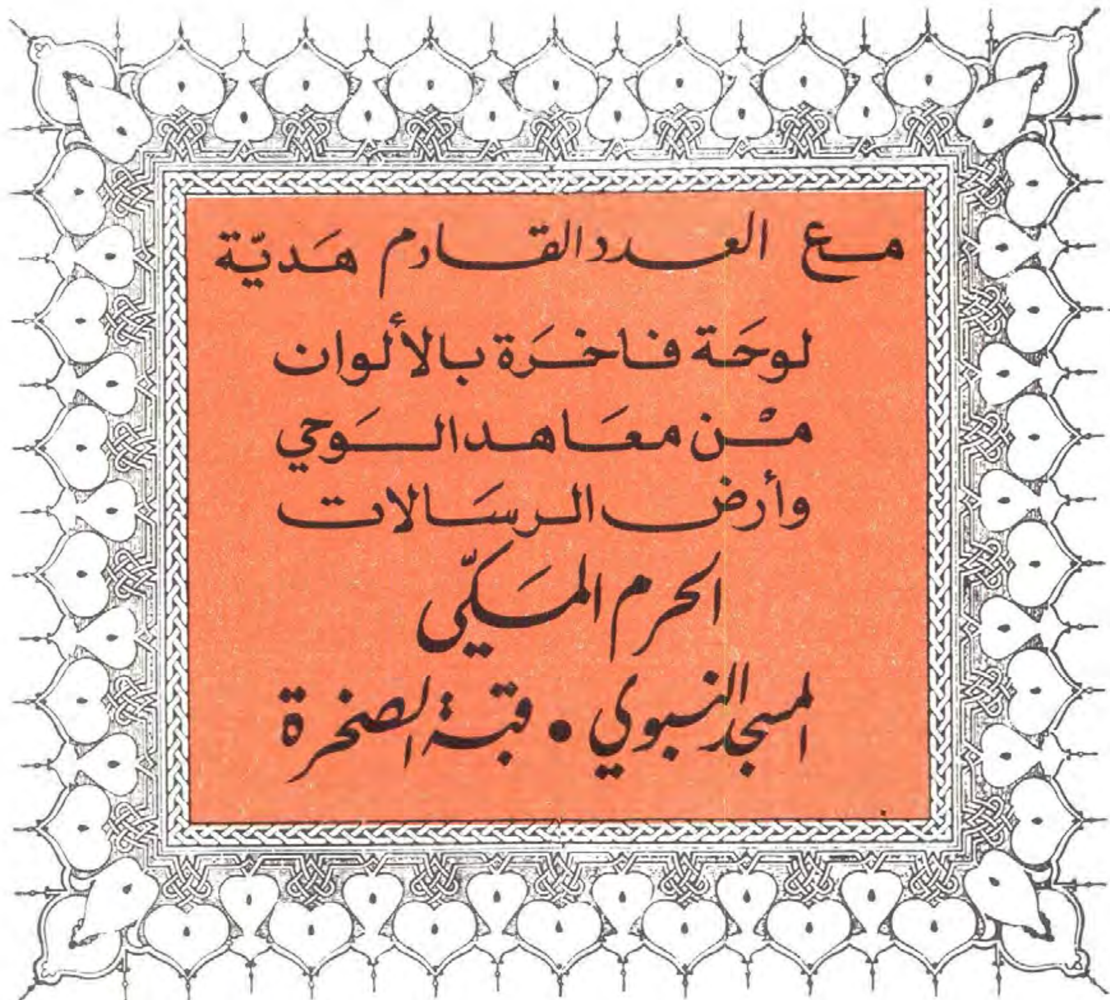
انظروا يا شباب الى جهاز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين عندما كانت تتزوج قرينها الشاب على بن أبى طالب نقلته من طبقات ابن سعد ــ جزء النساء . .

الفراش جلد كبش ينامان عليه بالليل ويعلفان عليه الناضح بالنهار ، وسادة من أدم حشوها ليف ، قربة ، منخل ، منشفة ، قدح ، رحيان ، جرتان .

وقد طلبت من أبيها خادما يكفيها مئونة الطحن على الرحى فرفض أن يعطيها الخادم مع أنها قطعة منه يريبه ما رابها ويؤذيه ما آذاها وقرة عينه .

وبعد فهذه كلمة العقل والنقل والعلم بفروعه .. الصحة النفسية والجسمية والاجتماع والاقتصاد قد اتحدت فى هذا الموضوع ولم يبق بعد الحق الا الضلال وأردد أخيرا قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب الاسلام والعيب فينا وما للاسلام عيب سوانا ..



الفتاوى

قضاء الفوائت

السؤال :

وردت لهذا الباب عدة رسائل ، يذكر فيها اصحابها انهم تركوا الصلاة فترة من الزمن ويستفسرون عن كيفية قضاء هذه الصلوات .. ؟

الاجابة :

يطلب اولا ممن وفقه الله وعزم على قضاء الصلوات التى فاتته أن يحدد المدة الزمنية التى ترك فيها الصلاة .. شهرا أو شهرين .. سنة أو سنتين أو اكثر فان لم يستطع معرفة المدة بالتحديد لجأ الى الأحوط ، فاذا شك هل ترك الصلاة سنة وشهرين أو سنة وخمسة أشهر مثلا اخذ بالجانب الأحوط واعتبر المدة سنة وخمسة اشهر .. وبمعرفة المدة يعرف عدد الصلوات الفائتة ، والمطلوب منه بعد هذا أن يؤدى هذه الصلوات ، وهو مخير فى طريقة الأداء بأن يصلى فى وقت فراغه ما اتسع له وقته من الصلوات أو أن يقضى فريضة فائتة مع فريضة حاضرة بأن يصلى مثلا فريضة الصبح مما عليه مع فريضة الصبح الحاضرة ، وهكذا وهذه اسهل واضبط كيفية لقضاء الصلوات الفائتة .

الدعاء قبل السلام

السؤال :

ما حكم الدعاء بعد الفراغ من التشهد الأخير وقبل السلام .. ؟ وهل ورد دعاء خاص يلتزمه المصلى .. ؟

الاجابة :

الدعاء مستحب بعد التشهد الأخير وقبل السلام .. روى مسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد ، ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء .

والدعاء مستحب بالأدعية المأثورة وغير المأثورة ، والأفضل الدعاء بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رويت عنه أدعية كثيرة منها ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا فرغ احدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع . يقول : اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال .

ومنها ما رواه مسلم عن على رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، انت المقدم وانت المؤخر . لا إله إلا انت .

جمع الصـــلوات

السؤال :

هل يجوز للمسافر بالطائرة سفرا طويلا يستغرق ٨ ساعات مثلا أن يجمع الصلوات الخمس قبل السفر لأنه لا يتمكن من أداء الصلوات فى أوقاتها .. ؟

الاجابة :

لا يجوز جمع الصلوات الخمس مرة واحدة فى السفر ، كما لا يجوز ذلك فى الحضر ، والشارع انما رخص للمسافر سفرا طويلا يبيح القصر أن يجمع بين الظهر والعصر تقديما أو تأخيرا وبين المغرب والعشاء كذلك ، وجمع التقديم أفضل لمن كان نازلا فى وقت الأولى ومسافرا فى وقت الثانية وجمع التـــأخير أفضل فى حالة العكس ، ويرى الشافعية أن جمع التأخير أفضـــــل اذا كان مسافرا أو نازلا فى وقت الفريضتين ..

ويشترط لصحة جمع التقديم ثلاثة شروط :

الأول : الترتيب بين الفريضتين لأن الوقت للأولى والثانية تابعة لها .

الثانى : نية الجمع بينهما ، ومحلها على الأصح مع الاحرام للأولى .

الثالث : الموالاة بين الصلاتين بدون فصل طويل .

واذا جمع المسافر بين الفريضتين جمع تقديم أو جمع تأخير يـــكونان اداء لا قضاء .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وبنت وأولاد ابن توفى فى حياته ، فما نصيب كل وارث منهم ، وهل يعطى أولاد الابن ما كان يستحقه ابوهم لو كان حيا ، كمـــا يقضى بذلك قانون الوصية الواجبة .. ؟

الاجابة :

للزوجة الثمن فرضا ، وللبنت النصف فرضا ، والباقى لأولاد الابن المذكور تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين . وقانون الوصية الواجبة المعمول به فى بعض الدول الاسلامية لا يطبق فى هذه الحالة لانه انما يطبق بالنســـــبة للفرع غير الوارث ، والفرع هنا وارث .

المصحف ..

السؤال :

أوصى والدى قبل وفاته بان يوضع فى كفنه المصحف الشريف ويدفن معه تبركا به ، وعند الوفاة اعترض احد العلمــــاء على هذا العمل وطالبنا برفع المصحف ، وقد نفذنا كلامه وخالفنا وصية الوالد رحمه الله .. فما حكم الشرع فى وضع المصحف مع الميت فى القبر .. ؟

الاجابة :

يجب تعظيم المصحف واحترامه وصـــــيانته من كل دنس وقذر ، وهذا باجماع المسلمين .. ومن المعلوم أن جسم الميت يتحلل بعد الدفن ويخرج منه صديد وقيح وسوائل نجسة ، فاذا وضع المصحف معه تصيبه هـــذه الأقذار ، وذلك محرم شرعا ، ويحرم تنفيذ هذه الوصية ، وقد أحسنتم صنعا بالاستجابة لرأى من افتاكم بهذا .

بريد الوعي الإسلامي

هندســة الكون

استمعت الى محاضرة موضوعها (الآيات الكونية) وكان المحاضر أحـد رجال الفكر المرموقين ووصف المحاضر الخالق تبارك وتعالى بأنه مهندس الكون الأعظم واعترض على هذا الوصف أحد المستمعين ، وقال بأنه لا يجوز أن يوصف الله إلا بما سمى أو وصف به نفســه ، ولم يرد فى أسماء الله الحسنى هــذا الوصف ، ولم يلق هذا الاعتراض قبولا لدى بعض المستمعين ، ودارت مناقشة حادة حول هذا الموضوع ، فما رأيكم ؟.

محمد بومدين ــ ليبيــا

* * *

إذا نظر الإنسان الى هذا الكون ، وما فيه من بدائع الخلق ودقيق الصنع آمن بأن لهذا الكون خالقا عظيما قادرا فوق ما يتصور العقل البشرى ، وانه جل جلاله متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، وقد تعرف الله سبحانه الى عباده بأسماء وصفات تليق بجلاله وهى أسماء الله الحسنى البالغ عددها تسعة وتسعين اسما ، وقد ارشدنا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليس فى هــذه الأسماء (مهندس الكون) وجمهور المسلمين على انه لا يصح أن يطلق على الله تبارك وتعالى اسم أو وصف لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسما له تعالى ، وإن كان يشعر بالكمال ، فلا يصح أن يقال مهندس الكون أو مصمم الكون ، ولا أن نقول المدير العام للخلق ، ولكن ان جاءت هذه النعوت بقصد بيان عظمتــه سبحانه وتقريبا للافهام والعقول فلا بأس والأفضل الأدب مع الله تعالى بالتزام ما ورد فى ذلك وأسماء الله الحسنى ، كما جاء فى رواية الترمذى هى :

هو الله الذى لا إله هو ، الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، الســلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبــار ، المتكبر ، الخــالق ، البارىء الصــور ، الغفار ، القهار ، الوهــاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباســط ، الخــافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، الســميع ، البصير ، الحكم ، العــدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفــور ، الشــكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواســع ،

الحكيم ، الودود ، المجيــد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيــل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميــد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجــد ، الواحــد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقــدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

الحــق واحــــد

هل كل مجتهد مصيب اولا ؟

وهل الحق واحد او متعــدد ؟

ع ٠ م٠ ــ البحــرين

* * *

يرى علماء الأصول أن المسائل الفقهية اما أن يكون فيها نص من كتاب الله أو حديث نبوى صحيح ، وحينئذ يجب اتبــاع النص ، ولا يصــح الاجتهاد مع وجــود النص .

واما الا يكون فيها نص كهذا ، وهنا موضع الاختلاف بين العلماء والذى ارتضاه العلماء من الآراء المختلفة أن الحق واحد غير متعدد ، وعلى هــذا يكون المصيب من المجتهدين واحدا فقط ، لكن هذا المصيب لا يمكن تعيينه ، ومن أخطأ من المجتهدين له أجر واحد نظير ما بذل من مجهود ، ومن أصاب منهم فله اجران . قال رسول الله صلى‌الله عليه وسلم **(اذا اجتهد الحاكم واصاب فله اجران ، وان اخطا فله اجر واحد)** .

وكل مجتهد يعمل بما وصل اليه اجتهاده ، وغلب عليه ظنه ، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .



بأقلام القراء

قرات مقال الأستاذ على الطنطاوى فى مجلتكم الفراء بالعدد (١٠٠) يقول فيه :

« نحن يا أولادى لم يبق فينا امل نحن الشيوخ (أعنى بالسن) نحن جيل الضياع جيل الهزيمة نحن أضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليون ، فالأمانة الآن فى أعناقكم أنتم والحمل على عواتقكم فلا تكونوا مثلنا » .

هذه كلمة صريحة مدوية صرخت فى قلبى فأصابت لب الحقيقة والواقع وكم نحن نخفى على الشباب عوراتنا ونتظاهر بالغرور والكبرياء أمامهم حتى لا تبدو نقائصنا لهم . ومع ذلك فلا أظن الحياة تساعدنا على هذه الغطرسة . فاننا مع مزيد الأسف نصب الكوارث على أمتنا من تفريطنا وتجاهلنا هذه الحقيقة ، إننا نغمض أعيننا ، ونأبى كل الاباء فى عصبية حادة أن نصارح الشباب بمثل هذه الصراحة للاستاذ الطنطاوى .

وكم من الشباب يكتب من حرقات قلبه ومن نزيف جراحاته . يكتب وهو يشعر بالضغط الكبير على طموحه وآلامه لأمته ووطنه ودينه . فاذا القى ما يكتب لأى صحيفة اسلامية يظن أنها ستروى ظمأه وتشفى غليله .. فاذا بالمحرر يلقى بها فى سلة المهملات ولا يتلقى حتى كلمة الشكر والاعتذار! لأنها ليست من كبار الكتاب المشهورين والدكاترة الأكاديميين . الذين يجمعون ما تناثر هنا وهناك ليكتبوا موضوعا يشم من سطوره التكلف وبرود العاطفة . وكأنهم يلقون احجارا فى بئر خرب .

والصحف الاسلامية اليوم تتمتع بجمال الورق وفن الطباعة ومع ذلك لا تجد لدى الشباب رغبة فى قراءتها والاقبال عليها . لأن المجلة فى واد والحياة المعاصرة فى واد آخر . والسبب الكتاب (الشيوخ) الذين يكتبون فى أبراج عاجية . أما الشباب الذين يحترقون من لهيب الانحراف وفساد الآراء فلأنهم شباب يسيرون فى طريق الاصلاح لا الى طريق الشهرة يكون مصيرهم الاهمال ونكران الجميل .

فليس المهم أن تخرج مجلة إسلامية تزاحم السوق وتكدس على الأرصفة بل المهم أن تكون وابلا شافيا للأرواح العطشى وهادية من حيرتها وضلالها فى خضم الحياة الزاخم فى الفكر الوافد .

الشيخ محمد عبد الغنى أبو شرف

اهمية الوقت فى الاسلام

لا نجد دينا من الأديان اهتم بالوقت وقيمته كالاسلام ، فالأمم لا تنهض الا إذا استفادت بالوقت واستثمرته ، فعندما يشعر كل فرد بقيمة الوقت ويقضيه عملا وانتاجا وعبادة تنهض الأمة ماديا وروحيا ويسعد أفرادها ، أما إذا انصرف الأفراد الى اللهو والمجون وبعثروا أوقاتهم على المقاهى

والأندية دون عمل أو انتاج فان ذلك يصيب الأمة بالضياع والتأخر .

ولقد تعـــدد ذكر الكلمـــات التي نستخدمها فى قياس الوقت كساعـــة ويوم وشهر وقرن مئات المرات فـــى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول عليه السلام حتى نشعر بقيمة الوقت ونحس به فنمضيه على أحسن وجه يرضى الله . فلقد ورد ذكر الساعـــة بمعنى الزمن ويوم القيامة نحو تسع وأربعين مرة وورد ذكـــر اليـــوم ومشتقاته أربعمائة وست وثمـــانين مرة أما الشهر والشهور فقـــد ورد ذكرها احدى وعشرين مرة ، والقرن والقرون تسع عشرة مرة . وهنـــاك سور من القرآن سميت بأسماء أوقات معينة مثل « سورة الفجر ــ سورة الليل ــ سورة الضحى ــ ســـورة العصر » .

وهـــذه اشارات من الله سبحانه وتعالى لنا بأهميـــة الوقت ، وكذلـــك الصلاة تدرب الانسان على الاحساس بالوقت وقيمته . قال تعالى : « **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتـــابا موقـــوتا** » . أى فرضـــا فى أوقات محددة . وقد أشار القرآن الكريم الى هـــذه الأوقات فقال الحـــق تبـــارك وتعالى : « **واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليـــل** » وطـــرفى النهار الفجر والعصر « وزلفا من الليل » . صلاة المغرب والعشاء .

وإذا كانت الصلاة ترتبط بأوقات محددة ، فان الصوم والحج كـــذلك يرتبطان بشهور وأوقات محددة . ولا شك أن ذلك الأمر ينمى الاحســـاس بأهمية الوقت فى نفوس المســـلمين فيعملون على استغـــلاله أحســـن استغلال لأن الوقت الذى ينقضى لا يمكن استرجاعـــه أما المـــال فيأتى ويذهب وكذلك الصحة تذهب وتعود .

ومما يروى عن احساس المسلمين الأوائل بقيمـــة الوقت مـــا دار بين الحجاج بن يوسف الثقفى واعرابى ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفى كان فى طريقه بين مكة والمدينـــة فنزل ببعض المياه وقال لرفيق معه اذهب وتحر من يأكل معى ، فاذا براع نائم فأيقظه رفيق الحجاج وقال له : قم فالأمير يطلبك . ولما مثل بين يدى الحجاج قال له : اغســـل يـــدك وتغد معى يا أعرابى .

فقال الأعرابى : دعانى من هـــو خير منك فأجبته ؟ قال الحجاج وهو غاضب : ومن يكون ذلك الذى تعنيه بالأفضلية ؟ فقال الاعـــرابى : الله تعالى دعانى الى الصيام فأجبته . قال الحجاج : وفى هذا الحر الشديد ؟ فقال الأعرابى : صمت ليوم أشد حرا منه . فقال الحجاج : افطر وصـــم غـــدا . فقال الأعرابى وهل تضمن لى البقاء الى غد ؟ قال الحجاج ليس ذلك فى قدرتى . فقال الأعرابى : كيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟

ويروى كذلك أن الحسن البصرى شهد جنازة فقال لصاحبه وهو يتحدث معه أترى لو رجع الميت للدنيا لعمل صالحا ؟ فقال صاحبه : نعم نعم . فقال الحسن البصرى : فان لم يكن هو فكن أنت .

إن عقيـــدتنا الاسلامية تؤكد لنا وتنمى فينا الاحساس بالوقت وأن ما يمضى منه لن يعود وأن آجالنا فى نقصان دائم فيبادر المسلم بمحاسبة نفسه ويدرك أن الدنيا فانية ، فـــلا يطمئن اليها فيأخذ من دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر لأنه ما بعـــد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

محمد محمود احمد محمدين



العناية بالشباب المغترب

العناية بالشباب المغترب ، الشباب الذى يدرس الآن فى بلدان أمريكا وأوروبا ليتولى — غدا — مقاليد الحكم ، ومناصب القيادة ويشغل المراكز الحساسة فى العالم الاسلامى ، فهو أمانة كبيرة فى أعناقنا وخزان ماء كبير نستطيع أن نحوله باستعمال بعض الذكاء وبعض الوسائل وبعض الاخلاص والجهد والعمل الى طاقة مولدة للكهرباء تنير العالم الاسلامى كله فى أقرب مدة يتصورها العقل ان شاء الله .

ويجب لذلك كخطوة أولى تنظيم لقاءات بين الشباب المؤمن فى عواصم الالحاد والفساد وبين شباب مؤمن فى مختلف أقطار العالم الاسلامى على أن تكون هذه اللقاءات بصفة شعبية وأخوية أكثر من رسمية أو شكلية فذلك أنفع فى التعارف واللقاء وأجلب للخير ، والقاء محاضرات اسلامية تساعدهم وتقويهم على مواجهة تحديات بلادهم بلاد الفاحشة والاغراء والتلف والضياع ، وتبديد الطاقات والقوى ، ونحن نحتاج فى ذلك الى الاستعانة بسلاح الايمان قبل سلاح العلم وبسلاح الحب قبل سلاح المنطق والبرهان .

تزويد الشباب المسلم فى كل مكان بمكتبة اسلامية كاملة ومؤلفات الكتاب الاسلاميين المعروفين تعيد الثقة الى نفسه وتنشىء فيه الاعتزاز بدينه ، وتحدث فيه الكراهية للكفر بجميع الوانه وأساليبه ، وأشكاله وصوره ، ومقت الجاهلية بأى قميص تقمصت ، وبأى لغة تكلمت .

انشاء بيوت للسكنى والاقامة لهؤلاء الشباب فى مختلف العواصم الغربية تحتوى على مسجد ومكتبة ، وقاعة للمحاضرات . والندوات واللقاءات على أن تكون هذه الدور مزودة بوسائل وادوات تغذى العقل والقلب وتقوى الجسم والروح ، وتربى الشباب على الطاعة والايمان والحب ، وكراهية الكفر والفساد ، وبالاختصار على الحب فى الله ، والبغض فى الله ، فهذه الدور ستكون ان شاء الله بمثابة قلاع متينة للاسلام يأوى اليها الطالب بعد أن نال نصيبه من العلم ليجدد صلته بالله ، وهدفه فى هذه الحياة ويعرف موقفه ومكانته فى خريطة العالم ، ودوره المنتظر الرائع فى العالم الاسلامى .

انشاء مساكن للطلبة فى هذه البلاد لا يعنى مجرد بيوت مخصصة للايجار بل يجب اعدادها اعدادا كاملا من ناحية الدعوة والتربية والتوجيه والأخلاق والسلوك ولذلك اقترح أن تحتوى تلك المساكن على مسجد لأداء الصلوات ، وقاعة للمحاضرات والندوات ومكتبة للدراسات والمطالعات وملعب صغير للرياضة البدنية وبقالة تعاونية للحصول على الأكل الحلال والطيبات من الرزق يعود ربحها على هذه المساكن ، ويكون كل ذلك تحت اشراف دعاة ومربين ومشرفين اجتماعيين يسوقون الشباب الى أهدافهم الاسلامية فى صمت وهدوء وحكمة وفقه ، ومن غير تشديد كثير عليهم وضغط كبير على عقولهم وقلوبهم وميولهم . ويجب على هؤلاء الدعاة والمشرفين أن يكونوا جامعين بين العلم والايمان والنظرية والتطبيق ، وأن يحاولوا اثارة الغيرة والحمية ومقت الجاهلية بجميع أنواعها والحرص على انقاذ الانسانية من هلاكها وشقائها ويعلمون أبناءهم أن أوروبا جرت وبالا على الانسانية وأن العالم خسر خسائر فادحة لا تعوض فى عهد استيلائها على العالم واحتلالها الشعوب والأمم .

ان انشاء مثل هذه المبانى والمساكن الطلابية فى مختلف المدن الغربية الكبيرة يكلف نفقات هائلة ما فى ذلك من شك ولكن يجب على الحكومات الاسلامية أن تتحمل هذه النفقات لأول مرة نظرا الى تلك الفوائد الكثيرة المرجوة ، ثم تكتفى هذه المساكن بنفسها ، وتنفق على ترميمها واصلاحها وتوسعتها بالايجار ودخل الجمعيات التعاونية .

هذا اقتراح خطير عملى نقدمه الى المسئولين وحكام المسلمين فى البلاد العربية والاسلامية ليتأملوا فيه فان جهد خمس أو عشر سنين على هذا المنوال وبتصميم وعزم قد يغير مجرى الاحداث فى هذه المنطقة ويحدث فيها تحولا مباركا لا يتأتى بمجهود عقود من السنين بطرق اصلاحية أخرى ما دامت الطبقة الحاكمة التى تنتجها (مصانع الغرب) (متغربة متفرنجة) منسلخة عن شخصيتها ودعوتها ورسالتها .

ان التركيز على هذه الناحية المهمة يفيدنا فى كافة المجالات الادارية والاقتصادية والتربوية والفنية ، فالى جانب وجود شباب مسلم على رأس هذه الدوائر والمصالح فانه ينفع الحكومات الاسلامية من ناحية الكفاءات والمؤهلات الفنية أيضا . .



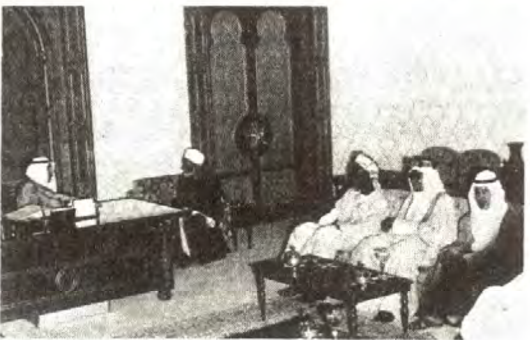
---

* عن مجلة البعث الهندية .

اعداد : فهمى الامام









الكـــويت :

● احتفلت الكلية العسكرية بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط ، وقد شمل سمو الامير المعظم الحفل برعايته السامية .

● احتفلت كليـــة الشرطة بتخـــريج الدفعة الثالثة من الطلبة الضباط ، تحت رعاية سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .

● زار البلاد فى الشهر الماضى وفد رابطة العالم الاسلامى برياســـة الشيخ حسنين محمد مخلوف ضـــمن جولة فى عدد من البلدان الاسلامية . وقد استقبله سمو أمير البلاد المعظم بمكتبه بقصر السيف العامر .

● قام سعادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة بجولة فى الشـــهر الماضى فى منطقـــة الخليج العـــربى أسفرت عن نتائج قيمة من أجل تحقيق التعاون واقامة سد منيع فى وجـــه الأطماع الأجنبية فى المنطقة .

● اقيم فى الشهر الماضى احتفـــالٌ بتخريج الكتيبة السادسة من الحرس الوطنى .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول فى دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح للصف الأول الصباحى ٦٥٪ والمســـائى ٧٧٪ وللصـــف الثـــانى الصباحى ٨٣٪ والمسائى ٨٠٪ .

● افتتحت جمعية الاصلاح الاجتماعي ١٥ مركزا للبنين ، و ٥ مراكز للبنات لتحفيظ القرآن الكريم مع دروس في التفسير والحديث والسيرة والفقه . وذلك في العطلة الصيفية .

● تلقت المجلة دعوة من سفارة الجمهورية العربية الليبية لايفاد مندوب لحضور مؤتمر الشباب الاسلامي العالمي الذي يعقد في طرابلس خلال المدة من ٢ – ١٢ يوليو الحالي .

القاهرة :

● قام الرئيس أنور السادات بزيارة لليبيا لاجراء محادثات مع الرئيس الليبي معمر القذافي ولحضور الاحتفالات التي أقيمت هناك بمناسبة الذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية عن ليبيا .

السعودية :

● زار جلالة الملك فيصل في الشهر الماضي كلا من المغرب وايطاليا والجزائر وتونس .. ودار البحث في هذه الزيارة حول مشكلة الشرق الأوسط وتوثيق الصلات بين المملكة العربية السعودية وتلك الدول .

● سترسل السعودية عددا من المدرسين لتدريس اللغة العربية والتربية الاسلامية في بعض الأقطار الأفريقية مثل نيجيريا وموريتانيا وساحل العاج .

● أعلن تنكو عبد الرحمن أنه سيسافر الى كوالالمبور في شهر أغسطس القادم للاشتراك في مؤتمر وزراء مالية الدول الاسلامية الخمس التي وافقت على مشروع انشاء بنك اسلامي . والدول الخمس هي : السعودية ، وقطر ، والبحرين ، وليبيا ، ودولة الامارات العربية المتحدة .

ليبيا :

احتفلت ليبيا بالذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية عن أراضيها .

ابو ظبي :

دعت امارة أبو ظبي الى اتخاذ اجراء عربي موحد ضد كتاب نشر في بريطانيا يتضمن صورة للنبي محمد (ص) مع الملاك جبريل .

● قال سمو رئيس دولة الامارات العربية المتحدة – ان الوحدة العربية هي طريق النصر وما اليأس الذي تعيشه أمتنا الا نتيجة للفرقة الموجودة .

سوريا :

وصلت سوريا بطريق البحر القوات المغربية ونزلت في اللاذقية وكان جلالة الملك الحسن قد أمر بارسال هذه القوات لتساند القوات السورية في المعركة ضد اسرائيل .

الأردن :

لفتت وزارة الخارجية الأردنية أنظار الدبلوماسيين في سفارتها في الخارج الى نشرة سياحية وزعتها اسرائيل تتضمن صورة للقدس وقد قام فيها الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى .

فلسطين :

مضت ست سنوات على عدوان حزيران ١٩٦٧ وما زالت الأراضي العربية تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي . فمتى الخلاص ..؟

اخبار متفرقة

كوريا الجنوبية :

● تبرع رئيس الجمهورية لمسلمي كوريا بقطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ متر مربع في وسط مدينة (سيول) وذلك لبناء مسجد عليها .

اليابان :

● تم ترجمة وطبع القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، وقد ساعدت في هذه المهمة رابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع الجالية المسلمة اليابانية.

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الثانية ١٣٩٣	يوليو ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الأحد	١	١	٣ ٥	٤ ٥١	١١ ٥١	٣ ٢٥	٦ ٥١	٨ ٢٤	٨ ١٤	١٠ ..	٥ ..	٨ ٣٤	١ ٣٣
الاثنين	٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..	..	٣٥	٣٣
الثلاثاء	٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..	..	٣٥	٣٣
الأربعاء	٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الخميس	٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الأحد	٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الاثنين	٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الأربعاء	١١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الخميس	١٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
الجمعة	١٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
السبت	١٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الأحد	١٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الاثنين	١٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	١٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الأربعاء	١٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الخميس	١٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠
الجمعة	٢٠	٢٠	١٧	٥ ..	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
السبت	٢١	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
الأحد	٢٢	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الاثنين	٢٣	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٤	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الأربعاء	٢٥	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٩	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الخميس	٢٦	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
الجمعة	٢٧	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
السبت	٢٨	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
الأحد	٢٩	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨



مسجد سعد بن ابى وقاص
كويت ـ كيفان

اســـــمه : سعد بن ابى وقاص مالك بن أهيب بن عبد منـــاف القرشى الزهرى . أبو اسحاق : الصحابى الأمير .

مولـــــده : ولد فى سنة (٢٣) قبل الهجرة ـ ٦٠٣ م .

اســـلامه : أسلم وهو ابن (١٧) سنة . . وشهد بدرا ، وافتتح القادسية .

فتـــوحاته : فتح العراق ، ومدائن كسرى ، وهو أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، يقال له فارس الاسلام .

ولايتـــه : نزل الكوفة فابتنى فيها دارا فكثرت الدور فيهـــا وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب . واقره عثمان زمنا ثم عزله فعاد الى المدينة فأقام قليلا وفقد بصره .

صـــفته : قالوا فى وصفه : « كان قصـــيرا دحداحا ذا هامة ، شثن الأصابع ، جعد الشعر » .

روايته للحديث : له فى الصحيحين (٢٧١) حديثا .

وفـــاته : مات رضى الله عنه فى قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل اليها .

« الى راغبى الاشتــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الاردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

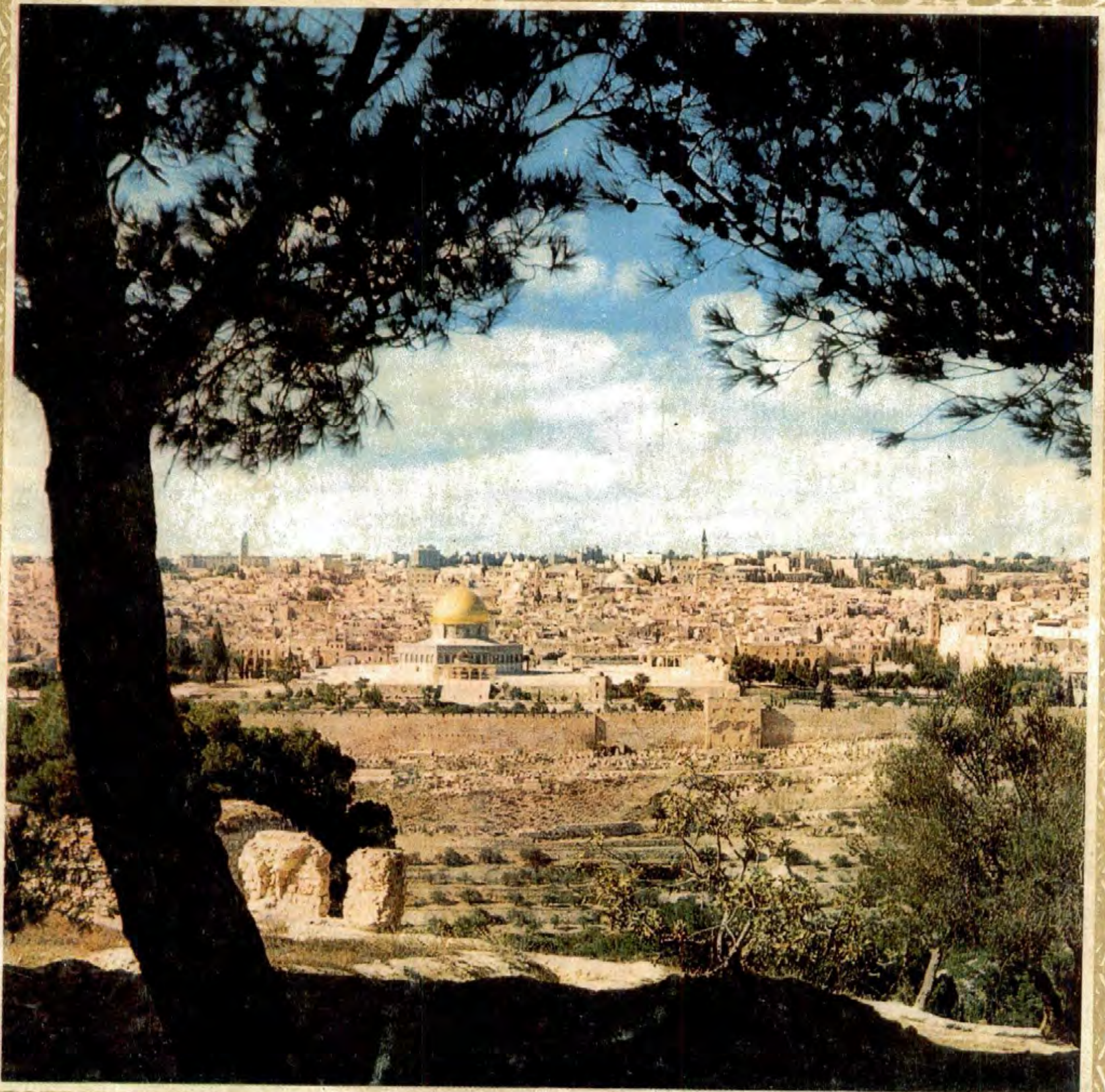
اقرأ في هذا العدد

هدية العدد : لوحة بالألوان للمساجد الثلاثة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٠٣) غرة رجب ١٣٩٣ هـ ـ أغسطس (آب) ١٩٧٣ م



بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا

من المسجد الحرام

إلى المسجد الأقصا الذي بركنا حوله

لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير



مدينـــة القدس

المدينة التى باركها اللـــه وبارك حولها مهبط الرسالات ومنتهى إسراء خاتم الأنبياء ... متى تعود مدينـــة السلام ؟

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

اسلامية ثقافية شهرية

العـــــدد (١٠٣)

غـــــرة رجب ١٣٩٣ هـ

أغسطس (آب) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شــــــهر عـــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشـــــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـــلامية

صـــندوق بريد : ١٣ — كـــويت — هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

أسرينا من المسجد الأقصى

أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى ، فكان اسراؤه إيذانا بفتح مبين ونصر عظيم تحقق فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى يد أمين هذه الأمة (ابى عبيدة بن الجراح) ومن تحت امرته من أصحاب رسول الله الغر الميامين .

ومنذ ذلك التاريخ وفلسطين جزء من الدولة الاسلامية تعيش فى ظل خلافة مترامية الاطراف فى مشارق الارض ومغاربها . شأنها فى ذلك الوجود الاسلامى المتميز شأن مصر وسوريا والعراق وغيرها .

ومنذ ذلك التاريخ واسلامية فلسطين تتوج عروبتها الاصيلة ، وتجعل لها فى العالم الاسلامى مكانة مرموقة بفضل المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين واحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال .

ومنذ ذلك التاريخ والشعب الفلسطينى شعب واضح العروبة والاسلام ، ومضى على ذلك قرون وقرون .

***

ثم أسرينا من المسجد الاقصى ، وأسرينا مما حوله من الارض المباركة ، وأسرينا مما جاورها من الضفة الغربية ومن مرتفعات الجولان ومن سيناء .. خرجنا من ذلك كله فى ظلام الفرقة ، وظلام الغفلة ، وظلام العزلة عن الله وعن ديننا الذى جمع شملنا وقوى ضعفنا وأعزنا به رب العالمين .

ودخلها اليهود وفعلوا بنا الأفاعيل . دخلوها ليقتلونا ويسلبوا وطننا . انها مؤامرة خطيرة مبيتة منذ عهد بعيد بين الصهيونية العالمية والاستعمار لاخلاء فلسطين من شعبها العربى المسلم وابادته وتحويل هذه البلاد المقدسة المباركة الى وطن يهودى ودولة يهودية يتمركز فيها يهود العالم ، ويثبون منها على الاقطار الاخرى لإنشاء دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

كلنا فلسطين ..

كل أرضنا أرض فلسطين وكل شعوبنا شعب فلسطين فى النصر والهزيمة فى الاستقرار والتشرد فى الاستقلال والاحتلال .. وهذا المصير الذى آلت اليه فلسطين شعبا وأرضا حضارة ومقدسات يهدد شعوبا عربية أخرى اذا ترك العدو الصهيونى يمضى فى اجرامه يؤيده الاستعمار الذى يمده ويحميه واليهودية العالمية التى تسانده وتؤازره والاموال والاسلحة التى تتوفر له . فلا بد من عمل عربى اسلامى موحد قبل أن يزداد هذا العدو فى افساده واجرامه .

المقاومة فريضة :

ان استسلام المظلوم لظالمه جريمة لا تغتفر ، ووقوفه فى وجهه فريضة مقدسة ومقاومته له مهما كانت التضحيات والمغارم أمر لا بد منه ، وهزيمة شعب فى معركة أو معركتين أو معارك لا يمكن أن تزيل كيانه من الوجود ما دام فيه ارادة القتال وتصميم على النصر .

والتاريخ القريب والبعيد ملىء بالشواهد والحوافز ، فكم من شعوب مزقت جيوشها شر ممزق ، وتفرقت أبناؤها أيدى سبأ ولكن هذه الشعوب بفضل ايمانها واستمساكها بحقها واستبسالها فى نضالها انتصرت وعزت واستردت أرضها وكرامتها .

احتل الصليبيون القدس سنة ١٠٩٩ م وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم فيها بالموت ، فقتلوا سبعين ألفا من سكانها العرب المسلمين ، وتعقبوهم فى كل مكان حتى المسجد الاقصى لم يخافوا له ربا ولم يرعوا له حرمة ، فأراقوا دم من احتمى بمحرابه ، وحولوا قبة الصخرة الى كنيسة ، وانتقصوا أولى القبلتين من أطرافها ، وغيروا حرمها وقسموه الى أقسام فجعلوا منه سكنا للفرسان ومستودعا للذخيرة وسراديب للخيل .

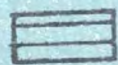
كل هذا حدث فى بيت المقدس والمسجد الاقصى والارض المباركة حوله ، وكل هذا حل بأهلها الأبرار الأطهار ، فهل قضى هذا على الشعب الفلسطينى .. ؟ هل أزاله من الوجود .. ؟ هل أذاب شخصيته وكيانه .. ؟ هل نال هذا كله من عزائم المسلمين عامة .. ؟ هل أخمدت هذه المذابح والجرائم صوت الحق .. ؟ هل أطفأت هذه الوحشية جذوة الايمان فى قلوب المسلمين ؟..

لم ينقطع أهل فلسطين ولا المسلمون عن مناوأة الصليبية ومقاومتها حتى تحقق لهم النصر على يد البطل صلاح الدين فدخل الارض المقدسة فى يوم الجمعة الموافق ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣ هـ ٢ أكتوبر ١١٨٧ م .

والفرنسيون غزوا الجزائر فى سنة ١٨٣٠ وحاولوا بشتى الوسائل أن يمحوا شخصيتها العربية المسلمة ، ولكن الشعب الجزائرى الأعزل أصر على حقه وسخى بالتضحية ، وقدم مليون شهيد أو يزيدون ، واضطرت الدولة الباغية أن تخضع لقوة الحق وانتصرت الجزائر .

فلسطين بعد العدوان الإسرائيلي ١٩٦٧

 حدود إسرائيل بعد سنة ١٩٤٨

 المناطق التي إحتلتها إسرائيل في ١٩٦٧

بيروت
لبنان
دمشق
القنيطرة
سوريا
بحيرة طبرية
حيفا
الناصرة
نابلس
نهر الأردن
البحر المتوسط
تل أبيب
عمان
أريحا
القدس
غزة
بورسعيد
حبرون
البحر الميت
بئر سبع
العريش
القنطرة
الإسماعيلية
الأردن
البحيرات المرة
السويس
سيناء
معان
مصر
النقب
العقبة
خليج السويس
خليج العقبة
شرم الشيخ
مضيق تيران
المملكة العربية السعودية

وفلسطين وطن اسلامى بحكم تاريخه ومقدسات المسلمين فيه ، وحضارة الاسلام قائمة وشاهدة فى كل مدينة وقرية من مدنه وقراه ، والشعب الفلسطينى موجود حى يقاتل ويناضل سواء عاش فى خيام اللاجئين ، أو فى ضيافة اخوانه وشركائه فى المصير من شعوب الأمة العربية ، أو فى المخابىء والمغارات وقمم الجبال أو فى اى مكان فى العالم ، أو تحت اسم أى منظمة سوداء أو حمراء . الشعب الفلسطينى موجود حى يقاتل ويقاوم ، ويؤمن بأن فلسطين وطنه هو ، وهى له وليست لغيره ، ولن يتزحزح ولن يتغير ولن يستسلم ولن يتنازل .

ولن تتحرر فلسطين الا بحرب مقدسة لها كل مقومات الجهاد فى سبيل الله ، والمسلم لا يكون مسلما اذا وقف مما يجرى فى الارض المقدسة موقف المتفرج ، وانما يفرض عليه دينه أن يخوض المعارك ، ويسعى الى الاستشهاد طاعة وايمانا واحتسابا : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

أن طريق الحرب هو طريق النصر ، والعرب كما يقرر الخبراء العسكريون يستطيعون أن يحشدوا أحد عشر مليونا من المقاتلين ، ولن تستطيع اسرائيل أن تحافظ على انتصارها أمام هذا العدد الضخم من المحاربين ، واذا انهزمت اسرائيل فى معركة واحدة انهارت الى الأبد ، وعادت الى فجاج الارض كما جاءت « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

معركة العقيدة :

ان المعركة بيننا وبين الصهيونية هى معركة العقيدة ، وقد أعد لها الأعداء كل ما استطاعوا من وسائل الدعاية ، وجندوا لها علماء متخصصين فى علم النفس وأخطر أساليب التضليل والكذب ليخدعوا شبابنا ويورثوهم الضعف والاستسلام ، واخطر هذه الدعايات ما يحاول الاعداء أن يلقوه فى روعنا أن هذا الجيل منا لا يستطيع أن يحرر الارض ويسترد الحق ويقهر المعتدى ويأخذ بالثأر ، وأن مهمة التحرير والتطهير وغسل العار واسترداد المقدسات تقع على عاتق الجيل والاجيال القادمة ، ومع الاسف الشديد فاننا نجد فينا نفرا يؤمن بهذه الدعاية ويجزم بأنه ليس فى طاقتنا الوقوف فى وجه العدو ، وأن علينا أن نعد الجيل القادم لتحمل هذه المسئولية .. أليس معنى هذا أن نرضى بالواقع ؟!

ان هذه الحرب النفسية التى يشنها العدو علينا ويغزو بها قلوبنا وعقولنا ليقضى على روح المقاومة فى نفوسنا لهى اشد خطرا من حرب الحديد والنار .

فلنأخذ حذرنا ولنوطن أنفسنا على القتال ولنحشد قوانا لإحباط هذه الدعايات المسمومة وازهاقها .

رضوان البيلى

من هَدْيِ السّنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى بسنده المتصل عن عائشة رضى الله عنهـا أن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن للنبى صلى الله عليه وسـلم : أينا أسرع بك لحوقا ؟ قال أطولكن يدا ، فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يدا ، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدهـا الصدقة ، وكانت أسرعنـا لحوقا به ، وكانت تحب الصدقة .

١ ـ كثرت الأحاديث الشريفة الحاثة على الصدقة ، كما ورد الحض عليها فى القرآن الكريم ، والصدقة تطلق شرعا على الزكاة المفروضة التى هى ركن من أركان الاسلام ، ومنكر وجوبها كافر لأنها ثابتة قطعا بالكتاب والسنة والاجماع وهى ماضية الى يوم يرث اللـه الأرض ومن عليها تصرف فى وجوهها المقررة شرعا ، ولا يقصر فى أدائها إلا عاص لله ولرسوله وسيكون له الجزاء الذى لا مناص له عنه والذى وردت الاشـارة اليه فى القـرآن الكريم قال الله تعالى : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »** الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة التوبة ، وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الأرض » وروى البخارى عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبـد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال اعرابى : أخبرنى عن قول الله تعـالى : **« والـذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله »** ـ قال ابن عمر : من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له ، انما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال وهذا مشعر ـ كما يقول الحافظ بن حجر العسقلانى ـ بأن الوعيد على الاكتناز وهو حبس ما فضل عن الحاجة عن المواساة به كان فى أول الاسلام ثم نسخ ذلك بفرض الزكاة ، وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعنى

شدقيه — ثم يقول : « أنا مالك ، أنا كنزك » — ثم تلا — « ولا يحسبن الذين يبخلون » .. الآية (١) ..

والحديث الشريف موضوع البحث يومىء الى صدقة التطوع وهى التى اشارت اليها الآية الكريمة : « **ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** » الآية (٢٧) من سورة البقرة . فقد ذهب الجمهور من المفسرين الى أنها فى صدقة التطوع لأن الاخفاء فيها أفضل من الاظهار ، فذلك أدل على أنه يراد بها الله عز وجل وحده ، وان كان هذا لا يمنع من اظهارها لحمل الغير على الاقتداء بالباذلين المعروف عن الساعين فى الخير ، فينتهج نهجهم وينسج على منوالهم ليعم الخير والتراحم ويزداد التواد والتعاطف ، وتختفى الحاجة والمسألة ، وتأتلف القلوب ، ويتعاون الناس على البر والتقوى فالاحسان له أثره الفعال فى التجاذب والتقارب ، واجتثاث السخائم وقتل العداوات ، وبث روح الطمأنينة وتوطيد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع ، وقد أدرك صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المعانى من كثرة حثه عليه أفضل وأزكى السلام على الصدقات فكان بعضهم يعمل حمالا فى السوق ليحصل على القليل ويتصدق به رغبة فى امتثال الأوامر الشريفة ، روى البخارى عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرنا بالصدقة انطلق احدنا الى السوق فيحامل فيصيب المد — اى فى مقابل أجرته — فيتصدق به ، وكانوا لا يحقرون الصدقة مهما ضؤلت وقل مقدارها استنادا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » رواه البخارى . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخلت امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة فأعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت .. الحديث « ومن تعاليم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبذل الانسان وهو صحيح معافى محب للمال ضنين به ولا يترك العطاء حتى تهجم عليه منيته وتفوته فرصة المبادرة الى الخير ، ففى بذل المال مع وجود الشح به برهان على قوة الرغبة فى القربات والمبادرة الى الامتثال والدخول فى الطاعة » فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » وغالبا ما تكون الصدقة من أهل الخير على ذوى الحاجة ولكن المعتمد هو نية المتصدق فلو وقعت صدقة فى غير موقعها لاستحق أجرها مع خلوص نيته لله تعالى وابتغاء مرضاته ، ولربما حصل منها الخير الكثير والجزاء الوفير ، وقد أورد البخارى حديثا عمن أسر صدقة فوقعت فى يد من ليس لها أهل ، فاعلم مناما بثوابها وأنها لاقت من الله قبولا فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق (بالبناء للمجهول) على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدق بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية . فقال : اللهم لك الحمد على زانية ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى ، فأصبحوا يتحدثون تصدق على غنى ، فقال : اللهم لك الحمد ، على سارق ، وعلى زانية ، وعلى غنى فأتى (بالبناء للمفعول) فقيل له : أما صدقتك على سارق ، فلعله يستعف عن سرقته ، وأما الزانية ، فلعلها أن تستعف عن

زناها ، وأما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله » وفي رواية الطبراني : « فساءه ذلك فأتى في منامه » قال العيني في كتابه عمدة القاري : « وفيه دليل على أن الله يجزى العبد على حسب نيته في الخير لأن هذا المتصدق لما قصد بصدقته وجه الله تعالى قبلت منه ولم يضره وضعها عند من لا يستحقها وهذا في صدقة التطوع وأما الزكاة فلا يجوز دفعها الى الأغنياء » ويؤخذ منه أيضا توقع حمل المتصدق عليه على التحول من الحال المذمومة الى الحال الممدوحة فيستعف السارق من سرقته والزانية من زناها والغنى من امساكه ، ويدل على بركة التسليم والرضا وذم التضجر بالقضاء ، وقد مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة السر فذكر من الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ، ففي ذلك خلوص الصدقة لوجه الله تعالى وحفظ ماء وجه المتصدق عليه وستره أمام العامة ، وخاصة اذا كان ممن عرفوا بالصلاح والتقوى أو من الذين أخنى عليهم الدهر بعد نعمة وثراء وكثير ما هم ، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة .

٢ — في توجيه هذا السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه ، دلالة على شدة تعلقهن به ، وخوفهن من البعد عنه ، ولهذا أحببن الموت — وهو مبغض الى النفوس — لئلا يلبثن بعده في الدنيا التي لا تحتويه ، ولا تسعد بوجوده فيها ، فالحياة بدون سيدهن هباء والبقاء فيها ، بعده فناء ، ومما يشهد بتولمهن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفقدانهن الصبر على فراقه حادثة التخيير التي وردت اخبارها في سورة الأحزاب وسجلت قرآنا يتلى الى يوم الدين ، قال تعالى : « **يايها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وأن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » الآيتان ٢٨ ، ٢٩ ، قال المفسرون : أمره الله عز وجل أن يخير زوجاته فربما كان فيهن من تكره المقام معه على الشدة تنزيها له ، فقلن : أخترنا الله ورسوله ، روى البخارى ومسلم — واللفظ لمسلم — عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبى بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا ، قال : فقال والله لاقولن شيئا أضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله : لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة ، فقمت اليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « هن حولى كما ترى يسألننى النفقة » . فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده .. فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا شيئا ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : « **يايها النبى قل لأزواجك — حتى بلغ — للمحسنات منكن اجرا عظيما** » قال : فبدأ بعائشة ، فقال : يا عائشة ، انى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب الا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك . قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية . قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟. بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت . قال : « لا تسألنى امرأة منهن الا اخبرتها ، ان الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسر » وفعلت زوجات النبى صلى الله عليه وسلم مثل

ما فعلت عائشة . وهكذا لم تطب نفوسهن رضوان الله عليهن أن يفارقنه رغبة في صحبته التى لا تعادل لها الدنيا وما فيها وأملا بالبقاء معه ليكون لهن الجزاء الأوفى عند رب العالمين سبحانه ، ويفزن بمصاحبة رسول الله فى جنات النعيم ، ولشدة ركونهن اليه كن يسألنه عن صاحبة الحظ الأوفى التى ستكون أولهن لحوقا به بعد موته ، وقد فهمن من طول اليد ظاهر القول فأخذن يقسن أيديهن بالقصبة وغيرها ، وفى هذا تقول عائشة : « فكنا اذا اجتمعنا فى بيت احدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد ايدينا فى الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا فعرفنا حينذاك أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أراد بطول اليد الصدقة وكانت زينب امرأة صناعة اليد ، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق فى سبيل الله » . . قال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ، وكن رضوان الله عليهن قد فهمن أن المراد الطــول الحقيقى المادى ويبدو أن سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العــامرية ــ كانت أطولهن يدا على الحقيقة ــ وكانت من السابقات فى الاسلام وهى أول من تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وكان قد توفى زوجها السكران بن عمرو العامرى بعد عودتها من الحبشة حيث كانت قد هاجرت معه اليها الهجرة الأولى ، وقيل كان قد مات بالحبشة ،وقد توفيت بالمدينة فى شوال سنة أربع وخمسين من الهجرة الكبرى ، وأما زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية فقد توفيت سنة عشرين من الهجرة ، فكانت أول انسانة لحوقا به صلى الله عليه وسلم ، وما ورد فى صلب الحديث من أن سودة كانت أسرعهن لحوقا به صلى الله عليه وسلم فهو من دخول الوهم على الراوى فى التسمية كما قال محققو الحديث الشريف رضوان الله عليهم ، وهذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفيه جواز اطلاق الألفاظ المشتركة بين الحقيقة والمجــاز بغير قرينة وهو هنــا لفظ أطولكن يدا ، ولما كان السؤال عن الآجال وعلم نهايتها عند علام الغيوب وحــده ولا يعلم ذلك الا بوحى أجابهن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ غير صريح لا يتبين الا فى آخر الوقت عند حدوثه فعلا ولهذا لم يفهمن أن المراد بطول اليد الصدقة الا عند موت أم المؤمنين زينب بنت جحش أولهن بعد رسول الله وكانت رضوان الله عليها أكثرهن تصدقا ، اذ كانت كما مر صناع اليد تعمــل بيدها وتتصدق ، وفضل الصدقة صدقة التطوع وآثارها الحسنة فى المجتمــع الانسانى مما لا تفى به سطوره ، وما أكثر ما حث عليها القرآن الكريم والسنة الشريفة وبرزت واضحة جلية فى فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، واقتدى به أصحابه فى البذل والعطاء مما حفلت به سيرهم عليهم جميعا رضوان الله وسلامه ، والسعيد الموفق من نسج على منوالهم وسار فى دروبهم واقتدى بفعالهم فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليلا ، ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ، وليكن ختام هذا البحث قــول الله تبارك وتعالى :

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

---

(١) الاية ١٨٠ من سورة آل عمران ونصها :

« ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخــلوا به يوم القيامة ولله ميراث الســموات والارض والله بمــا تعمــلون خبير » .

الإسراء والمعراج

دراسة دينية علمية

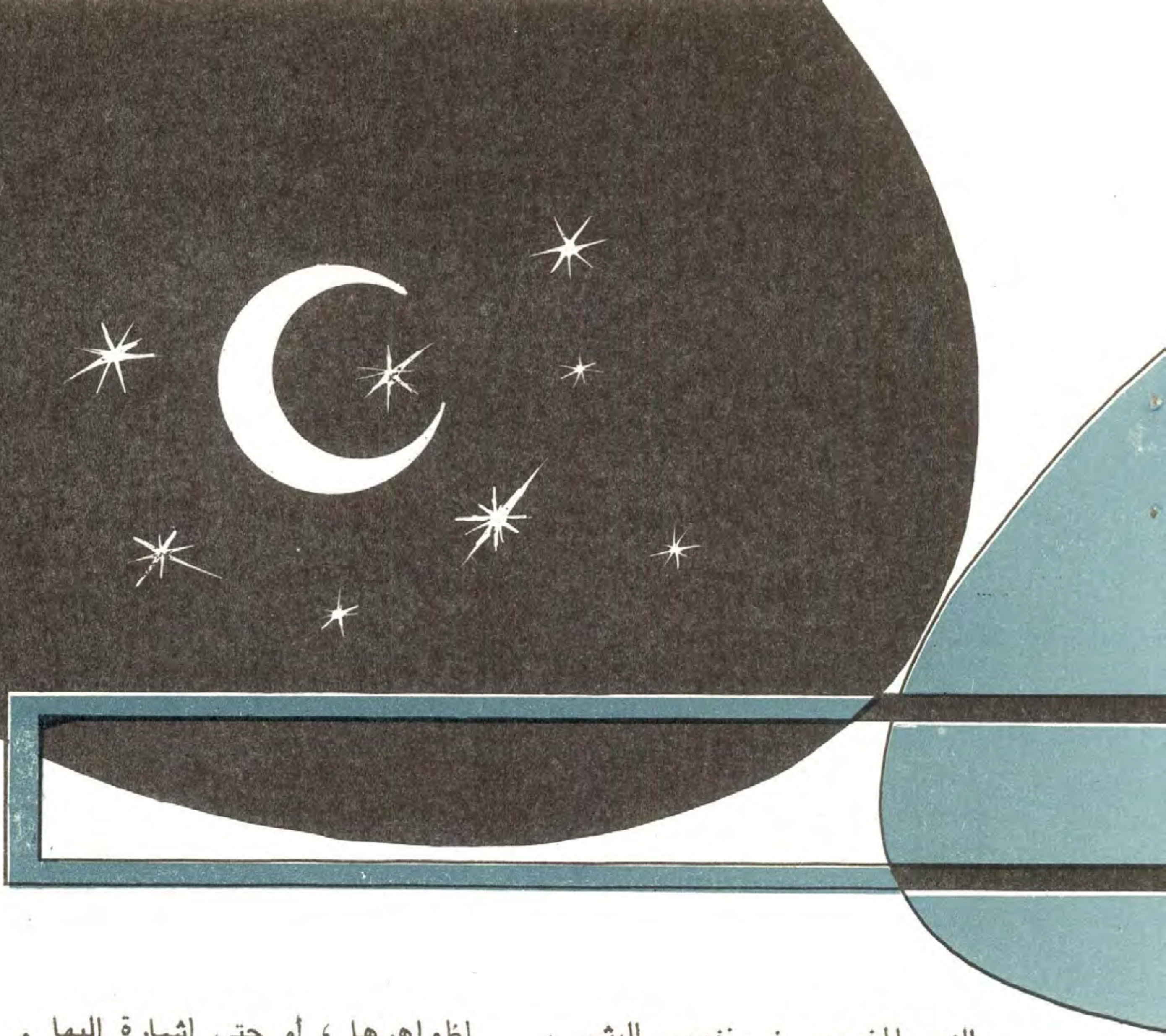
للأستاذ محمد أحمد بدوى

تعود ذكرى الإسراء والمعراج فى السنين الأخيرة وسط انتصارات ما يسمى بغزو الفضاء . وآخر هذه الانتصارات نزول الانسان على سطح القمر ، ودوران سفن الفضاء حوله ، وعودتها آليا ويتحكم مقتدر من الأرض ، كما تعود هذه الذكرى ومهبط الاسراء ومصعد المعراج الى السماء فى أيدى أعداء الله والانسانية من الصهيونيين .

وإن المرء — مهما حاول بعض المفكرين ابعاد القرآن عن التعرض للمسائل العلمية — لا يستطيع ان يطرد عن ذهنه ما تستدعيه أخبار ما يسمى بغزو الفضاء ، من التفكير فى الاسراء والمعراج ، كما لا يستطيع ذلك فيما تستدعيه ذكرى الاسراء والمعراج من التفكير فى غزو الفضاء .

تداع للمعانى متبادل وغير إرادى بين ما يسمى بغزو الفضاء ، وبين الاسراء والمعراج . وقد وجه الإسلام الى تداع آخر متبادل ولكنه إرادى بين النظر فى السماء ، وبين التفكير فى عظمة الكون وعظمة خالقه . وذلك بالندب الى قراءة آيات : ((**إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**)) حين ينظر المرء الى السماء من الليل . وبالندب الى التفكير فى خلق السموات والأرض حين قراءة هذه الآيات . وشدد النبى صلى الله عليه وسلم . فى ذلك ، إذ يقول : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها .

والتفكير فى الآيات الكونية الذى وجه اليه الاسلام فى الكتاب والسنة انما هو إرضاء للتطلع النفسى للتفسير



والفهم المغروس فى نفوس البشر .

على ان جماعة من المفكرين المسلمين يرون — مع علمهم بآلية التداعى بين المعانى المتشابهة ، ومع علمهم بفطرية الدافع الى التفكير للفهم والتفسير ، ومع علمهم بتوجيه القرآن الكريم الى التداعى الارادى

بين الآيات القرآنية وبين ما تشير اليه من الآيات الكونية — هذه الجماعة ترى استبعاد تعريض القرآن الكريم للمسائل العلمية ابتغاء اثبات الموافقة بينهما لخدمة العلم والإيمان ، أو المخالفة بينهما لخدمة الجهل . يريد هؤلاء المفكرون أن يجعلوا التفكير للفهم والتفسير بعيدا

تماما عن أى محاولة للربط بين القرآن الكريم والقوانين العلمية ، ويرون أن القرآن لم يتعرض للمسائل العلمية صياغة لقوانينها ، أو وصفا

لظواهرها ، أو حتى اشارة اليها .

وأهم حجج المبعدين لهذه الصلة بين القرآن والعلم أن القوانين العلمية لا تثبت صيغها على وضع واحد ويستدلون على ذلك بما كان قد أثير فى وقت عن معنى قوله تعالى : « **وارسلنا الرياح لواقح** » من أنها تلقح الأزهار مما كان الخطأ فيه لغويا لا علميا .

وبعض هؤلاء المفكرين يستبطن الخشية على القرآن من العلم ، وقد يحيك فى نفوسهم ما يتعارض من القرآن فى الظاهر مع القوانين العلمية ، ولما يظهر لهم تأويله .

وبعضهم يستبطن الخشية على العلم من القرآن . وهم يضيقون — ولهم الحق — بمن يستند الى ذلك التعارض الظاهرى فى انكار العلم والزراية

به ، والدعوة ضده مما يتسم بالسذاجة والجهل وانعدام المسئولية .

ومما يحتجون به أيضا الخوف من اغراق بعض المفكرين في اخضاع الصياغات العلمية للصياغات القرآنية ، وتكلف التشابه بل الذاتية بين الصياغتين في كثير من المسائل هذا الاغراق الذى يغرى به فرط الحماس الذى تثيره دقة القرآن الكريم في صياغة كثير من القوانين الاجتماعية والأخلاقية صياغات علمية دقيقة . ومن تعبيرات هؤلاء وأولئك أن القرآن الكريم كتاب هداية لا كتاب علم .

ومن المفكرين المفرقين فى ربط آيات الكتاب الحكيم بالعلم ربطا وثيقا استاذنا الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله . وقراءة تفسيره الجواهر — على امتاعها ، وفتحها لآفاق كان يجب أن يرتادها المسلمون — تبرر الحكم على صنيعه بالاغراق . وقد كتب كثير كتابات ممتعة لا تنقصها الروح العلمية ولا المنهج العلمى فى العلاقة بين القرآن والطب ، وبينه وبين علم النفس ، وبينه وبين الفلك .

ولست بصدد محاكمة الفريقين على الموقف المبدئى لكل منهما من علمية القرآن الكريم لكنى سأشير فقط الى ما يخص الاسراء والمعراج من آراء كل منهما مع بيان ما فيه من تجاوز .

إن القول بعلمية القرآن لا يعنى لدى القائلين به أن القرآن كتاب هندسة أو كتاب فلك ، ولكنه يعنى أن القرآن اذا تعرض لآية كونية أو انسانية لغرض الهداية الى عظمة الخالق أو الى الصراط المستقيم في السلوك قد تبلغ عباراته من الدقة مبلغ الصياغات العلمية الحديثة .

وقد تشير الى الحقائق العلمية أو تتمشى معها ولا تصطدم بها ، أو لا تضع الحوائل فى طريقها أو تمهد الطريق للوصول اليها ، ناهيك بما فى القرآن من حث على العلم ، وتقدير للعلماء ، والنعى على اهمال النظر والتفكير والتعقل ، وبما فيه من تأصيل للمنهج العلمى كما صاغه العلم الحديث .

فالخطأ ليس فى القول بعلمية القرآن بهذا المعنى ، ولكن الخطأ فى عدم اتخاذ منهج سليم لا يعرض القرآن الكريم لأن يتأثر بتغيير الصياغات للقوانين العلمية .

ويتلخص هذا المنهج فى تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث — فيما نرى — فى أن ما نصل اليه ونفهمه من القرآن الكريم هو صياغة أو اشارة أو عدم تعارض أو اتساع لحقيقة علمية . ولا ندعى أن ما نفهم هو مراد الله تعالى على الحقيقة ، كما كان يدعى بعض الأقدمين ، وكفر بعضهم بعضا بسبب ذلك . فاذا تغيرت الصيغة العلمية كان الخطأ فى فهمنا لمراد الله تعالى من آياته لا لمراد الله تعالى فى ذاته .

ومتى اتبع هذا المنهج انفتح باب من الدراسات الاسلامية العلمية مما يضع الأساس السليم لانطلاقة علمية من فروض اسلامية فى الكون والحياة انطلاقة تأخرت بغير مبرر فتأخرنا عن الأمم بتأخرها .

ان الفريق الأول يريد أن يفسر الاسراء والمعراج بعيدا عن استصحاب أى معلومات عما اكتشف العلم من حقائق ، لا سيما ما يتعلق منها بما يسمى غزو الفضاء . ولا أدرى أهذا الفريق اذ يرفض ما يمكن

ان يقال عن هذا الموضوع فى عصر العلم ، يقبل كل ما قيل فيه فى عصور الجهل والخرافة . أى اغلال يريد أن يكبل بها هؤلاء الفكر الاسلامى عن الانطلاق العلمى من مواقف اسلامية ، وفروض قرآنية يكمل ، ويسند ، ويغنى الانطلاق العلمى من المواقف والفروض المستخدمة حاليا .

أما الفريق الثانى أو جزء منه فيحاول عقد مقارنة ساذجة بين الاسراء والمعراج ، وبين ما يسمى بغزو الفضاء ، تحت اغراء شديد من المشابهة الظاهرة بين صعود النبى صلى الله عليه وسلم . الى السماء وبين صعود سفن الفضاء الى القمر والكواكب القريبة من الارض ، ولهؤلاء نقول : أين القمر ؟ بل وأين ابعد كواكب المجموعة الشمسية (بلوتو) من ذلك الكون الواسع ؟ وأى فضاء ذلك الذى يتكلمون عن غزوه ؟ وما هو ذلك الغزو ؟ من المنتصر ومن المهزوم ؟

يحاول البشر فى القرن العشرين ان يبعدوا عن الأرض وأن يخرجوا من قبضة جاذبيتها بما آتاهم الله من نعمة العلم بقوانينه الكونية . وقد افلحوا . لكن الخالق أغزى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم . فضاء كونه الأعلى غزوا حقيقيا لا يقاس به ما يزعم البشر أنه غزو للفضاء ، وبطريقة اذا قيست بها طرق البشر كانت قدرة البشر صفرا . ولا يعنى ذلك أن نقلل تقليلا ساذجا من القدرة البشرية الفائقة اذا قيست اليوم بما كانت عليه بالامس ، أو اذا قيس ما يمتلكه منها فريق من البشر بما يمتلكه فريق آخر .

ان رحلات زوند وسيوز ومارينر وابوللو لعمل عظيم بالنسبة لما كانت عليه قدرة البشر بالأمس القريب . أما رحلة النبى محمد صلى الله عليه وسلم . الى السماء فهى معجزة لا يتطلع الى عشر معشارها أوسع الخيالات العلمية جموحا . والعلم الحديث بكل اتساعه وعمقه لم يقدم الى الآن أى طريقة لتصور صعود النبى صلى الله عليه وسلم الى السماء .

ان تفكير المسلم ليهدف من ضمن ما يهدف اليه فى عمليات التداعى الى معرفة : هل التشابه بين الاسراء والمعراج وبين صعود سفن الفضاء تشابه ظاهرى أم تشابه حقيقى بمحاولة تصور الأمرين على السواء.

ويغرى بالقول انه تشابه حقيقى انسياقا الى تصيد ما يبدو أنه يؤيد وجهات نظرنا من أحداث جديدة . فلما جاءت محاولات غزو الفضاء تلقفناها لنستدل بها على صدق واقعة الاسراء والمعراج وهو استدلال فى غير مطلبه . لأن واقعة الاسراء والمعراج لم تكن لتنتظر قرابة الألف والخمسمائة عام لوقوع ما يصدقها. فالواقعة ثابتة بطرق لا يرقى اليها الشك ، ولا تبعد عن المناهج المعتمدة للاستدلال .

كما يردنا الى القول بأن التشابه بين الاسراء والمعراج تشابه ظاهرى حقائق علمية لا يمكن اغفالها وتجدر الاشارة هنا — دون تفصيل — الى أن الاسراء يمكن تصوره فى ضوء الحقائق العلمية المتاحة . أما المعراج فجد مختلف .

لما جاء الاسلام أطلق تصور الناس عن الزمان والمكان من قيوده الى أوسع مدى يمكن أن يبلغه الخيال البشرى ، فى ذلك العصر ، وفى العصور التالية حتى عصرنا عصر الصواريخ . وقدم الاسلام التمهيد الضرورى للتصور الحديث للزمان

والمكان . ولقد كان فرعون يطلب صرحا يبلغ به اسباب السموات ليطلع الى إله موسى مما يدل على مدى التصور البشرى فى ذلك الوقت لاتساع الكون .

وفى اتساع المكان قال القرآن الكريم : ((**والسماء بنيناها بأيد ، وانا لموسعون**)) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان كل سماء بالنسبة الى تاليتها كحلقة ملقاة فى فلاة . وفى اتساع الزمان قال القرآن الكريم : ((**وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون**)) . وقال : ((**تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**)) . ولعل المبعدين للقرآن عن العلم ، وللعلم عن القرآن كانوا يريدون أن يقول البارى سبحانه : خمسين الف سنة نورية ليعترفوا بوجود علاقة متبادلة بين القرآن والعلم .

لقد وضع الاسلام البشر على أول الطريق لتقريب اتساع الزمان والمكان الى تصورهم . وأوصل العقل البشرى الى المرحلة السابقة مباشرة والمهدة التمهيد الضرورى للمراحل الحالية والتالية فى تصوره للزمان والمكان . وجاء الفلك الحديث فوجد العقل البشرى قد خطا أولى الخطوات فخطا به خطوات أخرى واسعات .

إن اتساع الكون قد أصبح الآن فوق التصور ، بحيث أن تسمية رحلات الفضاء غزوا للفضاء أمر أبعد ما يكون عن الدقة العلمية ، بل هو مجاز منقطع الصلة بالحقيقة .
وبغير لجوء الى الأرقام التى تصف اتساع الكون ، والتى تصيب بالدوار حتى عقول جبابرة علم الفلك ، يمكننا أن نقول : ان رحلات الانسان الى الفضاء لن تبلغ فى المدى القصير ، ولا فى المدى البعيد جدا — بحسب ما أتيح الى الآن من الحقائق العلمية — إلا كسرا ضئيلا جدا من أبعاد الكون . ولن تصل رحلاته المقبلة تبعا لأوسع الخيالات العلمية انطلاقا الى أبعد من كسر ضئيل جدا من المسافات التى وصلت الرياضة الفلكية الى حسابها .

إن غزاة الفضاء الشجعان والمخططين لهم ليس عندهم من الحقائق العلمية الى الآن ما يمد أملهم الى ارتياد أجرام أبعد من الشمس وبنيها (الكواكب) وأحفادها (الأقمار) . أما باقى النجوم — وشمسنا واحدة منها — فهى من البعد عنا بحيث ان الصواريخ — حتى بسرعة عشرين الف ميل فى الساعة — تعتبر وسيلة بدائية جدا ، وغير عملية على الاطلاق لارتياد أفلاكها . واذا كان التمثيل يقرب المعنى فان المشى بسرعة النملة وسيلة متقدمة جدا لعابرى القارات وذات كفاية عالية جدا فى هذه المهمة ، اذا قيست بوسيلة الصواريخ بالنسبة لغزاة الفضاء .

إن أقرب الاجرام السماوية الى الأرض هى أفراد أسرة الشمس . وأقرب أجرامها الى الأرض القمر . والوصول اليه بسفن الفضاء يستغرق ١٢ ساعة تقريبا اذا سار اليه الصاروخ فى خط مستقيم ، وبسرعة منتظمة (٢٠٫٠٠٠ ميل فى الساعة) وهو لا يسير اليه فى الواقع : لا فى خط مستقيم ، ولا بسرعة منتظمة . ويلى القمر فى البعد عن الأرض كوكب الزهرة أثناء توسطها بين الأرض والشمس . وبعدها المتوسط عن الأرض يبلغ ٢٦ مليون ميل ، يقطعها الصاروخ فى خط مستقيم وسرعة منتظمة فى ٥٤ يوما تصل فى الواقع الى ما يزيد عن الأربعة

اشهر . وابعد اخوة الأرض عنهـا بلوتو الذى يصل اليه الصاروخ بالشروط السابقة (الخط المستقيم والسرعة المنتظمة ٢٠٫٠٠٠ ميل فى الساعة) فى احدى وعشرين سنة وربع سنة . ويصل اليه ضوء الأرض المنعكس من الشمس فى خمس ساعات ونصف ساعة .

وقد ضرب العلامة الدكتور أحمد زكى مثلا لأبعاد أسرة الشمس فيما بينها فقال : اذا كانت الشمس قرصا قطره أزيد من ثلاثة أرباع المتر فان عطارد يكون عدسة على بعد ٣٦ مترا من القرص ، وتكون الزهرة حبة فول على بعد ٦٧ مترا منه ، وتكون الأرض حبة فول اكبر قليلا من الزهرة على بعد ٩٣مترا ، ويكون المريخ كسمسمة تبعد عن القرص ١٤٢ متر ويكون المشترى كبرتقالة على بعد ٤٨٢ مترا ، ويكون بلوتو حبة فول على بعد ٣٦٧٠ مترا .

وبالرغم من هذه الأبعاد الشاسعة فان أفراد الأسرة الشمسية تبدو متلاصقة بمقارنة ابعادها فيما بينها ، وبمقارنة أبعاد النجوم بعضها عن بعض وعن المجموعة الشمسية . ولعل تلاصق أفراد المجموعة الشمسية هو نتيجة لشعورها بالوحدة القاسية وسط مجموعات النجوم . فان أقرب مؤنس لهذه الأسرة من غير افرادها هو الف قنطورس . وهو احد نجوم كوكبة قنطورس التى ترى فى السماء فى نصف الكرة الجنوبى . وبعده عن الشمس ٤٫٣ سنة ضوئية . ويقول العلامة الدكتور أحمد زكى : اذا كانت الشمس نقطة حبر على هذه الورقة فان الف قنطورس نقطة أخرى تقع منها على بعد أربعة أميال .

إن حساب زمن الوصول الى الف قنطورس من اى فرد من افراد أسرة الشمس بسرعة الصاروخ لهو أمر بالغ السخف . ولو فكرنا فى حساب زمن الوصول الى القمر من الأرض بسرعة السلحفاة لكان تفكيرنا هذا أقل سخفا من التفكير فى زمن وصول الصاروخ الى الف قنطورس ، لأنه سيصل اليه فى مائة واثنين وأربعين الف سنة .

ومن يريد أن يعرف بعد الف قنطورس عن المجموعة الشمسية فما عليه إلا أن يضرب سرعة الضوء (١٨٦٫٠٠٠ ميل فى الثانية) فى عدد الثوانى الموجودة فى ٤٫٣ من السنين ليجد أمامه الرقم ٢٥ وأمامه ١٢ صفرا أى ٢٥ مليون مليون ميل . فلو زال الف قنطورس من الوجود أو انطفأ فجأة لاستغرق آخر شعاع صدر منه ٤٫٣ من السنين كى يصل الينا لينعى غياب هذا الجار القريب ، مما يجعلنا نهز اكتافنا قائلين : يرحمه الله .

ومن النجوم ما يصل الينا ضوؤه فى عشرات السنين ، ومنها ما يصل فى مئاتها ، ومنها ما يصل فى آلافها ومنها ما يصل فى ملايينها ، ومبدع السموات يقول : « **والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون** » .

ان تسمية رحلات الفضاء غزوا للفضاء تجاوزا نستسيغه لارضاء غرورنا . فان السفن التى دارت حول المريخ أو حتى التى اتخذت مدارا حول الشمس لم تقطع من مسافات الكون الا نسبة مماثلة لما يقطعه المتحرك بمقدار سنتمتر الى القمر . ونكرر اننا لا نبخس العقل البشرى خطواته الواسعة بالنسبة لما كان يتحركه من قبل فى كشف المجهول .

إن غزو الفضاء وراء المستعمرة

الشمسية يتحقق فى ظروف خاصة مستحيلة عمليا ، مثل أن يصعد فى الفضاء جماعات كبيرة من العلماء وفى سفن كبيرة تسمح بتزواجهم وتسلسل الأجيال فيهم ، ويكون من نصيب الجيل المكمل للخمسة آلاف

من جيل بدء الرحلة الوصول الى كوكب من كواكب ألف قنطورس — اذا كان له كواكب.لأن ألف قنطورس ملتهب ، والقرب منه فوق حد محدود يكفى لاحتراق أى مادة نعرفها على

الأرض وتحويلها الى بخار . وقد يتيسر مثل هذا المشروع لو اخذنا الأرض نفسها كسفينة فضاء وسرنا بها فى اتجاه النجوم .

ومن أحلام العلماء فى النوم أوفى اليقظة ان يرسل الانسان أو غيره كرسالة لاسلكية بأن يوضع فى جهاز ارسال لاسلكى ليفتته الى بروتونات والكترونات بل جسيمات منها ثم يستقبله جهاز إخر يجمع هذه الجسيميات مرة أخرى على الهيئة التى وضع بها فى جهاز الارسال ..

ويا ويل هذا الطرد اذا لم تنضبط له المحطتان انضباطا تاما .. ان تفرقه — اذن — لن ينتهى ابدا الى اجتماع .

واذا نجح البشر فى صنع الجهازين .. واذا نجحوا فى وضع جهاز الاستقبال فى مكانه بطريقة السفر الجماعى بعد آلاف الأجيال فان الموجات المرسلة من جهاز الارسال قد تحتاج الى عشرات السنين بل الى آلافها بل الى ملايينها للوصول بالطرد الآدمى اللاسلكى الى بعض النجوم ان طال به العمر .

وهنا يستيقظ العالم مذعورا ليقول : « **لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس** » . وصدق الله العظيم .

هذا والاسراء والمعراج رحلتان متمايزتان ، لم يتح التمييز الدقيق بينهما إلا فى العصر الحديث ، وبفضل العلم الحديث ، وما حقق للبشرية من معجزات . فرحلة الاسراء رحلة أرضية جوية ، وبتعبير حربى رحلة من الأرض للأرض . أما رحلة المعراج فرحلة سماوية بكل معنى لكلمة سماوية .

واذا كانت سرعة الصواريخ قد قربت لنا تصور كيف سارت رحلة الاسراء فان سرعة هذه الصواريخ لن تساعد على أن نتصور كيف سارت رحلة المعراج . وحتى سرعة الموجات اللاسلكية لن تساعد على تقريب هذا التصور .

ويبقى على المتكلمين فى علمية القرآن بمنهج وبغير منهج الا يحملوا الاسراء والمعراج عبء الدلالة على علمية القرآن الا بالقدر الذى أشرت اليه فى رحلة الاسراء .

واذا تداعت معانى السفر بين الاجرام السماوية حين يذكر الاسراء والمعراج ، أو تداعت معانى الاسراء والمعراج حين يذكر السفر بين الاجرام السماوية ، تداعيا آليا ، أو بتوجيه من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فان الح أنواع هذا التداعى لهو وجود مهبط الاسراء ومصعد المعراج فى أيدى أعدائنا وأعداء الله وأعداء الانسانية .

إن مصيبة الاسلام باحتلال الصهيونيين لبيت المقدس لهو من العظم والفداحة بحيث نجد انفسنا منساقين الى وصفه بالتاقيت . والى قياس هذا الاحتلال على احتلال الصليبيين له فى القرنين السادس والسابع الهجرى . ذلك الاحتلال الذى انتهى بالجلاء حين توحد العرب . وذلك الأمل لا يرجع عندنا

كما يعتقد الصهاينة الى قدر غيبى ، بل هو نابع من تصميم على العمـــل لازاحة هذا الكابوس بجد لا يعـــرف الهزل ، وعمل لا يعتريه الملل .

واذا كانت مؤتمرات القمة وغيرها من المؤتمرات الاسلامية تتمخض عن مواقف متخاذلة فرضتها عوامل لا حصـــر لها ، فان هـــذه المواقف قد وضعت المسلمين أمام عوامل تفرقهم وضـــعفهم ، ودلت على ما يجب أن يلتمس لها من علاج . فضلا عن انها بينت للذين يعلقـــون على التجمـــع الاسلامى الآمال انه لا يزال أمامهم عمل كبير للتخلص من أسباب تخلفهم الدينى والدنيوى .

وان التعلل بأن الله لا يرضى لبيت المقدس أن يظل فى أيدى الصهاينة ، وتحميل آيات سورة الاسراء ما لا تحتمل من الاتكالية الخرقاء ، لهـــو صيغة أخرى لقول الصهاينة لموسى : **((اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون))** . انه لن يظهر أبدا للعالم غير المسلم ما اذا كان ربنا راضيا عن ذلك الاحتلال ، أو غير راض الا اذا غيرنا بأيدينا الوضع لتصدق كلمـــة الله فى سورة الاسراء : وان عدتم عدنا . أى ان عدتم الى الافساد بعد المرتين المذكورتين فى الآيات السابقة عدنا عليكم بالاذلال .

وإن حتمية أن يغلب مائة مليون عربى المليونين من الصـــهيونيين لا ترجع الى كونهـــم مائة مليـــون فى العدد ، فان فى ذلك مدا آليا فى حبال الاستعداد ، وتمهيدا ذهنيا للتكاسل ، ولكن هذه الحتمية ترجع الى كونهـــم مائة مليون يعملون امكاناتهم المتاحة بكفاءة ، ويحصـــلون من الامكانات الأخرى بوعى بالزمن ، وبأبعـــــاد المعركة ، وبسرعة العصر .

لقد كان تضييق تصور وســـائل النصر ، وحصرها فى الاســـتعداد العسكرى ، والكثرة العددية هـــو سمة الاستعداد السابق على ٥ يونيه ســـنة ١٩٦٧ . ومن الدروس التى يجب أن تستفاد من النكسة الا نقصر اســـتعدادنا على هاتين النـــاحيتين فحسب ، بل لا بد من أن يشـــمل الاستعداد التعبئة العلمية والخلقية التى تتمثل فى النظام ، وتقـــدير العلم ، والاخلاص فى العمل ، وبذل الجهد فى الانتاج ، ومحاربة الانحلال والتخلف ، والثقـــة فى القـــادة ، واصطناع المنهج العلمى فى حياتنـــا

بقيت فى هذه الدراسة كلمة . أن ذكر الاسراء فى مطلع الآيات التى تحكى أكبر مرتين أفسد فيهما اليهود فى العالم ليشبه أن يكون اشارة الى أن ثمة علاقة ما بين المسجد الأقصى وبين افساد اليهـــود فى الأرض ، يمكن أن نستنتج منها أن احتـــلال المسجد الأقصى سيكون أشد مظاهر عودهم للافساد ، وأقوى دواعى عود الله عليهم بالقهر والاذلال . اذ يقول جل وعلا : وان عدتم عدنا . ولا أعنى بهذا إلا أن عودة الله عليهم بالقهر لن تكون إلا بأيدينا وأخـــلاقنا وعقولنـــا وعلمنا .





الاسراء والمعراج

الاسراء فى الاصطلاح الشرعى : هو انتقال النبى صلى الله عليه وسلم من مكة التى بها المسجد الحرام . الى بيت المقدس بالشام .

والمعراج ، يراد به صعود النبى صلوات الله وسلامه عليه من بيت المقدس من مكان العبادة والسجود — موضع المسجد الأقصى — الى السموات العلا وما وراء الحجب ، مخترقا الفضاء بأمر الله وارادته وقدرته التى لا تحد ولا تخضع للسنن الكونية .

فالاسراء والمعراج رحلتان دينيتان عزيزتان : احداهما أرضية وهى الاسراء لأنها بدأت من مكة التى بها المسجد الحرام والتى أصبحت كلها حرما الى مكان العبادة والتقديس بيت المقدس عند موضع المسجد الأقصى . وهذه الرحلة التى ذكرها الله سبحانه فى قوله : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا** » .

أما الرحلة الثانية : فانها سماوية من بيت المقدس حيث انتهت الرحلة الأولى والتقى الرسول فيها ببعض اخوانه من النبيين الذين بعثهم الله فى تلك الليلة لاستقباله وتحيته الى السموات السبع ، ثم سدرة المنتهى ، ثم الى ما فوق ذلك مما لا تدركه عقولنا ولا تنفذ اليه حيث رأى وسمع ما لا يعلمه إلا الله . وهذه الرحلة هى التى يشير اليها — كما يقول المفسرون — ما جاء فى سورة النجم من قول الله سبحانه : « **والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى . فاوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى** » .



وأثر ذكراهما في نفوسنا في الظروف الحالية

للدكتور : محمد سلام مدكور

وهاتان الرحلتان من أبرز الخوارق التى أكرم الله بها رسوله ايناسا له وطمأنة لخاطره وقد لاقى من قومه الكثير من الأذى والعناد فلم يلن جانبه ولم يتخل عن دعوته أو يتوان فيها . بل صبر وثابر وتحمل الأذى وقاوم فاستحق أن ينعم الله عليه بهذا الفضل وأن يعطيه هذا الأجر ليثبت فؤاده ويقوى إيمانه وليتخذ منها زادا يدفعه الى الأمام ويمسح عنه الآلام ويمهد له حياة جديدة يرى فيها اشراقة النور الإلهى تغمر قلبه ، وتبث فيه آيات الرضا والاطمئنان .

••• ••• •••

كان يوم الاثنين ليلة سبع وعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بعام وكان ذلك يوافق سنة ٦٢١ م وفى هجيع الليل والناس نيام حدثت الرحلتان . إذ أخبر الصادق الأمين الناس عندما استيقظوا من نومهم انه استيقظ عقب نومه على صوت يصيح به : أيها النائم قم . فقام وإذا به أمام الملك جبريل وفى يديه دابة عجيبة هى البراق لها أجنحة كأجنحة النسر ، وطلب الملك جبريل منه أن يمتطيها ، فلما هم انحنت له ثم انطلقت به انطلاقة السهم متجهة نحو الشمال وبصحبته الملك جبريل ، ووقف به البراق عند جبل سيناء . حيث كلم الله موسى . ثم وقف مرة أخرى فى بيت لحم حيث ولد عيسى ثم انتهى به الى بيت المقدس . وهناك صلى على أطلال هيكل سليمان ، ومن خلفه من أوفدهم الله سبحانه من الأنبياء لاستقباله .

ثم بدأت الرحلة الثانية من حيث انتهت الرحلة الأولى فعرج به الى السماء مخترقا الحجب والفضاء حتى السموات السبع ثم سدرة المنتهى التى ينتهى عندها جبريل فلا يتعداها ، ثم كرمه ربه أكثر من ذلك فرأى نور ربه واستمع الى أوامره وهو الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، وقدرة الله لا تحد ، ولا يحول

بين تنفيذ ارادته شيء وصدق الله العظيم : ((**ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى**)) .

وفى هذه الرحلة السماوية فرض الله على الأمة الاسلامية فريضة الصلاة وجعلها خمس صلوات فى اليوم والليلة ، والصلاة هى ابرز أركان الجانب العملى فى الاسراء والمعراج كما أنها الركن الأول العملى من أركان الاسـلام بل هى عمـاد الدين .

وكان لا بد أن يحدث رسول الله قريشا عن رحلته الخارقة للعادة ، ويبلغ المسلمين أمر ربه بتكليفهم بالصلاة ، فلما هم بالخروج بعد أن أخبر من معه فى الدار اشفقت عليه أم هانىء — أخته فى الرضاعة وبنت عمه وكان يبيت عنـدها تلك الليلة — وحاولت أن تحول بينه وبين ذلك خشية أن يكذبه الناس أو تسخر منه قريش وقالت : يا نبى الله لا تحد ثالناس فيكذبوك ويؤذوك ! فقال : والله لأحدثنهم . وكان ما توقعته أم هانىء ، بل ارتد بعض المسلمين وقالوا : والله ان العير لتسير شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة افيذهب محمد فى ليلة واحدة ويرجع ؟! وذهب ناس الى ابى بكر فقالوا : هل علمت يا ابا بكر ان صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة ، فلم يصدقهم أبو بكر فيما نسبوه الى الرسول . ولما استوثق من صدق الرواية عن الرسـول عليه السلام صدق وقال : والله لئن كان الرسول قال هذا فانى أؤمن به واصدقه ، وما تعجبكم من ذلك ؟! انه ليخبرنى ان الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تتعجبون منه !! وذهب للقاء الرسول ، وكان نفر من قريش — وقد بلغهم الخبر — قد طلبوا منه صلوات الله عليه أن يصف لهم بيت المقدس فأخبرهم عنه ووصفه لهم وصفا دقيقا ، وكان ابو بكر قد زاره من قبل ، فكلما سمع منه وصفا صدق وآمن وقال : أنه الحق ، كما أخبرهم الرسول عن قوافلهم التجارية الى الشام وعن عيرهم أين لقيها ومتى تصل . فآمن الكثير منهم عندما تأكدوا من صحة ما قال . وذلك بعد أن كانوا يظنون به الظنون .

وبهذه الرحلة المباركة يكون الله سبحانه جلّ شأنه قد ربط بهذا الأمر بين أول بقعتين فى الأرض خصصتا للعبادة كما ربط بعد ذلك فى الرحلة الثانيـة بين السماء والأرض وجمع بذلك الكون كله فتكشفت له خصائصه وأراه الله من آياته الكبرى ما لم يره أحد . وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى سورتى الاسراء والنجم فى قوله : ((**سبحان الذى أسرى بعبـده ليلا من المسجد الحـرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا**)) وفى قوله : ((**.. ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ..**))

وقد اختلف الكتاب وبعض المفسرين فى كيفية الاسراء والمعراج . هل حدث له صلوات الله عليه ذلك بجسده وروحه أم بالروح فقط دون الجسد ؟

فهناك من قال : انهما كانا بالروح فقط .

وهناك من فرق فى ذلك بين الاسراء والمعراج ، فقال ان الاسراء كان بالروح والجسد أما المعراج فقد كان بالروح وهو فى اليقظة . ومن هؤلاء الامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

وذهب الأكثرون الى أن كلا من الاسراء والمعراج كان بالروح والجسد معا لأن الله سبحانه أشار الى حادث الاسراء اشارة صريحة اذ يقول : ((سبحان الذى أسرى بعبده)) .. وهذا يفيد أن الاسراء كان فى اليقظة بالروح والجسـد لأن الله سبحانه صدر الخبر بقوله ((سبحان ..)) ليشعر بأن من فعل هذا وأحدثه يستحق التنزيه والتعظيم ، كما أن الاسراء لم يكن من عمل الرسول نفسه وإنما كان بفعل الله إذ يقول : ((أسرى بعبده ..)) فنسب الاسراء به اليه جلّ شأنه ،

كما ان اخباره بأنه اسرى بعبده والعبد ليس روحا فقط ولا جسدا فقط وإنما هو الروح والجسد معا ، فهذا يفيد ايضا أن الاسراء كان فى اليقظة وبالروح والجسد .

واستدل المفسرون على أن الاسراء إنما كان بالروح والجسد وفى حال اليقظة بجملة احاديث بلغ رواتها أكثر من ستة وعشرين صحابيا وادت كلها هذا المعنى .

على أن موقف قريش ، وتعجب أم هانىء وخشيتها عليه من أن تسخر به قريش حين قص عليها ما وقع له ، وارتداد بعض المسلمين عند سماع ذلك ، وعدم تصديق أبى بكر رضى الله عنه نسبة الخبر للرسول أولا . كل ذلك لا يتفق بحال مع القول بأنذلك كان مجرد رؤيا وهو نائم أو حتى انه كان فى حال اليقظة لكنه كان بالروح فقط . إذ لا عجب ولا غرابة فى شىء من هذا حتى بالنسبة للفرد العادى فقد يرى الشخص العادى مثل ذلك فى منامه ويتنقل فى رؤياه من مكان الى مكان ومن صورة الى صورة سواء كان بينهما تقارب أو تباعد ، كما يمكن أن يتخيل الفرد فى يقظته أن روحه سبحت فى الفضاء ويتخيل صورا كثيرة بعيدة وقريبة ويتصور كلاما ونقاشا وافعالا عديدة خارقة وفوق ما يتصوره العقل واذا ما قصه على الناس على هذا الوصف لا يأخذهم شىء من العجب والاستغراب ولا يأبه احد لما يقول ، ولا يخشى من تكذيب الناس له والانشقاق عليه واتهامه بالكذب والجنون .

ثم ما معنى قول الله سبحانه : **« ما زاغ البصر وما طغى »** والبصر لا يزيغ ولا يطغى الا فى الجسم ، واذا كان من المسلم به أن الصلاة فرضت فى هذه الرحلة فكيف يستسيغ العقل انها كانت نتيجة رؤيا أو خيال ، ولِم لمْ يوح إليه بها كسائر التكاليف والعبادات .

واذا كنا نؤمن ونصدق بأن الله أوحى اليه ما أوحى وأن ملك السماء ينزل عليه بأمر ربه ، فما الذى يوجد شيئا من التردد فى تصور حدوث ذلك بالروح والجسد وحصوله فعلا وقدرة الله لا تقف عند حد ، ولا تخضع لتصور العقل .

وإذا كان هذا من الأمور السماعية التى لا مجال للعقل فى الحكم عليها ، وانما يخضع الأمر فيها الى الايمان الكامل بالله والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ففيم الجدل والخلاف ورحم الله أبا بكر فقد أصاب كبد الحقيقة . ووضع الدليل واضحا أمام كل مؤمن بالله ورسالة محمد حين قال : والله لئن كان الرسول قال هذا فانى أؤمن به وأصدقه ، وما تعجبكم من ذلك ؟! انه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى لحظة فأصدقه . .

••• ••• •••

على أن المعجزات والخوارق كثيرة متباينة حتى فى خلق الانسان نفسه ، وكلها فوق ادراك العقل وتصوره وكلها لا تخضع للنواميس الطبيعية ، ولا تأتى على وفق ما هو معتاد والا لما كانت معجزات .

وقد حدثنا القرآن كماحدثتنا الكتب السماوية السابقة عن الكثير من الخوارق والمعجزات فآمنا بها وصدقنا نتيجة إيماننا بالله ورسالاته . فلم يريد بعض الناس اخضاع هذه المعجزة دون غيرها لحكم العقل ؟!

وهل كانت معجزة عصا موسى التى شق بها البحر ، والتى انقلبت ثعبانا يجرى أمام السحرة حلما وخيالا ؟!

وهل خلق عيسى بن مريم من غير أب أمر يخضع لمنطق العقل . وهل تكلم عيسى وهو فى المهد صبيا عندما سأل الناس مريم عنه وهى تحمله رضيعا ،

فأشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مبـــاركا أينما كنت . . هل هذا مما يخضـــع لمنطق العقـــل ؟

وهل تسخير الريح لسليمان يستخدمها فى غدوه ورواحه مما ورد فى قوله تعـــالى : ((**ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه**)) هل هذا مما يخضع لمنطق العقل ؟!

وهل قصة بلقيس وقد طلب نبى الله سليمان عرشها فنقل من اليمن الى الشام قبل أن يرتد اليه طرفه كما يحدثنا القرآن على لسان سليمان : ((**يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك قبل أن يرتد اليك طرفــك**)) هل هـــذا ممـــا يخضـــع لمنطق العقل

وهل قصة المائدة التى نزلت على عيسى بناء على طلب الحواريين ودعوته لربه وهى التى أشار اليها قول الله : ((**إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن ناكل منهـــا وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صـــدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم**)) فهل هذا مما يخضع لمنطق العقل ؟.

إلى غير ذلك من المعجزات والخـــوارق الكثيرة التى حـــدثت عنها الكتب السماوية مثل القاء ابراهيم فى النار وعدم احتراقه بها وانما كانت بردا وسلاما ، وجمعه عليه السلام أربعة من الطير وتقطيعها وجعله على كل جبل منهن جـــزءا ثم دعوته لها واستجابتها لدعوته مسرعة باذن الله ليريه كيف يحيى الموتى ويشير الى القصة الأولى قول الله تعالى : ((**قالوا حرقوه وانصروا آلهتـــكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم**)) . ويشير الى القصة الثانية قول الله تعالى : ((**وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيىالموتى . قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا**)) .

وما دام العقل يقبل المعجزات والخوارق وان كانت فوق المستوى فلم الجدل والنقاش حول الاسراء والمعراج وكونه فى المنام أو فى اليقظـــة بالروح فقط أو بالروح والجسد . فلتكن هذه معجزة من المعجزات العديدة التى تدل على قدرة الله وعظمته . أليس الله بقادر على أن يحيى الموتى ويبعث من فى القبور وهو على كل شىء قدير ، وقدرته سبحانه فوق الشك والتهم .

وإذا كان من الفلاسفة من ينكر حدوث المعراج ، ويقولون : ان الحركـــة المبالغة فى السرعة الى هذا الحد الذى يجعله يصل من مكة الى بيت المقدس ومنه الى السموات العلا فى جزء من الليل أمر غير معقول بل محال . فاننا نستطيع أن نرد عليهم بأن قدرة العلم الحديث مكنت الانسان من اختراق الفضاء والصـــعود الى القمر ، وها هم العلماء يستعدون للوصول الى غيره من الكواكب مخترقين الفضاء أفتعجز قدرة الله خالق الانسان والكـــون مالك الملك الذى يحيى ويميت عن مثل هذا ؟!

واذا كان العقل بتصوره القاصر يستبعد حدوث هذا وتمنع العادة أن يقطع الانسان مثل هذه المسافة فى هذه الفترة ، وأن يخترق هذه الحجب وذلك الفضاء من غير واسطة آلة فان ذلك يكون مستساغا لو قلنا أن ذلك من فعل بشر أيا كان

ذلك البشر . لكن الاسراء والمعراج لم يكن بفعـل محمد بن عبد الله ولا بارادتـه وانما كما يفيده النص القرآنى على ما أشرنا قبل بمعرفة الله وقدرته ، وقدرته جل جلاله لا تقف عند حد ولا يخضع فى تصرفه فى ملكه لسنن كونية ، واذا كان العلم مكن الانسان كما قلنا من اختراق الفضاء بواسطة الآلة التى صنعوها بأيديهم فان محمدا صلوات الله عليه طوى الأرض واخترق الفضاء بواسطة ما أعده الله له وصنع الله فوق صنع البشر ، وهو سبحانه اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكن . فاذا أراد لمحمد بن عبد الله الذى اصطفاه من بين خلقه وصنعه على عينه أن يكون رجل الفضاء الأول وأن يخترق تلك الحجب ويطوى هـذه المسافات دون خضوع لنظريات علمية ولا اعتماد على آلات صناعية ــ كان لا بد من ذلك ، وكان من واجبنا ما دمنا نؤمن بالله ورسالاته أن نصدق بذلك ونؤمن به دون أن يداخل نفوسنا أدنى شك .

وأيا ما كان من كيفية الاسراء والمعراج فإنه لا شك ان فى هذه الرحلة المباركة من تكريم الرسول وعلو شأنه ما فيه ، فقد أراه الله من آياته الكبرى ما يبهر العقول ورجع من رحلته مشمولا بعناية الله متشحا بالكمال وقد حوت هذه الرحلة غير فريضة الصلاة كثيرا من العظات العلميـة والعبـر التى هى بمثابة دروس عملية يأخذ منها الرسول عليه السلام الارشادات والنذر فيبشر بها الصالحين أعمالا وينذر بها المعاندين العصاة .

وقد يكون من حق القارىء على أن أشير له الى قصة فتح المسلمين لبيت المقدس وخضوع هذه الأرض بما عليها لسلطان المسلمين منذ نحو أربعة عشر قرنا حين فتح المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب الشام بقيادة عمرو بن العاص ، وقد كانت تحت سلطان الروم . ثم دخل أمير المؤمنين عمر بنفسه مدينة القدس وكتب لأهلها عهدا أمنهم فيه على أنفسهم وعلى أموالهم وعلى كنائسهم وصلبانهم ، ويقول فى عهده هذا :

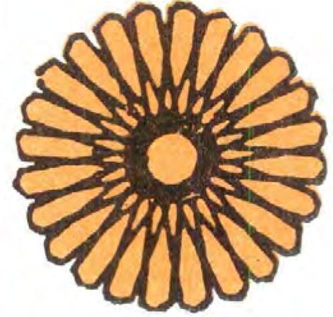
«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل (ايليا) من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسـهم وصلبانهم .. لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها .. ثم وعد أهلها استجابة لرغبتهم الا يسكنهامعهم أحد من اليهود .

ثم اتجه الى بيت المقدس حتى دخل كنيسة القيامة ولما حان وقت الصـلاة رفض أن يصلى داخل الكنيسة وقال : لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا : هنا صلى عمر !!

ثم قال للبطريق : أرنى موضعا أقيم فيه مسجدا ؟ فأشار الى الصخرة ، وأشار عليه أن يبنى فوقها المسجد . وكانت الصخرة غارقة فى تراب كثيف وأقذار وأوضار . فطهر المسلمون مكانها واقاموا المسجد .

وبقيت كنيسة القيامة الى جوار المسجد الأقصى فى ظل العروبة والاسلام طوال هذه القرون العديدة تؤدى رسالتها الدينية فى أمن وسلام وعزم واطمئنان دون أن يعبث بالكنيسة أحد أو يسىء أحد من المسلمين معاملة أحد . حتى كانت هذه المأساة التى شاء الله أن تكون فى عصرنا ليثوب الينا رشدنا بعد أن لعبت بنا الأهواء وفرقت بنا السبل .

وان المسجد الأقصى الذى دنسته أيدى الصهاينة وعملوا على احراقه كما عملوا على ابعاد أهل فلسطين الأصليين . هذا المسجد نوه النبى صلى الله عليه وسلم به ، وبين أن الصلاة فيه بخمسة آلاف صلاة ، وأنه أحد المساجد الثـلاثة التى تشد اليها الرجال .



دروس من الإسراء

بقلم : الأستاذ محمد المجذوب

موضوع الاسراء والمعراج من كنوز السيرة التى شاء الله أن لا تنفد عجائبها ، وان تتجدد ابدا عبرها . فالمضمون الواحد تعالجه الاقلام النافذة فلا تستوفى منه الا ما يواجهها ، مما يتصل بحاجة البيئة ومفاهيمها المتطورة ، وتبقى اسراره الأخرى بانتظار المدارك الجديدة ، التى يتعذر سبقها الا فى نطاق محدود .

ولا جرم .. فالسيرة النبوية هى مجال التطبيق الاول لحقائق القرآن ، وهى من أجل ذلك خالدة بخلوده ، منتظمة فى موكبه ، تنتظر دائما وابدا الموهبة التى تحسن عرضها بلغة عصرها . ومن هنا جاء توافر الانتاج الفكرى فى قضية الاسراء والمعراج ، اذ كثر متناولوهما فتعددت طرقهم بين التحقيق والتلفيق ، والخيال والموضوعية .. ولكل وجهة هو موليها ، وفهم خاص هو آخذ به .

واسرع لأقول انني من اجل ذلك لن اقف بحثي على كيفية الاسراء والمعراج وأحداثهما ، لأن كثيرين سيتولون ذلك فيما أتوقع ، وأوثر لحديثي أن يكون في حدود العبر التي أحسبها بعض الأهداف الكبرى في هذين الحدثين العجيبين .. ذلك لاعتقادي أن كل حدث صح خبره من وقائع السيرة النبوية هو محطة تعبئة لا مندوحة للمسلم من الوقوف عليها لتجديد طاقته الروحية التي بها وحدها يحقق وجوده ، ويتبين حدود مسؤوليته في تنازع البقاء وبخاصة ازاء التيارات الجهنمية التي تلح على فصله عن ذلك الماضي ، الذي على مقدار ارتباطه به يتوقف استمراره ويتأكد انتصاره .

— ٢ —

قبل ربع قرن القي على هذا السؤال : تبدأ سورة الاسراء بتمجيد الله واسرائه برسوله صلى الله عليه وسلم وبيان الحكمة من هذه الرحلة ، ثم تنتقل فجأة الى رسالة موسى وبني اسرائيل وما يلي ذلك من الاغراض الهامة .. فما السر في جمع المقدمة بين اسراء محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة موسى عليه السلام وما يتصل ببني اسرائيل ؟! ..

ولقد تفطن بعض المفسرين الى الرباط الخفي بين هاتين النقطتين ، وحاولوا الكشف عن ذلك على تفاوت في وضوح الرؤية وتحديد الغاية .. وفي يقيني أن استبانة هذا السر وابراز مكنوناته مطلب على جانب عظيم من الأهمية ، من حقه أن يرهف عزيمة المسلمين ، ويزودهم بالكثير من اسباب الصبر والنصر ..

لقد شاءت حكمة الله أن ينشىء للجنس البشري مناطق سلامة يفيء اليها كلما حزبته هموم الحياة ، فحالت بينه وبين الأمن الروحي، الذي لا يستكمل انسانيته بغيره .. فكان المسجد الأقصى الذي بارك حوله ، فأحاطه بالخير والنعم ، وجعله منطلق الدعوة الى توحيده وعبادته الخالصة ، يقوم بها النبيون والربيون . وفي واد غير ذي زرع من مكة المكرمة أرسى لهذه الانسانية قواعد البيت الحرام ، لتتعارف في ظلاله على طاعة الله ، فتسترد في هاتين المثابتين ما ذهلت عنه من أواصر القربى ، ووشائج التعاطف ، وروح الاستقرار . وعهد سبحانه برعاية كل منهما الى طائفة من عباده فوكل أمر المسجد الأقصى الى أنبيائه وأنصارهم من بني اسرائيل ، يعمرونه بالعبادة ، ويتولون مجاوريه بالهداية ، ويفصلون بينهم بحكم الله . واختار سبحانه لولاية بيته الحرام ذرية من نبييه الأكرمين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام يكرمون الوافدين اليه ، ويوفرون الأمن لكل مقبل عليه ..

ولكن سرعان ما نسي بنو اسرائيل عهد ربهم في رعاية مسجده ، فاذا هم يقتلون أنبياءه ، ويغدرون بعباده ، وينشرون على الارض المباركة ظلمات البغي ، على حين ظل سدنة البيت الحرام وافين بعهد الله موقرين بيته ،

قائمين بخدمة ضيوفه ، حارسين لسلامتهم وامنه .. حتى شاء الله تحقيق موعوده ببعثة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، بعد أن استشرى الفساد فى البر والبحر ، بما كسبت أيدى الناس ، وتقلصت أنوار الهداية عن ارجاء الارض ، فلم يبق فيها من يهتم بها ، الا بقية ضئيلة من أهل الكتاب ، تناثروا فى الابعاد ، حيث لا يسمع لهم كلام ، ولا يستطيعون ضرا ولا نفعا .. وبهذه البعثة الخاتمة تدارك الله عباده بواسع رحمته ، فاذا هم فى أول الطريق اللاحب الى الألفة الجامعة ، التى قدرها من الأزل تحت قيادة الصادق الأمين وسيد الأولين والآخرين .

وفى ليلة الاسراء المباركة تم بناء هذه الوحدة العالمية ، لأول مرة فى تاريخ الانسان ، منذ ان افترق جنسه الى شعوب وقبائل .. وقد تجلى ذلك فى الجمع بين البيت الحرام والمسجد الأقصى تحت لواء هذا الرائد الاعظم ، الذى اختارته العناية الالهية لهذه المهمة . ومن اجل ذلك جمع الله له اخوانه النبيين ليؤمهم فى صلاة جامعة ، تؤكد العودة بالانسانية الى وحدتها المقررة وتضع فى يد الأمة المسلمة من جميع الالوان ولاية المسجدين جميعا، لتكون أمة الدعوة العالمية الى التى هى أقوم .

ثم جاء المعراج الى الملأ الاعلى تكملة رائعة للمسيرة الانسانية الجديدة ، اذ كان بمثابة اعلان بليغ لاتجاه هذه المسيرة نحو السماء ، وبذلك انتهى عهد الضياع البشرى ، وتعينت الغاية العليا من الحياة والحضارة ، ليحيا من حيى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .. وفى حسبانى أن فى هذه الحقائق المنظورة من خلال آيات الاسراء ما يصلح لأن يكون الجواب المقنعلى ذلك السؤال القديم .

على أن ثمة أسئلة اخرى تثيرها الآيات ، من شأنها أن تدفع المفكر المؤمن الى استكناه أجوبتها ايضا ، لأن فيها ما يمس واقعه الفاجع مع هذه النفس اليهودية التى تصورها الآيات انموذجا صارخا للالتواء والتعقيد .

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم اكثر نفيرا ، ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم ان يرحمكم ، وان عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » .

فها هنا انذار ، ربانى يوجهه الله الى بنى اسرائيل فى بعض أسفاره المنزلة على بعض انبيائهم حول عهدين من المعاصى الكبرى ، يقترفونها فيستحقون عليها نكاله الهائل . فهو يحذرهم تلك الموبقات ويرشدهم الى سبل الخلاص منها ، وفق قانونه الذى لا يحابى مسيئا ولا محسنا .

اما اولى المرتين فقد اتفق المفسرون والمؤرخون على حصولها وان اختلفوا

فى تعيينها وذلك لتعدد المفاسد التى استحق القوم عليها العقاب الكبير ، ولعل أهمها وأحقها بالتعيين حملة « نبوخذ ناصر » التى دمرت ملكهم ، وسفكت دماءهم ، واسترقت بقاياهم لعشرات السنين .. ولكن الاختلاف على تحديد الثانية ، وقد ذهب بعض المفسرين الى أنها قد مضت كأختها على يد الرومان .. ويرى آخرون أن الثانية هذه غير محصورة فى ذلك الانتقام الرومانى على وجه القطع ، لأن مفاسد بنى اسرائيل مستمرة على وجه الدهر ، ومستمرة عقوباتها الالهية ، تحقيقا لقوله تعالى : « وان عدتم عدنا » فلا يستثنى منها وقائع قريظة والنضير وقينقاع وخيبر ، ثم ما تلاهن من كوارث جروها على أنفسهم فى أوروبه ، حتى انتهت بمئات الألوف منهم الى أفران هتلر .. وفى رأى هؤلاء أن المرة (الآخرة) لم تخص بالذكر فى كتب الله الا بما تتميز به من الحسم الذى يشبه الاستئصال ، اذ سيكون فيها القضاء على طاقتهم الشديدة كافة ، فلا يستطيعون بعدها الى فتنة سبيلا . وقد يؤيد هذا المفهوم كونهم فى كل مفاسدهم التالية لحملة نبوخذ ناصر كانوا عالة على غيرهم ، لا يقدرون على شىء ، الا بحبل من الله وحبل من الناس ، على حين يصفهم القرآن العظيم أثناء المرتين أو أخراهما بالتفوق الذاتى الذى يرتفع مدة الى قمة الطغيان ، حتى لا يفى بتصويره الا قوله تعالى : « ولتعلن علوا كبيرا » ومعلوم أنهم لم يبلغوا قط هذا المستوى خلال عشرين قرنا قبل قيام اسرائيل .. اذ أصبح لهم كيان مزود بكل وسائل التدمير والارهاب والاستعلاء ، فضلا عن سيطرتهم الفكرية على منابع القوة فى الشرق والغرب ، وبخاصة فى نطاق المال والسياسة والمذاهب الفكرية والاجتماعية الهدامة وبسبب ذلك نميل الى اعتبار « الآخرة » من المرتين هى التى نعاصرها اليوم ، ونعيش مآسيها فى العدوان الذى لا يقيم وزنا للعواقب ، وفى التدمير الخلقى والروحى الذى لا يتورع عن سلب الانسانية فى كل مكان كل مقومات السلامة والاستقرار ... وهذا يقتضى بديهيا أن يكون مدلول (الارض) فى كل من المرتين مقيدا بحدود الواقع التاريخى . فاذا كانت فى الافساد الاول مقصورة على الأرض المقدسة التى انحصر أثرهم فيها وحدها ، فميدانها فى الافساد الثانى يشمل كل جانب امتدت اليه سموم هذا الثعبان الجهنمى من أجزاء الكرة الأرضية .

والآن ، ونحن بازاء الثقل الأكبر من أوزار هؤلاء المفسدين فى الارض، يجدر بنا أن نتساءل .. الى أى مدى كتب علينا أن نسهم فى تأديبهم هذه المرة (الآخرة) ؟!

وقبل الاجابة على ذلك نركز البصر على قوله تعالى فى آخر السورة : « وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض .. فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » وعلى الرغم من اغفال الكثير من المفسرين ربط ما بين هذه الآية وسابقتها فى مقدمة السورة : « فاذا جاء وعد الآخرة .. » لا نشك فى أنهما تستهدفان الغرض الواحد ، بحيث جاءت الثانية تكرارا مؤكدا للأولى فى كون (الآخرة) فى كلتيهما واحدة ، هى ثانية المرتين . والذين ذهبوا بمعنى (الآخرة) الى مقابلة الدنيا لا

سند لهم من أثر أو وحى ، وانما هو الاجتهاد المأجور .

هذا الى أن فى الفقرة الاخيرة زيادة تسترعى أعمق الانتباه . ففى قوله تعالى : « جئنا بكم » ايذان قاطع بأنهم سيساقون بتقدير محكم من مختلف الانحاء الى مكان معين . وفى التعبير بـ (لفيف) توكيد لذلك اذ يشير بصراحة الى تجميعهم اثر حصول الافساد الآخر .. ومع أن الآية لم تحدد موضع التجميع باللفظ فهو ملحوظ بالمعنى من اللفظ المجاور (الارض) الذى لا مجال للتردد فى أن المراد به هو الارض المقدسة ، التى أمروا باستيطانها لاقامة شعائر الله ، وتحقيق القيم العليا التى يحب سبحانه أن تعمر بها الحياة ، والتى تحقق بسابق علمه أنهم سيفسدونها بسوء سلوكهم ، وبتمردهم على انبيائهم ..

واذا كان الأمر كذلك لم يبق من شك فى أن مهمة الانقاذ ، انقاذ الانسانية من رجس هذه الثعابين واقعة على عاتق المسلمين وحدهم ، وان موعد المعركة الفاصلة معها متوقف على وصول هذا التجمع الى حدود الانفجار .

وطبيعى أننا لا نسجل سبقا علميا اذا قلنا أن علماء السنة على علم بهذه الملحمة الحاسمة منذ أربعة عشر قرنا وانهم يملكون المخطط الكامل عن تفاصيلها (الكبرى) وذلك منذ اليوم الذى ابلغهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انه (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم .. يا عبد الله — هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله .. الا الفرقد فانه من شجر اليهود) .

والحديث من أنباء الغيب أخرجه مسلم فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه فلا مرية فى صحته .. ويحسن بأهل الاسلام أن ينعموا الفكر فى اشاراته ، التى قد يكون فيها الغريب عن مصطلحات زمنهم ، ولكنها ذات أهمية بالغة بالنسبة الى معركتهم المقبلة المحتومة مع هذا العدو الخبيث .

ان ها هنا أخبارا قاطعا بملحمة لا مناص منها بين المسلمين واليهود تفسره كلمة « يقاتل » التى تصور المشاركة المتقابلة ، ثم يأتى النصر الحاسم الذى يسجله فعل الغلبة بقوله (فيقتلهم المسلمون) ويعقب ذلك تجسيم الهزيمة الواقعة فى العدو بصورة الاختباء وراء كل مظنة للقوة والنجاة من حجر وشجر ، ويلحق بالحجر كل ما يتألف منه كالحصون والخنادق والبيوت والصخور . ويلحق بالشجر كل ما يتخذ للوقاية والتضليل والكمون . ويبقى موضوع (القول) الذى يصدر عن الحجر والشجر : ما هو .. ما صفته ؟ .. وهو تعبير يتسع لأكثر من تفسير . فالقول يطلق على اللفظ الذى ننشئه من أنفسنا ، والذى ننقله عن غيرنا ، ومن ذلك قوله تعالى فى وصف كلامه العزيز (انه لقول رسول كريم) ويحتمل معنى الاشارة كما فى الحديث (وقال باصبعه هكذا) أى اشار .. وعلى هذا فقول الحجر والشجر يحتمل أن يكون كلاما يخلقه الله فيهما لارشاد المسلمين الى مكامن عدوهم فى تلك المعركة ، فيكون ذلك من التكرمة الربانية لعباده المؤمنين ، كتنزيله الملائكة بنصرتهم حين يشاء .. ويحتمل أن يكون من نوع الاشارة اللاسلكية أو الضوئية التى يحدثها

الرادار ونحوه ، يوجهه الخبراء الى الاماكن المختلفة فيستكشف ما خلفها فيكون ذلك مساعدا على تتبع العدو . أما استثناء الفرقد من ذلك التجاوب فلعله حاصل من تحصين اليهود اياه بعواكس معطلة لعمل هذه الاجهزة . وطبيعى أنه لا سبيل الى القطع بهذه التعليلات ، لأن الأمر متعلق بغيب لا يحيط به الا الله ، ولكنها محاولة لتقريب المعانى البعيدة . والذى نريد التنبيه اليه هنا هو ما يحمله الحديث الشريف من انذار للمسلمين بهذه الملحمة الهائلة ، والملابسات التى تكتنفها والنهايات التى ستصير اليها ، ليكونوا على بينة من مسئولياتهم الآتية ، وعلى أهبة لتحقيق واجباتهم بازائها ، لكى يستحقوا النصر الموعود .

وبقيت هنالك نقطتان :

أولاهما : ان مجرد نداء الحجر والشجر بكلمة (يامسلم .. ياعبدالله) دليل كاف على أن جنود الاسلام يومئذ سيكونون من النوع الذى يستحق الاضافة الى الله . ولن يستحق المحاربون هذا التكريم الا أن يكونوا مصفين من كل عصبية جاهلية ، مخلصى العمل لله وحده ..

أما الثانية : فهى ان الخبر النبوى يعرض العدو معرفا بأل ، وفى هذا التعريف الاستغراقى مايشد الانتباه ، ويفسح مجال الاحتمال بأنه اشارة الى تجميع يجعل اليهود صالحين لكسر شوكتهم وتحطيم قوتهم .

واذا صح هذا التأويل ، ولا مانع منه ، فلن يكون ثمة تجمع لهذه الشراذم السامة أصلح من تجمعهم القائم فى فلسطين .. وبالتالى لن تكون هناك فرصة للقضاء على شرورهم ، وانقاذ البشرية من فواجعهم ، اصلح من هذه المناسبة . ولا حاجة للظن أن نتيجة الملحمة هى استئصال الجنس اليهودى كليا ، فان التعبير بقوله صلى الله عليه وسلم (فيقتلهم المسلمون) قد يراد به الاثخان دون الاستئصال ... وذلك كقول عمرو بن سالم الخزاعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

ولو كان القتل شاملا لخزاعة لما بقى منهم هذا المخبر ، ولو كانت نهاية الملحمة استئصال اليهود لما أخبر صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر بأن عشرات الألوف من يهود أصفهان سيتبعون المسيح الدجال فيما بعد ..

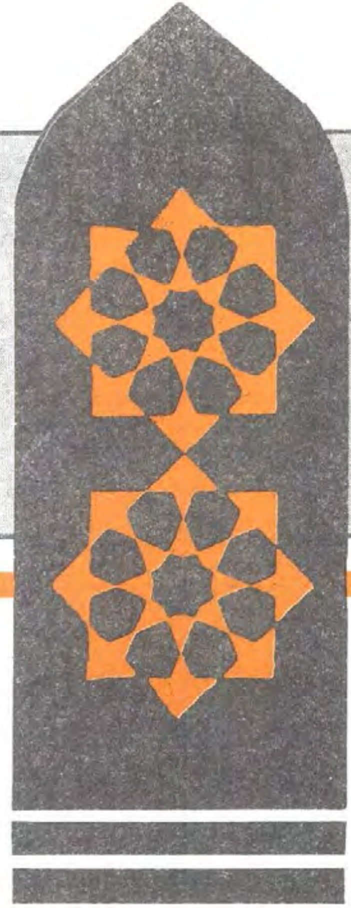
وبعد ... فهذه بعض العبر التى رأيت أن أقف عليها حديثى من موضوع الرحلة النبوية المباركة .. فهل تجد الآذان الصاغية ، والقلوب الواعية ، والهمم العالية ..

ذلك ما أرجو .. والله حسبى ، ولا حول ولا قوة الا به .



واجب المسلمين نحو

بعد استنفاد الجهود السلمية



من خصائص الاسلام

ان من أهم مميزات الاسلام وخصائصه ان جعل المسلمين أمة واحدة ، رغم ما بينها من فروق العرق والدم ، واللون والجنس واللغة ، قال تعالى : « **ان هذه أمتكم أمــة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون** » آية ٩٢ من سورة الأنبياء ، وقــال سبحانه : « **وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** » آية ٥٢ المؤمنون . وذلك لأن المسلمين حينما وجدوا واينما كانوا انما تجمعهم قواعد دينهم ومبادؤهم التى أقرها قرآنهم الكريم وسنة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا نجد المسلم فى المشرق يشعر بعاطفة الاخوة الاسلامية نحو اخيه فى المغرب ، كما أن المسلم فى المغرب يشعر نفس الشعور ، وان فكرة العرق واللون والدم يهدر اعتبارها فى الاسلام ، مع اتحاد العقيدة والمبادىء . وتجد المسلم مهما كان لونه ينظر لأخيه المسلم الآخر ، نظرة الاحترام والتقدير والعطف مهما كان لونه قال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة ، فاصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون** » : آية ١٠ الحجرات . وقال عز شأنه : « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان**

مشكلات الاحتلال الصهيوني

الاستاذ الشيخ : عبد الحميد السايح

التى تعتنق العنصرية أو تدين بها ، والاسلام حارب العنصرية والعصبية ، ولا يعترف بها قال صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » وعن واثلة ابن الاسقع قلت يا رسول الله : ما العصبية ؟ قال ان تعين قومك على الظلم : تاج جـ ٤ ص ٤٧ . .

المسلمون جبهة واحدة نحو مشاكلهم :

والاسلام يعتبر المسلمين كتلة واحدة وجبهة متحدة ، نحو اية مشكلة تصيب اى فريق منهم ولا يجوز السكوت على أى عدوان يقع على المسلمين حيثما وجدوا ، وقد صرح الفقهاء بأنه اذا اعتدى غير المسلمين على ديار الاسلام وجب على أهل تلك الديار صد العدوان ومنع ذلك الطغيان ، فاذا عجزوا وجب على من يلى تلك الديار أن يساهموا بذلك الواجب ، واذا عجزوا وجب على المسلمين قاطبة ان يهبوا للدفاع عن اخوانهم وديارهم ودفع الظلم عنهم ، والأصل فى هذا قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا ان الله مع المتقين** » ١٢٣ ــ التوبة وقوله تعالى : « **وقاتلوا المشركين**

الله عليم خبير » ١٤ الحجرات .

ومن أجل ذلك كله لا تجد فى الاسلام ، ولا بين المسلمين ، اية مشكلة حين تختلف الألوان : لا فى القديم ولا فى الحديث ، لأن تلك المشاكل انما تنجم فى الامم

كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين » ٣٦ التوبة . وقال عز شانه « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ٦ المائدة .

وقال صلى الله عليه وسلم : (المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه) : حديث صحيح أحمد والشيخان ، وان التهاون فى نصرة المسلمين ، ومد يد العون اليهم بشتى أنواع المساعدة ، تعرض الجميع لعقاب الله ومؤاخذته فضلا عن الخزى الذى يلحقهم فى الدنيا : قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب » : ٢٥ — انفال .

واخرج اصحاب السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) : البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث جـ ١ ص ٢٢٠ ..

الصهيونية أخطر انواع الغزو :

ان الاسلام قد تعرض لغزوات كثيرة ، ولا يزل يتعرض لتلك الغزوات والفتن بصور واشكال مختلفة ، وان من افظع ما تعرض له المسلمون غزوات التتار فى عهد تيمور لنك وجنكيز خان ، وهجمة الحروب الصليبية ، ولكن مع ما تعرضت له ديار الاسلام فى تلك الهجمات من بربرية وتدمير وعدوان وتنكيل فان الصهيونية أشد خطرا ، وافظع بربرية ، وأقسى تدميرا وفتكا ، وأبعد اثرا ، وذلك بالنسبة لمخططاتها الجهنمية واهدافها وأساليبها فى التنفيذ ، لا نقول ذلك جزافا أو خيالا ، وانما نعتمد فى ذلك على ما شاهدناه حين كنت تحت سيطرتهم فى أول احتلالهم الاخير للقدس وباقى البلاد العربية الاسلامية . واخبار الثقات وما أمكن الاطلاع عليه ومعرفته ، من وثائقهم ومستنداتهم وتصريحات زعمائهم .

وكما يقول المليونير العالمى هنرى فورد ، فى كتابه « اليهودى العالمى » الصهيونية هى أكثر النشاط اليهودى الراهن دعاية واعلانا ، وهى كواقع سياسى مشكلة تفوق فى ضخامتها أية مشكلة علمية أخرى .

ويحسب الكثيرون أن الصهيونية بدأت فى عهد زعيمها الحديث تيودور هرتسل ، لكن الحقيقة انها حركة قديمة مرت بأدوار عديدة ، منها :

(١) حركة المكابيين التى أعقبت العودة من السبى ، والتى كان من أول أهدافها العودة الى صهيون (جبل فى القدس) وبناء هيكل سليمان من جديد .

(٢) حركة باركوفيا سنة ١١٧ — ١٣٨ م وقد حث هذا اليهودى جماعته على السعى للتجمع فى فلسطين واعادة بناء الهيكل ، وتأسيس دولة يهودية ، وتنصيب ملك عليها من نسل داوود .

(٣) حركة دفيد روبين وتلميذه سولو مون مدلوخ سنة ١٥٠١ — ١٥٣٢ م وقد كان هذان الصهيونيان يسعيان الى تجميع اليهود واعادة توطينهم فى فلسطين .

(٤) حركة منشة بن اسرائيل سنة ١٦٠٤ — ١٦٥٧ م وكان يدعوا الى توطين اليهود فى بريطانيا ، توطئة لاعادتهم الى فلسطين ..

ويبدو أن هذه الحركة الأخيرة كانت النواة الأولى للصهيونية الحديثة ، التى وجدت لها أرضا خصبة فى بريطانيا ، ترعرعت فيها ونمت ، واستطاعت فى مدى ثلاثة قرون ان تسخر جميع قوى الانكليز من اجل تحقيق اهداف اليهود .

وان رئيس وزراء بريطانيا فى سنة ١٩٠٧ م كامبل باترمان دعا الى مؤتمر ضم الدول الاستعمارية حينئذ وهى بريطانيا وفرنسا وهولندا واسبانيا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا ، لبحث الجهة التى يمكن أن تكون الخطر على الاستعمار وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر ، ان الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربى يكمن فى البحر المتوسط ، والذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية شعب واحد ، يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، (الدين واللغــة) وبما فى أراضيه من كنوز وثروات يفتح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والثقافة .

ولمواجهة هذا الخطر أوحى المؤتمر بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة ، والابقاء على تفككها ، والعمل على فصل الجزاين الأفريقى والآسيوى فى هذه المنطقة ، احدهما عن الآخر ، واقامة حاجز بشرى ، قوى وغريب ، فى نقطة التقاء الجزأين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمه اداة لتحقيق أغراضه ،

وانك لتشعر حينما تقرأ هذا الخبر ، بأن الصهيونية وراء هذا التقرير ، وما تضمنه من اقتراحات ولذلك فانه بعد عشر سنين من ذلك التاريخ استطاعت الصهيونية العالمية ، ان تحصل على وعـد بلفـور فى ٢ نوفمبـر « تشرين ثانى ١٩١٧ م » مع أن الحرب العالمية الأولى لم تنته بعد ، ولـم تكن جيوش الانكليـز قد دخلت القدس حينئذ ، اذ أن الحرب العالمية الأولى قد وضعت أوزارها فى تشرين ثانى سنة ١٩١٨ (نوفمبر) أى بعد سنة من صدور وعد بلفور ، ودخلت تلك الجيوش القدس فى كانون أول ١٩١٧ م (ديسمبر) ..

وكان من أثر ذلك الدعم البريطانى المكشوف للصهيونية وتهيئة المناخ الملائم لتمكنهم وسيطرتهم على المسلمين والعرب ، ثم التخلى عن المسئولية ووضـع الأمر بين يدى هيئة الأمم المتحدة ، تمهيدا لاعلان قيام اسرائيل واتمام المسرحية الكبرى ، التى مثلت ولا تزال تمثل فى أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة الامريكية زعيمة الاستعمار الحديث فى القرن الحالى ولا تزال حتى الآن آثار بارزة فى الأوساط البريطانية الرسمية والشعبية ، للنفوذ الصهيونى .

وعندما دخلت الجيوش البريطانية القدس واشرف القائد البريطانى اللورد اللنبى قال كلمته المشهورة : الآن انتهت الحروب الصليبية .

(٥) نقل المؤرخ اليهودى ايلى ليفى أبو عسل فى كتابه « يقظة العالم اليهودى » نص خطاب خطير وجهه أحد حكمائهم الى بنى قومه سنة ١٧٨٩ م وقـد ورد فى الخطاب تصريحات خطيرة ومخططات تكشف عن بعض ما تهدف اليه الصهيونية ، من ذلك قوله :

« هيا بنا لتجديد هيكل سليمان » ..

أما البلاد التى تنوى قبولها باتفاق مع فرنسا ، فهى اقليم الوجه البحرى فى مصر ، مع حفظ منطقة واسعة المدى ، يمتد خطها من مدينة عكا الى البحـر الميت ، ومن جنوب هذا البحر الى البحر الأحمر ، فهذا المركز يجعلنا قابضين على ناحية تجارة الهند ، وبلاد العرب وافريقيا الشمالية والجنوبية .

ولا شك أن بلاد الحبشة لا تتأخر عن اقامة علاقاتها التجارية معنا ، على الرضا والارتياح ، وهى البلاد التى كانت تقدم للملك سليمان الذهب والعـاج والحجارة الكريمة ، ثم ان مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا الخ ..

والكتاب فيه الشيء الكثير عن اخطار الصهيونية ومخططاتها ، يجدر بكل مسلم أن يطلع عليه ليطلع على حقيقة الأمر .

والحركة الصهيونية كحركة سياسية دينية تضاف الى الدين اليهودى الذى يقوم على اساسين هما : التوراة والتلمود ، ومقـررات حكمـــاء صهيون (البروتوكولات) هى الأساس الثالث فى أسس الديانة اليهودية التى يمارسها اليهود .

وطبعا هذه الديانة غير الرسالة التى نزلت على موسى عليه السلام ، وحرفوها ووضعوها حسب أهوائهم ورغبات حاخاميهم ، وكتبوها بعد مضى أكثر من عشرة قرون على رسالة موسى عليه السلام .

ماذا تريد الصهيونية وما أهدافها ؟

تحاول اسرائيل الصهيونية أن توهم العالم بأنها دولة راغبة فى السلام ، ولذلك فانها تعرض على جيرانها العرب أن تتفاوض معهم لحل النزاع بينها وبينهم ولو كان عندها ذرة من حسن النية للعيش بسلام لانسحبت أولا من المواقع التى احتلتها سنة ١٩٦٧ م مع انها لا تريد الانسحاب من أى شبر أرض ، وانما تريد التوسع ، والمماطلة حتى يصبح احتلالها أمرا واقعا يسلم فيه العرب ويمل العالم البحث فيه ..

اسرائيـــل كيـــان عـــدوانى

الحقيقة أن اسرائيل فى انشائها ووجودها كيان عدوانى غريب على أرض من صلب ديار الاسلام ، ولا يستند الى أية صفة شرعية حقيقية ، والمطلع على الكيفية التى تم فيها انشاء اسرائيل والموافقة عليه فى الأمم المتحدة يقتنع بأنها تمثل سطوة القوة الامريكية فى عهد ترومان وتلاعبه ، وتهديده للدول الصغرى التى كانت فى اشد الحاجة للعون الامريكى ، يضاف الى ذلك كله غيبة القـــوة الاسلامية ، ووضع ثقلها فى الميزان ، سواء كانت عربية أم غير عربية ، وقد استمرت فى اعمال العدوان منذ انشائها وحتى اليوم ، وقد اجلت القسم الأكبر من سكان البلاد الاصليين واغلبيتهم الساحقة من المسلمين ٩٠٪ وبعضهم مـــن المسيحيين لا يتجاوزون ١٠٪ منهم من اجلى عن وطنه بالقوة والارهاب ، ومنهم من احيط بالتهديد والتعذيب والسجن حتى اضطر لمغادرة البلاد .

جلسة هامـــة مع مسئول اميركى سابـــق

فى أوائل سنة ١٩٧٠ اجتمعت فى عمان انا وعدد مـــن الشخصيات الفلسطينية مع شخصية اميركية هو المستر دنتيس ، آخر قائم بأعمال سفارة أميركا فى القاهرة، وقد استقال من عمله ، احتجاجا على موقف حكومته من

قرار وقف اطلاق النار ، حيث لم توافق اميركا على ان يتضمن القرار عودة الطرفين الى حدود ما قبل العدوان سنة ١٩٦٧ م ، وهو ما يحدث لأول مرة ، فى تاريخ الأمم المتحدة ، فى حوادث مماثلة ، وقد وقفت أميركا هذا الموقف ارضاء لرغبة الصهيونية العالمية ، المثلة فى اسرائيل ، وقد اخبرنا ذلك الاميركى انه درس القضية الفلسطينية وادوارها ، منذ وعد بلفور وما قبل ذلك حتى الآن ، ولكنه يريد جواب السؤال التالى : ماذا تريد اسرائيل ؟ فكان الجواب انها تريد الاستيلاء على فلسطين ، وان تتوسع فى البلاد المجاورة حتى تصل الى منابع البترول العربي ومقدسات المسلمين ..

فنظر للجواب نظرة غير جدية على الأقل ، وقال ، وهل فى استطاعتها أن تفعل ذلك ، وأين الرأى العام العالمى ؟

فأوضحنا له أن الصهيونية استطاعت بدهائها واساليبها الخاصة أن تحصل على وعد بلفور من بريطانيا ، قبل ان تكون فلسطين تحت سطوتها واستعمارها ، ومع هذا فقد صرح عدد من الوزراء البريطانيين ان الوعد لا يعنى انشاء دولة يهودية ولا يمس حقوق السكان الأصليين ، وانه لا يعدو أن يكون تجمعا روحيا لليهود .

ولكننا رأينا هذا الوعد الجائر وغير الشرعى يتطور بفضل السياسة البريطانية والسياسة الامريكية الى دولة اسرائيل بقرار من الأمم المتحدة ، ثم تتجاوز حدود قرار الأمم المتحدة فيعترف لها ترومان الرئيس الاميركى حينئذ بهذا التجاوز بحق الفتح !! ثم يأتى عدوانها سنة ١٩٥٦ فتستفيد منه ما استفادت ، ثم عدوانها سنة ١٩٦٧ م فتستولى على باقى فلسطين وعلى سيناء المصرية والمرتفعات السورية ، ثم تقرر ضم القدس العربية اليها ..

ورغم قرارات الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن بتجميد عملها فى القدس ودعوتها لعدم أى تغيير فيها ، وان أى شىء تحدثه فيها عمل غير شرعى لا يعترف به الخ .. فانها لم تتراجع عن عدوانها ولم تذعن للقرارات ، وهي ممعنة فى تغيير معالم القدس وتهويدها ، مما يدل على اطماعها غير المحدودة الخ ..

وقد أطلعناه على صورة التقرير الذى وضعه جيش الدفاع الاسرائيلى لعام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م مترجم عن اصله العربى ، وقد حصل عليه الكاتب الهندى الكبير كارانجيا ، وضمنه كتابه « خنجر اسرائيل » وقد تضمن ان المرحلة الأولى للعدوان أو بعضها قائم تنفيذه سنة ١٩٦٧ ومن الاستيلاء على باقى فلسطين وسيناء والمرتفعات ، والمرحلة أو المراحل الأخرى الاستيلاء على باقى البلاد العربية المجاورة ، ومقدسات المسلمين فى الملكة العربية السعودية ، ومنابع البترول فى الجزيرة العربية الخ ..

وقلنا له أنه رغم توسعاتها الحالية فان أميركا لا تريد أن تضغط على اسرائيل لتنسحب الى مواقعها قبل العدوان تنفيذا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى وافقت عليه أميركا ، والرأى العام العالمى لم يستطع أن يجبرها على ذلك ، رغم قناعته بعدوانها وصلفها وباطلها ، فما الذى يمنعها من أن تستمر فى العدوان والتوسع ؟ وهنا لم يحر ذلك الدبلوماسى الاميركى جوابا .

وفى مقال للدكتور أحمد زكى رئيس تحرير مجلة العربى التى تصدر فى الكويت العدد ١٣٣ تاريخ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٦٩ نقتطف منه ما يلى :

اسرائيل الكبرى شىء مقرر عند الصهاينة من قديم ، اطماعهم فى الاردن ، اطماعهم فى لبنان اطماعهم فى مصر ، كل سوريا حديث معاد .

من أجل هذا ازعجني غباء أحد ساستنا ؛ ذلك السياسي الذي جاء يقول : لا تصدق ما يقوله اليهود عن الاحتفاظ بسيناء ، انما هو حديث ممارسة ، وكل مفاوضة ممارسة تبدأ بالكثير وتنتهي بالقليل الخ . .

وغاية المنظمة الصهيونية العالمية وهيأتها المختلفة في انحاء العالم في خلق وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وما جاورها أولا ، ثم السيطرة على الشرق والعالم بعد ذلك . ويقول « تيوري ايفانوف في كتابه » احذروا الصهيونية ان حرب الايام الستة ليست المغامرة الأولى . وقد لا تكون المغامرة للصهيونية العالمية ، فدائرة مصالحها ومخططاتها لا تنحصر في قناة السويس . .

وحينما أراد نيكسون اخيرا ان يزور قادة الاتحاد السوفياتي كتب الى غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل يطلب منها صورة عن خارطة اسرائيل التي تريدها ، حتى يقدمها للقادة السوفيت ، فلم تقدم الخارطة ، وعلق المراقبون السياسيون أن رئيسة الوزراء أو غيرها لا يمكنهم التنازل عما في التوراة من النيل الى الفرات الـــخ . .

وتأمل في دولة مضى على انشائها ربع قرن من الزمن ولم نضع لها دستورا ولم تعين لها حدودا ، ويقول زعماؤها ، أن حدودنا حيث يوجـــد جيش الدفاع الاسرائيلي وقد نشرت بعض الأوساط الصهيونية في أوروبا بأساليبها الخاصة . خارطة تعبر عن اسرائيل الآن بعد حرب سنة ١٩٦٧ م واسرائيل كما يخططون لها ، أو في القريب العاجل ، كما هو مكتوب في رأس الخارطة باللغة الانكليزية والعربية ، وهي تشمل المدينة المنورة ومكة المكرمة واليمن والكويت والخليج العربي كله . فليتدبر المسلمون حتى يتفهموا حقيقة اخطار الصهيونية على وجودهم وعقائدهم ومقدساتهم .

موقف الصهيونية من الاديـــان الاخرى :

بروتوكولات حكماء صهيون توضح بعض المخطط الصهيوني ، ويجب أن يطلع عليها كل مسلم حتى يدرك مدى الخطر الذى أعد للمسلمين ، على عقائدهم ووجودهم واخلاقهم ، وقد جاء في البروتوكول الرابع عشر ما يلي :

(١) متى ولجنا أبواب مملكتنا فلا يليق بنا أن يكون دين آخر غير ديننا ، وهـــو دين الله الواحد ، المرتبط به مصيرنا ، من حيث كوننا الشعب المختـــار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا . فيجب علينا أن نكنس جميـــع الأديان الأخرى على اختلاف صورها ، واذا أدى هذا الى ظهور المـــلحدين فذلك لن ينال من آرائنا شيئا .

(٢) سيتولى فلاسفتنا بالشرح والتوضيح الكشف عما تنطوي عليه معتقـــدات (غير اليهـــــود) الدينيـــــة من عـــوار ، غير انه لن يســـــمح بـــأن يطرح ديننا للبحث ، ابتغاء الوقوف على مقاصده ، وغاياته الصحيحة ، اذ أن هذا علمه محصور بنا ، مقصور علينا وحدنا ، ونحن دائما حريصون على أن لا نبوح باسرارنا لغيرنا . .

وتحقيقا لاهداف هذا البروتوكول اقدمت اسرائيل على احراق المسجد الأقصى المبارك ، ولا تزال ماضية فى الحفريات حوله وتحته ، حتى تزلزل اركان بنيانه ، وحينئذ يتسنى لها اقامة هيكلها المزعوم على انقاضه ، وتواجه العالم بأمر واقع جديد .

وتحقيقا لتلك الاهداف انتهكت ولا تزال تنتهك حرمة الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ، رغم كل ما تتظاهر به احيانا من الحرص عليها والمحافظة على قدسيتها فان افعالها مخالفة تماما لكل ما تقول فى هذا الشأن .

المسلمون فى العالم قوة لا يستهان بها :

المسلمون فى العالم قوة لا يستهان بها بالنسبة لعددهم الهائل ، وطاقاتهم المادية على اختلاف أنواعها ، وهم منتشرون فى سائر أنحاء المعمورة ، ويبلغ عددهم ستمائة مليون نسمة حسب آخر احصاء اطلعت عليه ، وقد أصدره مكتب مؤتمر العالم الاسلامى فى كراتشى ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م ، وقد مضى على هذا الاحصاء عشر سنين ، زاد فيها عدد المسلمين زيادة جوهرية ، اذكر مثلين واضحين على ذلك ، أولهما : جمهورية مصر العربية فقد تضمن الاحصاء أن عددهم خمسة وعشرون مليونا واربعمائة الف ، مع أن عددهم الآن يقارب أربعة وثلاثين مليونا ، وثانيهما : الاقلية الاسلامية فى الفلبين ، فقد ذكر الاحصاء أن عددهم مليونان ومائة وخمسة آلاف ، مع أن عددهم الآن يبلغ أربعة ملايين حسب اعتراف السلطات الرسمية هناك ، للبعثة المصرية الليبية الرسمية ، التى أرسلت من قبل الحكومتين لتقصى الحقائق وزيارة المسلمين هناك ، وقد قامت بجهد مشكور ، يرجى متابعته حتى يثمر ثمرته المرجوة .

وقد ذكر واضع الاحصاء انه بذل ما يستطيع من جهد ، واعتمد على تقارير من الامم المتحدة وسفراء الدول التي أمكنه الاتصال بها من ذوى العلاقة ، واستعان أيضا بدوائر ومعاهد مدنية وحكومية ، وانه لا يمكن الادعاء بأن تلك المعلومات صحيحة ١٠٠ بالمائة الا أنها الأقرب للارقام الحقيقية .

وليس المهم فقط ان ننظر للمسلمين من حيث عددهم ، بل يجب أن نلاحظ ما يملكون أيضا من مواقع استراتيجية وبترول ومعادن وكنوز أخرى لها وزنها وأهميتها ، لو أحسن استغلالها والاستفادة منها .

واعتقد انه لدى المسلمين عربا وغير عرب من الامكانات البشرية والاستراتيجية ما يستطيعون أن يؤثروا بواسطته ، ويرهبوا من يعتدى على أى منهم ، أو يسند المعتدين ، بشرط أن يتفاهم على وضع خطة مشتركة يلاحظ فيها مراعاة ظروف كل دولة بقدر الامكان ، على أن تساهم بأية وسيلة بالمجهود الاسلامى ، وأن تضع فى الاعتبار الأول المصلحة الاسلامية العليا ، وان يتعاون الجميع على دفع الأذى عن أية جماعة اسلامية يحل بها أى نوع من انواع الأذى والضرر . واذا تحقق هذا صدق علينا قوله سبحانه : **« كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** : ١١٠ آل

عمران — واذا وصلنا الى تلك الحالة تحركت جماهير المسلمين كلما أصاب أحدا منهم اى مكـروه ، وعملوا بسائر الوسائل لازالة ما أصاب ذلك الفريق ، وحققنا قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى : حديث صحيح .

رابطـة المسـلمين :

يرتبط المسلمون فيما بينهم بعقيدة التوحيد ، وبما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وهذه الروابط قدر مشترك يجمع بين فرقهم ومذاهبهم فليس لأى منهم قرآن يختلف عن قرآن الآخرين ، وصدق الله العظيم : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » الآية ٩ الحجر .

وقد تضمن القرآن الكريم والسنة المطهرة اسراء الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه من البيت الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى بالقدس ، ومعراج الرسول من القدس الى السموات العلا ، الى حيث علم الله ، وانه فرضت الصلوات الخمس عليه وعلى أمته ، فى ليلة الاسراء والمعراج ، وان القدس كانت قبلة المسلمين الأولى .

قال تعـالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الـى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » : الآية الأولى من سورة الاسراء .

وقال عز شأنه : « **والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فاوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتما رونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى .** » الآيات ١ — ١٨ من سورة النجم

وقال أيضا : « **سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب عـلى عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرءوف رحيم ، قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما تعملون** » آيات ١٤٢ — ١٤٤ البقـرة .

وقد تضمن القرآن الكريم الدعوة الى العزة والقوة وانهما من صفـات المؤمنين قال تعالى : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » ٨ — المنافقـون . وقال سبحانه : « **وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له**

شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » ١١١ ــ الاسراء . . وقال ايضا : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ١٠٣ آل عمران ــ وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القــوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيــف » رواه مسلم . وقال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ٦ أنفال .

فاذا كنا مؤمنين بالقرآن حقا وجب علينا أن نحرص على منتهى الاسراء كما نحرص على مبتداه خاليين من أى نفوذ معاد للاسلام ومناف لمبادئه وتعاليمه ، وان نتصف بالعزة والقوة التى هى من صفات المؤمنين ، وان نتجنب مواقف الذلة والضعف والتخاذل والتفرقة ، حتى نستطيع أن نجابه أعداءنا ، ونقاوم المخططات التى يمعن أعداء الاسلام فى احكام وضعها للقضاء عليه ، أو تشويهه . واذا أردتم دليلا على ذلك فانظروا وضع المسلمين حيث تمكن أعداء الاسلام من الهيمنة عليهم ، فانهم يضعونهم فى ظروف وأوضاع تجعل الجهل والضعف والتخاذل والفســاد مهيمنة عليهم ، ومتغلغلة فى حقوقهم ، حتى يظهروا الاســلام بأنه غير صالح فى هذا العالم المتمدين ، وحتى لا تقوم لهم قائمة ، ويغرونهم ببعض الالفاظ المعسولة أو المظاهر الكاذبة ، حتى يبعدوا المسلمين عن ادراك الحقائق على وجههــا الصحيح .

وإنه فى سنة ١٩٦٨ م بينما القدس الشريف تحت سيطرة الغــاصب الصهيونى ، ويمعن فيها فسادا وتشويها نجــد أن الصهيونيين بواسطة بعض اعوانهم فى أفريقيا كانوا يحرضون بعض المسلمين الافارقة على زيارة القدس بعد تأدية فريضة الحج ، حتى تضعف رابطة الاسلام ، وحتى يستغل الصهاينة أولئك المسلمين ، باقرار ذلك الامر الواقع ، والظهور بمظهر الموافق على احتلالهم فلما أوضحنا لاخواننا الافارقة الخطر الكامن وراء زيارتهم عدلوا عنهــا ، وقنعوا أن الواجب أولا تطهير الديار المقدسة من الصهاينة أعداء الاســلام والانسانية ، ثم بعد ذلك يقومون بزيارتها تحت راية الاسلام والحرية وأن زيارتهم لهافى ظــل الاحتلال الصهيونى فيها تقوية للعدو واعطاؤه سلاحا يحــارب به اخوانهم فى العقيــدة والدين .

فيجب علينا تنمية هذه الروابط وزيادة هذه الصــلات بين المسلمين ، على المستوى الرسمى والشعبى ، حتى ننشر التوعية الكفيلة بشرح الحقائق ، وادراك الاخطار التى تنشأ عن تباعد المسلمين فى نكباتهم ومصائبهم ، وما يقصــده أعداء الاسلام من زيادة الخلافات ، وتوهين العلاقات ، واضعاف الصــلات بين المسلمين .

اهميــة القدس :

للقدس أهمية عظمى ومكانــة كبرى لدى المســلمين عموما ، للأســباب التاليــة :

١ ــ قدوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اليها حين الاسراء وعروجــه منها الى السموات العلا .

٢ ــ مسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها .

٣ — قبلة المسلمين الاولى قبل قبل التوجه للكعبة المشرفة .

٤ — وجود رفات عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين والشهداء الابرار الذين جاهدوا فى سبيل اسلاميتها والحفاظ عليها .

وقد ثبتت اسلامية القدس والسيادة عليها منذ فتح امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لها ، وكان ذلك مبدأ اهتمام المسلمين بشؤونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم .

ولما دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بيت المقدس قال لكعب الاحبار اين ترى أن اصلى ؟ قال كعب : ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك .. فقال له عمر : ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلى حيث صلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء وبسط رداءه وكنس الكناسة فى رداءه وكنس الناس : الامام أحمد والقرى لقاصد أم القرى .

ومنذ ذلك الحين وملوك المسلمين وامراؤهم والميسرون منهم يتسابقون فى ايجاد أثر لهم فى القدس ، يتقربون به الى الله ، مثل انشاء مسجد ، أو بناء سبيل لسقى الماء أو وقف عقارات على جهات خيرية لسكان القدس او الواردين اليها .

وقد أخرج الامام أحمد عن ذى الاصابع قال : قلنا يا رسول الله ان ابتلينا بعدك بالبقاء اين تأمرنا ؟ قال : عليك ببيت المقدس فلعل أن ينشأ لك ذرية تغدو الى ذلك المسجد وتروح .

وأخرج الامام أحمد أيضا عن ميمونة بنت سعد قالت : يا نبى الله ، أفتنا فى بين المقدس ؟ فقال لها أرض المنشر والمحشر ، ائتوه فصلوا فيه فان صلاتكم فيه كألف صلاة قالت : ارايت من لم يطق أن يتحمل اليه أو يأتيه ؟ قال فليهد اليه زيتا يسرج فيه،فانهمن أهدى كان كمن صلى .

وأخرج الامام البخارى ومسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله اى مسجد وضع فى الارض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى .

واخرج البخارى ومسلم ايضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الاقصى » ..

وروى البيهقى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى بيت المقدس افضل او فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : صلاة فى مسجدى هذا افضل من اربع صلوات فيه ولنعم المصلى أرض المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمان ، ولقيد سوط ، او قال : قوسى الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو احب اليه من الدنيا جميعا .

وفى زاد المسلم نقلا عن كتاب المدخل لابن الحاج فى فضل زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ما نصه : وينبغى له حين خروجه من المدينة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ان ينوى السفر الى المسجد الأقصى بنية الصلاة فيه وزيارة الخليل عليه الصلاة والسلام الخ ..

وحين وقع الاسراء والمعراج ، وحين أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالذهاب الى بيت المقدس والصلاة فيها لم تكن القدس تحت حكم الاسلام وانما كانت تحت حكم الفرس أو حكم الرومان ، مما يوحى بأن على المسلمين ان

يعملوا على نشر الاسلام فى تلك البقاع ، والاحتفاظ بها تقديرا لقدسيتها وحين تسلمها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت تحت حكم الرومان ، ولم يكن لليهود حينئذ فيها اى سلطان ، بل طلب البطريرك صفرونيوس من أمير المؤمنين أن ينص فى وثيقة الامان أن لا يساكنهم فيها أحد من اليهود ، وذلك لفرط ما رأوا من فسادهم وعبثهم وتدميرهم للبلاد ، وفعلا تضمنت وثيقة الامان ذلك الشرط ، ولكن يظهر فى مستقبل الأيام ، اراد المسلمون ان يعملوا على أن تكـــون هذه المدينة ملتقى اصحاب الأديان السماوية يتمتعون فيها بحرياتهم الدينيـــة ، وطقوسهم وعبادتهم فسمحوا لهم بالعودة اليها ، وذلك لأن المسلمين بمقتضى عقيدتهم وقرآنهم يؤمنون بجميع الأنبياء والمرســـلين ويقدسونهم ، قال تعـــالى : **« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا تفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير »** : ٢٨٥ البقرة .

وهذا يوضح أن المسلمين هم المؤهلين بحكم عقيدتهم التى يدينون بها لحكم القدس وليصونوا مقدسات المسلمين وغير المسلمين ، وكل حل يخرج عن نطاق هـــذه الدائرة يعرض المنطقة كلها لخطر عظيم واضطراب كبير ، حتى يعود الحق الى نصابه . .

واجب المســلمين :

نحن الآن امام واقع معروف ، احتلت فيه اسرائيل الصهيونية باقى فلسطين واجزاء أخرى من دول عربية اسلامية ، هى سيناء مصر والمرتفعات السورية ، ومع أن المسلمين لا يعترفون ويجب أن لا يعترفوا بأى كيان اسرائيلى صهيونى فى فلسطين او اية بقعة اخرى من ديار الاسلام والعروبة ، لأن وجودهم فيها غير شرعى ولا يستند الى حق مطلقا ، الا انه بعد عدوانها الأخير سنة ١٩٦٧ ، وبناء على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ اتجهت الدول العربية المتجاورة ، بصفتها اعضاء فى الأمم المتحـــدة الى قبول القرار المذكور ، وهو الذى يقضى بانسحاب اسرائيل من جميع المناطق التى احتلتها فى عدوانها الأخير ، لأنه لا يجيز لأى فريق أن يحصل على أى مكاسب نتيجة الاحتلال بالقوة ، وهذا ما ضمنته وثيقة هيئة الأمم المتحدة ، ومنذ صدور القرار والدو لالعربيـــة المشار اليها تعلن قبولها لقرار مجلس الأمن ، والتعاون مع مندوب الأمم المتحدة السفير يارنغ ، وذلك لتجنب العالم اخطار الحرب وتدميراته ، وحتى لا تتصادم مع الأمم المتحدة ، غير أن اسرائيل لم تعلن قبولها بالقرار ، ومع هذا فقد حاولت جمهورية مصر العربية أن تفتح آفاقا للسلام بمبادرتها المعروفة ، التى تؤدى الى فتح قناة السويس ، وانسحاب اسرائيل من جميع المناطق على مراحل ، واتصالاتها بأميركا ومندوبيها على أمـــل أن يتحقق ازالة آثار العدوان ، ويعود الوضع الى ما كان عليه قبيل ٥ فبراير سنة ١٩٦٧ ، الا أن جميع المحاولات قد فشلت ووصلنا الى طريق مسدود لا أمل فيه لحل سلمى أو سياسى بسبب غطرسة الصهاينة وغرورهم وعنادهم واصرارهم على التوسع وعلى بقائهم فى القدس ، والمرتفعات السورية ، والاستيلاء على قسم كبير من أراضى سيناء ، حتى يبقى شرم الشيخ تحت سلطانهم ، تدعمهم وتؤيدهم فى ذلك كله الامبريالية الاميركية ، على وجه سافر مكشوف ، فيه التحدى الواضح العلنى ، لا يحسب فيه أى حساب للأمة

الاسلامية ولا للأمة العربية وبذلك أصبح الوضع فى غاية الخطورة ، يتطلب من المسلمين عملا جديا سريعا ، غير الفتاوى والقرارات واعلان الجهاد المقدس ممن لا يملكه ، وهذه بعض المقترحات . .

١ — **على نطاق المصالح الاميركية** وهى القوة الكبرى الداعمة للوجود والعناد الاسرائيلى ، والتى تستفيد سنويا ما لا يقل عن الف مليون دولار عن طريق البترول الذى يفجر من أرض الاسلام فضلا عن مصالحها الاقتصادية الأخرى فى العالم الاسلامى ، وعن نفوذها فى عدد من الدول الاسلامية ، هذه المصالح كلها يجب أن تهدد ، وان تشعر اميركا أن كل مصالحها مع العالم الاسلامى غير مضمونة ، وان كل علاقاتها معه غير مأمونة ، مالم تثب الى رشدها وتتحمل مسئوليتها كدولة كبرى فى هذا العالم ، ويجب أن تستعمل نفوذها فى وقف الغطرسة الصهيونية حالا ، ومنعها من الاستمرار فى عدوانها وغيها وضلالها وأن تنسحب من جميع المناطق المحتلة ، وعلى رأسها وفى مقدمتها القدس الشريف ، وكل دولة تمتنع عن الاستجابة لذلك يعلن اسمها ويحاول معها اقناعها بضرورة السير فى ما تقتضيه مصالحها والمصلحة الاسلامية العليا .

٢ — **على النطاق الشعبى** : ان العالم الاسلامى الذى يعد بمئات الملايين ، يفقد مئات الالوف سنويا نتيجة فتن محلية أو كوارث كونية ، فيجب عليه وعلى كل جماعة منه أن تختار عددا من شبابها ، ليدربوا على أعمال الفداء أو ينتموا الى التنظيمات الفدائية ، أو ينتسبوا حالا لكتائب المتطوعين ، التى أعلن عنها ، ويستمد هؤلاء بعد التدريب الكافى ، ليكونوا من طلائع المجاهدين ، الذين يسترخصون الموت فى سبيل الله ، وفى سبيل القدس والأقصى ، وفى سبيل عزة الاسلام والمسلمين اليس من العيب الفاضح أن يتقدم عدد من اليابانيين ليكونوا طلائع فداء لفلسطين ولا نجد فى شباب المسلمين المئات من هذا القبيل ؟؟

وعلى كل يجب أن يكون هؤلاء طلائع ، وعامل ازعاج وارباك للعدو ، ضمن خطة توضع من قبل المختصين ، ويتفاهم على كيفية تطبيقها ، حتى تؤتى أكلها ، وتنتج الثمرة المرجوة منها ، ولا يضيع دعاء المسلمين هدرا هدرا .

ويجب أن نؤمن عائلات هؤلاء الناس ، فيما لو استشهدوا فى سبيل الله ، وأن يكون لهم على كل حال مورد يقيهم ذلة السؤال والحاجة .

٣ — **على النطاق الرسمى** : يجب على كل دولة اسلامية أن تتقدم لدولة مصر ، والدول المعنية الأخرى بما يمكنها تقديمه من رجال وسلاح ومال ، حتى تقوم ببعض ما يجب عليها إزاء هذا الخطر الماحق ، وحتى يمكن أن تبرأ الذمة أمام الله والناس أجمعين .

٤ — **العلمـــاء** : ولا يجوز أن يقتصر دور علماء المسلمين فى هذا المقام على الفتوى واصدار القرارات ، بل يجب أن يساهموا عمليا فى الجهاد بأنفسهم وأولادهم وأموالهم وليذكروا موقف شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، فى مقاومة التتار والصليبيين وموقف شيخ الاسلام العز بن عبد السلام رضى الله عنه فى ذلك ايضا ، وموقف الشيخ عز الدين القسام رضى الله عنه ، فى محاربة

الانكليز ، حتى استشهد فى سبيل الله ، وليذكروا مواقف الصحابة الأخيار الذين جادوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ونحن نعتقد أن كثيرين من علماء المسلمين من يملكون المال الوفير ، والبنين الكثيرين والقدرة البدنية . فماذا هم فاعلون ؟ وكيف يمكن أن يكون لاقوالهم تأثير اذا لم يبدأوا بالتنفيذ على انفسهم : قال تعالى: **« يايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »** : ٢ — الصف .

وانا أعتقد أن بروز علماء المسلمين بعمائمهم وزيهم الدينى على رأس طلائع الفداء والجهاد سيؤدى بكثير من المسلمين أن يتقدموا الصفوف ، وينخرطوا فى هذا العمل المقدس .

رجاء وتحـــذير :

آمل وارجو ان تتحرك فى نفوس علماء المسلمين وائمتهم عوامل الـــجد والكفاح والجهاد لمقابلة هذا الخطر ، الذى هو محدق بمقدسات المسلمين وعقائدهم وديارهم ، وأن نتذكر نحن أولا ، ونذكر الناس ثانيا بأبعاد قول الله سبحانه :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والفرقان ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » : ١١١ — التوبة .. وأبعاد قوله عن شأنه : **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** : ٧ محمد .

وقوله سبحانه : « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين »** : ١٣٩ آل عمران . وقوله ايضا : **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** : ١٤٢ آل عمران .

ونقنع بأننا مدعوون للانفاق فى سبيل الله والجهاد بأنفسنا فى سبيل الله ، وان الايمان اذا وقر فى النفس لا يقبل الهزيمة ويتحدى كل القوى التى تتحداه ، فاذا استجبنا لداعى الله ، نكون قد نصرنا الله ، وحاشاه أن يتخلى عن نصرنا وأمدادنا بمعونته . وهذه النصيحة التى هى من صلب الدين ، كما قال صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسو لالله ؟ قال : لله ولكتابه وائمة المسلمين وعامتهم — رواه الخمسة .

فالبدار البدار يا قوم قبل فوات الفرصة وقبل أن تحل منا الندامة بعد زوال امكانات العمل ، وقبل ان نقول : ويل للاســـــلام والعرب من شر قد حل لا قد اقترب .

---

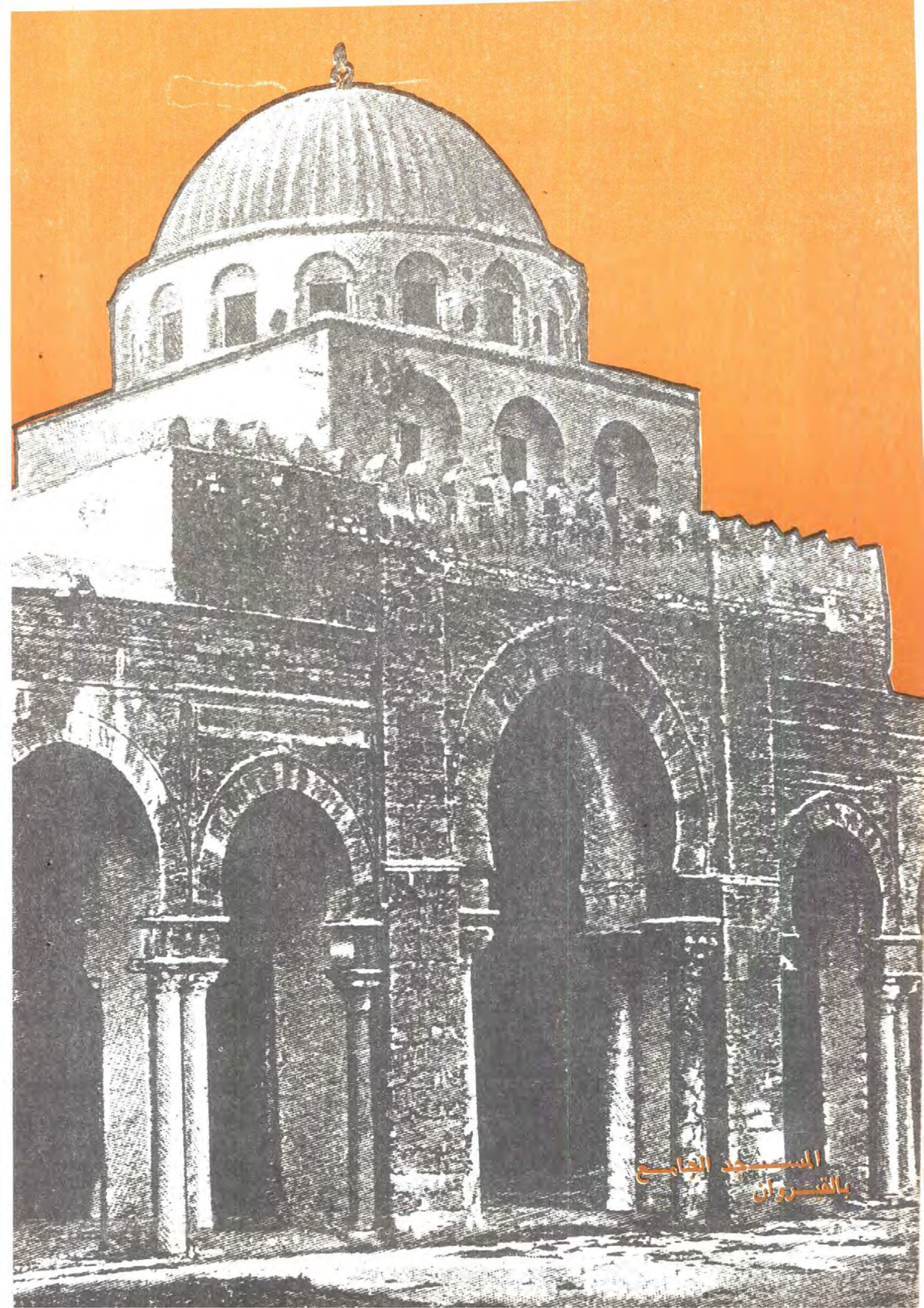
* من الموضوعات التى قدمت لمؤتمر البحوث الاسلامية السابع .

بالجسم والروح

دعنى ونكرى الهوى .. دعنى وليلاه ... ما كان إلا الهوى عندى .. ومعناه
انا المحب .. وحبى ليس يبلغه ... إلا الألى نهلوا من عذب سقياه
انا المحب .. وروحى فيك هائمة ... ترقى إليك على الآمال دنياه
قلبى هو الكون .. ما دام الغرام به ... هو الحياة على نهج سلكناه
لقد رقيت به حتى تجرد بى ... عن كل معنى من الأوهام آباه
قد أشرق الحب فى قلبى فصار ضحى ... وأشرق الحق فى عقلى فاحياه
وللحياة وللنور الذى انبثقت ... عنه الحياة بسر شاءه الله
معنى من الحب يسرى فى جوانحنا ... نرقى السماء به لو قد وعيناه
بالحب قد كانت الأكوان أجمعها ... الكاف والنون سر فى طواياه
فى قطرة النور اسرار قد اتحدت ... فكان للماء منه سر محياه
ومنه ما كان من حى ومن جمد ... ومن أثير .. وقد كانت براياه
والكهرباء لها سر .. نضرنه ... بالعلم فيما نرى .. لكن جهلناه
فاى سر وراء السر ندركه ... إذا جهلنا معانى ما عرفناه
تلك الظواهر سر بعدها عجب ... أمر من الأمر .. لا ندرى خفاياه
والروح..ما سرها..نحيا بها عمرا ... ولا نرى سرها فينا ومغزاه
والعقل .. ما العقل .. ما التفكير .. ما عصب ... به نرى حولنا شيئا رايناه
والقلب .. والدم .. والأحشاء .. اجهزة ... فينا .. وفى كل حى قد درسناه
وما الجزىء .. وما نراته اتخذت ... الى الوجود سبيلا ما دريناه
وما الزمان..وما هذا المكان .. وما ... هذا الفضاء .. مداه قد ضللناه
وما النواميس .. من قد شاءها أزلا ... ومن إذا قال : كن..للشىء .. سواه
ومن إذا قالها صارت الى عدم ... الله سبحانه .. الله .. الله
والله إن شاء للناموس خارقة ... او شاء تعطيله .. اصفت براياه
هل كان ما كان فى الإسراء يعجزه ... أو كان ما كان فى المعراج .. حاشاه
ما للفضاء على ابعاده أثر ... ولا الزمان له حد وبمداه

للأستاذ الربيع الغزالي

ولا المكان على آماد فسحته   ولا مفاهيم عقل ضلّ مأتاه
وقطرةُ النور لو شفّت لما جمدت   ولا استحالت على أمر تلقاه
فكيف بالنور في جسم امرىء كتبت   له العناية أمرا جلّ معناه
محمد .. وهو نور الله .. صوره   وشق من نوره أنوار دنياه
قد شفّ نور رسول الله حين سرى   في الليل للمسجد الأقصى فحياه
بالجسموالروح قد أسرى به .. ومضى   به إليه على معراجه الله
شق البراق به الأكوان قاطبة   في ومضة البرق .. جل الله مولاه
وسدرة المنتهى والآى كاشفة   والله ما شاء يعطيه ويرعاه
والله يمنحه ما شاء من كرم   عناصر الخلق فيه حين سواه
حياه .. حبى الذى من نوره أجمعه   نورا تجسد خلقا في هبولاه
وعنه سوف يكون النور عارفة   من الهداية للأيام تلقاه
دين هو الدين .. يهدى من يشاء به   ومن يضلّ .. فما قد كان أعماه
الله حيا رسول الله حين سرى   وحين صار إليه بعد مسراه
صلى عليه .. فصلى وهو مبتهل   لله في غمرة الأنوار مجلاه
ألقى اليه إله العرش منحته   هذي الصلاة .. على أمر تلقاه
وعاد للأرض يُهدى الأرض شرعته   فريضة الله .. في يمناه يمناه
ما كلف الله جبريل الأمين بها   وحيا .. على ما سواها قد عهدناه
هدية الله للدنيا .. بها صلة   إليه .. حين تناجيه وترعاه
الله اكبر فيها عز قائلها   على تقاة لرب الناس تقواه
في هذه الليلة الغراء نذكرها   عيد الصلاة بها .. إنا بلغناه
يا ليتنا .. ليتنا يا رب نفهمها   ونلتقي بك فيها عند لقياه
عيد النبي .. وقد أكرمته كرما   ما إن يدانيه لا ملك ولا جاه
هذا اللقاء الذى ما ناله رسل   ولا ملائكة .. قد جل معناه
لك الصلاة إلهى .. والصلاة على   من أنت بالوصل قد أكرمت مثواه
يا رب .. إنا على عهد نقيم به   إليك أوجهنا في الدين .. ربّاه
يا رب .. إنا على الإسلام قد خشعت   منا الوجوه .. على ما أنت ترضاه
المسلم الحق : من بالدين عز على   كل الورى .. وتعالى عن دناياه
ومن يلين جناحا .. وهو ذو غلب   للمسلمين، .. واعلى شأنه الله


المسجد الجامع
بالقيروان

دور المساجد في بناء الجماعة الإسلامية

الدكتور / حسين مؤنس



المساجد ركائز الجماعات الإسلامية :

المساجد اجمل ما تقع عليه عين الانسان فى عالم الاسلام ، فسواء أكنت فى قرية صغيرة خافية في بطن الريف أو مستكنة خلف كثبان الرمال فى الصحراء او راقدة فى لِحف جبل ، او كنت في عاصمة كبيرة مترامية الأرجاء متدفقة الحركة عامرة بالعمائر السامقة ، فان المساجد بمآذنها الرقيقة المنسرحة الذاهبة مع الجو مشيرة الى السماء وقبابها الصافنة الأنيقة تضيف الى المنظر عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا تتاتى له بدونها ، فهى تزيل الوحشة عن تواضع مبانى القرية وصِغَرِها وتنفى الجمود عن غرور مبانى العواصم ، وتضفى على مقطع الأفق فى القرية والمدينة توازنا يروع النفس ولمسة من جمال روحى هادىء رقيق .

دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

ويتجلى لك ذلك فى أصفى صورة ساعة المغيب ، عندما يختفى حاجب الشمس وراء الأفق مخلفا فى السماء وهجا أحمر برتقاليا يشوبه شىء من بنفسج ، وبينما تتحول صور المبانى الى ظلال سوداء متراصة كأنها أشباح تبدو لك المساجد بمآذنها وقبابها أطيافا جميلة تضفى على الشفق الدامى من ورائها جمالا يحس به قلبك اكثر مما تراه عيناك ، وفى لحظة مّا ، وقبل أن يهبط رداء الليل يخيل اليك أن كل ما كان يتراءى عند مقطع الأفق قد تلاشى ولم تبق الا المساجد ! ولأمر ما تحسَ انها يقظى بينما كل ما حولها قد رقد بين احضان الليل كأنها ملائكة حارسة تظل مكانها رمزا على الأمل فى رحمة الله للهالكين من أهل الأرض . وبالفعل ان المساجد حارسة عالم الاسلام ، فقَلّ من مدننا ما كانت له أسوار عالية الجدران كما ترى فى غيرعا لم الاسلام : هناك تجد الأسوار المنيعة التى تصل الى ضخامة سور الصين وطوله ، ونجد الأبراج العالية كما نرى فى معظم بلاد أوروبا ، أما فى عالم الاسلام فما أقل الحصون والأسوار فى بلاده ! لأن المساجد كانت حصونه فى كل مكان ، فهى مراكز الايمان ورموزه ، والايمان قوة عالم الاسلام الكبرى ، فقد نجت أمم الاسلام من المحن الطاحنة فى العصور الماضية بفضل الاسلام وحده

وانك لتستطيع أن تقول ان المسيحية عاشت بفضل المسيحيين أما فى عالمنا الاسلامى فقد عاشت أمم الاسلام بفضل الاسلام . ولقد غزا الصليبيون أرض المسلمين وغلبوهم ولكنهم لم يغلبوا الاسلام . وحول راية الاسلام الرفيعة تجمع الناس وساروا فى ظلها مستلهمين عزتها ، وتمكنوا من تحرير بلادهم .

وهاجم المغول عالم الاسلام من شرق وخربوا البلاد وأهلكوا العباد ، ولكنهم لم ينتصروا على الاسلام ، بل هزمهم الاسلام وغزا قلوبهم ، وفى نفس المساجد التى خربها المغول فى طريقهم من سمرقند الى حلب وجعلوا معظمها اطلالا ركع المغولى المغلوب على أمره وسجد للواحد القهار تحت سقوف المساجد ، وقام أحفاد هولاكو باعادة بناء المساجد التى هدمها جدهم وفيها صلوا وتحولوا الى بشر مسلمين ، ولم يلبثوا أن خرجوا هم أنفسهم مجاهدين فى سبيل الاسلام حاملين رايته مدافعين أعداءه وسائرين باسمه فى معارج الرقى والعمران .

ومع ذلك فالمساجد فى جملتها منشآت صغيرة الحجم بسيطة العمارة ، ونادرا ما تكون سامقة الارتفاع . ولو أخذنا واحدا من اضخم مساجد الدنيا مثل مسجد قرطبة الجامع أو مسجد الكُتُبيّة فى مراكش أو جامع ابن طولون او السلطان حسن فى القاهرة أو مسجدى شاه فى أصفاهان أو جامع السليمانية فى الآستانة أو جامع القطب فى دلهى ، فان اضخمها لا يقاس شيئا الى كنيسة كانتربرى فى لندن أو النوتردام فى باريس أو القديس بطرس فى روما أو الدوم فى كولونيا أو سَمَرْكو فى البندقية ، فهذه كلها جبال اذا قيست الى المساجد ، ولو أخذت الصخر الذى

بنيت به نوترودام مثلا لوجدته يعدل فى الحجم والوزن أربعة أو خمسة من مساجد الاسلام الكبرى ، فاذا ذكرت الى جانب ذلك أن معظم مساحات مساجد الاسلام صحون خالية غير مسقوفة ، وان معظمها كان يضم فى نفس الوقت مدرسة ومستشفى وضريحا وسبيل ماء (كما نرى فى مساجد القاهرة المملوكية) تبينت أن مبانى أعاظم المساجد ليست بشىء الى صغار الكنائس والبيع ومعابد الهندوكيين والبوذيين .

بل انك لتجد فى المسجد أحيانا من الرقة والخفة ما يجعلك تتصور انها أبنية هشة يتضعضع بناؤها لأقل حادث ، وبعض المساجد الكبرى بالفعل هشة البناء قامت على أعمدة دقيقة كأنها أقلام رصاص ، فان أعمدة مسجد قرطبة الجامع مثلا لا يزيد سمك الواحد عن ٣٠ سنتيمترا ، ومعظم أبدان المآذن بعد شرفة الأذان مكون من جدران سمك الواحد منها آجرتان ، فانك تدهش من انها ترتفع رغم ذلك فى الجو نحو الثلاثين مترا ، ومآذن روائع المساجد العثمانية لا يزيد قطر معظمها على ثلاثة أمتار مع أن ارتفاعها يجاوز الثلاثين مترا ، فهى على ذلك هشة بالفعل ، ولكن ما أمتنها ! لا زالت قبة الصخرة والجامع الأموى فى دمشق ومسجد عقبة فى القيروان والجزء الأول من جامع قرطبة قائمة على رقتها رغم أنها كلها قطعت من العمر ما بين الاثنى عشر والأربعة عشر قرنا .

وطبيعة المساجد نفسها تتنافى مع الضخامة والاسراف فى الزينة ، لأننا نعرف أن المسجد ينبغى أن تتناسب هيأته مع بساطة الاسلام وصفائه ، فالاسلام سهل يسر واضح ، وعباداته كلها بسيطة واضحة لا غموض فيها ، والسبب فى ذلك أن المساجد أقيمت للصلاة ، فهى مواضع مطهرة مصونة عن الطريق يقف فيها العبد بين يدى خالقه ليؤدى صلاته . والصلاة فى صميمها طلب الرحمة من الله ، ولا بد لها من صفاء النفس واخلاص النية وطهارة القلب والاتجاه نحو الخالق بالروح قبل الجسد ، والمحراب الحقيقى لصلاة المسلم هو قلبه ، فاذا كان قلبه سليما صافيا صحت صلاته وتقبلها الله سبحانه ، واذا كان القلب كدرا مثقلا بمطامع الدنيا لم تصح الصلاة ولا كانت مقبولة ، ويستوى فى هذه الحالة أن يصلى الانسان على حصير نظيف جاف يبسط فى الهواء الطلق أو وعلى طنفسة غالية الثمن تحت سقف جامع سامق الجدران ، ومن هنا كره الصالحون المساجد الضخمة المثقلة بالزينة ، لأن المظهر الفخم لا يخلو من غرور وتكلف ، ولأن الزينة تشغل المصلى عن الانصراف بقلبه نحو الخالق . وهذه البساطة هى أجمل ما فى معظم المساجد ، وانه لمن مفاخر المعماريين المسلمين انهم تمكنوا من انشاء مساجد هى الغاية فى الفخامة والروعة مع المحافظة على روح الاسلام التى تتجلى فى البساطة الوقور .

والمسجد هو مركز ترابط الجماعة الاسلامية وهيكلها المادى الملموس ، فلا تكتمل الجماعة الا بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض ويتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأى ، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم ، ويلتقون فيه مع رؤسائهم ، أو يتجهون اليه لمجرد الاستمتاع بالقعود فى ركن من أركانه كما يفعل الناس عندما يزورون حديقة ليروحوا عن أنفسهم ، فالمسجد على هذا ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية أيضا بالنسبة لكل مسلم على حدة وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة .

دور المساجد في بناء الجماعة الإسلامية

المساجد ملك للجماعات الاسلامية :

ذلك أن المسجد هو بيت الله وهو أيضا بيت الجماعة وبيت كل واحد منها على حدة ، وهو الشيء الوحيد الذي كانت تملكه الجماعة مشتركة وإن كان الذي بناه هو السلطان أو الخليفة أو الدولة ، ولهذا فقد استخدمته الجماعات الاسلامية في تسيير شئونها العامة مستقلة بذلك عن سلطان الدولة ، وأظهر مثل لذلك هو استخدام المسلمين لمساجدهم دوراً للقضاء ، لا لأن الدول كانت عاجزة عن انشاء دور للقضاء ، بل لأن القضاة وأهل الورع أرادوا أن يسير القضاء في طريقه بعيدا عن تأثير الدولة ورجالها فجلسوا في المساجد — وهي ملك الجماعة — واتخذوها مقرا للعدالة ومكانا للتقاضي ، ومن المعروف أن القضاة أنفسهم هم الذين قرروا مبدأ إجراء القضاء في المساجد ، وقضاتنا الأول في المدينة المنورة وعواصم الاسلام الأولى لم يطلبوا الى الخلفاء أن ينشئوا لهم دورا للقضاء ، بل اتخذوا مجالسهم في المساجد قصدا ، وعقدوا مجالسهم فيها علنا ، وأصدروا أحكامهم ولم يتركوا للدولة الا موضوع تنفيذ الاحكام عن طريق أعوان يقفون خارج المسجد تحت تصرف القاضي . وتحت سقف المسجد وبين أفراد الجماعة الاسلامية أَحَسَّ القضاة انهم أحرار وأنهم يخدمون الجماعة بتطبيق شرع الله أحرارا من كل قيد . وبلغ من تمسكهم بهذا المبدأ أن الكثيرين منهم كانوا يتعففون عن تناول أجر عن القضاء ، وذلك حتى يكونوا أحرارا تماما في اصدار أحكامهم ، وعندما تقرر مبدأ الرواتب للقضاة لم تعد ثقة الجماعة في قضاتها كما كانت قبلا .

ولنفس السبب استخدمت الجماعة مساجدها معاهد للتعليم ، لأن العلم كان دائما من اختصاص الجماعة ، فلم تكن دول السلاطين مسئولة عن التعليم حتى في العصر الأول ، انما كان التعليم من اختصاص الأفراد والجماعة ، فكانت الجماعة تتكفل بمعاش المعلمين سواء أكانوا معلمين صغارا يعلمون الصبيان القراءة والكتابة ويحفظونهم القرآن أو شيوخا أجلاء يقرأون علمهم على طلابهم في المسجد في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب ، فلم نسمع أن الدولة قررت راتبا لمعلم أو شيخ الا ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما قامت المدارس في المشرق ، ولا ندري على وجه التدقيق كيف كان يعيش أجلاء العلماء على طول تاريخنا الماضي ، ولكن الواقع أنهم عاشوا في مستوى طيب ، مما يدل على أنهم كانوا يعيشون على دخول وافية بحاجاتهم على الأقل .

ومن الثابت أن أهل العلم في القرون الأولى لم يتقاضوا رواتب من الحكومات فيما عدا ما نسمع عنه من الجوائز والصلات بين الحين والحين ، وهذه ليست رواتب . وقد اعتمد العلماء على أنفسهم وعلى الجماعة في شئون معاشهم . ولا شك في أن الجماعات تكفلت بمعاش المعلمين والمشتغلين بالعلم عامة . واذا كان معظمهم على ما نعلم من أسر

متواضعة اقتصاديا ، فعلام كـــان عمادهم فى حياتهم اذن ؟ على الجماعة بطبيعة الحال : الجماعة قدمت لهم المساجد وهو بيتها الـــذى تملكه ، واوقف الناس على العلم واهلـــه العقارات ، ثم ان الطلاب كانوا يؤدون احيانا عن السمـــاع ما تيسر لهم اداؤه . وهكذا اعدت الجماعة رجال العلم فيها دون أن يكون للدول عليهم كبير فضل فيما خلا عطايا وهبـــات متفرقة وغير ثابتة لهذا العالم او ذاك كما قلنا ، ومن المؤكد على اى حال ان اصحاب السلطان وهبوا الشعراء الذين مدحوهم (بما ليس فيهم فى الغالب) اضعاف ما قدموا لأهل العلم من الأموال ، وخيرا فعلوا ، فقـــد كان هذا ضمانا للعلم واهله ، والـــى ذلك يرجع الفضل فى ظهور تلـــك الأجيال المجيدة من أهل العلم علـــى طول تاريخنا . فان اعتماد العالم على الجماعة تطلب ممن اراد الاستمرار فى جملة العلماء أن يكون عالما حقا ، فما كانت هناك دولة تمنح شهادات ، وما كانت اجازات الشيوخ لطلابهـــم بمقبولة عند الجمهـــور الا اذا ثبـــت بالفعل ان الرجل عالم حقا ، وذلك عن طريق دروسه التى تلقى فى المسجد ويسمعها من اراد ، فكان العالم فى امتحان دائم ، وكان عليه أن يثبـــت يوما بعد يوم انه لا زال فى مستـــواه الرفيع ، وكم من عالم فقد مركـــزه نتيجة لأخطاء وقع فيها فى الأقراء أو فى الإجابة على أسئلة الطلاب ، وما كان أقسى الطلاب على الشيـــخ اذا وقع فى خطأ أو شبه خطأ .

المساجد مراكز للعلم ومعاهد للدراسة

وذلك كله راجع الى أن المساجـــد اتخذت معاهد للعلم ، فقد ضمن ذلك كفاءة العلماء من ناحية وحرية أهـــل العلم من ناحية اخرى ، فقد اصبحوا بهذا فى امتحان أو محنة يوما بعد يوم ، ومن المؤكد انه لو كانت الأمة تركـــت العلم لرجال الدولة لما ظل العلم فى بلاد الاسلام دائما فى ذلك المستوى الرفيع ، فقد كان على العلمـــاء أن يواصلوا الدرس ليحافظوا علـــى مكانتهم أمام الناس الذين يستمعون الى دروسهم ، ولو تبنت الدولة العلم لفرضت على الناس — اذا شاءت — الأدعياء والدخلاء وأفسدت العلـــم بذلك ، ولو قعد العلماء للتدريس فى دور بنتها لهم الدول وتقاضوا أرزاقهم منها لأصبحوا فـــى عداد خدمهـــا وحواشيها .

ونحن لا نفخر فى تاريخنا بنظـــم الوزارة والكتابة والحجابة وما اليها من النظم التى كانت بأيدى رجـــال الدول ، ولكننا نفخر بالقضاء ونفخـــر بالعلم ونفخر بأهل المعمار ونفخـــر باعلام قراء القرآن ونفخر بالحسبـــة والمحتسبين ونفخر بالشعر والشعراء والأحرار من الناشـــرين الذين لـــم يسخروا ملكاتهم للمكاتبات السلطانية ونفخر كذلك بالصادقين من شيـــوخ التصوف ، وهؤلاء جميعا كانوا يمثلون مؤسسات اسلامية عامة احتفظت بها أمة الاسلام فى يدها .

ونرجو ألا تبدو كلمة مؤسســـات هنا فى غير موضعها إذ الحـــق أن القضاء كان مؤسسة والتعليم كـــان مؤسسة وهكذا . حقا لم تكن للقضاء مثلا هيئة عليا تشرف عليه وتمثـــل ما سميناه بمؤسســـة القضـــاء ، ولكن الجماعة الاسلامية كلها كانت تشرف على القضاء وتحافظ على تقاليـــده ، وكانت الأمة ترعى العلم والعلمـــاء وتحرص على أن تظل مؤسسة العلم او نظام العلم واهله فى مستواهـــا الرفيع من الجد والوقار والتصـــاون وحسن السمت والاخلاص للعلـــم . وكما أسقطت الجماعة من احترامهـــا مَن شكت فى نزاهتهم من القضـــاة

دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

فلم يلبثوا أن تلاشوا فكذلك نزعت ثقتها من العالم اذا خرج عن الطريق السوى أو تخلى عن سمت أهل العلم . ولدينا مثل جماعى لا يقبل الشك لهذه الحقيقة ، وهى أن نفرا من أهل القضاء والعلم فى افريقية (تونس) انضموا الى الفاطميين عندما قامت دولتهم هناك أواخر القرن الهجرى الثالث فاعتبرتهم الجماعة خارجين عليها وعلى نظامها فاسقطتهم من اعتبارها . بل عدّ بعضهم كفارا فعلا . ولم ينفعهم بعد ذلك تأييد خلفاء الفاطميين فى شىء فقد سقطوا من أعين الجماعة سقوطا نهائيا ، لا بسبب مذهبهم الدينى بل لأنهم جروا فى ركاب و « اذلوا جاه الدين لجاه الدنيا وهذا لا يجوز فى شرع العلم » كما قال الفقيه أبوعثمان سعيد بن الحداد .

وكان اكبر ما أعان الجماعة على المحافظة على سلامة مؤسساتها كالقضاء والعلم انها كانت تملك المساجد فوضعتها تحت تصرف القضاة وأهل العلم ، وهذه ناحية من نواحى الحضارة الاسلامية لم تدرس بما هى أهله من العناية والبحث رغم أهميتها ، ولو درست لكشفت عن ناحية جليلة من نواحى حضارتنا ، ولأظهرت جانبا هاما من جوانب الدور الذى أدته المساجد لجماعة الاسلام .

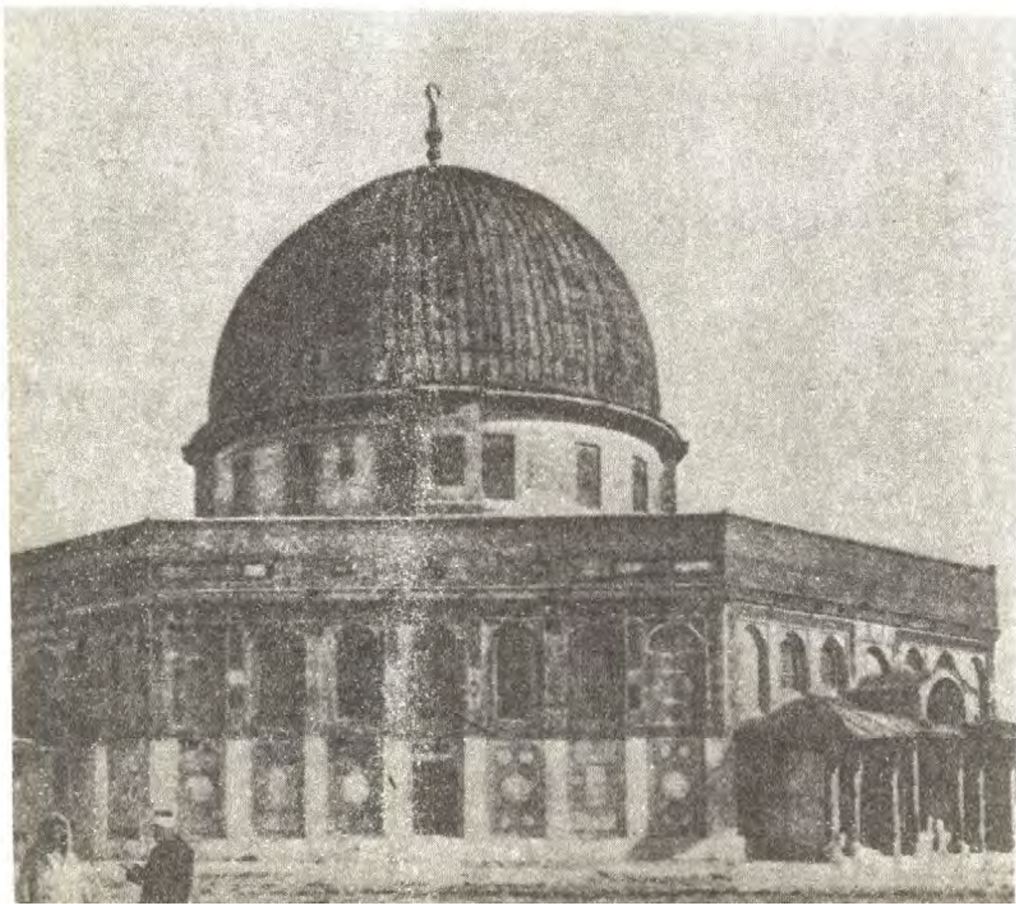
ومراكز ترابط بين المسلمين

ولكى يزداد الدور الاجتماعى للمساجد فى عالم الاسلام وضوحا نلفت النظر الى أننا اذا قرأنا كتب كبار الرحالة المسلمين مثل احمد ابن محمد المقدسى البشارى وابن جبير والعيدرى وابن رُشَيْد وابن بطوطة لاحظنا أن أولئك الرجال كانوا اذا نزلوا بلدا لا يعرفون فيه أحدا اتجهوا الى المساجد ، وهناك يلقون الغرباء من أمثالهم فيسألونهم عن الفنادق والأسعار وسبل المعيشة للغريب الطارىء ، وفى معظم الأحيان كانوا يتعرفون هناك ببعض أهل البلد ويعرّفونهم بأنفسهم ، فما يكاد هؤلاء يعرفون أنهم أمام عالم مسلم غريب حتى يفتحوا له الأبواب : يستضيفه بعضهم أو يدلّونه على رجل من أهل الخير والفضل فيقوم بالواجب نحوه ، وسرعان ما يقدمونه لكبير البلد سواء أكان القاضى أو العامل أو تاجرا كبيرا أو واحدا من علية القوم ، وهنا تنحل مشكلة اقامته وطعامه فى البلد ، وفى أحيان كثيرة كانوا يعرضون عليه عملا يناسب مكانه وعلمه . ويصل الأمر الى المصاهرة أحيانا ، فيتخذ الرجل له أهلا فى ذلك البلد الذى لم يعد بفضل المسجد غريبا .

ويحكى العَبْدَرِى ، وكان شيخا شديد الحياء مرهف الحس انه ما نزل بلدا الا قصد الى الجامع رأسا ، وهناك يتعرف على الشيوخ وطلبة العلم فيجد فيهم الصاحب والأهل ، وكان اكرام الناس له يصل الى حد أن بعضهم كان يترك عمله ومصالحه ليعين هذا العالم الغريب ويرافقه طيلة اقامته فى البلد .

ويحكى أبو بكر ابن العربى (٤٦٨–٥٤٢/١٠٧٦–١١٤٨) فى رحلته ان المركب الذى كان ينقله مع أبيه من الأندلس الى الاسكندرية

جامع عمرو بن العاص
فى الفسطاط . انشىء
سنة ٢١/٦٤٢ .



قبة الصخرة ، وهى
مبنى تذكارى ومسجد
عتيق فى آن واحد .
شرع فى انشائه فى
صورته الحالية عبد
الملك بن مروان سنة
٦٩/٦٨٨ .

عصفت به الريح وغرق قرب شاطىء طرابلس ، ولكن الله يسر لهما النجاة الى الشاطىء فى أسوأ حالة ، فأخذهما الناس الى الجامع ، وكان الموضع منزلا لبعض بطون قبيلة كعب ابن سليم ، وفى الجامع أسرع الناس اليهما بشىء من الكسوة ، ثم اتجهوا بهما الى شيخ القبيلة فلقيا من اكرامه شيئا كثيرا ، اى ان الجامع كان أيضا ملجأ للغريب الذى نزلت به محنة . وفى الفتوحات المكية يقول محيى الدين بن عربى انه ما كان يقصد فى أى بلد الا الى الجامع ليلقى أمثاله من الغرباء والسواحين ويتأنس بهم ، ويقول انهم كانوا اذا خرجوا من صلاة العشاء وجدوا رجالا كثيرين يحملون قصاعا من الطعام يرسلها اهل الخير للغرباء ، ويقول ان هذه القصاع كانت كثيرة ، ولم تقتصر على الثريد وكسر الخبز وبقايا الموائد وانما كان فيها الجيد الرفيع الذى يصنعه اهل الخير لغرباء المسلمين خاصة ، وكان الكثيرون من أهل الزهد يتعففون عن هذا الطعام لأنهم لا يعرفون ان كان من مال حلال أو حرام ، اما ابن عربى فيقول : « وكنت اذاهجم الليل وانا خالى الوفاض تبلغت من تلك القصاع بما يعين على قيام الليل والأعمال بالنيات . وما نزلت بلدا الا وجدت فيه هذه الخصلة اللطيفة من خصال أهل القبلة وما وجدتها عند غيرهم ، وهذا من فضل الله عليهم ، وما كرهت فيها الا ان بعض الأراذل جعلوا دابهم الاعتماد عليها فى عيشهم كله فصارت كدية » .

ويحكى أحمد بابا التمنيكتى ان بلاد المسلمين التى مر بها فى أقاليم السودان تميزت بوفرة طعام اهلها فلا تجد فيها جوعا ولا مسطبة لأن الناس يعمدون الى أفضل ما بقى من طعامهم فيجعلونه على حصر نظيفة عند الجامع ، فيصيب منها الجائع والمحتاج حاجته ، ومن غريب أمرهم ان الغرباء كانوا لا يصيبون الا قدر ما يكفيهم ولا يأخذون منه شيئا معهم ، وهذا عندهم عيب كبير ومثله كذلك ان يكون الرجل قادرا على الكسب ثم يصيب من هذا الطعام .

وفى سيرة أحمد بن ابراهيم الجزار وهو من أعاظم أطباء المسلمين وكان قيروانيا من اهل القرن الرابع الهجرى انه كان يخرج بعد صلاة العشاء ويقف على باب الجامع ليداوى المرضى من الفقراء ، وكان يصطحب عبدا يحمل أصناف الأدوية فيعطيهم منها ما يرى ، وكان يعمل ذلك حبا فى الله وبرا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا كان الكثيرون من صلحاء اهل الطب .

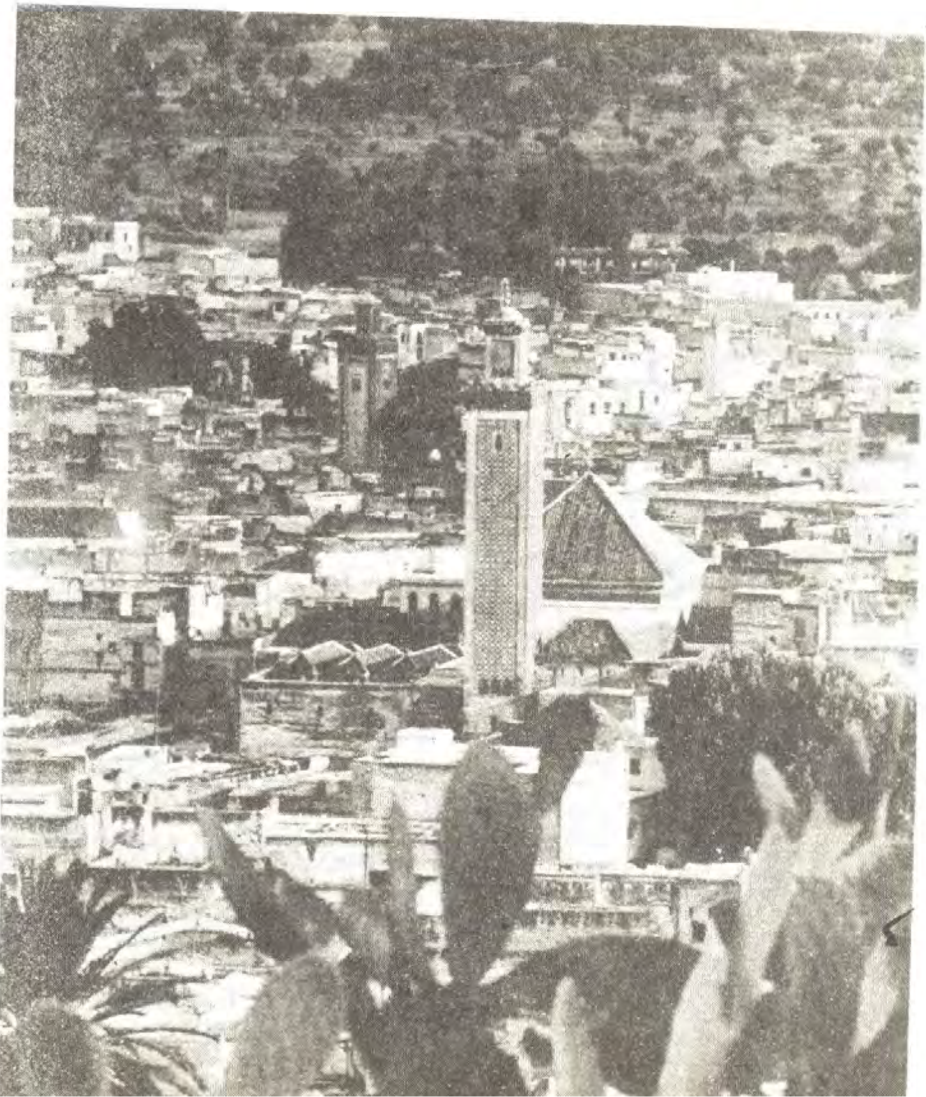
المساجد طلائع التقدم الاسلامى :

وعندما وصل ابن فاطمة الرحالة الى آخر بلاد غانة نظر الى ما وراءها وسأل عنها فقالوا له : « هذه بلاد الكفر ، فقال لمن معه : هلا بنينا مسجدا فى هذا الموضع ؟ فقالوا : يحرقه الكفار ، فقال : لا والله ما يحرق المساجد الا الجبار العنيد ، وهؤلاء قوم على الفطرة لا يعرفون الشر ، فما انتهى اليوم حتى كنا قد اقمنا مسجدا صغيرا من طين وسقفناه بالسعف ، واختار شيخ كبير من الرفقة أن يقيم عند المسجد ليخدمه وتركناه ومضينا ، وعندما عدت بعد شهور قليلة وجدنا الموضع قد سار بلد اسلام ، وامتدت المساجد فيما قالوا انه بلد الكفر أميالا كثيرة ، واصبح الشيخ اماما فى نعمة كبيرة ببركة هذا المسجد المحروس » .

وهذا الذى ذكره ابن فاطمة ليس فريدا فى بابه ، فقد كان أهل الطرق الصوفية الذين يخرجون بالمتاجر فيما يلى الهند غربا وفيما يلى بلاد المغرب



● المسجد الأموى فى دمشق . انشاه عبد الملك بن مروان وبدأ فى بنائـه سنة ٨٧/٧٠٦ .



جامع القرويين فـى فاس . انشىء على يـد ادريس الثانى المؤسس الحقيقى لدولة الادارسة سنة ١٧٢/٧٨٨ .

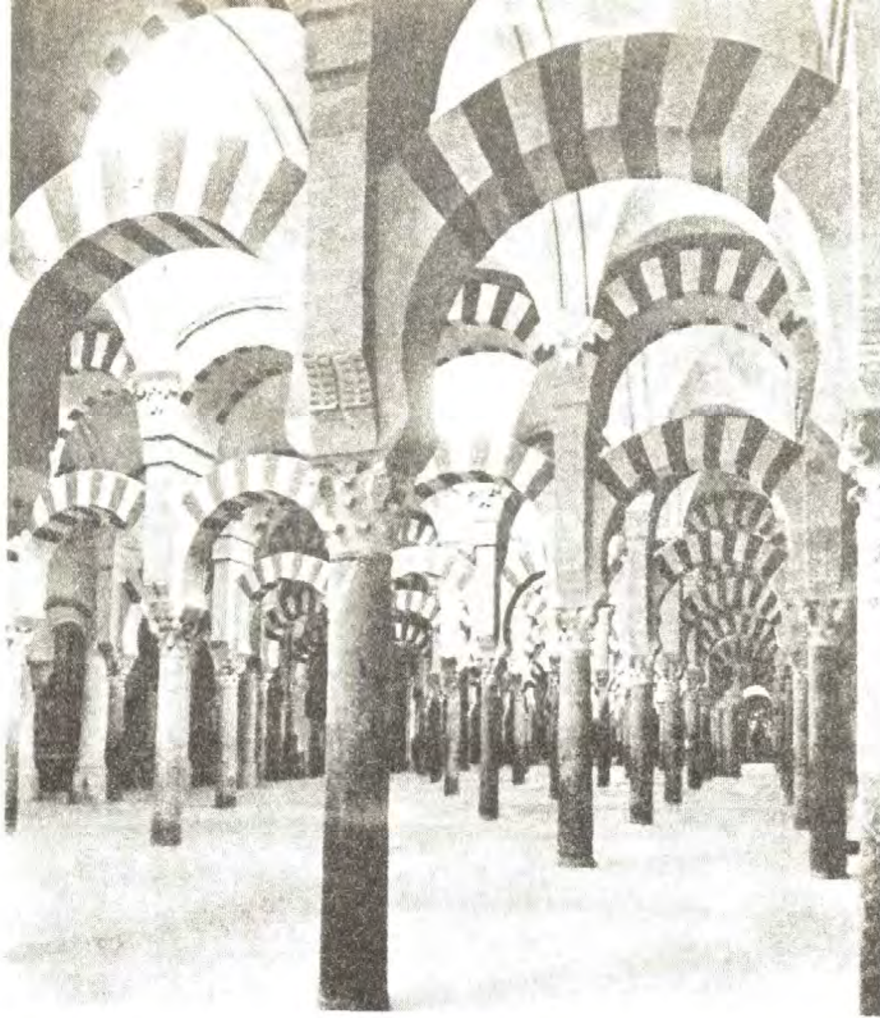
دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

الأقصى جنوبا يعمدون الى بنـــاء الزوايا فى كل موضع يصلون اليه . فلا يلبث الموضـــع أن يصير بلـــدا اسلاميا ، وأمامك « تاريخ السودان » للناصرى السعدى الرحالة تجد فيه عشرات الأمثلة على ذلك فيما يتصل بافريقية الدارية والاستوائية ، وقــد حكى العلامـــة الـــفرنسى فنســـان مونتاى Vineent monteil أن هذه أيضا كانت طريقة تجار المسلمين فيما يلى بلاد الهند شرقا . فقد كانت جماعات تجار المسلمين اذا تكـــرر نزولهم فى موضع ابتنوا مسجــــدا ليكون مكان تجمع لهم فلا يلبث اهل الموضع أن يقبلوا على الجامع ويدخلوا فى الاسلام ، وطرق التجارة كانـــت طرق اسلام فى آسيا كما كانت فـــى افريقيـــا . وكانت تلك الزوايـــا المتواضعة طلائع الزحف الاسلامى ، واذا اردنا أن نتعرف طرق التجارة فى هذه النواحى فعلينا ان نتتبع خطوط الزوايا . ولقد روى هذا العالــــم الفرنسى عن أبيه وكان عالما جليـــلا مثله ، انه قال ان بعض هذه الزوايا المتواضعة كان لها من الأثر فى نشـــر الاسلام ما يفوق ما كان للكاتدرائيات الضخمة فى نشر المسيحية . ولقــد بدأوا ذات مرة فى انشاء كنيسة فـــى قرية فى السنغال ، وبينما كانوا فى البناء نزل « مَرِيد » .. واخذ يدعو للاسلام ، وفى بحر سنتين وقبل أن يوضع سقف الكنيسة كان هذا المريد قد حول أهل القرية كلها الى الاسلام وامتلأت البلد بالزوايا فكفوا عن اكمال بناء الكنيسة وصرفـــوا نظرا عـــن الموضوع .

وتجد العشرات من الأمثلة عـــلى صدق ما نقول فى تاريخ حركة صوفية معاصرة هى السنوسية ، فان زوايا السنوسية امتدت من واحة الكفرة وفزان فى خطوط طويلة وصلت الى بحيرة شاد ثم وادى النيجر الأعلـــى واخترقت طرق الصحراء المخوفـــة فأصبحت طرقا آمنة عامرة بالنـــاس وحملت الاسلام الى اقصى بـــلاد جمهوريات تشاد والنيجر والفولتا . وكانت نقطة البداية فى كل موضع هى الزاوية أى المسجـــد : فالمسجـــد الصغير يلد الجماعـــة الاســـلامية ، وهذه الجماعة الاسلامية تنشـــئ مسجدا صغيرا فيمـــا يليها وهـــذا المسجد الصغير الجديد يلد جماعـــة اسلامية جديدة وهكذا ...

واليك شهادة من التاريخ تؤيد ذلك الذى نقوله : فى سنة ٣١ هجريـــة /٦٠١ غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح عامل مصر بلاد النوبة والتقـــى معهم فى معركة دنقلة التى تكتب فى النصوص دمقلة (بالميم) وهزمهـــم وكتب مع رئيس الناحية أو عظيـــم النوبة عهدا وعقد معه حلفا يســـمى البَقْط ، يصبح اهل النوبة بمقتضاه حلفاء المسلمين ، وابتنى سعد بعـــد ذلك مسجـــدا هو أقدم مساجـــد السودان . لقد بناهعبد الله بن سعد ليكون طليعـــة للاســـلام اى ليَلِدَ الجماعة الاسلامية فى الســـودان ، وجاء فى نص عقد الحلف الذى عرف بالبقط : « وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفنـــاء مدينتكـــم ولا تمنعوا فيه مصليـــا وعليكم كَنْســـه واسراجَه وتَكْرِمتَه » .

لقد عرف عبد الله بن سعد ومـــن معه من المسلمين اهمية ذلك المسجد



مسجد قرطبة الجامع. شرع في انشائه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل سنة ٧٨٦/١٧٠ .

● المسجد الأقصى في القدس الشريف . تراجع أولياته الى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولكن منشئه بصورته القريبة من الحالية هو الوليد بن عبد الملك سنة ٧١٥/٩٧ .

والدور الذى سيقوم به ولهذا اشترطوا على اهل النوبة كنسه واسراجه وتكرمته ، أى العناية به واحترامه .

وسبحان الله الذى أوحى الى رسوله أول ما وطئت قدمه « قباء » أن ينشىء مسجدا ، فقد كان ذلك مولدا لجماعة الاسلام فى المدينة ، وعندما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم فى منازل بنى عدى بن النجار فى وسط المدينة لم يقدم شيئا على بناء مسجده ، وعندما قام هذا المسجد ظهرت الجماعة الاسلامية الأولى الى الوجود .

ونخرج من ذلك بالحقائق التالية :

١) ان المساجد كانت مراكز اتصال بين أفراد الجماعة الاسلامية الكبرى . فى المساجد كان الغرباء من أبناء الجماعة الاسلامية الكبرى يتلاقون . هناك كانوا يتجمعون ويتعرف بعضهم الى بعض . وهناك كانوا يشعرون بأنهم ابناء أمة واحدة هى أمة الإسلام وبفضل المساجد لم يكن المسلم يشعر بأنه غريب فى اى بلد اسلامى .

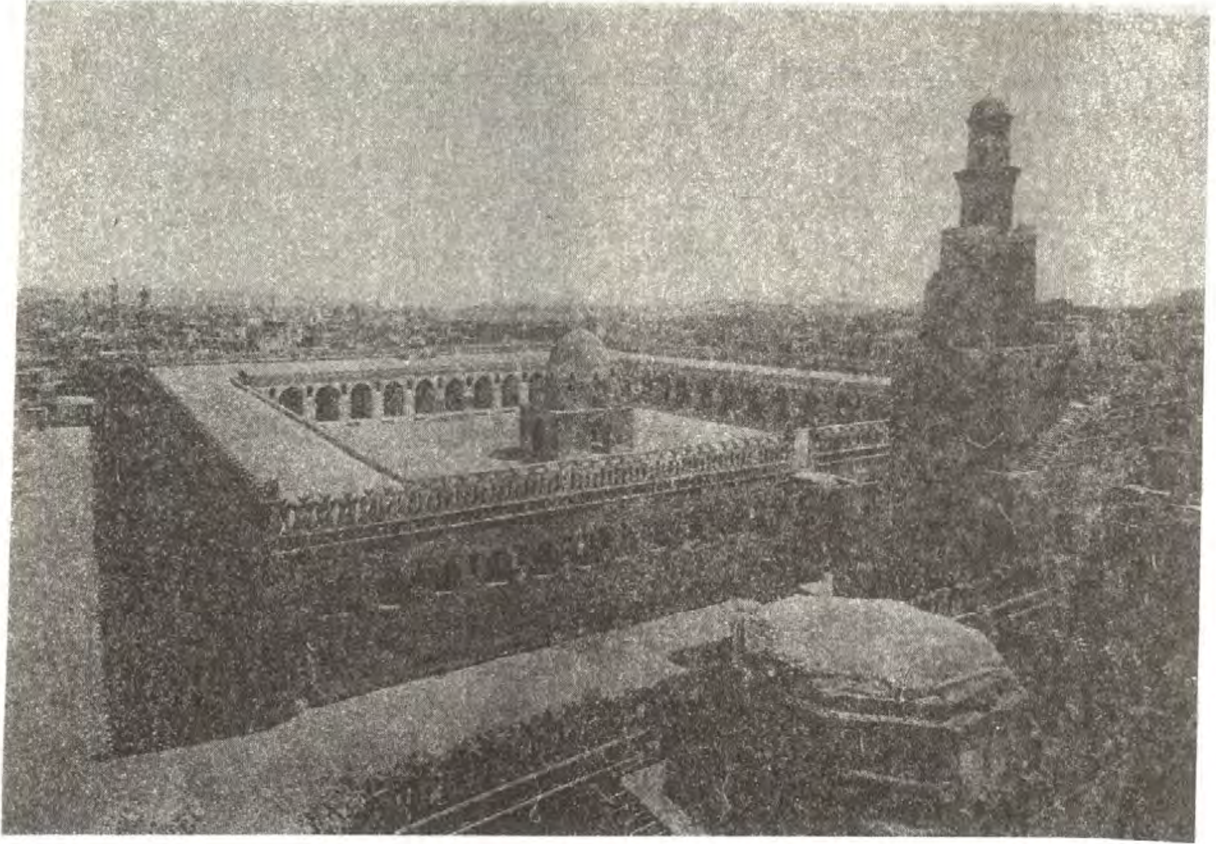
٢) ان المساجد فى احيان كثيرة جدا كانت « النواة » التى نشأت حولها جماعات اسلامية جديدة : بعض التجار أو المهاجرين المسلمين الى بلد غير اسلامى ينشئون « زاوية » تجتذب أهل البلد الى الاسلام فتنشأ جماعة اسلامية حول هذه الزاوية ، ثم يقوم أهل هذه الجماعة الجديدة بانشاء زاوية فيما يليهم من الأرض فتنشأ فيها جماعة اسلامية جديدة ، وهكذا تزحف المساجد وتجر الجماعة الاسلامية خلفها . بهذه الصورة انتشر الاسلام فى نواح كثيرة جدا من افريقية المدارية والاستوائية وفيمايلى الهند شرقا من بلاد آسيا .

٣) ان المساجد فى ذاتها مراكز للتوسع الاسلامى ومن ثم فلا بد أن يعمل المسلمون على انشاء المساجد فى البلاد التى يريدون توسيع نطاق الاسلام فيها . زاوية صغيرة يقوم فيها أمام مخلص نشيط ابرك من مركز ضخم فيه عدد كبير من الموظفين أو الدعاة كما يسمون . لأن ذلك المركز يأخذ طابعا سياسيا فى الغالب ولهذا فهو يثير الجهات المنافسة للاسلام ويحفزها على القيام بجهد مضاد ، وفى الغالب يكون ذلك الجهد أكبر مما يقوم به المركز نفسه . أما الزاوية المتواضعة فلا تثير المخاوف وتؤدى عملها فى هدوء .

لا بد من الاكثار من المساجد فى بلاد الأطراف :

ونخرج من هذه الملاحظة الثالثة بأن أهم ما ينبغى أن نحرص عليه هو انشاء المساجد فى أطراف بلاد الاسلام . ولو كان عند احدنا او بعض دولنا مال تريد ان تنفقه على انشاء مسجد أو مساجد فلتنشئها فى بلاد الأطراف أو على طرق امتداد الاسلام ، فذلك هو المهم اليوم ، وهو لهذا اجدر بالتقديم ، لأن الاسلام اليوم يخوض معركة ، والمساجد من أهم اسلحتنا فيها ، والمعارك تدور على الحدود لا فى الداخل ، واذن فمن الضرورى أن نركز الجهد الآن على تلك البلاد : لا بد من تحويل اكبر جانب من الجهد والمال الذى ينفق فى بناء المساجد الى بلاد الأطراف حيث توجد أقليات اسلامية فى حاجة الى مراكز تثبت ايمان الناس وتعمل على تجميعهم واشعارهم بأنهم اعضاء فى جامعة ضخمة تحس بهم وتقف معهم .

لا بد من ذلك فى النطاق الجنوبى للاسلام : أريتيريا وكينيا وأوغندا وزاتيرى وتشاد وجمهورية افريقية الوسطى والكمرون والكنغو برازافيل ونيجيريا وجمهورية النيجر وداهومى



● جامع احمد بن طولون فى شمال الفسطاط بمصر . شرع احمد بن طولون في بناء هذا المسجد سنة ٨٧٨/٢٦٥ وهو الوحيد من بين المساجد الألفية العتيقة الكبرى التى تحدثنا عنها هنا الذى لم يتحول الى جامعة .



● الجامع الأزهر فى القاهرة : بدىء فى بنائه على يد جوهر الصقلـى فى جمادى الأولى سنة ٣٥٦ ابريل ٩٧٠ فهو احدث المساجد الألفية العتيقة ، ولكنـه أبعدها اثرا فى ميدان العلم والحضارة .

دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

والفولتا وساحل العاج وليبريا وسيراليون وغانة وغينيا ثم تنزانيا وزامبيا ومدغشقر . وينطبق هذا أيضا على جنوب آسيا مما يلى الهند شرقا : بورما وتايلاند ولاوس وفيتنام وما لم يتم نشر الاسلام فيه من جزر اندونيسيا : بورنيو وبالى وايريان الغربية ثم جنوبى الفلبين . فى هذه النواحى كلها تدور المعركة بين الاسلام وخصومه وعلينا أن نخوضها بالبسالة التى يخوض بها الاسلام معاركه دائما ومن أهم أسلحتنا فى هذه المعركة هى المساجد . المساجد أولا .

المساجد ومظهر المسلمين :

يقول الله سبحانه وتعالى فى الآية ٣١ من سورة الأعراف : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » وفى احاديث كثيرة أمر رسول الله صلى عليه وسلم المسلمين بأن يتخذوا أحسن ما لديهم من الثياب عند ذهابهم للصلوات الجامعة يوم الجمعة والأعياد . وقد كان لهذه الآية وتلك الأحاديث أثر بعيد جدا فى مظهر المسلمين الذين فهموها وفى ملابسهم وهيئاتهم .

فقد حرص المسلمون فى مناسبات الصلوات الجامعة على أن يكونوا فى أحسن ملابسهم ، وقد اهتم ابن بطوطة بهذه الناحية فذكر فى مواضع كثيرة من كتابه كيف كان الرجال يتخذون أبهى ملابسهم ويتطيبون لصلاة الجمعة ، وفى كلامه عن المسلمين فى جزيرة ملديف قال انهم يعتقدون هناك أنه لا جمعة لمن لم يتخذ أغلى ما لديه من الثياب فى ذلك اليوم ، وحكى ابن جبير الرحالة أن الناس فى بعض قرى العراق يمنعون ذا الثياب الخلقة أو الرثة من شهود الجمعة . أما المسعودى فقد أطال الوصف عند حديثه على أزياء الناس وحسن مظهرهم عند شهود الجمعة فى بلاد ايران . ويذهب لسان الدين ابن الخطيب فى هذا المجال الى حد تفصيل أنواع الثياب التى كان أهل غرناطة يرتدونها أيام الجمع : « ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء ، وتتفاضل البزة بتفاضل الجِدَة والمقدار (اى حسب اختلاف الثَروة والمكانة الاجتماعية) والكتان والحرير والقطن والمرعز والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفا ، فتبصرهم فى المساجد ايام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة » .

واذن فقد امتد التأثير الاجتماعى للمساجد حتى شمل ملابس الناس وأزياءهم ، فَحَسَّنَ منها وزاد من عناية الناس بها ورفع مستواها ، ودفع الناس الى أن يكون عند كل منهم ثوب أو أكثر نظيف لصلاة الجمعة وما يجرى مجراها من المناسبات الكبيرة . وفى حكاية معروف الاسكافى من ألف ليلة ينظر معروف الى نفسه بعد أن بدلوا ثيابه وهو نائم والبسوه ملابس أمير يقول : « ماذا فعلتم بى حتى البستمونى درج الجمعة يوم الثلاث ؟ »

● ● ●

بدانا هذا الحديث بالكلام عن الأثر الجمالى البعيد للمساجد من ناحية المعمار ونختمه هنا بهذه الاشارة الى اثر المساجد فى ملابس الناس وهيأتهم فى عالم الاسلام . وقد مررنا فيما بين البداية والنهاية بأهم ما استطعنا أن نذكره عن دور المساجد فى حياة الجماعات الاسلامية وقطبها وحصنها عاجلة تحتاج الى دراسة مطولة ، فان المساجد كانت ولا تزال روح الجماعات الاسلامية وخطبها وحصنها ومركزها الدينى والسياسى والاجتماعى بحيث تستطيع أن تقول : لا جماعة اسلامية بلا مسجد أو بتعبير ادق : لا بقاء لجماعة اسلامية بلا مسجد ، ولهذا نبهنا الى ضرورة انشاء المساجد على أطراف مملكة الاسلام وفى خطوط امتداد الاسلام خارجها .

المساجد الألفية العتيقة

ولا نجد ختاما لهذا المقال عن دور المساجد فى تكوين الجماعة الاسلامية الكبرى خيرا من الاشارة الى اقدمها وابعدها اثرا فى تاريخ تلك الجماعة ، وهى المساجد العتيقة التى قطع كل منها من الزمان فوق الألف سنة فى خدمة جماعة الاسلام والحضارة العالمية فى آن واحد ، ولهذا فنحن نسميها بالمساجد الألفية العتيقة .

والمساجد الالفية العتيقة كثيرة جدا ، اولها واجلها هو المسجد الحرام ، بيت الله المكرم فى مكة المشرفة ، ويليه مسجد الرسول الأعظم صلوات الله عليه فى مدينة النور ، وهناك عشرات أخرى متناثرة فى حواضر عالم الاسلام كأنها النجوم فى السماء . ولا يتسع المجال هنا للكلام على مسجدى مكة والمدينة العتيقين ، فذلك يقتضى مقالا خاصا .

ولا نستطيع كذلك أن نتحدث عن كل المساجد الألفية العتيقة الصغيرة ، ولهذا فقد اكتفينا بايراد صور تسع منها تعتبر آباء مساجد الدنيا — بعد مسجدى مكة والمدينة — وهذه المساجد الألفية العتيقة تشترك فى الخصائص التالية :

١ — ان كلا منها عمر فوق الألف عام فى خدمة الاسلام وجماعته وحضارته .

٢ — ان كلا منها كان جامعة ومسجدا فى آن واحد ، فلها فضائلها فى عالم القلوب وعالم العقول على حد سواء ، ولهذا فهى تعتبر معالم كبرى فى تاريخ حضارة البشر .

ونستثنى من ذلك جامع أحمد ابن طولون الذى لم يصل الى مكانة الجامعة بسبب وجوده قرب جامع الفسطاط العتيق وهو جامع عمرو بن العاص .

٣ — انها لطول ما خدمت تهالكت وتهدمت وأعيد ترميمها وبناؤها مرة بعد اخرى ، ولهذا فان صورة الكثير منها تختلف اليوم عما كانت عليه أصلا ، ويتضح ذلك بصفة خاصة فى حالة جامع عمرو بن العاص الذى اختفت صورته الأولى تماما .

ولن نستطيع فى هذه السطور أن نكتب عنها بتفصيل وانما سنكتفى بذكر تواريخها وايراد صورة لكل منها .

واذا انسأ الله فى الأجل ومنح القوة فلنا حديث مطول عنها على صفحات هذه الصحيفة الكريمة نوفيها بعض حقها .

الإسلام

د . وهبــة الزحيلى

(أ) الاسلام فى التاريخ او بعبارة اخرى فى اللغة او بالمعنى المشترك بين جميع الاديان فى وضعها الصحيح ــ الاسلام بهذا المعنى هو الدعوة الخالصة الى الايمان والخضوع والانقياد والاذعان لله وحده ولأحكامه . وهذا المعنى قديم ، دعا له جميع الانبياء والمرسلين من دون أى اختلاف فى الجوهر والحقيقه يرشدنا الى ذلك ما حكاه القرآن الكريم على لسان الرسل السـابقين من ذلك قول نوح عليه السـلام لقومه ــ **((ان أجـرى إلا على الله وامرت أن أكون من المسلمين .))**

وقول ابراهيم عليه السلام ــ ((**يا قوم انى برىء مما تشركون**)) . ((**اسلمت لرب العالمين**)) . ((**انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين**)) ووصى يعقوب عليه السلام بنيه بقوله ــ ((**فلا تموتن الا وانتم مسلمون**)) . فأجابه أبناؤه . ((**نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ، ونحن له مسلمون**)) .

في أصـــوله
الأولى والاخـــيرة

وكذلك دعا موسى عليه السلام الى الاسلام ــ « **وقال موسى يا قوم ، ان كنتم آمنتم بالله ، فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين »** . « **انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيــون الذين اسلموا »** .

واجاب الحواريون عيسى عليه السلام . « **نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون»** .وجمع القرآن دين الانبياء جميعا فى هذه الآية من سورة الشورى . « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى اوحينا اليك ، وما وصــينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** ومثلها قوله سبحانه «**قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمــون »** ..

وطالب القرآن الكريم بالايمان برسالات الأنبياء السابقين والاقرار بأصولها الأولى التى أنزلها الله على أنبيائه والتى صح ثبوتها ولم يطرأ عليها تأويل أو تحريف وتبديل ، وأصبح شعار المسلمين بعد النبى « **لا نفرق بين احد من رسله »** اى ان المؤمنين يقولون ذلك ويعلنون انهم يصدقون اجمالا بجميــع الرسالات وبكتبهم وبمبادئهم ويقرون ان ما جاءوا به كان من عند الله وانهم دعوا الــى الله والى طاعته ويخالفون فى فعلهم ذلك اليهود الذين أقروا بموسى وكذبــوا

عيسى والنصارى الذين اقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ، ومن اشبههم من الأمم الذين كذبوا بعض رسل الله واقروا ببعضهم .

وانتقل القرآن خطوة صريحة ايجابية اخرى هى اعلان وحدة الدين الالهى ، والدعوة الى الأصل المشترك بين الأديان ، قال تعالى مخاطبا رسوله محمدا بعد آية الشورى السابقة « **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم** » . ومبادىء هذه الدعوة هى الاقرار بوحدة الدين السماوى ، والاحتكام الى أصول الأديان الثابتة المتحدة بين جميع الأنبياء قبل ظهور التبديل كالاتفاق على مبدأ توحيد الاله الحق ، ونبذ عبادة الاوثان وتشريع العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة ، والتقرب الى الله بصالح الأعمال كالصدق والاخلاص ، والتزام مبادىء الاخلاق والدعوة الى الفضيلة كصلة الرحم والوفاء بالعهد واداء الأمانات ، والامتناع عن الفواحش والقبائح ومكافحة المنكرات والرذائل كالكفر والقتل والزنى وايذاء الناس بمختلف أنواعه ، والاعتداء على الحيوان ، ووضع النظم الصالحة لحياة البشرية الهانئة التى تهدف الى خير الانسانية العام ، ولا تخضع لمقاييس مادية بحتة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادى ، كما هو منهج الدعوات الهدامة الخطيرة المعاصرة من شيوعية ووجودية ورأسمالية طاغية مستبدة .

والاسلام الحالى لا يختلف عن بقية الأديان الأخرى فى هذا المعنى العام وانما يكون معها وحدة منسجمة لا تعارض بينها ولا تضارب .

واما الاسلام بمعناه الخاص الذى هو علم او اسم للدين الاخير الذى ختمت به رسالات السماء واشتمل عليه القرآن وسنة النبى صلى الله عليه وسلم فيحتاج فى تحديد علاقته بالديانات السماوية الأخرى فى صورتها القديمة والحالية وهى اليهودية والنصرانية يحتاج الى تفصيل وايضاح يتلاءم مع مفهوم هاتين الديانتين فى عهدهما الأصلى الأول ، وفى الصورة الأخيرة القائمة الآن بين اتباعهما فى العالم .

(ب) أما فى العهد الأول لليهودية والنصرانية ، فلا تجد بينهما وبين الاسلام اختلافا فى الجوهر والأصول والمبادىء العامة التى تنادى بتوحيد الاله ، والايمان باليوم الآخر ، وتطالب بالتزام الأوامر الالهية ، والقواعد الاخلاقية ، والامتناع عن الفواحش والقبائح ، ومحاربة المنكرات كالكفر والقتل والزنى وايذاء الآخرين والحرص على توفير الخير والسعادة لبنى الانسان فى عالمى الدنيا والآخرة .

وفى هذا المحور أو النطاق يعتبر القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية ، واعلانا صارخا يدعو الى العجب والتشهير باتباع الديانات الأخرى التى لا تسارع الى الانضمام تحت لواء القرآن وترك العناد والاصرار على الكفر ومعاداة صاحب الرسالة الأخيرة بغيا وعدوانا فالله وحده هو مصدر الكتب المنزلة ، كالتوراة والزبور والانجيل والقرآن ، واتحاد المصدر ووحدة الجهة المشرعة مدعاة للاعتراف بالاسلام كما حدده القرآن ، قال تعالى منوها بذلك : « **الله لا اله الا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وانزل الفرقان** » .

وتتوالى تأكيدات القرآن لهذا المعنى ، كما فى قوله سبحانه « **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » . أى أن القرآن الكتاب الكامل الذى أكمل الله به الدين ينطق بتصديق كون الكتب الالهية السابقة

كالتوراة والانجيل من عند الله وان الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم ، فتلك الكتب في صورتها الأولى ووضعها الحقيقى الصحيح الذى جاء من عند الله مؤيدة وموثقة ومعترف بها فى القرآن .

والخلاصة ان علاقة الاسلام الحالى منذ نزول القرآن بالديانات السماوية فى صورتها الأولى هى علاقة تصديق ومتابعة وتأييد كلى كامل .

(جـ) وأما الصورة الحالية لليهودية والنصرانية الشائعة عند أغلب اتباعها ومعتقديها فلا يقرها الاسلام القرآنى ، وانما يعارضها معارضة تامة لانحرافها عن جوهر الاسلام بالمعنى العام ولما وقع فيها من تأويل وتحريف وتغيير بسبب التأويلات الخاطئة ، أو رعاية لمصالح رؤساء الدين والكهنة القائمين عليها ، أو تأثرا بوثنية الدولة الرومانية حينما تنصرت على يد قسطنطين ، وموقف الاسلام منها موقف مصحح للأخطاء والنافى للتحريف والمزيل للزوائد بل والناسخ لكل دين سابق سواء أكان صحيحا أو مبدلا — « **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم ان الله على كل شىء قدير** » والمقصود بالآية عند جماعة المفسرين هى الرسالة .

ويصرح القرآن فى آيات أخرى بأنه رقيب وشهيد ومهيمن على الكتب السابقة بما بينه من حقيقة حالها ، وشأن متبعيها وتحريف كثير منها أو تأويله ، فهو يحكم عليها ، لانه جاء بعدها ، ومبين انتهاء مهمتها بمجيئه ، حتى ولو بقيت سليمة عن التغيير والتبديل ، قال تعالى : « **ان الدين عند الله الاسلام** » . أى لا دين مرضى عند الله تعالى سوى الاسلام ، وهو كما قال قتادة — شهادة ان لا اله الا الله تعالى والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله تعالى الذى شرع لنفسه ، وبعث به رسله ، ودل عليه أولياءه لا يقبل غيره ولا يجزى الا به . وهذا يعنى ان القرآن هو الصورة الأخيرة لدين الله وهو المرجع الأخير ، والحجة القاطعة فى هذا الشأن والمصدر النهائى فى منهج الحياة وشرائع الناس ونظام حياتهم ، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل ، قال عز وجل — « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » وسواء أكان الاسلام هنا بالمعنى اللغوى العام أو بالمعنى الخاص فانه يناقض الاديان الأخرى السائدة الآن لان اتباعها غير موحدين أو ان فكرة التوحيد لديهم مشوهة ، أو انهم لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم كما توجب عليهم أصول ديانتهم الأولى .

ويتحدى القرآن وجود تلك التحريفات والزوائد التى وضعها الاحبار والرهبان فى تلك الكتب الاصلية « **قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنم صادقين** » « **يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** » « **ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا ، اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ، ولا ينظر اليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » وهى كلها تندد بالتحريفات وبعدم الايمان بما نطقت به كتبهم من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها .

وفى الجملة — ان علاقة الاسلام بالاديان الأخرى فى وضعها الحاضر علاقة تصديق لما صح منها ، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والاضافات والزيادات

الموضوعة المشوهة لاصل الديانة والمنافية لاصول الاديان العامة التى حافظ عليها القرآن وحده .. واعترف بها الناس قاطبة واقرها العقل ، ونادت بها الفطرة ، وسخط المفكرون من شكلها المحرف ومسخ جوهرها النقى .

(د) **مهمة الاسلام القرآنى** — وتبقى مهمة الاسلام بالاضافة الى تقريره التزام اصول الدين الكبرى المشتركة بين جميع الاديان هى مهمة اكمال الدين الالهى ، وانضاج له بما يتلاءم مع مقتضى ختم النبوات ويتناسب مع تطور الامم ودرجة الترقى والمدنية التى وصلت اليها ، ورقى العقل البشرى وتقدم العلم وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم لتحديد موضع خاتم النبيين ورسول الاسلام من الأنبياء والرسل السابقين فى قوله سبحانه ((**قل ما كنت بدعا من الرسل**)) اى ما انا بأول رسول وفى قوله تعالى أيضا حكاية على لسان ابراهيم عليه السلام ((**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم**)) فكان النبى صلى الله عليه وسلم دعوة ابيه ابراهيم وبشارة اخيه عيسى عليه السلام ((**واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد**)) ولقد كان المسيح عليه السلام يعبر عن المبشر به محمد بلفظ (فارقليط) وهو تفسير لفظ (بيركلنلوس) اليونانية ومعناها الذى له حمد كثير وهو موجود فى الأناجيل الحالية . وعبارة انجيل برنابا فى ذلك هى (وسيبقى هذا الى ان يأتى محمد صلى الله عليه وسلم الذى متى جاء ، كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله)

وقد ثبت فى السنة النبوية الصحيحة احاديث تصور هذه المعانى ادق تصوير ، كقوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن نفسه او بدء امره فاجاب (دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورات امى حين حملت بى كانه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام ، قال ابن كثير وهذا اسناد جيد . وروى له شواهد من وجوه اخر ، أخرج الامام احمد فيما يرويه بسنده عن العرباض بن سارية قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عند الله لخاتم النبيين ، وان آدم لمجندل فى طينته ، وسانبئكم بأول ذلك — دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى بى ورؤيا امى التى رات ، وكذلك أمهات الأنبياء يرين .

وأخرج الامام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال » ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية — ركن — فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له،ويقولون — هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين) ، وهذا من أوضح الادلة على تكامل الرسالات السماوية فى روحها ومعناها وان اختلفت صورها واشكالها حسب مقتضيات التطور وحاجة البشرية .

وبما ان النبوات ختمت بالاسلام الذى هيمن على جميع الرسالات الدينية السابقة فان جميع الناس يهودا أو نصارى أو وثنيين مطالبون بالاستجابة للدعوة الالهية الأخيرة التى حدد القرآن مهام رسولها فى قوله عز وجل ((**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون**)) وترشد آية أخرى الى مهام النبى .. ((**يايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا**)) اى ان وظائف النبى صلى الله عليه وسلم خمسة شهادته لله بالوحدانية وانه لا اله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وتبشيره بالجنة لمن اطاع أوامر

الله وانذاره بالنار لمن عصى ودعوة الخالق الى عبادة ربهم بأمر الله والسراج المنير فيما جاء به من الحق وظهور أمره كالشمس فى اشراقها واضاءتها لا يجحدها الا معاند . .

ويقرر القرآن فى اجلى بيان اكتمال الاديان بالاسلام ورضا الله به دينا حكما فصلا بين الناس — « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » وبهذا كان من حق النبى عليه الصلاة والسلام ان يقول بوحى من الله (والذى نفسى بيده لا يسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم لا يؤمن بى الا دخل النار) .

وهكذا يبين من هذه الآية وآية ومن يبتغ غير الاسلام . . . انه لا يقبل من احد طريقة ولا عملا الا ما كان موافقا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان بعثه به . فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول فى زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة . ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ورسولا الى بنى آدم على الاطلاق وجب عليهم تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما عنه زجر ، وهؤلاء هم المؤمنون حقا . .

اذن فغير المسلم يهوديا كان أو نصرانيا او وثنيا يعتبر كافرا غير مسلم اذا لم يؤمن بالاسلام القرآنى ، أو آمن بوحدانية الله ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وآية « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى . .** » تؤيد هذا فهى تقرر حكم المنتقل من تلك الاديان الى الاسلام والايمان بالقرآن ، وكلمة (**من آمن بالله**) فى الآية بدل بعض مما سبق ، فمن يؤمن منهم بمحمد وبما جاء به واليوم الآخر ويعمل صالحا ، ولم يغير حتى توفى على ذلك ، فله ثواب عمله واجره عند ربه ، كما وصف جل ثناؤه ، وكما بين فى آية الحج ١٧ « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد .** »

وفى آية آل عمران ١١٣ « **ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر . .** » الآية .

(هـ) معاملة غير المسلمين ، وأما معاملة غير المسلمين فى بلاد الاسلام فهى اجمالا تحكمها قواعد معروفة فى الاسلام وهى التسامح (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) (أمرنا بتركهم وما يدينون) وبذلك هم مواطنون كالمسلمين يتساوون معهم فى الحقوق والواجبات بل يتحمل المسلمون واجبات اشد وأكثر من الواجبات التى يكلف بها غير المسلمين وقد ثبتت وصايا كثيرة بهم فى آخر ما تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ومن بعدهم من ذلك مثلا قوله عليه السلام (من آذى ذميا — اى فى ذمة المسلم وعهده — فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة . الا من ظلم معاهدا ، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) .

واما الوان التشكيك وحملات التخويف من هضم حقوق غير المسلمين عند تطبيق الاسلام أو اتحاد المسلمين ، فمنشؤها اضاليل المستعمرين ومحاولات التجزئة فى مخططات السياسة الاستعمارية المعادية وكتابات رسل الاستعمار من المبشرين سواء فى كتابات الباحثين منهم أو فى اصابع التبشير الممتدة فى صورة مدارس ومشافى وممرضات وراهبات وأندية ثقافية ورياضية ونحوها .

والخلاصة انه ينبغى عدم الخلط بين أصول الاعتقاد التى تقوم عليها العقيدة الاسلامية وبين مظاهر المودة والتسامح مع غير المسلمين فى المعاملات الشخصية أو المجالات السياسية ولا يصح لمسلم القول بعدم التفرقة بين مسلم وغيره فى العقائد .

نظام السلوك الانساني انعكاس لواقع النظام الكوني

لا يصلح أن يتطور من الأول إلا بمقدار ما يمكن أن يتطور من الثاني

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

مما لا ريب فيه ان العقائد والمبادىء الفكرية والاجتماعية التى تنهض عليها انظمة الحياة ، تنزل من سنن الكون وقوانينه ، منزلة الثوب من الجسد ، او منزلة الساعة الضابطة من الزمن المطلق .

فبقدر ما يتوفر بينهما من التطابق والانسجام ، يكون الانسان أقدر على استخلاص أسباب سعادته من معين الحياة . وبقدر ما يظهر بينهما من التشاكس والتناقض ، يكون الانسان أعجز عن توفير أسباب سعادته فى الحياة ..

وواضح اننا لا نعتد الا بتلك السعادة التى تمتد ظلالها الى كل من الفرد والمجتمع . فليست سعادة تلك التى يستخلصها الفرد من حق الجماعة أو تلك التى تقتنصها الجماعة من حق الفرد .

واذا كان هذا شيئا معلوما ، فان مما يترتب عليه بداهة ، ان مقياس التطور والثبات فى العقائد وأنظمة الحياة ينبغى أن يكون تابعا لمقياس كل منهما فى سنن الكون ونواميس الحياة : يقابل الثابت من هذه قيم يجب أن تظل ثابتة

من تلك ، ويقابل المتطور او المتناسخ من هذه أمور ينبغى أن تكون عرضة للتطور أو التناسخ من تلك . وان اى انسياق نحو الرغبة فى تطـوير شىء من أمور الفكر والدين وما قد يتبعهما من انظمة الحياة ، دون التقيد بهذا الربط ، ينم عن عفوية بالغة فى النظر والفكر .

وانك اذا أمعنت النظر ، وجدت ان للكون نظـاما لا يتخلف ولا يتبدل ، فيما يتعلق بنواميسه الذاتية ، وله من دون ذلك انظمة أخرى هى رهن التطور والتبدل ، تتعلق بتلك النواميس الذاتية تعلق الوسيلة بالغاية أو تعلق الشكل بالموضوع .

نواميس كونية لا تتبدل

فالكون منذ اقدم العصور الانسـانية المعروفة ، خاضع لنظـام فلكى لا يتبدل ، ينقسم الزمن المطلق وفقا له الى عام ، وشـهر ، ويوم ، وليلة .. وينقسم العام بموجبه الى فصوله الرتيبة المتكررة ، لم تتمكن اى ارادة انسانية غلابة مهما أوتيت من نفاذ الطاقة وبصيرة العلم ان تبدل منه أو تطور فيه .

والانسـان ، منذ ان صحا الى الدنيا التى هو فيها ، يظل يجـوع فيبحث جاهدا عن طعامه ، ويظمأ فيجدّ بحثا عن شرابه ، لا تستقيم حياته الا بعون من هذا وذاك . وهو منذ اقدم عصور التاريخ المؤرَّخة ، يبحث عن طعامه بين خيرات الارض وينتظر شرابه فى قطر السماء . فقصته مع الارض قصة طويلة قديمة لم تتبدل ولم تتغير : يفلحها بجهده ثم يزرعها بيمينه ، ثم يستحصد ما تغله له من هذا الحب الذى كان ولا يزال منذ اقدم أيام دنياه غذاءه الأساسى الذى لا غنى له عنه .

وهذا الانسـان نفسه ، يتدرج — منذ ان عرفته الحياة — من مرحلة الطفولة الصغرى ، الى الصبوة اليافعة ، الى الشباب القوى ، الى الكهولة المدبرة ، ثم الى الشيخوخة الفانية ، حيث ينتظره الموت الذى لا محيد عنه . ودأبه خلال هذه المراحل كلها النزوع الى البقاء والفرار من الموت ، بما يستعين به من عطاءات الكون أو بما يفرّ اليه من وقاياته وتعاويذه .

وهذا الانسـان ، كغيره من جميع أصناف الحيوانات ، يخضع ايضا لقانون لا يتخلف ، فى تكاثره وحفظ بقائه النوعى ، يسير به وفق مؤثرات قديمة ما كانت لتتغير أو تتطـور ، وينتهى به الى نتائج معروفة متكررة ما كانت هى الاخرى لتتخلف أو تتبدل .

والموت ، لا يزال منذ فجر التاريخ ، أخوف ما يخافه الانسان على نفسه ، واقسى سلطان يسترقه ويستذله ، لم تجدِ معه اى حيلة ولم يتخلص منه بأى وسيلة .

والانسـان — بدليل هذا كله — مطبوع منذ نشأته بطابع العبودية لخالق عظيم لا مفر له من سلطانه ولا مخرج له عن ملكوته ، لا يمحوه غنى يسمو اليه أو قوة يتمتع بها أو علم يتصف به .

لم تات العلوم بجديد

ولقد تقدمت المدارك البشرية ، ما فى ذلك شك ، وامتلك الانسان مزيدا من المقاليد السحرية العجيبة لتسـخير الكون واعتصـار المزيد من فوائده

ومخزوناته ، وتهيأ له من أسباب العلوم والمعارف ما لم يكن يحلم به من قبل . ومع ذلك فان انسان هذه العلوم كلها لم يستطع أن يزحزح شـــيئا من تلك السنن الكونية التى عرضنا لذكر طائفة منها .

لا يزال انسان الحضارة الحديثة يستجدى الارض ــ كأجداده السالفين ــ طعامه ويستمطر السماء شرابه ، ولا يزال منظر السنابل اليانعة ، مســتوية على سوقها الباسقة الخضراء ، يملأ عينيه بتباشــير الخير والأمل ، كما كان شأن اجداده من أصحاب القرون الخوالى . ولقد وقف العلم كله عاجزا عن أن يغنيه عن ذلك كله ببرشامة تحرره من منة الأرض وعطائها أو من فيض السماء وقطره .

ولا يزال هذا الانسان الذى وضع القمر تحت سلطانه العلمى ، ثم انطلق يلقى شباك بحثه نحو الكواكب والافلاك البعيدة الاخرى ــ لا يزال هذا الانسان يموت بنفس الطريقة التى تموت بها أى ذبابة ضعيفة فى الكون .. ! ولقد عجز علم العلماء كلهم عن أن يقضى قضاءه المبرم على هذا الشبح المرعب الذى لا يزال ملتصقا بخناق الانسانية منذ أقدم الدهور . بل عجز عن أن يتخذ أى وســيلة لإبعاد الشقة بينه وبين الانسان ، فلا تزال كلمة (الجيل) تحمل نفس مدلولها اللغوى القديم : دفعة بشرية تمر من معبر هذه الدنيا ضمن ميقات زمنى لا يتجاوز مائة عام تقريبا ، وما يتقدم الطب والعلاج بعمر الانسان الا ضمن المدلول الراسخ القديم لهذه الكلمة .

واذا ، فان انسان الحضارة الحديثة ، لا يزال ــ بموجب كل ما ذكرنا ــ عبدا مملوكا لخالق عظيم ، لم تتهيأ له من المدارك والعلوم الا ما هو جدير بأن يزيده انتباها الى زمام العبودية اللاصق بعنقه . ولم يمتلك من اسباب الطاقة والقدرة الا ما يصدمه ــ فى محاولة مباشرة ــ بجدران ذلّه وضعفه .

وانه فى ذلك ليشبه تلك الدابة التى شــــاء صاحبها أن يرخى لها زماما طويلا طويلا مما بين عنقها واليد التى تمسك به ، حتى اذا اتى عليهــــا حين استنشقت فيه من حقائق العلم ما أثار هياجها الى الحرية ، فانطلقت فيما حولها من هذا الوادى الخصيب تزرعه طولا وعرضا ، استقر فى ذهنها أنها مالــكة هذه البيداء والقاضية فيها بما تريد ، ولم لا وها هى تلوى رأسها كما تشـــاء وتقفز بأقدامها فوق كل صخرة وتنتقل من هذه الشــجيرة الى تلك ، دون أن يقف فى وجهها أحد . فلما ركبت متن هذا العلم الذى أثار هيــاجها وانطلقت تضرب بحافرها الصخر فتورى منه الشرر ، ما لبثت أن اصطدمت بحدود مؤلمة أوجعت صفحة عنقها .. حدود قاسية ما كانت تراها بالعين المجردة ، ولكنها لستها عند اجتياز المسافة .. !

أجل ، فلئن كان علم الحضارة الحديثة قد أجرى الانسان طليقا فيما يشبه دنيا هذا الوادى الخصيب ، فانه قد صدمه فى الوقت ذاته بتلك الحدود القاسية التى يتثلم كل من العقل والعلم دون اختراقها .

هذه هى حدود العلم

غير أن للإبداع العلمى الذى يتمتع به الانســــان ويحمل فى طياته بذور التطور والتقدم نحو الافضــــــل ، أثرا فيما دون جوهر هذه القوانين والانظمة الكونية ، وهو تلمّس الطريق الافضل الذى يمكن أن يسلكه الانسان للاستفادة من هذه القوانين أو الانسجام معها .

فان الانسان ، فى الوقت الذى لم يستطع أن يستغنى عن طاقة الشمس وفائدة الهواء ، استطاع أن يطور السبيل الى الاستفادة منهما .. وهو فى الوقت الذى وقف عاجزا عن أن يتخلص من حاجته الى زراعة الارض واستنباتها، لم يعجز عن أن يطور السبيل الى ذلك . فلقد استطاع أن يتخذ الى فلاحة الارض سبيلا أيسر وأوفر ، وأن يتخذ الى استحصاد الزرع وتحضيره طريقة أسرع وأفضل . وهو وان عجز عن أن يطيل من عمر الانسان أو أن يحرره من فجيعة الموت ، الا أنه استطاع أن يحشو عمره القصير بمزيد من أسباب المتعة وأن يشعره بقدر أكبر من ملذات الدنيا ونعيمها .

وهكذا ، فان الجهد العلمى الذى بذله الانسان ، قد حقق تقدما وتطورا ملحوظين ، ولكن ضمن كل من هذين القيدين :

أولهما : أنه تطور يتعلق بأعراض القوانين الكونية ، لا بحقائقها الذاتية ، اى فهو يتعلق بكيفية السبيل الى هذه القوانين لا أكثر .

ثانيهما : أن العلوم لا يمكن أن تبدع شيئا مفقودا ، ولكنها تستغل حقائق موجودة . وكل ما بين العالم والجاهل من فرق ، أن الأول اكتشف هذه الحقائق أو بعضها فوضعها حيث ينبغى أن تكون ، وألف الاجزاء الى بعضها . أما الثانى فقد غفل عنها ، ومر بها ذاهلا ، فبقيت دفينة كما هى .

ما الذى يعنيه هذاكله .. ؟

وبعد ، فما الذى يعنيه هذا كله .. ؟

انه يعنى ، بكل وضوح ، أن مناهج السلوك الانسانى ينبغى أن تكون منسجمة مع العلاقة الانسانية الثابتة بسنن الكون ونظامه .

ذلك أن المناهج السلوكية والقيم الفكرية والاجتماعية ، لا تعدو — كما أوضحنا — أن تكون غطاء أو كساء لما يسير عليه هذا الكون من أسس وقواعد ونواميس .

ان من العفوية المفرطة أن تقود أحدنا نزعة التطور الى أن يضع للناس — مثلا — مشروع نظام يتجاهل علاقة الانسان بالارض وخيراتها ، أو يغض النظر عن نزعته الذاتية الى التملك والحيازة ، أو يتناسى الفطرة التى تخضعه لقانون التكاثر النوعى والمحافظة على السلالة ، أو يستهدف تحرير الانسان من ربقة العبودية لخالقه عز وجل .. !

والحديث عن التطوير ، والتغنى بضرورته ، ونعت القديم بعبارات السخرية أو الاشمئزاز — كل ذلك عبث لا معنى له ، ما دام الحديث يتعلق بأمور تستند فى حقائقها الى محاور ثابتة مستقرة من النظام الكونى .

سوف يظل العدل — فى مضمونه السليم — مبدأ مقدسا مهما قدمت حقيقته وتطاول عمره ، ما دامت للانسان حاجاته الذاتية التى لا تقوم حياته بدونها ، وما دام وصول الناس كلهم الى حاجاتهم هذه رهنا بالتعاون والتنسيق .. ولا ريب أن التبرم بقوانين العدل — مع الاقرار ببقاء تلك الحاجات واستمرار توقف حياة الانسان عليها — سذاجة شنيعة .

ولسوف يظل العدوان على الاعراض ، وفتح باب الاباحية الجنسية أمرا غير مقبول ، ما دام التكاثر الانسانى خاضعا لقانونه الفطرى المعروف ، وما دام هذا القانون لا يحقق أهدافه الا بنوع دقيق من التنسيق وتنظيم المسؤوليات

والاعتماد على خلايا الاسرة . لا يشفع لذلك العدوان جدّته ولا يودى بقدسية التنظيم قدمه .

ولسوف يبقى الانسان عبدا مملوكا لخالقه ، حقيقا بأن يدين له بسائر مظاهر العبودية فى السلوك ، ما دام وجود الخالق حقيقة تسمو فوق كل شك وريب ، وما دامت آثار هذه العبودية لاصقة به لا تنفك عن كاهله ولا يتحرر عن تبعاتها .

تقدمية ورجعية .. وألفاظ لا معنى لها

ولكن فى الناس من يتجاهلون هذه الحقيقة رغم وضوحها . ويجترّون على الدوام كلمات لا تنحط على اى معنى او مدلول سليم .. !

يتبرمون بكل قديم من عقيدة أو سلوك ، وينعتون الالتفات اليه او الاستقامة عليه بسمة الرجعية .. ! ويهشون لكل مستحدث جديد ويبعثون اليه نظرات التقديس وينعتون السعى اليه بالتقدمية .. !

ومهما يكن فى اتباع القديم من فضائل ، فحسبه سوءا بنظرهم انه قديم ، ومهما يكن فى التزام الجديد من مساوىء ، فحسبه على كل حال من الفضل أنه جديد .. !

ولو ان أصحاب هذين الشعارين اتخذوا من شؤون الحياة كلها هذا الموقف ، وشهروا من كل جديد سلاحا على كل قديم ، لأمكن أن تكون للمسألة فلسفة ذات منهاج أيا كانت نهايتها ومهما اختلف المفكرون فيها .

ولكن الذى يحصر المسألة فيما يشبه الشهوة أو الرعونة الصبيانية الجامحة أنها لا تعتمد على اى مقياس او حدود اللهم الا ان يكون مقياس التشهى المطلق .. !

فأنت تجد ارباب هذا الجموح راقدين فى مهاد قديمة بالية من انظمة الكون والحياة ، تلتف عليهم اكفان من الطبائع والحاجات البشرية العتيقة ، وهم يجمحون مع ذلك بأيديهم واقدامهم كما يفعل الطفل فى المهد ، يزعمون انهم يثورون على كل قديم .. !

يريدون أن يحطموا ما اقامته الشرائع بين الرجل والمرأة من حواجز الاخلاق وتنظيم الاتصال ، وهم يدركون جيدا أن المجتمع الانسانى لا يستمر وجوده السليم الا ضمن نفق من التنظيم ، وانه لا ينهض الا على خلايا الاسرة ، ولا تنهض خلية الاسرة الا على عماد من المسؤولية والنسب ووشيجة الرحم والقربى ..

ويقول قائلهم : انسان القرن العشرين يتخذ من القمر وطنا ثانيا له ، واولو الافكار العتيقة لا يزالون يمارسون الركوع والسجود فى محاريبهم المظلمة ، ولا يزالون يركنون الى أسر التدين للمجهول والعبودية للغيب .. ! وهم يعلمون جيدا ان اولئك الذين اتخذوا من القمر وطنا ثانيا لهم لم يستطيعوا ان يعتقوا أنفسهم بذلك من اى مظهر من مظاهر الضعف البشرى اللاصق بهم . لم يستطيعوا أن يجعلوا من القمر معقلا لهم ضد الموت ، ولا دواء ضد الهرم ولا سبيلا لانعتاق الانسان من حاجاته الى الارض .. ! ان انسان هذه الحضارة لا يزال يموت — كما قلت — كما تموت أى ذبابة ضعيفة فى الكون . انه لا يزال يهرم فينتكس عائدا الى الجهل والضعف ويحق عليه قرار الله تعالى : « **ومن نعمره ننكسه فى الخلق** » . وهو لا يزال أسيرا لكل الطبائع البشرية

التى تسمه بطابع الضعف وتأسره لجملة القوانين الكونية التى تحكم حياته كلها .
انه لا يزال اذاً أسيرا لما يسميه بالمجهول عبدا لما يسميه بالغيب .. وطول زمام الدابة لم يغير شيئا من واقع الأسر الذى تعانيه .

العبودية فى الواقع .. والعبادة فى السلوك

قال لى واحد من هؤلاء مرة : فيم يخضع الانسان — فى عصر الحرية — لقيود العبودية وآصارها ، وهو ان كان شـــيئا سائغا بالأمس ، فانه لأمر مستهجن لا يتفق وحرية الانسان اليوم .
قلت : ارأيت الى هذا الانسان فى عصر الحرية ، فيم يظل يذل نفســه للحصول على لقمة طعام او جرعة شراب .. ؟ ستقول إن تكوينه البشرى محتاج اليهما ، فلتعلم أن تكوينه البشرى ايضا قد جعل منه عبدا فى الواقع ، وما من شك فى أن السلوك الاختيارى يجب أن ينسجم مع الواقع الاضطرارى .
اذا كنت تريد — حقا — أن تتبرم وتثور ، فتعال فثر اولا على هذا الواقع الاساسى الثابت . فاذا اسعفتك الحرية فى الانفلات منه فلا عليك أن تحطم سائر القيود السلوكية التى جاءت ثمرة ونتيجـــة له . أما اذا خانتك حريتك المزعومة وتخلفت عنك قوتك الضاربة ، ورأيت نفسك اسيرا لطبيعة العبودية فى كيانك ، فان من الرشد الذى لا مرية فيه أن يكون سلوكك الاختيارى متفقا مع وضعك الاضطرارى . وان من المشاكسة والتناقض مع الواقع أن تخالف بين المقدمات ونتائجها ..
اسمعت عن أجير تحركت فيه نوازع الحرية فقعد عن التزاماته تجاه من قد استأجره ، قبل أن يعمد الى العقد الذى بينهما فيلغيه ويبطله .. !
أم هل سمعت عن شاب تبرم بتبعات بنوته لأمه ولأبيه ، فتجـــاهل هذه التبعات واســـتعلى فوقها ، وهو يعلم أن نسب بنوته اليهما حقيقة لاصقة به اينما حلّ أو ارتحل .. ؟
ليس الشأن الذى يكسبك اى فخر أن تحرر جبهتك من الســـجود للخالق عز وجل ، وانما الشأن الذى يكسبك ذلك أن تحرر ذاتك من ســـلطانه عليك وقانونه فى حياتك وامتلاكه لزمامك . فاذا كنت أعجز من ان تأتى بأى محاولة ناجحة فى هذا التحرر ، فسيان أن تسجد لخالقك عز وجل على تراب الارض وحصبائها أو أن تنطح بجبينك هام الجوزاء وما فوقهـــا ، فانما انت على كل حال عبد .. !
إن أنكر ذلك علم تتباهى به اليوم فسيقر بفلك النسيان الذى سيغشاك غدا .. وان جحدته قوتك اليوم فلسوف يذعن له ضعفك المستخذى غدا .. وان استكبر عنه غناك الذى تتمتع به اليوم فسوف يفل له فقرك الشديد غدا . وإن غدا لناظره قريب .



طارت نملة فى الهواء ، وقد ظنت انها تعدت عن حقيقتها وانخلعت عن مهانتها وضعفها . فمضت تحلق فى الفضاء مستأسدة مستضرية تبسط فى جو السماء كله سلطان جناحيها . وفيما هى كذلك اذا بطرفى منقار عظيم انغلقا عليها .. ! فلما ايقنت الهلاك وعلمت أنه الموت ، استسلمت له قائلة :
خذها منى قصاصا وحقا ، فليس ذلك شططا وظلما على من أوتى جناحين ليدرك بهما حدود طاقته الصغيرة ، فانطلق يصارع بهما قضاء الله فيما انطبع به من الضعف والهوان .

الإمام

عبد الحميد بن باديس

للدكتور / محمود محمد قاسم

ولد عبد الحميد بن باديس في الخامس من ديسمبر سنة ١٨٨٩ بمدينة قسنطينة بالجزائر ، وترجع أصول أسرته إلى المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان . وكان أحد أسلافه وهو أبو العباس ابن باديس من كبار قضاة قسنطينة ومن أكثر علمائها شهرة . وقد ساعده ثراء أسرته على التحرر من الحاجة إلى طلب الوظيفة من الإدارة الفرنسية ، ومع ذلك فكان زاهدا خصص حياته بأسرها لإحياء الروح الإسلامية في الجزائر إعدادا للمقاومة الفعالة التي ساهمت بقدر كبير في تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي .

وكانت خطة عبد الحميد بن باديس في مقاومة ذلك الاستعمار مبتكرة وجادة ، لأنه بدأ يحاصر فرنسا في رفق وعزم صارم في الوقت الذي ظنت فيه أنها حاصرت الجزائر ، وبدأت تحولها إلى مقاطعة فرنسية في الشمال الإفريقي . وقد استمد ابن باديس قوته كلها من الدعوة إلى مذهب السلف . وكشف عن خطته

هذه بعد نجاحها عندما قال فى سنة ١٩٣٨ إنا بالأمس حين لم نلتفت هذه اللفتة إلى ماضينا وقوتنا السماوية ما كنا نرهب احدا ، ولا نستطيع ان نشعر بوجودنا أحدا . وأما اليوم فبهذه اللفتة القصيرة إلى تراثنا المجيد استطعنا ان نعلن عن وجودنا ونخيف بعد أن كنا نخاف .

وكانت دراسته الأولى فى مدينة قسنطينة ، فحصل الثقافة العربية الإسلامية ، وأخذ عليه احد اساتذته عهدا ألا يعمل موظفا فى الحكومة حتى يتفرغ لخدمة دينه وأمته . ونفذ ابن باديس هذا العهد . ولما هاجر أستاذه إلى الحجاز ارتحل ابن باديس إلى جامعة الزيتونة بتونس فى سنة ١٩٠٨ . غير أنه فطن إلى ان الدراسة فى تلك الجامعة حينذاك لم تكن فى المستوى الذى تتطلع إليه نزعتــه العلمية والإصلاحية . ثم سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج فى سنـــة ١٩١٢ ، وفى الحجاز لقى عددا من علماء مصر والشام وتتلمذ على الشيخ حسين احمد الهندى الذى نصحـــه بالعودة إلى الجزائر ، إذ لاخير فى علم ليس بعده عمل .

ولما عاد إلى الجزائر فى ســـنة ١٩١٣ شرع ينفذ خطته ، فوضـــع الأسس الأولى لجمعية العلمــــاء الجزائريين يعاونه فى ذلك الشيخ بشير الأبراهيمى . لكن هذه الجمعية لم تبرز إلى الوجود إلا فى ســـــنة ١٩٣١ . وفيما بين هذين التاريخين كان ابن باديس يعمل دون هوادة ، فكان يلقى دروسه الدينية والأخلاقية بمدينة قسنطينة بعد صلاة الفجـــر حتى منتصف الليل ، وكان يسافر إلى العاصمة ووهران وتلمسان مرة فى كل أسبوع .

وكان شعاره قوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مـــا بأنفســــهم » ولمـــا أحس ابن باديس صلابة الأرض تحت قدميه جعل يهاجم أعوان المستعمر من أصحاب الطرق الصوفية . وبدأ حملته عليهم فـــى سنة ١٩٢٥ وأصدر جريدة المنتقد فى سنة ١٩٢٦ ينبه فيها شعب الجزائر إلى خطر مدعى التصوف . وتنبهت الإدارة الفرنسية إلى خطر هـــــذا المصلح ، فعطلت الجريدة بعد أن صدر منها ١٨ عددا . فلم يلبث ابن باديس ان أصدر مجلة الشهاب ، مع اصطناع المرونة السياسية التى برع فيها ، مخفف اللهجة ، لكن استمر فى فضح الطرق الصوفية وبيان مخالفتها للكتاب والسنة . واتاحت له هذه الحنكـــة السياسية أن يحتفظ بجريدة الشهاب، التى كان يصدرها ببعض دروســـه فى التفسير وشرح الحديث ، بالبقاء ما بين سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٤٠ .

وحاول خصوم الإمام ابن باديس اغتياله ، لكنه نجا وعفا عمن كان يريد اغتياله . ثم أصدر صحفا أخـــرى كالشريعة والسنة المحمدية والصراط. ولم تعمر هذه الصحف طويلا ، فإن الإدارة الفرنسية كانت سرعان مـــا توقفها عن الصدور ، لخطورتهـــــا وعظيم تأثيرها فى النفوس . ثـــم حاولت الإســـاءة اليه بأن حرضت عليه أذنابها ، فاتهموه بأنه وهـــــابى حينا ، ومن اتباع محمد عبده حينـــا آخر .

وأدى احتفـــال الفرنسيين فـــى سنة ١٩٣٠ بالعيد المئوى لاحتـــلال الجزائر إلى إثارة شعور المسلمين ، إذ عرض أحد الكرادلة بالإسلام مبشرا باختفائه من الجزائر ، مما دفـــع المخلصين من الجزائريين إلى التفكير فى إنشاء جمعية العلماء الجزائريين الذين اتخذوا لأنفسهم شعارا هـــو الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا وفى سنة ١٩٣١ عقد علماء الجزائر اجتماعا فى شهر مايـــو واسسوا جمعيتهم وانتخبوا عبـــد

الحميد بن باديس رئيسا لها ، وذلك في غيبته . فوضع للجمعية قانونها الأساسي على قواعد من الدين والعلم . ولم ينس أن يدعم ذلك كله بمبدأ اسلامي لتحقيق وحدة الفكر بين مختلف النزعات في المجتمع الجزائري ، وهذا المبدأ هو الكلمة الطيبة ، والدعوة بالموعظة الحسنة . من قبلها فهو أخ في الله . ومن ردها فهو أخ في الله . فالأخوة في الله فوق ما يقبل ويرد .

وكان مسلكه في بناء الأمة مسلكا عمليا ؛ وهو البعد عن المهاترات الحزبية التي كانت تدور في فلك حدده المستعمر سلفا ، كصمام أمن لحالة السخط التي عمت الجزائر بسبب ضروب الحرمان الاقتصادي والاجتماعي ، وفضل هذا المصلح أن يبعث الأخلاق الإسلامية ، فأرسل الوعاظ إلى القرى وإلى المدن يقومون بالتعبئة الدينية والقومية الشاملة ، وقد كتب جان لاكويتر بعد حرب التحرير الجزائرية يقول : ان مجددي فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى هؤلاء الذين أسسوا جمعية العلماء ، أي الشيخ عبد الحميد باديس واشد اتباعه حماسة كالشيخ الإبراهيمي والعقبي . فمنذ سنة ١٩٣٠ نرى في الواقع ان هؤلاء الرجال ذوى الثقافة الرفيعة والعلم الواسع ، وهم من اقوى الشخصيات الاسلامية في المغرب المعاصر ، وقد ربطوا محاولتهم لتجديد الإسلام والقضاء على الطرق الصوفية ، بمحاولة تجديد الوطن الجزائري — وفي سنة ١٩٣٣ يقول كاتب فرنسي آخر يصف العلماء الجزائريين من أصحاب ابن باديس واتباعه بأن سياستهم كانت تنحصر في المرابطة بحصن الثقافة والدين . « وهكذا يتدخلون في كل شيء وينتظرون أن يتقدم رجال آخرون لاستعمال السلاح الذي يصقلونه اليوم بأيديهم ويعدونه » .

وعلى اثر هذا التحذير في سنة ١٩٣٣ تدخلت الإدارة الفرنسية لتعصف بحركة العلماء والمسلمين ، وعينت موظفا فرنسيا رئيسا للإشراف على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مما زاد في التهاب الشعور الديني في الجزائر ، وساعد على انضمام كثير من المترددين إلى حركة جمعية العلماء . ثم بدأت فرنسا أساليبها السياسية لتمزيق الوحدة الجزائرية . ودخل القطر الجزائري مرحلة جديدة من الصراع حتى قامت ثورة أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية رفض ابن باديس أن يعلن عن ولائه لفرنسا ، فضيقت عليه ، وحاربت مشروعاته في التعليم . وتوفي عبد الحميد بن باديس في ١٦ أبريل سنة ١٩٤٠ وقيل أنه مات مسموما .

وتكشف كتابات ابن باديس في تفسير القرآن وشرح الحديث ، كما تفصح آراؤه الاجتماعية والسياسية ، عن سمات واضحة كانت من اهم أسباب نجاحه . فمن ذلك نزاهته العقلية وإخلاصه لما يعتقد أنه الحق ورفقه بالخلق وتفاؤله . فلم يكن ممن يميلون الى الترهيب والزجر واللوم او التطاول على الناس تزكية لنفسه كما يشاهد عادة عند مدعى الإصلاح او عند من يطلب الرزق عن طريق استغلال العاطفة الدينية لدى العامة ، بل كان من هؤلاء العلماء الذين يعاملون تلاميذهم كأبنائهم ويأخذون بيد المذنبين برفق نحو التوبة ومحاولة إصلاح النفس . وكان ابن باديس يؤمن بأن أسلوب التقريع ، الذى درج عليه بعض الوعاظ ، كفيل بأن ينفر الناس من قبول هذا النصح . لقد كان من سياسته هو أن يبعث التفاؤل في نفس العاصين إن تابوا ، مع تحذير المؤمنين من العجب الغرور وتزكية النفس .

وإلى جانب هذا الوجه السمح من خلق ابن باديس كان يوجد وجه آخر هو الوجه الصارم الممتنع الذى يتجلى فى شدته العنيفة فى الحق وشجاعته النادرة وما كان لأحد من معاصريه أن يدانيه فى هذين الأمرين ، أى فى السماحة والصراحة معا ، من قريب أو بعيد . فهو إذن رجل من الطراز السهل الممتنع .

وقد بدت صرامته وشجاعته فى مهاجمة الوالى العام الفرنسى للجزائر فى أواخر سنة ١٩٣٣ ، فإن هذا الوالى أراد أن يتخذ نفسه حكما على إيمان المسلمين أو عدم إيمانهم . وكان رد ابن باديس على الوالى يتضمن وصفه بالكذب . فهو يبيح لنفسه أن يدعى حمايته للمسلمين فى الوقت الذى يغلق فيه المساجد ويحظر على العلماء أن يعظوا المسلمين ، ويحرم فتح المدارس العربية الاسلامية . ثم جعل يهدد الوالى بأنه يستطيع أن يجمع الأمة كلها ضد المستعمر .

هذا وقد كشف ابن باديس فى كتاباته وفى تفسيره للقرآن وشرحه للحديث عن مظاهر التدهور الاجتماعى فى الجزائر فى مجالات التعليم والعمل والثقافة والاقتصاد مع تقليد المسلمين للأوربيين فى مباذلهم وشرورهم لا غير .

كذلك اهتم ببيان أسباب هذا التدهور ، ووضع الاستبداد السياسى فى قمة هذه الأسباب ، وأكد أن من معوقات الإصلاح غلبة الروح الغيبية التى يروج لها دعاة التصوف الكاذب . مع أن طريق الإصلاح ليس مغلقا ، إذ لا بد من توحيد الفكر الإسلامى بإحياء العقائد السليمة والخلق الطيب ، والجمع بين الإيمان والعمل فى مختلف النواحى الاجتماعية . ولكن ذلك كله لن يؤتى ثمرته من الوجهة السياسية إلا بمقاومة أصحاب التفكير الرجعى الذين يدافعون عن الباطل ، أى أعوان المستعمر المخالف فى الدين . وقدر لهذا المصلح أن يحطم هذه الرجعية ، فأصبحت عبئا ثقيلا على المستعمر المستبد . وهكذا نجحت الخطة التى أعدها منذ عودته من الحجاز . لقد حاول الاستعمار أن يمحو الصبغة العربية الإسلامية فى الجزائر ، لكنه تنبه متأخرا إلى أن مصلحا قطع عليه الطريق فى رفق وفى عزم ، ودون تظاهر أجوف بالبطولة ، فحاصره ببعث اللغة العربية وتجديد العاطفة الدينية الصادقة فى الجزائر .

ولابن باديس خطاب مشهور يمجد فيه اللغة العربية ويمكن اعتباره إعلانا للنصر على المحاولة الفرنسية التى أرادت محو الشخصية الجزائرية ، وفيه يقول : إنها اللغة العربية ، الرابطة بيننا وبين ماضينا ، وهى وحدها المقياس الذى نقيس به أرواحنا بأرواح اسلافنا ، وبها نقيس من يأتى بعدنا من أبنائنا وأحفادنا . . أرواحهم بأرواحنا . . وهى الترجمان عما فى القلب من عقائد ، وما فى العقل من أفكار ، وما فى النفس من آلام وآمال .

أما من ناحية الفكر الإسلامى فقد فهم مشكلة القضاء والقدر فهما يقترب به من الإمام أبى منصور الماتريدى وابن رشد . وأما تفسيره للقرآن فهو من خير التفاسير وفيه يجمع بين النظرية والتطبيق على الواقع . وربما كان هذا هو السبب فى نجاحه فى إعداد الجيل الذى حرر الجزائر .

وتوجد آثار ابن باديس فى كتاب اعده الدكتور عمار الطالبى بعنوان ابن باديس : حياته وآثاره نشرته مكتبة النشر الجزائرية الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ (١) .

---

١ ــ انظر ايضا كتاب . محمود قاسم عن الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحى لحرب التحرير .

الفكر الاسلامي

بين معجزة الاسراء ومأساة الأقصى

للاستاذ فاروق منصور

ان حاضر العالم الاسلامي بكل ما فيه من مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ، وبكل ما فيه من حق ضائع ، وبشر مضيع ، وأرض مغتصبة وجماعات مشردة وكيان ممزق ، وبكل ما يتعرض له من عدوان خارجي أو تبدد وتشتت وتمزق داخلي وبكل ما يتهدده من غزو فكرى ، وما يحاك له من مؤامرات متقنة التدبير غنية الموارد متعددة الجبهات ، تستهدف القضاء على الاسلام عقيدة وشريعة ونظاما ، وتبغى السيطرة على العالم الاسلامى أرضا وبشرا وموارد ومقدرات .

أن هذا العالم بظروفه هذه يلقى على الفكر الاسلامى مسئولية كبرى ، ويحمله من الاعباء ما لا حصر له باعتبار ان هذا الفكر هو طريق التصحيح ، ووسيلة البناء ، كما انه درع الوقاية وسبيل الحياة ، فلا بقاء للعالم الاسلامى ، ولا حياة كريمة له ما لم يكن هناك فكر اسلامى قوى محقق للهدف ، قادر على البناء واثراء الحياة ، وتحقيق ما يكفل بقاء المجتمع الاسلامى وازدهاره .

انه الواجب .. مهما كانت الصعاب!

واذا كانت الاعباء كثيرة والاحمال ثقيلة ، والطريق طويلا وشاقا ، **فان الفكر الاسلامى مطالب بان يتحمل مسئوليته مهما ثقلت ، ومهما كان حجم العبء وجسامة الواجب ، التزاما بواجبه ، واتساقا مع طبيعته وخصائصه .**

لقد عاش الفكر الاسلامى تاريخه كله منذ بدء مسيرته الى وقتنا هذا يستهدف تحقيق ما دعا الاسلام اليه وبشر به . ويستهدف تحقيق عالم فاضل تتحول فيه القيم الاسلامية الى واقع حى ، وأسلوب حياة لأن تلك القيم لم يأت بها الكتاب الكريم لتكون شعارات أو افكارا مجردة للمتعة الذهنية .. « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى

الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » ..

« .. قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » ..

عندما تكون الرسالة حياة .

أن قيام الفكر الاسلامى بهذا الواجب استمرار لمسيرته التاريخية علاوة على انه اتساق مع طبيعته ، فالعصور الزاهرة لهذا الفكر هى تلك الفترات التى عاشها ملتزما برسالته، فكان الاسلام ــ قرآنه وقيمه ومبادئه ــ هو أساس هذا الفكر وغايته ، وكانت العقيدة الاسلامية هى المنبع والمصب لهذا الفكر ، منها يأخذ وفى ظلها يعطى .. كما كانت فترات ضعفه هى تلك الفترات التى عاشها مبعدا عن دوره ، محالا بينه وبين العطاء الطبيعى ، وهى تلك الفترات التى بعد فيها المسلمون أو ابعدوا عن حقيقتهم ، وغابوا عن تعاليم دينهم ، وحيل بينهم وبين الاسلام فهما وأسلوب حياة ، ارضاء لهذا الهدف أو ذاك .

واذ سلمنا نتيجة لذلك كله بأن حياة الفكر الاسلامى تتحقق فى الازدهار عندما يلتزم بالاسلام ، ويعايشه ويحيى به ، كما أن ضعفه لا يتأتى الا عندما يحال بينه وبين الاسلام الذى هو روح هذا الفكر وأساسه ، ووسائله وغايته ، **فان هذا الفكر لكى يعيش يجب أن يكون دائما من الاسلام واليه ، يأخذ منه ويتفاعل به وينمو ويزدهر بهديه ، واليه يعطى أهدافا محققة ، ومبادىء مرساة ، وقيما متاصلة ، ترى واقعا حيا ، وتطبيقا ملموسا . حينئذ يكون فكرنا الاسلامى قد حقق ما نرجوه له من نجاح ، وما نامله فيه من خير . وحينئذ يكون بحق مستحقا لاسمه ، معبرا عن حقيقته مفيدا لنا وللآخرين ..**

واذا عرفنا السبيل الى النجاح ، وتبينا حدود الواجب الملقى على هذا الفكر ، فاننا يجب أن ندرك أن أول الخطوات ما يسبق الخطوة الأولى ، واذا كان البعض قد قالوا : أن طريقهم بدأ بخطوة ، فان فكرنا الاسلامى يقول إن حياتنا يجب أن تبدأ بفكرة ، ويسبق البدء أمور وأمور : فالاسلام يدعو الى تحديد الهدف قبل السعى لتحقيقه يامر بالدراسة والتفكير والاعداد والتخطيط قبل البدء . يلزم بامور كثيرة قبل الشروع فى العمل منها **مثلا** : ما يتعلق بفهم الموضوع ، مثل الرؤية والنظر ، وما يتعلق بالأمر المقبل عليه من ضرورة مراعاة تقوى الله وطاعته ، والتزام أوامره واجتناب نواهيه ، او التزام العدل والرحمة أو عدم اتباع شهوات النفس ، وتحكيم الهوى ، وأطاعة الغرض .

ومنها ما يتعلق بالانسان القائم بالعمل من توفير الامكانيات ، وحشد القدرات ، والتفرغ للعمل ، وتوفير الظروف الملائمة لاتيانه او القيام به ، ومنها تهيئة النفس وتقدير الموقف .

معرفة الذات بداية الطريق !

وعندما نطبق ذلك على الفكر الاسلامى اليوم ، ونحاول تفهم دوره فى ظروفنا الحالية ، **فاننا نجد انه يتحدد فى أن يعرف هذا الفكر نفسه أولا ، ويتعرف على خصائصه وأمكانياته . ثم يشكل نفسه وفقا لهذه المعرفة اليقينية التى يصل اليها ، منسلخا عن قيم حضارية تتعارض مع الاسلام ، ومبتعدا بنفسه عن مؤثرات الغزو ومناطق التاثر بالنفوذ الغريب المكشوف منه والمستتر المباشر منه وغير المباشر** .. واذ ما استطاع الفكر الاسلامى أن يحقق ذلك انقاذا لنفسه واحياء لقيمه ومبادئه فانه سيكون قادرا على انقاذ الأمة الاسلامية ، واحياء الشعوب

الاسلامية . **وسيكون بمقدوره أن يحقق الغاية المبتغاة ، والرغبة المرجوة ، والحقيقة المنشودة ، والحياة الملائمة لنا والمتمشية مع ديننا وعروبتنا بكل ما يحمله ديننا من قيم ، وبكل ما لعروبتنا من تقاليد ومثل .**

وعندما يستطيع الفكر الاسلامى أن يحقق ذلك فانه يضفى على الحياة الكثير من الخير ، ويعطى للانسانية كلها عطاء حضاريا هى فى أمس الحاجة اليه اذا كانت معرفة هذا الفكر لنفسه وخصائصه والتزامه بقيمه هى البداية ، فان الخطوة التالية ، تحديد الداء والتعرف على الدواء . وداء العالم الاسلامى يتمثل فى وقائع محددة ومعروفة لحسن الحظ ، وأمراضنا كامة مشخصة تماما ، ندركها جميعا وندرك أسبابها كما ندرك السبيل لعلاجها .

ولكننا برغم هذا الادراك الكامل لطبيعة الداء ونوعه ، وفهمنا الكامل لأنجح وسائل العلاج ، نترك الداء يستفحل ، وأعراض المرض تتزايد ، وأخطاره تتفاقم ، حتى تصل الى درجة نسترخص الموت على تقديم العلاج ، ونكون آنذاك ــ بكل أسف وألم ــ كالطفل المريض أو المريض الجاهل الذى يفضل المرض على مرارة الدواء .

ولكن ماذا بعد الحساب ؟

ونظلم النفس اذا ما رحنا نلقى عليها اللوم ، أو نبالغ فى نقد الذات ــ وان كنا نسلم ابتداء باننا مقصرون كجماعات وأفراد ، واننا نفرط فيما لا يجب التفريط فيه ــ أو نعدد عيوبنا ونمضى فى احصاء الاخطاء .

اننا فعلا ولأسباب كثيرة لنا العذر ، ووجود العذر لا يصلح مبررا نهائيا دائما للامتناع عن الواجب . لاننا يجب ان نؤدى واجبنا تحت أسوأ الظروف وأقساها ، والا قادتنا الظروف السيئة الى ما هو أسوأ ووجدنا أنفسنا آخر المطاف بقايا أمة وأشلاء تراث .

اننا كأمة تعرف نفسها وتدرك أمراضها ، وتقدر حقيقة ما تتعرض له ، وتعى ما يتهددها من أخطار يجب أن نمضى بكل ما لدينا من قوى متاحة ، وبكل ما نستطيع ان نوفره من امكانيات ونفجره من طاقات لعلاج المرض وتبرير الأخطار وإعادة البناء

هذا كله بالطبع واجب الفكر الاسلامى ، ورسالة المفكر المسلم فى عصرنا . باعتبار أن الفكر رائد الاصلاح والمفكر واضع اللبنة الأولى للبناء وباعتبار ان امراضنا كلها وتخلفنا كله يرجع أول ما يرجع وآخر ما يرجع الى التخلف الفكرى وسيظل هذا هو سر تأخرنا وتخلفنا ما لم نغير ما بى أنفسنا ، وما لم نبن حياتنا على أساس فكرى سليم .

ماذا بعد المسلمات ؟

ولقد سلمنا بأن فكرنا الاسلامى مطالب بأن يتعرف على ذاته ، ويعى خصائصه ، ثم يمضى منسلخا من كل تأثير ، مبتعدا عن مناطق الغزو والنفوذ ، متسلحا بالبناء الذاتى والخصائص الذاتية ، وفى ظل التزام كامل بالاسلام ، وتفهم وتفاعل تام معه وحرص على أن يكون اسلامى المنبع اسلامى العطاء ، ليكون صالحا للبناء قادرا على تحمل الأعباء .

كما سلمنا بأنه مطالب بالتعرف على مشاكلنا وادراك أمراضنا واكتشاف العلاج الناجح لها ، والقادر على علاجها وتحقيق الشفاء التام مع التسليم بأن أمراضنا معروفة والدواء معروف كذلك .

ان التسليم بهذين الأمرين يصل بنا الى معرفة الدور الذى يجب أن يقوم به هذا الفكر ، ويوضح

الخطوات العملية التــى يجب ان يخطوها . وليس معنى ذلك أن الفكر الاسلامى يملك العصا السحرية ، وعندما ندعى قدرته فاننا لا نعايش أحلامنا الطفولية ونرتبط بذكريات علاء الدين ومصباحــه السحــرى فــى قصص ألف ليلة وليلة . لا هــذا ولا ذاك ، **ولكن نؤمن بمقدرة هذا الفكر القائم على الاسلام ، كمــا نؤمن بصلاحية الاسلام وقدرته على تزويدنا بطاقات خلاقة ، وقوى معجزة ، لــو فهمناه حق الفهم ، وادركناه حــق الادراك . ثم عملنــا بوحي منــه واهتدينا بهديه ، والتزمنا بقيمــه ومناهجه وكانت مشاعرنا واحاسيسنا وكان عملنا وسلوكنا وايماننا صورة صادقة لما رسمه هــذا الدين القيم لاتباعه وارتضاه للمؤمنين به .**

وينبع ايماننا من آيات الله البينات وقوله جل وعلا كما ينبع من التجارب الصادقة التى سجلهــا التاريــخ الاسلامى للرجال الذين انطلقوا من الصحراء فغيروا العالم كله وحملــوا الهداية الى أمم كــانت تدعى التفرد بالعلم والانفراد بالمعرفــة وتنسب لنفسها ميزات التفوق والسمو على غيرها من الاجناس والأمم .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنــا »

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » . .

« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

« الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانــوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات اللــه ذلك هو الفــوز العظيم » .

« . . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين .

« قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة، يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلــك لعبرة لأولى الأبصار » .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديــكم ويخــزهم وينصركم عليهــم ويشف صدور قوم مؤمنين » .

عندما تتضح الامور !

وما دمنــا ندرك الطــريق ونفهم الوسائل الناجحة للعلاج فان الأمــر يصبح أكثر جــلاء واكبر وضوحــا ، ويؤدى ذلك بنا الى تحديد البــداية أو اختيار العمل وتقديم ما يجب أن يشرع فى علاجه فعلا .

ولا شك ان من امراض العــالم الاسلامى اليوم ما يتطلب علاجا سريعا قبل أن يستفحل وفي مقدمة ذلك ما يتهدد الارض والعقيدة مع التسليم بان الارض لم تحتل ولم تغتصب والحق لم يسلب الا بعــد ضعف العقيــدة او انسلاخ جماعات كثيرة منا مخيرة او مضطرة عن الاسلام .

لذلك فان اى محاولة للعلاج يجب ان تربط دائما بين المشكلة وضعف العقيــدة عنــد تشخيص المرض . وتربط بين العقيدة والدواء فتربــط بينهما وسيكون العلاج اكثر نجاحــا وفاعلية لو كان اصــلاح العقيدة وتقويتها اول ما يوصف من دواء واول ما يعطى لامتنا المريضة الخطير داؤها اليسير علاجها لو كان الايمان هــو الدواء والعقيدة هى اول ما نبنى فى النفوس .

هذا الموضوع المحدد :

وما دامت الارض والعقيدة هما أول ما يجب أن يعالج . وما دمنا ندرك انهما متلازمان . فاننا نستطيع تحديدا أدق فنقول : ان الفكر الاسلامي مطالب اليوم بأن يقف أمام موضوع محدد ضمن ما يجب الوقوف أمامه ، هذا الموضوع هو : « معجزة الاسراء ومأساة الأقصى » .

وتحديد الموضوع على هذا النحو يجعل العقيدة والارض موضوعنا . واذا كان اصلاح العقيدة سيؤدي الى اصلاح المحارب لاسترداد الارض فليس معنى ذلك ان تؤجل المعركة حتى نبنى النفوس فان ذلك خطأ يجب الا نقع فيه لاننا لو ارتكبنا تلك الحماقة لاخترنا بأيدينا اتعس مصير . لأنه يجب أن يكون واضحا لنا أننا نواجه معركة مصيرية ، ونواجه عدوا شريرا مغتصبا يدرك أيضا أنه يخوض معركة مصيرية كما يدرك أن نهاية هذه المعركة يتوقف النصر فيها على استغلال حسن لقوة حسنة .

ويعقد لواء النصر لمن ينتهز الفرصة لاحرازه . .

ولو انتظرنا نحن فان عدونا لن يعطينا الفرصة ، ولن يتركنا نبنى ونشيد وهو ينتظر . وكيف يتركنا وهو يدرك أن قوتنا ضعف له ، وبناءنا هدم لكل ما يشيده وما يحلم به .

كما أن البناء العقائدي وهو يصاحب استعدادنا للمعركة يكون أكثر فائدة لأنه فى الواقع يستفيد من ظروف ومتطلبات خاصة تنتج من الاستعداد للمعركة كما يفيد بدوره فى تسهيل أعباء المعركة وحفز الجهد لها .

ولقد خرجت الانسانية بالكثير وهى تجرب وتشاهد وتطور من الافراد والجماعات ابان الحروب أو الاستعداد لها . ونحن جميعا نعرف كيف كانت الحرب العالمية الثانية وسيلة لاكتشاف كثير من المخترعات والدراسات المفيدة التى قدمت للانسان الشىء الكثير .

كيف يواجه الفكر الاسلامى المشكلة ؟

ويحق لنا ان نقف هنا لنتساءل عن كيفية مواجهة الفكر الاسلامى لمتطلبات العقيدة وقضية الارض ؟ كيف يخدم الفكر الاسلامى ؟ أو كيف يتفهم موضوع « معجزة الاسراء ومأساة الأقصى ؟ » ثم كيف يقدم ما يخدم الموضوع ؟ كيف يحل المشكلة ، كيف يضع العلاج ؟ ان واجب هذا الفكر أن يتفهم الأبعاد ، ويدرك المقدمات ويحدد النتائج على أساس من الدراسة ، وليس على سبيل التخمين والتخيل . هذا هو السبيل لعمل صالح ولحسن الحظ فأنه يتمشى أيضا مع تعاليم الاسلام وفهم الاسلام للأمور .

وعندما يقوم الفكر الاسلامى بتحديد ذلك فأنه يمضى لاعداد النفوس لتحمل الاعباء ، وأول الاعداد ابراز الخطر ، ومناقشة الاخطاء السابقة . وكيفية تلافيها مستقبلا ، ووضع الحلول التى تحول دون تكرارها .

ومن الاعداد أيضا معرفة العدو وفهم نفسيته ، وأسلحته المادية والمعنوية وتفهم مخططاته ، ومزاج أفراده ، وتاريخهم وكيفية تأثرهم بهذا التاريخ ، أو كيفية استفادتهم به فى حربهم ، وفيما يضعونه من مخططات وتوضيح الظروف المساعدة ، وتقدير الامكانيات المتاحة للعدو ، وقدرته على استغلالها .

ثم يمضى هذا الفكر ليخطط فى دقة ، ويبنى فى أحكام ، ويضع بعناية الأسس التى يجب أن يقوم عليها كفاحنا ، والأساليب التى يجب أن نتخذها ، مع ادراك واع بتطور هذه الأساليب وفقا للظروف المتغيرة

والمؤثرات المرضية والاحداث العفوية وان يوضح كيف نقاوم العدو ؟ وكيف نفسد خططه ؟ وكيف نستفيد من امكانياتنا المادية والأدبية ؟ ثم كيف نربط بين واقعنا المعاصر وواقعنا التاريخى ؟ وكيف نستفيد من هذا التاريخ فى حاضرنا وقبل ذلك عليه ان يعنى بكيفية دراستنا للتاريخ حتى نفهمه . بل عليه اهم من ذلك ان يبحث عن هذا التاريخ وينفض عنه الاتربة وينقحه من الاكاذيب ويطهره من المدسوس عليه المدخول فيه . وعليه ايضا ان يعود بالعقيدة الى جوهرها الأصيل ، ثم يعمل جاهدا على ربط النفوس بالعقيدة ربطا محكما بحيث تفهم العقيدة وتقوى بها وتستفيد من معطياتها قوة وأصالة ومنهاجا .

نبى المعجزة وليست معجزة النبى !!

وعندما يقف الفكر الاسلامى ليناقش موضوعنا المحدد ، ويحاول أن يبحث موضوع الاسراء كمعجزة فما هى أساليبه ؟ وما هى وسائله ، وما النتائج التى ينتظر ان يخرج بها من هذه الدراسة لو التزم منهجا جادا واعيا ؟

ان دراسه معجزة الاسراء تحتاج الى منهج جديد فى الفهم يحاول أن يدرس المعجزة دراسة عقائدية ليفهم ويؤكد لغيره ما يقنع بالفهم ، ويستحوذ على التسليم والتأكيد بأنها قد تمت فعلا . كما تحتاج الى منهج جديد للاستفادة من هذا الحديث .. للاستفادة من هذا الحديث .. الانسان وتخدم قضيته فى عصرنا .

العقيدة ومعجزة الاسراء :

ان كل مسلم يسلم بأن الاسراء قد حدث فعلا لأن القرآن قد أورد ضمن آياته البينات ما يؤكد ذلك ، والتسليم بما جاء فى القرآن أس من أسس الايمان لدى المسلم .

ولكن هل يسلم العقل الحديث لانسان غير مسلم بأن هذه المعجزة قد حدثت ؟ أغلب الظن أننا سنواجه اتجاهين ، أحدهما يعتمد على أساس من الاقناع العلمى أو على أساس ما يشاهده اليوم من معجزات مادية ،بأن الاسراء قد حدث لأنه شىء ممكن الحدوث ، أو أن شيئا قريبا منه يحدث الآن بصورة أو أخرى مثل غزو الفضاء ومثل المركبات التى تطوف العالم فى دقائق محددة .

أما الرأى الآخر فانه متجرد من كل ما يمت للروح أو يستند للعقيدة وملتزم او غير ملتزم بالتفسير المادى أو الالحاد العصرى سينكر كل ما يتعلق بالاسراء مثل هذا المنكر الجاحد لا يمكن اقناعه ما لم ندخل معه فى نقاش عقلى ، ونحاول اقناعه منطقيا ، وبحيث يكون هو ملتزما بالمنهج العلمى ، راضيا بالتسليم بالحقائق عند توضيحها أو اثباتها والا فلا فائدة من مناقشته ويعد كل جهد يبذل فى سبيل ذلك مضيعة للوقت وبعثرة للجهد فيما لا طائل وراءه .

ولكن هل يستطيع العلم ان يقنع المنكر بأن الاسراء قد حدث بالفعل ؟ نعم يستطيع ، وهذا هو واجب الفكر الاسلامى المعاصر ، وتتحقق الاستطاعة بالمراحل التى يجب أن يسلكها الفكر . والمنهج الذى يجب أن يلتزم به . أن المنهج يجب أن يقوم على الحقيقة وحدها ، ومعرفة الحقيقة كانت دائما الشغل الشاغل للفلاسفة، ومدار بحث المفكرين منذ هبط الانسان على الارض الى يومنا هذا .

والحقيقة هى أساس الفكر الاسلامى . فقد جاء هذا الدين يتسم بالوضوح ويرفض كل ما يتعارض مع العقل ، أو يضاد المنطق ، أو يصادم الحقيقة . جاء يستهدف توضيح الحق والدفاع عنه .

وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا الدين قادر على توضيح الحق ، قادر على تأكيد أن الاسراء قد حدث ، وما على الفكر الا أن يوضح للعقل المعاصر ما هو الاسلام ، ويفسر روح وجوهر العقيدة الاسلامية .

والانسان العصرى عندما يعرف عقل الاسلام على حقيقته ويتضح له قيم هذا الدين ، فانه سيسلم بأنه حق والحق احق أن يتبع سيسلم أن ما جاء به صدق وأن من نزل عليه هذا الدين حق ، وأن الرسول صادق ، فلا بد أن يسلم بأن كل ما جاء بعد ذلك صدق وحق ايضا ، لأنه نتيجة عادية لمقدمات صحيحة ثابتة .

وعندما يسلم العقل بأن معجزة الاسراء أمر قد حدث، فانه يؤمن عن علم وصدق ، ينعكس بعد ذلك فى سلوك الانسان ومشاعره ، ويكون مثل هذا الانسان أقوى ايمانا ، وأكثر يقينا من المؤمن التقليدى أو المؤمن بالوراثة .

ان دور الفكر الاسلامى اذن أن يقدم الاسلام للناس تقديما صحيحا ، وبصورة مقنعة ومنطقية لأننا فى عصر يقوم على المنهج العلمى ، والجدل المنطقى . كما ان الاسراء كمعجزة ليست فى حد ذاتها غاية ، وليس من رسالة الفكر الاسلامى أن يدخل فى جدل طويل ليؤكد حدوثها ، فليست هى معجزة النبى . ولا يفيدنا من قريب أو بعيد أن نؤكد أنها معجزته ولكن واجبنا يتأكد ويتأصل ويتمثل فى قدرتنا على اقناع الآخرين بنبوة محمد لماذا هو نبى ؟ لماذا نؤمن نحن انه رسول حتى ولو كان بلا أية معجزة ؟

ان دليل الاقناع يجب الا يتمثل فى المعجزات والخوارق ، بل فى تقديم المنهج المتكامل للفكر والسلوك ، فى توضيح العقيدة والتأثير الذى احدثته وذلك بمقدورنا فبين أيدينا كتاب الله المنزل بالحق . فلنحاول فهم هذا الكتاب ، وتفهيمه للناس . لنناقش الآخرين بأسلوب القرآن . وآدابه التى وضعها للنقاش . ولنناقش الآخرين فى الأثر الذى أحدثه هذا الدين فى نفوس من آمنوا به . كيف غير فى طباعهم ؟ كيف انتقلوا به الى الآفاق ؟ كيف أصبح قوة لهم ومنارا يهدى الحائرين فى كل مكان .

دور الفكر الاسلامى اذن يتمثل فى فهم حقيقة الاسلام وحقيقة الرسول ، ثم تقديم الحقيقة للمجتمع الانسانى ، ان هذا الفكر مطالب بأن يعرف ويعرف نبى المعجزة ودين المعجزة ، وليست معجزة النبى . عليه أن يهتم بالأصول دون الفروع ويحفل بالأسس لا بالجزئيات عليه أن يقدم للانسانية الاسلام صحيحا واضحا ويترك لهم الفرصة ليقرروا هم أن هذا الدين قادر على صنع المعجزات الحقيقية ، قادر على صنع حقائق تفوق الخيال .

الفكر الاسلامى وتراث الاسراء :

وإذا كان الفكر الاسلامى فى اعتقادنا ليس مطالبا بتأكيد معجزة الاسراء — مع ايمان كل مسلم بأنها قد حدثت بنص الآيات وصريح النصوص — فانه مطالب بالاهتمام بشىء آخر يتعلق بالاسراء . هذا الشىء يحتاج لجهد المفكرين المسلمين ويتطلب منهم بذل عناية كبيرة وهو التراث الفكرى المتعلق بموضوع الاسراء .

ان تراثنا الاسلامى يضم الكثير من المؤلفات والمخطوطات المتعلقة بهذا الأمر ، وتتفاوت تلك المؤلفات والمخطوطات فى درجة الصدق والكذب ولكنها تتفق جميعها فى أنها تمتلىء — للأسف الشديد — بالكثير من الأمور التى لا يقبلها العقل ، ولا يقرها الدين ، ولا تتفق والذوق السليم .

ان صفحات كثيرة قد دست فى هذه الكتب تسىء الى الاسلام أبلغ اساءة وليقرأ من لا يشاركنا الاقتناع بذلك بعضا من تلك الكتب سواء

المعروفة المؤلف أو المجهولة المؤلف ثم ليحكم هو بنفسه .

ليقرأ مثلا قصة الاسراء للسقا وهو خطيب بالجامع الأزهر في القرن التاسع عشر الميلادى أو يقرأ قصة الاسراء للاجهورى أوالسحيمى أو القليوبى أو الأمير أو قصة الاسراء الصغرى والكبرى للغيطى الذى عاش في القرن العاشر الهجرى ، أو للسيوطى ، أو يقرأ قصة المعراج للبزرنجى أو الفرقى أو الشربينى أو الدابغى أو النعمانى او الابيارى وكثيرين غيرهم نهجوا على منوالهم وساروا مسيرتهم .

لو قرأ أى انسان ذلك فانه سيقتنع بأهمية الدور الذى يجب أن يقوم به الفكر الاسلامى فى تنقية هذا التراث ليمحو ما فيه من أكاذيب ، ويصحح ما فيه من خطأ ويبقى على ما فيه من حقيقة . ومن هنا تبرز أهمية أن يغير الفكر الاسلامى من مفهومه للاسراء كمعجزة فى حد ذاتها ، وأن يهتم بالاسلام ككل ، ويحفل بدراسته عقيدة وشريعة ليبينه للناس ، وليهتم بمحمد صلى الله عليه وسلم كنبى ورسول ، فيدرس جوانب رسالته ، ويتفهم مواطن العظة والعظمة فى حياته وسلوكه وأقواله ، ثم يمضى فى محاولات جادة تستهدف انارة العقول ، ومحو كل ما هنالك من خزعبلات أو أكاذيب أو اسرائيليات ، تهدد الانسان المسلم ، وتعوق تقدم المسلمين ، اذ انها تستهدف عزل المسلمين عن جوهر الاسلام . وحقيقته . وبدلا من أن يتجهوا الى معرفة الحق ، يترددوا فيما يقودهم فى نهاية الأمر الى الغفلة أو الجهالة أو الضياع . والاسراء جزء من كل فى هذه المشكلة التى يجب ان يتصدى اليها الفكر الاسلامى الا وهى محاربة ما يباعد بين المسلمين وبين حقيقة الاسلام .

الاسراء فى فهم جديد !

اننا كمسلمين نؤمن بان الله تبارك وتعالى قد أسرى برسوله ، واننا كبشر ميزه الله بالعقل نؤمن أن الاسراء فى حد ذاته ممكن وما دام كذلك فأننا نسلم ونؤمن بأنه قد حدث ومن هنا يتوافر الاقتناع ويمكن الاقناع .

فقضية الاسراء يجب الا تأخذ منا كبير جهد ، ولا يجب ان تكون مجال بحث أو هدفا لاقناع الآخرين بصحتها ، لانها كما سلمنا جزء من كل ، وفرع ما أحوجنا الى الاهتمام بأصوله وهو الاسلام .

ولكن ما يطلب من الفكر الاسلامى وما يجب ان ينهض به الفكر المسلم المعاصر ، هو فهم موضوع الاسراء فهما جديدا ، ثم الاستفادة من هذا الفهم الجديد فيما يخدم حياتنا ، ويفيد واقعنا .

اننا نؤمن بأن الاسراء قد تم ، وأن الله تبارك وتعالى قال فى كتابه العزيز :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

واذا كان المفسرون قد اهتموا بتفسير هذه الآية الكريمة كما اهتموا بغيرها من الآيات ، فاننا يجب اليوم ان نفسرها تفسيرا جديدا . لا يتعارض مع أقوال المفسرين القدامى — غفر الله لهم واثابهم خيرا — ولا يزيد عليهم جديدا — فاننا نسلم لهم بالفضل ، والعمق والتبحر والريادة . كما نعترف بالعجز والقصور ليس تأدبا فقط ولكن عن تقدير وفهم لجهودهم — ولكن لظروفنا المعاصرة نجد أننا يجب أن نفهم الأمر فهما جديدا ، ربما لأن هذه هى سنة الحياة وربما لأن طبيعة الكلمات كحياتنا

نفسها متغيرة ، وربما لأن الكلمة تكتسب بالتجارب معانى جديدة والذى يحتاج الفهم الجديد فى هذه الآية الكريمة هو المكان الذى اسرى بالرسول اليه وهو « المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله » والمسجد الحرام الذى اسرى الله بالرسول ...

فالفكر الاسلامى يجب أن يفهم اليوم أن هذه الارض مرتبطة بالعقيدة أو هى أرض العقيدة . وان الأقصى وما حوله أرض باركها الله وفضلها على بقاع كثيرة غيرها . ان هذه الارض أرض حبيبة الى الرحمن شاءت ارادته جل وعلا أن يباركها وأن يختصها بالتمجيد والتكريم فما هو واجب كل مسلم تجاه هذه الارض التى باركها الله . اليست لهذه الارض حقوق فى اعناقنا ؟ أليس لهذا الاقصى فى اعناقنا دين يجب أن نؤديه ؟

ان الدين يتمثل فى حمايته ، وصيانته ، والذود عنه ، وعن الارض المحيطة به ، وعن البلد الذى شيد هذا المسجد المبارك على أرضه .

واذا ما تفهم الفكر الاسلامى ذلك فعليه أن يربط بين الارض والعقيدة ، فاذا كانت آيات الكتاب المبين قد أكدت هذا الربط ، فان تأكيده الزام للمؤمن الا يفرق بين عقيدته وبين هذه الارض فكلاهما شىء واحد ، لا انفصام بينهما فاذا كان الدفاع عن الارض واجبا فالدفاع عن أرض الأقصى عقيدة ودين . واذا كان عدم الدفاع عن الأرض جبنا ، وخيانة ، فان عدم الدفاع عن الأقصى وأرضه كفر والذنب يغتفر أما الكافر فلا غفران له ولا رحمة به .

واذا ما تبنى الفكر هذه القضية فى ضوء هذا الفهم وتولى تأكيده وتأصيله فانه يعطى لحياتنا شيئا كبيرا ، ويقدم للأمة الاسلامية سلاحا قويا هى فى أمس الحاجة اليه . وهذا الواجب يجب أن يكون مجال اهتمامنا وغاية بحثنا كلما دقت قلوبنا وليس كلما عاودتنا الذكرى من عام لعام .

حرب العقيدة أم عقيدة الحرب ؟

ان الارض التى باركها الله بنص آيات الكتاب الكريم هى اليوم أرض المأساة ، ويعانى شعبها أقسى ما يعانيه شعب بل ربما ان الانسانية لم تعرف فى تاريخها الطويل شعبا تعرض لما يتعرض له هذا الشعب الذى سلبت أرضه وتفرق أبناؤه ، وشردت النساء والأطفال ، ولقى أفراده وجماعاته ألوانا من التعذيب دون جريرة .

والأرض التى باركها الله هى اليوم ملتقى صراع حضارى بين أمة عاشت تاريخها على هذا الارض وجماعات تحاول أن تصنع من هذه الارض تاريخها صراع دموى رهيب بين شعب استقر على هذه الارض ومجموعات تحاول ان تتوطن وتستقر ، وتجعل من القهر والارهاب والقوة العسكرية السبيل لتحقيق ما تريد أن تصنعه وتؤكده .

والأرض المقدسة اليوم أرض الصراع بين الاسلام عقيدة وشريعة وبين الصهيونية كدعوة عنصرية ، ونغمة استعمارية جديدة .

واذا كان الاسلام قد عرف كدين وعقيدة ، فان الصهيونية تزعم أنها تقوم على اليهودية كدين ، أو انها الدين اليهودى فى ثوب عصرى وفى الوقت الذى تحاول الصهيونية أن تجعل من العدوان دينا ، ومن الاغتصاب شريعة ، ومن الحرب عقيدة ، فاننا نجد — بكل أسف — أن الكثيرين منا لا يرضون ابدا بأن يقال : بأن الاسلام يدافع عن نفسه ضد الخطر الصهيونى .

وبالرغم من أن الاسلام يتعرض

لحرب خطيرة تهدده تهديدا بالغا فاننا نسمع دعوات متخاذلة تنادى بأن يظل الدين بعيدا عن الصراع . ويفلسف هؤلاء رأيهم ويتذرعون بعشرات الأسباب .

ولكن هل أصابوا فى ذلك ؟

أغلب الظن بل أقوى اليقين أنهم أخطأوا ويخطئون ، وأنهم أساءوا ويسيئون كيف تحارب بلا عقيدة عدوا يتمسح فى عقيدة ، حتى ولو كانت علاقته بها مجرد تمسح ، واستمساكه بها وسيلة لحفز جهد أتباعه .

وكيف يتحقق النصر ما لم تكن عقيدة المقاتل هى سلاحه الأول الذى يعتمد عليه ويحارب به . ويدفع حياته ثمنا من أجل تلك العقيدة التى يؤمن بها .

إن العدو الذى نحاربه قد جاء بأفراده من بقاع شتى ، وجمع جنوده من جنسيات مختلفة ولكنه استطاع تجميعهم تحت ستار الدعوة لاحياء مجد صهيون والاستيلاء على الارض المقدسة التى يزعمون — وهو زعم باطل ومردود عليه — أنها أرضهم أرض نشأتهم القديمة على حد قولهم وأرض المعاد بالنسبة لهم بعد طول الشتات كما يسعون لتحقيق .

والعدو الذى نحارب راح باسم العقيدة يبنى المستعمرات ، ويجند القوى وينشىء المصانع ويعبىء الجيوش ، وينمى الموارد ، ويجمع التبرعات من كل مكان ولم يكتف عدونا باستغلال سلاح العقيدة عند هذا الحد ، بل راح يستغل كل شىء استغلالا عقائديا ويربط كل أمر من أموره برباط العقيدة ، فجعل من القتال والرغبة فيه عقيدة له . ان عدونا يحاول اليوم ان يبنى فى نفوس أفراده عقيدة القتال فيؤمن كل فرد منهم بأنه مطالب بأن يقاتل ، وان القتال أمر محتم عليه ، ليحفظ أمنه ، وليضمن استقراره ، ويحافظ على ما أحرزه من توسع بالغزو . فأصبح الحرب عقيدة وأصبحت عقيدة الحرب طابع دولتهم . وهنا يأتى دور آخر للفكر الاسلامى هو كيف يبنى النفوس لحرب العقيدة فى وقت يؤمن عدونا بعقيدة الحرب ؟

ان الفكر الاسلامى له دوره المحدد فى هذا المجال فهو مطالب بأن يوضع للناس حقيقة دورهم فى هذه المرحلة وأن يوضح لهم الامكانيات المتاحة والقدرات التى يملكونها ، وعليه أن يوجههم الى الاستفادة السليمة من هذه المقدرات وتلك الامكانيات .

وعلى الفكر ان يتولى مهمة اقناع — من لم يقتنع بعد — بأننا نخوض حربا عقائدية ، وانه لا نجاح لنا ولا انتصارا حاسما ، مالم نبن نضالنا على أساس عقيدتنا وما لم يكن الايمان دافعا لنا وحافزا يحفزنا على تحقيق النصر .

وعلى الفكر الاسلامى مهمة بناء النفوس ، وخلق المؤمن القوى الذى يستعذب الموت دفاعا عن أمته ، ويضحى بالنفس مستشهدا فى سبيل الله .

وعلى الفكر الاسلامى أن يجعل الايمان هذا السلاح الذى يجعل الانسان يعطى ولا يفكر ماذا سيأخذ ويجعله يلقى الموت أسعد مما لو نال كل نعيم الحياة ويجعله يدرك واجبه حق الادراك ويقوم بهذا الواجب كأحسن ما يكون القيام بالواجب .

واذا كان عدونا قد نجح فى اقناع أفراده بأن يؤمنوا بعقيدة الحرب ، فان فكرنا الاسلام مطالب بأن يصنع النفوس المؤمنة ، ويجمع العقول والقلوب المؤمنة ويدفع المسلمين أن يعيشوا حرب العقيدة فيدافعوا عن عقيدتهم ، ويناضلوا بعقائدهم دفاعا عن أرضهم وحقهم ودينهم فهذا طريق النصر وهذا وحده ما يصلح وسيلة لضمان الحق ويضع نهاية لمعركتنا المصيرية .



تاريخ الفكر السياسى

تقديم الأستاذ عبد الرحيم بن سلامة
(جامعة محمد الخامس)

على الرغم من المكانة التى يحتلها « الفكر السياسى » بوجه عام ، و « تاريخ الفكر السياسى » بوجه خاص في تفهم الظاهرة السياسية وممارسة العمل السياسى . فقد ظلت المكتبة العربية خالية على الاطلاق من كل مؤلف عربى فى تاريخ الفكر السياسى .

وعلى الرغم من تقدم الدراسات السياسية فى العشرات من جامعاتنا وانشاء الفروع والمعاهد المتخصصة فى العلوم السياسية فى أرجاء الوطن العربى ، فلم تتقدم الأبحاث العربية الى هذا الميدان ، فبقى تاريخ الفكر السياسى ، بعيدا عن متناول الباحث العربى ، الا فيما جادت به المراجع والمؤلفات الاجنبية أو ما قدمته الترجمات العربية عن هذه المؤلفات . . .

ومن الغريب ، أن يأتى هذا الفراغ العلمى فى وقت يشتد فيه الصراع الفكرى فى دول العالم العربى والاسلامى ، فيتقاذف المتصارعون شعارات وايديولوجيات شتى ، بينما تبقى الحقيقة العلمية غائبة الا عن نفر قليل من المتخصصين .

ولعل انعدام المؤلفات العلمية فى تاريخ الفكر السياسى لمسؤولة مسؤولية كبرى عن هذا التشوه العقائدى الذى يعانيه شبابنا .. ولم يعد خافيا أن التخبط العقائدى الذى يغطى الساحة العربية الاسلامية ، مردود فى أصله واساسه الى هذا العجز الخطير الذى ساد ردحا طويلا من الزمان ..

ويأتى مؤلف الدكتورين : ابراهيم دسوقى أباظة وعبد العزيز الغنام فى « تاريخ الفكر السياسى » فريدا فى ميدانه ، اذ يسد ولأول مرة فراغا هائلا فى المكتبة العربية .. ويفتح آفاقا جديدة نحو تواصل البحث فى هذا الميدان .

والمؤلف يقع فى ٤٣١ صفحة من القطع الكبير ، ويتناول تاريخ الفكر السياسى فى خطوطه الرئيسية ، ابتداء من سقراط وافلاطون وارسطو ، حتى الأفكار السياسية المعاصرة .. وقد استخدم طرق التحليل الحديثة .. كما زودت نهاية كل فصل من فصوله (٢٣ فصلا) بالمراجع المنتقاة من عربية وأجنبية ..

وتعكس النظريات السياسية الهامة التى يعالجها هذا المؤلف، الفكر السياسى فى أطواره المختلفة على مر العصور ، وذلك فى أبواب خمسة وهى : « دولة المدينة » و « الدولة العالمية التيوقراطية » . و « الدولة الوطنية » و « الدولة العالمية الاشتراكية » ، واخيرا « الدولة الوطنية الاشتراكية » .

ويتناول المؤلف ، الى جانب عشرات النظريات وعشرات المفكرين السياسيين الذين مروا عبر ٢٥٠٠ عام خلت ، موضوعين أساسيين ، يعتبران حجر الزاوية فى تكوين الفكر السياسى فى دول العالم العربى والاسلامى :

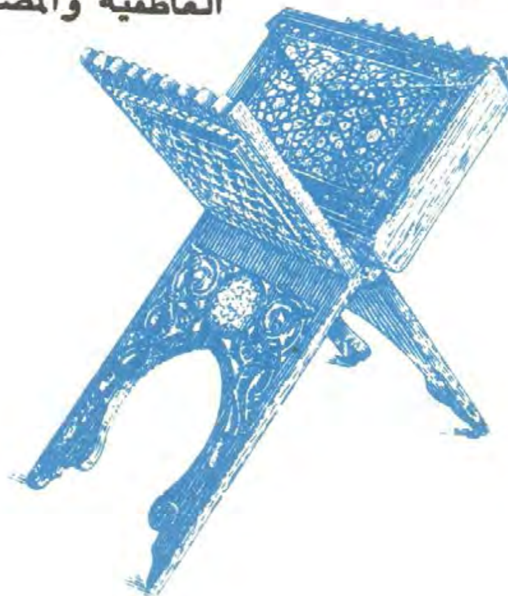
اولهما : الفكر السياسى الاسلامى الذى يعرض ولأول مرة فى هذا الخط التاريخى .

وثانيهما : الفكر السياسى الاشتراكى والماركسى ، الذى اتسم عرضه بتحليل فريد وموضوعية فائقة .

وغنى عن البيان ، أن المقابلة الفكرية بين الفكر السياسى الاسلامى ، والأفكار السياسية الاشتراكية والماركسية ، فى ضوء الحقائق العلمية ، لكفيلة بمد الفكر العربى والاسلامى بالزاد الصالح ، والغذاء العقائدى الكفيل بدحض التيارات الفكرية المستوردة ، ورده الى طريق الأصالة الفكرية فى البحث والاجتهاد ، خاصة وأن المؤلف قد أفرد مكانا هاما للنظرية السياسية الاسلامية ، وتطور الفكر السياسى الاسلامى منذ عصوره الأولى حتى العصر الحديث ..

وان مؤلفا بهذا الاتساع والشمول .. قام على اعداده استاذان متخصصان لحرى بأن يكون دليلا لكل باحث فى العلوم السياسية ، سواء كان طالب علم .. أو رجل دولة .. أو مثقفا ينشد الحقيقة العلمية ..

اذ يمكن من تقييم الشعارات والعقائد المطروحة وردها الى مقاييسها العلمية ، بعيدا عن الأهواء العاطفية والمضاربات الفكرية .



مائدة القارئ

الذرة

الذرة شيء صغير جدا ، وقد استعملت هذه الكلمة في القرآن الكريم للدلالة على كمال صفات الله تعالى مثل :

١ — كمال عدله : « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » .
٢ — كمال علمه : « وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء » .
٣ — عظمة قدرته : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض » .

ذو الفقار

اسم السيف المشهور الذى غنمه النبى صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر ، وكان يملكه رجل من الكفار يدعى منبه بن الحجاج ، وكانت جودة هذا السيف مضرب المثل في الحجاز حتى قيل : ((لا سيف الا ذو الفقار)) .

الطائر الصحيح الجناح

خرج شفيق البلخى يريد التجارة ، وودعه صديقه ابراهيم بن أدهم ، وبعد أيام عاد شفيق ، ورآه ابراهيم فى المسجد فقال له : ما الذى عجل بعودتك ؟ قال : رأيت فى بعض الفلوات طائرا مكسور الجناحين ، وأتاه طائر صحيح الجناح ، فى منقاره جرادة فوضعها فى منقار الطائر المهيض الجناح ، فقلت لنفسى : يا نفس : الذى قيض لهذا الطائر الكسير الجناح هذا الطائر السليم فى هذه الفلاة قادر على أن يرزقنى حيث كنت ، فتركت التسبب واشتغلت بالعبادة .

فقال له ابراهيم : ولم لا تكون أنت الطائر السليم الذى أطعم الطائر الجريح حتى تكون أفضل منه .

فأخذ شفيق يد ابراهيم فقبلها وقال له : أنت أستاذنا يا أبا اسحاق ، وعاد الى عمله .

الحنين الى غزة

يروى عن الامام الشافعى انه بعد ان رحل من غزة الى الحجاز كان يحن اليها دائما ويقول :

وانى لمشتاق الى ارض غزة ... وان خاننى بعد التفرق كتمانى
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها ... كحلت بها من شدة الشوق اجفانى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

تخلص ظريف

عرف « عمارة بن حمزة » بالاعتداد بالنفس وحسن التخلص ، فدخل يوما على المهدى ، وما كاد يأخذ مكانه فى مجلسه حتى نهض اعرابى رث الثياب كان المهدى قد أوعز اليه أن يحرج عمارة ، وصاح قائلا : مظلوم يا أمير المؤمنين !

فسأله المهدى : من ظلمك ؟

فاجاب الأعرابى وهو يشير الى عمارة : ظلمنى هذا ، اغتصب ضيعتى !

فطلب المهدى من عمارة أن ينهض من مجلسه ويقف بجانب خصمه حتى يفصل فى الخصومة بينهما .

فقال عمارة : ليست بيننا خصومة ، ان كانت الضيعة له فلن أنازعه وان كانت لى فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفنى به أمير المؤمنين !

حيص بيص

لقب الشاعر العربى شهاب الدين ابو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى ، وانما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال ما للناس فى حيص بيص ، فبقى عليه هـذا اللقب .


الله اكبر
اسعاف

أم حكيم

مسرحية تاريخية من فصل واحد ..

للدكتور : احمد شوقي الفنجري

فى ارض فلسطين المحتلة قرب وادى اليرموك توجد قنطرة ما زالت حتى اليوم تعرف باسم (قنطرة أم حكيم) وقد تردد ذكرها فى عصرنا هذا اكثر من مرة بمناسبة القتال الذى دار حولها بين العرب واليهود .

فمن هى ام حكيم ؟ وما هى قصتها التى جعلت المسلمين الاولين على عهد الخليفة عمر بن الخطاب يطلقون لأول مرة اسم احدى نسائهم على احد المواقع الحربية الشهيرة ؟

هى ام حكيم ابنة الحارث بن هشام من بنى مخزوم .. وزوجة عكرمة بن ابى جهل الذى قتل أبوه ابو جهل فى معركة بدر ، وكان من اشد الناس ايذاء للرسول فى الجاهلية .. ولها من زوجها عكرمة ولد اسمه عمرو بن عكرمة

تاريخ القصة : سنة ١٣ هجرية (٢٠ اغسطس ٦٣٦م) اثناء معركة اليرموك .

المكان : تبة النساء فى سهل اليرموك .. وهى تبة عالية تحصن فيها نساء الصحابة خلف جيش خالد بن الوليد ونصبت فيها خيام الاسعاف والطعام والسلاح ..

المنظر : خيمة عربية كبيرة كتب على مدخلها .. الله اكبر خيمة الاسعاف .. وقد جلست أم حكيم امام قدر كبير تغلى فيه الماء على النار والى جوارها هند بنت عتبة زوجة ابى سفيان تجهز الاربطة وقطع الضماد للجرحى . وهناك صحابيات اخريات فى الخيمة يقمن باعداد وسائل الاسعاف كالناقلات والاغطية وغير ذلك .

وخارج الخيمة نرى نساء الصحابة على شكل فرق مختلفة .. كل واحدة مهتمة تؤدى دورها فى جدية واهتمام ..

ففريق منهن يقمن بالحراسة وقد تدرعن بالدروع والسيوف .

وفريق يعد آلة الحرب من سهام ودروع ويصلحها ويعتنى بخيول الحرب

وفريق يداوى الجرحى خارج الخيمة او يسقيهم الماء .

وفريق يقوم باعداد الطعام للجيش ..

هنــــد : هنيئا لكم آل ابى جهــل جهادكم كلكم فى سبيل الاســـلام فما فعلتموه اليوم يمحو عنكم كل سيئات الجاهلية ..

أم حكيــم : والله يا هند لا يرتاح ضميرى حتي يرزقنا الله الشـــهادة فى الجهاد .. فقد كان زوجى عكرمة وأبوه ابو جهل من اشـــد قريش ايذاء لرسول اللــــه .. وما أحسب أن شـــيئا يمحـــو سيئات هذا الماضى الا الشهادة ..

هنــــد : ان ما يحزننى يا أم حكيم أن زوجى أبا سفيان قد كبر فى العمر ولم يعد يصلح لقتال .. فاكتفيت أنا وهو بالخطب والشـــعر والكلام .. فنحن نقاتل بلساننا وأنتم تقاتلون بسيوفكم ..

ام حكيــم : كله عند الله جهاد يا هند .. وما تحريض المؤمنين على القتال بأقل أثرا فى العدو من القتال نفسه .. ولقد أعجبت واللـــه بخطابك بالأمس انت وزوجك تحمسون جنود المسلمين على القتال .. وكم أتمنى لو كنت أتقن الخطابة والشعر مثلك ..

هنــــد : كانت الخطابة والشعر لهما مكانهما فى الجاهلية .. أما فى الاسلام فلا يعطيان صاحبهما زعامة ولا رياسة ..

ام حكيــم : غفر الله لك يا هند .. أما زلت تبحثين عن الرياسة والزعامة حتى بعد اسلامك ..

هنــــد : ولم لا .. لقد كان ابو سفيان وابو جهــل زعمـــاء قريش فى الجاهلية وسادتهم .. فلماذا لا تكون فى بيتهما الزعـــامة والرياسة كذلك فى الاسلام الا تريدين لزوجك عكرمة أن تكون له مكانة أبيه أبى جهل .

ام حكيــم : لا والله .. ما أرجو ذلك ولا اسمح به .. فنحن هنا فى موقف التضحية بالروح وانكار الذات .. والمسلمون فى هذا الموقف عند الله سواسية كأسنان المشط وليس احدنا أقرب الى الله من أخيه إلا بمقدار ما يبذله من جهد وجهاد .. أيرضى الله عنا لو كان يرى شباب المسلمين يتسابقون الى الموت فى ســـبيله وبيت أبى سفيان وبيت أبى جهل يتسابقون على مناصب الدنيا.

هنــــد : ولم لا . ألم يقل رسول الله : « خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام » .

ام حكيــم : خياركم يا هند .. ولم يقل أشهركم ولا اغناكم ولا اقواكم .. فهل كان أزواجنا من خيار الجاهلية ؟..
اسمعى يا أختاه .. لقد كنا أصدقاء وأحباب فى الجاهلية .. وكنا نتعاون على قتال الرسول ونعين ازواجنا عليه .. ولست أريد أن أخسرك فى الاسلام أو يفتر الود بيننا .. فعلم الله اننى احبك واعجب بشـــجاعتك وبيانك وحزمك وطموحـــك . ولكننا اليوم فى موقف كله لله ، لا ينبغى لنا فيه الفخر ولا الطمع .. فمن خرج يحارب فى سبيل الله وحده فالله يعلم

ما فى السرائر ومن خرج من اجل دنيا يصيبها أو منصب يناله .. فوالله لقد خسر دنياه وآخرته معا .. فانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

هند : صدقت يا اختاه .. لقد أصبحت والله افقه منى فى هذا الدين .

ام حكيم : انا وانت أحق الناس بأن نحرص على الجهاد والشهادة وتحريض أهلنا عليها .. فقد كنا أكثر بيوت قريش ايذاء لرسول الله والحق اقول لك اننى رأيت زوجى عكرمة قد غير الاسلام كيانه كله لقد كان فى الجاهلية جبارا لا تأخذ قلبه رحمة .. فاذا به اليوم يبكى كلما قرأ القرآن . وأصبح سباقا الى مواضع الشهادة والفداء .. وهذا هو عزائى فى الحياة ..

(تدخل بعض نساء الصحابة يحملن الماء والطعام بينهن غفيرة وامامة ورعلة وام تميم زوجة خالد بن الوليد) .

ام تميم : الم ترتاحى بعد يا أم حكيم .. لقد قاتلت فى الصباح قتال الرجال .. ثم جئت فى العصر تقومين بعمل النساء فمن يطيق ما تطيقين .. قومى الى غذائك وراحتك وأنا آخذ مكانك ..

ام حكيم : ما بى جوع ولا تعب وأنا والحمد لله بعافية وخير .. جزاك الله خيرا يا أم تميم .. انت وزوجك سيف الله المسلول ..

ام تميم : لقد رأيناك اليوم على فرسك تصولين وتجولين الى جانب زوجك عكرمة وأبيك الحارث وولدك عمرو .. فأخذ الناس يتساءلون من هذا الفارس الملثم الذى لم يصمد أمامه أحد من علوج الروم ..

غفيرة : لقد حسبك الرجال اول الأمر خالد بن الوليد .. وقالوا لا يقاتل هذا القتال الا خالد أو الزبير ..

ام حكيم : هل تعلمين ان ولدى عمرو قد غضب منى وعاتبنى لأننى خرجت احارب فرسان الروم الذين تجمعوا حوله ..

ام تميم : لقد أحسست والله بذلك فعمرو ما يزال فتى يافعا يريد الفخر لنفسه فى الحرب .. فكيف يواجه اخوانه فتيان المسلمين اذا قالوا له أن أمه قد خرجت لتساعده فى القتال أو لتحميه من القتل ..

ام حكيم : والله يا أم تميم ما قصدت أن احميه من القتل . فما جئنا هنا فى نزهة ولكنا جئنا لنقتل جميعا فى سبيل الله . ولكنى اشتممت من الروم رائحة الغدر .. وما اندفعت لأقاتل معه بعاطفة الأم ولكن بعاطفة المجاهد فى الله الذى يرى أخاه فى الاسلام يتعرض للمكيدة والغدر .

ام تميم : الحق معك يا أم حكيم .. وما كان له أن يغضب منك فقد كنا جميعا نرى كل شىء .. لقد ابتدأت الحرب سجالا بين فارس من الروم وفارس من العرب .. فخرج زوجك عكرمة وابوك

الحارث وولدك عمرو .. فكان عكرمة .. والحارث كلما خرج لهما فارس قضيا عليه فى الحال حتى تهيب الروم منهما .. أما عمرو فقد بدا عليه التعب والاجهاد بعـــد أن تغلب على الفارس الأول فتجمع فرسان الروم حوله يريدون القضاء عليه انتقاما من أبيه وجده ..

ام حكيـــم : هذا والله الذى دفعنى الى الوقوف بجانبه .

ام تميـــم : ويا لها من وقفة .. لقد قتلت وحدك خمسة من فرسان الروم حتى أصبح رجالنا يتواضعون أمامك .. وفتحت باب القتال أمام غيرك من نساء المسلمين .. ولولاك لبقينـــا مكاننا فى خيام الاسعاف ..

ام حكيـــم : لقد رأيناك يا أم تميم تحاربين الى جوار زوجك خالد .. ورأيت خولة بنت الأزور تحارب الى جوار أخيها ضرار .. وخرجت أسماء بنت أبى بكر مع زوجها الزبير وأخيها عبدالرحمن فهنيئا لكن يا صاحبات رسول الله هذا الجهاد فى سبيل الله .

هنـــــد : ولكن خبرينا يا أم تميم .. ما هو سر تلك العمامة التى خرجت بها الى خالد فى أحرج الأوقات ووضعتيها على رأسه وهو يقـــاتل ..

ام تميـــم : الاحظتن ذلك .. هذه قلنسوة خـــــالد التى يحتفظ فيهـــــا بشعرة من رسول الله .. فهو يعتز بها .. ويتبارك بلبسها . وكان فى ذلك اليوم قد نسيها فى خيمتى .. فوالله لقد رأيته ما يلبسها يوما الا وينقض على العدو وكأن سيفه ألف سيف .

(تدخل اسماء بنت أبى بكر متوشحة بسيفها ودرعها ومعها بعض الصحابيات الفارســـــات) ..

اســـماء : يا أهل الاسعاف .. أكثرن من الأربطة والغيار وكن مستعدات فقد اشتدت المعركة وكثر الجرحى بين المسلمين ..

ام حكيـــم : ماذا حدث يابنة الصديق .. هل انهزم رجالنا أمام علوج الروم؟

اســـماء : لا يا أم حكيم .. لم ننهزم .. ولكن الروم قد يئسوا من النصر .. فقد رأوا أن الحرب بين فارس وفارس قد جعلتهم يخسرون خيرة فرسانهم وقادة جيشـــهم .. فجعلوا يرمون فرســـاننا بالنبال من بعيد ..

ام حكيـــم : آه من هذه النبال الطائرة التى لا حيلة للشجاعة معها ..

اســـماء : لقد وضع هاسان عشرين ألفا من جنوده يرمون بالنبال دفعة واحدة . حتى كانت نبالهم تغطى وجه الشـــمس وقد أصيب الكثير من المسلمين أول الأمر بالجراح فى عيونهم ووجوههم وعما قليل تمتلىء خيـــام الاسعاف بالجرحى فكن على أهبـــة واستعداد للعمل .

ام حكيـــم : ولكن من ينقل الجرحى من خط القتال الى هنا يا أسماء ؟.

اسماء : لقد تكفلت بذلك اختنا خولة بنت الأزور مع فريق من الصحابيات .
ام تميم : لله درها خولة من فارسة عنيدة .. لقد رأيتها اليوم تقتحم خطوط القتال الأمامية تحت وابل من النبال محتمية بدرعها لكي تنقذ فرسان المسلمين الجرحى ثم تسحبهم بعيدا عن مرمى النبال ثم تقوم باسعافهم فى الحال .
ام حكيم : فما بقاؤنا هنا بلا عمل يا اسماء اذا كانت خولة وفريقها يسعفن الجرحى هناك .. الا يجدر بنا أن نخرج الى خطوط القتال بدلا من الانتظار هنا ..
اسماء : لقد اعددنا هذه الخيمة للحالات الخطيرة التى لا يمكن علاجها فى الميدان ، وانت يا ام حكيم اخبرنا وأعلمنا بالاسعاف . وعما قليل يمتلىء المكان بالجرحى فعملك هنا يا اختاه اكبر وأهم من التنقل فى الميدان ..
ام حكيم : طمئنينا يا اسماء .. الم يجد خالد بن الوليد بدهائه وسيلة للتخلص من رماة الروم الذين آذوا المسلمين .
اسماء : نعم يا أم حكيم .. لك ان تطمئنى وتفخرى كل الفخر ..
ام حكيم : (فى لهفة وتشوق) خبرينى بالله ان لم يكن فى الأمر سر حربى .. سر حربى ..
اسماء : لا سر عليك يا أم حكيم .. فالفضل لزوجك عكرمة وابيك الحارث وولدك عبد الله ..
ام حكيم : احقا يا ذات النطاقين .. وما فضلهم فى ذلك .
اسماء : لقد كان أمام خالد احد أمرين .. إما أن يتراجع بجيش المسلمين بعيداعن مرمى نبال العدو .. وإما أن يلتحم بالعدو مباشرة فيفقد الرماة مفعولهم ويتوقفون عن الرمى .. ولكن زوجك وولدك وأباك عرضوا عليه خطة افضل .. أن يرمى بهم مع خيرة فرسان بنى مخزوم على رماة الروم فيقضون عليهم ..
ام تميم : وكم فارس من بنى مخزوم خرجوا مع عكرمة للقتال ..
اسماء : خمسمائة فارس فقط .. وعليهم القضاء على عشرين الفا من رماة الروم والأرمن ..
ام تميم : وهل هذا ممكن يا اسماء .. كل فارس يقضى على أربعين لو كانوا نملا لكل فرساننا وتعبوا من قتلهم ..
اسماء : انه عمل انتحارى لا يقدم عليه إلا من يريد الشهادة فى الله .. ولكن عكرمة مقتنع جدا بنجاح خطته وقد اقنع زوجك ابا سليمان بذلك .
ام حكيم : ينجحون باذن الله اذا خلصت نياتهم لله ولم يترددوا .. ان مقاتلة الرماه أمر صعب فى أوله سهل فى آخره .. فالرامى لا يحسن القتال الا من بعيد .. فاذا اقترب الفرسان منهم

أصبحوا كالدجاج فى قفص لا يحسن الدفاع عن نفسه ..

اســماء : صدقت والله يا أم حكيم .. يا لك من خبيرة بالحرب .. هذا هو نفس ما قاله خالد لعكرمة حين تشاور فى الأمر ..

أم تميـم : لقد حضرت أم حكيم منذ اسلامها المغازى مع رسول الله .. واشتركت فى حروب الردة .. وأصبحت خبيرة بفنون الحرب وخطط القتال ..

أم حكيـم : الحمد لله الذى هدانا لهذا .. وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. فلولا الاسلام يا صاحبات رسول الله لكنا الآن كلنا نرعى الغنم لأزواجنا فى ضواحى مكة ..

اســماء : أو كانت هذه القبائل التى وحدها الاسلام اليوم فى الجهاد فى الله تتقاتل فيما بينها وتهتك الأعراض وتسبى النساء والأطفال.

غفيـرة : وهل كنا يا نساء العرب فى الجاهلية إلا متاعا وبضاعة .

امامـــة : واذا بشر أزواجنا بالأنثى اسودت وجوههم وقاطعونا .

هنـــد : ذكرتمونى بأيام الجاهلية لعنها الله ولا أعادها علينا .. فكلما تذكرتها تمثلت نفسى وأنا أفتح بطن حمزة وهو قتيل ثم أخرج كبده وألوكها بأسنانى .. فوالله لم يكذب من قال ان العرب قبل الاسلام كانوا يأكلون لحوم البشر ..

رعـــلة : وقبل الاسلام كان هـؤلاء الرومان والفرس يجلدون رجالنـــا بالسياط ويفرضون علينا الضرائب ويتخذون منا الخدم والعبيد.

أم حكيـم : فسبحان مغير الأحوال .. فبالاسلام أصبح الفارس الواحد من العرب بأربعين من فرسان الروم أو الفرس ..

أم تميـم : وأصبحت المرأة المسلمة تقتل منهم الأربعـة والخمســة فى الطلعة الواحدة وكأنهم جرذان .

اســماء : وأصبحنا أهل ثقة وعلم ودين وتاريخ وكنا لا نعرف إلا سقى الغنم والابعرة .

أم حكيـم : وصدق الله العظيم إذ يقول « كنتم خير أمة اخرجت للناس » .

اســماء : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعـداء فألف بين قلوبكـم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

(تسمع خارج الخيمة جلبة واصوات) .

خولة بنت الأزور : يا أهل الاسعاف .. يا أهـل الاسعاف .. معنا جريـح فى خطر ..

(تدخل خولة بنت الأزور راكبة حصانا .. وخلف الحصان تجر ناقلة للجرحى عليها جريح تنزف منه الدماء .. ولا يبين وجهه من الضماد .. وتقوم اليـه النساء ويحملنه لاسعافه ..)

خــولة : انى ذاهبة الآن فهناك جرحى آخرون فى الخط الأمامى بحاجة الى من يسحبهم ويسعفهم .

اسـماء : خبرينا يا خولة ماذا فعل المسلمون مع رماة الروم .

خـولة : لله دره عكرمة وفرسانه .. بنى مخزوم .. لقد هاجموا رماة الروم تحت وابل من النبال تغطى وجه الشمس فلم يحفلوا بما يصيبهم . فلما دخلوا عليهم جعلوا يذبحون الرماة ذبحا كما يذبح الدجاج ومن نجا منهم رمى بنفسه فى الواقوصة فغرق فيها خمسة آلاف من رماة الروم ..

ام حكيـم : الله أكبر .. الله أكبر .. وما النصر إلا من عند الله .. اليوم اباهى بك يا عكرمة أمام الله ورسوله أننى ادخلتك الاسلام .. واين هو عكرمة الآن يا أختى حتى أبارك له ما فعل !!

خـولة : (تسكت ولا مجيب) ..

اسـماء : ام حكيم تسالك يا خولة .. اما رايت عكرمة بن ابى جهل ؟..
(خولة تجيب بعد فترة صمت) ..
تشجعى يا أم حكيم فقد رأينا اليوم صبرك فى القتال .. فلعلك ترينا أيضـا صبرك فى المحنـة والشدة .. « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » .

ام حكيـم : تولى ما عندك يا أختاه وستجدينى ان شاء الله من الصابرين . فهل أستشهد عكرمة ؟..

خـولة : لم يستشهد يا أم حكيم .. وما يزال حيا يرزق .. ولكنه جريح .. وعندما فحصت وجهه وجسده وجدت به بضعة وسبعين جرحا ما بين طعنة وضربة ورمية .. وكلها جراح خطيرة .. ولو كان أحد غيره لسقط من أول طعنة ولكنه ظل يقاتل بجراحه كلها حتى انتصر فسقط .

ام حكيـم : فأين بالله عليك .. هل تركتيـه ياخولة ينزف هنـاك ... ؟

خـولة : لا والله .. ما اترك مسلما واحدا بحاجة الى اسعاف فما بالك ببطل مثل عكرمة .. ان عكرمة هو الجريح الذى جئت به الآن وهذا هو بين رعلة وامامة يربطا جراحه .. ولكنه من كثرة الضماد ومن فرط ما اصابه من الطعان والنبال لم يعد يبين شىء من وجهه فكونى الى جانبه حتى يفيق من غشيته ..
(يسود على الجميع وجوم شديد .. ثم تقوم أم حكيم الى زوجها الجريح وقد غطت الأربطة والضماد وجهه وجسمه فلا يبدو منه الا حدقة عين واحدة ..) .

امامة ورعلة وغفيرة فى وقت واحد :

لقد افاق عكرمة من غشيته يا أم حكيم وهذا هو ينادى عليك .
(تقبل عليه أم حكيم .. وتضع يدها فى يده فى رفق وحنان) .

((يتبع))

بريد الوعي الإسلامي

حد الكفاف وحد الكفاية

ورد في مقال (الزكاة بلغة العصر) في العدد (١٠١) للدكتور محمد شوقي الفنجرى « حد الكفاية وحد الكفاف » وقد طلب كثير من القراء زيادة توضيح الفرق بين الحدين وفيما يلي الايضاح المطلوب لكاتب المقال :

حد الكفاف : هو الحد الادنى اللازم للمعيشة وفقا لحاجات الجسم الضرورية فمرده حاجة الفرد الضرورية لاستمرار حياته مما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان ..

اما حد الكفاية : فهو الحد اللائق للمعيشة ويسميه بعض رجال الفقه الإسلامى كالامام الغزالي والامام ابن تيمية بحد الغنى ، وهذا مرده ظروف كل مجتمع فيختلف تقديره باختلاف الزمان والمكان .

والمعول عليه شرعا هو حد الكفاية لا الكفاف ، على ان من حق كل فرد وجد في مجتمع إسلامى ان يحيا حياة كريمة ، فاذا عجز لسبب خارج عن ارادته كمرض أو عجز أو شيخوخة أن يوفر لنفسه المستوى اللائق للمعيشة ، فان نفقته تكون واجبة في بيت مال المسلمين (خزانة الدولة) وعلى وجه التحديد من مال الزكاة .

هذا ويقتضى تحديد حد الكفاية اجراء بحوث تقديرية للمستوى اللائق للمعيشة من غذاء ومسكن وملبس وعلاج وتعليم وترفيه .. الخ للفرد واسرته ، آخذين في الاعتبار مقدار الدخل القومى ، اذ كلما كان الدخل القومي اكبر كان متوسط الدخل لكل فرد اعظم ، وبالتالي ارتفع مقدار حد الكفاية في ذلك المجتمع .

هذا ويرتبط نصاب الزكاة بحد الكفاية لا الكفاف ، إذ من المسلم به ان نصاب الزكاة تتغير قيمته من وقت لآخر ومن مكان لآخر . فمن قل دخله عن حد الكفاية فهو ممن يستحق الزكاة ، ومن تجاوز دخله حد الكفاية فهو ممن تجب عليه الزكاة . ويروى ابن عابدين في حاشيته ص ٩٩ جـ ٧ ، عن الحسن البصرى انه قال : « وكانوا — اى الصحابة — يعطون من الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من السلاح والفرس والدار والخدم » ، وهذا لان هذه الأشياء من الحوائج اللازمة التى لا بد للانسان منها ، إذ يشترط في النصاب أن يكون فارغا عن الحاجة الأصلية ، وقد ذكر في الفتاوى فيمن له حوانيت ودور للغلة ، لكن غلتها

لا تكفيه وعياله ، انه فقير ويحل له اخذ الصدقة عند محمد وعند ابى يوسف لا يحل له اخذها .

وجدير بالذكر ان ما قرره الاسلام منذ أربعة عشر قرنا بضمان حد الكفاية لا الكفاف ، وبالتالى مسئولية الدولة واستحقاق الزكاة لكل من لم يتوافر له حد الكفاية بسبب خارج عن ارادته ، هو ما انتهى اليه أخيرا الاعلان العالمى لحقوق الانسان والذى اقرته هيئة الأمم المتحدة فى أواخر سنة ١٩٤٨ حيث نصت المادة ٢٥ منه على أن : « لكل شخص الحق فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته ، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة ، وله الحق فى تامين معيشته فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن ارادته » .

من هو المسكين

وكلمة الله تعالى فى الاكثار فى كتابه الكريم

من التنبيه على وجوب مساعدته وبره

فى مقال (الزكاة) للدكتور الفنجرى فى عدد الوعى (١٠١) جمادى الاولى تعريف للمسكين عزوا الى راى بعضهم أنه الفقير الذى يسال تمييزا له عن الفقراء المتعففين . وهناك حديث نبوى صحيح رواه الشيخان وابو داود والنسائى عن ابى هريرة يعرفه تعريفا عكس ذلك تماما حيث جاء فيه : « ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس » .

والمتبادر ان فى هذا التوضيح النبوى تفسيرا لاختصاص كتاب الله المساكين بالتنبيه أكثر بكثير من الفقراء والسائلين وبايجابه على المسلمين العناية بهم أكثر وبالتنديد بالذين يحجمون عن ذلك . وهذا الاختصاص متمثل اولا بذكرهم فى سهام الفىء والغنائم دون الفقراء كما جاءت فى آيات الأنفال ٤١ والحشر ٧ وبفدية فطر الصوم وكفارة الصيد وكفارة اليمين وكفارة الطهارة كما جاء فى آيات البقرة ٢١٥ والنساء ٨ ، وثالثا بذكرهم دون الفقراء ايضا فى آيات كثيرة اخرى مثل آيات البقرة ١٧٧ والاسراء ٢٦ والروم ٣٨ والحاقة ٣٦ والمدثر ٤٤ والفجر ١٩ والبلد ١٦ والماعون ٣ حيث تبلغ حكمة الله السامية الذروة فى الاهتمام بهذه الطبقة التى لا تجد غنى يغنيها ولا يفطن لها الناس فيتصدقون عليها ولا تقوم فتسال الناس .

محمد عزة دروزة

من سيلان

عين الدكتور بديع الدين محمود وزير المعارف بحكومة سيلان لجنة مكونة من خمسة اعضاء بهدف تاليف كتب اسلامية وعربية تكون صالحة للتدريس فى مدارس الحكومة السيلانية . وباعتبارى واحداً من هؤلاء الاعضاء ، أود أن أقول لكم بكل أسف اننا حصلنا على بعض الكتب الانجليزية الاسلامية التى اردنا ان ناخذ منها ما نريده ولكن فشلنا فى مهمتنا فتوجهنا الى السفارات العربية فى سيلان طالبين بعض الكتب الاسلامية والعربية لنستفيد منها ونلتقط منها ما ينفعه لمؤلفاتنا ولكن اخواننا العرب فى السفارات أفادوا بان الكتب الاسلامية التى كانت عندهم نفدت حاليا ، وان شاء الله سوف نستورد من مصر والعراق وغيرهما ونعطيكم ما تريدونه من الكتب والمجلات .

وأنتم تعرفون جيداً أن المبادىء الاسلامية لم تترجم بعد كما هو مطلوب فى لغتنا الوطنية فلهذا نبذل كل جهدنا لنترجم المبادىء الاسلامية وثقافاتها من اللغة العربية لغة الحضارة والتقدم ولغة القرآن الكريم ، واننا دائما نريد أن نكون على علاقة وطيدة بالبلاد العربية وشعوبها الطيبة ، فلهذا نرجو منكم ان تتفضلوا بارسال كتب معينة للدراسة عندكم لتكون خير نموذج لعملنا التاليفى وخصوصا لو تبعثون الينا كتبا عربية فى النحو واللغة والدين وغيرها من الكتب الثقافية والتاريخية .

وجدير بالذكر اننا نحن المسلمين فى سيلان اقلية نعيش فى البيئات الأجنبية والثقافات المستوردة وهى غير صالحة لأمتنا الاسلامية ، فاننا فى حاجة ماسة الى الكتب المذكورة لانكم تعرفون أن العملات الخارجية ممنوعة علينا وحينما نريد أن نستورد كتبا من البلاد الخارجية فلا تسمح لنا حكومتنا ان نبعث المال اللازم الى الخارج ..

فيا اخواننا الأعزاء :

فى هذه الظروف القاسية نعتبر مساعدتكم خدمة جليلة تؤدونها فى سبيل خدمة الاسلام والمسلمين فى سيلان . والله اسال ان يوفقنا فى سبيل خدمة الاسلام والمسلمين آمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

MOULVI AL-HAJ
M.A.M. ROOTHULLAH B. A. (Cey.)
(Member of Islam and Arabic
Text Book Committee)

Residence :
First Cross Street,
SAMMANTHURAI - 3

Office :
Curriculam Development Centre,
Ministry of Education
255, Bauddhaloka Mawatha
Colombo - 7.

الفتاوى

الاشـــهاد على عقـــد الزواج

السـؤال :

هل يجب وجود شاهدين عند عقد الزواج ، فلا يجوز للرجل ان يعقد على أمرأة بغير حضور شاهدين .

الاجـابة :

يرى الأئمة الثلاثة ابو حنيفة والشافعى واحمد ان الشهادة شرط فى جواز النكاح ، فلا نكاح إلا بشهود ، وهو مروى عن عدد من الصحابة والتابعين ، وعن ابن عباس رضى الله عنه « لا نكاح إلا ببينة » .

وذهب مالك الى ان الاشهاد على النكاح واجب وكونه عند العقد مندوب .

وان لم يحصل الاشهاد عند العقد كان واجبا عند الدخــول ، فان عقــد ودخل بغير شهود فسخ النكاح .

الصـــدقة على غير المســلم

السـؤال :

هل يجــوز للمسلم ان يعطى صدقته لغير المســلم ، وخاصة إذا كان جارا أو مريضا فقيرا .

الاجـابة :

الصدقة تطلق على زكاة المال وزكاة الفطر وصـــدقة التطوع ، فأما زكاة المال المفروضة فلا يجوز اعطاؤها لغير المسلم بالاجماع ، لأن النبى صلى الله عليهوسلم جعلها لفقراء المسلمين فقط فى حديثه الىمعاذ حين بعثه الى اليمنو قال له : « فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »

واما صدقة الفطر فذهب جمهور الأئمة الى عدم جواز اعطائها لغير المسلم وهناك رأى لأبى حنيفة بجواز دفعها له .

أما سائر صدقات التطوع فجمهور الأئمة على جـواز دفعها اليه غير أن الأفضل صرفها الى القريب الفقير لما فيه من صلة الرحم والى الفقراء واليتامى والأرامل ، ولو صرفت صدقة التطوع لغير المسلم كان للمتصدق ثواب ولكنـه أقل من الثواب اذا صرفها للمسلم .

صـبغ المرأة شـــعرها

السـؤال :

انا شابة متزوجة ، وفى هــذه السن ظهر شعر ابيض كثير فى رأسى لا يتناسب مع سنى ، وأشــعر بأن زوجى غير مستريح لظهور هــذا البياض فى شعرى ، فهل يحل لى شرعا أن أصبغ شعر رأسى باللون الأسود لاخفاء آثار هذا الشيب ، لأن هذا فيما أعتقد يرضى زوجى ؟ .

الاجـــابة :

قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم : « ان تحمير الوجه والخضاب بالسواد وتطريف الأصابع (تخضيب الأظافر) جائز فان لم يكن لها زوج أو كان وفعلته بغير أذنه فحرام ، وإن اذن جاز فى الصحيح .

وبناء على هذا الراى يجوز لك ان تصبغى شعرك باللون الأسود متى كان ذلك يرضى زوجك .

الزيارة الرجبيـــة

الســـؤال :

تعود بعض المسلمين أن يشدوا الرحال فى شهر رجب الى المســجد الحرام لأداء مناسك العمرة وأن يتوجهوا الى المسجد النبوى فى المدينة لزيارة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وهم يتعمـــدون أن تكون الزيارة فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب . فهل لذلك أصل ؟.

الاجـــابة :

أداء العمرة فى شهر رجب وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر ليس واجبا شرعيا ولا سنة مأثورة عن الصحابة أو سلف الأمة ، والذى يفعله بعض المسلمين فى هذا الشهر وهـــذه الليلة من اداء العمرة وزيارة المسجد النبوى ان كان من قبيل التقرب الى الله تعالى بالأعمال الصالحة شكرا له سبحانه على ما أنعم به على رسولنا صلى الله عليه وسلم من نعمة الاسراء والمعراج فلا بأس به مع الاعتقـــاد بأن هذا ليس واجبا ولا مسنونا .

كتـــابة أسماء الله الحسنى

الســـؤال :

ورد لى فى البريد رسالة فيها أسماء الله الحسنى ، وطلب منى مرسلها المجهول أن أكتب منها (١٢) نسخة وأوزعها على أصدقائى وهددنى بأنه اذا لم أنفذ وصيته فسيصب الله العـــذاب على صبا ، فهل اذا خالفت وصيته يصيبنى أذى ؟

الاجـــابة :

لستَ أول من ارسلت اليه هذه الرسالة ، بل ان هناك رسائل عديدة من هذا النوع وصلت وتصل الى اناس كثيرين ويجب على المسلم الا يعتقد أن كتابة هذه النسخ تجلب له خيرا وان عدم كتابتها يسوق له شرا .

وهذا العمل لا أصل له فى الدين ولا سند له من كتاب ولا سنة ولا عمـــل الخلفاء الراشدين ، وانما هو خرافة ، شغل بها البسطاء الجهلاء انفسهم .

بأقلام القراء

من المجتمع

عرفته عن كثب فرايته انسانا وادعا يغلب عليه الحياء ، ويبــالغ فى الحفاوة بى ، ويتكلف البسمة ، ويتعمل فى الحديث ، ويحاول جهده أن يظهر بمظهر الرجل المتمدين الذى احاط علما بالمدنية ، وحذق أساليب الحضر ، واجاد فنون الحياة واحرز من العلم نصيبا وافرا ، ولكننى عرفته بعد معرفة الخلاط والعشرة والزمالة ، فتكشف لى عن شخصية غريبــة .

فكان يخيل الى انه لم يخلق فى هذه الحياة الا ليكون فى هذه الحياة برهانا على أنه لا زال فى دنيا الناس من يولد ويدرج ويشب وفى طبيعته العناد والمراء والمكابرة واللجاج .. وفى نفسه الوسوسة والهواجس وسوء الظن ، وفى فطرته الزهو والخيلاء والاعجاب بنفسه ، والاعتداد برايه .. فان فقدت الحياة هذه الشخصية ، وعز فيها من يتحلى بهذه الصفات ، كان هو الدليل الذى لا ينقض والبرهان الذى لا يــرد ، والحجة التى لا تبطل على ان الدنيا لا زالت تسع فى رحابها وتضم بين جنباتها هذه الشخصية .. كنت لا اتكلم اى كلام كان ، ولا أجرى فى اى بحث أو اتعرض لاية ناحية أو اطرق اى موضوع أو اتناقش فى اية مسألة ، أو افيض فى اى شأن من الشئون ، الا رايته يتعمل ويتكلف ويجهد نفسه ، ليحاول أن يهدم رايى ، أو يشك فى مسألتى ، أو يبطل حجتى ، أو يعطل حديثى أو ينقص موضوعى أو يصرف المستمع عن كلامى ، ولو كانت المسألة تسندها البراهين التى تحطم كــل اعتراض ، وترد كل تعقيب وتبطل كل نقاش .. فكنت اسكت على أحر من الجمر واغمض على القذى ، فى حديثى مع الأذى .

يخيل اليك ايها القارىء العزيز وانت تجادله او تجاذبه الحديث أو تجرى معه فى اى شأن . ان ما لا يرضى عنه وما لايفهمه ليسا شيئين مختلفين كأن ذلك جزء من خلقه وتكوينه وطبيعته .. فاذا لم يكن من الفهم بد . قال انه لا يقتنع .. فاذا ضايقته وضيقت عليه . واخذت الحجة بخناته . لم يبق الا ما يقول النحاة فى اى التى حيرهم اعرابها وبناؤها : اى كذا خلقت ... وليتك تظفر منــه بالنظر القصير فى الجدل فحسب . او الراى العائد فــى الحجاج وكفى أو الهوى المنحرف والكبرياء المصممة فى النقاش فقط ، بل انه ليلقى القول على الهاجس ويجزم على انه اليقين الذى فيه برهانه ويتكلم فى العلم على التوهم ويقطع انه البحث الذى لا يرد بيانه ، ويحاول على

الظن وبرغم انه كلام لا يستطيع عالم ما أن يمارى او يجادل فيه ولو كان ملء يديه ادلة ولو طلعت من بين عينيه الأهلة . . .

أفتريد أيها القارىء مثلا يقرب لك البعيد ويدنى منك الأبعد .. اذا اشتريت أنا شيئا جميلا ليس عنده ما يشاكله او يماثله أو لم يشتره فى حياته هو قط فأريته له : مط شفتيه وتخاوصت عيناه واصفر لونه وقـــال : لقد اشتريت مثل هذا وكان ثمنه كذا ، على انه ليس بشىء ولكنه غير بطال .

فاذا قلت له من أى تاجر اشتريت انت ؟ قال من فلان بشارع كذا ، فإذا قلت له ان هذا الشارع لا يحمل اسما كهذاالاسم ، وليس فيه تاجـــر يبيع هذا الصنف : كان كصاحب زمزم ؟ أنه رجل شهد عند بعض القضاة على رجل آخر ، فأراد هذا ان يجرح شهادته فقال للقاضى : أتقبل منـــه الشهادة وهو رجل يملك عشرين الف دينار ولم يحج الى بيت اللـــه ؟ فقال الشاهد : بلى قد حججت ، قال الخصم فاسأله أيها القاضى عن زمزم وكيف هى ؟ فقال الشاهد : لقد حججت قبل أن تحضر زمزم فلم أرها .. هذا اذ كان ما معى فى متناول يده . أو فى مقدرته البارعة ما يمكنه من شرائه أو اقتنائه . فاذا كان الشىء بعيد المنال وليس فى أستطاعته أن يملك مثله أو يستولى على ما يشاكله تراه ينتفش كالديك ويزهو كالطاووس ، ويهز رأسه كالساحر الذى لا يعبأ ويقول « ما الذى أعجبك فى هذا ، وما الذى جعلك تشتريه أو تقتنيه وليس بالشىء الجميل الجذاب ، وليس فيه ما يملك النفس أو يأخذ بالالباب أو يلفت النظر ؟ .. ولكن .. الدنيا أمزجة .. أما أنا فلو عرض على بغير ثمن أو من غير مقابل لما رضيت به .

وهكذا يذم لك فى الشىء ولا يدع عيبا الا تمحله فيه ، ولا ذما الا ما افاضه عليه وانا اعلم انه يغلى حقدا ويتميز غيظا ويتلهب حسدا ولا يقول ذلك الا لعجزه عن الاتيان بمثله . وعدم قدرته على الاستيلاء عليه . وهو عندى كالثعلب الواهم . اتدرى ما الثعلب الواهم المغرور ؟ انه ثعلب وقف على دالية من العنب،فابصر عنقودا يتميز ماء وحلاوة نواثبه مرارا فلم يصل اليه اذ كان عاليا . فلما اعجزه قال هذا العنقود حامض لا يؤكل وانصرف وهو يرى أن العنقود لم يعجزه . ولكنه تركه لعلة الحموضة . وعدم الجودة وفقدان الحلاوة .

ثم ماذا ؟ اريد أن اقول : أيها الناس : كونوا صرحاء . فالصراحة طريق لاحب وسبيل واضح وصراط مستقيم ، واجعلوا الاخلاص رائـــدكم فانه نـــور يهدى الضال وهدى ينير القلوب . وراحة تهدهد النفوس . وطمأنينة تملاء الحنايا والأفئدة . ولا تلقوا قلوبكم على النفاق . ولا تغلفوا نفوسكم على الخداع ولا تسرفوا فى الريـــاء وكونوا كالطبيعة جمالا يبهج الطرف وهـــدوءا يهدهد النفس وقطرة تريح الضمير وصفاء يبعث الطمأنينة والسكينة والراحه والسلام .

محمود محمد بكر هلال



طريق النصر .. ما معالمه ؟؟

النصر له قانون ثابت .. بل هو نفسه هدف ثابت ، لا يتنزل من علاه ليعانق الناس ! فعلى الذى يبتغيه أن يصعد — هو — إليه ليعانقه فى علاه .. والصعود اليه يكون على درج الإيمان لا على أسنة الرماح ولا حتى رءوس الصواريخ !..

إن الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين بالنصر : **« ان تنصروا الله ينصركم »** .. وبالعلو : **« وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »** .. وبالعزة : **« إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين..»** بل وعدهم الله تعالى باستخلافهم فى الأرض وتمكين دينهم ، وبأن يعمر قلوبهم بدل الخوف طمأنينة وأمنا .. **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »** هذه كلها وعود من الله — جل شأنه — لنا ولكن :

- هل نحن الآن — أى المسلمين كافة — منتصرون أم مهزومون ؟..
- بحالة الاستعلاء نحن أم الصغار والضعة !؟
- أننعم الآن بالعزة ، أم نتجرع كؤوس الذل والهوان ؟!
- أو هل نحن اليوم السادة المستخلفون فى الأرض ؟!!
- إن لسان حالنا يغنى عن كل جواب ! ولكن هذه عهود من الله .. ومن أوفى منه — سبحانه — إذا عاهد ؟!

إذن فنحن الذين أخللنا بشروط العهد .. فهو متعلق بالإيمان وصلاح الأعمال . فان ضعف الإيمان وفسدت الأعمال كان ذلك نقضا للعهد ، ورفضا عمليا لمعية الله ونصرته ودفاعه ..

ولنأخذ فى هذه العجالة أمثلة خاطفة ، لنعيد الى الأذهان صفحات ناصعة من تاريخ الاسلام وانتصاراته ..

● فى غزوة بدر الكبرى كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والفرسان منهم قليل . وما كانوا قد تأهبوا للقاء العدو .. بل كانت نيتهم كما ذكرها القرآن الكريم .. **« وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم »** .. كانوا يريدون قافلة تحمل تجارة العدو ، يأخذونها بلا قتال .. ولكن الله سبحانه أراد لهم غير ما أرادوا .. فأرسل اليهم من العدو جندا مدججين (فاق عددهم ثلاثة أضعاف المسلمين) . وكان امتحانا لنفوس ما تهيأت لقتال ، ولكنها كانت عامرة بالإيمان .. وانتصرت الفئة القليلة المؤمنة الصابرة ، على الجيش القوى — بمقياس المادة والعدد والعدة — وصدق الله العظيم .. **« إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون »** .

(عن مجلة المجتمع)

فى سبيل اعادة بناء فكرنا وامتنا :

علينا ان نسال دائما : ما هو الاطـــار الذى نتحرك فيـــه ؟

حتى يكون خطونا صحيحا ، وحركتنا الى أمام ، والى فوق ، فان علينا دوما أن نتحرك داخل اطار ، ومن وجهة والى غاية : وأن لا نسلخ قضية من قضايا الفكر أو الأدب أو الاجتماع أو السياسة أو التربية ، عن هذا الاطار .

وليس هذا الاطار ضيقا ، وليس سجنا ، وليس قيــدا ، ولكنه غاية ، وهدف ومصدر قوة ، وضابط للحركة ، ومعين عليها ، حتى لا نتحرك فى فراغ .

ولقد أعطانا الاسلام اطارا واسعا مرنا ، مليئا بالحيوية ، معينا على الحركة والتغيير قابلا لكل قوانين التطور والمواءمة ، والتوازن ، بحيث يدفع الى الانطلاق الواضح ، والطموح الملىء بالحيوية ، والصدق ، القائم على دعـــائم الواقع ، البعيد عن الخيال والاسراف والتخبط . .

ولقد غاب المسلمون طويلا عن اطارهم وتحركـــوا خلال سنوات طـــويلة خارج دائرة فكرهم فقد أخرجهم الاســـتعمار منها وادارهم فى (دائرة صماء) رسمها لهم واعد لهم خططها وهى خطط لا تتـــلاءم مع طبيعتهم ، ولا مع مزاجهم النفسى،ولا مع ميراثهم ، ولا قيمهم ، وقد قصد بها أن يحطمهم لا ان يحييهم ، وأن يذيبهم فى بوتقة لا أن يدفعهم الى تقدم ، أو قوة أو حياة ، وأن يحتويهم فى فكره المتعارض فى كثيرمن تفسيراته لمفاهيم المسلمين التى التمسوها من القرآن وهى من وحى الفطرة ، قائمة فى ظلال العقل لا تعارض العلم ، ولا الحق الواضح الصريح ، الذى هو جبلة البشرية وضميرها .

ولقد تململ المسلمون طويلا ، فى ظل هـــذا الاطار المفـــروض ، والدائرة الصـــماء .

ولقد كانوا كلما تحركوا نحو المقـــاومة ، أو الدفاع عن انفســـهم ، اورد الضربات الموجهة اليهم ، باءوا بالفشـــل لانهم لم يتحكروا من اطـــارهم ، ولم يلتمسوا قيمهم ومفاهيمهم ، ولقد كانت هناك صيحات عـــوقت المسيرة ، الى التماس الأصالة والمنهج الصحيح : منها القول بالجمع بين قديم الشرق وجـــديد الغرب ، والربط بين التراث المعاصر ، وبناء تركيب من القديم والجديد ، على غير هدى من قاعدة أصيلة ، أو اطار سليم .

ولقد اثبتت هذه النظرية فشلها ، وبالتجربة لم تحقق الا مزيدا من التأخر والاحتواء ، وتوالت الضربات ، لتوقظ المسلمين والعرب الى حقيقة الخطأ الذى يترددون فيه ، والوجهة التى يتجهون عليها ؟ تحركا من داخل دائرة غريبة عن دائرة فكرهم .

لذلك فقد تعالت الأصوات الصادقة ، من اصالة الفكر الاسلامى ، والايمان والفطرة ، الى أن يلتمس المسلمون والعرب اطارهم الأصيل ، ليتحركوا من داخله ويتصرفوا من خـــلال قيمه ، ومقدراته ، وذلك حتى تصـــدق الرؤيا ، وتتكشف الآفاق ، وتجرى الأمور من خلال الفطرة الأصيلة ، التى أقامها لهم الاسلام أربعة عشر قرنا ، نبراسا على الخطو فى كل أمر من أمور الحياة .

(عن مجلة الهدى الاسلامى)

اخبار العالم الاسلامي

اعـــداد : فهمي الامام

الكـــويت :

■ سيقوم أمير البلاد المعظم بزيارات رسمية في بداية الشهر القادم لكل من مصر والجزائر والمغرب وتونس .



■ اختتم مجلس الأمة دور الانعقاد العادي الثالث من الفصل التشريعي الثالث . وقد ألقى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء كلمة في الجلسة الختامية .

■ اجتمع الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أثناء زيارته للمغرب بجلالة الملك الحسن الثاني ، وتحدث سيادته مع المسئولين فيما يتصل بتنسيق العمل الاسلامي .



■ قام وزير التربية الأستاذ جاسم المرزوق بزيارة مركز تحفيظ القرآن الكريم بمدرسة خالد بن الوليد الابتدائية وهو من المراكز التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعي ، وقد بلغ عدد المقيدين في مراكز جمعية الاصلاح الاجتماعي لتحفيظ القرآن الكريم (٣٠٠٠) من الذكور والاناث

■ نعى الديوان الاميري الى المواطنين الشيخ حمود الجابر الصباح .. شقيق أمير الكويت الأسبق الشيخ احمد الجابر الصباح .. وقد شيعت جنازة الفقيد في موكب حافل اشترك فيه سمو الأمير المعظم وسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وكبار رجال الدولة وجمهور غفير من المواطنين .



■ شيعت الكويت جثمان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي عن عمر يزيد عن التسعين عاما ، وكان الشيخ عيسى من فقهاء الكويت الأوائل ومن رجالاتها الأفاضل ، وقد اشترك في تشييع الجنازة سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ولفيف كبير من المواطنين .

■ قررت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية اطلاق اسم الفقيد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي على مسجد النزهة المركزي .

■ زار البلاد السيد ياسر عرفات القائد العام للثورة الفلسطينية .. وقد أكد المسئولون الكويتيون دعم الكويت المطلق للثورة الفلسطينية .

القـــاهرة :

■ طلبت امارة الشارقة من الأزهـــر ايفاد عدد من المدرسين والوعـــاظ للعمل لديها ونشر الثقافة الاسلامية فيها .

■ أصدر شيخ الأزهر قرار بأن تصدر مشيخة الأزهر نشرة عالمية منتظمـــة باسم الأزهر باللغات الحية .. تتناول شـــئون المســلمين .. وترد على التيارات المعادية للاسلام .. وتنشر الفكر الاسلامي الصحيح .

الســعودية :

■ حذر جلالة الملك فيصل فى حديثه الى مجلة (الصياد) اللبنانية .. حذر الولايات المتحدة الأمريكية من وقوفها الى جـــانب اسرائيـــل .. وأعرب عن أسفه لسيطرة الصهيونية على الكونغرس الأمريكى وتوجيهها له وللحكومة فى واشنطن .

الأردن :

■ أصدر الحاكم العسكرى فى الأردن أمرا يقضى باغـــلاق جميع صـــالات العاب الفليبرز والبليياردو . والغاء رخص الفليبرز والبلياردو لجميـــع المحلات التى تستعمل هذا النوع من الألعاب فى المملكة .

ســـوريا :

■ جرى فى سوريا تحويل المجرى التاريخى لنهر الفرات بواسطة سد كبير اقيم على النهر .. ويستفاد من الســد فى توليــد الكهــرباء ورى الأراضى .

قطـــر :

■ سلم سفير قطر فى دمشق الى نائب رئيس الوزراء السورى حوالة مالية من قطر بملبغ (١٫٥٠٠٫٠٠٠) دولار ، قيمـــة القســـط الثانى من المساعدة التى خصصتها قطر لدعم المواجهة فى سوريا .

لبنـــان :

■ تشكلت الوزارة اللبنانية الجديدة برئاسة السيد تقى الدين الصلح .. وقد تعهدت بازالة التوتر القائم فى المنطقة وتنقية الجو من الخلافات .

■ يعتزم ثلاثة من المثقفين المسلمين — د. س. ن. ناصر ، والبروفسير يوسف أبيس ، والبروفسير سليمان عبد الله شاليفر — اصدار مجـــلة اسبوعيـــة اسلاميـــة تحمل اســم (اسلاميكا) هدفها تقديم الدين بكل أبعـــاده وشموله .. والقصـــد منها خدمة المسلمين الناطقين بالانجليزية.

ليبيـــــا :

■ رصدتليبيا جائزة مالية كبيرة لمن يضع تصميم زى قومى عربى اسلامى .. يتناسب والشخصية العربيـــة ويلتزم بآداب الدين الاسلامى ..

■ عقد فى طرابلس الغرب مؤتمـــر الشباب الاسلامى وقد حضر المؤتمر ثمانية وتسعون وفدا اسلاميا يمثلون بلدانا اسلامية وجاليات اسلامية فى مختلف اقطار العالم .

الجـــزائر :

■ عقد فى الجزائر (الملتقى السابع للتعـــرف على الفـــكر الاســـلامى) ويشـــتمل الملتقـــى سلســـــلة من محاضرات المفكرين المسلمين البارزين ومناقشات لمشكلات الفكر الاسلامى المعاصر .

أوغنـــدا :

■ تم الاتفـــــاق فى القـــاهرة بين (المقـــاولون العـــرب) والشـــيخ عبد الرزاق أحمد — رئيس قضـــاة مسلمى أوغندا — على انشاء مركز اسلامى فى كمبالا يشـــمل مسجدا ومبنى للادارة ومستشفى ومعهـــدا اسلاميا .

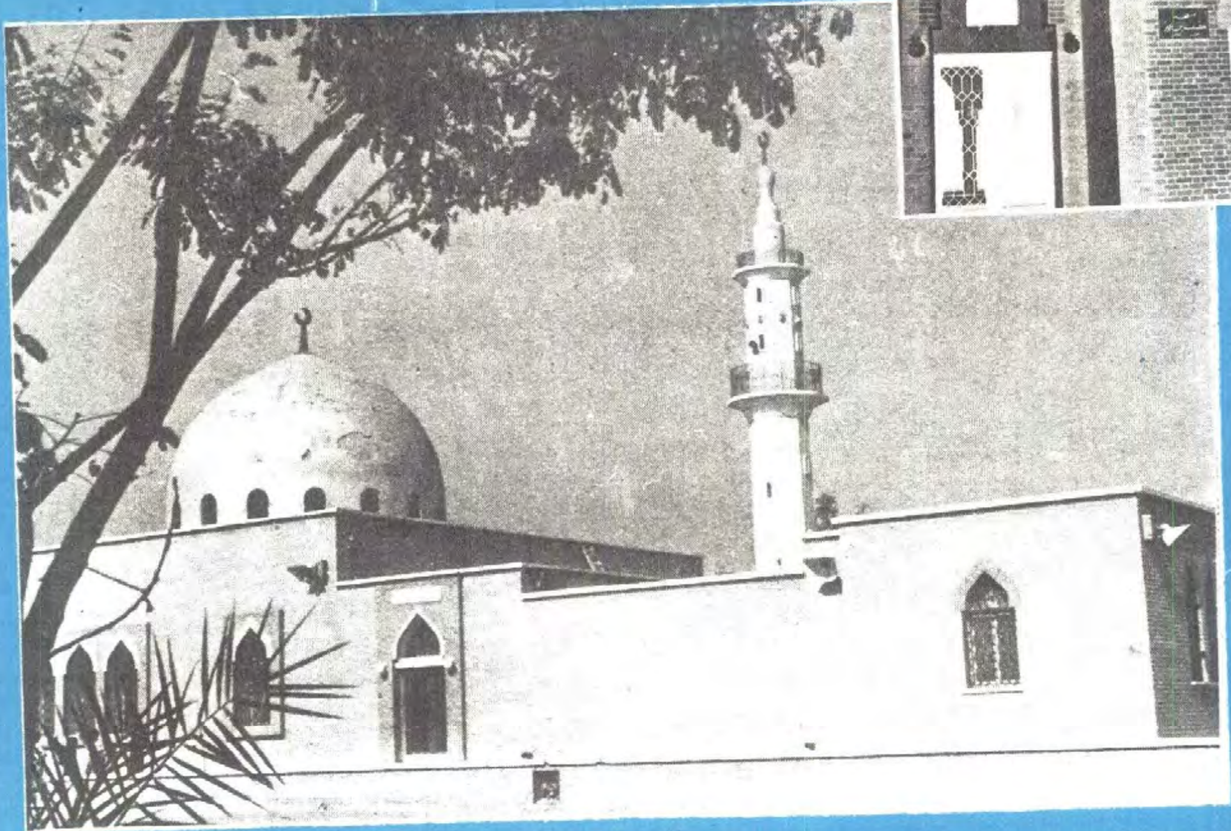
بلغـــاريا :

■ يتعرض المسلمون فى بلغاريا لمحنة قاسية بسبب اسلامهم ، ويضطهدون من أجـــل ازالة الصبغة الاسلامية عنهم .. وذلك باجبارهم على تغيير أســـمائهم ، وابعـــادهم عن وظائف الدولة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رجب ١٣٩٣	يوليو ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر (د س)	شروق (د س)	ظهر (د س)	عصر (د س)	مغرب (د س)	عشاء (د س)	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر (د س)	شروق (د س)	ظهر (د س)	عصر (د س)	عشاء (د س)
اثنين	١	٣٠	٣ ٢٦	٥ ٦	١١ ٥٤	٣ ٣٠	٦ ٤١	٨ ٩	٨ ٤٤	١٠ ٢٥	٥ ١٣	٨ ٤٨	١ ٢٨
ثلاثاء	٢	٣١	٢٧	٧	٥٤	٣٠	٤١	٨	٤٦	٢٦	١٣	٤٩	٢٧
اربعاء	٣	اغسطس	٢٨	٧	٥٤	٣٠	٤٠	٧	٤٨	٢٧	١٤	٤٩	٢٧
خميس	٤	٢	٢٩	٨	٥٤	٣٠	٣٩	٦	٥٠	٢٩	١٥	٥٠	٢٧
جمعة	٥	٣	٣٠	٨	٥٤	٣٠	٣٨	٥	٥١	٣٠	١٥	٥١	٢٧
سبت	٦	٤	٣١	٩	٥٤	٣٠	٣٨	٤	٥٣	٣١	١٦	٥٢	٢٦
احد	٧	٥	٣١	٩	٥٣	٣٠	٣٨	٣	٥٤	٣٢	١٦	٥٢	٢٦
اثنين	٨	٦	٣٢	١٠	٥٣	٣٠	٣٦	٢	٥٦	٣٤	١٧	٥٣	٢٦
ثلاثاء	٩	٧	٣٣	١١	٥٣	٣٠	٣٦	١	٥٨	٣٥	١٨	٥٤	٢٥
اربعاء	١٠	٨	٣٤	١١	٥٣	٢٩	٣٥	٠٠	٥٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٥
خميس	١١	٩	٣٥	١٢	٥٣	٢٩	٣٤	٥٩	٩ ١	٣٨	١٩	٥٥	٢٥
جمعة	١٢	١٠	٣٦	١٣	٥٣	٢٩	٣٤	٥٨	٢	٣٩	٢٠	٥٦	٢٥
سبت	١٣	١١	٣٧	١٣	٥٣	٢٩	٣٣	٥٧	٤	٤٠	٢٠	٥٧	٢٤
احد	١٤	١٢	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦	٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤
اثنين	١٥	١٣	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣١	٥٥	٧	٤٣	٢٢	٥٨	٢٤
ثلاثاء	١٦	١٤	٣٩	١٥	٥٣	٢٩	٣٠	٥٤	٩	٤٥	٢٣	٥٩	٢٤
اربعاء	١٧	١٥	٤٠	١٥	٥٢	٢٨	٢٩	٥٣	١١	٤٦	٢٣	٥٩	٢٤
خميس	١٨	١٦	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٨	٥١	١٣	٤٨	٢٤	٠٠	٢٣٩
جمعة	١٩	١٧	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠	١٤	٤٩	٢٥	١	٢٣
سبت	٢٠	١٨	٤٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩	١٦	٥١	٢٦	١	٢٣
احد	٢١	١٩	٤٣	١٧	٥١	٢٧	٢٥	٤٨	١٨	٥٢	٢٦	٢	٢٣
اثنين	٢٢	٢٠	٤٤	١٨	٥١	٢٧	٢٤	٤٦	٢٠	٥٤	٢٧	٣	٢٢
ثلاثاء	٢٣	٢١	٤٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥	٢٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢
اربعاء	٢٤	٢٢	٤٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤	٢٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢
خميس	٢٥	٢٣	٤٧	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣	٢٦	٥٩	٣٠	٥	٢٢
جمعة	٢٦	٢٤	٤٨	١٠	٥٠	٢٦	٢٠	٤١	٢٨	١١ ٠٠	٣٠	٦	٢١
سبت	٢٧	٢٥	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠	٣٠	٢	٣١	٦	٢١
احد	٢٨	٢٦	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٨	٣٩	٣٢	٤	٣٢	٧	٢١
اثنين	٢٩	٢٧	٥٠	٢٢	٤٩	٢٤	١٦	٣٧	٣٤	٦	٣٣	٨	٢١
ثلاثاء	٣٠	٢٨	٥١	٢٢	٤٩	٢٤	١٥	٣٦	٣٥	٧	٣٤	٨	٢١





- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد الدار بن قصى القرشى .
- اسلم بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وكان من جلة الصحابة وفضلائهم .
- هاجر الى الحبشة فى اول من هاجر اليها ثم شهد بدرا حاملا الراية .
- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقهم فى الدين .
- أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة .
- حمل الراية يوم أحد حتى استشهد ، قتله ابن قمئة الليثى عن عمر يزيد عن الأربعين بقليل .
- نزلت فيه وفى اصحابه الآية (من المؤمنين رجـــال صدقوا ما عاهــدوا الله عليه ... الآية .....)

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبة الخـراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـارع فرنسـا .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .

الاردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـاب البحرين .

قطــــر : الدوحـة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكــويت : مكتبة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ــ الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٠٤) غرة شعبان ١٣٩٣ هـ ــ ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٧٣ م .

حامد

مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

قد نرى تقلب وجهك في السماء

فلنولينك قبلة ترضاها

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العـــــدد (١٠٤)

غرة شــــعبان ١٣٩٣ هـ

٢٩ أغسطس (آب) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غـرة كل شــهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشــتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراســلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية

صــندوق بريد : ١٣ ـ كـويت ـ هــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

خواطر

الصمود الفكرى

ترتفع فى هذه الأيام صيحات الغيورين على الاسلام مطالبة المسلمين بضرورة الصمود الفكرى فى مواجهة التيارات الفكرية والغزوات الالحادية التى يتعرض لها دينهم وكتابهم ونبيهم وتاريخهم ، لأن هذا الصمود هو الدرع الواقى الذى تتحطم على صخرته الصلبة الآراء المشبوهة والأفكار الضالة ، ويحفظ للأجيال المسلمة عقيدتها ويحمى رسالتها ، ويقيها شر التردى فى هاوية البعد عن الله ، ويجنبها عقبى الضياع والانسلاخ من الايمان الحق بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر .

وترتفع هذه الصيحات المؤمنة فى وقت بدأ فيه الغزو الفكرى المشبوه يتفاعل فى قلوب وعقول نفر من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا وينتسبون الى ديننا بيد انهم مفتونون فى تفكيرهم وآرائهم . فى دينهم وايمانهم ، فى قلوبهم وعقولهم والسنتهم .. فالاسلام عندهم ليس الا نهضة عربية كانت وزالت ، وقائد هذه النهضة محمد صلى الله عليه وسلم ليس الا عبقريا فلا نبوة ولا أنبياء ، والذى جاء به ليس وحيا أوحى اليه . فلا وحى ولا ايحاء . وشريعته التى وضح معالمها وأبان مناهجها فات أوانها وانتهت صلاحيتها . والألوهية لا مكان لها فى عصر التقدم العلمى الطبيعى والاباحية والفوضى الخلقية حرية شخصية ، والتهجم على الأديان والسخرية منها حرية فكرية ، والدعوة الى تحكيم شريعة الله تخلف ورجعية .. الى آخر هذه الحماقات والجهالات التى وسوس بها اليهم شياطينهم من الأنس من عبدة المادة .

ومن هنا نستطيع أن نعلن فى صراحة أن الغزو الفكرى أشد خطرا من الغزو العسكرى والاستيلاء على العقول أبعد مدى من احتلال الأرض والسيطرة على القواعد والثغور والخسارة فى القلب والفكر افدح من الخسارة فى المال والجسم ، وما يخربه الأعداء من الدور والجسور يسهل تجديده واعادته أروع وأضخم مما كان ، وما يخربونه من القلوب ويفسدونه من العقول يعسر تطهيره وتعميره ، ويصعب اصلاحه وتقويمه والأمة التى تترك آفاق فكرها وعقلها دون رقابة ولا حراسة تتعرض لأشد الغزوات فتكا ويتخطفها أعداؤها من كل جانب .

ومن هنا تظهر حتمية الصمود الفكرى لمواجهة الغزو الفكرى المشبوه والصمود هو الثبات على الحق عن اقتناع ، والاستمساك به عن وعى وادراك « فاستمسك بالذى أوحى اليك أنك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

تجفيف منابع الاثم :

الآثام والشهوات المحرمة ، وهى مفسدة للدين والخلق ، مضيعة للمال ، هادمة للجسد . مقبرة للطهر والفضيلة ، والغارقون فى الآثام لا ينهضون بواجب ، ولا يؤتمنون على عمل ، ضمائرهم ميتة ، وارادتهم منحلة ، وعزائمهم رخوة ، وآمالهم فى بطونهم وفروجهم ، ومن هذه مواصفات حياتهم يفسدون ولا يصلحون ، ويهدمون ولا يبنون ويعيشون عبيدا ، ويموتون عبيدا ، وبطن الأرض خير لهم من ظهرها .

ومنابع الاثم موارد الهلكة ومواطن الفجور ومنابت السوء وسوق الفساد ومجتمع الشياطين .. فأندية القمار ، ومشارب الخمر ، وبيوت الخنا منابع الاثم .. والاختلاط والتبرج والتكشف والصور العارية ، واستغلالها فى الدعاية والاعلان ، ووسائل الاثارة والاغراء والمراقص والملاهى . كل هذه منافذ مفتوحة موصلة الى منابع الإثم وموارد الهلكة والأمة التى تشيع فيها الآثام ، وتقوم على أرضها موارد الهلكة تفتن الغاوين والغاويات أمة منحلة منهارة لا يجتمع لها شمل ولا تقوم لها قائمة ، فريسة سهلة ولقمة سائغة للطامعين والعادين .

والدعوات المخلصة التى تتردد فى انحاء الوطن الاسلامى لاقامة مجتمع مسلم يحمى عقيدته ويحمل رسالته ويتبوأ مكانته يجب أن يبدأ بتجفيف منابع الاثم وسد موارد الهلكة وازالة مواطن الفجور ، وبذلك نحمى شبابنا من الانحلال ، ونعد لجلائل الأعمال ونأخذ بأسباب العزة والنصر .

مراكز الدعوة والتوجيه :

تطورت مراكز الدعوة والتوجيه فى هذا العصر تطورا كبيرا ، كما تطورت وسائلها وأساليبها ، فلم تعد محصورة فى المسجد والمنبر ، ولا فى الدرس والخطبة .. فالاذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات والأفلام والتمثيليات من أكبر مراكز التوجيه وأشدها تأثيرا وأبعدها مدى ولكى تحقق هذه المراكز رسالتها الكبرى يجب أن يكون القائمون عليها من أصحاب الدين المتين والخلق الفاضل والعمل الصالح والقدوة الحسنة ، ويجب أن تكون برامجها متناسقة متكاملة يساند بعضها بعضا .. تدعو الى الفضيلة ، وتنفر من الرذيلة ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما يعبر القرآن الكريم .

ولكى يتم اقامته على أساس اسلامى سليم يجب تنحية الغرباء عن أفكارهم الذين تسللوا الى هذه المراكز لأنهم حولوها الى مراكز افساد والحاد ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج .

رضوان البيلى



توجيهات الإسلام في الأزمات النفسية

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

ورد فى صحيح البخارى :

عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سيف القين وكان ظئرا لابراهيم ، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان . فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وانت يا رسول الله ؟ فقال : « يا ابن عوف : انها رحمة » ، ثم أتبعها باخرى ، فقال : « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » ــ رواه موسى عن سليمان عن ثابت عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم .

أولا ــ فذلكة فى مفردات الحديث :

أبو سيف : هو البراء بن أوس ، وأم أوس زوجته : هى أم بردة واسمها خولة بنت المنذر ، روى ابن سعد فى كتاب (الطبقات) عن يعقوب بن أبى صعصعة : لما ولد ابراهيم تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد من بنى عدى بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد من بنى عدى بن النجار أيضا ، فكانت ترضعه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فى بنى النجار .

والقين : هو الحداد ، وقيل يطلق على كل صانع ، والجمع أقيان وقيون ، قال ابن السكيت : قلت لعمارة : ان بعض الرواة زعم أن كل عامل قين ، فقال : كذب ، انما القين من يعمل بالحديد ويعمل بالكير ، ولا يقال للصائغ قين ولا للنجار قين ، وأما القينة (بالتاء) فهى المغنية وهى كلمة هذلية ، وقد وردت لاستعمالات كثيرة تختص بالجوارى وغير ذلك .

الظئر : بكسر المعجمة ، وسكون المهموز : المرضـــع واطلق على البراء ذلك لأنه كان زوجا للمرضعة ، واصل الاســـتعمال اللغوى : أن الظئر هى العاطفة على ولد غيرها المرضعة له من الناس والابل ، والجمع اظؤر ، وأظآر وظؤور ، وهو عند سيبويه اســـم للجمع ، لأن فعـــلا ليس مما يكسر على فعلة عنده .

وابراهيم : هو ابن رسول الله صلى الله عليه وســـلم من مارية القبطية المصرية التى أهداها اليه المقوقس عظيم القبط حينذاك بمصر ، وقد ورد فى صحيح الامام مسلم ما نصه : « .. ولد الليلة غلام فسميته باسم أبى ابراهيـم .. ثم دفعه الى أم سيف امراة قين بالمدينة يقال له : أبو سيف فانطلق رســـول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته ، فانتهى الى أبى سيف وهو ينفخ كيره ، وقد امتـــلأ البيت دخانا ، فأسرعت المشى بين يدى رســـــول الله صلى الله عليه وســـلم ، فقلت : ياأباســـيف ، أمسك ، جاء رســـــول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ » . وفى رواية أخرى للامام مسلم ايضا : « .. ما رأيت أحـــدا كان أرحم بالعيـــال من رسول الله صلى الله عليه وســـــلم .. كان ابراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة ، وكان ينطلق ونحن معـــه فيدخل البيت ، وانه ليدخن ، وكان ظئره قينا .. » .

يجود بنفسه : تقول العرب : هو يجود بنفسه ، معناه يســـوق بنفسه ، من قولهم : أن فلانا ليجار الى فلان ، أى يساق اليه ، وفى الحديث : فاذا ابنه ابراهيم عليه السلام يجود بنفسه ، أى يخرجها ، ويدفعها كما يدفع الانســـان ما له يجود به ، والجـــود : الكرم ، يريـــد أنه كان فى النزع وســـياق الموت ، ويقال : جيد فلان ، اذا أشرف على الهلاك ، كأن الهلاك جاده ، ويقال : إنى لأجاد الى لقائك أى اشتاق .

تذرفان : أى يجرى دمعهما ، ومذارف العين مدامعها ، والمذارف المدامع ، واستذرف الشىء استقطره ، واستذرف الضرع دعا الى أن يحلب ويستقطر .

وأنت يا رسول الله .. ؟ : فى هذا الاستفهام معنى التعجب ، ولما كانت الواو تستدعى معطوفا عليه كان المراد : الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل فعلهم .. ؟ فتعجب عبد الرحمن بن عوف مما رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع ، ولهذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها رحمة » أى أن ما شاهدته منى ، منشؤه رقة القلب على الولد لا ما توهمت من الجزع ، وفى رواية أخرى للحديث عن عبد الرحمن بن عوف نفسه : « فقلت : يا رسول الله تبكى ! أولم تنه عن البكاء .. ؟ وزاد فيه : انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت عند مصـــــيبة وخمش وجه وشق جيوب ورنة شيطان ، وانما هذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم » .

أى بكلمة مفصلـــة هى قوله صـــلى الله عليه وســـلم : « ان العين تدمع .. الخ . وقد جزم الواقدى بأن ابراهيم مات يوم الثـــلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة عشر ، وقال ابن حزم : انه مات قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر واتفقوا على أنه ولد فى ذى الحجة ســـنة ثمان من الهجرة الكبرى ..

ثانيا : ان ما رأى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يندرج تحت الجزع بحال أبدا ، فأحواله صلى الله عليه وسلم تبدى نقيض ذلك — ومن يصبر اذا جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ؟! وانما هى (الرحمة) كما مر آنفا ، ويشهد لهذا انه صلى الله عليه وسلم قد لبث ثلاثة وعشرين عاما يواصل الدعوة الى الله تعالى ليل نهار صباح مساء لا ينى ولا يكل صابرا على ما يلاقى من اعدائه أعداء دعوته ومعانديه وخصومها الألداء ، صامدا لا يتراجع ولا يتقاعس ، ولا يهاب فى سبيلها الأهوال ، ولا تزعجه المعوقات مهما كانت عاتية مبيدة ، محتسبا عناءه وبلاءه عند الله تبارك وتعالى ، وقد أدركته فى رحلة الدعوة محن لا حصر لها ، واحن تفوق الوصف ، وهو يعلم موقنا أن من جاء بما يخالف ما عليه الناس عودى وحورب وأخرج من دياره واهله ، ولهذا وردت آيات كثيرة بالكتاب العزيز حاثة على الصبر ، واصفة الجزاء الأوفى الذى ينتظر الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، وقد وعى عنه صلى الله عليه وسلم ذلك صحابته رضوان الله عليهم ، وأخذوا انفسهم وأهليهم بتعاليمه حذوك القذة بالقذة(١) يترسمون خطاه ، يعملون ما يعمل ، ويتركون ما ترك ، فمما رواه البخارى أنه قال : حدثنى أبو بردة بن أبى موسى رضى الله عنه قال : « وجع أبو موسى وجعا شديدا فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا(٢) فلما أفاق قال : أنا برىء ممن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والشاقة »(٣) .

وقد غصت كتب السنة بالاحاديث الشريفة الداعية الى الصبر ، واحتمال المكاره برحابة صدر ، وتفويض الامور الى الله ، وحده ، والرضا بقضائه وقدره بالصورة الجادة التى سار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، لا بالصورة الخانعة الذليلة التى يأباها الاسلام كل الإباء ، والتى أضفت على المجتمع الاسلامى صورة قذرة قاتمة أخرت المسلمين وربطتهم فى حظائر السوائم تحت عنوان الجمود والرضوخ للأمر الواقع المزرى ، ويشهد الله أن الايمان بالقضاء والقدر كما يريد الله ورسوله يدفع الجماد الى الحركة ويقود الاعمى الى أقوم طريق ، وما رضى رسول الله لأحد من أمته أن يستكين لحزن أو لمصيبة أو يخضع لقارعة زمن وبلاء أم دهر .

قالت عائشة رضى الله عنها : « لما جاء النبى صلى الله عليه وسلم قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن وأنا انظر من صائر الباب — شق الباب — فأتاه رجل فقال : ان نساء جعفر ! وذكر بكاءهن ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينهاهن فذهب ، ثم أتاه الثانية فقال : ان نساء جعفر لم يطعنه — أى لم يطعن الرجل — فقال : انههن ، فأتاه الثالثة ، وقال : والله غلبننا يا رسول الله ، فزعمت انه قال : فاحث فى أفواههن التراب ، فقلت — أى عائشة — أرغم الله انفك لم تفعل ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تترك رسول الله من العناء »(٤) ، قال النووى : « معناه انك قاصر لم تقم بما أمرت به من الانكار ، ولم تخبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعجزك عن التنفيذ لأوامره حتى يرسل غيرك فيستريح من عناء مراجعتك له وتكرار الأمر » .

والمستحق لاسم الصبر هو الذى لا يظهر عليه حزن فى جارحة ولا لسان ، قال الطبرى : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه نعى اليه أخوه عتبة فقال : لقد كان من أعز الناس على ، وما يسرنى أنه بين اظهركم اليوم حيا : قالوا : وكيف ، وهو من أعز الناس عليك ؟! قال : انى لأن أؤجر فيه احب الى من أن يؤجر هو فى ، وروى أن الصلت بن اشيم مات أخوه فجاءه رجل وهو يطعم فقال : ان أخاك قد مات ، قال : هلم فكل فقد نعى الينا من قبل ، قال الرجل : والله ما سبقنى اليك أحد ، فمن نعاه اليك ؟! قال : يقول الله تبارك وتعالى : « انك ميت وانهم ميتون » . وقال العلماء : ان منتهى الصبر أن يكون المرء يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه ، واما جزع القلب وحزن النفس ودمع العين فان ذلك لا يخرج العبد من معانى الصابرين اذا لم يتجاوز الى ما لا يجوز فعله أو قوله ، قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان (بكسر العين المهملة) ونعم العلاوة : « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » والعدلان : المثلان : الصلوات والرحمة ، والعلاوة أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المهتدون ، وهو ثناء عظيم من الله تعالى على الصابرين .

ثالثا : ومن الناس من يستولى عليهم الجزع(٥) فيسلبهم الارادة والتعقل ، ويدعهم حيرى فاقدى الصواب وربما زاد الجزع عن حده فأبعد صاحبهعن مسالك العقلاء المؤمنين ، فشق جيبه ولطم خده ودعا بدعوى الجاهلية ، وتلك أمور مستقبحة ينهى عنها الشارع الحكيم ، ووصف الادوية الناجعة التى تبعد صاحبها عن مدراج الجازعين ، وتنأى به عن مهاويهم ، وتصعد به فى روحية كريمة الى السمو بنفسه الى مصاف المتعالين على الاحداث المترفعين عن الاسفاف والتدنى بانسانيتهم ، الذين يزنون صروف الدهر بميزان الحقيقة الواقعة ، وهى أن خضوع تصاريف الأقدار لارادة الانسان محال :

ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

ولا ينجو انسان مهما علت مكانته أو نزلت مما يعكر عليه صفو الحياة فى أى شكل من الاشكال ، فلا عاصم من أمر الله الا من رحم ، فمن فحص وفتش العالم من أقصاه الى اقصاه فى ماضيه وحاضره لا يجد الا مختبرا اما بفوات مطلوب ، أو حصول ما هو مرغوب فيه ، فسرور الدنيا أوهام حالم وخيال شاعر ، وسعادتها هباء ووباء ، ومن سره زمن أساءته أزمان ، ولقد قالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس واشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس.وسألها بعضهم الحديث عما كان من أمرها فأجابت :

اصبحنا ذات صباح وما فى العرب أحد الا وهو يرجونا ، ثم امسينا وما فى العرب أحد الا وهو يرحمنا وتمثلت :

فبينا نسوس النـــاس والأمر أمرنا   اذا نحن فيهم ســـوقة نتنصف
فأف لدنيـــا لا يدوم نعيمهـــا   تقـــلب تارات بنا وتصـــرف

على أن الجزع لا يدفع المصائب وانما يزكيها ويضاعفها فهو يشـــمت العدو ، وما اقسى شماتة الأعداء ، لقد استعاذ منها رسل الله عليهم صـــلاته وسلامه ، وحكى القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام فى الآية المـــائة والخمسين من سورة الأعراف « .. فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .. وقال الشاعر :

كل المصـــائب قد تمر على الفتى   وتهـــون غير شـــماتة الأعداء

والجزع يغضب الله ورسوله ، ويحبط الأجر ، ويضعف النفس ، وقد يلاشى صاحبه من الوجود الانسانى الكريم ، ونعود فنشير الى أن الانسان خلق ضعيفا ، وأنه حساس لا بد أن تخزه المصيبة وخزا ولو ضئيلا ، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب المثل ليقتدى به فى تلقى المصـــائب والصمود لها ، فهو يتألم لما رأى ما نزل بفلذة كبده ، يتألم كانسان ، وقد ورد أنه قال : « انما أنا بشر » ، وهنا يتجه اليه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، يتجه الى الاسوة والقدوة ويقول : وأنت يا رســـول الله ؟! ما هذا الذى نرى من دموعك الطاهرة تتحدر على وجنتيك الشريفتين ، ويجيب سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : ليس هذا جزعا يا ابن عوف وانما هى الرحمة ، وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لموت ابراهيم ، والحزن نقيض السرور ، اى انقبض قلبه وتألم وتحسر لفراقه ، ولكن مع الايمان الراسخ بقضـــاء الله وقدره ، واحتساب ذلك الصبى الطاهر عند الله وما عند الله خير للأبرار ، والحزن قد يدفع الى العمل المثمر ، فالحزين العاقل المؤمن يرى أن الحياة جد لا لهو فيها لمدرك غورها وسابر كنهها ، فيها يفنى الجديدان كل شىء ويأتيان على كل طارف وتليد ، ولا يبقى من الانسان الا ذكراه ، والذكر للانسان عمر ثان ، فيحمله ذلك على فعل المكرمات وتقوية الفضائل ، ودفع الضر عن النـــاس ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويحاول أن يكون رسول سعادة وسلام للبشرية جمعاء ، والصبر على البلاء من عزم الأمور ، وفى وصايا لقمان لابنه « واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » ورب ضارة نافعة :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت   ويبتلى الله بعض القـــوم بالنعم

والمحن أدوية لغرور العباد ، وتهذيب لصلفهم ، وهدم لكبريائهم ، واشعار لهم بأن للـــكون مدبرا بيده الأمر والنهى ، فلو ثاب هؤلاء المـــارقون الى ربهم وتضرعوا اليه ليكشف ما مسهم من ضر لاستجاب لهم ، كما مر ذلك بأصفيائه وأوليائه بل برسله الكرام الذين انقطعوا لجلال عزه ومجده وفوضوا كل أمورهم لله رب العالمين فاصطفاهم واجتباهم وهداهم صراطه المستقيم ، ولنتأمل كيف اســـتجاب الله لذى النون يوم دعاه بعد أن ذهب مغاضـــبا قال تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » ولولا أنه لجأ الى مولاه لكان من أمره أن لبث فى بطن الحوت ، دهرا طويلا « فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون » .

وخلاصة القول : أن الحديث الشريف يرسم خطة الصبر مع اظهار الشعور الانسانى بالحزن الذى لا يخدش الدين ولا يغضب رب العالمين ، وأن العائذ بحمى الله اللاجىء اليه مقبول منصور معافى مما يبعده عن ساحة رب العالمين ، فاللهم نجنا بلطفك من بلاء الدنيا ، واجمعنا فى الآخرة فى رحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) القذة : ريش السهم (وحذو القذة بالقذة) قال ابن الاثير مثل يضْرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان وقد ورد هذا فى كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ومنه « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » .

(٢) وفى رواية الامام مسلم : « اغمى على أبى موسى واقبلت امرأته ام عبد الله تصيح برنة » ..

(٣) الصالقة : هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والصلق : الصياح والولولة والصوت الشديد ..

والحالقة : هى التى تحلق شعرها لدى النوازل والدواهى .

والشاقة : هى التى تشق ثيابها اذا نزلت بها كارثة كموت عزيز أو فراق حبيب .

(٤) وقصة النفر الثلاثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أرسلهم فى ثلاثة آلاف مقاتل الى أرض البلقاء بالشام فى جمادى الاولى سنة ثمان للهجرة واستعمل عليهم زيدا وقال : ان اصيب زيد فجعفر ، فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فخرجوا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيعهم ، ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض البلقاء ، واشتبكوا مع هرقل ، وانحاز المسلمون الى قرية (مؤتة) ثم احتدم القتال ، فقتلوا الواحد تلو الآخر ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد رضى الله عنهم جميعا وقاتل حتى انتصر ، قال خالد رضى الله عنه : « لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقى فى يدى الا صفيحة يمانية .. » . والثلاثة الشهداء هم :

أ) زيد بن حارثة : هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبى القضاعى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يحبه حبا شديدا ، روى أحمد والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قولها : « ما بعث رسول الله زيد بن حارثة فى سرية الا أمره عليهم ولو بقى بعده لاستخلفه » .

ب) وجعفر : هو ابن أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكبر أخاه عليا بعشر سنوات أسلم ثم هاجر الى الحبشة ، وبشره الرسول الكريم بالشهادة فهو من المقطوع لهم بالجنة .

هـ) وابن رواحة : هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن عمرو ، أسلم مبكرا ، وشهد بيعة العقبة وبدرا وأحدا والخندق وخيبر ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة فهو من المقطوع لهم بالجنة .

(٥) الجزع : نقيض الصبر ، والجزوع ضد الصبور على الشر ، وقد ورد فى محكم التنزيل الحكيم وصفا للانسان : « .. اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا » .

٣
منهج القرآن الكريم في بيان الأحكام

للدكتور / محمد حسين الذهبى

للقرآن الكريم فى بيان الأحكام منهج فريد اقتضته ضرورة كونه عالميا خالدا . ويتلخص هذا المنهج فى النقاط التالية :

١ — أن بعض أحكامه جاءت بصيغة قاطعة فى الدلالة على الحكم ، فلم يكن محل اجتهاد ولا خلاف بين الفقهاء ، وهذا — عادة — يكون فى أصول الأحكام كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة القتل والزنى ، وهذه الأحكام يجب اعتقادها ، ويلزم العمل بها ، ومن جحدها كان بجحودها خارجا عن الاسلام .

٢ — أن بعضا آخر من أحكامه جاء بصيغة غير قاطعة فى الدلالة على الحكم ، لاحتمالها أكثر من وجه فكانت محلا لاجتهاد المجتهدين ، ونتج عن ذلك اختلافهم فى الرأى ، وذلك يكون — عادة — فى فروع الأحكام كمقدار ما يجب مسحه من الرأس فى الوضوء وعدد الرضعات التى يتحقق بها كون المرضع أما من الرضاع . وهذه الأحكام الاجتهادية التى قال بها الفقهاء لا يجب اعتقاد واحد منها بعينه ، كما لا يجب العمل به إلا على المجتهد الذى توصل اليه باجتهاده ،أما المقلد فله أن يختار من بين آراء المجتهدين ما شاء .

٣ — أن القرآن لم يتناول كل الأحكام التى يحتاجها الانسان فى حياته جملة وتفصيلا ، لأنه ليس من المعقول ولا من الحكمة أن ينص

القرآن على احكام كل ما يعرض للناس من اقضية فى ماضيهم وحاضرهم ، ومستقبل حياتهم الممتدة الى يوم القيامة .

اما انه ليس من المعقول : فذلك امر بدهى ، إذ لا يتصور عقل ان يتسع كتاب لهذا كله .

واما انه ليس من الحكمة : فذلك لأن الحكمة تقضى أن تكون الشريعة التى جعلها الله خاتمة الشرائع وجعلها للناس كافة ، شريعة يكون فيها جانب المرونة محققا حتى تتسع لأنماط من الحكم مختلفة ، يقتضيها اختلاف طبائع المكلفين وما يحيط بهم من ملابسات وظروف على مدى تاريخ الاسلام الطويل .

وحسب القرآن الكريم ان يقرر الأصول العامة ويتناول بعض الجزئيات الهامة ويقرن كل هذا بعلة التشريع وما يهدف إليه من مصلحة ، ثم يترك للمجتهدين بعد ذلك أن يستنبطوا من الأحكام ما يلائمهم بشرط الا يخرج عن نطاق ما قرره من الأصول العامة ، وما نبه إليه من علة التشريع التى هى مناط الحكم .

٤ — ان القرآن لم يلتزم وحدة الموضوع فى بيان أحكامه لأنه ليس كتاب قانون يبوب لكل موضوع بابا ثم يسرد كل مسائله ، وإنما هو كتاب هداية وارشاد : يسوق الآيات تلو الآيات فى جانب من جوانب الموعظة ، ويتوخى المناسبة الملائمة فيسوق فى ثنايا موعظته حكما شرعيا ويضفى عليه جوا من الترغيب أو الترهيب يوحى بوجوب الأخذ به ، ويحذر من مخالفته .

وفى جانب آخر من جوانب الموعظة يلقى بحكم آخر يضفى عليه من جو الترغيب أو الترهيب ما يحتم الأخذ به ويحذر من مخالفته .

وهكذا يلقى القرآن بأحكامه كلها فى اجواء مختلفة من الوعظ والهداية والإرشاد ،وفى كل مرة يحس السامع بأنه يسمع شيئا جديدا ، فيقبل عليه بشوق ولهفة دون أن يحس بسآمة أو ملل .

ثم أن القرآن الكريم نزل مفرقا واحكامه نزلت مفرقة على حسب الحوادث واسئلة السائلين وحاجات الناس ، ومن الأحكام ما هو منسوخ بأحكام اخرى ، فلو جمعت كل الأحكام ناسخها ومنسوخها فى مكان واحد وتحت عنوان واحد ، لظهر القرآن بمظهر المتناقض فى بعض أحكامه . اما ان توضع آية متضمنة حكما فى موضع ما ولمناسبة ما ، ثم توضع آية اخرى ناسخة لها فى موضع آخر ولمناسبة اخرى ويعرف بطريق ما أن هذه ناسخة وتلك منسوخة ، فذلك يوحى بتدرج التشريع ، ويعطى القارىء المتأمل فكرة واضحة عن مراحله من غير أن يستشعر تناقضا بين احكامه .

بقى سؤال يثار حول التشريع القرآنى وهو :

هل كل ما فى القرآن من تشريع يعد جديدا غير مسبوق ؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول :

إن القرآن الكريم نزل للناس جميعا ونزوله — كما قلنا — كان لغرض الإعجاز أولا ثم ليكون مصدر هداية وإرشاد بما احتواه من تشريع وتوجيهات مختلفة وبدهى أن أى تشريع يراد له أن يكون صالحا لتنظيم حياة أمة وعلاج مشاكلها فى حاضرها ومستقبل أمرها ، لا بد أن تتوفر فيه عناصر أربعة :

١ — أن يكون ملائما للفطرة البشرية ملاءمة تامة حتى لا يصادمها ولا يعاندها فى أمر جبلت عليه ، ومن هنا حرم نكاح الأمهات والبنات فى

كل الشرائع المعتبرة تحريما باتا ، ولو عرف أن تشريعا أباح ذلك لعد شذوذا وخروجا عن الانسانية الى الحيوانية.

٢ — أن يكون ملائما للقدرة الانسانية غير خارج عن طاقتها ، والا كان تعنتا وتعجيزا ينافى مفهوم التكليف الذى يهدف الى الامتثال والطاعة ومن هنا شرع التيسير فى كثير من الأحكام عند تحقق المشقة أو مظنتها كاباحة الفطر فى السفر والصلاة قاعدا لمن عجز عن ادائها من قيام .

٣ — أن يكون ملائما للسنن الاجتماعية فلا ينافرها ولا يعطلها وإلا كان ذلك خروجا عما تقتضيه طبيعة الجماعات فى ترابطها وتعاونها وتكاملها ، ومن هنا شرعت قوانين الولاء لولى الامر ، وقوامة الزوج على زوجته ، وولاية الوالد على ولده القاصر .

٤ — أن يكون مراعيا للعرف وما اصطلح عليه الناس فى معاملاتهم ، مالم يؤد ذلك الى مفسدة ، لفساده فى ذاته ، أو فساد ما يترتب عليه ، ومن هنا حرم التبنى ، وحرم الجمع بين الأختين فى الزواج ، وكلاهما كان متعارفا بين العرب قبل الاسلام فجاء الاسلام وحرم الأول لفساده فى ذاته ، لأن الدعى لا يكون ابنا ، وحرم الثانى. لفساد ما يترتب عليه من قطيعة الرحم التى تنشأ — عادة — بين الأختين إن كانتا تحت زوج واحد . .

والقرآن الكريم راعى كل العناصر المتقدمة فى تشريعه ، ونظر إليها جميعا بعين الاعتبار فيما تضمنه من احكام كلية كانت أم جزئية ، وعلى هذا الأساس جاء تشريع القرآن الكريم على نمط يتمشى مع عمومه وعالميته .. نمط يأخذ من كل دين وعرف ما يلائم طبيعة الإنسان ويدخل فى نطاق قدرته ، ويساير تطوره الاجتماعى ، وما لا يلائم طبيعته ، ولا يدخل فى نطاق قدرته ، ولا يساير تطوره الاجتماعى يبطله ولا يقره ، ثم هو بعد ذلك يشرع ما يراه متمشيا مع هذا كله .

وليس من شك فى أن القرآن الكريم جاء وهناك تشريعات قائمة ، بعضها منبثق عن شرائع سماوية ، وبعضها الآخر منبثق عن أعراف خاصة لجماعات مختلفة .

وليس من شك — أيضا — فى أن القرآن الكريم وقف من كل هذه التشريعات موقف الناقد البصير : يقر منها ما يراه صالحا ، ويعدل منها ما يحتاج الى تعديل ، ويبطل منها ما يراه غير صالح ، ويشرع احكاما أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وهو فى كل هذا مشرع مستقل بنفسه ، وليس عالة على غيره من التشريعات أو الأعراف والعادات ، لأنه حين اقر ما اقر منها لم يقره على أنه مقلد لا راى له ، وإنما أقره لأنه جرى ويجرى على مقتضى الطبيعة الانسانية والسنن الاجتماعية ، وما كان لمشرع ابدا أن يحيد عما تقتضيه طبيعة الإنسان وسنن الاجتماع وإلا كان احمق لا يعرف الحكمة ولا يدرك المصلحة .

وخلاصة المقال :

١ — أن ما فى القرآن من تشريع ليس كله جديدا مبتكرا .

٢ — وأن موقف التشريع القرآنى من الشرائع السابقة كان على النحو التالى :

أ) انه اقر بعض الاحكام وابقاها معمولا بها فى الشريعة الاسلامية لملاءمتها وصلاحيتها ، كالقصاص ، والديات فى القتل وغيره من الجنايات على النفس .

ب) أنه هذب وعدل بعضا آخر منها ، كالظهار الذى كان معروفا عند

العرب ، يقول الرجل لزوجته : انت على كظهر امى ، فتصبح فى عرفهم محرمة عليه ابدا ، فجاء القرآن وهم على ذلك ، فعدل حكم الظهار : فمن ظاهر من زوجته لا يعتبره القرآن مطلقا ولا محرما لها على التأبيد ، بل اعتبره عابثا بالحياة الزوجية ، وجزاؤه على ذلك : انه لا يحل له قربانها والاستمتاع بها حتى يكفر عن خطيئته بعتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، وفى ذلك يقول الله تعالى معاتبا ومعاقبا :

« الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن امهاتهم إلا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم » (١) .

حـ) انه الغى بعضا ثالثا منها : كالتبنى الذى كان معروفا فى الجاهلية وصدر الاسلام .

كان الرجل يتبنى ولد غيره وهو يعرف ذلك ، فينسبه الى نفسه ، وتجرى عليه احكام الابن الصلبى من التوارث بينهما ، وعدم جواز نكاح احدهما زوجة الآخر إذا طلقها أو مات عنها ، فجاء القرآن فأبطل التبنى وما كان يترتب عليه .

فقال فى بيان انتساب الأدعياء المتبنين :

« .. وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » (٢) .

وقال فى ابطال التوارث بالتبنى :

« واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » (٣) .

وقال فى إباحة زواج المتبنى بزوجة من تبناه بعد فراقه لها :

« فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا »(٤)

..يريد زينب بنت جحش ، وكان قد تزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد تبنى زيدا حتى كان يدعى زيد بن محمد ، فأمره الله بزواجها من بعده ، فكان ذلك هدما لعرف جرى عليه العرب فى الجاهلية .

د) وقد يقر القرآن بعض ما كان شائعا من احكام لنوع المصلحة فيه ، ولكنه يحيط هذا الحكم الذى أقره بكثير من الضمانات حتى لا ينحرف به أحد عن حكمة التشريع .

ثم هو لا يكتفى بهذه الضمانات ، فينشىء من التشريعات ما يكاد يلغى هذا الحكم أو يوحى بعدم الرغبة فيه، وذلك كالرق فقد كان شائعا بين العرب فجاء القرآن واقر الاسترقاق فى الحرب ، لا على انه اهدار لآدمية المسترق وحطم لمعانى الإنسانية فيه ، وإنما أعطاه كل حقوقه كانسان ، واعتبر الاسترقاق إدخالا له فى مدرسة الإسلام ، لعل قلبه يتفتح على ما فيه من الحق والهدى فينضوى تحت لوائه ، وفتح له مع ذلك أبوابا كثيرة يخرج منها الى الحرية التامة .

فمن ذلك : انه جعل تحرير الرقاب المسترقة من أفضل القرب وأحبها الى الله .

ومن تخلى عن انانيته وطوعت له نفسه عتق عبده عن سماحة نفس تخطى العقبة وسلك طريقه الى الجنة » (٥) .

ومن كان مسترقا يسعى للحصول على حريته ، فله فى مال الزكاة نصيب يأخذه ليشترى له حريته من سيده إن كان قد شح عليه بها .

ومن حلف يمينا ثم حنث فيها فكفارته اطعام عشرة مساكين او كسوتهم أو **تحرير رقبة**)) (٦) .

ومن قتل مؤمنا خطأ فكفارته **تحرير رقبة مؤمنة** ودية مسلمة الى أهله » (٧) .

ومن ظاهر من زوجته ثم اراد ان يعود لها فكفارته **عتق رقبة**)) (٨) .

ومن أفطر متعمدا فى نهار رمضان فكفارته **عتق رقبة أيضا**)) (٩) .

ومن لطم مخدومه أو ضربه فكفارته أن **يعتقه**)) (١٠) .

ومن يتأمل الآيات القرآنية التى وردت فى الكفارات يخرج بحقيقتين هامتين :

الحقيقة الأولى : ان العتق هو الأصل فى الكفارة ، وأنه لا تخيير بين العتق وغيره من المكفرات إلا فى كفارة اليمين .

الحقيقة الثانية : ان العتق لا يعدل عنه إلى البديل وهو الصوم الا اذا لم يجد المكفر رقبة يعتقها .

ومعنى هذا : ان الاسلام يتشوف الى الحرية ويراها أحب الى الله وأرضى من الصوم وغيره من العبادات والقرب .

ثم أن الاسلام يملك الرقيق نفسه ويعطيه حريته لأدنى مناسبة ، فإذا ما لاح للمسترق شعاع أمل فى الحرية من خلال نافذة ضيقة ، فتح الله له الباب على مصراعيه لينطلق منه إلى الحرية الكاملة ، كالأمة يستولدها سيدها فلا يحل له أن يخرجها عن ملكه ببيع أو هبة او نحوهما ، فاذا مات فهى حرة .

والعبد يكون بين شريكين فيعتق احدهما نصيبه فيعتق العبد كله ، ويضمن المعتق الأول نصيب شريكه إن كان له مال ، فان لم يكن له مال قوم نصيب من لم يعتق ، وسعى العبد فى تحصيله له من غير عنت ولا مشقة .

.. وهكذا يقر الاسلام أمرا كان شائعا بين الناس ، ولكنه يحيطه بكل الضمانات التى تجعله لا يخرج عن نطاق الحكمة والمصلحة .. ثم هو بعد يلغيه بضروب من الجزاءات والعبادات والقرب الى الله .

(للبحث بقية)

---

(١) الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ ، من سورة المجادلة

(٢) فى الآيتين ٤ ، ٥ من سورة الأحزاب .

فى الآية ٦ من سورة الأحزاب .

فى الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

ظر الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، من سورة البلد .

(٦) انظر الآية ٨٩ من سورة المائدة .

(٧) انظر الآية ٩٢ من سورة النساء .

(٨) انظر الآية ٣ من سورة المجادلة .

(٩) على خلاف بين الفقهاء فى ذلك .

(١٠) هذا نص حديث رواه الامام أحمد والامام مسلم وغيرهما وفى معناه عدة احاديث مروية فى الصحيح .



بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

ذكرت فى مقال سابق فى هذه المجلة بعنوان : لغة القرآن الكريم ، ان الدعوة الى العامية هدفها ان يصبح هذا القرآن مهجورا ، لأن كل جزء من اجزاء الشعب العربى سيلتزم بلهجته العامية ، وما اكثر اللهجات العامية فى الوطن العربى فى كل قطر من اقطاره ، بل كل منطقة من مناطق اقطاره ، بل فى كل مدينة من مدنه وقراه ، فلا يستطيع المتعلمون بالعامية ، قراءة القرآن الكريم حينذاك ، الا الذى يدرس العربية الفصحى ، وكأنها لغة اجنبية كما يفعل الفرنسيون والايطاليون والاسبان مثلا فى دراسة اللغة اللاتينية — وكانت أم لغاتهم القومية التى يستعملونها فى الوقت الحاضر .

وحين تشيع اللغات العامية فى الأمة العربية ، تصبح الأمة الواحدة أمما ، وينفرط عقدها الذى ربطه القرآن الكريم برباط متين منذ أربعة عشر قرنا حتى اليوم .

ان هذا القرآن الذى يهدى للتى هى اقوم ، ومنها جمع شمل العرب على لغة واحدة تجمع شملهم وترص صفوفهم وتجعل الأمل باتحادهم ووحدتهم لا شك فيه — هو العقبة الكأداء والصخرة الصماء التى اقضت مضاجع المستعمرين والصهاينة واعداء الأمة العربية والمسلمين ، وطالما صرح دهاقنة الاستعمار والصهيونية العالمية ، أن العرب لا يزالون بخير مهما تكاثرت عليهم النكبات ، مادام هذا القرآن بين ظهرانيهم يتلى صباح مساء ، ويحول دون نجاح المؤامرات التى تحاك على العربية الفصحى .

وقد ذكرت فى المقال السابق أن الدعوة للعامية دعوة مريبة تخدم مصالح اعداء العرب والمسلمين .

وذكرت أن التوقيت بين محاولات الصهاينة لإحياء لغتهم الميتة وهى

اللغة العبرية وبين الدعوة الى اتخاذ العامية فى البلاد العربية دل على أن الدعوة للعامية لم تكن صدفة ، انما جاءت بتخطيط الصهاينة والسائرين فى ركابهم ، فرددها بعض العرب تنفيذا لتلك المخططات اما عن حسن نية تغريرا بهم أو عن سوء نية تظاهرا بالخير للعرب . ولا اظن احدا يصدق هؤلاء المغرر بهم أو العملاء ، ولذلك قبرت دعواتهم المريبة وماتت فى مهدها .

اليس غريبا أن يظهر دعاة من العرب وغير العرب يدعون الى العامية فى التعليم والتخاطب فى نفس الوقت الذى يظهر فيه دعاة إحياء اللغة العبرية ؟

أهذا مجرد صدفة يا أولى الألباب ؟!!!

وأسجل أن الفضل كل الفضل ، فى إخفاق مؤامرات دعاة اشاعة اللهجات العامية فى البلاد العربية ، يعود للقرآن الكريم وحده ، فلولا القرآن لنجح هؤلاء الدعاة ـ خاصة وأن القوى الخفية والعلنية التى كانت وراءهم كانت قوية جدا من الناحيتين المادية والمعنوية .

وشكرا للقرآن الكريم الذى لا تنقضى أفضاله على الأمة العربية والمسلمين ، وشكرا لله الذى أنزل القرآن وجعله سراجا منيرا .

— ٢ —

لقد أخطأ الذين ظنوا أن المخططين لاشاعة اللهجات العامية قد رضوا بالهزيمة النكراء والاخفاق الشنيع .

ذلك لأن هؤلاء المخططين من الاستعماريين والصهاينة من أعداء العرب والمسلمين ، ومن التافهين والإمعات والعملاء العرب الذين شايعوا أولئك المخططين ، هؤلاء وأولئك يعلمون حق العلم ان القرآن الذى يتلى بلغته المعجزة : يتلوه الصغار كما يتلوه الكبار ، ويتلوه المتعلمون كما يحفظه الأميون ، ويحفظه عن ظهر قلب كثير من العرب وكثير من غير العرب ، هذا القرآن لا بد أن (يُهْجَر) ليسهل على الطامعين بالعرب والمسلمين ازدرادهم بعد تجزئتهم وتقطيعهم اربا اربا .

فاذا أخفق أعداء العرب والمسلمين فى محاولة ، فلا بد من محاولات أخرى .

وقد جاءت المحاولة الجديدة فى مؤتمر : بحث مشروع اللغة العربية الاساسية الذى عقد فى (برمانا) بلبنان فى شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٣ .

وأبادر الى القول ، بأن هذا المؤتمر كان مريبا الى أبعد الحدود ، وأن على سدنة اللغة العربية الفصحى من مجمعيين وجامعيين أن يفضحوا هذا المؤتمر على أوسع نطاق وفى كل مجال ، حتى لا تأخذ مقرراته طريقها الى التطبيق فى قطر عربى أولا ، ثم يتوسع تطبيقه فيشمل اقطارا عربية أخرى .

لقد عقد المؤتمر بجو من الصمت الرهيب كأنه مؤتمر عسكرى على مستوى عال من الكتمان ، خوفا من تسرب الاسرار العسكرية الى الأعداء فلم تنشر عنه الصحف الا لمحات خاطفة لا تكشف نياته ولا تتحدث عن اهدافه .

وكما كان انعقاده (سريا للغاية) اختتم المؤتمر المريب بنفس (السرية) ذات الدرجة العالية ، فكان المؤتمرون كاللصوص الجبناء الذين يدخلون بيوتا غير بيوتهم ، فاذا انكشف أمرهم لاذوا بالفرار ، قانعين بالخيبة وكتمان أشخاصهم حتى لا يفتضح أمرهم وينالهم العقاب .

ولكن شاء الله ، أن يفتضح هذا

المؤتمر وتعرف أسماء بعض المشاركين فيه والجهات التي يمثلونها في المؤتمر ، وكلها تدل على أن هذا المؤتمر مريب الى أبعد الحدود (١) .

ولست في حرج لمهاجمتي المؤتمر والمشاركين فيه بشدة ، لأنني أعتقد أنه ليس من الحكمة معاملة العقرب بالحسنى ، بل يجب أن تسحق فورا والا سممت من يحاول معاملتها بالتي هي أحسن .

والمؤتمر يحاول التشكيك في قدرة العربية الفصحى وكفايتها ، ويحاول بطرق جديدة فرض العامية واغفال الفصحى ، فمن يجامل أمثال المشاركين في هذا المؤتمر كالذي يجامل العقرب ، وللعقرب حل وحيد ، هو سحقها بالحذاء .

— ٣ —

ما هو مشروع اللغة العربية الأساسية الذي تبناه هذا المؤتمر ؟

يقولون : إن تعدد لهجات اللغة العربية وصعوبة تعلمها وتعليمها ، اقضت مضاجع بعض الأساتذة الفرنسيين وهم : جاك بيول واندريه رومان ورولان مانيه الذين اكتشفوا « أن الواقع اللغوي في العالم العربي ، هو وجود لغة فصحى **شبه موحدة** ، تقابلها طائفة من اللهجات المحلية تتفاوت في بعدها عن اللغة الفصحى المشتركة ، وتتفاوت في بعدها الواحدة عن الأخرى من حيث الصوتيات والصرف والتراكيب والمفردات » .

لذلك قرر أولئك الفرنسيون خلق **لغة جديدة** تكون مفرداتها هي المفردات الأكثر تداولا بين الناطقين بالضاد .

ولمعرفة المفردات الأكثر تداولا ، استعانوا بدماغ الكتروني ، وقاموا بعملية احصائية محضة : تثقيب بطاقات وفرزها !!

وقد جاء في تقرير الأب رولان مانيه : « إنّ المقصود هو تحديد اللغة العربية الأساسية (مفردات وتراكيب) بحسابات احصائية دقيقة. وليس المقصود باللغة العربية الأساسية ما يجب أن تكون عليه اللغة العربية بحسب معايير جامدة رافقت العصور الماضية ، أو ما يمكن أن تكون عليه ، بموجب مشاريع اصلاحية حديثة اقترحها أناس مهتمون بالتجديد ، أو بذهنية تستند في اصلاحاتها الى الرجوع لهذا أو ذاك من الشواهد النادرة التي وردت عند القدامى . المقصود فقط وصف اللغة كما هي بطريقة موضوعية وعلمية وتعيين تواتر المفردات والتراكيب !

« ليس المقصود بأية حال ، تبسيط اللغة العربية ولا صنع لغة محدودة المفردات ومختصرة التراكيب اى لغة مصطنعة وفقيرة . إن المقصود هو اكتشاف السلّم الذي يقيمه الاستعمال بين ما هو كثير التردد وكثير الاستعمال ، وما هو نادر وأقل ترددا ، ليتاح خلق تعليم متدرج متكامل ، يبدأ بما هو أكثر شيوعا ، اى انه يبدأ بالأساس ، ولكنه يبقى بالطبع منفتحا على كل **الثروات الحقيقية في اللغة** .

« ليس المقصود بأية حال تغيير اللغة ، وحتى لو أردنا ذلك لما استطعناه ، ففي اللغة أن الاستعمال هو السيد الذي يفرض نفسه . أما اذا تبيّن لنا بعد استقصاءات رصينة أن ما يكثر استعماله حاليا يختلف عما اعتبره النحويون القدامى واجب الشيوع ، وقد لا يكون دائما كثير الشيوع في النصوص القديمة ، فلا **بد من الاعتراف بذلك** ومن أخذه بعين الاعتبار . وبتعبير آخر ، ليس المقصود اصلاح اللغة بحجة تيسيرها حتى ولو كانت التغييرات المقترحة

(١) الحوادث — العدد ٨٦٨ — ص (٦٨ — ٦٩) — طلال رحمه .

مستندة الى شواهد قديمة ، **لا بل لأنها مستندة اليها** ، بل تسجيل التغيير فى حال وجوده والذى لا يكون سوى نتيجة التطور الملازم لكل لغة ، فاللغات الميتة وحدها لا يطرأ عليها تغيير ، والوصف العلمى وحده المنطلق من مجموعة واسعة من النصوص ، كفيل باعطائنا المعلومات الثابتة والصورة الدقيقة عن واقع اللغة العربية الراهن .

« ليس المقصود التعرض للغة الماضى ، لا لشىء إلا لأن مسها لا يجوز لأسباب يمليها العقل والمنطق السليم ، فالعربية القديمة قائمة على مجموعة من نصوص مختلفة لها شكلها النهائى الثابت . وليس المقصود أيضا التضحية بالماضى ، بل تيسير الوصول اليه ، **بارجاء دراسته الى مرحلة لاحقة ، يكون** التلاميذ قد أعدوا فيها بما فيه الكفاية لفهمه وتذوقه وتمثله ، فالعربية الاساسية ، تهدف اذن وقبل أى شىء آخر ، لا الى تبسيط اللغة ، بل الى تيسير تعليمها لتلامذة المرحلة الابتدائية » .

ومعنى هذا استعمال اللهجة العامية فى التعليم ، لأن مفرداتها شائعة أكثر من مفردات اللغة العربية الفصحى ، مع تطعيم هذه اللهجة العامية ببعض المفردات العربية الشائعة كثيرا ، أى خلق لغة هجين : تسودها اللهجة العامية ، وفرضها فى مراحل التعليم الاولى على التلاميذ ، لكى يصلوا عبر هذه اللغة الهجين الى التعليم باللغة العربية .

واذا افترضنا النية الحسنة فى واضعى هذا المشروع ، فستكون امام العربى ثلاث لغات : اللهجة العامية الصرفة ، واللهجة الهجين ، واللغة العربية الفصحى ، وبذلك نعقد الدراسة بدلا من تبسيطها .

أما اذا افترضنا النية السيئة فى واضعى المشروع ، فهى عودة الى الدعوة الى العامية بأسلوب شيطانى جديد ، بحجة : « ان الاستعمال هو السيد الذى يفرض نفسه » كما يقول الأب رولان مانيه واضع هذا المشروع الرئيسى .

وقد كشف الدكتور وديع حداد رئيس المركز التربوى للبحوث فى لبنان والداعى لهذا المؤتمر فى الجلسة الافتتاحية نيات المؤتمر بقوله : « إن المفردات والتراكيب اللغوية المشتركة بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية المحلية هى التى سيتم الاحتفاظ بها فى البدء من اجل تعليم القراءة والكتابة » ، وكان عليه أن يقول : إنه سيحتفظ بالعامية المحلية اللبنانية — وحتى هذه العامية اللبنانية فيها لهجات كثيرة !

والسؤال لهذا الدكتور : لماذا لا يستعمل العربية الفصحى فى تعليم القراءة والكتابة ؟ وما هى افضلية استعمال المفردات العامية ؟ وأى لهجة سيستعمل : لهجة بيروت أم طرابلس أم البقاع ؟؟!

والأهم من ذلك ان المفردات العامية اللبنانية لا تفهم فى العراق وغيره من الأقطار العربية ، فهل يريد هذا الدكتور ان ينقطع التلميذ اللبنانى والمواطن اللبنانى عن العالم العربى وعن التراث العربى العظيم ؟

ولكى نعرف مبلغ الريبة التى يتمتع بها هذا المؤتمر ، لا بد من معرفة المؤسسات والمعاهد التى شاركت فيه .

شارك فى المؤتمر : مؤسسة (فورد) التى كانت ممثلة بداود عبدو ، وجامعة (انديانا » ممثلة بصالح جواد طعمه ، وجامعة (ميشكان) ممثلة بآرنست مكاريوس ، وجامعة (اكس) ممثلة بسامى فراج ، وجامعة (هولندا) ممثلة بيان بيتر ، وجامعة (مدريد) ممثلة بستراوستر وجامعة (تونس) ممثلة بمحمد المعمورى ، ومعهد الآداب الشرقية

فى الجامعة اليسوعية ممثلة بالأب ميشال آلار .

وقد شاركت فى المؤتمر جامعة بيروت العربية والجامعة اللبنانية ، وممثل هاتين الجامعتين استاذان لا غبار على اخلاصهما للغة العربية الفصحى .

ولكننى سمعت فى لبنان من شخصيات حريصة على لغة القرآن الكريم نقدا شديدا ولوما قارصا لهذين الأستاذين على مشاركتهما فى هذا المؤتمر المريب على الرغم من انهما قالا كلمة الحق داخل المؤتمر ، ولولا ما قالاه لساد الباطل على الحق ، وقد ذهبت أقوالهما أدراج الرياح .

ولكن حضورهما فى هذا المؤتمر المريب ، أعطى نوعا من (الشرعية) له ، كما أن ما قالاه ضاع فى خضم ضجيج الباطل ، ثم لم يؤخذ بآرائهما الحصيفة ، حيث قرر المؤتمر لنفسه برنامج عمل يبدأ من تموز (يوليو) ١٩٧٣ وينتهى فى أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ متجاهلا ردود الفعل التى جاءت من داخل المؤتمر ومن خارجه .

وأنا أعرف الرجلين ، وأثق بهما ، لذلك أعتقد أنهما حضرا المؤتمر ليقولا كلمة الحق ، وقد فعلا .

إن اللغة العربية الفصحى ليست (شبه موحدة) كما يدعى رءوس أولئك المؤتمرين .

ولا حاجة للعرب بـ (لغة جديدة) يخطط لها الفرنسيون وغير الفرنسيين .

(والثروات الحقيقية) التى يريد أولئك المشبوهون ادخالها فى اللغة العربية الفصحى ، هى ليست فى اللهجات العامية ، بل فى التراث العربى العظيم وفى مقررات مجمع اللغة العربية فى القاهرة ومجمع اللغة العربية فى دمشق والمجمع العلمى العراقى فى بغداد ، ومجمع البحوث الاسلامية فى الازهر الشريف

وقد استطاعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية العربية وضع المعجم العسكرى الموحد (انكليزى — عربى) بالعربية الفصحى ، ثم وضعت ثلاثة معجمات عسكرية موحدة (عربى — انكليزى) و (فرنسى — عربى) و (عربى — فرنسى) . وقد بلغت صفحات المعجم العسكرى الموحد (انكليزى — عربى) الف صفحة ضمت ثمانين الف مصطلح عسكرى كلها تقريبا مقتبسة من : (المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم) .

وما استطاعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية تحقيقه ، تستطيع غيرها من اللجان فى مختلف العلوم والآداب والفنون تحقيقه اذ صدق العزم وتوفر الاخلاص والعلم واستمر العمل الدائب ، وكل جهد فى خدمة لغة القرآن الكريم يهون .

والعربية الفصحى غنية بالمفردات وليس هناك لغة فى العالم كلهتشابه أو تقارب لغة الضاد فى غناها .

وقد أجرت الاذاعة المرئية اللبنانية فى منتصف شهر حزيران (يونيو) مناقشة مع شاعرة معروفة فى اللغتين العربية والفرنسية ، فسألها المذيع : « اى لغة اكثر مطاوعة فى نظم الشعر : العربية أم الفرنسية ؟ » فأجابت : « العربية طبعا ، فهى غنية بالمفردات التى تشكل معينا لا ينضب من القافية التى تعين الشاعر فى النظم » .

ان العربية الفصحى بخير ما دام هذا القرآن يتلى صباح مساء .

والذين يريدون بها شرا يخزيهم الله فى الدنيا والآخرة ، ومصير مخططاتهم الاخفاق الشنيع .

ولكن حذار من أحابيل أعداء العربية الفصحى وهم كثيرون .

الحدود في الإسلام ..

السَرقة



١ ــ تحدثنا في العددين : الثامن والتسعين (غرة صفر سنة ١٣٩٣) والعدد الواحد بعد المائة (غرة جمادى الأولى سنة ١٣٩٣) من مجلة « الوعى الاسلامى » ــ عن الحدود فى الاسلام ، والميزان الذى اقامها الله تعالى عليه ، من الحكمة ، والرحمة ، والعدل . . وقد عرضنا فى الحديث الأول لجريمة الزنا ، ثم عرضنا فى الحديث الثانى لجريمة القتل ، وكشفنا عن وجههما الشنيع ، والآثار المدمرة التى تنجم عن شيوعهما فى أى مجتمع انسانى . .

ونعرض فى هذا الحديث لجريمة السرقة ، على أن نعرض فى حديث تال إن شاء الله لجريمة شرب الخمر ، وبهذا نكون قد استوفينا عرض أهم وأنكر الجرائم التى رصد الإسلام العقوبة الرادعة لها ، والتى تعرف فى لسان الشرع بالحدود ، تلك الحدود التى كانت مدخل فتنة وتلبيس ، يدخل منها أعداء الاسلام لصد الناس عنه ، وجفوة أهله له . .

٢ ــ والسرقة ، هى عدوان على ملك الغير ، من مال ومتاع ، ونحو هذا ، مما يحرزه الإنسان لينتفع به . .

والمال ، وما يدور فى فلكه ، هو ثمرة جهد ، وحصيلة كدّ وعمل ، ونتاج كفاح وجهاد . . وبالمال تدور عجلة الحياة ، ومن أجله يسعى الناس فى كل وجه من وجوه الأرض ، إذ كان طلبه وليد غريزة التملك ، التى تأخذ المكان الأول فى الغرائز الانسانية ، بعد غريزة حب الحياة ، وتنازع البقاء !

ومن هنا كانت نظرة الإسلام الى المال ، باعتباره الجامع لمتلكات الانسان ومقتنياته ، تلك النظرة التى تقيم للمال وزنه الصحيح فى الحياة ، وتعترف له بأثره القوىّ الواضح فى بناء الحياة للفرد والجماعة . .

ويخطىء خطأ بيّناً أولئك الذين يرون فى الشريعة الإسلامية استخفافاً بالمال ، وتهوينا من شأنه ، حيث يقيمون نظرهم على بعض من آيات الله ، او كلمات من أحاديث الرسول ، تدعو فى ظاهرها الى التخفف من حبّ المال ، والحذر من فتنته ، مثل قوله تعالى : **« إنما أموالكم وأولادكم فتنة »** (١٥ : التغابن) وقوله سبحانه : **« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاما »** .. (٢٠ : الحديد) وكقول الرسول الكريم : **« لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب »** . . الى كثير من الآيات والأحاديث التى يفهم من ظاهرها هذا الفهم السطحى الذى فهمه أولئك الذين قصّروا نظرهم عليها ، دون أن ينظروا اليها فى ضوء آيات كثيرة ، وأحاديث نبوية غير قليلة ، تزكىّ المال ، وتبارك عليه وعلى أهله الذين يسلكون به مسالك الحق والخير فى كسبه وإنفاقه . . فقطع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التى تدعو الى الزهد فى المال ، عن تلك التى ترغب فيه ، هو أشبه بمن



شرب الخمر

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

يقرأ الآية الكريمة : «**فويل للمصلين**» ثم لا يصلها بالآية التى بعدها : «**الذين هم عن صلاتهم ساهون ..**»

٣ — ولا شك أن هذه الفرية على الإسلام ، من أهله المغرر بهم ، ومن المندسّين فى أهله للكيد لهم ، والنيل منهم ، بإجلائهم عن مواقع الحياة الجادّة فى الحياة — لا شك أن هذه الفرية قد آتت أكلها السيئة ، وآثارها المنكرة ، التى كان لها الدور الأول ، فى تلك الحركة الانسحابية ، التى أدار بها المجتمع الاسلامى ظهره للحياة ، وترك الدنيا تدور دورتها ، وهو واقف فى مكانه ، حتى خرج أو كاد يخرج من موكب الحياة ، وهو محسوب فى الأحياء !

فلقد أماتت هذه الحركة المضادة لطبيعة الوجود ، نوازع العمل فى كثير من النفوس ، واطفأت جذوة الطموح عند كثير من المهيئين له ، حتى وصل الحال بالمسلمين الى هذا الجمود الذى هم فيه ، فلا يتحولون عن مواقع اقدامهم من الأرض ، على حين أخذت أمم وشعوب غيرهم معارج يصعدون بها الى السماء ، ويرتادون على متونها عوالم الكواكب والنجوم !! وقد كان جديرا بأمة الإسلام أن تكون الرائدة لهذا الميدان ، وأن تكون خطوات الناس كلهم من وراء خطواتها ، لو أنها أخذت بدعوة دينها ، وانتفعت بتعاليمه فى الاحتفاء بالعلم ، والتكريم للعلماء ، ولرأوا فى العالم العربى المسلم « عباس بن فرناس » الذى فتح أول طريق الى السماء ، باصطناع جناحين له من ريش ، استطاع بهما أن يحلّق فى السماء ، وأن يموت شهيدا فى ميدان العلم والمعرفة .. نقول لرأوا فى هذا العالم العربى المسلم دليلا على هذا الطريق ، الذى تَنَبَّهت اليه أمم الغرب ، واتخذت منه حلماً لم يلبث طويلا حتى أصبح حقيقة ، ينظر اليها المسلمون فى دهش وذهول .. ولكن موجات الزهد الزائف الذى زحف على المسلمين من تلك الدعوات الخادعة المضللة ، قد أرتهم فى « عباس بن فرناس » هذا ، رجلا ملحدا ، يتحدى قدرة الله ، ويهتك حرمة سمائه ، ويقف من الله موقف فرعون ، إذ يقول لهامان : «**يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فاطلع الى إله موسى ، وانى لأظنه كاذبا**» (٣٦ — ٣٧ : غافر) .. ونسى هؤلاء الأدعياء ، قول الله تعالى : «**وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه**» (١٣ : الجاثية) ..

٤ — هكذا بلغت هذه الحركة الانسحابية من الحياة بالمسلمين ، الى هذا الموقف الذى جمدت فيه دماء الحياة فى العروق ، فتعطلت الملكات ، وخمدت

الجـــوارح ، وخلت مواقع المسلمين فى الحياة الجـــادة العاملة من اهل الجد والعمل ، فتأخروا وتقدم الناس ، وافتقروا وضعفوا ، وحاز غيرهم المال وما يمكّن المال لأهله من قوة وسلطان . .

وكلا ، ثم كلا . . ان الاسلام ليس عدوا للحياة ، ولا مبغضا للمال الذى هو قوام الحياة وزينتها . . وكيف والله سبحانه وتعالى يقول : **« المال والبنون زينة الحياة الدنيــا »** (٤٦ : الكهف) ويقول : **« إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »** (٧ : الكهف) ويقول على لسان نوح إلى قومه : **« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »** (١٠ ـــ ١٢ : نوح) ويقول : **« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من الســـماء والأرض »** (٩٦ : الأعراف) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« نعم المال الصالح للعبد الصالح »** . .

وما كانت دعوة الاسلام الى الحذر من فتنة المال ، إلا لما له من سلطان متمكن من النفوس ، وانه لو أسلم المرء زمامه لهذا السلطان ، وجرى على هواه لأصبح عبدا ذليلا للمال ، وهو الذى من شأنه أن يستعبد المال ويسخره لبناء صرح إنسانيته عاليا ، كريما ، عزيزا . .

فالمال فى حساب الاسلام وتقديره ، هو وسيلة لا غاية ، وسيلة لكسب المحامد ، وابتغاء الأمجاد ، وقضاء الحقوق . . هكذا المال عند أحرار الرجال ، أداة مسخرة لمنازع الانسان الشريفة النبيلة ، وسلاح يضرب به فى وجه الحاجة التى قد تدفعه الى مواقف الذّلة والمهانة ، التى يأباها الأحرار ، الذين يجدون بطن الأرض خيرا لهم من ظهرها ، إذا هم كانوا اصحاب اليد السفلى ، وكان غيرهم أصحاب اليد العليا . .

وعن هذا المنزع الإنسانى النبيل الشريف ، يقول الشاعر العربى ، البدوى . بوحى من فطرته ، وبدِاع من مروءته ورجولته ـــ يقول مخاطبا زوجه :

ذرينى أطـــوّف بالبـــــلاد لعلّنى أصيب غنى فيه لذى الحق مَحْمَلُ
فإن نحن لم نملك دفاعـــا لحـــادث تلمّ بــــه الأيام فالمــوت أجمـــل

وليس تطواف هذا الحر الكريم فى البلاد للتسكع ، والتصعلك والتسول ، ولكنه تطواف العاملين الجادين ، الضاربين فى وجوه الأرض بقوة ، لاستخراج خبئها ، وجنى ثمراتها . .

فاذا انقلب المال عند بعض الناس الى غاية محصورة فى جمعه ، واكتنازه فذلك هو البلاء العظيم الذى يحذر الاسلام أهله ، من الوقوع فيه ، أو الاتجـــاه اليه . . إذ ليس وراء ذلك الا إذلال الإنسان ، واهدار آدميته ، وبيْعُ نفسه بهذا الثمن البخس من المال الذى يجمعه ، ولو كان القناطير المقنطرة من الذهب والفضـــة !!

من هنا كانت دعوة الإسلام الى الحذر من فتنة المال ، وإغوائه ، تلك الفتنة التى تقلبُ وضعَهُ ، فتحوّله من وسيلة الى غاية ، ومن صديق نافع الى عدو مبين ، ومن سلاح يَقْتُلُ الأعداء ، الى سلاح يقتل صاحبه . .

ولو كان من تدبير الاسلام إعلان هذه الحرب التى يُعلنها على المال هـــؤلاء المفلسون ، من ذوى الهمم الفاترة ، والعزائم الخائرة ـــ لما جعل فى محامل كتابه الكريم ، وفى دستور شريعته الغراء ، هذه التوجيهات السديدة الحكيمة ، فى جمعه وفى إنفاقه ، ولما فرض على المسلمين زكاة ، ولا صدقة ، ولا إنفاقا فى سبيل الله ، ولا إعدادا بالمال للقوة الرادعة لأعداء الاسلام ، بل ولا فرض مهورا

للزواج ، ولما اباح ان يكون المهر قنطارا أو قناطير من ذهب او فضة ، كما يقول سبحانه : ((**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتمْ إحـــداهن قِنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا**)) (٢٠ : النساء) .. فلمن يتجـــه القرآن بهذا الخطاب ؟ أيخاطب أمة غير أمة الاسلام ؟ أو جماعة غير جماعـــة المسلمين ؟ ولو كان من تدبير الاسلام ، اعلانُ هذه الحرب التى يعلنها المفلسون ـــ من الدنيا والدين ـــ على المال ، لما جعل للميراث أحكاما فى شريعة تضبط قسمته بين الورثة ، ولا أمر بتوثيق الدين والاشهاد عليه ، ولما توعد بالعذاب والنكال من يأكلون أموال اليتامى ظلما ، فيقول سبحانه : ((**إن الذين يأكلـــون اموال اليتامى ظلمـــا ، إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصـــلَوْنَ ســـعيرا**)) (١٠ : النســـاء) .

ولو كان من تدبير الاسلام إعلانُ الحرب على المال ، لما فرض على جماعة المسلمين ، وأولى الأمر فيهم ، أن يأخذوا على أيدى السفهاء منهم ، الذين لا يعرفون حرمته وقدره ، فينفقونه فى مجالات اللهو والعبث فى غير اكتراث به ، ولا إقامة وزن له .. فهذا المـــال الذى تبدده أيدى السفهاء ، هو فى حقيقته قوة من قوى الجماعة الاسلامية ، وركيزة من الركائز التى تقيم عليها حياتها ، ولهذا أوجب الله عليهم ان يرفعوا أيدى هؤلاء السفهاء ، عما فى أيديهم من مال ، وأن يحموه من تسلطهم عليه ، وبحسبهم منه أن ينالوا ما يسد حاجتهم ، فى حدود ما يتسع له ما لهم ، وما يصلح لأمثالهم من أهل العقل والاتزان .. يقول الله تعالى : ((**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ، وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا**)) (٥ : النساء) .

وإنه بحسب المال فى شريعة الاسلام تكريما ، وتقديرا ان يضاف الى الله تعالى ، إذ يقول سبحانه : ((**وآتوهم من مال الله الذى آتاكم**)) (٣٣ : النور) وان يجعله سبحانه وتعالى فى مقام الجهاد فى سبيله ، على كفة ميزان سواء مع الجهاد بالنفس .. إذ يقول جلّ شأنه : ((**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة**)) (١١١ : التـــوبة) .

فهذه كلها أمور تتعلق بالمال ، وبسياسته فى أيدى الجماعات والأفراد فى الأمة الاسلامية ، وما يتعلق به من حقوق لله وللناس فيه ، ولا يمكن أن يكون لهذه السياسة التى رسمتها الشريعة الاسلامية للمال ، لا يمكن أن يكون لها مكان فى مجتمع لا يعرف المال ، ولا يملك الكثير منه !

٥ ـــ وقد اشرنا من قبل الى أن غريزة حبّ التملك من اظهر الغرائز واقواها فَعَالية فى الإنسان ، وإنه لن يُشبع الانسان هذه الغريزة أبدا ، ولا يقدر على ان يوقف اندفاعها وجَرْيها اللاهث وراء المال ، إلا بدعوة من عقل حكيم ، أو توجيه من شريعة سماوية ، توجِّه جانبا من غريزة حبّ التملك ، الى ما وراء هذه الحياة الدنيا ، وذلك بالعمل الصالح للآخرة ، وما ينال فيها الصالحون من رضوان الله ، والنعيم فى جنّـــاته ..

والإنسان ، لا يتجه بقوته الى التملك ، ولا يعمل له ، إلا اذا أمِنَ على ما يملك ، واطمأنّ الى أن ما يجنيه من سعيه وكدّه ، فى ضمان من أن يَعتَدِىَ عليه مُعتد ، أو تمتد اليه يد غيرُ يده ، أو يدِ ولده وورثته من بعده .. وقد تكفلّت الشرِيعة الاسلامية باقرار هذا الشعور فى الانسان ، الذى يضمن به جَنْىَ ثمار اعماله ، وحفظها من أىّ عدوان يقع عليها ، سواء فى الدنيـــا أو فى الآخرَة ..

اما فيما يعمله الانسان ، من صالح الأعمال التى يدخرها للآخرة ، فهو فى ضمان الله سبحانه وتعالى ، حيث يقع فى يقين المؤمن بالله ــ بما لا يتلبس به اى شك ــ انه سيجد ما عمل لهذا اليوم حاضراً بين يديه ، وانه سيجزاه الجزاء الأوفى ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى** » (٣٩ ــ ٤١ : النجم) . ويقول تبارك اسمه : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » (٧ ــ ٨ : الزلزلة) .

وأما فيما يعمله الانسان لدنياه ، ويدخره لغده ، أو لورثته من بعده ، فقد تواضع الناس فيما بينهم ، على احترام ملكية المالك لما يملك ، وعلى حمايته من العدوان عليه ، ورصد العقاب الرادع لمن يمدّ يده الى ما فى حوزة غيره .. ففى ذلك خير لهم جميعا ، وإطلاق لطاقاتهم الجسدية والعقلية للعمل ، الذى يضمن لكل عامل ثمرة عمله ..

ولكن مع هذا ، فانه ما أكثر ما يبغى الناس على الناس ، وما أكثر ما تلد الحياة من اشرار يجدون منافذ كثيرة من حراسة القانون الوضعى التى أقامها المجتمع الإنسانى لحماية الملكيات ، فيتسللون منها الى العدوان على أموال الناس ، وأكلها بالباطل ، بصور شتى ، من الغصب ، أو السرقة ، أو الغش ، أو الاحتيال ، الى غير ذلك مما يجرى فى حياة الناس من جرائم تتعلق بالأموال ..

٦ ــ لهذا اقتضت حكمة الشريعة الاسلامية ، أن تتدخل فى هذا المعترك ، وان تدخل على الناس فيه ، بما يُعينهم على التزام الطريق المستقيم الذى تدعوهم اليه الفطرة السليمة ، ويحملهم عليه ناموس الجماعة ..

فكان من هذا ما جاءت به الشريعة من آدابها وأحكامها ، وما رصدته من عقوبات زاجرة فى الدنيا والآخرة ، لمن يخرجون على تلك الآداب وهذه الأحكام ..

والتربية السليمة الناجحة هى التى تقيم فى النفس وازع الضمير ، الى جانب وازع السلطان ، الذى يقيمه المجتمع ، بقوانينه وقوته المنفذة له ، أو الذى يقيمه الشرع بما شرع من حدود وقصاص ، يقوم بتنفيذها ولىّ الأمر القائم على جماعة المسلمين .. فاذا غفل وازع الضمير أو ضعف ، كان من وازع السلطان الوضعى أو الشرعى ، ما يسدّ النقص الحادث من غفلته أو ضعفه ، وإذا غفل وازع السلطان أو ضعف ، كان من وازع الضمير ما يقوم مقامه الى أن ينتبه أو يقوى ..

٧ ــ وفى المال ، وحراسته من عدوان المعتدين ، جاء الاسلام اليه بالوازعين معا ، وازع الضمير ، ووازع السلطان ، واقامهما على حفظه وسلامته من اى بغى او عدوان ، حتى يؤدى وظيفته فى الحياة ، ويجرى فى مجراه الطبيعى الذى لا تعترضه سدود أو معوّقات ..

فأما وازع الضمير ، فقد جعل السبيلَ الى إقامته فى النفوس ، التربية الروحية ، بما تحمل الشريعة الغراء الى أتباعها من عبادات افترضها الله تعالى على المؤمنين ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحجّ ، وهى عبادات ، يومية ، يؤديها المسلم مرات كل يوم .. كالصلاة ، أو سنوية .. كالصوم والزكاة ، أو مرة فى العمر كالحج ، بمعنى انه لا يمرّ يوم دون أن يقف المسلم بين يدى ربّه مرات ، يذكره ، ويناجيه ، ويراجع صحيفة أعماله فيما بين اللقاء واللقاء ، وفى هذا ما فيه من غسل قلب المسلم وتطهيره من دنس المنكرات ، ووساوس السوء .

ولو ان المسلمين أدوا هذه العبادات على ما ينبغى لها من جلال وخشوع ، ومن استحضار عقول وقلوب ، لكان لهم منها دواء لكل داء ، ووقاية لهم من

تلك الآفات المهلكة التي باتت ترعى كل صالحة في أفرادهم وجماعاتهم ..

فقد نهى الإسلام عن أكل أموال الناس بالباطل ، كالغش ، والخداع ، والتطفيف في الكيل والميزان ، والادعاء الكاذب على الناس ، والاحتماء بجاه ذوى الجاه والسلطان ، في العدوان على حقوق الغير .. فيقول سبحانه : « **ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يُخسرون .. ألا يَظُنّ أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين** » (١ – ٦ : المطففين) ويقول جلّ شأنه : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون** » (١٨٨ : البقرة) ويقول تبارك اسمه : « **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا** » (١٠ : النساء) الى كثير من الآيات التي تحذرهم من العدوان على حقوق الناس ، وتتوعد الذين لا ينتهون عمّا نهى الله تعالى عنه ، بالبوار في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة ..

ومن جهةأخرى ، فقد دعا الاسلام الى البر والاحسان ، والانفاق من الأموال على ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، والغارمين ، وفي سبيل الله .. ووعد المحسنين المنفقين ، بنَماء الأموال ، وعظيم الثواب ، اذ يقول سبحانه : « **وما انفقتم من شيء فهو يُخلِفُه وهو خير الرازقين** » (٣٩ : سبأ) ويقول : « **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » (٢٦١ : البقرة) ويقول : « **وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضعفون** » (٣٩ : الروم) .

ثم الى جانب هذا الوازع الديني الذي من شأنه أن يقيم في ضمير المؤمن سلطانا يزعه عن العدوان على حقوق الناس الى جانب هذا الوازع أقام الاسلام وازعا وراء هذا الوازع الديني ، يسانده ، أو يقوم مقامه عند غيابه ، أو انكماش ظلّه ، وذلك بما رصد من عقوبات رادعة ، جعلها في يد وليّ الأمر القائم على شئون المؤمنين ، ليأخذ بها المعتدين على حرماتهم من دماء وأموال وأعراض ..

٨ – واذا كان حديثنا هنا عن حد السرقة ، وما أمر به الاسلام من قطع يد السارق ، فإننا نقول ان صور العدوان على المال لا تنحصر في السرقة وحدها ، فهناك الى العدوان بالسرقة ، عدوان بالغصب ، والجور في الحكم ، وفي الغش والخداع ، وفي التطفيف في الكيل والميزان ، وفي جَحد الدين الذي ليس في يد صاحبه بيّنةٌ على المَدين .. الى غير ذلك ، مما يُضيّع على الانسان شيئا من حقوقه المالية ، أيا كان قدرها ، وأيا كانت الوسيلة التي ذهبت بهذا الحق !

ويلاحظ ان الاسلام لم يحدد عقوبة معلومة المقدار والكيفية الا لجريمة السرقة ، وهي قطع يد السارق .. يَدِه اليمنى من الرسغ ، متى استوفت الجريمة أركانها ، كما سنتبين ذلك بعد ..

وليس معنى هذا أن الاسلام أغفل الصور الأخرى لجرائم العدوان على الأموال وأكلها بالباطل ، بل إنه جعل لولى الأمر تقدير العقوبة الرادعة المناسبة لكل صورة من صور العدوان على الاموال ، والتي لا تكاد تضبط صورها ، وذلك فيما يُعرف في لسان الشريعة الغراء باسم « التعزير » الذي تتعدد صور العقوبة فيه ، حسب تعدد صور العدوان ، وملابسات الظروف والأحوال لكل صورة ، فقد

يكون « التعزير » بالحبس ، او الضرب ، او الزجر ، ونحو هذا . .

بل إن الإسلام جعل للعدوان على الأموال فى صورة السلب والنهب الجماعى ، أو الفردى ، الذى يعتمد فيه المعتدون ، على القوة التى تخيف الناس ، وترهبهم ــ جعل الاسلام لهذه الصورة من العدوان عقابا يتناسب مع شناعته وبشاعته ، إذ يقول سبحانه : **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتّلوا أو يصلّبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينْفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم (٣٣ ــ** ٣٤ : المائدة . .

فقد عد الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين يروعون الآمنين فى أموالهم وانفسهم ، محاربين لله ورسوله ، ساعين فى الأرض فسادا ، فكان جزاؤهم هذا الجزاء الذى يلْقون فيه الموت على تلك الصورة ، التى يعاملون فيها معاملة الحيوان فى ذبحه ، وصلبه ، وتقطيع أوصاله . . إنهم اعتدوا على آدمية الآدميين ، فكان جزاؤهم أن تسلب منهم الآدمية ، وأن ينزع عنهم ثوبها . .

٩ ــ وقد اتخذ أعداء الإسلام من حد السرقة الذى أوجبته الشريعة الغراء ، من قطع يد السارق ــ اتخذوا من هذا مدخلا يدخلون منه الى الطعن فى الاسلام، وفى التشنيع عليه ، والتنفير من الانتساب الى شريعة بدائية ، إن كان فى الناس من يرضى بالانتساب اليها ، والتعامل بأحكامها ، فلن يكون إلا أولئك الذين يعيشون فى الكهوف والأدغال ، أو يهيمون فى متاهات الصحارى والقفار ، حيث لا يبعد الانسان هناك ــ فى تصورهم ــ عن عالم الحيوان الذى لا يتعامل الا بالظفر ، والمخلب والناب !!

وكذب هؤلاء المدعون على الاسلام هذه الدعوى الفاجرة الآثمة ، وضلوا ضلالا بعيدا . . فما الاسلام الا شريعة الانسانية الرشيدة السليمة ، التى يخدش ضميرها ما يخدش الضمير الحى السليم ، وما شريعة الاسلام الاشريعة الانسانية فى أعلى منازلها وأسمى مقاماتها واكرم مواقعها ، وما المنبت الذى غرست فيه الشريعة الاسلامية مغارستها الا أطيب المغارس واكرمها جوهرا وأصفاها واعذبها موردا ، والله سبحانه وتعالى فى نبى هذه الشريعة ، وفى أهلها الذين نزلت كلمات الله تعالى بلسانهم ، وفى موطنهم الذى طلعت من افقه انوار كلمات الله ــ يقول سبحانه : « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » (١٣٤ : الانعام) .

لقد قدّر هؤلاء الذين يَتَجَنَّوْنَ على الاسلام ، أن الحياة ستشهد من المجتمع الذى تمضى فيه هذه العقوبة ــ آدميين قد شُوهت صُورهم بهذه الأيدى التى زايلتها اكفها ، وبانت عنها معاصمها ، ووقع فى حسابهم أنه لو قطعت أيدى كل هؤلاء الذين تضمهم السجون من اللصوص ، لكانوا أعدادا كثيرة ، تقذى بمرآهم العيون ، وتنفر من النظر اليهم النفوس ، حين يَسْعون بين الناس وهم يحملون هذا العار الذى ينادى عليهم بالفضيحة والخزى ، فلا يجدون ــ وتلك حالهم ــ من يطمئن اليهم ، أو يتعامل معهم ، واذا هم حرب على الناس فى غير مبالاة ، ولا حرج !

هكذا، تبدو الصورة فى تصور هؤلاء الذين يلقون بالتهم جزافا فى وجه الاسلام ، والذين ينكرون عليه أن تحمل شريعته حكما بقطع يد السارق ، والذين يرون فى هذا إهدارا لآدمية الانسان ، وعزلا له عن المجتمع الانسانى ، والمناداة عليه بين الناس بأن هذا سارق ، وهذه وثيقة اتهامه ، وشاهد جريمته ، تنطق بها يده المقطوعة !!

وهذا نظر قاصر ، وتقدير خاطيء ، لا يكون إلا من غافل جاهل ، أو مفتر مضلل .. ذلك أنه لو أقيم حد السرقة كما شرعه الاسلام وأوجبه ، لما كان هذا العدد الكبير من المشوهين ، كما تصوره هذا الخيال المريض ، ولما كانت تلك الأعداد الكثيرة من اللصوص الذين يحترفون السرقة ، ثم يتحولون بعدهـا الى قُطّاع طرق !!

ولا نذهب بعيدا .. وحسبنا أن نشير بالإصبع الى الجزيرة العربية ، وكيف قضت فيها تلك العقوبة قضاء يكاد يكون تاما على جريمة السرقة التى لا يكاد يظهر لها وجه هناك الا فى أحوال نادرة ، وفى أزمان متطاولة ، حتى لقد يمضى العام دون أن يضبط سارق يقام عليه الحد هناك ..

هذا ما فعلته تلك العقوبة الحكيمة التى نزلت بها السـماء لتكون شِفاء للانسانية ووقاء من أخطر داء يهدد أمن الناس وسلامتهم ، ويعوّق مسيرة سعيهم فى الحياة ، ويغتال ثمرة كدهم وجهدهم ..

ثم فى أى موقع كان هذا الأثر العظيم لتلك العقوبة ؟ الم يكن فى أبعد بقاع الأرض من ان يُضبط فيها أمن ، أو يحفظ فيها نظـام ؟.. صـحراء مترامية الأطراف ، يضلّ فيها القطا ، ويجد أصحاب التهم فى أغوارها ، وسهولها ، ومغاراتها ونجودها ، ملجأ يلجئون اليه ، وحمى يحتمون به ، دون أن تراهـم عين ، أو تمتد اليهم يد ؟

ثم مع من من الناس كان لهذه العقوبة ردعهم وزجرهم ، وقتل منازع هذا الشر فى نفوسهم ؟ الم يكن مع أعراب البادية ، الذين هم أجرأ من العقبان ، وأشد فتكا من النسور ؟

إن ذلك كله كان بوازع السلطان ، عند أولئك الذين لا سلطان لوازع الدين عندهم .. فماذا قـام فى كيان إنسان هـذان الوازعـان : وازع الدين ووازع السلطان ، أتراه يكون يوما ممن يمـدّ يده الى سرقـة مال غيره ؟ ذلك بعيد ، بعيـد !!

هذه لا شك تجربة عملية قائمة فى الحياة اليوم ، تشهد للاسلام بأنه دين الله ، وأن ما جاء به من أحكام هو من عند الله العزيز الحكيم ..

هذا ، على حين تحمل الينا الأنباء كل يوم فيضا من هذه المآسي التى تقع فى أمريكا ، والتى يعانى منها هذا المجتمع ، الذى يقـال عنه انه يقـود ركب المدنية والحضارة فى هذا العصر !!

إن إنساناً هناك لا يأمن على نفسه فى ليل أو نهار ، وفى منزله أو خارج منزله ــ من أن يلقاه من يُشهر فى وجهه السلاح ، ويسلبه كل ما معه ، على مرأى ومسمع من الناس ، ثم ان هو فكر لحظة فى أن لا يستجيب لما يطلب منه ، تلقّى فى الحال طعنة خنجر من أكثر من يد من تلك الأيدى المحدقة به !!

هذا ما يتعرض له أكثر الذين يسيرون فى الطرقات ، من نساء ورجال .. اما التهجم على البيوت ، والغارات على المحال العامة والمصارف ، فيكاد يكون امرا مألوفا متوقعا أن يحدث فى أية لحظة ، فى اى بيت ، وفى اى مصرف ، أو مصنع أو متجر !

إن هؤلاء الذين يعانى منهم المجتمع الأمريكى اليوم ، هم لصوص ، تحولوا الى قطاع طرق ، بعد أن عجزت عقوبة السجن المرصودة هناك لجريمة السرقة ، عن أن تَرْدَعهم ، وتَشُلّ أيديهم عن معاودة العدوان على أموال الناس مرة ، ومرة ، ومرات ، حتى صارت تلك عادة ملازمة لهم ، جارية فى دمائهم ..

ولو أن أمريكا أخذت بحكم الاسلام فى قطع يد السارق ، وبالتنكيل بقطّاع الطرق ، وقتلهم بتلك القتلة الشنعاء ، لاختفى وجـه أولئـك الذين يستخفون

بحرمات الناس فى اموالهم ودمائهم . . ولا نحسب ان الامر سيطول بالقوم هناك ، حتى يجدوا ــ بعد طول التفكير والتقدير ــ أنه لا دواء لهذا الداء إلا ما جاء به الاسلام . .

١٠ ــ ثم إنه لا بأس ــ بعد هذا ــ من ان نلفت اولئك الذين يتهجمون على الاسلام ، ويعدون عقوبة القطع فى السرقة جناية من جناياته على الانسان ، وردة بها الى الوحشية والهمجية ــ لا بأس من أن نلفتهم الى ما جهلوه ، او تجاهلوه من هذا الامر ، وانخدع بهم كثير من ابناء الاسلام ، الذين ينتسبون إليه بأسمائهم ، كما ينتسب اللقطاء الى غير آبائهم !!

فأولا : انه إذا كانت المدنية الغربية قد استخفت بجريمة السرقة ، حتى لقد استباحت سرقة الأمم والشعوب ، ونهب ثرواتها ، وامتصاص ثمرة عمل ابنائها ــ فإن الإسلام الذى يرعى حرمات الانسان ، فى ماله ، وعرضه ودمه ــ لا يستخفّ بهذه الجريمة ، بل يضعها موضعها بين الجرائم الغليظة المنكرة ، ولا تأخذه رحمة فيمن لا يرحم الناس ، وهو بَعْضٌ منهم ، وعضو فيهم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين**)) (٢٥٢ : البقرة) . . وهذا الحدّ الموجب لقطع يد السارق ، هو مما يدفع الله به الناس بعضهم ببعض ، وهو من بعض فضله على عباده . .

وثانيا : جعل الإسلام حكم هذه العقوبة ، عامًّا ، ينزل على حكمه الناس جميعا ، خواصهم وعوامهم ، أغنياؤهم وفقراؤهم ، حكامهم ومحكوموهم . . فمن سَرقَ ، وثَبَتت عليه السرقة ، وجبَ قطعُ يده ايًا كان مكانه فى المجتمع ، وايا كانت منزلته بين الناس . .

روى أنه فى زمن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اتهمت امرأة من بنى مخزوم ــ قبيلة خالد بن الوليد ــ بالسرقة ، فلما ثبتت عليها الجريمة ، أمر النبى بقطع يدها ، وكان اول حكم يقع على امرأة فى الإسلام . . وقد فزع بنو مخزوم لهذا العار الذى سينالهم من هذا الذى سيجرى على امرأة من اشرافهم ، فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر من شفيع من أصحابه المقربين إليه ، يشفعون عنده لهذه المرأة ، فردّهم الرسول ، منكرا على كل واحد منهم ما طلبه منه ، بقوله : **أتشفع فى حدّ من حدود الله ؟**)) ثم دعا المسلمين ، وخطبهم قائلا : ((**أيها الناس ، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سَرقَ الشريفُ فيهم تركوه ، واذا سَرقَ الضعيف فيهم أقاموا الحدّ عليه ، والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطع محمد يدها .**))

وبهذا العدل المطلق ، والمساواة العامة المطلقة فى إقامة حدود الله ، تجد النفوس احتراما ، ونزولا ــ فى رضى ــ على حكمها . .

وثالثا : من التدبير الحكيم فى الشريعة الإسلامية ، وفى إقامة احكامها على الحكمة والرحمة معا ، أنها لم تجعل قطعَ يدِ السارق مطلقا ، فى اى سرقة ، ومن اى سارق ، دون نظر الى الظروف والأحوال المتلبسة بالسارق حين سرق ، وبالشيء الذى سرقه ، بل جعلت لذلك كله شروطا اذا توافرت ، وجب القطع ، والا كان التعزير بالحبس ، أو الضرب ، أو نحو هذا ، بدلا من القطع . . وذلك :

١ ــ أن يكون المسروق شيئا ذا قيمة ، اى له اعتبار فى حياة الناس الاقتصادية ، وفى قوته الشرائية ، وقد كان ذلك مقدّرا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بربع دينار فصاعدا ، كما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها ،

ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **تقطع اليدُ فى ربع دينار فصاعداً** » ، (صحيح مسلم) .. وهــذا النصاب الموجب للقطع يقــدَّر فى كل زمان ومكان بحسب قيمته ، بالنسبة لعصر النبوة ..

٢ ــ أن تقع السرقة فى مال محروز ، اى محفوظ فى حرز ، فالمال الضائع من صاحبه ، أو المتروك فى طريق عام من غير حراسة ، والثَمرُ الذى يكون فى الشجر ، بلا حــائط ، والماشية المرســلة ، من غير راع ، ونحــو هــذا ، لا قطع فيه ،ولكن يـعزَّر سارقه ، ويُضاعف عليه الغُرم ، اى بردّ المسروق ، ومثلهُ معه ..

٣ ــ ما اخذ بالفم ــ اى لأكله ساعة اخذه ــ من ثمر على شجر ، ولم يَحمل منه شىء ، لا قَطْعَ فيه ، ومن احتمل شيئا غير ما اكل ، فعليه ضعف ثمنه ، ويُضرب نكالا له ، وزجرا لغيره ..

٤ ــ السرقة فى أوقات المجــاعات ليس فيها قطع ، وتدخــل فى باب التعزير ..

٥ ــ وهناك احوال وظروف ، يراهــا ولىّ الأمر ، ويقدرهــا فى كل من السارق ، والمسروق ، فتكون شبهة يد رابها الحدّ ، فلا يقطع يد السارق ، وإن جاز أن يعزره ..

فقد روى عن اميَّة المخزومى ، رضى الله عنه ، قال : « **اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلص قد اعترف اعترافا كاملا ، ولم يوجد معه ما سرقه ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما إخالك سرقت ! قال : بلى ، فاعاد عليه النبى مرتين أو ثلاثا ، فامر به فقطع ، وجىء به ــ بعد القطع ــ الى النبى ، فقال له : استغفر الله وتب اليه ، فقال : أستغفر الله وأتوب اليه ، فقال نبى الرحمة : اللهم تب عليه ، اللهم تب عليه ، اللهم تب عليه ..** » (بلوغ المرام من ادلة الأحكام ، لابن حجر) .

وقد درأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحد ، عن عبد من مال الصدقة سرق من مال الخمس ــ اى خمس الغنائم ــ وقال الرسول الكريم : « **مال الله ، سرق بعضه بعضا** » (زاد المعاد ، فى هدى خير العباد لابن القيم) .

٦ ــ يجوز لصاحب المال المسروق اذا ضبط السارق أن يعفو عنه ، قبل ان يصل الأمر الى القضاء ، وفى العفو تأديب للسارق ، وإفساح الطريق له الى التوبة ، واستنقاذ نفسه من الهاوية التى تردى فيها .. أما اذا وصل الأمر إلى الحاكم فلا مكان لعفو المسروق منه اذ خرج الأمر من يده وصار الى يد ولى الأمر فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لصفوان بن امية ، وقد جــاءه ليشفع فيمن سرق رداءه ، « **هلا كان ذلك قبل أن تاتينى به ؟** » (بلوغ المرام من ادلة الأحكام ، لابن حجر) .

وهكذا يجتمع فى حد السرقة ، التأديب الزاجر ، مع الرحمة القائمة على الحكمة والعدل ، بما لا يمكن لأى قانون وضعى أن يَمسكِ بهذا الامر طرفيه على هذا النحو ، أو أن يجد شيئا جديدا يضيفه اليه ، مهما اجتهد الباحثون ، ومهما بالغ المصلحون فى تحرى المصلحة العامة للمجتمع ، ودفع عوارض التصــدع لبنيانه ، ورد عوادى الشر عن اهله .. وفى مسيرة الأيام ، وفى مجرى احداثها ، ما يكشف .. ان عاجلا أو آجلا .. عن الصدق المطلق ، لكل آية من آيات الكتاب الكريم ، ولكل كلمة من كلماته ، وكل حرف من حروفه ، وأنه منزل من عــالم الحق ، « **لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميــد** » (٤٢ : فصلت) .

هذا ، والى عدد تال ان شاء الله ، لنلتقى بالحد الشرعى لشارب الخمر ، وبالله العون والتوفيق .

حول قياس الزمن

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

نبذة تاريخية :

قاس الانسان منذ القدم الزمن ، واستخدم فى سبيل ذلك ظواهر طبيعية تتكرر بانتظام مثل تعاقب الليل والنهار ، ومثل اوجه القمر ، وتعاقب الفصول .. وعلى هذا الاساس استنبط عدة وحدات هى اليوم والشهر والسنة .. وهى على التوالى ناجمة عن دوران الارض حول محورها ، ودوران القمر حول الارض ، ثم دوران الارض حول الشمس ..

وفى الحقيقة اختلف تعريف السنة باختلاف طريقة قياسها عند مختلف الشعوب . فهناك سنون قمرية ، وأخرى شمسية . وهناك أيضا تقويم الشرق الاوسط السريانى وهو شمسى وضعه فى الأصل احد قواد الاسكندر الاكبر ثم صحح حديثا ليساير التقويم الميلادى الجريجورى .

وتعرف السنة القمرية بأنها المدة التى خلالها يكمل القمر دورته الشهرية المعروفة اثنتى عشرة مرة ، ومقدارها ٣٥٤ ٢٦٦/١٠٠٠ يوما .

والتقويم الهجرى أو الاسلامى يقوم على اساس الشهور القمرية ، كما أمر بذلك سيدنا عمر بن الخطاب . وهى : محرم — صفر — ربيع الأول — ربيع الثانى — جمادى الأولى — جمادى الآخرة — رجب — شعبان — رمضان — شوال — ذو القعدة — ذو الحجة .

ومما هو جدير بالذكر انه يمكن تحديد هذه الشهور برصد اوجه القمر فى السماء وهى تمر تباعا أمام انظارنا .

أما التقويم الشمسى فأساسه السنة التى تستغرقها الارض فى سبحها من حول الشمس لكى تعود الى نفس الوضع الذى كانت عليه فى السنة السابقة . وكان المفهوم عند الأقدمين أن تلك السنة تساوى ٣٦٥ر٢٥٠ يوما على التمام ، الا انه اتضح أن السنة الشمسية قوامها ٣٦٥ر٢٤٢ يوما بدلا من ٣٦٥ر٢٥٠ يوما ، أى بفرق قدره نحو ١١ دقيقة فى السنة .

ولما كانت السنة الميلادية هى سنة شمسية تبدأ من ميلاد عيسى عليه السلام ، فقد نجم عن هذا الفرق الذى يساوى ١١ دقيقة فى السنة ، انه فى عام ١٥٨٢ ميلادية ، فى عهد البابا جريجور الثالث عشر ، أن تراكمت

وتوحيد المطالع

فترة زمنية قدرها عشرة ايام . ولذلك أصدر البابا قرارا بجعل ٥ اكتوبر عام ١٥٨٢ ميلادية هو يوم ١٥ اكتوبر ، وذلك هو أساس الحساب الجريجورى للشهور : يناير ــ فبراير ــ مارس ــ ابريل ــ مايو ــ يونيو ــ يوليو ــ اغسطس ــ سبتمبر ــ أكتوبر ــ نوفمبر ــ ديسمبر .

وبطبيعة الحال لا تمثل هذه الشهور اشارات واضحة فى السماء مثل اوجه القمر التى تحدد معالم الشهور القمرية ، ولكن جرى العرف على تقسيم السنة الشمسية الى ١٢ شهرا .

وحدث ان جاء العرب الى رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم وسألوه عن سر اوجه القمر ، أو الأهلة وتزايدها الى البدر ثم تناقصها الى المحاق . فلفت القرآن انظارهم مشيرا الى ان هذه من ظواهر قياس الزمن ، وقال فى سورة البقرة آية (١٨٩) :

« يسالونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » .

وقال عن هلال شهر رمضان فى سورة البقرة آية (١٨٥) :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وكان من عادة المسلمين تحريم الحرب والقتال خلال الاشهر الحرم : وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم فى سورة المائدة آية (٢) :

« يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » .

والاشهر الحرام هى : محرم ــ رجب ــ ذو القعدة ــ ذو الحجة .

قياس الزمن :

يقاس الزمن عن طريق التكرار المنتظم لبعض ظواهر الطبيعة . والظاهرة المثلى التى تؤدى هذا الغرض هى ظاهرة دوران الارض حول محورها . ولقد استغل الانسان تلك الظاهرة منذ القدم فى حساب الزمن كما قلنا .

ويعتبر الفلكيون الفترة المحصورة بين عبورين متتاليين لنقطة بالذات على الكرة الارضية هى اليوم النجمى ويساوى ٢٤ ساعة على التمام الا نحو ٤ دقائق .

أما نحن فى حياتنا العادية فاننا نستخدم اليوم الشمسى . والمقصود به الفترة من الزمن اللازمة لعبورين متتاليين لشـــــمس متوسطة على خط الزوال ، وقد قسم الى ٢٤ ساعة . ولكن الشمس الحقيقية تارة تبدر وتارة تؤخر بسبب عدم انتظام او عدم تســـاوى سرعة دوران الارض من حول الشمس ، كما أن مستوى المدار يميل على مستوى الاستواء السماوى .

ويختلف اليوم المدنى باختلاف البلاد ، الا انه يبدأ من منتصف الليل ، بينما يعتبر الفلكيون أول اليوم هو عندما تمر الشمس بخط الزوال ، أى عند الظهر الحقيقى ، بينما يبدأ اليوم عند المسلمين من لحظة غروب الشمس .

ويقسم اليوم المدنى الى ٢٤ ساعة . واستخدم الأقدمون الساعات المائية والساعات الرملية فى قياس الزمن طوال اليوم . والساعة المائية او الرملية هي ببساطة عبارة عن وعاء خاص يوضع فيه الماء أو الرمل وله ثقب صغير فى أسفله يتسرب منه الماء أو الرمل بمعدل ثابت ، بحيث أن ما ينساب منه فى فترات متساوية يكون متساويا كذلك .

أما المزاول الشمسية فهى ايضا فى ابسط صورها عبارة عن عمود راسى أو شاخص يعرض لأشعة الشمس بحيث يبين طول الظل المدود لهذا العمود ساعات النهار فى أى مكان . وعندما يصل طول الظل اقل قيمة له تكون الشمس بطبيعة الحال فى الزوال أو تمر على خط الزوال وهو منتصف النهار . ولا يكون طول الظل صفرا الا فى حالات تعامد الشـــمس فوق الرؤوس ، أى مرورها بسمت الراس . وهذه الحالة لا تتوافر الا اذا كان المكان بين خطى عرض ٢٣/١‏ ٢ درجة شمالا وجنوبا ، وتشاهد مرتين فى العام اثناء حركة الشمس الظاهرة تجاه الشمال والجنوب .

واستخدم العرب المزاول الشمسية ، خصوصا الميقاتيون من العرب ، أى الذين اختصوا بتقدير الزمن ، للتعرف على أوقات الصلاة بدقة تامة مثل الخليلى وابن الشاطر وابن يونس المصرى وغيرهم .

وللمزاول الشمسية عدة أشكال ، منها ما هو على هيئة عمود راسى يقام فوق سطح الارض كما قدمنا . ومنها الملمول الذى يتجه نحو القطب الشمالى بزاوية ميل على سطح الارض تساوى خط عرض المكان . ويكون الظل المدود الذى تحدثه أشعة الشمس على سطح الارض خلال حركتهـــا اليومية متحركا حركة منتظمة ويعين الزمن وفقا لتدريجات خاصة على المزولة لساعات النهار . ويميل وتر المثلث على الأفق بزاوية تســاوى خط عرض المكان .

والشمس المتوسطة التى سبق أن ذكرناها هى شمس تمشى ظاهريا بسرعة منتظمة حول الارض فى مستوى خط الاستواء . وهذه الشــــمس تضبط تبعا لها الاوقات المدنية ، ويعدل الزمن بعد ذلك فى أى مكان ، ويكون تعديل الزمن هو الفرق بين زمنى الشمس الحقيقية . والشمس المتوسطة أو الخيالية هذه التى نقيس بها الزمن المدنى .

المناطق الزمنية :

تدور الارض حول محورها امام الشمس ، وبذلك يظل نصف منهـا يضيء بضوء النهار بينما يظل النصف الآخر البعيد عن الشمس مظلما ، اى يخيم عليه ظلام الليل .

هذه حقيقة من الحقائق العلمية الثابتة ، والحقيقة الاخرى أن المناطق المنيرة لتعرضها لضوء الشمس تتغير ، وبالمثل تتغير كذلك المناطق المظلمة التي لا تواجه الشمس بمضى الوقت وباستمرار دوران الارض حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة أو كل يوم .

وبديهى أنه عندما ينتصف النهار فى مكان ما على خط طول معين يكون المكان المقابل له تماما على الجانب الآخر أو على خط الطول المقابل للـكرة الارضية فى منتصف الليل .

وواضح أن الزمن أو الوقت من النهار يتدرج على سطح الارض من خط طول الى آخر ، بحيث أن الظهر أو انتصاف النهار فى المكان المختـار يتدرج الى العصر ، فالمغرب ، فالعشاء ، فمنتصف الليل فى المكان المقابل ، فالفجر ، فالصبح ، فالضحى ، ثم الظهر عند نقطة الابتداء .

وليس من السهل أن نضبط ساعاتنا التى معنا كلما انتقلنا من خط طول الى آخر . ولو اننا فعلنا ذلك لوجب أن تسبق الساعات التى فى شرق أى اقليم أو قطر مثيلاتها من الساعات التى فى غرب الاقليم .

ومن أجل توفير الجهد لجأ العلماء الى تقسيم سطح الارض الى ٢٤ منطقة زمنية بعدد ساعات اليوم كما تحددها خطوط الطول . وكل منطقة تتحد فى زمن معين هو الزمن الرئيسى للمنطقة .

والزمن الرئيسى هو الزمن الذى يتبع الشمس فقط عند خط الطول المركزى للمنطقة ، بينما الاماكن التى بالقرب من حدود تلك المنطقة يختلف وقتها الرئيسى عن وقت الشمس بمقدار نحو نصف ســاعة . وبديهى أن مواقيت صلاة الظهر والعصر مثلا انما تحدد بوقت الشـمس فى اى مكان وليس بالوقت الرئيسى .

وعندما نقسم سطح الارض كله على عدد المناطق الزمنية ، نجد أن كل منطقة يخصها ١٥ درجة من خطوط الطول هى خارج قسمة ٣٦٠ درجة على ٢٤ ساعة . ومعنى ذلك أن هناك ازاحة قدرها ساعة كاملة لكل ١٥ درجة من درجات خطوط الطول .

وعندما تم رسم الخرائط الجغرافية الدقيقة لسـطح الارض ، اتخذ العلماء خط طول جرينتش نقطة الابتداء أو الصفر دوليـا . وذلـك فى أواخر القرن التاسع عشر . ونجم عن ذلك أن وقت جرينتش صار يعرف باسم متوسط الزمن فى جرينتش .

وتقع الدول الصغيرة مثل مصر داخل منطقة زمنية واحدة . ولكن يتغير ذلك فى الاقطار الكبيرة ذات المساحات الواسـعة ، مثل الولايات المتحدة

الروسية ، أو الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يمكن أن يضم القطر الواحد اكثر من عشرة مناطق زمنية . وقد عملت محاولات لادخال عدة دول داخل ارتباط زمنى وثيق . فمثلا أيرلنده تدخل فى نفس المنطقة الزمنية لبريطانيا .

كما يجب أن تلاحظ أنك اذا كنت مسافرا نحو الغرب فعليك أن تؤخر ساعتك من وقت الى آخر ، أما اذا كنت مسافرا تجاه الشرق فيلزمك تقديم الساعة . .

وعندما تكون أوربا فى منتصف الليل حيث انتهى يوم الجمعة مثلا وبدأ يوم السبت ، تكون أمريكا لا تزال فى يوم الجمعة ، بينما آسيا بدأت يوم السبت فعلا . وعلى ذلك فيوم الجمعة فى نصف الارض يقابله يوم السبت فى النصف الآخر . والخط الذى على طوله يتقابل التاريخان يقع فى منطقة تكاد تكون غير مسكونة من العالم هى المحيط الهادى ، ويجرى الخط بين الاسكا وسيبريا ويعرف باسم خط التاريخ الدولى .

التوقيت الشتوى والتوقيت الصيفى :

يميل محور دوران الارض ومستوى معدل النهار بمقدار ٢٣١/٢ درجة على مستوى مسار الارض حول الشمس الذى تقطعه الارض فى سنة كاملة اى نحو ٣٦٥١/٤ يوما .

ونظرا لميل محور دوران الارض حول نفسها بهذا القدر لا تتعامد اشعة الشمس فعلا على خط الاستواء الا فى يومى ٢١ مارس ثم ٢٢ سبتمبر وعندها يتساوى طول الليل والنهار فى كل الارض .

وفيما بعد ٢١ مارس تبدأ الشمس هجرتها الظاهرية نحو الشمال ، فيزداد طول النهار على طول الليل فى نصف الكرة الشمالى ، حتى تصل الشمس مدار السرطان — أو خط عرض ٢٣١/٢ درجة شمالا — وهو اقصى مدى لهجرة الشمس الظاهرية نحو الشمال ، ويكون ذلك فى ٢١ يونيو حيث يتعامد الاشعاع الشمسى على مدار السرطان . ومن ثم تنتقل الشمس ظاهريا صوب الجنوب حتى تتعامد من جديد على خط الاستواء فى ٢٢ سبتمبر ، ثم تستمر فى السير جنوبا حتى تبلغ مدار الجدى — اى خط عرض ٢٣١/٢ درجة جنوبا — فى ٢٢ ديسمبر ، ومن ثم ترجع مرة اخرى وهكذا .

وتبعا لهذا يتغير طول النهار من فصل الى آخر ، فهو فى القاهرة نحو ١٤ ساعة فى الصيف ونحو ١٠ ساعات فى الشتاء . ويصل طول النهار عند خط عرض ٤٠ درجة الى نحو ١٥ ساعة فى الصيف ، وعند خط عرض ٦٦ درجة الى نحو ٢٫٤ شهرا ، وعند الدائرة القطبية ستة شهور .

وينعدم الاشعاع الشمسى عند القطب الشمالى خلال الفترة الممتدة من ٢٣ سبتمبر الى ٢١ مارس ، لأن الشمس لا تشرق هناك خلال تلك الفترة من الزمن . ويكون الاشعاع ظاهرا فى المدة الواقعة بين ٢١ مارس و ٢٢ سبتمبر . وعلى الرغم من وجود هذا الاشعاع فان درجة الحرارة عند القطب تستمر تحت نقطة الجليد طوال الصيف بسبب عظم ميل الأشعة على سطح الارض .

وما التوقيت الشتوى والصيفى الا محاولة او حيلة يتذرع بها الانسان فى محاولة عمل التوازن بين طول النهار فى الشتاء وطوله فى الصيف .

ولا تتبع الارض فى مسارها من حول الشمس دائرة كاملة بل انها تنطلق سابحة فى مسار على هيئة دائرة مستطيلة ، أو ما يسمى علميا باسم القطع الناقص . وعلى ذلك فان المسافة بين الارض والشمس تتغير بصفة مستمرة فتكون فى يناير (قلب الشتاء عندنا) نحو ١٤٧ مليون كيلو مترا ، كما تكون فى شهر يوليو (قلب الصيف عندنا) نحو ١٥٢ مليون كيلو مترا ، اى بزيادة قدرها نحو ٥ مليون كيلو مترا .

وعلى الرغم من أن الارض تكون فى الشتاء اقرب الى الشمس فى الصيف ، فان درجة حرارة نصف الكرة الشمالى تكون اقل بسبب عظم ميل اشعة الشمس فى الشتاء .

وما من شك أن محاولة عمل توازن بين ساعات الليل والنهار فى كل من الشتاء والصيف له فوائد جمة ، أولها استغلال الوقت للعمل المنتج المثمر . وقديما قيل : « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » . أما مواقيت الصلاة والعبادات فلا دخل لها بهذا التوقيت .

حول توحيد المطالع :

فى ضوء محاولات توحيد المطالع يراعى ما يلى :

١ ـ أن الرؤية* عسيرة جدا ، لأن الهلال يكون قريبا من الافق واستضاءته لا تختلف كثيرا عن درجة استضاءة السماء ، كما أن الضوء المنعكس منه يقطع من الافق مسافات طويلة خلال الغلاف الجوى والعين يعتريها التعب عند مشاهدة هذا الجرم وتلك المواقع .

٢ ـ ظاهرة الميلاد للهلال الجديد . أى عندما يكون القمر فى الاجتماع مع الشمس (الاقتران) ، ظاهرة عالمية ويمكن تحديد مواقيتها بدقة عالية عدة سنوات مقبلة .

٣ ـ ظاهرة غروب الشمس أو القمر ظاهرة محلية تختلف باختلاف الآفاق . والمقارنة بين ظاهرة عالمية وظاهرة محلية تتطلب أولا أن تكون الظاهرتان على نسق واحد . فمن ناحية الغروب اما أن نحدد المكان أو نرتفع بالظاهرة المحلية الى مستوى الظاهرة العالمية باستخدام جميع الآفاق على سطح الارض . وقد يكون ذلك غير سهل أو غير ميسور .

٤ ـ اذا ما تحدد المرجع : الدار البيضاء ـ القاهرة ـ أو مكة .. فالافضل أن تكون الدار البيضاء لانها أقصى البلاد الاسلامية غربا ومن ثم يكون التصحيح الناتج من الرصد أقل قيمة ، بمعنى أنه اذا شوهد الهلال فى الشرق فانه يشاهد حتما فى الغرب .

٥ ـ من خلال التجارب الطويلة تبين أن سائر الدول الاسلامية تحدد أوائل الشهور العربية عند أقرب غروب للشمس من مواعيد ميلاد الهلال .

٦ ـ اذا تم ميلاد الهلال الجديد نهارا وكان عمره عند غروب الشمس

---

* يعنى الرصد بالعين المجردة أو بالمناظير الفلكية كما هو مالوف ومعروف .

وراء الافق حوالى ١٤ ساعة فان رؤيته تكون ممكنة لأن مكثه بعد الغروب يستغرق اكثر من ١٢ دقيقة ويمكن رؤيته .

٧ — اذا تم ميلاد الهلال الجديد بعد غروب الشمس فان رؤيته قد تكون ممكنة فى أقصى الآفاق غربا لأنه قد يبلغ عمره حوالى بضع ساعات عند الغروب فى تلك الآفاق .

٨ — لكى نتمكن من توحيد أول شهر الصيام مثلا يجدر بنا أولا ان نصل الى اتفاق مع سائر الدول الاسلامية على الطريقة المثلى التى يمكن أن نتبعها من أجل تحديد مولد هلال هذا الشهر ، وكذلك معنى كلمة (شهد) وهل يمكن ان يتم المعنى باستخدام قوى العقل والعلم .

٩ — اذا تم الاتفاق على الطريقة يصبح من السهل علينا توحيد كل المواقيت ، شأنها فى ذلك شأن الحج .

١٠ — الحساب الفلكى يتضمن المشاهدة باستخدام قوى العقل ، وهو من الطرق المثلى التى لا يتطرق اليها الشك . فالهلال انما يولد فى لحظة واحدة بالنسبة لسطح الارض كله ، ويمكن حساب مدة مكثه فوق الافق بعد الغروب فى كل بلد . ويمكن أن يضع جمهور علماء الدين ما يحلو لهم من شروط فى هذا الصدد ، حتى اذا ما استقر الرأى ، وسويت الخلافات ، وأجيبت الاسئلة ، ودرست كل الاوضاع ، أمكن فى ضوء ذلك كله توحيد المطالع .

الشهر القمرى :

يتم القمر دورة كاملة حول الارض فى ٢٩ يوما ، ١٢ ساعة ، ٤٤ دقيقة ، ٢٫٨ ثانية وهى طول الشهر العربى على التمام . ولكن باستخدام أيام صحيحة (كما هو متبع) نقول أن هناك شهرا طوله ٣٠ يوما وآخر طوله ٢٩ يوما بصفة عامة وذلك للتخلص من الكسور . ولا يلزم أن يكون الترتيب هو ٣٠ ثم ٢٩ يوما على التوالى ، بل قد تتوالى الشهور المتساوية الأيام . وتكمل كسور الثوانى فى الشهر القمرى يوما واحدا فقط كل ٢٥٠٠ سنة .

وعلى أية حال نجد ان متوسط طول السنة القمرية هو ٣٥٤ يوما (يعنى ٢٩٫٥ × ١٢) مع فرق قدره ١١ يوما كل ٣٠ سنة ، بحيث تصبح القاعدة العامة هى : كل ٣٠ سنة تمر ١٩ سنة بسيطة عدد أيام كل منها ٣٥٤ يوما (أى بفرق نحو ١١ يوما عن السنة الشمسية) و ١١ سنة كبيسة عدد أيام السنة منها ٣٥٥ يوما (أى بفرق نحو ١٠ أيام فقط عن السنة الشمسية) .

وعلى هذا النحو يكون مجموع فروق الأيام كل ٣٠ سنة هو ١٩ × ١١ + ١١ × ١٠ = ٣١٩ يوما ، يضاف اليها ٧½ يوما لأن السنة الشمسية هى كما نعرف نحو ٣٦٥٫٢٤٢ يوما . وبذلك يكون مجموع الفروق كلها هو ٣٢٦٫٥ يوما .

وعندما نستخدم هذا الحساب الدقيق الى حد كبير فى تحويل ٣٠٠ سنة شمسية الى سنين عربية اســـلامية نجد أنها تزيد بمقدار ٣٢٦٥ يوما فى الحساب . وهذا القدر يعادل بالسنين العربية الصحيحة ٩ سنوات كاملات باستثناء بعض الشهور ، مما يلقى الضوء على التعليق العلمى (بالحساب الفلكى السليم) على قول الله عز وجل فى سورة الكهف الآية (٢٥) :

« ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا » .

فهل كان الرسول الكريم فلكيا بارعا وحاسبا للتقاويم .. ؟ انها بحق رسالة الخالق العليم ..

الكسوف والخسوف :

لما كنا بصدد استخدام الشـــمس والقمر فى تقدير الزمن ، نرى أنه لا مناص من التعليق على ظاهرتين كونيتين تلازمان الشمس والقمر وتعرفان على الترتيب باسم الكسوف والخسوف .

فالمعروف أن الشمس هى مصـــــدر الطاقات والنور فى مجموعتنا الشمسية كلها ، وأن القمر يدور حول الارض فيجىء بينها وبين الشمس تارة (المحاق) ثم تجىء الارض بينه وبين الشمس تارة أخرى . والمفروض أن ذلك يحدث كل شهر عربى .

فاذا جاء القمر بين الشمس والارض يصير من المحتمل أنه يحجب ضوء الشمس عن الارض ويحدث ذلك فعلا فى حالة تواجد الاجرام الثلاثة على خط مستقيم . وتسمى الظاهرة باسم الكسوف حيث يدخل جزء من سطح الارض مخروط ظل القمر ويكون الجزء المعتم من قرص الشمس هو سطح القمر المظلم الذى يواجه الارض فى ذلك الوضع .

ونظرا لصغر حجم القمر فان مخروط ظله يكون صغيرا نسبيا بحيث أن اتساعه عند سطح الارض لا يتعدى ٦٩ ميلا فقط . وعلى هذا النحو لا يكون الكسوف كليا الا على مساحة من سطح الارض لا يتعدى ٦٩ ميلا . وهذا من لطف الله بنا ورحمته ، لأن الطاقة الشمسية هى أساس الحياة ومصـــدر الطاقات كلها على الارض ، ولو أنها احتجبت عن سطح الارض كله دقيقـــة واحدة لحدثت تطورات واضطرابات فى الجو لا تستقيم معها الحياة .

ويختزن النبات طاقة الشمس على هيئة كربون يســـتخدمه فى بناء اجسامه (الخشب) وفى عمل الســـكر والنشا والزيوت .. وما الفحم الحجرى وما البترول الا طاقات شمسية مدخرة بطريقة كيميائية تمت فى القدم أثناء عصور الارض الجيولوجية .

وأما مخروط ظل الارض فهو كبير نسبيا يبلغ طول قطره على مدى فلك القمر نحو ٥٦٩٠ ميلا ، أى أكثر من ضعف قطر القمر البالغ ٢١٦٠

ميلا . وعلى ذلك فمن الممكن ان يدخل القمر كله مخروط ظل الارض وعندئذ يستطيع كل من على الارض ممن اكتمل عندهم القمر بدرا أن يرى الخسوف الكلى للقمر . وهذا بخلاف كسوف الشمس الكلى الذى لا يمكن أن يرى الا من على مساحة طبيعية امتدادها ٦٩ ميلا فقط كما قدمنا .

ويسأل البعض : اذا كان الامر كذلك فلمــاذا لا يحدث الكســوف والخسوف كل شهر .. ؟

واجابة السؤال أنه لا يحدث الاقتران أو تواجد الأجرام الثــلاثة على استقامة واحدة كل شهر بسبب ميل فلك القمر على فلك الارض .

وثمة حقيقة أخرى فلكية فحواها أن الخسوف يشاهد أكثر من الكسوف لأن مخروط ظل الارض أكبر بكثير من مخروط ظل القمر ، مما يزيد من فرصة حدوث الخسوف بطبيعة الحال .

وليس للخسوف من اهمية تذكر بالنسبة للكسوف ، وذلك لأن خسوف القمر هو مجرد ظاهرة فلكية ، أما كسوف الشمس فتتبعه حتما ظواهر أخرى بسبب احتجاب اشعة الشمس وانقطاع ورود طاقاتها على الوجه الاكمل .

ومن أروع ما يرصد فى حالة الكسوف الكلى أكليل الشمس أو التاج الذى يغلفها ويمتد عبر الفضاء بشكل رائع . ولكن هذا الاكليل لا يمتــد عبر مسافات متساوية من حول الشمس . ولعل السر فى ذلك تأثيرات مدار الشمس المغناطيسية .

ومن أروع ما قد يشاهد أثناء الكسوف الكلى شواظ الشمس ، وهى السنة من غاز الايدروجين المستعر تنساب عبر الفضاء فى أكداس مذهلة . والشـــــمس كما نعلم عبارة عن قنبلة ايدروجينية على حد تعبيرنا العلمى الحديث ، وهى تمثل مواقد الطبيعة التى تمد الكواكب بالطاقة .

ومن أكبر صفات شمسنا أنها نجم متزن يعطى قدرا ثابتا من الطاقة ، لا يتغير على مدى الاجيال الجيولوجية وان تغير فى حدود ضيقة من شهر الى آخر بالزيادة والنقصان .

وثبوت الطاقة الشمسية واتزان قدرها هو سر نشوء الحياة وتطورها وازدهارها على الارض . ولولا ذلك لما أمكن قيام حياة على كوكبنا . فلو تصورنا مثلا أن طاقة الشمس تتناقص بحيث تنخفض درجة حرارة الارض بمقدار جزء من مائة جزء من الدرجة فى العام الواحد ، فان معنى ذلك أن درجة الحرارة خلال ٤ آلاف سنة (منذ عهد بناء الهرم مثلا) انما تنخفض بمقدار ٤٠ درجة وهو أمر مستبعد ولم يحدث .

ومعنى ذلك ان قيام الحياة على الارض يطلب استعدادات عظمى فى السماء مصداقا لقوله تعالى فى سورة غافر (الآية ٥٧) :

« لخلق الســـموات والارض أكبر من خلق النـــاس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

٣

العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق

ليس في الإسلام مكان للعلمانيّة

للدكتور محمد البهى

الاسلام وموقفه من العلمانية :

أما موقف الاسلام فهو ضد العلمانية بأى من المفهومين ، لأنه :

أولا : ـ يوم أن شدد فى دعوته على « التوحيد » ومقاومة « الشرك » فى العبادة ... قصد الى رفع الازدواج والثنائية فى تحديد مصير الانسان ، وفى توجيهه ، والى المساواة ـ فيما عدا الله ـ بين الناس . فليس بينهم معصوم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغ ما أمر بتبليغه الى الناس . والجميع بعد ذلك سواء فى جواز الخطأ والصواب فى تفكيرهم ، وسلوكهم ، وتصرفاتهم .

ومعنى ذلك : أنه ليست هناك حكومة الهية من مجموعة من الناس أيا كان

اخلاصهم فى العبادة لله ، وأيا كانت منزلتهم منه ، اذا اخذت بتعاليم القرآن واتبعت مبادئه فى سياستها . فهى حكومة انسانية وتظل حكومة انسانية تخضع للخطأ والصواب . ولذا — عند النزاع فى الأمر مع القائمين على شأن الحكومة الاسلامية — فالقرآن يطلب المودة بالنزاع بين الطرفين : طرف الحاكمين وطرف المحكومين .. الى كتاب الله وسنة رسوله التى تعبر عنه ، توضيحا أو تطبيقا ، يقول الله تعالى : ((**ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس : أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا**)) (النساء ٥٨ ، ٥٩) .. فهنا يأمر القرآن المؤمنين جميعا من : أولى الأمر وغيرهم بأربعة مبادىء :

أولا : — بأداء الامانات الى اهلها . وفى مقدمتها أداء صاحب الولاية العامة أمانة ولايته ، لمن يولى عليهم . وبالأخص العمل طبقا لما جاء فى كتاب الله ، وسنة رسوله .

ثانيا : — بمباشرة العدل فى الحكم والقضاء بين الاطراف المعنية فى الخصومة .

ثالثا : — بالطاعة لما لله من قوانين ومبادىء فى صورة : أوامر ، أو نواهى ، أو وصايا ، طبقا لما جاء فى كتابه ، وفى سنة رسوله : قولا ، وعملا .

رابعا : — بالاحتكام الى ما لله فى القرآن وسنة الرسول من مبادىء واحكام وتطبيق عملى ، عند التنازع بينهم وبين أولى الأمر منهم .

... فطلب القرآن رجوع المؤمنين جميعا الى ما لله فى الكتاب والسنة ، ما بين ولى أمر ، ومن عداه فى الجماعة .. يوضح فى غير ابهام : ان أصحاب الحكم والولاية العامة فى الجماعة المؤمنة لا يرتفع مستواهم الى « العصمة » عن الخطأ . وانما يجوز عليهم الخطأ كما يجوز عليهم الصواب ، فى الشئون الدنيوية . لأن تبليغ الوحى معصوم عن الخطأ . وقد عاتب القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم عتابا قاسيا على موافقته فى سياسة الحرب مع الأعداء الماديين الملحدين .. على رأى أبى بكر رضى الله عنه ، اذ يوجه اليه القول فيما تسجله هاتان الآيتان : ((**ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن** (أى يتثبت ويقوى) **فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا** (وهو مال الفداء) **والله يريد الآخرة** (أى ثوابها لكم) ، **والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضاء من الله سبق بالعفو) **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم**)) (الانفال ٦٧ ، ٦٨) .. فقد كان الرأى فى معاملة أسرى (بدر) بين اطلاق سراحهم بفدية مالية — والمؤمنون يومئذ كانوا فى حاجة ماسة الى المال — أو قتلهم تنقيصا لعدد الأعداء ، وارهابا لهم من الاقدام على مهاجمة المؤمنين ومحاولة اذلالهم والتأليب عليهم ، والمؤمنون يومئذ كذلك كانوا قلة ، ولقلتهم كانوا مستضعفين . وأشار أبو بكر بالرأى الأول ووافقه عليه الرسول . بينما أشار عمر بالرأى الثانى . وعندما نزل الوحى بهذا العتاب كجزء لا ينفصل من كتاب الله .. ظهر أن الصواب فى وضع المؤمنين القائم اذ ذاك .. كان فى جانب عمر . ومعنى ذلك : أن أبا بكر جانبه الصواب فى رأيه .

فهذا المثل من العتاب يدل على أمرين :

أولا : — أن الحاكم فى ظل العمل بالقرآن لا يسلم رأيه من مجانبة الصواب .

وثانيا : — أن مبدأ « الاجتهاد » مبدأ أصيل ورئيسي في الاسلام . وهو ضرورة للانسان بحكم طبيعته التي تخطيء وتصيب ، وتتطور وتتغير . وقد مارسه المؤمنون في وقت مبكر على عهد نزول الوحي الأمر الذي يدل على وضع القرآن للطبيعة الانسانية وضعها الصحيح ، فلا يرتفع بها الى مستوى الألوهية أو العصمة ، ولا يريد لها أن تنزل الى مستوى المادة التي تدفع الى الهوى والشهوة فقط ، كذلك الانسان الذي يبتعد عن هداية الله : **« واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها** (أي جعلناه في مستوى الانسانية الفاضلة) **ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه** (وهذا كناية عن ايثاره الدنو وعدم الرغبة في الارتفاع الى ذلك المستوى الانساني الفاضل) **فمثله كمثل الكلب : ان تحمل عليه يلهث** (أي أن تضطهده وتتبعه يظهر الاعياء والقلق) **أو تتركه يلهث** (أي وكذلك هذا شأنه لو ترك بدون اضطهاد وتتبع فانه يظهر الاعياء والقلق) **ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »** (الاعراف ١٧٦) .

واذا كانت دعوة التوحيد في الألوهية في الاسلام ، تستهدف المساواة — فيما عدا الله — بين الناس في الاعتبار الانساني ، وفي البقاء في المستوى الانساني ، وفي المشاركة في خصائص الانسانية من الصواب والخطأ .. فانه ليس هناك مكان في جماعة المؤمنين ، أو في المجتمع الاسلامي ، لنزاع حول السلطة يقع على أساس : أن بعض المجموعات في المجتمع يتميز عن المجموعات الآخرى على أساس غير انساني . فهذه مجموعة لها : قداسة ، ولقولها : عصمة .. وهذه مجموعة أو مجموعات أخرى ليست لها : قداسة ، وليست لأقوالها : عصمة ، كما هو تصوير مبعث النزاع بين الكنيسة والدولة في الفكر الاوروبي .

كذلك : دعوة القرآن : الى أن الدنيا دار اختبار وابتلاء ، وأنها مرحلة أولى تسبق مرحلة الآخرة .. لا تعني اطلاقا : « شرية » هذه الدنيا ، ولا « الانصراف » عن متعها وزينتها ، ومن ثم لا تعني أن الاشتغال بها أمر قليل الشأن في ذاته ، وأقل شأنا من الاشتغال بدين الله .

ان أبا بكر رضي الله عنه — وله حظه في الاسلام وفي الدعوة الى دين الله — كان يباشر أمرا من أمور الدنيا ، وهو التجارة .. حتى بعد أن ولى أمر الخلافة أراد الاستمرار في النزول الى الأسواق ومباشرة تجارته ، حتى لقيه عمر رضي الله عنه ونصحه بالاعراض عن ذلك ، مادام هو في شغل بأمر المسلمين . ثم جمع الصحابة وسألهم أن يقرروا له في بيت المال ما يسد حاجته فقرروا له ما يكفيه وأسرته .. فلو أن التجارة مثلا كشأن من شئون الدنيا شر أو أمر بخس في نظرة الاسلام الى الدنيا لما اقبل عليها مسلم له قدم راسخة في الاسلام كأبي بكر رضي الله عنه ، واتخذ منها مصدر رزقه ومعيشة أسرته ، فضلا عن أن يرغب في الاستمرار في ممارستها بعد أن ولى أمر المسلمين .

واستنكار القرآن لتحريم زينة الدنيا ، وتأكيده — بعد هذا الاستنكار — حل ما في الدنيا من طيبات من الرزق وزينة فيها للانسان ، في قول الله تعالى : **« قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربي الفواحش : ما ظهر منها وما بطن ، والإثم ، والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »** (الأعراف ٣٢ ، ٣٣) .. هذا ، وذاك : يدل على أن المتع المادية ليست

شرا ، وأن المادة ليست بخسة يجب تجنبها أو على الأقل يجب أن ينظر اليها فى احتقار وازدراء ، كما ينظر لمن يباشر العمل فيها بنظرة أقل . وما أعلنته الآية الثانية هنا من محرمات أخرى فى مقابلها ، وهى ارتكاب المنكرات ، والظلم ، والانحراف ، والشرك بالله ، والاختلاق فيما يوصف به — وهى أمور معنوية ترتبط بالسلوك ، والتصرف ، والاعتقاد للانسان — يؤيد : أن ماديات الحياة الدنيا فى وضع سائغ ومقبول يحمل على استحسانها والرضاء بها والسعى اليها من الانسان نفسه . ولقد طالب القرآن نفسه : أن لا يكون أداء العبادة عاملا على تجاهل الدنيا وعدم الحركة فيها لتحصيل الرزق كما لا يكون السعى فى الدنيا شاغلا عن أداء العبادة فيقول : ((**يا أيها الذين آمنوا : اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**)) (الجمعة ٢٩) .

فأداء العبادة له منزلته فى الاسلام ، وأداء السعى فى تحصيل متع الحياة له منزلته فى الاسلام كذلك . لانه اذا كانت العبادة تحمل على استقامة الاسلوب فى تحصيل متع الحياة ، فان تحصيل هذه المتع بسعى الانسان يعين بدوره على الاستمرار فى العبادة .

والشىء الذى يحول الاسلام دونه عند تحصيل متع الحياة هو الاسراف فى الاستمتاع بها . لانه يترتب عليه : اما منع الآخرين من حقهم فى الحياة ، واما الاساءة الى الذات نفسها بكثرة ما تستمتع به ، يقول الله : ((**يا بنى آدم ! خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين**)) (الأعراف ٣١) .. فينهى عن المبالغة فى الاستمتاع بالأكل والشرب ، اى بمتع الحياة الدنيا ، ولكنه لا ينهى عن تحصيلها واصل الاستمتاع بها .

وتقدير الدنيا فى — نظر الاسلام — على أن متعها أمر مرغوب فيه لا يجعل شئونها فى سياسة الدولة أمرا بخسا . وبالتالى لا يكون للعلمانية بمعنى التنافس على السلطة لمجموعتين مختلفتين فى الاعتبار ، وفى شأنين غير متساويين فى التقدير — كما هو مفهوم العلمانية فى مرحلتها الأولى — مكان فى الاسلام . فمشكل التنافس فالخصومة بين المتنافسين غير قائم وغير وارد أصلا فى الاسلام . وطالما لا يرد مشكل فى نظامه ، فليس لحله كذلك موضوع فيه .

* وثانيا : — يوم أن وجه الاسلام دعوته الى أهل الكتاب بقوله : ((**قل : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون**)) (آل عمران ٦٤) .. فطلب اليهم الاتفاق على احتفاظ الانسان بسيادته وكرامته ، وذلك بأن لا يعبد الانسان سوى الله وحده .. فلا يعبد الطبيعة وما فيها من كائنات ، ولا يعبد انسانا : فردا ، أو ممثلا لجماعة، **كمجتمع ، او دولة ، أو حزب .. يوم أن ناداهم على الاتفاق على هذا المبدأ ، لم يكن مستأثرا وحده بالسلطة ، كما لم يكن مهينا للبشرية ولا مستذلا للانسان .**

ان دعوة عدم الشرك بالله . ان دعوة عدم تأليه الطبيعة .. ان دعوة عدم خضوع الانسان للانسان : الشخصى أو المعنوى ، فى تواضع العابد ومذلته .. هى دعوة لابعاد الانسان عن مصدر المذلة ، وللاحتفاظ بالمساواة فى الاعتبار البشرى . واذا عبد الانسان الله وحده فانما يتقرب بعبادته اياه الى محاكاة قيم عليا تصوّر صفاته جلّ شأنه ، وهى صفات الكمال ، فى العلم ، والخلق ، والقدرة ، والحياة والتدبير ، والارادة ، والغنى بالذات .. الى آخر صفاته التى

يتحدث عنها القرآن الكريم . ومن شأن محاكاة مثل هذه القيم العليا فى ذات الانسان العابد لله وحده .. تأكد سموّه الانسانى واعتباره البشرى .

وبتوجيه الدعوة الى أهل الكتاب — على هذا النحو — ليكونوا على قدم المساواة مع المسلمين فى المحافظة على البشرية من الاهانة والمذلة ، وفى ممارسة حق الاعتبار الانسانى فى غير خشية ولا خوف .. لم يكن الاسلام اذن : ذا نزعة انفرادية فى تولى سلطة ، ولا ذا ميل متطرف للقضاء على معارضة المعارضين .. وبذلك يقضى القرآن فى دعوته على نزعة الاستئثار بالسلطة لفريق من الناس دون فريق آخر . وهى تلك النزعة التى كانت الدافع الى العلمانية فى مرحلتها الثانية ، وهى مرحلة اليسار المتطرف .

* وبعد ذلك : اذا لم يكن فى الاسلام ازدواج فى السلطة ولا ثنائية فى شئون الحياة .. واذا لم يكن الاسلام ذا نزعة استئثارية ، على نحو ما كان يحرك الفكر العلمانى الأوروبى .. فان الاسلام من جانب آخر اذا أقام نظامه للحياة الانسانية على مبادىء عامة ، فان من بين هذه المبادىء : مبدأ « الحراكية » وهو الاجتهاد كما كان يسميه محمد اقبال .

ومبدأ الاجتهاد ، مع مبدأ ختم الرسالة الالهية بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، كما كان يذكر اقبال أيضا : يتيح للانسان المؤمن ممارسة استقلاله فى اطار هذه المبادىء العامة التى جاء بها الاسلام ، للبحث عن ملاءمة الأحداث المتجددة فى حياة الانسان المتطورة . فليس مبدأ الاجتهاد الا تأملا وتفكيرا فى تكييف الوقائع التى لم تقع من قبل ، وليس الا ارجاعها الى مبدأ أو آخر من تلك المبادىء العامة التى تحكم التشريع .

أما ختم الرسالة الالهية ، واعتقاد انتهائها .. فانه يشعر الانسان بمدى استقلاله ، ويحول بينه وبين أن يترقب املاء آخر له فى وقت آخر لاحق . وهو اذ يمارس الآن هذا الاستقلال فى التفكير ، فانه لا يكون مرتبطا الا بتلك المبادىء الموضوعية والعامة ، وهى التى تحدد نظام الحياة للانسان فى جوانبها العديدة : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والمالية ، والأسرية ، والتوجيهية .

١ — فسياسة الحكم فى الاسلام تقوم على : « الشورى » وعلى « الرعاية » وليست على السلطة والتحكم . ففى مبدأ الشورى يقول الله تعالى : ((**فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين**)) (آل عمران ١٥٩) .. ويقول فى صفات المؤمنين : ((**والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون**)) (الشورى ٣٧ ، ٣٩) .. وفى شأن الرعاية يروى الحديث الشريف : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. وكما تحمل الشورى : معنى المساواة فى تبادل الرأى .. تحمل الرعاية : معنى العطف ، وتجنب التحكم بالاولى كذلك .

٢ — والاقتصاد فى الاسلام لا يقف عند حدّ العمل فى الزراعة والتجارة وحدها ، وانما معهما الصناعة .. كما يستفاد من قول الله تعالى : ((**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس**)) (الحديد ٢٥) .. كما تقوم المعاملة فيه على حرية العقد ، والبعد عن الغبن فيه ، ولو مترقبا كالغرر ، وتجنب الاحتكار

.. كما هو مفصل فى فقه المعاملات : التجارية والزراعية .

٣ ــ وفى الجانب الاجتماعى : يفرض « التكافل » كعبادة وقربى الى الله ، بسد حاجة المحتاج ، والوقوف بجانب الغارم فى سبيل مصلحة عامة او تحت ظروف غير ارادية ، وبمعاونة الانسان على استرداد حريته واعتباره البشرى ، كحق طبيعى له ، وبتعويض المدافع عن المثل العليا للمجتمع .. كما جاء فى تحديد مصارف الزكاة .

٤ ــ وفى جانب المال : ينظر الاسلام الى المال فى ملكيته على انها : ملكية خاصة ، وفى منفعته على انها : منفعة عامة ، تأسيسا على مبدأ استخلاف الانسان على ما لله اصلا . والاسلام يختلف بنظرته هذه الى المال ، عن نظرة الرأسمالية التى ترى : أن الملكية الخاصة تستتبع المنفعة الخاصة له .. وكذلك : عن نظرة الاشتراكية فى مفهوم « البلشفية » التى ترى : ان تحقيق المنفعة العامة للمال يستوجب الملكية العامة له ، أى يستوجب الغاء الملكية الخاصة ، فالآية التى تطلب الى المؤمنين الحجر على السفهاء بينهم ، وسحب اموالهم الخاصة من تحت أيديهم فى قول الله تعالى : « **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** (وهى فى الواقع أموال السفهاء الخاصة وتحت أيديهم) **التى جعل الله لكم قياما** (أى جعل للمسلمين جميعا فى هذه الأموال الخاصة ما يقيم حياتهم ومعيشتهم) **وارزقوهم فيها واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا** » (النساء ٥) .. هذه الآية التى تحدد هذا الاجراء فى أموال السفهاء على هذا النحو ، انما تجعل هذا الاجراء خدمة للمصلحة العامة ، وفى الوقت نفسه ، هو : دليل على أن حق من لا يملك المال فى المجتمع الاسلامى هو قائم فعلا : فى منفعة المال لمن يملكه . وكذلك قول الله جل شأنه : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، فهم فيه** (أى فى الرزق الذى هو الآن بأيدى المالكين له) **سواء** (أى فصاحب المال ، ومن لا يملك المال من الاتباع : سواء فى ارتباط منفعة أى منهما بالمال الموجود فعلا بيد مالكه والمفضل فيه عن غيره) **أفبنعمة الله يجحدون** » (النحل ــ ٧١) ؟ (أى اذا لم يؤمن هؤلاء الذين فضلوا فى المال والرزق : بأن الذى يعطونه مما تحت أيديهم من الرزق لأتباعهم الذين لا يملكون شيئا ــ ولا يحق لهم أن يملكوا الآن ، لأن حريتهم فى التملك مسلوبة ــ ليس من رزقهم هم كمفضلين فى الرزق ، وانما هو من حق اتباعهم الذين لا يملكون : فى مالهم هم .. اذا لم يؤمن هؤلاء الذين فضلوا فى المال والرزق بحق أتباعهم فى منفعة أموالهم فانهم عندئذ يكفرون بنعمة الله .. يكفرون أولا بأن المال أصلا هو لله ، ويكفرون ثانيا بمنع الحق عن أن يصل الى صاحبه .. وقول الله هذا : يسرى على سبيل القطع فى منفعة المال بين : من يملكه . ومن لا يملكه على وجه التأكيد .

وتبنّى الاسلام لهذه النظرة فى المال يحول دون التواكل واللامبالاة فى العمل كما يحدث فى الملكية العامة فى النظام البلشفى ، ويحد من الأنانية والاندفاع فى فتنة المال واغرائه على العبث والفساد كما يحدث فى الملكية الخاصة فى النظام الرأسمالى .

٥ ــ وفى الأسرة : يحرص الاسلام على التضامن بين أعضائها :

أولا : ــ عن طريق الشورى ، والرعاية المتبادلة بينهم كمجموعة من المؤمنين لعموم قوله الله : « **وأمرهم شورى بينهم** » ولعموم ما جاء فى الحديث : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

وثانيا : ــ بالتزام القادر من اعضاء الأسرة بنفقة الضعيف فيها : لصغر فى

السن ، أو لشيخوخة فيه ، أو لعجز أو لحائل يحول دون العمل والسعى فى سبيل الرزق .

وثالثا : ــ باسناد أمر التوجيه وتنفيذ ما استقر عليه الأمر الى الرجل كزوج ، أو أب : ((**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**)) (النساء ٣٤) .. فقوامه الرجل : فىارادته فىالتوجيه والتنفيذ معا ، وفى قدرته وطاقته على السعى فى سبيل الرزق والعيش . وهى ارادة وطاقة من طبيعته الخاصة ، التى لم يخلق لها ثديان ، ولا تتعرض طول حياتها للحمل ، والولادة .

والاسلام كدين يفخر بالحفاظ على وحدة الأسرة ، لا لأنه يميل الى النظام القبلى أو هو قائم عليه ــ كما قد يدّعى ــ ولكن لأن وحدة الأسرة هى القوة الأولى فى المجتمع الانسانى : فى تماسكه وبقائه . وفى الوقت الذى تعيب فيه بعض النظم العلمانية على الدين كدين : فان العناية بأمر الوحدة فى الأسرة فى الدين ، وهى وحدة طبيعية .. تسعى الى خلق « وحدة » عوضا عنها من « خلية » جماهيرية لا تعدو الصلة بين أعضائها أن تكون « الدفع » .. الى ما يسمى « بالتلاحم » وهو تلاحم بدنى يبقى ما بقيت القوة فى الدفع نحوه ، ولكنه سرعان ما يتبدد اذا ضعف الدافع والممسك به . لأن الرباط عن طريق « الفكر المادى » يبقى فى حدود الأنانيات ، ويستحيل عليه أن يصهرها فى وحدة جماعية نفسية .

٦ ــ وفى جانب التوجيه : لا يرى الاسلام الاكراه ، ولا ما هو يتنافر مع طبيعة الانسان : من عوامل التوجيه له . انه لا يلزمه بأمر ما . وانما يضع أمامه الدعوة الى مبادئه ، وله مطلق الحرية والمشيئة فى الايمان أو عدم الايمان بها : ((**لا اكراه فى الدين**)) .. ((**ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟**)) .. فان آمن فهو يلتزم من ذاته بما آمن به فى التوجيه ، والسلوك ، والمواقف . فلا يلزمه تتبع البوليس ، ولا ارهاب الأجهزة السرية الأخرى ، ولا سلطة القانون . ولذا فان الدولة فى الاسلام دولة انسانية أخلاقية ، وليست دولة بوليسية .



نظرات معاصرة في الجنين

وتفسير بعض ما جاء من خلق الانسان في القرآن

للدكتور احمد شوكت الشطي

التمهيد :

يتمسك بعض الناس في تفسير آيات القرآن بنصوص ذكرها القدامى تمسكا لا يتناسب مع معارف اليوم ولو أنهم وسعوا آفاق معرفتهم لزاد ايمانهم بأن القرآن والعلم لا يتعارضان . فقد جعل القرآن العلم حيث يكون العقل ، مؤاخيا بينهما مشجعا على دراسة العلوم الطبيعية ومن جملتها علم الجنين ، مبينا انه اذا كان للعلم من أول فماله من آخر بأوجز لفظ واروعه وذلك بقوله تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم (١) » . وعلى هذا الاساس نبدأ بحثنا كما ننهيه بذكر آيات كريمة مخالفين في دلالة بعضها ما قاله عنها المفسرون مع اقرارنا بعظمة فضلهم وسعة علمهم وعمق أبحاثهم ولكنهم في كل حال بشر يخطىء ويصيب وتتبدل مفاهيمه بتبدل الزمان وتتغير آراؤه بتقدم العلم ، بينما يبقى الكلام الالهى الموحى به على قدسيته سرمديا خالدا أبدا .

الابحاث :

١ ـ تفسير الآية الكريمة :

« خلق الانسان من علق (٢) » .

تساءل الناس ومن وراءهم المفسرون عن تفسير الآية الكريمة « **خلق الانسان من علق** » فأجمعوا تقريبا على القول في كلمة العلق انها جمع علقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ وأن الجنين يتكون منها . وفي رأيي ان هذا التفسير لا ينسجم مع الحقيقة وان تفسير كلمة علق بما

يعلق بشدة ينسجم مع الواقع لان الانسان لا يتخلق من دم جامد غليظ ، بل من اندماج خليتين ، احداهما لاقحة أو ملقحة ذكرية الاصل وهى الحيوان المنوى (٣) والثانية لقوح أو ملقحة أنثوية الاصل وهي البييضة ومن تكوينهما خلية واحدة تتكاثر عناصرها فى بوق الرحم ثم تهبط الى الرحم لتعلق بها وبما حولها حتى انها تكون مع الرحم جسما واحدا . نؤيد راينا بما جاء فى اللسان وغيره من كتب اللغة مما يدعم هذا المعنى ، ولعل اكبر دليل لغوى نستطيع أن نقدمه فى صحة ماذهبنا اليه ، مايقوله العامة وما اكد صحته الزمخشرى فى اساس البلاغة بقوله ، علقت المراة حملت ولأن الخلق الجديد يعلق بالرحم علقا شديدا ..

٢ ــ تخلق الانسان وانتقال الصفات بالجينات (٤) .

يتولد الانسان وتنتقل صفاته من السلف الى الخلف وتتعين ذكورته او انوثته بتبدلات كمية وكيفية تقع فى عناصر موجودة فى نوى جميع الخلايا تدعى الصبغيات (٥) لشدة ولعها بالصباغ . ينتصف عدد الصبغيات فى كل من الخليتين المخصبتين : البييضة ، والحيوان المنوى . وبينما تتماثل البييضات فى احتواء كل منها على جنسية أشير اليها بحرف x تختلف الحيوانات المنوية فيحوى نصفها صبغية x والنصف الآخر صبغية Y فاذا اندمج الحيوان المنوى حامل الصبغية x بالبييضة كان الإناث وأما اذا اندمج الحيوان المنوى حامل الصبغية Y بالبييضة كان الإذكار .

وتتركب كل صبغية من جينات وانزيمات مؤلفة من حمض نووية يؤدى تفاعلها الى بروز مظاهر الحياة مما جعل العلماء يؤمنون بان الحياة كمياء وقد دفعهم ذلك الى اصطنـ اع الحمض النووى أملا بالتعرف على سر الحياة فكان الحامض المصاغ مشابها للحامض الطبيعي ولكنه غير مماثل له فصورتهما واحدة ولكن الفرق بينهما كالفارق بين تمثال الشخص العديم الروح وصاحبه الحى الآهل بالروح ، فما هى الروح ؟ ومن الذى وهب الحياة للحامض النووى الطبيعى وهل يمكن للانسان أن ينفخ الروح فى الحامض المصاغ ؟

لقد وضع ابن سينا فى ماهية الروح وخلق الانسان قصيدته المشهورة وفيها أبعد ما يراود فكرة الانسان وأعمق ما يلازم خياله من التساؤلات التى لا تصدر الا عن العقل المتحفز فقد جاء فيها باقوال تحاكى بعض ما سطره شكسبير وشيلى وبراونيغ (٦) .

ولقد وضع ابن شبل البغدادى من أطباء القرن الخامس قصيدة تساءل فيها عن الروح والحياة عزيت الى ابن سينا فاشتهرت له خطأ (٧) .

والواقع أن الانسان فى موضوع الحياة وبعثها ومعرفة اسرارها يتنقل صعدا بين القمم ، فكلما تسلق ذروة من ذرى العلم اتسع افقه وزادت مجاهله ، فاذا انتقل منها الى ذروة اعلى زاد الافق اتساعا وزادت مجاهله عددا وأنواعا . قال عدد كبير من علماء الكيمياء والذرة والحياة فى ذلك أننا كلما أزددنا علما بمظاهر الحياة وتفاعلاتها الكيمياوية زاد جهلنا وقد ذكرتنى هذه الجملة الحكيمة بالحديث الشريف الرائع : « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل » .

وبعد : إن من التصادف أن يكون نوع الذباب المدعو بالهمج ــ دروزفيل ــ أوصلنا الى الجينات وخمائرها وأسرارها وما نعلق على ذلك من آمال جسام فى نواحى طبية وعلمية ا-تماعية عديدة . فهل نستطيع بعد

هذا التقدم كله ان نبعث الحياة فى الحمض النووى المصاغ وأن ننفخ الروح فى الخلايا المزروعة لا بل فى العناصر المركبة للذباب فى المختبر أما الجواب على الشطر الاول من السؤال فان الانسان العالم يعترف بانه أعجز من خلق الحياة فى جناح ذبابة على الرغم من آلاف ملايين الهمج — دروزفيل — التى اجرى اختباره بنجاح عليها فأيقن بعجزه عن خلقها وانه لمن المتوافق العجيب ان يكون تحدى القرآن الكريم فى عجز الانسان عن الخلق متناولا الذباب نفسه وذلك بالقول الكريم : « **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا (٨)** » وأما الجواب على الشطر الثانى فقد جاء فى القول الكريم : « **ويسالونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا (٩)** » .

٣ — زمن نفخ الروح .

هذا ولا بد لنا ونحن نبحث عن خلق الجنين من بيان الزمن الذى تنفخ فيه الروح وما بنى على ذلك من احكام شرعية تتعلق بحل اجهاض الجنين وتحريمه .

لقد وجه الامام الغزالى ومن وافقه على وجود الحياة فى مادة التلقيح الى حرمة اسقاط الحمل منذ بدئه ، بينما نفى بعض العلماء الحياة قبل نفخ الروح فأجازوا الاسقاط حتى الشهر الرابع حيث تنفخ الروح فى الجنين حسب مزاعمهم . والواقع ان الحياة موجودة فى الخلق الجديد منذ التقاء الحيوان المنوى بالبيضة واندماجه فيها ، ولعلهم قصدوا بنفخ الروح فى الجنين مظاهرها الحركية التى تشعر بها الأم فى الشهر الرابع من الحمل .

٤ — قصة الخلق بين واجب الوجود وسر الأسرار .

واجب الوجود وسر الأسرار تعبيران من صميم الفلسفة العربية الاسلامية ومن أروع الآراء فيها يسايران كل تقدم علمى ، لا تبطل الكشوف العلمية صدقهما ، ولا تغير الآراء الجديدة من مفهومهما فى قصة الخلق التى تطورت دعائمه بتطور العلم واختلفت ركائزه بمرور الزمن وتقدم الحضارة العلمية . نظرت الفلسفة الاسلامية فى الانسان الحى فرات فيه جسما وروحا فاعتبرت الجسم واجب الوجود والروح سر الأسرار . غير ان العلم الحديث بحث فى الجسم ليكشف فيه سر الاسرار فكان من تقدم بحثه اكتشاف اجزاء وعناصر ظنوها سر الأسرار ، فاذا بها واجبة الوجود وبقى سر الاسرار غامضا كما كان . وهكذا تتوالى البحوث تنشد سر الأسرار فتتخيل كشفه فترى فيه بعد التعرف عليه واجب الوجود ، فتظل باحثة عن سر الاسرار وهكذا دواليك .

لقد ظن المشرحون الاول ان اتقان التشريح والتعرف على تركيب الاعضاء ميتة يمهد لهم السبيل لمعرفتها حية ويمنحهم قبسا من النور ، يرشدهم الى سر الحياة فتوسعوا فى التشريح ما قدروا عليه فعرفوا ادق تفاصيله واعمق نواحيه فلم يرشدهم ذلك الى اسرار الخلق بل ازدادت الآفاق العلمية وما فيها من اسرار كثيرة أمام اعينهم سعة بدلا من ان تضيق ، ثم جاء اختراع المجهر العادى الذى يكبر عناصر الجسم تكبيرا يفوق الألف وخمسمائة ضعف فكشفوا الخلايا وما فيها من تركيب غريب وما يطرأ عليها من تفاعلات ، كل ما فيها رتيب وعجيب فأدى بهم ذلك الى ان يعتبروا الخلية وحدة اساسية فى الوجود الحى فدرسوها حية وميتة وتوسعوا فى دراستها مرتاحة وفاعلة ومسترخية وعاطلة فزادت معرفتهم بمظاهرها وتطور صورها واختلاف أشكالها فى حياتها ومماتها . ولقد بلغ بهم الأمر ان استنبتوها فزرعوها

وجنوا ثمار زرعهـا محصـولا لـم يزدهم تقدما فى التعرف علـى سر الحياة بل زاد جهلهم تعقيدا فتابعوا البحث حتى كشفوا الصبغيات فظنوها مكمن الحياة ، وما لبثوا أن تبين أن وراءها الف سر وسر فباتوا حيـارى مشدوهين فاخترعوا المجهر الالكترونى الذى يكبر الآلاف من المرات فسلموا له زمام المبادرة فتوسعوا به فـى دراسة الصبغيات وبينوا اختـلاف صورها وقفزها وتبادلها واضطرابها فى استقرارها ومكانها وفى كمهـا وكيفيتها ، ولقد وجدوا فيها الجينات تحركها الانزيمات فتبدى من التفاعلات الكيماوية ما يحير الألباب . والواقع ان الحياة بمظاهرها تفاعلات كيماوية ولكنها ليست كتلك التى تجرى فـى الاوانى والاوعية ، فللأوعية كيمياها وللحياة كيمياها .

ان النظرية الاسلامية التى تربط بين سر الخلق والحياة فيـه بواجب الوجـود وسر الأسرار من أروع النظريات لانها تجعل مما يتصـوره الانسان بتقدمه العلمى سر الاسرار واجب الوجود وتدفعه باستمرار الى البحث عن سر الاسرار ، فاذا ما بدت له معرفته صار واجب الوجود وبقى سر الاسرار غامضا كما كان .

لقد كان ذلك شأنهم مع الخلية بعد ان استنبتها «الكسيس كارل» بمزارع خاصة فتوهم بعد ذلك امكان معرفة سر الحياة فاذا به يكشف ان الخلية التى اكتشف بعض أسرارها لا تفـى بالتعرف على هوية الحياة فأرشـده ذلك الى ان يؤمن بالقدرة الخلاقـة وعظمة الخالق ، فوضع مؤلفـه المشهور الانسان ذلك المجهول(١٠) .

لقد مهدنا الى بحثنا هذا بكـلام سابق عن آخر ما وصل اليه العلم فى خلق جنين الانسان وفى ذكورتـه وأنوثته .

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى (١١)** » . ذكر يمثله الحيـوان المنوى، وانثى تمثلها البييضة كماأشار الى ذلك تلميحا كل من الامام الغزالى وابن القيم وغيرهما مخالفين عن حق الآراء التى كانت سائدة فى زمانهمـا التى كانت تعزو تكون الجنين الـى الرجل وحده بحيوانه المنوى وتهمـل بييضة الأنثىوتعتبرالمرأة بيئة مخصبة يبذر فيها الرجل بذوره لتنبت احداها بشرا سويا . وجاء فى القرآن الكريم أيضا عن الذكر والأنثى ما يدل على اختلاف تخلقهما مما يؤيده العـلم وذلك بقوله تعالى : « **وما خلق الذكر والأنثى**» (١٢)، وقوله تعالى : «**وليس الذكر كالأنثى**(١٣) » . وقوله تعالى : « **فجعـل منـه الزوجين الذكـر والأنثى** (١٤) » . ولقد ذكرت الآيات الكريمة مراحل الخلق اذ جاء فيهـا « **يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجـل مسـمى ثم نخـرجكم طفـلا** (١٥) » .

لقد بينا فى صدر البحث رأينا فى موضوع العلقة وان المقصود بها ما يعلق بشدة لا الدم الغليظ الجامـد كما ذهب اليه المفسرون .

اما المضغة المخلقة التى اختلف فيها المفسرون فهى فى راى ابن الاعرابى كما فى اللسان وما ندعمه الآن انها المضغـة التى بدا خلقها ، وأما غير المخلقة فهى التى لم تصور بعـد . والواقع ان المضغة تمر أولا بمرحلة تكمن فى خلاياها مكونات الاعضـاء كلها ، فهى والحالة هذه مخلقة تتبعها مرحلة ثانية تتخطط فيهـا أرومات الاعضاء تخطيطا يؤدى الى تشابـه مضغة الانسان بمضغة الثدييات حتى تبعد بشكلها عن خلق الانسان بعدا كبيرا ، لذلك نعتت بأنها غير مخلقة اى ناقصة التصوير غير شبيهـة

بالانسان مختلفة عن الخلق التام الذى نعته القرآن الكريم بالخلق السوى كل الاختلاف ، وقد لمح القرآن الكريم الى هذا التطور بالآية الكريمة . ((يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق)) حتى ينشئه خلقا آخر سويا فى أحسن تقويم .

اما الاستقرار فى الرحم فقد نعته القرآن الكريم بالأجل المسمى فمدده بعض المفسرين سنوات عديدة، مع ان المعنى صريح يؤيده العلم وهو عشرة أشهر قمرية ولا مجال لقبول رأى آخر فى يومنا هذا بعد ان أصبح اكتشاف الحمل بالتفاعلات الحيوية منذ اليوم العاشر من وقوعه أمرا أكيدا وثابتا .

هذا ما حفزنا على بحثه أخ كريم رضينا بتكليفه بقلب مفتوح فقدمنا له ما قدمناه مستندين الى ما بلغه العلم اليوم داعين الى عدم الجمود عندما قاله بعض الاقدمين الذى عاد التمسك بأقوالهم غير موائم للقول الحكيم راجين ممن يجد فى كلامنا مجالا للنقد أن يتحفنا به فاننا نرى فى نقده مساهمة فى البحث لذلك نشكره عليه .

---

(١) سورة يوسف آية ١٢ .

(٢) سورة العلق آية ٢ .

(٣) اعتاد المؤلفون العرب تصغير كلمة الحيوان للدلالة على الخلية الملقحة وليس هذا واردا فى رأينا لأن اكثر اللغات لم تستعمل التصغير للدلالة على هذا الحيوان ومنها اللغة الانكليزية حيث ركب اسم هذه الخلية من كلمتين احداهما Spern ومعناها المنى والثانية Zoo ومعناها الحيوان .

(٤) تعبير ماخوذة من كلمة جينان Gennan ومعناها المكون وخير ما يدل عليها بالعربية تعريبها .

(٥) كروموزوم وتتركب من كلمتين كروم ومعناها لون وزوم ومعناها خيط .

(٦) من ذلك قول ابن سينا :
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات توجع
وفيها ما يماثل اقوال شيلى :
هجمت وقد كشف الغطاء فابصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع
كما فيها من الاشارة ما يحاكى اقوال براونيغ :
وتعود عالمة بكل خفية
فى العالمين وخرقها لم يرقع
فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع .

(٧) وقد جاء فيها قوله :
بربك أيها الفلك المدار
اقصد ذا المسير أم اضطرار
وعندك ترفع الارواح أم هل
مع الاجساد يدركها البوار
ومن نفسين فى أخذ ورد
لروح المرء فى الجسم انتشار
فاين عقول ذوى الافهام مما
يراد بنا وأين الاعتبار

(٨) سورة الحج آية ٧٣ .

(٩) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(١٠) لقد توصل فى مداركه المستندة الى البحث والاختبار الى ما توصل اليه المعرى بالتفكير والاعتبار حينما قال مخاطبا الانسان :
أتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

(١١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(١٢) سورة الليل آية ٣ .

(١٣) سورة آل عمران آية ٣٦ .

(١٤) سورة القيامة آية ٣٩ .

(١٥) سورة الحج آية ٥ .

خواطر اسلامية

محمود ذن

للدكتور عماد الدين خليل

— ١ —

مهما قيل فى تبرير (الالحاد) ، **ومهما ادعى من علمية فى اقامته على** اسس مقبولة ، فانه لن يعدو أن يكون **بلادة وغباء .. بلادة فى الاحساس وغباء فى قدرة الفكر على تجاوز** المحسوس والملموس والمنظور ، **والايمان بما وراءها جميعا مما لا تحسه أجهزتنا المحدودة ، ولا تمسه الايدى ، ولا تدركه الأبصار .. بلادة** فى الاحساس الفطرى الأصيل بالقوة المتوحدة التى خلقتنا ورعتنا ، **وستبعثنا ثانية وترعانا ، وغباء فى طاقة البصيرة على تحطيم جدران** النسبيات الزمانية والمكانية والنفاذ **الى المطلق .. ان انسانا لا يدفعه تفكيره فى هندسة الكون المعجزة ،** وتصميم الحياة المذهل على الأرض ، ونسيج الانسان المعقد الفذ المتشابك ، الى الايمان بالمهندس والمصمم والصانع لا يمكن الا أن يكون غبيا .. لأن ايما انسان ذكى لا بد وان يلمح ويدرك ان وراء هذا الاعجاز والدقة والانضباط ارادة لا تدع للصدفة ان تعبث بها او تشلها عن العمل أو تنحرف بها شعرة واحدة عن مساراتها المرسومة فى علم الله .

من أجل ذلك وصم الله الكفار فى كتابه الكريم بأنهم كالأنعام بل هم اضل ذلك ان للأنعام غرائز توجهها وتهديها **فى مضطرب حياتها ونشاطها وبحثها عن اشباع حاجاتها .. أما الانسان فان تنازله عن ملاحية الفكر وذكاء القلب** واتقاد البصيرة سيقوده الى **درك التخبط والضياع ، حيث لا غرائز** او ضوابط تهديه وتحميه من السقوط **الى اسفل سافلين ، هناك حيث يعمى**

البصر وتنطمس البصيرة ويرين الحس الثقيل على السمع فلا يعد يسمع صوتا ، ولا نداء .. وحيث يتلمس الانسان أساليب الهداية والحماية فى الامداء القريبة الملاصقة ، تماما كما تفعل الديدان ، فيركب بعضها بعضا ، ويأكل بعضها بعضا ، ويطوق بعضها بعضا ، ويسد بعضها الطريق على البعض الآخر .. حياة حشرية فى دائرة ضيقة من الأرض ليس فيها اية نافذة يطل منها الانسان الى السماء ، أو يمد بصره الى ما وراء الحفرة حيث النور الوهاج ، والآفاق الفسيحة والطموح الانسانى الذى لا يعرف حدا يقف عنده .

واذا كان مصير كالح كهذا لا يقوده (الغباء) وتحدوه (البلادة) فمن اذن يقود ويحدو ؟ العلم ؟ أم الذكاء ؟ وهل لأحد أن يجرؤ فيدعى أن العلم والذكاء يمكن ان يقودا الانسان الى تلك الحفرة المظلمة التى تعلو عليها وتسمو عوالم الابقار والجمال والاغنام ؟.

لقد قالها العلماء الكبار مرارا وتكرارا .. من أن خطواتهم فى حقول العلوم المختلفة قادتهم دوما الى الاعتقاد الذكى المبصر الخلاق المبدع الذى أعطى كل شىء خلقه ، والذى بدونه لا يمكن أن تقوم للكون العظيم ، ولا لتكييف الحياة على الأرض قائمة لحظة واحدة من زمان مكيف بملايين السنين ؟

ثم .. الا يكون غبيا من يرفض الايمان بأن وراء هذه الفرصة القصيرة فى حياتنا الدنيا وجود أبدى لا آخر له ، ويسعى باختياره البليد الى دائرة التشاؤم والفناء المقفلة حيث يعيش الانسان ويموت ، كما تعيش الحشرات وتموت ، دون أى اعتبار لتميز الانسان وتفرده على سائر المخلوقات ؟

الا انه الغباء بعينه ، يرين بضبابه الكثيف على البصائر والأفئدة والعقول فيهبط بأصحابه الى دركات الضلال .. وصدق الله العظيم عندما يقول **(أولئك كالأنعام ، بل هم اضل !!)** .

— ٢ —

يمكن تعريف (الاسلام) ، باختصار وتركيز بالغين ، بانه : اعادة لصياغة الانسان ووضعه فى مكانه الصحيح من الكون .. الانسان الذى تعرضه حركة تاريخه الذاتى والخارجى الى ان يخرج مرات ومرات عن اطار فطرته الاصيلة المعجونة باعجاز من الروح والمادة والفكر والدم والأعصاب والوجدان والعواطف والشهوات ، وتبعده بالتالى عن مساره المرسوم فى العالم .. ولا يكون نتيجة هذا الخروج والابعاد ، الا تمزقا فى الذات البشرية وانحرافا فى طرائق تعاملها مع العالم ، ومن ثم شقاء وتعاسة وانهيار ..

ويجيىء قادة الفكر الوضعى لكى يصنفوا المبادىء ويرسموا الشرائع ليتعامل معها الانسان المنكود ، معتقدين ان طاقاتهم النسبية المحدودة ستمكنهم من رؤية شاملة موضوعية لفطرة كل انسان ، ولدور كل آدمى على سطح الارض .. ومن ثم تجيىء محاولاتهم ضربا فى التيه ، وابحارا فى الظلمات دون شراع واحد ولا بصيص من نور .. فيزداد الانسان نايا عن توازنه الفطرى الأصيل ، ومروقا عن دربه المستقيم فى قلب العالم .. وهذا النأى والمروق يجمد طاقات الانسان ، ويطمس على بصيرته ، ويغطى قلبه واحساسه بريق من التراب والغبار ، ويشل فاعليته ، فلا يقدر بعد على أداء دوره (كاملا) على مسرح الحياة الدنيا ، فيفقد بذلك فرصته الكبرى ، ويكتب على نفسه التعاسة فى الأرض والسماء !!

اما (الاسلام) فانه تخطيط العلى القدير العليم لاعادة الانسان الى فطرته التى فطره الله عليها ، وبعثه فى طريقه المرسوم لكى يحيا تجربته البشرية كاملة ، ويعطى كل ما عنده ، ويعبر عن شتى طاقاته من اجل ان يسهم اسهاما فاعلا فى (اعمار) الارض الذى انيط به كخليفة مسؤول امام الله ..

ومهما سعى العبيد وحاولوا ، فسوف لن يزيدوا الانسان الا تخبطا وضياعا ، وسوف لن يحكموا على طاقاته وقدراته الا بالتشتيت والاضمحلال .. ولن يكون الخلاص الا باشارة من الذى صنع الانسان نفسه ، ومنحه فرصة الاختيار والعمل فى كون شاسع واسع يضيع فيه ويتحطم كل من لم يعرف موقعه المحدد على الخارطة الابدية ، وطريقه المرسوم فى بنيان العالم .

— ٢ —

فى القرآن الكريم نداء عميق ، لو تمعنا فيه قليلا لأدركنا انه أروع نداء يمكن أن يوجه الى الانسان من اجل أن يرتفع فوق مستويات الخوف والحزن : **((ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبراها ، ان ذلك على الله يسير . لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)) .**

ان جل آلامنا ومخاوفنا وأحزاننا ومآسينا تنفجر حين تنفجر من احساس ثقيل مرهق بأن فرصة ما قد فاتتنا ، وبأن فرصة ما ستفوتنا عما قريب .. فيسحقنا الندم ، ويشلنا الحزن عن الانطلاق الدائم صوب الامام ، من اجل أن نحظى بمزيد من الفرص ، ونتحقق بمزيد من الانتصارات ..

ان الأسى على فوات شىء أو فرصة ما ، غل ثقيل يأسر الانسان ويرتد بوعيه الى الماضى لكى يسفح عند نصبه الدموع ويستل الحسرات دون أن يتاح له أن يخطو خطوة واحدة من ارضية الحاضر صوب آفاق المستقبل .. وان الفرح الغامر بمكسب وقتى ، أو نجاح عابر ، سيعقبه — ان آجلا أو عاجلا — حزن عميق على انعدام الفرح وزوال النجاح .. ومن ثم سيظل الانسان فى نقطة التمزق بين الأسى والحزن الى أن تنصرم سنى عمره ، ولا يشعر بمأساة حياته الشقية الا عندما ينظر ، وهو فى آخر الدرب ، الى أن كل احزانه ومخاوفه عبر حياته جميعا لم تكن الا عبثا لأنه سوف لن يأخذ معه الى الحفرة سوى الفرح الكبير أو الحزن الشامل الذى لا علاقة له من قريب أو بعيد بهذه الجزئيات الصغيرة التافهة التى تعترض حياة الانسان ، فاذا ما افلتت من يديه ملأته أسى ، واذا ما تراكمت بين يديه اترعته فرحا لا يلبث أن يغور بعد اذ تتكشف له هذه الجزئيات عن فقاعات لا دوام لها الا بقدر ما تخدع الانسان وتلهو به ..

من اجل ذلك ينادينا القرآن الا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما اتانا كي نتجرد عن الجزئيات الثقيلة ونرتفع على مستوى الاهتمامات الزائلة .. ولا نرنو الا الى الفرح الكبير الأبدى العميق الذى لا يتحدد بماض أو حاضر أو مستقبل ، ولا يتعرض للزوال .. ومن ثم ننطلق بخفة وحيوية ، متخلصين من الاثقال والهموم والأحزان ، لنعبر عن وجودنا المتوثب الطموح .. ونصنع مصائرنا التى تناغينا وتنادينا من بعيد ..

ان كثيرا من الكتاب والفنانين المعاصرين صوروا لنا شقاء الانسان الذى تشده أثقال ماضيه وتطارده

لعناته .. وآخرون كتبوا لنا عن تشاؤمهم العميق ازاء امكانية تحقق الفرح الانسانى ، وتجاوز مستويات الحزن والخوف .. لكن كلمات من القرآن تبين لنا بوضوح وتركيز كل ما يريده هؤلاء ، وتزيد عليهم بأن تمنحنا القدرة على التخلص من اثقال الماضى وتجاوز تجارب الفرح الزائل التى تعقب حسرات ودموعا ، والنفاذ الى المستقبل متخففين متجردين يغمرنا الفرح الحقيقى الكلى العميق واليقين بأن هذه الجزئيات مكتوبة علينا لكى تعلمنا القدرة على التجاوز والانطلاق .. ويوحدنا نداء الله سبحانه الذى يعرف كيف ينتشلنا من ليالى حسراتنا وأحزاننا ويقترب بنا من الفجر الوضاء الذى لا غياب لشمسه لانها تفجر نورها واشعتها فى القلوب والأرواح ..

— ٤ —

ان الذى يطلع على بعض صور الحرب والصراع فى الغرب والشرق كتلك التى نجدها مشخصة واضحة فى رواية مركريت ميتشل (ذهب مع الريح) التى تتناول فترة الحرب الاهلية الامريكية فى النصف الثانى من القرن الماضى أو فى رواية تولستوى (الحرب والسلام) التى تتناول عصر نابليون بونابارت ، أو فى رواية ميخائيل شولوخوف (الدون الهادى) التى تتناول فترة المقاومة القوزاقية للجيش الاحمر .. الذى يطلع على أعمال تصويرية كهذه ، وغيرها كثير ، ويقارنه بأساليب الحرب والقتال فى تاريخنا الاسلامى وبخاصة سنى العقيدة والالتزام ، يجد شيئا عجبا يثير الدهشة والاستغراب ..

ان ثمة فرقا شاسعا بين أناس وجماعات وأمم تقتتل باسم المصالح والعصبيات والاهداف القريبة الزائلة وبين أمة تقاتل باسم الله سعيا وراء كل ما هو انسانى أبدى بعيد عن المصالح والعصبيات والقيم الزائلة .. فرقا شاسعا بين جماعات تقتل وتذبح وتفتك وتدمر مستخدمة اى سلاح تصل اليه أيديها ، متذرعة بأية وسيلة تسندها فى سحق غريمها ، سالكة اى درب يصلها الى اهدافها ، وبين أمة لا تمارس القتال الا بالسلاح الشريف والوسيلة الانسانية وعلى درب مستقيم لا تنحرف فيه يد كى تحمل سلاحا لا يقره الانسان الشريف أو تستخدم اسلوبا تربأ عنه حتى عوالم الحشرات والديدان .

ان مناظر القتل والدمار التى يعرضها علينا (تولستوى) و (ميشيل) و (شولوخوف) وغيرهم تضعنا وجها لوجه أمام ابتذال الحياة الانسانية ورخص الدم البشرى ومجانية العلاقة بين القوى المتصارعة على ظهر البسيطة .. وتدفعنا دفعا الى زاوية الاحتقار والتشاؤم والالتصاق بالعصبيات المصلحية والطبقية أو العنصرية ، عليها تحمى القطعان الهاربة من الجزارين العتاة الغلاظ ، أو تمنحها سلاحا أحد قطعا وأشد فتكا ..

لكن الذى يعزى الانسان ويهبه الثقة والأمل واليقين ان فى التاريخ صورا (واقعية) أخرى شهدتها ميادين الصراع وساحات الحرب مرات ومرات ، ظل فيها ابن آدم انسانا حتى وهو يقاتل ويحارب ويصارع ، دون أن يضطره القتال والحرب والصراع الى أن ينقلب على آدميته ويستعير من عوالم الفهود والحيات كل شراستها وسمها الزعاف دون أن يأخذ منها ولا مقدارا ضئيلا من العطف والسماحة التى تمارسها بين الحين والحين ..

. واقرأوا ان شئتم (ذهب مع الريح) و (الدون الهادىء) و (الحرب والسلام) ، ثم تمعنوا بعد ذلك فى صفحات الحرب فى تاريخنا الاسلامى عبر مسيرته .. الطويلة .. فسوف تلتقون فى المرة الأولى برخص الانسان وحقارته ومجانية الدم الانسانى وابتذاله .. وسوف ترون فى المرة الثانية راى العين غلاء الدم وشرف الانسان وكرامة بنيان الله فى الأرض .. ملعون من هدم بنيانه ..

— ٥ —

ما أشد حاجة المسلم المعاصر القلق المتارجح بين الانفصال عن المجتمع الجاهلى الذى يحيا فى قلبه وبين الاندماج فيه ، ما أشد حاجته الى من يهديه سواء السبيل ويحدد له معالم الطريق .. ذلك أن الانفصال الكلى أمر مستحيل لأنه فوق طاقة انسان يحيا فى صميم مجتمعات القرن العشرين بكل ما تحويه وتتضمنه من تعقيد وتشابك فى العلاقات ومن اتساع فى خطوط وامداء التعامل الاجتماعى بالنسبة لكل المنتمين اليه .. وأما الاندماج الكلى فهو أمر مستحيل كذلك لأنه سيفقد المسلم تميزه كمسلم ، وسيصهر قيمه ومعتقداته ومثله فى أتون تجربة اجتماعية لا تعرف شيئا عن القيم والمثل ، ولا تؤمن يوما بفكرة تعلو على مستوى الوقائع والمصالح واليوميات ، ولا بعقيدة ترفض أن تغدو العلاقات الاجتماعية علاقات منفعة متبادلة وحرص قتال على التكاثر .. باختصار أن الاندماج الكامل سيجرد المسلم من اسلاميته وسيحيله انسانا عاديا تافها حتى لو صام الدهر لله وصلى فى اليوم خمسين مرة !!

ان الانفصال الكلى يعود المسلم ، شاء أم أبى ، الى ظواهر الترهبن والانسلاخ السالب عن مجرى الحياة والتطور ، أو الى تجربة من تجارب اللانتماء التى عرفها الغربيون خلال العقود الأخيرة ، وهى جميعا لا يمكن الا أن تشل المسلم عن العمل ، وتحرم الحياة الواقعية من أن ترفدها قيم الاسلام ، وعقائدياته واخلاقياته ، وتتجه ببعض مساحاتها على الاقل صوب مطالب الاسلام وحلوله المعجزة ..

والاندماج الكلى يقود المسلم الى ظاهرة من ظواهر الفناء والذوبان فى اطار التجربة الاجتماعية بكل انحرافاتها وتناقضاتها ومآسيها ، أو الى تجربة من تجارب الانتماء (الشيىء) الى عمل ما من أعمال هذا المجتمع الوظيفية اليومية ، أو الى هدف ما من اهدافه القريبة الميسورة .. ومن ثم كان هذا التأرجح وهذا القلق اللذان يعانى منهما المسلم المعاصر واللذان يجب أن نعترف بثقلهما وضغطهما علينا جميعا كى نكون اكثر واقعية وأشد ايجابية ، فنسهم جميعا فى العمل الجاد المخلص والتنقيب فى ثنايا فكرنا وعقائدنا وتشريعاتنا وتاريخنا وحضارتنا علنا نصل الى الحل الوسط الذى يحملنا كمسلمين حقيقيين الى قلب كل مجتمع لكى نؤثر فى صميم بنائه وتركيبه ، ونهيئه لتقبل القيادة العادلة المستقيمة التى وعد الله بها عباده المخلصين يوم أن قال : **« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين .. »**

وصدق الله العظيم .

مائدة القارئ

أم أبي هريرة

لم يكن يؤلم ابا هريرة من مشاكل حياته سوى مشكلة « أمه » فانها يومئذ رفضت أن تسلم ، وذات يوم سمع منها في رسول الله ما يكره ، فذهب الى المسجد النبوي محزونا باكيا قال أبو هريرة :

فجئت الى رسول الله وأنا أبكي ، فقلت يا رسول الله ، كنت ادعو امي الى الاسلام ، فتأبى علي ، وانى دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة الى الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد أم أبي هريرة .

قال فخرجت أعدو ابشرها بدعاء رسول الله ، فلما اتيت الباب فاذا هو مغلق وسمعت خضخضة الماء ، ونادتني مكانك . ثم لبست درعها وعجلت خمارها وخرجت وهي تقول : اشهد الا إله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله . فجئت أسعى الى رسول الله فأخبرته ثم قلت يارسول الله ادع الله أن يحببني وأمي الى المؤمنين والمؤمنات .

فقال : اللهم حبب عبدك هذا وامه الى كل مؤمن ومؤمنة .

إعـلان

يعلن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن خلو وظيفة وال ، ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظيفة :

أولا : أن يكون رجلا ، اذا كان في القوم وليس أميرهم بدا وكانه أميرهم، واذا كان فيهم وهو عليهم أمير بـدا وكانه واحد منهم .

ثانيا : لا يميز نفسه على الناس في ملبس ولا في مطعم ولا في مسكن .

ثالثا : يقيم فيهم الصلاة ، ويقسم بينهم بالحق ، ويحكم فيهم بالعدل ولا يغلق بابه دون حوائجهم .

التصميم الهندسي لبيت سلمان الفارسي

اراد سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يبني لنفسه بيتـا ، فسـأل البناء : كيف ستبنيه ؟

وكان البناء حصيفا ذكيا ، يعرف زهد « سليمان » وورعه .. فأجابه قائلا : لا تخف .. إنها بناية تستظل بها من الحر ، وتسكن فيها من البرد ، إذا وقفت فيها أصابت رأسك ، واذا اضطجعت فيها اصابت رجليك .

فقال له سلمان : نعم ، هكـذا فاصنع .

رؤيا خالد

رأى خالد بن سعيد بن العاص ذات ليلة فى منامه أنه واقف على شفير نار عظيمة ، وأبوه من ورائه يدفعه بكلتا يديه ، ويريد أن يطرحه فيها ، ثم رأى رسول الله يقبل عليه ، ويجذبه بيمينه المباركة من إزاره ، فيأخذه بعيدا عن النار واللهب .
وصحا خالد من نومه ، وذهب من فوره الى دار ابى بكر ، وقص عليه رؤياه ، فقال له ابوبكر : انه الخير أريد لك ، وهذا رسول الله فاتبعه فان الاسلام حاجزك عن النار .
وانطلق خالد باحثا عن الرسول حتى اهتدى الى مكانه ، فبايعه وأسلم على يديه فكانت هذه الرؤيا المباركة سببا فى سعادته فى الدنيا والآخرة .

مائدة محرمة

وقف اعرابى على أبى الاسود الدؤلى وهو يتغدى ، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم أقبل على الاكل ، ولم يعرض عليه ، فقال الاعرابى : أما انى قد مررت باهلك قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال وأمرأتك حبلى ، قال كذلك عهدى بها ، قال : ولدت ، قال : ما كان بد لها أن تلد ، قال : ولدت غلامين ، قال : كذلك كانت أمها ، قال : مات أحدهما ، قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين ، قال : ثم مات الآخر ، قال : ما كان ليبقى بعد اخيه ، قال : وماتت الام ، قال : جزعا على ولديها ، قال : ما أطيب طعامك قال : وذلك جزائى على أهله ، قال : أف لك ما ألأمك ، قال : من شاء سب صاحبه.

الله والجنة

هو ثانى أخوين عاشا فى الله : أما أولهما فهو « أنس بن مالك » خادم رسول الله ، وثانى الاخوين هو « البراء بن مالك » كانت كل أمانيه أن يموت شهيدا . من أجل هذا لم يتخلف عن مشهد ولا غزوة .
اشترك فى حرب اليمامة تحت قيادة خالد بن الوليد ، ولم يكن جيش مسيلمة الكذاب هزيلا ولا قليلا ، بل كان أخطر جيوش الردة جميعا ، وظهرت خطورته فى أول المعركة حتى كاد يأخذ زمام المبادرة ، وسرى فى صفوف المسلمين شىء من الجزع ، وانطلق زعماؤهم يلقون كلمات التثبيت من فوق صهوات جيادهم ، ونادى خالد تكلم يابراء ، فصاح بهذه الكلمات .

يا أهل المدينة
لا مدينة لكم اليوم
إنما هو الله ، والجنة

وكتب الله للمسلمين النصر ، وانجلت المعركة عن جسد البطل البراء وفيه بضع وثمانون طعنة ، وظل خالد بن الوليد يشرف على تمريضه بنفسه شهرا كاملا حتى أصبح معافى أصح جسما وأقوى عزما فى قتال اعداء الله .

الإسلام والعالمية

للدكتور محمد محمد حسين

العالمية فى الاصطلاح الحديث مذهب يدعو الى البحث عن الحقيقة الواحدة التى تكمن وراء المظاهر المتعددة فى الخلافات المذهبية المتباينة . ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل الى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام فى العالم محل الخلاف .

والدعوة باطلة من أساسها ، لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله فى الارض ، وهى دفع الناس بعضهم ببعض وضرب الحق والباطل . والهدم والبناء وجهان لهذه السنة لا يفتآن يعملان دون انقطاع . وكل ميسر لما خلق له . هذه السنّة قائمة بأمر الله تعالى . ولن تجد لسنة الله تبديلا . هى قائمة بين الشعوب والأمم ، وقائمة بين الأكوان ، وقائمة فى باطن الارض ، وقائمة فى داخل اجسامنا التى لا يتوقف الصراع فيها بين كرات الدم البيضاء وبين الجراثيم والامراض الغازية ، وفى الخلايا التى تبنى من جديد على أنقاض خلايا أخرى تموت ، وفى الصراع القائم فى باطن نفوسنا بين الضمير الدينى وبين الشهوات . ((**وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم . أفلا تبصرون ؟**)) (الذاريات ٢١) .

وسنة الصراع والهدم والبناء من مظاهر الحركة والحياة فى الكون وفى المجتمعات الانسانية . ثم ان الصراع بين الحق والباطل لا يتكشف آخر الأمر الا عن بروز الحق فى أصفى صوره وأنقى عناصره ، وهلاك الباطل ومحق شوائبه . وقد صور القرآن الكريم هذه السنّة الدائبة فى مثلين ضربهما لاختلاط الحق والباطل ، أحدهما فى السيول التى تختلط بالاوحال والأقذاء والأقذار ، وبما تجرف من جيف وما تقتلع من نبات ، ثم لا يبقى منها على طول المجرى وتعدد المنعرجات الا الماء الصافى العذب فى الأنهار التى تفيض بالخير والبركات . والمثل الآخر فى المعادن التى نستخرجها من الجبال ومن باطن

الارض مختلطة بالشوائب وبالعناصر الغريبة ، ثم لا يبقى منها على حرّ النار حين تصهر الا الحر الخالص من جواهرها النافعة :

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا . ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل . فاما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الأمثال » (الرعد ٢٠) .

فالصراع والخلاف الذى تزعم العالمية انها تعمل على محوه هو اذن سر من أسرار الحياة نفسها وناموس من نواميس الله فى خلقه ، يجرى على قدر وينتهى الى غاية ويسوقه تدبير من عليم حكيم . وقد يظهر للمتدبرين من خلق الله بعض المزايا والحكم الخفية التى تحجبها ظواهر بغيضة منفرة . ولكن أعماقها وأبعادها وسائرها تظل محجوبة عنا لا يعلمها الا الله . لأن العقل البشرى وحده عاجز عن التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين النافع والضار . فالحكم على ذلك كله لا يتيسر الا لمن يعرف الحقيقة كلها بكامل تفاصيلها من أولها الى آخرها . ونحن لا ندرك من الحقائق الا ما نعيشه من أعمارنا القصيرة فى امتداد الزمن الضارب فى أعماق الماضى والممتد الى ما لا يحد من مستقبل الزمان . بل اننا لا ندرك من هذه اللحظات القصيرة الا بعض ما يتاح لنا فى تجاربنا المحدودة فوق كوكب هو بكل ساكنيه لا يزيد عن قطرة ماء فى محيط من الاكوان . ذلك هو اللب والصميم من قول الله جلت حكمته **« كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون »** (البقرة ٢١٦) .

وقد كان من مقتضى هذا الناموس الثابت من نواميس الله أن تتعدد المجتمعات البشرية وأن تتنوع فى صفاتها وفى سماتها . فالجماعات البشرية تدرك ذواتها من طريقين : أولهما التقاء كل جماعة منها على صفات عامة تؤلف بينها وتشد بنيانها وتوحد صفوفها فتبدو فى كثرتها كالجسم الواحد ، وثانيهما هو اختلاف كل جماعة فى مجموعها عن غيرها من الجماعات الاخرى لكى تدرك أنها ذات معنوية مستقلة عن غيرها من الذوات . فتشابه أفرادها يحفظها من التشتت والتفكك ، ومخالفتها لغيرها تحميها من أن تذوب وتنماع . من أجل ذلك حرصت الدول فى تجمعاتها الحديثة على اصطناع ما يعمق هذا الشعور بالذات من الوجهين كليهما . فهى تصطنع الاعلام الخاصة ، والاناشيد الوطنية ، وتعنى بالتاريخ وبالفنون وبالآداب القومية ، التى تبرز شخصيتها وتجمع قلوب الناس وأذواقهم على التحمس لها والتعلق بها .

والاسلام — وهو دين الفطرة — يقر بهذا النظام الالهى ، الذى يحفز الى العمل والى التنافس الذى هو سبب العمران ، ويحدد مكان كل عامل فى عمله .. فالعمل — لكى يكون مثمرا وفعالا — يحتاج الى تنظيم ، والتنظيم يقوم على تقسيم العمل ، وربط كل طائفة من العمال بمهمة محددة لا تتجاوزها الى غيرها ولا تسأل الا عنها . من أجل ذلك قامت سنة الله فى الارض على جعل الناس أمما وشعوبا وقبائل ، كل أمة منها مسئولة عما يليها مما وكلها الله به لا تسأل عن سواه . أما الذى يجىء بعد هذه النظم الارضية فالله أعلم به . وعلينا أن نسلم بحكمته وننقاد لسننه فيما نعلم وفيما لا نعلم . يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المنزل عليه فيقول : **« لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ، فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك . انك لعلى هدى مستقيم . وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة**

فيما كنتم فيه تختلفون » (الحج ٦٧ — ٦٩) .

وقد حرص الاسلام على تمييز المسلمين من سائر الامم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل . فرسول الله صلى الله عليه وسلم ينص فى الكتاب الذى كتبه بين المهاجرين والانصار على ان « المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس » « وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » « وان سلم المؤمنين واحدة . لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم » « وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم او اثم او عدوان أو فساد بين المؤمنين . وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم » .

وفى سبيل هذا الحرص على تمييزهم من سائر الامم نهاهم عن أن يقلدوا غيرهم فى ملبسهم أو عاداتهم فقال صلى الله عليه وسلم « من تشبه بقوم فهو منهم » (رواه أبو داود فى كتاب اللباس) . وقال : « ليس منا من تشبه بغيرنا » (رواه الترمذى فى كتاب الاستئذان) . وعمد الى مخالفتهم فى هيئتهم وأمر المسلمين بالحرص على هذه المخالفة تمييزا لهم من غيرهم . فأمر بقص الشارب واطالة اللحية تمييزا لهم من المشركين الذين كانوا يطيلون شواربهم ويحلقون لحاهم ، وذلك فى قوله : « خالفوا المشركين . أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » (رواه مسلم فى كتاب الحيض) . وأمر بخضاب اللحية بالحناء تمييزا لهم من اليهود والنصارى الذين كانوا لا يخضبون . فقال : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » (رواه مسلم فى كتاب اللباس والزينة) . وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بأبى قحافة رضى الله عنه يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا . فقال رسول الله صلى اللهعليه وسلم « غيروا هذا بشىء . واجتنبوا السواد » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الأيام السبت والأحد ويقول : « إنهما يوما عيد لليهود والنصارى فأحب أن أخالفهم » (رواه البخارى فى كتاب الصوم) . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « تسحروا فان فى السحور بركة » (رواه البخارى فى كتاب الصوم . وقال ابن حجر فى شرحه « ومما يعلل به استحباب السحور المخالفة لأهل الكتاب ، لأنه ممتنع عندهم . وهذا أحد الوجوه المقتضية للزيادة فى الأجور الأخروية » .

وقد دعا الاسلام المسلمين الى أن يكونوا اشداء على الكفار رحماء بينهم . وذلك فى قوله تبارك وتعالى **« محمد رسول الله . والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »** (الفتح ٢٩) . ونهاهم عن اتخاذ الأولياء والأصدقاء من أعداء المسلمين الذين أخرجوهم من ديارهم أو أعانوا على ذلك فى قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء . تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق . يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى . تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم . ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل »** (الممتحنة ١) وفى مقابل هذه الشدة على العدو أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتراحم فحرم عليهم دماءهم وأموالهم واعراضهم . وذلك فى خطبة الوداع بمكة يوم النحر ، حيث قال « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا . وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . فلا ترجعن بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض » (رواه مسلم فى كتاب تحريم الدماء) .

ولو تتبعنا الدعوة المبتدعة المعاصرة الى العـــالمية لوجدنا أنها ــ على اختلاف صورها وشعبها كما سنبينه من بعد ــ دعوة هدامة مخربة من وجوه كثيرة . أولها أنها تناقض الناموس كما بيناه . ثم ان كل شعبة من شـــعبها تريد أن تكون دينا جديدا يجتمع عليه الناس . ومن أجل ذلك فهى تشترك فى مهاجمة الاديان ، لتحطم سلطانها على قلوب النـــاس وضمائرهم ، حتى تحل محلها الولاء للمذهب الجديد . فهدم الاديان مرحلة لا بد أن يمر بها الداخل فى مذاهبهم لكى يتحقق ما يزعمونه من محو العصبيات التى هى فى زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والامم . وأكثر الناس تأثرا بدعوة العالمية هم الخاملون من الضعفاء ، الذين تقصر هممهم عن الطموح الى وســائل النهوض والأخذ بأسباب القوة والجهاد فى سبيلها ، فيركنون الى أحلام العـالمية التى تمنيهم بسلام يعطف فيه القوى على الضعيف ، ويكف عن استعباده واستغلاله . وليس أضر بالأمة الضـعيفة من هذه الاحلام . لأنها تزيدها ضـــعفا على ضعفها ، وتقضى على البقية الباقية من معالم شخصيتها ، اذ تذيبها فى مفهوم شاسع تفقد معه معرفة كنهها وحدود ذاتها ، لأنه يشملها ويشمل أعداءها على السواء . ثـم ان الدعـــوة تحـــاول بالســـفســـطة أن تجمـــع بين الضدين اللذين لا يجتمعان : القوة والضــــعف ، والقدرة والعجز ، والعمل والكسل . وقد جربنا الكلام عن الانسانية والتسامح والسلام وحقوق الانسان فى عصرنا ، فوجدناه كلاما يصنعه الاقوياء فى وزارات الدعاية والخـــارجية والمستعمرات لينفق عند الضعفاء . فهو بضـــاعة معدة للتصدير الخـــارجى وليست معدة للاستهلاك الداخلى . لا يســـتفيد منها دائما الا القوى ، لأنها تساعد على تمكينه من استغلال الضعيف الذى يعيش تحت تخدير هذه الدعوات فى ولاء مع مستغله ومستعبده .

تتخذ هذه الدعوات صورا شتى تعود كلها الى اصل واحد . فالماسونية تدعو الى الانسانية ومحبة البشر كلهم بلا تمييز . والمشـــتغلون باستحضار أرواح الموتى ممن يسمون أنفسهم الروحيين يدعون الى الانسانية والســلام ، ويعتمدون فى ذلك على ما يدعونه مما ينسبونه الى أرواح من يتصلون بهم من مختلف الاجناس والملل . والشيوعية تدعو كذلك الى الانســـانية والسلام . ودعـــاة التوفيق بين الاديان يدعون الى ديانة مبتكـــرة يرتضيهـــا كل الناس . منهم البهائية . ومنهم أصحاب الدعوة الى التوحيد بين الاســلام والنصرانيـــة . وهناك دعوات أخرى تلبس هذا الثوب نفسه وتدعو الى تعـــاون البشر كالرويتارى والاسود (الليونز) والتسلح الخلقى وشهود يهوه . وقد يعين على تصور هذه الدعوة العالمية أن نقدم طائفة من النصوص المختلفة على لســان الداعين بها من مختلف طوائفها .

فمن كلام الماسون ما كتبه أحد كبار رجالهم ــ فى كتابه (النور الأعظم) ، حيث قال « كانت الماسونية عقيدة الانبياء والقديسين والفلاسفة الصالحين فى جميع العهود ، أى عقيدة التوحيد الالهى والايمـــان بالله واحد لا نهـــائى ــ ص ٢ » . ويقول « الماسونية على حقيقتها ليست عمالة لأية ديانة أو عنصرية معينة . انها عقيدة العقائد وفلسفة الفلسفات ، وبالمبادىء الانسانية مزينة . عقيدة الاحرار هى عقيدة لجميع أبناء البشرية دون تمييز أو تفريق . وانها لن تمنح الفضل والاولوية لفريق دون فريق ــ ص ١١٥ » . ويقول « الميمات الثلاث فى الموسوية والمسيحية والمحمدية يجتمعون فى ميم واحد هو ميم الماسونية .

لأن الماسونية عقيدة العقائد وفلسفة الفلسفات . انها تجمع وتوحد المتفرقات والمتشتتات . وان باءي البوذية والبرهمية يجتمعان فى باء البناء ، بناء هيكل المجتمع الانسانى الصالح المنزه من العمالة العنصرية والعملاء . ان ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادىء الحرية والمساواة والاخاء . ونحن نزيد عليها المحبة والعدالة والعطاء ــ ص ١١٢ » . ويقول عزيز ميرهم ــ وهو ماسونى آخر من كبارهم ــ « ان ما تبغيه الماسونية هو وصول الانسانية شيئا فشيئا الى النظام الامثل الذى تتحقق فيه الحرية بأكمل معانيها ، وتزول معه الفوارق بين الافراد والشعوب . ويسود فيه العلم والجمال والفضيلة ــ من مقال له فى السياسة الاسبوعية المصرية عدد ١٩٢٦/١٢/١١ م » .

ومن أقوال من يسمون أنفسهم (الروحيين) ما رواه أحد دعاتهم ــ على لسان أحد الارواح المزعومة التى يستحضرونها فى محافلهم : « نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون من قبلنا . غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم » ويقول : « محب الانسانية هو الذى يحبها لذاتها . والفيلسوف هو الذى يحب العلم لذاته كذلك . فأمثال هذين الرجلين هم أحباء الله . . فالأول لا يقيد حبه للناس اعتبار لجنس ولا لوطن ولا لاعتقاد ولا لاسم . بل يحيط الانسانية عامة بحبه الخالص . فيحب الناس باعتبارهم اخوانا ، غير مبال بآرائهم الخاصة . . وليس هو الذى لا يحب الا الذين يوافقونه فى الراى . . والثانى ــ اى الفيلسوف ــ هو الذى خلص من وطأة النظريات فيما يجب أن يكون ، ومن الخضوع للآراء الطائفية والتقاليد المذهبية ، فأصبح حرا من أسر المقررات ومستعدا لقبول الحقيقة مهما كانت ، بشرط أن تقدم عليها البراهين ، باحثا عن مساتير الحكمة الالهية ، فيجد سعادته من وراء هذا البحث ــ من مقال له فى صحيفة (المقتطف) عدد فبراير ١٩٢٠ م ، ضمن سلسلة مقالات فى « اثبات الروح بالمباحث النفسية » .

أما التوفيق بين الاديان ــ وبين المسيحية والاسلام على وجه الخصوص ــ فقد بدأ فى العصر الحديث بمساعى قسيس انجليزى اسمه (اسحق تيلور) ثم ظهرت الدعوة من جديد فى السنوات الاخيرة حين قام جماعة من الامريكان المعروفين بميولهم الصهيونية بعقد مؤتمر للتأليف بين الاسلام والنصرانية فى بيروت سنة ١٩٥٣ م ثم فى الاسكندرية سنة ١٩٥٤ م . وقد كثرت الاقاويل فى أهداف هذه الجماعة وفى مصادر تمويلها . وأصدر الحاج أمين الحسينى بيانا أثبت فيه صلة القائمين على هذه الدعوة بالصهيونية العالمية ــ الاتجاهات الوطنية (٢ : ٣١٩ ــ ٣٢٠) .

وروى الطبيب الاديب حسين الهراوى نقلا عن الشيخ حمزة فتح الله ان أحد الفرنسيين زار مصر فى أوائل هذا القرن وأخذ يفاوض أعلام الاسلام فى فكرة توحيد الاديان حتى لقى الشيخ حسن الطويل ــ أحد علماء الازهر البارزين ــ وكان يتناول طعام الافطار فولا مدمسا وبصلا وخبزا . وأخذ المبعوث الفرنسى يحدث الشيخ عن فكرته قائلا : ان الفرق بين الاديان لا يتجاوز مسألة هينة غير أساسية ، وأن الغرض من الاديان هو الدعوة الى الخير والنهى عن الشر . والشيخ ماض فى طعامه لا يكاد يلتفت اليه . فلما فرغ الفرنسى من حديثه وفرغ الشيخ من طعامه وكرع من قلة ماء بجواره ، لم يزد على أن قال : هل لك يا خواجة فى أكلة لذيذة من الفول المدمس . . ؟ فانصرف الداعية الفرنسى خجلا يجر أذيال الفشل . . !!

أما الشيوعية فدعوتها الى الانسانية والسلام تتخذ شكلا آخر . فالانسانية عندها محصورة فى تقسيم الارزاق بين الناس بالتساوى ، مع اهمال الدين اهمالا كاملا ، لأنه فى نظرهم أسطورة ومخدر يستغله أصحاب الجاه والثروة والسلطان لتسكين هياج الفقراء والمحرومين واقناعهم بقبول حالتهم والرضا بفقرهم وحرمانهم . وهى دعوة عالمية لأنها — بعد أن انكرت الأديان — تدعو الناس جميعا الى اعتناقها لتحقيق السلام ، من طريق اتحاد الطبقات العاملة فى كل البلاد ، لأن صانعى الحروب فى زعمها هم أصحاب رءوس الاموال من ملاك المصانع ، وعلى رأسها مصانع الاسلحة . وليس ههنا مجال الرد على دعاواهم .

ويكفى أن نقول فى ايجاز ان دعوتهم تنزل بالنوع البشرى الى الحيوانية لأنها تهمل الجانب الروحى فى الانسان ، الذى هو به انسان ، وتخاطب الجانب الشهوانى منه ، الذى يستوى فيه مع الحيوان . أما المساواة بين الناس فهى خرافة لا سبيل الى تحقيقها لأنها مخالفة للناموس . فالناس متباينون قوة بدن وذكاء وخلقا وفطرة . والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم كتابه : ((**وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**)) (الانعام ١٦٥) . ويقول جلت حكمته : ((**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق . فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء . أفبنعمة الله يجحدون**)) (النحل ٧١) . ويقول : ((**أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . ورحمة ربك خير مما يجمعون . ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**)) (الزخرف ٣٢ — ٣٥) .

ثم ان الشيوعية لا تلغى الطبقية ، لانها بتعصبها للطبقة العاملة واعتمادها عليها تصبح — على غير ما تزعمه — دعوة طبقية من نوع جديد . ولا تحقق السلام ، لأنها تقوم على اختلاق الحزازات بين الطبقات وتأليب بعضهم على بعض ، والمجتمع الانسانى المطمئن لا يقوم الا على التواد والتراحم والتراضى .

ومع ذلك كله فالدارس لهذه الدعوات العالمية على اختلافها يستطيع أن يدرك بوضوح انها شديدة الصلة بالصهيونية العالمية التى تتوسل الى السيطرة بمحو العصبيات على اختلافها ، لأنها هى العقبة الكبرى التى تحول دون تغلغلها فى المجتمعات والمؤسسات ، ولأن المجتمعات البشرية اذا فقدت شخصياتها وعصبياتها أصبحت قطعانا من الاغنام يسهل على اليهود الذين يحافظون على عصبيتهم الدينية والقومية أن يسوقوها الى حيث يريدون .

من أجل ذلك فضلت أن أجعل العنوان (الاسلام والعالمية) بدلا من العنوان المقترح وهو (عالمية الاسلام) . ذلك لأن استعمال الالفاظ التى جرت مجرى الاصطلاح بين المذاهب المعاصرة المتصارعة كالعالمية والاشتراكية والديمقراطية فى وصف الاسلام وتحديد سماته خطأ جسيم . فهذه الكلمات ترتبط فى الاذهان ارتباطا وثيقا بالاصول المذهبية والظروف التاريخية والاجتماعية التى احاطت بنشأتها وتطورها . ومع ما هو مسلم من حسن النية عند بعض الذين يستعملون هذه المصطلحات الحديثة لتحبيب الاسلام الى جيل الشباب المفتون بها فان اثم استعمالها أكبر من نفعه . لأنها تزن الاسلام بموازين غير اسلامية فتزيد

ما وقر فى نفوس هؤلاء المفتونين من الافتتان بكل ما يجىء عن الحضارة الغربية . فكأن الاسلام لا يصح الا حيث يطابق الفكر الغربى والنظم الغربية . والعكس عند المسلمين هو الصحيح وهو ما ينبغى أن يكون . فهذه النظم على اختلافها ، قديمها وحديثها : لا تصح عندنا ولا تجوز فى أذواقنا وعقولنا الا اذا وافقت الاسلام . وفرق كبير بين أن يتحدث كاتب أو مفكر عن (عالمية الاسلام) أو (العالمية فى الاسلام) . وبين أن يتحدث عن (الاسلام والعالمية) أو (العالمية والاسلام) .

ففى الحالة الاولى يفترض الكاتب أو المفكر منذ البدء أن الاسلام عالمى بكل ما تحمل الكلمة من معان مذهبية اصطلاحية . أما فى الحالة الثانية فهو يتحدث عن الاسلام بوصفه دينا مستقلا ومذهبا فى الحياة ذا كيان قائم بذاته لا يقبل تبديلا او تعديلا ، لأنه وحى من عند الله ، قد ثبتت اصوله وكملت ، وتمت بكمالها نعمة الله على المسلمين الذين رضى الله لهم الاسلام دينا . ثم هو على سبيل المقارنة والحكم على المذاهب الجديدة بالصحة أو الفساد يزن (العالمية) بموازين الاسلام .

واذا كانت العالمية هى ما ذكرناه فى وصفها وفى بيان صورها المختلفة وحقيقة أهدافها ، فأى شىء منها يصح فى الاسلام ؟ وما الذى يعنيه المتحدث عن الاسلام) أو (العالمية فى الاسلام) وبين أن يتحدث عن (الاسلام والعالمية) أو (العالمية والاسلام) .

الاسلام دين عالمى بمعنى انه رسالة موجهة لأهل الارض جميعا تدعوهم الى الدخول فيه . والنصوص القرآنية صريحة فى ذلك تؤكد عموم الرسالة الاسلامية ، فى مقابل قومية الرسالات الاخرى . ومنها على سبيل المثال قوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ((**وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا**)) (النساء ٧٩) ، وقوله تعالى : ((**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**)) (الانبياء ١٠٧) ، وقوله تعالى : ((**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**)) (سبأ ٢٨) . وقوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : ((**قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا**)) (الاعراف ١٥٨) .

وفى مقابل وصف الرسالة الاسلامية بأنها موجهة (للناس) و (للعالمين) و (للناس كافة) و (للناس جميعا) ، وصفت الرسالات الاخرى بأنها موجهة لأقوام بأعيانهم . فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ((**ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه**)) (هود ٩٧) ، وقوله تعالى : ((**اذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ورسولا الى بنى اسرائيل**)) (آل عمران ٤٥ — ٤٩) ، وقوله تعالى : ((**وان يونس لمن المرسلين .. وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون**)) (الصافات ١٣٩ — ١٤٧) ، وقوله تعالى : ((**انا أرسلنا نوحا الى قومه أن انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم**)) (نوح ١ ، ٢) وقوله تعالى : ((**كذبت عاد المرسلين ، اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون . انى لكم رسول أمين**)) (الشعراء ١٢٣ — ١٢٥) ومثل ذلك فى ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة : ((**كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين**)) (الشعراء ١٤١ — ١٤٣) و ((**كذبت قوم لوط المرسلين . اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . انى لكم رسول أمين**)) (الشعراء ١٦٠ — ١٦٢) و ((**كذب أصحاب الأيكة المرسلين . اذ قال لهم شعيب ألا تتقون . انى لكم رسول أمين**)) (الشعراء ١٧٦ — ١٧٨) .

وعموم الرسالة وشمولها للناس كافة ظاهر فى دعوة أهل الديانات السماوية السابقة للدخول فى الاسلام ، الذى يؤكد ما بين أيديهم من الكتب

ويصدقه ، ويصحح ما انحرف به الناس عن وجهه فيها . وهو ما توضحه الآيات الآتية :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ،ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » (آل عمران ٦٤) .

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على ادبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت . وكان أمر الله مفعولا » (النساء ٤٧) .

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . انما المسيح بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله . ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الارض . وكفى بالله وكيلا » (النساء ١٧١) .

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (المائدة ١٥ ، ١٦) .

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير . فقد جاءكم بشير ونذير . والله على كل شىء قدير » (المائدة ١٩) .

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (المائدة ٧٧) .

وقد كان من مقتضيات هذا العموم فى رسالة الاسلام ان يكون خاتم رسالات الله للناس . وبه تمت نعمته عليهم . وهو ما يؤكده القرآن الكريم فى قوله تعالى : **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شىء عليما »** (الاحزاب ٤٠) ، وفى قوله تعالى ، وهو من أواخر ما أنزل على رسوله . انزل فى حجة الوداع فى عرفات فى يوم جمعة كما رواه مسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** (المائدة ٣) .

وقد كان ادراك رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الشمول والعموم واضحا فى ارساله الكتب الى كسرى فارس والى قيصر الروم والى نجاشى الحبشة والى المقوقس حاكم مصر بعد صلح الحديبية يدعوهم الى الاسلام ، ثم بإعداده لغزو الروم فى مؤتة سنة ٨ هـ وفى تبوك سنة ٩ هـ .

فالاسلام عالمى بهذا المعنى الذى يتضمنه شمول رسالته وعمومها ، وبتسويته بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ، وصهرهم فى أمة واحدة لا يتفاضل الناس فيها بحسب أو نسب أو لون . وهو أصرح ما يكون فى قوله تعالى : **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ان الله عليم خبير »** (الحجرات ١٣) . قيل فى سبب نزولها ان بلالا ــ وهو حبشى ــ حين رقى على ظهر الكعبة يوم الفتح فأذن ، قال بعض الناس : أهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة ؟ فقال بعضهم : ان يسخط الله هذا يغيره . ففى ذلك نزلت الآية . وقيل انها نزلت فى أبى هند . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن

يزوجوه امراة منهم . فقالوا : يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا .. ؟!

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه تؤكد هذه المساواة التامة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم . فهو يقول « ان أمر عليكم عبد أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » (رواه مسلم فى كتاب الامارة) .

وروى مسلم ان أبا سفيان أتى على سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فى نفر — وكان ذلك بعد صلح الحديبية قبل اسلامه . وهو كما هو معروف صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنته أم حبيبة زوج النبى — فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها . فقال أبو بكر : اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذى كان . فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبو بكر فقال : يا اخوتاه ! أغضبتكم ؟ فقالوا : لا . ويغفر الله لك يا أخى .

ودخل أعرابى على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة فوجد سلمان وصهيبا وبلالا وسالما مولى بنى حذيفة . فقال لهم : تحلقتم يا معشر العلجة كأنكم من الأوس أو الخزرج ؟! وسعد بن أبى وقاص يصلى ويسمع كلامه . فعجل وسلم . ثم قام الى الاعرابى فلببه بردائه وقال : يا عدو نفسه . تقول هذا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فذهب به سعد الى رسول الله وأخبره بمقالته . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أيها الناس . ان الرب واحد . وان الدين واحد ، والأب واحد . ومن أسرع به عمله لم يبطىء به نسبه . ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . ومن دخل فى هذا الدين فهو من العرب » . فقال سعد : ما أصنع بهذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادخره للنار . قال سعد رضى الله عنه : فلقد رأيته ارتد مع مسيلمة فقتل معه كافرا .

ومن أجل أن الاسلام هو دين الناس كلهم أجمعين على اختلاف الازمنة والامكنة كان دين يسر لا يشدد على الناس ولا يكلفهم ما يشق عليهم . وذلك ليكون ملائما لهم على اختلاف طاقاتهم وتباين ظروف حياتهم ، فى فراغ البداوة وبساطتها ، وفى مشاغل المدنية وتعقيداتها . فالاسلام دين الفطرة التى فطر الله عليها الناس جميعا . يقدر ضعف الانسان فلا يؤاخذه على الخطأ والنسيان والاضطرار ، ولا يكلفه من العبادة فوق ما يطيق . فالارض لهم مسجد . أينما كانوا أقاموا الصلاة . لا يكلفون بأدائها فى داخل دار خاصة بالعبادة . ويؤمهم فى صلاة الجماعة من هو أهل للامامة التى لا تقتصر على طائفة بعينها من رجال الدين . ومن لم يجد ماء فليتيمم . ومن كان مسافرا أبيح له أن يقصر صلاته ، فيصلى الرباعية ركعتين ، كما أبيح له أن يجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير . وأبيح لهم فى الحرب أن يصلوا الرباعية ركعة واحدة فى صلاة الخوف . وعند التحام الصفوف أبيح لهم أن يؤدوها كيفما تيسرت ، رجالا أو ركبانا ، لا يشترط فيها ركوع ولا سجود ولا استقبال قبلة . ويحج المسلم فيؤدى شعائر الحج لا سلطان فيها لسادن أو كاهن . ويدعو الله فيما شاء ، فى وقت الصلاة وفى غير وقت الصلاة . ويتوب اليه ويستغفره من ذنوبه متجها اليه بقلبه وحده دون وسيط .

والله سبحانه وتعالى يدعو عباده الذين أسرفوا فى المعصية الى الوقوف

بباب رحمته ، فيقول جل شانه : **« قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان الله يغفر الذنوب جميعا . انه هو الغفور الرحيم »** (الزمر ٥٣) . ويقول : **« واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان . فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »** (البقرة ١٨٦) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفسى بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » (رواه مسلم فى كتاب التوبة) . وروى مسلم أن رجلا قدم على رسول الله فى المسجد فقال : يا رسول الله . انى اصبت حدا فأقمه على . فسكت عنه . ثم أعاد . فسكت عنه . وقال ثالثة ، فأقيمت الصلاة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . فلما قضى صلاته وهم بالانصراف تبعه الرجل ، فقال : يا رسول الله انى اصبت حدا فأقمه على . فقال له رسول الله : « ارأيت حين خرجت من بيتك ، اليس قد توضأت فأحسنت الوضوء ؟ » فقال : بلى يا رسول الله . قال « ثم شهدت الصلاة معنا ؟ » قال : نعم يا رسول الله . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فان الله قد غفر لك ذنبك » .

يرسم الاسلام للمسلمين الطريق الى المثل الاعلى ، ولكنه يكتفى من اسلامهم بما يطيقه اضعفهم . والطريق بعد ذلك مفتوح لمن أراد المزيد . فهم فى اسلامهم درجات . وكلهم على اختلاف درجاتهم وطاقاتهم واستعدادهم مسلمون ، لا حق لأحد منهم فى أن يتعالى على صاحبه أو يستطيل بسبب ذلك ، لأن الدين لله والعبادة خالصة له ، وليست وسيلة الى الاستعلاء على الناس .

والفرق واضح بين هذه الروح الاسلامية فى عمومها وشمولها وعالميتها التى تزيل كل احساس بالتفوق على أساس من النسب أو الجنس ، والتى تحفظ على الناس انسانيتهم ، فتنهى عن قتل الاسرى ، وتمنع فى الحروب من التعرض للنساء وللشيوخ وللاطفال ولرجال الدين من غير المقاتلين . وتحرم اجبار اليهود والنصارى على ترك دينهم ، وتمنع من هدم دور عبادتهم أو المساس بها ، وتأمر باقامة العدل بينهم وبين المسلمين على سواء . الفرق واضح بين الاسلام فى روحه الانسانية هذه وفى عالميته الشاملة وبين العنصرية اليهودية التى تعتبر الدين اليهودى مقصورا على بنى اسرائيل لا يتعداهم الى سواهم — واسرائيل كما هو معروف هو سيدنا يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — ولذلك فهم لا يبشرون بدينهم ولا يعملون على نشره فى خارج مجتمعهم المغلق هذا . لأن الشعوب الاخرى أو من يسمونهم الجوييم Goyim لم يخلقوا فى عقيدتهم الا لخدمة بنى اسرائيل . و (يهوه) هو الههم وحدهم ، ومن عداهم من الشعوب محروم من رحمته .. وهم يستبيحون فى حقهم كل شىء مما لا تبيحه ديانتهم فى حق اليهودى . ينهبون أموالهم ويسفكون دماءهم ويتقربون الى الههم بتعذيبهم والتنكيل بهم .

ذلك هو الاسلام . وتلك هى حدود عالميته . عالمية تفتح بابها لكل طارق ، ولا تغلقه دون قاصد . ولكنها تدرك حدود ذاتها ادراكا يميزها من غيرها ويمنعها أن تذوب فيه . وتعد أسباب القوة لتكون كلمة الله هى العليا ولكنها لا تسىء استعمالها . ورحم الله شوقى اذ يقول :

كم من غزاة للرسول كريمة ... فيها رضى للحق أو اعلاء
كانت لجند الله فيها شدة ... فى اثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها ... فعلى الجهالة والضلال عفاء
دعموا على الحرب السلام وطالما ... حقنت دماء فى الزمان دماء

فقيد الإسلام في افغانستان



العلامة الفيلسوف صلاح الدين السلجوقي

بقلم الأستاذ أنور الجندى

كان السيد صلاح الدين السلجوقى علامة افغانستان وفيلسوفها الاسلامى الكبير بعد نفسه من تلاميذ جمال الدين وخلفائه ويتابع نهجه فى الفكر والبحث ، ويربط فكره به ، بل لعل مولد السلجوقى قريبا من العام الذى توفى فيه جمال الدين الافغانى (وقد توفى جمال الدين ١٨٩٧) كان يمده دائما بذلك الالتقاء والمتابعة والاعجاب الباهر .

وقد اختتمت يوم ٩ ربيع الآخر ١٣٩٠ (١٤ يونيه ١٩٧٠) حياة هذا العلامة الذى كان من أبرز العاملين على الربط بين العروبة والاسلام وبين الأفغان والأمة العربية ، ومن الداعين الى احياء مفاهيم الاسلام وقيمه والاعجاب باللغة العربية وحبها ودعم العلاقات بين اجزاء الوطن الاسلامى — ليس على مستوى

السفراء والعمل السياسي وحده — وإنما عن طريق ذلك اللقاء الفكري والروحي والأدبي القائم بين أجزاء العالم الاسلامي بوصفها أمة واحدة يجمعها فكر موحد هو الفكر الاسلامي المستمد من القرآن الكريم .

وقد أمضى (صلاح الدين السلجوقى) حياة عملية نشطة فقد تولى منصب الافتاء فى هرات وعمل استاذا فى كليتى الحبيبة والمعلمين فى كابل ، ثم عمل مديرا للمعارف فى هرات ثم سفيرا لبلاده فى نيودلهى وكراتشى والقاهرة ، ثم كانت له مشاركاته الواسعة فى أعمال المجمع اللغوى والمجلس الاعلى الاسلامى ، وعدد من الهيئات العلمية خلال فترة اقامته فى القاهرة ، ويبدو أن هذه الفترة كانت خصبة فقد كتب فيها السلجوقى عددا كبيرا من الدراسات وتناول أبعاد الفكر الاسلامى فى اتصاله بالحضارة والعصر على نحو بالغ العمق والقوة والتمكن . وقد امتدت اقامته فى القاهرة حتى عام ١٩٦٣ حين اختار العودة الى بلاده والتفرغ لحياته الخاصة ، ولا ندرى ماذا كتب فى خلال هذه الفترة من بعد الى أن اختار جوار ربه ، ولكن ما بين أيدينا من آرائه وأفكاره كفيل بأن يشكل مفهوما كاملا لفلسفته وعقيدته .. فهو جامع بين الدراسات الاسلامية والفلسفات الحديثة والقديمة ، متصل بأحدث نظريات العلم وآراء الفلاسفة ، وهو فى كل دراساته وأبحاثه يصدر عن الاسلام نفسه فى أصفى مفاهيمه وعقائده ، من حيث هو حاكم ومسيطر ، ومن حيث خضوع كل هذه المذاهب والفلسفات فى أعماق نفسه لعقيدة التوحيد أساسا .

وسطية الاسلام

ويقرر السلجوقى وسطية الاسلام بين الفردية والجماعية ، ويقول أن الله سبحانة وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه الفرقان الذى قضى على الافراط والتفريط فى الفردية والاشتراكية ، وهما اللذان كانا فى صراع دائم لا يعرفان الوسط السليم ولا يعترفان به فالفرد فى الاسلام له حق وعليه واجب نحو فرديته ومجتمعه سواء بسواء . فهو يتأمل فرديا ويعمل اجتماعيا ، ويرعى نفسه ويكون مسئولا عن رعيته ، ويشاور الجماعة فى الأمر ، واذا عزم عند الضرورة توكل على الله ، وله حق الكسب والتملك والتمتع بالمال ولكن عليه أن يؤدى الزكاة والصدقات المتنوعة والتبرعات المتتالية ، حتى لا يدخر راس مال كبير وبعد موته يقسم ماله بين الورثة ولا يبقى هناك شىء يذكر جدير بأن يسمى (راس المال) ولا ينسى نصيب نفسه من الدنيا ، فينعشها بالغذاء ، ويقويها بالرياضة ويزينها بالعلم ، ولو كان فى الصين ، ولكن حينما تستدعيه حاجة المجتمع فانه يقدم هذه النفس المكتملة الراضية المطئنة الى التضحية ، مؤمنا بأن هذه التضحية هى حياة له ، وان الهرب منها معناه القاء نفسه بيديه الى التهلكة ومن ناحيةأخرى فان من قتل نفسا بريئة بغير حق فكأنما قتل

الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .
فالمسلم فرد فى المجتمع ، ومجتمع فى الفرد ، لأنه يكون دائما مع عشيرته وأهله ، ومع ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ومع الشعب فى الرأى والحكم والدفاع والتعمير والاصلاح .
وكان هذا هو السبب الاصلى فى نشر الدين الاسلامى واعلاء شأن دولته التى كانت مبنية على العلم والفضيلة والحق والخير والجمال والكمال ، والتى كان الفرد فيها مقوما للمجتمع ، والمجتمع محصلا للفرد ، لأنه اذا لم يكن هناك فرد لا يوجد حق ، واذا لم يكن مجتمع فلا يتحقق واجب .
فالانسانية التى تطير بجناحين جناح الحق وجناح الواجب ، لا يمكن لها أن تطير بجناح واحد ، لأن الفرد المندمج فى المجتمع أجير مثقل بالواجبات ومسلوب الحقوق ، وليس من المتوقع منه أن يكون حرا فى تصرفاته ، ويكون المجتمع المؤلف من هؤلاء الافراد أشبه بخلية النحل ، لا أمل لهم فى الرقى ، وهكذا الفرد الذاهل ، الناسى للمجتمع ، يكون منتفخا متورما بالحقوق دون أن يكون لديه أية نزعة لاداء الواجب . ولا يمكن من قبل هؤلاء الافراد أن يتحقق مجتمع متناسق ، اللهم الا أن يكون محشرا للظلمة والمظلومين ، ومن أجل هذا نجح الاسلام فى بناء مجتمع اسلامى زاهر ، شعاره الاعتصام بحد الوسط بين الفرد والمجتمع ، والجمع بين الحق والواجب ، بل ان هذا الشعار امتد نوره كشبه ظل على الأمم غير الاسلامية ، وتلدت من بين ما تلدت من افكارنا ، هذا الشعار ايضا . وكان التناسق بين الفرد والمجتمع ملحوظا فى الدول غير الاسلامية ، لأنها بعد ما شاعت تلك الفكرة لم يكن من المستطاع لأية دولة أن تصرف النظر عنها . »
ويخلص السلجوقى من هذا العرض الشيق الى اقرار حقيقة واضحة هى :

بدأ الاسلام باول كلمة منه — الا يعبد الا الله ولا يخضع لأى حول أو قوة فردية أو جماعية غير حول الله وقوته والا يطمع أو يخاف الا من الله الغنى القوى ، لأن أمة الاسلام هى الوسط ، وهى خير أمة أخرجت للناس بين الأمم ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولا تقول غير الحق ، ولا تعمل الا للخير ، ولا تشترى بآيات الله من الحرية والدفاع عن الحق والخير والتعاون على البر والتقوى — ثمنا قليلا .

اخوة العروبة والاسلام

ويتحدث العلامة السلجوقى فى ابحاثه عن أخوة العروبة والاسلام : ويصور محبة الافغانيين للعرب ومفاخرتهم بالقرآن الكريم ، فالافغانيون لم يأخذوا العقيدة التى حملها لهم العرب فحسب ، بل اخذوا لسانهم العربى المبين وحتى القرن الرابع للهجرة كانت اللغة العربية هى اللسان الرسمى ولا تزال اللغة

العربية حتى يومنا هذا لساننا الدينى والعلمى .

« لقد فتح جنكيز خان افغانستان عنوة وغصبا ، وبعد معارك عنيفة ومذابح دموية ، وكذلك دخل الانجليز البلاد ، وما لبث الافغانيون أن أبادوهم على بكرة أبيهم . ولكن العرب حملة لواء الاسلام فتحوا ديارنا بمبادئهم السامية ففتح لهم الافغانيون قلوبهم وصدورهم ، متقبلين لهذه التعاليم ، حتى أنه عندما ضعف مركز العرب ومركز الخلافة ، وتوقفا عن نشر الحضارة الاسلامية ، كنا نحن معشر الافغانيين المبشرين بهذه الحضارة والناشرين لها والمجاهدين فى سبيلها فى أنحاء العالم » .

والعرب هم اخواننا الذين سبقونا بالايمان . .

وثقافة افغانستان الآن عربية ، وفى اللغة الافغانية نحو ثلاثين فى المائة من الألفاظ العربية ، ولا توجد هناك غير لغة علمية واحدة ، وهى اللغة العربية ، وكل كتب العلم والدين والفلسفة والمنطق والحكمة والكلام والمحاضرات باللغة العربية .

اللغة العربية

ويعنى العلامة السلجوقى باللغة العربية ويرى أنها ليست لغة العرب وحدهم ، « انها لغة يصلى ويدعو بها أكثر من خمسمائة مليون مسلم ، انها لغة القرآن الكريم الذى أنزل على المسلمين كافة ، أنزل عليهم وهداهم ، الى صراط مستقيم . وكما أن على جميع المسلمين واجبات نحو لغة القرآن فان له أيضا حقوق علينا لأننا معشر الأعجام خدمناها أكثر من العرب ، وافغانستان التى كانت معروفة فى صدر التاريخ باسم (خراسان) قد اعتنقت عن طواعية الاسلام الذى جاء به أصدقاؤها العرب وحاولت أن تتحد بالشعور والعقيدة معهم .

فهذا القرآن الكريم معاشر العرب يجمعنا واياكم بل يحفظنا واياكم كما حفظ كيانكم وحمى اللغة العربية من الاندثار ، وأنا كمسلم لا أعتقد بفضل العربى على العجمى أو بالعكس ، ولكى لا أنكر أن المركز اللغوى والثقافى هو بين العرب لا بين العجم ، فاذا ما فقد المركز جاذبيته ونقطة ارتكازه فلا شك فى أن المحيط يتلاشى بتلاشى المركز .

. . .

ويدعو السلجوقى الى القضاء على العامية فى اللغة العربية « هذه العامية تنزل بمستوى اللغة العربية المبين ، وتقضى على ما فيها من عذوبة وسعة نطاق ونظام ، وتخلق برزخا واسعا بينكم وبين القرآن وبينكم وبين ثقافتكم والألوف من علمائكم والملايين من كتبكم التى كتبها لكم آباؤكم الكلام من العرب واخوانكم الأعزة من الأعاجم . وفضلا عن ذلك فهى توسع الهوة بين الأمم العربية يوما فيوما ، الى أن تتقسم الى أمم

متباينة فى الفهم والافهام . كما هــو واقع الآن بين الأمم الآرية .

واللغة العربية فى ديار الاســلام شأنها كشأن اللغة اللاتينية فـــى اوروبا ، والفارق بينهما ان اللغـــة العربيـــة ستـــدوم ، وستظل دعامة للعلم والأدب فى هذه الديار مـــا دام القرآن والدين والصلاة وملاييـــن الكتب تؤيدهـــا من بين يديهـــا ومن خلفها .

فلســفة الوجوديــة

ويتحدث العلامة السلجوقى عــن فلسفة الوجوديـــة فيقــول : ان الوجودية آخر معركة فاشلة قامت بين الفردية المفرطة والاشتراكيـــة المحضة ، وهذا الصراع بدأ بيـــن افلاطون وارسطو ولكن بطريقة علمية ومن غير افراط .

الوجودية فكرة مأخوذة من « وحدة الوجود » ولكنها نسخة ممسوخـــة مشوهة منها لأنها تنعقد على شعار (أنا الأعلى) ولكنها تنزله من العلو الى أسفل سافلين ، والعجـــب أن (أنا الأعلى) الذى يجب الا يكـــون مسئولا يعتبر مسئولا فى عقيدتهم ، والأعجب هو ان (أنا الأعلى) مـــع كمال مسئوليته اباحى محض ، فهذه ظلمات ثلاث بعضهـــا فـــوق بعض فالوجوديـــة موت لعلـــم الاجتماع وانحلال للفلسفة .

الفن فى مفهوم الاســلام

ويحدد العلامة السلجوقى مفهوم الفن فى الاسلام فيرى انه بعد عـــن التماثيل والأنصـــاب والمجسمـــات المنحوتة وأنه اقرب من الشعر وعلوم البلاغة .

« ان الاسلام قلب قائمة الفـــن راسا على عقب ، ووضع فن الشعر والبيان والأدب فى مقدمة القائمة ، لأن بحر التفكير الزاخـــر ، ومحيـــط التأمل الفائض ، وبسيط القلب الذى لم يخلق الله عالما أوسع منه ، لا يمكن أن تصاد حيتانها المارذة الشاردة من اى ملامس حسية وملابس عادية ، الا بشص « القلـــم » وشبكـــة « ما يسطرون » فالرائد والقائـــد لشعبات الفن عند الاسلام هما فن البيان وصناعة الشعر ولا غرو فان من البيان لسحرا وان من الشـــعر لحكمة . »

ويتصل حديثه عن الفن الرخيص المعاصر فيقول :

أنا لست أنكر الفن ولكن ليس كل ما يكتب على الورق أو يظهر علـــى المسرح ، يسمى فنا بمعنى الكلمـــة ومن جهة أخرى ، لا ينبغى أن يكون كل شىء فنا ، أو أن يكون الفن كل شىء ، فاذا ما طغى الفن الرومانسى وتغلب على شئون الحياة فمعنى ذلك موت روح الحكم على الاشياء وخنق الانتحاب الاخلاقى فى الانسان ، زد على ذلك أن الفن الرخيص يهبـــط

بمستوى الفكر وسطح البرهان .
وهناك فى هوليود متجر كبير ليوسف الفن ، يبيع ويشترى بثمن بخس ، بقصد استغلال القرائح الشابة الفائرة فى العالم وتسنده من ورائه سياسة هوجاء ، ووراء هذين غرائز هائجة ملتهبة ، ظلمات ثلاث ، بعضها فوق بعض ، فعلى المجتمع أن ينأى بجانبه عن هذه السفاسف ، وأن يتوجه الى الآثار الطيبة الخالدة ، سواء فى الشرق أو فى الغرب ، لا الى قصص الأولين وأساطيرهم ، ان فى الشرق لآثارا خالدة عظيمة الفائدة يطلق عليها أعداء اللغة العربية اسم (الكتب ذات الاوراق الصفراء) وفيها جواهر ثمينة أنا لست أنكر أنه يوجد الغث والسمين فى كل اثر شرقى أو غربى . ولكن علينا أن نعمل بالمثل (خذ ما صفا ودع ما كدر) .
ان الحضارة الغربية النشيطة قد نفذت ، مع الأسف ، الى كياننا الثقافى وأثرت فيه ، بل لقد أثرت فى تقاليدنا ولذا فليس لنا أن نبذل جهودا أخرى فى ترجمة انتاج الشعراء والقصصيين والمسرحيين الغربيين ، بل علينا أن نولى وجوهنا شطر المشرق ، وان نعمل على المحافظة على آثارنا القيمة التى تموت بموتها ، وان نحميها من أن تسقط صريعة زحف الحضارة الأوروبية . »

* * *

هذه جماع فلسفة العلامة صلاح الدين السلجوقى ، وهى فلسفة اسلامية أصيلة عميقة الجذور ، كاشفة لإيمان عميق بالاسلام واستشراف للفكر الغربى الحديث ، وقدرة واضحة على رسم منهج صحيح ، يعيش به المسلمون والعرب فى نطاق فكرهم ومزاجهم النفسى دون أن ينعزلوا عن مجتمعهم أو يذوبوا فى مجتمعات غيرهم .
ومن هنا تبدو اصالة فكر السلجوقى وسلامة عقائده ومفاهيمه رحمه الله رحمة واسعة .



أين هي توراة موسى عليه السلام

للاستاذ محمد عزة دروزة

يقع كثير من الناس بل معظم الناس ومنهم باحثون وعلماء فى الخطأ . اذ **يطلقون** كلمة التوراة على ما فى أيدى اليهود والنصارى من أسفار العهد القديم أو بعضها . ويشترك فى ذلك معظم المسلمين ومنهم باحثون وعلماء .

ولقد اجتهدنا فى التنبيه على هذا الخطأ ووضع الأمر فيه فى نصابه الحق فى تفسيرنا (التفسير الحديث) وفى كتابنا (القرآن والمبشرون) ولكن الخطأ يظل ممارسا ، وآخر ما قرأنا ذلك فى مقال لاحد فضلاء المسلمين نشر فى مجلة الوعى الاسلامى . فرأينا انه قد يكون من المفيد التنبيه على ذلك فى مجلة اسلامية واسعة الانتشار مثل الوعى حيث يؤمل أن يكون فى ذلك حسم إن شاء الله .

ولقد كان انطلاقنا فى تنبيهنا من القرآن الكريم من جهة ومن واقع ما فى أيدى اليهود والنصارى من أسفار من جهة أخرى .

ولقد ذكرت التوراة فى القرآن الكريم مرات كثيرة ، منها ما جاء مع الانجيل مثل آيات آل عمران هذه « **نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان** » وآية سورة المائدة هذه « **قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** » . . . ومنها ما ذكرت فيه لحدتها كما جاء فى آية سورة آل عمران هذه « **كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أن كنتم صادقين ٩٣** » وكما جاء فى آيات سورة المائدة هذه (**وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوهم**

واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون . وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ٤٣ ــ ٤٥) ..

ولا يجمع القرآن الكريم بين التوراة وموسى عليه السلام ، وانما يذكر ان الله آتى موسى الكتاب وانزله عليه كما جاء فى آية سورة البقرة « **ولقد آتينا موسى الكتاب ..** » وآية سورة الانعام « **وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا انتم ولاآباؤكم قل الله** ... ٩١ » وسورة السجدة هذه « **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل** ٢٣ » ، غير انه يلحظ تشارك فى الوصف لكتاب موسى وللتوراة بأنه نور وهدى كما هو ظاهر فى آيات المائدة ٤٣ ــ ٤٥ والانعام ٩١ والسجدة ٢٣ حيث يمكن القول انه قصد بكتاب موسى التوراة ..

والآيات القرآنية تفيد كما هو واضح من بعض الآيات التى أوردناها ايضا ان التوراة التى أنزلت على موسى أو اوتيها تحتوى وصايا الله تعالى واحكامه وتشريعاته . وقد يفيد بعضها مثل آيات آل عمران ٩٣ والمائدة ٤٣ ــ ٤٥ ان هذه التوراة كانت موجودة فى أيدى اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم هذا فى حين أن المتداول اليوم فى أيدى أهل الكتاب اليهود والنصارى هو مجموعة ضخمة من أسفار عديدة تسمى « العهد القديم » ولكل منها اسم خاص لا يفيد انه جزء من كتاب وانما يفيد بصراحة انه كتاب مستقل منفصل عن غيره مدى ومحتويات . وعددها تسعة وثلاثون فى الطبعة البروتستانتية التى تعتمدها بعض طوائف من النصارى وستة وأربعون فى الطبعة الكاتوليكية التى تعتمدها بعض طوائف أخرى من النصارى وهى عائدة الى حقب عديدة بدءا من تاريخ خلق الكون وآدم وحواء ونوح وطوفانه وأولاده وانسابهم الى ابراهيم وذريته الى موسى وبعده الى أوائل عصر عيسى عليهم السلام . وأسلوبها مزيج من السمة الدينية والتاريخية ، منها ما تغلب عليه السمة الدينية التى منها التشريع والوصايا والاحكام والطقوس والأوامر والنواهى الأخلاقية والاجتماعية والأسرية والانذار والتبشير والابتهال والتسبيح والحكمة والمواعظ ، ومنها ما تغلب عليه السمة التاريخية وأولها (سفر التكوين) وهو الذى يحتوى خبر خلق الكون وآدم وحواء ونوح وابراهيم وأولادهم ، وليس فيه دلالة على انه من وحى الله تعالى ، وأن كان فيه حكاية كلام منسوب الى الله تعالى وحكاية لما كان من اتصالات بين الله والأنبياء المذكورين فيه ! وليس فيه دلالة على انه من تبليغ موسى أو املائه أو تبليغ واملاء شخص آخر ! وفيه ما قد يفيد انه كتب بعد موسى وبأسلوب الحكاية ! وبأقلام عديدة لما فيه من تناقض ، وفيه أقوال وأفعال ووصايا ومواقف منسوبة الى الله وانبيائه يتنزهون عنها ، ومن ذلك على سبيل المثال سماح الله لنسل ابراهيم واسحق ويعقوب بتدمير وابادة شعوب الارض أرض كنعان وغيرها والاستيلاء على بلادهم وأملاكهم بالقوة والدم ، وحرمان بكر ابراهيم وأولاده الآخرين وحرمان بكر اسحق من ارث أبويهم لحصره فى بنى اسرائيل واحتيال يعقوب على ابيه ، ومضاجعة أحد أبناء يعقوب وهو من الاسباط لإحدى زوجات أبيه ، ومضاجعة بنات لوط مع أبيهم الخ الخ . وفى هذا السفر وعود منسوبة الى الرب لابراهيم واسحق

ويعقوب فى صدد ملك أرض كنعان وغيرها فيها تضارب وتناقض واستدراكات، فقد ذكر فى اصحاحه الثانى عشر ان الرب قال لابراهيم حينما قدم الى أرض كنعان لأول مرة — والمستفاد من عبارات السفر والاسفار الأخرى ان أرض كنعان هى القسم المتوسط من فلسطين — (لنسلك اعطى هذه الارض) وقال له فى تجل ثان كما جاء فى الاصحاح الثالث عشر (أنظر من الموضع الذى انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ان جميع الارض التى تراها لك أعطيها ولنسلك الى الأبد) فتطور القول من قسم من فلسطين الى جميع فلسطين، ثم جاء فى الاصحاح الخامس عشر (فى ذلك اليوم بت الرب مع ابراهيم عهد قائلا لنسلك اعطى هذه الارض من مصر الى النهر الكبير نهر الفرات) وفى الاصحاح السابع عشر تراجع عجيب حيث جاء فيه معزوا الى الرب خطابا لابراهيم (واعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا واكون لهم الها) . وبعد ولادة اسماعيل جاءت ابراهيم بشارة بولادة اسحاق فى الاصحاح (١٧) وجاء مع البشارة على لسان الرب ان عهده فى صدد تمليك الارض يكون لاسحاق ونسله من بعده دون بكره اسماعيل، وفى الاصحاح (٢٥) خبر تزوج ابراهيم من زوجة جديدة اسمها قطورة وولادة أولاد له منها وقد جاء فى السفر أن ابراهيم أعطى جميع ماله لاسحاق فقط مع هبات عابرة لاولاده الآخرين دون تمليك أرض . وفى نفس الاصحاح خبر مباركة الله لاسحاق دون غيره من أخوته — وفى الاصحاح (٢٦) خبر تجلى الرب لاسحاق وقوله له اننى اعطيك ولنسلك هذه الارض) . وفى الاصحاح (٢٧) خبر احتيال يعقوب على أبيه الذى شاخ وعمى وتقديمه نفسه بانه بكره عيسو لان اسحاق طلب من عيسو أن يصنع له طعاما من صيده ليباركه وخبر مباركة اسحاق ليعقوب على اعتبار انه عيسو وقوله له تسجد لك القبائل وتخدمك الأمم . ولا عنك ملعون . ومباركك مبارك وتكون سيدا على اخوتك ويسجد له بنو امك ولقد عرف اسحق الحيلة ولكنه قال لعيسو : ان اخاه قد أخذ البركة والعهد دونه . وفى الاصحاح (٢٨) خبر تجلى الرب ليعقوب وقوله لـــه (انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق والارض التى انت عليها لك اعطيها ولنسلك ويكون نسلك كتراب الارض وتنمو غربا وشرقا وشمالا وجنوبا) وهكذا يكون السفر قد سجل ملك أرض كنعان تارة وملك أراض شاسعة أخرى من شرقها وجنوبها وشمالا تارة لابراهيم، وهو الجد الثالث الأعلى لبنى اسرائيل ثم استدرك فسجل اختصاص اسحاق ابنه دون سائر ابنائه ودون بكره اسماعيل بذلك، وهو الجد الثانى لبنى اسرائيل . ثم استدرك فسجل اختصاص يعقوب ابن اسحاق دون ابنه الثانى بذلك بطريق الاحتيال، ثم يثبت ذلك بعد انكشاف الاحتيال . وكل هذا بدون ريب مفتعل لاختصاص بنى اسرائيل دون غيرهم . و (اسرائيل) هو الاسم الثانى ليعقوب مما يتنزه الله عنه، ومتأثر بما وقع من احداث بعد خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم أرض فلسطين وسيرة حياتهم فيها .

ولقد جاء فى الاصحاح (٢٦) من هذا السفر مثلا (ذكر أبى مالك ملك فلسطين فى جوار) فى سياق خبر سكنى اسحاق بن ابراهيم فى أرض هذا الملك . كما ذكر فى هذا الاصحاح عبارة (الفلسطينيون) أكثر من مرة، وسكنى اسحاق تخمن فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . والجماعات التى عرفت بالفلسطينيين وصارت فلسطين تدعى باسمهم انما طرأت على جنوب فلسطين من جزر البحر الأبيض المتوسط فى القرن

الرابـــع عشر قبل الميــلاد وقد ذكروا مرارا في الاسفار الاخرى في سياق النضال بينهم وبين بني اسرائيل بعد ما طرأ هؤلاء على فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فالتسمية متأثرة بالواقع ، والسفر يكون قد كتب في هذا الظرف ، أي : بعد أحداث ابراهيم واسحاق ويعقوب وذريتهم في فلسطين التي ذكرت في السفر بنحو سبعة قرون ..

وفي الاصحاح (٤٠) من السفر حكاية قول ليوسف وهو انه خطف من أرض العبرانيين ، والارض التي خطف منها يوسف لم تكن تعرف بأرض العبرانيين وانما بأرض كنعان ، ولم يكن فيها في ظرف وجود يوسف فيها من العبرانيين الا يعقوب وذريته ، وصارت تعرف بأرض العبرانيين مرة وبأرض اسرائيل مرة بعد ما طرأ بنو اسرائيل على فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ويكون في هذا المثال ما في المثال السابق من دلالة على تأثر كتابة سفر التكوين بوقائع واحداث بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، وكون هذا السفر قد كتب بعد الاحداث المذكورة فيه بقرون عديدة . ولو أردنا الاستقصاء لاوردنا أمثلة أخرى ولكنا نكتفي بما تقدم .

وهذا لا يمنع أن يقا ل. ان ما جاء في هذا السفر من احداث قديمة هو ذكريات كانت متداولة فيها الغث والسمين والخيال والحقيقة والصدق والكذب ولا يبعد أن يكون بعضها منقولا عن مخطوطات ونقوش قديمة عينا أو محرفة وزيادة أو نقصا ..

وفي هذا السفر عبارة صريحة تدل دلالة قاطعة على تأثر تدوينه ومدونيه بأحداث بني إسرائيل حيثما طرأوا على أرض كنعان ونشب العــداء والحرب بينهم وبين الكنعانيين . ففي أصحاحه التاسع ما يلي : (ابتدأ نوح يحرث الارض وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر ، وتكشف داخل خبائه فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه ، فأخبر أخويه وهما خارجا . فأخذ سام ويافث رداء وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوأة أبيهما واوجههما الى الوراء وسوأة أبيهما لم يرياها ، فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان . عبدا يكون لعبيد أخوته . وقال تبارك الرب اله سام : وليكن كنعان عبدا له . يرحب الله ليافث يسكن في أخبية أخيه سام ، ويكون كنعان عبدا له) ويستفاد من وصف حام بصفة (ابنه الصغير) انه لم يكن تزوج وولد لــه كنعــان ، وكنعان ليس هــو على كل حال الــذي راى سوأة نـــوح وهو ليس ولد حام الاوحد بل هو رابع ولد له بالترتيب حيث ذكر قبله كوش ومصراييم وفوط كما جاء في الاصحاح العاشر من السفر ، فتسجيل السفر اللعنة على كنعان غير المذنب وغير الوحيد من أبناء حام والذي لم يكن قد ولد بعد يدل دلالة قاطعة على ما ذكرت .

وهذا السفر يذكر أن ابراهيم الذي هو حسب ما ورد فيه جد بني اسرائيل من ذرية سا م. فيكون التسجيل المذكور من هذه الناحية توكيدا للافتعال من حيث أن فيه تسجيلا لدعاء نوح بأن يكون كنعان عبدا لسام .

وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الاستقصاء . فان في هذا السفر مقاطع كثيرة أخرى تذكر ما جرى لبني اسرائيل في مصر وما تعرضوا له من اضطهاد وغربة وما نهبوه من أهالي مصر حين خروجهم من حلي واموال مما يلمح فيه اثر الوقائع والاحداث المتأخرة بقصد عزوها الى الله والآباء الأولين وترسيـــخ القدسية والسيادة والاختصاص الرباني لبني اسرائيل من الله الذي تصفــه الاسفار وهذا السفر انه رب اسرائيل واله اسرائيل وحامي اسرائيل برغم

ما تذكره الاسفار من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية لهم .
ويأتي في الترتيب بعد سفر التكوين اسفار (الخروج) و (الاحبار) الذي يسمى باسم (اللاويين) (١) و (العدد) و (تثنية الاشتراع) وهي عائدة الى حقبة حياة موسى عليه السلام . وتتضمن حكاية احداث هذه الحقبة مع كثير من التشريعات والتعليمات والوصايا الاخلاقية والاجتماعية والقضائية والاسرية والمعاشية والصحية والطقسية والكهنوتية والانذارات والتبشيرات بأسلوب الحكاية أيضا ، وسفر (الاحبار) وحده مقصور على التشريعات والتعليمات والوصايا والانذارات والتبشيرات المذكورة والأخرى مزيجة من ذلك ومن التاريخ . وليس فيها في هذه الاسفار الاربعة ما يفيد أنها من املاء موسى أو أنها كتبت في عهده . بل فيها ما يفيد انها كتبت بعده . وبأقلام عديدة ، وفي أزمنة مختلفة . وتأثرت بالوقائع والاحداث بعد موسى . واختلطت الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب ، ونسب فيها الى الله ورسله ما ينزهون عنه من أقوال وأفعال ووصايا ومواقف .
ومن ذلك على سبيل المثال الأمر بتدمير وابادة شعوب ارض كنعان والاستيلاء على بلادهم ونهب حلي المصريين وعدم قبول بعض الشعوب في دين الله . وانحرافات دينية واخلاقية وسلوكية منسوبة الى موسى وهارون وداود وسليمان . وحصر النواهي والأوامر والتشريعات في بني اسرائيل واباحة مخالفتها مع غيرهم الخ الخ . . .
ولقد جاء بعض ما في بعضها مكررا في البعض الآخر كثير من التباين احيانا زيادة أو نقصا أو عبارة او موضوعا وفي بعضها المتأخر ما ليس في البعض الآخر المتقدم مما فيه الدلالة الحاسمة على أنها كتبت بأقلام عديدة . وفي أزمنة مختلفة واستقى كتابها مادتهم من مصادر مختلفة من روايات وذكريات متداولة على الألسن ، ومن مخطوطات ومنقوشات قديمة متباينة . فيها الغث والسمين والحقيقة والخيال والصدق والكذب والمبالغات والخرافات . ولقد جاء مثلا في الاصحاح الثاني عشر من سفر العدد هذه العبارة (وكان موسى رجلا حكيما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الارض) في سياق خبر معاتبة أخيه واخته له . ولا يمكن أن يكون كاتب هذه العبارة وبالتالي كاتب السفر قد كتبهما الا بعد موسى بمدة ما . ولقد جاء في الاصحاح الاخير من سفر تثنية الاشتراع ذكر موت موسى ودفنه في الوادي في ارض مؤاب وقد قال الكاتب بعد ذلك (ولم يعرف قبره الى يومنا هذا) حيث يفيد أن كتابة الجملة وبالتالي كتابة السفر انما كانت بعد وفاة موسى بمدة طويلة . ولقد ورد في الاصحاح (١٧) من هذا السفر هذه العبارة (اذا دخلت الارض التي يعطيك الرب الهك وملكتها وسكنت فيها فقلت اقيم على ملكا كسائر الأمم الذين حولي فأقم عليك ملكا يختاره الرب الهك . . الخ) وهذا حادث وقع فعلا بعد موت موسى بنحو مئتي سنة ونتيجة لما وقع على بني اسرائيل من غزوات وضربات وبعد مراجعات ومجادلات بينهم وبين كاهنهم الاكبر صموئيل . وانذار هذا اياهم وتحذيره لهم على ما ورد في سفر صموئيل الاول الذي تسميه الطبعة الكاثوليكية الملوك الاول مما فيه في

---

(١) الاحبار تعني الكهان . وكهان بني اسرائيل محصورون حسب نصوصهم في سبط لاوي الذي ينسب اليه نسل موسى وهرون . وموسى لم يعقب .

الحقيقة تسجيل للحادث بعد وقوعه ، ومما يدل على ان السفر قد كتب بعد وقوع الحادث بمدة ما .

وفى الاصحاح الأول من سفر العدد حكاية أمر الله لموسى باحصاء المعدودين من الذكور (اى الذين يصح تجنيدهم للحرب كما هو المستفاد من سياق الكلام) من أبناء العشرين فما فوق من أبناء بنى اسرائيل الذين خرجوا معه من مصر الى سيناء باستثناء سبط لاوى الذى لا يدخل فى الاحصاء لانه مكرس للكهانة ولا يجند ، وقد بلغ هذا العدد ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين ، فاذا أضفنا الى هذا الرقم ثلثه على الاقل للذين هم دون العشرين من الذكور ثم أضفنا الى الحاصل مثله للاناث واذا قدرنا عدد افراد سبط لاوى بالمقارنة مع عدد الاسباط الأخرى بمائة الف على الأقل ظهر أن عدد بنى اسرائيل الذين خرجوا من مصر الى سيناء مليون وثمانمائة الف .

والمبالغة الكبيرة فى هذا الرقم صارخة يجعل كذبه امرا يقينيا بالنسبة لسكان الارض عامة ، ولسكان مصر خاصة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ويبرز الخيال الواسع فى تأليف السفر .

ولقد ورد فى سفر الاحبار مثلا انذار بما وقع فعلا على بنى اسرائيل بعد موسى بمدة طويلة من غزوات وضربات خارجية ، ومن أجلاء وتشتيت شمل بين الأمم ، ومن بتحنين قلب الرب وارجاعهم مرة اخرى وجمع شملهم بعد التبديد والتشتيت ، وهو ما تم فعلا بعد السبى مما لا يعقل أن يذكر الا بعد وقوعه ، ومثل هذا الانذار متكرر فى سفر تثنية الاشتراع ايضا .

ويأتى بعد الاسفار الخمسة مما السمة التاريخية عليه غالبة اسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل الاول وصموئيل الثانى (السفران الاخيران يسميان فى الطبعة الكاثوليكية) (الملوك الأول والملوك الثانى) والملوك الأول والملوك الثانى (وهذان يسميان فى الطبعة المذكورة الملوك الثالث والملوك الرابع) وأخبار الأيام الأول وأخبار الايام الثانى وعزرا ونحميا واستير وطوبيا ويهوديت (والسفران الأخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وترتيبهما قبل سفر استير) وسفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثانى (وهذان الأخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وهما فى الترتيب آخر أسفار العهد القديم) . وتؤرخ هذه الاسفار سيرة بنى اسرائيل من بعد موسى الى ما بعد سبى بابل الى زمن الحكم اليونانى قبل الميلاد المسيحى . وقلنا ان السمة التاريخية غالبة عليها لانها لا تخلو بدورها من سمة دينية وعظية وانذارية ! . ونشاط أنبياء وتبليغاتهم عن اله تعالى الخ . وتمتزج الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب ، وفيها كثيرة على انها كتبت بعد مدة من الاحداث والوقائع المذكورة فيها ، وانها تأثرت بها ، وانها كتبت بأقلام متعددة ، وفى أزمنة مختلفة ، ولقد جاءت حكاية الأحداث فى بعضها مباينة لما جاء فى بعض آخر او مناقضة له ، أو زائدة عليه أو ناقصة فيه مما يدل على ذلك ، بل وفى بعضها ما ذكر فى أسفار التكوين والخروج والعدد مع نقص وزيادة ومباينة ، وكل هذا يسوغ القول : ان كتابها إستقوا مادتهم من مصادر مختلفة متباينة قد يكون منها الروايات المتداولة على الالسن ، ومخطوطات قديمة فيها ما فيها من غث وسمين وكذب وصدق وحقيقة وخيال وخرافة ، ولقد جاء فى الاصحاح الثالث من أخبار الايام الاول مثلا سلسلة أسماء ملوك يهوذا الى آخرهم ، وفى الأصحاح التاسع منه ما فعله نبوخذ نصر

ملك بابـــل الذى قتل صدقيا آخر ملوك يهوذا (وسبى يهوذا الى بابل لأجـــل خيانتهم) . وفى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الايام الثانى هذه الجملة (وفى السنة الاولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح كورش فأطلق نداء فى كل مملكته قائلا : ان الرب أعطانى جميع ممالك الارض وأوصانى ان ابنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا) مما فيه دلالة قاطعة على أن سفر أخبار الايام الأول كتب فى نهاية دولة يهوذا ، والثانى بعد السبى ، ولقد ذكر سفر الملوك الثانى (الرابع فى الطبعة الكاثوليكية) سيرة ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا الى نهايتهما ، بما فى ذلك نسف نبوخذ نصر لدولة يهوذا ، وسبى اليهود الى بابـــل كما ذكرت بعض أحداث جرت بعد السبى او عقبه مما فيه دلالة قاطعة علـــى أنه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابتـــه بعد السبى وهو مـــا نرجحه . ولما كان هذا السفر هو امتداد واستمرار لسيرة ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا التى بدىء بها فى السفر الاول ، فالكلام المذكور ينسحب على هذا أيضا كما هو المتبادر .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من التى تؤرخ بعض أحداث ما قبل السبى من دلائل وقرائن مماثلة تسوغ القول : انها كتبت بعد السبى مثلها .

والاسفار العائدة الى حقبة ما بعد السبى قد كتبت بأسلوب الحكاية ، وليس فيها دلالة على أنها كتبت باملاء أو اقلام الاشخاص التى تحمل أسماءهم والمتبادر انها كتبت بأقلام كتاب آخرون بعد موت هؤلاء الاشخاص بمدة ما ، وقد يكون الكتاب قد استقوا مادتهم من الروايات المتداولـــة أو من مخطوطات قديمة ، فأدى ذلك الى امتزاج الحقيقة بالخيال ، والصدق بالكذب والمبالغات فى هذه الأسفار .

والى جانب هذه الاسفار أسفار عديدة اخرى تعود كذلك الى حقبة ما بعد موسى والى ما بعد السبى او الى أوائل عصر المسيح تغلب عليها السمة الدينية بأسلوب الابتهالات والتسبيحات والمواعظ والحكم والانذار والتبشير والرؤى على السنة اصحابها الذين يغلب أن يكونوا انبياء وهى المزامير والامثال والجامعة ونشيد الاناشيد ، ونبوءة اشعيا ، ونبوءة أرميا ، ومراثى ارميا ، ونبوءة باروك (وهذا من زوائد الكاثوليكية) ، ونبوءة حزقيال ، ونبوءة دانيال ، ونبوءة هوشع ، ونبوءة يوئيل ، ونبوءة عاموس ، ونبوءة عوبيديا ، ونبوءة ميخيا ، ونبوءة نحوم ، ونبوءة حبقوق ، ونبوءة صفينا ، ونبوءة حجامى ، ونبوءة زكريا ، ونبوءة ملاخى) ومعظمها أو كلها رؤى رآها أصحابها فى منامهم أو فى يقظتهم ومع سمتها الغالبة المذكورة ، فانها تمثل ناحية هامة من تاريخ وحياة بنى اسرائيل السياسية والاجتماعية والثقافية ، وفى بعضها ندب وعويل على ما حل فى بنى اسرائيل . وتنديد باخلاقهم وانحرافاتهم السابقة والراهنـــة بأسلوب قارع . . وتناقض مع ذلك بتبشيرهم بالعلو ، وانذارات قاصمة بل شتائم قارعة للأمم والبلدان التى سلطها الله عليهم بسبب انحرافاتهم على ما ذكرته الاسفار المذكورة أيضا ، وهذا من تناقضاتها ، وفيها ما يدل على أنهـــا كتبت بعد موت أصحابها بمدة طويلـــة بأقلام كتاب آخـــرين من ذكريات ومسموعات ومحفوظات متداولة ، وانها تأثرت بالاحداث التى وقعت بعـــد الاشخاص المنسوبة اليهم ، فلا يصح أخذها على حالتها ، ويجب ملاحظة كل ذلك اثناء النظر فيها .

ولقد ورد مثلا فى الاصحاح الخامس والاربعين من سفر نبوءة اشعيا

الذى يستفاد من عباراته انه عاش فى عهد ملوك يهوذا (عزيا ويوثام واحاز وحزقيا) اسم كورش ملك الفرس الذى تغلب على مملكة بابل وفيه هذه الجملة خطابا لسبى اليهود فى بابل الذى سباهم اليها نبوخذ نصر (اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين) مما فيه الدلالة القطعية على ان هذا السفر كتب بعد السبى وبالتالى بعد وفاة اشعيا المنسوب اليه بمدة طويلة ، وزيد عليه مالا يمكن أن يكون اشعيا كتبه او قاله .

ولقد ورد فى سفر حزقيال الذى يستفاد منه انه من رجال سبى بابل وعاش ومات فى السبى تنديدات قارعة باخلاق بنى اسرائيل واحوالهم وانحرافاتهم قبل السبى وفى اثنائه ، وتذكر بما سلطه الله عليهم من هوان وشتات واضطهاد وتدمير يسبب ذلك ، وفيه فى الوقت نفسه تنديدبالامم التى سلطها الله عليهم ، وانذارات قارعة لها ، وتقرير بان الله سوف يعيد بنى اسرائيل الى تخومهم الاولى فى أرض ميعاد آبائهم ، ويجمع شتاتهم ، ويرأف بهم ، وينصرهم مما فيه تناقض واضح . ولقد عاد بعض المسبيين فعلا بعد موت حزقيال بمدة ما ، وتطورت أحوالهم ، وصار لهم كيان جديد حيث يرجح ان هذا التناقض اثر من آثار ما اثاره التطور الجديد فى بنى اسرائيل بعد العودة من السبى ، وان اقلاما أخرى بعد السبى قد لعبت دورا فى صياغة السفر ، أو فى تجديد صياغته .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من مثل ذلك واكثر حيث يمكن القول : انه دخل تحريفات متنوعة على هذه الاسفار المنسوبة الى انبياء من بنى اسرائيل لغايات سياسية . ومن بين الاسفار العائدة الى ما بعد موسى سفران لا يبدو لهما صلة بتاريخ وحياة بنى اسرائيل وهما سفرا (أيوب ونبوءة يونان) . والاول يتضمن سيرة النبى ايوب المذكورة فى القرآن باشارات خاطفة ، ولكنها متطابقة اجمالا وقد قال عنه السفر : أنه كان فى أرض عوص ، والثانى هو سيرة يونان ابن امتاى فى نينوى ، وهو على الارجح النبى يونس المذكورة سيرته فى القرآن باشارات خاطفة ومتطابقة اجمالا مع ما جاء فى هذا السفر ، والاثار الاسلامية تسميه (يونس بن متى) والكلمتان تعريب لكلمتى (يونان بن امتاى) .

وهناك سفران آخران فيهما مواعظ وحكم . وهما (الحكمة) و (يشوع ابن شيراخ) وهما من زوائد الطبعة الكاثوليكية ، ولا يبدو فيها ما يدل على أن لهما صلة بحياة وتاريخ بنى اسرائيل .

وحتى سفر المزامير الذى هو ابتهالات ودعوات لا يخلو من دلائل على أن منه ما تأثر بأحداث وقعت بعد عهد داود بمدة طويلة .

وواضح من كل ما تقدم أن اسم (التوراة) فى القرآن ، والتى يلتزم المسلمون بالايمان بانها من كتب ربهم ، او الكتاب الذى اتاه الله لموسى عليه السلام لا يمكن أن يصدق على مجموعة اسفار العهد القديم ، ولا على أى سفر منها .

ولقد جاء فى الاصحاح (٢٤) من سفر الخروج أول الاسفار الاربعة العائدة الى حقبة موسى عليه السلام والذى فيه خبر رسالته الى فرعون وخروج بنى اسرائيل من مصر وحياتهم فى سيناء هذه العبارة :

بعد ذكر خبر صعوده الى الطور وتلقيه كلام الله (فجاء موسى وقص على الشعب جميع كلام الرب وجميع الاحكام فاجابه الشعب بصوت واحد وقالوا : جميع ما تكلم به الرب نعمل به ، فكتب موسى جميع كلام الرب ، وبكر

فى الغداة وبنى مذبحا فى أسفل الجبل ، ونصب اثنى عشر نصبا لاثنى عشر سبط اسرائيل ، وبعث فتيان بنى اسرائيل فأصعدوا محرقات ، وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب ، فأخذ موسى نصف الدم وجعله فى طسوت ورش النصف الآخر على المذبح ، وأخذ كتاب العهد ، فتلا على مسامع الشعب ، فقالوا : كل ما تكلم الرب به نفعله ونأتمر به ، فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب ، وقال : هو ذا دم العهد الذى عاهدكم الرب به . على جميع هذه الاقوال) . ولقد ذكر سفر توراة موسى ثلاث مرات فى سفر تثنية الاشتراع وهو رابع الاسفار التى تؤرخ حقبة موسى ، وفيه تكرار لكثير مما جاء فى الاسفار السابقة ولا سيما التاريخية مع الانذار والتبشير وبقصد التذكير كما فيه تشريعات لم تذكر فى تلك الاسفار . ولقد جاء فى اصحاحه السابع عشر هذه العبارة : (اذا دخلت الارض التى يعطيك الرب الهك وملكتها وسكنت فيها من هنا الاصل فقلت : اقيم على ملكا كسائر الامم حولى ، وجلس على عرش ملكه ، فليكتب له نسخة من هذه التوراة فى سفر من عند الكهنـة اللاويين ، ولتكن عنده يقرأ كل يوم من أيام حياته لكى يعلم كيف يتقى الرب ويحفظ كـلام هذه الشريعة) وفى أصحاحه (٣١) هذه العبارة : (وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت العهد) ثم هذه العبارة (ولما فرغ موسى من رقم كـلام هذه التوراة فى سفر بتمامه أمر اللاويين حاملى تابـوت عهد الرب قائلا : خذوا هذا السفر ، واجعلوه الى جانب عهد الرب الهكم فى التابوت ، فيكون ثم عليكم شاهدا ، لانى أعلم تمردكم وقسوة قلوبكم فانكم وانا فى الحياة معكم اليوم قد تمردتم على الرب فكيف بعد موتى) .

فهذه النصوص تفيد قطعا ان موسى عليه السلام كتب تبليغات اللـه ووصاياه وتعاليمه فى كتاب اسمه التوراة ، وسلمه للكهنة ليضعوه فى تابوت العهد ، وهذا التابوت صندوق كان يحفظ فيه الآثار المقدسة ، ويوضع فى المعبد على ما هو المتبادر .

وعهد الرب المذكور آنفا فى عبارة السفر يمكن ان يكون الواح الحجارة التى كتب الله عليها بعض وصاياه على ما جاء فى سفر الخروج حيث جاء فى اصحاحه (٢٤) (قال الرب لموسى : أصعد الى الجبل ، واقم هنا حتى أعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم) وفى أصحاحه (٣١) هذه العبارة (ولما فرغ من مخاطبة موسى على طور سيناء دفع اليـه لوحى الشهادة لوحين من حجر مكتوبين بأصبع اللـه) وفى أصحاحه (٣٢) هـذه العبارة (ثم انثنى موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده ، لوحـان مكتوبان على جانبهما . من هنا ومن هناك . كانـا مكتوبين ، واللوحان هنـا صنعة الله ، والكتابة هى كتابة الله منقوشة على اللوحين) وقد ذكر هـذا الاصحاح خبر غضب موسى حينما رأى العجل الذى صنعه بنو اسرائيـل فى غيابه ، ورميه اللوحين وكسرهما فى اسفل الجبل وفى الاصحاح (٣٤) من هذا السفر خبر أمر الله لموسى بأن ينحت لوحين كالاولين ليكتب عليهما الكلام الذى كان على اللوحين الاولين اللذين انكسرا ، ففعل وصعد الى الجبـل ، وأقام عند الرب أربعين يوما وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء ، فكتب على اللوحين (كلام العهد الكلمات العشر) ونزل وهما فى يده .

وواضح من العبارات ان اللوحين هما غير سفر التوراة الذى كتبه موسى

وفيه كلام الله الذى سمعه ، وانهما سميا العهد ، ووضعـا فى التابـوت ، وسمى بتابوت العهد وان ذلك كان قبل أن يكتب موسى كلام الله الذى سمعه فى سفر التوراة ، فلما كتبه أمر بوضعه مع الالواح فى التابوت .

وفى الاصحاح الثامن من سفر الملوك الاول (الثالث فى الكاثوليكية) ما يفيد أن سفر التوراة قد فقد قبل سليمان حيث ذكر أنه لم يكن فى تابوت العهد الذى نقله سليمان من مدينة داود الى المعبد الجديد الذى أنشأه الا اللوحان الحجريان .

ولقد ذكر فى اصحاحات سفر صموئيل الاول المسمى فى الطبعة الكاثوليكية الملوك الاول ان الفلسطينيين هاجموا الاسرائيليين فى زمن الكاهن الأكبر عالى فى عهد القضاة ، وضربوهم وهزموهم ، واخذوا تابوتهم ، وبقى عندهم سبعة أشهر ، ثم أعادوه اليهم على عجلة تجرها بقرتان ، لانهم ابتلوا بالبواسير وظنوا ان ذلك بسبب اخذهم تابوت اله اسرائيل . وقد اشير الى هذه الحادثة اشارة مقتضبة فى آيات سورة البقرة هذه ((**ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآيـة لكم ان كنتـم مؤمنين — ٢٤٦ —** ٢٤٨) فمن المحتمل ان يكون السفر قد فقد من التابوت فى هذا الظرف حيث يكون الفلسطينيون قد فتحوه فعبثوا فيه ، ولم يبق فيه الا اللوحان .

ومن العجيب ان الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى — الرابع فى الطبعة الكاثوليكية — ذكر خبر العثور على سفر التوراة فى بيت الرب أثناء ترميمه فى زمن الملك يوشيا ملك يهوذا حيث جاء فيه : ان الملك أرسل كاتبه الى الكاهن الاكبر حلقيا لدفع اجور العمال ، وان الكاهن قال للكاتب : (انى وجدت سفر التوراة فى بيت الرب ، ودفع السفر للكاتب فقراه ، وأتى به الى الملك ، فأخبره الخبر ، وقراه له) . والخبر كما قلنا عجيب ، لان السفر كان فى تابوت العهد ، ولما فتح التابوت لم يكن فيه ، فهل يكون حلقيا هو كاتب السفر من جديد من ذاكرته ، أو من قراطيس كانت متداولة ، أو كان لديه نسخة عنه ، وقد ذكر فى الاصحاح أن الخبر أثار الملك حتى مزق ثيابه فرحا ، واقام احتفالات عظيمة فى مناسبته .

ولقد جاء فى الأصحاح السابع من سفر عزرا الذى يؤرخ طرفا من حقبة عودة جماعة من المسبيين من بابل الى اورشليم ان عزرا كان كاتبا ماهرا فى توراة موسى التى أعطاها الرب اله اسرائيل ، فبذل لـه الملك ارتخشتا كل ما طلب ، واصعده الى أورشليم ، وأمره باقامة حكم الهه ، وشرائع الهه وشريعة الملك ، ثم جاء فى الاصحاح الثامن من سفر نحميا الذى يؤرخ كذلك طرفا مـن الحقبة المذكورة آنفا ان الشعب العائد اجتمع فى ساحة المعبد ، وطلب من عزرا احضار سفر توراة موسى ، فأحضره ، وأخذ يتلوه أمام الجماعة . ولا

يمكن الجزم بما اذا كان عزرا كان يحفظ التوراة غيبا ، وكتب السفر من ذاكرته ام كان يحتفظ بنسخة من التوراة التى يمكن أن تكون نسخة من التوراة التى قال حلقيا الكاهن : انه وجدها فى بيت الرب .

ولقد قلنا ان آيات البقرة (١٢٩) وآل عمران (٢٩) والمائدة (٤٣ ــ ٤٥) و (٦٦ ــ ٦٨) والاعراف (١٥٧) التى أوردناها قبل تسوغ القول : ان التوراة المنزلة على موسى عليه السلام التى فيها أحكام الله ووصاياه كانت متداولة فى ايدى اليهود فى زمن النبى (صلى الله عليه وسلم) ..

وقد تكون هى التى ذكر خبر وجودها فى زمن الملك يوشيا فى سفر الملوك الثانى ، وخبر تلاوتها من قبل عزرا فى سفر نحميا أو نسخة عنها ، فظلت متداولة الى زمن النبى (صلى الله عليه وسلم) ..

وبديهى انها شىء غير أى سفر من أسفار العهد القديم المتداولة اليوم ، ولم تصل الى عهدنا حيث فقدت اثناء ما كان يقع على اليهود من ضربات وتشريد وكان فقدها نهائيا . (١)

ولقد قلنا قبل ان فى اسفار الخروج والعدد وتثنية الاشتراع تبليغات ووصايا كثيرة متنوعة مبلغة من الله تعالى لموسى ، وان سفر الاحبار قاصر على ذلك ، وان كلها أو جلها جاء بأسلوب الحكاية ، وبينها تباين فى الاسلوب والعبارات ، وفى بعضها ما ليس فى الآخر ، وفيها اقوال وافعال منسوبة الى الله ورسوله يتنزهان عنها بحيث يمكن القول : « ان كتابها استقوا ما كتبوه من مصادر متنوعة ، وان كل واحد كتب ما كتبه مستقلا عن الآخر ، وفى ظرف وزمن غير الآخر ، وانهم لم ينقلوا ما فيه من تبليغات لموسى عليه السلام معزوة الى الله تعالى من سفر توراة موسى مباشرة وبحيث يمكن القول : ان ما جاء فيها مما يجوز ان يكون فى أصله من هذا السفر قد سجله كتابها من روايات ومحفوظات ومدونات شيبت بما ذكرناه من تباين وتناقض واختلاف وتحريف ، ولا يمكن والحالة هذه اعتبارها بديلة عن توراة موسى المفقودة التى هى وحدها التى يحترمها المسلمون وفيها احكام الله ووصاياه المبلغة لموسى بدون تناقض وتباين ومفارقات وتحريفات . ولا يصح تبعا لذلك من الوجهة العلمية والواقعية اطلاق اسم التوراة عليها ومن قبل المسلمين بنوع خاص ، ففى هذا الاطلاق تجوز كبير فضلا عن التجوز الأكبر فى اطلاقه على مجموعة اسفار العهد القديم وكلها كتبت بأقلام متنوعة بشرية وفى أزمنة مختلفة واختلطت الحقائق فيها بالخيال والصدق بالكذب وشابها المبالغات والمفارقات وما تنزه الله ورسله عنه من أقوال وافعال وتحريضات عدوانية وتمايزية ضد الشعوب الأخرى . ويجب حين النظر فيها أن ينظر إليها بهذه النظرة والاعتبار من المسلمين وعلمائهم بل وغير المسلمين وعلمائهم . والحمد لله رب العالمين ..

---

(١) هناك مصادر قديمة ذكرت ما كان يتعرض له كتب وقراطيس اليهود الدينية من مصادرة وتحريق . نقل عنها المطران الدبس بعض الاحداث من هذا الباب فى كتابه تاريخ سورية (المجلد الثالث والجزء الثانى) من ذلك انه نشب مرة مناوشات بين اليهود والحامية الرومانية فى زمن القيصر اغسطس فنهب الرومان الهيكل ودنسوه ، واحرقوا ما فيه من أوراق . ومن ذلك ان الوالى الرومانى فى عهد القيصر كلود سير حملة لمطاردة اليهود فى القرى وان أحد الجنود عثر على اسفار موسى فحرقها على مرأى الجمهور اليهودى .



مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

منهج النقد فى علوم الحديث

اسلوب جديد فى مصطلح الحديث يعرض قواعده ويدرسها فى ظل نظرية نقدية تتآلف فيها أنواع علوم الحديث وتنتقل من التجزىء الى التكامل ومن المسائل المتفرقة الى النظرية المتناسقة التى تجلو دقة علم المصطلح وشموله وعبقرية المحدثين وعظمة نهجهم الذى اتبعوه .

وقد سار الكتاب على خطوات متدرجة تسهل للدارس سبيل النقد الحديثى واصول النقد التاريخي موضحا كل ابحاثه بالأمثلة المدروسة مع ايراد مسائل وفوائد نادرة على غاية من الأهمية ، وعنى الكتاب بالقضايا المشكلة فعالجها وكشف النقاب عما وقع من اللبس لبعض الكاتبين فيها وناقش آراء الناقدين للمحدثين بالأدلة والبراهين القاطعة فاستوفى بالدراسة والبحث جوانب هذا العلم الذى اختص الله به هذه الأمة الاسلامية .

والكتاب من تاليف الدكتور نور الدين عتر ويحتوى على (٥٠٠) صفحة ومن نشر دار الفكر / دمشق / سوريا .

العقل عند الشيعة الامامية

بحث موضوعى للدليل الرابع من ادلة الأحكام الشرعية مقارن بآراء المذاهب الاسلامية ، ألفه الدكتور/رشدى محمد عرسان عليان .

ومدخل البحث يبحث فى أدلة الأحكام عند اهل السنة والجماعة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر أئمة الاجتهاد ثم أدلة الأحكام الشرعية عند الشيعة الامامية ثم التعريف بالعقل من حيث هو مومقف المذاهب الاسلامية من مدركاته على سبيل الاجمال ثم التعريف بالعقل عند الامامية .

أما منهج البحث فقائم على أساس المقارنة والتلاقح الفكرى بين أرباب المدارس المختلفة وتصحيح نظرة بعضهم الى بعض .

وصفحات الكتاب تقارب الخمسمائة صفحة ومن طبع مطابع جامعة بغداد

الى كل فتاة تؤمن بالله

الكتاب الرابع من سلسلة كتب ابحاث فى القمة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى وهو يتناول كل المشاكل المختلفة التى تشعر بها الفتاة المسلمة لدى محاولة التوفيق بين تعاليم دينها ومقتضيات مجتمعها باسلوب علمى متجرد .

يتحدث عن الحجاب ، حدوده ودلائله والمشاكل التى تعترض سبيله وعن عمل المراة وتعلمها والمشاكل التى تنجم عنها .

يستعرض الشبهات العصرية المختلفة التى تثار حول المراة من كل الجوانب ويعرض سائر الاتجاهات . وينتهى المؤلف من ذلك كله الى حلول جذرية علمية تقنع الاحرار فى تفكيرهم وتسكت المغرضين من خصومهم .

والكتاب يقع فى (١٢٠) صفحة من نشر مكتبة الفارابى / دمشق / سوريا .

معالم الطريق

ع

١ ــ الإنسان بين المادة والروح :

الإنسان بجسده حيوان ناطق ، وبروحــــه جمال نفس ، ومبـــادلة حب ، ونورانية عقيدة ، ووضاءة خلق ــ ودائما ــ تجد الذين يعيشون لذواتهم ، دون ما التزام بعقيدة ، ولا ارتباط بوحي ــ وإن ملكوا من أسباب المادة ، ما يجعل الأنظار تتجه إليهم ، والآمال تعلق عليهم ، شديدى الحيرة ، كثيرى الضـــجر ، لا يكادون يعرفون للسعادة سبيلا ، ولا للراحة طريقا ، وكأن لهم فى كل لذة ألما ، دائما يحسون بكآبة رانت على القلوب ، وجثمت على الصدور ، لا يعلمون لها لأول وهلة موجبا ، ولا يعرفون لها ــ كذلك ــ سببا . وتظل معهم لا تزايلهم ، نتيجة إيناسهم بالمادة ، وعبوديتهم لها ، حتى تجدهم شديدى الحرص عليها ، كثيرى التحرق اليها ، دائمى العبودية لها .

وهم بهذا يظنون الدواء ، حيث الداء المضال ، ويبتغون الشفاء ، حيث السم الزعاف .

لإسعاد الأسرة الإنسانية

الشيخ/سعد المرصفى

وقد ضرب القرآن الكريم لنا أمثال هؤلاء فقال فى شأن الذين حملوا التوراة ، فغيروا وبدلوا ، وجحدوا وكفروا ، « **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين** » الجمعة/٥ .

وقال سبحانه آمرا نبيه أن يتلو نبأ الذى آتاه آياته فانسلخ منها ، وبعد عنها « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون** » الأعراف ١٧٦/١٧٧ . وانظر فى ختام الآية التى تحدثت عن المثل الأول تجدها تقرر أن المكذبين بآيات الله ، والذين يعيشون للمادة وكفى ، دون ما موازنة بينها والروح الكامنة فى نفوسهم ، ودون ما مسايرة للفطرة التى فطرهم الحق تبارك وتعالى عليها ، يدخلون فى دائرة المثل ، وتجد ختام الآية

الثانية يقرر ذلك فى جلاء ووضوح ((**ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**)) ثم يأتى التقرير لحقيقة المثل التى يجب أن تدرك فبئس المثل ، وبئس الذين ضرب بهم المثل ((**ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون**)) .

وبعد ذلك بينت الآيات أن الهدى هدى الله ، رجاء ان يثوب الانسان الى رشده ، فيئوب الى ربه ، ثم تحدثت عن أوصاف اهل النار عموما : ((**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون**)) الأعـــراف ١٧٩ . ويكفى أن يكون الماديون الجاحدون اقل من الانعام ، وتكون الانعام فوقهم منزلة .

((**أولئك كالأنعام بل هم أضل**)) والسبب لذلك كله ، هو الغفلة التى عاشوا فيها ، فجرفتهم الى المادة بعيدا عن الروح ((**أولئك هم الغافلون**)) .

وإنما استحق هؤلاء تلك الأمثال ، لأنهم تناقضوا مع فطرتهم ، وتعارضوا مع حقيقتهم ، مع أن نفوسهم طالما تؤرقهم ، وتقض عليهم مضاجعهم ، فهى دائما تتوق الى الحقيقة التى إن غاب عن المادى عمله بها ، فهى حاضرة لا تغيب ، بل إن المادة بالنسبة لها هباء ، والكون بجانبها فناء ، والحياة بدونها شقاء ، وما كانت كذلك ، إلا لأنها ليست من طبيعة تلك الأجسام الصماء ، ولا من طينة تلك المادة العمياء ، حتى تأنس الى شىء حقير فتخضع اليه وتسكن ، ولا تتجاوزه الى ما هو اعظم واكـــرم .

فهى ــ دائما ــ لا تأنس إلا لنور يجلى عنها ظلمات الأشياء الأرضـــــية الكثيفة ، لتشرف على خطرة القدس المنيفة ، وهى ــ دائما ــ اجل من ان تقنع بالمشتهيات الجسمانية ، واكبر من أن ترضى بالملاذ المادية .

ثم هى ــ لا تفتــأ ــ تقيم الحجة على الإنسان ، رجاء أن يتهدى الى وضع المحجة ، فيتصبر فى أمره ويكتنه حقيقة سره ، فيسكن اليه فؤاده ويؤوب اليه رشاده ، ولو كان يحيا فى فقر المـــادة ، ولو كان جســـده بين القنا والقنابل ، فالسعادة فى المعرفة لا غير ، والعارى عن المعرفة وإن تنعم بأوصاف النعم . ترى ــ دائما ــ فى قلبه وحشة ، وفى فكره حيرة ، وفى نفسه ذلة .

والعارف لتلك المعالم . مطمئن النفس . هادىء البال . لأن نفسه قد أخذت حظها من اليقين والمعرفة . حين اسلمت امرها . واعتنقت دينها عن رضا ويقين ، فسلمت من كل ما يؤذيها ، وسعدت بكل ما تحب ، فعاشت فى أمن وطمأنينة . وكانت اهلا لأن تدخل فى عباد الله وفى جنته بهذا النداء الذى تهفو نفوسنا جميعا إليـــه : ((**يا يتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى**)) الفجر : ٢٧/ ٢٠ .

ورحم الله ابن القيم حيث قال :

ولا تقر العين ، ولا يهدأ القلب ، ولا تطمئن النفس ، إلا بإلهها ومعبودها الذى هو حق ، وكل معبود سواه باطل . فمن قرت عينه بالله . قرت به كل عين . ومن لم تقر عينه بالله . تقطعت نفسه عن الدنيا حسرات . والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن بالله وعمل صالحا ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون**)) النحل : ٩٧

ونظير هذا قوله تعالى : ((**للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين**)) النحل : ٣٠ ، ونظيرها قوله تعالى : ((**وان**

استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله » هود/٣ . فناز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة ، وحصلوا على الحياة الطيبة فى الدارين ، فان طيب النفس ، وسرور القلب ، وفرحه وابتهاجه ، وطمأنينته وانشراحه ، ونوره وسعته ، وعافيته من ترك الشهوات المحرمة ، والشبهات الباطلة ، هو النعيم على الحقيقة ، ولا نسبة لنعيم البدن اليه ، فقد كان بعض من ذاق هذه اللذة يقول : **« لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف »** وقال آخر : « إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها : **« ان كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب »** وقال آخر : **« إنه فى الدنيا جنة هى فى الدنيا كالجنة فى الآخرة ، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .. »** ا. هـ .

والإسلام رسم للانسان الطريق ، وحدد معالمه فى صورة مثلى ، ونظرة متكاملة ، وقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم بالله من الكفر ، لأنه ضياع الدنيا ، والحياة الطيبة اصلا هى للمؤمنين فى الدنيا والآخرة ــ كما سبق ــ لأنهم عرفوا معالم الطريق الذى يكفل لهم تلك السعادة .

وما استحق الإنسان كل هذا الاهتمام ، الا لأنه الكائن الوحيد الذى تتمثل فيه كل نواحى الوجود ، والحد الوسط فى سلسلة الموجودات ، ولذا كان جديرا بأن يكون المركز الذى يبدأ منه التفلسف ، ويتركز حوله النظر لينتقل العقل منه بسهولة ويسر ، فى حركته التصاعدية الى من هو أرقى منه فى الوجود ، وفى حركته التنازلية ، الى ما هو دونه فيه .

والوجدان فى الإنسان هو القوة الحيوية التى تساعده على البقاء ، والعامل الأول فى تكوين شخصيته ، وتحديد سلوكه ، ولذا كان اقرب قواه اليه ، بل واكثرها أهمية فى حياته .

ومن هنا كان جديرا بأن يكون مكان الصدارة دائما .

والإسلام لا يستغنى عن الوجدان بحال من الأحوال ، ولا يعتمد إلا عليه عند الكثير ، وما الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والبشارة والإنذار ، الا وسائل تهدف نحو إثارة الوجدان دفعا الى العمل ، وطلبا لجنى الثمرة التى تأتى كنتيجة لأعمال الناس جميعا .

وعليه فالوجدان هو قوة الحياة ، والدافع المحرك لها ، ليتوجه غير المؤمنين الى الإيمان ، وليزداد الذين آمنوا إيمانا على إيمان .

والإنسان بفطرته يشعر ــ دائما ــ بأنه محتاج الى من يظاهره ويعاونه ، ويوجده ويحفظ له ذلك الوجود ، وذلك : هو شعور المحتاج نحو من يحتاج اليه ، والخاضع نحو من هو أقوى منه .

ولذا كان لا بد وان يكون مليئا بمظاهر الاحترام والتقديس ، والخشوع والخضوع ، والشعور بالخوف من تلك القوة القاهرة التى تثير السحاب ، وتسير البحار ، وتنظم جميع الحركات والسكنات دائما ، فهو شعور مشرب بخوف ورجاء ، وتقديس وتعظيم ، وهو شعور يدفع بالضرورة الى التعبد والتمسك .

ورغم ذلك كله : فالإسلام لا يعتمد على الوجدان كقوة وحيدة هى الأولى والأخيرة . بل يعتمد على الإرادة والعقل أيضا . وبذلك : تتضامن الميول النفسية كلها . من شعور بالحاجة والضعف ، وإحساس باللامحدود ، ورغبة فى كمال المعرفة ، وفى تحقيق الانسجام الذاتى والخارجى ، مع مراعاة أن الاسلام فطرة كامنة فى النفس لا تستطيع جحودها بحال من الأحوال ــ كما

سبق — فإن هذه الوسائل الثلاثة — الوجدان والإرادة والعقل — وهى الميول النفسية — وسائل مساعدة للنفس على أن تجد ما تعبر به عن الحقيقة التى يجب أن تدرك . وهى ضرورة الإيمان . ويكفى أن تكون النواحى البشرية ، والاتجاهات النفسية ، والغرائز الفطرية ، وكل ما فى الانسان ، دليلا حيا تكمن فيه الأدلة الواقعية — كلها على أنه مخلوق لخالق ، وليس فى حاجة الى أدلة خارجية تعطيه الدليل على وجوده ، مع أن الكون كله ينطق بذلك ، وهذه الأدلة حاضرة فى نفسه ، ينطق بها عقله ، ويشهد بها وجوده ، ويخضع لها قلبه ، وتسكن اليها نفسه ، ويميل اليها وجدانه ، وكل ما فيه من قوى .

وما كان الله اقرب إلينا من حبل الوريد . إلا لأنه سبحانه حاضر حضورا لا يعرف التخلف عند كل حاسة من حواسنا ، يعرفه العقل ، ويدركه القلب ، ويشعر به الوجدان ، وتسعد بتلك المعرفة النفس ، فتسكن وتطمئن .

٢ — حــزب الشــيطان :

والشيطان وحزبه فى عمل دائب ، مستمر ، متواصل ، حتى لا يصل الإنسان الى تلك المعالم ، فيسعد ويهنأ ، ولذا تجد كثيرا من الناس يغمضون أعينهم عن أن يروا الحقيقة التى ينطق بها وجودهم ، فيعيشون فى جهالة جهلاء ، وفوضى عمياء ، تراهم بشرا من الناس ، ولكن قلوبهم لا تفقه ، وعيونهم لا تبصر ، وآذانهم لا تسمع ، ورغم ذلك كله فهم حين ينزل بهم خطب ، تتحرك فى نفوسهم الفطرة ، ثم لا يلبثون أن يرجعوا القهقرى على أعقابهم ينكصون ، اتباعا لعمل الشيطان وحزبه .

والانسان الذى عرف معالم الطريق فأسلم ، هو وحده الذى يعتبر بحق . خصيم حزب الشيطان . والأمة الإسلامية هى الأمة الوحيدة التى أعطاها الله تبارك وتعالى تلك الدرجة .

ومع شاعر الاسلام محمد إقبال فيما كتبه تحت عنوان : ((برلمان إبليس)) ندرك بعض معالم حزب الرحمن وحزب الشيطان . وجها لوجه . قال :

« اجتمع الشياطين وزملاء ابليس وأعوانه فى مجلس شورى وتباحثوا فى سير العالم . واخطار الغد وفتنته » ثم قال إبليس فى هذا البرلمان :

« إن كنت خائفا ، فانى أخاف أمة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا لا يخفى على الخبير المتفرس أن الإسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل » . . ثم قال إبليس :

« انا لا اجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا ، وانها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرهم من الأمم ، انا خبير أن دليل الشرق داج مكفهر ، وأن علماء الإسلام وشيوخه ليست عنــدهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لهــا الظلمات ، ويضيء لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر وهزته ستقض مضجعها ، وتوقظ هذه الأمة وتوجهها الى شريعة محمد حامى الذمار ، حارس الذمم والأعراض ، دين الكرامة والشرف ، ودين الأمانة والصفاء ، دين المروءة

والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغى كل نوع من أنواع الرق ، يزكى المال من كل دنس ورجس ، ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل أصحاب الثورة والملاك مستخلفين فى أموالهم ، امناء لله ، وكلاء على المال ، وأى ثورة اعظم ، وأى انقلاب اشد خطرا مما أحدثه هذا الدين فى عالم الفكر والعمل ، يوم ان صرخ أن الارض لله ، لا للملوك والسلاطين ، فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن اعين الناس ، وليهنكم ان المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه ، قليل الايمان بدينه ، اضربوا على آذان المسلم ، فانه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ، ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا فى أن يطول ليله ، ويبطىء سحره اشغلوه يا اخوانى عن الجد والعمل ، حتى يخسر الرهان فى العالم ، خير لنا أن يبقى عبدا لغيره ويهجر هذا العالم ويعتزله ، ويتنازل عنه لغيره ، زاهدا فيه ، واستخفافا لخطره ، يا ويلتنا ، ويا شقوتنا لو تنبهت هذه الأمة التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتعسه » ا. هـ بتصرف .

والقرآن الكريم يقص علينا سبل الشيطان الرجيم فيمحاولاته الدائبة لإفساد الأسرة الإنسانية . قال تعالى **« قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين »** الأعراف /١٦ — ١٧ .

والإغواء في الأصل : بمعنى الفساد المردى ، وهو ضد الرشاد بمعنى الإيقاع فى الغواية . والصرا المستقيم : هو الطريق الوحيد الذى يوصل صاحبه وسالكه الى السعادة ، وأن تتزكى نفسه بالموازنة بين المادة والروح .

ولم يقف الأمر عند حد الإغواء والاضلال ، فانه يأتى من بين أيدى الناس ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم : إغواء وإضلالا . ابتغاء الفتنة وابتغاء البعد عن الصراط المستقيم .

ولكن الإسلام حصن حصين يحفظ معتنقيه من الوقوع فى الغواية والاضلال ففى سورتى الحجر وص استثناء عباد الله المخلصين من تلك الغواية وذلك الاضلال .

قال تعالى : **« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين »** الحجر/٤٢ . وهذا تأكيد لقوله : **« إلا عبادك منهم المخلصين »** الحجر/٤٠ ، ص ١٣ .

وقوله تعالى : **« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا »** الاسراء / ٦٥ .

٢ — حزب الرحمن ومعالم الطريق :

والمسلمون الآن كما تقول احصائية اخيرة تحت إشراف الأمم المتحدة يبلغون ٨٠٠ مليون نسمة ، ولكى نعطى هذا العدد الاعتبار الصحيح يجب أن تكون لدينا فكرة عن نموه فى السنين الاخيرة من القرن العشرين ، ففى أوائل الحرب العالمية الأولى كان عدد المسلمين (٢٥٠ مليون) وفى مدى نصف قرن تقريبا تصاعد الى ما يقرب الآن من مليار ، وهم بهذا العدد يعيشون فى القارات الخمس ، وفى

جميع اقطار العالم ــ ويشكلون تقريبا ثلث دول العالم ، هذا ما تؤيده الأرقام داخل منظمة الأمم المتحدة ــ الأمم المتحدة ١٣٢ . الدول الاسلامية نحو (٤٠) . أما اذا ذهبنا نعد الدول التى ما زالت تحت نير الاستعمار ككشمير وفلسطين واريتريا والصومال والصحراء المغربية ودول أخرى ، فاننا سوف نصل الى رقم أعلى من ذلك ، وهذا الرقم للدول التى يسكنها أغلبية مسلمة ، أما الدول التى يتراوح عدد المسلمين فيها من ٣٠ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهى خمس عشرة دولة (١٥) ما عدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه اكثر من ٤٠ مليون والهند (٧٠) سبعين مليونا ، وفى كل من يوغوسلافيا ٣ ملايين وتايلاند ٣ ملايين وبورما ٣ ملايين والفلبين ٤ ملايين ومع هذا العدد الضخم للدول الاسلامية فى الأمم المتحدة وخارجها ، فان مواقف حكوماتها مختلفة ومتناقضة فلم تناقش مرة واحدة قضية تهم هذه الشعوب ويتخذ فيها قرار لصالح المسلمين ، وكأن هذه الحكومات لا تمثل هذه الشعوب ، يحرق المسجد الأقصى وتشن الحرب على باكستان ويذبح المسلمون فى الفلبين وانجولا .. الخ .

انظر الى هذا العدد الضخم بهذه الصورة وفكر فى الواقع ، ولا تنس ما بيننا وبين إخوان القردة والخنازير وفكر .. وحاول أن تجد الخلاص ، وأن تدرك معالم الطريق لإسعاد الأسرة الانسانية مما تعانيه ، فماذا تجد .. ؟

تجد المسلمين كما بلا كيف ، وعددا بلا فكرة ، غلبت عليهم المادية كما غلبت على غيرهم ، فعاشوا أعوادا انقطع عنها ماء الحياة فذبلت وتحطمت ، واوراقا عصفت بها رياح الخماسين فتساقطت وتهشمت ، ومصابيح انقطع عنها التيار فتعطلت واظلمت ، وهم بهذا تصدق فيهم نبوءة نبيهم « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل افق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قال : قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال: انتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا . وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » ، « عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

رواه أحمد فى مسنده وابو داود فى الملاحم .

والعلاج أن نضع نصب أعيننا جميعا أن الله سائلنا عن دينه ، بل وعن دعوة العالم الى دينه ، فنحن الأمة التى أعطاها الحق تبارك وتعالى عجلة القيادة لهذا العالم قال تعالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » البقرة/١٤٣ . وقال تعالى : **« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس »** الحج /٧٨ . ونحن الأمة التى مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقتها فى الترابط والشعور والاحساس بالجسد الواحد : **« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** حديث صحيح رواه مسلم واحمد عن النعمان بن بشير .

ونحن الأمة التى حدد النبى صلى الله عليه وسلم معالم الطريق لإسعادها وحتى تأخذ مكانتها المرجوة فى قوله : **« وإنى قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن أعتصـــــم به كتاب الله »** الحديث رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد ومالك ورواه الحاكم عن أبى هريرة قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فذكره : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » .

ونحن الأمة التى سمى الله عز وجل دينها إسلاما كما قال عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : **« هــو سماكم المسلمين من قبل »** قال — الله عز وجل وقال مجاهد : الله سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى الذكر ، وان كان عبد الرحمن بن زيد بن أســلم يقول — يعنى ابراهيم فان الأول أولى ، وفى الحديث الذى يرويه النســـائى بسنده : « فادعو بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » .

● وإن امة سماها الله عز وجل . وانتظمت فى ركب الايمان مع كل المرسلين . ووضحت امامها معالم الطريق بهذه الصورة لهى الامة التى يصدق عليها قول الله « أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون » ويوضح المفكر الاسلامى (أبو الحسن الندوى) آثار تلك المعالم فيقول « والقرآن وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا فى العالم الاســـلامى نار الحماس والإيمان ، وتحدثا فى كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجـاهلى ، وتجعلا من أمة مستسلمة متخذلة ناعسة ، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة ، وحنقا على الجاهلية ، وسخطا على النظم الجائرة ، ان علة علل العالم الإسلامى هو الرضا بالحياة الدنيا ، والاطمئنان بها ، والارتياح الى الأوضاع الفاسدة ، والتبذير الزائد فى الحياة ، فلا يقلعه فساد ، ولا يزعجه انحراف ، ولا يهيجه منكر ، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس ، ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية إن وجدا الى القلب سبيلا يحدث صراع بين الإيمان والنفاق ، واليقين والشك ، بين المنافع العاجلة فى الدار الآخرة ، وبين راحة الجسم ونعيم القلب ، وبين حياة البطالة وموت الشهادة ، صراع أحدثه كل نبى فى وقته ، ولا يصلح العالم إلا به ، حينئذ يقوم فى كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى فى كل أسرة اسلامية فتية آمنــوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قامــوا فقالوا ربنا رب السمـــوات والأرض لن ندعو من دونه إلهـــا لقد قلنا اذا شططا . هنالك تفوح رائحة الجنة ، وتهب نفحات القرن الأول ، ويولد للاسلام عالم جديد ، لا يشبه العالم القـــديم فى شىء » .

والله عز وجل يقول : **« يايها الذين آمنوا اســـتجيبوا لله وللرســـول إذا دعاكم لما يحييكم »** الأنفال ٢٤ . ويقول : **« يايها النـــاس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فســـيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مســـتقيما »** النســـاء ١٧٤ و ١٧٥ .

وهكذا تتضح معالم الطريق للأسرة الانسانية كافة وفى هذا بيان لخصائص الاسلام فى جلاء ووضوح . وأنه دين الحياة . يتفاعل معها ، ويصلح من شأنها ، ويرسم لها أقوم السبل لتكون حياة سعيدة . آمنة مطمئنة .

أم حكيم

مسرحية تاريخية من فصل واحد ..

للدكتور : أحمد شوقى الفنجرى

ملخص ما نشر فى العدد السابق

« فى خيمة الاسعاف حيث يقوم فريق من نساء الصحابة باعداد الضماد والغيار اثنا معركة اليرموك بينهن أم حكيم وهند بنت عتبة زوجة أبى سفيان وأم تميم زوجة خالد بن الوليد واسماء بنت ابى بكر الصديق ..

يدور بين النسوة وام حكيم حديث يذكرون فيه بطولاتها فى الحرب ومشاركتها لزوجها وابيها وولدها فى مغازى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حروب الردة ثم فتوح الشام وصدق هذا البيت فى البذل والجهاد .

وبينما هن يتحدثن مع ام حكيم اذ تدخل خولة بنت الازور ومعها رعلة وامامة يحملن جريحا يحتضر . فاذا به عكرمة بن ابى جهل زوج أم حكيم . وعندما يفيق عكرمة من غشيته يبدا بينه وبين زوجته هذا الحوار : »

أم حكيم : كيف انت يا ولى الله .. جزاك الله عن الاسلام خيرا فقد ابليت أحسن البلاء .

عكرمة : لقد انتصرنا يا أم حكيم .. وأعز الله الاسلام ..

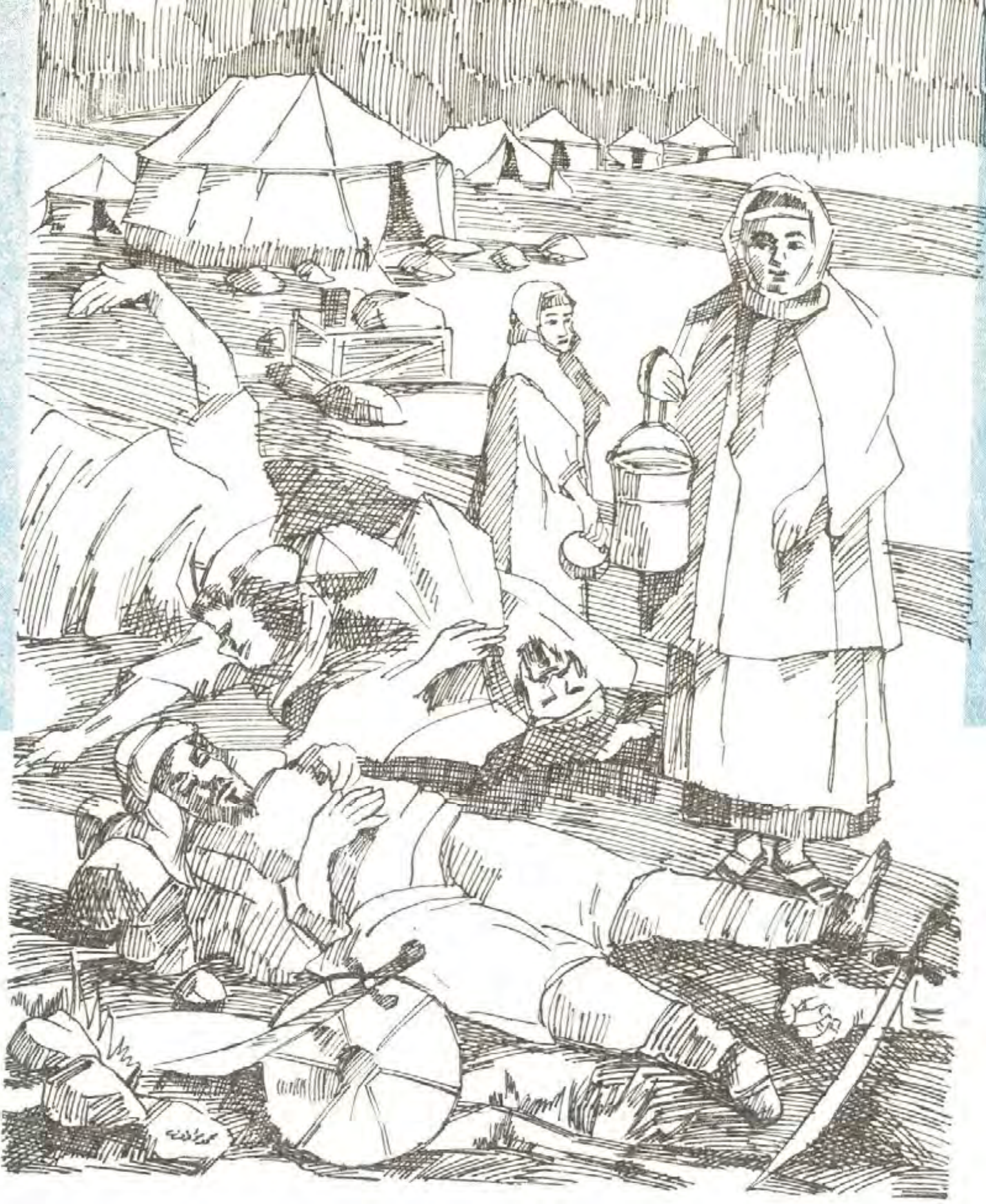
أم حكيم : الحمد لله وما النصر الا من عند الله ..

عكرمة : (تدمع عينيه ويتهدج صوته ...) جزاك الله عنى خيرا يا زوجى فى الجنة .. أنت التى هديتنى الى الاسلام بعد أن كنت وأبى أشد الناس ايذاء لرسول الله وصحبه فى مكة فعسى أن يغفر الله لى ما فعلته برسوله ..

أم حكيم : ان الاسلام يجب ما قبله يا عكرمة .. وقد عفا رسول الله عنك بعد فتح مكة ومنحك الامان بعد ان كان قد استحل دمك ..

عكرمة : الفضل لك يا أم حكيم .. لقد ذهبت الى الرسول تطلبين منه الامان فكنت سابقة لى فى الاسلام وهأنذا أسبقك الى الشهادة والى لقاء رسول الله . فيا لهفى الى ذلك اللقاء .

أم حكيم : اتعلم يا عكرمة ماذا قال عنك رسول الله عندما ذهبت اليه .. لقد بشرنى قائلا : « لعل الله يجعل لأبى جهل عذقا كبيرا فى الجنة » فلعلك تكون ذلك العذق الكبير الذى لأبى جهل فى الجنة ..



عكرمـــة : ما اصدق رسول الله .. واصدق نبوءته .. فوالله ما كنت اصدق أن يدخل احد من آل أبى جهل الجنة ابدا .. وهأنذا أرى الجنة بعينى واستشعر بردها وأشم ريحها الطيب ..

ام حكيـــم : اتذكر يا عكرمة يوم أن عايرك المسلمون وقالوا لك يا ابن أبى جهل عدو الله ..

عكرمـــة : والله ما انسى يوم شكوت ذلك الى النبى فجمع الناس وخطب فيهم قائلا : « أيها الناس .. لا تؤذوا الأحياء بسبب الموتى » ومن يومها امتنع الناس عن سب أبى ..

ام حكيـــم : واليوم يا عكرمة أنت وولدك تقودان جيش الاسلام دفاعا عن دين اللـــه ..

عكرمـــة : فأين ولدى عمرو يا أم حكيم .. أريد أن أودعه فما أحسب إلا أن منيتى قد حانت ..

ام حكيـــم : الم تأخذه معك فى الهجوم ؟.

عكرمـــة : بلى كان معى ولكنه افترق عنى وراح يقاتل مع أبيك .. ان ولدنا عمرو يريد أن يقاتل وحده دون اعتماد على أبيه أو أمه .

ام حكيـــم : بعد فترة صمت وقلق : ـ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ..

اســماء : اطمئن يا عكرمة .. فقد أرسلت من ينـــادى على ولدك بين الجنـــود لتراه ..

عكرمـــة : لا تعطليه عن واجبه يا ابنة الصديق .. ولا تؤخريه عن الجهاد .. فما جئنا لمثل هذه العواطف .. ولكن تعالى.. واجلسى الى جانبى أحدثك حديثا طويلا قبل أن ألقى ربى : أتذكرين يا أسماء ليلة الهجـــرة ..

أســـماء : ومن ينساها يا عكرمة بحلوها ومرها .. وهل نحن نعيش إلا على تلك الذكريات التى تركها لنا رسول الله ..

عكرمـــة : ليلة الهجرة .. كنت أنا وأبى الجانب المر فيها .. وكنت أنت وأبوك الجانب الحلو فشتان الفارق بين حالينا .. اتذكرين يا ابنة الصديق يوم جئت مع أبى جهل الى بيتك نسأل اين ذهب أبوك .. ومكثنا نستجوبك الساعات الطوال ونضيق عليك الخنـــاق وأنت صامدة هادئة لا يغلبك رجـــال قريش مجتمعـــون ..

أســـماء : أما زلت تذكر ذلك يا ابن ابى جهل .. لقد كان ذلك فى الجاهلية وقد عفا الله عما سلف ..

عكرمـــة : وأنى لى أن أنساه وقد أخذ أبى يلطمك على وجهك فى قسوة وانا اهينك واسب أباك لكى تخبرينا بمكان رسول الله ..

أســـماء : عفا الله عما سلف .. فلا تشغل بالك بهذا الآن ..

عكرمـــة : إنى لأعلم أن الله قد غفر لى منذ يوم اسلامى كل ما فعلته فى الجاهلية .. ولكنى أريد أن يطمئن قلبى من ناحيتك أنت .. فهل غفرت انت لى اساءتى اليك يا ذات النطـــاقين .. وهل صفا قلبك نحوى ..

أســـماء : أتتوقع منى أن أحمل ضغنا فى قلبى بعد أن غفر الله لك وعفا عنك رسوله .. ومن أكون أنا يا ابن ابى جهل حتى تطلب منى العفو .. وقد كرم الله وجهك بالاسلام وعرف أبو بكر خليفة رسول الله قدرك فجعلك من قادة جيوش المسلمين . فاذا اختارك الله بعد ذلك شهيدا فى الحرب فأنت فى الآخرة بأعلى مكان مع الصديقين والشهداء والأنبياء .. وأنت أعلى من مثلى منزلة وأقرب مكانة من الله .. فلا تكن إلا قرير العين يا عكرمة طبت يا أخى فى الله فواللـــه ما أحمـــل لك فى قلبى إلا كل حب واكبـــار ..

عكرمـــة : الحمد لله .. الآن أستطيع أن ألقى ربى مرتاح البال ..

(تدخل خولة وغفيرة ورعلة يحملن جريحا آخر .. وتميل خولة على أسماء تسر لها حديثا فى أذنها ..)

أســـماء : يا غفيرة ويا رعلة .. انقلن هذا الجريح الجديد الى الخيمة التاليـــــة .

أم حكيـــم : ولماذا الخيمة التالية يا أم عبد الله وفى هذه الخيمة متسع . احسبت أننى انشغل بجراح زوجى عن غيره من جنود الاسلام .. كلهم فى الله إخوانى وأولادى واحبابى وتالله ما أفرق فى الموت والشهادة بين ولدى عمرو وبين غيره من فتيان المسلمين .

(تقترب أم حكيم من الجريح وفى يديها الضماد والغيار .. ثم تفاجأ قائلة :)

أم حكيـــم : هذا ولدى عمرو .. أنت أيضا يا ولدى كرم الله وجهك كأبيك .

عمـــــرو : ادعو لى الله يا أمى أن أكون ذلك العذق الصغير الذى لأبى

جهل فى الجنـــة .

أم حكيـــم : حماك الله يا ولدى وسلمك لأمك .

عمـــــرو : يا أمى .. إن كنت تحبين ولدك حقا فادعى لى بالشــــــهادة لا بالســـلامة ..

أم حكيـــم : ارأيت يا أسماء أن أهلى كلهم لا يرضون إلا بالشهادة وأنت كنت تخافين على أن أسمع بجـــرح زوجى وولدى فى وقت واحـــد وأردت أن تخفى الخبر عنى ..

أســـماء : بارك الله فيكم بيت أبى جهل .. فبفضلك يا أم حكيم .. أصبح هذا بيت التضحية والفداء فى الله .. فلننقل عمرو اذا الى جوار أبيه ليراه ويحدثه .. **(ينقلانه الى جوار عكرمة) .**

أم حكيـــم : يا عكرمة هذا ولدنا عمرو جاء يسلم عليك ويودعك فادع الله له بالخير فقد كان بارا بنا ..

(بعد قليل تدخل نسوة الصحابة يحملن جريحا ثالثا .. وتقول احداهن) :

ــ يا أهل الاسعاف .. هذا جريح ثالث لا تقل جراحه خطرا عن أخـــويه ..

(تقوم اليه أم حكيم لكى تســـعفه فاذا به ابوها الحـــارث بن هشـــام) .

أم حكيـــم : أبى الحارث !!.. سلمك الله وعافاك .. سأضعك هنا الى جوار حفيدك عمرو وزوجى عكرمة ..

(تدخل النسوة بجريح رابع ويقلن :)

ــ أين نضع هذا الجريح يا أم حكيم . انه فتى صغير السن ولا نعلم اسمه .

الفتى : هنا الى جوار أخوته ..

(تنظر اليه فى حنان وهى تداوى جراحة حتى فاق من غشيته ..)

أم حكيـــم : من أنت يا ولدى ..؟

الفتى : انا سهيل بن عمرو الأنصارى يا أماه ..

أم حكيـــم : من انصار رسول الله .. انعم وأكرم بكم .. وهل أبوك فى الجيش بين المجاهدين يا سهيل .

الفتى : أبى استشهد فى حرب الردة فى اليمامة .

(تسود فترة صمت ثم تعود أم حكيم فتسأل الفتى :)

أم حكيـــم : وهل أمك هنا بين الصحابيات حتى أدعوها لك لتراك ..؟

الفتى : أمى استشهدت فى فتح فارس ..

(تدمع عيناها وتقول فى شفقة :)

أم حكيـــم : يا لله .. لقد باعد الاسلام بين قبورنا ولكنه قرب بين أرواحنا وقلوبنا .. انا يا ولدى أمك وهذا عكرمة ابوك وهـــذا عمرو ولدى أخوك فلست وحيدا ..

الفتى : لست وحيدا يا أماه .. فقد اخترت الله ورسوله ملجأ ورفيقا وأنيسا فان كنت تريدين لى الخير فادع لى بالشهادة ..

(تبتسم أم حكيم فى أسى والدمع ما زال يملأ عينيها ..)

ــ كل أحبـــائى وأهلى يريدون اليوم فراقى فمن يدعـــو لى بالشهادة بعدكم ..

تسمع ضجة وأقدام خيل وصهيلها واحدى النساء تقول :

ــ هذا خالد بن الوليد يمر على خيام الاسعاف ليزور الجرحى .

أســماء : خالد جاء هنا .. لا بد ان القتـــال قد توقف .. فقــد غربت الشمـــس .
خـــالد : السلام عليكن يا صاحبات رسول الله ..
النســاء : عليك السلام أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ..
خـــالد : كيف حالك يا أم حكيم وكيف حال جرحاك ..
(أم حكيم تدير وجهها حتى لا يرى خالد دموعها وتجفف دمعها بمرطها ثم تقبل على خالد هادئة مبتسمة ..)
ام حكيــم : اهلا بك يا سيف الله المسلول . .نحن بخير وعافية والحمدلله .
(يدور خالد على الجرحى الأربعة يسالهم عن أحوالهم ثم يجلس على الارض ويضع رأس عكرمة على حجره ورأس عمرو من الناحية الأخرى ثم تقبل عليه نساء الصحابة يسألنه) .
النســاء : طمئنا يا أبا سليمان عن جيش المسلمين وعن احوال القتال ..
خـــالد : الموقف يا صاحبات رسول الله اصبح فى صالحنا اليوم فقد قضينا على رماة الروم جميعهم وكانوا أخطر شيء على المسلمين وغدا يوم حاسم نقضى فيه على فرسانهم دون أن نتعــرض لأى خســائر ..
النســاء : لله درك يا خـــالد .. لا يهزم الله جيشـــا انت قائده واميره يا أبا ســليمان ..
خـــالد : يا صاحبات رسول الله .. لا تمدحنني .. فالفضل اولا لله ولرسوله .. وان كنتن تردن معــرفة أصحاب الســبق .. فهؤلاء هم حماة الاسلام وابطاله .. فوالله ما كان خالد بن الوليد ليحرز نصرا أو يقهر عدوا لو لم يكن معه رجال أمثال عكرمة وعمرو والحارث وسهيل .. لقــد سمعنى عكرمـــة اليوم أقول : من يكفينى رماة الروم فقد آذوا المسلمين كثيرا .. فقال دع هذا لى يا خالد .. أنا لها ..
عكرمـــة : الفضل لصحابة رسول الله يا أبا سليمان .. فقد درت على الجيش أنادى : من يبايع على الموت .. فاذا بالمسلمين كلهم يريدون الموت والشهادة .. وكان من أرده منهم يعود آسفا وحزينـــا ..
خـــالد : أتعلم يا عكرمة انهم جاءوا يشـــكون منك الى .. وقالوا ان عكرمة يستأثر قومه من بنى مخزوم لمواقف الموت والشهادة ..
عكرمـــة : بارك الله فى صحابة رسول الله .. فهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع .. ولكنى يا أبا سليمانُ أردت أن لا يكون الى جانبى فى هـــذا الموقف الانتحـــارى إلا من أعرف قتاله وبلاءه .. فكان أول من اخترتهن للموت ولدى عمرو .. فهل اخطأت فى هذا ؟.
خـــالد : لا تأخذها على هذا الوجه يا عكرمة .. انما هو عتاب المحب لحبيبه .. وعتاب من يرجو أن يكون مع من أحب فى الجنة .. والآن يا عكرمة .. لا تسرف فى الكلام فقــد نزفت كثيرا من جراحك ..
عكرمـــة : إن كان ذلك يعجـــل بلقـــــاء ربى فلن اغلــق فمى أبـــــدا

(خـالد يضحك) .

عكرمـة : اوصيك يا أبا سليمان بأم حكيم .. فلم يعد لها بعدنا أحد فى هـذه الدنيـا ..

خـالد : اتوصينى يا عكرمـة بأم حكيم .. أم توصى أم حكيم بنـا .. هؤلاء صحابة رسول الله كلهـم أولادهـا وعيالها .. وكلهم آباؤها وأعمامها .. كل جندى منهم بجيش ، وكل فرد منهم بأمة .. فهم أمم وجيـوش تحت أقدامها بعـدما قدمت من تضحيات .. فلا تكن الا قرير العين ..

أم حكيـم : حسبك يا خالد .. لا تملأنى زهوا وغرورا .. وحسبى الله لى أهلا وملاذا ..
وكل ما أرجوه منك أن تدعنى أقاتل معك أينمـا سرت حتى يرزقنى الله الشهادة فألحق بمن سبقنى فى الجنة ..

(تسود فترة صمت وقور .. ويرى نساء الصحابة ينقلن الجرحى هنا وهناك .. ثم تمر أسماء بنت أبى بكر وفى يدها قربة بها قليل من الماء .. ومعها قدح صغير فينظر اليها الفتى الصغير سهيل ..)

الفتى : ماء .. أعطنى ماء يا أماه ..

(تجرى أسماء بنت أبى بكر وتحمل فى يدها قدح من الماء وتقدمه اليه .. فما أن يهم بشربه حتى يسمع عمرو بن عكرمة) .

عمـرو : ماء .. ماء .. أعطونى ماء ..

سـهيل : اسمع أخى عمرو يطلب ماء .. فأعطه قبلى ..

أسـماء : اشرب وسأعطيه بعدك ..

سـهيل : اخى أخطر منى جرحا .. ولن أشرب قبله ..

(تذهب أسماء الى عمرو لتسقيه .. فيسمع جده الحارث بن هشام ..)

الحـارث : ماء .. ماء أعطونى ماء ..

فيرفع عمرو الماء عن فمه ويقول لأسماء ..

عمـرو : أعطوا الشيخ الماء قبلى ..

أسـماء : اشرب يا عمرو وسأعطيه بعدك ..

عمـرو : لا أشرب قبل الشيخ ..

(تذهب أسماء الى الحارث بن هشام لتسقيه فيسمع عكرمة وهو يحتضر ..)

عكرمـة : ماء .. ماء .. فتجرى اليه بالماء ..

(ويسمع عكرمة الفتى سهيل يطلب الماء .. فيزيح القـدح عن فمـه ..)

عكرمـة : هذا أخى فى الله يطلب ماء فأعطه قبلى ..

أسـماء : اشرب يا عكرمـة ..

عكرمـة : لن أشرب قبـله ..

(أسماء تذهب الى سهيل لتسقيه فتجده قد مات ..)

اسماء منفعلة : قبض سهيل الى ربه (.. ثم تذهب الى عكرمة فتجده قد مات).

اسـماء : لقد لاقى عكرمة ربه (تذهب الى عمرو) .

اسـماء : لقد لاقى عمرو بن عكرمة ربه (تذهب الى الحارث) .

اسـماء : لقد لاقى الحارث بن هشام ربه .

(تنفعل أسماء وتبكى وتقول :)

هنيئا لكم جميعا لقاء ربكم .. أنتم السابقون الى الله ونحن

اللاحقون بكم حتى فى لحظة الموت يؤثر كل منكم أخاه على نفسه وصدق الله العظيم إذ يقول : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . (تنظر الى أم حكيم وتقول) :
— تجلدى يا أم حكيم . فهذا موقف الصبر والامتحان والايمان.
(نساء الصحابة كلهن يتجمعن حول أم حكيم يعزينها ويواسينها) .

هنـــد : لك الله يا أم حكيم .. أتفجعين فى زوجك وولدك وأبيك فى ساعة واحـــدة .

(أم حكيم ترد عليهم فى ثقة وعزم وبصوت تعلو نبراته بقوة) :

أم حكيـم : والله ما هذه بفجيعة أبدا .. الفجيعة لو كنت فقـدتهم فى الجاهلية عندما كانوا يحاربون لغير غاية ولا هدف .. ويقتلون بعضهم بعضا فى الثأر والسطو والعدوان ..
أما اليوم فنحن نبذل دمنا وأرواحنا لتعلو كلمة الله ..
لنحرر الانسانية من الجهل والوثنية..ومن الشرك والعبودية.
ولنخرج الشعوب من جور الاديان الى عدل الاســلام . ومن عبادة الانسان الى عبادة الديان .. ووالله ما تذهب دماؤنا اليوم هدرا .. إنما هى الشهادة وهى الجنة : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله . ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

هنـــد : لله درك يا أم حكيم .. فى الصباح كنت فارسة الميدان وفى المساء أنت راهبة الايمان ..

أم حكيـم : لست والله بأقوى مبدأ ولا إيمانا منكن .. فهذه الخنســاء شاعرة الجاهلية التى فقدت بصرها حـزنا وبكاء على أخيها صخر قبل الاسلام .. ثم جاء الاسلام فغير كيانها ووجدانها ..
فلما قتل أولادها الأربعة فى سبيل الله فى يوم واحد قالت :
« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم جميعا .. وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .. وأنا لا أملك إلا أن أقول مثلها « اللهم ارزقنى الشهادة مجاهدة فى سبيلك مثل زوجى وولدى وأبى واجعلنى معهم فى الجنة .. » .

(وتقوم أم حكيم الى فرسها وتتوشح بدرعها وسيفها فتسألها أسماء ..)

اســماء : الى أين يا أم حكيم ..

أم حكيـم : سأظل أضرب فى العدو بسيفى هذا حتى أنتقم لأهلى أو الحق بهم فى الجنـــة ..

« يسمع صوت آذان المغرب .. وتخفت الأضواء فى الخيمة الا من ضوء مصباح صغير خافت . وتقوم الصحابيات الى الصلاة مع جيش المسلمين ويخلو الميدان تماما الا من جثث الشهداء ويسمع صوت أبو عبيدة الجراح وهو يؤم المسلمين الى الصلاة ويقرأ قول الله تعالى :
« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من أثر السجـود .. ذلك مثلهم فى التـوراة ومثلهم فى الانجيل .. كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .. يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

بريد الوعي الإسلامي

مـــن تايلنـــد

نحيي جهادكم المستمر في نشر الدين كما نراه في مقالاتـــكم الدائمة ولقـــد ترجمنا منها الكثير الى اللغة التايلدنية عن طريق مجلة سبيل السلام التى يرأس تحريرها وصاحبها الأستاذ مصطفى الحنفى ويساعده على الترجمة ابنى غـــازى سالم بن هلابى أى الترجمة من العربية الى التايلندية ومن ضمن هذه المقالات التى ترجمت مقالكم (أحاديث يجب تصحيح فهمها) وأيضا مقال (حكم الاسلام فـــى تحريم لحم الخنزير) لأن هذه المقالات اخترناها لأنها تتناسب مع ظروف هـــذا البلد .

سالم بن عمر بن هلابى ــ تايلند

هياة دولية اسلامية

يعانى اليوم اخواننا فى الأقطار الاسلامية المختلفة وخاصة الأقليات نقصا فى كل ما يشد أزرهم وينشر بينهم الروح الاسلامية هذا بالاضافة الى حمـــلات الابادة الجسدية والروحية من أعداء اللـــه فى الأرض ، والمخططات المعاديـــة للاسلام منسقة ومترابطة ، وتعمل فى جهد ودأب بعقلية منظمة .

فالشيوعية تدفع الملايين لكسب اتباع جدد لها فى الأرض .

والصليبية تدفع الملايين فى أيدى المبشرين الى أطراف الأرض ليعلوا كلمة الدين المسيحى .

ونحن قسمان : قسم يعادى الاسلام لجهله به وانسياقة لحملات التشكيك الشرقية والغربية .

وقسم لا يعادى الاسلام ولكنه غيور عاجز .

وحتى نكون شيئا فى الحياة ــ حتى يكون لنا مبدأ وعقيدة نحيا ونموت من اجلها ــ أرى أن تكون هيأة دولية اسلامية تجمع الأموال من الخيريـــن والزكاة لنساعد بها اخواننا بالغذاء والكتاب .

مسـلم

التعريف باحوال المسلمين

ان مجلة (الوعى الاسلامى) قد علقت بها قلوب قرائها العديدين فى العالم العربى والاسلامى فتوثقت الألفة بينهم وبينها على هذا الوجه الذى يطلع عليهم مع طلوع الهلال فى كل شهر .

وحبذا لو عنيت ببحوث للتعريف بأحوال المسلمين فى الجهات النائية حيث يكاد المسلمين هناك يعيشون وهم أقلية فى شبه عزلة عن العالم الاسلامى ، وحيث لا يكاد يلتفت اليهم المسلمون فى مواطن الاسلام . .

وحبذا لو شغلت الدراسات الأدبية واللغوية حيزا من المجلة ، تكشف به هذه الدراسات عن عظمة اللغة التى اختارها الله تعالى لتكون محملا لدينه ووعاء لشريعته ولسانا معجزا بالكلمة ، وبهذا نضع اللغة بمكانها الذى ينبغى أن يكون عند أهلها والذى يعلو كل لغة غيرها . . ويومئذ يرد للأمة العربية اعتبارها، فبالكلمة وحدها يقام ميزان الأمم كما يقام ميزان الرجال لأن الكلمات هن أمهات الأعمال ، وليس ثمة عمل الا وراءه كلمة هى محصول فكرة ونتاج تفكير .

عبد الكريم الخطيب

غــلاف المجلــة

هناك حقلان رئيسيان ما زلت أتمنى أن تغطيهمــا (الوعى الاســلامى) باستمرار مهما كلفا من جهد :

أ) ريبورتاجات مصورة ومطولة وموضوعة بحذق وعناية تركز على :

(١) الاتجاهات الاسلامية فى كل بلد اسلامى .
(٢) المؤسسات الاسلامية التعليمية وغيرها . .
(٣) أهم الشخصيات الفكرية والجمعيات . .
(٤) مطالب ومصاعب وتطلعات المسلمين . .
(٥) ما ينبغى أن يكون معروفا فى كل بلد لدى سائر العالم الاسلامى .

وحين تصور مجلة ما امرأة شبه عارية على الغلاف لتوهم بأن ذلك الوضع المنحرف يمثل امرأة نموذجية من بلد اسلامى ، فان الوعى لو نشرت صورة فى منتهى الحشمة واللباس الشرعى الاسلامى للبلد الذى يجرى فيه الريبورتاج فهى حرية بقلب مساعى العابثين .

ب) ندوات أو آراء لأبرز المفكرين المسلمين فى العالم فى قضايا تشغل الأذهان ، ومتابعة مستديمة لما ينشر عن الاسلام والمسلمين مــن كتب تستحق الاهتمــام فى العالم .

أحمد العنانــى

الفتاوى

التيمم خوفا من خروج وقت الصلاة

السـؤال :

استيقظت من نومى جنبا ، ولم يبق على طلوع الشمس إلا دقائق ، ولو اغتسلت من الجنابة خرج الوقت وطلعت الشمس ، فهل يجوز لى أن أتيمم لأؤدى صلاة الصبح فى وقتها ، أو لا بد من الغسل وأصلى بعد طلوع الشمس ؟

الاجـابة :

جمهور الأئمة على أنه لا يجوز التيمم لخوف فوات وقت الفريضة لأنها تفوت الى بدل وهو القضـاء ، فلا بد أن يغتسل الجنب ثم يؤدى الفريضـة ولو بعد وقتها ، وأجاز بعضهم التيمم لخوف فوات الوقت ، ويرى فريق أن الأحوط أن يتيمم ويصلى ، ثم يعيد الصلاة بعد الغسل خارج الوقت .

سـيدنا ابراهيـم

السـؤال :

لماذا نخص سيدنا ابراهيم بالذكر فى تشهدنا فى الصـلاة دون سائر الأنبيـاء والمرسلين ؟

الاجـابة :

خص الله سيدنا ابراهيم بمزيد من الفضائل ، فهو خليل الرحمن ، وأبو كثير من الأنبياء والمرسلين ، ومن ذريته اسماعيل أبو العـرب ، واسحاق أبو اسرائيل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، وهو جد خير خلق الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وقد طلب من الله أن يجعل له لسان صدق فى الآخرين فاستجاب الله دعاءه فهو محمود فى جميع الملل وهو الذى سمانا المسلمين لهذه الفضائل والمناقب كلها خصَّ سيدنا ابراهيم عليه السلام بذكره فى التشهد للصلاة .

حـكم الختـان

السؤال :

انا اعمل فى الكويت وقد ولد لى فيها بنت ، ورغبت فى ختانها كما هو المالوف فى بلادنا ولكن كثيرا من أصدقائى قالوا لى أن ختان البنات غير مطلوب شرعا ، فارجو توضيح حكم الشريعة الاسلامية فى الختان .؟

الاجابة :

اختلف الفقهاء فى حكم الختان لكل من الذكر والأنثى هل هو واجب أو سنة فمذهب الشافعية انه واجب فى حق الذكر والأنثى ، ومذهب الحنابلة انه واجب فى حق الذكر ، وليس بواجب فى حق الاناث ، بل هو سنة ومكرمة ، ومذهب المالكية والحنفية أنه سنة فى حقهما ، وهو من شعار الاسلام .

وخلاصة القول : ان أكثر العلماء على أن خفاض ـ ختان ـ البنات ليس واجبا وهو قول المالكية والحنابلة والحنفية ، وان ختان الذكور واجب شرعا ، وهو شعار المسلمين وملةابراهيم ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة ، فلا اثم فى ترك ختان البنت كما هو متبع فى كثير من الشعوب الاسلامية .

خرافـــة

السؤال :

سمعت أحد المحدثين فى المساجد يروى ان الامام الغزالى لم يدخله الله الجنة الا لأنه كان يوما يكتب ، فوقفت على قلمه ذبابة ، فتركها حتى رويت من المداد ، ثم طارت ، فما نصيب هذه الرواية من الصحة وما حكم الشرع فى مثل هذه الروايات .. ؟

الاجابة :

هذه حكاية مختلقة ولا يجوز أن تذكر للوعظ لأن الوعظ انما يكون بالقول الصادق الحق ، والدلالة على العمل النافع الموافق لعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كل ما قدمه الامام الغزالى من علم نافع وما تركه من آثار وكتب قيمة غير مقبول عند الله وان الله عز وجل لم ينجه من النار الا بقطرات المداد التى شربتها الذبابة ، هذا كلام لا دليل عليه وهو غير مقبول شرعا ، ويجب على هذا المحدث وأمثاله أن لا يروى للناس كل ما يقرأ أو يسمع بل عليه ان لا ينقل لهم الا الثابت الصحيح ..

زوال العقـــم

السؤال :

فى جزيرة فيلكا من جزر الكويت ، قبر عليه قبة ، ويقول العامة انه مقام الخضر ، وقد طلبت منى زوجتى أن أذهب معها الى هذا القبر لتخطو فوق عتبته سبع مرات لتحمل ، وزعمت أن كثيرات من النساء نصحنها بذلك ، فهل لهذا الكلام أصل فى الشرع .. ؟

الاجابة :

هذه خرافة لا اصل لها فى الدين ولا فى الطب ، وما أكثر الخرافات الشائعة بين العامة فى كل مكان ولهذه الخرافة نظائر فى البلاد الاسلامية فبعض النساء كن يصعدن الى أعلى مأذنة السيد البدوى فى طنطا من محافظات مصر ، ويمكثن قليلا ، ثم يهبطن معتقدات ان ذلك يزيل العقم ، ولا يخفى ما فى هذا من جهالة وضلال ، وواجب الأزواج وأولياء الأمور ان يمنعوا النساء منعا باتا من هذا العمل لأن للحمل أسبابا طبيعية وعادية لمن أراد الله لهن الحمل ، وليس من هذه الأسباب تخطى عتبة الخضر ولا صعود المأذنة .

بأقلام القراء

حول تحفيظ القرآن الكريم

من المشروعات التى تقوم بها وزارة الأوقاف المصرية وتنفق عليها مشروع المقارىء ، وهو مجموعة من الحفاظ يتناوبون تلاوة القرآن فى بعض المساجد ربعا بعد ربع الى أن ينتهى المصحف في عدة جلسات ولكل قارىء فى الجلسة جنيه أو نصف وفى كل أسبوع جلسة واحدة ولهم شيخ ومشرف وكاتب .

وهدف المشروع ظاهر وهو تنفيذ شروط الواقفين وتشجيع القراء على استدامة التلاوة والحفظ وعمارة المساجد بقراءة القرآن ، ومن المعروف أن حفظ القرآن فى خطر وان كل عشرة حفاظ من الأجيال القديمة يقابلهم حافظ واحد وهذه نسبة تقريبية ومن أجل هذا كان مشروع التحفيظ اولى بالعناية والرعاية النفقة وبمقتضاه يلتزم المحفظ بتحفيظ عشرة على الأقل اجزاء وسورا من القرآن .

فماذا يحدث لوضم المشروعان الى بعضهما واضيفت نفقات المشروع الأول الى الثانى فيأخذ المحفظ ما كان يأخذه فى المقرأة وبعض ما يتقاضاه فى التحفيظ أما الباقى فيعطى للتلاميذ او الطلاب مكافأة تزاد كلما تقدم الطالب فى الحفظ .

واعتقد أن هذه المكافأة اليسيرة لكل طالب ستحدث اثرا كبيرا واقبالا عظيما وتكون عاملا مهما فى جذب جمهرة الراغبين فى الحفظ بصفة دائمة وخصوصا صغار الأطفال الذين يلعبون فى شهور الصيف وليست عليهم مسئولية كبيرة فى الشتاء لأن المقررات لا ترهقهم خصوصا فى سنوات النجاح الأولى مع التشديد فى امتحانات الحفظ حتى لا تضيع الأموال سدى دون ان تحقق الأغراض التى تبذل من أجلها وتنفق فى سبيلها ..

ويكفى حرمان الطالب الذى يقصر فى الحفظ من المكافأة التشجيعية التى ينالها المجتهدون من زملائه .

أما ان نأتى بالراغبين فى الحفظ دون أن نجعل لهم مكافأة مالية تجذبهم الى المشروع بصفة دائمة فأنهم يقبلون على الحفظ فى فورة الحماسة الأولى ثم يقلون بالتدريج الى أن يجد المحفظ نفسه وحيدا قد فر عنه طلابه ومهما أعطيناه وحده من المال فلن يستطيع أن يصنع شيئا ..

وهم يقبلون فى الصيف وينصرفون فى الشتاء الى مدارسهم ومعاهدهم ولو لا ارتباط المدارس والمعاهد والجامعات بالأعمال والارزاق والوظائف لعانت نفس المصير السابق ..

ومشروع التحفيظ يحقق اهداف المشروع الأول (المقارىء) ويزيد عليه ايجاد حفاظ جدد ونقل القرآن سليما وبذلك نعطى القرآن فرصة يزاحم فيها البرامج التى تتدفق ادوات الاعلام على قلوب الأجيال الجديدة الغضة كما يتدفق السيل ..

وموجة البخل على مصالح الأمة تزداد اتساعا فلا تجد الأوقاف موارد تنفق منها على رسالتها ، ومن أجل

هذا كان من المحتم عليها أن تتجر فى اموالها وتستغلها فى انشاء المصانع وبناء العمارات والمدن السكنية واصلاح الأراضى البور واستخراج النفط الخ . ومصادر الأرزاق تنفع العاملين بها وتؤدى فى نفس الوقت الى مكاسب جديدة تساعدها فى أداء رسالتها وهى أغنى واقدر فلا يكون هناك تفاضل بين مشروعات الخير بابقاء واحد وحذف آخر لقلة المال . . وعلى الله قصد السبيل .

عبد الرحمن احمد شادى

الاثر النفسى للاسلام

ان القلب اذا امتلا بالايمان الخالص ينظر الى ما حوله نظرة تفاؤل ورجاء يدفعه الى ذلك طلبه ثواب الله ورضوانه فالايمان وحده يهدى للتى هى اقوم اذ هو اصل الفضائل وقوام الضمائر وسند العزائم .

الاسلام يهيى مناخا طيبا ليحيا الانسان حياة هانئة هادئة فتعاليمه توفر للافراد اسباب العزة والكرامة بجانب الحاجات المادية . كما ان هذه التعاليم تؤدى الى القضاء على كل سبب للقلق النفسى وتحقيق الاستقرار ومن أمثلة ذلك : —

١ — الايمان بالقضاء والقدر يطمئن الانسان فلا يندم على ما فات ولا يخاف مما هو آت لان الانسان يعلم ان الله وحده هو المعز المذل يقول للشىء كن فيكون قال تعالى **(وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) .**

٢ — الايمان بالبعث والحساب يملأ قلب المسلم بالاحساس برقابة الله عليه فى كل حركة وفى كل تصرف وفى كل عمل يأتيه ، وايمان المسلم بالبعث والحساب يتولد عنه اليقين بان هذه الحياة الدنيا ليست الا مزرعة للآخرة قال تعالى **(قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) .**

٣ — الصبر عند الشدائد له اثر عظيم فى مواجهة القلق النفسى اذ هو طرد للجزع الذى تحدثه المضرة حتى لا يغلب على النفس فيؤدى بها الى اليأس والقنوط وقد قال سبحانه وتعالى فى وصية لقمان لابنه **(واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) .**

٤ — التفاؤل والاستبشار فى احلك الظروف لكى يكون القلب متفتحا للحياة فيقبل على مزاولتها بهمة لاتعرف الكسل وعزيمة لاتعرف الملل قال عز وجل (**فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) .**

هكذا احاط الاسلام النفس الانسانية بضمانات كثيرة توفر لها حياة افضل كما حرم قتلها قال تعالى **(ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا) .**

حقا حرص الاسلام على تهذيب النفس وتوجيهها الى ما فيه صلاح الفرد والمجتمع وجعل عوامل النصر قوية فى نفوس المؤمنين فقال تعالى **(قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها)**

هذا هو الاسلام الذى حرر العقل البشرى من قيود العبودية وحرر النفس الانسانية من الحيرة والضلال . . وهذا هو الصراط المستقيم لمن أراد العزة .

احمد ابراهيم ابو حمد



الشريعة الاسلامية ليست ارهابا

عن صحيفة (أخبار اليوم) القاهرية

ان الشريعة الاسلامية ليست ارهابا لكنها فى الحقيقة قانون عالمى انسانى يطرح نفسه للبشرية جميعها وتطبيقها هو طريق النصر والسعادة للفرد والجماعة .. وهى ، لا تستحق كل هذا الجدل والعناء . فكما أنها قادرة على تحقيق مصالح الناس . فانها ايضا تكفل سعادة الفرد والمجتمع ولانها إتمام لنعمة السماء الى أهل الارض .. فانها كاملة ، ولانها من عند الله .. فانها تبيان لكل شىء لان الله لا يضل ولا ينسى .

وقد آمن كثير من الناس فى مناطق مختلفة من العالم .. « بالاسلام » عن علم واقتناع . لان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله الى الناس جميعا .. ولانه ارسل رحمة للعالمين فان ما جاء به خير ورحمة للناس جميعا وهو لا يتعارض مع طبيعة الانسان وفطرته . لان الله يريد للانسانية اليسر ولا يريد لها العسر وأحكام الشريعة الاسلامية تلجأ الى مراعاة الصالح العام وتقلل التكاليف وتراعى الاعذار .. وكثير من المسلمين المؤمنين يراعون شريعة الله فيصلون فى حياتهم الى أقصى درجات الكمال . ويبلغون درجات عالية من السعادة .. حتى ولو لم تأخذ المجتمعات التى يعيشون فيها بشريعة الاسلام .. والمسلمون فى أوروبا وامريكا وكندا امثلة واضحة لهؤلاء .. وهم دليل صلاحية الشريعة الاسلامية للقرن العشرين .

وفى مؤتمرات دولية متعددة للقانون فى فترات مختلفة من التاريخ الحديث ــ حتى أواخر الستينات ــ اجمع فقهاء القانون ــ الاجانب ــ على أن « القيم التشريعية فى الاسلام لا يرقى اليها الجدل وتفوق جميع التشريعات الانسانية لأنها تتجه دائما الى مصلحة الانسان وطريق الخير والنور للفرد والمجتمع » .

وفى مناطق كثيرة من العالم الاسلامى دعوات صريحة الى اقامة نظام المجتمع على الشريعة الاسلامية « والشريعة الاسلامية » تتطلب الحكم بما أنزل الله والتسليم بحاكمية الله وقوانينة التى نزلت فى القرآن وفى البلاد العربية خاصة وباكستان وبعض الدول الاسلامية اتجاهات جادة لتطبيق الشريعة الاسلامية فى كافة انواع القوانين الوضعية التى عرفتها هذه البلاد .. وهذه القوانين

يحتاج كثير منها الى تعديل ليتلاءم مع الشريعة .. كما ان جهودا جبارة ينبغى أن تبذل ليجتمع فقهاء الشريعة والقانون معا ليضعوا الاصطلاحات والاجتهادات الجديدة لهم فى ظروف العصر وتغير المكان .. ولا يختلف اثنان ــ حتى من الاجانب ــ فى ان الاسلام دين يسر يتلاءم مع الانسان ــ أى انسان ــ والشريعة فى تطبيقها هى الاطار الذى يحدد للانسان والمجتمع سعادته .. وهى ليست عذابا أو ارهابا كما يتصور بعض الناس .. لكنها فى الحقيقة طريق السعادة والنور والنصر .

والشريعة الاسلامية هى الاحكام التى وضعها الله فى كتابه مباشرة ونفذها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عــن الهوى والله يقول له « **ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها** » الجاثية ١٧ ــ والمؤمنون يحبون الرسول ويتبعونه ويأخذون ما أتاهم به وينتهون عما نهاهم عنه . وكان الرسول دائما يحكم بما اراه الله وكانت السماء متصلة بالارض طوال حياة النبى اكمل الله للانسانية دينها ورضى لها الاسلام دينا .. وفى العهود التالية للنبى صلوات الله وسلامه عليه . كان المؤمنون يلتزمون باحكام القرآن والسنة ثم القياس والاجماع فان لم يجدوا فانهم يجتهدون .

وقد نفر عدد كبير من علماء المسلمين وتفقهوا فى الدين والفقه الاسلامى ودرسوا حياة الفرد والمجتمع فى اطار الشريعة الاسلامية ووصلوا الى درجات عالية من الكمال .. ونحن نستطيع ان نفعل مثلهم وكما يقول الدكتور السنهورى ان الشريعة الاسلامية مليئة بعناصر لو تولتها يد الصياغة لصاغت منها مبادىء تفوق أخطر النظريات الفقهية الغربية » .. وقد شارك الفقه الاسلامى ــ داخل العالم الاسلامى ــ فى كافة القوانين الوضعية .. القوانين المدنية والجنائيــة والاجراءات والدستوريــة والدولية .. وقدمت مصر بصفة خاصة دراســات ممتــازة ، فــى الملكيــة والاحكــام القرآنية والاشتراكية والمصلحة العامــة ، والاستحسان ونظرية الحق .. والاقتصاد الاسلامى ، .. وعيب هذه الدراسات التى تجرى فى كثير من بلاد العالم الاسلامى ان احدا لا يعلم بها او لا يهتم بنشرها أو لا يحب أن يطبقها .. أو يخاف اذاعتها .

بينما نجد ان فقهاء المسلمين فى المراحــل الاولى .. ولمدة عشــرة قرون استطاعوا أن يضعوا الاطار الناجح للمجتمع الاسلامى الذى ازدهرت فى ظله العلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والاجتماع والاخلاق وكان نتاج هذا المجتمع هو النور الذى اضاء لاوربا نهضتها .. ورغم تقدم الغرب المادى الرهيب .. فان تجربته الانسانية جوفاء وهم يعترفون بان المجتمع الاسلامى لا ينقصه ذلك .. لان الشريعة الاسلامية تتعلق بالعقيدة والاخلاق والمعــاملات وهى فى اصولها الرئيسية تنص على مبدأ الحريات ــ القول والفكر والعبادة والشورى ، والعدل والمساواة والتسامح والتضامن الاجتماعى والملكية الفردية وحقوق المرأة والزواج والطلاق والاسرة والميراث ــ ثم البيع الشراء والعقود وغيرها ، وقد اصطلح العلماء على أن لها مقاصد خمسة هى الدين والنفس والعقل والنسل والمال .. وقد عنى القرآن بوضع الاحكام التى تحفظها وتصون كيانها .. لانها فى الحقيقة الاطار العام الذى يصون حياة الفرد والمجتمع .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : فهمى الامام

الكويت :



□ استقبل سمو أمير البلاد المعظم الوفد الموريتانى برياسة وزير الخارجية السيد حمدى ولد مكناس . وقد بحث الوفد مع المسئولين الكويتيين تدعيم العلاقات بين الكويت وموريتانيا ومناقشة بعض القضايا الافريقية .

□ يزور حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم كلا من السعودية ومصر والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان ، ويشترك سموه فى اجتماعات دول عدم الانحياز ، كما يبحث سموه مع الزعماء العرب القضايا العربية والدولية .



□ قام سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر بزيارة رسمية للعراق ، تلبية لدعوة من أخيه سيادة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى السيد صدام حسين .

□ عاد الى البلاد الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بعد أن قام بزيارة الاردن والجزائر والمغرب وعدد من الدول الاوربية .

□ احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الاسراء والمعراج جريا على عادتها السنوية ، وقد نقلت الاذاعة والتلفزيون وقائع الحفل فى حينه .

□ تستعد الوزارة لاقامة الموسم الثقافى الاسلامى فى رمضان كما اتبع فى السنوات السابقة ، وتستضيف لهذا الموسم عددا من كبار المحاضرين والمقرئين .



□ قام الاستاذ عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بزيارة لأحد مراكز تحفيظ القرآن الكريم — التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعى .

وقد اطلع سيادته على سير الدراسة الدينية بالمركز حيث يتلقى الطلبة الى جانب حفظ القرآن الكريم دروسا فى السيرة والفقه والحديث .

□ دعت الكويت الى استعمال اللغة العربية فى الاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية .. كان ذلك فى المؤتمر التنفيذى الثانى للاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية الذى عقد بالاسكندرية .

السعودية :

□ وزعت رابطة العالم الاسلامى ٢٠ الف نسـخة من ترجمة معانى القرآن الكريم الى لغة اليوربا على مسلمى نيجيريا .

□ تم اعتماد ٧٠ منحة دراسية لأبناء الدول العربية والاسلامية للعام الدراسى القادم فى كليتى الشريعة واللغة العربية والمعاهد العلمية .

مصر :

□ بحث فضيلة الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الازهر مع السيد عبد الملك يوسف الحمر وكيل وزارة التربية والتعليم بدولة الامارات العربية ، فى انشاء جامعة اسلامية فى أبو ظبى .. كما تم بحث دعم العلاقات الثقافية بين الازهر ودولة الامارات .. وامدادها بالمدرسين والوعاظ والأئمة لنشر الدعوة الاسلامية فى ربوع البلاد .

□ استقبل شيخ الازهر مفتى مسلمى رومانيا الشيخ محمد يعقوب وتناول الحديث بينهما وسائل تدعيم العلاقات الدينية والثقافية بين الازهر ومسلمى رومانيا ومدهم بالمدرسين والوعاظ والأئمة والكتب وتعليم عدد من أبناء المسلمين الرومانيين فى الأزهر

□ دعا السيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية الى عقد مؤتمر قمة عربى فى الجزائر بعد مؤتمر عدم الانحياز الذى سيعقد فى سبتمبر .

سوريا ولبنان :

□ انتهت أزمة الحدود بين البلدين .. وتم فتحها وعاد الانتقال بين رعايا البلدين الى طبيعته بعد أن ظلت الحدود مغلقة لأكثر من ثلاثة شهور .

فلسطين المحتلة :

□ صادف ٨/٢١ الماضى ذكرى احراق المسجد الاقصى وهى الذكرى الخامسة للجريمة النكراء .. وتمر الذكرى بالمسلمين والاراضى العربية ما زالت محتلة .. والعدو الاسرائيلى يدنس المقدسات وما حولها .

□ أدان مجلس الامن بالاجماع القرصنة الاسرائيلية .. واختطافها طائرة ركاب مدنية لبنانية .. وارغامها على الهبوط فى احدى المطارات العسكرية الاسرائيلية .

الجزائر :

□ أعلن الرئيس الجزائرى : أن الجزائر تؤيد المقاومة الفلسطينية وتمدها بالسلاح والمال من سنة ١٩٦٥ — وقال : ان اطلاق رصاصة واحدة خير من الف مؤتمر قمة ، وأفضل من ألف قرار للامم المتحدة .

□ سيجتمع فى الجزائر زعماء دول عدم الانحياز فى مؤتمرهم الرابع فى الفترة ما بين ٥ الى ٨ سبتمبر .. وهم يمثلون ٧٤ دولة من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

المغرب :

□ رأس الشيخ مكى ناصر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والثقافية فى المغرب نهاية المرحلة التدريبية لتأهيل ٦٠٠ من الوعاظ والموجهين الدينيين بالمغرب .

وحضر الاحتفال مدير جامعة أندونيسيا الاسلامية والوفد الاسلامى الكورى الجنوبى وأشار الوزير المغربى الى اهتمام الحكومة بالتربية الدينية وتأهيل الأئمة والوعاظ الذين يضطلعون بهذه المهمة .

مانيلا :

□ تم انشاء مركز اعلام اسلامى يتولى تنظيم الاتصال الفعال بين الأقلية المسلمة فى الجنوب وبقية أجزاء الفلبين .

سايغون :

□ تم اختيار ثلاثة من مسلمى فيتنام الجنوبية منهم سيدة للاشتراك فى المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم ، والتى ستعقد فى كوالا لمبور بماليزيا من ١٥ الى ١٨ سبتمبر .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	أغسطس	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الأربعاء	١	٢٩	٣ ٥١	٥ ٢٣	١١ ٤٩	٢ ٢٣	٦ ١٤	٧ ٣٥	٩ ٣٧	١١٩	٣٥	٩	٢١ ٩
الخميس	٢	٣٠	٥٢	٢٣	٤٨	٢٣	١٣	٣٤	٣٩	١٠	٣٥	١٠	٢١
الجمعة	٣	٣١	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١٢	٣٢	٤١	١٢	٣٦	١٠	٢٠
السبت	٤	سبتمبر	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١١	٣١	٤٢٠	١٣	٣٧	١١	٢٠
الأحد	٥	٢	٥٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠	٤٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠
الاثنين	٦	٣	٥٤	٢٥	٤٧	٢١	٩	٢٩	٤٥	١٦	٣٨	١٢	٢٠
الثلاثاء	٧	٤	٥٥	٢٦	٤٧	٢١	٨	٢٨	٤٧	١٨	٣٩	١٣	٢٠
الأربعاء	٨	٥	٥٦	٢٦	٤٧	٢٠	٧	٢٧	٤٩	١٩	٤٠	١٤	٢٠
الخميس	٩	٦	٥٧	٢٧	٤٧	٢٠	٦	٢٥	٥١	٢١	٤١	١٤	١٩
الجمعة	١٠	٧	٥٧	٢٧	٤٦	١٩	٤	٢٣	٥٣	٢٣	٤٢	١٥	١٩
السبت	١١	٨	٥٨	٢٨	٤٦	١٩	٣	٢٢	٥٥	٢٥	٤٣	١٥	١٩
الأحد	١٢	٩	٥٩	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١	٥٧	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الاثنين	١٣	١٠	٤ ٠٠	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الثلاثاء	١٤	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	٠٠	١٩	١٠ ٠١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الأربعاء	١٥	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٨	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الخميس	١٦	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الجمعة	١٧	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٨	١٩	١٨
السبت	١٨	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
الأحد	١٩	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨
الاثنين	٢٠	١٧	٥	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠	١٣	٤١	٥١	٢١	١٨
الثلاثاء	٢١	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الأربعاء	٢٢	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الخميس	٢٣	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الجمعة	٢٤	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
السبت	٢٥	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
الأحد	٢٦	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الاثنين	٢٧	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الثلاثاء	٢٨	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الأربعاء	٢٩	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٩	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨

مسجد معاذ بن جبل
الخالدية - الكويت

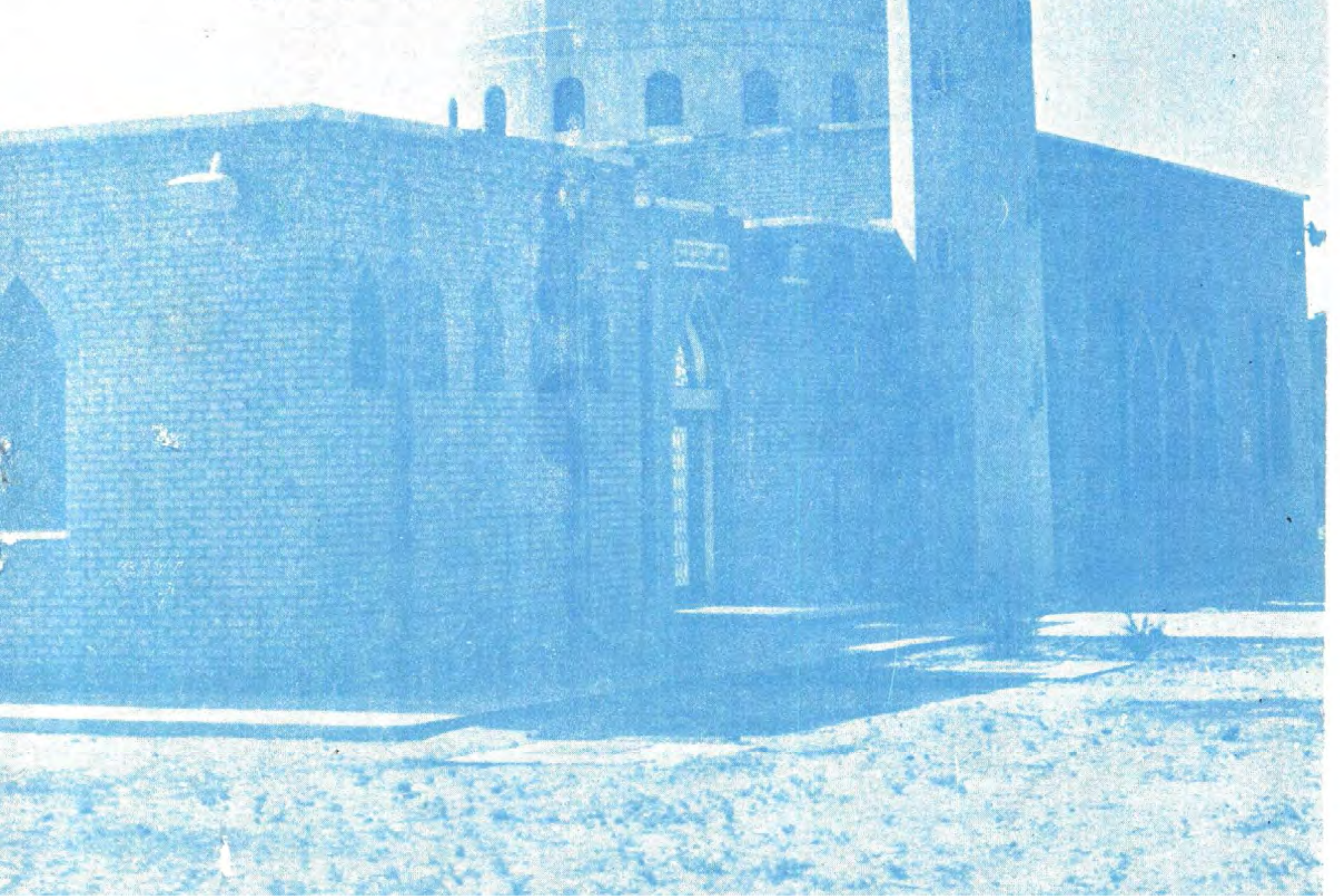
● معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى : أبو عبد الرحمن الأنصارى الخزرجى ، الامام المقدم في علم الحلال والحرام .

● أسلم وهو ابن احدى وعشرين سنة ، وبايع النبى صلى الله عليه وسلم يوم العقبة الثانية ، وشهد بدرا والمشاهد كلها . فهو من السابقين الأولين .

● أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن لاستنارة عقله وشجاعة ذكائه ، وحزمه في الفصل فى الأمور ، ورجع منها فى خلافة أبى بكر الصديق .

● استخلفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام بعد موت أميرها وصديقه الحميم أبى عبيدة بن الجراح .

● لم تمض على أمارته سوى بضعة أشهر حتي لقى ربه مخبتا منيبا سنة سبع عشرة من الهجرة عن عمر يقارب الرابعة والثلاثين .



« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .
المغــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الاردن	:	عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .
قطــــر	:	الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبــى	:	مطبعة دبى .
الكــويت	:	مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

اقرأ فى هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

١٠٥

هدية العدد
رسالة الصيام

قال تعالى في كتابه الكريم

وأن تصوموا خير لكم

إن كنتم تعلمون ۝ شهر رمضان الذي أنزل فيه
القرءان هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

هُدًى لِّلنَّاسِ

وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ



قال تعالى فى كتابه العزيـــز :

« وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضـــان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

« تصميم محمد الحداد » .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العـــــــدد (١٠٥)
غرة رمضان ١٣٩٣ هـ
٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـــياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـرة كل شـــــهر عـربى
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
اما الافراد .فيشـــتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــــئون الاســـــلامية
صـــــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز

خطاب سمو أمير البلاد المعظم

القى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الخطاب التالى أمام مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذى انعقد فى الجزائر فى الشهر الماضى ..

سيدى الرئيس ،

انها لفرصة سعيدة أن أعبر هنا نيابة عن شعب الكويت وحكومته عن أصدق التحيات وأوفر المودة لشعبكم العظيم ولكم شخصيا ولكافة المسؤولين فى حكومتكم مقرونة بكل معانى الثناء والشكر للحفاوة البالغة والأصالة الضيافة ولحرارة الاستقبال التى أحطنا بها منذ وصولنا الى أرضكم الناهضة كما أنى أهنىء على انتخابكم رئيسا لهذا المؤتمر التاريخى مؤمنا بأن حكمتكم وأمانتكم ستكونان عاملا أساسيا فى التوصل الى النتائج التى نصبو اليها كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص التهنئة لكافة الدول التى انضمت لمجموعتنا خلال هذا المؤتمر .

أهمية المؤتمر :

سيدى الرئيس ، أيها الاخوة الكرام ، ان الاهتمام المتزايد بالاتجاه الذى يمثله جمعنا هذا لأمر يدعو الى الارتياح وجدير بالترحيب والتشجيع كما أنه دليل أكيد على الايمان على ما تستطيع أن تحققه سياسة عدم الانحياز لعصرنا هذا من انجازات لصالح شعوبنا والبشرية جمعاء .



ولا شك أن القرارات التى اتخذناها فى السابق قد ساهمت بشكل ايجابى فى التعبير عن تطلعات شـــعوبنا وآمالها وفى بلورة مواقفنا من القضايا التى تهم عالمنا وبالتأكيد على الايمان بالمثل والمبادىء التى ننادى بها غير أن ما توصلنا اليه حتى الآن من نتائج فى مجال تصدينا للمشاكل التى نواجهها تحتم علينا النظر فيما نستطيع عمله بكل تطلعاتنا وارادتنا بما يكفل تحقيق الأمانى التى تنشدها شعوبنا .

تطورات ايجابية :

سيدى الرئيس ، لقد شهد العالم تطورات ايجابية هامة فى الموقف الدولى لا نستطيع التقليل من شأنها ، ولعل من أهم هذه التطورات الانفراج فى العلاقات بين الدول الكبرى الذى سيكون من شأنه ولا شك انهاء حدة التوتر فى هذا العالم والتقليل من احتمالات الصدام الدولى ، غير أن هذه التطورات المشجعة لن تسهم فى رأينا اسهاما فعالا لتعزيز السلام والأمن العالميين ، ما لم تؤد أيضا الى القضاء على المخاطر التى تهدد أمن واستقرار

الدول الصغرى والى تعزيز مبدأ احترام ارادة جميع الشعوب والدول وحقها فى المشاركة فى معالجة القضايا الدولية الاساسية .

سيدى الرئيس ، لا زالت حقوق الشعوب الأساسية التى أقرها ميثاق الأمم المتحدة وكل المبادىء والقوانين الدولية تنتهك فى أكثر من بقعة من عالمنا وفقا لأطماع السيطرة والاستغلال وبسط النفوذ وتنفيذ المخططات الاستعمارية والعنصرية ، ومما يدعو الى الأسف أن يكون تجاهل عدم احترام الارادة الدولية من قبل بعض الدول الكبرى ، سببا رئيسيا فى عرقلة الجهود الرامية الى ايقاف تلك الانتهاكات وانهاء المشاكل المترتبة عليها الأمر الذى شجع على الاستمرار فى أعمال العدوان ضد حقوق الشعوب .

العدوان الصهيونى :

ولعل من أبرز مظاهر العدوان التى يواجهها عالمنا اليوم استمرار الكيان الصهيونى الدخيل فى ممارسة سياسة الارهاب ضد الشعب الفلسطينى ومواصلة اعتداءاته ضد الدول العربية الاخرى واحتلال أراضيها وفقا لسياسته العدوانية التوسعية . ان موقف الدول غير المنحازة أثناء مناقشة مجلس الأمن لقضية الشرق الاوسط مؤخرا وكذلك الاجراءات الايجابية التى اتخذتها بعض دول المجموعة ضد الكيان الصهيونى فى فلسطين انما تعكس الادراك المتزايد فى العالم للطبيعة العنصرية والتوسعية لذلك الكيان . فلقد بات من الواضح أن تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط لا يمكن أن يتم دون استعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه المشروعة فى أرضه ووطنه واحترام حقه فى تقرير مصيره كما أن اتجاه الارادة الدولية ومحاولة تكريس الامر الواقع عن طريق العدوان والاحتلال سوف يؤديان الى تفاقم الوضع فى الشرق الاوسط بشكل يهدد السلام والامن العالميين .

سيدى الرئيس ، ان الشعب الفلسطينى الذى ناضل وما زال يناضل الى يومنا هذا فى سبيل استعادة حقوقه المشروعة فى أرضه ووطنه لجدير بأن يأخذ مكانه الطبيعى بيننا ليتمكن من المشاركة بدوره فى أعمال مجموعة دول عدم الانحياز .

المآسى الافريقية :

سيدى الرئيس ، ان المآسى التى تعانى منها بعض الشعوب الافريقية نتيجة للاضطهاد الاستعمارى والعنصرى لا زالت من القضايا الملحة التى يجب أن تستأثر بمزيد من اهتمامنا وأن نتخذ المواقف الايجابية والاجراءات الكفيلة بمناصرة كفاح هذه الشعوب المناضلة من أجل نيل حقوقها الأساسية المشروعة وان ما يحدث اليوم على أرض فلسطين وفى جنوب أفريقيا

وروديسيا وأجزاء أخرى فى أفريقيا واستمرار الكيانات العنصرية والعدوانية فى هذه المناطق من عالمنا لاغتصاب الحقوق الاساسية المشروعة للشعوب وتهديد سلامة وأمن الدول المستقلة يشكل فى الواقع الامتحان لقدرتنا على تنفيذ ارادتنا بالمبادىء التى تؤمن بها شعوبنا .

سيدى الرئيس ، ان استمرار التدخل الاجنبى فى منطقة جنوب شرق آسيا وتجاهل الارادة الحرة لشعوب تلك المنطقة وحقها فى تقرير مصيرها مازال يشكل عاملا من عوامل عدم الاستقرار فيها .

ان انهاء جميع اشكال التدخل الاجنبى وتنفيذ اتفاقيات السلام فى تلك المنطقة وايقاف جميع الانتهاكات ضد حقوق شعوبنا تشكل ضمانة أساسية لاحلال السلام والاستقرار لدولها .

مسؤولية أهل الخليج :

سيدى الرئيس ، ان أمن واستقرار منطقة الخليج العربى هى مسؤولية دولها وحدها دون أى تدخل خارجى وبعيدا عن جميع اشكال الصراع الدولى . اننا نشارك فى الدعوة الى مضاعفة الجهود لتنفيذ الاعلان الخاص بمنطقة المحيط الهندى كمنطقة سلام والى الاسهام فى تطوير مفهوم مناطق السلام .

كما ننظر أيضا بارتياح الى الجهود المبذولة لتوفير سبل النجاح لمؤتمر الأمن والتعاون الاوروبى ونرى أن الأمن فى القارة الاوروبية لا يمكن النظر اليه بمعزل عن الاوضاع فى المناطق الاخرى فى العالم وخاصة المناطق المجاورة للقارة كما أن اشراك الدول ذات الاهتمام الخاص بمشاكل الأمن فى القارة الاوروبية فى نشاطات مؤتمر الأمن والتعاون الاوروبى أمر لا يمكن تجاهله من أجل استكمال عناصر نجاح المؤتمر حيث أن مسألة السلام فى العالم بشكل عام مسألة لا تقبل التجزئة .

سيدى الرئيس ،

اننا نعلق أهمية خاصة على ضرورة تغيير دور الأمم المتحدة فى حفظ السلام والأمن العالميين وفى تنمية التعاون بين جميع شعوب العالم كما نرى أن أى دعم لتطوير المنظمة العالمية لن يتحقق ما لم تعمل جميع الدول الاعضاء فى الأسرة الدولية الواحدة من أجل تحقيق أمن ورفاه شعوب العالم كافة بعيدا عن النزاعات والمصالح الفردية ولا حاجة بنا الى التأكيد على ضرورة زيادة التعاون والتنسيق بين دول عدم الانحياز فى العالم لما فى ذلك

من تأكيد لصوت مجموعة عدم الانحياز فى المنظمة العالمية وخدمة لأهدافها فى المحافظة على ميثاق الأمم المتحدة وصيانتها وزيادة فعاليتها .

سيدى الرئيس ،

لقد حان الوقت لدول عدم الانحياز أن تركز جهودها فى تعـــاون اقتصادى نابع من ارادة صادقة ومبنى على مبدأ الاعتماد على النفس من أجل حماية وتحقيق الاهداف والمصالح المشتركة فى الدول النامية ولا يخفى على احد مقدار ما لدى هذه الدول مجتمعة من الموارد الطبيعية والمواد الخام التى لم يتم استغلالها . وكذلك الحال بالنســـبة لرؤوس الاموال غير المستثمرة فى الاسواق .

ان دول مجموعتنا تقع عليها مسؤولية تحقيق التكامل الاقتصادى فى نطاق التعاون الاقليمى وتهيئة الظروف الملائمة للدخول فى مشاريع مشتركة وأن تعمل مجتمعة على دراسة امكانية استحداث الوسائل والسبل القادرة والكفيلة بحماية رؤوس الاموال واحتياطات الدول النامية من أزمات النقد الدولية وعمليات التضخم المتعمدة وأن تضع حدا للعلاقات الاقتصـــادية ما بين الدول النامية والدول المتقدمة .

ان الاوضاع الاقتصادية فى الدول النامية ومنها دول عدم الانحيـــاز عامة ، توجب علينا العمل على تكوين الاجهزة اللازمة لمتابعة وضع الخطط والدراسات وتطوير برنامج عمل للتعاون الاقتصادى واننا فى هذا المجال نؤكد اقتراحنا بضرورة تشكيل لجنة دائمة للشؤون الاقتصادية لدول عدم الانحياز لتنسيق الجهود وتكريسها .

من مراجعة وتقييم النتائج المتوفرة عن تطبيق استراتيجية العقد الثانى للتنمية فى السنتين الماضيتين ، نجد أن الغالبية العظمى من الدول النامية لم تصل بعد مرحلة النمو السريع كما أن كثيراً من الدول النـــامية تواجه مصاعب معقدة وخاصة فى مجال انتاج المحاصيل الزراعية . واننا نشارك مجموعة السبع والسبعين دولة النامية فى موقفها المعلن فى مايو المـــاضى تجاه مراجعة وتقييم العقد الثانى للتنمية ونعارض المحاولة الرامية الى التقليل من أهمية اجراء تحليل شـــامل لجميع جوانب التقدم والبحوث فى تحقيق أهداف وغايات العقد الثانى للتنمية اذ أن التركيز على جوانب التقدم فقط دون توضيح جوانب القصور لن يحقق الغرض الاصلى والأســـاسى من التقييم والمراجعـــة كمـــا أن التركيز على قطـــاعات أو جوانب معينـــة من الاستراتيجية واهمال جوانب أخرى لن يجعل منهـــا أداة حيوية للتنمية . واننا لنؤكد فى مثل هذا المجال على أهمية بذل جهود خاصة من أجل الدول الأقل نموا من بين الدول النامية والدول التى ليس لها منافذ بحرية .

سيدى الرئيس ،

ان ايفاء الدول المتقدمة بالتزاماتها نحو تحقيق أهداف استراتيجية العقد الثانى للتنمية الاقتصادية ليس مجرد مطلب نكرره فى المحافل الدولية فالواجب تتحمل مسئوليته الدول المتقدمة . وان على هذه الدول أن تدرك خطر تقاعسها من الايفاء لهذه الالتزامات وما يترتب على ذلك من آثار سلبية ليس للدول النامية وحدها بل لمستقبل الانسانية جمعاء . وانه لمن المؤسف حقا أن نرى بعض الدول المتقدمة والتى يجدر بها أن تزيد مساعداتها للدول النامية وأن توسع من سبيل ووسائل تعاونها فى حل مشاكل التنمية تسعى متكتلة ومنفردة لحل مشاكلها الاقتصادية دون اعتبار كاف لما قد ينعكس من مضار وآثار سلبية على اقتصاديات الدول النامية فى الوقت الذى تتسع فيه الفجوة بين الدخل القومى للدول النامية والدول المتقدمة .

سيدى الرئيس ،

اننا نؤمن أنه من حق الدول النامية ان تشارك مشاركة عادلة وفعالة فى المشاورات واتخاذ القرارات فى جميع المجالات الاقتصادية والحيوية وذلك من أجل الوصول الى نتائج لا تغفل ولا تتجاهل مصالح الدول النامية وخاصة فيما يتعلق باصلاح النظام النقدى الدولى والمفاوضات الجارية الدولية.كما اننا نؤمن أنه من حق الدول النامية أن تكون لها السيطرة والحرية التامة فى التصرف فى استغلال ثرواتها الطبيعية بما يتمشى مع سياسة نموها وتطورها الاقتصادى والاجتماعى فان الدعوة من قبل بعض الدول التقدمية لخلق تكتلات ومجابهات لتحدى آمال وأهداف الدول النامية المشروعة لن تخدم علاقات التعاون بل ستكون سببا فى ارباك وتعقيد العلاقات مما يضر بالاقتصاد الدولى .

سيدى الرئيس ،

لم تأل الكويت جهدا فى حمل المسئولية تجاه الدول الشقيقة والصديقة فى المشاركة فى برنامج التنمية الاقتصادية . وتحسسا منها بحاجة الدول النامية الى مؤسسات ومصادر التموين فقد أسست الكويت عددا من مؤسسات الاستثمار الوطنية والدولية وقام الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية كما عملت بالتعاون مع الدول العربية الاخرى على انشاء الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى . ونظرا للنجاح الذى حققته المؤسسات التموينية السالفة الذكر فى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وانطلاقا من الشعور بحاجة دول مجموعتنا لمثل تلك المؤسسات فاننا قدمنا الى مؤتمركم باقتراح لتأسيس صندوق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لدول عدم الانحياز تساهم فيه الدول الراغبة منها وذلك ضمن نطاق التعاون المتبادل وتحقيقا لمبدأ الاعتماد على النفس وشكرا .

خطوط عريضة

ثمة ظاهرة اساسية يتميز بها النشاط التعبدى فى الاسلام ، ذلك انه لا يقتصر على فترات متقطعة من الزمن ، أو أماكن محددة فى العالم ، وانما ينساح لكى يشمل كل الاماكن والازمان .. ليس هذا فحسب ، بل انه فى جوهره تذكر للوجود الالهى فى الكون ، وادراك لأبعاده الشاملة : قدرة وارادة واحاطة ورقابة وعلما .. واتصال دائم بالله سبحانه فى كل ما يصدر عن الانسان من أفعال ظاهرة مرئية ، أو ارادات لم تتشكل فى أفعالها بعد ، أو نيات وخواطر وتأملات وهواجس تدور فى أعماق النفس .. وتقدير لعظمة الله سبحانه الذى خلق الكون والحياة والانسان على أروع وأدق نظام .. واعتراف بالجميل للخلاق المبدع الذى هيأ للبشرية ظروفا تمكنها فى كل وقت من تحقيق السعادة الكاملة فى الارض والسماء .. ان التعبد بهذا المعنى يمتد الى كل مساحات الحياة البشرية الظاهرة والخفية ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، المادية والروحية ، تماما كما تمتد الدماء وتسرى فى أوصال الجسد البشرى وخلاياه .

وينبثق عن هذه الحقيقة ضرورة التفريق بين هذه القاعدة التعبدية الشاملة ، وبين بعض صور العبادة التى حددها الاسلام على شكل شعائر وطقوس ذات أشكال ومضامين معينة كالصلاة والصيام والحج والزكاة .. ففى الحالة الاولى يبدو أن كل ممارسة ، باطنية كانت أم ظاهرية ، يمكن أن تكون تعبدا اذا كمنت وراءها نية مؤمنة تسعى الى أن تجعل من كل فاعلية فى الحياة وسيلة يتقرب بها الانسان من الله ، ويتعبد اليه ، ويتذكر وجوده الشامل القادر المريد .. هذه القاعدة الشاملة التى تضم ، فيما تضم ، الشعائر الاسلامية الخمس نفسها مضافا اليها كل الفاعليات الاخرى ، ابتداء من أشدها مادية وكثافة (كالتجربة الجنسية وتجارب الطعام والشراب) ، وانتهاء بسهر الليالى الطوال تقربا الى الله وتأملا فى ملكوته .

والحق أن من الصعوبة بمكان الفصل بين الشعائر الاسلامية وبين القاعدة التعبدية نظرا للارتباط الدقيق بينهما ، فضلا عن أن هذه الشعائر نفسها لا تنصب على الجانب الروحى التأملى فحسب ، بل تنساح الى كل جوانب النشاط الانسانى الحركى :

في العبادة الإسلامية

للدكتور : عماد الدين خليل

جسدا وعاطفة وروحا وعقلا وخلجة ووجدانا ، الا أنه لا بد من هـذا التفريق لغرض ايضاح هذه الحقيقة الاساسية فى بنية الاسـلام الذى يرسم لاتباعه برنامجا عمليا للصعود والترقى ينتهى بأبعد آفاقه فى تلك اللحظات التى يتوحد الانسان فيها مع ذاته وعقيدته ، ويغدو تعبيرا حيـا عنها ، بحيث أنه لا يمارس عملا الا وهو يستشعر ، خلال تلك الممارسة، الوجود الالهى المحـيط المريد ، وحينذاك يكون المسلم قد حقق أقصى درجات اسلاميته وهى (الاحسان) ، ويكون (الاسـلام) قد أدى دوره الكامل .. !

ولا ريب أن سـؤالا يتبادر الى الأذهان فى هذا المجال ، وهو أنه اذا كانت الارضية التى تقوم عليهـا العبادة الاسلامية تمتد وتشمل هذه المساحة الواسعة من حياة الانسان فلماذا أضاف الاسلام اليها شـعائر يومية وموسمية محددة تتمثل بصيام أو حج أو زكـاة .. وأوجب على المسلمين الالتزام بها واعتبر التخلى عنها حدا بين الكفر والايمان .. ؟

والجـواب يجىء سريعا فى أن الاسلام جاء لكى (يضبط) و (يحدد) و (ينظم) انطلاقا من ايجـابيته وواقعيتـه فى تحديد الاشـياء والعـلاقات والقيم ، ذلك أن ترك الانسان (حرا) فى ممارسة تعبده لا يضمن أساسا قيام هذا التعبد لدى بعض المنتمين واستمراره لدى بعضهم الآخر . فلا بد اذن من وضـع حد أدنى (ملزم) يكون بمثـابة قاعدة يمكن أن ينبنى فوقها المزيد المزيد من النشـاطات التعبدية التى تصـل بالمسلم (اختيارا) ، وحسب المقدرة ، الى درجة الاحسان وتحويل الحياة كلها الى ساحة للتعبد والتذكر !!

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن أسباب تنظيم هذه الشـعائر ومقتضياتها ، نظرا لأن هذا الموضوع قد أشبع بحثا ، وهو ليس المطلوب هنا .. انما نريد أن نلقى ضـوءا خاطفا على بعض سمات العبـادة الاسـلامية وأبعادها سـواء فى قاعدتها الشـاملة أو صـورتها الشعائرية المحددة :

أولا : ان العبادة فى الاسلام (أو

ما يمكن أن يصطلح عليه بالصلة الدائمة أو الموقوتة بالله) تقوم على الحب والتعاطف والتناغم (الوجدانى) بين الله وعباده ، لا على الكره والمقت والصراع والارهاب ، كما هو الحال فى عدد من الديانات الوثنية حيث يتعبد الانسان (الخائف) آلهته الغاضبة المتوعدة كيلا تنزل به غضبها وسخطها .. وقد انعكست هذه الصلات بوضوح فى التراجيديا اليونانية التى تصور لنا أبعاد الصراع الرهيب بين الآلهة التى تملك الاسلحة جميعا وبين الانسان الاعزل الذى لا يملك أى سلاح . وهذه الصورة نفسها انتقلت عبر العصور ، محمولة فى المعطيات الادبية عامة والدرامية خاصة والتى ظلت تحكمها هذه الثنائية الصراعية بين قوى الحضور والغياب ، بين الانسان والآلهة .

ولم تكن عبادة الانسان هناك — اذن — الا على سبيل انتقاء ضربة يمكن أن تنزل به فى يوم قريب أو بعيد . ونحن لا نتوقع من ممارسة تعبدية كهذه أن تعمق الروابط بين الانسان وخالقه وتشد من أواصر الحب والمودة بينهما .

فى العبادة الاسلامية يبلغ التعاطف والود والمحبة درجاته القصوى حتى أن الله سبحانه ليحدثنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بأحاديث (قدسية) ملؤها المحبة والود للانسان المؤمن الذى يعرف كيف يمارس خلافته الحقة عن الله فى الارض ..

ونظرة فى مجاميع الأحاديث القدسية تبين لنا بوضوح هذا التعاطف الذى يصل أحيانا حد الصداقة الودودة الرحيمة بين الله والانسان « .. من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب عبدى الى بشىء أحب الى مما افترضته عليه . وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » ، « اذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، واذا تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا اتانى يمشى أتيته هرولة » .. !!

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ . فيقول : الا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : احل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم ابدا » .

ثانيا : تقوم الممارسة التعبدية فى الاسلام على الوضوح والتعقل والمنطق والتدبر فى خلق السموات والارض والانسان ، وترفض أشد الرفض ، الدجل والخرافة والاساطير والشعوذة والطقوس الغامضة المعقدة ، تلك التى تمارس فى عبادات وشعائر عدد من الاديان . ولا ريب أن تحول تلك العبادات الى اعتماد أساليب ملتوية كهذه ، قائم فى نهاية الامر على ما تمارسه

طبقات رجال الدين من تزييف للشعائر الدينية ، وتحريف لها واضافة الكثير الكثير من الالغاز والمعميات والطقوس الاسطورية اليها ، لكى تبقى جماهير المؤمنين غير قادرة على الاستيعاب والفهم الكامل لمعتقداتها . كما تبقى خائفة وجلة ، الامر الذى يجعلها دائمة الاعتماد على طبقة رجال دينها لتوضيح بعض الالغاز ومنح مزيد من الامن والاستقرار . وهذه (الطبقية الدينية) التى تدر على رجالها اكداسا من الذهب والفضة ، هى التى قادت العبادات والشعائر غير الاسلامية الى هذا المآل الذى يرفضه المنطق الدينى أشد الرفض .

أما فى الاسلام ، حيث لا طبقية دينية ، ولا تنظيمات كهنوتية ، وحيث النصوص القاطعة الواردة فى القرآن والسنة ، فى مجال تحديد العلاقات بين الله وعباده ، وتنظيم الشعائر الدينية .. فان العبادة حافظت ، وستظل محافظة ، على نقائها ووضوحها وانفتاحها وانسجامها المعجز مع معطيات العقل البشرى . ليس هذا فحسب ، بل ان العبادة نفسها ، صلاة أو حجا أو صياما .. انما هى دعوة (للعقل) الى مزيد من العمل والتأمل والبحث فى اعجاز البناء الكونى الذى يقود المؤمنين دوما الى مزيد من (الاحسان) فى اداء عباداتهم ، أولئك الذين « **يتفكرون فى خلق السموات والارض** » ثم يعقبون مسلمين « **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » !

ثالثا : بينما تعتمد العبادات الاخرى وتتعامل مع جانب واحد من جوانب الكينونة البشرية فى أداء متطلباتها والاستجابة لنظمها ، كالجانب الروحى ، كما فى المسيحية ، أو الجسدى ، كما فى الديانات البدائية ، أو العقلى ، كما فى بعض الديانات الشرقية .. نجدها فى الاسلام تعتمد وتشحذ كل مقومات الكينونة عقلا وروحا وعاطفة وجسدا ووجدانا .. ونظرة سريعة فى أية فاعلية تعبدية اسلامية تطلعنا على هذا التوازن والترابط والتناغم بين مكونات النفس البشرية كلها وهى تمارس تجربتها ازاء الله سبحانه .

ويبلغ هذا التوازن والتناسق والشمول قمة روعته ووضوحه فى تجربة الصلاة التى نظمت تنظيما فنيا وحركيا معجزا أريد به أن (تتحرك) خلال الصلاة كل مقومات الانسان وطاقاته العقلية والجسدية والروحية لكى تعمل منسجمة متوازية ، الامر الذى يذكر الانسان المسلم خمس مرات — على الأقل — فى اليوم بأن حياة الانسان ووجوده ليسا مزقا مبعثرة غير منسجمة .. كل منها تتطلب فاعلية غير ما تتطلبه الاخرى ، الامر الذى يصيبه بالتمزق والازدواج والقلق ، ويحيل حياته الى جحيم لا يطاق .. انما الامر على العكس : توحدا ذاتيا فى كيان الانسان المسلم ، فى مكوناته الشخصية من جهة ، وبينه وبين القوى الخارجية من جهة أخرى .. وانسجاما وتوافقا بين متطلبات وجوده فى الارض ونداء مصيره فى السماء . فاذا كان هذا ما تتطلبه منه الصلاة ، وهى شعيرة من أشد الشعائر ارتباطا بتجربة الانسان الخاصة وعلائقه الروحية فكيف بالفاعليات الاخرى فى ميدان الحياة الشامل الرحيب .. ؟!

رابعا : تساهم العبادة الاسلامية مساهمة فعالة فى تحرير الانسان باتجاهات ثلاث أولها الاتجاه الدينى

(البقية على ص ١٠٠)

٤

العلمانية والإسلام في مجال التطبيق

للدكتور محمد البهى

أولا : — يلاحظ أن البلاد الأوروبية التى أخذت بفكرة العلمانية فى مرحلتها الأولى : —

* لم تزل ترعى المسيحية كدين بالاسهام — من ضرائب الدولة نفسها — فى مساعدة التعليم الدينى فى مدارس الجمعيات الدينية ، وهى لا تحول اطلاقا دون أن ينتشر التعليم الدينى فى المدارس الخاصة ، وان كانت لا تعد كثيرا بالمساعدات المادية خشية من احتكاك السلطات الدينية المتعددة .. مع الدولة ، ان بدا أنها تؤثر مثلا بقليل أو بكثير بعض الكنائس دون بعض ، على نحو ما عليه الوضع فى الولايات المتحدة الامريكية . فالدولة الاتحادية تعترف بثلاث سلطات دينية : سلطة الكنيسة الانجيلية ، وسلطة الكنيسة الكاثوليكية ، وسلطة الحاخامة اليهودية .

* ولم تزل تدخل نفسها ضد ما يظن أنه يمس شؤون الكنيسة من قريب أو بعيد . ففى سنة ١٩٥٨ كتبت ثلاث مقالات فى مجلة الأزهر عن المستشرقين

والمبشرين اعتبرتها بعض دوائر الفاتيكان أنها تنطوى على بعض الاحراج لشؤون التبشير الكاثوليكي على وجه الخصوص . فكان أول احتجاج وصل الى وزارة الخارجية المصرية هو احتجاج سفارة الولايات المتحدة الامريكية ، تلاه احتجاجات أخرى عديدة من السفارات الغربية التى تمثل فى بلادها أكثرية بروتستنتينية أو كاثوليكية على السواء .

* وكذلك لم تزل ، الدولة العلمانية الغربية ترعى المسيحية كدين ، والكنيسة كسلطة دينية : بالحرص على جباية الضرائب الخاصة بالكنيسة عن طريق اجهزتها الادارية ، وعلى حماية أملاكها ، وتمكينها من مباشرة رسالتها .

وهدف الدولة العلمانية فى فصلها عن السلطة الدينية هو ، اذن : اتقاء الاصطدام معها .. وليس محاولة تخريب قيمها الدينية ، ولا محاولة الاعتراض على ما تراه السلطة الدينية من واجبات .. وطقوس وشعائر .

* وحتى رجال الدولة أنفسهم فى ممارستهم السياسة العامة للمجتمع .. يخضعون فى ظروف معينة لملاءمة أنفسهم مع تقاليد الكنيسة : وعلى سبيل المثال : دوق أوف وندسور ... وانتونى ايدن ، فى انجلترا .. كلاهما أضطر الى ترك الوظيفة العامة أو الى عدم السعى اليها . لأن سلوك أى منهما فى حياته الزوجية لا يتفق مع ما تراه الكنيسة من تقاليد فى الزواج .

والجنرال ديجول فى فرنسا : أقال وزير التربية الاشتراكى فى وزارته الأولى بعد أن عاد للحكم فى المرة الثانية ... بسبب عدم موافقة الوزير على مساعدة المدارس الدينية فى فرنسا : من مدارس الجزويت ، والفرير ، بمبلغ ستين مليونا من الجنيهات الاسترلينية فى ميزانية /١٩٦٢/ .. من غير حق التفتيش عليها من قبل وزارة التربية . وجون كنيدى فى انتخاب الرياسة فى الولايات المتحدة الاميركية لم يفز على ريتشارد نيكسون فى سنة /١٩٦٠/ الا بنسبة ضئيلة ، نظرا لأنه ينتمى الى الأقلية الكاثوليكية ، وخرج فى ترشيحه عن التقليد المتبع هناك .

* وحياد الدولة الذى بشرت به العلمانية فى البلاد الغربية ، وكذلك المساواة فى الحقوق والاعتبار فى ظل هذا الحياد ... تنقضه التفرقة العنصرية فى مجتمعاتها : كالمجتمع الأمريكى فى الولايات المتحدة مع الزنوج ، والمجتمع الانجليزى فى انجلترا مع المستوطنين والوافدين من دول « الكومنولث » فتشريع عديد من الولايات فى أمريكا .. لا يسوى بين البيض والزنوج ، ويتعارض مع حياد الدولة الفيدرالية ، الذى هو نتيجة من نتائج العلمانية ، كما يدعى . وتشريع البرلمان الانجليزى الخاص بترحيل بعض القادمين من بلاد — الكومنولث — واعادتهم الى بلادهم ، وبوضع قيود خاصة فى سبيل الاقامة فى انجلترا لمن يفد من هذه البلاد .. لا يتفق مع علمانية الدولة وفصلها عن الكنيسة والدين . اذ أخص من وضعت القيود فى سبيلهم : هم أصحاب الرعية الباكستانية . والسبب — كما ذكرته بعض الصحف البريطانية — هو الفارق الملموس بين نظام الأسرة وسلوك افرادها فى الاسلام ، وذلك النظام الآخر الذى هو للأسرة المسيحية . وذكرت هذه الصحف على سبيل المثال : حق الزواج بأكثر من واحدة ، وصيام رمضان ، والرغبة فى كثرة الأولاد .

* وقد تجاوز أمر « حياد » الدولة — كنتيجة للعلمانية — من بلاد اسكندنافيا الكنيسة كسلطة ، واعتقاد الدين وممارسة طقوسه كأمر شخصى .. الى السلوك الشخصى للأفراد . فالدولة من أى من هذه البلاد تقف الآن موقف الحياد فى العلاقات الجنسية . وعن هذا الموقف شاع زواج « المجموعة » وابتدأ حل

زواج الأخ بأخته ، وأصبح من حق التلميذ والتلميذة أن يعرف فى مراحل الدراسة منذ الثامنة صورة المعاشرة الجنسية ، والحمل ، وتطور الجنين حتى الولادة ، من أفلام ورسوم تعرض عليهم . كما أصبح من حق الشبان والشابات زيارة معارض جنسية تقام فى أماكن عامة يطلعون فيها على الصور المتنوعة للجنسين ، وعلى كتب الجنس ، وأفلام الحب ، « المكشوفة » كما يسمونها . وزواج التجربة ــ وهو المعاشرة الجنسية بين الفتى والفتاة قبل الزواج ، وقد لا يصل الأمر بعد ذلك الى الزواج ــ تقليد مسلَّم الآن فى البلاد العلمانية سواء فى الشرق أم فى الغرب ، وقلما يعترض عليه أبو الفتاة وأمها . والزنا لم يعد سببا لطلاق الزوج من زوجته فى الدانيمارك ، باعتبار انه أمر شخصى كذلك .

* ودولة الفاتيكان ــ فى الطرف الآخر كممثلة للسلطة الدينية ــ لم تزل تقوم من جانبها بدور كبير فى سياسة البلاد التى فيها أغلبية كاثوليكية ، عن طريق الأحزاب السياسية التى تسمى : بالديمقراطية المسيحية ، وكذلك فى السياسة الدولية العالمية . فالاحزاب الديمقراطية المسيحية هى أجهزة للعمل على رسم الخطة لتنفيذ اتجاه الفاتيكان فى الدرجة الأولى . وعن طريقها حالت الكنيسة حتى الآن دون أن تتطرف العلمانية الى النوع اليسارى الآخر الذى يقيم « البلشفية » دينابدل المسيحية .

* * * *

ثانيا : ــ يلاحظ أن الغاء المسيحية فى الشرق الاوربى ، وتعويضها بالبلشفية تحقيقا للعلمانية بمفهوم : الاستئثار والتفرد بالسلطة فى الدولة .. لم يحقق الهدف الذى استهدفته الماركسية اللينينية حتى الآن . وهو تحويل البلشفية الى « دين الدولة » ليرتبط به المواطنون من أى مجتمع اشتراكى ، دون أى رباط آخر من النزعة الى القومية أو الميل الى الدين السائد قبل التحويل الاشتراكى فالقوميات وكذلك الاتجاهات الدينية السابقة ــ ما زالت تلعب دورها من تعويق سير « العالمية » التى تشيد بها الثورات الماركسية . فاعادة تقسيم تشيكوسلوفاكيا الى ولايات فيدرالية ، بعد أغسطس سنة /١٩٦٨/ ، وكذلك مشروع الدستور الجديد فى يوغوسلافيا : بتقسيم البلاد من جديد الى ولايات اتحادية ، وعدم تعيين رئيس للجمهورية بعد الماريشال تيتو .. يصور على الأقل : أن النزعة القومية ظلت قائمة وقوية ، وأن مظهر « العالمية » التى قصدت اليها العلمانية بمفهوم الغاء المسيحية .. هو مظهر يفرضه سلطان القوة فى الدولة ، وليس تعبيرا عن التحول الى الماركسية ... هو دستور يتلى ، وليس واقعا يتحسس .

****

ثالثا : ــ يلاحظ فى الدول الاسلامية أن تركيا هى الدولة الاسلامية فى الشرق التى أعلنت العلمانية الغربية كأساس لسياستها الجديدة ، منذ تولى مصطفى أتاتورك السلطة فيما بعد الحرب العالمية الأولى . والسياسيون فى الغرب على الخصوص ــ ومعهم المستشرقون فى بحوثهم وكتاباتهم ــ يشيدون بتقدم صناعى وعلمى فيها ، ويعودون بأسبابه الى دخول تركيا مجال الغرب بدون الاسلام . ففصلها بين الاسلام كدين والدولة : هو العامل فى نظرهم الذى قربها من الدول المتطورة .

ان تركيا فى قبولها للعلمانية كانت مجبرة فى تسوية الصلح الذى دار وراء الكواليس مع الحلفاء ، بعد انتصارهم فى الحرب العالمية الأولى . وقصد الحلفاء من اعلان تركيا العلمانية ، وفصل الاسلام عن الدولة ، وهى مركز الخلافة الاسلامية الى أمرين :

الأمر الأول : ــ الغاء الخلافة الاسلامية ، كأداة تجميع للمسلمين : عرب وعجم على السواء فى آسيا وأفريقيا . اذ سيترتب على الغاء الخلافة أمكان تمزيق المسلمين الى عرب ينطقون بالعربية ، وغير عرب ينطقون بلغاتهم الوطنية. وعندئذ يمكن التبشير بالقومية العربية كذلك « لتجويف الهوة بين المسلمين » ثم لكى لا تكون للقومية العربية فاعلية بعد عزل العرب عن غير العرب من المسلمين ــ نصح بقيام : « جامعة دول عربية » لتؤكد سيادة كل دولة عربية فى مواجهة دولة عربية أخرى . وبذلك يضعف الترابط على أساس اللغة العربية والتى اعتبرت وحدها ــ دون الاسلام ــ حجر الزاوية فى مفهوم القومية العربية . وشأن العرب الآن بعد قيام الجامعة العربية يساوى شأن غير العرب المسلمين فى تفرقهم على أساس من لغاتهم الوطنية العديدة .

وابعاد المسلمين غير العرب عن العرب بالتبشير بالقومية بعد الغاء الخلافة الاسلامية ، ثم أضعاف فاعلية القومية العربية بين العرب من جديد بقيام جامعة دول عربية تؤكد استقلال كل دولة ... هذا .. وذاك : كان مقدمة ضرورية لعزل فلسطين عن قوة المسلمين مجتمعين ، وعن قوة العرب وحدهم مجتمعين كذلك ... كان تمهيدا لقيام دولة اسرائيل .

الأمر الثانى : ــ الذى قصده الحلفاء المنتصرون فى الحرب العالمية الأولى ــ وهم أصحاب العلمانية الغربية ــ من اعلان تركيا للعلمانية .. عزلها عن التراث الاسلامى ، وتكوين اجيالها القادمة فى بعد عن الصلة بالاسلام وعن العرب معا . وبذلك تصبح تركيا المسلمة قريبة الى الغرب فى ميوله واتجاهاته ، على نحو ما أبعد الاسلام من أسبانيا ، ومن البلقان ، وجزر البحر المتوسط . ولكى يتم التحويل عن الاسلام كانت كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية بدلا من الحروف العربية .

والتقدم الصناعى والعلمى فى تركيا العلمانية لم يكن بسبب الفصل بين الدين والدولة .. أى لم يكن بسبب ابعاد الاسلام عن شؤون الدولة ، وما تجر اليه مبادئه ــ كما يقال ويدعى ــ من التخلف ، وانما كان مكافأة من الغرب والشرق على السواء على ابعادها للأسلام .. وانما كان أولا وأخيرا بسبب المساعدات الاجنبية التى قدمت من جانب الاتحاد السوفياتى فى الشرق والولايات المتحدة الامريكية على الخصوص من الغرب . وهى مساعدات اقتصادية وفنية وعلمية لتتحول الى نموذج بين البلاد الاسلامية .

* فالاتحاد السوفياتى له مصلحة داخلية وخارجية فى كون تركيا بلدا علمانيا . فمصلحته الداخلية فى اخضاع البلاد الاسلامية الآسيوية وهى بلاد القوقاز على الخصوص للأيديولوجية الجديدة وهى ايديولوجية البلشفية أو أيديولوجية الغاء الدين ، والايمان بالدولة وحدها . فاذا أصبحت تركيا بلدا علمانيا ــ ومعظم المسلمين فى بلاد القوقاز هم من الاتراك ، كان من اليسير على الاجيال الناشئة لهذه البلاد أن تخضع للدين الجديد ، لا بحكم الجوار ولا بحكم صلة القرابة فقط . وانما : لأن تركيا التى كانت مركز الخلافة وعلى رأس الامبراطورية الاسلامية قد أعلنت الآن عزل الاسلام عن شؤون الدولة ، وأخذت لنفسها طريقا جديدا فى الحياة ، هو طريق ممهد على الأقل للعلمانية الماركسية . واذن لا بد أن يكون الاسلام عامل تخلف .. هكذا المنطق .

ثم للاتحاد السوفييتى مصلحة خارجية كذلك فى كون تركيا بلدا علمانيا ، هى امكان التأثير بهذا النموذج على بلاد أخرى اسلامية مجاورة من آسيا : كإيران

وافغانستان ، فتضعف من علاقتها بالاسلام ، وبذلك تصبح مجالا حيويا للاقتصاد والأمن السوفييتي . والاحتلال الروسي القيصري لايران فى فترة من الزمن ، وعمله على انشاء « البهائية » او « البابية » فيها تخريبـــا للقيم الاسلامية يعلن عن مدى التطلع الروسي الى هذه البلاد الاسلامية منذ وقت طويل قبل الثورة البلشفية فى أكتوبر / ١٩١٧ / .

* والغرب، له مصالح اقتصادية عديدة واستثمارات مالية كبيرة فى البلاد الاسلامية فى آسيا وافريقيا . ومن شأن قبول هذه البلاد للعلمانية أن يسهــل للغرب طريق الحركة فى سبيل الاستغلال الاقتصادى . سواء اكان من مصادر الثروة أم من دائرة الطاقة البشرية . وكتاب : ـــ الاسلام قوة الغد لبول أشميد فى سنة/١٩٣٦/ــ يوضح فى غير لبس امكانيات البــلاد الاسلامية من الثروة الأرضية والمعدنية ، وتكاملها ، وطاقة المسلمين فى الخصوبة الجنسية ، ويسر الارتباط بينهم على الايمان بالله . وينذر أوربا بالفناء ، إن هى مكنت المسلمين من التجمع واستخدام هذه القوى الثلاث . ونداء هذا الكتاب الموجه الى الأوربيين بالانذار يعبر عن عمق الرغبة الدينية فى الحيلولة دون تجمــع المســلمين على الاسلام .

وان دفعت البلاد الاسلامية اليوم لسبب أو لآخر ، الى قيود الاشتراكيـــة لا بمفهومها فى الغرب ، ولكن بمفهوم البلشفية ـــ فان هذه البلاد ستكون أكثر تمهيدا للاستغلال الاقتصادى ، وأكثر طواعية للتبعية الأجنبية . وثورة كالثورة الثقافية فى الصين الشعبية كفيلة بمحو الاسلام فى زمن قصير جدا . ومع كون تركيا بلدا علمانيا يفصل بين الاسلام والدولة فانها بشأن حرية الافراد فيها فى ممارسة العبادة الاسلامية . . . لا تقل عن أية دولة اسلامية أخرى لا تعلن رسميا الفصل بين الدين والدولة . لأن ما أعلنته تركيا فى الأمس القريب من الفصل بين الدين والدولة . . مارسه الاستعمار الغربى فى الأمس البعيد عمليا ، وفى تدرج ، وفى احكام ، وفى غيبة من الوعى الاسلامى ، فى البلاد الاسلامية التى استعمرها . ولم يفلت أى بلد اسلامى أو أكثريته اسلامية فى آسيا وافريقيا من الاستعمار الغربى ، ومن ممارسته العلمانية وإضعاف الاسلام فيها . فالاسلام فى غالبية هذه البلاد أبعد :

١ ـــ **فى سياسة الحكم :** فنظام الحكم اليــوم فى سيره إما علمــانى غربى اى رأسمالى ، وإما علمانى شرقى أى اشتراكى بلشفى .

٢ ـــ **وفى سياسة التوجيه والتعليم :** يشـــار الى الاسلام فى بعض منــاهج المرحلتين الأولى والثانية ، ويغفل تماما فى التعليم العالى والجامعات ، حتى فى البلاد التى تعلن رسميا أنها تمارس الاسلام فى حياة المواطنين فيها .

٣ ـــ **وفى سياسة التشريع والقضاء :** ما لم يلغه الاستعمار من مبادىء الاسلام أو مظاهره . . الغاه الحكم الوطنى بعد الاستقلال ، كالغاء المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية .

٤ — **وفى شؤون الدعوة الاسلامية :** ألغيت الأوقاف الاسلاميــة . وما لم يلغ منها كذلك على عهود الاستعمار .. ألغى أو عطل فى عهد الحكم الوطنى بعد الاســتقلال .

٥ — **وفى سياسة المال والاقتصاد لا يعنى فيها :** ان كانت ملائمة أو غير ملائمة للمبادىء الاسلامية والاتجاه الاسلامى من حياة المسلم .

٦ — **ولم يبق إلا الأحوال الشخصية :** أحــوال الزواج ، والطلاق ، والنفقــة والحضانة ، والعدة .. الى آخر موضوعاتها . فهل النداء بالعلمانيــة وصيحة من يسمون أنفسهم بالعلمانيين فى البلاد الاسلامية هى إلغاء هذه الأحوال الشخصية .. لإلغاء المظهر الباقى من شخصية المسلمين ؟.

لم يبق من الاسلام فى الأحوال الشخصية كفاصل بين المسلمين وغيرهم الا أن المرأة المسلمة لا تتزوج بغير مسلم . اذ الطـــلاق سعى اليه الغربيون والشرقيون واقتربوا فيه من الاسلام على درجات مختلفة . فهل تنحصر العلمانية التى ينادى بها اليوم فى جواز زواج المسلمة بغير المسلم ؟

هل فى جواز زواج المسلمة بغير المسلم مصلحة للدولة ؟ تحقيق للعالمية ؟ أم هو الاندفاع فى التقليد .. ؟



رابعــا : — يلاحظ أخيرا : أن البلد الذى أعلن الاسلام دستورا له ، وقام كدولة على أساس منه — وهو باكستان — بقى له من مظاهر التخلف على عهد الاستعمار بعد استقلاله .. ما يفسر الآن بأن سببه الاسلام ، والتمســك به . ويثير هذه القضية كثير من المستشرقين مثــل : ويلفريد اسميث فى كتــابه : « الاسلام فى التاريخ » . فيوازى بين تركيا العلمانية وباكستان الاسلاميــة ، ويخرج من الموازنة بذكر أن الاسلام بإبعاده عن الدولة كان السبب فى تقــدم تركيا ، وباحتضانه وبتأسيس الدولة عليه كان سببا فى تخلف باكستان ، مع أن كلا من الدولتين آسيوى ، ولا يتكلم العربية كلغة أولى . ولكن :

أولا : — ان باكستان بقيت فى صلتها بالاسلام — بعد الاستقلال — على النحو الذى كانت عليه فى عهد الاستعمار . أى أنها لم تشرع دستورا اسلاميا يعتمد فى مبادئه على القرآن والسنة الصحيحة ، كما كان مرتقبا : تأخذ به فــى جميع نواحى المجتمع الباكستانى ، كما لم تقم بنشاط غير عادى فى التوعيــة بالاسلام فى المدارس والأماكن العامة ، عــدا ذلك النشاط فى المســاجد وهو نشاط تقليدى . وانما ظل الوضــع فى سيره كما كان ، وكما هــو فى أى بلد اسلامى آخر ، نالت من دينه علمانية الغرب فى عهد الاستعمار . وبهذا لم يوضع الاسلام موضع التجربة كدستور ، وكقانون ، وكمنهج فى التربية والســلوك فى حياة المجتمع الاسلامى الباكستانى . واستمرار الوضع السابق على عهــد الاستعمار هو الذى هيأ للحركات اليسارية والانفصالية فى شرق باكستان وغربها اليوم أن تقوى وتزداد فاعليتها .

ثانيا : — ان المصادر الاجنبية التى قدمت المساعدات الاقتصاديــة والفنيــة والعلمية لتركيا العلمانية .. ليس فى مصلحتها أن تقدم مثل هــذه المساعدات لباكستان المسلمة ، حتى لا يكون وجودها فى ازدهار عامل تحريض للــــدول

الاسلامية الأخرى فى آسيا وأفريقيا على تمسكها بالاسلام والسعى الى الأخذ به فى مجالات الحياة المختلفة . اذ من المؤكد ان قوة الإيمان بالاسلام فى البلاد الاسلامية تشكل العقبة الأولى فى طريق تبعية هذه البلاد للايديولوجيات الاجنبية الغازية ، وبالتالى فى شعور هذه البلاد باستقلالها امام الاغراء او التهديد الخارجى ، كما يشكل نفس العقبة فى طريق التوسع الاسرائيلى فى البلاد العربية ومحاولة اعلان العلمانية الغربية ، وتطبيق الاشتراكية البلشفية فى الوطن العربى هى محاولة تمهد لاسرائيل الاطمئنان على المستقبل والتوسع الاقتصادى والعلمى فى هذه البلاد ، كما تمهد للكتل الاستعمارية المتنافسة على خيرات الشرق الأوسط ومركزه ، من أن تصل الى نفوذ فيها .



✻ والآن : لا يقال : إن الاسلام يحد من حرية الانسان ، ويفرض الوصاية فيه ، وهو مبدأ ملاحقة التطور والوقائع المتجددة فى إدراجها تحت مبدأ من الفاضل .

✻ والآن ايضا : ليس فى الاسلام « جمود » طالما كان الاجتهاد مبدأ اساسيا فيه ، وهو مبدأ ملاحقة التطور والوقائع المتجددة : فى إدراجها تحت مبدأ من المبادىء العامة فيه .

✻ والآن كذلك : ليس فى عقائد الاسلام تعقيد ، لأنه يفصل بين مستوى الله .. ومستوى الانسان ، فصلا تاما : « ليس كمثله شىء » .. « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » . فلا يختلط الانسان فى خطئه وصوابه .. بالله فى قدسيته وحكمته .

✻ والآن كذلك : ليس فى الاسلام اى باعث يبعث على ما يسمى : « بالتخلف » طالما انه لا يرى شرا فى الدنيا .. والحياة المادية ، من اكل وشرب وزواج ، ونسل ، وزينة .. وانما يرى الشر فقط فى « الاسراف » والغلو فى الاستمتاع بما فيها ، وطالما انه ايضا يرى : ان الانسان يحمل وزر نفسه وخطيئته وحدها : ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى ..**)) (فاطر : ١٨) . فهو ينظر الى الانسان على انه « وحدة » مستقلة ، تنطلق فى غير قيود من أخطاء سبقت ، وفى مسؤولية شخصية فردية .

- .. لا وصاية ، بل استقلال ..
- ولا جمود ، بل حركة .
- ولا تخلف ، بل تقدم بالسعى والعمل فى الحياة الدنيا .
- بل . انسانية خالصة .
- ومسئولية فردية واضحة .
- عبادة لله وحده ، ومساواة بين الانسان والانسان .
- وبشهادة : أن لا اله الا الله .. محمد رسول الله ، يتصل الانسان بربه من غير وسيط .
- وبالايمان بالله يتحرر الانسان من كل الزام خارج عنه .
- تلك أسس النظرة الاسلامية الى الانسان .



* ولو كان الاسلام فى أوربا ما نشأت العلمانية فى الفكر الأوربى ، ولما وصل تفكير بعض المفكرين فى أوربا الى التطرف فى المادية ، والجنوح الى شحن النفوس بالأحقاد ، ودفعها الى الانقلاب الدموى ، لحل بعض المشاكل الاجتماعية .

* وان طلب تطبيق العلمانية فى مجتمع اسلامى من حاكم .. هو لعدم أهليته للحكم ، وللهرب من المسئولية التى يلقيها الاسلام على الحاكم ، فى طلب الاستقامة فى السلوك ، وأداء أمانة الحكم ، والعدل ، والشورى المتبادلة ، والرعاية ، وليس التسلط .

* ومن مفكر .. هو لقصور فى معرفة الاسلام ، وخداع نفسه وغيره بعرض قضايا ، يدرك أطرافها فقط ، دون جوهرها وغايتها .

* ومن سياسى .. هو للتلاعب بالفكر غير الناضج ، والتمويه فى حلبة المنافسة السياسية .

* ومن فتى وفتاة .. هو للتحلل من التزام الايمان : فى التوجيه ، والسلوك .. والانطلاق فى شهوة البطن ، والفرج ، والملبس !! .



* أتراد العلمانية فى شرقنا على نمط الفصل بين سلطة دينية وأخرى مدنية ؟ وما هدف الفصل اذن ؟ .

أهو خلق لدولة داخل دولة ، وسلطة بجانب سلطة ؟ . أعندئذ تتم وحدة الأمة والمجتمع ؟ أم يزداد مصدر الاحتكاك ، بحكم المحافظة على البقاء ؟ .

* أتراد العلمانية فى شرقنا على نمط الغاء الدين واشاعة الالحاد لتنفرد الدولة بسلطتها ؟.. وما هو البديل عن الدين فى الدولة الآن ؟. ما هو الدين الجديد ؟ . وقد رأيناه فى المرحلة العلمانية الثانية .. السياسة ، كما رأينا المعبود « جماعة العمل » أو « المجتمع » أو « الدولة » .. وانتهى اخيرا : « بالحزب » .

أ — أهو القومية العربية فى شرقنا ؟ . وما مضمونها ؟ أهو تاريخ العرب وقد كونه الاسلام ؟ أم هو اللغة الفصحى وليست موجودة الا فى القرآن ؟ أم هو اللهجة العامية ؟ وأية لهجة من اللهجات القائمة فى المحيط العربى هى التى تسود ؟ .

ب — أهو الاشتراكية العلمية — أو البلشفية — كما تسمى رسميا فى السياسة الدولية ؟ وأى ضرب من ضربيها : أهو الضرب الأرثوذكسى منها الذى لا يهادن الرأسمالية ، أم ذلك النوع الآخر الذى يوصف من أصحاب الضرب الأول بأنه ردة . وهو الذى يضع التعايش السلمى كأسلوب للعلاقا تالدولية ، بدلا من عدم المهادنة ؟ .

وهل على لهجة عامية واحدة يمكن أن تجتمع الأمة العربية ؟ وهل فى نوع من البلشفية يؤمل فى أن تتحد ؟ .



* ان النصيحة هى دراسة الاسلام أولا دراسة واعية . وعلماء المسلمين قبل عامتهم عليهم أن يعيدوا دراسته فى كتاب الله ، ويستوحوا الرأى منه ، دون أن يفرضوه عليه .

مباحث قرآنية

٤

الجانب الأخلاقي في القرآن الكريم

للدكتور : محمد حسين الذهبى

لقد وجهنا القرآن الكريم الى نواح أخلاقيــة متعددة ، ودعانا الى الأخــذ بها حتى نسعد فى حياتنا الدنيا وفى الآخرة ، وحذرنا بأساليب شتى من الخروج عنها حتى لا نضلّ ولا نشقى . ونبهنا الى الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .. نبهنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه من حسن الخلق وكريم الخصال حتى نقتدى به فقال مثنيا عليه :

« وإنك لعلى خلق عظيم » (ن ، آية ٤) .

وبين سر التفاف المسلمين من حوله واجتماع قلوبهم على محبته فقال :

« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (آل عمران ، آية ١٥٩) .

واذا نحن تتبعنا القرآن الكريم وتقصينا ما فيه من توجيهات أخلاقية لخرجنا بعديد من الآيات التى تحوى جماع الفضائل كلها ، والتى لو تمســك بها المسلم لكان فى القمة ، من سمو الروح ، وصــفاء النفس ، وحسن السريرة ، وطيب المعشر ، والتى لو سادت فى مجتمع لكان مجتمعنا مجتمعا مثاليا فاضلا ، يقوم على الخير والحب والمودة والرحمة والطهر والنقاء ..

ولا نريد أن نستعرض كل ما فى القرآن الكريم من الآيات الأخلاقية الموجهة فذلك أمر يطول ... ولكن نكتفى ببعضها :

ففى الدعوة الى الإحسان فى معاملة الأقربين وغيرهم يقول :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شــيئا وبالوالدين إحســانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجــار الجنب والصاحب بالجنب وابن

السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » (النساء . آية٣٦)
ويقول : **وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض »** (القصص . آية ٧٧) .
وفى مقابلة السيئة بالحسنة يقول :
« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (فصلت . آية ٣٤) .
وفى العفو عن المسيىء يقول : **« فمن عفا وأصلح فأجره على الله »** (الشورى . آية ٤٠) .
ويقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : **« ولا تزال تطلع على خائنة منهم** (يعنى اليهود) **إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين »** (المائدة . آية ١٣) .

ويقول : **« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »** (البقرة . الآيتان : ١٣٣ ، ١٣٤) .
وفى الحث على الصدق يقول :
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (التوبة . آية ١١٩)
وفى النجوى يقول :
« يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون » (المجادلة . آية ٩) .

ويقول : **« لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »** (النساء . آية ١١٤) .
« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » . (النساء . آية ٥٨) .
ويمدح المؤمنين الأمناء ويسجل لهم الفوز والفلاح بقوله :
« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » . . الى أن يقول :
« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (المؤمنون . الآيات : ١ — ١١) .
ويحذر من الخيانة فيقول :
« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (الانفال . آية : ٢٧) .
ويقول : **« إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما »** (النساء . آية : ١٠٧) .
وفى الحث على العدل يقول :
« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...... » (النحل . آية : ٩٠) .
ويحذر من أن تكون القرابة أو العداوة سببا لعدم العدل فى القول أو الحكم فيقول :
« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (الأنعام . آية : ١٥٢) .
ويقول : **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا**

الهوى أن تعــدلوا وإن تلووا او تعرضــوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » (النساء . آية : ١٣٥) .

ويقول : « **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعــدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بمــا تعملون »** (المائدة . آية : ٨) .

ويدعو الى التواضع وعدم الكبر والتعالي على الغير فيقول :

« **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجــاهلون قالوا سلاما »** الى أن يقول : « **أولئك يجزون الغــرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيــة وسلاما »** (الفرقان . الآيات : ٦٣ — ٧٥) .

ويقول : « **ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طــولا »** (الاسراء . آية : ٣٧) .

ويقول : « **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصــوات لصوت الحمير »** (لقمان . الآيتان : ١٨ ، ١٩) .

وينهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب فيقول :

« **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاســم الفســوق بعد الإيمــان ومن لم يتب فأولئــك هم الظــالمون »** (الحجرات . آية : ١١) .

وينهى عن الظن السوء ، والتجسس والغيبة فيقول :

« **يا أيها الذين آمنوا اجتنبــوا كثيرا من الظــن ان بعض الظــن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم »** (الحجرات . آية : ١٢) .

ويحذر من إشاعة الفاحشة فى المؤمنين فيقول :

« **إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشــة فى الذين** آمنوا .. لهم عذاب أليم **فى الدنيا والآخرة »** (النور . آية : ١٩) .

ويرشدنا الى حرمة البيوت وآدابها فيقول :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوهــا حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم. ليس عليكم جنــاح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم مــا تبدون وما تكتمون »** (النور . الآيات : ٢٧ — ٢٩) .

ويقول : « **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمــانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صــلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جنــاح بعدهن طوافون عليــكم بعضكم على بعض كــذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم .**

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » (النور . الآيات : ٥٨ ، ٥٩) .

ويدعو الرجال الى غض ابصارهم وحفظ فروجهم عما حرم الله فيقول :

« **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهــم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون »** (النور . آية : ٣٠) .

ويدعو النساء الى غض أبصـــارهن وحفظ فروجهن وعـــدم ابداء زينتهن للأجانب حتى لا يكن مثار فتنة فيقول :

« **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهم أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعـــا أيها المؤمنون لعـــلكم تفلحون** » (النور . آية : ٣١) .

ويقول : « **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** » (الأحزاب . آيـــة : ٥٩) .

ويقول : « **يا نساء النبى لستن كأحد من النســـاء إن اتقيتن فلا تخضـــعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معـــروفا • وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورســـوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » (الأحـــزاب . الآيتان : ٣٢ ، ٣٣) . . وغير أمهات المؤمنين بذلك أولى .

ويقول فى أدب الضيف : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحـــق** » (الأحزاب . آية : ٥٣) .

(جانب الدعوة الى النظر فى ملكوت السموات والأرض)

وأما جانب الدعوة الى النظر فى ملكوت السموات والأرض : فقـــد وجهنا القرآن الكريم الى ما بثه الله فى الكون من آثار قدرته ودلائل ألوهيته فقال :

« **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بمـــا ينفع للناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيـــا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » (البقرة . آية : ١٦٤) .

وقال : « **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم** » (الروم . آية : ٢٢) .

وقال : « **وفى الأرض آيات للمـــوقنين • وفى أنفسكم أفلا تبصـــرون** » (الذاريات . الآيتان : ٢٠ ، ٢١) .

وقال : « **أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت** » (الغاشية . الآيات : ١٧ــ٢٠)

وقال : « **تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعـــل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شـــكورا** » (الفرقان . الآيتان : ٦١ ، ٦٢) .

وقال : « **ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنـــا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا • وهو الذى جعل لكم الليـــل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا • وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى**

رحمتـــه وأنزلنا من الســـماء ماء طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا . ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا » (الفرقان . الآيتان : ٦١ ، ٦٢) .

وقال : « **ألم تر أن الله يزجي ســحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشــاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصـــار . يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار . والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير »** (النور . الآيات : ٤٣ ، ٤٥) .

وقال : « **ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . إن يشـــأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شـــكور »** (الشـــورى . الآيتان : ٣٢ ، ٣٣) .

وقال : « **وآية لهم الليـــل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العـــليم . والقمر قدرناه منازل حتى عـــاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليـــل سابق النهار وكل في فلك يسبحون »** (يس . الآيات : ٣٧ — ٤٠) .

وقال : « **أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ومـــا خلق الله من شيء »** (الأعراف . آية : ١٨٥) .

وقال : « **وكأين من آية في السمـــوات والأرض يمرون عليها وهم عنهـــا معرضون »** (يوسف . آيـــة ١٠) .

... وأخيرا يشير القرآن الكريم الى آيات أخرى لا يزال يكشـــف عنها العلم ، كانت وستكون الحجة البالغة لله على الناس فيقول :

« **سنريهم آياتنـــا في الآفاق وفى أنفســـهم حتى يتبين لهم أنه الحق »** (فصلت . آية : ٥٣) .

(هدف القرآن من توجيهنا إلى آثار قدرة الله)

والقرآن إذ يوجهنا الى هذه الآثار ويلفت أنظارنا اليها ، لا يريد منا أن ننظر اليها نظرة عابرة قاصرة . وإنما يريد منا النظرة الفاحصة المتأملة ، وهو يهدف من وراء ذلك الى أمرين هامين :

أولهمـــا : أن نأخـــذ منها الدليل على وجود الله وقدرته . وعلى أنه الإله الحق الذى يستحق العبادة دون غيره .

وثانيهمـــا : أن ننقب عما حـــواه الكون من خيرات وكنوز وأن نكشـــف أسراره وكوامنه حتى ننتفع بكل ما فيه من خيرات مادية ونستفيد بكل ما نهتدى اليه من معارف وعلوم بعد الدراسة لظواهره ومشاهده دراســـة البارع المدقق والعالم المحقق .

ولقد أدرك العلماء من غير المسلمين ما في الكون من مصادر الثروة وموارد القوة وينابيع المعرفة ، وأخـــذوا جادين في استنباط كنـــوز الأرض واستغلال خيراتها . وبحثوا محققين عن خواص بعض ظواهر الكون وعوالمه ، فاذا بهم بعد الجهد والعرق يصلون الى ما كانوا يرجون . ويحققون لأممهم غنى لا يطاول ، ومجـــدا لا يسامى ، وقوة لا تقهر .

وغفل المسلمون عن آيات الله البينات ، وأغمضوا عيونهم وعقولهم عن التأمل والتدبر فيمـــا تحويه من ذخائر وتوحى به من معارف ، فكان حالهم ما نرى : تخلف عن ركب الحضارة ، وتسول فى موكب العلم . . .

(القرآن يخاطب العقل والوجدان والعاطفة)

والقرآن الكريم حين يدعو الى العقيدة الحقة فى الله وفى كل ما جاء عنه ، وحين يدعو الى التزام تشريع معين فى عباداتنا أو معاملاتنا أو نظمنا الاجتماعية ، وحين يدعو الى الخلق الكريم والأدب الحميد واتخاذ ذلك منهجا لنا فى سلوكنا الشخصى وسلوكنا مع الله ومع الناس .. حين يدعو القرآن الى هذا كله ، لا يدعو إليه دعوة جافة خشنة ليس فيها الا مجرد الأمر الصارم أو النهى العنيف وإنما يدعو اليه دعوة الحكمة العـــاقلة فيورده بأسلوب الأمر أو النهى مقرونا بوسائل الإقناع بصدقه وصلاحيته وحسن عاقبته .

ووسائل الاقناع متعددة :

فتارة يكون الإقناع عن طريق العقل ، وتارة يكون عن طريق الوجـــدان ، وتارة ثالثة عن طريق العاطفة .

ولقد سلك القرآن الكريم فى دعوته هذه الطرق الثلاث :

خاطب العقل : لأن من الناس من لا يؤمن إلا بالدليل العقـــلى ومن ذلك قوله تعالى :

((ما اتخـــذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض)) (المؤمنون . آية : ٩١) .

وقوله : **((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا))** (الأنبياء . آية : ٢٢) .

وكلتا الآيتين دليل منطقى واضح يدركه من له إلمام بأساليب المناطقـــة فى استدلالهم ، ويدركه كل من له عقل يعى ولو لم يكن على علم بأسلوب المناطقة .

ثم هناك آيات الله فى السموات والأرض وفى أنفسنا ، وكلها براهين عقلية تشهد بوجود الله وربوبيته ، والقرآن الكريم — فى أكثر من آية — يلفت أنظارنا الى هذه الدلائل والبراهين حتى تقوم الحجة لله على الناس .

وخاطب القرآن الوجدان : لأن من الناس من لا يحفزه الى الانقياد والطاعة إلا ما يحرك وجدانه ، ويثير فيه جانب الرغبة أو الرهبة ، فاذا ما أمر بمعروف وقرن الأمر بالترغيب ، رغبت نفسه فى الامتثال أملا فى الثواب ، واذا ما نهى عن منكر وقرن النهى بالترهيب ، كفت نفسه عنه رهبة من الوقوع تحت طـــائلة العقاب .

وكثيرا ما نجد فى القرآن الكريم آيات تحرك فى الوجدان نوازع الخير بما تضمنته من وعيـــد بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وآيات أخرى تنيم فى الوجدان نوازع الشر بما تضمنته من وعيد بشقاء الدنيا وعذاب الآخرة .

فمن الآيات التى تحـــرك فى الوجـــدان نوازع الخير وتبعث على امتثال الأوامر الآلهيـــة :

قوله تعالى : **((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهـــم الذى ارتضى لهـــم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعـــد ذلك فأولئك هم الفاسقون))** (النور . آية : ٥٥) .

وقوله : ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**)) (النحل . آية : ٩٧) .

وقوله : ((**ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم**)) (النساء . آية : ١٣) .

ومن الآيات التى تنيم فى الوجدان نوازع الشر وتبعث فى النفس الخوف من الوقوع فيما نهى الله عنه :

قوله تعالى : ((**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**)) (النحل . آية : ١١٢) .

وقوله : ((**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون . ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون**)) (السجدة . الآيتان : ٢٠ ، ٢١)

وخاطب القرآن العاطفة : لأن من الناس من لا يستجيب لدعوة الخير إلا إذا خوطب بما يهز عاطفته ويوقظ فى نفسه كوامن الحب والشفقة والرحمة . .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الى عمل البر والخير ، وأخرى تنهى عن ارتكاب بعض ما لا يليق بالانسان ، وهذه وتلك تأتى مقرونة بما ينبه العواطف الإنسانية ويثيرها حتى تكون المحرك الدافع لفعل الخيرات والمبرات ، والمثبط المعوق عن ارتكاب الحماقات والموبقات .

فمن الآيات المقترنة بما يحرك العواطف الدافعة الى فعل الخيرات والمبرات قوله تعالى :

((**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**)) (الإسراء . الآيتان : ٢٣ ، ٢٤) .

وقوله : ((**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**)) (الحجرات . آية: ١٠)

ومن الآيات المقترنة بما يحرك العواطف المعوقة عن ارتكاب الحماقات والموبقات .

قوله تعالى : ((**وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**)) (النساء . الآيتان : ٢٠ ، ٢١) .

وقوله : ((**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا**)) (النساء . آية : ٩) .

وقوله : ((**ولا تلمزوا أنفسكم**)) (الحجرات . آية : ١١) .

وقوله : ((**ولا تقتلوا أنفسكم**)) (النساء . آية : ٢٩) .

يريد أن المؤمن وأخاه كنفس واحدة ، فمن عاب أخاه فكأنما عاب نفسه ، ومن قتل أخاه فكأنما قتل نفسه .

. . . وهكذا يخاطب القرآن الكريم العقل والوجدان والعاطفة حتى يصل الى القلوب بتعاليمه ومفاهيمه من كل هذه النوافذ ، وتلك رحمة من الله بعباده الذين شرحوا صدورهم للقرآن ولم يوصدوا دونه هذه المنافذ ويضعوا عليها أقفالا من المكابرة والعناد . .



فن التجويد
هو موسيقى القرآن

للشيخ أحمد حسن الباقورى

سأل سائل ما الموسيقى ؟ فقال له صاحبه : فضــل من المنطق عجز الانسان عن تجليته باللسان فجلاه بالالحان . واذا كان هذا التعريف للموسيقى صحيحا وصادقا فى باب البيان فان الى جانبه تعريفا آخر لا يقل عنه صحة وسلامة فى باب تربية الأذواق وتهذيب الطباع وتقويم جوامح النفوس بل ان من الحيوان ما يستعين بالموسيقى . وما يتصــل بها على شــدائد ومتاعب فيتغلب عليها بها كما يشاهد ذلك واضحا بينا أولئك الذين يلاحظــون البعير يسير ثقيل الحمل شديد الظمأ فى لفح الهواجر ومن ورائه الحادى يحدو له فاذا هو مستطيع السير فى نشاط لم يكن ليجد السبيل اليه لولا هذا الحداء من ذى صوت حسن جميل .

وآية ذلك ما ترويه صحاح الاحاديث النبوية الشريفة من أن النجاشى حادى ابل رسول الله خرج يحدو ذات يوم وراء بعير ركبته احدى نساء النبى وكان النجاشى هذا رجلا رخيم المنطق حسن الصوت جميل الحداء . فكان كلما حدا على هذه الصورة أسرع البعير اسراعا شديدا يتأذى به راكبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنجشه رفقا بالقوارير » .

فأنت ترى فى هذا الحديث النبوى الشريف أمرين يستوقفان النظر :

أحدهما : أن رسول الله خاطب النجاشي خطاب تدليل فقال له يا أنجشه بدلا من يانجاشي . وثانيهما : أنه عليه الصلاة والسلام شبه النساء بالزجاج الرقيق « يا أنجشه رفقا بالقوارير » . يعني تخفف من حسن حدائك وأمسك عليك بعض جمال صوتك حتى لا تسرع الابل أسراعا شديدا فيتأذى بذلك النساء اللواتي يركبنها لانهن من الرقة مثل الزجاج الذي يسرع اليه الكسر بأوهى الاسباب . فهذا الحداء لون من ألوان الموسيقى .

والموسيقى فن قائم على النغم والالحان وما يتعلق بذلك من العلوم والمعارف كما تقرر ذلك دائرة المعارف الميسرة ــ والموسيقى أنواع كثيرة : منها ما ينسب الى جزيرة بالى من جزر الدولة الاسلامية الشقيقة « أندونيسيا » وقد كان هذا اللون من الموسيقى معروفا قبل الاسلام فى اقليم جاوه ، فلما أكرم الله تعالى بالاسلام أهل تلكم البلاد الشقيقة أنحسرت هذه الموسيقى وتجمعت فى تلك الجزيرة ، جزيرة بالى .

ومن الموسيقى نوع ينسب الى بيزنطة عاصمة الدولة الرومية الشرقية القديمة ، ومنها نوع يعرف بالموسيقى التصويرية ، ومنها موسيقانا العربية التى هى مزيج من مختلف ألوان الموسيقى تناوله اسلافنا بالصقل والتهذيب والترويض كما تناولوا كذلك فن الهندسة والعمارة فجاء كلا الفنين مطابقا لذوقهم وشاع مقترنا بهم حتى عرف بهم وعرفوا به ، اذ كان لهم به جهد واضح وكان لهم فيه أثر بالغ لا يجحده العارفون المنصفون . وهذه الألوان من الموسيقى تصحبها جميعا آلات الطرب من العود والناى والطبلة والقيثارة والقانون وما الى ذلك مما يعرفه أهل هذه الفنون .

وليس يستطيع أحد ــ بالغة ما بلغت جرأته على الحق وقداسته ــ ان يضع موسيقى القرآن الكريم بين هذه الألوان التى ذكرناها فان ذلك ، مما لا يدور به خيال فى رأس مسلم فضلا عن أن يجرى به قلم على صحائف مجلة . ذلك ان القرآن الكريم له موسيقاه الخاصة به وقد أخذها أسلافنا عن أصحاب رسول الله وتقيد بها الاخلاف حتى يوم الناس هذا وهى ما نعرفه اليوم باسم تجويد القرآن الذى هو علم من علوم الدين ارتضته الامة وتلقته بالقبول حريصة عليه أشد الحرص ثم راحت تعلمه أولادها من بنين وبنات فى المكاتب والمساجد سواء فى ذلك أهل القرى وأهل المدائن فنبغ منهم فى كل قطر نوابغ يتحدث عنهم التاريخ فى زهو وفخار .

فاذا أنضم الى اتقان هذا العلم من العلوم الاسلامية الدينية ، جمال الصوت وصدق الأداء والتزام الحدود التى وضعها القراء فقد بلغ القارىء بذلك غاية ما يتطلع اليه من نباهة الذكر ورفعة الشأن عند الله وعند الناس .

وقد ظفرت مصر العربية المسلمة من هذه المفخرة بحظ عظيم ، خاصة مدينة طنطا حتى ان الناس اذا أرادوا الثناء على قارىء بجمال الصوت ودقة الضبط وحسن الاداء قالوا : ان قرآنه قرآن طنطاوى نسبة الى طنطا أو قرآن أحمدى نسبة الى مسجد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وهم يعنون بذلك أن القارىء قد بلغ الغاية من الاحسان والاتقان وان المستمع قد بلغ أيضا من السعادة والاستمتاع .

وفن التجويد أو موسيقى القرآن ، يقوم أول ما يقوم على كون الكلمات القرآنية خفيفة النطق على اللسان جميلة الوقع فى الاذان فليس فى الكتاب الكريم كلمة بغير هذه الصفة ويجىء من بعد ذلك نظم الكلمات بعضها مع بعض خاضعا لقواعد مرسومة فى الفن والمد والادغام والاظهار والقلب وهمس

الحروف وجهرها وتفخيمها وترقيقها والمد الطبيعى والمد المتصل والمد المنفصل والمد العارض للسكون . فهذه هى القواعد التى تقوم عليها وتتكون بها موسيقى القرآن الكريم .

ويبقى بعد ذلك تلوين الصوت وله صورتان : ــ

أولاهما : ما أشارت اليه الآية الكريمة : « **يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** » . فالترتيل هو التزام التؤدة بغير إسراع فى القراءة ، لكى تكون كلمات القرآن واضحة بينة المعالم متناسقة تناسق الاسنان فى الثغر النضيد فان الرتل فى اللغة هو حسن تناسق الشيء ــ يقول العربى : ثغر مرتل يعنى أن أسنانه حسنة التنضيد مستوية النبات لا يركب بعضها بعضا .

وأقرب الامثلة للترتيل الصحيح فى عصرنا الحاضر قراءة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والاستاذ محمد صديق المنشاوى عليهما رحمة الله .

والصورة الثانية لتلوين الصوت : ما أشار اليه الحديث الشريف الـــذى أخرجه الامام مسلم فى الصحيح من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن « يعنى صلوات الله عليه ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن حين يقرأ . فكذلك روى عبد الله بن أبى يزيد قال : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » . فقلت : يا أبا محمد أرأيت اذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال يحسن صوته ما استطاع وكذلك ماروى من أن أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه كان ذات يوم فى المسجد يقرأ القرآن وكان رسول الله يستمع اليه دون أن يعلم أبو موسى باستماع النبى اليه فلما فرغ من قراءته قال له النبى مثنيا على حسن صوته بالقرآن : ــ « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » . فقال أبو موسى أو كنت تسمعنى يا رسول الله ؟ والله لو علمت بمكانك منى ، لحبرته لك تحبيرا . يعنى رضى الله عنه لزينته وحسنته ، فان التحبير فى لغـــة العرب تعنى التزيين والتحسين . واقرب مثال لهذا اللون من القراءة ــ فى مبلغ علمنا ــ قراءة الاستاذ الشيخ محمد رفعت رحمه الله مع أمثال له كثير فى الأحياء من القراء ذوى الأصوات الحسنة والاداء المضبوط اطال الله بقاءهم نعمة على الاسلام والمسلمين .

تلك هى موسيقى القرآن . ليست الا اتباعا لرسول الله ، ونزولا على حكمه ورضى بقضائه . وليست ابتداعا منحرفا ولا تجديدا هداما . وأولئك الذين يحاولون وضع القرآن فى لحون تستصحب الآلات الموسيقية من العود والرق والطبلة وما اليها ، انما يعرضون كتاب الله لاشـــد محنة تمتحن بها امتنا الاسلامية فى أقدس شيء لديها وأعز عزيز عليها وهو كتاب الله الكريم الذى هو منبع أفكارها وملتقى عواطفها ومستمسك بقائها ونمائها .

ان الدعوة الى تلحين القرآن مصاحبا بآلات اللهو والطرب ، كالدعوة الى كتابته بالأحرف اللاتينية : كلاهما هجوم وقح على قداسة القرآن العظيم لا يشك ذو بصر فى ان من ورائه يدا خبيثة تحركها عداوة متربصة تريد الحاق القرآن الكريم بالاغانى التى تميل مع الهوى بغير حدود ولا قيود فليحذر الذين لا يزالون يصرون على هذه الدعوة الخبيثة وأمثالها مما يزلزل قاعدة الاسلام ، ان تصيبهم بما يصرون عليه قارعة أو تحل قريبا من دارهم . .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

التشريع الإسلامي

صالح لتنظيم المجتمعات المتطورة !

د . محمد سلام مدكور

الاسلام خاتم الشرائع السماوية واعمها لشموله لأحكام الدين والدنيا فقد جاء منظما للحياة شاملا لكل نواحيها ، فقد تناول كل ما يتعلق بالعقيدة والاخلاق ومعاملات الناس افراد وجماعات فى السلم والحرب وعلاقاتهم بخالقهم وبأسرهم وببعضهم البعض فى مختلف العصور وشتى العلاقات وما يتعلق بكل ذلك من القضاء .

واذا كانت العبادات وهى ما كان الغرض الأول منها التقرب الى الله لا تتأثر باختلاف البيئات أو تتابع الأزمان ، فان العادات وهى ما كانت لتنظيم علاقات الافراد والجماعات قد روعى فيها غالبا اعراف الناس ومصالحهم من اجل هذا جاءت أحكامها فى التشريع الاسلامى اصولا كلية وقواعد عامة مقرونة بعللها حتى يفهم أن الحكم ينبغى أن يكون مصاحبا لعلته ، فاذا زالت العلة ارتفع الحكم وتبدل بآخر يتناسب مع تغيير وجه المصلحة فى نطاق القواعد العامة للتشريع .

ولذا فان الكثير من هذه الاحكام المعللة والتى لم يرد بها نص خاص يحكمها وانما كانت وليدة استنباط مبنى على عرف سابق ، أو أساسها مراعاة مصلحــة . فانها قابلة لأن تتغير تبعا لتخلف العلة وتغير العرف وتبدل وجه المصلحة . .

والفقه الاسلامى تتسع أحكامه لجميع شئون الحياة وقد حكم فعلا رقعة كبيرة من المعمورة تمتد من الصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، واخضعها كلها لأحكامه ، واذا كان الفقهاء فى العصور السابقة لم يعنوا بتقسيم الفقه وتبويبه العناية التى نلاحظها حديثا فى فقه القانون فان هذه كانت طبيعـــة عصرهم ومنهجهم فى التقسيم والتبويب فى شتى نواحى العلوم والمعرفة . أضف الى ذلك أن القضاء عندهم فى صدر الاسلام متحد لم يعرف التخصص الدقيق ، فكان القاضى فى الغالب يقضى فى كل نزاع يعرض عليه دون أن يكون هناك اختصاص نوعى دقيق كما هو الآن . فلم يكن التقسيم والتبويب الدقيق لمسائل الفقه ذا أهمية لذلك .

وواقع الأمر أن الفقه الاسلامى تناول جميع النواحى التى تناولهـــا القانون سواء أكان ينظم علاقات الأمة الاسلامية بالافراد الأجانب المقيمين فيها أو المتعاملين مع أفرادها وهو ما يسمى حديثا بالقانون الدولى الخاص أم كان ينظم علاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم مما يسمى حديثا بالقانون الدولى العام أم كان ينظم العلاقات الداخلية فى الأمة عاما كالقانون الدستورى والادارى والمالى والجنائى أم خاصا كالقانون المدنى التجارى وما يتعلق بذلك من نظم المرافعات .

وهذه الأحكام جاءت فى النصوص مجملة حتى يكون لولاة الأمر بواسطة المجتهدين من الفقهاء والخبراء الفنيين الذين يستعين بهم المجتهدون الحق فى استنباط الاحكام حسب ما يتفق مع مصالح الناس ويساير زمانهم فى نطاق القواعد العامة للشريعة الاسلامية ودون أن يقيدهم فى ذلك نص موضوعى خاص ، وانما فى ضوء ما أرشدت اليه قواعد الشريعة من أن القصد انما هو تحصيل المصالح وحفظ النظام والحقوق وترقية الحياة . ولذا فان الاحكام لم تأت غالبا فى هذا القسم الا بما يشبه القوانين الكلية . يقول الله سبحانه وتعالى : «**ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**» . واننى سأعرض للقارىء ما يقابل كل فرع من فروع القوانين فى الفقه الاسلامى .

فمسائل القانون العام ـــ ما يتعلق منه بمركز الدولة وكيانها وعلاقاتها بالدول الاخرى وهو ما يقابله القـــانون الدولى العام تنـــاوله كتاب الله فى ســـورتى الأنفال والتوبة ، كما جاءت الســـــنة بكثير من أحكامه ولنا فى المعاهدات التى عقدها الرسول صلى الله عليه وســـلم وما نص عليه فى عقود الصلح وما أثر عن الصحابة أصل ومرجع .

واذا كانت الأمم قد أجمعت على احترام المعاهدات فان الاسلام أسبق منها فى الوفاء بالعهد امتثالا لأمر الله سبحانه فى قوله جل شأنه : « **وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم**) واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاهداته

التى منها ما احترمها خصومه فحافظ عليها ومنها ما نقضها الخصم فعاملهم بالمثل .

ومن قواعد الاسلام أن المعاهدات لا تنقض بجنايات بعض الأفراد من الدولة المعاهدة ، واذا وادع المسلمون قوما من المشركين فانه لا يحل لهم أن يأخذوا شيئا من أموالهم الا بطيب أنفسهم احتراما للعهد . ففقهاء المسلمين من قديم تناولوا علاقة الأمة الاسلامية بغيرها فى الحرب والسلم وما ينتج عنها ، وعنونوا لذلك فى كتب السير والمغـــازى وقد برع محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى فى هذا وأخرج كتابين سمى أحدهما السير الكبير وسمى الآخر السير الصغير مما جعل رجال القانون الدولى يعتبرونه أبا لهم وألفوا باسمه جمعية خاصة تبحث ما كتبه وقالوا عنه كما فى نشرة سكرتارية هذه الجمعية أنه خليق بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولى العالميين كما أخرج أيضا الإمام الاوزاعى كتابا فى السير ورد عليه وناقشه فى وجهة نظر القاضى أبو يوسف الفقيه الحنفى .

أما ما يتعلق بالقانون الدستورى والادارى فان الفقهاء بحثوه تحت اسم السياسة الشرعية والأحكام السلطانية والإمامية أو ما يؤدى هذا المعنى وقد أخرج بعضهم فى ذلك كتبا خاصة مثل ابن تيمية فقد أخرج كتابا باسم (السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية) ومثل ابن القيم ، فقد أخرج كتابه (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) ومثل أبى الحسن البطرى المعروف بالماوردى صاحب كتاب الاحكام السلطانية ، وقد كان الكـــلام عن الخلافة ورياسة الدولة من صميم المباحث الفقهية .

وأما عن القوانين المالية فان الفقهاء بحثوها ضمن أبحاثهم وكتاباتهم الفقهية عن الزكاة والعشور والخراج وعند بيان أحكام الكنوز المدفونة فى باطن الارض والركاز التى هى فى باطن الارض بحكم الطبيعة بل ومنهم من أفردها بالبحث والكتابة كأبى عبيد القاسم بن سلام فى كتابه (الأموال) وكأبى يوسف الفقيه الحنفى فى كتابه (الخراج) وكيحيى بن آدم القرشى فى كتابه (الخراج) أيضا ، فالناحية المالية والاقتصـــــادية وضعت لها فى الاسلام قواعد العدالة الاجتماعية ووضحت فيه معالم الطريق فى مدى حرية الاستثمار والتملك .

والعدالة الاجتماعية فى نظر الاسلام فى واقع الأمر مساواة انسانيـــة ينظر فيها الى تعادل جميع القيم بما فيها القيمة الاقتصادية والتنمية وهى على وجه الدقة تكافؤ فى الفرص وترك المواهب بعد ذلك تعمل فى الحـــدود التى لا تتعارض مع الأهداف العليا وهذه مفخرة للاسلام يزهو بها على جميع النظم الاجتماعية .

وأما القانون الجنائى فقد تناوله الفقه الاسلامى وجعل الجنـــــاية لا يتحمل مسئوليتها غير الجانى بعد أن كانت القبيلة كلها تتحمل مسئولية هذا ، وتكلم على الجريمة والعقوبة والجرائم التى عقوبتها محدودة والجرائم التى تركت فيها تقدير العقوبة لولاة الأمر ومن بعدهم القضاة ، وتناولت

الشريعة الاسلامية حكم العفو عن الجريمة وأثر ذلك فى سقوط حق المجنى عليه وحق العامة وفى سقوط العقوبة .

وبين أنه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص .. وانه لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص وذلك أخذا من قوله تعالى : « **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** » ولم يجعل الاسلام للنصوص الجنائية أثرا رجعيا الا ما كان تطبيقه فى صالح الجانى والا الجرائم الخطيرة التى تمس الأمن العام وذلك على سبيل الاستثناء من قاعدة عدم رجعية القوانين ولم يجعل الاسلام لدم أحد فضلا على دم آخر وانما الناس جميعا سواء أمام القانون الاسلامى . بل أجمع الفقهاء على أن السلطان نفسه ينبغى أن يقتص منه ان تعدى على أحد أفراد رعيته بالقتل العمد العدوان اذ ليس فى الاسلام من هو فوق القانون أو من يخضع لرغباته وأهوائه .

والاسلام وان أقر عقوبة القصاص من القاتل العمد العدوان الذى سلب حياة المجنى عليه بغير حق ويتم أطفاله وروع المجتمع وتحدى شعور الجماعة فانه لم يتغال فى ذلك وانما قصر مسئولية الجناية على الجانى وجعلها بقدر جنايته دون مغالاة يقول الله : « **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** » ومع هذا فقد حبب العفو الى النفوس : « **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** » .

والاســـــلام وان جعل حق العفو لولى الدم فانه لم يقصر حق طلب القصاص عليه كما أنه ليس لولى الدم على الراجح أن يستوفى حق القصاص بنفسه لأن تخليص الناس بعضهم من بعض من وظيفة الحكام .

واذا أخذت الشفقة بعض الناس على السارق اذا أقيم عليه الحد فان الأجدر بهم أن تأخذهم الشفقة بالآمنين الذين روعهم هذا السارق فى مأمنهم واعتدى على حرمتهم وعرض حياتهم للخطر اذا ما أحسوا به وقاوموه .

فان الاحصائيات فى بعض البلاد دلت أخيرا على أن القتلى بســـــبب السرقة فى العام الواحد أكثر من سبعين فردا ، هذا بخلاف من يصابون من الفزع بأمراض مستعصية وفضلا عن فقدانهم ما ادخروه وكانوا فى حاجة له لعلاج أو طعام أو سداد دين ..

ومع هذا فان الحدود فى الاسلام تدرأ بالشبهات ، أى أن الشك يفسر لصالح المتهم كما أن الاسلام فتح أمام المذنب باب التوبة حتى لا يفقد الأمل فى ثقة المجتمع فيه وأنه يغفر له ذلته ، ولذا فانه شرع العفو عن بعض الجرائم وجعله من حق القاضى اذا رأى فى ذلك علاجا لنفس المجرم وشفاء لها ..

ومن ذلـــك فان الاســــــلام حث على عدم تعيير المجرم بجريمتـــه حتى لا تستمرىء نفسه طريق الاجرام ، يروى أن رجلا أقيمت عليه عقوبـــة شرب الخمر فقال له آخر : أخزاك الله .. فغضب النبى عليـــه الســـلام وقال : لا تعينوا عليه الشيطان .

وأما القانون الخاص فان حظه فى الفقه الاسلامى أوفر وأوفى وخاصة

فيما يقابل القانون المدنى وما تفرع منه وقانون المرافعات . فقد تنــاولها الفقهاء بعمق وتفصيل وتأصيل دقيق لمعاملات الناس وصلاتهم المالية وأبانوا الحقوق والاموال وطرق التملك وما يتعلق بذلك من التزامات وضمانات وتكلموا عن الشركات بأنواعها وشروط تكوينها واحكامها بل أفردوا لهــــا ابوابا خاصة وتكلموا عن المدين المعسر والمفلس والماطل وتناولوا الشخص من ناحية أهليته وولايته وما يعرض لهذه الاهلية والولاية .

كما تناول الفقه الاسلامى التضمين وهو ما يقابل فى الاصلاح القانونى المسئولية المدنية كما تناول المسئولية عن فعل الغير ما دام فى رعايته وتحت يده مما يعرف حديثا باسم مسئولية المتبوع .

كما أفردوا للقضاء والدعوى والشهادة ابوابا خاصة بينوا فيها نظام التقاضى والحدود التى لا يتعداها القاضى ولا المتقاضى ونظموا الاجراءات القضائية ووضعوا قواعد الدعاوى وبينوا طرق الاثبات وطــرق الطعن فى الأحكام الى غير ذلك مما هو مبين تفصيلا فى كتب القضاء والدعوى والبينات .

أما الأحكام التى تخضع لها معاملات المسلمين مع غيرهم من المواطنين من أهل الديانات السماوية الأخــرى ومن الأجانب المقيمين اقامة مؤقتة بعقد أمان ومن الاعداء الذين بيننا وبين بلادهم حرب وعداء ولم تكن بيننا وبينهم معاهدات أمن وصداقة . كل هذا تكلم عنــه الفقهاء وقالوا إن غير المسلمين من المواطنين ممن ذكرنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا الا فى أمور دينهم فقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون .

وهكذا فى الغالب بالنسبة للمستأمنين من الأجانب غير المسلمين الذين دخلوا فى بلدنا بعقد أمان . أما الحربى فقد عرف الفقهاء قاعدة المعــاملة بالمثل ، ومن البين أن دار الاسلام وطن لكل مسلم مهما اختلفت جنسيته .

فالفقه الاسلامى بمصادره المرنة التى منها مراعاة المصالح التى لم يعارضها نص والتى منها أعراف الناس كذلك وضع لكل ناحية من حياة البشر وتصرفاتهم أصلا يتبع وقاعدة يقاس عليها لذا فانه يساير الزمان ويصلح لكل مكان . بل نجد البلاد المتحضرة أخذت ببعض نظريات الفقه الاسلامى القانونية وعدلت عن ما كانت عليه من قبل .

ومن ذلك نظرية التعسف فى استعمال الحق ، فقد كانت القوانين قديما والى عهد قريب تتجه الى أن الحقوق طبيعية ثم اتجهت وجهة الفقه الاسلامى فى أنها منحت له غاية الأمر أنهم يقولون أنها منح قانونيــة منحهــا ايــاهم القانون وهى فى الفقه الاسلامى منح الهية منحها اياهم الله ومن ذلك عدول كثير من القوانين عن الأخذ بالقانون الرومانى والزام الوارث بما على المورث من دين . وجنوحها تجاه الفقه الاسلامى من أن الوارث خليفة المورث فى نطاق تركته .

وقد راعى الفقه الاسلامى مصالح الناس ، ولما كانت المصالح متغايرة والعادات فى بعض البلاد متباينة نجد بعض أحكام المعاملات التى لم يحكمها

نص معين تتأثر بذلك فتبدل تبعا لتبدل المصلحة ، ولذا فان الامام الشافعي قد تأثر في الأحكام الخاصة بالمعاملات بالبيئة ولما انتقل الى أقاليم مختلفة متباعدة غير الكثير من هذه الأحكام ، وهذا أبو يوسف الفقيه الحنفي الذي تولى رئاسة القضاء في عصر هارون نجده عدل في الخراج الواجب على الارض ـ الضرائب ـ عما كان عليه مقداره أيام عمر بن الخطاب ، وقد كان أبو حنيفة وأصحابه يمنعون اعطاء أجر على تعليم القرآن وعلوم الدين لأن العطايا كانت تبذل لهم من الدولة فلما انقطعت هذه العطايا أباح ذلك المتأخرون من فقهاء المذهب بل ذهب أبو يوسف الفقيه الحنفي الى أن الاحكام التي وردبها نص اذا كانت قد بنيت على عرف الناس وقت ورود النص ثم تغير هذا العرف الى شيء آخر فانه يرى ابتناء الحكم على العرف الطارىء .

وهذا عمر بن عبد العزيز يرفض قبول الهدية مع أنه روى أن الحاكم في زمن الرسول كان يقبلها ويعلل رضي الله عنه لذلك فيقول : إن الهدية كانت في زمن الرسول هدية واليوم رشوة .

ويقول القرافي الفقيه المالكي : إن كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة المتجددة من أجل هذا نجد القرآن وهو المصدر الأول للتشريع لم يتناول بالتفصيل أحكام المعاملات المالية وأحكام الجنايات وما يتعلق بالقضاء وعلاقات الدولة الاسلامية بغيرها في السلم والحرب وما شابه ذلك مما يتغير بتطور البيئة وانما دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الأمر في كل عصر في سعة من أن يفصلوا قوانينهم حسب المصالح وفي حدود أسس القرآن .

ومن هذا العرض السريع يرى القارىء أن التشريع الاسلامي بمصادره المرنة صالح لتنظيم المجتمعات في كل عصر ، وتتسع قواعده لكل جديد يعود على المجتمع بالنفع والخير ما دام لا يتعارض مع النصوص الاصلية ، فشريعتنا تقدمية لا تقف في سبيل اسعاد المجتمع بحال وهذا ما شهد به كبار الخبراء في الادارة العليا بالولايات المتحدة في تقرير لهم جاء فيه : أن الثقافة الاسلامية تشجع الانسان على استخدام عقله في تقدير مقتضيات العالم الحديث .

ويجب أن نعلم أن كل شريعة تكون حيويتها وازدهارها بمقدار ما يكون لها من سلطان . ومتى ضعف هذا السلطان ضعفت الحيوية حتما .

واذا كانت الدساتير في أغلب البلاد الاسلامية نصت على أن الشريعة مصدر أساسي للقوانين فانه ينبغي أن يكون لذلك مظهر في السلوك والتنفيذ .

واذا خلصت النية وصدق العزم أمكن بكل يسر وسهولة أن نحتكم في جميع تصرفاتنا وعلاقاتنا الى الفقه الاسلامي بمجموع مذاهبه ونكون دولة متقدمة قوية تأخذ بأسباب الرقي والصلاح في ضوء قواعد الاسلام وتوجيهاته الخلقية السامية .. وفق الله أمتنا وقادتنا الى ما فيه الخير لنا وربطنا بالاسلام ربطا قويا .

مائدة القارئ

الأدب مع الرسول

لما نزل قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » .

أغلق « ثابت بن قيس » عليه داره ، وطفق يبكى ، وافتقده الرسول فسأل عنه ، ثم أرسل من يدعوه ، وجاء ثابت ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب غيابه فأجابه :

انى امرؤ جهير الصوت ، وقد كنت أرفع صوتى فوق صوتك يا رسول الله واذن فقد حبط عملى ، وأنا من أهل النار .

وأجابه الرسول عليه الصلاة والسلام :

انك لست منهم ، بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، ويدخلك الله الجنة .

وقد استشهد فى موقعة اليمامة رضى الله عنه وأرضاه .

أبو الدرداء

مر « أبو الدرداء » يوما على رجل قد أصاب ذنبا ، والناس يسبونه ، فنهاهم وقال : أرأيتم لو وجدتموه فى حفرة .. ألم تكونوا مخرجيه منها .. قالوا : بلى .. قال : فلا تسبوه اذن ، واحمدوا الله الذى عافاكم .. قالوا أفلا تبغضه .. ؟ قال : انما أبغض عمله ، فاذا تركه فانه أخى .

دعوة سعد

سمع سعد بن أبى وقاص رجلا يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهاه ، فلم ينته ، فقال له : اذن أدعو عليك ، فقال الرجل : أراك تهددنى كأنك نبى .. !!

فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه وقال : ان كنت تعلم ان هذا الرجل قد سب أقواما سبقت لهم منك الحسنى ، وانه قد أسخطك سبه أياهم ، فاجعله آية وعبرة .

فلم يمض غير وقت قصير حتى خرجت من احدى الدور ناقة لا يردها شىء حتى دخلت فى زحام الناس ، كأنها تبحث عن شىء ، ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها ، وما زالت تتخبطه حتى مات .

أبـــو هريـــرة

اسمه فى الجاهلية (عبد شمس) ولما أسلم سماه الرســـــول (عبد الرحمن) وكان عطوفا على الحيوان ، وله هرة يطعمها وينظفها ويؤويهـــا ويحملها وكانت تلازمه كظله ولهذا دعى أبا هريرة .

عرض عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الولاية ، فأباها واعتذر عنها قال له عمر : ولماذا ؟ قال : لا حتى لا يشتم عرضي ويؤخـــذ مالي ويضرب ظهري وأخاف أن أقضي بغير علم ، وأقول بغير حلم .

وعن ثمان وسبعين سنة مات فى العام التاسع والخمسين للهجرة وبين ساكنى البقيع الأبرار رقد جثمانه الى يوم الدين .

طلحـــة الخير

طلحة بن عبد الله من أصحـــاب رسول الله ، وكان أكثر المسلمين ثراء وأنماهم ثروة ، وكانت ثروتـــه كلها فى سبيل الله . كان ينفق منها بغير حساب ، وكان الله ينميهـــا له بغير حساب ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بـــ (طلحة الخير) و (طلحة الجود) و (طلحة الفياض)

حدثت زوجتـــه « ســـعدى بنت عوف » فقالت :

دخلت على طلحة يوما فرأيتـــه مهموما ، فسألته : ما شأنه ؟ فقال : المال الذى عندى قد كثر حتى أهمنى وأكربنى ، وقلت له : ما عليك أقسمه فقام ودعا الناس وأخذ يقسمه بينهم حتى ما بقى منه درهم .

رؤيا عبد الله بن عمر

قال عبد الله بن عمر رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن بيـــدى قطعة استبرق ، وكأننى لا أريد مكانا من الجنة الا طارت بى اليه ، ورأيت كأن اثنين أتيانى ، وأرادا أن يذهبا بى الى النار ، فتلقاهما ملك ، فقال : لا ترع ، فخليا عنى ، فقصت حفصة — أختى — على النبى صلى الله عليه وسلم رؤياى ، فقـــال : نعم الرجل عبد الله . لو كان يصلى من الليل فيكثر .

ومن ذلك اليوم الى أن لقى ربه لم يدع عبد الله قيام الليل فى حله ولا فى ترحاله .

وأهداه يوما صـــديق وعاء مملوءا ، وسأله ابن عمر : ما هذا ؟ قال : دواء عظيم جئتك به من العراق ، قال : وماذا يطيب هذا الدواء ؟ قال : يهضم الطعام . فابتسم ابن عمر وقال لصاحبه : يهضم الطعام .. انى لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عاما .

رمضان

دورة تدريبية على ضرورات الحياة الناجحة

للدكتور : أحمد الحجى الكردى

يعمد المسؤولون فى الدول المتقدمة المتحضرة الى عقد دورات تدريبية لجماعات كبيرة من المواطنين الذين يعنون بالقيام بمتطلبات المجتمع الذى يعيشون فيه من زراعة وصناعة وتربية وتعليم وحفظ أمن وغيرها ، وذلك بين حين وآخر من الزمن لضمان متابعة هذه الجماعات ما استجد من نظريات العلم وما استحدث من الوسائل الفنية التى تمكنهم من أداء خدماتهم والقيام بواجباتهم على وجه أمثل وبوقت أقصر وجهد أقل ، ولئلا تذهب تلك الجهود العلمية الكبيرة التى يبذلها العلماء والمخترعون فى شتى مناحى متطلبات الحياة هدرا ، فتكون حبرا على ورق وجهودا ضائعة فى الهواء كما هو الحال فى بعض البلدان المتخلفة حيث تضيع فيها الجهود العلمية الكبيرة التى كان يمكن أن تستغل ويستفاد منها فائدة كبيرة .

فتعقد هذه الدول المتقدمة دورات تدريبية للمدرسين فى فصل الصيف وفى أوقات الاجازات الطويلة يطلعون من خلالها على أحدث الطرق التعليمية التى ظهرت ، وأحدث وسائل الايضاح التى ابتكرت ، كما يطلعون على ما استجد من نظريات العلم المتعلقة باختصاصهم فيستفيدون من هذا كله فى مجال عملهم ويكون مردود انتاجهم أكبر ، وجهدهم الذى يصرفونه فى هذا السبيل أقل ، وبالتالى مقدار مساهمتهم فى بناء المجتمع الذى يعيشون فيه أعلى وأجدى وأوسع .

وقد نهجت هذا المنهج فى ميدان التدريس بعض الدول المتخلفة (النامية) أيضا فبدأت تعقد دورات تربوية فى فصل الصيف للمدرسين الذين لا يحملون مؤهلات تربوية ، وأثبت ذلك نجاحا وفائدة ملموسة أشاد بها كثير من المعنيين فى أمور التربية فى هذه الدول .

كما تلجأ الدول المتحضرة أيضا الى عقد دورات للعمال فى شتى الاختصاصات يطلعون من خلالها على أحدث الطرق التى يمكن لهم أن يستفيدوا منها فى مجال عملهم ، كما يتمتعون من خلال هذه الدورات ببعض المتع النفسية والجسمية وفقا لبرنامج يعد خصيصا لهذه الدورات ، وبذلك يتوفر لهؤلاء العمال معلومات نافعة وأساليب حديثة فى العمل مفيدة ، ونفسيات وأجسام قوية قادرة على متابعة العمل بهمة ونشاط تزول معه كل مترسبات العمل الماضى المضنى الذى لا بد وأن يكون نال من هممهم وأجسامهم .

كما يعمد المسؤولون فى تلك الدول الى عقد دورات تدريبية لأفراد القوات

المسلحة الذين انتهت خدمتهم الالزامية ، إذ تستدعيهم بين الحين والآخر للتاكد مناستدامة استعدادهم لخدمة بلادهم ولاطلاعهم على ما استجد لديها من أسلحة جديدة وأساليب قتال حديثة ، بل ان هذه الدورات لا تقتصر على من أنهوا خدمتهم الالزامية فقط ولكنها تتعداهم الى الأفراد العاملين الذين دربوا على أسس قديمة وأسلحة توفر للجيش افضل وأحدث وأجدى منها .

ومثل هذا يحدث للموظفين والفلاحين ، بل وللقضاة والمحامين وجميع أفراد الشعب العاملين فى مختلف حقول الخدمات الاجتماعية .

ويعتبر بعض العلماء أن عقد هذه الدورات والتنبه لها من معطيات الحضارة الحديثة ، ومن ابتكار الدول المتقدمة المتحضرة مما لم تعرفه دولة متخلفة ، ولم تأت به حضارة متقدمة على حضارتهم .

لكن هذا القول من العلماء (فى نظرى) غرور وجهل بالتاريخ وتطرف ذلك أن الشريعة الاسلامية التى جاءت بمنهج كامل للحياة ، وبنظام تام متكامل لكل متطلباتها أوضحت معالم هذا الاتجاه الذى يزعم البعض أنه جديد لم تسبق الدول المتقدمة الى مثله .

فهذا رمضان فرض الله تعالى صيامه على المسلمين المكلفين فى كل عام ، ومعلوم لدى جميع الناس على اختلاف أديانهم أن ذلك لم يكن إلا لمصلحة الصائمين أنفسهم فقط لأن الله هو الغنى المطلق سبحانه وتعالى .

وما رمضان فى حقيقته إلا دورة تدريبية للمؤمن ، ولكن لا على فن التدريس لأنه ليس خاصا بالمدرسين، ولا على فنون القتال لأنه ليس خاصا بالجنود وأفراد القوات المسلحة ، ولا على أساليب الزراعة والصناعة والتجارة .. لأنه ليس خاصا بالصناع والتجار والزراع ..

ولكنه دورة تدريبية على متطلبات الحياة الضرورية عامة ، تلك المتطلبات التى يحتاجها التاجر ضمن متجره وخارجه ولا غنى له عنها ، ويحتاجها المدرس عند قيامه بواجبه التدريسى وقبله وبعده ، ويحتاجها الصانع والفلاح والجندى .. فى أثناء عملهم وقبله وبعده على حد سواء .

هو دورة تدريبية للانسان بموجب صفته الانسانية على ما تتطلبه وتحتاجه هذه الصفة من أعمال وعلوم ومتطلبات كثيرة .

وقد أقام الله سبحانه هذه الدورة ونظم لها من البرامج ما يجعلها تستوفى كل حاجات الانسان فى الحياة لا تنقص منها واحدة وبايسر الطرق الممكنة وأقلها كلفة مما يجعلها مفتوحة أمام جميع الناس على حد سواء الغنى منهم والفقير ، والنسيب والحقير ..

ففى الصوم تدريب على الصبر ، وما أحوج الانسان الى الصبر فى حياته ، الصبر على طلب الرزق من طريقه الحلال رغم صعوبته وقسوته وتوفره من طرق أخرى ملتوية سهلة فى كثير من الأحيان ، والصبر على تحمل أذى الجار والصديق مع تيسر صده ومعاقبته والانتقام منه فى أحيان كثيرة ، والصبر فى احتمال صدمات الحياة ومصائبها دون أن تخور الهمة أو تنى العزيمة .. وأى شىء غير الصوم يصلح مدربا على الصبر على مشاق الحياة وهمومها ومعضلاتها ، فان الانسان اذا صبر علىترك طعامه وشرابه طوال يوم قد يمتد الى خمس عشرة ساعة أوأكثر أحيانا رغم توفره بين يديه ونظره اليه فهو على ترك أذى الجار عند قدرته عليه أصبر ،

وعلى تحمل أذى الصديق وفى الصمود عند سماع نبأ مفجع أصبر بالتاكيد ، لأن شهوة البطن من أشد الشهوات الانسانية قوة وعنادا اذا ما استثيرت أو هيجت وفى مضمون هذا المعنى قال النبى — صلى الله عليه وسلم : ((فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم)) (متفق عليه) .

وفى الصوم تدريب على اتباع النظام ، حيث أن على المسلم أن يبدأه فى لحظة معينة من اليوم هى طلوع الفجر الصادق ، ولا يجوز له أن يؤخره عنها ثانية واحدة كما يجدر به ألا يبدأ قبلها دفعا للمشقة الزائدة عن نفسه ، كما أن عليه أن يفطر فى لحظة معينة من اليوم هى غياب الشمس ولا يجوز أن يفطر قبلها ولو بثانية واحدة أيضا ، ويجدر به أن لا يؤخر الافطار عنها أيضا على وجه الأفضلية دفعا للمشقة الزائدة عن نفسه .

هذا النظام ما أحوجنا اليه فى حياتنا ، فى طعامنا أمنا من التخمة ، وفى نومنا توفيرا لصحتنا ، وفى مواعيدنا مع الآخرين وفاء بحق الانسانية والصدق علينا ، وفى دراستنا ورياضة جسمنا والترفيه عن نفوسنا .. وأى شىء أفضل من الصوم على الوجه المتقدم معلما للنظام ، فان من يلتزم باتمام الصوم الى غروب الشمس ويمتنع عن الطعام والشراب رغم حاجته اليه حتى لحظة معينة من اليوم لا يتقدمها بثانية واحدة هو على الالتزام بوفاء المواعيد .. أقدر دون شك .

وفى الصوم أيضا تهذيب للضمير وتربية للعواطف الانسانية النبيلة وترويض لمكارم الأخلاق وتصفية للنفس وتصعيد للميول . إذ بالصوم تضعف الحيوانية فى الانسان وتتالق الانسانية فيه ، فيتغلب العقل على الشهوات ويمسك بزمامها ويسيرها وفقا لمتطلباته الخيرة ، وهذه الحالة لا يشعر بها ويدركها على حقيقتها الا من مارس الصوم فعلا ، إذ هى حالة تعرف بالحس أكثر مما تدرك بالعقل ، فالطعام الكثير والرفاه الزائد يطلق للشهوات الحيوانية فى الانسان العنان مما يجعل من الصعب على العقل بعدذلك قيادتها والتحكم فى خط سيرها . وقد أشار الى هذا المعنى سيد الحكماء محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال مخاطبا الشباب : ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)) (متفق عليه) . وهذا المعنى الذى أشار اليه النبى — صلى الله عليه وسلم — أمر مشاهد ملموس ، ففى رمضان وحده يشعر الأغنياء بألم جوع الفقراء ذلك أن هذا الألم لا يعرف بالوصف ولكنه يعرف بالممارسة وأنى لهؤلاء الأغنياء المترفين أن يجوعوا مع قدرتهم وتمكنهم من الطعام والشراب طيلة العام لولا رمضان ، فاذا شعروا بذلك انطلقت أيديهم بالمعونة لهؤلاء الفقراء انطلاقا عفويا نابعا من أحاسيس النفس ، غير مفروض عليهم بقانون أو سلطة خارجية ، وما أحوجنا الى هذا الاحساس وهذا العطاء العفوى فى كل زمان ومكان .

كما نجد المنحرفين عن جادة الصواب ، الغائصين فى الموبقات يرجعون الى ربهم فى هذا الشهر الكريم ، ويتوبون الى بارئهم توبة نابعة من ضمير رباه الصوم ، واحساس أرهفه الجوع فى سبيل الله تعالى . فكم من شارب للخمرة هجرها فى رمضان ومن مرتكب للزنا اعتزله فى رمضان ولم يعد اليه ،

ومن تارك للصلاة عاد اليها فى رمضان ، وقاطع للرحم وصلها فى رمضان ..

وفى الصوم دروس فى التربية الصحية لا يستطيع غيره تأديتها ، فان أجهزة الجسم كلها وبخاصة جهاز الهضم تعمل فى البدن طيلة السنة ليل نهار ، لا تهدأ ولا تسكن عن الحركة ساعة واحدة ، وهذا العمل المتواصل الدائب مجهد لها بطبيعة الحال تحتاج معه الى فترة من الراحة تتمكن بها من متابعة الطريق الطويلة الممتدة على طول عمر هذا الانسان ، وأى طريق يؤمن لها الراحة التى تنشدها غير الصوم ، حيث ترتاح فيه المعدة والامعاء طيلة النهار على امتداد شهر كامل راحة تامة يستحيل أن تتوفر لها بغير الصوم ، وبراحة المعدة وما يلحق بها من أجهزة البدن ترتاح الاجهزة كلها كجهاز الدورة الدموية ، والجهاز العصبى .. نظرا لارتباط هذه الاجهزة ببعضها ارتباطا عضويا وثيقا .

وقد عرف الطب الحديث الصوم علاجا ووقاية لكثير من الأمراض المستعصية ، بل قرر كثير من الاطباء أن الصوم هو الدواء الوحيد لبعض الأمراض منها أمراض القرح المعدية وغيرها .

وليس كثيرا على البدن أن يرتاح شهرا كل عام من عناء مستمر يقوم به طيلة العام ، فهؤلاء الموظفون فى شتى أنحاء العالم يمنحون اجازة شهر كل عام للترويح عن نفوسهم والتخلص من آثار العناء الذى يقومون به فى عامهم ، وليتمكنوا من استقبال عملهم من جديد بجد ونشاط ، وهؤلاء الطلاب فى كل بقاع الدنيا يتوقفون عن الدراسة مدة تزيد على الشهر كل عام طلبا للراحة والاستجمام ، وكذلك الحال فى القضاة والأطباء والصيادلة والعمال وغيرهم .. وهم يقومون بأعمال أقل من الاعمال التى تقوم بها أجهزتهم الداخلية ، حيث أن هذه الأجهزة تعمل فى اليوم الواحد أربعا وعشرين ساعة وهم لا يعملون أكثر من ست ساعات أو تسع ساعات على الأكثر ، هذا بالاضافة الى أن عملهم هذا ما هو الا عمل وارهاق للاجهزة الجسمية التى يتألف منها البدن بطبيعة الحال .

وفى الصوم دروس كثيرة أخرى يضيق المجال عن تعدادها فى هذا المقال . ويكفينا تنويها بفوائده وضرورته أن نعلم أن الصوم كان شرعة الله لكل عباده مذ خلق آدم حتى بعثة محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو شرعة باقية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك مصداقا لقوله تعالى فى كتابه الكريم: ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (البقرة ١٨٣) وقول النبى — صلى الله عليه وسلم ((كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به)) (متفق عليه) .



بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق

للاستاذ أحمد التاجى

كان محمد معروفا بين قومه وبين الناس أنه لا يقرأ ولا يكتب كمعظم القرشيين . ولم يؤثر عنه أنه ادعى فى قومه الحكمة أو الشعر أو العرافة أو شيئا من هذا القبيل . حتى بلغ سن الأربعين . فإذا هو يفاجأ ــ وهو فى غار حراء يتحنث ــ (١) بشخص يهبط من السماء ، ويقول له : اقرأ .

هذه أول كلمة قالها جبريل للنبى (صلى الله عليه وسلم) حينما ضمه الى صدره على جبل حراء . والذى يستطيع القراءة هو الذى تعلم الكتابة . والنبى (صلى الله عليه وسلم) كما قدمنا لم يكتب ، ولم يقرأ .

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » (العنكبوت ٤٨) .

لذلك استغرب النبى (صلى الله عليه وسلم) أن يؤمر بالقراءة ، وهو لا يستطيعها .

ولكن جبريل كرر الأمر عليه ثلاثا . ثم قال له :

اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق .. » .

فعملية القراءة كانت للنبى (صلى الله عليه وسلم) يومئذ عملية خلق جديدة ، تشبه عملية خلق الانسان من علق . والذى استطاع خلق الانسان يستطيع خلق القراءة فيه بدون أن يتعلمها كالناس .

ولو كان عمل النبى (صلى الله عليه وسلم) حفظ ما يلقى عليه جبريل ثم ترديده من بعده ، لما خاطبه بلفظ اقرأ . ولكان أولى بأن يخاطبه بلفظ «اسمع» أو « احفظ » . أو « قل » . أو ما أشبه ذلك .

---

(١) يتعبد .

ولكنه افتتح خطابه بلفظ القراءة ، حيث كانت العملية عملية خلق وتصنيع فى القلب . حتى يقوم بها ، ويؤديها . فان قراءة الذى لا يكتب غير قراءتنا .

فأعيننا نحن تلتقط صور المقروء ، فترسلها الى مراكز الفكر ، فيتحرك اللسان بلفظ المقروء .

ويستطيع الوحى ان يطبع صور المقروء فى قلب نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيحسه الرسول بقلبه ويدركه ادراكا صحيحا واضحا ، ويتحرك لسانه بتلك الألفاظ والصور المطبوعة فيقرأ .

فالوحى عزل جهاز البصر عن عمله ، واحل محله البصيرة او القلب .

فصار القلب يتحسس ويقرأ ، ثم هو لا يخطىء كالعين . فما نقش فى القلب لا يعتريه الخطأ ، وقد يكون منقوشا بأحرف من النور . فهو يضىء فى نفسه ابدا .

قال تعالى :

((وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان . ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . وانك لتهدى الى صراط مستقيم)) (الشورى ٥٢) . فالروح هو القرآن ، وهو نور يهدى الله به نبيه ، وهو المقصود بقوله **((من نشاء من عبادنا))** . ونبيه (صلى الله عليه وسلم) يهدى به الناس الى صراط مستقيم . .

ثم إن النبى (صلى الله عليه وسلم) الذى نقش هذا النور فى قلبه لا يعتريه النسيان كما يعترى كافة الناس . قال تعالى :**((سنقرئك فلا تنسى))** (الاعلى ٦) . أى لا يجوز عليك النسيان ابدا .

وما دام الأمر كذلك . فهو يقول له : **((لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه))** . أى لا تتعجل حفظه بتحريك لسانك به . فالله قد تكفل لك بذلك . لذلك اتبع بقوله : **((فاذا قرأناه فاتبع قرآنه))** (القيامة ١٨) .

ومعنى قرأناه : جمعناه فى قلبك وطبعناه . فاتبع قرآنه : أى اقرأ ما طبعناه فيك . فالعملية قد تكفل بها المولى عز وجل ، وتكفل بصيانتها من الخطأ واللبس على توالى الزمن . فلا تلتبس آية بآية ، وكثير منها المتشابهات لفظا ومعنى . ولا يختلط لفظ بلفظ . لأنها كاشرطة مسجلة من النور مطبوعة فى قلب منير .

قال تعالى : **((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))** . (الحجر ٩) .

اى لحافظونه فى قلب الرسول الأمين ، لا يفلت منه حرف ولا آية .

وما دام الله قد تكفل بحفظ كتابه فى قلب نبيه حق له أن يخلق قلب نبيه خلقا جديدا ، يختلف عن قلوب الناس حتى لا ينسى . وقد فعل .

فإذا ما تم نزول القرآن عليه رتبه فى قلبه آية بعد آية ، وسورة بعد سورة ، فيقدم الله ما شاء من الآيات ويؤخر ما شاء ، حتى يحكم الله آياته فى تلك السور . ثم يطبع ذلك فى قلب نبيه ، ويثبت فيه السور والآيات كما يشاء الخالق لا كما يشاء الناس .

((وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ، قالوا : إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق . .)) (النحل ١٠١ ، ١٠٢) .

وحين أتم الله كتابه على رسوله انزل عليه ((**اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا**)) (المائدة ٣) .

فكان ذلك خاتمة لقوله تعالى : ((**اقرأ باسم ربك الذى خلق ..**)) .
اى اقرأ بأمره وقدرته ، فهو الذى خلق هـــذا الخلق فيك ((**إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**)) (يس ٨٢) .

يقولها بالأمر فيستجيب له كل شىء . فالأمر أمر تكوين .

قاله للنبى الأمى اقرأ . وظن محمد انه لا يستطيع أن يفعل . ولكن قلبه استجاب للحق جل وعلا فقرأ .

وكانت تلك معجزة كبرى وقف الناس حيالها مدهوشين . سائلين أنفسهم كيف يجمع محمد (صلى الله عليه وسلم) القرآن كله فى قلبه . ثم لا يلتبس عليه شىء من آياته . وإن احدنا ليحفظ منه السورة والسورتين ، فيختلط عليه لفظ بلفظ ، وآية بآية . ؟!

ومرت الألوف من السنين ، ورأينا قوما يقرءون لا بأعينهم ولكن بما تلمسه أصابعهم من إشارات وعلامات . ورأينا هؤلاء يتعلمون ويتخرجون فى الجامعات وَيشاركون فى العلوم ومعارف أقوامهم ، ولم يعقهم عن ذلك عجز أبصارهم . فهم يقرءون لا يحفظون ما يلقى عليهم ، ويرددون ما قيل لهم .

هؤلاء يتلمسون بأناملهم ما كتب لهم ، وتقول لأحدهم : اقرأ . فيقرأ .

وشتان ما بين قدرة الانسان الذى علمهم ودربهم على القراءة ، وقدرة الذى أحسن كل شىء خلقه .

هؤلاء دربوا أناملهم فقرأت — والله سبحانه صنع فى قلب نبيه صنعا فقرأ .

وهؤلاء قد يضلون إذا قرءوا ويخطئون . وليس كذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) .

فالله ((**علم الإنسان ما لم يعلم**)) (العلق ٥) .

قال تعالى : ((**وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما**)) (النساء ١١٣) .

فالله سبحانه علم البشر بالقلم . وعلم نبيه بما صنع فى قلبه . وكان فضل الله عليه اكبر . وكان تعليمه له أتم وأوفى .

وكان قلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو محل الأنوار الربانية ، التى جعلت من النبى (صلى الله عليه وسلم) إنسانا قريبا من السماء ، بعيدا عن الارض .. يصلح أن يلقى فيه الروح الأمين ما شاء من آيات الله . فيلتقى فيه العالم النورانى بالعالم الارضى . ويصلح أن تتراءى فيه مشاهد من المـــلأ الأعلى . فيتحدث عنها الرسول ، وكأنها أمام عينه ، فيرى ما لا يراه الناس ، ويسمع ما لا يسمعون .

((**قل هو نبأ عظيم . أنتم عنه معرضون . ما كان لى علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون . إن يوحى الى الا انما أنا نذير مبين**)) . (ص ٦٧ — ٧٠) .

ويصلح لأن يسبح فى الأفق الأعلى مع جبريل عليه السلام ، فيرى عوالم من ملكوت الله فى السموات العلى ليلة الإسراء والمعراج . لم يرها الناس . ولم يسمعوا بها . ويحدثهم عنها حديثا صادقا ، فقد رأى بفؤاده الذى فطره له ربه و ((**ما كذب الفؤاد ما رأى**)) . (النجم ١١) .

ولو أن قلبا غير قلبه لم تجر فيه عملية الخلق ، وشاهد ما شاهده قلب الرسول لصعق من هـول ما رأى . ولكن الله سبحانه **« يزيد فى الخلق ما يشـاء »** (فاطر : ١) .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير آيات النور :

« الله نور السموات والارض . مثل نوره كمشكاة فيها مصبـاح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار . نور على نـور . يهدى ىالله لنوره من يشاء .. » (النور ٣٥) .

يقول : مثل نوره . اى مثل نبيه (صلى الله عليه وسلم) فالنبى (صلى الله عليه وسلم) قد اكتملت فيه الهداية فهو نور الله . ثم يقول : والمشكاة مثل لذات الرسول البشرية ، وهيكله الجسـمانى الذى يشبه هياكل النـاس . والمصباح مثل لفؤاده اللطيف ، وما فيه من نور الهداية والطاعة . والشجرة المباركة مثل لنفس محمد وروحه ، فهى تمد المصباح بزيت وضاء لا ينتهى ، وقد بلغت من الصفاء والطهارة ما كادت تنقدح منها أنوار الهداية من نفسها ، وذلك قبل أن يبعث رسولا . فلما وصلتها الهداية ومستها أنوار الله فصار نبيا ، كان نورا على نور .

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « الا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله . الا وهى القلب » ..

لذلك كان قلب نبينا (صلى الله عليه وسلم) موضع رعاية المولى عز وجل ، صنعه على عينه ، وطهره من حظوظ الدنيا منذ طفولته ، وأخرج منه النكتة السوداء التى ترمز الى حظ الشيطان من بنى آدم . وكان ذلك منة من الله على نبيه : « ألم نشرح لك صدرك ؟!) .

وحينما أراد الله تعالى أن يزيد فى نعمته على عبده ، ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فتح فى قلبه آفاقا واسعة من العلم والمعرفة ، فصار يرى ويشاهد ويسمع أكثر مما كان قبل ذلك . فقد شف الحجاب الذى كان بينه وبين الملأ الأعلى ، حتى إنه كان يلقى نظرة على الدنيا فيبصر ما فيها من الأحداث ويلقى بالأخرى على العالم المسـتور ، فتتكشـف له الحجب ويبصر بعض الأسرار ، فكان الفتح المبين فى قلبه لا فى بلدان افتتحها ، أو مغانم دنيوية حازها المسلمون وقد تمثل بعض ذلك فى قوله :

: « والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا .. أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون ! اطت السماء وحق لها أن تئط . ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك ساجد لله !! » .

ويقول فى الأحداث التى رآها تنزل فى المسلمين من بعده ، وكأنه يراها بعينه :

« إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر . »

أى ستنزل بالمدينة أحداث تعمها كالمطر المتساقط ، لا يترك منها بقعة ناجية .

هذا ما صنع الله فى قلب رسوله منذ قال له : **« اقرأ باسم ربك الذى خلق .. »** . صلى الله عليه وسلم .. ؟

أنواع الصيام في الإسلام



للدكتور محمد الدسوقى

١ ـ ان الصيام فى الاسلام من حيث دلالته الشرعية نوع واحد ، اذ هو الامساك عن المفطرات من طعام وشراب وغيرهما مما يفسد الصيام مع اقتران النية به من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، ولكنه من حيث الفرضية وعدمها ينتظم خمسة أنواع تحدث عنها جميعها القرآن الكريم حديثا مجملا يقوم على المزج بين الاحكام التكليفية ومعانى الترغيب والترهيب ، وهى ظاهرة ينفرد بها الكتاب العزيز ، وتضفى على أحكامه طابعا خاصا يتميز بالهيبة والمراقبة ورعاية أدائها ، ايمانا بها ، وخشية من الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور .

٢ ـ وهذه الانواع الخمسة هى :

١ ـ صيام الفرض .
٢ ـ صيام القضاء .
٣ ـ صيام الكفارات .
٤ ـ صيام النذر .
٥ ـ صيام التطوع .

٣ ـ وصيام الفرض هو صيام شهر رمضان ، وقد فرضه الله على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة ، وعلى الراجح فى شهر شعبان من تلك السنة* .

وقد ثبتت فرضية هذا الصيام بالكتاب والسنة والاجماع ، قال الله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من**

* أنظر البداية والنهاية لابن كثير

قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة ١٨٣) ، والقرآن الكريم يستعمل فعل (كتب) بمعنى شرع وفرض وهو من المعانى اللغوية للكلمة **« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى »** (البقرة ١٧٧) **« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم »** (البقرة ٢١٦) ، بل ان التعبير بفعل **«كتب» لا** يفيد فرضية الصوم فحسب ، بل يفيد كذلك قوة هذه الفرضية وتأكيدها وشدة العناية بها ، وأنه لا يجوز اغفالها ، ويرمى العرب الى هذه المقاصد جميعا حين يستخدمون هذا الفعل بهذه الصيغة فى كلامهم ، على أن فى هذه الآية توكيدا آخر لفرضية الصيام وهو افتتاحها بنداء المخاطبين : **« يأيها الذين آمنوا .. »** وذلك أن النداء فى اللغة العربية اذا سبق طلبا كان دالا على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه .

٤ — وكما ثبتت فرضية صيام رمضان بما جاء فى القرآن الكريم ثبتت فرضيته كذلك بما جاء فى السنة النبوية فى عدة أحاديث منها ما روى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج »

وثبتت فرضيته كذلك بعمل الرسول واجماع الصحابة والمسلمين ، ولذلك يكفر جاحده ومُنكر فرضيته ، وان كان مسلما يحكم بردته عن الاسلام ويعامل معاملة المرتدين* .

ويجب صوم رمضان بأهلية التكليف وبشرط الخلو من الاعذار المبيحة للافطار ، مثل السفر والمرض والهرم والحيض والنفاس .

٥ — وأما صيام القضاء ، فهو الصيام الذى يجب أداؤه بسبب الافطار بعذر فى رمضان ، **«فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »** .

ولا يجب فى صيام القضاء تتابع ، قال ابن العربى : « وانما وجب التتابع فى الشهر (اى رمضان) لكونه معينا ، وقد عدم التعيين فى القضاء فجاز بكل حال » .

ويستحب لمن عليه قضاء أن يبادر به ليتعجل براءة ذمته ، ويجوز تأخير أيام القضاء — اذا اقتضت ضرورة — الى شهر شعبان التالى ، لما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كان يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن اقضيه الا فى شعبان ، للشغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو برسول الله صلى الله عليه وسلم (أخرجه البخارى ومسلم) .

٦ — ولكن اذا أخرت أيام القضاء الى ما قبل رمضان التالى بقدر تلك الأيام وجب القضاء فورا ، فاذا جاء رمضان الثانى ولم تصم تلك الأيام ، اثم المفطر ، وكان عليه مع القضاء الفدية عن كل يوم أخره وقدرها وجبتان مشبعتان .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق من أخر أيام القضاء الى ما بعد رمضان الثانى قال : « من أدرك رمضان وعليه من رمضان شىء لم يقضه لم يتقبل منه ، ومن صام تطوعا وعليه من رمضان شىء لم يقضه فانه لا يتقبل منه حتى يصومه » والمعنى أن صيام رمضان الثانى لا يتقبل ممن أخر أيام القضاء ، وذلك من باب التهديد ليسارع الناس الى قضاء ما فاتهم قبل حلول رمضان الثانى ، فليس المقصود نفى قبول

*** الصوم والاضحية للدكتور على عبدالواحد ص ٣٧ .**

صيام رمضان الثانى ، ولكنه التهديد فحسب .
أما من مات وعليه صــــوم من رمضان فولى الميت ـــ وهو كل قريب له وان لم يكن وارثا ، وقيل : يختص بالوارث ـــ مخير بين الاطعـــــام والصيام عن الميت ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » (أخرجه البخارى ومسلم وأحمد) .
وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سئل النبى صـــلى الله عليه وسلم عن رجل مات وعليه صـــوم شهر ، قال : « يطعم عنه كل يوم مسكين » (أخرجه البيهقى) .
٧ ـــ وصيام الكفارة* يلزم فى الامور الآتية :
١ ـــ ارتكاب بعض المحظورات فى فترة الاحرام وعدم قدرة المتمتع على تقديم هدى لا عساره ، وكذلك المحصر : **« وأتموا الحـــج والعمرة لله ، فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منــكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المســجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شـــديد العقاب »** (البقرة ١٩٦) . **« يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصـــيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره ، عفـــا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام »** (المائدة ٩٥) .
٢ ـــ القتل الخطأ وما فى حكمه **« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما »** (النساء ٩٢) .
٣ ـــ الحنث فى اليمـــــين ، **« لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته اطعام عشرة مســـاكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كســـوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصـــيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمـــانكم اذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشــــكرون »** (المائدة ٨٩) .
٤ ـــ الظهار ، وهو قول الرجل لزوجتـــــه : أنت على كظهر أمى **« والذين يظاهرون من نســـائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصـــيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورســوله ، وتلك حدود الله وللــكافرين عذاب اليم »** (المجادلة ٣ ، ٤) .
٥ ـــ الافطار العمد فى رمضـــان بدون عذر فى رأى بعض الفقهاء ، لأن الذى يتعمد الافطار قد ارتكب اثمين : : اثم العمد ، واثم ضياع يوم مفروض ، فوجب تشديد الجزاء

*** تكفير الشىء : ستره ، وسمى الزارع كافرا ، لستره البذر بالتراب ، قال تعالى : « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ، فالكفارة سميت بذلك لانها تستر الذنوب ، اى تمحوها .**

عليه حتى لا يعود الى ما فعله مرة أخرى ، وحتى يبقى لشهر الصيام حرمته وقدسيته ، فكان عليه مع القضاء الكفارة .

اما الافطار بالجماع فقد أطبقت كلمة الأئمة على أنه يوجب القضاء والكفارة بشرط أن يكون الصائم عامدا مختارا عالما بالتحريم .

والكفارة الواجبة فى الافطار العمد هى : عتق رقبة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا .

٨ — وصيام الكفارة قد يجب على التخيير ، وقد يجب على الترتيب ، ففى ارتكاب أمر محظور مثل قتل الصيد فى الحرم ، يخير المحرم بين الذبح والاطعام والصيام ، وفى التمتع والقتل الخطأ والحنث فى اليمين والظهار والافطار العمد بدون عذر يجب الصيام على الترتيب ، بمعنى أنه لا يجب الا بعد العجز عن القيام بما أمر به أولا من عتق رقبة او دفع دية أو اطعام .. الخ .

ويلاحظ أن هذا الصيام فى حالات القتل الخطأ والظهار والافطار العمد أمر به فى صورة تشعر بجسامة جريمة القتل ولو كانت خطأ ، وأن الاسلام قد حارب الأعراف الجاهلية حربا لا هوادة فيها ليحل محلها أعرافا صالحة تحقق للمجتمع القوة والعزة والطهارة ، وان شهر رمضان له حرمته المقدسة التى يجب أن ترعى ولا تنتهك .

٩ — وصيام النذر ، صيام يفرضه المسلم على نفسه تقربا الى الله وشكرا على ما أنعم به ، فاذا نذر مسلم صيام يوم معين او أيام معينة وجب عليه صيام هذا اليوم ، او هذه الايام بالذات ، واذا أطلق ولم يحدد وجب عليه صيام ما نذره دون تقيد بزمن ، وهذا الصيام وجب بالأمر بايفاء النذر فى قوله تعالى : **« وليوفوا نذورهم »** (الحج ٢٩) .

ومن مات وعليه صيام نذر فحكمه حكم من مات وعليه صيام من رمضان ، وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، افأصوم عنها ؟ قال : أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟ قالت : نعم ، قال : « فصومى عن أمك » (أخرجه البخارى ومسلم) .

١٠ — وأما صيام التطوع فهو صيام يؤدى نافلة ، فليس مفروضا ، غير أن المسلم المؤمن يصوم تقربا الى الله وطمعا فى عفوه ورضاه ، وتأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « كان رسول اله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر الا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما منه فى شعبان » (أخرجه البخارى ومسلم) وهذا الصيام يباح فى جميع شهور العام ، بيد أنه يحرم فى بعض الايام ، ويكره فى بعضها الآخر ، ويكون مستحبا ومندوبا فى أيام خاصة .

١١ — فيحرم صيام يومى العيدين ، لأن صيامهما يتنافى مع معنى العيد فيهما ، وقد روى عن أبى سعيد الخدرى قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الفطر والنحر (أخرجه البخارى ومسلم) .

ولنفس المعنى الذى حرم من أجله صيام العيدين حرم صيام أيام التشريق الثلاثة* ، وهى الأيام التى تلى يوم

*** سميت أيام التشريق ، لأن الحجاج كانوايشرقون فيها لحوم الهدى والاضاحى ، اىينشرونها .**

عيد الاضحى، وكذلك يوم عرفة للحاج لما رواه ابو هريرة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن حذافة يطوف فى منى ويصيح فى الناس : « لا تصوموا هذه الأيام » يعنى أيام التشريق ، ولما رواه أيضا قال : نهى رسول الله عن صوم يوم عرفة بعرفة * .

ومن الأيام التى يحرم صومها يوم الشك ، وهو آخر يوم من شعبان ، وسمى كذلك لكثرة ما يشك فيه عند تبين الهلال ، هل هو من شعبان أو من رمضان ؟ وعن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : «لا يتقدمن احدكم رمضان بصوم يوم أو يومين الا أن يكون رجل كان يصوم صوما فليصم ذلك اليوم » (أخرجه البخارى ومسلم) .

وحكمة النهى عن صوم يوم الشك أن الصـيام لا يجب الا بالرؤية أو باكمال شـعبان ثلاثين يوما ، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن فى ذلك الحكم فضلا عن أن ذلك قد يكون ذريعة الى اختلاط النفل بالفرض وزيادة أيام غير مفروضـة ربما أكسبها مرور الزمن وتوارث صيامها حكم الفرضية ، ولكن صيام هذا اليوم يجوز اذا جاء موافقا لقضاء فائت أو وفاء نذر أو عدة كفارة ، لأن صيامه فى مثل هذه الحـالات لا بأس به وليس من استقبال رمضـان فى شىء .

١٢ ـ وأما الأيام التى يـكره صومها ، فمنها افراد يوم الجمعة أو يوم السبت بالصوم ، لـما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان يوم الجمعـة يوم عيد ، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا أن تصـوموا قبله أو بعده » وروى عن عبد الله بن بسر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض الله عليكم ، فان لم يجد أحدكم الا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضـغه » (أخرجه أبو داود والترمذى) . أى لا تفردوا يوم السبت بالصـوم الا اذا كان موافقا لقضاء فائت أو نذر مثلا .

والسر فى النهى عن افراد يوم السبت أن اليهود تعظمه فيكون فى افراده بالصوم تشبه بهم ، وقد نهينا عن التشبه بهم .

١٣ ـ ويكون صـيام التطوع مستحبا فى الأيام التالية :

يوم عرفة لغير الحاج ، لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : صيام يوم عرفة ، انى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده » (أخرجه مسلم والنسائى) .

ويوم عاشوراء ، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما رايت النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره الا هذا اليوم ـ يوم عاشوراء ـ وهذا الشهر ـ يعنى شهر رمضان (أخرجه البخارى ومسلم) .

وستة من شوال لما روى عن أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ، ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر » (أخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه) .

ويوم الاثنـين والخميس من كل اسبوع ، لما روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صـيام الاثنين والخميس (أخرجه الترمذى والنسائى) .

وهناك أيام غير تلك التى ذكرت وردت روايات باستحباب صيامها ، ومع هذا فان صيام التطوع اذا كان مندوبا فى بعض الأيام ، فانه فى كل الأيام ـ عدا ما يحرم أو يكره صيامه منهـا ـ عبادة مشروعة وطاعة

* أكثر أهل الفقه على أن صوم يوم عرفة للحاج مكروه (الوعى الاسلامى) .

محمودة وعمل صالح يهدى الى الخير والبر .

١٤ — ولأن الصيام قد فرضه الحق تبارك وتعالى لحكمة مقدسة ، وهى تطهير النفوس والسمو بها الى آفاق عليا من الصفاء والنقاء والمراقبة الدائمة لله ، ولأن رحمة الله بعباده لم تجعل هذه الفريضة تعذيبا للجسم ولا ارهاقا للنفس ، لهذا وغيره رخص فى الافطار فى الاحوال التى يقترن فيها الصوم بمشقة شديدة لا تقوى معها الاجسام على احتمال الصوم من غير ارهاق ، وكان الوصال فى الصيام فرضا كان أو تطوعا منهيا عنه كما كان صيام الدهر فى التطوع منهيا عنه كذلك ، وقد روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أقول : لأقومن الليل ، ولأصومن النهار ما عشت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت الذى تقول ذلك ؟ فقلت : قد قلته يا رسول الله . فقال : انك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر ، قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك ، قال : صم يوما ، وأفطر يومين . قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله ، قال : صم يوما وأفطر يوما ، وذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أعدل الصيام . قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك ، قال : لا أفضل من ذلك ، قال عبد الله : لأن أكون قبلت الثلاثة الايام التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من أهلى ومالى (أخرجه البخارى ومسلم والنسائى)

فهذا عبد الله بن عمرو حين علم الرسول أنه قد عزم على قيام الليل وصيام النهار طول عمره أرشده الى ما يجب أن يفعله فى العبادة ، وكان عبد الله وقت أن جرى بينه وبين الرسول ذلك الحديث شابا فتيا ، وظن أن صيام كل يوم أفضل من صيام يوم وافطار يوم ، ولكن الرسول بين له أن أعدل الصيام هو صيام داود عليه السلام لأنه وسيلة الى القدرة على الاستمرار فى العبادة ، ولذلك ندم عبد الله بعد أن كبر وضعف عن دوام العبادة التى تمسك بأدائها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الا فليعلم الغلاة والمتشددون أنه لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه ، وان الانسان فى عبادة مستمرة حتى فى ساعات نومه ولهوه المباح ما دام القصد من كل ما يفعله طاعة الله ورضوانه .

١٥ — واذا كانت النية واجبة فى صيام الفرض قبل الفجر فليست فى التطوع بواجبة ، وكان الرسول عليه السلام يصبح غير قاصد الصيام فلا يجد فى بيته الطعام فيصوم ، كما أن النسيان فى صيام التطوع يفسده بخلافه فى صيام الفرض لدى بعض الفقهاء ، ويجوز الافطار فى صيام التطوع ، لما روى عن أم هانىء رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصائم المتطوع أمير نفسه ان شاء صام وان شاء أفطر » (أخرجه أحمد والترمذى والحاكم) .

وما دام الصائم المتطوع أمير نفسه أو أمين نفسه كما جاء فى رواية أخرى فانه حين يزور أو يزار يلزمه الفطر ليشارك ضيفه أو مضيفه فى الطعام والشراب ، وهذا لون من الأدب الاسلامى يدل على نظرة سامية الى العلاقات الاجتماعية ، ويؤكد أن الاسلام دين ذوق وأدب وأخلاق رفيعة تحترم المشاعر والأحاسيس .

روى عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال : صنعت لرسول الله

صلى الله عليه وسلم طعاما فأتانى هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : انى صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعاكم أخوكم وتكلف لكم » ثم قال : « أفطر وصم مكانه يوما ان شئت » (أخرجه البيهقى) .

وكما يحرص الاسلام على توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين ، فانه يحرص كل الحرص على أن تكون العلاقة الزوجية قائمة دائما على الامتزاج والتلازم والمحبة والتعاون فى السراء والضراء ، ومن ثم كان صيام المرأة تطوعا وزوجها مقيم معها حراما الا اذا أذن لها ، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوما من غير رمضان الا باذنه » (أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه) .

وفى الحديث دلالة على أن الاسلام يحمى العلاقة الزوجية من كل ما قد يسىء اليها ، ولو كان عملا مندوبا ، وعلى أن حماية هذه العلاقة طاعة لا يقل ثوابها عن ثواب الصائمين ، ولهذا كان أبغض الحلال عند الله الطلاق .

١٦ — وبعد فان الصيام الذى كتبه الله علينا كما كتبه على الذين من قبلنا سبيل لتربية التقوى فى نفس المؤمن ، فهو عبادة سلبية ليس لها مظهر خارجى ، وهذه السلبية تمثل عنصر المراقبة الصادقة فى ضمير المؤمن بحيث يصبح مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة ، وقد قال أبو حيان فى البحر المحيط : للصوم فائدتان : رياضة الانسان نفسه عما تدعوه اليه من الشهوات ، والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع .

وتلك اشارات مجملة الى أنواع الصيام فى الاسلام ، ومنها يبدو أن الصيام عن الكلام الذى جاءت الاشارة اليه فى سورة مريم فى قوله تعالى : « **انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا** » (آية ٢٦) . هذا الصيام غير جائز فى الاسلام ، لأن فيه تعذيبا للنفس ، والله أرحم بعباده من أن يفرض عليهم ما فيه اعنات لهم أو تضييق عليهم ، فضلا عن أنه لا يحقق رسالة الصيام كما فرضها الاسلام .

كذلك يبدو من تلك الاشارات أن الصيام وهو عبادة مفروضة فى شهر رمضان قد جعله الله فى غير رمضان طاعة يتقرب بها المؤمنون الى الله ، وجعله أيضا بابا من أبواب تكفير بعض الذنوب .. ليكون أمام المذنبين مجال رحب لتطهير أنفسهم وتزكية أرواحهم ، وذلك فضل من الله ورحمة والله ذو الفضل العظيم .



للدكتور/ابراهيم على شعوط

— ١ —

نزول القرآن فى هذا الشهر :

شهر رحلة روحية يقطعها المؤمن ذهابا الى ربه محاولا بكل امكانياته التخلص من سيطرة المادة ، ويجد المؤمنون فيه لذة كبـــرى للركون الروحى والاحساس النفسى بأن تلك العبادة تنزيه للبدن وسمو به فى آفاق الروح الخالدة مع بارئها فى شوط طويل من العبادة والتبتل والتخلص من الثقل المادى فتنطلق الروح فى آفاق تتلاشى عندها كل الشهوات واللذات .

ولعل هذا الشهر قد اختصه الله — من حيث وضعه الزمنى — بخصائص لا تكاد توجد ، بل لا تكاد تدرك الا فى هذا الشهر . ثم جعلها المولى سرا من اسراره ، وخاصة من خواصه فاختار زمان شهر رمضان ليكون فيـــه مطلع النور ، ومنه مصدر وميض البرق الذى بدد الضلال والظلام الملتصق بالارض والسماء وجعل وجوه العالم كلها تشرق فيه حين اشرقت فى سماء رمضان آيات القرآن الكريم الذى نزل على رسول رب العالمين (**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) .

فى الغار المظلم فى جبل حراء انقدحت أول شرارة اضاءت فى آفاق مكة وأرسلت شعاعها الخالد الى كل انحاء العالم . فكانت الكلمة الأولى هى الخطوة الأولى فى سبيل العلم والمعرفة دفعت البشرية كلها الى طرق أبواب العلم بكل امكانياته .

في رمضان

دعوة دوى رجعها فى جنبات العالم حين قال الله لرسوله اللاجىء اليه فى غار بعيد مظلم يلتمس منه الهدى والمعرفة (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) .

للشهر العظيم سر وللصوم فيه معنى يدركه الذين تجردوا عن شهواتهم وكبتوا كل رغباتهم فى سبيل الله حتى صارت رائحة أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك ، وهناك من قصار النظر من يعتقد أن شهر رمضان فترة زمنية يخلد فيها المسلمون الى الكسل ويعترى عزائمهم الفتور والضعف . ومما يؤسف له حقا أن هذا الخاطر يسرى فى عقول الكثيرين من أبناء الأمة الاسلامية فيجعلون من رمضان شهر النوم والبطالة والكسل ويلتمسون مبررات لاهمالهم وتقصيرهم فى أداء واجبهم . ونحن فى هذا المقال نعرض للمسلمين شهر رمضان ونطوف معهم فيه بمواكب النصر التى حققها الصائمون فى رمضان ونكشف سر الطاقة الروحية التى قهرت الأحداث والأعداء وخلقت فى أمة الاسلام روحا وثابة تصل الى غاياتها فى عزة الصائمين وكرامة المؤمنين .

باستعراض الحوادث الكبرى ، والمواقف الحاسمة فى التاريخ نجد أن المولى جل جلاله عندما يريد النصر لأوليائه يختار لهم الزمان والمكان اختيار الذى وضع سره فى اقتران الزمان بالمكان ليحقق الوعد الذى وعد والنصر الذى يرفع به هامات أوليائه وينشر به دينه ويؤيد به الحق الذى جاء على لسان رسوله .

— ٢ —

موقعة بدر :

كان الزمان الذى دبرته العناية الالهية لمعركة بدر شهر رمضان حيث كان كل مسلم فى عبادة روحية لا يشوبه فيها رياء ولا يفارقه فيها الاخلاص فى صيام وحرمان يسد منافذ الجسد المطلة على الشهوات ويهتك الحجب الكثيفة التى تحجب الأنوار ، ويفسح المجال أمام الروح لتنطلق من قيود المادة وتسبح فى آفاق عليا لا يصل اليها الا من أضناه الجوع والعطش لله وفى الله . .

موقعة لم يحدد المسلمون زمانها ولا مكانها ولكن الله هو الذى حـــدد الميعاد فقال لنبيه : (**ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا**) ..

من أجل الزمان الذى حدثت فيه هذه الموقعة الكبرى لم تكن منزلة بدر بين حوادث التاريـــخ أنها معركة حربية انتصر فيها فريق على فريق ، أو لأنها انجلت عن عـــدد من القتلى وجملة من الأسلاب فكم من معارك حربية كان حصارها من القتلى آلافا ومن الاسلاب والغنائم ما لم يخطر على بال .

وانما أخذت موقعة بدر مكانها فى التاريخ ــ بزمانها الذى اقت لها ومكانها الذى التقى فيه طرفاها ــ لانها قلبت الميزان السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى جزيرة العرب ، وانتزعت السيطرة من اليد التى كانت فيها ووضعتها فى يد الصفوة المنتصرة من المؤمنين .

واصبح الزمن كله ــ من يومها ــ مدينا لهذه الغزوة لانها وضعت أساس دولة جديدة على أنقاض نظام منهار ، وسارت بركب الانسانيـــة فى طريق الهدى والنـــور ، ولقنت العالم كله مبادىء لم تكن لتخطـــر لأحد من البشر على بال ..

وكان المكان بدرا بين العدوة الدنيا والعدوة القصوى وكـــان موقف المؤمنين بالعدوة الدنيا حيث كانت الأرض ثابتة تحت اقدام الصائمين وكـــان الماء تحت سيطرتهم وحدهم وكان مكان رسول الله على شرف عـــال يدير منه المعركة ويتلقى توجيهات ربه الذى يدير له الموقعة ويتولى عنه دحر أعدائه الذين اعتزوا بكثرتهم ويسجل عليهم الخزى أمام العالم كله .

زمان مختار فى شهر مبارك ومكان منتقى لتدور المعركة فيه كما أراد خالق الزمان والمكان ، منّ عليهم بالنوم قبل الموقعة وانزل عليهم مطرا طهرهم به واذهب عنهم رجز الشيطان ووطأ الارض وصلب به الرمل وثبت الأقـــدام (**اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام**) .

ضراعات الى الله من أفواه الصائمين المعطرة بخلوف الصيام واستغاثات من المسلمين الذين هم فى طاعة مولاهم منطلقين الى رضا رسول الله يقدمون أرواحهم فداء للنداء الموجه اليهم من ربهم (**واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم**) ..

لما كانت الضراعات الموصولة بالسماء من القلوب الصائمة والبطـــون الجائعة تصل الى الملأ الأعلى فى تجاوب واخلاص أجاب المولى هذه القلوب الخاشعة الضارعة بقوله (**إنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين**) كما أوصى المدد الملائكى بقوله لهم (**انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب**) ثم يبـــالغ المولى فى نصرة الصـــائمين وإمدادهم بإمكانات النصر كلها بعدما تبين من طهارة قلوبهم بالحرمان من شهوات نفوسهم وجهارة أصواتهم بالدعاء فيقول لرسوله وحبيبه فى حومة الوغى واشتداد المعركة ؟ (**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ؟ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**) .

من سياق هذه الآيات تتبين عناية الله بالصائمين المقاتلين فى بدر وفى قلة من العدد وان كانوا قد سموا بأرواحهم وجردوا انفسهم من المادة بصيامهم فلم تعد المادة شيئا فى أعينهم وحلقوا بأرواحهم فى عالم التسليم والرضا بعد

أن رأوا بأعينهم منازلهم فى الجنة ورأى رسول الله مصارع الكفار فى المعركة ومواضعهم فى النار .

وفى منازل القرب من الخالق منزلة الشعور بالذل والإحساس بالضعف فمتى ذل العبد بين يدى ربه وهبه العزة على خصومه وذلك وصف القرآن للمؤمنين (**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**) .

ومن أجل هذا الذل الذى هو مقدمة العز وعلامة النصر قال الله لأهل بدر الصائمين فى المعركة الخاشعين فى العبادة الأذلاء فى الضراعة قال : (**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون**) .

وأى اكرام أعلى من ترتيب المولى لمواكب النصر فى شهر رمضان وفى الموقعة الأولى بين أوليائه وأعدائه ؟ أى اكرام بعد أن كانت عناية الله بالمعركة واضحة فى امداده أحباءه بألف من الملائكة مردفين ثم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ثم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

ان اختلاط الملائكة بالمؤمنين فى موقعة بدر لم يتم الا بعد أن تجرد المؤمنون من سيطرة المادة واغراء الشهوات وارتفعوا بأرواحهم الى صفوف الملائكة الذين وجدوا فى طهارة روحهم ، وفى مهارة رميهم ما جعل الضربات يلتقى بعضها ببعض حتى كان يكفى المؤمن أن يحرك سيفه فتجهز الملائكة على خصمه فاذا بالرؤوس تتطاير واذا بالصفوف تنهار ولم يدرك السر الا بعد أن أعلن الله للمؤمنين مشاركة الملائكة لهم فى المعركة .

— ٣ —

فتح مكة فى رمضان :

من يمن هذا الشهر ، ومن طهر الصائمين فيه ، ومن سمو الروح وتحليقها من مجالات ربانية تطلب منه العون وتبذل من أجله الروح تمت فى هذا الشهر أحداث كبرى وأعمال جليلة اكتسب فيها المسلمون النصر والظفر بطهارة الروح وبذل المهج عبادة لله وطلبا للشهادة واحساسا بحلاوة الجهاد والبطون خاوية والقلوب ظمأى فى سبيل الله .

لم تكن مجرد الصدفة هى التى جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بكتائب الاسلام وجنود الرحمن فى العام الثامن للهجرة وبعد مضى عشرة أيام من رمضان ويقرر فى نفسه عزما أكيدا على فتح مكة هذا الفتح الذى أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذى جعله مهوى أفئدة الناس أجمعين .

هذا الفتح الذى استبشر به أهل السماء ودخل الناس به فى دين الله أفواجا وأشرق وجه الأرض وزحفت جحافل الجيش الصائم لتدعو بسحرها وسرها أقواما ضالين الى هداية الاسلام .

تحركت الجموع مع رسول الله الى مكة فى الحادى عشر من رمضان وفى قلوبهم التيمن بشهر رمضان وفى نفوسهم الأنس بعبادة الصوم فكانوا كلما أغذوا السير وتقدموا انضم اليهم من سائر القبائل من يزيد فى عددهم ومنعتهم وسار على رأسهم رسول الله يفكر فى دخول البيت الحرام فى شهر الصيام من غير أن تراق قطرة دم واحدة .

وبلغ الجيش (مر الظهرن) قرب مكة وقريش لا تعلم شيئا عن هـذا الجيش الجرار وأمر الرسول بالفطر من شدة الحر .

وهناك في مر الظهران أخذت طلائع الراغبين في الاسلام تستقبل رسول الله في جيشه معلنة اسلامها . وكان للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله دور خطير في التمهيد لفتح مكة وتحقيق رغبة رسول الله في أن يتم الفتح بسلام من غير اصطدام أو إراقة دماء .

ومع ما استقبل به رسول الله من الرضا والتسليم فانه فرق الجيش الى مجموعات تدخل مكة من كل مداخلها دفعة واحدة ثم نزل عليه الصلاة والسلام بالحجون على مقربة من قبر خديجة وعمه أبي طالب وضربت له قبة هناك فلما سئل أيريد أن يستريح في بيته قال (كلا فما تركوا لي في مكة بيتا) ثم أجال بصره في جبال مكة وشعابها ومنازلها المبعثرة هنا وهناك وفي البيت الحرام الذي يقع من مكة في وسطها فلما وضحت في ذهنه هذه الصورة ترقرقت في عينه دمعة الشكر العميق للمولى سبحانه وتعالى ممزوجة بلذة النصر الذي حققه له ربه ، وأدرك أن مهمة القائد قد انتهت فركب من فوره ناقته القصواء وسار بها في مدارج صباه ، وذكرى طفولته حتى بلغ الكعبة فطاف بها سبعا على راحلته يستلم الركن بعصا في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة ففتح الكعبة ووقف الرسول على بابها ثم قال : (لا اله الا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) ثم تكاثر الناس حوله حتى امتلأ بهم المطاف فتلا عليهم قوله تعالى **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** ثم قال (الا كل دم أو مأثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج : يا معشر قريش : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

نفحات رمضان عطرت فم رسول الله فما يخرج منه الاعطر وما يفوح الا بالمسك فتجاوز عن جرائم قريش الماضية كلها ، وصفح عن كل ما تقدم من أعمالهم الرهيبة ، ومسح قلبه الصائم من آثارها كلها فلم يشترط عليهم شرطا للمستقبل ، ولم يسترد منهم حتى ممتلكات المهاجرين التي استولت عليها قريش عقب هجرتهم الى المدينة ، بل طلب من المهاجرين أن ينزلوا عن كل حقوقهم القديمة

فتحت مكة أبوابها للمسلمين الصائمين ، ولكنها حين رأت من رسول الله سماحته ونبل وكرم أخلاقه فتحت له قلوبها فكان هذا الفتح أجل وأعظم من أن تصل اليه سيوف المسلمين اذا كان اعتمادهم على السيوف وحدها ، فلانت قلوب ما كانت لتلين ، وتأثر قساة القلوب وغلاظ الأكباد بمبادىء الاسلام القويمة السامية .





رمضان بين اللغة والتاريخ

للاستاذ : عبد الله الكبير

تحتفى الامم الاسلامية ، وتبتهج فى أقطار الآرض عامة ، بهذا الشهر الجليل المنزلة ، الرفيع المكانة ، الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وكما يتبع الجد الناس ، فيرتفع بعضهم فوق بعض درجات ، وتقبل السعادة على بعض بنى الانسان ، فينالون منها حظا موفورا ، وشأنا مذكورا ، كذلك يسعد بعض الآيام من دون الأيام ، ويبرز بعض الشهور علما بين أخوته من أبناء العام ..

وانما يسعد اليوم أو الشهر لما تضمنه من حوادث جسام كان لها شأن فى انهاض أمة ، أو اعلاء كلمة دينها

فرمضان يظهر على الشهور جميعا بأنه الشهر الذى سطع فيه الهدى ونور الحق ، وانزل فيه القرآن الذى كشف عن النفس حجابها ، وقاد بنى الانسان الى خير طريق واقوم سبيل .. !

فهناء بنى الاسلام بالاسلام ، وهناء بشهر رمضان ، شهر الرحمة والاحسان .

ويطيب لى أن أقدم لإخوتى فى الاسلام ، على صفحات مجلتهم الغراء « الوعى الاسلامى »، بحثا لغويا فى الصوم ومدلولاته ، وما كان له من شأن عند أهل الجاهلية ، ثم أذهب بالحديث الى البحث فى الشهور العربية ، وما كان لها من أسماء فى القديم والحديث ، مع بيان علل هذه الآسماء وتمحيصها ، واختيار أسد الآراء فيها :

الصوم مصدر صام يصوم . ومن مصادره الصيام . وتقول : رجل صائم وصومان (بفتح الصاد وضمها)

وصوم على الوصف بالمصدر ، وهو مما يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع . وجمع الصائم : صوام وصيام وصُوَّم وصيم وصيامى وصيام ، ولعل الأخيرة هذه من الوصف بالمصدر ايضا .

والأصل فى هذه المادة انها بمعنى الامساك والامتناع ، فان جميع المعانى النوعية تدور حول هذا الأصل ، ففى قولنا : صام الرجل ، امتناع ، وفى قوله تعالى على لسان مريم : **(انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا)** امتناع ، لأن المراد بالصوم فى الآية الكريمة الصمت ، وهو امتناع عن الكلام ، وفى قولهم ، صام الفرس ، امتناع لأنه لم يطعم .. وكذلك فى قولهم : صام النهار ، اذا قامت شمسه عند انتصافه ولم تبرح مكانها ، وصامت الناقة اذا امسكت عن الدر .

ولما جاء الاسلام خصص الصوم بالامتناع عن شهوتى البطن والفرج فى وقت محدد .

ويرى بعض الباحثين أن الصوم بمعناه الاصطلاحى كان معروفا عند أهل الجاهلية ، فقد ذكر صاحب حجة الله البالغة أن قريشا كانت تصوم عاشوراء ، واحتج على ذلك بأحاديث مأثورة . وقيل أن صوم يوم عاشوراء مأخوذ عن اليهود . والصوم — على اى حال رياضة نفسية وجدت حيث وجد الزهد ومحاربة الشهوات وقد كان بالجاهلية كثير من الزهاد الموحدين الذين كانوا حنفاء يعبدون الله على دين أبينا ابراهيم — عليه السلام — كخالد بن سنان العبسى، وحنظلة بن صفوان وزيد بن عمرو ابن نفيل وغيرهم ..

واختلف اللغويون فى علة اشتقاق كلمة « رمضان » . وأصل هذه الكلمة ، وهو الرمض ، يدل على الحر أو شدته ، فقال بعضهم : انه مأخوذ من رمض الصائم يرمض اذا حر جوفه من شدة العطش . وقال صاحب القاموس — وقد انفرد بهذا التعليل — انما سُمِّىَ رمضان لأنه يحرق الذنوب ! ... ويرى أكثر اللغويين أنه انما سُمِّىَ رمضان لأن العرب حينما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ، لغة العرب العاربة : عاد وثمود وغيرهما ، سمَّوا الشهور بحال الأزمنة التى وقعت فيها عند هذه التسمية ، فاتفق انهم حينما ارادوا تغيير اسم « ناتق » كان الحرّ والرمض فى اشدّه ، فسموه رمضان !

والعلتان الأولى والثانية يستلزم قبولهما التسليم بأن العرب فى جاهليتهم كانوا يصومون رمضان ، أو بعضه ، وإلا فكيف تستقيم العلّة الأولى ، وهى أنه من رَمِض الصائم إذا حرّ جوفه من شدة العطش ؟! .. وكيف تستقيم العلّة الثانية ، وهى أن رمضان يحرق الذنوب ؟!

والذى يرجع الى أقوال اللغويين فى مادّة « نتق » يرى أنهم يقولون : أنتق الرجل صام ناتقا ، وهو رمضان، فإذا كان هذا اشتقاقا جاهليًا — وهو بعيد — كان دليلا على أن العرب قبل الإسلام كانوا يصومونه ، واذا كان اشتقاقا اسلاميًا — وهو ما أرجّحه — لم يتوجّه به دليل على ذلك .

وفى هـذا مبحث دقيق يُغرى المحققين بالبحث والافاضة فيه حتى يصلوا الى حكم صحيح . على انى أميل — من الآن — إلى أن صوم رمضان لم يكن إلا فى الإسلام . وأعتقد أن اللغويين حينما حاولوا التعليل لاشتقاق كلمة « رمضان » تأثروا بالزمن الذى كانوا فيه ، وبالبيئة الإسلامية التى تحيط بهم ، فعللوه تعليلا إسلاميًا ، وذهلوا عن أن الكلمة من وضع أهل الجاهلية ، لهذا يجب دائما تمحيص علِل اللغويين والتريث فى قبولها .

ويحتم الفرّاء — وهو من كبار اللغويين — ذكر الشهر قبل رمضان والربيعين ، بأن يقال هذا شهر رمضان ، وهما شهرا ربيع ، ويوجب الاّ يذكر الشهر قبل غيرها من الشهور . وزاد بعضهم رجبا ، فيحتم ذكر الشهر قبله . واستخلص اللغويون من ذلك قاعدة هى أن كل شهر يبتدىء بالراء يجب أن يسبق بلفظ شهر . والرأى الصحيح أنه يجوز فى كل شهر من الشهور أن تسبقه كلمة شهر ، وألاّ تسبقه على حسب ما يراه المتكلم أكفل بما يريد من تأدية المعانى .

ومما ردّ به اللغويون على الفراء قول أبى ذؤيب :

جارية فى رمضان الماضى
تقطع الحديث بالإيماض

فلم يذكر لفظ الشهر قبل رمضان . وجاء فى الصحيحين من رواية أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جاء رمضان أغلقت النيران وصفدت الشياطين » ، وهذا صريح فى جواز تعريته عن الاضافة :

ويجمع رمضان على رمضانات ورمضانين وأرمضاء وأرمضة ، ومما هو جدير بالنظر أن العرب سوغوا جمع كل اسم من أسماء الشهور جمعا مؤنثا سالما ، فقالوا : المحرمات وصفرات وربيعات .. الى آخر الشهور ، وهذا فيما يظهر لنا على تضمين كل شهر معنى مؤنثا ، فان الشهر يدل على فترة من الزمن أو مدة . وربما كان تسويغهم هذا يعاضد الرأى الذى نقله صاحب المصباح المنير عن ابن الأنبارى ، قال : واعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس ، تقول فيه : منزل ومنزلات ، ومصلًى ومصليات .

وقبل أن ننتقل الى الحديث عن الشهور العربية قديما وحديثا ، يجب أن ننبه الى خطأ مشهور هو قول بعضهم : ربيع الأول وربيع الثانى ، وجمادى الأولى وجمادى الثانية ، فهذا غلط ، والصواب أن يقال ربيع الآخر ، وجمادى الآخرة ، لأن التعبير بربيع الثانى وجمادى الثانية يستدعى — فى ذوق العرب — أن يكون هناك ربيع ثالث وجمادى ثالثة !

اما اسماء الشهور عند العرب العاربة ، قبل أن يغيرها من جاء بعدهم من أبناء اسماعيل — وتخطىء المعجمات هنا وتسميها شهور الجاهلية ، كأن الجاهلية ما كانت تعرف شهور الاسلام — فكانت العرب العاربة تسمى المحرم : المؤتمر ، وصفرا : ناجرا ، وربيعا الأول : خوانا ، وربيعا الآخر : وبصان ، وجمادى الأولى : حنينا ، وجمادى الآخرة : ربى ، ورجبا : الأصمّ ، وشعبان : عاذلا — وأخطأ صاحب صبح الأعشى فسماه عادلا بالدال لا بالذال — وتسمى رمضان : ناتقا ، وشوالا : وعلا ، وذو القعدة : ورنة ، وذا الحجة : بُرك . وللغويين تعليل لكل اسم من هذه الأسماء بنى على الظن وعلى كثير من التكلف .

هذه كلمة لغوية رمضانية أردنا فيها أن يكون للغة نصيب من الحفاوة برمضان والإشادة به .

نسأل الله لكم صوما مقبولا ، وحياة سعيدة صالحة .

نموذج من
دعاة الرعيل
الأول

مصعب بن عمير

للشيخ محمد الصادق عرجون

كان مصعب بن عمير احد السابقين الأولين من رجالات الرعيل الأول فى الاسلام ، وكان لعظيم فضله ، وحسن خلائقه وأخلاقه يلقب بين المسلمين « مصعب الخير » وهو هاشمى منافى عبدرى ، فى القمة من بيوتات قريش ، والذروة فى أرومتها .

القت نسائم الهداية الى أذنه روح الدعوة الى الله تعالى ، اذ بلغه — وهو فى ميعة الترف ، ونعيم الثراء ، ومتع الدنيا ، يتقلب فيها من نعمة الى نعمة ، يغدق عليه أبواه من ثرائهما ما شاء من خوض غمرات الدنيا وشهواتها — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام فى دار الأرقم بن أبى الأرقم مستسرا بدعوته ، قد لف اليه مصعب وهو فى ريعان الشباب متخفيا من أبويه وقومه ، والقى بقلبه وعقله ونفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسلم وشهد شهادة الحق وكتم اسلامه ، وجعل يختلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن آمن معه ، متسللا تحت جنح الخفاء ، مستهديا بما يرى من سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله فى هديه ، وبما يسمع منه من الآيات والحكمة ، حتى أشرب قلبه حب الايمان وأصبح شعلة تضىء مشاعره واحاسيسه ، لا تشرق عليه شمس يوم جديد الا وهو فى زيادة من الهداية .

سمته ، وشظف عيشه ، وقشفت حياته ، رقت له ، وكفت عن لومه وعزله ، ولكنها لم تعد اليه بما كانت تغدق عليه قبل اسلامه ، وما كان هو ليرغب أو يرضى ويقبل شيئا من دنياها ودنيا قومها ، فقد رضى بالله تعالى ربا ، ورضى بالاسلام دينا ، ورضى بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ورسولا ، وقدوة واماما .

كان مصعب رضى الله عنه من أحسن الناس خلقا ، وانبلهم نفسا ، طلق الدنيا وكانت متعها بين يديه فصد عنها ولم يعرها نظرا ، لا يمارى أهلها ، ولا يختلف مع أحد فى شأن من شئونها ، يقول خدنه وصديقه عامر بن ربيعة : كان مصعب بن عمير لى خدنا وصاحبا منذ يوم أسلم الى أن قتل رحمه الله بأحد ، خرج معنا الى الهجرتين جميعا بأرض الحبشة ، وكان رفيقى من بين القوم ، فلم أر رجلا قط أحسن خلقا ، ولا أقل خلافا منه .

ولما تمت بيعة الأنصار الأولى ــ بعد التمهيد لها على يد ستة نفر من الخزرج ــ وفشا الاسلام فى المدينة المنورة ، أرسلت الأنصار رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتبت اليه كتابا : ابعث الينا رجلا يفقهنا فى الدين ويقرئنا القرآن ، فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير .

فقدم مصعب المدينة ، ونزل على أسعد بن زرارة ، فتلازما فى الدعوة الى الله ، وهذا هو الثبت ، وفى طبقات ابن سعد أن مصعبا نزل على سعد بن معاذ ، وهذا غلط ، لأن سعد بن معاذ لم يكن يومئذ قد اسلم ، وانما كان اسلامه على يد مصعب بن عمير ، وصاحبه أسعد بن زرارة ، وقد ذكر ابن سعد فى الطبقات هذه الرواية الصحيحة ، بعيد ذكره تلك الرواية الغالطة .

وشمر مصعب للقيام بأعباء الدعوة الى الله ، يفقه المؤمنين فى دين الله ، ويعلمهم معالم الاسلام ، ويقرئهم القرآن وكان يسمى المقرىء . ويدعو من لم يكن قد آمن الى الايمان .

وكان لمصعب رضى الله عنه طريق واسلوب فى الدعوة الى الله من احكم واحسن ما استن الدعاة الى الله .

كان يأتى الأنصار فى دورهم وقبائلهم ، فيدعوهم الى الاسلام ، ويقرأ عليهم القرآن ، فيسلم الرجل والرجلان ، وهو صابر مصابر ، حتى فشا الاسلام ، وظهر فى جنبات المدينة وضواحيها من العوالى ، ولكن صاحبه أسعد بن زرارة لم يعجبه أن يرى دعوة الاسلام تمشى وئيدة بين قومه وفى بلده ، فدفع بصاحبه مصعب الى موقف جرىء . ولكنه مفعم بالخير والبركة ، وهو قد علم من شأن هذا الداعية العظيم وحسن تأتيه فى أقتناص القلوب ، واقتناع العقول ما جعله يطمئن الى دفعته الجريئة المباركة التى جاءت بزعماء المدينة الى حظيرة الاسلام على يدى مصعب الخير ، وأسلوبه الذى سلكه فى تحبيب الاسلام الى قلوبهم وعقولهم ، واعطائهم النصف فى السماع اليه .

وكانت أمه مليئة ، كثيرة المال ، عظيمة الثراء ، طيعة لمطالبه ، لا تضن عليه بشيء من متع الدنيا ولذائذها ، تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه ، وكان مصعب أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمي من النعال .

يقول ابن سعد في الطبقات : كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وسبيبا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكره فيقول : (ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير) .

وفي حديث عروة بن الزبير قال : بينا انا جالس يوما مع عمر بن عبد العزيز وهو يبني المسجد فقال : أقبل مصعب بن عمير ذات يوم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ، عليه قطعة نمرة قد وصلها باهاب — جلد — قد ردنه —أي جعل الاهاب ردنا — اي كما لنمرته ، ثم وصله اليها ، فلما رآه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نكسوا رؤوسهم رحمة له ، ليس عندهم ما يغيرون عنه ، فسلم ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحسن عليه الثناء ، وقال (الحمد لله ، ليقلب الدنيا بأهلها ، لقد رايت هذا — يعني مصعبا — وما بمكة فتى من قريش انعم عند أبويه منه ، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير ، في حب الله ورسوله) .

والايمان طلاع لا يحجب ، يعلن عن نفسه ، مهما حاول صاحبه كتمانه والأسرار به ، وقد ظل مصعب يكتم ايمانه ، ويسره عن ابيه وامه ، وعشيرته وقومه ، فأبى عليه اشراق نوره أن يظل حبيس الخوف ، اسير الكتمان ، فأعلن عن نفسه في وقفة بين يدي الله تعالى وهو يصلي — والصلاة هي العنوان الأكبر للاسلام — فرآه عثمان بن طلحة العبدري ، احد رجالات قومه ، فأسرع الى اخبار امه ، فأخذوه ، وحبسوه وضيقوا عليه ، وعذبوه بالجوع والظمأ ، فصبر على ضيق الحبس ، وصبر على قسوة التجويع والأعطاش ، ولكنه لم يستنم ولم يستسلم ، حتى أتيحت له نهزة الافلات من حبسه ، فخرج مهاجرا الى الله ورسوله ، حيث يأمن على دينه ونفسه ، حيث أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ارض بها ملك لا يظلم عنده احد ، ارض الحبشة ، واستقر به المقام مع اصحابه الذين هاجروا هجرته ، يحتملون آلام الغربة ، وشدائد البأساء في سبيل اطمئنان قلوبهم بايمانهم ..

وفي صدى أكذوبة طيرها الشيطان باسلام قريش وهدوء ما بينها وبين المسلمين من شحناء ، عاد مصعب الى مكة مع من عاد اليها من اخوانه المهاجرين ، ولكنه عندما وصل الى مكة وجد أن اكذوبة الشيطان باسلام قريش كانت صرخة في وادي الأباطيل ، ووجد قريشا على اشد كفرها وجحودها ، واشتد الأذى بمن عادوا من الحبشة فعادوا من حيث أتوا ، وعاد مصعب معهم ، وبقي بأرض الغربة ردحا من الزمن ، وعاد موطنا نفسه على عزائم الصبر ، واحتمال الأذى مؤتسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاصة المؤمنين .

ولما رأته أمه اثر عودته من الحبشة ، وكان قد حال حاله ، وتغير

روى ابن اسحاق ان أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه ابن خاله أسعد بن زرارة . فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر ، على بئر يقال له بئر مرق . فجلسا فى الحائط ، واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما ، بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا بمصعب ودعوته قال سعد لأسيد : لا ابالك ؟ انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفهـا ضعفاءنا فازجرهما هما وانههما ان يأتيا دارينا ، فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدما .

فأخذ اسيد حربته ثم اقبل عليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، وقد جاءك فاصدق الله فيه .

قال مصعب : ان يجلس أكلمه ، فوقف أسيد بن حضير عليهمـا متشتما ، فقال : ما جاء بكما الينا ؟ جئتما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فان رضيت امرا قبلته ، وان كرهته كف عنك ما تكره ، قال أسيد : أنصت ، ثم ركز حربته وجلس اليهما ، فكلمه مصعب بالاسلام ، وعرض عليه معالمه وشرائعه وآدابه ، وقرأ عليه القرآن ، فاستبان لهما أمره ، وعرفا فى وجهه الاسلام ، قبل أن يتكلم فى أشراقه وتسهله .

ثم قال لهما أسيد : ما أحسن هذا وأجمله .. كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ، وطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ، فقام أسيد واغتسل ، وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه ، وسأرسله اليكما الآن ، سعد ابن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف الى سـعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم .

فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال : احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسـا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، فقال له سعد : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم أخذ سعد حربته وخرج اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا انما أراد أن يسمع منهما ، فوقف سعد عليهما متشتما ، ثم قال لأسعد ابن زرارة : والله يا أبا امامة لو لا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هـذا منى ، اتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ وكان أسعد بن زرارة قد قال لمصعب لما رأى سعد بن معاذ مقبلا : جاءك والله سيد قومه ، أن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ، فقال مصعب فى ثقة واطمئنان : او تقعد فتسمع ، فان رضيت شيئا رغبت فيه قبلته ، وان كرهته عزلنا عنك ما تكره .

فقال سعد بن معاذ : أنصفت ، ثم ركز حربته ، وجلس ، فعرض

عليه مصعب الاسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قرأ عليه أول سورة الزخرف (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فتهلل وجهه وأشرق فعرفنا فيه الاسلام قبل أن يتكلم ، فى اشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قال مصعب : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، فقام سعد فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم أخذ حربته فأقبل عائدا الى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ، رآه قومه مقبلا ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة ، قال سعد : فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . فما أمسى فى دار بنى الأشهل رجل أو امرأة الا مسلما أو مسلمة .

هكذا كان مصعب فى قوة ايمانه ، وصبره ، وحسن بلائه ، ومعرفته بطبائع النفوس البشرية حيث اختير داعية الى الاسلام فكان خير داعية الى الله تعالى ، استجابت له يثرب بأوسها وخزرجها ، رجالها ونسائها شبابها وشيوخها .

لقد كانت حياة مصعب بن عمير رضى الله عنه عجبا من العجب ، فهو فى جاهليته فريد فى حياته ثراء عريض ، وترف مريض ، ومتسع من حوله تغمره ، وهو منغمس فى لجتها لا يفيق واذا هو فى اسلامه آية من آيات الله فى رجالات الاسلام وشبابه ، أسوة الدعاة الى الله تعالى ، وأسوة البطولة فى ميادين الجهاد فى سبيل الله ، وأسوة الرضا عن الله تعالى فى مجارى أقداره وحكمته ، أحب الاسلام حبا غمر مشاعره ، وأحب الله ورسوله حبا ملأ عليه قلبه .

ولما رأى مصعب أن الاسلام قد غمر المدينة المنورة ، وغلب صوته على كل صوت ، ودخل على المخدرات والعذارى مداخلهن ، ولم يبق بيت من بيوت الأنصار الا وللاسلام فيه دوى ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر والى طلعته شوق — عمد الى خطة تجمع القلوب وتؤلف بين المجتمع الاسلامى الجديد ، وتجعل منه وحدة شعورية يمنونها الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وتدفع بالدعوة الى الاستعداد الأعظم لاستقبال الحدث الأعظم ، استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصة اصحابه ، لتكون المدينة قلعة الاسلام وعاصمته الأولى وحصنه الحصين .

رأى مصعب أن يجمع بالمسلمين فى يوم من أيام الأسبوع ليجعل من صوت الاسلام قوة تدخل فى مداخل التجمعات اليهودية التى كانوا يسبتون بها فى سبتهم ، فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه أن يجمع بالمسلمين ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب اليه (انظر من اليوم الذى يجهر فيه اليهود لسبتهم ، فاذا زالت الشمس ، فازدلف الى الله فيه بركعتين واخطب فيهم) .

فجمع مصعب بن عمير فى دار سعد بن خيثمة ، وهم اثنا عشر رجلا — أى الذين حضروا أول تجميع فى الاسلام وماذبح لهم الا شاة ، فهو أول من جمع فى الاسلام جمعة .

ولما اظل الناس موسم الحج خرج فيـــه سبعون من الأوس والخزرج ليوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معهم مصعب بن عمير يرافقه صاحبه وصديقه أسعد بن زرارة ، فقدم مكة ، وكان أول منزل قصده لدى وصوله الى مكة هو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار وسرعتهم الى الاسلام واستبطائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى فى الهجرة اليهم — فسر رسول الله صلي الله عليه وسلم بكل ما أخبره .

وبلغ أم مصعب قدومه الى مكة ، فأرسلت اليه تقول له : يا عاق اتقدم بلدا أنا فيه لا تبدأ بى ؟ فقال مصعب : ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بما أخبر به ذهب الى امه ، فقالت له : انك لعلى ما أنت عليه من الصبأة بعد ، قال : أنا على دين رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وهو الاسلام الذى رضيه الله لنفسه ولرسوله .

قالت : ما شكرت ما رثيتك مرة بأرض الحبشة ، ومرة بيثرب ، فقال : افر بدينى أن تقتلونى ، فأرادت حبسه ، فقال : لئن أنت حبستنى لأحرضن على قتل من يتعرض لى ، قالت : فاذهب لشأنـــك ، وجعلت تبكى .

فقال مصعب يا امه انى لك ناصح ، عليك شفيق ، فاشهدى انه لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله . فقالت أمه : والثواقب لا ادخل فى دينك ، فيزرى برأيى ، ويضعف عقلى ، ولكن ادعك وما أنت عليه ، وأقيم على دينى .

وقد أقام مصعب رضى الله عنه بمكة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وعاد الى المدينة فقدمها قبيل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتى عشرة ليلة .

ولما استقر المقام برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأقام المجتمع الاسلامى على دعائم القوة التى تأبى الضيم ، شرق المشركون بهذا الاستقرار ، ونشبت المعارك الحربية ، وكانت أولاها وقعة بدر الكبرى ، اعظـــم معارك الاســـلام انتصارا .

خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمئة مجاهـــد بعدة متواضعة ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءها الأعظم الى البطل القارىء المقرىء مصعب بن عمير وشد مصعب يده على اللواء ، والتقى الجمعان ، ودارت رحى الحرب بين قوتين غير متكافئتين عدد وعدة ، ولكن كان مع القلة المسلمة صبر الايمان وقوة العقيدة ومع الكثرة الكافرة غرور الكفر ، ومهانة الشرك وذل الوثنية .

هز مصعب لواء الاسلام ، وتنادى تحت ظلاله فرسان الايمان وأبطال الاسلام من المهاجرين والأنصار ، وما هى الا جولة حتى انجلت عواصف المعركة عن نصر الله لدينه وعبده ورسوله ، وجنده وحزبه ، وقتل صناديد قريش ، ورءوس الكفر ، وأسر منهم من نجا من القتل .

وكان فى الأسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وامه ، أسره رجل من الأنصار .

يقول أبو عزيز : مر بى اخى مصعب ورجل من الأنصار يأسرنى ، فقال له : شد يديك به ، فان أمه مليئة ذات متاع ، لعلها تفديه منك ، فكنت فى رهط من الأنصار حين اقبلوا بى من بدر ، فكانوا اذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا .

ثم فدى أبو عزيز بأربعة آلاف درهم ، وهى أعلى فدية .

وفى هذه القصة اشراقة من مطالع نور الايمان ، فمصعب رضى الله عنه ، كان حاملا فى هذه المعركة التى أسر فيها اخوه شقيقه أول لواء فى أول معركة بين الاسلام والكفر ، وهى أعظم معركة فى تاريخ الاسلام ، قد حشد لها المشركون قضهم وقضيضهم ، فلم يتركوا فارسا من أبطالهم الا جاءوا به الى حتفه ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان على علم بضراوة المعركة وعدم التكافؤ فيها ، وكان صلى الله عليه وسلم قد تعرف على قوة العدو ، عدد وعدة فكان على بصيرة من أمرها ، ومع ذلك كله دفع اللواء الأعظم الى البطل المعلم القارىء المقرىء مصعب الخير ، واللواء لا يحمله فى ميادين الوغى ، ولا سيما فى المعارك الكبرى الا بطل ، تعرف شجاعته ، وبصره بالحرب ، وقوة ايمانه ، وصرامة عزيمته ، وكان مصعب بن عمير كل أولئك فى اهاب رجل ملك عليه ايمانه بدينه مشاعره .

ويتسامى ايمان مصعب رضى الله عنه عن تأثره بالعواطف والقرابة فهو يرى أخاه شقيقه لأبيه وامه أسيرا فى يد مسلم انصارى ، فيغريه به ، ويحرضه على شدة الاستمساك به ، فيقول له : شد يديك عليه ، فان امه ثرية ، ذات متاع كثير ، وستفديه منك بأعلى فداء ، وقد صدق الخبر ، وفدى أبو عزيز اخو مصعب بأربعة آلاف درهم ، وكان هذا القدر فيما تعورف أعلا فداء فدى به أسير .

ثم جاءت غزوة أحد ، وهى غزوة تكالب فيها الشرك بجموعه وجحافله واحقاده للثأر ويختار رسول الله صلى الله عليه وسلم بطل اللواء فى واقعة بدر لحمل اللواء فى هذه الغزوة التى أعد لها أعداء الاسلام من المشركين واخابث اليهود والمنافقين كل ما يملكون من قوة حاقدة ، وشراسة ضارية ، ليثأروا لقتلاهم فى بدر .

فكان مصعب نعم القائد البطل ، ونعم حامل اللواء فى الأولى والآخرة ، لم يسقطه من يده ، ولم يسلمه لغيره الا بعد أن أشهد الله ورسوله والمؤمنين انه لم يبق فيه بقية من حياة ، وسقط مصعب شهيدا

مضرجا بدماء الشرف ومجد البطولة .
يقول ابن سعد فى الطبقات : حمل مصعب بن عمير اللواء يوم احد ، فلما جال المسلمون ثبت مصعب باللواء ، فأقبل ابن قميئة على فرس له ، فضرب يد مصعب اليمنى فقطعها ، فحنى مصعب على اللواء واخذه بيده اليسرى ، فضرب ابن قميئة يده اليسرى فقطعها ، فحنى مصعب على اللواء وضمه بعضديه الى صدره ، ثم حمل عليه ابن قميئة الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ، ووقع مصعب ، وابتدر اللواء رجلان من بنى عبد الدار ، أحدهما أخو مصعب ، هو ابو الروم بن عمير ، فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون .
وقد وقف النبى صلى الله عليه وسلم على مصعب وهو منجعف — اى مصروع ملقى — على وجهه ، فقرأ هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الى آخر الآية ، ثم قال : (ان رسول الله يشهد انكم الشهداء عند الله يوم القيامة) ثم اقبل على الناس ، فقال : (أيها الناس زوروهم وأتوهم ، وسلموا عليهم ، فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم مسلم الى يوم القيامة الا ردوا عليه السلام) .
وفى حديث خباب بن الأرت قال : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله ، نبتغى وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئا . منهم مصعب بن عمير ، قتل يوم احد ، فلم يوجد له شىء يكفن فيه الا نمرة ، فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ، واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (اجعلوها مما يلى رأسه ، واجعلوا على رجليه من الأذخر ، ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهديها — اى يجتنيها —) .
هذا مثل من أمثلة الدعاة الى الله تعالى ، ونموذج من نماذجهم الذين اشربت قلوبهم منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احتمال الأذى، والصبر على المحن والبلايا فى سبيل القيام بعبء نشر الاسلام ، فى حرص على أن تبلغ دعوته الى أعماق النفوس ، وأن يكون أسلوب الدعوة قائما على الحكمة والموعظة الحسنة ، ورياضة النفوس ومعرفة احوالها ، والرضا من الدنيا ببلغة الرمق ، مع عزة الايمان ، وشجاعة القلب وقوة اليقين .
وقد كان لهذا المسلك الذى سلكه مصعب رضى الله عنه فى تبليغ الدعوة والروح التى تشبع بها فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم اثره العظيم فى نشر دعوة الاسلام وتثبيت دعائمها بالمدينة المنورة ، الآن فتح القلوب المغلقة برتائج الوثنية العمياء والعصبيات الجهلاء ، والآن النفوس الجامحة ، ومهد (يثرب) مع ما كان فيها من حروب دموية ، واحقاد يهودية ، ونفاق ماكر خبيث ، لتكون قلعة الاسلام ، ومدينته التى يأرز اليها عند اشتداد الملمات .
فرضى الله تعالى عن مصعب بن عمير ، فقد كان طرازا من الدعاة الى الله أحوج ما يكون الاسلام فى يومه الآن الى أن يقتبس دعاته من أنوار مصعب وهدية ومنهجه فى الدعوة الى الله .

دور الإسلام في العصر الحديث

لكاتب كبير



بلغ العصر الحديث ذروة العلوم الطبيعية ، والكيماوية ، والكهربائيـــة ، والبيولوجية ، فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب ، الا أن الذروة يقابلها الحضيض ، فالعصر ينحط الى الحضيض فى الفوضى الفكرية والخلقية . تتجلى الفوضى الفكرية فى المادية ، والروحية ، والاشتراكية ، والرأسمالية ، والرجعية والتقدمية ، واليمين ، واليسار ، والأثرة والايثار ، والحرية ، والعبودية ، والفرد والأمة ، والنسبية ، والاطلاق ، والناس فى ذلك بين إفراط وتفريط ، وكل يدعى انه صاحب الحق ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

وتتجلى الفوضى الخلقية فى المظالم الفردية والجماعية والأنانية المزرية التى تتضاءل أمامها غرائز الوحوش ، والاباحية المطلقة التى فتحت أبواب الزنا ، والربا ، والخمر ، والميسر ، والسرقة . فنتج عن المظالم الفردية فساد ذات البين، واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء ، ونتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس ، فمن الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية الى حرب كوريا ، الى حرب فيتنام ، الى حرب فلسطين الى ثورات متوالية فى جميع انحاء المعمورة ، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكأن الأرض قدر يغلى على النار ، أو بركان دائم الانفجار يأبى الهدوء والاستقرار، ونجم عن الأنانية عدوان أمة على أمة ، واستعباد شعب لشعب ، واستغلال القوى للضعيف حتى لكأن البشر أصبحوا وحوشا كاسرة لا هم لها الا الســـطو والافتراس ، ونتج عن الاباحية ترجل المرأة ، وتخنث الرجل ، وضياع العفاف ، وهدم الأسرة ، وأمراض الزهرى ، وأمراض الكحول . والانتحار ، واللصوصية المنظمة ، والدجل الهادف ، والكفر بجميع المثل .

وانك لتجد هذه الصورة القبيحة التى تشكل فاجعة القرن العشرين تلف الاكثرية الساحقة من البشر ولم يبق الا القليل القليل ممن يؤمن بالعدل والايثار ، والعفاف ، والأمانة ، والصدق والوفاء حتى لكأن هذه المثل ألفاظ تحتـــاج الى ترجمة لكى تستسيغها عقول أبناء الجيل وضمائرهم .

هذه حال العصر اليوم فما هو الدواء .؟

اننا حين نقدم الاسلام علاجا لهذا السقم الفكرى والخلقى لسنا بمغالين ولا متعصبين ، وانما هى الحقيقة المشفوعة بالحجة والبرهان .

امتاز الاسلام على سائر المبادىء والأديان بدعائم راسخة جعلته الدواء الناجع ، والبلسم الشافى ، والنظام الصالح لكل زمان ومكان .

مجال الاسلام فى العقيدة والفكر

١ ـ الايمان بالله :

إن تعلق المخـلوق بعقيدة راســـخة معناه الاســـتقرار الفكـرى ، ومنع الاضطـراب والتقلب والتردد ، حتى أن حياة بعض الأفـراد غيـر المـؤمنين تنقضى ، ولما يصلوا الى اطمئنان أو اســـتقرار ، ولم يقدموا خيـرا لأنفسهم أو لأمتهم الا نزاعا أو نقمة ، أو ما تمليه عليهم الريبة والضياع ، هذا هو الفرق بين حال المؤمن وبين حال الملحد ، فكيف ان كان مؤمنا باله واحد منزه عن الشبيه والشريك ، ليس كمثله شىء محيط بكل شىء ، قادر على كل شىء يحاسب على الصغيرة والكبيرة ، ولا بد من لقائه والوقوف بين يديه .

وقد خلت عقيدة الاسلام من أوهام وخيالات الشعوذة وسيطـرة رجـال

الدين ، وأقامت فى داخل النفس وازعا لا يفارقها ، فهو توحيد نقى يؤيده العقل ، ويستسلم له المنطق فلا يصطدم بتعقيد التعدد ، وتناقضات الآلهة ، وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكرى وفساد خلقى ، ولا يتسع مجال المقال للاستطراد فى اشباع هذه الفقرة اكثر من ذلك ، قال تعالى **((أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ، أم من يمشى سويا على صراط مستقيم))** (الملك) وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار))** (٣٩ يوسف) وقال عز من قائل « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا))** (الأنبياء) .

٢ ــ بين المادية والروحية :

ما من دين ولا مبدأ استطاع أن يجمع بين الروح والمادة كما جمع بينهما الاسلام ، والمادة والروح كلاهما حقيقة واقعة ، ولذلك وجدنا المبادىء المتعلقة بالمادة وحدها اتصفت بالقسوة ، والبلادة ، والظلم وجفاف الحياة من البهجة وخلوها من الرحمة والتعاون والتسامح حتى يمسى الانسان فيها آلة صماء لا حس لها ولا شعور ، ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز ، ولا كيان يتحرك بغير ارادته ، ويسكن بغير اختياره . ويا له من قتل بشع لذاتية الانسان التى امتاز بها على الحيوان فهو مسخ تدريجى ، وموت لا شعورى ، وكيف لا يكون موتا وقد خلا من الروح ، وهل الموت الا نزع الروح .

كما نجد المبادىء التى تعلقت بالروح وحدها على غير هدى ، واهملت شأن المادة كل الاهمال عزفت بأتباعها عن الحياة بما فيها من العلوم والصناعة ، والزراعة والعمران ، وما يتصل بذلك من الاكتشافات والاختراعات التى تتفجر فيها الطاقات الفكرية الكامنة ، وقدرة الانسان العجيبة التى تخرج على العالم كل يوم بأصناف الفنون وأنواع الصنائع ، وتبارك الذى دفع الانسان الى ذلك دفعا حينما انزل عليه قوله تعالى **((اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم .))** (العلق) .

اذن تجد أن هذه النزعة الروحية المتطرفة هى فرار من الحياة ، فلا الأولى اصابت ، ولا الأخرى أجابت ، ولكن الاسلام وحده هو الذى أصاب الهدف ، وأجاب مطالب البشر ، فجمع بين المادة والروح ، والح على كل منهما بنصوص صريحة ، وخطوط عملية ، وحدود واضحة ، يتجلى ذلك فى الصلاة ، جسم يتحرك وروح خاشعة ، وفى الصيام ، ترويض للبدن وتزكية للأخلاق ، وفى الحج سعى وهرولة ، ودعاء وتلبية ، وفى الزكاة نظام اقتصادى ، وعمل أخلاقى وفى قوله تعالى « **وزاده بسطة فى العلم والجسم))** (٢٤٧ البقرة) وفى قوله تعالى « **ان خير من استأجرت القوى الأمين)** (٢٦ القصص) وفى قوله تعالى **((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا))** (٧٧ القصص) وفى قوله تعالى **((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله))** (١٠٥ التوبة) وفى قوله تعالى **((هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور))** (١٥ الملك) .

٣ ــ سبيل الاعتدال .

يتجلى اعتدال الاسلام بتوسطه بين الافراط والتفريط ، ويبدو ذلك واضحا بتوسطه بين الاشتراكية العلمية والرأسمالية ، وبين الرجعية والتقدمية ، وبين الفرد ، والأمة .

أ ـــ بين الاشتراكية والرأسمالية :

قد يطول البحث اذا أردنا التفصيل فيه ، فلا بد من الاجمـــال . فمعايب الاشتراكية العلمية تظهر فى نزع الملكية ، والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية الأمر الذى يصادم أعمق غريزة بشرية ، وهى حب البقـــاء المرتبطة كل الارتباط بحب التملك ، فالانسان الذى لا يملك لا يعمل ، والذى لا يعمل لا ينتج ولا يحسن الانتاج ، مما أدى الى تراجع فى بعض البلاد الشيوعية باباحة الملكيات الصغيرة ورسم علاوات لمن يزيد فى الانتاج ، وهذا التراجع وحده طعنة فى صميم هـــذا النظام ينذر بالقضاء عليه فى المستقبل ان لم يفرض على الانسان بالحديد والنار ، فالانسان ليس مجرد آلة يعمل ولا يملـــك أو يندفع لتحسين الانتاج باضطـــراد ، ولو كان الانتاج لغيره وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الأنفاس ، ان مثل هذا الاندفاع ضرب من المستحيل ، ولذلك وجدنا أن كل نظام يصادم فطرة الانسان وغريزته صائر حتما الى زوال طال الزمن أو قصر .

وأما معايب الرأسمالية فتتمثل فى تضخم المال ، وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة ، وباستغلال الغنى للفقير ، وما ينشأ عنه من الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتلاعب بالأسواق لحساب طبقة خاصة على حساب سواد الناس ، والربح غير المشروع كالربح الفاحش ، والقمار ، والغش ، تلـــك المعايب التى أحدثت ردود فعل عنيفة كان من جملتها النظم الاشتراكية . ولا بد لكل رد فعل الا يتصف بالاتزان ، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هى نقائض عيوب الرأسمالية ، وفى كلتا الوجهتين غلو وتطرف ، كما بين الافراط والتفريط .

ولكن الاسلام ـــ على ضوء هذا المخطط المجمل ـــ هو الذى خلا من عيوب الوجهتين ، والتزم طريق الاعتدال ، فلم يحرم الملكية فيصادم فطرة البشر ، ويقضى على طاقاتهم وفعالياتهم ، وتسابقهم الشريف ، وتنافسهم المضطرد ، ذلك العنصر الأساسى فى المبادرة الشخصية التى هى أساس كثرة وتحسين الانتاج وهـــذا أساس لا بد منه لصلاحية كل نظام اقتصادى ، ولكنه لم يدع الباب مفتوحا على مصراعيه شأن الرأسمالية حتى احتاط دون تضخم المال ، وما يجر اليه من سيئات فعالج الأمر **بشرطين على رأس المال ، وشرطين على الربح ـــ اجمـــالا دون تفصيل .**

أما الشرط الأول المضروب على رأس المال فهو **الزكاة** التى تبلغ فى النقد ٢٫٥٪ **بحيث يتحول أصل أى ثروة كانت ، مهما عظمت الى الأمة خلال أربعين سنة ، ومعنى هذا أن الفرد يهب أصل ماله كله للمجتمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة فتامل ، ومثل هذا لا يوجد فى الرأسمالية .**

أما الشرط الثانى المضروب على رأس المال فهو **الارث وهو كفيل بتفتيت الثروات وتحويلها من فرد واحد الى عدة أفراد** حسب عدد الورثة ، ومثل هـــذا غير متوفر فى النظام الرأسمالى فى أكثر البلاد .

وأما الشرط الأول المضروب على الربح فهو **تحريم الربا الذى يكدس ثروات طائلة بأيدى الأشخاص بغير جهد ولا نصب** الا استغلال الفقراء والضعفاء ، ولو أحصينا عدد الأثرياء فى البلاد الرأسمالية لوجدنا أكثرهم مرابين ، أساس ثرواتهم الفاحشة مبنى على الربا .

وأما الشرط الثانى المضروب على الربح فهو **تحريم القمار** وكل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التى كثيرا ما تؤدى الى الثراء الفاحش والتضخم

المالى بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق .

واحتاط الاسلام أيضا وراء هذه الشروط الأربعة بقواعد عامة خلت منها النظم الرأسمالية وهى تحريم الاحتكار ، وتواطؤ التجار والاستغلال والربح الفاحش ، والغش ، والتلاعب بالأسعار الى آخر ما هنالك من سيئات النظام الرأسمالى ، الذى لم يكن له أساس من العقيدة يرجع اليه فى تهذيب اقتصاده ، وفرض نظام على هدى ومنطق سليم ، اذن يجد المنصف ان الاسلام **جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية** عدلا واتزانا وانتاجا وخلوا من الأحقاد ، وبعدا عن ردود الفعل المتوالية المتمثلة بالافراط والتفريط .

ب ــ بين الرجعية والتقدمية :

تلك النغمة التى قسمت العالم فريقين ، واستغلتها السياسة أبشع استغلال حتى كاد يضيع مفهومها ومدلولها ، فكل أمة مالت الى اليسار فتجلى ذلك لديها بالالحاد ، والاباحية ، والعنف ، والقسوة ، والتحلل من القيود والريبة فهى تقدمية وكل أمة مالت الى الجمود والثبات على بعض المفاهيم ، والاصطباغ بصبغة الدين والتغنى بنوع من الأخلاق ، والارتباط بالقديم فهى رجعية ، ولكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هذا التمييز على ما فيه من باطل فى دوامتها السريعة ، واستغلالها المغرض ، فان انكلترا مثلا رجعية بالنسبة لروسيا ، وان روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين ، وهكذا يجرى التسابق الرخيص دون معايير منطقية ، حتى أمسى سبابا وشتائم قبل أن يكون تقويما حقيقيا مبنيا على معايير صحيحة ومنطق سليم .

والحق فى هذه المسألة : أن كل انسان عاقل يجب أن ينشد التقدم ، والذى لا يتقدم يتأخر حتما ، **ولكنه يجب ان يتقدم الى القمة** لا الى الهاوية اذن فثمة **تقدم محمود** ، وهو الصعود المتمثل فى رقى العلوم والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تقف عند حد حتى أوصلت الانسان الى القمر فمهما تقدم الانسان فى هذا المضمار فهو تقدم محمود وسير غير محدود **« وفوق كل ذى علم عليم »** (٧٦ يوسف) وثمة **تقدم مذموم** وهو الانحدار المتمثل فى القضاء على المثل العليا ، والفضائل المجمع عليها ، والانغماس فى الرذائل المجمع على قبحها ، وايذائها ، كالكذب ، والخيانة ، والمكر ، والغش ، ونقض العهد والسرقة ، تلك السيئات التى وجدت لها مرتعا خصبا فى أوساط أدعياء التقدمية العصرية ، لأنهم كفروا بنقائضها من المثل العليا خشية أن يوصموا بالرجعية .

وكما أن للتقدم نوعين محمودا ومذموما ، كذلك الأمر فى الرجعية فثمة **رجوع محمود** يتمثل بالرجوع الى الحق مهما كان قديما **ورجوع مذموم** يتمثل بالرجوع الى القديم ولو كان خطأ أو نقصا .

أما الأول فانه الرجوع الى الصدق ، والوفاء ، والأمانة ، والعدل مهما تقادم الزمن ، والرجوع الى ما ثبت من الحقائق الرياضية ، والهندسية ، والجغرافية ، وما شاكلها مهما تقادم عليها الزمن ، ذلك أن ثمة أمورا لا يمسها التطور الى أن تقوم الساعة ، ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح الى نقائضها بداعى التقدمية والخلاص من الرجعية ، والظاهر أن التعبير بالرجعية كان قديما يتعرض له أصحاب الدعوات فى كل عصر حتى وجدنا بعض مناوئى الاسلام يرمون الدعوة الاسلامية بالرجعية ابان ظهورها وتقدمها ، فيقولون ، كما حكى القرآن عنهم « **ان هذا الا أساطير الأولين »** (١٨٣ المؤمنون) **« إن هذا الا خلق الأولين »** (١٣٧ الشعراء) « **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا »**

(٥ الفرقان) ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الاسلام وظهوره .

واما **الرجوع المذموم** فهو التمسك بكل قديم مهما كان ، ولو تبين خطؤه ، أو ظهر خير منه ، وأجدى على الفرد والمجتمع ، كمن يصر على وسائل الزراعة والصناعة والعمران التى كانت تستعمل قديما ، ويحول دون العلوم العصرية التى قطعت شوطا عظيما فى التقدم ، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرح ؟

لا يمكن أن يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة ، ولمثل هذا يقال بحق ان دولاب الزمن لا يرجع الى الوراء .

وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقى فى التقدمية والرجعية نجد أن الاسلام كان وسطا بين النظرتين الجائرتين بعيدا عن أكاذيب السياسة ، محفوظا من التسابق غير الشريف ، لا يوزع الألفاظ جزافا ، ولا يتغنى بالألحان الفارغة **فهو ينشد التقدم المحمود ، ويحض عليه ، ويرجع الى الحق مهما كان قديما ، ويصر عليه** ، وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود ، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع ، وان شئت فاقرأ قوله تعالى «**أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا** »(٦١ النمل) (**أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**)) (١٦٤ البقرة) ((**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**)) (٣٨ يس) ((**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**)) (٥ الزمر) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة، والصناعة ، والفلك وما اليها تكاد لا تحصر ، ولا يتسع المجال للتفصيل فى ذلك أكثر .

ج ـ بين الفرد والأمة .

غالت بعض النظم فى قيمة الفرد حتى جعلته الها يعبد من دون الله ، فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتورى والفاشى والنازى ، وكانت الأمة فريسة لطغيان الفرد ، فكم ديست كرامات ، وانتهكت حرمات ، وكبتت حريات بسبب ذلك الحكم الفردى الجائر الذى هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحريتها ، وادعت بعض النظم أن الحكم للأمة ، ولا قيمة للفرد ، فهو مسمار فى عجلة الجماعة ، فلا رأى له ولا قدسية ولا حرية ، ولا كرامة ، فاقتيد الناس كالبهائم ، وحشروا حشر السوائم ، وسجنت جحافل فوق جحافل ، كتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء وتسخر كما يسخر الأرقاء **ويتمنون لو استطاعوا الصراخ .. الصراخ** فقط للتعبير عن الألم فلا يستطيعون .

أما الاسلام وهنا تتجلى العظمة والاعجاز البالغ ، فهو الذى ألف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد ، أو يعتدى على الجماعة ، الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة ، ولكن ان اعتدى وظلم فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وان زل واخطأ قامت اليه امرأة تصحح له فيقول « أصابت امرأة واخطأ عمر » وان أراد أن يستبد فالأمة له بالمرصاد ، وان أراد أن يستأثر برأيه ، ويضرب بآراء الناس عرض الحائط خوطب بالآيات الكريمة « **وشاورهم فى الأمر**)) . ((**وأمرهم شورى بينهم**)) وان أراد أن يستهين بفرد واحد **باعتداء أو حرمان حق أو هدر** دم زجرته الآية الكريمة التى تشير الى قدسية النفس الانسانية وحمايتها

« من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيـــاها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٣٢ المائدة) **للفرد حقوقه وحدوده وللأمة حقوقها وحدودها ، والجميـــع يعملون يدا واحدة** فى وحدة متماسكة كالجسد الواحد « **أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) (٤ الصف) وكما أخبر عليه الصلاة والسلام **« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .**

مجال الاسلام فى الأخلاق

لا أحد يستطيع ان ينكر الواقع البشرى المنحط من الناحية الأخلاقية .

فالظلم والاباحية والأنانية وكل رزية من هذه الرزايا لعبت دورها الكبير فى المجتمعات الحاضرة ، وانحط فيها الخط البيانى الى الحضيض .

تعال معى الى دور القضاء ، ومكاتب المحامين ، وسجلات الجرائم فى كل العالم لترى الى أى حد بلغت المظالم الفردية ، وأى رقم بلغت الجريمة ، فالفرد اعتاد الظلم ، ودرج عليه ، والقضاء فاسد ليست فيه عقوبة رادعة فى الأغلب ، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم أضرموا نيران الجرائم لكى تمتلىء جيوبهم ، والحكام كثير منهم زور عن الحق ، ولو ظهر جليا لأعينهم ، كل أطراف القضية متواطئون ، على الجريمة ، وكل أسوار الحمى منتقضة حتى ضجت الأرض من ظلم أهلها ، فأين يجد العدل مأمنه ويحظى الحق بحماه . ؟

هنا يبرز دور الاسلام العظيم فى تهذيب الفرد ، وإقامة وازعه الداخلى الذى يرافقه حتى الممات مبنيا على مراقبة الله ، وخشية الوقوف بين يديـــه ، واليقين بزوال الدنيا ، وبقاء الآخرة ، وفى صلاحية مادة القضاء التى تضع الأمور فى نصابها «**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب** »(١٧٩ ــ البقرة) وفى تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل ، وتقول الحق ، ولو كان عـــلى النفس أو الوالدين والأقربين « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى** » فالمحامى ، والحاكم ، والشاهد انما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** ذلك أن الحاكم يتمثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام « **ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن** » وقوله عليه الصلاة والسلام « **قاض فى الجنة وقاضيان فى النار** » والشاهد يتمثل قوله تعالى : **« ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » .** ووعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شهادة الزور من أكبـــر الكبائر . وأصبح المحامى يخشى ان دافع عن ظلم وباطل أن يكون رزقه سحتا « **وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به** » فما أحوج العصر لنور الاسلام .

ثم تعال معى نحص حصاد الاباحية ان كان يمكن الاحصاء .

كم فتكت الاباحية فى كيان البشرية بالزنا والربا والخمـــر والميسر بداعى الحرية الزائف وسرابها الخادع ، تعال معى الى عيادات الأطبـــاء وسجـــلات المستشفيات فى شرق الأرض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام ضحـــايا الزنا ، والربا ، والخمر ، والميسر ، ان أنواع الأمراض الزهرية من الأفرنجى والسيلان والقرحة اللينة ، وأنواع التسمم الغولى من تشمع الكبد ، وقرحة المعدة وتصلب الشرايين ، وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا ، والقمار انتشرت فى جميع أنحاء المعمورة ، وتزايدت أرقامها باضطراد حتى عجز الطب عن المعالجة

وسرى المرض من الآباء الى الأبناء ، ومن الأجداد الى الاحفاد ، ويكفى أن تعلم أن أكثر أسباب السكتة القلبية (الجلطة) والسكتة الدماغية عائـد الـى الخمر والأفرنجى حتى تعلم ما تجره هاتان الغائلتان على العالم من شرور ، وهنا تذكر دور اسلام العظيم الاذى ينادى بأعلى صوته **« انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » « ولا تقربوا الزنـا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا »** .

وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريا لا فائدة منه فقال **« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفـة من المؤمنين »** . (٢ — سورة النور) .

ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر ، كما ثبت فى السنة الصحيحة ، بل ورد وجوب قتله ان أصر على المعصية جهارا ولم يرتدع .

والأثرة (وهى الأنانية) ذلك الداء الوبيل الذى أصبح يتحـكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون أس جميع المفاسد ، وطابع جميع الأعمال ، بل تأصل فى النفوس ، وطغى عليها حتى نسيت عـاره ، وانسجمت معه ، فاحتكمت اليه ، فأصبح مقياسا للاندفاع فى العمل ، أو الاحجام عنه ، فالعمـل بمقدار ما يؤمن لك مصلحتك الخاصة يكون عملا صالحا يجب الاقدام عليه ، وبمقدار ما ينافى مصلحتك الخاصة يجب الاحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة . يا سبحان الله كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الأخلاق . ؟

ولك أن تتصور بعد ذلك هول الانحدار الذى تتردى فيه الانسانية الى هوة سحيقة عرفت أولها ، ولا يمكن أن تعرف آخرها ، لأن قعر جهنم لا يعرف له مدى الا فى علم الله تعالى . هنا تبدو عظمة الاسلام أيضا الذى يأبى الا أن يبنى الأخلاق على أساس متين ، والا أن يحل المشكلات حلولا جذرية **« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم »** (١٠٩ — سورة التوبة) .

فاذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيها على الأنانية المقوتة فان أخلاق الاسلام مبنية على الايثار والغيرة « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »** (٩ — الحشر) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبهذا الدستور الخالد تحسم أكثر الجرائم التى ان بحثنا عن أسبابها العميقة وجدناها ترجع الى أنانية ممقوتة تخفى تحتها أقبح صور الحقد على الناس ، ولا يتسع المجال لضرب كثير من الأمثلة العملية التى تفضح سوآت الأنانية ، وتفصح عن مجال الغيرة ، فذلك يستقل وحده بموضوع ، وانما كـان البحث على مستوى الأصول لا الفروع .

بهذا العرض السريع المجمل يتبين ما للاسلام من دور عظيم فى اصلاح حياة الأفراد والجماعات لا سيما العصر الذى نعيش فيه ، فانه بقدر ما تكون الارض عطشى تحتاج الى الماء ، وبقدر ما تحتبس الأنفاس تحتاج الى الهواء ، وان نظرة فاحصة مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع بصلاحية هذا الدستور الالهى العظيم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وان غدا لناظره قريب ، وما ذلـك على الله بعزيز .



للأستاذ
أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى

من مفهومات العقل الحديث : ما اشتط بناشئة الشعوب النامية : فحافت على فطرتها ، وتنكرت لموروثاتها ، وعادت لا شخصية لها ، لأنها تفكر بغير عقلها !

ومع هذا : لغطت (هذه الناشئة) : بالحرية ، والتجرد للحقيقة ، ومنابذة التقليد .. وكان فى هذا اللغط : تشويش على المحافظين !

ونسوا : أنهم : مكبلو الأفكار ، مأسورو العواطف (بمفهومات العقل الحديث !)

وهى مفهومات عامة الفساد : فى القيم ، والنظم .

وأبرزها : أن الله — تعالى عما يقولون — : « أكذوبة أو خرافة » .. وردوا هذا النفى : الى عجز العقل ، أو عدم الثقة به .

انهم : يشيدون بالعقل الانسانى : فى رفض حقائق الدين وغربلتها (وهى حقائق يتطامن العقل دونها) .. ثم يرفضون « حكم العقل » فى

أمهات تلك الحقائق : من مسائل « الميتافيزيقا » .. فيقصرون المعرفة فى دائرة الحس : فكان هذا : تناقضا شنيعا .

فكيف يكون العقل حجة هناك ، ويكون غير مقبول هنا (مع أن العقل : لم يكن حكما : فى تشخيص ذات الله ، والاحاطة بها ، حتى يقال : بالفرق بين هذا ، وذاك) ؟!

وقست دول الالحاد : فى فرض مفهوماتها .. وحجتها : أنّ العلم المادى : اندفع فى أبعد آماده ، واكتشف المجهول ، ونظر بالمجاهر المكبرة ، فلم ير الله (فيما رأى) !

نقول : فى صريح القرائح : إن « عدم العلم بوجود الشىء » : لا يعنى « العلم بعدم وجوده » .. هذه حقيقة يجب : : أن يسلم بها « العقل الحديث » لأن ، العلم (حتى هذه اللحظة) يكتشف كل يوم مجهولا .. ولو كان « عدم العلم بالشىء » كافيا : فى العلم بعدمه .. : لما صح للعلم : أن يكتشف مجهولا : إذ كيف ينكشف وجود : ما علم عدمه ؟!

هذا تناقض ، والتناقض محال .

والعقل الحديث : يدفع بالعلم : الى غايته : لاستكشاف أسرار الوجود ، ومجاهله .. ولم يسلم — بعد بأنه أحاط بكل شىء علما ! فكيف يقال — بعد هذا — : بأن الله « أكذوبة » ؟!!

معاذ الله : أن نظن : بأن العلم بالله (علم : معاينة ، وادراك) مفتوح لرواد الفضاء ، أو (بالأعم) لرواد المجهول !

ومعاذ الله : أن يعلق بأذهاننا : ما تفوه به المهزومون — من بنى ملتنا — الذين يرون : أن الله (فى يوم ما) سيكون فى احساس البشر : اذا تقدم علم « تحضير الأرواح » .. لأن الله : لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير .

.. والذى لا يؤمن بغير المحسوس : يتنازل عن أخص خصائص الانسان !

وهناك موجودات (لا مراء فى وجودها) : كالروح ، والموت ، والأثير ولكنها لا تحس !

فلو كان الحس : هو المعيار : ما تخلف عنه شىء !! وعدم العلم بالشىء : « الجهل المطلق » .

قال « ديكارت » : « ليس مع الملحد علم » . ومن لا علم له : لا يصح له : أن يجزم بنفى أو اثبات ، لأن من لا علم له : يشك . فهى ثلاثة أمور : —

١ — إيمان بالله : ينبعث من العلم به .. وبهذا يكون المؤمن مستيقنا . وهذا ما نهضت للمؤمنين حجته .

٢ — عدم إيمان بالله : ينبعث من العلم بعدمه ، وبهذا يكون الملحد مستيقنا .. ولكن هذا : ما لم يورد له الملحد اى دليل (فضلا عن القول : بأن حجته غير ناهضة) .. فعلى كثرة الملحدين : لا نعرف : أن فيهم من يستدل على « العلم بعدم الله » .. بل مستحيل : أن يوجد دليل : على هذا المطلب .. وبرهاننا : التحدى !!.

٣ — عدم العلم : بالوجود ، أو العدم .. وهو مرحلة شك عارضة ،

وسلبية فى الاستدلال !

وكل ملحد : اذا سألته برهانه : لم تجد عنده أكثر من القـدح فى أدلة الموحدين ، والاستدلال : على أنه لم يعلم بالله !

ونقول ـ لجمهرة الملحدين ـ : ان مجاهركم ، ومكبراتكم : لن تر الله .. وعدم رؤيتها : ليس علما بعدمه .

فالعلم الحـديث ـ بكل صريخـه ـ .. والبشرية ـ بكل حـولها ، وطولها ـ : انما هى ذرة تائهة فى هذا الكون .. وأسرار الكون ، ومجاهله : أبعد من أعمارها ، وقواها .

ولو عمرت ـ عمر إبليس ـ : ما خرجت عن الكون ، وما بلغت آماده !

ولا نقول ـ رجما بالغيب ـ : ان العلم : لن يكتشف كثيرا : من المجهول (الذى لم يستأثر الله بعلمه) .. ولكن نقول : انى له الاحاطة بملكوت الله ؟!

وما كل اكتشاف جديد (يحيط به علم البشرية المسكينة) بصارف لنا عن الايمان بخالق الكون !

والعبرة فى خلق الحقيقة .. لا فى اكتشافها ! وصدق الله العظيم : **« إن الانسان ليطغى »** !

فيا أيها الملحدون : دونكم هذا الكون (الفسيح . الفسيح) فلا تتعجلوا بالالحاد : حتى تروا أنكم هيمنتم الهيمنة الكاملة : على تصريفه ، وتدبيره ، وعلى درء « حتميات القدر » وعلى كل ما لم تكونوا مستطيعين دفعه !! قال تعالى : **« ومن آياته خلق السموات والأرض »** ..

فهذا الخلق الهائل : لا بد له من خالق (وان لم نحسه ونراه) .. ولا بد أن يكون موجودا . فهذا المطلب ـ وان لم يكن محسوسا ـ ثبت بلزوم عقلى : مستمد من خبرة الحس ، لأنه ليس فى الحس : معلول بدون علة .. وليس فيه : أن عدما يخلق موجودا .. ولو وقف الملحد : عند هذه المرحلة (أعنى : مرحلة الشك) ولم يتجاوزها الا ببرهان : لكان أعذر .. فى ميدان الجدل !.. أما هنا : فقد رجح بلا مرجح ، وهذا تحكم .. فما الجزم : بنفى وجود الله : بأولى : من الجزم بوجوده . إذ لا دليل (للشاك) على القضيتين .

إذن : فملحد مستيقن : من المستحيلات !

فالملاحدة : اثنان :

متوقف حائر ، لا يحب الخوض فى « حقيقة الألوهية » وجازم (لا بيقين عقلى) .. ولكن بالعناد ، والمكابرة !

ودعوى النفى : لا مقر لها فى نفوس الملحدين .. وآية ذلك ظاهرتان :

أولاهمـا : أنه ما من ملحد (ينفى وجود الله) إلا ويثبت غيره .. فان عاند (فلم يثبت خالقا) : تهافت وتحامق : كمن يقول : إن الشىء يخلق نفسه !! أو إن الخلق : محض المصادفة !!

ومن يثبت غير الله : محجوج ، بأن المؤمنين (العقلاء) : لم يرتضـوا إلا الإله الكامل ، المبرأ من كل عيب ، ونقص .

فالملحد (على رغمه) لم ينف وجود الإله ، ولكنه آمن بإله دون إله ، وكل من خلا الله باطل ، والمحاجة فى هذا : ميدانها : مباحث الوحدانية ، وسائر الصفات .

والنافى ــ باطلاق ــ : سيبقى هــذا الكون سرا غامضا فى نفســه ، وسيعجزه تفسيره . وعلى كلا الفرضين : فلا قرار لخاطرة (النفى المطلق) فى النفوس والعقول .

وآخراهمــا : (وهى ثمرة للظاهرة الأولى) : أن الملحد (غير المعاند) تلق من براهين الموحدين : لا يريح ، ولا يستريح : يثيرها دائما ، ويناقشها . . لافلاسه من راحة اليقين .

وتحامقت الناشئة ، فقالت : ان العقل الأوربى الحديث : ربيب العلم ، والاختراع ، والابداع ! وفى الواقع : أن الالحاد فكرة اختطتها الغوغائية ، وانصاف المثقفين .

أما علماء الذرة ، ورواد الفضاء ، والمبرزون : فى الطب ، والتشريح ، والنبات ، والطبيعة ، وشتى الاختصاصات : فقد أثبتوا وجود الله ، وهداهم العلم : الى أن لهذا الكون : قوة تضبطه (١) .

نقول : سنفرض أن « حقيقة الايمان » غير قائمة (بذاتها) من ناحية البرهان(٢) إلا أن لها مرجحات : من خارج : تبدو فى ثلاثة أمور :

١ ــ الحاجة إلى العقيــدة :

وهذه الحاجة : تعرف : بالبرهان العلمى ، وهى فلسفة محضة للدين الاسلامى . قال « جورج سنتيانا » إن عقيدة الانسان : قد تكون خرافيــة ، ولكن هذه الخرافة ــ نفسها ــ خير (ما دامت الحياة تصلح بها !) . وصلاح الحياة خير من استقامة المنطق ! . . ا هـ .

صلاح الحياة بعقيدتنا : أنها تستجيش النفس ــ فى استشعار عظمة الله ، ووجوده ، واحاطته ــ فيكون للانسان وازع ينبثق من وجدانه .

وحاجة الناس الى العقيدة ــ كما يرى « كانت » ــ تبــدو : فى كونها ضمانا لأصحاب الأخلاق : لينالوا السعادة ((فى العاجل ، والآجل) . . ولهذا رأى « سكرتان » و « فيخنه » ــ تلميــذ كانت ــ : أن الايمان بالله إيمــان بالواجب . بمعنى : أن الإنسان : اذا لم يؤمن بالله : لم يبق أمامه واجب ؟! .

قال « ابن حزم » : ثق بالمتدين . . ولو كان على غير دينك . . وتقــول ــ كما قال الشيخ « مصطفى صبرى » ــ : الله موجود : سواء : أصــلحت أخلاق المجتمع ، أم فسدت . . وسواء : أسعد أصحاب الفضيلة ، أم شقوا ؟!

وانما أوردنا ذلك للتدليل : على أن الايمان بالله هو الراجح (على كل تقدير) . . لأنه خير باطلاق ! .

٢ ــ الحيطــة . . . والبخت :

فنفرض : أن الانسان شاك : فى وجود الله ، ولكنه يؤمن ــ احتياطا ــ ليقى نفسه العذاب (على فرض : أن ما يعتقده المؤمنون حقا) .

وقد عبر أبو العلاء المعرى عن هذا الإيمان (فى بيتيه المشهورين) فقال :

قال المنجم والطبيب كلاهمـــا :
لا بعث بعد الموت : قلت إليكمـــا
إن صح قولكمـــا فلست بنـــادم
او صح قولى فالخسار عليكمـــا

ويعرف هذا البرهان (عند الغرب اليوم) « بمراهنة بسكال » .. فعلى فرض : أن عقل الإنسان : لا يمكن أن يؤكد « وجود الله » كمـــا لا يمكن أن ينفيه : يرى « بسكال » .. أنه : لا بد من الاختيار : بين الإيمان ، أو الالحاد .. وهو اختيار حتمى (لا دخل للارادة فيه) .. فماذا نختار ؟

وأين مصلحتنا فى الاختيارين ؟.

فلنراهن على كل منهما (حتى يتبين مدى ما يلحقنا من خسارة ، او ما نجنيه من ربح) .. ولتكن المراهنة على هذه النحو :

أ ــ مصير المؤمن ــ فى هذه الحياة : التمسك بالفضائل ، والأخــذ بالمتع : الروحية ، والعقلية .. مما يكسبه الصحة النفسية ، والبدنية .

أما الثانى : فمصيره التحرر من الفضائل ، وتحليل المحرمات ، والجرى وراء الملذات العابرة ، والمجد الزائف .. مما يرهق النفس والبدن . فالخسارة ــ إذن ــ على الملحد !.

ب ــ إذا ذهبنا الى : ان الله موجود : ضمنا حياة ابدية ، ونعيما دائما (إذا صحت حقيقة الإيمان) . وان لم تصح : فهو احتيـــاط ، لم نخسر به شـــيئا ..

ويرى « ابن الوزير اليمنى » : ان إيمان الحيطة ينفع صاحبه يوم القيامة نقول هذا إيمان الشاكين ، والإيمان يقين ينافى الشك .. وانما أوردناه تنزلا فى الاستدلال .. وأنه لا مبرر للالحاد : لأن الإيمان راجح على كل حال .

٣ ــ ضرورة العقيـــدة النفسية :

قال الدكتور « هنرى لنك » : انه عين مستشارا : فى مصلحة « تشغيل المتعطلين » بنيويورك .. ونيط به وضـــع الخطط ، ومراقبـــة الدراســـات الاحصائية (المستحصلة لعشـــرة آلاف نفس) .. وأجرى عليهـــم ما قدره ــ (٧٣٢٦) ــ اختبارا نفسيا ، فكانت النتيجة : ان كل من يعتنق دينا ، أو يتردد على دار لعبادة : يتمتع بشخصية أقوى وأفضل : ممن لا دين له ، أولا يزاول أية عبادة (٣) .

وقال : الدين ليس ملجأ الضعفاء ، ولكنه سلاح الأقوياء ، فهو وسيلة الحياة الباسلة : التى تنهض بالانسان ليصير سيد بيئته ، المسيطر عليها .. لا فريستها ، وعبدها الخاضع .

* * *

كل ما مضى غربلة لمفهوم الألوهيـــة فى العقلية الغربيـــة الحـــديثة ، ومقارنات بين الإيمان ، والالحاد : تجلى فيها صدق هذه الكلمة لـــ «فولتير» : « اذا كان أمام الفكرة فى وجود الله عقبات ، فان فى الفكرة المضادة حماقات » .. بيد أن الناشئة : تحمست لحماقات الالحـــاد (دون أن تحـــاول تذليـــل

العقبات) .. وهذه نكسة فى المفاهيم والعقول !.
ولقدتمخضت مقارنتي عن أمور : هذا موجزها : ـ
١ ـ تناقض العقلية الغربية : فى اعتبار العقل حجة . ـ فى انكار حقائق الدين ـ وعدم اعتباره حجة فى الاثبات .
٢ ـ أن حجة الملحد سلبية ، لأنها « عدم علم » وليست « علما بعدم » !
٣ ـ ان الحس ليس معيار الحقيقة !.
٤ ـ انه لا يوجد ملحد مستيقن !.
٥ ـ انه لا مقر لفكرة الالحاد فى النفوس ، ويحتمل انه لا وجود لها فى الواقع ، لأن من ينفى وجود الله يثبت غيره ، الا أن المؤمن اختار الإله الكامل المبرأ من كل نقص وعيب .
٦ ـ ان للايمان مرجحات ، ولا مرجح للالحاد البتة ، بل للالحاد آفاته ، وآثاره السـيئة .
٧ ـ ان العلم نصير الإيمان ، وان الالحاد فكرة اختطتها الغوغائية .
٨ ـ لا تكافؤ بين أدلة الايمان والالحاد .. ومع التنزل فى الاستدلال : فان للايمان مرجحات من الخارج .
ولو احترم العقل الحديث منطقه : لآمن بأن الدليل العقلى (على وجود الله) دليل مستمد من الحس .. ودلالته من باب « اللزوم » .. واقوى الأدلة ما كان من هذا الباب (كما قرر ذلك شيخ الإسـلام ابن تيمية) وما ثبت به فهو قطعى .
بيد أن الوضعية الحديثة : لم تفرق بين الدليل وبين موضوعه ، وقـد ردوا الدليل العقلى على إثبات وجود الله ، لأن الله غير محسوس !.
نقول : إن وجود الله ثبت باللزوم العقلى المنتزع من الحس ، والمبادىء العقلية الفطـرية .. وهذا اللزوم يعنى وجود موجود واجب الوجود بذاته غير محتاج لغيره ، وكل من عداه محتاج اليه .
فهذه وظيفـة العقل !
أما الدليل الحسى أو العقلى على ماهية ذلك الموجـود ، وكيفيتـه ، وتمثيلها للعيان ، فمستحيل .. لأن الله لا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به العقول .. فالعلم به سبحانه : علم بوجوده .. لا احاطـة بذاته .. ولا تلازم بين العلم بالوجود والاحاطة بالذات .. ولنا مثال على ذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ كمـا يلى : ـ
« ولو رأينا سفعة ـ من زبل ، أو رمل ، أو رماد ، أو قمامة متلبدة : يخالف لونها لون الأرض ـ لكان ذلك دليلا قاطعا : على أن ناسا حلوا بهذا المكان وسودوه .. وقد قيل : إن البعرة تدل على البعير ! »
فتيقن وجود أناس حلوا : « دليل عقلى حسى قطعى » .
وهذا ما نطالب به جماعة الملحدين ومنكرى دليل العقل .
أما صفة هؤلاء الناس ، وتشخيص ذواتهم ، وتمييزهم : بقسماتهم ، وسحناتهم ، فأمر فات الحس والعيان !.
ونوجز القول : بأن الله يعرف بالعقل ، ولكن معرفة العقل : لا تحيـط بكنهـه !.

نداء إلى شعوب الأمة الإسلامية

بشأن :

أ) تعلم اللغة العربية .

ب) خطورة كتابة لغات المسلمين غير العربية بالحروف اللاتينية

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر برئاسة فضـــيلة الدكتور الإمام الاكبر شيخ الازهر وبحث موضوع اســـتبدال الحروف العربية باللاتينية وأصدر هذا النداء الى حكومات العالم كله .. وفيما يلى نص النداء :

ا) باسم الاسلام الذى جمع كلمة المســـلمين على ما فيه خيرهم وخير الانسانية وجعلهم فى مشارق الارض ومغاربها اخوة متساويين ، لا فرق بينهم على أساس من الجنس أو الوطن أو اللون .

يتقدم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بهذا النداء الى جميع المســـلمين الذين يتكلمون بلغات وطنية غير العربية ليضع أمامهم رأى الاســـلام فى تعلم لغة الاسلام ، التى هى أساس عبادتهم ووســـيلة تفاهمهم فى دينهم ، ووعاء ثقافتهم الروحية ورمز وحدتهم .

ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ، ولغة الســـنة الشريفة ولغة



جميع العلوم الدينية التى اسست القواعد ، ونسقت الفروع فى جميع العبادات والمعاملات وسائر شئون المسلمين .

ولقد صرح الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فى رسالته فى أصول الفقه بوجوب تعلم اللغة العربية على جميع المسلمين ــ كل بالقدر الذى يستطيعه ، وبالقدر الذى يستقيم به دينه للعبادة ــ فأشار الى قوله تعالى : « **وانه لتنزيل من رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين** » . والى قوله تعالى : « **وكذلك أنزلناه حكما عربيا** » . والى قوله عز شأنه : « **انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** » .

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ويتلو كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما افترضه عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك .

وان مجمع البحوث الاسلامية بالازهر يذكر المسلمين جميعا بأن قيام الدين الاسلامى متوقف على العلم بلغة كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، سواء فى ذلك هدايته الروحية ورابطته الاجتماعية .

وان المسلمين لم يكونوا فى عصر من العصور أحوج الى وحدة الكلمة ، ووضوح الهدف منهم في هذا العصر الذى قد استيقظوا فيه من سبات التخلف الذى كان قد فرضه عليهم الاستعمار .

وان من أهم الوسائل لدعم هذا الاستقلال وصيانة الحرية التى كافحوا فى سبيل الحصول عليها أن تقوى صلاتهم بعضهم ببعض أفرادا وجماعات ، عن طريق لغة دينهم بدلا من تفاهمهم وتراسلهم وتعلمهم بلغات المستعمرين الذين

طمسوا بها شخصيتهم الاسلامية .

فأيها أكرم لشعوب اخوتنا المسلمين : أن يكون تفاهمها بعضها مع بعض بالانجليزية والفرنسية — لغة من كانوا قد فرضوا عليهم سيادة المستعمر .. ومذلة التبعية .. أم لغة دينهم التى تربطهم بمئات الملايين من أبناء عقيدتهم وثقافتهم وحضارتهم ومصيرهم .. ؟

ب) وهذا أمر آخر يناشد فيه مجمع البحوث الاسلامية بالازهر اخوته المسلمين من الناطقين بلغاتهم الوطنية غير العربية ، هو أن هذه اللغات التى نتمنى لها القوة والازدهار بين أهلها قد اتخذ معظمها منذ دخول اهلها فى الاسلام . الحروف العربية لكتابتها وكان لذلك سببان قويان :

أولهما : أن هذه اللغات قد اشتملت على كثير من الالفاظ والتعبيرات العربية المتصلة بالدراسات الاسلامية والمجالات الحضارية .

ثانيهما : أن الحروف العربية أثبتت صلاحيتها لتصوير الاصوات اللغوية المطلوبة فى هذه اللغات .

والذى يدعو مجمع البحوث الاسلامية لتوجيه هذا النداء الآن هو هذه البدعة الاستعمارية التى يدعو اليها أعداء الاسلام والمسلمين وهى اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة بعض اللغات التى يتحدث بها المسلمون فى أفريقيا وآسيا ..

وهذه البدعة قديمة قدم عداوة الاستعمار للاسلام والمسلمين ، فقد حاولوا الترويج لها حتى لاحلالها محل الحروف العربية فى اللغة العربية نفسها ولكنهم أخفقوا فى ذلك اخفاقا كاملا .

والثابت علميا أن الحروف اللاتينية قاصرة فى تصوير الاصوات اللغوية لغير اللغة التى نشأت لها ، وأن الاصول العلمية فى اختيار اية مجموعة من الحروف للغة ما ، هى أن هذه الحروف تحقق أمرين :

١ — أن كل صوت فى اللغة لا يمثله الا رمز كتابى واحد .

٢ — أن كل رمز كتابى لا يمثل الا صوتا لغويا واحدا .

وهذان الشرطان متحققان فى الحروف العربية ، واذا وجد فى اية لغة بعض الاصوات الاخرى فان اصطناع بعض الحروف العربية لها مع تعديل فيها يفى بالغرض كما فعلت اللغة الفارسية والاوردية .

والى جانب هذه الاعتبارات الفنية من قصور الحروف اللاتينية عن التعبير الدقيق عن أصوات لغات أخرى ، ومن وفاء الحروف العربية بذلك ، يوجه مجمع البحوث الاسلامية أنظار اخوته المسلمين الى أن الحروف العربية تربطهم باللغة العربية التى تحتمل لغاتهم على كثير من كلماتها وتعبيراتها ، كما أنها تديم ارتباطهم بالخط العربى الذى يكتب به القرآن الكريم وبذلك يكونون أقدر على صحة النطق به وفهمه ، ذلك الى أن معرفتهم بالحروف العربية والفهم لها فى لغاتهم القومية يديم صلتهم بالتراث الاسلامى الذى كتب بالعربية على مدى أربعة عشر قرنا فى جميع الاقطار الاسلامية من شرق آسيا الى غرب أفريقيا .

كذلك يوجه المجمع الانظار الى ان كرامة الشعوب الاسلامية التى تحررت من قيد الاستعمار ومذلة التبعية للامبريالية الغربية ، تأبى أن تتخذ الحروف التى يستعملها الاستعمار فتكون هذه الشعوب قد ارتضت أنها ما تزال تستمسك بمذلة التبعية لنظم اقدرها الله تعالى على التخلص منه .

ان الدين هو النصيحة ونحن نتقدم بهذا النصح خالصا لوجه الله تعالى والاسلام والمسلمين ..



كتاب الشهر

من قضايا القرآن

تاليف : عبد الكريم الخطيب
عرض وتعليق : محمد عبد الله السمان

هذا كتاب جديد نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة في مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير لكاتب إسلامي لامع صادق مع نفسه وصادق مع قلمه ، سبق أن قدم للمكتبة الإسلامية والعربية عديدا من الدراسات الإسلامية الناضجة الجادة ، منها : إعجاز القرآن في مجلدين ، وقضية الألوهية في مجلدين والسياسة المالية في الإسلام ، والخلافة والإمامة ، والقضاء والقدر بين الفلسفة والدين ، وفي السنوات الأخيرة أنجز « التفسير القرآني للقرآن » موسوعة في ستة عشر كتابا ، إنه الأستاذ عبد الكريم الخطيب الذي اختلست الوظيفة من شبابه بضعة عشر عاما ، لم يستطع خلالها أن يقدم للمكتبة العربية والإسلامية شيئا يذكر ، لكنه ما إن تفرغ للكتابة منذ بضع عشرة سنة حتى أنتج خلالها هذا السيل من الدراسات الإسلامية الجادة التي لها تقديرها .

إن المؤلف قد اختار قضايا سبعا من قضايا القرآن ، هي : القرآن لفظه ومعناه ـ النسخ ـ التكرار في القرآن ـ القرآن قديم أو حديث ـ المحكم والمتشابه ـ معارضة القرآن ـ ثم الترتيب النزولي للقرآن ، فتناولها من جميع زواياها ولكن في ايجاز ، باستثناء القضية الثانية

« النسخ » التى استوعبت زهاء مائة صفحة من الدراسة ، والتى أولاها المؤلف عناية خاصة ، لأن « النسخ » تشكل منه اثباتا ونفيا — كما يذكر المؤلف — قضية من أكبر القضايا فى الدراسات القرآنية ، وفى الأحكام الفقهية المترتبة على القول بنسخ آية كذا أو عدم نسخها .. كذلك أشار المؤلف فى مقدمته إلى أن المباحث التى يعرضها من « قضايا القرآن » ليست استعراضا لوجوه الخلاف الدائرة حول كل قضية ، وانما هى مناقشة لهذا الخلاف عليها ، بل ومحاكمة غيابية لها ، وفصل فيها .. ونحن إذا سلمنا مثلا بالمحاكمة الغيابية لهذه

الآراء التى استوعبتها هذه القضايا فالتسليم بالفصل فيها أمر فيه كلام ، فالمؤلف نفسه يشير بعد ذلك الى ان ما يقضى به هو لا يلزم أحدا الأخذ به ، بل يضعه موضع المناقشة والمحاكمة ، وأشار أيضا الى أنه لا يبغى بمباحثه غلق أبواب الخلاف ، وسد منافذ الجدل فى القضايا ، بقدر ما يقصد إليه من فتح هذه الأبواب وتلك المنافذ على أوسع مدى ، فذلك — كما يقول — هو الذى يلقى مزيدا من الضوء على هذه القضايا ، ويفتح للناظرين فيها مسالك جديدة للنظر ، تدنى من الحق ، وتقيم الوجوه عليه .



يرى المؤلف أن الخلاف فى أمر النسخ ، قد وقع نتيجة للاختلاف فى فهم الآية الكريمة : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ؟» فالذين حملوا معنى « الآية » على انها الآية من كتاب الله هم القائلون بالنسخ ، فدارت أعينهم فى كتاب الله يلتمسون مصداق هذه الآية ، ويستخرجون لها الشواهد لآيات قرآنية منسوخة بآيات قرآنية ناسخة أما الذين لم يفهموا لفظ « آية » على هذا الوجه ، ولم يروا من الحتم اللازم أن يكون معنى « آية » محمولا على الآية القرآنية ، فهؤلاء لم يروا فى القرآن ناسخا ولا منسوخا ، ثم جعلوا للآيات التى قيل انها منسوخة وجها من التاويل بحيث يبقى حكمها كما بقيت تلاوتها ..

وبعد أن عرض المؤلف لمعانى النسخ ، مستشهدا لكل معنى بشواهد من القرآن وغيره ، ومن هذه المعانى : المحو والإزالة والنقل من موضع إلى موضع ، والكتابة ، والتبديل، ثم عرض لمعنىالنسخ لغة : يتناسخ الشيئان ، إذا حل أحدهما محل الآخر ، كما يتناسخ الليل والنهار وتناسخت الأرواح بمعنى انتقال الروح من بدن الى بدن عند من يعتقد هذا المذهب . ومنه نسخت الشمس الظل اذا أزالته وذهبت به ، وبعد أن عرض أيضا لماهية النسخ وآراء العلماء الخلافية فيه ، وأجاب عن هذا السؤال : هل فى القرآن نسخ ؟

موضحا آراء العلماء ، وبعد أن عرض لتاويل بعض ما يبدو فيه النسخ ، أولى قصة (الغرانقة العلى) عناية خاصة ، وهى التى أشارت إليها الآية الكريمة : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » هذه الآية — كما يقول المؤلف — هى التى ولد منها المفسرون وأصحاب السير قصة الغرانقة هذه ، وبالطبع يقصد المؤلف بعض المفسرين وبعض أصحاب السير .. والحقيقة أن المؤلف وفق توفيقا كبيرا فى دحض هذه الفرية

المفتراة التى استغلها الحقدة من المستشرقين والمبشرين .

وفى قضية ((التكرار القرآنى)) يشير المؤلف إلى أن التكرار كان مدخلا يدخل منه أصحاب الأهواء ومرضى القلوب ـ على كتاب الله ـ ليخوضوا فيه ويتخرصوا على نظمه ، وهؤلاء أعاجم أو أشباه أعاجم ، لم يذوقوا البلاغة العربية ولم يتصلوا بأسرارها .. ولو أنهم رزقوا شيئا من هذا لما طاوعتهم ألسنتهم أن ينطقوا بهذا البهتان العظيم ، وحسبنا أن قريشا لم تقل بهذا القول وهى مرجع الفصاحة والبلاغة وموطنهما . إن التكرار فى القرآن ـ كما يقول المؤلف : لا يجىء متكلفا ، ولا يصدر عن عجز عن تناول اللفظ الذى يصلح للمعنى عليه ، وإنما يجىء ليخدم المعنى ، ولا يخل بتساوق النظم ، بل يمد النغم الموسيقى بلون جديد ، يزداد به النغم روعة وقوة .

والقرآن ((قديم أو حادث)) هو القضية الرابعة التى عرض لها المؤلف والتى كانت فى فترة من فترات المسلمين مثار فتنة عاصفة ، كادت تذهب بوحدة الجماعة الاسلامية ، وتمزق شملها ، والمؤلف يشير الى أن هذه الفتنة ولدت من احتكاك المذاهب الكلامية التى ظهرت فى العصر العباسى، فكان المعتزلة أول من أثاروا المعارك وأداروا الجدل بالقول بخلق القرآن ، وإن كان ((الجعد بن درهم)) أول من فتح فمه بهذا الشر الأعمى أيام هشام بن عبد الملك ، الخليفة الأموى ، الذى بعث به إلى خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق وأمر بقتله .. ولم تمت هذه البدعة بموت صاحبها ، فتلقاها من بعد ((الجعد)) من تلقاها حتى صارت بعد ذلك قولا ومذهبا لفرقة كبيرة من أصحاب الكلام وهم المعتزلة الذين جهروا بهذا القول ووقفوا به فى وجه الجماعة الإسلامية كلها .. وقد تصدى لهم أهل السنة ..

وبعد أن عرض المؤلف رأى الجاحظ فى القضية ، وكذلك رأى ابن قتيبة ، أشار فى خاتمة البحث إلى أن القرآن ذاته لا يتأثر بشىء من هذا الخلاف الذى لا ينقض شيئا من أحكامه ، ولا يغير لفظا من ألفاظه ، ولا يمس الجهة المنزل منها ، فهو عند المعتزلة ـ كما هو عند المسلمين جميعا ـ مصدر للتشريع وهو الكلام الذى تلقاه الرسول الكريم من ربه وحيا .. نزل به الروح الأمين .

أما القضية الخامسة التى عرض لها المؤلف ، فهى ((المحكم والمتشابه)) وهى قضية شائكة بكل ما فى هذه اللفظة من معنى ، لكن ما دام القرآن ـ كما يشير المؤلف ـ ليس فيه أعلى وأسفل ، كذلك ليس فيه محكم ومتشابه ، إذ جميع آياته محكمات ، ويبدو أن هذا الحكم من المؤلف فى بداية البحث ، لا بد أن يثير تساؤلا إزاء قوله تعالى : ((هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب .. وأخر متشابهات ..)) لكن المؤلف يجيب عن هذا التساؤل : ((ليس معنى المتشابه هنا المغلق الذى عميت سبله ، وطمست معالم الفهم منه ، وإنما هو ما احتمل أكثر من وجه من وجوه الرأى والنظر .. وذلك خلاف المحكم الذى لا يحتمل إلا قولا واحدا ، ولا تتباعد فيه المسافات بين مطارح النظر ..))

وتناول المؤلف بعد ذلك فى القضية السادسة ((معارضة القرآن))

الشبهة التى يثيرها قديما وحديثا أصحاب الأهواء وذوو الآراء المنحرفة والتى مؤداها : أن هنالك من عارضوا القرآن وقابلوا التحدى وصمدوا له ونجحوا فيه ، أما أصحاب هذه الآراء فهم فريقان : فريق لا يحسن اللغة العربية ، وإنما تغلب على لسانه رطانة أجنبية ، ومن هذا الفريق معظم المستشرقين ، ومن هذا الفريق أيضا ، قوم يحسنون ، ويعرفون الكثير من أسرارها ، ومع هذا يلج بهم الضلال والعناد ، وأما الفريق الآخر فهو يضرب صفحا عن هذه المعارضات أو السخافات التى احتفظ بها التاريخ إذ يراها ضروبا من السخف لا يقنع به حتى العامة والدهماء ، لذلك لجا هذا الفريق الى الكذب والادعاء ، فقالوا : إن هناك معارضات كثيرة وقعت فى عصر النبوة ، وأنها كانت جديرة بان تلتقى بالقرآن وتصمد له .. ولكن غلبة الاسلام وسطوة سيفه فى أيامه الأولى قد ذهبت بكل ما قيل ، ثم وأدت كل ما كان مضمرا فى الصدور أو مرددا فى الخواطر .

والمؤلف يرى أن الدعوى الأولى تحمل فى طياتها دلائل سخفها ، فما احتفظ به التاريخ من معارضات « مسيلمة » وغيره يثير الضحك أكثر مما يثير الاستخفاف به ، أما الدعوى الأخرى ، فهى أوهى من أن تثار ، فاذا ادعى مدع أن هناك من المعاصرين من عارض القرآن ، ولم يكن بين يديه هذه المعارضة ، ولم يدل على صاحبها ، لما وجد لكلامه أذنا تسمع حتى ولو كانت أذن فتنة وسوء ، إذ لا شىء هناك تسمعه ، ومع ذلك فقد أحسن المؤلف الاختيار حين اختار لتفنيد هذه الدعوى الباطلة (القاضى عبد الجبار) ممن كتبوا فى إعجاز القرآن كالجاحظ والباقلانى وغيرهما ، والقاضى — كما يقول المؤلف — سلك فى رده — كما ورد فى الجزء السادس عشر من كتاب (المغنى) — سلك أسلوبه المنهجى فى كتابه كله ، وهو ايراد الاعتراضات على لسان من يصح منه الاعتراض فى هذا الأمر أو غيره ، ثم يتولى دفع هذا الاعتراض ، بما يقيم من حجج وأسانيد ..

أما خاتمة القضايا فهى « الترتيب النزولى للقرآن » فالمؤلف يراها دعوة جديدة محمومة بدأت تظهر فى آفاق مختلفة فى محيط العالم الاسلامى ، وفى خارجه ، تدعو إلى إعادة نظم القرآن وجمعه على حسب ترتيب نزوله ، ومن هنا يبدو خطر الدعوة التى ينخدع لها كثير من الناس ، واهمين أن مثل هذا العمل يخدم القرآن كدراسة تضاف الى دراسات عن القرآن ، كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ وغيرهما ، وهذا الخطر الذى يتهدد القرآن من هذه المحاولة الطائشة ماثل فى وجوه :

أولا : استحالة ضبط صورة القرآن على حسب الترتيب النزولى لآياته ، حيث لم يعرف الترتيب النزولى إلا

لعدد محدود من آيات القرآن . لا تمثل الا اقل القليل بلا إجماع عليه .

ثانيا : لو سارت هذه الفتنة إلى غايتها ، فإن الذى سيحدث من هذا أن تتغير صورة القرآن تغيرا كبيرا لا يصبح معه القرآن قرآنا ، بل سيكون هناك عشرات بل مئات وألوف من المصاحف التى تسمى قرآنا ..

ثالثا : لو سلم جدلا بإمكان هذه المحاولة — وهو أمر مستحيل استحالة مطلقة — فما جدوى هذا ؟ وماذا يعود على دارسى القرآن منه ؟



وبعد — فمما لا جدال فيه أن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا فى تقديم هذه الدراسة الجادة التى استوعبت عديدا من القضايا القرآنية التى تشعبت حولها عشرات الآراء للمفكرين الاسلاميين القدامى والمحدثين . لكن بعض القضايا التى عرض لها المؤلف كان لها أهميتها ولا تزال ، كقضية النسخ مثلا لارتباطها ارتباطا وثيقا بالتشريع ، كذلك قضية التكرار ، وقضية المحكم والمتشابه ، لأنهما من القضايا التى تسلل المستشرقون والمبشرون الحاقدون من خلالها لمحاولة الغمز والطعن فى القرآن ، أما قضية .. القرآن قديم أو حادث فكان من الأجدر بالمفكرين الاسلاميين اليوم أن يسدلوا الستار عليها لأنها تمثل صفحات قلقة فى تاريخ الفكر الإسلامى فهى لا تخدم القرآن ، والمؤلف نفسه قد أشار فى خاتمة هذا البحث الخاص بالقضية ، إلى أن أعدل نظر ينظر به إلى كتاب الله ، أن يتجرد المرء فيه من الإحساس بانه مخلوق أو غير مخلوق . حديث أو قديم .. وحسب الناظر فى كتاب الله أن يعلم أنه من عند الله ، وأنه كلام الله ..!

كذلك قضية معارضة القرآن ، لم تصبح اليوم قضية ذات موضوع ، وإن كانت دراستها دراسة حية ، وكم كنت أود أن يهتم المؤلف فى هذه القضية بمسالة فرعية وثيقة الصلة بها ، والتى تضمنها مذهب الصرفة المنسوب الى (النظام) المفكر المعتزلى الكبير ، ومؤدى هذا المذهب : أن العرب كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن فصاحة وبلاغة ونظما لكن الله صرفهم عن ذلك ، أما قضية الترتيب النزولى للقرآن فهى قضية حديثة نوعا ما لم تنل قدرا كبيرا من اهتمام المفكرين ، ولا من التفات عامة المسلمين إليها .

ومع هذا فالاستاذ الجليل عبد الكريم الخطيب قدم الى المكتبة دراسة جديرة بكل تقدير ، فقد أحاط فى قضاياه بكل جوانبها وزواياها ودقائقها . فجعل من جميعها قضايا حية يحتاج الى استيعابها كل باحث وكل دارس ..



ثقب في رأس كبير

قصة من الواقع المعاصر

للأستاذ : محمد لبيب البوهى

في دولة عظمى .. ربما كانت ترى نفسها أعظم دول الأرض طرا فى تقدير الناس .. حين تضل المقاييس ، وتتــوارى القيم وتتحطم تحت ضربات المطارق ، وتحترق بنيران الصواريخ ، وتقاس الأقدار لا بالفضائل ، وإنمـا بقوة عضلات الحديد ، على حين قد تخلت عن مكانتها الأمة التى وصفها ربها بانها خير أمم الناس فراحت تهبط من علياء فضائلها ومقومات عظمتها لتقف فى صفوف دون مكانتها .. فى هذه الدولة العظمى كان انتخـاب لرئيسها الأعلى .. وقد جال وصال واطمان الى أنه سيكون الفائز بالأساليب التى يحذقونها وعاد متعبا من جولته فالقى بنفسه بين مساند المقعد الوثير ، وطاب له أن يخلد إلى نعاس لذيذ فى انتظار النبأ الأبيض الرسمى بالفوز الكبير .. وجاءت سيدة داره ترقبه فى زهو واعجاب فهو الذى سيضمن لها البقاء فترة أخرى فى البيت العظيم ، الذى طلى بلون ناصع تمعينا فى التضليل وأطلق على هذا البيت اسم مضاد لمعناه ، كما يطلق اللص على نفسه اسم الأمين .

وكان المذياع يذيع بصوت عال تفاصيل قضية عن عصـابات شيكاغو وأساليب السطو المقنع فمدت يدها الى المذياع وأسكتته حتى تتيح الفرصـة لعظيم العظماء كى يتذوق فى غفوته عسل الأمانى .

وقبل أن يغمض السيد عينيه تماما رأى نفسه يهم بدخول البيت العظيم فهاله أن رأى شبحا أبيض صغيرا يقفز من النافذة ويفر هاربا وهم الحراس أن يمسكوا بالهارب ، فأشـار اليهم العظيم قائلا : دعوه يذهب انـه شيء يسمونه الحـق ، انه لا يريد أن يبقى ونحـن لا نريد أن نمسك به . اننا

ديمقراطيون ندع له الحرية في الانصراف .. ولكن الشيء العجيب أن الشبح الهارب استدار اليه وقال : انني لن أتوارى الى الأبد .. انني أعرف طريق العودة فصاح العظيم غاضبا : كيف تجرؤ على مخاطبة رئيسك بهذه الصورة .؟ الست أحد المواطنين هنا ؟. ألست تراني رئيسك الأعلى .؟ أرني جواز سفرك أو جنسيتك . قال الشبح الأبيض : لا جنسية لي .. انني شبح هائم .. كنت اعيش هناك في مكان ما بالشرق .. كان ماواي بين ضفتي كتاب لا ياتيه الباطل .. ولكن أهله أغلقوا صفحاته .. وراحوا يعنون بالغلاف .. إنهم يموهون غلافه بالذهب .. وهذا كل ما هنالك .. إنني أجول بقاع الأرض .. ولقد كنت في زيارة هنا — كنت أظن أن الأمور سوف تتغير وتاخذ لون البيت الذي تحبه أنت .



كانت النتائج تاتي بالنجاح المقدر سلفا .. وكان حول العظيم بعض مستشاريه وأراد أحدهم أن يوقظه ليقدم له التهاني . فقال الآخر هامسا : دع سيادته يسترح .. إنه لا يكون في أحسن حالاته إلا حين ينام .. أما حين يستيقظ فانه يود لو يجعل السماء تمطر دما .. ليتنا ندهن البيت باللون الأحمر فتبسم المستشار الكبير ضاحكا وقال : من أجل هذا إنني أحبه .. إنني مثله من عشاق اللون الأحمر — ولقد جئته بهدية — آخر صورة من الجو وصلتنا عن الأمور هناك .. وامتد الحديث .. ولكن العظيم لم يكن نائما تماما .. كان يسترق السمع .. انه تعود أن ينام بعين واحدة وتظل الأخرى تحرس أهدافه في الصحو ..

وقال الأول : ولكن أين هي الهدية التي جئت بها للرئيس .؟ فاجاب الآخر همسا : إنها قد لا تعجبك .. فانني أدرك أن البعض لا يريدونها هكذا .. ولكننا قد اندفعنا أو تورطنا وانتهى الأمر .. وتحرك العظيم في مقعده .. فان كلمات الهدايا توقظ حواسه ولكنه قبل أن ينهض أراد ان يتخلص من الشبح الذي يلح على خياله في نعاسه فصرخ فيه قائلا : مهما كان اسمك .. أو مكانك .. فانه يجب أن تذهب .. إنني أستطيع أن آمر بمصرعك .. ولكنني أريد الابقاء على صورتك .. مجرد الصورة .. فانه قد يطيب لي أن أستعمل صورتك في الحوار .. إنك تعلم أن بيتنا الكبير مدهون بلونك .. وكنت أتمنى منك أن تهنئني قبل أن تنصرف .. وتبسم الشبح ضاحكا ولم يجب .. ولكن صدرت قهقهة عالية من مكان ما .. وانبعث صوت كفحيح الأفعى .. يقول : انا التي جئت لأقدم أول التهاني — ونظر العظيم في نعاسه الى السماء فقد يكون الصوت آتيا منها — ولكن الصوت كان آتيا من تحت قدميه — من تحت الأرض .. حيث برزت كتلة سوداء قبيحة في صورة امرأة عجوز .. وانتشرت في الجو رائحة جعلت الرئيس يحاول أن يسد أنفه فقالت العجوز ضاحكة : لماذا تسد أنفك يا عزيزي .. إنك أنت صانع هذا العطر — انني أريد ان أكون أول المهنئين ولكن لا تنس أنك إذا كنت قد أعطيتنا باليمين فقد أخذت بالشمال ، ففتح ذراعيه ليضم العجوز وقد وضحت صورتها وعرفها .. وتصنع كانه يتشمم عطرها وقال مازحا : ولكن لماذا بحق الشيطان تاتينني من تحت

الأرض ؟ لقد أعطيتك مائة من الفانتوم .. ومثلها من الصواريخ .. فلماذا لم تأتنى راكبة احداها . سابحة فى السماء ؟؟ فقالت : يا عزيزى لا تتحدث عن السماء .. لقد جئتك بالأسلوب الذى تعودناه وتعاهدنا عليه .

فصاح مغاضبا : أنت تأتيننى فى الظلام .. إنكم لا تعرفون الاخلاص للذين يرفعونك فوق الرؤوس .. تريدون دائما أن تمسكوا العصا من الوسط .. لقد أعطيتم الآخر .. ـ المنافس الآخر ـ كما أعطيتمونى . فقالت : هدىء من روعك يا ولدى .. لا تتلف أعصابك فسوف نحتاج اليها كثيرا .. إننا لم نعطِ الآخر إلا وهما وأما أنت فان حبك هو شىء آخر ..

فقال وهو يضرب الأرض بقدمه فى أحلامه : ولكن التقارير قد جاءتنى بانكم خاطبتم الآخر بنفس الأسلوب . وربما بنفس الألفاظ ، إنكم لا تعرفون الوفـــاء ..
فضحكت العجـــوز فى خبث وقالت وهى تشـــمله بنظرة ذات معنى : الوفاء ..؟ هل تصر على الحديث عن هذا الشىء أيها العزيز ..؟ واقتربت منه وقبلته فى جبينه .. وداعبته كطفل وقالت : سوف نلتقى كثيرا وكثيرا جـــدا ولكن مستشاريك يتحدثون عن هدية جاؤك بها فانهض واستمع .. وأرسلت العجوز قبلة فى الهواء .. وهبطت الى الأرض .. وانفتحت الهوة مرة أخرى وابتلعتها لتعود فى وادى السراديب السوداء .



ونهض الرئيس ، وتقدم المستشار بالهدية ، أيها السيد الرئيس : هذه صورة رائعة ، صورة نادرة المثال تم تصويرها من طبقات الجـــو العليا .. أمسك الرئيس باللوحة وراح يتأملها فى إعجاب .. كانت لوحة كبيرة بيضاء ليس بها شىء على الاطلاق سوى نقط سوداء وسط الفـــراغ الكبير ودوائر كأنها فوهـــات براكين يتصاعد منها الدخان ..
تبسم الرئيس ضاحكا وقال : يا لها من صورة رائعة . انها كما أرى آخر صورة لسطح القمر ..
فغاض الدم من وجه المستشار وشحب وجهه وقال : سيدى انها ليست صورة لسطح القمر .. انها آخر رسم لما صارت إليه فيتنام بفضل توجيهاتكم الرشـــيدة ..
قال الرئيس : نعم نعم فجوات ثم فجوات ، ولا شىء غير الفجـــوات .
قال المستشار : نعم يا سيدى .. هذا هو ما صارت إليـــه فيتنام ، ان الفضل أولا وأخيرا لك ـ الغارات المكثفة ـ .
تبسم الرئيس ضاحكا وقال : ولكن ما هذه الفجوات الكثيرة التى تملأ فضـــاء اللوحـــة ؟
قال المستشار : سيدى الرئيس .. هذه الفجوات هى ما كان يسمى من قبل بالقرى الفيتنامية .
قال الرئيس فى نشوة وسعادة : قرى فيتنام .. لقد صارت فجوات ، هذا عمل عظيم فانحنى المستشار فى أدب وقال فى وقار : الفضل لكم أولا

واخيرا .. فجوات وأنقاض .. وأشار الرئيس الى ذرات صغيرة متناثرة فى أرجاء الصورة وقال : هذه ذرات تعد بالآلاف .

قال المستشار : بل تعد بالملايين يا سيدى .. هذه الذرات هى ما كان يسمى من قبل بالناس .

قال الرئيس ضاحكا مازحا : زارتنى سيدة عجوز كانت تحمل صـورة لبلاد أعدائها ، إنها تتمنى هى الأخرى أن تحمل إلىّ فى يوم ما مثل هـذه الهدية .. كانت تتحدث الى الساعة فى ذلك .

قال المستشار : أهناك عجوز تريد منك غارات أخرى مكثفة لتجعل بلاد اعدائها هكذا ..؟

قال الرئيس : نعم نعم .. إنها تتمنى ذلك .. ثم استطرد هامسا : وأنا أيضا ربما أتمنى بشرط أن يكون هناك ثمن .

قال المستشار : ولكننا لم نر هذه العجوز يا سيدى .. لقد ذكرت أنها كانت هنا الساعة ولكننا لم نر أحدا ..!!

قال الرئيس : ليس من المهم أن تروا ، إننى أحب أن يكون لقائى مع بعض أصدقائى فى الخفاء ..

قال المستشار : فهمت يا سـيدى الرئيس .. إنك تحب أن تتم بعض الأمور فى الخفاء ، ولكننا فى عهد معجزة التكنولوجيا حيث لا يظل شىء فى الخفاء ، إنهم يستطيعون أن يصوروا حتى هواجس نفس الانسان وأحلامه .

قال الرئيس : هـذا طبعا ما أخشاه ، وما يجب أن تخشوه كذلك ، إنه إذا ارتفع الغطاء عن أشياء أعلمها وتعلمونها فقد يتغير وجه كل شىء .

وكان الذين من حوله يعرفون هذه الحقيقـة ، فأراد أحدهم تغيير دفة هذا الحديث البغيض فقال مشيرا الى الصورة : لا بد أنها أعجبتك يا سيدى .

فقال الرئيس : القرى التى أصبحت مثل فوهـات البراكين ، والذرات التى كانت من قبل ما يسمى ببنى الانسان، يقينا لقد أعجبتنى الصـورة ، أن كثيرا من الناس هنا يظلموننى ، إنهم لا يعلمون أننى فعلت هذا من أجل السلام.

نظر بعضهم الى بعض وقال كبير منهم فى حماس : بالتاكيد يا سيدى . إنك بطل السلام . هل ترى أيها السيد الرئيس أن نثير اقتراحا بمنح سيادتك وسام السلام ؟.

قال الرئيس فى أناة : هذا حلم لذيذ .. مجرد حلم .. ولكن الشعب هنا لن يصدق ذلك ، إن البعض ينقصهم الفهم الأيديولوجى .. ولكنهم هناك فى الطرف البعيد أظن أنهم قد يمنحوننى هذا الوسام ..

قال المستشار : من هم أيها السـيد الرئيس الذين تتجـه اليهم دائما بانظـارك ..؟

قال الرئيس فى عجب : إنهم شعبها .. لقد قالت لى ذلك من قبل .. لقد تحدثت هى الأخرى عن وسام السلام ..

قال أحدهم فى صراحة : عفوا يا سيدى .. بودى لو أرجوك الا تكثر الحديث عنها ، إن هنا فى هذه البلاد من يظن أنها قد تجـرنا الى كثير من الويلات .. إن أعداءها يملكون أسباب العقاب .. هم يمتازون بالحلم ولكنهم دائما فى النهاية .. ولم يدعه الرئيس يتم حديثه ، لقد استشاط غيظا وغضبا ، فضرب المنضدة بقبضة يده حتى أدمى بعض أصابعـه وقال وهو يلعق الدم المتساقط من اصبعه : إنكم لا تفهموننى .. إنه ليس بى غرام من اجل هـذه

العجوز الشوهاء . إنها وقومها يؤدون دور كلب الحراسة الذى يتشمم الريح لينبح حين يريد أن ينبهنا — يجب أن تعلموا أننا نثبت أقدامهم بالقرب من كنوز أعدائهم اننا نريد هذه الكنوز .. حينما تكون هناك كنوز لا بد من تواجد الذين يطمعون فيها .. إنهم قد يسموننا لصوصا .. ولكن الأسماء لا تهم .. إنكم قد لا تعرفون حقائق الأشياء — ان أعداء هذه العجـــوز يجب أن يبادوا أو يشتروا أنفسهم بتسليم كنوزهم .. لقد فعلنا هنا نفس الشيء حين جئنا من بقاع الأرض مهاجرين .. لقد أنهينا وجود الذى كانوا هنا من قبل .. يجب أن نعمل بسرعة .. فان أعداء هذه العجوز يستطيعون أن يستردوا الكرة منا ..

قال المستشار : سيدى إنك تتحدث عن الكرة .. إننى لم أكن أعرف أنك من هواتها الذين يتابعون برامجها .

قال الرئيس : إنما أعنى بالكرة هذا الكوكب اللعين المسمى بالأرض .. لقد قبضنا عليه بيد من حديد .. بفضل حضارة الميكانيكا والطاقة والالكترون .. ولكن كل هذا يوشك أن ينهار .. وهناك قوم يستطيعون تغيير وجه الأمر.

قال المستشار الكبير : وهل تصـــدق ذلك يا سيدى !؟ هل هنـــاك من يستطيع أن يرث عنا الحضارة . ؟

قال الرئيس ثائرا غاضبا متحمسا : إن جوابى مع عظيم الأسف هو نعم ... إن التاريخ يعرف ما يسمى بهجرة الحضارة .. لقد كانت من قبل عند أعدائها — أعنى أعداء هذه العجوز .. لقد نقلنا عنهم أفكارهم من قبل .. ولكننا صنعنا لهذه الأفكار أنيابا ومطارق ومخالب من حديد ، ثم تركنا الأفكار الأصيلة تطير .. إن صيحاتهم هناك تقول بانه قد آن لهم أن يستردوا أفكارهم .. أعنى أن ينهضوا مما أردناه لهم من سبات ليلتقطوا الكرة منا... إن العجوز ترتجف هولا من المستقبل لأنها تراه فى صف أعدائها .. لقد قالت لى إنهـــا تعرفهم تماما وتعرف أنهم يصيحون ويتجمعون ليضعوا يدهم على الميراث .. إن الخطر الأكبر من تجمعهم وتكتلهم .. أنهم لو فعلوا ذلك فسوف تكون يد السماء فوق أيديهم من أجل ذلك فهى تريدنى أن أسرع .

ثم التفت الرئيس الى أصحابه وقال : أرونى مرة أخرى الصورة أعنى الهدية التى جئتم بها .

وحين كان يتأمل الصورة غام وجهه وشحب لأنه سمع صوت الرعـــد آتيـــا من السماء .

ترى هل هو صوت تجمع الذين يخشاهم هو .. والعجوز ...!؟

(بقية ص ١٣)

حيث تتيح للمسلم أن يمارس حريته المطلقة فى الاتصال بالله وعبادته من غير ما واسطة من (رجال دين) أو (أصنام) أو (هيئات) و (مؤسسات) دينية ، كما تتيح له حرية العودة الى الله والتوبة اليه مباشرة من غير (صكوك للغفران) يتوقف اصدارها على رجل أو هيئة دينية متنفذة . وعن طريق هذه الحرية يستطيع المسلم أن يتجاوز القيود والحواجز التى تقف فى طريق الكثيرين من اتباع الديانات الاخرى ، تصدهم عن المضى لعبادة الله أو التوبة والانابة اليه ، الا بعد ان يدفعوا ثمنا أو يحنو راسا أو يتعهدوا بطاعة .. !!

وكثيرا ما اتخذت (السلطات) من هذا التنظيم الدينى الخاطىء وسيلة للقهر والارهاب تسلطها ضد جماهير المؤمنين كلما حزب الامر .

وثانيهما الاتجاه السياسى والاجتماعى ، حيث تشحذ العبادة الاسلامية قدرة اتباعها على التحرر اليقظ الدائم من الخضوع لأية قوة فى الارض، ومن اذلال طواغيت السياسة والاقتصاد .. ذلك أن هذه الممارسات تعلم المسلم فى كل يوم وفى كل ساعة أنه (لا اله الا الله) ، وان الله سبحانه أكبر من أية قوة فى الارض ، فهى أحق بالطاعة والانحناء؛ وتشعره بيقين كامل أنه ما دام الله سبحانه يمتلك القدرة المطلقة على (الفعل) فان اللجوء اليه هو خير حماية يمكن أن يستمدها المسلم فى صراعه ضد الطواغيت . وفى كلتا الحالتين فان المسلم ، وهو يتعبد الله ، يزداد احساسه بالتحرر الوجدانى وهو يخاطب الله ويتقرب اليه بمواجهة قوى الارض وطواغيتها .

كما أن المسلم ، وهو يمارس عباداته المختلفة ، وترسخ فى ذهنه تصورات الاسلام القائمة على كرامة الانسان وتفرده فى الارض ، وتفضيله على بقية الخلائق ، يزداد احساسه بالحرية التى تمنحه اياها هذه الصورة المشرقة السامقة عن مكانة الانسان فى الارض وتعطيه قوة ذاتية كبيرة ، وقدرة لا تحدها حدود فى مصارعة القوى المادية والارادات الهابطة ، التى يظن الكثيرون — لعدم تحررهم من المخاوف والضغوط النفسية والاجتماعية — انها حتميات لا مفر من الخضوع لها والتسليم المطلق بها .

ويجىء أخيرا الاتجاه التحريرى الثالث وهو اتجاه فلسفى (ميتافيزيقى) يقوم على تبصير الانسان بحريته فى تحمل مسؤوليته الكاملة فى الحياة الدنيا ، وفى تشكيل مصيره .. لأن العبادة فى اطارها الشامل جهد وابداع والتزام وطاعة واختيار .. وكلما نشط المسلم فى تحقيق مزيد من فاعلياتها كلما اقترب خطوات من درجة الاحسان ، وهى الدرجة (القمة) التى يطمح كل مسلم الى صعودها يوما بارادته الخاصة . وهذا الاحساس العميق بحرية الانسان فى تعميق ممارساته التعبدية يعمق فى ذهنه وتصوره احدى مفاهيم الاسلام القائمة على حرية الانسان فى صياغة وجوده والتوحد بينه وبين مصيره . هذا فضلا عن أن التعبد يجىء كوسيلة لتحقيق التوبة والتخفيف من خطايا الماضى وأوزاره ، وبالتالى فهى الباب الواسع الذى يظل مفتوحا على مصراعيه ، يعلم الانسان أنه حر فى اختيار مصيره ، حر فى الطريق الذى يسلكه صوب هذا المصير .. وان

بامكانه طيلة مراحل حياته أن يدخل هذا الباب صوب ساحة الله العفو الودود الغفور الذى وسعت رحمته كل شيء ..

خامسا : ونجيء بعد ذلك الى احدى الميزات الاساسية للعبادة الاسلامية تلك التى تجعل منها (حافزا) أو (منبها) يقود المسلم الى يقظة الضمير الدائمة وتحمل المسئولية كاملة والابداع أو (الاحسان) فى انجاز أى عمل يمارسه واستغلال طاقاته جميعا فى سبيل مزيد من العطاء والانجاز وفق قدراته الذاتية وامكاناته التى صاغتها ظروفه الوراثية والبيئية . وهذا ولا شك يمثل دافعا حضاريا خلاقا لأنه يحفز الانسان على استنهاض كل طاقاته من أجل العمل، ليس هذا فحسب ، بل توجيه هذه الطاقات بما يجعلها تؤدى عملها على (أحسن) صورة وأكملها ، اذ أن المسلم وهو يتصل بالله ويتذكر احاطته ورقابته فى أعماق نفسه ، ووعده العظيم للذين يحسنون أعمالهم ويسارعون فىأدائها . يجد نفسه أمام احد أمرين : اما الاستجابة لنداء الضمير الدينى من أجل أن يحظى بمزيد من السعادة النفسية والثواب ، وهذا يقوده الى المسؤولية والعمل الدائب والاحسان ، واما الى التغاضى عن هذا النداء ، ورفض تحمل المسؤولية والاساءة فى العمل والانجاز ، الامر الذى يلحق به تعاسة كبيرة ، لأنه كمسلم ، يتلقى كل يوم وكل ساعة مئات النذر عن أولئك الذين يتعبدون الله ثم لا يكون لهذه العبادة مردود ايجابى على واقع حياتهم اليومى . ومن ثم يصف القرآن الكريم المؤمنين الصادقين بأنهم « **يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون** » . وفى كلا التعبيرين نلمح البعد الزمنى (المسارعة) (السبق) .. وكأن حياة المسلم المحدودة فرصة (للسباق مع الزمن) فى التعبير عن طاقاته جميعا وتحويلها الى أفعال ومنجزات حضارية قبل أن تمضى الايام ويفقد القدرة والصحة والعافية ، فلا يعد قادرا على شيء ، وبالتالى يفقد فرصة الاختيار الوحيدة التى منحه الله اياها فى الحياة الدنيا .

ولو افترضنا — على سبيل المثال — ان المعدل الوسطى لوحدات الطاقةالتى يمتلكها كل انسان تساوى أربعين ، فان الايمان الحيوى الدى تفجره وتشحذه العبادة الدائمة والتذكر المستمر لله سبحانه ، سوف تقرب المسلم من التعبير عن أقصى حد من طاقاته وفق (أحسن) أسلوب ، الامر الذى قد يصل به الى استغلال خمس وثلاثين أو أكثر من هذه الوحدات .

فلو أن مجتمعا اسلاميا بعث الايمان فى غالبية أفراده هذا الحافز أو المنبه لاستغلال معظم وحدات طاقته على أحسن وجه ، فان بامكان هذا المجتمع أن يسابق الزمن فعلا ، وأن يصنع ما يبدو مستحيلا ، ونحن لا يمكن أن نفهم المنجزات العظيمة والسريعة التى حققها جيل الصحابة والتابعين على صفحة التاريخ ، الا بالرجوع الى هذا التفسير . وليست تجربة (حفر الخندق) فى غزوة الاحزاب ، والفتوحات الاسلامية — على سبيل المثال — الا تعبير عن هذه المسلمة فى تاريخ الحضارات .

وقد دفعت حقيقة الايمان الدينى الذى تشحذه وتقويه العبادات المنظمة الدائمة، والذكر المستمر لله سبحانه، بفعل هذا الدافع الحضارى ، دفعت عددا من فلاسفة التاريخ ومفسريه الى القول بأن معظم الحضارات البشرية أقامت صرح بنيانها على

اسس التجربة الدينية ، وان انقداح شرارة الحس الدينى فى وجـدان الانسان وذه ه هو الذى ساق الكثير من الشعوب والجماعات من الجاهلية الى التحضر وأخرجهم من الظلمـات الى النور .

سادسا : قد يسأل سائل : اذا كان هدف الانسان فى الكون هو أن يعبد الله (كما يؤكد القرآن الكريم) افلا يعنى هذا أن الانسان مغبون اذ قدر عليه أن يقف فى موضع يطلب منه فيه العطاء فحسب ، دونما اى شىء من الاخذ ؟ والجواب : كلا !! لأن العبادة فى الاسلام ــ كما مر بنا ــ هى التجربة الحياتية الكبرى القـائمة على توازن فذ عجيب بين الاخذ والعطاء . والانسان يبلغ قمة انسانيته عندما يصل تلك النقطـة التى يحقق فيها ذلك التوازن ، حيث نجده يبلغ أقصى درجات الانسجام ، والتوحد الباطنى ، والحيوية الحسية والنشاط الروحى ، والتفتح العقلى ، والحركة الجسـديـة .. لأن الله سبحانه ــ وهو أدرى بخلقه ــ جعل عبادته ، التى هى هدف الخليقـة جمعاء ، مفتاح هذا المصـير الذى يطمح اليه كل انسان . وأى انسان فى الارض لا يطمح لأن يكون متوحدا منسجما حيويا نشيطا وحركيا .. ؟!

ان العبادة فى الاسلام لا تعنى ــ كما هو الحال فى كثير من الاديان والعقائد ــ حوارا جزئيـا مع الله سبحانه فى ساعات معينة من الليل أو النهار ، حوارا يعبر عن نفسه بأداء حركات محددة واستعادة تعابير وصلوات مكتوبة سـلفا ، وهدوءا جسديا موقوتا بزمن هذا الحوار .. وما أن تتم هذه العبادة الجزئية أو الصلاة التى لا تعدو أن تكون (صلة وقتية) تسودها الآلية والكسـل الروحى فى معظم الاحيـان ، حتى ينقلب الانسان الى تيار الحياة الهادر الصاخب لكى (يحرك) مكوناته التى جمدتها لحظات الصلاة !! ولـكى ينطلق متعاملا مع الآخرين بشخصيته الثانية، الشخصية الدنيوية العملية .. أما فى الاسلام فان كل فاعليات الانسان تبدو عبادة لله ، ما دام ذلك الانسان قد وضع الله نصب عينيه .

وما الصلوات الخمس الا محطات للتذكير ، ولشحن الطاقة الروحيـة للانسـان كى يقدر على مواصلة المسير ، والله نصب عينيه .. وما صوم رمضان الا محطة سنوية لأداء هذه المهمة .. أما الحج فهو محطة العمر التى يغادرها الانسـان نقيا خفيفا متجردا كيـوم ولدته أمه .. وما عدا هذا فكل ساعات الليـل والنهار عبادة ، وكل الممارسـات العملية والروحية والفكرية عبادة ..

وكلما كان الله سبحانه اكثر تجليا للانسان خلال احدى ممارسـاته ، كلمـا جاءت تلك الممارسة اكثر انسجاما مع مفهوم العبادة الشامل العميـق . وهذا التجـلى أو (الاحسان) بلغة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يتحقق الا بالصبر والمران والدأب ، لكى لا يلبث أن تجىء ثماره حلوة كالرحيق المختوم تجربتا الاخذ والعطاء .
.. هنالك حيث تتوازن وتسـتوى تجربتا **الاخذ والعطاء** .

بأقلام القراء

حديث عن اللغة العربية

شاء الله أن ينز ل القرآن آية كبرى فى البيان ، على أمة كانت صناعتها الكلام ، تلك الأمة التى كانت تتذوق الشعر وايقاع الألفاظ وجودة الأسلوب وبلاغة البيان وملامح التصوير ، حتى ليجوز لنا أن نقول إنهم يدركون بحواسهم كلها من خلال الكلمة البليغة ، والبيان عندهم كاد يكون سحرا ، ان موهبة العرب الأصلية تجلت فى لسان قويم ينظم الدرر فى عقود يتيه بها جيد كل قبيلة وفى أذن ذواقة لا تعرف اللحن ولا النشاز ، انه جمال الفطرة التى توفرت لتلك اللغة ، فهى لم تختلط بأعجمية ، وهى محل تنافس ومركز شرف بين القبائل ، ان تلك اللغة وصلت الى حد الكمال الذى نستطيع أن نقول معه انها أهل للاختيار الالهى ، انها قادرة على الاستيعاب الجامع للقرآن الكريم .

ان أى لغة هى وعاء التفكير ووعاء المشاعر والعناية باللغة عناية بعقل الانسان ووجدانه ولنا أن نقول ان الأفكار العظيمة لا توصلها الا لغة عظيمة ، أننا مقبلون على فترة خطيرة تستمد خطورتها من ترك اللغة ، ومحاسن الفاظها وإيداعها فى (المتاحف) فالأجيال الحاضرة بدا لها أن تستغنى باللفظة السهلة ولا تجد فيها (ركاكة) وبدا لها أن تؤلف لغة عالمية من الرموز الرياضية ... وبدا لها أن تكتفى بالكلمات (العامية) (المحلية) ، وبالرموز وبالاشارات ، وبالكلمات المشوهة المجروحة ... وصاح صائح أن عصر (السينما) و (التلفزيون) و (الصحافة) يجب أن يتفاهم أبناؤه بلسان (الصور) و (الألوان) وأن (فيلما) من الافلام أفضل من تجشم قراءة قصة تاريخ .. انهم يريدون أن تنقرض (الأساليب) اللغوية فلم يعد يتسع لها الوقت فى هذا العصر (الالكترونى) السريع .. وصاح آخر : لقد انتهى عصر القصائد والنظم البديع ، اننا فى عصر نتفاهم بـ (س ، ص) . ثم ماذا ؟؟

ينادى آخرون ، بالشعر الجديد ، والشعر الحر ، وبالتعبير (الرمزى) أى المقنع الذى لا يعرف حقيقته الا صاحبه وفى كل يوم بدعة لها أنصار يتعاونون جميعا على تشجيع (اللهجات) المحلية حتى فى فنون الأدب (فى الشعر والزجل والقصة ...) انهم يقطعون الصلة بين فحولة اللغة وجزالة الألفاظ وامتلائها بالمعانى ، وبين العصر الذى نعيش فيه .. انهم يريدون شرا بلغتنا تلك التى اتسعت فحملت ما يتشرف به كل لسان ناطق وكل أمة ناطقة بتلك اللغة الى يوم الدين (وانه لذكر لك ولقومك) .

ولا نفهم من ابعاد اللغة العربية عن العلوم (العصرية) الا انه جزء أساسى من خطة مرسومة فى معاهد الغرب للقضاء بطريقة غير مباشرة على لغة القرآن وعلى آداب تلك اللغة ، والحكم بحبسها حتى تصبح غريبة على أبنائها فيسهل عليهم أن يهجروها بدون استعمال مستبدلين بها لغة الحضارة الغربية وولاء الحضارة الغربية ، والتأثر بتلك الحضارة سبقها فى هذا العصر .

ليست الانجليزية تحمل (مقومات) علمية ، ولا خصائص (حضارية) وما يجوز على لغة يجوز على أخرى ، فاللغة العربية أغنى لغة بالمفردات ، أحكم أسلوب سعة ودقة لحمل المعنى ، ومن ثم فهى أدق آلة توصل الى النفس والى العقل ولكن القائمين على التعليم كانوا أجانب ، ومشربين بروح عدائية لكل ما من شأنه أن يفتح أبصارنا على تراثنا ، وحتى تضعف وشائج (القومية) التى تربط العرب ، وحتى نبتعد عن القرآن وهذا هو الشاهد .

ولولا الأزهر لكان للغة العربية قصة أخرى .. لقد هاجمتنا آلاف المصطلحات فى مجالات السياسة والاقتصاد والفلسفة والاجتماع ، وما زالت العلوم الكيماوية والطبية والهندسية .. كلها تدرس عندنا بالانجليزية .

اننا نطالب بطرح قضية (التعريب) فى مراحل التعليم كأهم قضية قومية تواجهنا اليوم اننا نطالب بتطهير اللغة العربية من (العجمية) الأجنبية وايجاد البديل العربى ، ان العربية لا تنقصها المرونة والاتساع والقدرة على الاشتقاق والتوليد والنحت والتركيب ، ان الاطار العربى قادر على اعطاء الشكل المطلوب فى كل الفنون .. أننا نطالب بتطهير الاعلام صحافة واذاعة من اللهجات المحلية والمصطلحات الأعجمية ، ونطالب بالأداء العربى فى كل دواوين الدولة وخصوصا مجال الثقافة والاعلام والتعليم .

أننا نطالب بالمبادرة الى التعريب فى اطار عربى لفظا ومعنى ، على مستوى قومى . وتلك ليست مشكلة فهى قامت فى بعض الأقطار ، وعلى مستوى التعريب الفردى لبعض الكتب . اننا نطالب بالاحترام المطلق لآداب العربية فلقد تسربت الينا آداب وفنون (اجنبية) لفظا ومعنى ، فالأغانى و (الموسيقى) و (المسرحيات) و (الأشعار) و (الروايات) .. كل هذا (الركام) أفسد الحاسة العربية السليمة وأثر فى قدرتها على تذوق المحاسن العربية ، أطالب بتربية الأطفال فى سنى النشأة الأولى من حياتهم على الأساليب الفصيحة ، حتى يكون أول ما يقرع آذانهم (الجرس) العربى ، ويتعودون على الفصاحة والبيان منذ الصغر فالبيئة التى تؤثر على لسان الطفل وبالتالى على (مادة) ذاكرته هى البيت والمدرسة واننا نأسف لما نشاهده من الأسر العربية التى تجعل أطفالها يحفظون (مفردات أجنبية) مثل بابا ، ومرسى ، وباى باى ، يستطيع الوالدان أن يسقيا وليدهما (اللغة الفصحى) .. وعليهما بالاشتراك مع المدرسة تكوين مادة قصص وتسلية بأسلوب عربى فصيح وعلى أدبائنا أن ينهضوا بذلك الواجب .

ان أدباء العربية ، قد نزلوا الى مستوى سوقى فى انتاجهم الأدبى . دعاة العامية انهم لا يعبرون عن جهلهم فقط ، ولكنهم يهدمون أمة ، ويحاربون دينا (وقومية) باشاعة اللفظ العامى والأسلوب الركيك والخيال المحدود .. إن « تيمور » و « طه حسين » و « الزيات » وغيرهم ، أمثلة شاهدة على « حلاوة » الفصاحة فى مجال الأدب .. اننا لا ندافع عن اللغة العربية فاللغة العربية تدافع عن نفسها وهى فوق الدفاع .. ولكننا نلفت النظر الى العودة للتنافس اللغوى والابداع البيانى والمشاركة باللغة فى كل شئون الحياة حتى فى التخاطب العادى .. وذلك اكراما للسان أكرمه الله بآياته الحكيمة ، ان أعداء الاسلام سيصرخون لأنهم يريدون (الغرب) أدبا ولغة وأخلاقا وحضارة .

وهذا هدفهم ، ولن يكون ان شاء الله .

محمد منسى السيد سالم ــ طب الأزهر

الفتاوى

فى الحمل

وردت هذه الاسئلة للمجلة من احدى المجلات الكويتية ، وقد اجابت عليها بما يلى :

زوج عقيم ، وزوجة صالحة للانجاب . زرع فى رحمها حيوانات منوية من رجل آخر مجهول تماما وأنجبت ابنا . فما الحكم .؟

الاجابة :

إذا أخذت نطفة رجل اجنبى (غير الزوج) سواء أكان هذا الأجنبى مجهولا أو معلوما ووضعت هذه النطفة فى رحم الزوجة وأنجبت ابنا ـ فهذا حرام لا يجوز فعله بحال من الأحوال مهما كانت ظروف الزوجين ، لأن فيه تغييرا للأنساب بما يترتب عليه من حرمات شرعية وحقوق وواجبات .

السؤال :

زوجة صالحة للإنجاب وزوج صالح للانجاب ، ولكن الحيوان المنـوى للزوج يموت عند دخوله رحم المرأة . أخذ الحيوان من الزوج وأخذت البويضة من الزوجة وتلقحت فى أنبوبة أختبار ، وحفظت لفترة قصيرة ثم نقلت مرة أخرى الى رحم الزوجة حيث نما الجنين وترعرع كالعادة . فما الحكم . ؟

الاجابة :

فى هذه الحالة يمكن القول بجوازها شرعا إذا دعت اليها الحاجـة كمـا لو لم يكن للزوجين أولاد ، وهما حريصان على التناسل وإنجاب الذرية ، لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما ، وأصبح متوقفا على هذه العملية .

السؤال :

زوج صالح للإنجاب وزوجة صالحة للانجاب أيضا ولكن رحم المرأة غير صالح لتربية الجنين أخذت البويضة من المرأة والنطفة من الرجل ونقلا الى رحم امرأة ثالثة حيث تولت تربية الجنين وبعد الولادة أعيد الولد الى الزوج والزوجة الأصليين . فما الحكم . ؟

الاجابة :

من القواعد الفقهية الكلية « الأصل فى الأشياء الاباحة والأصل فى الفروج التحريم » وبناء على هذه القاعدة يكون كل ما يتصل بالفروج محرما حتى يقوم الدليل على إباحته .

ووضع نطفة الزوج بعد تلقيحها ببويضة الزوجة فى رحم امرأة أجنبية ايداع لنطفة الأجنبى فى رحم امرأة أجنبية وهو غير جائز شرعا ، ولا تبيحه ضرورة من الضرورات وهو مناف للكرامة الانسانية ، فليست المرأة مجرد مستودع (كالفراخة

الكهربائية) التى يوضع فيها البيض حتى يفرخ ، واذا كان هذا سائغــا فى الحيوانات لأن المعنى فى ايجادها هومجرد حفظ النوع وتحقيق منفعة الانسان ، فليس الأمر كذلك بالنسبة للانسان ، ثم أى المراتين تعتبر أما لهذا الوليد ، الأم صاحبة البويضة أم الأم المستودع ؟ !! ولا يقال : إن الأم المستودع كالأم من الرضاع فالفرق كبير بينهما كما هو واضح .

وجهت هذه الأسئلة الى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وقــد أجاب عليها بما يلى :

الطلاق فى الحيض

السؤال :

نسأل عن رجل طلق زوجته وهى حائض هل تطلق أم لا وإن هذه الطلقة هى آخر طلقة . ؟

الاجابة :

الذى عليه جمهور أهل العلم أنها تحسب عليه مع الاثم ، لأن ابن عمر رضى الله عنهما لما طلق امرأته فى الحيض طلقة واحدة أنكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بالمراجعة ولم يقل له الطلاق غير واقع ، بل ثبت فى صحيح البخارى أن الطلقة حسبت عليه ، ولم يثبت فيما نعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسأل المستفتين فى الطلاق هل طلقوا فى الحيض أم لا ، ولو كان طلاقهم فى الحيض لا يقع لاستفصلهم ، وهذا هو الأظهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

حبوب منع الحمل

السؤال :

يوجد نساء يستعملن حبوب منع الحمل ويتوقفن ستة أيام من كل شهر عن أكل تلك الحبوب ، ويحضن فى تلك الأيام ، وفى شهر رمضان يستعملن تلك الحبوب طيلة الشهر تهربا من الإفطار فيه فما الحكم . ؟

الاجابة :

استعمال حبوب منع الحمل اذا كان المقصود منه الاستعمال لمدة معينة نظرا لمرض المراة أو لتأجيل الحمل حتى تفطم طفلها وما أشبه ذلك من الحاجات فهذا لا بأس به ، أما إن كان المقصود منه منع الحمل بالكلية بدون سبب يضطرها الى ذلك فهذا لا يجوز ، ولا بأس باستعمال تلك الحبوب فى شهر رمضان لمنع المحيض والاستمرار فى الصيام لأن فى ذلك مصلحة بدون مضرة .

أسنان الميت الذهب

السؤال :

اذا مات الإنسان وله أسنان ذهب فهل تنزع منه إذا كان عليه دين ، ولو كان نزعها لا يحصل بسهولة أم تترك إذا لم يكن عليه دين . ؟

الاجابة :

اذا مات الانسان وله أسنان ذهب أو فضة ، ونزعها لا يحصل بسهولة فلا بأس بتركها سواء كان مدينا أم غير مدين ، وفى الإمكان نبشه بعد حين وأخذها للورثة أو الدين ، أما إذا تيسر نزعها وجب ذلك لأنها مال لا ينبغى إضاعته مع القدرة .

بريد الوعي الإسلامي

حــــــديثان

مما لا شك فيه أن الله عز وجل طلب من المسلم أن يتدبر القرآن وأن يأخذ بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالقرآن والسُنَّة هما الشريعة الإسلامية . ولما كانت السُنَّة هي ما صح من أقوال الرسول وأفعاله وسكوته أو إقراره لأفعال حدثت أمامه فانني أستفسر عن حديثين منسوبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجيا التكرم بافادتي عن صحتهما من الرواية أعنى هل رواهما أحد أصحاب كتب السُنن الستة أو أى كتاب حديث آخر .

الحديث الأول : أورده ابن كثير فى تفسيره عند الكلام على الآية ١٥٩ من سورة آل عمران والآية هى قول الله تعالى ((**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**)) . قال المفسر روى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم فقال : « مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم » .

والحديث الثانى : قرأته ضمن مقال نشر فى مجلة الوعى الاسلامى وعنوان المقال : الشورى فى الإسلام . عن على بن أبى طالب قال : قلت يا رسول الله ، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا له العالمين أو قال العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد » . .

عبد اللطيف ابراهيم محمد

ابن مردويه راوى الحديث مفسر ومحدث ، وله كتاب فى التفسير وكتاب فى الحديث اسمه المستخرج ، وكلاهما لم يطبع ، وهذا الحديث الأول لم نعثر عليه فى كتب السنة الستة ، وكذلك الحديث الثانى لم نعثر عليه إلا فى كتاب فجر الاسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٢٤٠ وهو ما نبه عليه كاتب المقال .

((الوعى))

تفريغ الأرض المحتلة من العرب

إن السلطات الاسرائيلية فى محاولتها ضم الأراضى المحتلة وخاصة قطاع غزة ، وكرد عملى على المعارضين فيها لهذا الضم فانها :

١ — لجأت لمواجهة معدل الزيادة بين المواليد العرب الى اتخاذ الاجراءات التاليـــة :

أ) أصدرت قانونا بمنع المسلمين الموجودين بالأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ والقدس بشطريها من الزواج بأكثر من واحدة ومنع الطلاق فيما بينهم — ومعاقبة من يخالف ذلك بالحبس — ويخير بعد تنفيذ مدة العقوبة بين استمراره بالسجن أو نقل اقامته من اسرائيل والقدس الى الضفة الغربية وغالبا ما يقبل المخـالف العرض الأخير للخلاص من السجن .

ب) عدم الاعتراف بالزواج الذى يتم بالمحاكم الشرعية بالقدس واشتراط أن يتم الزواج بمحكمة يافا الشرعية بمدينة يافا — مما ترتب عليه توقف المحاكم الشرعية بالقدس عن العمل .

٢ — تشجيع هجرة العرب من اسرائيل والقطـاع خاصـة وتقديم كافة التسهيلات والاغراءات المادية لهم بهدف تفريغ الأرض المحتلة من العرب .

مطلع مسئول

الثقافة الحــديثة فى الكويت

إننى اكتب من المانيا الديمقراطية الى دولة الكويت البعيدة البعد مسافة ، والقريبة القرب شعورا وقلبا ، وأتوجه الى سيادتكم بقضية تهمنى وتهم جامعـة لايبزيج التى أشتغل فيها أستاذا مساعدا فى الدراسات العربية (قسم الثقـافة والآداب العربية) ويراودنى الأمل أنه فى استطاعتكم أن تساعدنى فى انجـاز هذه القضية . إذ اننى أقوم منذ سنتين بتأليف كتاب علمى شامل عن تاريخ الثقافة والآداب العربية فى جميع البلدان العربية المختلفـة فى الفترة ما بعد الحـرب العالمية الثانية حتى وقتنا الحاضر . وتكون الدراسة مخصصة للتيارات الثقافية العامة والآداب والمسرح والسينما والفنون التشـكيلية والموسـيقى والملامح الأساسية للسياسة الثقافية للدول العربية والمؤسسات الثقافية .

هذا وحققت لغاية الآن قسما كبيرا من الدراسة العلميـة إلا أنه تنقص المعارف الكافية عن دولة الكويت فان المعلومات عنها بما يخص الشؤون الثقافية الحديثة تكاد تكون معدومة فى جامعتنا . ولذلك أكون شاكرا لو تفضـلتم بارسال مجلتكم الغراء التى هى — كما أعرف من بعض الأصدقاء العرب — تعكس الحياة الثقافية فى الكويت بأصدق صورة . ويمكن أن أرسل لكم — اذا شئتم — مجلة ثقافية ألمانية من الاختصاص الذين ترغبون ، وهذا فى خدمة التعاون الثقافى بين بلدينا . أكرر فى الختام تحياتى الخالصة آملا أن أجد العون والمساعدة .

الدكتور بيتر بيلمان



قالت صحف العالم

لماذا يرفضون الاسلام . ؟

ان الاسلام يتضمن كل مقومات الحضارة الخالدة ، وهو فى نفس الوقت يستفيد من كل العطاءات : ولذلك كانت له قوة البث الحضارى وقوة الصمود ، وهو يشمل كل خير لصالح الانسان .

فالدارسون للاسلام بامعان يرون فيه أنه نسيج وحده ، ولا تزداد افكاره على مر الأيام والعصور الا نصاعة وتألقا ، وصمودا وصعودا .

وتكفل العقيدة الاسلامية للانسان أسس الاستقرار النفسى والحضارى ، ويعتبر الاسلام فى الانسان كرامته وجدارته . ومن أسس العقيدة فى الاسلام : التوحيد ، والمساواة ، والعدل ، والحرية والمعرفة .

فالاسلام دين توحيد يشترط الايمان بالله وحده ، والايمان بالله وحده هو القاعدة التى يحصل بها التوازن بين الجانب الروحى فى الانسان والجانب المادى فيه .

ومن الايمان بالله وحده يكون المنطلق لتحقيق كل من المساواة والعدل ، والحرية والمعرفة .

والانسان فى الاسلام يتحمل الامانة لجدارته ، والامانة هى مسئولية وتكليف وفى إطار هذه المسئولية والتكليف تكون الحرية ، لأنه لا مسئولية بدون حرية واختيار .

فالاسلام يحرر الانسان من جميع الأوهام والخزعبلات ، كما يجرده من طغيان الانسان كيفما كان هذا الانسان ، ويحرره من جبروت الطغاة ، ومن الظلم بأشكاله والوانه ، ويحرره من عبودية المال ، والجاه ، ومن عبودية المادة ، ويجعل شعار المسلم (الله أكبر) ويربط الاسلام بين المسلم وبين ربه برباط تلك الشريعة العادلة الرحيمة التى شرعها الله للبشر ليسعدوا فيما بينهم ، من غير أن يكون هناك غرض فردى أو جماعى ، كما هو الشأن فى أفعال البشر ، وفى تشريعاتهم .

والمساواة فى الاسلام : هى روح النظام الاجتماعى فى الأمة الاسلامية ، فالكل أمام الله سواء ، وأمام القانون سواء ، لا طبقية ولا عنصرية ولا طائفية ، لا لون ولا جنس ، بل الكل كأسنان مشط ، لا فضل الا بالعمل والتقوى ، أى بالمزيد من فعل الخير فى سبيل المجتمع ، فحتى هذا القدر من الفضل الزائد مصدره آت من التفانى فى خدمة المصلحة الانسانية .

أما العدل فى الاسلام فهو شىء مقدس ولذلك كان الظلم محرما تحريما باتا لا هوادة فيه ، وفى الحديث القدسى المشهور ، الذى رواه أبو ذر رضى الله عنه « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا »

أما مبدأ التعلم والتعليم والمعرفة فهو من المبادىء التى حث عليها الاسلام ، ولذلك كان أول اتصال بين الأرض والسماء ــ فى الاسلام ــ يبدأ بقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » . « الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان » وفى أول الخليقة قال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » وفى آية أخرى « وقل رب زدنى علما » .

فالاسلام الذى حمل الانسان الأمانة جعله مسئولا عن هذا كله ، توحيد ، ومساواة ، وعدل ، وحرية ومعرفة .

وكلما حاول الانسان أن يحيد عن توجيه خالقه ، كلما ازدادت محنته وتعددت مشاكله ، وكم جرب الانسان وجرب ولكنه لم يخرج من تجاربه الا بالشقاء ، مهما تعددت مظاهر البهرجة والاشكال البراقة ، لأن توجيه البشر للبشر لا يتناول عمق الانسان ، ولا يوازى فى تقديراته بين المادة والروح .

والعجيب ان الاسلام الذى هو بهذه المثابة من السمو تتصدى أفكار بشرية لتنال منه ، ولتشغل المجتمع الانسانى عن الاهتداء بهديه ، نحن اذا حللنا الأفكار البشرية التى تدعى أنها كفيلة بانقاذ الانسانية من ويلاتها سوف نرى أنها « كالشمعة التى تضىء وقت الظهر ، أو كالاسفنجة التى تريد شرب البحر » .

منذ كان البشر وهو يحاول ايجاد انظمة ليسعد بها حسب رأيه ، الا أن أهم ما يوقع الفكر البشرى فى الخطأ ، هو النظرة الهامشية للحياة ، ومنذ وجد الانسان على ظهر هذا الكوكب وهو يتلمس الطريق ليضمن السعادة لنفسه ، الا أن نظرته الهامشية تجعله ضيق الأفق ، بعيدا عن الصواب ، ولذلك ، فتارة يبدو له انه أتفه شىء فى هذا الوجود ، فيسرع بالخضوع للأحجار والمياه وحتى الحشرات ، أو حينما يبدو أنه المهيمن وحده على الكون ، وانه لا قوة تقهره وتحد من جبروته ، فيدعى الالوهية والربوبية ، ويختال ويفتخر ، وتارة أخرى يبدو له أنه مجرد عابر سبيل ، وانه عليه أن يغتنم من لذات الحياة بقدر ما يستطيع وأن لا يبالى بعد ذلك بآلامها وأحزانها ، لأن الحياة فى نظره ماضية ولن تعود ، واذا مضت فقد خسر كل شىء ، الى غير ذلك من المذاهب والآراء .

وبهذه النظرات الهامشية للكون ولسننه ولحياة الانسان فيه ، يكون الانسان نظرة خاطئة عن وجوده فى هذه الحياة ، ثم يركز على نظره الخاطىء ، ويقعد القواعد ، ويقنن القوانين ويخط التخطيطات ويحسب أنه صنعها .

والغريب فى هذه الحياة انه بعد التمادى فى الخطأ قد يشعر الانسان بفطرته بخطئه ، ولكن عناده يأبى عليه الا التمادى فى الخطأ ، بل يأبى عليه الا التعصب له ، والدعوة اليه ، والى هذا يشير قول الله عز وجل حكاية عن الظالمين : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » وقوله تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » .

وهكذا تنزلق البشرية فى مهاوى الضلال من غير شعور ، أو فى شعور مع لا مبالاة ، وبهذا تنبت الأفكار فى مزارع الضلال وتغذى بالتعصب والعناد ويتشبث المنتفعون .

عن مجلة الميثاق المغربية

إعداد : الاستاذ فهمى الإمام

الكويت :

● أدى سمو الأمير المعظم مناسك العمرة أثناء زيارته للسعودية ويرى سموه بملابس الإحرام أمام الحجر الأسود .



● قام سمو الأمير المعظم بزيارة رسمية للجمهورية التونسية ، ويرى سموه أثناء زيارته لمسجد الزيتونة .



● استقبلت المملكة المغربية سمو الأمير المعظم استقبالا حافلا أثناء زيارته لها ، ويرى سموه وهو يعانق جلالة الملك الحسن الثانى فى مطار الرباط .



● زار البلاد وزير الأوقاف والحج السعودى الأستاذ محمد الكتبى بدعوة رسمية من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الاستاذ راشد عبد الله الفرحان ، وقد قام الضيف الكريم بزيارة سمو نائب الأمير المعظم وولى العهد فى مكتبه كما يبدو فى الصورة .



● قدمت الحكومة السعودية شكرها وتقديرها للجهود التى بذلتها السلطات الكويتية لإنقاذ حياة الدبلوماسيين السعوديين فى مطار الكويت الدولى .

● قام وزير الأوقاف والحج فى المملكة العربية السعودية بزيارة « دار القرآن الكريم » أثناء زيارته للبلاد .

● نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ندوات دينية طوال شهر رمضان واستضافت عددا من علماء المسلمين للاشتراك فى هذه الندوات .

● بدأت الدراسة فى « دار القرآن الكريم » ومما يذكر أن عدد الطلبة الجدد الذى تقدموا هذا العام بلغ ٤١٦ طالبا .

● أصدر وزير التربية قرارا بمنع الاختلاط فى المدارس الأجنبية الخاصة فى المرحلتين المتوسطة والثانوية .

القاهرة :

● عقد فى القاهرة مؤتمر قمة بين دول المواجهة الثلاث لمواجهة الخطر الصهيونى .

● وافق فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شؤون الأزهر على تزويد جامعات الهند بأساتذة فى اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

● من المقرر تأجيل موعد انعقاد مؤتمر علماء المسلمين الخامس الذى ينظمه مجمع البحوث الاسلامية الى ما بعد نوفمبر القادم .

● يظهر فى الأيام القادمة كتاب (الفلسفة عند الإمام الشافعى) للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر .

● تبحث وزارة التربية توحيد زى الطالبات فى جميع مراحل الدراسة بما يتلاءم مع تعاليم الإسلام ويحفظ للجيل الجديد أخلاقه وثقافته القومية الأصيلة .

السعودية :

● بعثت السعودية بوفد الى إثيوبيا لتفقد المعاهد الاسلامية هناك وتقدير مدى احتياجها من المعونة الثقافية .

● اختير عشرة ممن يتمتعون بالثقافة الاسلامية العالية لتلقى دورات فى اللغة الفرنسية ليكونوا دعاة فى الدول الناطقة بالفرنسية .

سوريا :

● تصدت القوات السورية ببسالة لطيران العدو الإسرائيلى وأسقطت عددا من طائراته كما أصابت عددا آخر وارغمت الباقى على الفرار .

ليبيا :

● ستقام ندوات دينية خلال شهر رمضان فى ليبيا يشترك فيها كبار العلماء والمفكرين .

الجزائر :

● انهى مؤتمر دول عدم الانحياز اجتماعاته فى الجزائر متخذا قرارات إيجابية لصالح القضية الفلسطينية وإدانة العدوان الاسرائيلى .

● قطعت كوريا علاقاتها الدبلوماسية مع دولة العدو الصهيونى ، وقد أعلن ذلك فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا أمام مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز .

● أيد مؤتمر دول عدم الانحياز الثورة الفلسطينية .. واعتبر منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الرسمى الوحيد للشعب الفلسطينى

أخبار متفرقة

اسبانيا :

● نفذت السلطات الاسبانية وعدها للمسلمين بإعادة مسجد قرطبة التاريخى اليهم بعد أن حول المسجد الى كاتدرائية عام ١٢٣٦ .

نيجيريا :

● قرر المسلمون فى نيجيريا تشكيل هيئة مركزية لهم هى المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية . وقد اصدر المجلس بلاغا أعلن فيه أنه سيكون الناطق باسم جميع المنظمات الاسلامية فى البلاد .

توجو :

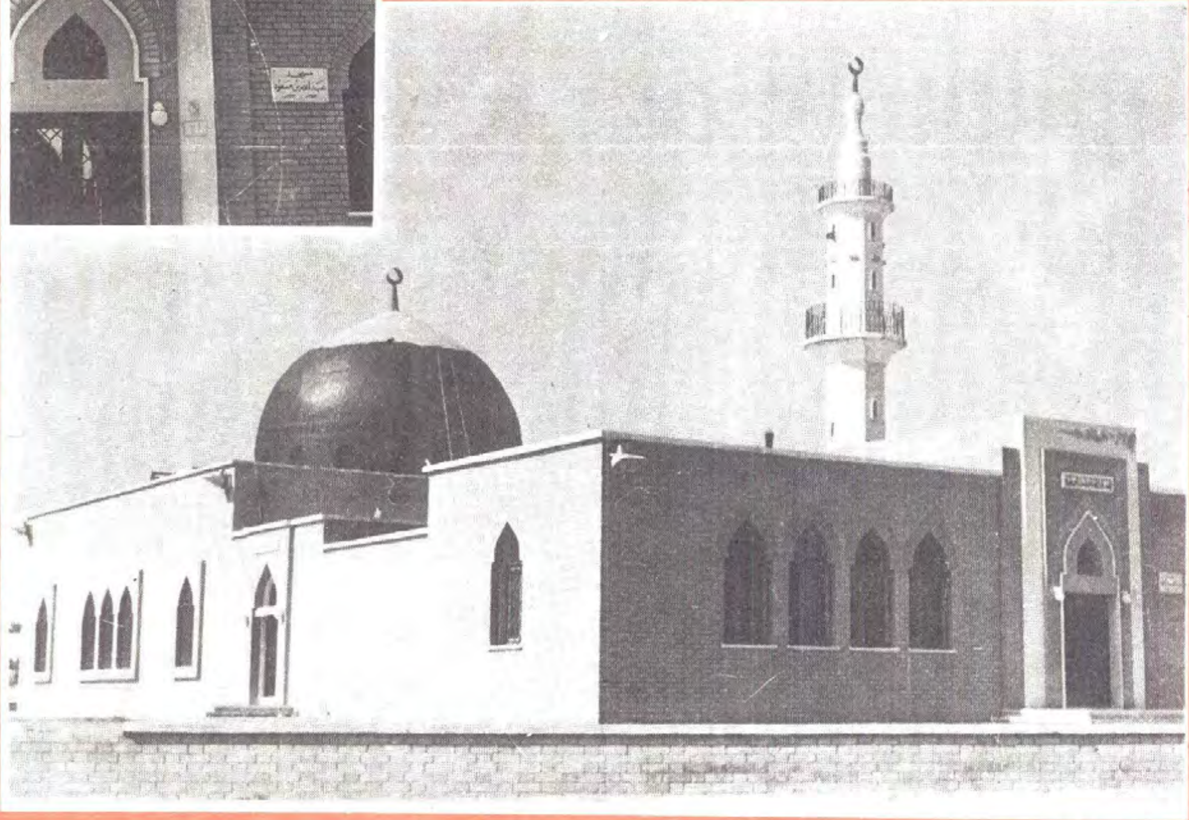
● قطعت توجو علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رمضان	سبتمبر	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الخميس	١	٢٧	٤ ١١	٥ ٣٨	١١ ٤٠	٣ ٥	٥ ٤٠	٦ ٥٨	١. ٣١	١١ ٥٩	٦ ..	٩ ٢٦	١ ١٨
الجمعة	٢	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١٢ ١	١	٢٦	١٨
السبت	٣	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
الأحد	٤	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
الاثنين	٥	أكتوبر	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
الثلاثاء	٦	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
الأربعاء	٧	٣	١٤	٤٢	٣٧	..	٣٢	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
الخميس	٨	٤	١٤	٤٢	٣٧	..	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
الجمعة	٩	٥	١٥	٤٣	٣٧	٥٩	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
السبت	١٠	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
الأحد	١١	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨
الاثنين	١٢	٨	١٧	٤٥	٣٦	٥٧	٢٦	٤٤	٥١	١٩	١٠	٣٠	١٨
الثلاثاء	١٣	٩	١٧	٤٥	٣٥	٥٦	٢٥	٤٣	٥٢	٢٠	١٠	٣١	١٨
الأربعاء	١٤	١٠	١٨	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢	٥٤	٢٢	١١	٣١	١٨
الخميس	١٥	١١	١٨	٤٦	٣٥	٥٤	٢٣	٤١	٥٥	٢٣	١٢	٣١	١٨
الجمعة	١٦	١٢	١٩	٤٧	٣٤	٥٤	٢٢	٤٠	٥٧	٢٥	١٣	٣٢	١٨
السبت	١٧	١٣	١٩	٤٧	٣٤	٥٣	٢١	٣٩	٥٨	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الأحد	١٨	١٤	٢٠	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٨	١١ ..	٢٨	١٤	٣٢	١٨
الاثنين	١٩	١٥	٢٠	٤٨	٣٣	٥١	١٨	٣٦	٢	٣٠	١٥	٣٣	١٨
الثلاثاء	٢٠	١٦	٢١	٤٩	٣٣	٥٠	١٧	٣٥	٤	٣٢	١٦	٣٣	١٨
الأربعاء	٢١	١٧	٢١	٤٩	٣٣	٤٩	١٦	٣٤	٥	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الخميس	٢٢	١٨	٢٢	٥٠	٣٣	٤٩	١٥	٣٣	٧	٣٥	١٨	٣٤	١٨
الجمعة	٢٣	١٩	٢٢	٥١	٣٣	٤٨	١٤	٣٢	٨	٣٧	١٩	٣٤	١٨
السبت	٢٤	٢٠	٢٣	٥١	٣٢	٤٧	١٣	٣١	١٠	٣٨	١٩	٣٤	١٨
الأحد	٢٥	٢١	٢٤	٥٢	٣٢	٤٦	١٢	٣٠	١٢	٤٠	٢٠	٣٤	١٨
الاثنين	٢٦	٢٢	٢٥	٥٣	٣٢	٤٦	١١	٢٩	١٤	٤٢	٢١	٣٥	١٨
الثلاثاء	٢٧	٢٣	٢٥	٥٣	٣٢	٤٥	١٠	٢٨	١٥	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الأربعاء	٢٨	٢٤	٢٦	٥٤	٣٢	٤٤	٩	٢٧	١٧	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الخميس	٢٩	٢٥	٢٧	٥٥	٣٢	٤٣	٨	٢٦	١٩	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
الجمعة	٣٠	٢٦	٢٧	٥٦	٣٢	٤٣	٧	٢٦	٢٥	٤٩	٢٥	٣٦	١٨







مسجد
عبد الله بن مسعود

اسمه : عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى .

اسلامه : اسلم وهو غلام يافع قد قارب البلوغ ، وكان سادس من أسلم .

جهاده : أول من جهر بالقرآن فى مكة ، وناله من أذى قريش الكثير وهاجر الى الحبشة مرتين ، وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها وهو الذى أجهز على أبى جهل فى غزوة بدر ، وكان يطيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع القرآن من فم ابن مسعود . وشهد فتوح الشام وبعثه عمر فى خلافته الى الكوفة ليعلم أهلها الدين ، وولاه عليها عثمان فى خلافته .

وفاته : مات عبد الله سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحــرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطــر : الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٠٦)
غرة شوال ١٣٩٣
٢٧ أكتوبر ١٩٧٣

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ

محمد مؤذنی

قال تعالى :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »
(صدق الله العظيم)



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العـــدد (١٠٦)

غرة شوال ١٣٩٣ هـ

٢٧ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

هل للمسلمين في بلادهم وضع

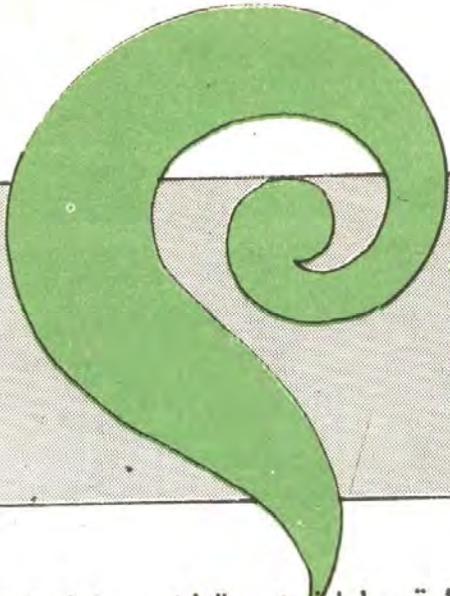
* ظهر اتجاه العلمانية فى المجتمعات الاسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. وتبلور واضحا فيها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن انتصرت فيها القوتان العالميتان : القوة الشيوعية البلشفية ، والأخرى الرأسمالية الصليبية ، ودخلتا مجال المنافسة الاقتصادية فى كسب ثروات المسلمين ، وهى عديدة .

وقد وجدت هاتان القوتان الأرض فى البلاد الاسلامية مهيأة للحصول على هذه الثروات ، بفضل ما أحدثته العلمانية من تخلخل فى نفوس المعدين للقيادة فى المجتمعات الاسلامية ، فى صلتهم بالاسلام . اذ قد باشر الاستعمار الغربى لهذه المجتمعات من قبل اسلوب العلمانية : فى القضاء .. والتعليم .. والسياسة .. وشؤون الادارة ، طيلة مدة حكمه لها ، فى افريقيا وآسيا .

والعلمانية قد يظنها البعض : انها الاتجاه العلمى . وليس هذا معناها . وانما هى الاتجاه الدنيوى أو المادى فى مقابل الاتجاه الروحى الذى هو للسلطة الدينية . اى هو الاتجاه الذى تباشره الدولة فى شؤون الحكم ، والسياسة ، والاقتصاد ، والادارة والدفاع والأمن فى المجتمع .. الخ ، غير مقيدة بنظرة اخرى لسلطة ثانية فى توجيهها ومباشرتها ، أى غير ناظرة فى التوجيه والمباشرة الى ما تراه السلطة الدينية فيما يخصها . على أن يترك للسلطة الدينية أمر الأسرة : فى ايمان أفرادها .. وفى العلاقات الزوجية بينها .. وفى انجاب الأطفال من هذه العلاقات وتعميدها .. وفى رسوم دفن الموتى .. الى غير ذلك مما يعرف للكنيسة .

العلمانية تقسيم الانسان فى المجتمع بين سلطتين : احداهما زمنية وهى الدولة .. وأخرى إلهية وهى البابوية . فالدولة لها الزام على الانسان من جانب ، والكنيسة لها الزام أيضا عليه من جانب آخر ، وهذا التقسيم جاء نتيجة للنظرة التى يتبناها الاكليروس المسيحى الى الدنيا والمتع المادية فيها . وهى النظرة التى تفرق فى القيمة والاعتبار بين المادة والروح : فبينما المادة دنسة اذا بالروح طاهرة . وعن هذه التفرقة كانت الرهبنة هدفا فى نظام هذا الاكليروس .. وكان الزواج أبديا ، لأنه رباط بين روحين ، قبل أن يكون رباطا بين جسدين .

والمجتمع الاسلامى قد تم تكوينه فى ثلاثة وعشرين عاما . ولم تعرف فيه سلطة دينية بجانب سلطة زمنية أو دنيوية ، كما لم يعرف فيه تخصيص مجال للدين ، وآخر للدولة . وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام إمام المسلمين فى الصلاة ، وقائدهم فى الحرب ، وقاضيهم فى الخصومات التى تنشأ بينهم ، وحاكمهم يطلب منهم التنفيذ فيما يأمر به أو ينهى عنه . كانت هناك سلطة بشرية تصيب وتخطىء ، وليست سلطة دينية معصومة عن الخطأ . كانت هناك سلطة تتبادل المشورة والرأى ممن لهم شورى ورأى فى الأمة الإسلامية .



الأقلية الحائرة

للدكتور محمد البهى

وكل ما تتميز به السلطة الاسلامية عن اية سلطة بشرية اخرى : انها تحكم بما انزل الله فى كتاب الاسلام ، وهو القرآن الذى جاء به خاتم المرسلين محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام . وان أصاب القائمون بأمرها فى الحكم بما انزل الله كان لهم اجران عند الله : أجر الاجتهاد ، وأجر الصواب . وان أخطأوا كان لهم أجر الاجتهاد وحده . والحاكم المسلم مجتهد ، وليس معصوما عن الخطأ . والقرآن يسجل آيات عديدة توضح عتاب الله لرسوله على رأى كان له فى الحرب ، أو فى سياسة الدعوة ، مما يدل على ان الرسول عليه الصلاة والسلام كحاكم او كقائد — وليس كمبلغ للوحى — مجتهد فى حكمه وفى رأيه .

ويخطىء بعض الكتاب من المسلمين اذ يثيرون فى وجه تطبيق الاسلام فى تطبيق الاسلام يلزم وجود حكومة إلهية على نمط الحكومة البابوية ، لا تخطىء المجتمعات الاسلامية المعاصرة : قضية « الحكومة الإلهية » . على معنى أن اطلاقا ، ويجب الايمان بعصمتها . لأنهم مع الأسف يقيسون الوضع فى الاسلام على وضع الدولة الكنسية فى روما ، دون أن يرجعوا الى الاسلام فى كتاب الله ، وعلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولم تعرف الأمة الاسلامية فى تاريخها : الفصل فى الرياسة العامة بين سلطة زمنية وأخرى دينية ، أو « خليفة » و « سلطان » أو بين من هو رمز فقط للترابط الاسلامى فى الأمة كلها ولا سلطة له ، وصاحب السلطة الحقيقية فى مكان ما فيها الا عندما سيطرت « العنصرية » و « الشعوبية » فى توجيه المسلمين وقيادتهم ، والا عندما شعر حكام الولايات بضعف الحكم المركزى فى بغداد . فآثروا عندئذ : الاستقلال فى السلطة تحت راية الخلافة الاسلامية ، وهى علم اكثر منها مدلول . وعندئذ ابتدأ التفكك فى الأمة الاسلامية يأخذ طريقه .

وتفكك أية أمة بعد تجمعها وتكتلها من شعوب عديدة ، ومن أصحاب لغات مختلفة : ظاهرة اجتماعية تطرأ يوما ما ، وتسود الأمة كذلك الى أن يأخذ التفكك مداه . ولكن لا يمنع ذلك من أن يعود شأن الأمة من جديد الى الوحدة ، والتماسك ، والتكتل ، عندما تقوى الدعوة اليها وتنحى بالتدريج عوامل الفرقة . ونشأة الوحدة من الفرقة ، كنشأة القوة من الضعف ، والأخوة من العداوة : من الظواهر الانسانية الى تدل على التغير فى المجتمع أو بين الأفراد .

وأوربا التى كانت مفرقة الى أوربا اللاتينية ، والأنجلوسكسونية ، والى مجموعات ذات لغات عديدة : تعود اليوم الى التجمع والتكتل من جديد ، بعد شيوع اتجاه القومية والعنصرية فيها ، وبعد أن مزقت الحروب المحلية والعالمية فى القرنين التاسع عشر والعشرين العلاقات بينها شر ممزق . وواقع الأمر أن المسيحى الكاثوليكى المشترك هو الذى قاد « ايديناور » زعيم الحزب الديمقراطى

المسيحى بألمانيا الغربية المسيحية .. وديجول زعيم الكتلة الديجولية المسيحية فى فرنسا الكاثوليكية ، الى الاجتماع واللقاء بينهما فى مواجهة القوتين الكبيرتين اللتين اسفرت عنهما الحرب العالمية الثانية . وهما الكتلة الالحادية الشيوعية فى روسيا وشرق أوربا ، والكتلة الرأسمالية اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وظاهرة التفكك فى الأمة الاسلامية ، منذ أن بدأ فيها التفكك تعتبر تمهيدا لظاهرة أخرى تحل محلها وعلى النقيض منها . وليست ظاهرة منعزلة فى تاريخ الأمة لا ترتبط بها بعض الظواهر الأخرى . والظاهرة المرتقبة هى ظاهرة التجمع والعودة الى التماسك من جديد ، وعلى أساس الاسلام وحده ، مهما طال الزمن بين اختفاء الأولى وظهور الثانية . وليس هذا ارهاصا أو تخمينا . انما هو قانون الحياة الانسانية القائم على مبدأ النقيض . وهو ذلك المبدأ الذى يعتبر أساس التغيير والانتقال من الشىء الى نقيضه ، ولو بعد حين .

فحياة الانسان اذ تنتهى بالموت .. يكون الموت نفسه بدءا للحياة من جديد . والمجتمع اذ تنتهى صلاحيته للبقاء ، بسبب التفكك ، فالخصومة ، فالعداء بين مجموعاته وأفراده .. يكون ذلك كله من جديد مصدرا لمجتمع موحد يقوم على انقاضه . كشأن تعاقب الليل والنهار : ((**تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى**)) (آل عمران ٢٧) .

ومجتمع شبه الجزيرة العربية قبل رسالة الاسلام لخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه كان مجتمعا مفرقا يعادى بعضه بعضا ، بسبب تمكن روح القبلية ، وعرف بأنه مجتمع حروب وقتال . ثم كانت الخصومة بين بعضه بعضا عامل تجميع ، ونشأ عنها مجتمع جديد متماسك ومترابط . ويشير الى ذلك قوله تعالى : ((**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا**)) (آل عمران ١٠٣) .. فالآية تذكر أن مجتمع المؤمنين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو مجتمع متحد متماسك : نشأ من مجتمع الوثنيين السابقين ، وهو المجتمع القبلى المفرق المتقاتل .

وقد جاء فى سورة محمد ما يمكن أن يكون تعبيرا عن هذا القانون للحياة الاجتماعية الانسانية ، القائم على مبدأ النقيض ، فى قوله تعالى ((**ها أنتم أولاء** (أيها المؤمنون فى المجتمع الجديد) **تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل** (أى منكم من بقى على شحه — والشح ظاهرة خاصة بالمجتمع الوثنى المادى — فيمسك عن العطاء لصاحب الحاجة أو فى سبيل الله ، وبذلك لم يغيره اعلانه الايمان بالله وبالمجتمع الجديد) **ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء** (ولكن نتيجة بخل الشحيح ستلحق به وحده . لأنه عندئذ قد تحكمت فيه الأنانية ومن تتحكم الأنانية فى تصرفاته لا يستطيع أن يعيش مع غيره . وعندئذ يتعرض للملق وكراهة الآخرين ، ولا تصيب هذه النتيجة أحدا سواه . فالله هو الغنى عما عداه ، وما عداه صاحب حاجة اليه . واذن عندما يدعو الله المؤمنين الى الانفاق فى سبيل الله لا يدعوهم الى سد حاجة اليه) ، **وان تتولوا** (أى وان تعرضوا عن الايمان ببقائكم على الشح والامساك كما كنتم على عهد وثنيتكم) **يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** (أى فى اعلان الايمان مع الركون الى الكفر . ولكن يكون ايمانهم عامل تحويل ونقل لهم من المجتمع الجاهلى المشترك الى المجتمع الانسانى صاحب القيم الرفيعة) (محمد ٣٨) . **إذ قيام**

المجتمع الانسانى المتماسك على اساس الايمان بالله والمنفق فى سبيل الله : من أنقاض المجتمع السابق العابث المزق ، والشحيح الممسك . هو أمارة على أن النقيض ينشأ من نقيضه ، وأن مبدأ النقيض هو مبدأ الوجود والحياة .

* وأنما السلطة الدينيـة وجدت ــ ولم تزل ــ للكنيسة الرومانيـة . وسلطتها فى الشئون الروحية تقابل سلطة الدولة فى الشئون الدينية فـى المجتمع الكاثوليكى .

وواقع العلمانية اذن هو المجتمع الأوربى بصفة عامة ، وليس المجتمع الاسلامى . والمجتمع الأوربى صاحب سلطة مزدوجة ، بينما المجتمع الاسلامى ليست له الا سلطة واحدة ، وهى سلطة الحاكم المسلم الذى يعمل بالاسلام .

وجوانب الحياة للانسان هى جوانب متساوية فى نظر الاسلام ، من حيث القيمة والاعتبار . اى ليست فيها مدنس ، وصاحب قدسية ، والروحية فـى الاسلام ليست الا المستوى الفاضل فى الانسانية . وقد جاء تحديد هذا المستوى فى هداية الله فى كتابه .

* وظهور اتجاه العلمانية فى المجتمعات الاسلامية ، ثـم تمكنه منهـا وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية ــ أدى الى أن يترك شئون المسـلمين مـع الاسلام كدين وايمان : بدون قيادة وتوجيه فى المجتمع . لأن الحـاكم المسلم العلمانى يهمه فى الدرجة الأولى أن يحتفظ بسلطة الحكم . واحتفاظه بسلطة الحكم مرهون على الأقل باغفـال الوضع الاسلامى فى المجتمع الذى يحكم فيه . اى باغفال مساءلته عن الحكم أمام الاسلام ، وما يوجبه من صلاحيـة الحاكم والشورى المتبادلة فى الحكم .

وفى الوقت الذى تهمل فيه شئون المسـلمين فى صـلتهم بالاسـلام ، ويضعف بينهم الترابط على أساس منه : يقوى فيه شأن الأقليات الدينية غير الاسلامية ، ويزداد التماسك بينها على أساس من معتقداتهم . وكلما أهمل شأن الاسلام بين المسلمين من السلطة العلمانية الحاكمة ، كلما قويت فـى المجتمعات الاسلامية شوكة الأقليات الدينيـة ، وكلما تطلعت الـى التربص بالمسلمين لزيادة ضعفهم وتفككهم ، عندما تحين فرصة التدخل بينهم بصورة أو بأخرى ، لأن فى زيادة تفكك المسلمين وهم الأكثرية : قوة اضافيـة ــ بجانب تحصيل العلم ، وادخال المال ــ للأقليات الطائفية بينهم .

وهذه الظاهرة العكسية بين ضعف المسلمين ككثرة فى المجتمع ، وقوة غيرهم كأقلية فيه : تحمل الحاكم العلمانى المسلم على أن يخشى نفوذ الأقلية فى مجتمعه ، فى الوقت الذى يستخف فيه بجانب المسلمين ــ بل ويسخر منهـم أحيانا ــ وهم الكثرة فيه . وخشيته من الأقلية من جانب ، واستخفافه بالكثرة المسلمة من جانب آخر : ينصبان فقط على الناحية الدينية لكل من المجموعتين ، الأكثرية والأقلية . وهذه الظاهرة فى جانب الحاكم المسلم العلمانى تبـدو فى تصرفاته ومواقفه ازاء الطرفين :

فهو لا يتدخل فى الشئون الدينية والتنظيمية للأقلية :
ولا يتدخل فى تغيير رجال الدين بين أية أقلية دينية ،
ولا يتدخل فى أوقافها الخيرية ،
ولا يتدخل فى مدارسها الطائفية : لا بالالغاء ، ولا بالضم ،
ولا يتدخل فى معاهدها الخاصة بدراسة اللاهوت ،
ولا يتدخل فى تكوين سلطتها الدينية ، وشئون الرياسة فيها ،
ولا يتدخل فى تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة فيها .

* بينما يتدخل — وقد يكون فى عنف وفى حقد أحيانا — فى كل ما للمسلمين مما يتصل بايمانهم بالاسلام :

فهو يتدخل فى أوقاف المسلمين بالتغيير ، وبنقل الملكية ، والغائها ،

ويتدخل فى مدارس الجمعيات الخيرية فيجردها عن ميزتها وهى تحفيظ التلاميذ فيها بعض أجزاء من القرآن الكريم ، والعناية بتاريخ الاسلام وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين ، ويحولها الى مدارس علمانية حكومية .

ويتدخل فى امامة المسلمين بالتغيير ، وفى المعاهد الاسلامية بما يقربها الى النمط الرسمى العلمانى ،

ويتدخل فى الكليات الجامعية الاسلامية فيلحقها بالجامعات العلمانية ، ويصبح الاسلام فيها مادة تدرس وليس إيمانا يطبق ،

ويتدخل في تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة المسلمة . وقد يكون التعديل مساوقة لتشريع أجنبى بعيد عن روح الاسلام ،

ويتدخل فى تعديل أنصبة النساء فى الميراث بما يجعلها مساوية لأنصبة الذكور فيه ،

ويتدخل فى تعديل فروض الاسلام فى العبادة ، فينكر الصوم مثلا كعبادة يتقرب بها المسلم الى الله ،

وهكذا : الحكم الوطنى فى المجتمعات الاسلامية بعد استقلالها السياسى يتم ما بدأه الحكم الاستعمارى فى شأن القضاء على الاسلام ابان حكمه المباشر .

وكثير من المسلمين يتصورون حتى الآن ان الاستعمار للمجتمعات الاسلامية كان فى الدرجة الأولى : استعمارا سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا . وهذا التصور بعيد عن الواقع . لأن الاستعمار كان استعمارا فكريا ، وعقائديا ، قبل أن يكون سياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا . ولو أن المستعمرين كان مجيئهم الى البلاد الاسلامية ليستغلوا مباشرة : مصادر الثروة فيها طوال مدة وجودهم الاستعمارى ، وليوجهوا سياسة هذه البلاد للتمكن فقط من الاستغلال الاقتصادى فى هذه الفترة وحدها ، وليضمنوا بالوجود العسكرى لهم فيها ترحيل الغنائم الاقتصادية الى بلادهم .. لم يكونوا قد أدوا رسالتهم التى تسلموها من الكنيسة الرومانية باسم الصليب فى سنة ١٠٩٦ ، واستمروا يدافعون عنها فى سبع حملات وجهت من الأوربيين الصليبيين ضد المسلمين فى القرون الثلاثة : الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر .. اى استمر الأوربيون فى حملاتهم من أجلها من سنة ١٠٩٦ الى سنة ١٢٧٠ م ، واشترك فيها قيصر بروسيا الألمانية فريدريك الثانى ، ولويس التاسع في فرنسا (١) . وكانت رسالة الكنيسة فى ظاهرها : استيلاء المسيحية الغربية على فلسطين واتخاذ بيت المقدس عاصمة لملكتها . ولكن فى واقعها كانت هذه الرسالة تنبىء عن اقتحام العالم الاسلامى والتمكن من مركزه الذى يلتقى بالقارات الثلاث : أفريقيا ، وآسيا ، وأوربا .. وبالتالى تنبىء عن الرغبة فى السيطرة على « الملاحدة » وهم المسلمون — كما تصفهم كنيسة روما — وتحويلهم عن الاسلام الذى يدعو : الى وحدة الألوهية فى مواجهة التثليث فى دعوة الكنيسة ،

والذى يجعل عصمة الانسان — وهو الرسول لا غيره — فى دائرة تبليغ الوحى الالهى وحده ، دون ما عدا الوحى فانه يجوز عليه فيه الخطأ والصواب، فى مقابل ما تدعو اليه الكنيسة من عصمة الانسان فور أن ينتخب على عرش الملكة الكنيسية ويصبح بابا ، فى كل ما يبديه من قول أو شرح يتعلق بالمسيحية،

والذى يدعو الى المساواة أمام الله فى المسئولية ، ورفع الوساطة بين الانسان والله فى مواجهة : « الاعتراف » و « صكوك الغفران » اللذين يتميز بهما رجال الكنيسة عن اتباعها الآخرين ،

والذى يبيح الطلاق بين الزوجين ، وينظر الى عقد الزوجية على انه عقد انسانى يجوز عليه ما يجوز على أى عقد آخر فى المعاملات الانسانية من حل ، وفسخ ، ان أدى استمراره الى ضرر أو انكشف أمره عن خدعة ، وليس عقدا إلهيا لا يقبل التغيير بحال ، مهما كانت له من أضرار ، كما تنظر اليه الكنيسة ... الخ .

وعندما وقعت الهدنة فى الحرب العالمية الأولي ودخلت الجيوش البريطانية فلسطين أعلن قائدها وقتئذ : « ان الحرب الصليبية قد انتهت الآن » .. كما أعلن قائد القوات الفرنسية عندما دخلت دمشق ، وهو واقف على قبر صلاح الدين الأيوبى : نحن قد جئنا الى هنا ياصلاح !! .

ولم يكن ما أعلنه القائدان الأوربيان مزاحا ، وانما كان تنفيسا عن حقد دفين ، وتعبيرا عن الهدف الحقيقى للحروب الصليبية . وهو التمكن من الاسلام، بابعاد المسلمين عنه . وبذلك يتفرق المسلمون ويصبحون أتباعا لاتجاهات أجنبية عنهم ، كما ينزوى الاسلام في ركن الاهمال ، ثم النسيان .

واذا كانت الحملات الصليبية فى القرون الثلاثة ، من الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادى ، كانت تحمل نوايا العدوان على الاسلام : فان الاستعمار الغربى — الذى يعد استمرارا لها فى القرنين : التاسع عشر والعشرين — يعتبر الوسيلة العملية لتنفيذ هذا العدوان .

والعلمانية التى اشتق منها كانت المعول الذى — بعد أن باشره — تركه للحكام الوطنيين بعده ، عندما يتولون الحكم فى مجتمعاتهم .

* وربما يكون الحكم الوطنى فى بعض المجتمعات الاسلامية — بعد استقلالها السياسى — أكثر ضراوة وقسوة فى تمكين العلمانية من المستعمرين أنفسهم . لأن الحاكم الوطنى المسلم العلمانى يرى فى ضعف الاسلام والوعى به : السبيل الوحيدة لضمان بقائه فى الحكم ، بجانب بنائه قوة مسلحة تسهم فى المحافظة عليه . اذ كلما ضعف الاسلام وضعف الترابط فى المجتمع على أساس منه ، كلما لا يعود الناس بحكم الحاكم الى الكتاب والسنة ، وكلما لا يسألونه تطبيق ما فيها من مبادىء . وعندئذ لا تتعرض صلاحية الحاكم فى حكمه للمناقشة ، وان كان مندفعا فى السياسة ، وطائشا فى التصرف ، وطاغيا بالسلطة ، طالما هو قابض على زمام الأمر بالقوة .

وعلى العكس مما لو قوى الوعى بالاسلام فى المجتمع ، وتجلت للناس ما فيه من حقوق وواجبات ، عند الدعوة اليها . فانه لا يبقى آنئذ حاكم مسلم فى الحكم ، الا من هو وفى لايمانه ، وتقى فى سلوكه ، ورحيم بامته ، وخير فى اتجاهه . وقلما يكون هذا النوع من الحكام الذين يجعلون هواهم مقياس العدل، ومصدر التشريع ، والسلطة فى المجتمع .

* كذلك من شأن مباشرة الحكم العلمانى أن يسد الطريق على الاسلام الذى يعطى المشورة فى الحكم ، ويقدم الحل لمشاكل المجتمع والحياة الانسانية، بينما يفتح الأبواب لأمور هامشية كأحياء بعض كتب التراث التى قلما تفك رموزها الا عن سبيل المتخصصين فى تخريجها .. ولأمور أخرى سلبية كالدعوة الى ما يشبه الخرافة فى كرامات الموتى ، والدعوة الى العزلة والاستسلام فى

الحياة للقدر ، دون اتخاذ موقف ايجابى ازاء الأحداث يستند الى التوكل على الله جلت قدرته .

والحكم العلمانى عندما يشجع فى المجتمعات الاسلامية ترديد هذه الأمور الهامشية والسلبية مما ينقل من بعض كتب المسلمين فيما مضى ، فانه يصنع ذلك رغبة فى صرف المسلمين فى المجتمع عن الاسلام فى ايجابيته . وقد كان الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا يدفع ابان حكمه الى العناية بمثل هذه السلبيات فيما يتصل بالاسلام ، فى الوقت الذى يكبت فيه دعوة القرآن الى مقاومة الحاكم الظالم والأجنبى عن الاسلام ، ومساءلة المسلم الذى يواليه ويعاونه . وراجت — من أجل ذلك — فى عهد الفرنسيين : « الطرقية » وكثرت فرقها ، واشتد أمر القائمين عليها .

وربما يكون هناك هدف آخر من وراء تشجيع الحاكم المسلم العلمانى لهذا الجانب الضعيف فى كتابة المسلمين السابقين ، عن الاسلام . وهو القصد الى التمويه لمحاولة اقناع العامة فى المجتمع بأن نظام الحكم القائم يعنى بالاسلام ، اذ ينشر بعض كتب التراث ، ويحيى بعض قصص الأولياء والكرامات !! .

* وعن هذا الطريق — وهو طريق تشجيع الأمور الهامشية والسلبية فى كتابة المسلمين السابقين — ينشأ جيل ، أو عدة أجيال لا تعرف من الاسلام إلا سلبيات المسلمين فى فهم دينهم وفيما كتبوه أيام ضعفهم أو محنهم . وبذلك لا يستطيع أن يرشد علماء هذه الأجيال حكام المسلمين ، فضلا أن يستطيعوا أن يقدموا لهم الصورة الايجابية للايمان بالاسلام . وهذا يعنى : أن يزداد ضعف الترابط بين المسلمين على أساس من اسلامهم .. وبالتالى أن يزداد الميل الى اتباع الحاكم العلمانى ، والأخذ بمنهج العلمانية فى شئون المجتمع ، كأمر لا يناقش .

وعلماء المسلمين آنئذ قد يستمرئون وضع الاسلام فى خدمة العلمانية ، كما قد يبررون للحاكم المسلم العلمانى : دعوته واتجاهه فى الحكم . ولا غضاضة عليهم يومئذ إن يبذلوا جهدهم الفكرى فى الملائمة بين الاسلام فى مبادئه ودعوته واحداث المسلمين الأوائل فى نصرهم وهزيمتهم .. واتجاه الحاكم فى خطته وما يعرض له من حوادث ويعترضه من صعاب .

وقربتهم التى يتقربون بها الى هذا الحاكم العلمانى : أنهم يضفون وقار الايمان بالاسلام على كل تصرف له ، وعلى كل كلمة يكتبها أو ينطق بها .

* والأقليات الدينية فى المجتمعات الاسلامية اذا كانت أساسا ، تنشد كظاهرة نفسية من ظواهرها : العلم وتحصيله من جانب .. والمال وادخاره من جانب آخر ، كعنصرين يكونان قوة تستند اليها فى مواجهة الأكثرية فى المجتمع .. فانها عندما ترى تسلط الحاكم المسلم العلمانى على المسلمين : تسعى لأن تشاركه فى صرف المسلمين عن دينهم ، ولكن بطريق ملتو وغير مباشر . ومشاركة هذه الأقليات للحاكم وقتئذ فى ذلك لا تعبر عن الولاء منها له ، ولا تدل على رغبة منها فى استمرار حكمه . ولكن لأن فى المشاركة له عنصرا آخر من عناصر القوة لها ، يضم الى العلم والمال ، اللذين تسعى للحصول عليهما ، وهو عنصر اضعاف المسلمين .

وطريق الأقليات الدينية فى صرف المسلمين عن دينهم فى مجتمعاتهم يكون: بتبنى بعض رجال هذه الأقليات لفكر أجنبى عن الاسلام ، وهو مناوىء له . ومن شأنه أن يثير الشك والقلق فى نفوس المسلمين — وبخاصة الشباب بينهم

ثم من شأنه أيضا أن يؤلف من المسلمين أنفسهم مناصرين له . وقد يحوله هؤلاء المناصرون الى فلسفة حكم ، ثم الى نظام للحكم نفسه ، يوجه ضد الاسلام ذاته ، وربما يكون من غير قصد لهؤلاء المناصرين . فقد يتصدى نفر من الأقليات لفكر إلحادى فى أمة مسلمة كالأمة العربية .. وقد يتعرض بعض آخر منها لقومية أفرغت من مضمونها وهو الاسلام وتاريخه . وهذا النفر وذاك يصبح فى مركز الزعامة والقيادة الفكرية للمسلمين ، ويلقى استجابة من هنا ، وهناك .

وقد يكون بحمل هؤلاء الذين ينتمون الى الأقليات الدينية : ذلك الفكر الالحادى ، أو القومية الخاوية الى التلاميذ والشبان المسلمين فى صفوف مدارسهم ، أو فى كليات جامعاتهم ،

وقد يكون بعرض هذا وذاك فى وسائل الاعلام المختلفة .. وفى كتابة التمثيليات ، والمسرحيات ، والقصص السينمائية .

وهذا البعض من الأقليات الذى يضع ذلك يلقى الدعم من هيئات خارجية عن المجتمعات الاسلامية ، وتوفر له الحماية الكافية . وهى هيئات قد يبدو أن صلة بعضها ببعض صلة واهية ، ولكن هى على اتفاق تام فيما بينها : على اضعاف الاسلام ، ثم نزعه واستئصاله من أرض المسلمين . وأحداث يونيه عام ١٩٦٧ فى مصر .. وديسمبر سنة ١٩٧١ فى باكستان ، وما يتوقع لها من تفتيت آخر .. ويولية ١٩٧٣ فى أفغانستان : تشير الى الاتفاق بين هذه الهيئات الدولية على تحويل المسلمين الى اتباع فى اية بقعة يعيشون فيها .

* وهكذا : الاتجاه العلمانى — فيما يبدو — يسعى الى تحويل المسلمين الى كثرة « كغثاء السيل » لا حول لها ولا قوة ، الى هز الأرض تحت أقدامهم .

وهكذا : أصبح وضع الكثرة المسلمة فى المجتمعات الاسلامية العلمانية يشبه وضع الأقليات الدينية ، ولكن مع فارق واحد . وهو أن الأقلية الدينية فى المجتمعات الاسلامية اقلية هادفة : تسعى الى المحافظة على بقائها . بينما الأكثرية المسلمة . التى تحول شأنها فى مجتمعاتها الى وضع الأقلية — هى أقلية حائرة : ليس لها إمام ولا رائد .. وليس لها سند ولا قوة .. وبينها وبين كتاب الله حجاب .

---

(١) وتواريخ هذه الحملات كالآتى :

الحملة الأولى : من سنة ١٠٩٦ — ١٠٩٩ ، والحملة الثانية : من سنة ١١٤٧ — ١١٤٩ ، والحملة الثالثة : من سنة ١١٨٩ — ١١٩٢ ، والحملة الرابعة : من سنة ١٢٠٢ — ١٢٠٤ ، والحملة الخامسة : من سنة ١٢٢٨ — ١٢٢٩ ، والحملة السادسة والسابعة من سنة ١٢٤٨ — ١٢٧٠م .

رمضان والعيد

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

طلب الى أن أتحدث عن رمضان ، وما أظن الا أن وقت الحديث عنه قد فات ، وما أظن الا أننى إن كتبت عنه . قرأه الناس فى أعقابه .

ولكنى سأكتب فى بحث يتناول قدرا مشتركا يتعلق بكل من رمضان والعيد وكثير من المواسم الاسلامية الأخرى . إنه البحث فى مشكلة تحول القيم ! . .

وإنها لمن أخطر المشاكل التى تحيق بحياتنا الاسلامية والاجتماعية دون أن نشعر ، ولعل أهم أسباب خطورتها يكمن فى صعوبة التنبه اليها والشعور بها ! . .

نحن نحتفل برمضان على كل المستويات وفى سائر المرافق المختلفة، ما فى ذلك شك . نحتفل به فى أسواقنا وحوانيتنا ، ونحتفل بـــه فى مساجدنا ، ونحتفل به فى اذاعاتنا المتنوعة ، ونحتفل به فى جرائدنا ومجلاتنا المختلفة، ثم إنا نحتفل به متفرقين فى بيوتنا ومع أهلينا وأقاربنا ولكنا من خلال ذلك لا نكاد نقدم لهذا الشهر اى عمل يرضى الاله الذى جعله أفضل شهور السنة على الاطلاق ! . . بل إنا لا نكاد نشعر بهذا التقصير أيضا ، لأن فى احتفالاتنا ومباهجنا الصاخبة الأخرى ما يحول بيننا وبين هذا الشعور . اى ان فى ذلك نوعا من التعويض أو الالهاء الذى ينسى الانسان حقيقة هذا الشهر ، والمهمة الحقيقية التى يجب على الانسان أن يؤديها عند قدومه .

فنحن نحتفل برمضان فى أسواقنا ، حتى لا يكاد يمر من السوق إنسان قد نسى التاريخ الا ويذكره السوق من نسيان ، وينبهه الى أنه يعيش فى أيام رمضان . ولكنه لا يرى من علائمه إلا المأكولات الموسمية

ومشكلة تحول القيم

التي عرف بها وشعارات اللهو التي أقيمت فرحا بقدومه وقياما بحقه ! .

ونحن نحتفل به في مساجدنا ، ولكنه احتفال لايبدو في أكثر من قناديلها المضيئة ، فان ارتفع الأمر على ذلك تجلى في أصـوات القارئين وهي تترنم في ترديد آي القرآن وترجيعه ، ومن حولهم عامة الناس ، وهم ما بين مفتون بجمال الصوت تهزه النغمة ويسكره اللحن ، ومستريح الى انس المكان وزحمة الوافدين ، فهو يأوي اليه طلبا لراحة جسم أو هدوء بال .

ونحن نحتفل به في اذاعاتنا المسموعة والمرئية . ولكنه احتفال على طريقتها ، خاضع لوظيفتها ، تابع لرسالتها . فهو يبدو في أغانيها الجديدة ، وحفلاتها الساهرة الكثيرة، وملهياتها التي تفوق العد والحصر فان زاد الأمر على ذلك ، تجلى في أحاديث دينية معينة تذاع للتشكيل والتلوين ، ليس فيها ما ينهض بالسامع الى أي اصلاح لفساد ولا إلى أي تقويم لاعوجاج . وإنما هي جزء متمم لصورة فنية في لوحة يمكن أن يعبر بها أي فنان حديث عن شهر رمضان ! . .

وجرائدنا ومجلاتنا هي الأخرى تحتفل برمضان . ولكنه احتفال على طريقتها ، نابع من وحي رسالتها ، سائر وراء أمانيها وأهدافها . إنه احتفال يتجلى في الرسوم وبراعتهما الفنيـة ، ثم يتجـلى فـي الاستطلاعات والتحقيقات التي تكشف عن لون من الوان الحياة ــ أيا كانت ــ في رمضان . فان زاد الأمر على ذلك تجلى في كلمات أو مقالات تتحدث عن رمضان من بعد ، حديث متخوف يحذر من أن يدنو إليه فيتأثر به أو يقع تحت سلطان جاذبيته ! . . قد يكون الحديث متناولا لأحداث

تاريخية من تلك التى تتعلق برمضان، وقد يكون متعلقا بشىء من مباحث علوم القرآن ، وقد يكون حديثا تصويريا عن ذكريات جميلة لشهر رمضان ولكنه على كل حال ما ينبغى أن يكون حديثا جادا يهدف الى إصلاح أى فساد أو تقويم أى اعوجاج أو النظر فى أى داء من هذه الأدواء الخطيرة التى تقود حياة المسلمين إلى الدمار ! . .

ثم إنا نحتفل برمضان فى بيوتنا أيضا ، فتتداعى الأسر والأقارب والأهلون فى ليالى هذا الشهر لقتل الوقت واشاعة اللهو وفتح باب المجون ، ويمضى الليل كله سهرا فى طريق الشيطان ، حتى اذا أقبل السحر ومن ورائه الفجر والشروق ـ وهو أفضل ساعات العمر المتكررة فى كل يوم وليلة ـ جاء وقت الرقاد الثقيل بعد طعام ثقيل وبعد لهو أشد وأثقل ! . . وتتكرر احتفلات البيوت بشهر رمضان على هذا النحو ثلاثين مرة . وينسلخ رمضان وهو يشيع بهذا اللون من التقدير والتقويم ! . .

ينسلخ الشهر المبارك العظيم ، وقد أيقن الجميع أنهم أدوا رسالة الشهر ـ أى رسالتهم فيه ـ على خير ما يرام ! . . والشهر المبارك لم يفضله خالقه على سائر اشهر السنة من أجل شىء من هذا كله ، وإنما جعله الله تعالى نافذة رجوع إليه ، يراها أمامه من أغلق السبيل على نفسه بكثرة المعاصى والآثام ! . . وجعله الله تعالى مثابة اصطلاح مع الله تعالى وعهد جديد على السير فى طريقه والتمسك بمنهجه وشرعته فى الحياة . وجعله الله تعالى بارقة من الدهر ، تتكرر مرة كل عام ، تتفتح فيها آذان السماء ويصطبغ الكون كله فيها برحمة الله ، فى استقبال من جاء هاربا من ذنبه ، ساعيا وراء رحمة ربه ، يناجيه بقلب صادق الخشية والخضوع أن يغفر له أيامه الخوالى ، ويهيىء له سبيل استقامة فى بقية أيامه من الحياة .

وإنما يكون الاحتفال بشهر هذا شأنه ، بمزيد من العبودية يتجلبب بها الانسان ، وبمزيد من الوقت يوفره لأداء حق الله ، وبمزيد من الجهد يبذله للتنزه مما قد علق به من السيئات والآثام .

وما اشبه الذى يملأ أيام هذا الشهر بأفانين جديدة من لهوه ومجونه ومعاصيه ، بمن يسخر من الفضيلة التى بثها الله تعالى فيه والمزية التى اختصه بها دون سائر الاشهر والأيام . وما اقرب من استقبل مواسم الله تعالى بعكس ما قد هيأها الله له ، إلى غضب الهى يحيق به ثم لا ينفك عنه حتى يجد نفسه مثقلا بشقائه وأغلاله يوم القيامة .

★ ★ ★

فاذا قضى شهر الصوم وجاء فى أعقابه العيد ، استقبله الناس ـ إلا من رحم الله ـ بنفس المقاييس المقلوبة ! . .

جعل الله العيد ، إذ يأتى على إثر الخروج مـــن شهر الصـــوم ، مثابة شكر لله تعالى على أن وفق المسلم لصوم رمضان كما أمر الله وشغل أيامه ولياليه بصالح الأعمال ، فاستحق بذلك أن يكون من المغفورين والعتقاء . ثم ان الله تعالى جعل هذا اليوم (بعد ثلاثين يوما من الامساك عن الطعام ابتغاء مرضاة الله عز وجل) موعد ضيافة منه سبحانه وتعالى لعباده ، يلتقى فيه المؤمنون على مائدة الرحمن جل جلاله . فهو لذلك يوم أكل وشرب وتمتع بالطيبات التى أحلها الله تعالى يحظر فيه الصوم لأنه إعراض عن ضيافة الرحمن جل جلاله . ويندب فيه إظهار النعمة والتمتع برخائها مع الاستغراق فى شكر الله تعالى عليها ، لأنها الشعيرة المتفقة مع طبيعة ذلك اليوم . ويندب فيه ندبا عظيمــا تحسس أحوال المسلمين حتى إذا سمع بأسرة معوزة أو برجل فقير ، أو بذى بلاء قد نزل به ، أو رأى أطفالا لم تدخل فرحة العيد الى قلوبهم لسوء أو ضر قد نزل بهم — أسرع فواسى الأسرة المعوزة واكرم الرجل الفقير ، واعان المبتلى على بلائه ، وأدخل الفرحة إلى قلوب الأطفـــال المحزونين ، وذلك تخلقا بأخلاق الله عز وجل واستدرارا للمزيد من رحمته عز وجل بعباده ، فإن رحمة الله تعالى أقرب ما تكون الى العبد عندما يرى العبد أرحم ما يكون لإخوانه الذين من حوله .

فاذا رأى العبد نفسه موفقا لذلك كله ، استغرق فى شكر الله عز وجل ، وتضاءل ذليلا تحت ظلال رحمته والأمل العظيم فى عفوه . وإنما يكون ذلك بالتزام حدوده ، والسير فى منهاجه وصراطه ، والمعاهدة على تسخير عمره فى سبيل مرضاة الله عز وجل والدفاع عن دينه والدعوة إلى سبيله .

فذلك هو معنى العيد كما قد شرعه الله عز وجل . سواء جاء من وراء شهر الصوم ، أو جاء فى قمة موسم الحج الى بيته العتيق .

ولكنا نحتفل بالعيد على طريقة اخرى ! . .

نظهر النعمة لنبطر بها ، ونتقلب فى الطيبات المختلفة لنحـــارب الله بها ، ونعمد إلى الوقت المبارك الثمين فنقتله لهوا ومجونا وبحثا عن الوان المحرمات كلها . فما من كبيرة من الكبائر إلا وترتكب فى هذا اليوم احتفالا بقدومه واكراما لجليل قدره ! . .

فاعجب ليوم كان ظليلا برحمة الله وعظيم إنعامه ، أن ينقلب فيصبح ملونا بظلل من غضب الله وسوء عقابه . . !

واعجب لناس يؤمنون — فيما يزعمون بالله — ثم يبدلون نعمة الله كفرا ، ويعمدون إلى مواسم الخير فى أيام الله تعالى فيزرعونهــا معاصى وطغيانا وشرا ! . .

واعجب لناس ، يرون بأعينهم أسباب الغضب الالهى الذى حل ببنى اسرائيل بعد أن كانوا من خيرة الناس ، وبعد أن غمرهم الله بفضله ، ثم يتلمسون بتصرفاتهم ووقع أقدامهم تلك الأسباب ذاتها لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة . رغم أن إنذار الله تعالى لأولئك المغضوبين لا يزال يصك أسماعهم قائلا :

((.. كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى)) .

بل اعجب لناس أفاض الله تعالى النعمة على حياتهم ، وجمع سمع الناس على أقوالهم ، أو علق أفئدتهم وأبصارهم بما قد تنفثه أقلامهم ــ فراحوا يسخرون نعمة الله لحرب شريعته ويستعملون الســـــنتهم وأقلامهم لإبعاد الناس عن صراطه . حتى جعلوا لأنفسهم من ألسنتهم وأقلامهم العجيبة (صـــــدقة جارية) تمدهم الى ما بعد موتهم بآثام المخدوعين بكلامهم والمأخوذين بأضاليلهم ! ..

★ ★ ★

مشكلة تحول القيم ! ..

أجل إنها مشكلة المشاكل فى حياتنا ، وليس الحديث عنها حديث العيد أو رمضان . ولكنه حديث كل مظهر أو قيمة اسلامية فى حياتنا ، لقد نجح التخطيط الماكر الخبيث فى أن يبقى عليها حتى لا تثار عواطف الاسلام فى صدور المسلمين ، على أن تفرغ من مضامينها وآثارها الحقيقية ، ثم تحشى بمضامين وآثار أخرى لا شأن لها بالاســـلام ولا تحقق شيئا من مرضاة الله عز وجل .

المساجد ! .. لقد كانت المساجد فى حياة المســـلمين عنوان عبوديتهم لله تعالى ، ومغتسلا طاهرا يغسل أفئدتهم وعقولهم من وساوس الدنيا وشهواتها .

وكان اذا دخلها المسلم رآها تعج بدروس العلم كله من توحيد وفقه وسيرة وتفسير ومنطق وعربية وغيرها . فمهما أصابه خارج المسجد من رشاش الشبه ووساوس الالحاد والفسوق ودخائل الريبة، وجد فى داخله ما يطرد من قلبه كل شبهة ووسواس وينبه عقله الى الحق الالهى مؤسسا على أتم قواعد العلم وأصدقها .

أما المساجد اليوم ، فهى على كثرتها واتساعها وضخامة بنيانهـــا لا تمت بصلة ما الى تلك الرسالة التى أقيمت من أجلها مســـاجد الاسلام فى الأمس ! .. اللهم الا أداء الصلوات الخمس فى اليوم والليلة .

فهى ليست عنوان عبودية لله ، لأن فى فخامة فرشها وأعاجيب زخرفها وروعة أضوائها وقناديلها ما يغمر الداخل اليها فى حالـــة من الذهول والنسيان والبعد عن هويته الحقيقية فى هذه الحياة .

وليت شعرى الى أى مفر يتجه الفقير الذى كان يفر بالأمس من زخرف الدنيا ووساوس أصحابها وملاحقة مفاتنها الى مساجد الله تعالى ، حيث يرى فيها أمن قلبه ، وطمأنينة باله ، وتنقله رحابها الإلهية الى تصور يوم القيامة وما وراء قنطرة هذه الدنيا من أحداث الحياة الآخرة .. ؟ الى أى مفر يتجه هذا الفقير اذا أقبل الى المساجد فزاغ بصره ما بين تحف السجاد النادرة وروعة القناديل العظيمة ، ومظاهر الزخرف العجيب ورأى نفسه مشغولة فى شر مما قد أراد أن يفر منه .. ؟!

وهى ليست مغتسلا باردا يطهر قلب المؤمن من لغو الدنيا ووساوسها ومغرياتها ، لأن جميع ما حوله مغريات ومنسيات .. !

ولقد دخلت ذات يوم الى مسجد من هذه المساجد العجيبة ، فما كبرت تكبيرة الاحرام حتى انخطف بصرى الى لون السجاد الذى تحت قدمى وزخرفه الرائع العجيب ، وشرد فكرى وراء نوع هذا السجاد وقيمته ، وما صحوت الى صلاتى وقراءتى إلا وأنا أتساءل فى نفسى عن الذى تبرع به والقيمة المالية التى تستحقه ! ..

ربما كان فى المصلين من هم أقدر على حضور القلب وخشية النفس منى . ولكن المساجد ما أقامها الله تعالى إلا لاصلاح قلوب الغافلين من أمثالى واعانتهم فى طريق الصحر إلى مناجاة الله . فكيف تصلح قلوب الغافلين فى مساجد من هذا النوع ؟ ..

وهذا كله ليس نقدا على ما ينبغى أن يتصف به المسجد من متانة فى البناء ونظافة فى المظهر وجدة فى المفرش . فما ينبغى أن يلتبس على القارىء هذا بذاك .

ومساجد اليوم ليست أيضا — إلا قليلا — مثابة لعلم ولا مرجعا لفهم ولا معتصما من زيغ . وإنما هى لأداء فروض خمسة لا مزيد عليها الا أن يتحلق طائفة من الناس على وعظ لا يغنى عن السامعين شيئا ولا يكاد يصلح لهم حالا أو يقوم اعوجاجا .

ولما أصبح الاسلام فى كثير من مساجد هذا العصر منتهيا الى الحالة التى وصفناها تيسر لكثير من الناس أن يكتبوا أو يتحدثوا عن الاسلام من هذا الجانب ، يوهم أحدهم أنه يتحدث الى الناس حديثا اسلاميا مفيدا ، وهو انما يتحدث عن فن البناء والعمران ، ويفيض فى الحديث عن مساجد عظيمة البنيان والفرش والاتساع ، وعن أبدع ما انتهى اليه الفن العربى من الزخرفة والنقوش .

★ ★ ★

وخدمة القرآن ! .. انها من أخطر القيم الاسلامية التى من شأنها أن توجه حياة المسلمين الى صراط الله تعالى وتضبطها بهديه وحكمه . وإنما هى — فيما نعلمه من هدى الاسلام — أن يتقنه المسلمون

تلاوة ، ويعكفوا عليه فهما وتدبرا وحفظا ، وتخضع له ألبابهم وتخبت له نفوسهم ، ثم أن يقودهم ذلك كله الى الخضوع لسلطانه والدخول تحت حكمه ومنهاجه .

ولكن القرآن اليوم يخدم بطريقة أخرى ! ..

انه اليوم أهم وسيلة من وسائل التطريب (على انا لا نمنع أن يجمل القارىء كتاب الله بصوته) ، يقرؤه التالى ليطرب الناس ، ويقبل اليه المستمعون لتهتز بأنغامه رءوسهم ! .. وهو اليوم أهم مادة لتجميل فصول الكلام ، وتدبيج الخطب والمحاضرات ، ولاتخاذه ديباجة لمختلف المجامع والحفلات .

حتى اذا نودى بضرورة تطبيق أحكامه والسير فى ظلال سلطانه . اختنق النداء فى حلق المنادين ومات قبل أن يبلغ آذان السامعين ! ..

نهز الرأس طربا لصوت القارىء وهو يردد قول الله تعالى :

« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين .. » .

حتى اذا قام منا من يذكر المسلمين بأمر الله المطوى فى هذا الكلام ويندبهم الى تطبيقه والأخذ به ، لوينا الرءوس إعراضا ، وأطلقنا الألسنة نقدا واعتراضا .

★ ★ ★

إنها مشكلة كثير بل أكثر القيم الاسلامية فى حياتنا اليوم ! ..

نحتفل بها ، ونضعها من حياتنا الاجتماعية موضع التقدير والتبجيل ولكن على أن يكون التقدير والتبجيل وسيلة لابعاد هذه القيم عن حياتنا العملية ، ولحجزها عن أن تتسلل بالتأثير الى أفئدتنا ونفوسنا .

نقدرها ونجلها طالما هى حبيسة عن السعى الى التأثير على حياتنا فاذا تحركت الى ذلك حركة ما تحول التقدير كله الى حرب وصد وإعراض ! ..

شهر رمضان .. وأيام العيد .. وموسم الحج .. المساجد وعمرانها .. القرآن وخدمته .. كل ذلك يلبس اليوم لباسا ظاهره التقدير والتبجيل ، وباطنه الحرب والتضليل ... !

ولسنا نعنى بذلك التهوين من أمر من يخدم شيئا من هذه القيم على وجهها الصحيح ، وان لم يتمكن من إعطائها كامل حقها ، فهو مثاب ومشكور إن شاء الله ، ولكنا نعنى بما نقول التحذير ممن يتجمل بالاسلام فى التحلى بشىء من شعائره ، ضمن حدود الحلية التى وصفناها ، ثم يتبرأ من تطبيق هذه الشعائر مبادىء وأحكاما ضمن الحدود التى أمر الله بها .

الأوامر الشرعية ودلالتها على الأحكام

١

للدكتور محمد سلام مدكور

عماد التشريع الاسلامى وغيره من الشرائع السماوية الســــابقة عليه التوجيه الى الخير بالنصح والارشاد واستصلاح العباد ، ولا يختلف الشأن فى ذلك بين أن يكون التوجيه إلزاما وتكليفا أو ندبا أو مجرد إرشاد . غاية ما فى الموضوع أن الالزام بالشيء يكون على قدر ما فيه من مصلحة راجحة يترتب على تركها فساد يوقع فى عنت أو مضارة . فإذا ما ورد تحذير على لسان الشــــارع فإن ذلك من شأنه أن يكون فرعا على التوجيه الى الخير والدعوة اليه ، على أن نهى الشارع كثيرا ما جاء بصيغة الأمر التى تدل فى الأصل على مطلق الطلب .

والأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من صميم مباحث علم الأصــــول ، لأنه قسم من كل من الدليلين الرئيسيين (الكتاب والســــنة) بل هو فى الحقيقة رأس مباحث علم الأصول ، لأنه هو الذى يعتمد عليه فى الانتفاع باســــتخراج الأحكام الشرعية التى هى عمدة دراسة الفقهاء ، والتى جعل علم الأصول أساسا

للسير فى استخراجها على مقتضاه ، ومن الواضح أن الأحكام التكليفية الخمسة (الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح) كلها تدور فى الأعم الأغلب حول الأمر والنهى وصيغ كل منها ، لأن الأحكام التكليفية يعبر عنها بكل منهما .

غير أن الأمر أكثر دورانا من النهى فى نصوص التشريع الاسلامى لكثرة متعلقاته ، ولأن مسائل الاسلام وما بنى عليه من شأنها أن تستفاد بالأوامر لانها مطلوبة على سبيل الجزم وتلك هى ما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » . ويضاف اليها فى بعض الروايات : الجهاد فى سبيل الله .

على أن التعبير بقوله عليه السلام « بنى الاسلام على خمس » أمر بفعل هذه الأشياء إذ أن صيغة الأمر لا تقتصر على كلمة افعل ، بل تشمل كل ما يفيد الإلزام صراحة أو ضمنا (١) ، حتى نفس الأخبار التى يدل السياق فيها على طلب الفعل على سبيل الجزم مثل قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين .. » وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد سأله عن عمل يدخله الجنة : « تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان .. » رواه الترمذى .

لهذا وغيره يقدم الأصوليون مباحث الأمر على مباحث النهى ، ثم يحيلون كثيرا من مباحث النهى عليه . يقول منلاخسرد فى كتابه (المرقاة) : « إنهم يقدمون الأمر لأن المطلوب به أمر وجودى وبالنهى عدمى والأدلة أشرف ، ولأنه أول مرتبة ظهرت لتعلن الكلام الأزلى إذ الموجودات كلها وجدت بخطاب كن فيكون ، هذا فضلا عن انه بالأمر والنهى تتميز الأحكام ويتبين الحلال من الحرام » ونحن نضيف أن الحلال فى الجملة يستفاد من صيغة الأمر ، والحلال أوسع دائرة من الحرام لشموله كل ما عدا الحرام فيدخل فيه المكروه والمباح فضلا عن المندوب والواجب ، كما أن النهى أحيانا كثيرة يرد بصيغة الأمر مثل ذروا واجتنبوا .. وغير ذلك .

ومما يجول بالخاطر فى هذا المقام ، أن أول تكليف ورد فى شئون البشر ما قصه الله علينا فى شأن الانسان الأول منذ خلقه الله فأمر الملائكة بالسجود له ثم أمر آدم أن يسكن هو وزوجه الجنة وأن يأكلا منها رغدا مع استثناء ما علم الله فيه مضرة بهما فى صورة نهى وتحذير إذ يقول سبحانه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فأنت ترى أن كل توجيه فى هذا النظم الكريم ورد بصيغة الأمر فيما عدا قربان الشجرة الذى هو فى الحقيقة استثناء من المأمور به المصرح بتعاطيه ولكنه ورد فى صيغة النهى لفتا للذهن الى خطورته وإشفاقا عليهما من التورط فى حمأته . فلما أزلهما الشيطان عنها أمرهما أن يهبطا منها . مما يؤيد أن التعليم والتوجيه شأنه أن يكون بصيغة الأمر .

وانظر الى دعوى كل نبى الى قومه مما أجمله الله سبحانه فى قوله : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » فهذه الكلمة الجامعة تبين أن دعوة كل رسول تعتمد على عبادة الله باتباع أوامره

واجتناب الطاغوت وقد صدر التوجيه الى ذلك بصيغة الأمر لينبهنا الى مكانة الأوامر فى التشريع والتوجيهات .

مفهوم الأمر عند الأصوليين :

وقد حدد الغزالى الأمر بأنه : القــــول المقتضى طاعة المــــأمور بفعل المأمور به (٢) . وقال البلخى وأكثر المعتزلة : إن الأمر هو قول القائل لمن دونه افعل أو ما يقوم مقامه . وعرفه بعض أهل الســـنة بأنه طلب الفعل على وجه يعد فاعله مطيعا . وقال الآمدى : إنه طلب الفعل على جهة الاستعلاء(٣) .

وقد تعددت مسالك الأصوليين فى مفهوم الأمر واختلفت اتجاهاتهم اختلافا واسعا . فبينما يذهب الغزالى والبيضاوى الى أن الأمر من قبيل الكلام سواء أكان هو النفسى أم اللفظى ولذا فإنهما يأخذان فى ماهية التعريف أنه القول .. بينمـــا الآمدى عرفه بشىء غير القول فجعله عبـــارة عن الطلب النفسى وتابعه فى ذلك ابن الحاجب ، وقد عرضنا كل اتجاهات الأصوليين وما دار حولها من مناقشات فى كتـــابنا .. الأمر فى نصـــوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام (٤) .

وانتهينا الى أن الذى ينبغى التعويل عليــــه فى معنى الأمر ومفهومه هو الأمر بمعنى الصـــــيغ والعبارات الذى يعرف بأنه اللفظ الذى يدل على طلب الفعل . فهــذا هو الذى يدور البحث فى الواقع حول مدلوله من اقتضــــائه الوجوب أو عدم اقتضائه ذلك ، ومن اقتضائه الفورية فى الاســـــتجابة الى أداء المطلوب ، ومن ابراء الذمة والخروج من العهدة بفعل المأمور به مرة واحدة. أم لا بد فيه من التـــــكرار وغير ذلك من البحوث المتعلقة بالأمر ودلالته على الأحكام الشرعية . على أن الأصوليين أنفسهم تنتهى بهم بحوثهم ومناقشاتهم الى أن الأوامر الشرعية التى يحكم عليها من حيث استفادة الأحكام هى الأمر بمعنى الألفاظ والصيغ(٥) .

الصيغ المستعملة فى الأمر :

المراد بصيغ الأمر الألفاظ التى تستعمل فى لغة العرب ويســــــتفاد منها مفهوم الأمر ، وبالاستقراء يبين لنا أن الألفاظ التى تستعمل لإفادة الأمر لا تخرج عن خمسة أشياء هى :

١ ــ صيغة افعل : أى كل لفظ يشتق على غرار افعل للدلالة على طلب الحدث الذى تشتق منه الصيغة مثل أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ومثل استقم كما أمرت . ومثل أقم الصلاة .

٢ ــ المضارع المقترن باللام : مثل قوله تعـــالى : « لينفق ذو ســــعة من سعته » فإن مدلوله طلب الانفـــــاق وكذلك قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » فإن مدلولها طلب الخشية من الله وطلب تقواه وطلب القول السديد النافع . وكذلك قوله : « فلينظر الانسان مم خلق .. » فإن مدلوله طلب النظر والتدبر .

٣ ــ **اسم فعل الأمر :** وهو كمـــا يقول النحويون ما ناب عن الفعل ودل عليه ومن أمثلته قول الله تعالى : « عليكم انفســـكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وقول الرسول عليـــه السلام فيما رواه احمد والنســـائى : « عليـــك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشـــطك ومكرهك » ومـــا رواه أحمـــد والنسائى من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « عليك بالصوم فانه لا عدل له » ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى « مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا » .

٤ ــ **المصدر الدال على الطلب :** المصـــــدر هو ما يدل على الحدث دون الزمان . ويقول النحويون : إن المصدر قد يقوم مقـــام فعله فيمتنع ذكر الفعل معه (٦) . ومن ذلك قول الله سبحانه : « فضرب الرقاب » يقول الالوس : إن ضرب منصوب على المصدر لفعل محذوف والأصل اضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول (٧) .

٥ ــ **الخبر المستعمل فى معنى الأمر** (الجملة الخـــبرية) : ومما جاء من ذلك فى اساليب الكتاب والسنة قول الله سبحانه : « والوالدات يرضـــعن أولادهن . . » فانها جملة خبرية فى صورتها ومعناها الأصلى . ولكنها مستعملة فى أمر الوالدات بارضاع أولادهن . يقول القرطبى : يرضعن . خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب لبعضهن(٨) . ومن هذا القبيل قوله سبحانه : « يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيـــكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلـــكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم » فقوله : تؤمنون . وتجـــاهدون خبران بمعنى الأمر فهما بمعنى آمنوا وجاهدوا ولا معنى لبقاء الخبر على حقيقته فى هذا المقام . لأن الخبر ما يحتمل الصدق والـــكذب وهذا لا يتحقق فى لفظى تؤمنون وتجاهدون فى الآية فيتعين أن يكون كل منهما مســـتعملا فى الأمر على سبيل المجاز كما يشعر به قوله : « هل أدلكم على تجارة تنجيكم » . .

ويقول علماء البـــلاغة : إن الخبر اذا اســـتعمل بمعنى الأمر فى هذه الجزئيات كان آكد من أن يستعمل فعل الأمر نفسه فيها . . وقال صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود : إن إخبار الشارع آكد من الانشاء فى مثل هذا لأنه أدل على الموجود(٩) .

ما تدل عليه صيغة الأمر :

يسلك الأصوليون فى بيان ما تدل عليه صيغة الأمر مسالك متقاربة فى الجملة ، ولا يكاد يختلف بعضهم عن بعض إلا بزيادة او نقص ، أو إشارة الى تداخل بعض المعانى وبعض . وقد اختلفت مناهجهم فى عرضـــها وعدها وإنا نستخلص لك من مجموع ما قالوه ان صيغة الأمر قد تدل على الوجوب كقوله تعالى « أقم الصلاة » وعلى الندب كقوله تعالى « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا » وعلى الارشاد كقوله تعالى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » وعلى الاباحة كقوله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم » وعلى التأديب كقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس « كل مما يليك » وعلى الامتنان كقوله تعالى « كلوا مما رزقكم الله » وعلى الاكرام كقوله تعالى « ادخلوها بسلام آمنين » وعلى التهديد كقوله

تعالى « اعملوا ما شئتم » وعلى التسخير كقوله تعالى « كونوا قردة خاسئين » وعلى الاهانة كقوله تعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وعلى التسوية كقوله تعالى « فاصبروا أو لا تصبروا » وعلى الانذار كقوله تعالى « كلوا وتمتعوا » وعلى الدعاء كقول القائل : اللهم اغفر لى ، وعلى كمال القدرة كقوله تعالى « كن فيكون » ، يقول الغزالى : إن بعض هذه الأشياء كالمتداخل(١٠) ، هذا وقد ذكر بعض الأصوليين وجوها أخرى على ما بيناه فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام(١١) .

وهذا الموضوع كما هو ظاهر من مباحث اللغة لا الأصول ، وإن أكثر الأصوليين لم يتعرض له إلا على سبيل الاستطراد أثناء بحثهم فيما تفيده صيغة الأمر على سبيل الحقيقة . وإن كان من الأصوليين كالغزالى والآمدى والبيضاوى من أفرد لها بحثا مستقلا ، والواقع أن البحث فى معانى صيغ الأمر التى تستعمل فيها بعيد كل البعد عن بحث الأصوليين ، وهو بحث لغوى صرف يرجع الى تنوع الاسلوب العربى واتساع دائرة المجاز فيه .

ما تفيده صيغة الأمر على سبيل الحقيقة :

الأمر إذا حفت به القرائن التى تعين دلالته فإن الحكم الذى يدل عليه هو ما تعينه القرينة . علما بأن المعنى الحقيقى على مقتضى قواعد اللغة لا يحتاج الى قرينة معينة للمراد . فمن قال : إن صيغة الأمر حقيقة فى الوجوب أو الندب أو الاباحة التى يقتصر اختلاف الأصوليين عليها ، إذ يتفقون على أن دلالة صيغ الأمر على المعانى الاخرى عن طريق المجاز — لا يرى أن دلالة الأمر على شىء من ذلك تحتاج الى قرينة ، وإنما يحتاج الى القرينة لصرفه عن المعنى الحقيقى الذى وضع له إذا أريد منه معنى آخر — غير أن بعض الأصوليين يرى أن صيغة الأمر مشترك بين عدة معان ، ومنهم من يرى التوقف . فهؤلاء لا بد عندهم من القرينة لفهم المعنى المراد .

هذا وينبغى التنبيه الى أن وجود القرينة مع بعض الصيغ مما تختلف فيه وجهات النظر من ناحية وجود القرينة وعدمها فقد يدل الامر على الندب عند القائلين بأنه حقيقة فى الوجوب لوجود قرينة ، بينما يرى القائلون بأنه حقيقة فى الندب أن دلالته على ذلك بأصل الوضع لا بالقرينة ، ومن ذلك اختلافهم فى مفاد الأمر بالمكاتبة فى قوله تعالى « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . والأمر بالانكاح فى قوله تعالى : « وانكحوا الأيامى منكم . . » على ما بيناه فى موضعه(١٢) .

أما إذا انعدمت القرائن . فإن حقيقة ما تفيده صيغة الأمر موضع خلاف واسع بين الأصوليين ، ويترتب على ذلك اختلاف أوسع بينهم فى مناهجهم الاجتهادية واستنباطهم لأحكام الفروع الفقهية .

١ — **فالجهور** على أن صيغ الأمر تدل فى الحقيقة على الوجوب ، واختلفوا فيما بينهم هل دلالتها على الوجوب بالوضع أم بالشرع أم بالعقل واستدلوا على أنها للوجوب بجملة أدلة نستخلص من جملتها الآتى :

أ) قوله تعالى لابليس : « ما منعك الا تسجد إذ أمرتك » إذ أن هذا الاستفهام فى حقيقته توبيخ وذم وغير الواجب لا ذم عليه ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سعيد الخدرى وقد دعاه وهو يصلى فلم يجب : ما منعك أن

تجيب وقد سمعت قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » ؟ فهو استفهام توبيخي دل على أن الأمر يفيد الوجوب .

ب) تارك الأمر مخالف وقد توعد الله مخالف أمره بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

جـ) وصف القرآن تارك الأمر بأنه عاص ومن ذلك قول موسى لأخيه هارون فيما يحكيه القرآن : « أفعصيت أمرى » وكل عاص آثم ، يقول الله « ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم .. » فتارك الأمر معذب ولا معنى للوجوب إلا هذا .

د) ومما يقوله البزدوى لاثبات أن الأمر يدل على الوجوب فى أصل الوضع قوله : إن الأمر موضوع للطلب وإذا ثبت هذا كان الكمال أصلا فيه . فثبت اعلاه وهو الوجوب .

٢ ـ وقال عامة المعتزلة ، وهو الصحيح عند الشافعية ووجه عند المالكية وقول أكثر الحنابلة وقول جمهور المحدثين إن صيغ الأمر تدل على الندب حقيقة فى أصل الوضع واستدلوا بقول الرسول عليه السلام « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .. » فقد رد النبى الأمر الى المشيئة وذلك ينافى الوجوب ، وكذلك فإن المندوب ما فعله خير من تركه فهو داخل فى الواجب من حيث الطلب فوجب جعل الطلب حقيقة فيه لكونه المتيقن . ودعوى غير ذلك تحتاج الى قرينة .

٣ ـ ويرى بعض المالكية أن صيغة الأمر حقيقة فى الاباحة . لأن الصيغة لطلب الفعل وأدنى درجات الطلب الاباحة . وهو رأى غريب لم يتجه اليه أحد .

٤ ـ وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك لفظى .. وهؤلاء ثلاث مجموعات : فمنهم من يرى أنها مشترك بين إفادة الوجوب وإفادة الندب والقرينة هى التىتعين أيهما المراد . ومنهم من يرى الاشتراك بين الوجوب والندب والاباحة ، ومنهم من قال إنها مشترك بين هذه الثلاثة والتهديد أيضا ومن هؤلاء الشيعة .

٥ ـ وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك معنوى . أى القدر المشترك الذى هو الطلب الشامل للوجوب والندب . وهذا الرأى منسوب للماتريدى ومشايخ سمرقند .

٦ ـ وهناك من قال بالتوقف وهو المنسوب الى الاسفراييني والقاضى عبد الجبار فقد توقفا عن ما هو موضوع من الوجوب أو الندب وقيل إنهما توقفا عن ما هو موضوع له على سبيل الحقيقة أصلا من الوجوب أو الندب أو غيرهما .

وقد بينا هذه الآراء بأدلتها ، ومسالك الأصوليين فى عرضها فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى(١٣) . وانتهينا الى أن حقيقة الأمر بأصل وضع اللغة لا تفيد إلا مجرد الطلب . فإنها أكثر ما تستعمل فى الطلب الدائر بين الوجوب والندب ولا يعنينا أن يكون ذلك الاستعمال على سبيل الاشتراك اللفظى الذى يقتضى أن تكون موضوعة لكل واحد منهما بوضع خاص . أو الاشتراك المعنوى الذى يقتضى أن تكون موضوعة للقدر المشترك ، فالقدر الذى نستطيع أن نطمئن اليه أن هذه الصيغة تارة تكون فى الوجوب وتارة تكون فى الندب وقد يكون استعمالها فى كل منهما على سبيل الحقيقة التى تقتضى فى المشترك اللفظى وجود القرينة وتقتضى فى المشترك المعنوى تبادر المعنى عند ورود الصيغة ..

ثم ننتهى من هذا كله الى أنها تدور بين هذين المعنيين : الوجوب والندب ولا نجزم بالدلالة على أحدهما إلا اذا أيده دليل آخر من أدلة الشريعة .

ما يدل عليه الأمر بعد الحظر :

يرد أحيانا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى بعد حظر سابق وذلك مثل قوله تعالى « وإذا حللتم فاصطادوا » بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » بعد قوله « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » ومثل قوله تعالى فى شأن النساء : « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » وذلك بعد قوله : « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ومثل ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها .. » .

وقد اختلفت مناهج المجتهدين من الأصوليين فى مفاد الأمر بعد الحظر ، واتجهوا اتجاهات متباينة على ما بيناه تفصيلا فى موضعه(١٤) ، وإننا نعرض هنا خلاصة ما أخذناه من مسالك الأصوليين واتجاهاتهم فنقول : إن منهم من قال : ان وقوع الأمر بعد الحظر لا أثر له ويبقى على ما كان قبل الحظر . ومن هؤلاء صدر الشريعة الحنفى وبه قال ابن تيمية إن كان الأمر من نفس الحاظر . ومنهم من قال إنه يفيد الوجوب وبه قال المعتزلة والرازى والبيضاوى من الشافعية وقالوا : إن سبق الأمر بالحظر لا يغير من دلالته ولا تعتبر قرينة صارفة . وبهذا يقول ابن حزم إذا كان الطلب بلفظ الأمر خاصة ، ومنهم من قال : إنه يفيد الاباحة وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وابن السبكى الشافعى وهو اختيار الكمال بن الهمام الحنفى ، ومنهم من قال إنه يفيد الندب وقد نقل هذا صدر الشريعة ، ومنهم من توقف كالغزالى والآمدى وإمام الحرمين .

وقد عرضنا فى كتابنا الأمر عدة نصوص من القرآن والسنة(١٥) وبينا أثر الاختلاف فى دلالة الأمر فيها على الأحكام الفقهية ، ومن ذلك ما فهموه من قوله تعالى : « يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم » الى قوله سبحانه : « واشهدوا ذوى عدل منكم » .

فقد اختلف كل من المفسرين والفقهاء فى مقتضى الصيغة وفى متعلق الاشهاد فقال الإمام الرازى الشافعى : أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة . وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة ، أما عند الشافعى فواجب فى الرجعة مندوب اليه فى الطلاق(١٦) . ونقل القرطبى المالكى مثل ذلك وزاد عليه أن أحمد بن حنبل أوجب الاشهاد فى الرجعة فى أحد قوليه(١٧) ، وجاء فى تفسير المحيط لأبى حيان أن ظاهر قوله (واشهدوا) وجوب الاشهاد فى كل من الرجعة والطلاق(١٨) . وتنص كتب الحنفية على أنه يستحب الاشهاد على الرجعة لزيادة الاحتياط(١٩) . بينما يقول ابن رشد المالكى : تشبيه هذا الحق بسائر الحقوق يقتضى أن لا يجب الاشهاد . فكان الجمع بين القياس والآية يقتضى حمل الآية على الندب وهو مذهب مالك(٢٠) . ويقول الرملى الشافعى : المذهب الجديد للشافعى انه لا يشترط الاشهاد على الرجعة بناء على الأصح من أنها فى حكم الاستدامة بل يندب ، وصرف الأمر عن الوجوب إجماعهم على عدمه فى الطلاق فكذا الامساك . وفى القديم اشتراط الاشهاد(٢١) . وينقل ابن قدامة الحنبلى روايتين عن الحنابلة فى الشهادة على الرجعة إحداهما تجب لأن

ظاهر الأمر الوجوب ، والثانية لا تجب مع حمل الأمر على الاستحباب (٢٢) . ويشترط ابن حزم الظاهرى لصحة الرجعة الاشهاد وإعلام المطلقة(٢٣) . بينما يرى الجعفرية أن الأمر يفيد الوجوب ، وأنه متعلق بالطلاق لأنه المقصود الأصلى فى النص (٢٤) . ويرى الزيدية أنه لا يجب الاشهاد فى الرجعة ، والأمر وإن كان للوجوب فإنه عائد الى التسريح مخافة الانكار لكنه فى الرجعة مستحب(٢٥) . وقد اتجهنا الى إفادة الأمر للندب فيهما ، وهذا لا يمنع إلزام ولى الأمر بالاشهاد على الطلاق والرجعة مسايرة لمصالح الناس ، ومع هذا فإن هناك قرائن ترجح إفادة الوجوب فيهما(٢٦) .

وبالنسبة للأمر بعد الحظر فإننا نستطيع ان نقول : إنه يعود الى ما كان يقتضيه الأمر قبل الحظر من وجوب أو ندب وإن كان يكثر فى إفادة الاباحة لكن بمعونة القرائن أيضا مما دفع الأكثريين الى القول بأنه يفيد الاباحة .

وإننا نختتم الموضوع فى مقال آخر نتكلم فيه عن الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من ناحية إفادته طلب الفعل مرة تبرأ بها الذمة أم لا بد من التكرار ، وهل يقتضى الأمر الاستجابة على الفور أم لا يقتضى ذلك ..؟

---

(١) راجع لنا فى تفصيل ذلك كتاب « الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام » مطبوع سنة ١٩٦٧ . دار النهضة العربية بالقاهرة .
(٢) المستصفى هـ ١ ص ٤١١ .
(٣) الاحكام للآمدى هـ ٢ ص ١٨٨ .
(٤) من صفحة ٣٩ — ٩٦ .
(٥) المرجع السابق من ٩٦ — ١٠٤ .
(٦) انظر التوضيح والتصريح هـ ١ ص ٢٣٠ .
(٧) روح المعانى هـ ١٦ ص ٣٩ .
(٨) الجامع لاحكام القرآن هـ ٣ ص ١٦١ .
(٩) التوضيح هـ ٢ ص ٤٤ .
(١٠) المستصفى هـ ١ ص ٤١٩ .
(١١) من صفحة ١٢١ — ١٣٣ .
(١٢) الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ص ١٧٦ — ١٨٢ .
(١٣) من صفحة ١٣٧ — ١٧٦ .
(١٤) الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من صفحة ١٨٣ — ١٩٦ .
(١٥) من صفحة ١٩٧ — ٢٣٦ .
(١٦) التفسير الكبير هـ ٣ ص ٣٤ .
(١٧) الجامع لاحكام القرآن هـ ١٨ ص ١٥٧ .
(١٨) هـ ٨ ص ٢٨٢ .
(١٩) الهداية والفتح هـ ٣ ص ١٦٢ .
(٢٠) بداية المجتهد هـ ٢ ص ٧٠ .
(٢١) المنهاج وشرحه هـ ٧ ص ٥٤ .
(٢٢) المغنى هـ ٧ ص ٢٨٢ .
(٢٣) المحلى هـ ١٠ ص ٣٠٥ .
(٢٤) قلائد الدرر فى بيان آيات الاحكام هـ ٣ ص ٢٢٨ .
(٢٥) البدر الزخار هـ ٣ ص ١٠٧ .
(٢٦) انظر ما قلناه فى صفحة ٢٠٤ .



حتمية الاعدام في القصاص



للأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى

تطبيق العقوبة الشرعية من لوازم الإيمان

المؤمنون بوجود الله لا بد ان يؤمنوا بصدقه ، وبمعقولية شرعه : لأن من لوازم الايمان بالله : اليقين التام بأن هذا الوجود (بما فيه) خلق الله .. وخالق الخلق اولى بتنظيم حياتهم ، لأنه أعلم بما يصلحهم (بحكم انه خالقهم) .. وبحكم أنه موجد الحقيقة ، وأن الخلق يكتشفونها .. وموجد الحقيقة أولى بالاتباع ممن يحاول اكتشافها ..

وهو أحق — بحكم أن الكون ملك الله ، فكان احق بتدبيره ..

اما من يؤمن بالله ولا يطبق شرعه فايمانه مزيف ، لأن عدم التطبيق عصيان ، وجحد لحقه في التدبير ، وشك في صحة ومعقولية شرعه ، وكل هذه مخرجة من الملة ..

وطريقنا الى شرع الله نصوص من الكتاب والسنة ، وهذه النصوص يدخلها النقد من ثلاثة وجوه لا رابع لها (بحكم القسمة العقلية) .

فالوجه الأول : نقد النص من ناحية ثبوته عن الشارع .

والوجه الثانى : نقد النص من ناحية صحة دلالته ..

والوجه الثالث : نقد مقتضى النص الذى صح ثبوته وصحت دلالته .

والوجهان الأولان واجبان على المجتهد لا يعذر بعدم تمحيصهما مع قدرته .. والوجه الثالث : كفر سافر ، لأن النص اذا صح ثبوتا ودلالة فلا يسع المسلم الا تطبيقه .. فان توقف فلا يخلو من أن يكون معاندا أو شاكا فى صدق ربه ، أو متهما دينه بالسهو والنقص ، مجهلا

له ، وكل واحد من هذه الامور مبيح للدم ، مخرج من الملة .

والعقوبة الشرعية من المسائل التى جاءت بنصوص صحيحة الثبوت والدلالة . اذا توقف فيها مؤمن بالله لم نزد على مجادلته بقولنا : قال الله ، وقال رسوله ، بالنص الصحيح الدلالة والثبوت .. فان كان مؤمنا حقا انصاع وانقاد لأمر ربه ، وقلبه واجف .

أما الملحدون فلا ينقادون لشرع الله ، لأنهم لا يؤمنون بالله ، والايمان بشرعه فرع عن الايمان به .

وهؤلاء يغالطون المؤمنين بحجج العقول فى تبرير(1) .. والغاء العقوبة .. ولايمانى بأن شرع الله شرع من خلق الحقيقة دلفت الى هذا النقاش العقلى لكل من ينكر العقوبة الشرعية .. وأنا على يقين بأن للمسلم من وضوح الحجة ما يختال به على كل الافكار المتعفنة وان ارتادت الجامعات الاجنبية وتباهت بالمؤهلات العالية .. !

والسر فى ذلك : ان المسلم ينصر حقا ، والحق عملاق فى كل مطرح .

ولتحرير موضوع البحث أحب لفت الانتباه الى أن العقوبة الشرعية متنوعة من حيثيات كثيرة .. وهذا المقال لا يتسع لنقاش لاهث مع كل حيثية ، فآثرت أن اذكر المنهج العقلى العام فى الشريعة لحماية المجتمع من الجريمة .. ثم أطيل النفس مع نوع واحد هو موضوع القصاص فى النفس وليلاحظ أن منهج من سيبحث معقولية العقوبة الشرعية عليه أن يلاحظ المفارقة بين أمرين :

أحدهما : نوعية العقوبة (فى كميتها وكيفيتها) .

وثانيهما : العقوبة فى ذاتها .

فأما نوع العقوبة ـ كمية وكيفية ـ فلا نبحث معقوليته بالحكمة المنبعثة ، وانما نثبتها بايراد البراهين الدالة على وجود الله وكماله ووحدانيته .. فاذا تقررت حقيقة الايمان ، فليقل المؤمن : ان الحق الواحد الكامل أمرنى بأن أجلد الزانى غير المحصن مائة جلدة .. أما كونه لم يأمرنى بتسعين أو بمائة وعشر فذلك محض ارادة الله وتعبده ايانا ، لا يحق لنا أن نقدم بين يديه .. والقاعدة أن ما لا تظهر حكمته محمول على التعبد المحض .. وبرهان التعبد هو برهان العقيدة ، فاذا ظهرت الحكمة فلا بأس من الاستئناس بها ، فربما قال المجادل : لم جعل ربنا عقوبة المحصن الرجم ولم يجعلها ضربة بالسيف .. ؟ هنا قد تلوح الحكمة فيقول المسلم : لغرض تعميم العذاب على الجسم الذى تبددت فيه شهوة الجماع الحرام .. وربما قال المجادل : لم كان هذا التبديد بالرجم ولم يكن بالوخز بالابر .. ؟

وربما قال المؤمن : ان الوخز بالابر ميتة بطيئة ، والعذاب فيها أشد فنافى مقصد الشارع .

وسواء أحصلت القناعة وانقطع النزاع أم لم تحصل ولم ينقطع فلا يجوز للمؤمن أن يركن الى الحكمة المظنونة فى تحديد الكمية والكيفية وانما يمتثل باطلاق .. وليصر فى المجادلة على جانب التعبد وبرهانه الذى هو برهان العقيدة .

أما العقوبة من حيث أنها عقوبة فتثبت بالنقاش العقلى المجرد ، فاذا ثبتت فى ذاتها فلن يتم تنفيذها حتى

---

(1) تبرير : بمعنى تسويغ وقد انكرها بعض المعاصرين من علماء اللغة ، ونحن نستخدمها مقتنعين بجوازها .

يعرف تقديرها كمية وكيفية .. ومن هنا يلتفت المسلم مرة ثانية الى مسألة العقيدة يدلل على كمال الله والوهيته ليصل الى نتيجة : ان اختيار خالق الخلق أولى لنا من اختيارنا ، لأن شرع الله مبرأ من السهو والجهل والنقص .
اما البشر فهم الساهون اللاهون مهما بلغ علمهم ، فهم محكومون بزمانهم ومكانهم وشهواتهم .
وان لعقوبة الاعدام احكاما فقهية كثيرة تتعلق بالقصد وعدمه ، وبكيفية الاستيفاء ، وبمن له حق الاستيفاء .. الى آخر تلك الاحكام فلن نمس منها الا جانب حتميةالعقوبة ووجوب تطبيقها ..

المنهج العقلى العام فى الشريعة لحماية المجتمع من الجريمة :

يلاحظ أن العقوبة مرتبة على جريمة بعينها ، ولكن الفاحص يدرك أن الجريمة فوق مستوى العقوبة ، لأن الجريمة سلسلة مخالفات شرعية فجاءت العقوبة حدا فاصلا . خذ مثال ذلك : القتل ينجم عن شهوة غضبية فى الجبلة البشرية ، وقد هذبت النصوص هذه الشهوة الغضبية بالحث على الحلم ومكارم الاخلاق والمسامحة والرحمة وتجنب هوشة الاسواق والنهى عن الممازحة بالسلاح وتهديد القاتل بالخلود فى النار . والنهى عما يفقد الوعى من المخدرات ومن سورة الغضب الطائشة ، والنهى عن مسببات النزاع كالقمار وبيع الغرر .. ثم جاءت المقاصة فى القتل حدا فاصلا بعد تخطى كل هذه الحواجز .
وكل هذه الاجواء الشرعية يقتضيها العقل ولا يستحسن غيرها ، وخذ هذا الجو من تلك الاجواء الشرعية ..

قال تعالى : « وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ » .

وقال : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما » .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى) : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » .

وقال صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى أيضا) : « ان من ورطات الامور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » .

وخذ مثالا آخر لذلك المنهج العقلى العام من جريمة الزنى فانها تنجم عن شهوة بهيمية فى الجبلة البشرية ، وقد هذبت النصوص هذه الشهوة بالامر بغض البصر والسمو بالغريزة والتأكيد على من يجد الطول بأن يتزوج والعزم على المؤمنات بأن يسترن زينتهن وبالنهى عن دخول البيوت بغير اذن وبالامر بخفض الصوت .. ولم يوجب الحد الا بشروط لا تتوفر الا اذا كان السفاح علنا ، فجاء الحد حكما عازما جازما بعد تخطى كل هذه الحجز .

فالجد فى نوافل هذا الدين ترويض على عزائمه .

فصح أن العقوبة الشرعية جاءت بعد تخطى عدد من الحدود والتعليمات الشرعية ، وصح أنه لولا ذلك التخطى المتتابع لما كانت هذه الجريمة .

ومن المسلم به أن المعاصى يجر بعضها بعضا ، وأن الادمان على

الصـــغائر يجر الى الـــكبائر والذين يتعاظمون العقوبة العادلة (لمرض فى قلوبهم) تصغر فى أعينهم الجريمة التى هى جريمة بنت جريمة ، وهذا ما لاحظه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهـــو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربهـــا وهو مؤمن » .

شبه منكرى الإعدام :

تعلق نفاة المقاصة فى النفس من القـــانونيين بأمور أهش من أعواد الخروع .. فقالوا : ان القتل قسوة ووحشية .. وان أمور الناس يجب ان تقوم على الرحمة والعطف .

وقالوا : ان القتل مقاصة لا تردع لأنه يموت المجـــرم ولا تمـــوت الجريمة ، ولأن الاعدام لا يخيف من لا يعرف أنه سيقتل اذا قتل .

وقالوا : ان الاعدام يفقد المجتمع نفسين .. !

وقالوا : ان المجرم غير مســئول عن اجرامه .. وانما تقع المسئولية على البيئة التى نشأ فيها من أمور وراثية وظروف حياتية .

وندمغ هذه الفلسفة المريضـــــة ونناقشها من ثلاثة وعشرين وجها هى كالتالى :

الأول : اننا لا نمارى فى وجوب وضرورة الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ، ولـــكن الرحمة لا تفسر بتعطيل العقوبة ، وإنما تفسر برحمة الجماهير والضعفاء والمساكين والآمنين المعصومة دماؤهم .. فاذا لم نردع المجرمين بالعقوبة فانما نجنى على المجتمع فى الاخلال بحماية أمنه ونظامه .

الثانى : أن تعطيل العقـــوبة ظلم للمجنى عليه ، والرحمة أن نمسح دمعة أوليـــائه بتطبيق العقوبة على الجانى .

والأمة الصالحة هى التى لا يضيع الحق بينهـــا .. فصـــــح بهذين الوجهين : أن رحمة يترتب عليها ظلم المجتـــمع وظلم المجنى عليهم وتأييد الظالم على ظلمه (بحجة الرحمـــة) تعتبر نكسة فكرية .. واظلم الناس من ظلم الناس للناس .. !

والرحمة رقة عاطفيـــة فلا نمنع المسلم من رحمة جان مسلم ينفذ فيه حكم الاعدام فيستغفر له ويرجو الله ان يجعل ذلك طهرة له ويشفق على اخوانه المسلمين من تكرر هذا المنظر .. ولكن لا يجوز أن تتعـــدى هذه الرحمة الى تعطيل الحد ..

وهذا ما لفت اليه القرآن الكريم فى عقوبة الزنى فى قولى تعالى : « ولا تأخذكم بهمـــا رأفة فى دين الله » .

الثالث : ان رحمة الجانى رحمة تحول دون معاقبته وضع للامور فى غير موضعها . لأن رحمة الجانى ان كانت خيرا يعارضها مفسدة الاخلال بالأمن ومفسدة تضييع الحق ومفسدة عصيان الشرع المؤيد بنظر العقل .. ومن بدائه العقول : ان المصـــلحة تعطل اذا عارضـــتها مفسدة أرجح منها .

وقلنا : قد لا تكون رحمة الجـــانى خيرا لأنه لا يوجد أى شىء يتمحض للخير أو الشر .

الرابع : انه لا يملك رحمـــــة الجانى — رحمة تحـــول دون أخذ الحق منه — الا من يملك الحق وهو المجنى عليه أو وليه .. ولهذا فالولى مأمور بالرحمة والصـــفح ، فهذه الرحمة ليست من حق القـــانون ، ولا من حق السلطان ، ولا من حق المجتمع .

الخامس : أن رحمة الجـاني — بتعطيل العقوبة — تأييد للجناية .. فاهدار دم معصوم على يد سفاح آثم (بحكم القانون) اشتراك مباشر فى الاثم : لأن من المشاركة التأييد .

السادس : ان تعطيل العقـوبة الشرعية تشجيع للجريمة بطريق غير مباشر (من وجه آخر) لأن أولياء القتيل لا يصبرون على مضض، ولأنه السبيل أمام كل مجرم (ما دآم انه يضمن حياته) .

السابع : أن تنفيذ العقـوبة فى الجانى جار على قاعدة منطقية تؤمن بها كل العقول ، وهى أن الجزاء من جنس العمل فلا ظلم ولا تفريط فى مقاصة عادلة ومحاصة دقيقة .

الثامن : أن اصـدق البراهين ما جرب .. والتجربة دلت على أن العقوبات ضرورة حتمية لحفظ النفس .. ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ولم تقع الفوضى وتهـدر الدماء وتتألب اللصـوص آلا فى مجتمع انفصلت فيه سلطة القانون عن واقع المجتمع .

التاسع : أنه من الافضل الا يخسر المجتمع أى نفس فى غير جهـاد مقدس ، ولهذا المبدأ حرص الاسلام على عصـمة الدماء ولا ريب أن استحياء الجانى هلاك لنفوس كثيرة ، وهذه من بدائه القرآن فى نصه : « ولكم فى القصاص حياة » .

العاشر : أن استحياء الجـانى مبنى على الرغبة فى تكثير سـواد المجتمع بالا يخسر نفسين ، ولـكن الثابت عقـلا أن المجتمع يخسر نفوسا كثيرة باستحياء الآثمين .. والقاتل بغير حق يجب أن يستشفى المجتمع باستئصاله ، لأنه عضـو غير صالح .

الحادى عشر : أن القـاتل حرم غيره الحياة فليحرم الحيـاة مثله ، فهذا حق لا تسقطه الرغبة فى تكثير سواد المجتمع .. ولا مجال للمعارضة بين حق واجب وأمر مستحسن .

الثانى عشر : أن تعطيل العقوبة قائم على مثالية موهومة تسـتبشع منظر القتل .

ونحن نقول : ان سر المعقولية فى بشاعة العقوبة .. ونقـول (مرة أخرى) : ان الجريمة ابشع ، ولا بد للانسانية من سيف يحميها . ولولا بشـاعة العقـوبة ما ارتدعت النفوس . ولم يأمر الله بحضـور طائفة من المؤمنين الا لاحياء الحدود واعلانهـا لترتدع النفوس التى تستبشع منظر السيف فى خبطاته .

الثالث عشر : أن الناس ليسـوا فى جملتهم على مستوى المسـئولية بحيث نتركهم لمثالية موهومة ، فقد اقتضت حكمة الله (كما هو معاين) أن فى المجتمع نفوسـا شريرة لا يردعها خوف من الله فى يوم مؤجل ولاحياء من المجتمع ، فلا ترتدع الا بعقوبة عاجلة منظورة .. وردعهـا بالقتل يعنى عصـمة المجتمع من شرها .

الرابع عشر : أن الجريمـة ظلم والعقوبة مجازاة وردع ومقاصة ، ولا يستحسن العقل غير هذا .

الخامس عشر : أن المبدأ العادل والقانون الفكرى الصـحيح الذى تجمع عليه كل العقول السليمة : أن يكون المجرم مسئولا عن اجرامه ،

وهذه المسئولية تستوجب عقوبة معينة الا انها تسقط أو تنقص أو تخف لأمر يتعلق بارتباط المجرم بجريمته ، وذلك الرباط هو « قصد الجريمة بغير حق » . ولسنا نطل على هذا الرباط من زاوية الوراثة والبيئة باجمال ، بل نطل مع الزاوية التى لها تأثير فى القصد ، فالمجنون يحجز ولا يقتل ، لأنه غير قاصد ، او قل : لأن قصده غير معتبر .. ومن أراد ان يرمى صيدا مباحا فأصاب آدميا معصوم الدم غير قاصد قتله ، فلا يعدم ، لأنه غير متعمد الجريمة .. ومن ضرب آخر بعصا فمات لم يعدم ، لأن العصا فى العادة والعرف لا تقتل .

والتعدى بآلة لا تقتل غالبا دليل قطعى على عدم قصد الجريمة الا أن يوجد ما ينافى هذا القصد ، كأن يكرر ضربه وهو مريض ، أو يعيد الضرب فى مقتل .. الى آخر ما هنالك من جزئيات وتحفظات ومقارنات دقيقة تحفل بها كتب الفروع .

السادس عشر : أن الذين لديهم امور وراثية كتوتر الاعصاب أو سوء التربية أو بؤس الحياة لا تغتفر جريمتهم ما دام انهم يخططون للجريمة بتنظيم قاطع على ذكائهم وتعمدهم ، وما داموا يعرفون انهم بالجريمة يحرمون اخا لهم حظه من الحياة ويتركون أولاده للبؤس والشقاء .. !

فنحن بين امرين : هما القصد ، والحافز على القصد .. فلا نقتل الا القاصد ، ولا نغتفر من الحوافز الا ما كان حقا .. فالبائس الذى يقتل تاجرا ليأخذ ماله لا يبرر جريمته انه بائس فى حياته ، لأن بؤسه ليس حقا متعينا على التاجر .. وانما البؤس والبحبحة قسمة من جعل هذا أصم وهذا اعرج وهذا اعمى وهذا مجنونا وهذا قوى البنية مكتمل الخلقة جميل الطلعة مبسوط الرزق مشروح الخاطر .

والحشاش الذى يقتل محادثه لأدنى مجادلة لا يغفر جريمته توتر أعصابه لأمر واحد شاهدناه وعايناه وهو أن هذا الصنف من الناس كثيرون ، ولكنهم ضبطوا أعصابهم على رغمهم لأن العدالة لا ترحم وسيوف الله مصلتة .. وما هذه القوة من جنود وسيوف وحشود الا سلطان الولى الضعيف .. أولم يقل سبحانه : ((**فقد جعلنا لوليه سلطانا**)) .

ولهذا لو اخذنا بما يسمونه وراثة وبيئة وسلطة وسوء تربية وحرمانا لما وجد على ظهر هذه المعمورة مجرم مدان ، ولأصبح المجرمون جميعهم بريئين .

السابع عشر : أن البائس يتعجل بؤس غيره لينعم مكانه ، فالعدل أن يعامل بنقيض قصده والعدل الا نعالج بؤسا ببؤس ولا ريب أن اسقاط حكم الاعدام هنا تبرير للجريمة .. وهذا التبرير يعنى ذلك العلاج المرفوض عقلا .

الثامن عشر : أن تعطيل حكم الاعدام بالردع اقتصار على جزئية من العلة ، فاننا نقول : آلاعدام ضرورة للردع ، وعلى فرض انه لا يردع (وذلك باطل بيقين) فلا يسقط حكمه ، لأنه حق طرف معين لا يسقط الا برضاه .. فالحق حق واجب لذاته لا لغيره .. ونقول : ان الاعدام لا يقضى على الجريمة ، لأننا آيسون من مجتمع مثالى ملائكى لا يجرم ولا يخطىء ، ولكننا نؤمن بأن المجرمين يقلون فلنطاردهم .

ولا ريب أنه بقلة المجرمين تقل الجريمة لبديهة أن لا جريمة بدون

مجرم ، ولبديهة أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولبديهة أننا نملك السبب ولا نملك ما يتسبب عنه ، الا أن هذا السبب ناجح فى الغالب ، فلا يجوز لنا (عقلا) أن نترك ما نملكه لشيء لا نملكه كما لا يجوز أن نترك أمرا راجحا لأن هناك احتمالا مرجوحا ، والا كانت نكسة فكرية .

التاسع عشر : أن قولهم مطاردة المجرم لا تقضى على كل جريمة منبثق من القول بعدم جدوى الاسباب ، وهذه نكسة كما قلت ..

ومن ناحية ثانية فذلك القول كلام مجمل لأن المجتمع الذى يسود فيه نظام الاعدام بحق يقضى قضاء مبرما على الاجرام الجماعى لأتفه الحوافز .. وقلما وجد من يرتكب جريمة القتل آلا لحافز قوى جاء نتيجة لسوء تصرف المقتول .

فصح بيقين أن مطاردة المجرم تقضى على شكل مروع من أشكال الجريمة .

العشرون : أن حصول الردع بالعقوبة أمر مجرب — كما بينته آنفا — وانما غلط النافون بظنهم أن الناس كلهم لا يرتدعون بالعقوبة وغلط المثبتون بظنهم أن الناس كلهم يرتدعون بالعقوبة .

ومذهبى : انه يحصل ردع ، والمرتدعون هم الجمهور بيد أن من كتب الله عليهم الشقاء لا يعتبرون بعقوبة غيرهم فيرتدعون .

فهذه ثلاثة أمور : ارتداع بالجملة وهذا لا يحصل ، ولو حصل لكان خيرا كثيرا . وعدم ارتداع بالجملة الا أن التجربة أثبتت ارتداع الكثيرين .

وارتداع ولكن ليس بالجملة .. لا ريب أن ارتداعا ليس بالجملة خير من عدم ارتداع بالجملة . والشاهد على هذا أن الجريمة فى المملكة العربية السعودية عام ١٣٩١ هـ .. ليست كالجريمة فى النصف آلاول من القرن الرابع عشر للهجرة من ناحية كميتها وكيفيتها .

فان قالوا : هذا عامل الحضارة قلنا : كذبتم وأفكتم لأن جريمة النصف الاول من القرن الرابع عشر فى بلادنا هى الجريمة ذاتها (كما وكيفية) عام ١٣٩١ هـ فى آلبلاد التى هى أكثر منا انسياقا للمدنية .

الحادى والعشرون : ان الاجرام هو الاجرام ان لم ينتج عنه ارتداع سفاح آخر فان المجتمع على أقل تقدير تفادى شرا ، فتقليل السفاحين مصلحة ماثلة ان تعذر ارتداع كل السفاحين . وهذا غير احد الوجوه السابقة لأن ذلك الوجه عن تقليل المجرمين من ناحية القضاء عليهم فيستريح المجتمع من شرهم .

الثانى والعشرون : ان قول الاسكندنافيين : عملية الاعدام لن تحقق العبرة ما دام الاعدام لن يخيف من لا يعرف أنه سيقتل ، فيه مغالطتان :

اولاهما : أن الجهل بالقانون لا يبرر تعطيله ، وليست معالجة الجهل بالقانون فى تعطيله بل لا بد من اشاعته .. ولا ريب أن آلانتصاف للدماء المراقة فى كل جمعة على رؤوس الاشهاد سينبه كل من لا يعرف لأن يعرف ، وليس يخفى اليوم الا ما لا يكون .

واخراهما : أن من لا يعرف أنه سيقتل اذا قتل يعرف وبيقين أن القتل جريمة .. ويعرف بعقله (ان لم يكن ذا دين) : أن الجزاء من جنس العمل .

الثالث والعشرون : أن للاعدام مبرراً غير مجرد تحقيق العبرة ، وغير مجرد تعيين الحق ، وهو اشاعة العدل ، فلن تطبق العدالة اهدار الدماء ، ولن تطبق العقول الصحيحة جفنها على حياة سفاح تقوم على اهدار دم معصوم .

وجوب العدالة فى التطبيق :

وبعد نقض فلسفتهم الرعناء فى تعطيل العقوبة أود ملاحظة أن العدالة فى التشريع ذات شقين :

عدالة النص فى حقيقة تشريعه ، لأنه من عند الله والله لا يقول الا حقا ،ولا يشرع الا عدلا .

والعدالة فى تطبيقه : بأن يكون الحكم مطابقا لواقع القضية — بحكم اجتهاد القاضى وصلاح سريرته — والا ننقص من الحد ، لأن الله أرحم منا ، ولا نزيد فيه ، لأن الله أحكم الحاكمين .

ونطبقه على انفسنا فلا نحابى بحكم الله قريبا أو عظيما .. فحذار أن تدركنا خطة بنى اسرائيل .. وأقول هذا على مبدأ « يا أيها الذين آمنوا آمنوا » .

وليس الحيف فى تطبيق الحد الشرعى بأقل خطورة من تعطيله ، فالمعطل والجائر كلاهما آثم ظالم .. والعدالة قوام الملك .

وبعد فان واقعنا العربى بحاجة الى شباب يؤمن بالله ويقول عقب كل صلاة : اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك .. ويقول : اللهم أصلح ولاة أمورنا .

وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾

المسجد المهجور

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

طوّحت بي ظروفي الصحية القاسية ، بعيدا عن بلدي ، فقصدت قرية من قرى بلد عربي شقيق ، طلبا للاستشفاء والاستجمام .

وأجبرتني ظروفي العائلية الصعبة على سكنى فندق من فنادق تلك القرية ، خلافا لرغبتي التي لا تحب سكنى الفنادق ، وتؤثر عليها سكنى الدور .

ولعلّ مما شجعني على اللجوء الى هذه القرية النائية ، والى هذا الفندق القريب من تلك القرية ، هو وجود مسجد فيها : أصلي فيه صلاة الجمعة ، وأصلي فيه صلاة الجماعة في بعض الأوقات ، وأسمع صوت المؤذن يدعو للصلاة في الأوقات الخمسة ، وحسبي أن أكون (جار المسجد) لتحل عليّ بركاته ويمدني بالسكينة والاطمئنان .

ولكن هذا المسجد العامر بذكر الله في العام المنصرم ، أصبح هذا العام مهجورا .

كان في العام المنصرم تقام فيه الصلوات الخمس جماعة ، فأصبح هذا العام لا تقام فيه الصلوات .

وكان في العام المنصرم عامرا بالمصلين ، فأصبح هذا العام مقفرا من المصلين .

وكان صوت المؤذن يلعلع كل يوم خمس مرات ، فأصبح هذا العام لا يسمع أبدا إلا في موعد صلاة الجمعة .

وكنت أظن أن المسجد بخير كما كان في العام المنصرم ، فوجدت المسجد ليس بخير هذا العام .

وحين لجأت الى الفندق القريب من القرية ، انتظرت أن أسمع صوت المؤذن في اليوم الأول الذي حللت في الفندق .

كان الظـلام مخيما فى غرفتي ، وكان موعد صلاة الفجر قد حلّ ، فأرهفت السمع لأقتنص صوت المؤذن يدعو للصلاة ، فلم اسمع شيئا .

وتكرر ذلك فى يوم أو يومين ، دون جدوى !!

وقصدت المسـجد لأرى أن بابه مقفل ، وكان ذلك فى موعد صـلاة العصر .

وسألت احد المارة : لماذا لا يفتح المسجد ، وقد حان وقت صـلاة العصر ؟

وتنهد صاحبى ثم قال : لا تقام فيه الصلوات عدا صلاة الجمعة .

— ٢ —

وصليت الجمعة ثلاث مرات فى ثلاثة أسابيع : خطب فى الجمعـة الأولى والثانية خطيب كهل ، وقـد كان المصلون قليلين ، ولكن صـوت الخطيب كان جهوريا يهدر وكأنه كان يخطب فى مئة ألف أو يزيدون .

وخطب فى الجمعة الثالثة شاب ، صـوته أخفض من صـوت سلفه ، فحمدت الله على ذلك كثيرا .

وفى الجمعة الرابعة ، رايت ما حملنى على كتابة هذا المقال .

كنت على باب المسجد قبل ساعة وربع من موعد الصلاة ، فوجـدت بابه مقفلا ، وحول القفل سلاسـل من حديد .

وذهبت الى مكتب بريد القرية ، فوجـدت رسالتين إلىّ تنتظران من أيام ، وقيل لى : إن موزع البريد قد استقال .

فقلت لنفسى : لا بد أن يكون أهل القرية يعلمون الغيب حتى يعرفوا أن موزع البريد قد استقال ، وأنّ عليهم أن يزوروا مكتب البـريد كـل يوم لاستلام رسائلهم إن وجدت !!

وعدت الى المسجد قبل ساعة من موعد الصلاة ، فوجدت بابه لا يزال مقفـلا .

واستنجدت بمن توسمت فيه الخير من المارة ، لاستدعاء المسـئول عن فتح الباب ، فلبى أحدهم رجائى ، ولكنه جاء بعد ربع ساعة ليقـول : إن المسئول قد ذهب الى المستشفى لزيارة أحد المرضى هناك .

وكنت قـد أخـرجت منديلي من جيبى ، وفرشـته على عتبـة باب المسجد ، وجلست عليه .

ومضى علىّ نصف ساعـة وأنا جالس على عتبة المسجد ، حتى قدم أحد المصلين ، وكان أول القادمين .

وقلت له : هل حال كنائس القرية كحال هذا المسجد ؟ هل تقفل هـذه الكنائس وهى ثلاث فى أيام الآحاد ؟

وسألنى القادم الجـديد : وأين المسئول ؟

وقلت له : هو فى المستشـفى زائرا ، ولا أدرى متى يحضر ، وربما سيصل شيخ المسجد قريبا ، فلا بد من فتح الباب .

واقترحت عليه أن يأتى بالمطـرقة من نجار قريب ، ويكسر القفل ويفتح الباب .

وفتحنا الباب بعـد كسر القفل ، ودخلنا المسجد دخول الفـاتحين ، ولكن أعصابى كانت متوترة جدا ألماً على حال المسلمين .

وحضر شيخ المسجد قبل صـلاة الجمعة بعشر دقائق ، وهو يأتى كل جمعة من بلد آخر ، فيلقى خطبـة الجمعـة ، ثم ينصرف الى أهله ، ويترك المسجد مهجورا .

— ٣ —

كنت أمنى النفس فى طريقى الى المسجد ، بساعة أقضيها فيه قبـل الصلاة ، فتشع روح المسجد قبسا من النور لأقتبس منها نورا ، وتسبغ روح المسجد على روحى شـيئا من السكينة والاطمئنان .

وكنت أحب أن أذكر الله ، وبذكر الله تطمئن القـلوب — خاصـة فى بيوت الله .

وكان معنى حديث رسـول الله

صلى الله عليه وسلم يدور فى خلدى وأنا فى طريقى الى المسجد ، وهذا الحديث عن فضل السابقين الى المساجد فى يوم الجمعة وأجرهم عند الله .

ولكن المسجد المهجور ، ومعنى هذا الهجران ، وحال المسلمين الذى أدى إليه ، حرمنى من نور المسجد ، ومن روح المسجد ، ومن ذكر الله فى المسجد .

وذكرت الذى عمر هذا المسجد ، وأوقف عليه الأوقاف ، وترحمت عليه ، وقلت لنفسى : هل كان يعرف مصير مسجده الوحيد فى القرية المهجور من المصلين ، وفى القرية هذه ثلاث كنائس عامرة بالمصلين ؟!

وسقطت من عينى دمعتان فى المسجد المهجور ، وازداد الحزن الذى يجتاح قلبى حتى لم يبق فيه موضع لحزن جديد .

إن مساجد المسلمين كانت مثابات للعبادة ، ومحاكم للقضاء ، ومعاهد للعلم ، وأماكن لذكر الله ، وثكنات للجيوش الاسلامية .

كانت لا تخلو من المصلين ومن الذاكرين الله والذاكرات .

وكانت ملجأ للمظلوم يأخذ حقه من الظالم .

وكانت عامرة بحلقات العلم ، يتدارسون فيها علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ واللغة والأدب .

وكانت تنطلق منها جيوش المسلمين للفتح ، وتعود إليها بعد الفتح .

كيف أصبحت اليوم مهجورة ؟

وا أسفاه على حال المسلمين اليوم !!

إن الجواب هو ما نراه اليوم : مليونان ونصف المليون من يهود يغلبون مائة مليون عربى وستمائة مليون مسلم ، ثم يرزح المسجد الأقصى تحت ظل الاحتلال الاسرائيلى ثم يحرق دون أن يستثير ذلك غيرة المسلمين !

حين كانت المساجد عامرة ، انتصرنا على أعدائنا ونحن يومئذ قليل .

وحين أصبحت المساجد مهجورة ، غلبنا أعداؤنا القليلون ونحن يومئذ كثير .

— ٤ —

وبعد .

أقرأ كل يوم فى الصحف أخبار مواجهات المسئول عن المساجد فى هذا البلد العربى للمسئولين الكبار .

وفى كل يوم أرى تصاوير المسئول عن المساجد مع المسئولين الكبار فى الصحف وفى الاذاعة المرئية ، وقد تهلل وجهه بشرا وفرحا ، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة .

ترى !!

أيهما أجدى على هذا المسئول عن المساجد ، إعمار مكاتب المسئولين الكبار بالزيارات ، أم إعمار مساجد الله بالمصلين ؟

أيهما أجدى عليه ، رضى المسئولين الكبار ، أم رضى الله رب المسئولين الكبار ؟

يتهلل وجهه اليوم وترتسم عليه الابتسامات !!

وغدا ستسود وجوه وتبيض وجوه .

وهو يظن أن اتصاله بالمسئولين الكبار سيرفع ذكره ، وحسبه أن يقرأ اسمه فى الصحف ويرى صورته من المجلات والصحف والاذاعة المرئية .

ولكن هذا المسئول ، هو أحرى الناس بأن يعلم ، بأن الله وحده هو الذى يرفع ذكر من يشاء من عباده الصالحين .

وصدق الله العظيم : (ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك) .

والله أكبر ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الإمام الشيباني



للدكتور محمد الدسوقى

١ ــ يعد الامام محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى أول من دون الفقه الاسلامى على منهج علمى لم يسبق به ، كما يعد أول من كتب فى العلاقات الدولية الاسلامية كتابة دقيقة مفصلة ، تشهد له بالعقلية التشريعية الخصبة ، وتضعه فى مقدمة الرواد الذين كتبوا فى القانون الدولى .

والإمام محمد الى هذا فقيه مجتهد ، ومحدث حافظ لا يقل درجة عن ائمة الفقهاء وأعلام المحدثين فى عصره ، وقد قام مع ذلك كله بدور فريد فى تاريخ الفقه لم يقم به أحد سواه من المجتهدين ، ويتمثل هذا الدور فى تقريبه بين المدارس الفقهية التى عرفها القرن الثانى ، فقد كان حلقة اتصال بينها ، فضاقت بذلك دائرة الخلاف بين الفقهاء ، واطلع كل فقيه على ما لدى غيره من الآثار والآراء .

٢ ــ وقد ولد الإمام محمد بن الحسن فى مدينة واسط بالعراق فى أواخر سنة ١٣١ هـ على الرأى الراجح ، ولكنه نشأ بالكوفة ، لأن اقامة والده بتلك المدينة لم تطل ، وكان قد انتقل اليها من أجل عمل تولاه بها ، فولد له محمد فى اثناء قيامه بهذا العمل ، ثم لم يلبث أن عاد الى الكوفة واستقر بها ، وشهدت هذه المدينة طفولة الامام محمد ويفاعته وشبابه ، كما شهدت اختلافه الى حلقات العلم والدرس تلميذا وأستاذا .

أول مَن دوّن الفقه الإسلامي وكتبَ في العلاقات الدوليّة

٣ — وكانت مدينة الكوفة اذ ذاك مهد العلوم العربية ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة ، واتخذها على بن أبى طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة ، لقد كانت تموج بالعلم والعلماء ، وكانت مساجدها تغص بحلقات الفقه والحديث والنحو واللغة والأدب والأخبار ، وهى الى هذا كانت ملتقى الثقافات الاسلامية والعادات العربية الاصيلة بالثقافات والحضارات الاجنبية المختلفة فكانت لهذا حقيقة بأن تكون كما سماها الإمام أبو حنيفة (مدينة العلم) .

٤ — فى هذه البيئة العلمية الرفيعة تلقى محمد بعض دروس العربية والرواية بعد أن حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما تيسر له من الأحاديث النبوية الشريفة ثم اتجه الى حلقة الإمام أبى حنيفة ، وكانت طريقة هذا الإمام فى تعليم تلاميذه تقوم على منهج يربى ملكة البحث والتفكير والمناظرة ، فهو لا يلقى آراءه القاء ولكن كان يثير المسائل ثم يشرك تلاميذه فى تمحيصها ومناقشتها ، ولا يسمح بتدوينها الا بعد الاتفاق على راى جماعى فيها . وفى هذا الجو العلمى المثمر كانت مواهب محمد تتجلى كل يوم وكان أبو حنيفة يسر بتلميذه فيضاعف من الاهتمام به والحرص عليه ، لما كان يتوسمه فيه من الخير والفضل .

وكان محمد فى حلقة شيخ فقهاء الكوفة فى القرن الثانى لا يكتفى بالسماع والمشاركة فى تحقيق المسائل ، فقد كان مع هذا يدون ويسجل ويحرص على ذلك حرصا شديدا ، وكأن هذا الحرص على التدوين فى حياة محمد الباكرة ارهاص بما قام به بعد أن استحصد علمه بتدوين الفقه وتصنيفه فى صورة لم يسبق بها ، وكانت لسائر الفقهاء من بعده نبراسا يعشون الى ضوئه فى التأليف والتدوين .

٥ ــ على أن محمدا كان وهو يحافظ على دروس ابى حنيفة يختلف الى مجالس المحدثين فى الكوفة ويروى عنهم ، ويذكر المؤرخون أن محمدا نشأ بالكوفة فطلب الحديث وسمع سماعا كثيرا ، وجالس أبا حنيفة وأخذ عنه فغلب عليه الراى وهذا يدل على أنه جمع منذ أيامه الاولى فى طلب العلم بين الحديث والفقه ، وأنه وإن أخذ عن استاذه الاول الفقه والحديث كان يسعى الى حلقات المحدثين ليأخذ عنهم الأحاديث والآثار .

عن وكيع قال : كنا نكره أن نمشى معه فى طلب الحديث ، لانه كان غلاما جميلا .

وما قاله وكيع يشير الى حقيقة تاريخية أوردتها كتب التراجم والطبقات ، وهى أن الإمام محمدا كان جميل الخلق وضيئا ، كما كان سمينا ممتلئا صحة وقوة ، وقد روى أن الامام الشافعى قال عنه : ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن .

٦ ــ ومات ابو حنيفة سنة ١٥٠ هـ بعد أن جلس محمد فى حلقته نحو أربع سنوات كانت بمثابة البذرة الصالحة التى صادفت تربة جيدة فنمت وازدهرت وجادت بالخير العميم .

وأخذ محمد عن استاذه الثانى ــ وهو الإمام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم المتوفى سنة ١٨٢ هـ ــ ما حال الموت بينه وبين أن يأخذه عن استاذه الأول وكان أبو يوسف يسلك منهج استاذه فى تحقيق المسائل ، ولم يكن مقررا لفقه شيخه فقط ، بل كان فقيها مجتهدا وإن لم يبلغ مبلغ شيخه فى الفقه ، وكان كذلك محدثا حافظا حتى عد احفظ اصحاب أبى حنيفة للحديث ، ومن هنا يكون محمد قد تلقى عن أبى يوسف فقه أبى حنيفة وفقه أبى يوسف نفسه ، كما تلقى عنه الأحاديث والآثار التى قام عليها الفقه العراقى .

٧ ــ ومحمد لم ينقطع الى أبى يوسف كما لم ينقطع من قبل الى أبى حنيفة ، فهو طالب علم منهوم يسعى وراءه أنى تيسر له فى الكوفة وغيرها من الامصار الاسلامية ، ولذلك كثرت مشايخه وتنوعت ثقافتهم ، فمنهم المفسر ، والمحدث والفقيه واللغوى والأديب والمؤرخ ، وكان يرحل الى من يستطيع الرحيل اليه ، ويراسل من يعز عليه لقاؤه .

ويروى أنه اتصل بالإمام الأوزاعى عن طريق المراسلة ، وإن كان ما رواه محمد عن هذا الإمام يثبت أنه لقيه ، وربما التقى به فى موسم من مواسم الحج ، أو رحل الى الشام ليلقاه كما يرى بعض المحدثين .

أما الذين أخذ عنهم عن طريق الرحلة فهم كثيرون ، وقد تعددت رحلاته الى البصرة ومكة والمدينة ، وأخذ عن علماء هذه البلاد ما شاء أن يأخذ من العلم ، وتعد رحلاته الى الحجاز من ابرز وأهم الرحلات العلمية فى حياته ، لأن هذا القطر العزيز كان ملتقى ــ وما يزال ــ كثير من فقهاء الأمصار الاسلامية فى شهور الحج ، وكانوا يهتبلون فرصة لقائهم فى جوار البيت الحرام ، ومسجد الرسول الكريم ، ليتدارسوا ويتناقشوا ويطلع كل منهم على ما لدى غيره من الآثار والآراء .

٨ ــ والذى لا ريب فيه أن محمدا قد اتصل بكثير من الفقهاء فى موسم الحج ، وأخذ عنهم ولا سيما حين لازم الإمام مالكا ثلاث سنوات فى أوائل عهد المهدى ليروى عنه الموطأ ، وليسجل مع روايته لهذا الكتاب ما جرى بينه

وبين شيوخ المدينة من مناظرات ومناقشات فى كتابه (الحجة) أو (الحجج) ،
ومن ثم كانت لهذه الرحلات قيمتها العلمية فى حياة الإمام محمد ، فهى قد أثمرت
مؤلفين هامين من مؤلفاته هما : كتاب (الحجة) و (الموطأ برواية محمد) ،
كما أنها أتاحت له معرفة الفقه الحجازى ومدارسته عن كثب ، ومكنته من لقاء
كثير من الفقهـاء والمحدثين الذين يقطنون ببلاد نائية عن العراق ، فعرف من
الأحاديث والآراء الشىء الكثير ، بالاضافة الى ما عرفه على أيدى أبى حنيفة
وأبى يوسف وسـواهما من فقهاء العراق ، واجتمع له بهذا كله فقه الـكوفة
والمدينة وآثار العراق والحجاز ، فضلا عن آثار وفقه سائر البلاد الاخرى التى
كان فقهاؤها يرحلون الى الحجاز فى موسم الحج أو غيره .

٩ — وبعد أوبة محمد الى الكوفة وقد روى الموطأ لا تقدم لنا مصـادر
حياته شيئا ذا بال عنه إلا بعد أن انتقل الى بغداد فى زمن الرشيد ، ولا ندرى
هل جلس محمد من أسـتاذه الثانى مجلس التلميذ فى الـكوفة بعد عودته من
المدينة ، أو أن أسـتاذه هذا كان قد شد رحاله الى بغداد ليتولى القضـاء
للخليفة المهدى وأن محمدا قد تحلق حوله تلاميذه ليدرسوا عليه وليكونوا فيما بعد
رواة لآثاره . . ؟

والذى ترجمه الشواهد المختلفة أن محمدا بعد روايته للموطأ لم يجلس
من أحد مجلس التلميذ ، وان كان هذا لا يعنى أن صلته بشيوخه قد انقطعت ،
أو أن مناقشاته العلمية معهم قد توقفت ، ولكنه يعنى أن علمه قد استحصد ،
ومواهبه نمت وتعددت ، ونبوغه أخذ يستفيض ، وأنه تجاوز مرحلة الطلب الى
مرحلة الإمامة فى الفقه والحديث واللغة .

١٠ — ولبث محمد فى الكوفة قبل أن يرحل الى بغداد ليقيم بهـا وبعد
عودته الاخيرة من المدينة نحو عشر سنوات ، يدرس ويصنف ويؤلف ، يختلف
اليه التلاميذ فى بعض الأوقات ، ويعكف فى بعضها الآخر على الكتابة والقراءة ،
لا يشـغله عن ذلك شاغل ما ، فلديه ثروة طائلة ورثها عن أبيه ، يسرت له
ولأولاده حياة آمنة مستقرة فأقبل على العلم أشد الاقبال بحيث أصبح لا يفكر
فى شىء سواه ، وبلغ من ذلك أنه اتخذ وكيلا له يتولى شؤون أولاده وأهله حتى
لا يشغلوه بما يطلبون منه عن العلم ومدارسته ، ويبدو أنه كتب معظم آثاره فى
هذه الفترة ، التى مكثها فى الكوفة قبل الانتقال الى بغداد فى عهد الرشيد ،
ويرشح لهذا ما ذكره الصفدى من ان محمدا حين انتقل الى بغداد اجتمع الناس
اليه يسمعون كلامه ويستفتونه ، فرفع خبره الى الرشيد ، واتهم بأنه يحمل معه
كتاب الزندقة ، فأرسل اليه بعض رجاله ليحملوا كتبه وأمر بتفتيشها ، ونقل
الصفدى عن الإمام محمد فى هذا : فخشيت على نفسى من كتاب الحيل ، فقال
لى الكاتب ما ترجمة هذا الكتاب ، فقلت كتاب الخيل ، فرمى به ولم يحمله .

١١ — ولم يسع محمد الى بغداد طمعا فى جاه أو منصب ، وانما سعى
الى هذه المدينة الجديدة ، لانها أصبحت بعد فترة وجيزة من تمصـيرها مدينة
العلم بما أنفق العباسيون عليها ، وشجعوا بالبذل والعطـاء العلماء والشعراء
على النزوح اليها والاقامة بها حتى تضاءلت الى جانبها منزلة الكوفة وغيرها من
الامصار التى كانت مراكز العلم والثقافة قبل بناء تلك المدينة التى أضحت رمزا
على الحضارة العباسية ونهضتها العلمية والفنية .

وكانت شهرة محمد العلمية قد سبقته الى بغداد كما يفهم ذلك مما ذكره

الصفدى ، وانشأ محمد فى عاصمة العباسيين يحدث ويفقه ويؤلف ، وامتلأت حلقته بالراغبين فى الاخذ عنه والدارسين عليه ، واعجب الناس به اعجابا شديدا لورعه وذكائه وكثرة علمه وفصاحة لسانه ، وقد صار محمد فى بغداد المرجع الاول لأهل الرأى فى حياة شيخه ابى يوسف ، ولعل هذا كان أحد العوامل التى لجأ اليها أهل السوء ليفسدوا ما بين الاستاذ والتلميذ .

١٢ — وما دام الإمام محمد قد انتقل الى بغداد من أجل العلم ورغبة فى نشره ، فانه عاش فى هذه المدينة منقطعا الى الاشتغال بالعلم تدريسا وتصنيفا فى اخلاص نادر وداب متواصل ، وهيام غريب ، حتى روى أن ثيابه كانت تتسخ فلا يجد لديه من الوقت ما يسمح بخلعها ، ولهذا انزعج عندما طلب ليتولى قضاء الرقة ، لحرصه على التفرغ للعلم ، ونفوره من التقرب الى الحكام ، وخشيته من مسئولية القضاء ، ولكنه أكره على تولى قضاء هذه المدينة ، ومع هذا لم يشغله القضاء عن العلم ، فقد أنشأ فى الرقة يكتب ويراجع ويدون ، وقد لازمه مدة بقائه فى قضاء الرقة تلميذه محمد بن سماعة الذى روى عن استاذه كتاب (الرقيات) وهو جملة من المسائل التى قرعها الإمام محمد حينما كان قاضيا بهذه المدينة ، ومن ثم أطلق عليها هذا الاسم .

١٣ — وقد عزل الإمام محمد من قضاء الرقة بسبب جوابه الصريح فى امان الطالبى يحيى بن عبد الله بن الحسين ، ولم يكتف الرشيد بعزل محمد ، فقد منعه من الإفتاء واتهمه بالعلوية ، ولذا أمر بتفتيش كتبه خوفا من أن يكون فيها شىء مما يحض الطالبين على الثورة ضد الرشيد ، غير ان هذا كان فى الواقع يقدر محمدا ويدرك منزلته بين معاصريه من الفقهاء ، ولكن اهواء السياسة كانت تطغى فى بعض الاحيان على المشاعر الطيبة فيتعرض الإمام محمد لما تعرض له من الإهانة والمضايقة .

وليس أدل على هذا من اختيار محمد ليكون قاضى القضاة ، فلو كان الرشيد لا يدرك مكانة هذا الإمام ادراكا سليما ما اختاره ليتولى هذا المنصب الهام فى الدولة على الرغم من جهره بكلمة الحق الذى لم يصادف هوى لدى الرشيد .

١٤ — ولم يمكث محمد مدة طويلة فى منصب قاضى القضاة ، فقد توفى فى سنة ١٨٩ على أرجح الآراء ، وهو قد عزل من قضاء الرقة فى سنة ١٨٧ ، ولبث فترة ممنوعا من الافتاء ، ثم عين بعد هذا قاضيا للقضاة ، فالمدة التى قضاها فى هذا المنصب إذن تبلغ نحو عامين على وجه التقريب ، وفى هذه المدة الوجيزة حسنت علاقة محمد بالرشيد ، واتسمت بالاخلاص فى غير نفاق أو رياء ، وان جنح محمد الى اصطناع الرفق واللين فى مخاطبة الرشيد ونصحه وافتائه ، ولكنه اللين الذى لا يجور على الحق أو ينال من كرامة العلم .

وقد توفى الإمام محمد فى قرية رمبوية من قرى الرى ، حين ذهب مع الرشيد الى تلك المنطقة ، وتوفى معه فى هذه الرحلة أيضا شيخ النحاة الكسائى ، وروى انهما ماتا معا فى يوم واحد ، فجزع الرشيد لموتهما وقال : دفنت الفقه والنحو بالرى .

١٥ — هذه صورة عامة موجزة عن حياة الإمام الشيبانى ، ومنها يبدو مبلغ اقباله على طلب العلم وانصرافه اليه ، وانفاقه الاموال الطائلة من أجله ، فقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة انفقها كلها فى سبيل العلم ..

ومن كان مثل هذا الإمام فى شغفه بالعلم واقباله عليه ، ومن كان مثله أيضا فى توقد ذكائه ، وتمتعه بعقلية تشريعية خصبة فإنه يكون ذا أثر بارز فى الفقه ، ومنزلة رفيعة بين الفقهاء .

وقد أومأت فى صدر هذه الكلمة الى المجالات التى ظهر فيها أثر الإمام محمد فى تاريخنا العلمى ، وأود هنا أن أفصل القول بعض التفصيل فى أثره فى مجال التدوين الفقهى ، والكتابة فى العلاقات الدولية .

١٦ — إن تدوين الفقه ظل الى ما بعد عصر التابعين الأولين ممنوعا ، وظلت الآراء الفقهية محفوظة فى الصدور حتى عصر الإمام أبى حنيفة ، وفى حلقة هذا الإمام كان بعض تلاميذه يدون آراء شيخه ، وكان الشيخ فى بعض ما يروى عنه ينهى تلاميذه عن الكتابة ، وفى بعضها الآخر ما يدل على أنه كان يأمر بتدوين المسائل بعد مناقشتها والانتهاء الى رأى جماعى فيها ، ومع هذا لم ينقل أن هذا التدوين الذى تم فى حلقة شيخ فقهاء الكوفة فى القرن الثانى قد خضع للترتيب والتبويب .

وقد أسلفت أن الإمام محمدا كان فى حلقة ابى حنيفة يحرص أشد الحرص على التدوين ، وان هذا الحرص كان إرهاصا بما قام به من تدوين علمى للفقه لم يسبق به ، وهذه حقيقة تاريخية لا اختلاف عليها ، تؤكدها مؤلفات الإمام الشيبانى ، فهى تراث ضخم يجمع الفقه العراقى وأدلته فى تبويب وترتيب يدل على عقلية علمية تجنح الى تفصيل المسائل وذكر الفروع بطريقة الافتراض والتصور العقلى فى ترابط وتسلسل منطقى مع الاجتهاد فى تقرير الحكم الشرعى لكل مسألة .

١٧ — وتدوين محمد للفقه العراقى الذى لم يسبق به كان الضوء الذى أنار الطريق لتدوين فقه المذاهب الاسلامية كلها بوجه عام ، فقد اتخذ الفقهاء منه قدوة اقتدوا بها فى مناهجه وبذلك دون الفقه الاسلامى كله وحفظ من الضياع . ونما هذا التدوين بمرور الأيام حتى تضخمت تلك الثروة العلمية تضخما هائلا ، وغدت تراثا تشريعيا وفكريا رائعا لم تعرف البشرية له نظيرا فى تاريخها الطويل .

واذا كان تدوين محمد للفقه المصباح الذى أنار الطريق أمام فقهاء المذاهب جميعا ، واذا كانت كتب هذا الإمام لحمة الكتب فى كل المذاهب ، فان لمحمد أثرا جليلا متصلا بالتدوين لم يسبق به أيضا ، وذلك ما يمكن ان يسمى بتدوين الفقه المقارن ، فكتاب الموطأ والحجة دون فيهما الإمام محمد الفقه الحجازى والعراقى فى موضوعية أمينة دقيقة لم تعرف قبله ، وكانت لمن جاء بعده نبراسا لمن كتب فى اختلافات الفقهاء كابن جرير الطبرى ، وابن رشد فى بداية المجتهد ، وابن قدامة الحنبلى فى كتابه المغنى ، وأحمد بن يحيى فى البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار .

١٨ — واذا كان الإمام الشيبانى أول من دون الفقه الاسلامى فانه أيضا أول من كتب فى تفصيل وشمول عن العلاقات الدولية ، وكتابه (السير الكبير) خير شاهد على ذلك ، فهذا الكتاب عمل فريد فى موضوعه ، لم يؤلف فقيه غير الإمام محمد مثله ، سواء الذين تقدموا عليه أو الذين تأخروا عنه .

وكلمة سير جمع سيرة ، ويقصد بها الإمام محمد سيرة المسلمين فى المعاملة مع غيرهم من المستأمنين وأهل الذمة والمرتدين والمشركين .

وقد استوعب الإمام الشيبانى فى هذا الكتاب أحكام العـــلاقات بين المسلمين وغيرهم فى حالتى السلم والحرب ومســائل الأسرى وحصـــانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ومجرمى الحرب والغنائم وســـواها من أدق المسائل التى لم يتنبه اليها فيبحث فيها الباحثون فى القانون الدولى إلا بعد ثمانية قرون أو أكثر .

١٩ — وليس معنى أن كتاب الســـير فريد فى موضوعه أن مؤلفه قد اخترعه اختراعا ، فالمعروف أن بعض الفقهـــاء الذين تتلمذ لهم الإمام محمد تحدثوا عن السير كالإمام أبى حنيفة والأوزاعى وأبى يوسف ، ولكن كل ما جاء عن هؤلاء الأئمة كان يدور فى نطاق محدود من القضايا ، وكان أشبه بالمحاولات الاولى بالنسبة للبحث الشامل الذى كتبه الإمام محمد ، فاستحق هذا الكتاب أن يكون فريدا فى موضوعه ، واستحق مؤلفه — عن جدارة — أن يكون رائد التفكير القانونى الدولى فى العالم كله .

لقد استقى الإمام الشيبانى مادة كتابه من الآثار والاخبار من علماء عصره فقهاء ومحدثين ، وكانت هذه المادة الاساس الذى أقام عليه محمد عمله الرائع الذى يشهد له بغزارة العلم ، وعمق التفكير وشمول النظرة ودقة التفصـــيل والتبويب والتفريع .

٢٠ — وكان المنتظر أن يكون ما كتبه الإمام محمد حافزا للخلف من الفقهاء على الاهتمام بهذا الموضوع والكتابة فيه ، ولكن لم نجد فقيها واحدا كتب عن السير كتابا مفردا ، وكل ما جاء عن هذا الموضوع بعد الإمام محمد فصـــول موجزة فى كتب الفقه تحت عنوان السير أو الجهاد ، وتتناول غالبا الغنـــائم وبعض أحكام الشهداء والاسرى ، ومن ثم ظل كتاب الإمام محمد الأثر الوحيد فى تراثنا الفقهى الذى درس فى شمول وتفصيل أحكام العلاقات بين المسلمين وغيرهم فى حالتى السلم والحرب .

ان كتاب السير الكبير عده الرشيد فخرا لعصره ، وهو كذلك ، فما عرف هذا العصر فى العالم كله أثرا علميا خاصا بالعلاقات الدولية مثل هذا الكتاب ، وما عرف غير هذا العصر فى تراثنا الفقهى كتابا مثله ، فهو لهذا فخر الفـــكر القانونى الاسلامى يعتز به كل الاعتزاز .

٢١ — وما دام الإمام محمد الفقيه الوحيد الذى كتب عن العلاقات الدولية فى الاسلام فى تفصيل وشمول لم يسبق به ، فانه بهذا عد مؤسسا للفـــكر القانونى الدولى فى الاسلام ، ولأنه سبق (جروتيوس) الهولندى الذى يعد لدى الاوربيين مؤسس القـــانون الدولى بأكثر من ثمـــانمائة عام ، فقد توفى جروتيوس سنة ١٦٤٥ م على حين مات الإمام محمد سنة ١٨٩ هـ — ٨٠٤ م ، فان الإمام الشيبانى لذلك يعد مؤسسا للقانون الدولى فى العالم كله .

لقد كتب جروتيوس فى سنة ١٦٢٥ م كتابا تحت عنـــوان « فى قانون الحرب والسلم » وتضمن هذا الكتاب تنظيما يكاد يكون كاملا لما قد يقوم بين بين الدول من روابط وعلاقات ، ولأهمية هذا الكتاب التزمته الدول فى أوروبا دستورا لعلاقاتها الخارجية مدى قرنين من الزمان ، واعتبر مؤلفه أبا القانون الدولى ، وارتبط اسم جر وتيوس بنشأة هذا العلم لدى فقهاء هـــذا القـــانون الغربيين .

ولوجود تشابه كبير بين كتاب (السير الكبير) وكتاب (فى قانون الحرب والسلم) فى المنهج والمبـــادىء يرجح بعض الباحثين المحدثين أن جروتيوس ربما اطلع على كتاب السير الكبير ، وأنه نقل المبادىء الاساسية التى كتبهـــا الإمام محمد فى العلاقات الدولية ، ثم نسبها جروتيوس الى نفسه .

٢٢ — وسواء أكان جروتيوس قد اطلع على كتاب الســـير الكبير أم لم يطلع عليه فان الإمام الشيبانى سبق جروتيوس بفترة زمنية طويلة ، واعتمد فى كتابه على المصادر الاصلية للشريعة الاسلامية ، وتحدث فى أمور وقضايا لم يتحدث عنها غيره من الفقهاء المسلمين أو سواهم إلا فى العصر الحديث ، ولكن جروتيوس اعتمد على القانون الطبيعى ، فكان الإمام الشـــيبانى لهذا مؤسسا للقانون الدولى فى العالم كله بلا جدال .

وليس فضل الإمام الشيبانى أنه أول من كتب فى القانون الدولى ، وانما يظهر فضله أيضا فى مجال هذا القانون أن فقهاءه المعاصرين لم يأتوا بجديد بالنسبة لما كتبه الإمام محمد .

٢٣ — وقد عرف الباحثون الأوربيون اسم الإمام الشـــيبانى فى القرن الماضى ، بعد أن ترجم كتابه السير الكبير الى اللغة التركية ، ومنها الى بعض اللغات الاوروبية ، فاهتموا بهذا الإمام ومؤلفاته فى مجال العلاقات الدولية ، وانتهوا فى دراساتهم عن هذا الإمام الى أنه خليق بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون العالميين .

وتقديرا لمكانة الإمام الشيبانى فى ميدان الكتابة فى القـــانون الدولى اسست جمعيات فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا تحمل اسم (جمعية أصدقاء الشيبانى للقانون الدولى) والغرض من هذه الجمعيات كما قال دعاتها والقائمون عليها ترجمة مؤلفات الشيبانى وغيره من الفقهاء المسلمين التى تناولت الحديث عن العلاقات الدولية الى اللغات الاخرى ، بغية استكمال المؤلفات العـــالمية الرئيسية فى هذا الموضوع ، ولذلك ترجم كتاب السير الكبير الى بعض اللغات الاوروبية ، كما أدركت الأمم المتحدة أخيرا قيمة هذا الكتاب ، فترجمته منظمة اليونسكو الى اللغة الفرنسية ، لقد أصبح كتاب السير كتابا عالميا ، وهو جدير بهذا ، ولولاه لما كان فى تراثنا الفقهى عمل فى موضـــوعه يحمل غيرنا على الاعتراف بفضل فقهائنا العظيم فى مجال الكتابة فى العلاقات الدولية .

٢٤ — وبعد فان الإمام الشيبانى عده بعض الدارســـين أعظم فقهاء الاسلام لأن أثره الجليل فى تاريخنا الفقهى يفوق أثر غيره من الفقهاء ويكفى أنه أول من دون الفقه على منهج علمى لم يســـبق به ، كما أنه أول من كتب فى العلاقات الدولية كتابة تتسم بالشمول والتفصيل ، وهذا فخر للفكر الاسلامى ، وآية على أن رسالة الاسلام هى رسالة العلم والحضارة والانسانية والفضيلة ، فما الشيبانى وسواه من القمم الفكرية فى تاريخنا الا ثمرة من ثمرات هذا الدين القويم الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

ماذا يعني العيد في نظر الإسلام

- الرضا بما تم من عمل على وجه سليم والبشرى بجزائه ..
- تدارك ما يحدث من تقصير أو قصور وتصحيحه بجد وحزم .
- أمل واستشراق لمستقبل أفضل ..

للأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر

نعم على هذه الدعائم الثلاث يقيم الاسلام معنى العيد فى نفس الفرد ، وفى المجتمع ، ويزكيه ، ويحتفى به .

فالعيد وقفة لإلقاء نظرة على ماض قريب بما له ، وبما عليه ، وعلى حاضر يفيد من تجارب هذا الماضى ، ويبنى عليه خطواته الى الأمام ، ونظرة تطلع لمستقبل متكامل ترتبط فيه الحلقات الثلاث ــ الماضى والحاضر والمستقبل ــ فى تماسك بناء يدفع عجلة الحياة الى الأمام ، ويرود لها طريق النجاح .

وحين شرع الإسلام لنا العيدين ــ عيد الفطر وعيد الأضحى ــ كان من حكمة ذلك أن ينمى بهما على توالى السنين بأعيادها معانى الكفاح والطهر وتربية الإرادة والفداء والتضحية والعمل الجاد فى نفوسنا ومجتمعاتنا فى سبيل حياة كريمة فى إطار من الإيمان والانسانية الفاضلة .

فيَهل علينا عيد الفطر عقب ممارسة جادة لحمل النفس على العمل الخالص ، وفطمها عن الشهوات ، وتربية إرادتها على الحزم والطهر والجدّية طوال شهر كامل يشغل فيه الانسان — ليله ونهاره — بالصيام والقيام والعمل وطهر الجوارح ، ومحاسبة النفس .

وينتهى هذا الموسم للعمل على هذه الصورة بيوم هو : عيد يطل فيه الإنسان بنظرة فاحصة على حصاد شهر كامل نموذج للجهد والتربية والانتاج فمــاذا يرى ؟

يرى منجزات له قد تمت خلال هذا الشهر فى سبيل دينه ودنيــاه فى مجال نفسه ، ومجال أسرته ، ومجال مجتمعه .

لكن هل تمت كلها على الوجه المطلوب ؟

قد يكون ذلك أو قريب منه ، ولكن مما لاشك فيه أن الكمال لله وحده .

ونحن مطالبون بأن نعمل لبلوغ الكمال وأن ننشده جهد طاقتنا فان لم ندركه كله فلا اقل من أن نقاربه .

وما يتم من عمل على وجهه الصحيح فذلك مبعث الرضا والارتياح . ومن هنا تكون للصائم فرحتان : فرحته هذه العاجلة بما تم له من عمل سليم ، فرحته بيوم فطره يوم عيده « ألم تر أن العمال اذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » وفرحته المدخرة يوم لقاء ربه فيجزيه الجزاء الأوفى بما هو أهله على ما عمل وقدم .

ومن هنا كان ربط الإيمــان للعمل بالجزاء الدنيوى — تعجيــلا بالمثوبة واستنهاضا للعزائم ، وبالجزاء الأخروى ادخارا للأجر الجزيل والنعيم المقيم — ربطا لحياة الانسان الاولى بحياته الآخرة حتى لا ينفصم حاضره عن مستقبله ولا ينحصر نظره وهمه فى دنياه فيعيش لها فحسب .

وما لم يتم من عمل على وجهه الصحيح : فاما أن يكون ما حدث فيه من قصور نتيجة ظروف طرأت هى فوق طاقة الانسان ، وإما أن يكون عن عمد فى هذا التقصير .

وكلا الموقفين له حدوده ، ونتائجه المترتبة عليه .

فأما ما يحدث نتيجة ظروف طارئة لا يملك الانسان لها دفعا ولا تخفيفا فهنا يكون مقام الإعذار ، لكن مع شحذ الطاقة فى المسلم ودفعها لعــلاج ما نقص وتدارك ما فات وإتمامه جهد الطاقة .

ويأتى هذا متمثلا فى صورة من يفطر فى نهــــار رمضان لمرض أو سفر فهو حين قصر به جهده عن أداء فريضة الصيام فى حينها العذر طــارىء ومقبول فهو هنا معذور ، لكن لا بد للعمل أن يستكمل على صورته ، أو على وجه بديل منها اذا ما انتهى العذر وذلك بقضاء ما فاته ، أو باطعام بديل عن الصوم اذا كان العجز مستمرا .

وهذا العلاج أو ذاك مطلوب القيام به مهما طال أمد إرجائه حين تتيسر ظروف التصحيح والتكميل ، وذلك ليستشعر الانسان ضرورة أداء العمل ، وضرورة الكمال فيه حين يستقيم له أمره ، أو يزول عنه عذره حتى لا تكــون هناك ثغرة تدخل على النفس منها عوامل اهتزاز الثقة حين يستوى فى ذلك

الذن يعملون والذين لا يعملون .

إنهما لا يستويان ابدا فى نظر الاسلام . ومن هنا كان الدفع الدائم للعمل وتجويده وتدارك ما يفوت منه وتصحيح ما يقع فيه من خطأ .

واما ما يحدث من قصور فى العمل ، او إبطاله نتيجة تعمد ، أو استهتار فهنا يتحدد علاج مثل هذا الموقف بأمرين :

اولهما : أنه لا بد من إعادة مباشرة العمل نفسه مرة أخرى على وجــه صحيح احتراما للعمل ذاته ، ووفاء للالتزام بأدائه كاملا .

ثانيهما : انه لا بد من المؤاخذة على ما حدث من تقصير واهمال جزاء عادلا ويتمثل لنا ذلك فيمن يأتى أمرا منهيا عنـــه يبطل به صـــومه متعمدا ، استجابة لشهوة ، أو ضعفا فى عزيمة . هنا يلزمه الاسلام بالقضاء — الذى هو إعادة العمل مرة اخرى — فى صورة صحيحة وكاملة ، ويلزمه أيضا بنوع من العقاب فى صورة كفارة يؤديها مع القضاء حتى يكون هناك نوع من ردع النفس واخذها بالحزم تطهيرا لها وتربية .



وإذا كان هذا صورة لما يتم فى عيد الفطر — عيد العمل والكفاح والتربية خلال شهر رمضان قبله — فنفس التطبيق نراه فى عيد الأضحى — عيد الفداء والتضحية وبذل الجهد وتحمل المشاق . فيشرق صباح يومه بعد عمل جاهد — من سفر وتضحية بالمال والوقت واداء النسك ومشقات ذلك كله ثم ذلك الموقف الجامع على عرفات — ويستقبل الحجيج بعد ذلك الجهد يوم عيدهم بالفرحة ، ومع الفرحة موقف للمراجعة لما تم انجازه من عمل . واذا بهم يلهجون بالحمد والشكر على نعمة التوفيق فى أعمالهم التى قاموا بها على الوجـــه المطلوب داعين ربهم **« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »**

ومع المراجعة تبدو ثغرات فيما تم إنجازه ، فان كانت لا تؤثر على حقيقة العمل المكلف به فان علاج هذه الثغرات يكون بشىء من البذل والعطاء ممثلا فى هدى يذبح أو صوم تطهر به النفس جبرا لما حدث من فتور أو خطأ .

وان كان ما حدث من تقصير يخل بحقيقة العمل نتيجة خور فى العزيمة ، او استسلام لشهوة ، أو جهل مطبق لما يأتيه من تصرف يفسد به عمله كأن يستجيب لشهوة الجنس وقت مباشرة أعمال الحج — وذلك مما يفسده — فهنا لا بد من اعتبار هذا العمل لاغيا ، ولا بد من استئنافه فى عام قابل على وجه صحيح تتلافى فيه الاخطاء ويتدارك النقص .



هذا . واذا كان نهاية الصوم عيدا ، وزكاة ، وفرحا وتوسعة ، ونهاية الحج عيـــدا وهديا وفرحا فان ما بعد العيد تجديد لما قبله ، وربط للمستقبل بجذور من الماضى الملىء بالعمل والنماء ، بل وتطبيق لنشاط الماضى فى صورة مصححة .

نلمس ذلك من حرص الاسلام — مثلا — على دعوة المسلم لاستئناف الصيام عقب « عيد الفطر » مباشرة فى صورة نفل تقبل عليه النفس راغبة بعد ان حملت عليه فى صورة فرض تعاقب على تركه .

* * *   * * *   * * *

وفى هذا المعنى التفاتة تقتضى الوفاء بحقها :

ذلك أن كثيرا من المسلمين يفهمون من شعائر الاسلام أنها عبادات موسمية تنتهى بانتهاء موسمها ، وتستأنف بحلول هذا الموسم مرة أخرى من عام جديد . وبين انتهائها واستئنافها تنبت الصلة — عن غفلة — بها . وهذا خطأ فى الفهم وفى التطبيق .

ذلك أن شعائر الاسلام ليست موسمية بقدر ما هى لتربية المسلم وتعويده على استصحاب آثارها دائما فى حياته سواء كان ذلك وقت مباشرتها أو بعد وقت انتهائها .

ولنسق لذلك نماذج :

فمثلا شعيرة الصوم ليست فى رمضان فحسب بحيث تنبت صلة المسلم بها الى رمضان قادم ، بل اذا كان الصوم فى رمضان فرضا . فلا بد أن يؤدى فى غير رمضان بأى كيفية من كيفيات الالتزام — كفارة ، أو قضاء — أو نذرا ، فان لم يكن فتنفلا فى كل اسبوع أو فى كل شهر بحيث يكون المسلم على صلة دائمة به طول العام .

وقد كان منهج سيدنا رسول الله عليه وسلم فى ذلك منهجا حيا فكان يتابع الصوم بين الحين والحين لتكون النفس على صلة به حية بآثاره .

كذلك الزكاة : لا ينتهى التزام المسلم بها بأداء النصاب الشرعى فيها — زكاة مال كانت أو زكاة نفس — بل هناك — فى صور أخرى من العطاء — الكفارات والنذور فان لم يكن فالصدقات طول العام وبلا حدود .

وكذلك الحج : ليس اطلالة عابرة فى العمر على البيت الحرام ثم :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

لا : بل ان صلة المسلم بقبلته وبمسجده الحرام صلة موصولة طول العام فان كانت على البعد متمثلة فى الاتجاه اليه فى كل صلاة فهى على القرب مطلوبة بشد الرحال . ثم بتكرار النسك فى أى وقت من السنة وعلى وضع اضيق فى صورة عمرة تجدد الذكرى طوال العام حتى يحين موعد الحج .

وهكذا يكون المسلم ازاء شعائر الاسلام موصولا بها دائما يرتكز حاضره على ماضيه ويبنى مستقبله على أصول راسخة من ماضيه وحاضره فتتصل حلقات الزمان مترابطة يقوى بعضها بعضا فتدفع عجلة الحياة فى صورة متناسقة ومترابطة يعلو فيها البناء : لبنة الحاضر فوق لبنة الماضى ، ولبنة المستقبل فوقهما فلا تنفصم عرى الحياة ، ولا تنقض حلقاتها ، وبين الحلقة والحلقة عيد يجدد الذكريات .

على ان مما ينبغى أن يكون موضع تذكر واعتبار هنا أمران :

اولا : ان الاسلام يرتبط بالحياة — دقيقها وجليلها — ارتباطا يجعل شعائره وعباداته — ليل الانسان ونهاره — تدريبا للنفس البشرية فى عمارتها للأرض بمختلف الأعمال على السنين الذى تؤدى به هذه الشعائر من الالتزام والصحة ، وما سقناه من أمثلة للصوم والزكاة والحج يلزم أن يكون نموذجا ومنهجا وتطبيقا لبقية الأعمال الدنيوية من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها .

ثانيا : ان دوافع المراجعة للعمل — لاستشعار الرضا والفرح بما تم منه سليما وصحيحا — ولتصحيح النقص الذى يكون قد طرأ عليه واخذ النفس بعلاج اخطائه بلون من الحزم يتم ذلك كله هنا ذاتيا وبدون تدخل مباشر لأية سلطة على نفس المسلم الا سلطة الايمان ومراقبة الله تعالى أولا . فيتم قضاء ما فاته ، وأداء ما لزمه من كفارات .

وهذا الأسلوب فى اداء العمل على تلك الصورة تتوفر لنا به أمور :

منها : تربية حاسة النقد الذاتى فى الفرد فيراجع عمله بنفسه حتى ولو كان ذلك فى يوم عيده فيعرف وجه الصواب ، ووجه الخطأ فيما يأتى وفيما يدع ، وتتوازن مشاعره فى عمله فيكون صالح العمل دافعا للمزيد ، ويكون ناقصة منبها ومعلما لمعاودته على وجه سليم .

ومنها : احترام العمل لذاته . ووجوب أدائه صحيحا، وتصحيح خطئه . ومن هنا كان لزوم القضاء ولزوم الكفارة مهما تقادم العهد بالعمل الناقص اذ يظل معلقا فى عنق عامله حتى يقيم عوجه وفى ذلك تربية على احترام الحقوق وأدائها على وجهها ولذاتها .

ومنها : ارتباط معنى العيد بقيم يعتمد عليها العمل فى وجوه أدائه ووجوه السلوك والأخلاق التى يؤدى بها فيكون للعيد بذلك معنى بناء وهادف لا معنى لاهيا أو غافلا .

ومنها : أن يتضمن كل عيد اضافة جديدة بالنسبة للمسلم اذ تتمكن من نفسه معانى الاخلاص والاتقان وتجنب الأخطاء ما أمكن ومحاسبة النفس أولا بأول ، كما يتضمن اضافة جديدة بالنسبة للعمل ذاته بالالتزام بأدائه على وجهه المطلوب وفى صورته المتكاملة فينمو وتنمو به الحياة .

ومن هنا كان معنى العيد فى نظر الاسلام ايجابيا للعامل والعمل فى اضافة لبنات فى صرح النضج الانسانى والحضارى وإخصاب المجتمع بانتاج متكامل ونام فى سبيل مستقبل أفضل ترعاه عين الله وتباركه .

والله ولى التوفيق ..

صدفة

أم قصد وتدبير

للأستاذ :
عزت محمد ابراهيم

العلم اليوم هو شغل الناس الشاغل فى باب العقيدة والإيمان ، فقد حسب ضعاف الناس نفسا وأهونهم إيمانا أن فيه فصل الخطاب لما كان يدور فى أنفسهم من انكار فارتاحوا لما ظنوا أو ظنوا انهم قد ارتاحوا . « **وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون** » .

وهناك فريق آخر من أصحاب العلم والتجربة ، ومن ذوى الفكر الثاقب الذين لا يحسبون من عامة الناس وأوشابهم فهما وذكاء ومقدرة ، وهم مع ذلك سواء فى الانكار وسوء الظن بالدين ، لأنهم كابروا واستكبروا ، وأقاموا من العلم معبودا لهم ، يقيمون له الطقوس والمراسيم ، ويقدمون له الذبائح والقرابين ، فأضلوا أنفسهم قبل أن يضلوا غيرهم من الناس .

من هؤلاء العالم الانجليزى «جوليان هكسلى » صاحب كتاب « الانسان يقوم وحده » المترجم الى العربية بعنوان : « الانسان الحديث » .

و « هكسلى » عريق فى الانكار وراثة ودما يجرى فى عروقه ، فجده « توماس هكسلى » هو صاحب « دارون » ومؤازره فى نظرية النشوء والتطور ، فالمسألة عنده مسألة انتصار للعلم المتوارث أو الانكار المتوارث ، وهى عنده أقرب الى اللجاجة والعناد ، والمكابرة والمحافظة على الإرث القديم بكل ما عرف عن الانجليز من محافظة على قديمهم .

وليس « هكسلى » بالمثل القليل النادر فى هذا المجال بين مفكرى الانجليز فقد سبقه « جون ستيوارت ملى » الى مثل هذا الانكار مقتفيا أثر أبيه الذى أنكر المعتقدات الدينية فى أخريات حياته ومات على إنكاره .

وقد رد على « هكسلى » كثيرون منهم « كريس موريسون » رئيس المجمع العلمى الامريكى وقد ضمن رده كتابه « الانسان لا يقوم وحده » وقد ترجم الى العربية بعنوان « العلم يدعو الى الإيمان » .

ويسوق « موريسون » فى كتابه ــ الآنف الذكر ــ أكثر من دليل ينفى الصدفة فى الخلق ، ويعدها من عبث التفكير الذى لا يجمل بالعلماء الدارسين لأنه لا يصح أن يصدر عن ابسط العقول تفكيرا وأقلها مقدرة على البحث والاستنتاج ، فان الشمس لها درجة حرارة معينة ، ولها بعد معين عن الكرة الأرضية ، فلم كانت على هذه الدرجة من الحرارة دون غيرها ؟ ولم كانت على هذا البعد من الأرض ولم تكن أقرب منها أو أبعد ؟

وتكون الإجابة أنه لو زادت درجة الحرارة بمعدل خمسين درجة فى سنة واحدة ، فان كل ما على الارض من نبات يفنى ، وكل إنسان يموت احتراقا أو تجمدا .

وللقشرة الارضية سمك معين ، فلم كانت قشرتها على هذا النحو ولم تكن على نحو غيره ؟

وتكون الإجابة أن لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هى عليه ببضعة أقدام لامتص « ثانى أكسيد الكربون » غاز « الأكسجين » وما أمكن وجود النبات الذى عليه تتوقف دورة الحياة .

ويسألون سؤالا ويجيبون الجواب الذى يؤكد حقيقة خالدة لخالق عظيم، خلق كل شىء بقدر ، وقدّر لكل كوكب فى هذا الكون مكانه الصحيح الذى تتحقق به الحياة ، ويكون به الوجود . **« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »** .

إن الخالق العظيم الذى خلق هذا الكون ودبره ، هو الذى خلق الانسان من سلالة من طين ، ثم جعله فى قرار مكين ، لأن الذى خلق هذه العين البشرية بما فيها من شبكة تتلقى الصور والمرئيات ، لا بد أن يكون هو ذاته الذى خلق الشمس وأذن لها أن تبعث بأشعتها الى الأرض لتكمل دور شبكة العين فتتحقق لها الرؤية ، وإلا كان خلقها بغير فائدة ترجى منها ، إذا كان الأمر أمر صدفة عمياء لا أمر قصد وتدبير .

«لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » .

وما استطاع العلم بكل فتوحاته وغزواته أن يأتى بحقيقة تخالف هذا الإيمان بغير أن يعرض لها العقل فيكشف زيفها ، أو يعرض لها العلم نفسه فيقر باستحالتها .

وما من ادعاء علمى فى باب الجحود والانكار قد حظى بموافقة شاملة من أصحاب العلم جميعا .

ويتحدث « موريسون » عن أصل الحياة حديث العالم الذى يزن كل كلمة بميزان المنطق الدقيق ، ولا يخرج من حديثه بغير حقيقة واضحة جلية هى أن هذا التدبير المحكم لا يمكن أن يكون وليد صدفة ، ولا يمكن أن يكون من عمل المادة الصماء الجامدة التى لا تعى ولا تعقل .

« إن مئات الآلاف من الخلايا تبدو كأنها مدفوعة لأن تفعل الشىء الصواب فى الوقت الصواب ، وفى المكان الصواب ، والحق أنها طائعة، والحياة تدفع الى الامام ، بانية ، وخالقة ما هو جديد وما هو أفضل بنشاط لا يفتر ولا يقاس بما فى الأشياء الجامدة ، فهل هذا ناتج عن إدراك ؟ أم عن غريزة ؟ أم أنه مجرد حدوث فحسب ؟ ويمكنك أن تجيب على ذلك بنفسك » .

أجل ، يمكنك أن تجيب على ذلك بنفسك ، ولا حاجة بك الى دليل يرشدك غير دليل العقل الصحيح ، والمنطق السليم البرىء من الغرض ، المنزه عن الهوى .

ومن تمام العلم بالله والإيمان به ، النظر فى مخلوقاته ، وتأمل ما تأتى وما تدع ، وما جعلها الله عليه من إحكام وتدبير ، والتأمل فيها بعد ذلك

هو إقرار من الإنسان بعجزه وضعفه حيال أصغر مخلوقاته وأكبرها على السواء ، فان العلم الذى جر بعض الناس الى إنكار الخالق ليقف عاجزا مكتوف اليدين ، لا يقدر على تعليل أبسط الأمور فى معجزات الخلق والتكوين .

والإنسان اليوم فى أوج مجده العلمى ينظر الى عنكبوت الماء فيأخذه العجب ، ويقف حائرا وهو يرى أنثاه تصنع لنفسها بيتا من النسيج تثبته تحت الماء ، ثم تأتى بفقاعات الهواء تطلقها اسفله حتى ينتفخ البيت البالونى فتلد فيه صغارها فى أمان من هبوب الرياح .

وعجب الإنسان من عنكبوت الماء لا يقل عن عجبه من ثعابين الماء التى تهاجر من البرك والأنهار لتضع بيضها فى الاعماق السحيقة من المياه ثم تموت فيها ، وتخرج صغارها من هذه المياه لا تعرف غيرها ، ثم لا يعلم غير الله السر الذى يدفعها الى أن تعود الى حيث نزحت أمهاتها من مهاجرها الأولى .

وفى ولاية « نيو انجلند » فى أمريكا تخرج ملايين الجراد من شقوقها تحت الأرض فى سنتها السابعة عشرة فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو فهل اجتماع كل هذه الملايين فى هذا اليوم المحدد من هذا الشهر هو من قبيل الصدفة ؟ أم هو النظام الدقيق المحكم الذى يدفع الى التأمل وامعان النظر فى دقته وإحكامه .

لا مكان للصدفة فى ذلك لأن الصدفة تكون فى حالة أو حالتين ، ولا تكون فى جميع الحالات ، فتهاجر كل ثعابين الماء الى مكان معين فى وقت معين لتضع بيضها ، ثم يخرج منها صغارها فتعود الى موطن أمهاتها الذى هاجرت منه ، وتخرج هذه الملايين من الجراد فى يوم واحد بعد زمن واحد من بقائها تحت الأرض .

ان القول بدور الصدفة فى هذا الأمر ، لانه نظام ، ولان النظام والصدفة نقيضان لا يجتمعان .

وفى شؤون حياتنا العابرة ما ينفى عمل الصدفة فى أبسط الاشياء ، فقد يتقابل اثنان فى شارع ما فى ساعة ما من النهار ، فيقال انها صدفة ، فاذا تكررت المقابلة مرة وأخرى وثالثة انتفى عمل الصدفة وأصبح من المحتم البحث عن علة أخرى تخالفها .

ولو أن الصدفة هى التى تحكم عالمنا الذى نعيش فيه ــ اذا صح للصدفة أن تحكم وتتحكم فيعيش فيه كل كائن على هواه ، وحسب طبيعته ، اذن لرأينا الحشرات تنمو فلا تقف بنموها عند حد ، ولما كان لها هذه الأنابيب التى تتنفس منها ، فتقف بها عند هذا القدر الذى نراه عليها ، فيسهل التخلص منها والقضاء عليها ، والا فأى مسحوق أو مادة كان فى استطاعتها اليوم القضاء على ذبابة فى حجم الأسد ، أو عنكبوتا فى حجم الفيل ، هذا اذا كان فى وسع الانسان أن يبقى حتى اليوم فى عالم يجمع بينه وبين مثل هذه الكائنات .

فلم تخلق إذن هذه الأنابيب عبثا ، ولم تستبدل بالرئتين صدفة ، وانما كان ذلك عن قصد واع ، وتدبير محكم ، هو عالم الحيوان كما هو فى عالم النبات ، فاذا أراد الانسان أن يغير شيئا من هذا النظام ، نال وبال فعله ، كما حدث عندما نقلت استراليا نبات الصبار اليها لتتخذ منه سياج وقاء ، وهو ليس من نباتها ، فكانت النتيجة أن امتد زحف هذا النبات حتى استولى من أرض استراليا على ما يوازى مساحة انجلترا ، فأتلف الزرع وزاحم الانسان فى أرضه ، ولم ينجه من خطر هذا الجيش الزاحف فى صمت سوى اكتشاف حشرة لا تعيش على غيره .

ولم يخلق الانسان هذه الحشرة ، ولم يصنعها علماؤه فى معاملهم ، وانما خلقها خالق نبات الصبار ، وخالق كل شيء ، وما هم فى الضعف وقلة الحيلة الا كما وصفهم عز وجل فى محكم آياته : **((وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب))** .

وقد قال أصحاب نظرية التطور بنظريتهم ، ولم يكن علم الوراثة قد اكتشف بعد سر وحدات الوراثة ((الناسلات)) ، صاحبة الاثر البعيد فى تكوين المخلوقات حتى ليكون من أثرها تشابه لون أجنحة الفراشة للون اجنحة ابويها فى دقة متناهية ((فحين تطير الفراشة فى الهواء بكل الوانها الباهرة نرى بالميكروسكوب أن أجنحتها مغطاة بقشرة تشبه الريش ، وأن كل بقعة حمراء أو سمراء أو خضراء أو صفراء ، هى فى مثل المكان الذى كانت فيه على الفراشة الأصلية ، وترقيطها يشبه ترقيط ابويها من كل الوجوه الى حد ميكروسكوبى تقريبا)) . وهو دليل جديد يقنع أصحاب النظر المادى والتجربة الملموسة بأن الكائنات لا تكون من ارتقاء وتطور ، وإنما تكون فى هذا السر المودع فى ناسلاتها فيشكلها على شاكلة أسلافها على تتابع الازمان والاحقاب .

وما زال الدليل يأتى تلو الدليل على بطلان القول بأية وسيلة للخلق تتنافى مع وسيلة خلق الانسان فى احسن تقويم .

وهى ليست ادلة تأتى من المناهضين والمنكرين للتطور والتطوريين فحسب ، بل هى أدلة تأتى منهم انفسهم بعد أن رجعوا الى جادة الصواب ، فأنكروا ما كانوا بالامس به يتشدقون .

وليس ذلك من قبيل القاء الكلام على من قبيل الكلام الذى تؤيده الشواهد وتسوق اليه الحجج والبراهين .

وليس أرجح فى ذلك ولا أدل فى بابه من داروين نفسه صاحب نظرية التطور الذىقال فى كتابه ((حياة ورسائل)) ما نصه :

((إن ثمة مصدرا آخر للاعتقاد فى وجود الله ، يرتبط بالعقل ، وله فى نظرى أهمية أكبر بكثيرمن المصادر المتعلقة بالمشاعر والاحاسيس . وهذا المصدر يأتى من الصعوبة البالغة ــ أو بالأحرى استحالة تخيل هذا الكون الفسيح الرائع الذى يشمل الانسان بقدرته على النظر الى الماضى البعيد والى المستقبل البعيد ايضا ــ على أنه ظهر نتيجة للمصادفة وحين افكر بهذه الطريقة أشعر بأنه لا بد لى من البحث عن علة أولى لها عقل بصير ، وهذا يعطينى الحق فى ان أوصف بأننى مؤمن بالله .))

ولقد تقدم العلم اليوم ما شاء الله له أن يتقدم ، ويستطيع الجراح أن يساعد على التئام الجروح ليس إلا وليس فى وسعه ان يجعل خلايا الجسم تنمو لكى تنشىء ذراعا فقدت ، أو رجلا بترت ، ولكن الله عز وجل وضع هذا السر فى أضعف مخلوقاته : مثلا وعبرة للناس فان دودة صغيرة هى «دورة الطعم» تقطع راسها فتبادر على الفور الى صنع رأس بدلا منه .

ولا نقول اليوم ما قيل بالأمس ، اللهم إيمانا كإيمان العجائز ، بل نقول: اللهم إيمانا على هدى وبصيرة ، وعلى علم وتدبر ، فان العلم يهدى للرشد ، ولا يدفع الى الزيغ الا من كان فى قلبه مرض وقد كان العلم فى بدء طريقه حين بهرت كشوفاته واحدا من العلماء فقال : أعطنى ماء ومواد كيماوية ووقتا كافيا أخلق انسانا .

ولا يقول اليوم مثل هذا القول انسان به مسكة من عقل . وذاك لان قليلا

فكرة الواجب في الأخلاق

للاستاذ : سعيد زايد

(الواجب) هو ما على الانسان أن يفعله نحو الناس ونحو نفسه ، وهو بذلك يخالف (الحق) فهذا الأخير هو ما للانسان عند الناس وعند غيره . ويختلف (الواجب) فى ميدان الأخلاق عنه فى ميدان القانون ، فهو من وجهة النظر الأخلاقية يرجع الى احساس الشخص واحترامه للرأى العام ، ولكنه من وجهة النظر القانونية يرجع الى خوف الشخص من العقاب ، فهو بهذا يتضمن شيئا ماديا خارجيا مثل السجن ..

ويبغى (الواجب) الخير الحقيقى للانسان ، وهو دافع أخلاقى ينظر الى الفعل الاخلاقى كغاية بعيدة كل البعد عن المنفعة والشهوات والأغراض ، ويمكن اعتباره نوعا من الأمر أو النهى للوقوف الى جانب الخير والابتعاد عن الشر دون اى ضغط خارجى . فالانسان حر فى قبول الفعل الأخلاقى بمحض اختياره لأنه يملك السيادة النفسية ، ولذلك كانت أوامر العقل بالفعل أو بالامتناع أحكاما لذاتها لا تبغى الأمور الخارجية والخوف من العقاب ، وانما التخلق للواجب فى ذاته .

(فالواجب) مطلق لا يحسب للأغراض أى حساب ، والتخلق — فى مجاله — لا يرتكز على هواجس النفس ، وانما على العقل والارادة . وبذلك يصبح عاما ، كما يقول العلامة كانط : « تخلق بحيث يكون تخلقك واحدا لكل الناس » فهناك شروط ثلاثة لفعل الواجب : أولها أن يؤدى من غير نفع شخصى ، وثانيها أن يفترض فاعله التضحية حين الأداء ، وثالثها أن يتضمن الفعل نوعا من الزهد فى الجزاء والسمو الى عالم المثل .

ويمكن القول بأن المدرسة الاجتماعية الفرنسية قد انتهت فى ابحاثها ، الى ما انتهى اليه العلامة كانط وان اتبعت طريقا آخر مخالفا لما سار هو عليه . فهناك تمييز — نجده عند دوركهيم — بين نوعين من الافعال : أفعال تتضمن عقابا ،

كالاسراف فى تعاطى شىء ما واخرى عقابها خارج عن الفعل ذاته . فالأساس الأول للتفسير الاخلاقى عند دوركهيم هو المجتمع ذاته ، فالعرف والتقليد والعادات لها أصول ولها منطق معين ولها أحكامها الواجبة التى تقع على كل خارج عنها . و (الروح الكلية) عند المدرسة الاجتماعية الفرنسية تفرض علينا ضغطا ونوعا معينا من السلوك من يخرج عليه يعد مارقا فى نظر المجتمع . والواجب الاجتماعى يبلغ من السمو مبلغ الواجب النفسى ، لأن الأول يراعى المجتمع ، والثانى يراعي الانسانية من وجهة النظر العامة .

وتنقسم الواجبات حسبما يتراءى للمفكرين ، وحسب الأساس الذى تبنى عليه هذه التقاسيم . فالتقسيم يقوم تارة على تمييز لطبقات المجتمع مثل :

١ ــ واجبات أصحاب الجاه والسلطان .

٢ ــ واجبات الملاك والراسماليين .

٣ ــ واجبات الطبقة الوسطى .

٤ ــ واجبات الطبقة الفقيرة .

وهناك تقسيم آخر يوجد عادة فى كتب الاخلاق ، هو :

١ ــ واجبات خاصة للفرد نحو عقله وجسمه .

٢ ــ واجبات خاصة بالعائلة من والدين واخوة وزوجة وأبناء . . الخ .

٣ ــ واجبات اجتماعية ومحورها فكرة العدل .

٤ ــ واجبات سياسية مثل الانتخاب .

٥ ــ واجبات اقتصادية ، مثل الادخار والمساهمة فى بناء الحياة الاقتصادية للأمة .

٦ ــ واجبات دينية ، كواجب الشخص نحو ربه .

٧ ــ واجبات انسانية ، كواجب الفرد نحو الانسانية ، وما يتضمنه من عطف نحو افرادها .

وهناك تقسيم ثالث يقوم اساسا على الطبيعة الانسانية ، وعلى اعتبار الانسان حيوانا عاقلا وكائنا مفكرا يمكنه ادراك الحقيقة ناصعة واضحة ، وهو :

١ ــ واجبات عامة دائمة لا تتأثر بتغير الزمان والمكان لأنها تشتق من طبيعة الانسان كمخلوق له عقل يميز به الغث من السمين ، مثل : (لا تسرق) (لا تكذب) (اخلص للوطن) و « احترم أقرباءك ومعلميك وكل من هو أكبر منك سنا » وهكذا .. فهذه أوامر ترسم لنا واجبات ضرورية حيويةلبقاء الفرد والمجتمع .

٢ ــ واجبات فرعية وان كانت لا تقل فى عموميتها ودوامها عن الاولى ، أطلق عليها بعض العلماء الحقائق الاخلاقية ، كالاحسان الى الغير والعدل بين الناس .

هذا ملخص للفكرة العامة عن الواجب فى ميدان الاخلاق والتقسيمات التى تناولته من وجهة نظر المدارس الفلسفية المختلفة ، ولا بأس من أن نعرض هنا ــ اتماما للفائدة ــ نظرية قال بها العلامة (جيو) والآراء التى قيلت فى الرد عليها .

قال العلامة سبنسر : « ان الحياة نوع من الامتلاء ، تتطور نحو التعدد ونحو أشكال جديدة من المخلوقات المتباينة ، والعالم يسير دائما الى الأمام وفقا لهذا التطور » والظاهر ان العلامة جيو قد حذا حذو سبنسر فى ميدان الأخلاق . فالأخلاق عنده ما هي الا مظهر الحياة ، ومن طبيعة الحياة ــ كما نعرف جميعا ــ الاتساع والتشعب ، فالحضارة والتمدين والروح الاجتماعية تدعو الى التوسع فى الاتصالات وتبادل المعاملة بين الناس . فاذا نظرنا الى الناحية الاقتصادية مثلا ، نجد المنتجين والمستهلكين وما يؤدى ذلك من

تشابك المصالح وتبادل المنافع ، وذلك لا يتم الا باجتماع الناس أو التفاهم بينهم . واذا انتقلنا الى الناحية الانسانية نجد حاجة الفرد الى التناسل ومجهوده فى تربية أولاده ليصبحوا مواطنين صالحين . وغير ذلك من مظاهر الترابط بين الناس الذى يبنى على العنصر الشعورى للفرد من مشاركة فى الافراح ومواساة فى الاتراح . وما دام هذان العنصران لا يتنازعان لأنهما مظهران متوازيان ضروريان للحياة العادية ، فان الأخلاق تصبح مظهرا من مظاهر الحياة وليس من الضرورى وجود (واجب) يضغط على الانسان للتخلق فهو شكلى فى الغالب سواء عند القدماء أو عند المحدثين ..

هذا الانكار للعلامة (جيو) (للواجب) جعله يستعيض عنه بدوافع متعددة تدعونا الى التخلق هى :

١ — الاحساس بالقدرة الداخلية وأهمية الشخصية .

٢ — هناك آراء تدعونا الى التخلق وهى آراء نؤمن بها شخصيا .

٣ — الاندماج الاجتماعى واصطباغ المسرات والآلام بلون اجتماعى .

٤ — حب المخاطرة فى المعاملات .

٥ — محبة المثل الأعلى الذى يعد نوعا من المخاطرة الاخلاقية .

هذا تلخيص لرأى العلامة (جيو) وهو رأى خطير فى رفع الشعور بالواجب وعدم احترام آراء اخلاقية معينة ، يخشى منه أن يؤدى الى الفوضى الاخلاقية . فان تجاهل قانون أخلاقى معين ، أو مبدأ أخلاقى خاص والنظر الى الفرد كمجرد كائن يعيش فى مجتمع ويخضع لأشياء مرسومة ان صح أن يكون فى عالم الحيوان ، فانه لا يصح فى عالم الانسان .

ففكرة الواجب ضرورية فى عالم الأخلاق .

٢ — المثل الأعلى والواقع

نستطيع أن نقول أن كل مذهب فى علم الأخلاق الفلسفى هو مذهب مثالى عملى ، اذ يفرض أننا نضع نصب أعيننا غايات ينبغى أن توجد ، فهو يفرض نوعا من الشعور القوى يقترن به تصور ما ينزع اليه ، اذ أن الواقع لا يرضى حاجات النفس ، والا فما كنا فى حاجة الى مثل أعلى ولا اخلاق فلسفية على الاطلاق .

ومع ذلك نستطيع القول أيضا أن كل مثل أعلى تستخدمه الأخلاق لا ينبغى أن يكون فوق الواقع فحسب ، ولكن ينبغى أيضا أن يكون بينه وبين الواقع صلات تسمح بأن يقتربا من بعضهما ، فمن الوجهة الشخصية يجب أن يكون فى الامكان قبول المثل الأعلى ، ومن الوجهة الموضوعية يجب أيضا أن يكون فى الامكان تعقبه فى عالم التجربة والاعتقاد بأن أشخاص الانسان الذين يجب عليهم أن يريدوا وأن يفعلوا هم أشخاص حقيقيون فى الواقع ، والعالم الذى هو مسرح لارادتهم وأفعالهم هو عالم حقيقى ، وأن كل ما تستلزمه الأخلاق ينبغى أن يكون ممكنا من وجهات النظر الطبيعية والنفسيةوالتاريخية .

ولا ينبغى القول بأن المثل الاعلى يناقض قوانين العالم الواقعى ، فالذى يرفض مذهبا فلسفيا فى الأخلاق لأنه يقول بمثل أعلى فان رفضه هذا يتضمن أن المثل الأعلى عديم الصلة بالواقع ، وهو فى الوقت ذاته يسير على مثل عليا يصنعها لنفسه . فالواقع أن أى انسان لا يستطيع أن يتبرأ من كل مثل أعلى ، وانما الخلاف هو حول أى المثل العليا ينبغى أن يتخذها لنفسه .

والعلم النظرى مثالى دائما فهو يعتمد على مبادىء ومصادر بسيطة

ولا تطابق التجربة أبدا ، والفكر الانشائى المعقول لا يحصل الا لأننا ننظر فى عامل جزئى فى الموضوع ثم نستخرج منه كل النتائج ، فالهندسة مثلا تنظر الى الأشياء من حيث تميزها عن بعضها فحسب ثم تستنبط قوانين عامة دون اعتبار لسائر صفات الأشياء ، فهى بهذا المنهج تنشىء حيزا مثاليا ، وكذلك علم الأخلاق باعتماده على علم النفس والتاريخ ينشىء ضميرا مثاليا ، فضمير الانسان يتألف من عوامل مختلفة أو متقابلة أحيانا ، فالمحاكاة والعرف المتواتر والأنانية والطمع وحساب رأى الآخرين وخوف العقاب والتقوى ومحبة الناس والتدين والشعور الاجتماعى ، كل هذه وغيرها تضطرب فى الضمير العادى . فالضمير ليس شعورا بسيطا كما يحسب أحيانا ، فالتعاليم المختلفة فى الأخلاق ليس مجال تنازعها التاريخ والنوع الانسانى فحسب ، بل انها تتنازع أيضا داخل ضمير الانسان ، فالمصالح المختلفة والغايات تتنازع فيما بينها لتقرير أيها ينتهى بالفصل فى التقدير الذى يقدر به كل انسان أفعاله أو أفعال غيره من الناس .

والمحاولات التى تبذل فى سبيل بسط علم أخلاقى معقول يجب أن يكون أساسها قائما على محرك جزئى للتقدير ، وهى بذلك انما تسلك مسلك المثل الأعلى .

وتاريخ الأخلاق الفلسفية خير شاهد على محاولة المفكرين شرح هذه المحركات وبسطها للأنام . فهذا (هوبز) و (بنتام) يستندان على عامل الأنانية أو المصلحة الشخصية، وهذا (هتشسون) و (هيوم) و (آدم سميث) يستندون على الشركة الانفعالية بين الناس أى التى تقوم على الاشتراك فى المصالح ، وهذا (هيجل) يستند على

الدول والاجتماع الحضارى .

وأهمية الأخلاق الفلسفية هنا هى دفع الغايات المختلفة التى قد يقصدها الناس وما يصدر عنها من نتائج الى درجة الضمير الكامل ، وهذا ما يوضح مختلف المثل العليا وما بينها من نزاع هو من أكبر الفوائد التى يعطيها علم الأخلاق النظرى الى الاجتهاد الخلقى العملى . وقيمة الفائدة تتوقف على محرك التقدير المختار للدرس لأنه بناء عليه تقدر كل المحركات وكل الميول بواسطة الأساس المختار حسب الوصول بها مباشرة أو بالواسطة الى اتجاه المثل الأعلى الذى يهدى اليه الأساس .

والفرق هنا بين العلم النظرى والعلم العملى هو أن كل المثل العليا عبارة عن مقربات نحو الحقيقة التى هى الغرض الذى يحاول الفكر أن يبلغه ، ومن الوجهة العملية تكون الحقيقة هى التى ينبغى أن تعدل وتقرب من المثل العليا .

ولكن القول أن المثل العليا تبتعد عن الواقع من جهات ثلاث هى :

١ — أن الارادة والفعل الحقيقيين يشتملان على عناصر مضادة مباشرة لما تقتضيه الأخلاق ، وهذه العناصر تكبح الأخلاق جماحها وتحاول ابعادها عن العالم الخلقى .

٢ — أن الارادة والفعل الحقيقيين لا تعطيان فى أغلب الأحيان الا جزءا ضعيفا ناقصا مما تتطلبه الأخلاق .

٣ — ربما احتاجت الارادة والفعل الحقيقيان الى مطابقة العقل والوحدة والانسجام ، فيشعر الانسان باندفاعات مختلفة ونزعات متضادة .

وهنا لا بد من تأليف وتركيز وجمع وتوفيق بين العناصر المتفرقة المتنافرة، ويحاذى كل هذا فى الحياة الارادية العملية تنفيذ جملة من الحركات والتصورات المركبة ، والقدرة على انجاز التفكير وتغليب الآراء وذلك بيله العزم والتقرير .

مفهوم الزهادة في الإسلام

للشيخ ابو الوفا مصطفى المراغى

الزهد أو الزهادة .. فكرة اخلاقية قديمة ، عرفتها كثير من الأمم قديما وربما تكون قد عرفتها قبل أن تعرف الأديان .. وحين جاءت الأديان استغلت من نصوصها ما يلائم موضوعها ، وفى الأديان سماوية كانت أم أرضية دلائل توائم هذه الفكرة وتساندها سواء بالنصوص أو الاشارات والمفاهيم .. وقد امتازت تلك الفكرة بانتسابات مختلفة فهناك زهادات بوذية وزرادشتية وموسوية وعيسوية ومحمدية ، كما امتازت كل جماعة من أشياعها بأفكار وشعارات وأزياء مختلفة وقد أخذ الزمن يحور ويطور فى تلك الفكرة بالاضافة والتأويل والحذف والتغيير، وبعد أن كانت فكرة بسيطة أخذت تنمو وتكبر وتتشعب وتتفرع حتى غدت فنا كبيرا ألفت فيه الفصول والأبواب والكتب .

وقد يكون مبعث فكرة الزهد أو التصوف وأصل نشأتها أن جماعة من أرباب النفوس الصافية والقلوب المستنيرة ، فكروا فى الدنيا وما فيها

من لذائذ ومباهج وما تحـــويه من زروع وثمار وجنات وأنهار وفضـــة وذهب .. وجاه وحسب فوجدوا أن أمد ذلك قليل وعمره قصير لا يستحق أن يحفلوا به ويقفوا حياتهم عليه ، ويعنوا أنفســـهم بالســـعى اليه ، فانصرفوا عنها مكتفين بما حصل من قوت وما تيسر من لباس ومنهم من وقف عند تلك الغاية ، ومنهم من طمح مع ذلك الى غاية أخرى أجل واسمى .. تلك الغـــاية هى معرفة الله ومعرفة سر الوجود .. ؟ والانتهال من نبع الحقائق الالهية والاستمتاع بلذة القرب ونعيم الوصـــول فكانت زهادتهم للأمرين معا .. ومهمـــا كانت بواعث الزهادة .. فهى فى مفهومها العام عند جمهرة الناس .. الانصراف عن لذائذ الدنيا من طعـــام وشراب وزينة ولباس .. والقناعة من ذلك بما يقيم الأود ويستبقى الحياة ورصد الطاقة الانسانية لعبادة الله والتزلف اليه رجاء مثوبته ورضوانه .

وقد اقترن الزهد فى اذهان الناس بالتصوف وامتزجا ببعضـــهما حتى غدوا شـــيئا واحدا وصار عنوان أحدهما يعنى ما يعنيه عنوان الآخر فالزاهد متصوف والمتصـــوف زاهد واختلف المتكلمون فى التصوف قديما وحديثا فى تعريف الزهادة أو الزهد اختلافا كبيرا حسبما تصور كل منهم من حقيقته وحسب اختـــلاف احوالهم ومقاماتهم .. وأمر التصـــوف أقرب الى الوجدان منه الى الحس والعقل، وبالغ بعضـــهم فى تعريفه حتى كاد يخرجه من نطـــاق العقل والى حد يجعل من المتعذر تحقق صورته فى واقع الحياة حيث جعل من الزهد الا تشرب ماء باردا والا تصرف فكرك فى غير الله تعالى والا تسعى فى طلب قوتك ومعاشك واقتصد بعضهم فى ذلك فجعله قريبا من طبائع البشر ومن الطاقة الانســـانية والى روح الشرع ومقاصده، فقال بعض القدامى منهم .. رأس الزهد وأصـــله فى القـــلوب هو احتقـــار الدنيا واستصغارها والنظر اليها بعين القلة هو الأصل الذى يكون منه حقيقـــة الزهد ..

وقال العلامة الغزالى :

« الزهد أن تترك الدنيـــا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى الآخرة » .

وبما قاله أبو العتاهية فى معرض الحديث عن الزهد :

اذا كان القليل يســـد فقرى
ولم أجد الـــكثير فلا أبالى

وقال بعض المحـــدثين فى تعريف الزهد :

« هو أن تطيب نفســـك عن مال تعمر به خزائنك ثم تجود به طائعا للفقراء والمعوزين » ..

والذى يتتبع تعريفات الزهد قديما وحديثا يلاحظ أن هنـــاك عنصرين اســـاسيين لا بد منهما فى تحقق مفهومه أيا كان تصور النـــاس له أحدهمـــا الحرمان ، أعنى حرمان النفس من شيء من لذائذ الحيـــاة اختيارا والتضحية مما تقدر عليه .. والثـــانى أن يكون ذلك الحرمان مما تملك ومما أنت قادر عليه فاذا كان ذلك الحرمان من شيء لا تقدر عليه ولم يقع تحت يدك فليس ذلك زهدا وانما هو عجز لا اختيار لك فيه ولا يدخل فى باب من أبواب الفضائل ، وذلك هو ما عبر عنه أحد قدامى المتصوفين حين قال :

« اذا حدثتك نفسك بترك الدنيـــا عند ادبارها فهو خدعة واذا حدثتك بتركها عند اقبالها فذاك » .

ومما قاله أحد المحدثين فى ذلك — ولكن فى انفعال وحدة :

« ان من الاجرام فى الحياة العقلية والوجدانيـــة أن نصف المفلســـين والعجـــزة بالزهد إن الزهد ان تترك بعض ما تملك ، والعفاف أن تـــكون

عند القدرة مسيطرا على هواك ، إن الزهد لا يدل على ثورة النفس الا حين يتضمن معنى الحرمان ، والحرمان مما تملك أقسى وأصعب من الحرمان مما تؤمل لأن الملك يغريك بالحرص ويطمعك فى المزيد ، أما المأمول فهو سراب ، والخفة اليه لا تضمن فى جميع الاحوال ، فالزهد فيه فضيلة الفارغين » .

ونحن إذا استبعدنا التعريفات المختلفة التى وضعها المتصوفة للزهد قديما وحديثا وصرفنا النظر عن بعد بعضهما عن الشرع والطبع واستعرضنا الدستور الذى وضعه الاسلام لحياة الانسان الشخصية فى القرآن والسنة ، واستعرضنا ما ورد من الآيات والأحاديث مما يتصل بموضوع الزهد فقد نستطيع أن نصل الى تصوير تقريبى للزهد ، فمن الآيات التى وردت فى قواعد دستور الحياة الشخصية للانسان قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله »

وقوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

وقوله جل شأنه :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ومن الأحاديث ما أخرجه مسلم عن عائشة رضى الله عنها :

« ان ناسا سألوا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن عمله فى السر أى ما كان يعمله بعيدا عن أعين أصحابه من الطاعات . . فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراشى فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكنى أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وأخرج عبد الرازق وابن جرير وغيرهم قال : أراد أناس من أصحاب رسول الله أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله فغلظ فيهم المقالة ثم قال : « إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم أولئك بقاياهم فى الديار والصوامع فاعبدوا الله ولا تشركوا به وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم بكم » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : مما رواه أحمد عن ابن عمر :

« كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا مخيلة » .

أما ما جاء من الآيات فيما يتصل بالزهد فمنها قوله تعالى :

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

وقوله تعالى :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا » .

وقوله تعالى :

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم

يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

أما ما ورد من الأحاديث فى ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد :

« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » .

وقوله فيما أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت :

« من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته ـ ما يعيش منه ـ وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » .

وقوله : « ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهد أن تكون بما فى يد الله تعالى أوثق منك بما فى يديك وأن تكون المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها ابقيت لك » .

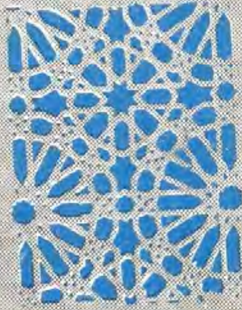
هذه جملة من الآيات والأحاديث فى دستور الحياة الشخصية والانسانية وفيما يتصل بموضوع الزهد وبالتأمل فيها يمكننا أولا أن نستبعد من تصورنا للزهد فى الاسلام فكرة الامتناع عن طيبات الحياة ومستلذاتها .. لأن المجموعة الاولى تحض على الاستمتاع بها والأخذ بنصيب منها والثانية لا تمنع منها وكل ما يمكن أن نفهمه منها أنها تدعو الى ترك الحرص على الدنيا والانهماك فى شئونها وعدم الاسراف فى مستلذاتها حتى لا تشغل عن الآخرة ولذا يرى بعض المفسرين المحدثين أن الامتناع عنها جريمة ، فيقول :

ان امتناع امرىء من الطيبات التى رزقه الله إياها مع الداعية الفطرية للاستمتاع بها إثم يجنيه على نفسه فى الدنيا ويستحق به عقاب الله فى الآخرة بزيادته فى دين الله قربات لم يأذن بها الله ، وبما يترتب على ذلك من اضاعة بعض حقوق الله وحقوق عباد الله كاضاعة حقوق امرأته أو عياله وناهيك به اذا انتصب قدوة لغيره فكان سببا لغلو بعض الناس فى الدين وتحريمهم على أنفسهم وعلى من يقتدى بهم ما أحل الله تعالى والتحريم والتحليل تشريع وهو من حقوق الربوبية فمن انتحله لنفسه كان مدعيا للربوبية أو كالمدعى لها ، ومن اتبع فى ذلك فقد اتخذ ربا غير الله . ويمكننا أيضا أن نتصور أن للزهادة فى الاسلام جانبين جانبا قلبيا هو الثقة بالله والرضا بما نصاب به فى الدنيا خيرا كان أو شرا وجانبا حسيا هو الاقتصاد فى الملذات المباحة وبعد كل ذلك يمكننا أن نرسم الزهادة بأنها :

« التخفف من الدنيا وعدم التلهف عليها والاعتدال فيما تيسر من طيباتها مع الاعتماد على الله والثقة فيما عنده والرضا بما قدره » .

وبهذا تتلاقى النصوص وتندفع عن الاسلام شبهة مجافاته لطبائع الناس وسنن الوجود .





شُوّه التاريخ فانسلخ منه الشباب

للأستاذ عبد الله سالم

عندما نبحث بجدية قضية (انســلاخ) شباب الإســلام من الإســلام ، و (انعتاق) أبناء العربية من عربيتهم ، لا بد أن نعرج ونقف طويلا مع الخطط والأساليب التى دفعت شباب المسلمين الى التملص من أهلهم وعقائدهم ، ثم الجرى وراء أعداء أهليهم وأعداء عقائدهم ، بل الالتصاق بهؤلاء الأعداء التصاقا اندماجيا ذوبانيا !..

إن هناك طرقا عدة ، وسبلا شتى : أجاد استعمالها أعداؤنا ، وهم وحدهم المستفيدون من عملية الانسلاخ فآتت أكلها كما نرى .

من تلك السبل : التشويه الفكرى والتاريخى للحضارة الإسلامية :

فلقد أبرز مؤرخو الغرب ومستشرقوه حضارة الإسلام فى صورة شوهاء ، والبسوها ثوبا فصلته أيديهم ، وخاطته أقلامهم فكيف يمكن أن نتصوره ؟

إنك لتجد الكثير من الطعن والاتهام ، فى تواريخهم عن العرب والحضارة العربية ، مما يظهر كوامن الحقد والكراهية علانية .

خذ دائرة المعارف الإسلامية التى يقولون إنها من تأليف أئمة الاستشراق والفكر فى العالم ، ما هى إلا افتراءات كاذبة ، واتهامات حاقدة على الإسلام ،

ونبى الإسلام واتباع الإسلام ، إنها تصور الفكر الإسلامى من صنع محمد ، ومن خواطره ، وإيحاءاته ، وتصوراته انه بحسب وضعه كان يتلون ويتغير ، فهو فى مكة غيره فى المدينة بالنسبة لليهود .

ومن هذا القبيل وبنفس الخطة ـ خطـة التشويه والتزييف ـ ترى أكبر مؤرخيهم بروكلمان فى كتابه الشهير تاريخ الحضارة العربية يدس السـم فـى الدسم والحنظل بالعسل ، ويتعرض بالطعن والقدح لخلفاء المسلمين وحكامهم .

ومن الصنف ذاته أيضا معتمد بريطانيا فى مصر سابقا اللورد كرومر فى مذكراته ، يصور لنا العلم وكأنه اعدى الأعداء للإسلام ، والمسيحية الحاضرة وكأنها الحاضن الحقيقى للعلم ، ويصور العرب متأخرين متثاقلين لما اعتنقـوا الاسلام .. ولقد تصدى له المرحوم لطفى المنفلوطى فأفحمه بالحجة والبيان ، والقمه حجرا كافيا لإسكاته وإذلاله .

ونتيجة الجهود الحثيثة ، والخطط الدنيئة ، برز فى مجتمعاتنا مؤرخون وتنكروا لتاريخهم العريق متأثرين بالمستشرقين ومقتفين لأثرهم فاذا بهم يخرجون لنا تاريخا مليئا بالدسائس والمؤامرات ، ومحشوا بالدعارة والترف ، ومتسما بالانشقاق والتمزق ليزعموا لنا انه هو التاريخ الاسلامى !!!

والمثال الأوضح فى هذا المجال هو جرجى زيدان الذى لم يتورع قط عن كيل التهم والنقائص للإسلام وتاريخه ، وإن من لـف لـف جرجى كثير لا يدركه الحصر .

ولما كان شبابنا لا يرى فى متناول يده من تاريخ الحضارة المسلمة إلا ما خطته الأقلام الدنيئة أو المأجورة ، ولا يسمع من مصادر الثقافة العامة إلا ما يلقيه إليه تلاميذ تلك الأقلام ودارسوا تواريخها فقد انطبعت فى ذهنه الصورة المشوهة الواهية عن التاريخ الاسلامى بأكمله . فما محمد إلا رجل مفكر ، يعيش مترفا متكبرا ، تحميه السيوف ، وتحرسه الحراب ، ويحف به القوم مبجلين مكبرين ، وهو يترفع عنهم ، ويحرضهم على الغزو والنهب والسلب ، بينما ينغمس فى لذاته وشهواته ويتزوج من النساء ما يحلو له ويطيب ، وما أبو بكر وعمر وعثمان وعلى إلا أشخاص متنافسون على السلطة والخلافة ، وأما باقى الصحابة فأعراب أجلاف غلاظ القلوب والتفكير قد انتظموا فى جماعات سياسية متنازعة . ثم ما الأمويون إلا فئة تسلطت على الرقاب فأقصت الأعاجم ، واعتمدت مبدأ القومية العرقية وشددت الخنـاق على أعدائها ، وتراهم فى أوهـامهم عن العباسيين يتصورونهم ممثلين لمرحلة الأبهة والبذخ والتبذير فى تاريخنا ، فهم غارقون فى اقتناص لذائذهم سارحون وراء شهواتهم ومآربهم ، فهارون سكير عربيد يعيش بين أفخاذ النساء ، وتتلقفه أحضـان الجوارى ، وتعبث بعقله الخمـرة حتى الصباح ، وهكذا باقى تاريخنا ، إن لم يصطبغ بالمؤامرات اصطبغ بالإباحيـة ، وإلا فهو عصر انحطاط وتأخر حتى لكأن تاريخنا هو تاريخ أحط وأشأم أمم الأرض تصرفا وسلوكا وتفكيرا .

هذا رسم أولئك ، وهذا انطبع فى أذهان الشباب .

وإنى لأتساءل .. ما يطلب أعداؤنا ـ شرقيين أم غربيين ـ منا أكثر من ان يسطوا على تاريخنا فيشوهوه فنبصره أعواما سوداء قاتمة ، وأيامـا مظلمة مكفهرة ، فنقطع بالتالى صلتنا مطلقا به ، ونتجرد عنه وعن كل ما يمت إليه بصلة لنغدو أمة لا سند من التاريخ لها ، ولا أصل من الفكر يمدها ، وإنما هـى وليـدة مستولدة ، وحيدة فى العالم ، تعيش مرحلة الطفولة التى فيها طريقها الجديد .

وفى الحقيقة هكذا غدونا ــ كما أرادوا ــ متطفلين على العالم وموائده الفكرية والتاريخية بعد قطع كل حبل بيننا وبين أجدادنا وآبائنا وصانعى حضارة العالم فى يوم من الأيام وحاملى مشعل العلم والحرية للدنيا بأسرها .

وما هو أبشع من هذا كله هو الوجه الآخر للتشويه ، إذ بعد سلخ الشباب عن تاريخهم التافه بزعمهم لفتوا أنظارهم الى تاريخ الغرب ومعاركه وأيامه ، أو الى التاريخ القديم المغرق فى القدم والذى لا رابط لهم به ، ولا وجود لهم فيه ، أو لفتوا أنظارهم الى دراسة التاريخ الحديث والمعاصر للعرب وللأمة العربية بعد تفتيت الأمة الإسلامية الى أكثر من شعب ، وتقسيم أراضيها الى أكثر من وطن .

وهكذا استطاعوا أن يديروا وجه شبابنا عن تاريخه الحافل بالأمجاد والبطولات ، بعد أن رآه فى الصورة التى رسموها وأبرزوا معالمها . وحتى أصبح شبابنا يعرف عن فرنسا أو انكلترا أو أمريكا أو روسيا أو الفراعنة أو الحرب العالمية الأولى والثانية أضعاف أضعاف ما يعرفه عن القادسية واليرموك ونهاود ، ومعارك فارس والروم والهند وإسبانيا تلك التى خطتها سيوف المسلمين ، وروت أراضيها دماؤهم .

وفى مناهج المدارس التاريخية ما يغنى كل باحث عن طلب الدليل على صدق هذا القول وصحة ذلك الادعاء ، فالطالب منذ الصف الثالث يقرأ تاريخ الأقدمين وكأنه سيختص بالتاريخ ويتشربه ، ثم فى الرابع أو الخامس فقط يدرس تاريخ العرب (هكذا يسمونه) وهو فى الواقع تاريخ أبتر مقتضب ، يذكر الوقائع بلا أسبابها ولا مبرراتها الحقيقية ويتغاضى عن العامل الأساسى فيه وهو الإسلام فلا يذكر عنه إلا طرفا ، ولا يورده الا لماما ، ثم الطالب فى كل مرحلة من مراحله الدراسية الباقية تنقطع الصلة بينه وبين تاريخه الزاهر ، اللهم إلا صلة بالتاريخ الحديث للعرب الذى هو عبارة ــ كما يريده مؤرخونا المحدثون ــ عن مجموعة من الدسائس والمؤامرات ، وصورة ضخمة بارزة للخلاف المستعر أواره بين الحكام أو الأحزاب أو الأسر .

ثم يقررون للشباب تاريخ الغرب بتفاصيل دقيقة لا يعرفها أبناء أوربا أنفسهم ويذكرون له نشأة أمريكا ويعددون له رجال هذا البلد وعظماء ذاك ، ويلحقون كل درس بقراءات تاريخية من شتى الجهات والأشكال .

وماذا بعد كل ما سبق :

لو أنك على سبيل المثال سألت طالبا يحمل البكلوريا (الشهادة الثانوية) عن معركة نهاوند أو موقعة اليمامة أو فتنة القرامطة أو مذهب الأشعريين ، أو عدل العمرين ، أو معركة مؤتة وذات السلاسل وموقع بلاد السواد .

هذا عدا المناهج التاريخية فى سورية ، وديار بكر ، وربيعة ، ودومة الجندل ، أو عن مذهب الظاهريين وأعداء المسلمين ، لا نفضح جهله ، وظهرت ضحالة فكره ، وكذب دعواه العلم ولمط شفتيه والوى عنقه ، وثنى عطفه وأدار ظهره ، ثم ولى غير معقب .

وهل تستغرب منه هذا بعد أن تسلم تاريخنا أعداؤنا فطمسوا منه ما آلمهم ، وذاقوا فيه مرارة الخزى ، ورأوا خلاله عزة الإنسان المسلم ، ثم سطروا مكانه فى عقول الناشئة ما أرادوا وما حلا لهم .

وأغرب من هذا .

يلحظ المتتبع لكتب التاريخ المدرسية ، أن التاريخ وهو المادة التى يجب أن تبتعد عنه يد التغيير والتحريف قد بدأت السياسة والنزعات الحزبية تمتد إليه وتحوره وتكيفه ، فما امتدح قبل سنين هو عرضة للشتم والسب فى هذا الحين ، وما كان صورة بطولية أو مأثرة أو مفخرة غدا الآن مسخا أسود وقردا (أمرد) ومحطا للسخرية والهزء ، ثم لا ندرى — والعلم عند الله — ما يفعل به بعد حين .

لا يا شباب . .

لا . . لأن الأمر مغلوط ومقلوب . . ولا لأن التاريخ مكذوب ومتلاعب به . . ولا لأن كتبته ليسوا أهلا للثقة فيما تخط أقلامهم أو فيما تسطره صحائفهم .

وإنى لأرى من الفائدة أن أثبت بعض الأسطر للدكتور يوسف العش من مقدمة كتابه الدولة الأموية ، وأنا أرى فيه — أيضا — الرد العلمى المحض لكل افتراءات هؤلاء على التاريخ الإسلامى يقول : ص ٢ ، ٣ : (ولقد حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الفتن والحروب والمكايد والاضطرابات ، وليس هنا مجال الرد عليهم ، غير أن النظرة الصحيحة الى التاريخ من خلال عوامله العديدة ، تعطى البيان الواضح عن أن هذه الوصمات لا أصل لها صحيح ، وأن كل ما فى الأمر أن هناك تفاعلات فى المجتمع الإسلامى العربى كانت تأخذ طريقها ، ولا بد أن تأخذ طريقها فى ذلك المجتمع ، وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهى تفاعلات تحدث فى كل أمة ، بل إن الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربى ، فهذا تاريخ فرنسا وألمانيا منذ الثورة الفرنسية (فرنسا وألمانيا من أعظم الأمم التى ساهمت فى تاريخ العالم) إن تاريخهما ملىء بالحروب ، حروب الثورة الفرنسية ، حروب نابليون ، حرب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩ ، كل ذلك فى مدى لا يتجاوز قرنا ونصف القرن ، والضحايا التى وقعت فى هذه الحروب تتجاوز أضعافا مضاعفة ضحايا الحروب فى تاريخنا بأجمعه) .

وفى الختام لا بد من تعقيب :

إذا كان تشويه التاريخ مفتعلا ، فمن الذى افتعله — ولم قام به ؟

أما عن الذين شوهوا تاريخنا فانهم منا ومن غيرنا ، وهم أظهر من أن يختفوا وأكثر من أن يحصروا .

وأما لِمَ قاموا به ، فان لم نتسرع نحن بالجواب ، فان الواقع سيقدمه لنا ، قاموا به ليحولوا وجه شبابنا عن تاريخنا ، وليسودوه فى أعينهم فيتبرءوا منه فى حياتهم العملية والسلوكية .

إن تاريخ أى أمة هو ملك لها ، لأنه جزء من كيانها ووجودها ، فاذا ما اسلمته الى أعدائها سواء كانوا من أبنائها أو من أبناء أعدائها فعلى تلك الأمة العفاء .

يا شباب الإسلام : إن تاريخكم ملىء بالبطولات ، غاص بالأمجاد ، حافل بالأفذاذ ، إن سيوفكم التى فتحتم بها أذهان العالم لتقطر حكمة وعلما ، وإن جيوشكم التى حررتم بها الأرض لتجيش بالرحمة والرأفة ، وإن أبطالكم الذين حكموا الدنيا بأسرها لهم مثل الإنسانية ومنائرها .



مكتبة المجلة

اعداد :
الأستاذ عبد الستار محمد فيض

ابن تيميــــة
أمام السيف والقــلم

حين يتحدث التاريخ عن قادة وأبطال وعظماء الاســلام انما يذكرهم فى صفحاته بريشة التعظيم ويتكلم عنهم فى سطوره بكل اكبار . . ذلك لأن لهم مواقف عظيمة وأدوارا مجيدة جديرة بأن تكون مفخرة فى مجال الفخر . والكتاب الــذى نقدمه للقارىء المسلم وللمكتبة الاسلامية يحوى بين سطـــوره سيرة رجل من طراز هؤلاء القادة الذين لعبت آراؤهم دورا هاما فى حياة الشعوب رجل مصلح بار ؛ عاش فى مجتمعه برأيه وعقيدته ومبدئه هو ابن تيمية . وقد القى مؤلف الكتاب الأستاذ سعد صادق محمد الضوء على كل جوانب وحياة هذه الشخصية المصلحة بصورة تجعل القارىء يقف على شىء من حياته ونشأته ! وعصره وآرائـــه فى الدين والحياة والفقه والتفسير ، وفى الاجتماع وسياسة الحكم . كما أشار الى مكانته العلمية والى خصومه والى أنصاره والى جهاده فى سبيل الحق الذى آمن به وكافح فى سبيله ، ومات فى ساحته . .

والكتاب يشتمل على (١٤٢) صفحة أصدره المجلس الأعلى للشــــئون الاسلامية بالقاهرة ضمن سلسلة كتب اسلامية العدد ١٤٨ .

رجـــال ونساء اسلمــوا

الحديث مع الذين شرح الله صدورهم للاسلام والحديث عنهم كلام شيق مشرق لأنه نابع من القلب والوجدان لاتصاله الوثيق بالعقيدة التى هى أسمى ما فى الوجود كله .

ورجال ونساء أسلموا هذه هى الحلقة الثالثة التى أخرجها الأستاذ عرفات كامل العشى . وفى هذه الحلقة يتحدث المؤلف عن اثنى عشر دخلوا فى الاسلام من جنسيات مختلفة من الشرق والغرب وبعضهم رجال وبعضهم نساء . ولكــل قصته الطريفة وظروفه اللطيفة ولقطات من حياته السابقة عــلى الاســـلام ، والعقبات التى أعترضت الطريق الى الحق الى دين الله دين الفطرة وكيف كان توفيق الله فى اجتياز كل هذه العقبات والوصول الى شاطىء الايمان .

والكتاب يقع فى (١٣٢) صفحة ومن نشر دار القلم ــ ص ب (٢٠١٤٦) ــ الكويت .

مائدة القارئ

من يؤذن لنا .. ؟

ذهب بلال الى خليفة رسول الله يقول له :
انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أفضل عمل المؤمن الجهاد فى سبيل الله . قال له أبو بكر : فما تشاء يا بلال .. ؟ قال : أردت أن أرابط فى سبيل الله حتى أموت ، قال أبو بكر : ومن يؤذن لنا .. ؟ قال بلال وعيناه تفيضان بالدمع : انى لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ، قال أبو بكر : بل ابق وأذن لنا يا بلال . قال بلال : ان كنت أعتقتنى لأكون لك فليكن لك ما تريد وان كنت أعتقتنى لله فدعنى لله . قال أبو بكر : بل أعتقتك لله يا بلال .

وبعد ذلك رحل بلال الى الشام ، وكان آخر آذان له أيام أن زار الشام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرجاه أن يؤذن فأذن فبكى الصحابة كما لم يبكوا أبدا ، وكان عمر أشدهم بكاء .

ومات بلال بالشام مرابطا فى سبيل الله ، وتحت ثرى دمشق يثوى رفاته .

يقظة المؤمن ..

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »
أول من نطق بهذه الحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبب هذا الحديث أنه لما كانت غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها المسلمون على المشركين ــ كان بين الأسرى أبو عزة الجمحى فتقدم الى النبى واستعطفه ليطلق سراحه ، وشكا فقره وعياله فقال : لى خمس بنات ليس لهن شىء ، فتصدق بى عليهن ، وانى أعاهدك لا أقاتلك فأطلق رسول الله سراحه وعاد الى مكة ، فلما كانت غزوة أحد خرج مع قريش ليحارب المسلمين فى غزوة أحد ، ولكنه وقع فى الأسر ، فتقدم الى النبى يستعطفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمسح عارضيك بمكة وتقول سخرت بمحمد مرتين ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ولم يعف عنه .

بين يدى عمر ..

جاءه رجل يشكو عقوق ابنه ، فأحضره أبوه أمام عمر ، فأنبه عمر فقال الابن : اليس للولد حقوق على أبيه يا أمير المؤمنين .. ؟ قال : بلى ، قال : فما هى .. ؟ قال : أن ينتقى أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) .

فقال : يا أمير المؤمنين : انه لم يفعل ذلك : أما أمى فانها زنجية كانت لمجوسى ، وقد سمانى (جعلا) (جعرانا) ، ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا .

فالتفت عمر الى الرجل وقال له : أجئت الى تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت اليه قبل أن يسىء اليك .

وحدة المسلمين ..

قال المرحوم على الجارم :

تذوب حشاشات العواصم حسرة
اذا دميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح لبنان صخرة
لدك ذرا الأهرام هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهه
لسالت بوادى النيل للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة
لباتت لها أكبادنا تتقطع

سيف الله ..

بهرت عبقرية خالد بن الوليد قواد الروم ، فسأله واحد منهم : يا خالد ، اتصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لايكذب .. هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه ، فلاتسله على أحد الا هزمته .

قال خالد : لا .. قال القائد : فبم سميت سيف الله .. ؟

قال خالد : ان رسول الله دعا لى وقال : انت سيف من سيوف الله ، فهكذا سميت سيف الله .

دراسة في التراث

الرسالة
للإمام الشافعي



قرأت فى وقت واحد نسختين مختلفتى التحقيق لكتاب « الرسالة » للامام المطلبى الفقيه محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ ــ ٢٠٤ هـ) رحمه الله رحمة واسعة .

والنسختان المختلفتا التحقيق إحداها قام على تحقيقها وشرحها الأستــاذ أحمد محمد شاكر ، والثانية للأستاذ سيد كيلانى .

ومن التجنى الكبير محاولة المقارنة بين التحقيقين إذ أن النسخة الثانية منهما لا تكاد تتحقق فيها أدنى شروط التحقيق العلمى ، فضلا عن خلوها من الجهد تقريبا ، وحسبنا للاستدلال السريع على هذا أن النسخة الأولى التى حققها الأستاذ المرحوم أحمد شاكر تقع فى ستمائة وسبعين صفحة ــ فضلا عن مقدمة فى نحو مائة صفحة .. والنسخة من نفس الحجم الذى تتكون منه النسخة الثانية التى لا تتجاوز عدد صفحاتها مائتين وخمسين صفحة ، مع أن النص الأصلى واحد ، ولا توجد فى إحداهما زيادة علمية ــ عن النسخة الأخرى .

فمن الواضح أن الفرق كله فى التحقيق الذى أخلص فيه الجهد ... العلامة الشيخ شاكر ــ جزاه الله خيرا ــ .

للاستاذ : عبد الحليم عويس

أول كتاب في علم الأصول

ولكتاب الرسالة فى تاريخ العلوم الاسلامية أهمية خاصة ، إذ هو أول كتاب فى علم أصول الفقه ، بل فى علم الأصول مطلقا . ويعتبر الامام الشافعى بذلك « أول من صنف فى أصول الفقه .. صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس » « فنسبة الشافعى إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل » وكنسبة العروض إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، ونسبة الاجتماع فيما بعد إلى ابن خلدون ..

الكتاب إذن ليس كتابا عاديا فى حركة الفكر الاسلامى ، بل هو معلم تراثى واضح على الطريق ، هو جدول استطاع أن يشق له طريقا انحدر به فى مجرى تاريخ الفكر الاسلامى ، مكونا له وسائل خاصة وقضايا خاصة ومعالم اجتهادية خاصة ، ومن المعلوم أن البداية الواضحة التاريخية لأى علم إنما هى حصاد تطور مبعثر طويل ، عبر عن نفسه فى أكثر من صورة ، وإن لم يكن أعطى هذه الصورة مكانها الصحيح ، وأطلق عليها اسمها العلمى المنظم .

ويلخص لنا الفخر الرازى فى « مناقب الشافعى » تطور البحث فى علم الأصول حتى « الرسالة » فيقول : « كانوا قبل الامام الشافعى يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى

مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع . »

كان الشافعى نفسه يعرف قيمة كتاب الرسالة من حركة العلم الاسلامى وكان يطلق على الكتاب اسم « الكتاب » « كتابى » أو « كتابنا » . . . ولا تخفى دلالة التسمية على ادراك الشافعى للعمل العظيم الذى قام به ، ولم تكن تسمية الكتاب « بالرسالة » إلا مرحلة متأخرة فرضت نفسها على الكتاب ، بسبب إرسال الشافعى له إلى عبد الرحمن بن مهدى الامام الحافظ الذى كان ينعته الشافعى بالتفرد فى دنيا العلم .

وقد ألف الشافعى الكتاب مرتين : الرسالة القديمة ويبدو أنه ألفها فى مكة ، والرسالة الجديدة — التى بين أيدينا — وقد ألفها فى مصر . ومن الراجح أن الرسالة الجديدة هى ما تبقى فى ذهن الشافعى من الرسالة القديمة (المفقودة) وهى كذلك الحصاد الاضافى لرحلة العلم فى بغداد وفى مصر وفيما بينهما .

وقد تعددت صور الاهتمام بالكتاب مذ ألفه الشافعى والقاه على تلامذته الذين اقترن الكتاب بواحد من أشهرهم وهو « الربيع بن سليمان » الذى اعتبر أصله أصح الأصول للكتاب — وكان لشدة اشتهاره بسماع الكتاب — يجيز نسخ كثير من الذين استمعوه ونقلوه . . .

وقد ذكر المرحوم الشيخ أحمد شاكر أكثر من أربعين سامعا للكتاب تولوا نسخه وتنظيمه بطريقتهم الخاصة .

أما الذين تولوا شرحه فكثيرون حصر منهم المحقق خمسة هم : أبو بكر الصيرفى محمد بن عبد الله ، وأبو الوليد النيسابورى صاحب المستخرج على صحيح مسلم ، والقفال الشاشى محمد بن على بن أسماعيل ، وأبو بكر الجوزقى النيسابورى ، وأبو محمد الجوينى الامام المعروف .



يقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء لا تفصل بينها فى الحقيقة فواصل موضوعية، بل إنها لتتصل اتصالا مباشرا يجعل عملية التقسيم إلى أجزاء لا تعدو أكثر من محافظة على الأصل ، ولا فائدة واضحة لها إلا من حيث التيسير الكمى ، وحسبنا أن نعرف أن الباب الثانى يبدأ بعبارة « فإن قال قائل » ، وأن الباب الثالث يبدأ بعبارة « قال . . ولم يحظر » لندرك أن عملية الفصل لا تتصل بالموضوعية أو المنهجية فى البحث بصلة .

وكما هو المنتظر من رجل كالشافعى فى كتاب تراثى كالرسالة يستهل الكتاب بأكثر من عشر صفحات فى حمد الله وشكره ، والاعتراف بوحدانيته وفضله ، وما يتصل بذلك من أصناف الناس ومواقفهم تجاه عبادة الله المتفضل بالعلم ، الداعى — على لسان رسله إلى الهدى والرشد « والناس فى العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم فى العلم به ، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم فى الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون طلبه واخلاص النية لله فى استدراك علمه نصا واستنباطا ، والرغبة إلى الله فى العون عليه ، فانه لا يدرك خير إلا بعونه » .

هذه الديباجة ، أو ما يمكن تسميته (الخطبة) هى خصيصة من خصائص تراثنا ، بل وحضارتنا ، فأقطاب هذا التراث ـــ وهذه الحضارة ـــ ينطلقون من نقطة الاعتراف بأن الكمال العلمى مطلب عسير ، بل هو مطلب غرورى يجب أن يتنزه العلماء عنه ، ليتركوا للأفكار الأخرى فرصة الحياة والاستمرار والتقدم . إنهم متواضعون يبذلون « غاية جهدهم ، ويصبرون على كل عارض» لكنهم مع ذلك « مخلصو النية لله ، راغبون إليه فى العون » .. إنه الفرق بين المنهج العلمى ، وبين المنهج الجدلى ... بين المنهج الذى يضع نفسه كحلقة فى سلسلة التقدم ، وبين المنهج الذى يجعل نفسه ـــ دون سند ـــ قمة التقدم ، وينفى بالتالى من حركة التاريخ كل ما لا يتساوق مع غروره ، ومع جموده ، ومع سذاجته !!

وتبدأ رحلة الكتاب بمحاولة تحديد (كيفية البيان) ولعل النظرة العابرة لهذا العنوان توحى بالشروط المطلوبة فى عملية التشريع ، فمن لم يعرف البيان العربى ـــ الذى يعتبر القرآن ببلاغته ولغته قمته ـــ بكل ما يتطلبه هذا البيان من عناصر المعرفة ، فليس له أن يقحم نفسه فى باب استنباط الأحكام أو التعقيد ، إذ هو مفتقد لأول الشروط المطلوب تحقيقها فى « الأصولى » .

والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، فمنها ما أبانه الله لخلقه نصا مثل جمل فرائضه كالأوامر الاجمالية المتعلقة بالصلاة والزكاة والصيام والحج وكالآيات القرآنية الواضحة الدلالة **« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة »** فالدلالة النصية واضحة وليس وراءها شىء . ومن هذه المعانى ما أحكم الله فرضه بكتابه ، ثم بين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتهما .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام مما ليس فيه نص حكم كالنوافل المختلفة ، ومن البديهى أنه « من قبل عن رسول الله فبفرض من الله قبل » .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام مما ليس فيه نص حكم الاجتهاد ، كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم ، مثل ضرورة اجتهادهم فى تحديد القبلة فى الصلاة بعد أمر الله لهم بالاتجاه إليها .

والأساليب القرآنية « تدل على أن ليس من كتاب الله شىء إلا بلسان العرب » « فلسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شىء على عامتها (أى على مجموعها) حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه » .

إن العرب قد تطلق الكلام عاما تريد به العموم الذى يدخل فيه الخصوص وقد تطلقه عاما يجمع العام والخاص معا ، وقد تطلقه عام الظاهر تريد به كله الخاص ، وقد تطلق الجملة لا يبين معناها إلا سياقها ، وكل هذه الأساليب واردة فى القرآن وبالتالى ، فليس بمستطيع فهم النص القرآنى ، فضلا عن الاستنباط والفتوى ، من لم يكن ملما بهذه الاستعمالات ـــ وبغيرها ـــ فى اللسان العربى .

● ● ● ●

وتشغل قضية الناسخ والمنسوخ حيزا كبيرا من الرسالة ، ويعتبر الشافعى من أبرز من وضعوا هذه القضية فى إطارها الصحيح . ولعل حسه الاسلامى كان يوحى إليه بأن المبشرين والمستشرقين لن يلوكوا قضية من قضايا

الفكر الاسلامى مثل إلحاحهم على قضية الناسخ والمنسوخ ، ظنا منهم أنهـا مدخل للطعن فى الاسلام .

وبما أنه يكاد يكون من المستحيل على هؤلاء العجم ، الذين لا يعرفون من لغة القرآن ـــ إذا عرفوا ـــ الا قشورا لا تغنى ... من المستحيل عليهم الدراسة الشاملة الموضوعية للنصوص القرآنية وللأحاديث النبوية المتصلة بها ، وأيضا لقواعد البيان العربى التى ألمعنا إلى طرف منها ، فإنه كذلك يكـاد يكون من المستحيل أن يستوعب هؤلاء وأمثالهم قضية الناسخ والمنسوخ ، وأن يضعوها فى إطارها الصحيح ، مدركين فى الوقت نفسه الأهمية المرحليـة والتاريخية والأصولية للقضية .

ويضع لنا الشافعى معالم بارزة على طريق هذه القضيـة ، لنسير ـــ كأصوليين ـــ فى طريق الاستنباط على بينة من الأمر ... إنه يقول : « ان الله خلق الخلق لما سبق فى عمله مما أراد بخلقهم وبهم ، (...) وأنزل عليهم الكتاب تبيانا لكل شىء (.....) وفرض فيه فرائض أثبتها وأخرى نسخها : رحمة لخلقه ، وبالتوسعة عليهم ، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمة ، وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب ، وأن السنة لا ناسخة للكتـاب ، وانما هى تبع للكتاب بمثل ما نزل نصا ، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملا » .

« وهكذا سنة رسول الله : لا ينسخها إلا سنة لرسول الله . ولو أحدث الله لرسوله فى أمر سن فيه غيرما سن رسوله لسن (الرسول) فيما أحدث الله إليه ، حتى يبين للناس أن له سنة ناسخة للتى قبلها مما يخالفها وهذا مذكور فى سنته صلى الله عليه وسلم » « ولو نسخت السنة بالقرآن لكانت للنبى فيه سنة تبين أن سنته الأولى منسوخة بسنته الآخرة ، حتى تقوم الحجة على الناس بأن الشىء ينسخ بمثله (١) » .

ويطبق الشافعى فهمه ومقاييسه للناسخ والمنسوخ على كثير من الأحكام الدينية التى دار حولهـا بعض الخـلاف فى الفهم كصلاة الليل وفرضيـة الصلوات الخمس ، والتفرقة بين قضاء الصلاة والصوم بالنسبة للحائض ، وعقوبة الزانى المحصن ، وقضية الوصية مع الارث أو القرابة ، وقضية اللعان والحكم السابق فيها ، وغير ذلك من الأمور .



يتتبع الشافعى « جمـل الفرائض » من صـلاة وصيام وزكاة وحـج ، ويبين ما أجمل القرآن فيها وما فصلته السنة ، ويطبق ـــ وهو ماض فى بحثه فى الفرائض ـــ نظرته الى الناسخ والمنسوخ ، ومما لا شك فيه أن نظـرة واحدة الى « الصلاة » ـــ أو الدور الذى قامت به السنة فى تحديدها عـلى وجهها الأكمل ، وفى تحديد أنواع النوافل ـــ ترينا مدى العلاقة الوطيدة بين الكتاب والسنة ، والشىء نفسه يمكن أن يطبق على الزكاة .. وعلى بقية أركان الاسلام .. وعلى التشريعات الاسلامية كعدة المرأة ومحرمات النسـاء ومحرمات الطعام « وكل ما سن رسول الله مع كتاب الله من سنة فهى موافقة كتاب الله فى النص بمثله ، وفى الجملة بالتبيين عن الله ، والتبيين يكون أكثر تفسيرا من الجملة ، وما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب الله فبفرض اللـه طاعته عامـة فى أمره تبعناه (٢) » « وأما

الناسخة والمنسوخة من حديثه ، فهى كما نسخ الله الحكم فى كتابه بالحكم غيره من كتابه عامة فى أمره ، وكذلك سنة رسول الله تنسخ لسنته (٣) » .

ويضرب الشافعى أمثلة كثيرة لنسخ السنة بالسنة كنسخ الرسول صلى الله عليه وسلم لتحريم أكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة أيام ونسخه لحد الزانى المحصن بالجلد قبل الرجم .. ثم نسخ عملية الجلد مكتفيا بالرجم ، والصلاة قعودا خلف الامام القاعد . وغير ذلك من المسائل التى تردد الحكم فيها بين مسلكين نسخت فيهما السنة السنة .

ويرى الشافعى أن القول بالنسخ لا يجب أن يطلق هكذا دون أن يكون هناك نظر دقيق للرواية وللراوى ولتاريخ الحكم وملابساته ، فلربما كان الحكم مبتورا وفقا للقدر الذى تلقاه صاحبه عن الرسول أو عن الصحابى .. بينما قدر الآخرين أن يتلقوا نصا آخر أكمل وأوضح .. فكل يرى أنه على حق .. وهو بالنسبة لما سمعه — على حق فعلا . ولا خلاف بين الرأيين فى الحقيقة .

« وثمة وجه آخر مما يعد مختلفا وليس بمختلف ، وهو أن يحتمل الأمر معنيين أحدهما أولى من الآخر ، وكلاهما — جائز — فى الحقيقة ، لكن الذى يرجح أولية أحدهما أن يكون أشبه بآية فى كتاب الله ، مع بقاء جواز الآخر .

وأيضا ، ليس هناك خلاف حين تختلف هيئة التطبيق وظروفه ، كالنهى عن استقبال القبلة عند الغائط والبول فى الصحراء ، فان هذا النهى لا يطبق عند الحضر ، ومراحيضه الموجودة بالمنازل ، بحال من الأحوال » .

والأمر نفسه يقال حين تختلف شروط تنفيذ الحكم أو نتيجته أو يختلف الحكم عموما وخصوصا ، أو يكون للحديثين وجهان يمضيان فيهما أو غير ذلك فان اختلاف الحكم هنا لا يعنى أن هناك ناسخا ومنسوخا كما لا يعنى أن هناك اختلافا حقيقيا .

« أما إذا اثبت عن رسول الله الشىء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يهونه شىء غيره ، بل الفرض الذى على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمرا يخالف أمره » .

وبهذه العبارة الحاسمة الواضحة يختم الشافعى دراسته لاحدى القضايا الاصولية الكبرى (الناسخ والمنسوخ) ، ملما بكل أبعادها ، اذ لا يجوز للأصولى أن يدخل باب التقنين والاستنباط ، وهو غير مجهز بعلم الناسخ والمنسوخ .. أى بتاريخ التشريع وفلسفته ، فضلا عن أن يكون مجهزا بالأداة الكبرى لكل باحث فى علوم هذا الدين ... وهى البيان العربى بأبعاده المختلفة ..



فى الصفحات التالية يتحدث الشافعى عن مصادر التشريع الاسلامى .. وبعض القضايا المتصلة بها — عدا القرآن والحديث اللذين تناولهما — وهو فى هذه الصفحات أكثر وضوحا والتزاما بوحدة الموضوع ، إذ ان تداعى المعانى ونزعة الاستطراد خصيصتان من خصائص الشافعى ، يلمسهما القارىء على

نحو واضح فى الصفحات الفائتة . وهما فى الصفحات القادمة أخف حدة وأقل بروزا .

يقدم الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والحديث ثلاث قضايا .... أولاها حول صفة نهى الله ونهى رسوله ، ويرى أن نهى الله أو رسوله يجمع معنيين ... أن يكون الشىء الذى نهى عنه محرما فى الأصل لا يحل إلا بوجه دل الله عليه فى كتابه أو على لسان نبيه كتحريم كل النساء إلا أن يحلهن الله بالنكاح أو ملك اليمين .. أو أن يكون الشىء الذى نهى عنه حلالا فى الأصل لكن نهى الله المرء فيه عن شىء معين كالنهى عن الأكل من أعلى الصحفة فان الأكل فى الأصل حلال .

والقضية الثانية عن « العلم » وما يجب على الناس فيه ، وهو يوجز ذلك بأن العلم علمان : علم عامة لا يسع بالغا أن يجهله كالصلوات الخمس والصوم وغيرهما ، وعلم خاصة كفروع الفرائض والأحكام مما ليس فيه نص كتاب ولا فى أكثره نص سنة فهو فرض كفاية .

وثالثة القضايا التى عرض لها الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والسنة هى « خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهى به الى النبى أو من انتهى به اليه دونه » بشرط أن يكون كل محدث منهم ثقة صادقا عاقلا عالما ملتزما بنص الرواية حافظا بريئا من التدليس .. و « من قال على الرسول ما لم يقل فليتبوأ مقعده من النار » ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه . وثمة عشرات الأمثلة تؤكد صدق خبر الواحد ، ولعل تكليف الرسول لأم سلمة بأن تجيب المرأة التى سألته عن حكم تقبيل الرجل أهله فى رمضان .. لعل هذا التكليف خير دليل على إمكانية صدق خبر الواحد، ومثله تكليف الرسول رجلا أن يخبر أهل قباء بتحول القبلة الى المسجد الحرام واستجابة الناس له — دون الرجوع إلى الرسول — مع أن ذلك فرض — ومعلوم أن الأنبياء كانوا آحادا كلفهم الله بتبليغ الرسالة وأمر الناس بتصديقهم .

« ولا نستطيع أن نزعم أن الحجة تثبت به ثبوتها بالموتصل ، لأن من بعد كبار التابعين لا أعلم منهم واحدا يقبل مرسله لأمور أحدها أنهم أشد تجوزا ، والآخر أنهم يوجد عليهم الدلائل فيما أرسلوا بضعف مخرجه ، والآخر كثرة الاحالة (٤) » .



قال الشافعى : قال لى قائل : قد فهمت مذهبك فى أحكام الله ثم أحكام رسوله ، وأن من قبل عن رسول الله فعن الله قبل ، وقامت الحجة بألا يحل لمسلم علم كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما ، فما حجتك فى أن تتبع ما أجتمع الناس عليه ، ... ويرد الشافعى على السؤال الذى طرحه بتناول مركز للمصدر الثالث للتشريع وهو « الاجماع » .

والاعتماد على الاجماع قائم على أساس أن الأمة لا تجتمع أبدا الا على

سنة وإن لم يكن هناك نص عليها . على أنه اذا عزبت السنة من بعضهم فانها لن تعزب عن جميعهم ، وقد وردت الآثار تؤكد أهمية الاجماع كمصدر ثالث للتشريع .

● ● ● ●

ويرد القياس بعد الاجماع ـ فى راى الشافعى ـ كمصدر رابع للتشريع ... وعنده أن القياس والاجتهاد اسمان لمعنى واحد ، فكل ما نزل خاصا بمسلم .. إما أن يكون فيه حكم لازم يجب اتباعه ، واما الا يكون فيه حكم بعينه فتطلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد قياس . والقياس من وجهين : أحدهما أن يكون الشىء فى معنى الأصل ، فلا يختلف القياس فيه . وأن يكون الشىء له فى الأصول أشباه ، فلذلك يلحق بأكثرها شبها به .

وتتضح علاقة القياس بالاجتهاد فى تحديد الهدى على من قتل الصيد محرما ... فالقياس والاجتهاد متداخلان فى تحديد مثل ما قتل من النعم .

● ● ● ●

ويرى الشافعى أن الاستحسان يعنى التلذذ ، وهو كمصدر للتشريع « لا يجب أن يقول فيه إلا عالم بالأخبار ، عاقل بالتشبيه عليها ، واذا كان هكذا كان على العالم الا يقول إلا من جهة العلم ـ وجهة العلم الخبر اللازم بالقياس على الصواب » « ولو استحسن بلا خبر لازم ولا قياس كان أقرب إلى الاثم من الذى قال وهو غير عالم » .

« ولا يكون لأحد أن يقيس ـ أو يستحسن ايضا ـ حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا بد أن يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ، ولا يعجل بالقول به دون التثبيت » .

... إن المنهج الاسلامى فى البحث .. منهج موضوعى لا مجال فيه للتعالم والأهواء والأحكام المسبقة والجرأة التى تمتهن أبجدية البحث ، وتلوى عنق النصوص لكى تصل إلى تأصيل انحرافاتها والحصول على مبرر للعبودية الفكرية الرخيصة .

وفى عصرنا الذى كثر فيه المفتون تصدر كلمات الاستحسان والتفضيل دون تحقيق لأبسط أدوات المنهج الاسلامى فى هؤلاء المفتين ، ودون اتباع لأصول منهج البحث .. وهؤلاء المفتون المنحرفون يتلذذون بذلك ، ويضعون انفسهم فى عداد المفكرين !!

على أن الامور لا تسير وفق القواعد الكلية التى ذكرها الشافعى للبحث وحسب ، بل هناك فى داخل القياس مراتب ، وهناك للاجتهاد اصول ، واما الاستحسان فهو لمن تحققت فيه الشروط وكان أهلا للرأى .

.. وحتى الاختلاف بين أهل العلم والفقه .. لم يأت هكذا .. لأن أحدهم تحققت فيه الشروط وبعضهم كان مجردا منها .. كلا .. فدخول هذا الباب

كان مقيدا بالشرط ، وإنما يستند الخلاف على قواعد سليمة يستند عليها كل منهم ... وكان له فى أذهانهم قواعد مرعبة ، بل إن فيه مناطق يحرم الخلاف فيها .. ومناطق يجب الاجتهاد فيها .. والتمسك بالرأى ، ولا يحل فيها التقليد .



إن محاولة الوقوف عند مصدر تراثى كالرسالة لامامنا الشافعى لا تقف معطياتها عند حدود القضايا التى عالجها ، ولا الجديد الذى انفرد به ، وإنما يتعدى الأمر ذلك الى كثير من المعطيات التى يعتبر المثقفون من جيلنا فى مسيس الحاجة الى التعرف عليها .

... إننا — على سبيل المثال — نستطيع التعرف على منهج البحث فى عصر مزدهر من عصور حضارتنا ، ولا سيما أن إمامنا الشافعى من أبرز الممثلين لهذا الدور .

ونحن نستطيع كذلك التعرف على قدرة أسلافنا فى التوليد والابتكار ... والتحليل العلمى .. ومدى الاعتماد على العقل فى مجال النقل .

وحتى الشكل أو القالب ، هل يتخذ شكل التقرير دائما أو يعتمد على أكثر من أسلوب ، كما فعل الشافعى فى استخدامه الحوار عبر أكثر صفحات الكتاب .

كل ذلك مفيد وحيوى بالنسبة لقضية امتدادنا الثقافى ..

بيد أن ثمة فائدة هامة يعرفها عن الشافعى تلامذته ومريدوه وقارئوه ... فالشافعى ليس صانع مذهب فقهى وحسب ، ولا صاحب أول عملية تقنينية « أصولية » للبحث فى الفقه فقط . بل إنه — مع ذلك كله ، عالم لغةحجة ثبت، وهو — فى الرسالة — يعطينا كثيرا من الاستعمالات التى تعتبر خاصة به ، تنسب إليه ، ويحتج بها عنه . ونذكر على سبيل المثال بعض هذه الاستعمالات الشافعية .

- حذف نون المثنى دون مبرر مثل (لا خفى عليه لبسهما) أى لا خفين عليه لبسهما .
- حذف النون فى الأفعال الخمسة دون ناصب ولا جازم كقوله (الأقراء الحيض فلا يحلوا المطلقة حتى تغتسل من الثالثة) أى فلا يحلون .
- تسهيل الهمزة أو حذفها مع أن الهمزة أصلية مثل (يوطين ، ويستبرين) .
- العطف على المرفوع (منصوبا) بتقدير فعل محذوف مثل : هذا الصنف موجود نصا ، وموجودا عاما — أى ونراه موجودا .
- استعمال « أبو » بالواو نصبا وجرا مثل : عن سالم أبو النصر (أبى النصر) ..
- نصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور أو الظرف كقوله « فكان مما ألقى فى روعه سنته » بنصب سنته .

- جعل اسم كان ضمير الشأن والجملة بعدها خبر مثل « فكان ما سمى حلالا حلال وما سمى حراما حرام » .
- ذكر الفعل المجزوم على صورة المرفوع مثل : لم يقيسه على الدية .. أى لم يقسه .
- اسناد الفعل الى المثنى أو الجمع مع وجود ضميره مظهرا مثل : كن النساء .
- إثبات الياء فى المنقوص النكرة رفعا وجرا مثل (فى غير ستر على مصلى) .
- استعمال الواو بمعنى الفاء .

ولعل هناك غير ذلك من الاستعمالات اللغوية الخاصة بالشافعى ، وهى شاهد على ثقة الشافعى بنفسه وثقة رجال عصره فيه .... إذ أن عصر الاحتجاج باللغة كان قد انتهى ــ كما هو معلوم ــ ومع ذلك لم يجرؤ أحد على تخطئة الشافعى .



بقيت ملاحظات عابرة حول التحقيق ..

ومما لا شك فيه أن أستاذنا الكبير العلامة أحمد شاكر رحمه الله ــ قد أسدى إلى الرسالة والى تراث الشافعى ــ رحمه الله ــ خدمة كبيرة ، وهو ــ بالتأكيد ــ غنى عن التقريظ من تلامذته أو تلامذة تلامذته ..

ولقد كان ضبطه للكتاب ، ومقارنته مجموعة النسخ المختلفة ــ التى حصل عليها للرسالة ، ومحافظته على الأصل محافظة تامة ، ومجموعة الفهارس التى الحقها بالكتاب ..

كانت هذه وغيرها سببا فى جعل التحقيق عملا طيبا لائقا بالمحقق الكبير بيد أننا كنا نأمل أن يقوم أستاذنا المحقق بوضع عناوين فرعية أو هامشية للموضوعات التى يغلب عليها الانسياب والتداخل ، تنظيما لأفكاره ، وتسهيلا بالتالى للقراء الذين بوعد بينهم وبين تراثهم ، أو الذين لا يطيقون الصبر على قراءته ، كما أن هناك بعض القضايا ، والمصطلحات الفقهية كانت فى حاجة إلى شرح .

ولست افهم سببا لوضع ثلاث عشرة صفحة مصورة من صفحات المخطوط فى صدر الكتاب ، ألم تكن صفحة واحدة كافية للدلالة على طبيعة الجهد الذى بذله المحقق الكبير .. ؟

وإنه ــ بحق ــ لجهد غنى عن التعريف والتقريظ .. ورحم الله المؤلف والمحقق معا .

---

(١) فى رأى الشافعى أن القرآن لا ينسخ السنة ، وعند نزول قرآن ينسخ سنة لا بد من سنة تفيد هذا النسخ لضرورة اتحاد الدرجة ــ فى رأيه ــ بين الناسخ والمنسوخ .

(٢) يعنى أننا نطيع أوامر الرسول بناء على أمر الله لنا ــ أمرا عاما ــ بطاعته « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » .

(٣) بمعنى ضرورة اتحاد الدرجة فى الناسخ والمنسوخ .. فالقرآن ينسخ القرآن والسنة تنسخ السنة .

حينما نحترف بالرياضة

للدكتــور أحمد الشرباصى

أنا ــ ولعنة الله على كلمة « أنا » ، وبخاصة حينما تأتى فى فاتحــة الكلام ــ أنا ممن يحبــون الرياضة ، ويدعون إليها ، ويحثون عليها كوسيلة لحفظ الصحة وصيانة القوة ، ومنذ قرابة أربعين عاما دعوت ــ باللســان والقلم ــ الى إدخال الرياضة والكشافة فى فروع الأزهر الشريف ، ومنــذ خمسة عشر عاما قلت فى بعض ما كتبت :

« ويحسن أن يكون بجوار المسجد حديقة صغيرة تلطف جوه ، وتجمل منظره ، وتجذب الناس إليه ، كما يحسن أن نلحق بالمســجد ساحــة للعب الفتيان ، ليأخذوا حظهم من اللعب البرىء فيما بين الصــلوات ، ثم يختموا العابهم عند الأذان ، ويتعودوا دخول المسجد منذ صباهم لأداء الصلوات فى الجماعات » .

ولقد قلت فى مؤتمر رياضى عقد سنة ١٩٥٤م : « ولو كان الأمر إلىّ ، لجعلت فى كل ملعب مسجدا ، ولجعلت على مقربة من كل مسجد ملعبا ،

بل لو قدرنا لجعلنا المسجد ملعبا ، والملعب مسجداً ، فنزكى الرياضة ونعليها ، ونعمم العبادة ونقويها ، دون أن نفرط فى حق من حقوق الله أو حقوق بيوته التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ويسبح له فيها بالغدو والآصال » .

ومن الواجب أن نعلم الرياضى **كيف ينظر الى ساحة الملعب كأنها ساحة المسجد** ، لأننا فى المسجد نزكى الروح ونصفيها بجلواتها ونجوياتها ، ونحن فى الملعب نصلح مسكن هذه الروح وهو البـــدن ، فالبدن إذن لازم للروح مرتبط بها ، وما لزم شيئا تبعه فى الأهمية والتقدير .

ولكنى الاحظ أن الرياضة فى كثير من بلاد العروبة والإسلام — وبخاصة لعبة كرة القدم — قد صارت كالبلوى أو السعار ، حيث انحرفت هنا وهناك عن طريقها المقبول ، وزادت عن حدها المعقول ، فالجمـــاهير الغفيرة تترك أعمالها من أجل كرة القدم ، وتتجمع عند مبارياتها أضعاف أضعاف ما تتجمع فى المساجد لصلاة الجماعة أو الجمعة أو دور التعليم والمحاضرات ، أو أماكن التجمع الأخرى . وقبيل كل مباراة عامة تطوف سيارات كثيرة أرجاء العاصمة أو المدن ، حيث ترفع أصوات مزاميرها المنكرة ، مؤيدة هذا الفريق أو ذاك ، والألوف المؤلفة تتجمع حول أجهزة التلفزيون لمشاهدة تلك المباريات بحرص وشغف مجنونين ، والذين لا يملكون أجهزة تليفزيون يستجدون مشاهدته عند الجيران أو المعارف ، وكلما اقبلت مباراة توترت الأعصاب ، وثارت الخلافات، واحتدت المنافسات ، كأن الجميع مقبلون على معركة حامية الوطيس ، وكأننا قد حررنا الديار ، وأخذنا الثأر ، وغسلنا العار ، ولم يبق إلا « معركة كرة القدم » نتوج بها قائمة الانتصارات والمفاخر .

ونحن من أجل كرة القدم نشجع اللاعبين بمختلف الوان التشـــجيع ، بالكلام والمديح ، وبالمال والمكافآت ، وبالهدايا والمنح ، بل ندللهم فى بعض الأقاليم وبعض الأوقات بما لا يجوز التدليل به ، وقد نحرضهـــم بطريق مباشر أو غير مباشر على كسب المباراة بأى وسيلة ، ولو كان بخشونة اللعب والتواء الطريقـــة وقســـوة السلوك ، ويظل أنصار كل فريق يهتفـــون لفريقهم مؤيدين مستحثين ، ويطبلون لأعضائه ويزمرون ، ولا همّ لهؤلاء ولا لأولئك الا أن يكون أعضـــاء فريقهم الفـــائزين فى المباراة مهما كان الثمـــن ، ومهما كان الأســـلوب .



وفى الأيام الأخيرة طالعتنا الصحف بأخبار تعد كالإرهاص لمضاعفـــات ستأتينا من وراء تلك البلوى ، ما لم يتحرك المسئولون هنا وهناك لاصلاح الحال وتوجيه الرياضة عموما ، ولعبة كرة القدم خصوصا ، نحو الأهداف الأصيلة المطلوبة من وراء الرياضة .

فهذا رئيس مجلس الادارة فى احدى الشركات يموت بالسكتة القلبيـــة لأن فريق الكرة الذى يحبه قد انهزم فى المباراة ، فقد نشرت صحيفة «الأخبار» بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ ما يأتى :

« مات رئيس مجلس ادارة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك بالســـكتة القلبية عندما سجل الجارم هدف الفوز للاتحاد من مرمى الأهلى فى مبـــاراة كأس مصر ، كان أحمد جاد الغداوى يتابع المباراة أمام الشاشة الصغيرة بين

افراد أسرته فى منزله ، وعندما احرز الأهلى هدفه الاول قفز من مكانه ، واحتضن ابنته وابنه تعبيرا عن فرحته ، واستمر يتابع المباراة بحمـــاس ، الى أن سجل الاتحاد هدف التعادل فبدأ يشعر بالضيق ، ثم زادت حالته سوءا عندما سجل الاتحاد هدف الفوز ، وقبل نهاية المباراة بثوان .. وعندما فقد الأمل فى التعادل انسحب من أمام التلفزيون ، ودخل غرفته متعبا ، لينام بعد انتهاء المباراة ، ودخلت زوجته الى الفرفة فوجدته قد فارق الحياة ، ويده على قلبـــه » !!.

وهذا مراقب فى الامتحان السنوى باحدى الكليات ، يأخذ معه جهـــاز راديو فى لجنة الامتحان ، ليسمع مباراة كرة القدم ، وهو مكلف بالتفرغ لمراقبة الطلبـــة أثناء الامتحان ، وقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ هذا الخبر بحروفه : « جهاز راديو كان يضعه أحد المراقبين فى كليـــة تجارة القاهرة على أذنه ، ليستمع الى مباراة الاهلى والاتحـــاد السكندرى ــ أمس الأول ــ صادره د. عباس شيرازى رئيس لجنة الامتحانات » !!..

وهذا زوج يتعصب لفريق معين ، وزوجته تتعصب لفريق آخر ، والنزاع يثور بين الزوجين كلما جرت مباراة ، وحينما يفوز فريق الزوج يغيظ زوجته بالسب والشتم والاشارة وغير ذلك من التصرفات النابية ، وبيت هـــذين الزوجين تعلن فيه حالة (الطوارىء) كلما أقبلت مباراة ، ولا بد من صدام بين الزوجين فى نهاية المباراة ، اذا تغلب أحد الفريقين على الآخر ، بل لا بد من الصدام حتى ولو تعادل الفريقان ، لأن كلا من الزوجين يمدح فريقـــه ويذم الفريق الآخر ، فيقع الصدام ، والحرب أولها كلام .

وليس ببعيد ــ اذا استمرت الحال فى هذا الانحراف ــ أن يأتى اليوم الذى يؤدى فيه سعار التعصب لكرة القدم ، الى أن ينتحر الشخص حدادا على فريقه المهزوم ، ويكون المنتحر قد تأثر فى هـــذا بذلك المخبول الأمريكى الذى أطلق سبع عشرة رصاصة على جهاز التلفزيون ، لأنه رأى على شاشته الفريق الذى يحبه وقد باء بالهزيمة والفشل . فقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ الخبر التالى بحروفه :

« أطلق أمريكى عمره ٤٢ سنة فى ولاية كاليفورنيا ١٧ طلقة رصاص على جهاز التلفزيون فى بيتـــه ، وذلك بعد أن أثارت أعصـــابه هزيمة فريق البيسبول الذى يشجعه . اخترقت بعض الرصاصات جدار شـــقة جارته العجوز (٧٠ سنة) . قال مدافعا عن نفسه : انه ليس من المعقول ان يفعل إنسان هذا بجهاز تليفزيونه الخاص الا اذا كان فاقدا لأعصابه » !!..

ومما يزيد الموقف أسفا وأسى أن تخبرنا الصحف أن فريقين فى مبـــاراة مشهودة رفضوا أن يحكم بينهم أى حكم وطنى ، واصروا على أن يكون الحكم أجنبيا ، كأنه لا يوجد بين المواطنين من يستحق الثقة أو يعرف العدالة ، وقد حمل الكاتب الاسلامى الأستاذ أحمد زين على ذلك فى صحيفة « الأخبار » بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٧٣ فقال :

« أحزننى ما حدث فىمباريات الكأس لكرة القدم . لم يحـــزننى اللعب فلست ممن يتابعونه ، ولا النتائج ، ولكن الالتجاء الى حكم أجنبى ليحـــكم المباراة ، وذكرتنى هذه بعقدة « الخواجة » فى الماضى ، ذلك الزمن الذى عفى عليـــه الدهر ، يوم استطاع الاستعمار أن يقنعنا بأنالقيادة المصرية فاشلة ، وانه لكي ينجح اى عمل من الأعمال لا بد أن يتولاه رجـــل أجنبى ، أو خبرة أجنبيـــة .

ويوم تم تأميم الاقتصـــاد المصرى ونقله من الخبرة الأجنبية الى الخبرة المصرية ، انطلقت أبواق كثيرة تؤكد انهيار الاقتصاد المصرى الى آخره . واليوم نجد أن ناديين من أكبر نوادى مصـــر لا يثقان فى كل حكام الكـــرة المصريين الدوليين ، والذين يحكمون أكبر المباريات فى العالم ، ويطالبون بحكم أجنبى . لماذا ؟. لضمان العدل ، كأنما الحكم المصرى رجل متحيز أو غير عادل أو غير كفء ، ويجب أن يأتى « خواجة » ليضمن العدالة ونضمن سير المباراة .

كنت أفضل أن تلغى المباراة ، لأن ذلك خير من أن نعلن عدم ثقتنا بأنفسنا الى هذا الحد . كلمـــة أخيرة : إن عـــدد النقاد الرياضيين الذين يســـفهون ويشككون فى الحكام المصريين فىكل مباراة ، ينظرون الى الحكم الأجنبى على أنه إله ، ويكيلون له المديح والثناء ، وليس هذا غريبا » !!.



هكذا أصبح أمرنافى الرياضة ، وهكذا انحرف بها أهلوها الا من رحم الله ، وقليل ما هم . فما كلمة الدين ؟.

لقد قلت منذ عهد بعيد انه تجب العناية بتعميم الرياضة البدنية ، أو التربية الرياضية بين أبناء المسلمين ، مع الحرص على جعل هذه الرياضة وسيلة لا غاية ، فهى وسيلة لتكوين الجسم السليم الذى يحتله العقل السليم ، ويقوده الخلق القويم ، وهى وسيلة لتربية الأخلاق وغرس الصفات الحميدة التى تتكون من التمرين والتدريب .

وإذا كانت « الرياضة البدنية » تعد عند الرياضيين درجة أولية ، لأنها تهذيب فردى للبدن عن طريق التمارين المختلفة ، وكانت الألعاب الرياضية عندهم درجة ثانية بعد الأولى ، لأن الالعاب الرياضية مباريات بين مجموعات تتذرع كل منها بالتنظيم والتعاون الى نيل السبق والغلب ، فاننا نريد الدرجة الثالثة العليا ، وهى « التربية الرياضية » ، التى تكوّن فى الانسان جســـما وفهما ، وعقلا وخلقا ، لأننا نحتاج الى الرياضى الصحيح : بجسمه المحكم ، وتفكيره المنظم ، وخلقه المقوّم ، وإيمانه المدعّم . كما نريد جيلا فتيا فى بدنه وكيانه ، عميقا فى تفكيره وجنانه ، متطهرا فى خلقه ووجدانه ، ثابتا فى يقينه وإيمانه ، غيورا على بلاده وأوطانه ، ومن هذا الجيل المنشود يتكوّن الوطن المؤمن العظيم الذى نريد .

ولذلك كان واجبا أن نعمم الرياضة السليمة القويمة فى كل مكان ، لا باسم البدن والوطن فقط ، بل باسم الدين أولا وقبل كل شىء . ويجب أيضا إشاعة روح الفتوة والفروسية بين شباب المسلمين ، ونشر التداريب العسكرية وروح الجندية ، ومحاربة الترف والتميع والترهل ، وأخذ الناشـــئة بأساليب التقشف والاخشيشان .

ولامعنى للرياضة اذا لم يحسن صاحبها الجمـــع بين قوة بدنه وضبط نفسه وتحكيم عقله : وهذا ما يشير اليه القرآن الكـــريم ، فقد قال عن أحد الأخيـــار : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بســـطة فى العلـــم والجســـم » . وبسطة العلم إشارة الى قوة العقل والخلق ، وبسطة الجسم اشارة الى قوة البدن وصلابة الأعضاء .

والله تبارك وتعالى حينما امتدح أهل الكهف وصفهم بأنهم « فتية » ، وهذه إشارة الى القوة الحسية ، ووصفهم بأنهم « آمنوا بربهم » وهذه اشارة

الى القوة العقلية والخلقيــة ، فقال فى ســورة الكهف : ((**إنهم فتية آمنــوا بربهم ، وزدناهم هدى ، وربطنــا على قلوبهم ، إذ قاموا فقــالوا ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا**)) .

فكيف يتحقق هذان الهدفان الجليلان ، أو نحسن الجمع بينهما عن طريق الرياضة ، اذا كنا سنظل نتخذها وسيلة للتعصب المذموم ، والمنافسة السخيفة الزائدة عن حدها ، والخلافات الحادة التى تؤدى الى الكراهية والبغضاء ، والتى تمزق العلاقات بين الأصدقاء والمعارف ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الأزواج والزوجات ؟.

من حقنا أن نتمتع بالرياضة ، ولكن على شريطة أن تكون وسيلة لا غاية، وتدريبا لا حرفة ، واستمتاعا لا تعصبا ، وعلى شريطة أن لا تشغلنا كرة القــدم عن واجبات ثقال تلاحقنا من يمين وشمال .

ولقد نشرت الصحف أخيرا أن احدى المدن الكبيرة فى أحــد الأقطــار الاسلامية قد انقلبت الى أعراس وأفراح ، فلما قرأت الخبر قلت فى نفسى : ليتنا نعيش حتى نرى هذه المدينة وغيرها من بلاد العروبة والاسلام تعيش أفراح النصر ، وأعراس الحرية ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

والله ما دون الجلاء ويومه   يوم تسميه الكنــــانة عيدا

* * *   * * *

إن الإسلام لا يقاوم الرياضة ، بل هو يدعو اليها ويحث عليها ، لأنه دين القوة ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » ، والقوة هنا عامة ، تشــمل قوة البدن ، وقوة الروح ، وقوة العلم ، وقوة الأخلاق ، وقوة الإيمان .

والإسلام لا يقاوم الرياضة ، بل يدعــو اليها ، ويحث عليها ، ولذلك طالب الأب بأن يعلم ابنه السباحة والرمى وركوب الخيل ، ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فأنشأ أول ساحة رياضية فى الاسلام ، وكانت خارج المدينة المنورة ، وكان يدرب فيها الشباب على الجرى والرمى وفنون المبارزة ، واعتبر الرسول ــ فى بعض احاديثه ــ هذه الساحة كقطعة من الجنة ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخلعون نعالهم عنــدها ، ويطأونها حفاة الأقدام إظهارا للاحتفال والاكرام .

ولقد مارس رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فنونا من الرياضة ، فسابق عائشة رضى الله عنها ، فسبقته مرة وسبقها أخرى ، وقال لها فى سماحة : هذه بتلك . وصارع النبى « ركانة » الذى كان مضرب المثل عنــــد العرب فى المصارعة والقوة فصرعه النبى أكثر من مرة ، وسابق بين الخيل ، ونظم هذه المسابقات بين ذوات الخف والحافر ، ووضع للمسابقات نظاما دقيقا ينزهها عن الخداع والمؤثرات الخارجية .

الإسلام ــ إذن ــ لا يقاوم الرياضة ، بل يدعو اليها ويحث عليها ، ولكنه كما أبنت يريدها وسيلة للتربية والتهذيب ، لا أن تكون مشغلة تضيع بجوارها حقوق وواجبات .

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ

محمد مؤذن

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ

وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ



.. من الله أنتَ !
من الروح أنتَ !
.. ومن كلِّ أفقٍ يُنادي صداكْ
وفي كل صوتٍ أبيٍّ أراكْ
وأسمعُ في كل شيءٍ نداكْ ..

.. فأسمعُهُ في دمي ثورةً للضياءْ
من النار والنور تشعل فجر الإباءْ
وفي خلدي نبضةٌ كاحتدام الرياحْ
وكالعاصف المنبري لاختراق الدلاحْ ..
وفي كبدي .. ماردٌ عبقريّ الجناحْ
يَشدُّ من الليل نورَ الصّباحْ ...

ويثأر بالثأر تحت العروقْ
ليستلَّ منها ضياء الشروقْ
وفي خُطوتي .. درب عُمْرٍ وليدْ
وفي نظرتي .. صحوةٌ للوجودْ
تنفّضُ عنه غبارَ الليالي السحيقةْ
وتمضي به في هدير الحقيقةْ !!
.. جبيني جديدْ
ووجهي جديدْ
وإيماء عيني جديدْ
وإصغاء سمعي جديدْ ..
وذاتي .. شواظٌ على جلدها المُستضام القديمْ
وكِبْرٌ من النور يسطع تحت الأديمْ

يُنوِّرُ ليلَ الكهوف الضَّريرةْ
ويلسعُ كلَّ بقايا الكَرى في السَّريرةْ
ويوقظها كيْ تشقّ المصيرْ
وتوغلَ صامدةً في المسيرْ ..
.. وأسمعُهُ طارقاً من هُتاف السّماءْ
يدُقُّ على كلّ بابٍ بأعمقِ النداءْ !

... ...
.. فمِنْ صوت جبريلَ وهْو ينادي محمّدْ
ومن رَعْشة الوحي، وهْو لهيبٌ وموْقِدْ
ونارٌ مجلجلةٌ من سماء الغيوبْ
لمعركة الحقِّ جاءت تشقُّ الدروبْ ..
وتزأرُ في كلِّ ليلٍ بهيمٍ مشاعلَ الضياءْ
وفي كل يأسٍ ذبيحِ الأماني جريحِ الرجاءْ ..

.. ومن عنكبوتٍ على الغار أرخى الستورا
بأوهى خيوطٍ، أذلّ الزمانَ، وأحيا الدهورا!
.. ومن "بدرٍ" .. ومن ملحمة كلّ المعاركْ
وصوتك فيها من الحق، نارٌ تشاركْ!
.. ومن كلّ خطو النبيّين فوق الصحارى
وهم يحصدون الدجى من وجوه الحيارى!!
.. من الله أنتَ!!
من الروح أنتَ!!
ترنّمْ! وجلجلْ! وبالنور أقبلْ!
ولملمْ زئيرك من كلّ ليلٍ توارى بأرضِكْ
ومن كلّ كأسٍ سقتها الضحايا فداءً لعرضِكْ
ومن كلّ سيفٍ رضعنا مع البيد أنهارَ شمسِهْ
وذرنا نشارك بلمسات شعرٍ تغنّي لبأسِهْ..

ترنّمْ، وجلجلْ
وبالنصر أقبلْ
وهاتِ الطبولَ، وهاتِ الخيولَ، وهاتِ البيارقْ
وهاتِ الصدى، من مزامير "طارقْ"..
وأيقظْ "عموريّةً" من كراها،
وذُقْ نارها واسقِني من لظاها بقايا ضحاها!
.. وخذْ نغمةً من سماوات "حطّين"،
واخضبْ نداءَكْ
وأوغلْ مع الريح في كلّ أفقٍ،
وفجّرْ إباءَكْ
وذُرْ بالعصور، وبوق النشور على الهامدينْ
وأنشبْ زئيرك في كل كهفٍ على الجامدينْ

.. صحونا! ولابدّ نسحق هولَ الطريقْ
ونزحفُ.. حتى نردّ من الليل ضوء الشروقْ!!
فزمجرْ كما شئتَ.. حتى نردّ إباءَ السنينْ
وشُقّ الصدورَ، وأضرمْ بها مرجلَ الزاحفينْ
وغيّرْ هوانا، وغيّرْ قرانا
وأشعلْ بنا ثورةً لليقينْ!
.. ولن يغسلَ العارَ.. إلا امتدادُكَ في كلّ شيءْ
ولن يأخذ الثأرَ.. إلا انتفاضُكَ في كلّ حيّ
ولن يرجع الدارَ.. إلا اقتحامُكَ ذلَّ الخليّةْ
ومحوُكَ للضعف من كلّ روحٍ غبيّةْ..
.. فصوتك في كل روحٍ حياةْ
وصوتك للنصر أزكى صلاةْ

فقاتلْ به في العروق دمَ اليائسينْ
وأيقظْ به في الدماء رؤى الهامدينْ
وأعجلْ به النصرَ للصامدينْ
.. ويوم نردّ التراب الحبيب لأقدامنا
وصوتك بالنصر يجري نشيداً لأيامنا
سنسمع من كلّ أفقٍ أذاناً يهزّ الشعوبْ
ويخضرّ في الأرض لحنُ البطولة..
.. نحن العروبْ!!

محمود حسن إسماعيل

الجهاد بالمال

« وانفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » ان الجهاد كما يحتاج الى الرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد المسلم الأول يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال .. لم تكن هناك يومئذ رواتب يتناولها القادة والجند ، انما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال ، ولكن كثيرا من فقراء المسلمين الراغبين فى الجهاد والذود عن العقيدة والحرية والكرامة والعزة الايمانية لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم ، ولا ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركب الحرب ، وكانوا يجيئون الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يحملهم الى ميدان المعركة ، فاذا لم يجد ما يحملهم عليه : **« تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون »** .

ومن أجل هذا كانت دعوة القرآن الى الانفاق فى سبيل الله . الانفاق لتجهيز الغزاة ورعاية أسرهم ، وقرر القرآن الكريم أن عدم الانفاق تهلكة ، وما أكثر ما ذكر الجهاد بالمال فى القرآن الكريم مقترنا بالجهاد بالنفس ، بل مقدما عليه قال تعالى : **« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون »** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم » .

والجهاد بالمال يكون ببذله عن طيب نفس . دعما للجيش واعدادا للمعركة وتجهيزا للمجاهدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا » .

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الامثلة فى المسارعة الى الانفاق فى سبيل الله والجهاد بالمال دعما لاقتصاد الدولة وبنائها العسكرى وتجهيز جيوش المسلمين . وفى غزوة (تبوك) كان على المسلمين أن يصدوا جموع الروم التى تجمعت فى الشام لغزوهم ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، ولم يكن لدى المسلمين آنئذ من المال ما يكفى لتجهيز جيش قوى يرد غارة الروم ويصد عدوانهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التطوع للجهاد والتبرع بالمال وتسابق المسلمون فى

هذا الجهاد ، فكان أبو بكر اول من قدم ماله . جاء بكل ما يملك وقدمه لرسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ماذا أبقيت لآلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له الرسول : ماذا أبقيت لآلك ؟ فقال : أبقيت لهم نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أبقيت . وتبرع العباس بن عبد المطلب بتسعين الف درهم وعبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية ذهبا ، وجهز عثمـــان ثلث الجيش ، وجاء جابر بن عبد الله الانصارى بحفنة من بر هى كل ما يملك .

والدعوة الى الانفاق فى سبيل الله دعوة عامة لجمع المسلمين أغنيائهم وفقرائهم قال تعالى : « **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفســه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** » وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله ، ومنحة خادم فى سبيل الله أو طروقة فحل فى سبيل الله » .

ان المعركة التى تدور رحاها اليوم بين المسلمين وبين الصــــهيونية تفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتبرع بكل ما تحتاج اليه المعركة . بالمال . بالغذاء . بالكساء . بالغطاء . بالدم . بالأدوية . بالخيام . بالسيارات .. والتبرع يجب أن يزيد كثيرا على الزكاة المفروضة على المسلمين . يجب أن يصل الى رأس المال نفسه ، بل الى الايثار .

ان الحرب التى نخوضها الآن حرب طويلة الأمد ، ومغارمها وتضحياتها فادحة وما تحتاجه من البذل والعطـــاء يقدر بالمليارات لا بالملايين ، وفى المسلمين ثراء وفى المسلمين كثرة ، وهم قادرون لو صدقوا الله لمولوا المعركة بكل ما تتطلبه من نفقات .

وان عدونا فى كل شبر من الارض يتبرع بأموال طائلة لمساندة العدوان والأرقام التى تنشر عن تبرعات الصهاينة فى العالم لتمويل المعركة ضدنا أرقام مذهلة .

ان الدعم المالى الشعبى للمجهود الحربى يربو كثيرا على الدعم المالى الحكومى فأين صندوق الجهاد الذى يمول من الزكاة ومن جزء ثابت يقتطع من راتب الموظفين فى الدوائر والمؤسسات والمصارف ومن التجار وأصحاب المهن .

ان واجب المؤتمر الاسلامى ان ينهض بالدعوة الى انشاء هذا الصندوق والاشراف على جمع التبرعات لتمويل الجهود الحربية للجيوش الاسلامية .

متى تفتح هذه الخزائن المملوءة بالأموال ؟ متى تملأ هذه الصــــكوك البيضاء بالأرقام ؟ متى تفك الأغلال عن الأيدى المربوطة الى الاعناق ؟ متى تقسم الأطعمة والأكسية والأغطية بيننا وبين المجاهدين بالسوية ، متى يكون الله ورسوله أحب الينا من أنفسنا وأموالنا .

ان تمويل الحرب وامداد المجاهدين بالمال والسلاح ، وتقديم العون الطبى والتموين الغذائى وكفالة أسر المقاتلين ومدها بما تحتاج اليه فريضة على كل مسلم ومسلمة : « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسـجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلـكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهـــاده هو اجتباكم** » .

جهاد المرأة



ان الأخطار التى تهـدد المسلمين تحتاج الى كل جهد يبذل فى سبيل القضاء عليها وان العدوان الـذى يقع على المسلمين يحتاج الى جهد المسلم والمسلمة معا لرده ودحره ، وان ميدان الجهاد أوسع من أن ينحصر نطاقه فى جبهة القتال وحدها ، ومن هنا كانت أسهم الجهاد فى سبيل الله كثيرة ومتعددة ، فمن حمل السلام كان مجاهدا ، ومن جهز غازيا فى سبيل الله كان مجاهدا ، ومن خـلف غازيا فى أهلة فقام عـلى رعاية أولاده وأسرته كان غازيا ، ومن تصـدى للحرب النفسية التى يشنها العـدو كان مجاهدا ، ومن أسهم فىالتعبئة المعنوية بالكلمة أو الصورة لم يقـل ثوابه عن ثواب المجاهد ، ومن آوى مجاهدا أو اسعف مقاتـلا أو آوى مناضلا أو حمل جريحا فقـد أسهم فى الجهاد بنصيب وافر .

والانتصار على العدو ودحـره يحتاج الى تضافر كل هـذه الجهود ، والى تعاون الرجل والمرأة والشـاب والفتاة ، وقد أفسح الاسلام للمـرأة فى ميدان الجهاد والاسلام وان كان عذر المرأة فلم يكتب عليها حمل السلاح فى المعركة الا انه لم يعفها من ابواب الجهاد الأخرى التى تتمثـل فى الاسعاف والتمريض وامداد الجيش بما يحتاج اليه من ماء وغذاء وكساء ومن كلمة حق تثير القاعد وتسوقه الى المعركة وتاريخ المرأة المسلمة فى الجهاد تاريخ مشرف .

١ ــ عن انس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه ، فيسقين المـاء ويداوين الجرحى (رواه مسلم وابـو داود) .

٢ ــ وقالت الربيع بنت معوذ رضى الله عنها : كنا نغزو مع النبى صلى

الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة (رواه البخارى) .

٣ ــ وقالت أم عطية رضى الله عنها غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام واداوى الجرحى واقوم على المرضى (رواه مسلم) .

٤ ــ وأم عمارة : نسيبة بنت كعب المازنية كان لها يوم احد موقف من أعظم المواقف فى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولندع أم عمارة تصف لنا هذا الموقف . قالت : خرجت أول النهار وانا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولة والريح والنصر للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى .. وكان فى عاتقها جرح أجوف أغور من ضربة لابن قمئة الذى انتهز فرصة انهزام المسلمين ، فأقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ، قالت أم عمارة فاعترضت له أنا ومعصب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ، فضربنى هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبارك جهاد المرأة ويثنى على بلائها ويفضلها على بعض الرجال ممن لم ينشط نشاطها ولم يصنع صنيعها .

عن عبد الله بن عاصم قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأمى تدفع عنه ، فقال : يا ابن عمارة ــ قلت : نعم . قال ــ ارم فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر وهو على فرسه فأصبت عين الفرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة والنبى ينظر اليه ويبتسم ، فنظر الى جرح بأمى على عاتقها . فقال : أمك أعصب جرحها . بارك الله عليكم من أهل بيت . لمقام أمك خير من مقام فلان وفلان . رحمكم الله من أهل بيت . فقالت أمى : أدع لنا يا رسول الله أن نرافقك فى الجنة ، فقال : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة .

ودور المرأة فى هذه المعركة التى نخوضها مع أعداء الله دور كبير ، فان الحرب اليوم لم تعد قاصرة على ميدان المعركة ، بل انها تصيب الآمنين الوادعين فى دورهم ومساكنهم بالقنابل المدمرة والصواريخ المخربة وهذا يحتاج الى سهر المرأة على الجرحى ورعايتها للمنكوبين وتثبيتها للجزعين ، ومواساتها للمصابين . ان واجبات المرأة المسلمة فى هذه الحرب كثيرة متعددة ، فلتعط نساؤنا اليوم نماذج رائعة فى الايمان والصبر والتحمل والمشاركة ، والبطولة كما أعطت جداتها وأمهاتها من سلفنا الصالح .



أبواب الفردوس

هـــذه هي سيناء أرض البطولة . وهذه هي هضبة الجـــولان مقبرة الصهيونية .. هنا وهناك مؤمنـــون مجاهدون . هانت في أعينهم الدنيا ، الموت أحب اليهم من الحياة .. هنـــا وهناك تهب روائح الجنة على ابطـــال باعوا انفسهم لله ووهبوا حياتهم لله ؛ وقفوا يقاتلون أعداء الله لا يبالـــون اوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم فاشترى الله منهم أنفسهم وأعـــد للشهداء منهم جنة تعهد غراســـها وأحسن مهادها ، فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قـــلب بشر .. هنا وهناك فدائيون عـــلى الرمال المترامية والتـــلال المتناثرة والصخور الصماء يقتلـــون عدونا ويرفعون علمنا ويثأرون لكرامتنا . يحررون أرضنا ويستردون مقدساتنا ويغسلون بدمائهم الزكية العـــار والهوان الذى لحقنا ... هنا وهناك في قلب الأرض المحتلة مجاهـــدون جمعهم الاسلام ، وعبأتهم العقيـــدة فخرجـــوا من كل أرض من مصر وسوريا والكويت والسعودية والاردن والمغرب والجزائر وليبيا والعراق ، واحتشدوا في ميدان المعركـــة مع رفقائهم في السلاح ابناء فلسطين . احتشدوا بلا نسب الا نسب الاسلام ، وبلا جنسية الا جنسية الاســـلام . احتشدوا يذيقون المعتدين ، الـــوان العـــذاب ويلبســـونهم ثيـــاب الذل والهوان .

هنا وهناك تفتحت ابواب الفراديس للشهداء منهم الذين اشترى الله منهم انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله .

هنا وهناك تفتحت ابواب المستقبل للاسلام والعزة والغلبة للمسلمين : **« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى أن الله لقوى عزيز »** .

فاللهم نصرك الـــذى وعدتنا به وتثبيتك الذى أيدتنا به : **« اذ يوحى ربك للملائكة انى معكم فثبتوا الـــذين الذين آمنوا سالقى في قلوب الـــذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان »** .

خريطة الجمهورية العربية السورية ومرتفعات الجولان

البحر الأبيض المتوسط
الجمهورية العربية السورية
الجمهورية اللبنانية
المملكة الأردنية الهاشمية
فلسطين المحتلة
مرتفعات الجولان
الجبل الشرقي
جبال لبنان الشرقية
دمشق
حماة
حمص
طرطوس
بانياس
اللاذقية
بيروت
صيدا
صور
حيفا
عكا
نابلس
جنين
طبريا
بحيرة طبريا
القنيطرة
درعا
نوى
الحولة
طرابلس
جبل الشيخ

بحار - بحيرات
خطوط سكك حديد
حدود

خريطة سيناء بجمهورية مصر العربية

البحر الأبيض المتوسط
البحر الأحمر
سيناء
فلسطين
النقب
خليج السويس
خليج العقبة
بحيرة البردويل
بحيرة المنزلة
بورسعيد
بورفؤاد
القنطرة
الإسماعيلية
السويس
العريش
رفح
غزة
القدس
يافا
بئر سبع
العوجة
أبو عجيلة
القسيمة
بئر العبد
بئر الحسنة
الكونتيلا
نخل
الثمد
العقبة
رأس النقب
أبو زنيمة
أبو رديس
فيران
الطور
رأس سدر
شرم الشيخ
نويبع
تيران
صنافير
شدوان

بحار - بحيرات
خطوط سكك حديدية
حدود
خط بارليف
أماكن وجود القوات المصرية
حتى مساء الثلاثاء ٩/١٠/٧٣

صور من المعركة

حطام طائرات العدو بدمشق



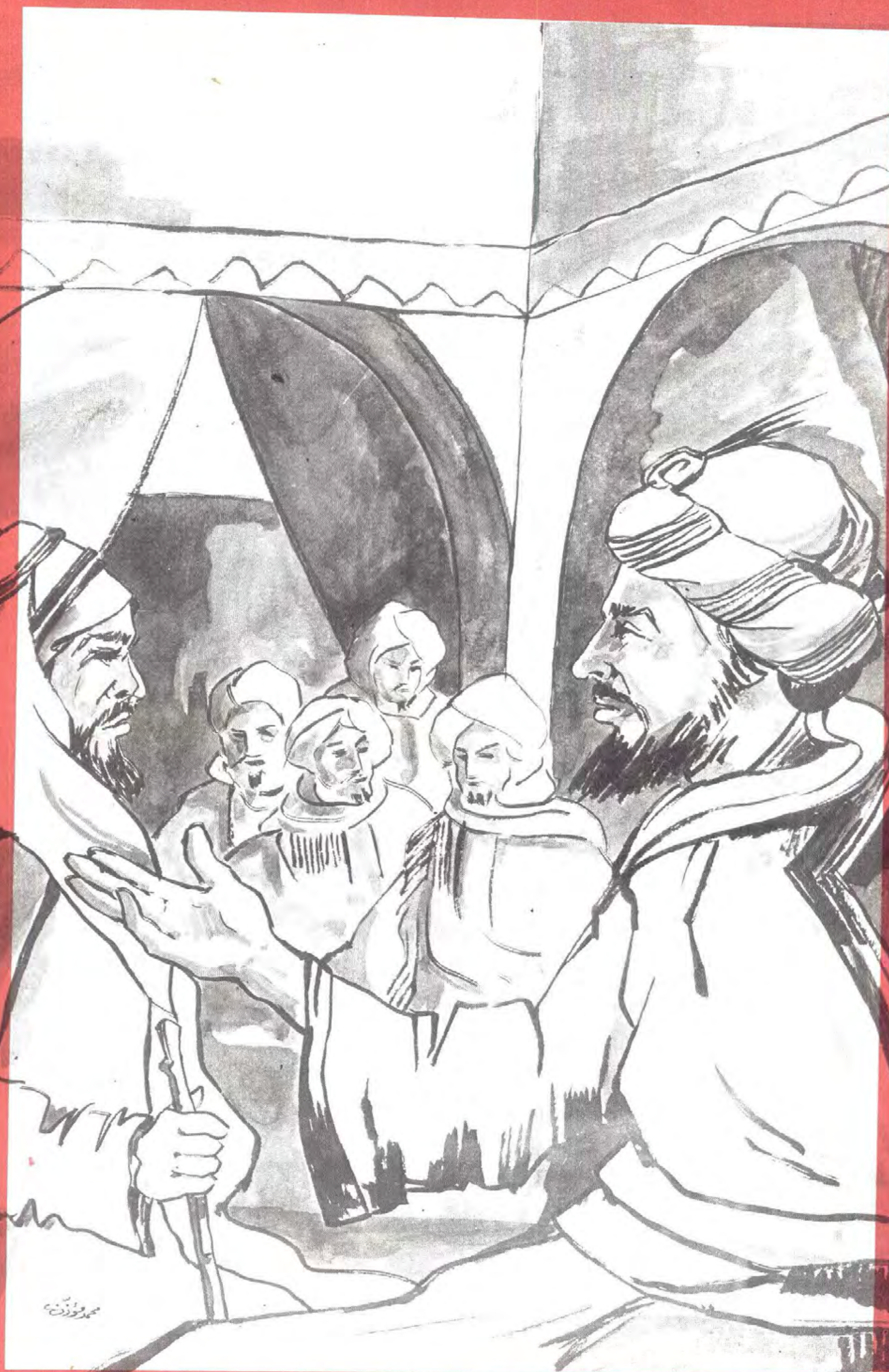
■ مواطنون سوريون امام حطام احدى طائرات العدو الاسرائيلي التي اسقطت في دمشق امس ■

جنود العدو يحاولون الفرار من القصف السوري في الجولان



■ مقاتلون مصريون في احد مواقع خط بارليف في سيناء بعد الاستيـــــلاء عليه ■

■ جنود العدو الذين أسرتهم القوات المصرية فـي سيناء ■



من قصصنا المشرق

عطاء وهشام

للأستاذ : أحمد العنانى

عاد أمير المؤمنين هشام بن الملك من مشتاه فى اطراف الأردن الى مقر الخلافة بدمشق ، وهو أشد ما يكون عزيمة على أن يسلك فى حكمه مسلكا معينا يتسم بالحزم الشـــديد ، والانضباط التام .. لقد كان استجم طويلا حتى لـــكانما بدد عن صدره أحمالا ضاغطة من الجهد والـــكبت والمعاناة .. ولقـــد أصبح الشيب يمـــلأ رأسه ، وأخاديد فى جبهته ووجهه تحمل نذير الموت صامتا ولكنه نذير رهيب لا يحتاج فى نطقـــه الى لسان ..

وشيئا فشيئا أصبح يتفهم موقف ســـلفه عمر بن عبد العزيز ، وبات يتشكك فى معارضته العنيفـــة لحكم عمر ، ويتمنى لو استمر الخـــط الذى ســـــار عليه عمر طويلا فلم ينثلم بحـــكم أخيه يزيد بن عبد الملك ثم خلال السنوات الخمس عشرة التى مضت على حكمه هو .. فالناس هم الناس اذا فتح لهم أمير او حاكم أبواب الطمع والكسب السريع لم يتوقفوا فى ذلك عند غاية ، ولم تكن لمطالبهم حدود ولا نهـــاية .. فيا ليت أن أخاه يزيد ، ويا ليته هو بعد يزيدتركا الباب الذى أقفله عمر مقفلا الى الأبد ، ولكن انى لهما ذلك وهما كانا يتزعمان دعاة فتح ذلك الباب على مصراعيه .. فالآن قد فتح كما أراد فيالله كم يتسرب خلاله من قوة الدولة ومن موازنتها وأموالها ، وبالله كم هى محتاجة الى ذلك كله الآن ، وهى تواجه قتالا مستمرا عنيفا فى المشرق وراء النهر شرقى خراسان ، كما تواجه سنوات قحط مريرة فى الشام والعراق والجزيرة ولكن لا باس .. ما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقال .. لسوف يحاول هشام بكل قواه ان يغلق ذلك الباب الذى فتح

فاستنزف اموال بيت المال ، ولو نصف اغلاق .. وليحزمن فى ذلك حزما شديدا ، وليواجهن اتهام الناس إياه بالبخل وبما شاعوا من النعوت ، فانه ليحس بوادر ضعف فى جسمه ، وأنه لموشك أن يقبل على ربه ، وان الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره ، والعاقل الكيس من عاد عن خطئه مهما بلغت مشقات العودة .



لياخذ الامور بحزم وأناة اذا ..

وليناقش هؤلاء الناس الذين يزدحمون عنده من أصحاب الحاجات وذوى المطامع والنهّازين ..

وليحرص على مال الدولة أشد الحرص ، وليســـخّر ما يدخر فى شد أزر المجاهدين فى المشرق ، وليخفف ما استطاع عن كاهل المشدودين الى ضرائب مبهظة فيما هم يعانون من بلاء القحط وغوائل السنين ..



ولكن الناس بعد طول الرضاع يصعب فطامهم عن الباطل والشر ، هذا الديوان فى كل صباح يغص بالوافدين يختلط بينهم صاحب الحق بالمبطل ، والمحتاج حقا بمدعى الحاجة ، وفيهم الذى يرفع عقيرته شاكيا من ظلامة مسته ، وهو فى حقيقة الحال ظالم سواه معتد عليه .

والشعراء لا ييأسون من نوال المكافآت ، وغيرهم يفتنون فى اختراع المطالب والحاجات ..

وذات صباح بكر فيه امير المؤمنين الى ديوانه ، وتكاثر فيه الناس خارج الديوان يلحون على الحاجب فى طلب الاذن بالدخول والحاجب حائر فيهم : هذا أموى من الأمراء أنى له ان يزجره عن الحاحه فى طلب الدخول ، وهذا من بعض أصهار أمير المؤمنين ، وذاك شاعر لا تؤمن غدرات لسانه اذا أعيد غاضبا ، وأمير المؤمنين يسير بأموره الهوينى .. يدقق فى مطالب الداخلين عليه ، ويتثبت ويناقش فما يخرج من عنده واحد ، حتى يفد الى الديوان اثنان مستجدان بدلا منه ..



والناس جلوس حين توقف حمار أسود عليه رحل من الخشب يعتليه شيخ نظيف الثوب والجبة والقلنسوه ، لكن كل ذلك من قماش رخيص مسه البلى وتمزقت منه جوانب .

وبدا شكل الشيخ واضحا فى الشارع أمام باب الديوان ونظر فتى من الامويين يرافق اباه المنتظر للاذن على أمير المؤمنين فرأى رحل الخشب على الحمار الاسود ، وثياب راكبه المهلهلة فضحك بصوت مسموع وهو يتمتم ((وهذا أيضا ينشد الاذن على أمير المؤمنين ؟)) ونظرت عيون على أعناق متطاولة من جوانب المجلس الى الفتى وفيها استنكار لســـلوكه واستهجان .. وتطلع الفتى الى أبيه فاذا هو ينظر اليه شزرا نظرة كلها

السخط والغيظ .. ثم همس له : « ويحك .. اتضحك من رجل هو اكرم عند المسلمين من عمك امير المؤمنين ؟ » .

وسكت الفتى وسكت ابوه وخيم على الجالسين صمت ..

وبصر الحاجب بالشـــيخ الذى وفد فعرفه فاسرع الخطى نحو امير المؤمنين ورد الشيخ التحية بوقار وصمت ، ونظر الفتى الاموى فى وجهه فاحس بهيبة ورهبة ، وبدا عليه انه يلوم نفسه على ما بدر منه ، وما كاد الشيخ يسترد انفاسه جالسا حتى عاد الحاجب ميمما شطره ، لم يعرج على أمير من امراء امية الجالسين ولا على سواهم من أهل الأحســـاب الرفيعة . وتقدم الحاجب بوقار وهمس فى اذن الشـــيخ قائلا : « أمير المؤمنين يدعوك ابا محمد للدخول عليه » .

—— ● ——

ونهض هشام بن عبد الملك بن مروان يستقبل الشيخ عند الباب وياخذ بيده حتى يجلسه الى جانبه ، ويهش فى وجهه ويبش ، وينشغل عن كل من عداه وما عداه وهو يسائله عن حاله وصحته ، ثم يســـاله أن يعدد له حاجاته التى جاءت به ليصار الى تنفيذها حالا ..

قال الشيخ : اى والله قد جئتك فى غير حاجة واحدة يا أمير المؤمنين فاما الاولى والأشد الحاحا ووجوبا فهى حاجة أهل الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، اهل الله وجيران رسول الله تقسم عليهم أرزاقهم وحقوقهم فى بيت المال فانك ان تمنع ذلك عن الناس حتى تتدبر أمور المال فلا يجب أن يشمل المنع هؤلاء ، فلقد علمت فضلهم وسابقتهم ، وما أصابهم على أيديكم يا بنى امية وما مسهم من قحط وضيق .. فقال هشام غير متاخر : الآن يا أبا محمد وانك لعلى حق ثم هتف بكاتب بيت المال ان اصرف لأهل مكة والمدينة حقوقهم لهذه السنة ..

قال هشام : هذه واحدة ، فما حاجتك الاخرى .. يا أبا محمد .. ؟

قال عطاء بن ابى رباح فقيه أهل الحجاز ، نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز من غير مكة والمدينة ، وأهل نجد كذلك هم أصـــل العرب وقادة الاسلام وهذه سنة مجدبة فاتركوا صدقات أغنيائهم لفقرائهم ولا تاخذوا لبيت المال هذا شيئا من زكاتهم ..

قال هشام : هذه واحدة فما حاجتك الأخرى .

قال عطاء : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل الثغور كلهم متطوعة للقتال من اجل الله يحمون ظهوركم ويردون كيد عدو الله وعدوكم يحتاجون فى مثل هذه السنة خاصة الى أرزاق تجرى عليهم ، وعون يساق لهم فلا يتبدد شىء من جهدهم فى قتال عدوهم ، قال هشام نعم .. نعم وهذه أيضا ، واكتب يا غلام بذلك الى بيت المال .. فهل من حاجة أخرى يا أبا محمد .. ؟

سكت عطاء قليلا كانما يجمع أفكاره ثم عاد ينطلق فى حديثه : « أجل يا امير المؤمنين .. لقد يكون تناهى اليك ما تسامعه الناس عن اهل الذمة .. وقد يكون حجبه هؤلاء الناس عنك .. ان هذا الدين لا يتعامل مع غير المسلمين ممن يقيمون فى ديار الاسلام بهوى احد من الناس .. أهل الذمة يا امير المؤمنين لا يجوز ان يكلفوا ما لا يطيقون فان المال الذى تجمعونه منهم عون لكم على عدوكم ، وعليـــكم فى مقابل ذلك أن تدفعـــوا عنهم من الشر ما تدفعونه عن انفسكم ، فقال هشام : اليوم يا ابا محمد سانظر فى هذا

الأمر ، وساكتب لسائر الولاة والعمال أمرا برفع كل ارهاق قد يكون أصاب أهل الذمة .

وسكت هشام قليلا ثم عاد الى بشاشته فى وجه الشيخ وقال : هـــل من حاجة أخرى أبا محمد .. ؟

وسكت هذه المرة عطاء بن أبى رباح ، وراح يحدق فيما حواليه وينظر فى حاشية هشام وخدمه نظرة ذات معنى ثم قال فى خشوع ومســـئولية ووقار : نعم يا أمير المؤمنين اتق الله فى نفسه ، فانك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ، ولا والله ما معك مما ترى من هؤلاء الناس أحدا ..

وحدق الشيخ فى وجه هشام ثم أدار عينيه يستعرض الجالسين فما من أحد منهم الا ويتمنى لو انصرفت عنه عينا الشـــــيخ ، فكانما كانت نظراته سهاما تخترق أعماق ضمائرهم فترتعد لذلك فرائصهم ..

وأما هشام فاطرق طويلا طويلا وكانما اتصل ما بينه وبين نفسه حين يراجعها ليلا فى أطراف الاردن وعيناه مسمرتان الى أديم الفلك الصافى مرصعا سواده بنجوم كانها أعين شاخصات اليه بالعتاب على ما فرط فى جنب الله ..

وحين رفع هشام رأسه ليسائل عطاء عن حاجة أخرى كانت الدموع تملأ وجهه الذى بدا كتمثال متخشب .. وعبثا حاول أن يتكلم ، ولم يعجبه من نفسه أن يضعف ذلك الضعف أمام الناس فاطرق يتشاغل بنكث البساط بعصا صغيرة كانت فى يده ..

ونهض الشيخ فحيا مودعا ، ورد عليه هشام التحية وهو كانما يحيا فى موكب جنازة لحبيب راحل ..

وحين خرج الشيخ رفع هشام رأسه والدموع ملء وجهه ، وأدرك تفاصيل ما جرى فى لحظات غيبوبته ..

الشيخ الوقور شملت طلباته سكان مكة والمدينة ، والحجاز ونجد ، وأهل الثغور وأهل الذمة ، ولـــكنه لم يطلب شيئا لنفســـــه يا للخجل ، ويا للتقصير .. !

ويا له من تفريط فى حق فقيه الحجاز الجليل ..

وهتف : أسرع يا غلام بهذا الكيس من المال .. أسرع وأدرك الشيخ ، وفى هدوء ناوله هذا الكيس مع سلامنا واعتذارنا ..

— ● —

كان الحمار الاسود ذو الرحل الخشبى قد ابتعد بالرجل الذى امتلأت روحه بكنوز التقوى باكثر مما بدا فى حاله وملابســـه من الفقر .. كان قد ابتعد عن الديوان مسرعا ..

وحين أدركه الغلام وهو يركض ويلهث حمد الله على توفيقه وهتف بالشيخ : يا أبا محمد .. نفسى فداؤك انتظر يا أبا محمد ..

توقف الشيخ قليلا والتفت نحو الفتى متسائلا : ماذا تريد يا غلام .. ؟

قال الغلام : أمير المؤمنين أمر لك بهذا الكيس ..

وابتسم عطاء وهو يامر الولد باعادة ذلك لأمير المؤمنين ويقول لو كانت قطرة ماء ما شربتها .. فما يكون لى من أجر على ما جئت له الا من رب العالمين ..

الحرب النفسية

الحرب النفسية من اخطر الاسلحة التى تستخدم فى الحروب لاضعاف الثقة فى نفوس المقاتلين ولاشاعة البلبلة واذاعة القلق والاضـــــطراب فى صفوف من خلفهم من أممهم وشعوبهم ، وقد أصبحت الحرب النفسية فى عصرنا الحاضر علما كبيرا يتوفر على دراسته متخصصون كبار فى علم النفس والاجتماع وترصد له الأموال الطائلة التى تخصص لميزانية الحروب .

والقرآن الكريم تناول هذا السلاح الخطر ووضح المنهج الذى يجب على المؤمن أن ينتهجه فى مواجهة الشائعات واخبار المعارك الحربية التى تصدر عن الأعداء والتى يرددها الناس دون تحر للحقائق أو تبصر بها .

ان القرآن الكريم عاب سلوك مرددى الاشاعات ومروجى الفتن فقال : **« واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الأمر منهم لعلمه الذى يستنبطونه منهم »** .

ان المؤمن الواعى لا يأخذ أنباء المعارك من بيانات العدو ولا من صحف العدو ولا من اذاعات العدو ولا من أفواه السذج والجهلة ، وانما يأخذها من قادة الأمة ومن المصادر الرسمية الموثوق بها .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يردد المسلم كل ما يسمع دون أن يتبين الحقيقة منمصدرها الذ ىيطمئن اليه ويثق به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » .

فى غزوة أحد نادى أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم أبو بكر ؟ أفى القوم ابن الخطاب . فلما لم يجبه احد ظن انهم قتلوا ، وانطلق يقول لأصحابه : قتلوا قد كفيتموهم ، ولو صدق المسلمون هذه الشائعات وسكتوا عليها لكان لها أخطر الأثر فى معنويات المسلمين ولكن عمر تصدى له وقال : ان الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ، وبهذا وأد عمر الشائعة فى مهدها ، وفوت على مروجها هدفه وقصده .

اننا يجب أن نعى وندرك أن العدو كذاب وانه لا تهمه الحقيقة بقدر ما يهمه اثارة الشكوك .. واجبنا أنتصدى للحرب النفسية التى يشنها الأعداء حتى نفوت غرضهم ، ونثبت فى مواقعنا ، ونمضى فى جهادنا والله معنا .

ان اسرائيل الخبيثة التى عاشت على الغدر والخيانة تسعى بكل طاقاتها ، وتلجأ الى كل أساليب المكر والدهاء لبث الشائعات بيننا لتشكيكنا فى قدرتنا وتوهين قوتنا واثارة الفتن فى صفوفنا ، وادعاء انتصارات وهمية لهم .. فلنكن على حذر مما يبيتون : **« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم »** .

اخبار العالم الاسلامي

اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكويت :

● صرح امير البلاد المعظم سمو الشيخ صباح السالم الصباح بأن الكويت ستستخدم كل الاسلحة من اجل صد العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض المغتصبة ، وتشجب الدعم الامريكى لاسرائيل .

● عقد مجلس الأمة جلسة غير عادية لبحث دعم معركة التحرير العربية .. استمع فيها الى خطاب هام لسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح .. حيا فيه جنودنا الابطال على جبهة القتال ، كما حيا قوى الثورة الفلسطينية والمجاهدين من أجل تحرير الارض ، وقال سموه : ان الكويت شعورا منها بمسئولياتها والتزاماتها فى معركة المصير قد حشدت كل طاقاتها للاسهام فى معركة الشرف والخلود .

ثم القى سعادة رئيس المجلس كلمة جاء فيها : اننا اليوم فى قلب المعركة وهى تواكب فى توقيت الزمان شهر رمضان ووقائع معركة بدر الكبرى التى جعلها الله التجربة العملية الاولى للجهاد المسلح فى سبيله . ثم قال : ان الكويت لم ولن تدخر وسعا فى القيام بواجبها كاملا وحاسما فى المعركة بتوجيهات من صاحب السمو امير البلاد المعظم، وسمو ولى العهد .

وقد وافق المجلس على تخصيص مائة مليون دينار من الاحتياطى العام للدولة لدعم معركة التحرير العربية .

● زار الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية والدفاع القاهرة ، واطمأن على سير المعارك والوضع هناك . كما زار الجبهة السورية اللواء مبارك الصباح رئيس الاركان واطلع على سير المعارك وشاهد ما أنجزته القوات العربية من تقدم على طريق التحرير والنصر .



● تابعت الكويت باهتمام بالغ تطورات المعركة .. فمجلس الوزراء فى حالة انعقاد مستمر وراديو وتليفزيون الكويت يتابع اذاعة انباء المعركة وعرض صور لمنجزات جيش التحرير العربى .



● حذرت الكويت الولايات المتحدة من التورط عسكريا فى الشرق الاوسط ودعت الى عقد مؤتمر للدول العربية المنتجة للبترول فى الكويت لاستخدام البترول العربى كسلاح فى المعركة .

● نشطت اللجان الشعبية والهيئات الرسمية لجمع التبرعات المالية من المواطنين من أجل دعم النضال العربى .. وقد تنافس المواطنون فى التبرع للمجهود الحربى .. وتبرع كل موظف براتب شهر .

● أقبل المواطنون بأعداد هائلة على بنك الدم للتبرع بدمائهم من اجل انقاذ حياة ضحايا العدوان الصهيونى من عسكريين ومدنيين .

● اجتمع فى الكويت يوم ١٠/١٧ المجلس الوزارى لمنظمة الدول المصدرة للنفط وأعلن عقب انتهاء جلسات المجلس عن اتفاق الوزراء على تخفيض انتاج النفط بمعدل ٥٪ شهريا عن الدول المساندة والمؤيدة للعدوان الاسرائيلى وذلك حتى تغير هذه الدول سياستها أو يتم جلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية المحتلة .. ويتعهد القرار بمراعاة الدول الصديقة والمساندة للحق العربى ومدها بالبترول .

هذا وقد قررت دول النفط الست فى منطقة الخليج زيادة أسعار نفطها الخام فى الاسواق بمقدار ١٧٪ .

القاهرة :

● بدأت حرب التحرير العربية للأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ م يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م .

● عقد مجلس الشعب جلسة استثنائية استمع فيها الى خطاب هام للرئيس أنور السادات .. شرح فيه تطورات الموقف فى الشرق الاوسط .. وقال : ان صواريخنا عابرة سيناء مستعدة لضرب أعماق اسرائيل ، واننا سنواصل القتال وندفع ضريبة العرق والدم حتى النصر ، وأن عبور القناة ، واجتياح خط بارليف معجزة عسكرية على أى مقياس عسكرى . وقال : ان العالم كله يتعاطف معنا ما عدا دولة واحدة هى الولايات المتحدة الامريكية ، وفى ختام الخطاب حيا سيادته الرجال الذين يحاربون فى جبهة سيناء والمرتفعات السورية وفى قلب الارض المحتلة .

● حققت القوات العسكرية المصرية انتصارات رائعة فى ميدان القتال مع العدو الصهيونى فاجتازت القنال الى ضفتها الشرقية واقتحمت خط بارليف وأخذت تتقدم داخل سيناء تطارد فلول الاعداء وهى تردد : « الله أكبر .. الارض أرضنا » .

● افتتح الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الاوقاف نيابة عن الرئيس أنور السادات مسجد المغفور له الشيخ خالد العبد الله السالم الصباح بشارع الهرم بمحافظة الجيزة . وقد حضر الافتتاح نائب رئيس جمهورية مصر العربية السيد حسين الشافعى والشيخ جابر العلى السالم الصباح وبعض أعضاء الجالية الكويتية .



سورية :

● أعلن الرئيس حافظ الاسد فى خطابه بالاذاعة أن القوات السورية حررت عدة مواقع فى جبل الشيخ والقنيطرة وغيرها فى الايام الاربعة الاولى من القتال وأشاد ببطولة الجيش السورى وبدور القوات العراقية والمغربية .

● تخوض القوات السورية قتالا عنيفا ضد قوات الاحتلال الاسرائيلى، وتكبده خسائر فادحة فى الافراد والمعدات وترغمه على التراجع والتقهقر .

● تسقط سورية الطائرات المغيرة على دمشق وبعض المدن السورية الاخرى والتى أخذت تقصف المواطنين بصورة وحشية بعد أن فشلت فى ميدان القتال وقد أسرت سوريا العديد من الطيارين الاسرائيليين .. ووجد أحدهم مشدودا بالسلاسل حتى لا يهبط بالمظلة أمام الخطر .

● تدفقت القوات العراقية والكويتية والمغربية والسعودية والاردنية على الجبهة السورية للوقوف بجانب اخوانهم السوريين فى وجه العدو الاسرائيلى .

السعودية :

● تبرع جلالة الملك فيصل بمبالغ كبيرة دعما لسوريا فى نضالها ضد قوى البغى والشر .

● تقف القوات السعودية بجانب القوات العربية المتمركزة على جبهة القتال فى هضبة الجولان لصد العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض .

العراق :

● دعمت العراق الجبهة السورية بستة عشر الف مقاتل عراقى ومائة دبابة .. وتدخل طيرانها فى المعركة لصد غارات العدو واسقاط طائراته وما زالت تواصل دعم قواتها بالجبهة .

ليبيا :

● وضعت ليبيا بترولها لتمويل المعركة وأمدت الجبهتين المصرية والسورية بما يلزمها من بترول .

● قررت ليبيا وقف تصدير النفط الليبى بجميع مشتقاته الى الولايات المتحدة وكانت ليبيا تصدر الى الولايات المتحدة ٢٠٠ الف برميل يوميا كما قررت الحكومة الليبية تخفيض انتاجها من النفط بنسبة ٥٪

● حشدت ليبيا دباباتها وطائراتها على الجبهة المصرية لتشارك فى تحرير الارض .

● تبذل ليبيا أموالها من أجل دعم قوات التحرير العربية .. وقد اقبل المواطنون فيها على التبرع للمعركة .. وتبرع كل موظف فى ليبيا براتب شهر ..

المغرب :

● تشارك القوات المغربية فى القتال مع القوات المصرية والسورية لدحر العدوان الاسرائيلى .

● تطوع العديد من المواطنين المغاربة للمشاركة فى قتال العدو .

الجزائر :

● ساهمت الجزائر فى المعركة برجالها وعتادها وطيرانها .. وقد وضعت كل امكانياتها وطاقتها فى خدمة المعركة ..

اليمن :

تدفق المواطنون اليمنيون على التطوع للقتال بجانب القوات العربية وللمساهمة فى دحر العدوان الصهيونى وتحرير التراب العربى .

تونس :

● ساهمت تونس فى حرب التحرير بقواتها العسكرية .. وبادرت بارسال بعض جنودها الى ميدان القتال .

السودان :

● اعلن السودان ان ارضه امتداد لأرض المعركة وسماءه مفتوحة للطيران العربى .. وأنه يقف بكل ثقله مع دول المواجهة .

● شاركت السودان بقوتها العسكرية فى صد العدوان الاسرائيلى ووضعت كل امكانياتها فى خدمة المعركة .

فلسطين المحتلة :

● يقوم الفدائيون بأعمالهم البطولية ضد قوات العدو وأماكن تجمعه ومؤسساته ومطاراته .. وضرب مؤخرة قواته .. وقطع امداداتل عن جبهة القتال وقد كبدوا العدو خسائر نادحة فى المنشآت والمعدات والافراد .

الاردن :

● اشتركت بعض القوات الاردنية الخاصة للمساهمة فى القتال الدائر على هضبة الجولان والمرتفعات السورية .

ابو ظبى :

● تساهم دولة الامارات مساهمة فعالة بالمال والعتاد من أجل دعم القوات العربية حتى يتحقق النصر النهائى ان شاء الله .

قطر :

● تبرعت قطر بمبالغ مالية طائلة لدعم المجهود الحربى .

سلطنة عمان :

● قرر مجلس الوزراء فى جلسة استثنائية اقتطاع ٢٥٪ من رواتب جميع الموظفين فى السلطنة لصالح المجهود الحربى .. وقرر أيضا ارسال بعثتين طبيتين لكل من القاهرة ودمشق .

أخبار متفرقة ..

● أرسلت أوغندا جزءا من قواتها للوقوف بجانب العرب فى حربهم العادلة ضد اسرائيل وقد حذر الرئيس الاوغندى اسرائيل من مواصلة الاعتداء على الاراضى العربية ونصحها بالانسحاب قبل أن تباد عن آخرها .

● قطعت عدة دول علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل احتجاجا على عدوانها على العرب .

● قام وزراء خارجية كل من الكويت والسعودية والجزائر والمغرب باجراء مباحثات فى البيت الابيض مع الرئيس نيكسون شرحوا خلالها حقيقة الموقف فى الشرق الاوسط .. وناقشوا الدعم الامريكى المتزايد لاسرائيل .

● تطوعت ٧ منظمات للشباب المسلم فى أندونيسيا للانضمام الى الصفوف العربية للقتال ضد اسرائيل .. واستنكرت المنظمات امداد الولايات المتحدة لاسرائيل بالاسلحة .. وطالبت بوقف تلك المساعدات فورا .

● أكدت السلطات الاسبانية أن القواعد الامريكية فى البلاد لن تستخدم فى الحرب الدائرة حاليا فى الشرق الاوسط .

الفتاوى

حج المــرأة بغير زوج أو محرم

الســـــؤال :

هل يجوز للمراة ان تؤدى فريضة الحج بغير زوج أو محــرم ؟

الجـــــواب :

ذهب الحنفية والحنابلة الى انه يشترط ان يصحب المــراة فى سفر الحج زوج أو محرم ، فان لم يوجد أحدهما فلا يجب عليها الحج إذ تعد غير مستطيعة له والله تعالى يقول : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه ســبيلا)** وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : **« الا لا تحجن امراة إلا ومعها محرم »** وعنه أنه قال **« لا تسافر امراة ثلاثة أيام الا ومعها محرم أو زوج »** والسر فى ذلك أمن الفساد . وذهب الشافعية الى أنه لا بد أن يصاحبها فى سفرها للحج المفروض زوج أو محرم أو نسوة ثقات .

وذهب المالكية الى أنه لا بد فى سفرها للحج أن يصاحبها زوج أو محرم أو رفقة مأمونة ، واذا سافرت مع الرفقة المأمونة لا بد أن تكون هى أمينة فى نفسها وإلا لا تسافر معهم ، والله أعلم .

موت المحـــرم

الســـــؤال :

إذا مات المسلم وهو محرم ، فهل يغسل ويصلى عليه ام لا ؟

الجـــــواب :

يغسل من مات محرما ويكفن فى ثوبى احرامه ، ويصلى عليه صلاة الجنازة ويدفن ولا تغطى راسه بالكفن ولا يقربه طيب ، ففى الصحيح عن ابن عبـــاس : « بينا رجل واقف مع النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته (دقت عنقه) فقال النبى صلى اله عليه وســـلم : اغســـلوه بماء وسدر ، وكفنوه

فى ثوبيه ولا تحنطوه (الحنوط الطيب الذى يصنع للميت) ولا تخمروا (تغطوا) رأسه ، فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى » وفى رواية عنه ، زيادة (ولا تمسوه طيبـــا » .

وفى سنن أبى داود عن ابن عباس قال : (أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته وهو محرم فقال كفنوه فى ثوبيه واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا رأسه فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى) وفى رواية (ولا تحنطوه) وفى رواية (ولا تقربوه طيبا) .

قال أبو داود : سمعت احمد بن حنبل يقول فى هذا الحديث (أى برواياته) خمس سنن : (١) كفنوه فى ثوبيه ، أى يكفن الميت فى ثوبين . (٢) واغســـلوه بماء وسدر ، أى أن فى الغسلات كلها سدرا . (٣) ولا تخمروا رأسه . (٤) ولا تقربوه طيبـــا . (٥) وكان الكفن من جميع ما له . والله أعلم .

الاكتحـــــال فى الاحـــرام

الســــؤال :

هل يجوز للحاج أو المعتمر أن يكتحل وهو محرم ؟

الجـــــواب :

روى عن ابن عمر أنه قال : يكتحل المحرم بأى كحل شاء ، ما لم يكن فيه طيب ، قالت عائشة لامرأة سألتها : اكتحلى بأى كحل شئت غير الأثمد ، اما انه ليس بحرام ولكنه زينة ونحن نكرهه (المحلى لابن حزم) .

وعلى ذلك يجوز للمحرم استعمال القطرات والمراهم لعلاج العيون وغيرها وليس عليه شىء فى ذلك ما دام جميعها ليس طيبا ولا زينة ، والله أعلم .

فى النــكاح

السؤال :

أن والدى عقد نكاح شقيقتي البالغة من العمر ست عشرة سنة اجباريا على رجل لا ترغبه وانها تحاول قتل نفسها بكل طريقة وتقول الموت احب الى منه .

الاجابة :

مثل هذا الزواج منكر لا يجوز ولا يصح فى أصح اقوال العلماء لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تزويج النساء الا باذنهن ، واخبر أن البكر إذنها سكوتها ، ولما أخبرته صلى الله عليه وسلم جارية أن أباها زوجها وهى كارهة خيَّرها النبى صلى الله عليه وسلم بين البقاء معه او الترك ، وما اعتاده بعض البادية وغيرهم من تزويج الأبكار دون مشاورتهن فهى عادة سيئة باطلـــــة ، والغصب لا يأتى بخير بل يضر الجميع ، والذى أرى أن توسطوا اهل الخير فى فسخ هذا النكاح فإن أجدت الوساطة فذلك المطلوب ، والا فاعرضوا الموضوع على المحكمة وهى إن شاء الله تحل المشكل . وفق الله الجميع .

صـــــلاة التســـابيح

روى ابن عباس رضي الله عنهما حديثا فى صلاة التسابيح ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا ، كما أرجو افادتى عن كيفية هذه الصلاة ، وهل هى كالصلاة المعروفة ، ويزاد عليها التسابيح .

خليل ابراهيم ــ القاهرة
إمام مسجد الرحمة

هذا اولا نص الحديث :

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا عباس يا عماه الا أعطيك الا امنحك ألا احبوك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته عشر خصال أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا (عشر مرات) ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راســك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى كل سنة مرة فان لم تفعل ففى عمرك .

*** ***

ثانيــا : جاء فى شـــرح سنن أبى داود لمحمد شمس الحـــق العظيم أبادى : وفى التلخيص (كتاب لابن حجر فى تخريج الأحاديث) والحق أن طرقه كلها ضعيفة ، وان كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن الا أنه شاذ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر ، وموسى بن عبدالعزيز (الذى تفرد برواية الحديث) وان كان صادقا صالحا فلا يحتمل منه هـــذا التفرد ، وقد ضعفها ابن تيمية والمزى ، وتوقف الذهبى ، حكاه ابن عبد الهادى عنـــــه .

ثالثــا : قال ابن قدامه فى المغنى ط ٣ ص ١٣٢ جـ ٢ : سئل الامام أحمد عن صلاة التسابيح ، فقال : ما تعجبنى ، قيل له : لم ؟ قال : ليس فيها شيء يصح ، ونفض يده كالمنكر . ؟

لغـــة القرآن

حول مقال اللواء الركن محمود شيت خطاب ، لغـــة القرآن الكريم ، والمنشور فى العدد ١٠٤ نقول : ان المسألة حول المؤتمر الذى عقد فى برمانا

بلبنان من أجل استخدام اللغة العامية كأداة للاستعمال والتعبير ، تحت دعوى تبسيط اللغة الفصحى وتقريبها للألسنة والأذهان مسألة لا تحتاج الى ريبة وشك ، بل هى مسألة يقين ، ولا يمكن أن تحمل على النية الحسنة والرغبة الصادقة فى خدمة اللغة العربية ، والا فاننا ان أخذنا المسألة على هذه المحمل نكون قد هدمنا ديننا بأيدينا ، وساعدنا المتآمرين على تحقيق هدفهم الخبيث الذى ينشدونه ويسعون اليه ، وان كل داعية الى اللهجة العامية بطريق مباشر أو غير مباشر ، يعتبر عدوا للقرآن الكريم ، ويعتبر من العاملين على هدم اللغة العربية والتراث العربى الأصيل .

ولقد دأب الاستعمار والصهيونية فى القرن الماضى ولا يزال على محاربة اللغة الفصحى وعلى هدم القرآن الكريم ، ونزعه من الصدور التى حفظته ووعته ، وانه ليعلم أن تحطيم اللغة العربية يتبعها ضياع القرآن الكريم ، ولقد أيقن أن هذه الطريقة هى أسلم الطرق ولكى يستطيع أن يجد آذانا صاغية وأن يجد من يعينه على تنفيذ مخططاته ، فانه يقوم بتغليف دعوته الهدامة بما يجملها ، فيأتى ليقول على السنة دعاته أنه يريد تبسيط اللغة العربية وتقريب مناهجها ، وهو يفتح من وراء هذه خزائنه ليمدها بالمال لتجد وسط الغافلين طريقا ، وانه لمما يحزن ويؤلم أن الكثير من المثقفين لا زالت هذه الأساليب تنطلى عليه ، ولا تزال الغشاوة على عينيه ، ولا زالوا يتقبلون هذه الأمور بنية حسنة فيما رسمته الصهيونية وخططه الاستعمار .

إن أى مسلم غيور على دينه ، وأى عربى حريص على لغته يجب عليه الا يعرف الوسط فى هذه الأمور ، وأن يعتبرها شرا يراد به لغته ودينه ، وعليه أن يعلن رفضه لها فان فيها السم المناقع والخراب الأكيد .

وكل هذه الدعوات ستؤول الى الفشل ان شاء اللــه ، ما دام الوعى منتشرا بين أبناء العالم الاسلامى لأمثال هذه الدعوات التى تتبناها الصهيونية ، ولقد تكفل الله سبحانه بحفظ دينه وكتابه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

خليل محارب السويركى

ثمن المجلة

يسرنى أن أبدى رأيى كأحد المواطنين المسلمين أولا والعرب ثانيا عن المجلة العربية الغراء (الوعى الاسلامى) مبديا رأيى فيما تعرضه هذه المجلة القيمة من موضوعات شيقة وأبواب رفيعة الأدب .

فثمن المجلة الزهيد يشجع المسلمين فى البلاد العربية على تداولها وقراءتها والمحافظة على اقتنائها شهريا دون تكلف أو عسر قد يدفعهم الى الاهمال فى شرائها وان ثمنها الزهيد مقابل ما حوته تلك المجلة الغراء من موضوعات خلابة ليعد كرمز بسيط دفعنى لأن أقول ان المسئولين عن هذه المجلة الغراء يقدمونها كهدية للناطقين بالضاد وكعمل كبير لتعليم الناس أمور دينهم وتغذيتهم بالقرآن والسنة والموضوعات الدينية التى تبعث فيهم القيمة الروحية وتبصرهم بأمور دنياهم ودينهم وتحثهم على الاجتهاد والجهاد لاعلاء كلمة الله . وآمل أن يظل سعرها الزهيد كما هو على مر السنين ليستطيع الفقراء من المسلمين العارفين منهم بأمور دينهم شراءها ولا يحرمون من عظيم فائدتها كما تبصر غير العارفين بتلك الأمور الجليلة .

عبد الفتاح صابر اسماعيل

بأقلام القراء

واعدوا لهم ما استطعم من قوة

أمر يوجهه ربنا تبارك وتعالى الى المؤمنين فى كل زمان ومكان يحدد فيه مستوى الاعداد وهدفه وجزاءه .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

والاعداد هنا شامل موجه الى الأمة كلها رجالها ونسائها .. شبابها وشيوخها .. والنفير العام واضح فى قوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

دفاعا عن حق مغتصب : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .. حق اخواننا فى فلسطين الذين تواطأت الدول الكبرى على اخراجهم من أرضهم ..

ومن هنا كانت قداسة المعركة .. لأنها معركة حق .. قداسة جمعت حولها قلوب العرب والمسلمين والاحرار في كل مكان فى العالم — وأشارت فى وضوح — الى أعداء الانسانية والحرية .

والأمر فى الاعداد — الى جانب شموله — داع الى بذل أقصى الجهد الذى تقرر عليه الأمة .. وهذا قوله تعالى : « ما استطعتم » .

وهذه الجهود تتجه الى كل طاقات الأمة المادية والمعنوية : قوة النفس ، قوة الخلق قوة السلاح بريا وبحريا وجويا قوة التنظيم الشعبى . أجهزة الحرب النفسية .. كل ما تتقوى به الأمة على أعدائها .

ثم يخصص ربنا بعد هذا التعميم فيقول ومن رباط الخيل .. ذلك لأن

الخيل وقت نزول القرآن كانت تمثل أقوى قوة ضاربة .. وكانت من أهم المقاييس لمعرفة قوة الجيش .. والتطور فى عدد الخيل فى جيش النبى عليه الصلاة والسلام ما بين غزوة بدر وغزوة تبوك يعطينا صورة واضحة لهذا السلاح ..

ففى غزوة بدر – فى العام الثانى من الهجرة – كان عدد الخيل اثنين والابل سبعين . وكان عدد المحاربين ٣٠٥ ..

وتدعم قاعدة الاسلام فى المدينة قوتها العسكرية .. وبخاصة من رباط الخيل فاذا كنا فى العام التاسع من الهجرة وفى غزوة تبوك وجدنا مجموع عدد المحاربين يرتفع الى ثلاثين الفا وعدد الخيل الى عشرة آلاف .

هذه القوة عندما وصلت الى مشارف دولة الروم وأقامت فى تبوك بضع عشرة ليلة لم يحاول الروم الاشتباك معها ، بل آثروا الانسحاب بجيشهم الذى كانوا وجهوه الى الحدود ليحتمى داخل بلاد الشام وحصونها .. وكان انسحابهم قبل وصول جيش المسلمين ..

انسحاب الروم اذن كان راجعا الى قوة الاعداد .. الى التطور الضخم الذى حدث فى جيش الاسلام ما بين غزوتى بدر وتبوك فى مدى سبعة أعوام .. وهى القوة التى أدت فى العام الثامن من الهجرة – أى قبل تبوك – الى فتح مكةولمتحدث الا اشتباكات محدودة جدا فى أثناء دخول جيش خالد ..

المستوى :

يقودنا هذا الى المستوى الذى تتطلبه منا الآية الكريمة .. مستوى الاعداد القادر على ردع الخصم .. ويبدو هذا فى قول ربنا « ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

الآية تحدد هذه العداوات : فمنها قسم ظاهر « عدو الله وعدوكم » وقسم خفى « وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

هؤلاء الذين يقفون ضد الحق هم أعداء الله وأعداؤنا .. وجهادهم فرض علينا يلتقى عنده ديننا ودنيانا .

ومستوى الاعداد – كما يبدو من الآية – ينبغى أن يكون قادرا على « ارهاب الخصم » . والعلم فى عالمنا المعاصر من أهم أسلحة المعركة .. وهو يدعم ويثبت ايماننا العميق بحقنا .. ايمانا واعيا مبصرا يتحول الى طاقة عملية منتجة .

وهذا المستوى ينبغى – بعد هذا – أن يتوفر فيه معامل آمان ..

أى أن التفوق فيه ـ بحكم الآية ـ يصل الى ارهاب الخصم الظـــاهر والخصم الخفى الذى لا نعرفه سواء فى ديارنا أم فى خارجها .

فى عصر الطائرات والصواريخ والاستخدام العلمى للحرب النفسية بكل أجهزتها .. والتنسيق الدقيق بين الجبهة والقاعدة .. والنفس الطويل فى الحرب تتنوع المداخل التى يحاول بها الخصم توهين قوتنا ماديا ونفسيا .. بالضغط الاقتصادى .. بالدعاية .. بامتحان الصبر الطويل ـ لتماسكنا الداخلى .. بالتشكيك فى قوتنا .. بالحرب الموجهة الى القيادة .. سلسلة لا تنتهى من الاسلحة يستخدمها ويحاول استخدامها أعداؤنا .. وعلينا أن نؤكد ـ ما استطعنا ـ قوتنا وثباتنا وتفوقنا فيما نستطيع التفوق فيه من اعداد يمكن أن يوقف عدونا عند حده .

الجزاء :

ويدعونا ربنا الى أن يبـــذل كل منا فى المعـــركة .. وان جزاء ذلك ســـــيعود اليه « وما تنفقوا من شىء فى ســـــبيل الله يوف اليـــكم وأنتم لا تظلمون » .

وما تنفقوا من شىء .. أى شىء صغر أو كبر ..

الاخوة والأخوات الذين تبرعوا بدمائهم .. اسطوانات الدم الطاهر التى جاءت بالطائرات من أبنائنا فى الخارج ..

أخواتنا الصغيرات صاحبات الأيدى المبصرة اللاتى تبرعن بدمائهن ثم بعمل أدوات للتمريض تصلح للميدان .

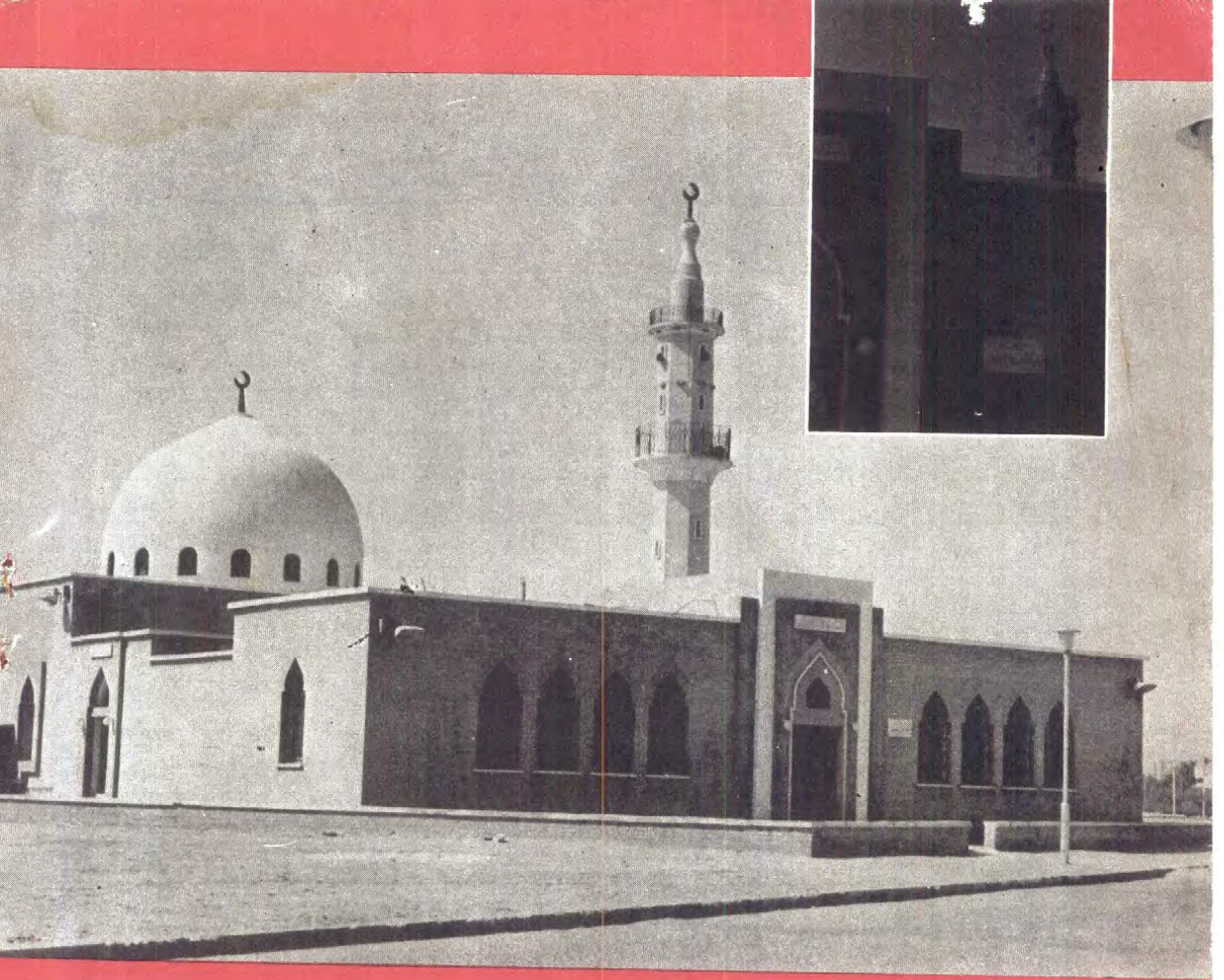
أخواتنا اللاتى رأين المعركة بنور القلب .. فكانت قلوبهن اشراقة وفيض رحمة .

ابناء هذه الأمة المجاهدة وبناتها وعمالها وفلاحوها ومثقفوها وأصحاب المهن الحرة الأحرار .. الذين خرجوا عن بعض ما لهم طيبة بذلك نفوسهم .. الذين عاهدوا ربهم على زيادة الانتاج فى هذه المرحلة الدقيقة .

ماذا ما تحقق للأمة ذلك كله استحقت نصر الله الذى ســـــجله فى خواتيم الآية « وأنتم لا تظلمون » . ونستطيع أن نفهمها بآثارها فى الدنيـــا والآخرة ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال ١٣٩٣	اكتوبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٢٧	٤ ٢٨	٥ ٥٧	١١ ٣٢	٢ ٤٢	٥ ٦	٦ ٢٥	١١ ٢١	١٢ ٥٠	٦ ٢٥	٩ ٣٦	١ ١٩
الأحد	٢	٢٨	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢٢	٥١	٢٦	٣٦	١٩
الاثنين	٣	٢٩	٢٩	٥٨	٣٢	٤١	٥	٢٤	٢٤	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الثلاثاء	٤	٣٠	٢٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٣	٢٥	٥٤	٢٧	٣٧	١٩
الأربعاء	٥	٣١	٣٠	٥٩	٣٢	٤٠	٣	٢٣	٢٧	٥٦	٢٨	٣٧	١٩
الخميس	٦	نوفمبر	٣١	٦ ٠٠	٣١	٣٩	٢	٢٢	٢٩	٥٨	٢٩	٣٧	١٩
الجمعة	٧	٢	٣١	١	٣١	٣٩	١	٢١	٣١	١ ٠٠	٣٠	٣٨	١٩
السبت	٨	٣	٣٢	٢	٣١	٣٨	٠٠	٢٠	٣٣	٢	٣١	٣٨	١٩
الأحد	٩	٤	٣٣	٢	٣١	٣٧	٤ ٥٩	١٩	٣٤	٣	٣٢	٣٨	١٩
الاثنين	١٠	٥	٣٣	٣	٣١	٣٦	٥٨	١٩	٣٥	٥	٣٣	٣٨	٢٠
الثلاثاء	١١	٦	٣٤	٤	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الأربعاء	١٢	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٥٧	١٨	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الخميس	١٣	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٧	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الجمعة	١٤	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
السبت	١٥	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
الأحد	١٦	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الاثنين	١٧	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الثلاثاء	١٨	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الأربعاء	١٩	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الخميس	٢٠	١٥	٣٩	١٠	٣١	٣١	٥٢	١٣	٤٧	١٨	٣٩	٤٠	٢١
الجمعة	٢١	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
السبت	٢٢	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الأحد	٢٣	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الاثنين	٢٤	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الثلاثاء	٢٥	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢١
الأربعاء	٢٦	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الخميس	٢٧	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٣٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الجمعة	٢٨	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
السبت	٢٩	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الأحد	٣٠	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢



عثمـــان بن مظعون

اسمـــــه : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهيب بن حذافة الجمحى .

اســـلامه : أسلم بعد (١٣) رجلا .. وهاجـــر الى الحبشة هو وابنـــه الساهب الهجرة الأولى فى جماعة . ولمـــا بلغهم أن قريشـــا أسلمت رجعوا فدخل عثمان فى جوار الوليد بن المغيرة ، ثم رد جواره وأعلن رضاه بما عليـــه النبى صلى اللـــه عليه وسلـــم وصحبـــه .

وفاتـــه : توفى بعد شهوده بدرا فى السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيـــع منهـــم . وقبله النبى وهو ميت .. ولما توفى ابراهيم ابن النبى صلـــى الله عليه وسلم قال : « الحق بسلفنـــا الصالـــح عثمان بن مظعـــون » .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

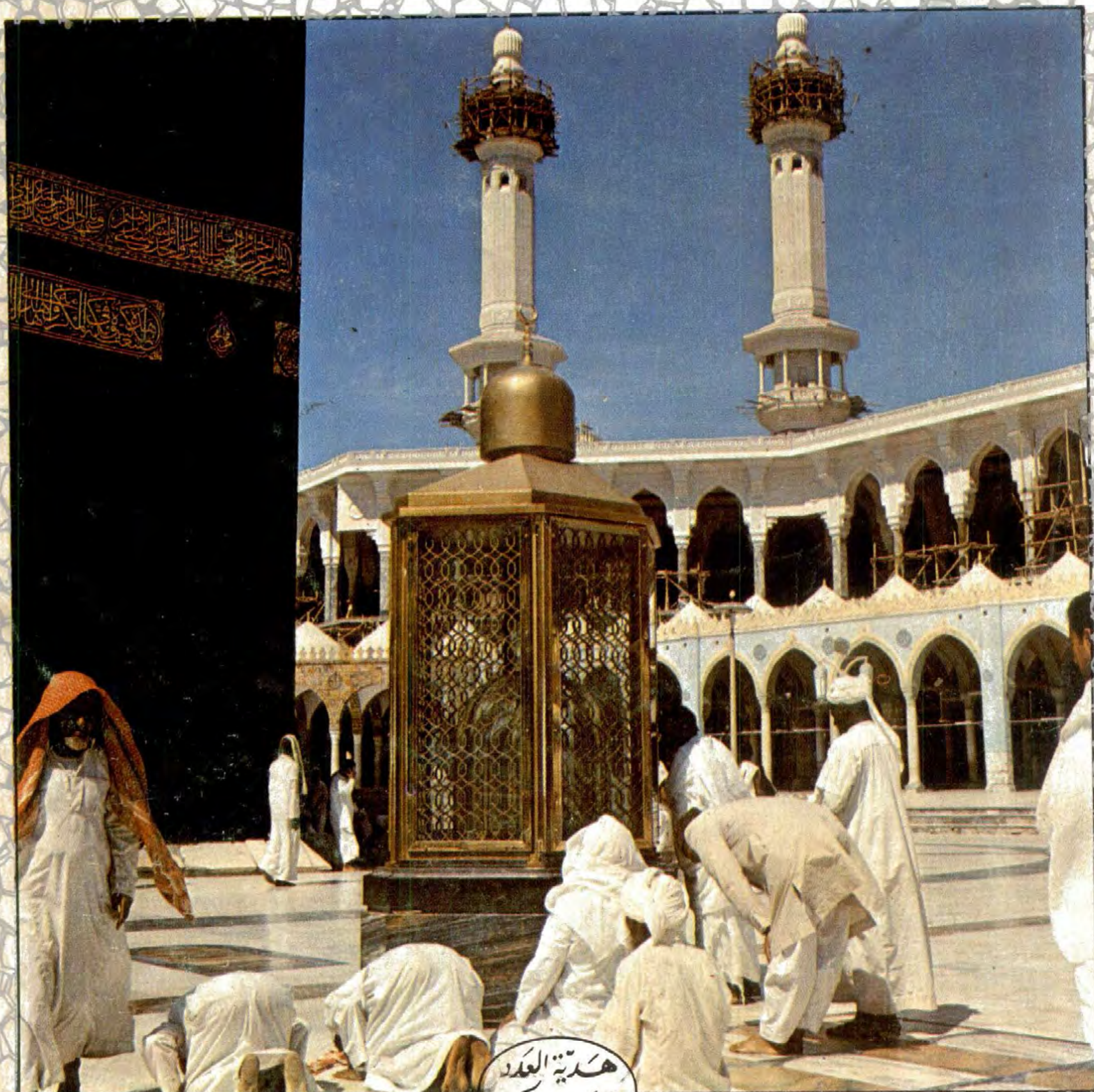
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد ١٠٧ ـ غرة ذى القعدة ١٣٩٣ هـ ـ نوفمبر ١٩٧٣ م



إنّ اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل اللّه فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً...

محمد مؤذن



مقام ابراهيم بعد تعديله ..

تصوير : مجلة العربى

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العدد (١٠٧)

نوفمبر ١٩٧٣ م

غـــرة ذى القعـــدة ٣ ٩ ه

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســــياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شـــــهر عـــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشــــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية
صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

سمو أمير البلاد

يتفضل بافتتاح دور الانعقاد العادي الرابع للفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة

« تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة ، فى السادس من شوال سنة ١٣٩٣ .. وبعد أن أخذ سموه حفظه الله مكانه فوق المنصة تفضل وطلب من الحضور الوقوف لقراءة الفاتحة ترحما على أرواح شهدائنا الابطال على جبهات القتال .. ثم تفضل سموه وألقى نطقا ساميا فتح به دور الانعقاد الرابع ، وفيما يلى نصه » :

باسم الله العلى القدير . وبعونه تعالى وتأييده . نفتتح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة . .

حضرات الأعضاء المحترمين .

نحتفل بافتتاح هذه الدورة وامتنا العربية المجيدة تجتاز أهم فترة تاريخية مصيرية تعتصم فيها بمبادىء العدل والحق والحرية وتعتز بكفاح أبنائها ونضالهم البطولى فى معركة الشرف والخلود .

ولقد سرنى أن مجلسكم قد قام بواجبه الوطنى فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ وطننا العربى وتعاون مع الحكومة فى مواجهة ما يمر به الوطن من أحداث كبيرة .

وانى لأود أن يظل التعاون موصولا من أجل خير البلاد ، وأن تسود روح الألفة والمودة جميع أعمالكم توطيدا للديمقراطية السليمة وتحقيقا للمصلحة العامة .

والله تعالى أسأل أن يلهمنا جميعا الصواب فى كافة أعمالنا وأن يوفقنا لتحقيق ما نبتغيه لوطننا العزيز وأمتنا العربية من عزة ومجد وازدهار .





حضرة صاحب السمو أمير البلاد يلقى النطق السـامى مفتتحـا دور الانعقاد الرابع لمجلس الامة .



صاحب السمو الامير المفدى ورئيس مجلس الامة ولجنة الاستقبـال أمام مجلس الامة أثناء عزف السلام الاميرى

المعركة لم تنته بعد!

القى سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية فى الاذاعة الكويتية بمناسبة عيد الفطر المبارك وقد حيا فيها جنودنا الابطال الذين يقفون على خط النار ، وأكد على ضرورة المحافظة على وحدة الامة واستمرار الدعم للمجهود الحربى لان مسئولية تحرير الارض المحتلة هى مسئولية الامة كلها وان المعركة لم تنته بعد واشاد بالدول الافريقية التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالعدو .

ايها الأخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أنتهز فرصة حلول عيد الفطر المجيد ، فأتحدث اليكم بهذه المناسبة الكريمة التى يمجدها المسلمون فى شتى أقطار العالم . والعيد يوم مشهود من أيامنا ومظهر عتيد من مظاهر شعائرنا الاسلامية ، وحضارتنا العربية ، تفضل الله به على الأمة وامتن فيه علينا لنستشعر نعمة الله بعد أن صمنا شهر رمضان المبارك وأدينا واجب عبادة قد فرضها الله علينا تزكية لنفوسنا ، وتعميقا للايمان فى قلوبنا .

وتأتى هذه المناسبة الكريمة فى وقت تخوض فيه الأمة العربية معركة الشرف والكرامة ضد عدو غاصب مستهتر ، تدعمه دول باغية وتمده بكل طاقاتها المادية والبشرية .. وقد استبسل الجندى العربى فى المعركة وقاتل بشجاعة وصبر وضحى بروحه ودمه دفاعا عن شرف الأمة العربية وعزتها وكرامتها . وقد شهد العدو بشجاعة جنودنا ومناضلينا الأبطال حيث أبلو بلاء حسنا فى سبيل الله وصدق الله اذ يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

واليوم لا يطيب لنا ان نحتفل بالعيد ، ولا ان نزهو بالجديد ما دام العدو يحتل أرضنا ، ويعتدى على مقدساتنا دون احترام للأديان ولا تقدير لحقوق الانسان بل يجب أن نحول احتفالاتنا الى دعم للمجهود الحربى وتأييد للنضال العربى ، فالمعركة لم تنته بعد والطريق بيننا وبين العدو طويل وشاق ويحتاج منا التعاون والتضامن والتساند . واعلموا ان المعركة التى تخوضها مصر وسوريا هى معركتنا جميعا ، واحتلال شبر واحد منها يقع وزره على عاتق المجموع حتى يسترد ، فجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ولا تبخلوا بكل عزيز لديكم تحرير وطنكم ومقدساتكم فإن القدس تناديكم وتستغيث بكم « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله » .

ولا بأس باخراج الزكاة والصدقات والهبات والوصايا للمجهود الحربى ، كما لا تنسوا فى هذا اليوم العناية بأمر أرحامكم وجيرانكم وما حولكم من الفقراء والمحتاجين والمساكين فان لهم حقا عليكم .

والعيد يذكرنا بمبدأ من مبادىء الاسلام العظيمة وقاعدة من قواعده الجليلة الا وهى وحدة الأمة وتضامنها ووحدة الكلمة ووحدة النضال . فهم سواء فى السراء والضراء ، فعلى المسلمين ان يتمسكوا برباط الاخوة والايمان ، ومن الواجب عليهم أن يقفوا مع اخوانهم فى وجه اعدائهم فمهما تباعدت ديارهم واختلفت الوانهم فهم اخوة فى الاسلام .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أنوه بموقف الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل بعد أن تبين لها زيف الدعاية الصهيونية . كما أهيب بالدول الأخرى وخاصة التى تضم أكثرية من المسلمين أن تبادر الى قطع علاقاتها باسرائيل وتأييد الحق العربى الذى ينبع من المواثيق الدولية والعلاقات الأخوية فان فى ذلك أقل مشاركة من المسلم لأخيه المسلم .

وفى الختام أوجه تحيتى الى الجنود والضباط والمناضلين الذين يرابطون فى ثغورهم يتلقون الرصاص فى صدورهم نصرهم الله وأيدهم بروح من عنده « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

كما أتوجه الى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الخالصة سائلا المولى عز وجل أن يعيده علينا وعلى الأمة العربية والشعوب الاسلامية بالعز والنصر والبركات .

والسلام عليكم .

بسم الله الرحمن الرحيم



اقتحمنا العقبة

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبة التى وقفنا خلفها عشرات السنين حيارى مترددين .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبـة التى أضاعت منا فلسطين وأخرجتنا من سيناء ، وانتزعت منا الجولان .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبـة التى ضربت علينا الذلة والهوان ، وجعلتنا بين دول العالم أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام .

والعقبة التى اقتحمناهـا ليست خط بارليف الذى انهار ولا طـائرات الفانتوم التى تهاوت ، ولا مارد صهيون الذى انطبق عليـه قمقم سليمان ، انها أخطر من ذلك بكثير .. انها الفرقة التى تجعل من الجبل الأشم ذرات تذروها الرياح .. الفرقة التى تحول السيل الجارف الى قطرات متباعـدة صغيرة ، الفرقة التى تذيب الحديد الصلب وتفقده قوته وصلابته . انها الفرقة التى أكتوينا بنارهـا منذ أمد بعيد ، فاكلت الخـلافة ، ومزقت الوحـدة ، وعصفت بالقوة .. لقد اقتحمنا هذه العقبـة بقوة الايمان وحطمناها بائتلاف القلوب والمشاعر ، وعبرناها بتوحيد الصفوف واجتماع الكلمة ، وتلك نعمة يجب أن تذكر وتشكر ، ويحرص على بقائها وتثبيتها : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » .

اقتحمنا العقبـة بالقول والفعـل . بالدم والمال بالعزيمة الصـادقة والارادة الماضية . اقتحمناها بالعقل والروية . بالتدبير والتخطيط . وقبل هذا وبعد هذا بتوفيق الله وعون الله .

سقطت العقبة بالتضامن والعمل الموحد ، بالمعركة الواحـدة ، بقوة الحديد والنار ، بالحديد الملتهب فى سيناء بالنار المشتعلة فى الجولان ، بالألغام المتفجرة فى قلب فلسطين .. بالمدرعات المصرية والدبابات السورية والمنظمات الفلسطينية والجحافل العراقيـة والحشود السـعودية والقوات الكويتيـة والطائرات الليبيـة والكتائب المغربية والفرق السودانية والتحركات الأردنية .. بدماء هؤلاء جميعا خط الايمان سطور التضامن والتعاون فى تاريخ أمتنا المجيـدة .

وتضامننا لم يزلزل العقبة وحدها ، بل زلزل دول العالم وأكرهها على اكبارنا واحترامنا ، والرضوخ لحقوقنا ، وذلك عندما توجت دولنا المنتجـة للنفط هـذا التضامن باستخدام هذا السلاح الرهيب فى المعركة ، فخفضت الانتاج ، ومنعت تصديره منعا كاملا عن الدول الموالية لعدونا .

ان مائة مليون عربى مسلم فى الشرق الأوسـط ، يحيط بهم ستمائة مليون مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها يصنعون الأعاجيب ويغيرون ميزان القوى فى العالم لخير الانسانية لو تضامنوا وتعاونوا ، لو اتفقوا واتحـدوا لو أظلتهم جميعا راية الاسلام ، وحكمهم جميعا حكم القرآن .

ولا شك أن هذا التضامن الذى ظهرت تباشيره اليوم يواجه قوى معادية ضخمة ، وتحاك ضده مؤامرات ماكرة خبيثة قد يشارك فيها عن قصد أو جهل أصحاب النظر القصير واللاهثون وراء المنافع الشخصية العاجلة وواجب كل فرد منا على كافة المسئوليات وفى جميع المواقع أن يحرص كل الحـرص على دعم هذا التضامن وتوسيع نطاقه ، وحمايته من كل اضطراب واهتزاز ، وتنميته حتى يتحول الى وحدة شاملة كاملة تحمى الحق والعدل والسـلام .

ان الاتحـاد قانون من قوانين القوى الكونية ، فالخيط الواهى اذا انضم اليه مثله ، أصبح قوة قادرة على رفع الأثقال .

ان الله عز وجل الذى أنزل فى كتابه أننا خير أمة أخرجت للناس أمرنا قبل ذلك مباشرة بالاعتصـام بدينه فقال سبحانه : ((واعتصـموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) .

والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قال : المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله .

والشاعر الحكيم قال :

تابى الرمـاح اذا اجتمعن تكسـرا   واذا افترقـن تكسـرت آحـادا

والشاعر المعاصر يقول :

تذوب حشاشات العواصـم حسرة   اذا دميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح (لبنان) صخرة   لدك ذرا (الاهرام) هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهـه   لسالت (بوادى النيل) للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة   لباتت لهـــا أكبادنا تتقطــع

والأحداث الراهنة تقول : تفرقنا فضعنا واجتمعنا فانتصرنا .
فالى مزيد من التضامن . الى الوحدة الاسلامية . وانما المؤمنون اخوة .

رضوان البيلى

ظاهرة في القرآن واحدة وتفسيران مختلفان والحقيقة غيرهما

* قامت دراسات عديدة حول القرآن : من اتباعه .. ومن اعدائه على السواء . وغاية الدراسة بين الفريقين وان اختلفت ، فالظاهرة القرآنية التى تعلقت بها الدراسة من الجانبين كانت واحدة :

فبعض المفسرين يتعقب ما يسميه : « عدم الانسجام » فى آيات الأحكام على الخصوص .. ويخرجه على ان هناك ناسخا .. ومنسوخا ، بينهما . ويصبح ما نسخ : منسوخ الحكم ، دون التلاوة . وكأن فى القرآن من كلام الله : ما يتلى فقط ، دون أن يكون له اعتبار فى واقع حياة المؤمنين به . وعلى سبيل المثال ، يرى هذا الفريق : أن ما جاء فى قول الله تعالى ، فى سورة محمد عليه السلام :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ،
« حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ،
« فاما : منا بعد ، واما فداء ، حتى تضع الحرب اوزارها » .

.. قد نسخ ما جاء فى سورة الأنفال ــ فى عتاب الرسول عليه السلام فى أمر أسرى : « بدر » .. وفدائهم ــ فى قول الله تعالى :

« ما كان لنبى ان يكون له أسرى (ما ينبغى ولا يجوز أن يكون لنبى اسرى فيفديهم بعد ذلك بمال) حتى يثخن فى الأرض (أى حتى يتمكن ، وتكون له قوة) ..

للأستاذ : الدكتور محمد البهى

«« **تريدون عرض الدنيا** (بالفداء) **والله يريد الآخرة** (بالثواب) ، **والله عزيز حكيم** .

« **لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضاء من الله تم بشأن هذا الأمر ، وهو العفو والصفح عنكم) **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** .

.. فالذى جاء فى سورة محمد — وهى متأخرة فى النزول عن الأنفال .. إذ ترتيبها هو ترتيب السورة التاسعة ، بينما ترتيب سورة الأنفال هو الثانية — هذا يجيز الأسر فى الحرب .. والتخيير بعد ذلك : بين المن على الأسرى باطلاق سراحهم .. أو بافدائهم بمال ، أو بأسرى من المؤمنين وهـذا معنى قوله : « **فشدوا الوثاق** (أى اسروهم) ، **فاما منا بعد ، واما فداء** » .. هذا الذى جاء فى سورة محمد على هذا النحو : ينسخ — كما يقال — ما جاء فى سورة الأنفال من النهى عن الأسر ، فالفداء .. ومن وجوب قتل ما يقع من الأعداء فى الأسر : تقليلا لعدد هؤلاء الأعداء من جانب ، وارهابا للأحياء الباقين منهم من جانب آخر . وهذا هو قوله : « **ما كان لنبى أن يكون له اسرى ، حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا** » . فالفداء للأسرى فى الحرب لم يكن جائزا فى سورة الأنفال . ثم نسخ عدم جوازه ، وأصبح جائزا فى سورة محمد عليه السلام .

وبعض المستشرقين — من جانب آخر — يسير وراء هذه الظاهرة القرآنية ، ويراها تنبىء — كما يدعى — عن التناقض فى القرآن . ويتخذ منها دليلا فى ادعائه : على أن محمدا فى تأليفه للقرآن لم يكن على درجة من الوعى ، يتفادى معها : الوقوع فى المتناقضات .

والقارىء للدراستين يخرج بوجود ظاهرة قرآنية : يؤولها المسلم : بالناسخ والمنسوخ فى القرآن .. ويؤولها الحاقد على القرآن : بالتضاد ، أو التناقض فيه . وفى كل من التأويلين ما يعيب القرآن .

فالناسخ والمنسوخ فى كلام الله فى رسالة واحدة لرسول واحد : يلحق النقص بعلمه جل شأنه . وهو نقص عدم الاستيعاب وعدم الاحاطة .. أو نقص اليقين فى علمه . والتناقض فى القرآن يبعده عن أن يكون كلام

الله .. وبالتالى يسقط كونه معجزة للرسول عليه السلام .

فهل فى القرآن ناسخ ومنسوخ ؟ .. وهل فى القرآن تناقض ؟. أم أن هناك منهجا يقوم عليه تطوير المجتمع من وضع .. الى وضع آخر لا يلتقى مع سابقه .. ؟

* والمجتمع اذ ينتقل من وضع الى وضع مقابل له : لا ينتقل فجأة ، ولا دفعة واحدة . وتغييره من وضعه القائم .. الى وضعه المرتقب والمؤمل : يمر بمراحل ، أو بمستويات معينة من التطور . وموضوع التغيير هو : نفوس الأفراد .. وظواهر المجتمع معا . وتغيير نفوس الأفراد مقدمة لتغيير ظواهر المجتمع : « **واذا أردنا أن نهلك قرية** (مجتمعا) **أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا** » .

ومجتمع المؤمنين بالله وحده هو تحول : من مجتمع الجاهلين . والمجتمع الجاهلى تقوم روابط الأفراد فيه على المبادلات المادية وحدها .. وعلى عصبية الدم والقرابة .. بينما مجتمع المؤمنين يقوم على الروابط الانسانية . أى يقوم على المشاركة بين الأفراد فى المعانى الانسانية من : المودة .. والتعاون .. والمساندة . والمجتمع الجاهلى اذن : اذا كان مجتمعا ماديا فهو : لا انسانى . والمجتمع الايمانى أو الاسلامى اذا لم يكن مجتمعا ماديا — أى لا يقوم على المبادلات المادية وحدها — فهو مجتمع انسانى .

والمجتمع البشرى اذن : اما أن يكون مجتمعا جاهليا ، أى ماديا .. أو مجتمعا اسلاميا ، أو انسانيا . وانتقال المجتمع البشرى من وضع الى آخر : هو انتقال من الوضع الجاهلى والمادى .. الى الوضع الاسلامى ، أو الانسانى .. أو من الوضع الاسلامى أو الانسانى .. الى الجاهلى أو المادى ، على نحو المجتمعات الاسلامية فى أوروبا وآسيا ، التى تحولت الى مجتمعات شيوعية إلحادية بعد الحرب العالمية الثانية ، كمجتمع البانيا .

ودور الاسلام فى نقل المجتمع البشرى من جاهلى مادى ، الى اسلامى انسانى : هو دور نفسى .. واجتماعى .. أى يتصل بالأفراد ، والمجتمع معا ..

فدوره النفسى هو العمل على أن ترفض الأفراد المؤمنة الآن فى اصرار : صفات المجتمع الجاهلى التى كانت تعيش فيه من قبل ، وترفض العودة ثانية الى ممارستها ، والرجوع الى أساليبه فى الحياة .. وفى الوقت نفسه تقبل على صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى التى آمنت به ، وتكون لها عادات تعبر عن هذه الصفات . وصفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى هى على النقيض من صفات المجتمع المادى والجاهلى .

ولذا : القرآن — كتاب الله ومصدر الاسلام — ينبه المؤمنين : الى صفات المجتمع الجاهلى والمادى أولا .. ثم يأخذ طريق التنديد بهذه الصفات .. فالنهى عنها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر .. ثم يدعو الى صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى ويرغب فى التخلق بها .. فالأمر باتباعها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر . فمنهجه لتحول الأفراد من ماديين .. الى انسانيين ، أو مسلمين : يتبع هذه الخطوات ، أو يمر بهذه المراحل :

اولا : التعريف بصفات الجاهلين أو الماديين .. ثم التنديد بها ،
ثانيا : النهى عن مباشرتها ، وعن العودة اليها ،
ثالثا : الترغيب فى الصفات الانسانية ، أو الاسلامية ، التى هى طابع المجتمع الجديد .
رابعا : الأمر باتباعها وعدم التخلى عنها ، ان كان الايمان صادقا بقبول هـذا الوضع الجديد .

وفى هذه الخطوات أو المراحل يكون توجيـه القرآن للأفراد توجيهـا مساعدا لهم على تحولهم ، وضمانا لعدم رجوعهم وارتدادهم ، ومتلائما فـى الوقت نفسه : مع المستوى النفسى الذى وصل اليه تطور الأفـراد من خطوة الى خطوة ، ومن مرحلة الى مرحلة أخرى تعلوها . فمثلا : الشح صفة متأصلة فى السلوك المادى . ومن أجل رسوخ هذه الصفة فى نفوس الماديين يصعب عليهم نفسيا : أن يعطوا فى غير مقابل . بل تتطبع نفوسهم من أجل حب المال : بطابع الأنانيين الذين لايرون فى الحياة الا ذواتهم .. وأنه ليس لديهم فـى الاحساس ما يمنع : أن يكون غيرهم موضوع استغلال لهم ، ومصدرا لتكديس الأموال من شقائهم . وجاءت فى أوصافهم هـذه الآيات الكريمة فى سورة الفجر :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم .
ولا تحاضون على طعام المسكين .
وتاكلون التراث أكلا لما ..
وتحبون المال حبا جما » .

.. فهم لا يهتمون باليتيم : ان فى شخصه ، وان فى ماله . فيعتدون على ماله ان كان له مال .. ولا يكرمون انسانيته بحسن توجيهه ورعايته ، ان كان عديم المال ،

.. ولا يهتمون بالمسـكين وصاحب الحاجـة .. ويتركونـه يشقى مع الحرمان ، ويصارعه الفقر الى الموت ،

.. ويعتدون على الضعفاء كالنساء والأولاد فى ميراثهم ، ويسلبونهـم حقهم فيه ،

.. ولا يرون فى الحياة الا : المال وحده فيعبدونه . أما الانسانية .. أما القيم العليا فى ترابط الأفراد بعضهم مع بعض ، فلا يرونها اطلاقا هدفا لهـم فى حياتهم ..

وسيطرة الربا فى تعامل الماديين واستغلالهم حاجة المحتاجين .. واكلهم أموال الناس بالباطل .. وادلاؤهم بالأموال الى الحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وهم يعلمون : ظاهرة لهـذا الشح الـذى نمتـه المادية فيهم .

فنقل الماديين من الشح .. الى الانفاق من المال فى سبيل الله ، أو فى سبيل المصلحة العامة ، اى الى الانفاق فى غير مقابل مادى : يحتاج أولا الى خلخلة هذا الطبع فى نفوس الاشحاء ، وذلك بالتنديد بالشح وبتوضيح أثره السيىء على نفس الشـحيح ، وعلى مجتمعه الذى يعيش فيه .. ثم بترغيبه فى الانفـاق على من لهم حق فى منفعة المال ولا يملكونه : **« وآت**

ذا القربى : حقه ، والمسكين ، وابن السبيل » .. ثم بفرض المستوى الأدنى من الانفاق ، وهو الزكاة : « **انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله** » .

وقد يجد القارىء للقرآن فى مرحلة الترغيب فى الانفاق العام ـــ أى فى المرحلة الوسطى قبل الأمر بالزكاة ـــ ان الانفاق العام المرغب فيه لا يحد الا بحاجة المنفق . فما تجاوز هذه الحاجة وزاد عنها فهو موضوع الانفاق فى غير مقابل ، الا لصالح الأمة وحده : « **ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو** » .

والزكاة عندما فرضت : فرضت كعبادة يجب أن تؤدى . ولذا ارتبطت بأدنى مستوى من المال يستطيع المالك له : أن يخرجه . ومع ذلك بقى : « العفو » بجانب : « الزكاة » : فى الاعتبار . فالعفو ظل متروكا للمشيئة الفردية ، بينما الزكاة دخلت دائرة الالتزام بأداء الواجب .

وهكذا : نفوس الأفراد تمر بمراحل نفسية مختلفة عند تحولها من الوضع المادى السابق .. الى الوضع الانسانى المرتقب . ومنهج القرآن على نحو ما ذكر له هنا من مواقف معينة : تتجاوب مع كل مرحلة ، وتساعد فى الوقت نفسه على الدفع نحو المرحلة التالية : يؤدى الدور النفسى لرسالته .

أما الدور الاجتماعى لهذا المنهج : فان المجتمع عن طريقه اذ تختفى فيه ظاهرة .. تبرز فيه بالتدريج ظاهرة أخرى على الضد ، تماما ، من الظاهرة السابقة . ففيماذكر من الشح : اذ تضعف ظاهرة المادية من شح النفوس : رويدا ، رويدا .. تظهر مكانها : ظاهرة الانفاق فى غير مقابل : رويدا ، رويدا ، كذلك ، حتى تصبح سائدة فيه . وعندما تصبح ظاهرة الانفاق سائدة : يكون المجتمع قد تحول بالفعل . وعندئذ يكون منهج القرآن قد أدى دوره الاجتماعى بتغيير ظواهر المجتمع .

* ومنهج القرآن اذ يؤدى دوره النفسى .. ودوره الآخر الاجتماعى : يؤديها عن طريق التطوير النفسى ، وليس عن طريق الالزام الخارجى . فهو لا يفرض ، ولا يلزم من خارج الذات . وانما يجعل الذات هى التى تتحرك وتسير نحو الهدف المطلوب ، فى يسر .. وفى رغبة ، بل وفى اندفاع فى الرغبة .

والنهى .. والأمر : فى هذا المنهج ـــ أى النهى عن فعل ظواهر المجتمع المادى وصفاته .. والأمر بفعل ظواهر المجتمع الانسانى ، أو الاسلامى وصفاته ـــ كل منهما تعبير عن وضع نفسى قائم بالفعل ، وصلت اليه نفوس الأفراد ، بعامل التحريك الذاتى . أى أن النهى .. والأمر فى حينهما : يصادفان قبولا .. واستعدادا نفسيا . فاللحظة التى ينهى فيها القرآن المؤمنين به عن فعل شىء كان يفعل فيما مضى ، وهو من ظواهر المادية : يصادف فيها هذا النهى استعدادا نفسيا تكون قد وصلت اليه النفوس بالفعل ، وتكونت فيها رغبة عما نهى عنه الآن . وكذلك شأن : الأمر بشىء ما . فان اللحظة التى يأمر فيها القرآن بفعل شىء مرغوب فيه ، تكون النفوس حينئذ قد وصلت بالفعل الى الرغبة فى عمله .

وهذا هو الفرق بين التطور النفسى ، والالزام الخارجى . فى التطور

النفسى لا يصادف النهى ، والأمر : عقبة .. أو فراغا فى النفوس . وانما يصادف وضعا نفسيا ملائما للنهى أو للأمر . بينما فى الالزام الخارجى : يصادف النهى ، والأمر : فراغا فى النفوس أو عقبات فيها . أى لا تكون النفوس على استعداد آنئذ لتقبل النهى .. أو الأمر ، والرضا بهما .

وهذا الفرق يتبعه فرق آخر . وهو أن منهج التطوير النفسى لا يحتاج الى قوة تنفيذية وحارسة ، اكتفاء بالقبول النفسى ، والرضاء الداخلى . فى حين أن الالزام الخارجى لا ينجح ــ ان نجح مؤقتا ــ الا بالقوة ، والحراسة ، والرقابة المستمرة .

فضلا عن أن منهج التطوير ينطوى على كرامة الذات ، كذات انسانية . بينما الالزام الخارجى ينكر خصائص الانسانية فى الذات ، اذ يركز على تحريكها ودفعها مما هو خارج عنها . فينكر بذلك : حريتها ، ومشيئتها .

* ومنهج القرآن فى تطوير المجتمع : يرتبط نجاحه بأمرين :

الأمر الأول : الخصائص النفسية ، التى تقوم عليها الدعوة . واهم هذه الخصائص التزام الصدق .. وتجنب الخداع .. والكشف أولا بأول عن الأخطاء التى تقع فى التطبيق ، أو فى الانتقال من مرحلة : الى أخرى .. ثم الاستعانة بالوقائع التاريخية وأحداث المجتمعات البشرية .

فعن الخصائص النفسية يرشد القرآن صاحب الدعوة عليه السلام الى رعايتها فى قول الله تعالى : ((**قل : لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم : انى ملك ، ان أتبع الا ما يوحى الى**)) . وعن الاستعانة بالوقائع التاريخية لا يفتأ القرآن يردد أحداث المجتمعات البشرية السابقة : فى توضيح الآثار التى تترتب على مسلك المجتمعات المادية ، عندما تطغى بماديتها وتعتز بقوتها المادية . كمجتمعات : عاد .. وثمود .. ومدين .. وفرعون .. وبنى اسرائيل .

الأمر الثانى : القدوة الحسنة للقائم على شأن الدعوة لهذا المنهج ، بحيث تكون قدوته ترجمة واضحة لما يدعو اليه . وكان الرسول عليه السلام القدوة والمثل الأعلى فى تطبيق ما انزل عليه من وحى الله : سواء فى تجنب صفات الماديين وظواهر مجتمعاتهم .. أو فى العمل بصفات الانسانيين ، وهى صفات المؤمنين عباد الرحمن .

ولأن منهج القرآن كان منهج تطوير للانسان وللمجتمع معا ، وكان ما جاء فيه من نهى ، أوامر : ملائما للحالة النفسية التى وصل اليها الأفراد ، وكذلك للحالة الاجتماعية التى وصل اليها المجتمع : أخذ نقل المجتمع على عهد الرسول عليه السلام : من الوضع المادى .. الى الوضع الجديد ، وهو الوضع الانسانى أو الايمانى : فترة تزيد على العشرين عاما ، ونزل فيها القرآن منجما، على دفعات . وما نزل فى فترة انتهت كان يعالج فيها مستوى نفسيا ، أو اجتماعيا خاصا . وما نزل فى فترة تالية ، أو أخرى بعدها كان يعالج وضعا نفسيا ، أو اجتماعيا يختلف عن سابقه . الى أن اكتمل التحول ــ وكانت آيته : فتح مكة ــ فاكتمل منهج التطوير ، أو اكتمل الدين : **اليوم يئس كفروا من دينكم** (أى ولا أمل لهم فى ارتدادكم الى مجتمعكم السابق . اذ

مجتمعكم الايماني قد تأكدت معالمه وبرزت شخصيته الايمانية ، أو الانسانية) **فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم** (وهو منهج حياتكم الذى قادها من الوضع الجاهلى السابق .. الى الوضع الايمانى القائم ، وهو يقودها دائما الى هذا الوضع ، عندما تبرز مظاهر المادية من جديد) **وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا** (أى منهجا فى الحياة) » .. وجاءت هذه الآية فى سورة المائدة . وهى السورة قبل الأخيرة فى الوحى المدنى .

واذا كانت مستويات ، وأوضاع المجتمع فى انتقاله من الجاهلية أو المادية .. الى الروحية الانسانية : مختلفة — وحتما لا بد أن تكون مختلفة — فان ما يأتى من دافع جديد فى منهج التطوير : يحرك النفوس أو المجتمع الى مستوى أو الى وضع أعلى ، قد يكون مختلفا كذلك ، ان لم يكن فى تكرار الدافع السابق ما يساعد على النقلة الى هذا الأعلى ، بين الأفراد ، وفى المجتمع .

ولذا لا يقال : ان حكما لاحقا من نهى ، أوامر ، قد ألغى حكما سابقا من نهى ، أو أمر كذلك . وانما يقال : ان الحكم السابق بقى له اعتباره ، ولكن لمرحلة معينة وخاصة فى نقل المجتمع . وكذلك الحكم اللاحق له اعتباره فى المرحلة التى جاء هو فيها ، من مراحل المجتمع . على معنى : ان المجتمع الذى أصبح الآن مجتمعا انسانيا ، أو اسلاميا ، اذا طغت عليه ظواهر المادية أو الجاهلية : فان تطويره من جديد .. الى مجتمع انسانى أو اسلامى : فى حاجة الى الأحكام جميعها التى نزلت فى المراحل المتعددة .. تلك الأحكام التى بدا فيها ناسخ ومنسوخ كما يقال ، أو تضارب ، كما يدعى المستشرقون .

وأى ضمان لبقاء المجتمع على وضع واحد لا يتغير ؟. فبعض المجتمعات التى كانت اسلامية فيما مضى قد تغيرت الآن الى مجتمعات مسيحية .. أو شيوعية .

والمجتمعات الاسلامية القائمة هى فى ظواهرها الآن تميل .. الى المجتمعات المادية أو الجاهلية : أكثر من انتمائها الى المجتمعات الانسانية أو الاسلامية .. فلكى تعود الى مجتمعات اسلامية ، معبرة عن طابع انسانى : فى حاجة الى تطور من جديد . والتطوير له مراحله . ومراحل التطوير لها ما يلائمها من أحكام فى القرآن ، نزلت منجمة حسب أوضاع المجتمع فى تحوله .

والمجتمعات الاسلامية الآن مختلفة فى مستوياتها وفى أوضاعها : بين : الجاهلية .. والانسانية . وما يأخذ به بعضها الآن من أحكام القرآن ، فى سبيل تطوره : قد لا يلائم بعضا آخر منها ، عندما ينشد الوصول الى المجتمع الاسلامى الصادق .

واذن : القول بالناسخ والمنسوخ فى القرآن : فيه تعطيل لمنهاج الدعوة الاسلامية ، ولمنهج القرآن فى تطوير المجتمع .

أما القول بالتضاد بين الشىء وضده فى القرآن : فقول انسان يلبس ثوب العلماء فى الدراسات الاسلامية فى الجامعات الأجنبية أو فى ذات المجتمعات الاسلامية . ولكن فى حقيقة أمره : تغلب عليه نزعة الحقد .. أو نزعة الاحتراف بالعلم .. أو وضع القصور فى الفهم .

نظرات في الحديث

١

للدكتور محمد عبد الرءوف

عن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف قال :
« ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لِدان ، ولدنا مولدا واحدا » .

وعن عبد الله بن عباس قال :
« ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .

كلّ من يحب المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحرص على اتباع سنته يسعى قدر الامكان ليتعرّف على شخص الرسول الكريم وفضائله وأقواله وشمائله ، ويزيد ذلك ترغيبا ما يمتاز به الحديث الشريف من جمال العبارة وروعة الأسلوب وغزارة المعانى .

نستهل صدر هذا المقال بحديثين ، الأول من كلام قيس بن مخرمة وقد رواه الامام الجليل أحمد فى مسنده ، وفيه يحدث قيس أن ميلاده وميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانا فى عام الفيل وهو عام ٥٧٠ أو عام ٥٧١ من التقويم الميلادى على ما

يقولون ، وقوله : ((لدان)) مثنى ((لدة)) وهو المساوى فى زمن الولادة . ويذكر عبد الله بن عباس فى الحديث الثانى ، وهو من رواية الامام ابن حنبل أيضا ، أن ميلاد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله كان يوم الاثنين ، ثم زاد فافاد بأن أياما أخرى من أيام الاثنين شهدت احداثا جليلة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، فكما كان يوم ولادته كان يوم وفاته ، كما كان يوم أن أفلح بحكمته وفض نزاعا كان ينذر بالشر ، فى مكة قبل البعثة حول وضع الحجر الأسود فى مكانه ، وبدأ نزول الوحى عليه فى يوم الاثنين ، وبدأ رحلة الهجرة التاريخية من مكة يوم الاثنين، ووصل يثرب التى سماها مدينة رسول الله يوم الاثنين .

قد يقال : كيف نعتبر هذين النقلين من الحديث النبوى مع أنهما ليسا من كلام الرسول نفسه بل من كلام بعض اصحابه ؟ والواقع أن لفظ الحديث كاصطلاح خاص بين العلماء يطلق على كل ما يذكر فيه شىء عن الرسول عليه الصلاة والسلام حتى ما يذكر فيه أوصافه البدنية ، ومن ذلك حكاية ام معبد التى قصّت على زوجها أبى معبد فى مساء يوم مبارك بعد أن عاد مع غنمه وذكرت له كيف بورك فى شاتهما التى خلّفها الجهد عن الغنم ببركة زائر عرّج على خيمتها مع صاحبيه ، فأدرك أبو معبد أنه صاحب قريش وطلب منها أن تصفه له ، وقد أورد محمد بن سعد القصّة فى كتابه : الطبقات الكبرى ، ونقتبس من وصفها للرسول ما يلى :

((رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، منبلج الوجه ، حسن الخَلق ، لم تعبه ثُجلة ، ولم تزر به صَعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطَف ، وفى صوته صَحل ، أجود أكحل أزجّ أقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدّرن ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود ، لا عابث ولا مفند)) .

وإلى جانب هذه المجموعة من الأقوال المأثورة التى تصف شخص الرسول الكريم أو تتحدث عن مراحل حياته صلى الله عليه وسلم هناك مجموعة أخرى تحدثنا عن أفعاله صلوات الله تعالى عليه أو تصف فضائله ومواقفه ، ومنها نتخذ العبرة ونستمدّ القدوة ويستخلص التشريع للأمة ، ولنسق من هذا النوع الحديثى الأمثلة الآتية :

روى مسلم بن الحجاج رضى الله عنه فى صحيحه عن أنس بن مالك قال :

((لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أن أنسا غلام كيس فليخدمك قال : فخدمته فى السفر والحضر ، والله ما قال لى لشىء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشىء لم أصنعه لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا ؟))

وروى أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

((كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم أشد حيـــاء من العـــذراء فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » .

وروى مسلم كذلك عن موسى بن انس عن ابيه قال :

« ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا إلا أعطاه ، فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا فان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ما خير رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فان كان اثما كان ابعـــد الناس منه ، ومـــا انتقم رسول الله صلى الله عليه وســـلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله عزّ وجـــلّ » .

وروى البخارى ومسلم وأحمـــد ـ واللفظ له ـ عن البراء بن عازب قال :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اول ما قـــدم المدينة نزل على أجداده أو اخواله من الانصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى اول صلاة صلاها صـــلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال :

« اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، قال : فداروا كمـــا هم قبل البيت ، وكان يعجبه أن يحول قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبـــل البيت أنكروا ذلك . »

وروى احمد عن ابى عباس الزرقى رضى الله عنه قال :

« كنا مع رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم بعسفان فاســـتقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الظهـــر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، قالوا : تاتى عليهم صلاة هى احب اليهم من ابنائهم وأنفسهم ، ثم قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهـــر والعصر : (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) قال : فحضرت ، فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا الســـلاح ، قال : فصففنا خلفه صفين ، قال : ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ، ثم ســـجد النبى صلى الله عليـــه وســـلم بالصف الذى يليـــه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلمـــا ســـجدوا وقاموا جلس الآخـــرون فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدّم هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، قال : ثم ركع فركعوا جميعا ، ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وســـلم والصف الذى يليه والآخرون قيـــام يحرســـونهم ، فلمـــا جلس جلس الآخرون ، فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قا ل: فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعسفان ومرة بارض بنى سليم » .

ولا يحتوى واحد من هذه الأحاديث على كلمة واحدة من الفاظ الرسول

صلى الله عليه وسلم ، ولكنها تصف بعض فضائله واعماله ، فأحدها يصف حلمه ، وآخر يصف حياءه ، وثالث يتحدث عن كرمه المنقطع النظير ، وتحدثنا أم المؤمنين عن سنته صلى الله عليه وسلم في الأخذ بالأيسر ما اجتنبت المحارم وعن صبره على الأذى الا إذا انتهكت حرمات الله ، ويذكر الحديث التالى تحويل القبلة الى البيت الحرام وبعض ما حدث عندئذ ، ويفيدنا الحديث الأخير كيف نظم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف المسلمين لصلاة الخوف وكيف امَّهم فيها ، ويستنبط من هذا النوع من الأحاديث الكثيرُ من مكارم الأخلاق وتفاصيل الشريعة الغراء .

والنوع الثالث من الأحاديث النبوية ما يذكر من فعال أو عادات جرت على عهده ولكن سكت عنها ولم يعترض عليها ، فدلّ سكوته على مشروعيتها وحلها ، ويسمى هذا « تقريرا » ومن ذلك ما يلى :

روى النسائى عن جابر أنه قال :
« كنا ناكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وروى النسائى ايضا فى سننه عن ام المؤمنين عائشة قالت :
« إن كان ليكون علىّ الصيام من رمضان فما أقضيه حتى يجيىء شعبان » .

فأكل لحم الخيل على عهده صلى الله عليه وسلم مع عدم اعتراضه عليه يدلّ على حلّه ، كما ان تاجيل السيدة ام المؤمنين قضاء ما فاتها من صيام ايام الحيض من شهر رمضان الى حلول شهر شعبان — مع علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك — يدل على جوازه حيث سكت

ولم يعترض عليه . فانه صلى الله عليه وسلم ما رأى منكرا وسكت عنه ، فمن ذلك ما يلى :

روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر قال :

« رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحدكم الى جمرة من النار فيضعها فى يده »

وروى مسلم ان عائشة قالت انها كانت اخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم فراى النمط « عرفت الكراهية فى وجهه ، فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال : ان الله لم يامرنا أن نكسو الحجارة والطين » قالت : « فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب علىّ ذلك »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا عرضت أمامه آراء متعارضة أقرّ منها ما هو مشروع فاثبته ، وبذلك ينكر ما عداه ، ومن ذلك ما رواه أمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه عن ابن عمر أنه كان يقول :

« كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : اولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة . »
فامر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا بالنداء للصلاة دل على تسويغ الأذان ومشروعيته ، كما دل فى نفس

الوقت على انكار مـــا اقترح من دق الناقوس أو استعمال البوق للدلالة على حضور وقت الصلاة .

وأبلغ أنواع الحديث وأعلاها ما أثر من كلام النبى نفســـه صلى الله عليه وسلم ، فقد أوتى جوامع الكلم، وكانت عباراته فى أعلى درجـــات النقاوة بعد كتاب الله تعالى ، ونسوق من ذلك ما يلى :

روى ابن ماجه أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من حسن أسلام المرء تركه ما لا يعنيـــه)) .

وروى ابن ماجه أيضا فى ســـننه عن حذيفة قال : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم :

((لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفســـه ؟ قـــال : يتعرّض للبلاء لما لا يطيقه)) .

وروى البخارى ومسلم وأبو داود ـــ واللفظ للبخارى ـــ عن عبد الله بن عمر قال : أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : اى الاسلام أفضل ؟ قال ـــ صلى الله عليه وسلم :

((تطعم الطعام وتفشى الســـلام على من تعرف ومن لم تعرف))

وأخرج مسلم عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله عليـــه وسلم قال :

((عجبا لأمر المؤمن ، أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا المؤمن ، أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصـــابته ضراء صـــبر فـــكان خيرا له)) .

وروى الترمـــــذى وأبـــو داود ـــ اللفظ للأول ـــ عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وســـلم قـــال :

((بين الكفر والايمان ترك الصلاة))

وروى أبو داود عن جـــابر وابن طلحة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما من امرىء يخذل امرءا فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصـــر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمتـــه الا نصره اللـــه فى موطن يحب فيـــه نصرته)) .

ومن هذا القسم العالى من الحديث ما أكده الرسول صلوات الله تعالى عليـــه بنسبته الى اللـــه سبحانه ، ويســـمى بالحديث القدســـى ، وهو كالحديث النبوى . لفظـــه هو لفظ الرســـول صـــلى الله عليه وسلم ومكانته هى مكانة سائر الأحـــاديث النبوية ، فلا يتعبد بتلاوته ولا يحـــرم مسّه او حمله للمحـــدث ولم يتحدّ بلفظه كما تحـــدى بالقرآن الكريم . ولنقتبس من الأحاديث القدســـية ما يلى :

روى الترمذى فى جامعه المسمى ايضا بالسنن ، عن أبى سعد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يقول الرب عزّ وجل : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيتـــه

افضل ما أعطى السائلين ، وفضـل كلام الله على سائر الكلام كفضـل الله على خلقه »

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجل قال :

« ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك ، فمـن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسـنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان هم لسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسـنة كاملة ، فان همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

وفى باب صـلاة الضـحى روى الترمذى عـن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عزّ وجل قال :
« ابن آدم ، اركـع لى من أول النهار أربع ركعات اكفك آخره » .

وأكثر الأحاديث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقيها شفاهيا فتتلقفها اسماع الصحابة رضوان الله عليهم فتعيها ذاكرتهم ، ولكن بجانب ذلك ما أملاه الرسول الأمىّ عليه الصلاة والسلام من كتب بعث بها الى عماله أو الى الملوك ورؤساء العشائر ومن معاهدات عقدهـا واتفاقيات أبرمها كمعاهـدة الحـديبية مـع قريش وكدستور المدينـة الذى كتب عقب الهجرة والاتفاقات التى عقدها النبى صـلى الله عليـه وسلم مع بعض القبائل ، ونسوق هنا على سـبيل المثال لنختم به المقال كتابه صلى الله عليه وسلم الذى وجهـه الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام .

روى هذا مسلم عن ابن عباس ، وقد حدثه به أبو سفيان نفسه وقد تصادف ـ وهو لا يزال بعد يقـود معركة قريش ضد النبى صلى الله عليه وسلم ـ ان كان بالشـام يوم وصل دحية الكلبى الصحابى الجليل بالكتاب الى هرقل وكان بالشـام كـذلك ، يحدث أبو سـفيان كيف استدعاه هرقل ومن معه من قريش مكة ذاك اليوم ، ليلقى عليه بعض الأسئلة عن محمد ودينه ، وذكر أبو سفيان انه أضطر لقول الحق حيث أمر هرقل من مع أبى سـفيان من قريش بتصحيح قـوله اذا أخطـاه الصـواب ، وكيف أن اجـاباته عن الرسول أثارت اعجاب هرقل فقال :
« ان يكن ما تقول حقا فانه نبى ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم ، ولو أنى أعلم أنى اخلص اليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنـده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمى » ثم دعا هرقل بكتـاب النبى صلى الله عليه وسلم فقـرأه فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ـ فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الأريسيين ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللـه فان تولوا فقـولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

حكم الإسلام في الاسترقاق

الدكتور : احمد الحجى الكردى

قضت الاتفاقات الدولية الحديثة بتحريم الاسترقاق بعد أن كان نظاما شائعا فى جميع بلدان العالم منذ أقدم العصور ، ويعتبر العلماء وارباب الفكر فى العالم هذا الإلغاء معلما من معالم المدنية الحديثة التى تؤمن بحرية الإنسان والمساواة بين البشر جميعا على اختلاف جنسياتهم ، والوانهم ، ودياناتهم ، لأن نظام الاسترقاق كان يمثل الطبقة البغيضة إذ هو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

وحيال هذا التحريم اتجهت السلطات فى البلدان الإسلامية جميعا الى إهمال تفصيل أحكام الرقيق فى شتى قوانينها ، بعد أن كانت كتب الفقه تعج بهذه الأحكام ، وذلك لالتزام أكثر هذه الدول بتلك الاتفاقات التى تحرم الاسترقاق .

هذا التفصيل الكامل لأحكام الرقيق فى كتب الفقه ، وذلك الإهمال الكامل لها فى قوانين البلدان الاسلامية المعاصرة ، قسم المشتغلين بالدراسات الإسلامية حيال حكم الاسلام فى الاسترقاق الى قسمين :

■ قسم منهم تمسك بتلك التفصيلات الواسعة لأحكام الرقيق فى كتب الفقه ، وجعلها تكأة اعتمد عليها فى اتهامه الإسلام بالتخلف والطبقية ، إذ أنه يبيح الرق الذى لا يعنى إلا الاستعباد من الإنسان لأخيه الإنسان ، ذلك الاستعباد البغيض ، الذى أصبح الفكر الحديث المتحرر يأباه ، ويمجه ، ويكافحه ، وعلى رأس هذا القسم بعض المستشرقين .

■ وقسم منهم تصدى للدفاع عن الإسلام والرد على أولئك ، فأعلن أن الإسلام برىء من هذه التهمة ، وانه لم يبح الرق فى يوم من الايام ، بل إنه رنا الى إلغائه ومنعه ، ونظم الطرق الكفيلة بهذا الإلغاء من تدبير ، ومكاتبة ، واستيلاء ، وغيرها ، وذلك الى جانب سد جميع موارده التى كانت معروفة لدى الأمم السابقة إلا موردا واحدا وهو الأسر فى حرب مشروعة ضد الكفار .. وذلك كاف لإنضاب مورده ، وتحرير من بقى من الأرقاء ، هذا الى جانب أن الإسلام لم ينص على إباحة الرق ابدا ، ولكنه جاء فوجده نظاما معروفا متبعا لدى الأمم جميعا فسكت عليه ، من باب الوقوف أمام الأمر الواقع ، ومن باب المعاملة بالمثل لا اكثر من ذلك

ولذلك ينتهى القائلون بتحريم الإسلام للرق من المفكرين الى تقرير حقيقة ثابتة — فى رأيهم — وهى أن الإسلام لم يبح الرق فى يوم من الأيام ، ولم يكن ليرضى به لو لم يكن موجودا فى ذلك العصر شائعا فى تلك البيئة ، بل إنه عمل على إلغائه ، ولكن بطريق غير مباشر ، فأنضب موارده ، وفتح كل الأبواب للتحرير مما يكفل منعه والقضاء عليه .

ولذلك فانه ما دامت الأمم جميعا قد حرمت الرق اليوم لا بد من القول — فى رأى أصحاب هذا القسم —

بأن الإسلام يحرم الرق أيضا بالنظر لزوال الدواعي اليه ، وهي مبدأ المعاملة بالمثل ، والنزول عند الأمر الواقع . وفي رأيي أن كلا القسمين من المفكرين مخطيء فيما ذهب اليه .

■ فالقسم الأول متجن على الإسلام ، إذ الإسلام لا يعرف الطبقية ولا الاستعباد ، وهذا كتاب الله يعلن المساواة التامة بين البشر جميعا في الإنسانية والكرامة فيقول جل من قائل : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وهذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم تعلن : أن الناس سواسية كأسنان المشط ، وانه لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . وهذا أبو بكر — أول الخلفاء الراشدين — يقول في أول خطبة له على الناس : « القوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له » .

فأي طبقية يدعيها أولئك بعد هذه المساواة التي أعلنها كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء بعده ؟!

■ والقسم الثاني مخطيء فيما ذهب اليه أيضا اذ يعتبر الإسلام مانعا للاسترقاق محرما له ، لأن مصادر التشريع الإسلامي مليئة بالنصوص المبيحة للرق ، والتي تعتبره الطريقة المثلى للتصرف بالأسرى :

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترق في كثير من غزواته ، وهؤلاء أصحابه رضوان الله عليهم يسترقون من بعده في عدد من غزواتهم ، ولم يخالف في إباحة ذلك واحد منهم ، وهؤلاء أئمة المذاهب الأربعة المعتمدة لدى المسلمين جميعا ينصون على إباحة الرق، ويعتبرونه شرعا ثابتا محكما لا يقبل النسخ ، بل ان جل هؤلاء العلماء ينص على أن النساء والذراري إذا أسروا رقوا حكما من غير ضرب للرق عليهم ، أي أن الرق بالنسبة اليهم هو الطريق الوحيد للتصرف بالأسرى الذي لا يعدل عنه الى غيره الا لمصلحة غالبة ، أما التخيير ، فهو بالنسبة للرجال المقاتلة خاصة ، حيث يخير الإمام فيهم بين : الإرقاق ، والمن ، والفداء ، والقتل ، يفعل ما يراه الأحظ للمسلمين ، واليكم نصوصا لأعلام فقهاء المذاهب الأربعة تدل لما أذهب اليه :

جاء في المنهاج للنووي من الشافعية قوله : « نساء الكفار وصبيانهم اذا أسروا رقوا ، وكذ العبيد ، ويجتهد الإمام في الأحرار الكاملين ، ويفعل الأحظ للمسلمين من قتل ، ومن ، وفداء بأسرى أو مال أو استرقاق » .

وجاء في متن سيدي خليل وشرح الدردير المالكي عليه ما نصه : « كالنظر في الأسرى بقتل ، أو من ، أو فداء ، أو جزية ، أو استرقاق .. وهذه الوجوه بالنسبة للرجال المقاتلة، وأما النساء والذراري فليس فيهم الا الاسترقاق أو الفداء » .

وجاء في تحفة الفقهاء للسمرقندي الحنفي ما نصه : « الإمام بالخيار : إن شاء قتل المقاتلة منهم سواء كانوا من المشركين أو من أهل الكتاب ، من العرب أو من العجم ، لأنه قد يكون مصلحة المسلمين في قتلهم ، وإن شاء استرقهم وقسمهم بين الغانمين .. فأما النساء والذراري فيسترقون كلهم ، العرب والعجم فيه سواء ، ولا يباح قتلهم » .

وجاء في المغني لابنقدامة الحنبلي ما نصه : « .. وجملته أن من أسر من أهل الحرب على ثلاثة أضرب :

أحدها : النساء والصبيان ، فلا يجوز قتلهم ويصيرون رقيقا للمسلمين

بنفس السبى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان (متفق عليه) ، وكان عليه السلام يسترقهم إذا سباهم .

الثانى : الرجال من أهل الكتاب والمجوس الذين يقرون بالجزية ، فيخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء : القتل ، والمن بغير عوض ، والمفاداة بهم ، واسترقاقهم .

الثالث : الرجال عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقر بالجزية فيتخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء : القتل ، أو المن ، والمفاداة ، ولا يجوز استرقاقهم ، وعن أحمد جواز استرقاقهم ، وهو مذهب الشافعى » هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة من بعده ، ومذاهب الفقهاء المعتمدة ، ولم يقل واحد منها بمنع الرق وتحريمه ، بل إن أكثر الفقهاء يجعل الرق الطريق الأوحد للنساء والذرارى ، وأحد طرق أربعة لغيرهم .

فكيف يستقيم بعد هذا كله قول لقائل : إن الاسلام يحرم الرق ، أو إن الاسلام لم يبح الرق فى يوم من الأيام ولكنه سكت عليه نزولا عند الأمر الواقع من جهة ، ومن باب المعاملة بالمثل من جهة أخرى ، إن كان الأمر كذلك فلماذا لم يسكت الإسلام عن الخمرة وقد كانت منتشرة أكثر من الرق فى الجاهلية ، بل لماذا لم يسكت عن الربا والقمار وغيرهما من المعاصى التى كانت تملأ حياة الجاهلية ، أعرف الإسلام الخضوع والرضوخ للأمر الواقع فى حكم من أحكامه حتى يعرفه فى الرق ؟ أم كان ثورة قلبت وجه التاريخ وأعادت الإنسانية الى الطريق المستقيم بعد طول انحراف عنه .

يكفينى الآن هذا القدر للرد على أصحاب هذا القول وبيان خطئه ، ولا يضرنى قائله كائنا من كان فان الحق بالدليل يعرف لا بالرجال .

والآن لمتسائل أن يتساءل فيقول : إن كان الإسلام يحرم الظلم ويمنعه ، ويحارب الطبقية والاستعباد وينظم الأحكام الكثيرة للقضاء عليهما ، فما باله يبيح الرق ويجعله الطريق الأوحد أو الأمثل للتصرف بالاسرى ، أليس فى ذلك تناقض ؟

والجواب على ذلك كامن فى استجلاء معنى الرق وأحكامه وغايته فى الإسلام قبل كل شىء ، لأن أمثال هذا المتسائل ينظر الى الرق فى الاسلام بمنظار الرق عند الأمم الأخرى السابقة على الاسلام ويربط فى ذهنه الرق بمعانى العبودية التى كان يعانيها الأرقاء لدى اليونان والرومان ، وبألوان العذاب التى كانوا يذوقونها على أيدى الأسياد الأحرار ، فان فلاسفة اليونان كانوا يعتبرون الرق أمرا أصليا فى الانسان ويقسمون الجنس البشرى الى قسمين : حر بالطبع ، ورقيق بالطبع ، ويقولون : إن الثانى ما خلق الا لخدمة الأول . حتى أن أرسطو جعل الرق نظاما ضروريا ، وكذلك كان يفعل الرومان حيث يعتبرون الرقيق مصدرا كبيرا للطاقة الانتاجية التى لا بد منها لإسعاد الأحرار ،و كانوا يعاملونهم بمنتهى الخسة والإيذاء ، وكذلك اليهود فقد كانوا ولا يزالون يعتبرون انفسهم شعب الله المختار ، وأنهم طبقة أعلى من الطبقات البشرية الأخرى ، وكناوا يمتهنون الرقيق أشد الامتهان ، بل إنهم ينظرون الى العالم كله نظرهم للرقيق حيث يعتبرون كل من ليس يهوديا (الجوييم) فى طبقة ثانية بعد طبقتهم ، وأنه ما خلق إلا ليكون مسخرا لمصالحهم .

وعلى هذا أيضا أمر العرب فى الجاهلية ، حيث كان الرقيق لديهم سلعة من السلع تتداوله الأيدى بغية الاستفادة منه فى خبرته وطاقته ،

وكانوا يجعلونهم طبقة ثانية بعد الأحرار ، ولا يثبتون لهم شيئا من الحقوق ، ويبيحون لأنفسهم التصرف بهم على أى وجه كان قتلا وتعذيبا وإيذاء من غير أى مسؤولية .

إن هذا المتسائل ينظر الى الرق فى الإسلام بهذا المنظار ، وطبيعى بعد ذلك أن يقف مشدوها حائرا بين عدالة الإسلام وإباحته للرق .

والجواب الحق : هو أن الرق فى الاسلام غيره فى الأمم السابقة لا مشابهة بينه وبينه إلا فى الاسم فقط ، ولا يجوز لهذه المشابهة وحدها أن تخلط بين النظامين ، وتوحد بين المنهجين ، وتجيز النظر الى الثانى بمنظار الأول .

إن الرق فى الاسلام يختلف عن الرق لدى الأمم الأخرى فى موارده وغايته ، وفى النظرة اليه ، وجميع أحكامه ، وليس فى الرق فى الإسلام أى معنى من معانى الاستعلاء الممقوت ، أو الطبقية البغيضة ، بل هو مدرسة تربوية أعدت لأناس جانحين انحرفوا عن جادة الصواب والحق ، ولما يتأكد لدينا تأصل روح الإجرام فيهم ، يدخلون اليها ، ويقيمون فيها وفقا لنظام خاص ، وبرنامج معين ، أعد خصيصا لذلك ، يكفل إعادتهم الى طريق الحق والرشاد، حتى اذا ما ثبت صلاحهم ورجوعهم عن طريق الضلال انطلقوا منها الى المجتمع ثانية أعضاء نافعين صالحين ، يشقون طريقهم فى الحياة كما يفعل سائر الأحرار من الناس ، مثلهم فى ذلك مثل الصبى الذى يرتكب جناية قتل مثلا ، فانه من الجور أن يعاقب عليها بالقصاص لعدم توفر القصد الجرمى فى نفسه ، ولكن لا يجوز أيضا إطلاق سراحه وإعفاؤه من الجريمة كليا ، والا اعتاد الاجرام وتربى عليه ، ولذلك فان الحل الأسلم والأعدل والأصلح لمثل حال هذا الجانح أن يحجز فى دار إصلاح ، صالحة لتربيته ، وإصلاح نفسه ، وتقويم انحرافه ، حتى اذا ما صلحت نفسه أطلق سراحه فعاد مواطنا صالحا ، وكل طريق فى العقوبة غير هذه الطريق خطأ بالنسبة اليه .

وكذلك الأسير فهو محارب محاد لله ورسوله ، متربص بالمؤمنين الذين يتمثل فيهم الحق والنور والحضارة ، فاذا أمكن الله المؤمنين منه كان عليهم أن يقفوا منه موقفهم من الصبى الجانح تماما ، لأنهم إن اطلقوا سراحه عاد ردءا لأهله ، وحربا على المسلمين مرة ثانية ، وأصبح قتال المؤمنين بالنسبة اليه عادة وديدنا ، وإن قتلوه كانوا ظالمين له ، لأنه إنسان لم يتوفر فيه القصد الجرمى بيقين ، لأنه قد يكون دفع الى الحرب دفعا ، وقد يكون أقدم عليها جاهلا بأحكام الاسلام وطبيعته وقد .. (١) ولذلك قرر الاسلام أن الطريق الأمثل لمثل حال هذا الانسان أن يوضع فى دار إصلاح يتربى فيها تربية إسلامية ، تصلح حاله وتقوم انحرافه وتعيده الى المجتمع عنصرا نافعا صالحا .

ودار الإصلاح هذه هى ما يسمى بـ (الرق) أو بمدرسة الرق ــ إن صح التعبير ــ حيث يأوى فيها الأسرى الى بيوت المسلمين التى تعتبر ــ أو ينبغى أن تعتبر ــ مدارس إسلامية ، يرى الأسير فيها الإسلام عن قرب على حقيقته مجسدا فى افراد هذه العائلة ، من عبادة وإخلاص وحسن معاملة وخلق كريم ، حتى اذا ما انصلحت نفسه فتحت أمامه أبواب التحرير ــ التخرج من مدرسة الرق ــ فعاد الى المجتمع حرا كما كان بعد أن أصبح إنسانا سويا ، وعنصرا صالحا .

هذا ولم يكتف النبى صلى الله عليه وسلم ــ لتأمين حسن معاملة الأسير الرقيق ــ بما عهد فى المسلم

من خلق ودين يكفيان لكفه عن إيذاء هذا الأسير ، ويضمنان له حسن الرعاية والتوجيه ، ولكنه أوصى به وصية خاصة فى أكثر من حديث نبوى شريف ، حتى جعله فى أحد الأحاديث بمثابة الأخ الشقيق لسيده — مدير مدرسة رقه — وأمره أن يعامله معاملة أحد أفراد عائلته ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

هل بعد هذه المؤاخاة وهذه الوصية بالرقيق طبقية أو استعباد « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

والإسلام لم يقف عند حد العناية بالرقيق وهو رقيق ، ولكنه تعداه الى مرحلة ما بعد التحرير أيضا ، وجعل بين الرقيق ومعتقه صلة كصلة الرحم والقرابة ، وهى صلة الولاء حيث يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « الولاء لحمة كلحمة النسب » ذلك أن هذا الرقيق الذى تحرر غالبا ما يكون بعد تحرره بعيدا عن أهله ، غريبا عن وطنه ، مما يشعره بوحشة الغربة وألم الفراق ، فعالج الاسلام هذه الناحية فى نفس الرقيق المعتق ، وأبدله أهلا خيرا من أهله ، ودارا خيرا من داره ، وجعله ابنا روحيا — إن صح التعبير — لمعتقه ، ينفق عليه إذا احتاج للنفقة ، ويرثه بحق العصوبة اذا توفى ، ولم يكن له عصبة من الأقرباء غيره .

هذا ما اتضح لى أنه حكم الإسلام فى الاسترقاق ، وهو اعتبار الاسترقاق مباحا وطريقا مفضلا من طرق التصرف بالاسرى فى الاحوال العادية ، وأنه مدرسة تربوية ، وليس معلما من معالم الاستعباد ، كما يظن البعض خطأ . وذلك بشهادة مصادر الفقه الاسلامى التى لا تنضب وهو حكم متفق عليه لدى فقهاء المسلمين على وجه لم يتفقوا فيه على حكم مثله ، إذ لم يرو عن واحد ممن يعتد بقوله من الفقهاء خلاف ذلك سلفا وخلفا ، إلا أقوال ظهرت مؤخرا تقول بتحريم الرق فى الاسلام ، غاية أكثر قائليها الدفاع عن الاسلام ، ورفع الشبهات عنه ، ولكنه على كل حال دفاع ضعيف وخاطىء ، ولا مستند له من الفقه نقلا وعقلا كما رأيت ، الى جانب أنه دفاع عن الاسلام بما لم يقله الاسلام ، مما يفتح الثغرة المزعومة اكبر ، والشبهة المختلقة أكثر ، ويجعل بعض المستشرقين ومن يلف لفهم من المتحاملين على الاسلام الحنيف ، يصموننا بالتعصب الأعمى والدفاع الأهوج ، والابتعاد عن الموضوعية ، والنزاهة العلمية التى يدعونها لأنفسهم — ظلما وبهتانا — إذ ندافع عن الاسلام بما ليس فيه ، ونبرئه مما هو فيه ، ذلك أن كثيرين منهم اطلعوا على كتبنا ومصادر فقهنا اكثر من كثيرين منا ، ولن يخفى عليهم امر نستره عنهم بقشة من تبن .

---

* هذا المقال لا بد أن يثير لدى بعض القراء والمثقفين — فيما اقدر — شبهات وتساؤلات ، واننى ارحب بتلقى كل ما يثور فى خلدهم من اشكالات او مناقشات ، واجيب على صفحات هذه المجلة الكريمة .

(١) اذا تيقن الامام من وجود القصد الجرمى فى نفس الاسير جاز له بل وجب عليه قتله ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم باسرى بنى قريظة ، حيث قتلهم لنقضهم العهد الاول معه .

نظرية العودة إلى الجريمة في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية

للدكتور أحمد على المجدوب

العود الى الجريمة يقع حين يرتكب المتهم جريمة أو اكثر بعد الحكم عليه نهائيا من أجل جريمة سابقة ويترتب عليه تشديد العقوبة ، لأن المشرع يقدر ان العقوبة التى سبق أن حكم بها على المتهم من أجل جريمته أو جرائمه السابقة لم تكن كافية لردعه ومنعه من العود الى الجريمة ، فضلا عن ان عودة هذا يدل على استهانته بالقانون واستخفافه بالعقوبة .

وقد طبقت معظم التشريعات العقابية الحديثة هذه النظرية باعتبار ذلك وسيلة ناجحة فى الحد من الزيادة المستمرة فى معدلات الجريمة وخاصة تكرار وقوعها من نفس الاشخاص .

نشاة نظام العود : —

كان ظهور نظرية عامة للعود لأول مرة فى قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٧٩١ فلم تكن التشريعات العقابية السابقة كالقانون الرومانى والقانون الكنسى وقوانين العصور الوسطى المطبقة فى أوربا تعرف نظرية عامة للعود ، بالرغم من انها كانت تهتم بتشديد عقوبة العائد فى بعض الاحوال وبالذات فى جرائم السرقة والجرح ، فقد جاء فى اعلان كونتيليان الرومانى « ان من يجرح شخصا لأول مرة قد يعفى عنه ، أما من يفعل ذلك بعد الحكم

عليه مرتين فانه يعتبر كالقاتل » بينما أصدر الامبراطور شارلمان أمرا يقضى بأن السارق للمرة الأولى تفقأ عينه ، فاذا سرق للمرة الثانية تجدع أنفه ، أما اذا سرق للمرة الثالثة قطعت رأسه ، هذا فى فرنسا ، أما فى المانيا فانه طبقا لقانون كارولين الصادر سنة ١٥٣٣ كانت عقوبة السرقة للمرة الثالثة تماثل عقوبة السرقة بالاكراه وهى فى الحالتين الاعدام ، فاذا كان الجانى رجلا فانه يشنق ، اما اذا كان امرأة فانها تعاقب باغراقها فى الماء .

وقد تطورت النظرة الى العود تبعا لتطور الفلسفات العقابية والفكر القانونى الغربى بصفة عامة ، فوضعت له قواعد تعد نموذجا للحلول التقليدية الجنائية ، تضمنتها نصوص القوانين الوضعية التى صدرت منذ نهاية القرن الثامن عشر فى أوربا ، وهى القوانين التى تستند أساسا الى المبادىء التى نادى بها مونتسكير وبكاريا . وتقوم على أصول ثلاثة هى المسئولية الأدبية والعقوبة الرادعة وشرعية الجرائم والعقوبات . وقد طالب الفقه التقليدى بأن يتضمن القانون تحديدا دقيقا لشروط العود واثاره مما أثار العديد من المشكلات الفنية التى حاولت التشريعات الصادرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حلها بشكل أفضل مما فعلت تشريعات النصف الأول منه .

ومن أبرز المشكلات التى أسفر عنها تطور النظرة الى العود ، المشكلة الخاصة بما اذا كان تشديد العقاب يكون وجوبيا أو جوازيا ، فقد كان قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ ، والالمانى الصادر سنة ١٨٧١ والمصرى الصادر سنة ١٨٨٣ وكثير من القوانين ، تعتبر العود ظرفا مشددا وجوبيا تمشيا مع مبدأ الشرعية ، الا ان الاتجاه الى التفريد الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن الماضى ؛ ظهر تأثيره فى كثير من التشريعات التى اتجه عدد منها الى منح القاضى سلطة تقديرية وجعل التشديد جوازيا ، من ذلك القانون البلجيكى الصادر سنة ١٨٦٧ والقانون المصرى الصادر سنة ١٩٠٤ ، ثم قانون العقوبات الصادر سنة ١٩٣٧ .

وتبعا لذلك فان القاضى لم يعد ملزما بتشديد العقاب اذا توافرت شروط العود، وانما له أن يقدر ملاءمة التشديد أو عدم ملاءمته فى كل حالة .

انواع العود : ـ

هناك نوعان من العود ، احدهما العود العام ، والثانى العود الخاص . ولكل منهما شروطه واثاره فى العقوبة ، وتستند التفرقة بين هذين النوعين من العود الى نظرة المشرع الى دلالة العود فى الحالتين ، فهى فى النوع الأول تكشف عن أن الجانى لم تردعه العقوبة التى وقعت عليه من أجل الجريمة السابقة ، ولذلك يلجأ المشرع الى زيادة مقدار العقوبة دون أن يغير نوعها ، أما فى النوع الثانى من العود ، فان المشرع يرى ان وقوعه يدل على احتراف الجانى ارتكاب نوع معين من الجرائم مما يعنى شدة خطره على المجتمع فيلجأ الى تطبيق عقوبة من نوع مختلف عليه لعلها تردعه .

آثار العود الى الجريمة :

يترتب على العود الى الجريمة آثار عديدة ، أهمها جواز تشديد العقوبة

على العائد ، أما الآثار الأخرى فهى جواز توقيع عقوبات تكميلية فـــى بعض الجرائم كالوضع تحت مراقبة الشرطة لمدة محددة ووجوب تنفيذ الأحكام فورا على الرغم من استئنافها .

تقدير نظـــام العود :

كان الهدف الرئيسى من فرض نظام العود هو اتخاذ تغليظ العقـــاب وتشديده على المجرم العائد وسيلة لردعه حتى لا يستمر فى طريق الجريمة ، بعد أن تبين أن العقوبة العادية لم تردعه فعاد الى ارتكاب الجريمة وهو ما أدى فى الوقت نفسه الى فرض نظام آخر لتسجيل السوابق باعتباره أمرا لازما فى معرفة ما اذا كانت شروط العود سواء كان عاما أم خاصا قد توافرت بالنسبة للمجرمين أم لا فتشدد العقوبات الموقعة عليهم أولا تشدد .

ولكن لا نظام العود ولا نظام التسجيل أفلحا فى تحقيق الغرض منهما ، فقد دلت الاحصاءات على الارتفاع المستمر فى نسبة العود فى كل بلاد العالم تقريبا ، فضلا عن الزيادة المطردة فى معدلات الجريمة ، مثال ذلك انه فى فرنسا كانت نسبة العود سنة ١٨٢٦ ، ١٦٪ تقريبا ارتفعت الى ٢٦٪ سنة ١٨٤٦ ثم الى ٣٣٪ سنة ١٨٥٥ ووصلت النسبة الى ٥٦٪ سنة ١٨٨٦ ، ثم الى ٦٥٪ تقريبا سنة ١٩٦٨ ، بينما تجاوزت النسبة هذا الحد فى الولايات المتحدة الامريكية فوصلت الى ٦٧٪ ، وهى تتراوح بين ٤٥٪ و ٧٠٪ فى معظم دول أوربا .

أما فى البلاد العربية فان نسبة العود الى الجريمة ليست معروفة على وجه الدقة نظرا لتخلف وسائل التسجيل واساليب الاحصاء الجنائى وكانت المرة الأولى التى أمكن فيها تحديد نسبة العائدين الى الجريمة فى جمهورية مصر العربية حين أجرى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة بحثا للمجرمين العائدين سنة ١٩٧٠ أسفر عن ان نسبة العود تصل الـــى ٢٧ر٥٪ من اجمالى المجرمين .

وفضلا عن فشل نظام العود فى تحقيق اغراضه وبلوغ غاياته فان نظام التسجيل الجنائى قد تسبب فى وجود فئة أصحاب السوابق الذين يغلـــق المجتمع ابوابه دونهم فيعودون رغما عنهم الى طريق الجريمة باعتباره السبيل الوحيد لكسب العيش والحصول على الرزق ولا زالت مشكلة السابقة الأولى بدون حل وتقف حجر عثرة فى طريق عودة من أخطأوا الى المجتمع ليستأنفوا حياتهم فيه .

وهذا الوضع الغريب فرض على علماء القانون والجريمة والاجتماع اعادة النظر فى نظام العود ، بعد ان تبين فشله فى تحقيق الأهداف التى وضع من اجلها ، الا أنه لوحظ ان هذه الخطوة قد بدأت بداية خاطئة ، أو بالاخرى بدأت من حيث كان يجب ان تنتهى ، فهى تنظر الى المجرم فى نهاية الشوط ، اى بعد أن أصبح عائدا أو معتادا ، وتبحث فيما يجب أن يتخذ نحوه من اجراءات وهل تشدد عقوبته أو تستبدل بالعقوبة ما يسمى بالتدابير الاحترازيـــة أو الاصلاحية .

وفات هؤلاء العلماء انهم سبق ان قالوا ان عود المجرم سببه فقدان العقوبات للأثر الرادع مما جعله يستخف بها ويعود الى طريق الجريمة ، فكان الأولى أن يشددوا العقوبات عليه من البداية حتى يوفروا لها هذا الاثر الرادع ومن ثم يفكر عدة مرات قبل أن يعود الى ارتكاب الجريمة .

موقف الشريعة الاسلامية من المشكلة :

لا يجب أن نقع فريسة للاحساس المفرط بالتميز أو نستسلم للرغبة فى السبق الى كل شىء ، فنزعم أن شريعتنا الغراء قد عرفت نظام العود ، لأنه ليس بشرط ان تكون كل النظم المستحدثة قد عرفتها شريعتنا أو سبق اليها فقهاؤنا ، خاصة وان بين هذه النظم ما تبين فشله وثبت خطؤه ، ومنها نظام العود الذى تأكد عجزه التام عن تحقيق الاهداف التى وضع من أجلهـا ، فالشريعة الاسلامية لا تعرف هذا النظام أو بالأحرى لا تقره ، والقول بغير ذلك يتنافى بشكل واضح مع عقوبة الحد التى يجب أن توقع كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله دون زيادة أو نقصان سواء أكان الجـانى يرتكب الجريمة لأول مرة أم يرتكبها لثانى أو لثالث مرة ، فالزانى غير المحصن يجلد مائة جلدة « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » (سورة النور ـ ٢) واذا عاد الى ارتكاب الجريمة جلد نفس العدد من الجلدات .

كذلك فى حد القذف فان القاذف يجلد ثمانين جلدة « **والذين يرمـون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** » (النور ـ ٤) فان عاد القاذف الى ارتكاب جريمة القذف عوقب بنفس العقوبة نوعا وقدرا .

ومن يشرب الخمر يجلد ثمانين جلدة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه » وكذلك فى عقوبة السرقة وهى القطع فمالك يرى أن الذى يسرق مرارا ثم يستعدى عليه انه ليس عليه الا ان تقطع يده لجميع من سرق منه ، اذا لم يكن أقيم عليه الحد فان كان قد اقيم عليه الحد قبل ذلك ثم سرق ما يجب فيه القطع (أى عاد الى السرقة) قطع أيضا .

وقد اقتصرنا فى ذكر الحدود على ما يمكن أن يقع فيه عود دون الاحوال التى تكون العقوبة فيها القتل فلا يتصور حدوث عود الى الجريمة كزنا المحصن والحرابة فى الاحوال التى يحكم فيها بالقتل أو بالقتل مع الصـلب والردة والبغى .

كذلك فان عقوبة القصاص فى جرائم القتل العمد والجرح العمد لا يتصور فيها التشديد لان هذا يتنافى مع معنى القصاص أى المماثلة ، بحيث يعاقب الشخص بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسـن بالسـن والجروح قصاص** » (المائدة ـ ٤٥) ومن ثم فلا يتصور تشديد العقاب فى جرائم القصاص والا انتفت المماثلة .

اما التعازير فبالرغم من ان عقوباتها غير مقدرة وبالتالى يجوز لولى الأمران يشددها فى الاحوال التي يتراءى له فيها ذلك ومنها العود الى ارتكاب الجريمة التعزيرية الا أن ذلك يتعارض مع الاتجاه العام للشريعة الى الدعوة الى التخفيف على العصاة والرحمة بهم وعدم التذكير بجرمهم طالما أنهم قد عوقبوا . فقد اعتبر الرأى الراجح فى الفقه الاسلامى (الشافعى واحمد ومالك) ان توبة الجانى بعد معاقبته تطهره تطهيرا كاملا ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ومن ثم فانه يعود مواطنا عاديا له كل ما للاخرين من حقوق وعليه ما عليهم من التزامات ، وحجة الفقه فى ذلك ان بقاء اى اثر للعقاب يعتبر تغليظا له وقد اعتبروا أن تغليظ الزجر لا ضابط له ، وقد حصلت مصلحة الزجر بالحد ، وكذلك سائر الجرائم جعل الشارع مصلحة الزجر عليها بالحد .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس الذين قالوا للرجل الذى وقع عليه حد الشرب ، أخزاك الله : « لا تقولوا هكذا ولا تعينوا عليه الشيطان ، ولكن قولوا رحمك الله » . مما يدل على أن الاسلام لا يعتبر الجريمة وصمة تعلق بالمذنب الى الأبد وتحيل نهاره الى ليل وحياته الى جحيم وتطارده أينما حل وانما يكتفى بما وقع عليه من عقاب رادع ، لأنه من المعلوم أن عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم الا بمؤلم يردعهم ويجعل الجانى نكالا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعله .

وهكذا تلافت الشريعة الاسلامية منذ البداية النتائج التى أدت الى ظهور نظام العود ، وهى فقدان العقوبات الأثر الرادع وبالتالى استخفاف المجرمين بها وعودهم الى ارتكاب الجريمة مثنى وثلاث ورباع بل وعشرات المرات أيضا حتى فى ظل نظام العود الذى يتنافى مع ابسط مبادىء العدالة لان الجريمة التى أرتكبها العائد لا تختلف عن الجريمة ذاتها اذا أرتكبها شخص غير عائد ، ومع ذلك فان المشرع طبقا لنظام العود — يوقع على الاول عقوبة أشد مما يوقعه على الثانى ، وهذا التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيح فى النظر والعقول ، حتى ولو كان المشرع يأخذ بعين الاعتبار عند التشديد الجرم السابق للعائد ، فان هذا يعنى انه يعاقب على الجريمة الواحدة مرتين ، الأولى حين ارتكبت والثانية حين اعتبر الشخص عائدا لارتكابه الجريمة الثانية وهو ما يتعارض مع مبدأ عدم جواز معاقبة الشخص مرتين من جريمة واحدة .

وهو عكس الوضع فى الشريعة التى جعلت العقوبات كفارات لأهلها ، وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة بالجنايات اذا قدموا عليه ، ولا سيما اذا كان منهم بعدها التوبة النصوح والانابة فرحمهم الله بهذه العقوبات أنواعا من الرحمة فى الدنيا والآخرة .

وهذا الوضوح فى موقف الشريعة الاسلامية من العود الى الجريمة لا يقلل منه بحال ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه قال « من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » وقيل ان القتل يكون فى الخامسة ، لأن هذا الحديث فضلا عن ضعفه فانه فى رأى غالبية رجال الفقه

ومنهم الائمة الأربعة قد نسخ ، وهو ما ذكره الترمذى فى سننه فقال « والعمل على هذا عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم اختلافا فى ذلك فى القديم والحديث» ومما يقوى هذا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من أوجه كثيرة انه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه » ، والقول بقيام الاجماع على نسخ هذا الحكم اى قتل شارب الخمر فى الرابعة أو الخامسة يؤيده النووى فى شرحه لمسلم . كذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل العائد الى شرب الخمر فى الرابعة ، بل اكتفى بجلده ، فقد روى بن حزم من طريق النسائى « اخبرنا محمد بن موسى حدثنا زيادة بن عبد الله البكائى حدثنى محمد بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فى الرابعة فاضربوا عنقه »» فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيمان أربع مرات ، فرأى المسلمون أن الحد قد وقع وان القتل قد رفع كذلك لم يعرف ان احدا من الخلفاء الاربعة قد قتل عائدا الى شرب الخمر ، بل انه حين انهمك الناس فى الخمر وتحاقروا العقوبات فيها ، اى استخفوا بها ولم يتورعوا عن العود الى الشرب لم يذهب صحابة رسول الله فى خلافة عمر بن الخطاب الى القول بقتل العائد وانما اكتفوا بتشديد العقوبة ابتداء ردعا لمن يشرب وزجرا لمن قد تسول له نفسه الشرب ، دون أن يقصروا التشديد على حالة العود ، وهو ما يتمشى مع الاتجاه العام للشريعة من فرض عقوبات رادعة منذ البداية وعدم الاعتداد بالعود .

فقد روى أبو وبره الكلبى قال أرسلنى خالد بن الوليد الى عمر رضى الله عنه فأتيته ومعه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلى وطلحة والزبير رضى الله عنهم فقلت ان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقرأ عليك السلام ويقول ان الناس قد انهمكوا فى الخمر وتحاقروا العقوبة فيه ، قال عمر هم هؤلاء عندك فسلهم فقال على رضى الله عنه تراه اذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون فقال عمر بلغ صاحبك ما قال فجلد خالد ثمانين وجلد عمر ثمانين .

وهكذا لا نجد حالة واحدة شددت فيها العقوبة على الجانى العائد سواء كانت جريمته حدا أو قصاصا أو تعزيرا وهذا ليس تقصيرا من الشريعة وانما هو موقف اتخذته عن وعى واتجاه التزمته عن ادراك من مشكلة الجريمة والعقوبة يتفق مع سياستها فى هذا الشأن التى تتحدد فى فرض جزاءات رادعة منذ البداية ، ثم اتاحة الفرصة كاملة للجانى للعودة الى المجتمع بعد أن كفر عن جرمه ، فاذا عاد الى ارتكاب الجريمة عاقبته بنفس العقوبة وهى بطبيعتها شديدة وكافية اذا تكررت أن تردعه .

وهكذا تكشف الأحداث ويثبت التطبيق العملى لنظريات الغرب كالعود وغيره سلامة اتجاه الشريعة الاسلامية وصحة موقفها ودقة حلولها وصدق نظرتها الى المشكلات .

الوَحْيُ إلى الأنبياء

مراتبه ومظاهره

تحليل الصوت الذي عرفه المسلمون

للدكتور نور الدين عتر

فى غار حراء حيث الصفاء الروحى والبعد عن ضوضاء الدنيا كانت المفاجأة التى لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد فى الغار تؤذنه بالاصطفاء الالهى له بمقام النبوة والدعوة الى الله لانقاذ الانسانية من وهدتها وضلالها وضياعها الى قيم الايمان الفاضلة والعبودية الحقة لله التى تضع هذا الانسان فى موضعه الكريم اللائق به فى صلته بربه وفى عزته ورفع شأنه ومكانته فى هذا العالم . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : « أول ما بُدِىءَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحةَ فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح « .... »

« حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال ما أنا بقارىء . قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكبرم » . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ... » (١)

---

(١) من حديث طويل اخرجه البخارى فى أول جامعه الصحيح .

مراتب الوحي وكيفياته :

وقد اشتمل الحديث على هذين الحالين اللذين عرفناهما من انواع الوحى ، وهنالك مراتب وكيفيات عدة ذكر القرآن الكريم اصولها فى قوله تعالى : « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم** »(٢) .

فدلت الآية على هذه المراتب الجامعة لكيفيات الوحى وانها ثلاث لا رابع لها ، وهى :

١ — ان يلقي الله ما يريد القاءه الى النبى مباشرة بطريق خفى سريع دون واسطة .

٢ — ان يكلمه من وراء حجاب تكليما .

٣ — أن يرسل الملك الى النبى فيلقى اليه ما امره الله تعالى بـه .

وقد بحث العلماء فى هذه المراتب واستقصوا احوالها فيما ورد فى وصف الوحى من الكتاب والسنة ، وأوصلوها الى سبع مراتب ينقسم اليها الوحى ويقع بها ، ومنهم من جعلها ثمانى مراتب(٣) .

وهذا التعداد الزائد قد يشكل بما نصت عليه الآية من تحديد مراتب الوحى بالثلاث التى عرفناها لكن التأمل والنظر الدقيق يحقق أن لا اشكال فى المسألة وان الأمر لا يعدو أن يكون شرحا وتفصيلا للمراتب الاساسية التى ذكرتها الآية يندرج فى ضمنها ولا يتجاوز حدها ، كما يتضح من هذا البيان الذى يشرحها :

المرتبة الاولى : الرؤيا الصادقة ، وذلك كما ورد فى حديث عائشة « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم » . والوحى فى هذه المرتبة اما أن يكون بالقاء الله ، أو بواسطة الملك فهو داخل فى الآية لا يخرج عنها .

المرتبة الثانية : أن يأتيه الملك فيلقى فى روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما أخرج الحاكم عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ... » .

المرتبة الثالثة : ان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه فيعى عنه ما يقول ، كما فى الحديث المشهور من سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة وهو متفق عليه

المرتبة الرابعة : ان يأتيه الملك على حاله الملكية ويوحى اليه ،

---

(٢) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٣) أنظر فى ذلك الروض الانف للسهيلى ، وزاد المعاد لابن القيم ، والاتقان للسيوطى ، والمواهب اللدنية للقسطلانى ، وشرحه للزرقانى ، وغيرها .

وفى هذه المرتبة يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس ، وكان ذلك أشد الوحى عليه صلى الله عليه وسلم .

المرتبة الخامسة : أن يأتيه الملك جبريل ويظهر له فى صورته الملكية العظيمة التى خلق عليه ، فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه ، وذا وقع له صلى الله عليه وسلم مرتين ، احداهما فى الأرض ، والثانية فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ، كما قال تعالى فى سورة النجم : « **ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى** » .

وهذه المراتب الاربعة التى بعد الأولى كلها صور لمرتبة واحدة لا تخرج عنها ، ذكرها القرآن فى قوله تعالى : « أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء » .

المرتبة السادسة : كلام الله تعالى للنبى من وراء حجاب ، كما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بعد أن استقرت فريضة الصلوات على الخمس فنودى : « أحكمت فريضتى وخففت على عبادى » وكما وقع لموسى عليه السلام : « **وكلم الله موسى تكليما** » .

المرتبة السابعة : كلام الله تعالى للنبى وحيا بلا واسطة ملك ولا حجاب : كما أوحاه الى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهو فوق السموات من فرض الصلوات ومضاعفة الحسنات الحسنة بعشر أمثالها ، وغير ذلك . وهى مرتبة داخلة فى قوله : « **أن يكلمه الله الا وحيا** » أى اعلاما خفيا .

لكن بعضهم استشكل ما وردت به الأحاديث فى هذه المرتبة وما قال به أكثر العلماء من أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل ليلة المعراج وكيف يتفق مع قوله : « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب** » وليس ههنا حجاب .. ؟

الا أن هذا الاشكال فى الحقيقة غير وارد هنا اذا ما علمنا أن الوحى الالهى فى هذه المرتبة لا يشبه خطاب الخلق بل هو داخل فى قوله الا وحيا ، لأن الوحى اعلام فى خفاء ، وقد أبان الامام المفسر البيضاوى عن ذلك فى تفسيره لهذه الآية حيث قال يفسر الا وحيا : « كلاما خفيا يدرك بسرعة ، لأنه تمثيل ، ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة » . فازاح بذلك شبهة خروج هذه المرتبة عن حد الآية الكريمة .

تحليل الصوت عرفه المسلمون قديما :

وهذا القول له دلالة اخرى هامة تتصل بعلوم الطبيعة يجب أن نشيد بها فى هذا المقام :

فقد اشتهر بين المثقفين أن تحليل الصوت ومعرفة كونه يتألف من موجات هو أمر جاء الاوربيون وسبقوا به ، وشاع ذلك وانتشر حتى لا يظن أحد أن المسلمين عرفوه من قبل اكتشاف الأجهزة التى تسجل الاهتزازات والتموجات ، مع أن فى أبحاث المسلمين ما يدل على معرفتهم لذلك : فهذا الامام البيضاوى يبين أن الوحى المباشر من الله ليس من نوع كلام الخلق الذى يتوقف على تموجات متعاقبة ، اذن فقد كان المسلمون على علم بأن الصوت يتكون من موجات صوتية فى عصر البيضاوى بل ومن قبل عصره أيضا ، حيث نجد الامام فخر الدين الرازى يقدم لنا دراسة عن الصوت وتموجاته وأثره المادى والصدى وحدوثه فى كتابه الحافل : « المباحث المشرقية »(٤) ، واذا علمنا أن البيضاوى توفى سنة ٧٩١ هـ والرازى سنة ٦٠٦ هـ تبينا أن المسلمين كانوا على علم بطبيعة الصوت فى عصر كانت أوروبة غارقة فى أوحال التخلف ودياجير الجهل ، أى منذ نحو ثمانمائة عام .

وهذا يرجع الى فضل ما نزل الوحى به على النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز فى بلاغته وأسلوبه المعجز فى مضمونه المعجز فى آثاره الانسانية ، حيث نهض بالامم والشعوب من وهدة الذل الى العزة والكرامة وانقذها من عبادة الانسان بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومن الجهل المظلم الى العلم النافع المنير(٥) ، ومن التخلف الى الحضارة الكاملة الفاضلة التى تصلح الدين والدنيا والاخلاق وترعى حرمة هذا الانسان ، وها نحن نرى العلم الطبيعى يخدم الثقافة فى القرآن ويؤازرها ويبرز فيه اعلام العلوم الدينية فى الاسلام ويدفعون حركة تقدمه الى الامام بخطى واسعة فى حين كان ذلك حراما عند غير المسلمين ، ومن حاوله تعرض لأليم العذاب .

مظاهر الوحى :

والوحى فى أى مرتبة من مراتبه أمر عظيم يقتضى من الانسان أن يتجاوز حدود المادة وعالم الشهادة ليتصل بالملائكة وعالم الغيب ، وذلك يقتضى من صاحبه استعدادا يهيئه الله تعالى فى أولئك الأخيار الذين اصطفاهم من خلقه لهذه المنزلة ، وكثيرا ما كان يحدث للنبى صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة فى التلقى من الملك ، قالت عائشة رضى الله عنها : ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله

(٤) ص ٣٠٥ — ٣٠٩ .

(٥) انظر تفصيل موقف القرآن من العلوم الكونية وآثره فى تقدمها فى تقديمنا لكتاب « الرحلة فى طلب الحديث » للخطيب البغدادى .

صلى الله عليه وسلم : « أحيانا يأتينى مثـل صلصلـة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد عيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا »(٦) .

قال الامام الزركشى(٧) فى « وصـف التلقى من الملك » : « والتنزيل له طريقان : احدهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملائكـة وأخـذه من جبريل ، والثانى : ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذ الرسول منه ، والاول أصعب الحالين » .

وقال الحافظ ابن حجر(٨) : « قوله : وهو أشده علىّ يفهم منه أن الوحى كله شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهـو واضح ، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه ان العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع ، وهى هنا اما باتصاف النبى بصفة الملك الروحانية وهو النوع الأول ، وأما باتصاف الملك بوصف النبى وهو البشرية وهو النوع الثانـى ، والاول أشد بلا شك » .

ومن آثار الوحى ومظاهره على النبى صلى الله عليه وسلم ما وردت به هذه الاحاديث :

١ — ما ذكر فى حديث السيدة عائشة الذى رويناه سابقـا . واخرج البخارى وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى اللـه عنهما فى قوله تعالى : **((لا تحرك به لسـانك لتعجل بـه))** قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، وقال سعيد أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل : **((لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه** — قال جمعه لك صدرك وتقرأه — **فاذا قرأناه فاتبع قرآنه** — قال فاستمع له وانصت — **ثم ان علينا بيانه))** ، ثم ان علينا أن تقرأه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما كان قرأ »(٩) .

---

(٦) متفق عليه .

(٧) فى كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » ج ١ ص ١٢٩ .

(٨) فى فتح البارى ج ١ ص ١٦ .

(٩) أول صحيح البخارى باب بدء الوحى ، وانظر حديث يعلى بن أمية فى المعتمر المحرم الذى سأل عمن يحرم فى جبة وقد تضمخ بطيب فى الصحيحين (كتاب الحج) .

٢ ـ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى سمع عند وجهه دوى كدوى النحل :
عن عبد الرحمن بن عبد القارىّ قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى يسمع عند وجهه دوىٌ كدوىّ النحل ، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال :

« اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ، واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا ، ثم قال : لقد أنزلت علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ علينا : **« قد افلح المؤمنون** .. حتى ختم العشر » . اخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى(١٠) .

٣ ـ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه **الوحى ثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ** الجالس الى جنبه . اخرج البخارى وغيره عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه : **« لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله »** فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علىّ قال يا رسول الله : والله لو استطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى ، فثقلت علىّ حتى خفت أن ترضّ فخذى ثم سرّى عنه فأنزل الله **« غير اولى الضرر »** . اخرجه البخارى بلفظه واحمد وابو داود وغيرهم(١١) .

٤ ـ انه صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى بركت به راحلته : عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ان كان ليوحى الى رسول الله عليه وسلم وهو على راحته فتضرب بجرانها » أخرجه احمد .

وعن عروة بن الزبير أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى

---

(١٠) المسند برقم ٢٢٣ والترمذى فى تفسير سورة المؤمنون، والمستدرك ج ١ ص ٥٣٥ باسنادين أحدهما من طريق المسند ، والآخر من غير طريقه ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ج ٥ ص ٢ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والعقيلى والبيهقى فى الدلائل والضياء فى المختارة . وانظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٧ وتعليق أحمد شاكر على المسند ج ١ ص ٢٥٧ .

(١١) البخارى فى التفسير : سورة النساء ج ٦ ص ٤٧ و ٤٨ وفى الجهاد باب قول الله لا يستوى القاعدون ، والمسند ج ٥ ص ١٨٤ وانظر ١٩٠ و ١٩١ وأبو داود ج ٣ ص ١١ (الرخصة فى القعود عن الجهاد) وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٤٠ و ٥٤١ .

يسرّى عنه . أخرجه ابن جرير ، وهو مرسل ، والجران باطن عنق الناقة(١٢) .

اما التلقى للوحى من الله تعالى من غير واسطة فهو أعظم المراتب واسماها شرفا وأكثرها حاجة للامدادات الإلهية لتحمل هذا الموقف وما فيه من الهيبة والعظمة والجلال الالهى مما تخر له الافلاك وتندك الجبال الشم الراسيات كما قال عز وجل : **« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله »** .

وقد ظل موسى عليه السلام يتأهب أربعين يوما لميقات مكالمة الله اياه . كذلك قام جبريل وميكائيل عليهما السلام باعداد النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الموقف الجليل حين اتياه للاسراء والمعراج .

واذا علمنا أن الله قد أعطى هذه المراتب ومنحها كلها للنبى صلى الله عليه وسلم فان هذا يزيدنا علما بفضل هذا النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه حيث جمع الله له كل مراتب الوحى ما لم يجمع لغيره وخصه فيها بخصوصيات تفرد بها مما يعرف المؤمن ما كان لنبيه من عنايات الله عز وجل وامداداته وما اختصه به من كمالات فضله بها على غيره من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

يوم الوحى :

وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم المسلم على أن يجعل ليوم الوحى اهتماما وتوجها خاصا الى الله، بمجاهدة النفس والتصفية لها بصيام مستحب ، تكميلا ومتابعة لمجاهدتها بالصيام المفروض فى شهر رمضان حتى تصفو النفوس من أكدارها وتخلص القلوب وجهتها نحو بارئها سبحانه وتقبل عليه بقوة وعزم وعلى العالم بالمكارم والاصلاح ودعوة الخير الذى نزل به الوحى فى ذلك اليوم ، أخرج مسلم عن أبى قتادة الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين فقال : « فيه ولدت وفيه أنزل علىّ »(١٣) .

---

(١٢) انظر الحديثين فى ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ . ولهما شاهد فى المسند فى نزول آية « اليوم أكملت لكم دينكم » انظر مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ وانظر تفسير ابن كثير للآية ج ٢ ص ١٢ و ١٣ .

(١٣) فى صحيحه كتاب الصيام ج ٣ ص ١٦٨ .

يوم الحج الأكبر

للأستاذ : عـزت محمد ابراهيم

- كان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، وكانت حجة الوداع تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم .
- فى خطبة الوداع آيات من هدى النبوة ، هى نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم .
- لا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور بتزلف او قربى جل شأنه وعـلا على ذلك علوا كبيرا .
- اعطى رسول الله القدوة من نفسه ، فاعطى بذلك المثل الأعلى ، وكان القدوة الحسنة لمن أتى من الخلفـاء الراشدين من بعده .

كان العرب قبل الاسلام قد احالوا دين ابراهيم الخليل الى ضروب والوان من الوثنية والشرك والتزلف الى الله فهم يقيمون فى جوف الكعبة الأوثان والأصنام يصنعونهـا بأيديهم ، ثم يؤمنون بعد ذلك بقدرتها على النفع والضرر ، ويتوسلون اليها ويتقربون منها ويطوفون بها فى تضرع وخفية ، واذا حجوا الى البيت قدموا الذبائح ، وقربوا القرابين لأصنامهم تلك التى لا رجاء فيها ، ولا فائـدة ترتجى من ورائها .

وجاء الاسلام فطهر بيت الله الحرام من هذا الرجس ، وجعل من الحج اليه معنى ساميا تتحقق فيه أخوة بارة ، ومساواة ظاهرة ، لا يختلف غنى أو فقير فى مظهر أو ملبس والجميع فيه سواسية فى لباس واحد ، واتجاه واحد الى الله عز وجل ، يلبون نداءه ، ويسرعون الى رحاب بيته فى أمـن وسكينة .

وكان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، فطهر البيت للطائفين والعـاكفين والركع السجود ، وكانت حجة الوداع

تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم : كيف يؤدونها ، وفى حجهم: كيف يقومون به ، على أكمل وجه ، وخير أداء ، ملقين وراء ظهورهم عهد الجاهلية الأولى بما كان فيه من شر ونكر ، وخبث وفساد .

وكان فتح مكة فى شهر رمضان المبارك من سنة ثمان للهجرة ، فدخل النبى عليه السلام بيت الله الحرام ، وطاف حوله وهو على راحلته ، وكان منه يوم الفتح ما هو خليق به من شرف النبوة ، وكريم الشمائل فقد قيل أن سعد بن عبادة كان يهتف يومــذاك قائلا : « اليوم يوم الملحمة ، اليــوم تستحل الحرمة » .

وبلغ الرسول عليه السلام قول ابن عبادة ، فنحاه عن راية المسلمين ، ووكل بها على بن أبى طــالب يحملها ويدخل بها مكة .

وقد حسب المشركون أن يكــون لرسول الله فيهم يوم انتقام ينادى فيه الدم الدم ، ويأخذ الثأر بالثأر ، فمــا كان ما وقع فى حسبانهم ، وانما كان ما ينتظر من عفو عند المقــدرة ، وسماحة عند الاقتــــدار ، فينادى عليه السلام معشر قريش يسألهم عما يرونه فاعلا بهم فيقولون : أخ كريم وابن أخ كريم ، فيقول : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ويتناول النبى مفتاح الكعبــة من عثمان بن طلحة ، ويدخلها فيجــد فيها حمامة من عيدان فيكسرهــا ، ويقف على بابها يخطب فى النــاس فيفتتح خطبته بعبارة التوحيد الذى جاء به الاسلام ، فمحا الشرك محوا ، وقضى على آثاره القضاء المبرم .

« لا اله الا الله ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وها هم أقيال قريش وأشرافها ، وذوو الحسب والنسب فيهــــا ، يسمعون اليه صــلوات الله عليــه وسلامه . فلا يسمعون تفــــاخرا بنسبهم ولا اعلاء من شأنهم ، ولكنهم يسمعون قوله يصــك أســـماعهم : « ان اللـــه قد أذهب عنكم نخــوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء الناس من آدم ، وآدم من تراب » .

ويتلو عليهم قول الله عز وجل :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكــر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبــائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ».

وطهر عليه الســــلام البيت من الرجس ، فكسر أصنــام المشركين وحطم أزلامهم ، ومحا صورا يراد بها الشرك بالله أو التزلف اليه ، ولا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين ومــا تخفى الصدور ، بتزلف أو قربى ، جــل شأنه وعلا عن ذلــك علوا كبيرا ، وها هى ذى أصنامهم التى كانــوا يدخرونها ليوم كريهة وسداد ثغر ، والتى كانوا يرجــون منها الثــواب ويخشون العقاب ها هى ذى تتهاوى أمام أعينهم ، فلو كانت تنفــع أو تضر ، لنفعت نفسها ودفعت الضر عن ذاتها .

ولعل ذلك هو المعنى الذى قصد اليه تميم بن أســـد الخزاعى فى قوله :

وفى الأصنام معتبــر وعــلم
لمن يرجو الثــواب أو العقابا

أما وقد طهر البيت من الرجس ، وخلت جنباته من مظاهر الشرك بالله فقد آن للمسلمين أن يؤدوا فريضة الحج خالصة لوجه الله لا تشوبهــا

شائبة من تقرب أو تزلف .
وقد أمر رسول الله صاحبه فى الغار أبا بكر الصديق على الحج ، بعد أن فرضه الله على عباده لمن استطاع اليه سبيلا ، وكـــان بين المسلمين والمشركين عهد الا يصد عن البيت أحد جاءه ، ونزلت براءة ، يبـــرأ الله فيها من عهد المشركين ، وقـــد كشف لرسوله دخيلـــة نفوسهم ، وبواطن سريرتهم ، وما تنطوى عليه من حقد دفين للمسلمين ، وتربص بهم .
وقد حمل البراءة الـــى أبى بكر الصديق ، على بن أبى طالب ، فلحق به فى بعض الطريق ، ليتلو عليـــه قول الله عز وجل .
((براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وان الله مخزى الكافرين ، وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الـــذين كفروا بعذاب أليم ، الا الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتمـــوا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)) .
((يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فســـوف يغنيكم الله من فضله ان شاء إن الله عليم حكيم)) .
ولم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .
وكانت حجة الوداع فى السنـــة العاشرة من الهجرة ، وقـــد عـــزم الرسول على أن يحج بالناس ، وسمع أناس من حول المدينة بعزمه عليـــه السلام ، فهرعوا اليه ، واجتمع اليه خلق لا يحصـــون يصفهم ابن قيم الجوزية بأنهم كانوا بين يدى الرسول ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر .
وقد خرج الرسول من المدينـــة ظهرا لست بقين من ذى القعدة ، ميمما شطر بيت الله الحرام ، وعرف الناس فى حجته تلك مناسك الحج ، يأخذونها عنه ، ويفعلون كما يفعل ، وفيها كانت خطبة الوداع ، فكأنما قد أحس عليه السلام بدنو الأجـــل ، واقتراب المنية ، فكان فى أول خطبته للناس قوله :
» لعلى لا القاكم بعد عامى هـــذا بهذا الموقف أبدا » .
وفى الخطبة آيات من هدى نبوته ، هى نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم ، فهى سنة رسول الله تفضل ما أجمل فى كتاب الله ، وتشرح ما استغلق على الناس فهمه وقد حرم الله الربا وأربى الصدقات وجاء فى محكم تنزيله قوله تعـــالى :
((الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع ، وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عـــاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم)) .
وجاء فى الخطبة وضع كل دم فى الجاهلية ، ووضع كل ربا فلا يبقى غير رءوس أموال الناس .
وتكون الحكمة البعيدة ، والبصر النافذ ــ نفحة من نفحات نبوة مشرقة ــ ان يبدأ الرسول بذوى قرباه ، قبل أن يبدأ بغيرهم من الناس ، وكان لعمه العباس بن عبد المطلب أموال عليها ربا فهو أول ما يضع الرسول من الربا ، وكان لبنى عبد المطلب دم وذحول عند هذيل فى الجاهليـــة ، فهو أول دم يبدأ به رسول الله من دماء الجاهلية ، فلا يكون للناس عليه

حجة ، ولا يكون لهم مندوحة عـن الامتثال لأوامره وأوامر الله .

(قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبـد المطـلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ، فهـو أول ما أبدأ به من دمـاء الجاهلية) .

هم عشيرته الأقربون ، ينذرهم فى مجال الدعوة ، والأمر الذى يصدع به ، وهم عشيرته الأقربون ، يبدأ بهم فى مجال القدوة والامتثال ، ويتخذ منهم المثل والشاهد اذا هم أحد أن يلتمس شفاعة فى حـد من حدود الله : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

ويتعدى الأمر عشيرتـه الأقربين وآل بيته الأدنين اليه هو صلـوات الله وسلامه عليه ، فيعطى القدوة من نفسه ، ويكون المثل الأعلى فى ذلك ، والقدوة الحسنة لخلفائه الراشدين من بعده ، فيأتى عمر بن الخطـاب رجل يستأديه من أمير ضربه ، ويهم ابن الخطاب بالقود منه ، ولا يبالى ما يكون من عمرو بن العاص الذى لا يريد أن يعمل لأمير المؤمنين وهذا شأنه يقيد من أمرائه لعامة الناس ويكون رد عمر بن الخطاب نسجا على منوال رسول الله ، وصاحب الأسوة الحسنة له ، ولخيار المسلمين : « لا أبالى الا أقيد منه ، وقد رأيت رسول الله يعطى القود من نفسه » .

ويمضى الرسول فى خطبة الوداع فيعرض للنسىء ويعده زيادة فـى الكفر ، ويبين الشهور ما يحل فيهـا قتال وما يحرم ، ويبين للناس حقوقهم على نسائهم ، وحقوق نسائهم عليهم :

« ان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لـكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لـكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذ تموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمـات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وتركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمـرا بينا : كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس ، اسمعوا قـولى واعقلوه ، تعلمن ان كـل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم » .

تلك أمانة الله قد بلغهـا رسول الله لعباده ، واشهده عليهم .

وتكر أعوام اثر أعـوام ، والناس يؤدون فريضة الحج من استطاع منهم السبيل اليه ، فاذا جمعتهم مناسكها عرفوا حكمة الشارع فيها ، واستبانت لهم من جوانبها عبرة تلو أخـرى ، وذكروا رسول الله ، واستعادوا ما قاله فى خطبة الوداع منذ أربعـة عشر قرنا من الزمان ، فاذا العبرة قائمة ، والدرس ظاهر بين يتجدد أوانه ولا يبلى منه جديد .

وهم يأتون من المشارق والمغارب ، ويقطعون الفيافى والقفار ، ويمخرون عباب بحار وأنهار ، ويركبـون شتى المراكب : سهلها وصعبها ، فيذكرون فى خشوع وتبتل شاهد حق علـى صدق الرسالة وصاحب الرسالة : قول الله عز وجل : « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامـر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » .

وأى منفعة أجل وأعظم من هـذه الدروس والعبر يشاهدونها بأعينهم ويلمسونها بأيديهم ، ويطمئنون اليها بقلوبهم .

بناء الاقتصاد الإسلامي :

ربما الفضل في حديث ابن عباس وصلته بنظرية القيمة العادلة !!

للاستاذ زيدان أبو المكارم

نص الحديث :

قال الامام الشافعي في « الرسالة » :

« أخبرنا سفيان ، أنه سمع عبيد الله بن يزيد يقول : سمعت ابن عباس يقول : اخبرني أسامة بن زيد ، أن النبي قال :

« إنما الربا في النسيئة » .

وقال الامام أبو حنيفة في « مسنده » :

عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد — رضى الله عنهم — قال :

« إنما الربا في النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا باس » .

تخريج الحديث :

رواه الشافعي في (الرسالة) ۲۷۸ ، فقرة ۷٦۳ . وقال محققها الشيخ أحمد محمد شاكر — رحمه الله — ما ملخصه :

والحديث رواه الشافعي أيضا في اختلاف الحديث ٢٤١

ورواه أحمد في مسنده (٥ : ٢٠٤) وليس فيه كلمة « إنمـــا » .

ورواه أيضا مسلم (١ : ٤٦٩) ، والنسائي (٢ : ٢٢٣) ، ولفظ مسلم كلفظ الشـــافعي ، ولفظ النســـائي : « لا ربا إلا في النسيئة » .

ورواه الطيالسي (رقم ٦٢٢) بلفظ الشافعي .

ورواه الدارمي (رقم ٢٥٩٢) ولفظ الدارمي : « إنمــا الربا في الدين » .. ثم قال الدارمي : « معناه درهم بدرهمين » ، وبوب عليه : « لا ربا إلا في النسيئة » .

وورد الحديث من طرق أخرى ، منها في البخاري (٣ : ٧٤ و ٧٥ من الطبعة السلطانية) ، (٤ : ٣١٨ـ ٣١٩ من فتح الباري) ، وابن ماجـــه (٢ : ١٩) أ هـ .

ورواه الامام ابو حنيفة كما رأينـــا في مسنده (صفحة ١٥٨) طبعة حلب سنة ١٣٨٢ هـ موقوفا على الصحابي الشاب أسامة بن زيد ، وفيه زيادة « وما كان يدا بيد ، فلا بأس » وهي زيادة ، لها أهميتها فيما يتعلق بفقه الحديث ، وارتباطهبغيره من الأحاديث الأخرى ، كما سنراه في موضعه من الحديث والشرح .

ما يلزم للبحث في شرح هـــذا الحـــديث :

---

١ ـــ تخريجه لتعلم منزلته ودرجته من الصحة والقوة ، والاعتداد به في الاحتجاج ، لاستنباط الأحكام الشرعية التي يدل عليهـــا ، وقـــد تبين ذلك بوضوح مما تقدم .

٢ ـــ تحديد زمنه بالنسبة لغيره من الأحاديث التي تشاركه في موضـــوع الربا ، حتى يمكن معرفة السابق من اللاحق ، لينتفع بذلك عند التعارض بنفيه عن طريق النسخ ، وهو أحـــد الأصول الفقهية المقررة عند العلماء ، فالسابق منسوخ ، واللاحق ناسخ .

٣ ـــ بيان معنى الربا ، لغة وشرعا وبيان المراد منه في هذا الحديث ، وبيان أنواع الربا عند علماء الفقـــه الاسلامي .

٤ ـــ بيان مذاهب الفقهاء في الربا ، وعرض آرائهم وأدلتهم التي اعتمدوا عليها من القرآن والسنة ، والقياس .

٥ ـــ أثر هذا الحديث في الترجيح بين أدلة الفقهاء ، بما يصل الى غاية التشريع الاسلامي ، الذي تدرج في تحريم الربا ، طوال عصر النبوة ، من أوله الى قبيل قبض النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى بقليل .

٦ ـــ بيان الصلة الوثيقة بين الربا المحرم أشد التحريم في القرآن والسنة بجميع أنواعه ، وبين (نظرية القيمـــة العادلة) .

١ ـــ **تخريج الحديث** : وقد علم مما تقدم أنه حديث صحيح ، بل إن الحافظ ابن حجر يقول : « واتفق العلماء على صحة حديث أسامة ، واختلفوا فـــي الجمع بينه وبين حديث أبي سعيد ، فقيل : منسوخ ، لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال » (فتح الباري ٤ : ٣١٨ ، ٣١٩) .

٢ ـــ **تحديد زمن الحديث** : نعني : متى قاله النبي صلى الله عليه وسلم ؟

وبالاجابة عن هذا السؤال يمكن معرفة الناسخ من المنســـــوخ في الأحاديث المتعلقة بموضوع الربا .

ويوضح أهمية ذلك ما أخرجـــــه البيهقي « عن عـــلي بن أبي طـــالب ـــ رضي الله عنه ـــ أنه مر على قاض يقضي .

قال : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟

قال : لا .

فقال علي : هلكت ، وأهلكت .

وأخـــرج البيهقي مثله عـــن ابن

عباس (١) .
إذا تمهد هذا نقول :
إن أول آية وجهت الى المؤمنين الخطاب بشأن تحريم الربا هي آية آل عمران :
« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » الآية ١٣٠ . وقد صرحت بتحريم « الأضعاف المضاعفة من الزيادة » وسكتت عما دونها .
وآخر آيات قرآنية خاطبت المؤمنين بشأن تحريم الربا آيات سورة البقرة ، وفيها :
« احل الله البيع وحرم الربا »
« يمحق الله الربا »
« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا »
وتحريم الربا فيها عام شامل للأضعاف المضاعفة وما دونها ، بالنص الصريح :
« وان تبتم فلكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون » .
وآية آل عمران نزلت بعد غزوة احد فى السنة الثالثة .(٢) .
وآيات سورة البقرة نزلت فى السنة العاشرة ، قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بأقل من ثلاثة أشهر .
فبين نزول الآيتين نحو سبع سنوات ، تدرج التشريع الاسلامى فيها عن طريق السنة النبوية التى أخذت تتتبع الوان الربا الجاهلى وصوره فى المعاملات ، تحرمها شيئا فشيئا ، حتى لم يبق إلا القليل الذى عنته آية البقرة بالتحريم :
« ذروا ما بقى من الربا » .
وليس من السهل أن نتعرف بالتفصيل على هذا التدرج ، ونحدد زمن تحريم كل معاملة جاهلية فيها ربا ، من الأحاديث النبوية الكثيرة .
ولكننا نعتقد إن بين أيدى المتخصصين فى الحديث وعلومه رواية ودراية ما يمكنهم بدلائل فنية عميقة أن يصلوا الى بعض النتائج فى هذا السبيل ، اذا بذلوا جهودا مخلصة سيكون لها نفعها .
كذلك فان بعض الأحاديث فى موضوع الربا تحمل فى سياقها دلائل تدل على تواريخها ، أو تدل على تقدمها على غيرها أو تأخرها عنه وسنضعها بين يدى القارىء لنتأملها، ونستخرج منها تلك الدلائل ، مهتدين فى ذلك بما نقله البيهقى قال :
« قال الشافعى :
ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ فى القرآن إلا بخبر عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو بوقت يدل على أن احدهما بعد الآخر فيعلم أن الآخر هو الناسخ أو بقول من سمع الحديث ، أو الاجماع .
قال : وأكثر الناسخ فى كتاب الله إنما عرف بدلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) .
وهذه هى الأحاديث ، لنتأملها جيدا .
عن عبادة بن الصامت قال :
قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :
« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدا بيد ، سواء بسواء فاذا اختلفت هذه الأصناف ، فبيعوا كيف شئتم ، اذا كان يدا بيد » (٤) .
وفى رواية أبى هريرة زيادة قوله :
« فمن زاد او استزاد فقد أربى »
وهذا الحديث هو الأصل الذى اخذ منه فقهاء المذاهب أحكام الربا .
وهو يمثل الخطوة الأولى ، ويلزم المسلمين اذا تبايعوا فى صنف واحد من هذه الأصناف ، مثل قمح جيد بقمح ردىء ، يلزمهم بأمرين :
١ — أن يتساويا فى المكيال صاعا بصاع ، وهكذا .
٢ — أن يتقابضا فى المجلس .

والشرط الأول لاتقاء (ربا الفضل).
والشـــرط الثـــانى لاتقـــاء (ربا النسيئة) .
فاذا اختلف الجنسان ، مثل قمح بتمر ، ســقط عن المتبايعين الشرط الأول ، وجاز لهما التفاضل ، ولكن يلزمهما الوفاء بالشرط الثانى ، وهو التقابض فى المجلس .
فلننظر الى حديث آخر صحيح :
عن أبى سعيد الخـــدرى ، وأبى هريرة — رضى الله عنهمـــا — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم: استعمل رجلا على خيبر ، فجـــاءه بتمر جنيب وهو صنف جيد ، فقال رســـول الله — صلى الله عليه وسلم — :
أكل تمر خيبر هكذا ؟
فقال : لا ، والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا (الجيـــد) بالصـــاعين (يعنى من الردىء) والصاعين بالثلاثة ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا تفعل ، بع الجمع (الردىء) بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا .
وقال فى الميزان مثل ذلك (٥) .
وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال :
جاء بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم بتمر برنى (وهو صنف جيد) فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :
من أين هذا . . ؟
قال بلال : كان عندنا تمر ردىء ، فبعت منه صاعين بصاع ، ليطعم النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أوه ، عين الربا ، عين الربا ، لا تفعـــل ، ولكن اذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ، ثم اشـــــتر به(٦) .
هذه خطوة نبوية جديدة ، لاحقة بغير شك للخطوة الاولى ، أعطت جوازا عن النهى الأول بالعفو عن الشرط الأول فأجازت التفاضل بطريقة غير مباشرة ، وقد عرفنا أن تلك الخطوة الثانية كانت بعد فتح خيبر التى تم للمسلمين الاستيلاء عليها فى السنة السابعة من الهجرة النبوية .
وبلال وذلك الرجل لم يبلغهما نهى النبى صلى الله عليه وسلم فعمـــــلا بمقتضى العقـــل والفطرة ، فأعطيـــا الردىء حقه ، والجيد حقه مباشرة .
وفى هذه الخطوة كما هو واضح تخفيف عن المسلمين ، وتوجيه لهـــم الى اســـتخدام الدراهـــم والدنانير معايير أساسية لتقدير قيم جميــــع الأشياء ، وذلك يعطى الإحســـاس بالعدل ويمنع من بخس القيم .

ويمضى المسلمون ينفـــذون أوامر النبوة ، فمن عنده تمر جيد أو ردىء ويريد النوع الآخر ، يبيع ما عنـــده أولا بالدراهم أو بالدنانير ، ثم يعود ليشترى ما يريده من التمر . فليس معقولا أن يرضى صاحب الجيد أن يتساوى تمره بالردىء .
والحكمة فيما يبدو — واللهأعلم — أن يتعود الناس على رد القيم كلها الى معيار واحد ، حتى تبدو الفروق واضـــحة أمام كل متبايعين ، فـــاذا تمرسوا بذلك وتعودوه ، فلن يكون هناك خوف عليهم من بخس ولا ظلم ، ولا تنازع .
نرجح أن هذه هى الحكمة المتوخاة فى التشريع ، بل نكاد نجزم بهـــا ، لما سنرى فى الخطـــوة التشريعية الثالثة .
يجول فى الأذهان سؤال طبيعى ، لم هذا المشوار ؟
أفلا يجـــوز أن يقـــدر المتبايعان الردىء والجيد ، ويحددا الفرق ، ثم يتبادلا مباشرة ، بتلك القيمة العادلة ؟ بدلا من ذلك البيع الآخر ، الذى يطيل عليهما قضاء الحاجة ؟

وتلك هى الخطوة الثالثة التى أتت فى حديث أسامة .

« إنما الربا فى النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا بأس » .

يعنى : بيعــوا الصنف الجيــد بالردىء متفاضلا فذلك هو الحق بعد تقــويم كل منهمــا بقيمته العــادلة المعروفة بينكم .

هل ترى بين هذه الخطوات النبوية الثلاث تناقضا فى الأحكام ؟

الم يتضح أن هذا هو ترتيبهــا الزمنى ، من فتح خيبر الى الســنة الأخيرة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

ارجو أن يعود القارىء الى ما أرشدنا اليه الشــافعى من علامات نعرف بها السابق من اللاحق ، لتمييز الناسخ من المنسوخ ، وهى أربــع أمارات :

١ ــ قول النبى صلى الله عليــه وســلم .

٢ ــ أو الوقت المحدد فيهما أو فى أحدهما ، ويعين الترتيب الزمنى .

٣ ــ أو اخبــار الصحابى الذى سمع الحديث .

٤ ــ أو الاجماع .

وذكر فتح خيبر واضح فى الحديثين اللذين يمثلان الخطوة الوسطى للتدرج التشريعى ، فتلك علامة .

ثم رواية أبى حنيفة عن أسامة بن زيد ، وهو راوى الحديث ، والأعلم بتطبيقه ، أمارة أخرى على أن حديثه هو ختام التشريع فى هذا الشأن .

وعن هذا كله صدر ابن عباس ، وقال بقوله فى القيمة العادلة التى لا تبالى بالمساواة الشكلية فى المقدار ، وانما تعنى بالقيمة التى يتحراهــا الشرع عدلا ، بغير بخس ولا ظلم ، ولا غبن ولا مانع من التفاضل الشكلى للوصول الى القيمة العادلة مباشرة .

اليس من واجب كل فقيه ، وكــل عالم ودارس أن يتورع فلا يعود يكرر تلك المقالة التى لا صواب فيها : ان ابن عباس يحل ربا الفضل ؟!

والتى توهم بأنه كان يســـتحل محرما ؟!!

إن الفقهاء مجمعون على العمــل بالخطوة الثانية التى وردت فيما حدث من بلال ووالى خيبر ، وما أمرهما به النبى صلى الله عليه وسلم من البيع الآخــر .

والذى أشكل عليهم وعلى بعض الصحابة هو المراد بحديث أسامة ، وقد فسره أسامة فى رواية أبى حنيفة وأخذه عنه ابن عباس ، وغيره من الصحابة والتابعين .

إن التفاضل هنا تفاضل شكلى ، وليس تفاضلا حقيقيا ، فالتمر الجيد ليس كالتمر الردىء أبدا ، لا فى عقل ولا فى عرف ، والذهب الخام ليس كالمصنوع حليا ، والعدل يحتم تقدير الجــودة وتقدير الصناعــة ، ولكن بالعدل والقسطاس المستقيم .

---

(١) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالســنة للسيوطى طبع المنيرية سنة ١٩٥٢ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) تفسير المنار ٤ : ٩٥ ، ١٢٢ .

(٣) ص ٣٢ من المرجع السابق (مفتاح الجنة)

(٤) مسلم ١ : ٤٦٥ .

(٥) عمدة الاحكام ، الحديث ٢٧٠ .

(٦) متفق عليــه .

قولوا لهم

للأستاذ : أحمد العنانى

— ١ —

يا شباب المسلمين على سواحل الأطلسى وحتى مشارف الصين .

يا أبناء السمر والصفر ، والبيض والحمر ، وكلهم سواسية .. كلهم ذو شأن وأمر .

يا رجال الحق ، ودعاة السلام والمحبة .

يا أهل القرآن ، وأسرة الود والعدالة والمرحمة .

أشرقت مجددا شمس الربيع .

ذابت عن الزهرات الحسان اكداس الصقيع .

انحسر ظل الغفلة ، وانحطم عرب الجهالة .

والمسلمون اضحوا يعيشون الصحو ويحيون تحت شمس النهضة

دماء الشهداء ما هدرت ..

اصوات الدعاة ما تبددت ..

لقد أنبتت ثم أينعت .. ومضى دور وجاء دور ..

مئات السنين مضت الآن على الهجمات البربرية على سواحلنا فى آسيه الغربية .

ومئات مثلها انقضت على العدوان على طرقنا البحرية والتجارية ومئات على المحاولات الخسيسة لمحو هذا الدين فى افريقية وغير افريقية ..

وباء ذلك كله بالفشل ونجا الدين وعاشت لغته العربية ..

واليوم تسقط أحدث المحـــاولات الخبيثة الخفية الحاقدة .. لاحيـاء رجعية نتنة تخطاها ديننا منذ أربعـة عشر قرنا يريدون أن يقسموا الأمـة الواحدة الــى أعــراق وفصائـل ، وأجناس وألوان ، وأغنياء وفقراء ، وكادحين ومكدوح لهم .

وتأبى كلمة الله الواحد ، وكتاب الله الوطيد المجيد الواحد ، ووقفـة على عرفات لا تترك لأحد فضلا على أحد بغير التقـــوى وصيام يوحـد المشـاعر ويهلـك الأثرة ويحيى ود الأسرة الكبـرى ، وصـلاة لا تقـر كبرياء لغير الله ، وزكاة تطهر قلوب المعطين والآخذين ، وروح دين أحكمت صنعته قدرة ممــن له المثل الأعلـى والأسماء الحسنى والكلمة العليا فى السموات والأرض .

تأتى عبقرية الصنعة الربانية أن يطاولها فى الارض زور المفتريـن ، وضلالات المغضوب عليهم والضالين ، ويظل الاسلام هـــو دين الفطـرة السليمة ، ودين الحجة القويمة ، دين المنطق السديد والفكـــر النزيـــه والوجدان العفيف ، دين الحق والعدل والعزة والمرحمة .

— ٢ —

قولوا لهم يا شباب المسلمين :

الستم تقولون بالحاجة الى خلاص العالم من سوء استخدام الصناعات المدمرة ؟

الستم تقولون ان العلم قهر المادة وسخرها ليجعل من العالم وحـدة تضاءلت فيها المسافات ، وتداعـت الحواجز ، وليس له فى نهاية المطاف غنى عن وحدة يتعايش فيها الذئـب والحمل والانسان والثعبان بغير حقد ولا ضرر او اضرار ؟

اذا فلا حل الا الاسلام لأنه حقـق التجربة الفذة الوحيدة فى التاريـخ التى تعايشت فى ظلالها الملل والنحل، وتصالحت الألوان والأعـــراق ، وتعايشـــت اللغـات والعـادات والاذواق .. ولأنه المبدأ الوحيد الذى حفظ للأقليات حقوقها كاملة ، ومكن لها أن تحتفظ بذاتياتها على مدى قرون وقرون .

قولوا لهم ان السلم الرومانى قـد سقط لأنه قسم الناس الى أربـاب وعبيد ، وجزأ المواطنة وحقوقها الى أنصاف وأرباع ، وقضى فى محاكمة بأمشاج من الشرائـــع القائمة علـى الفروق والتمييز . كذلك سقط كـل سلم فرضه الوثنيون والاهمـاج ، وسقط السلم الذى فرضه الاستعمار لأن ركائزه ظلت تغــوص فى وحول الظلم وتنهض على أسس قلقة مـن جماجم المقهورين والمستغلين .

ومن البداهة سقوط السلم الذى تفرضه كل صنوف المذاهب الالحادية تماما كما سقط سلم رويس ومـارا وطغمة السفاحين فى أعقاب الثورة الفرنسية .. ان السلم الوحيد القادر على توحيد العالــم وتطمين الأســرة البشرية هو السلم المستند الى شريعة الله المنزهة عــن الهوى ، المتسامية عن حضيض الانسانية التى ما فتئت تفسد كل سلم يصنعه البشر ..

وأى أمل للناس فى سلام يتلاعب به حق النقض الذى يرفعه المتجبرون فى الارض ســـوطا علــى رؤوس الضعاف والمتخلفين ؟

— ٣ —

يا شباب المسلمين :

ان الوجيعة الدائمة من فجيعـــة

فلسطين رسالة الم يجب أن يصهر في صميم أنفسكم أخلاط الآثار السلبية للثقافات الشرقية والغربية التي طالما أفسدت تفكيركم ، ودغدغت غروركم وغشت على أبصاركم وسائر حواسكم ..

قولوا لهم بعد اليوم قد كذبتم على أنفسكم وكذبتم علينا طويلا ..

ليس في حضاراتكم أثر لعدالة ولا أمل في سلام ولا رسالة تمت الى الخير .

أيها المطففون النفعيون ، ياعبدة المادة والاهواء والأنانية والشهوات ... يا قطعان الذئاب التي عاثت في الأرض فسادا وتخريبا .. قد وضح عندنا الصبح ، وتفجرت ينابيع مستجدة في أعماق ذواتنا ..

قد كفرنا بكم ، مهما يكن شأن طياراتكم ودباباتكم ووسائل غطرستكم وتعدياتكم ..

يا شباب المسلمين ..

أيها المرتجون لاستكمال تجديد رسالة العقل ومناخ الايمان في عالم أفقره غناه ، وروعته قواه .

أعيدوا للمساجد رسالتها في بث الثقافة المؤمنة .

جددوا للتوحيد رواءه بحسن الثبات والصبر والبسالة ، ارفضوا بشموخ حرية الجنس لأنها اباحية وانحلال سيروا في الأرض واطلبوا المعرفة وراء كل أفق ، وجددوا روح الاقدام والمغامرة ..

ارفضوا نفسية الكسل والتبطل واللغو وعبادة الوظائف وكل مسارب الأنانية اللئيمة المتراخية ..

واعلنوا رسالة هذا الدين للناس بيقين وشمم ، وقدموا مبادئه بكل لغة ، وارفضوا أحوال التردد وقلق الظنون وسموم التقليم ، وكونوا قدوة للناس ..

لأن الدنيا لن تصفى لكم حتى تطابق أفعالكم أقوالكم ، ولأنكم لن تلقوا فيها محبا حتى تحبوا أنفسكم ، وتدفنوا الكراهية في مجتمعاتكم .

— ٤ —

قولوا للناس يا شباب المسلمين .

قد نكون دونكم صناعة وزراعة وتجارة ، واقل منكم عدد مؤسسات ومعاهد وعمائر .

قد نكون دونكم تمدينا وتحديث أدوات وتنسيق شوارع وبيوت وحدائق ..

لكنكم تعلمون أن هذه أحوال سرعان ما تتبدل حين ينهض عقل الأمة من كبوات الخمود والسبات والتطفل والاتباع والتقليد .

ولقد صحونا فلا نوم عن الكدح بعد اليوم ..

ونهضنا فلا مجال لجثونا عند نعال الواغلين بعد اليوم ، وعقلنا أمر هذا الدين فسخرنا من شبهات الدعاة المضلين ، وبطل عندنا سحر المستعمرين شرقيين وغربيين ، قدماء ومستجدين .. منافقين وملحدين ..

ولسوف ترون أو يرى أبناؤكم أن الاسلام الذى لم يكن ليوقف تحرك دواليبه الظافرة الا قعود أهله عن ادارتها ، وانشغالهم بالشحناء عن حركتها .

أن هذا الاسلام سوف ينهض من كبوته ، ويستأنف رفع ألويته في كل بلد دخله ذات يوم أو تنتهى اليه بعد اليوم رسالته ..

ولسوف تروّع أحلام الظالمين في تركستان وكشمير تماما كما ينقشع سحاب الشر عن سماء الفليبين وفلسطين « والله أكبر » .

نداء بشأن الأقليات

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر برئاسة فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود وبحث موضوع اضطهاد الاقليات الاسلامية وقرر اصدار النداء التالى الى حكومات العالم كله .

وفيما يلى نص النداء :

تطورت علاقات الشعوب والأمم بعضها ببعض عما كانت عليه منذ مئات السنين بل منذ عشرات السنين .

فبعد أن كان كل شعب أو امة يعيش فى معزل عن غيره ، مغلقا على ثقافته وأفكاره وعقائده ، وعلى نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة به ، بدأت الابواب تنفتح ليتصل كل شعب بالآخر وليتعرف كل على ما عند الآخرين من نظم وثقافات ومعارف .

واقتضى ذلك أن يقوم نوع من التعاون بين الشعوب ، وأساس للتعارف بين الامم ، هو تبادل المنافع والاحترام ، وتأكيد حق كل شعب وواجباته .

ساعد على ذلك التطور العلمى الذى أحرزته البشرية ، مما كان سببا فى تقريب المسافات بين الشعوب ، ووسيلة للتعارف بينها ، واداة للاتصال السريع الواضح فى كل شأن من شئونها ، كالبرق والتليفزيون والطيران وغير ذلك من اجهزة الاتصال ، مما جعل من شعوب العالم وأممه كلها أسرة واحدة وربط بينها برباط انسانى عام وأقام بينها وحدة عضوية بحيث يحس كل باحساس الآخرين ، ويشعر بشعورهم .

هذا الوضع الجديد هو ما حض عليه الاسلام وحبب اليه ، بل وجعله من الأهداف الرئيسية من خلق الانسان ، كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى **(يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** .

ويدل عليه ــ كذلك ــ قول رسولنا الاكرم محمد بن عبد الله صلى

الله عليه وسلم : (المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس انفعهم للناس) ايذانا واشارة الى أن التعارف بين الشعوب والأمم يجب أن يقوم على أساس من الاخوة الصادقة ، والحب الأكيد ، والاحترام المتبادل ورعاية الحقوق المفروضة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين جنس وجنس أو لون ولون ودون اعتبار لصفات جنسية أو لغوية أو حدود جغرافية .

ذلك ما أكده ايضا الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبته الاخيرة ــ خطبة الوداع : (يأيها الناس ، ان اباكم واحد ، وان ربكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى والعمل الصالح كلكم لآدم وآدم من تراب) .

وانطلاقا من هذا المبدأ بنى الاسلام قاعدته على التسامح واحترام الاقليات المخالفين فى الرأى او العقيدة ومنح الحرية لهم فى ممارسة عقائدهم والحفاظ على حقوقهم كمواطنين صالحين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وتجسم هذا المبدأ بشكل واضح فى واقع الحياة العملية لصلات المسلمين فى تاريخهم الطويل بالاقليات المخالفة التى كانت تعيش بين أكثرية مسلمة دون أن تأخذ شكل اقليات أو جاليات اجنبية ، انما كانت تعامل معاملة المواطن الصالح حدث هذا فى تاريخ الاسلام فى الاندلس وفى بلاد فارس ، وفى بلاد الشام وفى مصر ، وفى غيرها من شعوب العالم وأممه .

غير أن الأنباء من حين لآخر تطالعنا بأخبار مؤسفة عن احداث مؤلمة تتعرض لها الاقليات الاسلامية فى بعض بقاع العالم الى الوان من الاضطهاد وأنواع من الابادة وصنوف من التعذيب والتقتيل مما يتنافى أولا مع المبادىء الاسلامية القويمة ، ومع المعاملة الكريمة التى عامل ويعامل بها المسلمون الأقليات فى أوطانهم ويتنافى ثانيا مع المبادىء الانسانية العادلة والقيم الاخلاقية الفاضلة ثم يتنافى ثالثا مع المواثيق الدولية وقوانين هيئة الأمم المتعلقة برعاية حقوق الانسان، من أمثلة ذلك ما حدث ويحدث للمسلمين فى الفليبين وفى سيلان وما يحدث لمسلمى بلغاريا ورومانيا وما يحدث لمسلمى تشاد وقبرص وغير ذلك من بلاد العالم .

واذا كان مجمع البحوث الاسلامية يتابع هذه الاحداث المنافية لكل مبادىء العدل والحق والانسانية واذا كان يراقبها بعناية واهتمام فلادراكه العميق لمغبة عواقبها وسوء آثارها ولشعوره المرهف بأن هذه الاضطهادات لو استمرت وأرخى لها العنان ، لعادت بأسوأ النتائج ، وأوخم العواقب ، لا على طائفة دون أخرى ، ولا على شعب دون آخر وانما على الانسانية جمعاء وعندئذ يستشرى الداء ، فيعز الدواء وتستعصى المشاكل ، فتتعذر الحلول وتشيع فى العالم روح المعاملة بالمثل ، ومبدأ القصاص العادل ، فيئول الى فوضى لا يعلم مدى آثارها الا المولى عز وجل .

لقد أحدثت هذه الاضطهادات للاقليات الاسلامية هزة عنيفة فى نفوس المسلمين فى العالم وأثارت كوامن أسفهم فأعلنوا استنكاراتهم لها واحتجاجاتهم فى مؤتمرات عقدوها ، وندوات تداولوا الرأى فيها وفى نداءات وجهوها الى رؤساء الحكومات والهيئات والشعوب .

ولا تزال هذه الاحداث قائمة ولا تزال الاضطهادات مستمرة وبدات بوادر الشر ، ونذر الصراع الدامى المرير تطل برؤوسها من بين أنياب

الغيظ ومن تحت أقدام الشعوب بل ومن خلف كراسى الحكام والقادة .

وخير ما يواجه به هذا الموقف الخطير ، هو قيام قادة الرأى من العلماء والمفكرين وقادة الحكم من الساسة ورؤساء الحكومات بجهود مشتركة بناءة يتم فيها التعاون الصادق بينهم على مقاومة هذه النزعات الضارة والاتجاهات المخربة للحضارات المدمرة للعلاقات بين الأمم والشعوب .

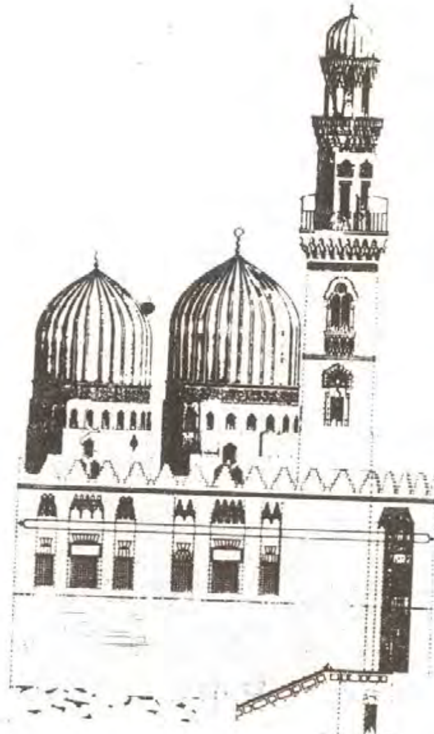
واذا نجحت هذه الجهود فى الحد من الطبقية البغيضة ، والطائفية المزقة والعنصرية المقوتة عاش الناس فى أمن وسلام واجتمعوا على كلمة الاخوة والوئام وتحقق لهم جميعا حياة الأمن والازدهار فى ظل الاحترام المتبادل ومراعاة الحقوق المشروعة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين انسان من ذهب وآخر من تراب .

وان علماء مجمع البحوث الاسلامية اذ يوجهون مرة أخرى هذا النداء الى حكومات العالم كله والى شعوبه وهيئاته والى هيئة الامم المتحدة بتنظيماتها المختلفة واذ يهيبون بهم جميعا أن يعملوا بجد لا يشوبه ملل وبعزم لا يعتوره تردد وباخلاص لا شائبة فيه على مقاومة هذه الاضطهادات والعمل على منح الاقليات الاسلامية حقها الذى تكفله لها القوانين الدولية فى حرية العبادة وفى الحقوق الاقتصادية والسياسية.

ان علماء المجمع اذ يتوجهون بذلك كله انما يدفعهم لذلك حرصهم الشديد على الرابطة الانسانية العامة وعلى أن يسود العالم جو الاخاء والتقدم والازدهار فى ظل مبادىء العدل والحق والحرية والسلام . .

(وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .

مجمع البحوث الاسلامية



مائدة القارئ

شـــهادة تامين
على الجنـــة

« يا أيها الذين آمنوا هل ادلـــكم على تجارة تنجيكم من عـــذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكـــم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلـــكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

صانعة البطولـــة

خرج الى القادسية أبناء الخنساء الأربعة ، فكـــان مما أوصتهم بـــه قولها :

يا بنى انكم أســـلمتم طائعيـــن ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو ، انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امراة واحدة ما هجنت حسبكم ، وما غبرت نسبكم ، واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكـــم تفلحون ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيســـها تظفروا بالغنم والكرامـــة فى دار الخلـــــد والمقامة .

فكانوا عند ظنهـــا ، واستشهدوا واحدا اثر واحد ، ولما وافتها النعـــاة بخبرهم لم تزد على أن قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وارجو الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

لا عمـــل

يعادل الجهـــاد

مر رجل من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وســـلم بشعب فيـــه عيينة من ماء عذبة ، فاعجبته ، فقال :لو اعتزلت الناس فاقمت فى هـــذا الشعب، فذكر ذلك لرسول الله صلىالله عليه وسلم فقال : لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل منصلاته فى بيته سبعين عاما الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنـــة ،أغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة .

الحرب وثمارهـــا

الحرب رحى ثقالهـــا الصبـــر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهـــاد ، وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر ، ولكل شىء من هذه ثمرة .

فثمرة الصبر التاييد ، وثمرة الأناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ثم ان الحرب بين الناس سجال والرأى فيها أبلغ من القتال .

الحرب النفسية

تعتمد الحرب النفسيـــة على نشر الشائعات التى من شأنها أن تزعزع الثقة ، وعلى تنمية الخلافات المحلية من حزبية وطائفية وعنصرية ، وتغذية روح التذمر والاستياء وعدم الرضا ، وعلى النقد الذاتى الزائد عن الحـــد بواسطة المبالغة فى اظهار العيـــوب والأخطاء لاضعاف روح المقاومـــة عند الأمة . فاحذروها .

عدد الحجـــاج

بلغ عدد الحجاج الذين وقفـــوابعرفـــات فى العــــام المـــاضى (١ر٢١٦ر٩٥١) حاجا .

وبمقارنة أعـــداد الحجاج الـــذينأدوا فريضة الحج منذ عشر سنوات وعددهم فى العام الماضى نجـــد أنالزيادة بلغت خلال السنوات العشر (١٤٤ر٤٤٦) حاجا .



للدكتور محمود محمد قاسم

ولد ابن سينا فى قرية افشنة من اعمال بخارى فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وبدأ دراسته بحفظ القرآن وتحصيل علوم اللغة .. وكان ابوه اسماعيليا ، ويقول ابن سينا : إن اباه كان يجتمع مع نفر من اتباع هذه الطائفة ، ليتذاكروا فى مسائل النفس والعقل وما يتصل بها من عقائد ، ثم يذكر أنه كان يدرك معنى ما يقولون ، لكنه لم يمل الى اعتناق مذهبهم . وقد اعتمد بعض الدارسين على هذا القول لكى يقرروا أن ابن سينا لم يكن إسماعيليا . وربما كان فى ذلك شىء من التسرع فى إصدار الأحكام . فإن الاتجاه الاسماعيلى يبدو واضحا كل الوضوح فى بعض رسائل ابن سينا وفى (الاشارات والتنبيهات) ولا سيما فى الأنماط الثلاثة الاخيرة من هذا الكتاب . وليس من المستبعد ان يقول ابن سينا فى صباه رأيا ، ثم ينقضه فى كهولته . ومن الضرورى أن يدرس انتاج هذا الفيلسوف فى جملته ، قبل إصدار حكم نهائى بأنه كان إسماعيليا او غير اسماعيلى ، وان كانت وصيته فى آخر كتاب (الاشارات والتنبيهات) تشبه وصايا الاسماعيلية واخوان الصفا فى رسائلهم شبها غريبا .

وقد درس ابن سينا الحساب على طريقة علماء الرياضة من الهنود ، كما درس الفقه ، وتتلمذ على أبي عبد الله في دراسة المنطق ، غير أنه اتجه في الوقت نفسه الى دراسة الطب دراسة نظرية وعملية . ثم استهوته الفلسفة ، فانصرف اليها قدر طاقته ، واطلع على ما كتبه الفارابى ، وتأثر به الى حد كبير . وفلسفة الفارابى محاولة للتوفيق بين فلسفة ارسطو وفلسفة افلاطون عن طريق الخلط بين هاتين الفلسفتين المتعارضتين وبين بعض عناصر من الفكر الشرقى القديم مع طلاء من الافكار الاسلامية لدى المتكلمين والصوفية ، مما انتهى به الى إقحام نظرية الفيض على الفكر الاسلامى . ولم يفعل ابن سينا سوى أن توسع فى عرض الموضوعات الفلسفية الاساسية التى عالجها الفارابى من قبل ، فأخذ عنه نظرية الفيض ، وتعمق فى نظريته عن النبوة ، وعدل نظريته فى النفس الانسانية ، وسلك مسلكه فى شرح فلسفة ارسطو ، ثم حرص ، الى جانب ذلك كله ، على تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنيا ، حتى يجعلها على وفاق مع فلسفته الخاصة ، وهى فلسفة اشراقية فى المقام الأول ، وهى تلك الفلسفة التى انتقلت ، فيما بعد ، الى أوروبا فى القرن الثانى عشر ، وكان لها أثرها العميق فى نظريات من يتسمَّون بالمفكرين الأحرار ، ابتداء من القرن الثالث عشر فى العالم الغربى .

واتاحت ظروف خاصة لابن سينا أن يتعرف على سلطان بخارى نوح بن منصور ، وأن يطلع على مكتبته ، ويقول ابن سينا عن نفسه إنه فرغ من قراءة كل ما حوته هذه المكتبة العظيمة ، وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشرة من عمره .

ثم انتقل ابن سينا الى همذان واستوزره شمس الدولة ، فأقام عنده عدة سنوات استطاع ان يؤلف فيها كتاب الأدوية العقلية وأجزاء كبيرة من كتاب الشفاء ، وأن يشرح منطق ارسطو . وكانت حياته فى أثناء هذه الفترة حياة خصبة وحافلة . فقد جمع فيها صاحبها بين العمل السياسى والتأليف والتدريس ، ولم يكن هذا يمنعه من تخصيص أمسياته للسمر والشراب والسماع وطلب المتعة ..

ثم اتجه الى اصفهان حيث لحق بعلاء الدولة واشتغل باتمام كتاب الشفاء ، وألف مختصرا له وهو كتاب النجاة . وكان ابن سينا مسرفا على نفسه فلم يعْنَ بعلاج المرض الذى اصابه ، ولم يتحفظ فى شرابه وطعامه ، ولم يقتصد فى متعته ، فاشتد به المرض ، ومات بهمذان فى سن السابعة والخمسين من عمره فى سنة ٤٢٨ هـ .

ويعدّ ابن سينا من كبار ممثلى الفلسفة الارسطوطاليسية عند المسلمين ، وينظر اليه الأوروبيون هذه النظرة منذ العصور الوسطى حتى الآن ، غير أن له فلسفته الخاصة ، التي تتركز حول مسائل ثلاث وهى مسألة الفيض والنفس الانسانية ونظرية المعرفة الاشراقية وما تتضمنه من نظرات خاصة الى النبوة والمعجزات والتصوف .

أما فيما يتعلق بنظرية الفيض فابن سينا لم يكن هو الذى ابتكرها ، وانما سبقه اليها أبو نصر الفارابى . ومع ذلك فان الرئيس ابن سينا هو الذى وضحها ودعَّمها بحيث ينظر اليه أحيانا على أنه هو الذى ابتدعها . وهذه النظرية محاولة لتفسير صدور العالم ، وتعتمد على أساس من التوفيق بين عناصر ارسطوطاليسية وافلوطينية وإسلامية ، وبها مسحة من التصوف . فعن ارسطو اخذ كل من الفارابى وابن سينا أن الله عقل محض يدرك نفسه ، وعن أفلوطين فكرة مراتب الوجود ، وعن المتكلمين التفرقة بين الواجب والممكن ، وعن

الصوفية فكرة الاتصال بالعقل الفعال ثم بالذات الالهية . وتتلخص هذه النظرية فى أن الله لما كان عقلا محضا . اى ذاتا عاقلة ، فإنه يفكر فى نفسه . وعندئذ يفيض عنه عقل أول يسميه ابن سينا المبدع الأول ، أو المعلول الأول ، وفى هذا المبدع الأول يوجد نـــوع من الكثرة ، اذ فيـــه ماهية ووجود ، والوجـــود ليس ذاتيا فيه ، وانما يستمده من الله أو من الوجود الأول . ثم ان هذا المعلول الأول يفكر باعتبارات ثلاثة ، اى فى الله ، ثم فى نفسه من حيث الماهية ، ومن حيث الوجود . فاذا فكر فى الله وهو المصدر الذى استمد منه الوجود صـــدر عنه عقل ثان ، وهو العقل الذى يشرف على فلك زحل ، واذا فكر فى ماهيته الممكنة فاض عنه جسم الفلك الاقصى ، واذا فكر فى وجوده المســـتمد من الله فاضت عنه نفس الفلك الأقصى . وفى العقل الثانى ، الذى صدر عنه ، توجد هذه الاعتبارات الثلاثة ، مما يؤدى الى صدور العقل الـــذى يشرف على فلك المشترى والنفس الخاصة بفلك زحل وفلك زحل . ثم يستمر الصدور وفقا لنظرية بطليموس حتى تصدر عقول عشرة آخرها العقل الفعال الذى يشرف على ما تحت فلك القمر ، ومنه تفيض النفوس الانسانية والعناصر الاربعة وصور الأجسام الارضية . وعند العقل الفعال يتوقف صدور العقول السماوية .

وقد أخذ السهروردى المقتول على ابن سينا أنه قصر الفيض على هذا العدد من عقول الأفلاك ونفوسها ، أما الغزالى فقد رأى أن ابن سينا استخدم نظرية الفيض لتقرير قدم العالم ، وفنَّد هذه النظرية على ذلك الأساس . أما ابن رشد فيقضى بأن نظرية الفيض عند الفارابى ثم عند ابن سينا دخيلة على الفلسفة الحقة ، وهو يتهم كلا منهما بالـــكذب ، فيقول : « أما ما حكاه (ابن سينا) عن الفلاسفة فى ترتيب فيضان المبادىء وفى عدد ما يفيضَ من مبدأ مبدأ من تلك المبادىء فشىء لا يقوم برهان على تحصـــيل ذلك وتحديده . ولذلك لا يلفَى التحديد الذى ذكره فى كتب القدماء » . ثم يصف الفارابى وابن سينا بأنهما « أول من قال هذه الخرافات فقلدهما الناس ، ونسبوا هذا القول الى الفلاسفة .. وهذه كلها خرافات وأقاويل أضعف من أقاويل المتكلمين ، وهى كلها أمور دخيلة على الفلسفة ليست جارية على أصـــولهم .. ولذلك يحق ما يقول أبو حامد .. من أن علومهم الالهية ظنية » .

أما عن موضوع النفس الانسانية فيلاحظ أن ابن سينا اســـترشد بآراء الفارابى فى النفس ، مع ادخال شىء كثير من التعديل والتفصيل عليها ، وهو يفوقه من جهة أنه عرض لهذه الدراسة من الناحيتين الفلســـفية والعلاجية . ويعترف مؤرخو فلسفة العصور الوسطى فى الغرب بأن ابن سينا كان عمدة فى هذا النوع من الدراسات النفسية ، وبخاصة لأنه عالج موضـــوع النفس كفيلسوف وكطبيب ، وان كان طابع الفلسفة أكثر ظهورا لديه . وقد عنى ابن سينا بموضوع النفس الانسانية ، فلا يكاد يخلو كتاب له من الحـــديث عن النفس . وتشغل البرهنة على وجود النفس وروحانيتها وخلودها قدرا كبيرا من اهتمام هذا الفيلسوف . ذلك أنه أراد أن يرد على بعض مفكرى المسلمين ممن مالوا الى انكار استقلال النفس عن الجسم ، وأن يبين ، فى الوقت نفسه ، رأيه فى طبيعة هذه النفس . وبراهينه على وجود النفس واستقلالها عن البدن عديدة ومشهورة ، وهى : البرهان الطبيعى الذى يســـتند الى أن النفس هى السبب فى حياة الجسم وحركته ، وبرهان الإدراك والأفعال الوجدانية ويرمى الى تأكيد سمو النفس الانسانية عن نفوس بقية الأنواع الحيوانية ، وبرهان وحدة النفس الذى ينقد فيه رأى افلاطون القائل بوجود ثلاث نفوس مستقلة

فى كل انسان ، وهى النفس الحيوانية أو الشهوانية ، والنفس الغضبيــة ، والنفس العاقلة .

وقد استعان ابن سينا على توضيح فكرته عن وحدة النفس بصـــورتين هما : صورة الثياب التى يشبّه فيها الجسم وأعضــــاءه بالثوب الذى ترتديه النفس ، لكنه ليس جزءا جوهريا منها ، وصورة الرجل الطائر الذى يستطيع الشك فى وجود العالم الخـــارجى وفى وجود جسمه لأعضائه الخـــارجية والداخلية ، دون أن يشك فى وجوده هو ككائن يفكر . ويذكرنا هذا البرهان فى صورتيه بفكرة الشك المنهجى عند ديكارت عندما قال : أنا أفكر إذن أنا موجود ..

واخيرا يستعين ابن سينا ببرهان الاســـتمرار ليبين به وجود النفس واســـتقلالها عن الجسم فى آن واحد . ويتلخص هذا البرهان فى أن جسم الانسان فى تغير مستمر ، لأنه مركب من عناصر يحل بعضها مكان بعض ، فى حين أن النفس تبقى على حالها ، بمعنى انها تستمر محتفظة بحقيقتها فتتذكر ما حدث لها طيلة عمرها . بحيث يعلم الانسان أن جسمه تتغير عناصره جملة فى مدة عشرين سنة ، مع بقاء نفسه على حالها فى هذه المدة كلها . ويصف ابن سينا هذا البرهان بأنه « برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام » وهو يقوده الى البرهنـــة على روحانية النفس وعلى خلودها .

وتكشف قصيدة ابن سينا فى النفس عن تأثره الكبير بآراء افلاطون . كذلك يلاحظ أن ابن سينا رفض نظرية اشتراك البشر فى نفس واحدة بعد الموت على نحو ما ذهب إليه الفارابى فى نظريته (النفس الكليــة) وهى التى نســبها اللاتينيون خطأ الى ابن رشد ، لا الى صاحبها الحقيقى وهو الفارابى . وقد بنــاها هذا الاخير على مبدأ ارســـطوطاليسى يقول بأن افراد أى نوع كان ، يشتركون فى الصورة ، ولكن يختلفون بسبب المادة التى تنشأ منها أجسامهم . ولذا فمتى فنيت أجسام النوع الانسانى ، اتحدت نفوسهم ، أى صورهم ، على هيئة صورة أو نفس كلية واحدة . وهذا ما رفضه ابن سينا والغزالى وابن رشد ، ووصفه ابن طفيل بأنه رأى أيأس الخلق جميعا من رحمة الله . أما ابن سينا فيقول إن كل نفس تتحد شخصيتها بسبب اتصالها بجسم معين ، وبسبب اكتسابها للفضائل أو الرذائل ، فى أثناء حياتها العارضة . فالخلود إذن لكل نفس فردية على حدة .

ومع ذلك فقد اقتفى ابن سينا آثار الفارابى فى نظرية المعرفة وفى تقرير نوع من التصوف الفلسفى الذى ينتهى عنده بفكرة الاتحاد المرتبطة بنظرية وحدة الوجود ذات الطابع المادى لا الروحى

— ● —

أما الفلسفة الاشراقية لابن سينا ، وهى الخاصة بآرائه فى النبوة والوحى والمعجزات والتصوف فيمكن الاهتداء اليها فى الأنماط الثلاثة الاخيرة من كتاب (الاشارات والتنبيهات) ، وفى رسالته عن حى بن يقظان ، ورســـائله فى (العشق) وفى (ماهية الصلاة) وفى معنى الزيارة ، وبعض رسائل أخرى . كذلك لا يعدم المرء أن يجد عناصر هذه الفلسفة مفرقة ومبعثرة فى كتاب الشفاء وفى كتاب النجاة .

ففى النمط الثامن من كتاب (الاشارات والتنبيهات) يعود ابن سينا الى نظرية الفيض . وهنا يبدو ارتباطها بنظرية مادية فى وحدة الوجود التى تقول

بأن الله يتجلى أو يتحد بكل مخلوق من مخلوقاته : لأنه مثال الخير ، وهذا الخير يوجد بدرجات متفاوتة فى جميع الكائنات ، ابتداء من الملائكة والأجرام السماوية حتى الكائنات العنصرية . كذلك يبين الصلة بين هذا الفيض التدريجى الهابط وبين معراج العارفين الذين يصعدون فى اتجاه مخالف نحو الوحدة الاولى التى تحدّث عنها أفلوطين من قبل . وهنا يجعل ابن سينا الطاعة نوعا من العشق للذات الإلهية ، ذلك العشق الذى يهوّن من شأن فكرتى الثواب والعقاب .

وفى النمط التاسع يعرض ابن سينا لكرامات العارفين التى تشبه معجزات الرسل . فإن العارف متى وصل الى نهاية معراجه الروحى ، وانخرط فى سلك الجبروت استطاع أن يأتى بأفعال خارقة للعادة ، وقد تفضى به حال الجذب الصوفى والاستغراق فى مشاهدة الذات الإلهية الى أن يذهل عن كل شىء . فهو اذن حكم من لا يكلَّف « وكيف ؟ والتكليف لمن يعقل التكليف ؟ » وهو يصف من لا يسلّم له بهذا الراى بالغفلة وضيق العقل ، وهنا يقترب أسلوب ابن سينا من أسلوب الباطنية ، وإن البس هذا التهديد ثوبا صوفيا براقا ، فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد . ولذلك فان ما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل وعبرة للمحصل . من سمعه فاشمأز منه فليتهم نفسه لعلها لا تناسبه . فكل ميسَّر لما خلقَ له » وترتبط هذه الفكرة عند ابن سينا باتجاه واضح الى تأويل الفرائض الدينية من صلاة وزكاة وحج .

أما في النمط العاشر من كتاب (الاشارات والتنبيهات) فيتجه ابن سينا الى التسوية بين المعجزات والكرامات والسحر ، ويفسر ذلك كله تفسيرا طبيعيا فيقول : « إذا بلغك ان عارفا أطاق بقوته فعلا أو تحريكا يخرج عن وسع مثله فقد تجد الى سببه سبيلا فى اعتبارك مذاهب الطبيعة » . كذلك يفسر الاطلاع على الغيب تفسيرا ماديا مسترشدا ببعض الحالات النفسية المرضية عند البله والصبيان .. وهو يرى أن العلم بالغيب يشرق فى النفس دفعة واحدة وعندئذ يشاهد العارف أشخاصا أو يسمع هتافا ، كما رأى الرسول جبريل وكما سمع موسى كلام ربه . ولا يعدم أن يستشهد ابن سينا هنا لرأيه ببعض تجارب الكهان من الوثنيين فيقول بعد الحديث عن بعض هذه التجارب المادية « فتارة يكون لمحان الغيب جزءا من ظن قوى ، وتارة يكون شبيها بخطاب من جنىّ أو هتاف من غائب ، وتارة يكون مع ترائى شىء للبصر » .

والتفسير الطبيعى للكرامات والمعجزات واضح كل الوضوح فى هذا النمط العاشر ، الى درجة أن نصير الدين الطوسى يعلق على كلام ابن سينا عن الكرامات والمعجزات فيقول : « وانما قال تكاد تأتى بقلب العادة ، لأن تلك الافعال ليست عند من يقف على عللها الموجهة اياها خارقة للعادة ، وانما هى خارقة بالقياس الى من لا يعرف تلك العلل » هذا الى أن ابن سينا يجمع بين السحر والمعجزات والكرامات فيرجعها الى تأثير القوى النفسية للاجراء السماوية فى نفوس السحرة والرسل والعارفين .

وتكشف الوصية التى يختتم بها كتاب (الاشارات والتنبيهات) عن اتجاه باطنى واضح شبيه بمنهج اخوان الصفا وامثالهم من مفكرى الفلسفة الاسماعيلية .. فابن سينا يوصي أتباعه الا يذيعوا أسرار الحكمة المشرقية إلا لمن يثقون بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يسرع اليه الوسواس . كذلك يطلب الى تلاميذه وخلصائه ، الذين كانوا يقرأون كتابه فى حلقة مغلقة أن

يدرسوا الحالة النفسية لمن يريدون ضمهم الى مذهبهم ، وان يستخدموا فراستهم فى الانتقال بهؤلاء من درجة الى اخرى ، حتى ينتهوا منهم الى غايتهم ، ومعنى ذلك كله انه يطلب الى الدعاة من أنصـــار مذهبه أن يمهدوا تمهيدا جيدا حتى يســـتطيعوا نقل العوام الى مرتبة اعلى مع اخذ العهد على المريدين منهم بأن يسلكوا مسلكهم مع الذين سيوكل اليهم فيما بعد ، مهمة جذبهم الى هذا المذهب السرى أو الباطنى .

وفيما يلى وصف لاهم كتب الرئيس ابن سينا :

١ ــ كتاب الشفاء : وهو أشبه شئ بموسوعة فلسفية جمع فيهـــا ابن سينا اصول العلوم الفلسفية المنسوبة الى القدماء ، ووصفها بقوله أنه لا يوجد فى كتب القدماء شئ يعتد به إلا وقد ضمنه فى هذا الكتاب . ويحتـــوى كتاب الشفاء على أربعة اقســـــام رئيسية وهى المنطق والطبيعيات والرياضـــيات والإلهيات .

وقد ترجمت اجزاء منه الى اللاتينية والى بعض اللغات الاوربية الحديثة .. وقد اشرفت وزارة الثقافة المصرية على تحقيق ونشر أجزاء كثيرة من الشفاء منها : المنطق ، والطبيعيات والإلهيات .. الخ .

٢ ــ كتاب (النجاة) وهو مختصر لكتاب الشفاء ، وفيه يدرس ابن سينا المنطق والطبيعيات والالهيات . وهناك شروح كثيرة لكتاب النجاة .

٣ ــ كتاب الاشارات والتنبيهات : وهو آخر كتب ابن سينا ، وقد قال عنه احد تلاميذ ابن سينا ، وهو الجوزجانى ، إنه أجود كتب ابن ســـــينا وانه خصصه لتلاميذه المقربين لا لغيرهم . فهو إذن من الكتب التى كانوا يتدارسونها فيما بينهم ويحتفظون بأسرارها لأنفسهم .

وقد ترجم فورجيه هذا الكتاب الى اللغة الفرنســـــية فى أواخر القرن الماضى .

٤ ــ دانش نامة علائى وهو بالفارسية .

٥ ــ كتاب (عيون الحكمة) وفيه دراســــات فى المنطق والطبيعيات والإلهيات وقد نشره الدكتور عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٥٢ .

٦ ــ كتاب (القانون) فى الطب .

٧ ــ ومن رسائله : رسالة فى الحدود ، ورسالة فى اقســـــام العلوم العقلية ، ورسالة فى اجوبة مسائل سأل عنها ابو ريحان البيرونى .

ومن المراجع التى تشير الى موضوعات فلسفيـــة ــ الكتـــاب الذهبى للمهرجان الالفى لابن سينا ببغداد سنة ١٩٥٢ ــ نشرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية(١) .

---

(١) فيما يتعلق بآراء ابن سينا الفلسفية يمكن الرجوع الى :

أ) فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق الطبعة الثانية للدكتور ابراهيم مدكور .

ب) فى النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاســـــلام الطبعة الرابعة ســنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

جـ) نظرية المعرفة عند ابن رشد وتاويلها لدى توماس الاكوينى الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

د) دراسات فى الفلسفة الاسلامية الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣ للدكتور محمود قاسم .

وفيما يتعلق بمؤلفات ابن سينا يمكن الرجوع الى :

أ) مؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتى دائرة المعارف للبستانى ١٩٦٠ .

ب) الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا سنة ١٩٧١ للدكتور محمد عاطف العراقى .



كيف نتلى

للاستاذ محمد محمد الشرقاوى

لتلاوة القرآن الكريم اسلوب فريد ، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع ، وملاءمة الطبع ، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته ، وترديد آياته مرة بعد أخرى حسبما دعا له القرآن الكريم فى قوله تعالى : ((**اتل ما أوحى اليك من كتاب ربك**)) وقوله جل من قائل : ((**فاقرءوا ما تيسر من القرآن**)) .

وهذا الاسلوب الخاص الذى انفرد به القرآن الكريم تلاوة وأداء .. يعتمد أساسا على تصحيح الحروف ، واجادة الوقوف ، وتدبر المعنى ، وتفهم المغزى ، مع لطف الأداء الصوتى ، وجمال النطق به ، والترديد له .

وقد دعانا الرسول صلى الله عليه وسلم الى تمييز القرآن الكريم عن غيره من الوان الكلام فى الأداء والتعبير ، ووضعه فى اطار خاص يتفق مع جلال رسالته ، وقدسية أهدافه .. فقد روى زيد بن ثابت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » واذا ذهبنا نتتبع هذه الصورة التى أنزل بها القرآن لنتعرف هيئتها من واقعها ، ونتبين ملامحها من وصفها .. وجدنا فى كتاب الله تعالى ما ينقع غلتنا ويفى بتطلعاتنا .. يقول الله تعالى : ((**ورتل القرآن ترتيلا**)) ، وفى آية أخرى : ((**ورتلناه ترتيلا**)) .

فالترتيل اذن هو الاسلوب الحكيم الذى انفردت به تلاوة كتاب الله ، وتميزت به عما عداه فى النطق والأداء ، وهذا الترتيل الذى ندب اليه القرآن

كتاب الله تعالى

فى أكثر من آية ، وعبر عنه بصيغة الأمر الذى يوحى بالوجوب أو الأهمية ، او الأولوية .. هو الطريقة المثلى التى ينبغى أن يلتزم بها كل قارىء ، وأن تتحدد بها كل تلاوة ، فكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يليق أن يعامل معاملة الشعر فى القائه الموزون ، واثارته العاطفية ، ولا ينبغى أن ننزله منزلة الخطبة فى طنطنتها الفخمة ، ورناتها الضخمة ، ولا يناسب أن نسرده سرد الحكايات والطرائف فى عبارتها الاستهوائية البراقة ، ولا أن نلقيه فى قوالب الصياغة العلمية الجافة .. بل ان سمو مكانته ، وخطورة آثاره تضفى على قراءته لونا خاصا يتناسب مع هذا السمو والخطر .. وهذا اللون هو الترتيل .. والترتيل فى لغة العرب : تتابع الكلام ، وأخذ بعضه بعناق بعض على مكث وتلبث مع حسن الصوت ، ورقة الأداء .

وقد فسره ابن عباس رضى الله عنهما : بأنه التبيين والاظهار ، كما شرحه مجاهد بأنه التأنى والتمهل ، وقال فيه الضحاك : « انه اخراج الكلام حرفا حرفا » وقد حكت بعض أمهات المؤمنين صورا من تلاوته صلى الله عليه وسلم — ولا شك أنهن فى هذا المجال ألصق الناس به ، وأعرفهم بطريقته — سئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان يقرأ السورة حتى تكون أطول من التى هى أطول منها » ، وسئلت كذلك السيدة أم سلمة رضى الله عنها نفس السؤال فقالت : « كان يفسرها حرفا حرفا » .

وقد دلت الآثار المروية على أن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم

بحسن الأداء وجمال القراءة لم تشغله عن الهدف الاساسى من القراءة وهو الانتفاع والذكرى .. فكان عليه الصلاة والسلام يجمع فكره وقلبه فى التلاوة للوصول من خلالها الى ابلغ المفاهيم الدينية ، والانتفاع بأقصى ما يمكن الانتفاع به من مذخور الحكم ، ومكنوز الاحكام ، حكى عنه ذلك اصحابه فى غير موضع . ومن هؤلاء ابو الدرداء رضى الله عنه الذى روى : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام فى ليلة يردد آية واحدة حتى الصباح وهى : « لن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » .. وهذا انس بن مالك رضى الله عنه الذى خدم الرسول عليه الصلاة والسلام تسع سنين يسأل عن تلاوته صلى الله عليه وسلم فيقول : « كانت مدا هكذا .. ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد اللـه ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم . ومن هنا نلاحظ أن عماد الترتيل المطلوب فى قراءة كتاب الله عز وجل انما هو تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف ـ كما حكى هذا عن على كرم الله وجهه ـ ومن مكملات هذا الترتيل : تحلية القراءة ، وتزيين التلاوة ، بالصوت الحسن ، والأداء الأغن الجميل قال ابن الجزرى فى كتابه النشر على القراءات العشر : « وقد ادركنا من شيوخنا من قرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته ، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد ان يسلب العقول ، ويأخذ بالالباب ، وهذا سر من أسرار الله يودعه من يشاء من خلقه .. » ، وذكر أيضا أن الاستاذ عبد الله البغدادى المعروف بسبط الخياط مؤلف المبهج .. كان قد أعطى حظا عظيما من حسن الترتيل ، وأنه اسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماعهم لتلاوته ، ومثله فى ذلك الشيخ ابن بصخان شيخ الشام ، والشيخ ابراهيم الحكرى شيخ الديار المصرية .. على أن الاقتصار على هذه المكملات ، وحصر الاهتمام فى استهواء القلوب والاسماع بجمال النبرات ، وتناسق الألحان ، مع صرف العناية عن الهدف الأول من الترتيل : وهو الادراك الواعى ، والفهم الناضج لما يشتمله القرآن من حكم وأحكام ، ومعان وآداب ، وعبر ومواعظ .. يذهب بالفائدة المرجوة من الترتيل ، ويضحى بالكثير من أجل القليل ، ويفسد المعنى حفاظا على صورة المبنى ، وهذا خروج عن الجادة المرسومة لتحديد معنى الترتيل الذى اختص به القرآن ، وتميز به فى تلاوته عما عداه .. قال محمد بن كعب القرظى : « لأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح (إذا زلزلت الأرض) ، و (القارعة) لا أزيد عليهما ، وأتردد فيهما ، وأتفكر ، أحب الى من أن أهذ القرآن هذا » أى أسرع فيه اسراعا ليس فيه شىء مما ذكر .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجبه الصوت الموهوب فى ترتيله لآيات الذكر الحكيم حيث تنسجم روعة الأداء ، مع قدسية المضمون .. فيتعانق الجمال مع الكمال ، وتتوافق الصورة والروح ، فى نفس مطبوعة على السمو المطلق ، والتكامل الفطرى . ولهذا .. كان عليه الصلاة والسلام يحب الإنصات لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه المسمى بابن

ام عبد ، وكان رضى الله عنه يتميز بصوت نفاذ ، وأداء للقرآن أخاذ ، وكان النبى يقول لأصحابه : « من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعنى : ابن مسعود ، وقد ثبت فى الصحيحين : أن قراءة ابن مسعود أبكت الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه فى بعض منها .. كما نقل عن عثمان النهدى قوله : « صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ « قل هو الله أحد » ، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله » .

وكان الرأى السائد بين سلفنا الصالح أن التلاوة مع العمق والقلة خير منها مع السطحية والكثرة ، لأن المقصود الأهم منها هو تقليب الفكر ، واستدامة النظر فى هاتيك الدرر الغوالى التى احتواها القرآن ، وما يشع منها من بريق الهداية ، وأضواء الحكمة .. وهذا ما لا يفطن له الا بحضور القلب ، وتفتح الفؤاد ، حال القراءة أو السماع ، وقد سئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران فى الصلاة ، وركوعهما واحد ، وسجودهما واحد فقال : الذى قرأ البقرة وحدها أفضل ، وفى صحيح البخارى أن ابن مسعود قال لرجل قرأ سور المفصل كلها فى ليلة : « أهذا كهذ الشعر ؟ » وهو بهذا ينكر عليه تعجله المخل بتفكره وتدبره ، ومما روى عنه رضى الله عنه : « جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه فانه عربى ، والله يحب أن يعرب به » ، وقوله : « لا تنثروا القرآن نثر الدقل ، ولا تهذوه هذ الشعر » والدقل ــ كما فى المصباح المنير ــ هو أردأ التمر ، وممن طرب له الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلاوته ، واستمالته قراءته ، أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه وكان من ذوى الحناجر الذهبية الموهوبة .. سمعه النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ من وراء جدر بيته فتلبث مليا اعجابا بهذا الصوت المشرق ، والأداء الرائع ، فلما عرف ذلك أبو موسى قال للرسول : « لو علمت بوقوفك لحبرته لك تحبيرا » أى حسنته لك أكثر مما سمعت .

ومعنى ذلك أن اجادة الترتيل ، ليس لها حد تقف عنده ، وأنها قابلة للتطوير الى الحد الذى لا يفسد المبنى ، ولا يلهى عن المعنى .

وما دمنا قد تحدثنا عن جمال الصوت وحسن الأداء حين التلاوة فاننا ننبه الى أنه ليس معنى هذا التفريط أو الافراط .. فكما لا يجوز الاخلال بصحة الحروف ، واستقامة الوقوف ، كذلك لا يجوز المبالغة فى تشخيص الحروف ، والتكلف فى اخراجها حتى تصل الى صورة مشوهة جافية ، وما أحسن قول أبى عمرو الدانى فى هذا الصدد : « ليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات .. بل هو القراءة السهلة العذبة .. الحلوة اللطيفة .. التى لا مضغ فيها ، ولا لوك ، ولا تعسف ، ولا تكلف ، ولا تصنع ، ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب ، وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء » .

فالاطار الذى يمكن أن يبرز فيه الترتيل حسبما تراءى من خلال وصفه وواقعه كما نقل الينا يعتمد أصلا على صحة الحروف ، ومعرفة الوقوف كما يستند كذلك الى تجميل القراءة بالصوت الحسن مع التفكر الهادف ، والإلمام الواعى ، والسبح فى فلك الاهداف القرآنية للاهتداء باشعاعاتها ، والاسترشاد بمواعظها ، وهذه هى التلاوة المثالية للقرآن الكريم .. وعلى جانبيها طريقتان أخريان يمثلان طرفى الغلو والتساهل ، ويسميان عند أهل الفن : التحقيق والهدر ، والأول هو العناية البالغة بمخارج الحروف من اشباع ، وتحقيق همز ، واتمام حركة ، واظهار تشديدات ، وتوفية غنات ، وتفكيك حروف بالسكت والترسل ، وليس من اللازم مع هذا التحقيق الترتيل ولا حسن الصوت وهذا اللون لا ينبغى أن يكون الا للمتعلمين لتعويد النطق ، وتوليد الانطباعات اللسانية .

وأما النوع الثانى وهو المسمى بالهدر فهو الاسراع مع ايثار الوصل ، ولكن مع المحافظة على الحروف واقامة الاعراب ، ويلجأ اليه البعض تحصيلا لحسنات أكثر ، واحرازا لفضيلة أتم ، ولكن الحق خلاف ذلك ، فان العبرة ليست بوفرة التلاوة ، بل بكثرة الافادة ، وقد أحسن بعض أئمة الترتيل حين قال : « ان ثواب قراءة الترتيل والتدبر اجل وأرفع قدرا من ثواب كثرة القراءة ، فالأول كمن تصدق بجوهرة ثمينة ، والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم » .

وبعد .. فقد انتهينا الآن الى أن أفضل الوان القراءة القرآنية هو الترتيل : وهو الذى جاء به التنزيل الحكيم ، وأن عماد الترتيل صحة الحروف وملاحظة مناسبات الوقوف ، مع حسن الأداء وتجميل الصوت ، وادارة الفكر وأعمال القلب والوجدان فيما يمر به من آيات بينات ، ومواعظ بالغات ، وأن التشدد فى أداء الحروف سواء بالتحقيق أو بالتطريب يخرجها عن حد القراءة المشروعة والتلاوة المتوارثة ، كما قال حمزة : « ما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة » وأن خير الامور أوساطها وأن الثواب الجزيل ، منوط بكيفية القراءة لا بكميتها ، وحسبنا أن نقرأ قوله تعالى : ((**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**)) ومعنى المكث : التلبث والتروى ، وقوله تعالى : ((**واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**)) فان الاستماع بمعنى السكوت ، والانصات معناه التدبر وهما لا يتأتيان بغير الأناة والترتيل ، وقد جعلت الفقاهة بمعانى ما يتلى من شرائط السلامة .. كما اعتبر عدم الاستفادة من التلاوة من صفات المخالفين وذلك فى قوله تعالى : ((**واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا**)) ويقول تعالى : ((**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**)) ومعنى تلاوة القرآن حق تلاوته كما فى القرطبى : « ترتيل الفاظه وتفهم معانيه لأن ذلك أدعى الى الاتباع لمن وفق » .

آن للعالم أن يحرم البيرة !!

الخمر والانتحار احصائيات مثيرة

للدكتور : سالم نجم

اهتم علماء الطب فى كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية بنتائج أبحاث أجريت فى كل من مقاطعة كويبك بكندا ومدينة أوماها بالولايات المتحدة عن العلاقة بين شرب البيرة والاصابة بمرض فى القلب خطير ، بلغت نسبة الوفيات فيه ٤٢٪ بين أوروبا حيث ظهرت آثاره فى انجلترا حينما نوقشت دقائق الأبحاث عن هذا الموضوع فى مجلة اللانسث الطبية اللندنية بعددها الصادر فى ٢٨ أكتوبر/٦٧م ص ٩٢٨ .

ماذا يقول التقرير ؟

ولنعد الى التقرير الذى رفعته مجموعه من علماء كندا هم الأطباء : مورين ، فولى ، مارتيو ، روسيل ، والذى نشر فى المجلة الطبية الكندية منذ شهرين (المجلد (٩٧ ص ٨٨٣) . فلقد لاحظ هؤلاء العلماء ظهور مرض فى القلب ، سموه وباء لانتشاره بسرعة بين شاربى البيرة فقط . ويظهر بأعراض مرضية خاصة فهو اى — المرض — يأتى فجأة وبدون مقدمات ، حيث يشعر المريض بضيق فى التنفس وسرعة فى ضربات القلب مع سعال شديد ، وقد يصاحب هذه الأعراض الم فى أعلى البطن مع قىء ونزيف معدى من قرح فى المرىء والمعدة ثم ظهور علامات فشل القلب

(هبوط القلب) يقضى على المصاب في عدة أيام . أما من يجتاز هذه المرحلة من المرض فانه يصاب بتورم عام مصحوبا باستسقاء بطنى ، كما أن الكثير من هؤلاء المرضى أصيبوا باستسقاء حول العضلة القلبية وبانسداد فى الشرايين الحيوية . ولقد تبين من فحص الأشعة وجود تضخم فى حجم القلب وضعف فى القيام بوظائفه الأساسية وربما كان ذلك السبب المباشر للوفاة . أما تخطيط القلب فلقد اظهر تلفا ملحوظا فى العضلة القلبية بشقيها الأيمن والأيسر وأكد ذلك وجود نسبة عالية من الخمائر المنطلقة فى الدورة الدموية دالة على تحطيم فى خلايا القلب كبير .

الصفة التشريحية :

حينما شرحت جثث المتوفين تبين أن القلب محتقن ومتضخم وبه قليل من التمدد مع احتوائه على جلطة دموية فى البطين والأذين الأيسرين . أما الكبد فلقد ظهرت به بقع نزقية مختلفة الأحجام مع احتقان عام وقليل من التضخم . ولقد اجمع العلماء على أن هذه الصورة المرضية ليست تلك التى تشاهد بين مدمنى الخمر حيث تصاب العضلة القلبية فيهم بالتضخم المتبوع بهبوط مزمن فى القلب ، ولكنها حالة جديدة تحدث فقط بين متعاطى البيرة ، وتستحق التسجيل وإجراء المزيد من الأبحاث حولها .

اسباب المرض :

لم تعرف اسباب محددة لهذا المرض ولكن هناك عدة فروض من المحتمل أن تكون من مسبباته : —

١ — اضافة مادة الكوبلت الى البيرة : غير أن هذه المادة تعطى بكميات أكبر الى بعض المرضى المصابين بفقر الدم ولا تحدث مثل هذا المرض فيهم .

٢ — ان شاربى البيرة دون غيرهم لديهم استعداد للتسمم بمادة الكوبلت كما هى الحال معهم أيضا مع مادة الزرنيخ والمعادن الثقيلة . ولقد ثبت ذلك منذ أوائل هذا القرن فى عام ١٩٠١م وسواء كانت هذه الأسباب حقيقة أم افتراضية ، فالذى يعنينا أن هذا المرض قاتل ، ولا يصيب الا شاربى البيرة .

لماذا الكتابة فى هذا الموضوع : وما العبرة ؟

لقد احسست بضرورة الكتابة عن خطر شرب البيرة لسببين :

أولهما : اننى لاحظت أن الكثير من المسلمين وخاصة الشباب يعتقدون أن البيرة غير محرمة لاحتوائها على نسبة قليلة من الكحول تتراوح بين ٥ — ٧٪ ، ونظرا لأضرارها البليغة التى تحدثها الخمر فى القلب ، والكبد ، والمعدة ، والجهاز العصبى ، وجب التنويه والتحذير .

ثانيا : انه خلال اجرائى بحثا عن اسباب المغص الكلوى وحصوات المجارى البولية فى الكويت أخبرنى عدد كبير من المرضى أنهم يشربون البيرة لما فيها من فائدة فى ادرار البول والتخلص من الحصوات . وهذا خطأ كبير لسببين :

١ — أن هؤلاء المرضى لم يتحسنوا من آلامهم ولم يتخلصوا من حصواتهم رغم استمرارهم فى شرب البيرة .

٢ — لقد ثبت علميا أن السبب الرئيسى للمغص الكلوى وحصوة الكلى — عدا العامل الوراثى —

هو اختلال فى نسبة الأملاح فى الدم والبــول وخاصـــة بين عنصـــرى الصوديوم والكالسيوم . ولقد أثبتت تجاربنا أن الاكثار من تعـــاطى ملح الطعام وخاصة فى فصل الصيف يمنع حدوث المغص الكلوى ويساعد على تفتيت حصوة الكلى والتخلص منها .

هــل تدفــع الخمـــر شاربها الى الانتحار ؟؟

جاءت هـــذه العبارة عنـــوان بحث جيد قامت به مجموعة من الأطبـــاء المتخصصين فى المستشـــفى الغربى فى مدينـــة جلاسجو ، وهو أحـــد المستشفيات التعليمية بها ، ولقـــد نشرت تفاصيله فى الصـــفحة الأولى من المجلة الطبية البريطانية اللانست بتاريخ ٢٥ نوفمبـــر ســـنة ١٩٧٢ ، والأطبـــاء الباحثـــون هم باتيل ، ومونيكاروى ، وولسون ، ومدينـــة جلاسجو هى أضخم مدن اسكتلندا ، وثالث أكبر مدينـــة فى بريطانيـــا : والبحث يتناول ظـــاهرة الانتحـــار وعلاقته بتعاطى الخمور خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٧١ . وكانت بداية الدراســـــة أن لاحـــظ الباحثون أن هناك زيادة مطردة فـــى عـــدد الأشخاص الذين أدخلوا الى المستشفى المذكـــور للعـــلاج من محاولات الانتحار ، ففى عام ١٩٥٤ كان عدد من انتحر أو حاول الانتحار لا يزيد عن الستين شخصا ، فى حين ارتفع هـــذا العدد الى ما يربو على الخمسمائة فى عام ١٩٧١ ، والخط البيانى يشير الى ارتفاع مستمر ، وليس هناك ما ينبىء بانخفاض معدل الانتحار أو حتى باستقراره .

وباء الانتحـــــار :

ونظرا لهذه الزيادة المفزعـــة فى عدد المنتحرين ، فلقد سميت هـــذه الظاهرة بالوباء الانتحارى ، اذ أكدت الاحصائيات أن ثلاثة أشخاص من كل ألف فى مدينة جلاسجو ادخلوا الى احـــدى مستشفيات المدينـــة بسبب الانتحار خلال عام ١٩٧٠ ، والواقـــع أن هذا الرقم لا يمثل العدد الحقيقى ، اذ أنه من المسلم به احصائيا أن كل مريض يدخل الى المستشفى للعـــلاج يقابله على الأقل مريضان يعالجـــان خـــارج المستشفى ، وبذلك تصـــبح النسبة قريبـــة من ١٪ ، أو بتعبير أصح هناك شخص يحاول الانتحـــار بين كل مائة مواطن يعيش فى هـــذه المدينـــة ، وتلك نســـبة أقلقت بال رجال الطب وعلماء الاجتماع فى تلك المنطقة ، خاصة وان الانتحار أصبح ظاهرة اجتماعية مقبولة بين الناس هنـــاك .

الأرقـــام تتحـــدث :

لقـــد اتضح أن الانتحـــار بالمواد السـامة ومعظمهـــا من العقـــاقير والأدوية تشكل ١٥٪ من مجمـــوع المرضى باقســـام المستشـــفى غيـــر الجراحية ، ولا يفوقها عددا إلا حالات أمراض القلب التى تصل نسبتها الى ١٩٪ ، والجدير بالذكر أن الانتحـــار يأتى فى المرتبة الأولى لدى أولئـــك الذين تقل أعمارهم عن الأربعين عاما .

ويتناول البحث علاقة الانتحـــار بتعاطى الخمور وينقسم الى قسمين رئيسيين : —

القسم الأول : دراسة خلفية عن فترة محددة فى الماضى تناولت ٢٧٠٦ حالة من حالات الانتحار (١٠١٥ رجلا ١٦٩١ امرأة) ارتكبت خلال ١٥ سنة (ما بين ١٩٥٤ حتى ١٩٧٠) ، حيث درست كل حالة على حدة ، ورصدت الأسباب المحتملة للانتحار من واقع ملفات المرضى أنفســـهم دون تخطيط سابق ، وتوصل الباحثون الى أن أهم أســـباب الانتحـــار هى المشروبات

الكحولية ، البطالة ، صعوبات مالية ، مشاكل عائلية . ولقد ثبت أن ٩٠٪ من الرجال ممن حاولوا الانتحار شربوا الخمر قبل الاقدام على المحاولة ، وان الخمر عامل أساسى لدرجة الادمان فى ٤٥٪ من حالات الانتحار لدى الرجال ، ثم تأتى البطالة كسبب آخر بين ٢٣٪ من المنتحرين فى المرتبة الثانية . أما فى النساء فان الخمور كسبب مباشر لا تتعدى ١٠٪ ولكن ادمان الزوج وإهانته لزوجته أو ابنته وما يصاحب هذا السلوك من ضائقة مالية أو اجتماعية تدفع ٤٣٪ من النساء الى ارتكاب جريمة الانتحار .

القسم الثانى من البحث : عبارة عن دراسة أمامية مخطط لها لفترة عام واحد ، بدأت من يناير ١٩٧١ حتى فبراير ١٩٧٢ وشملت ٥٨٧ حالة انتحار . ولوحظ أنه فى حين تكررت محاولة الانتحار مرتين فى ٣١ شخصا ، تكررت ثلاث مرات أو أكثر فى ١٤ شخصا من المجموع الكلى للرجال والنساء ، ولقد تمت دراسة مستفيضة على ٥٢٠ حالة (٢٠٧ رجال ، ٣١٣ امرأة) .

من هذه الدراسة وجد أن السبب المباشر للانتحار ذو جوانب معقدة ومتعددة ، الا انه قد ثبت أن مشكلة المشروبات الكحولية هى أكثر العوامل ثبوتا وأبعدها أثرا على من يحاولون الانتحار ثم تأتى العوامل التالية كأسباب ثانوية نذكر منها : البطالة ، المشاكل الاقتصادية والجريمة وتفكك الأسرة والطلاق .

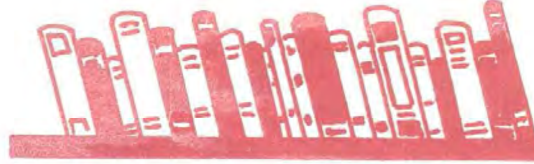
وهناك نسبة كبيرة بين شاربى الخمر من الجنسين يرتكبون أعمالا عنيفة وهم تحت تأثير الشراب ، بل إن منهم من يعتدى بالضرب على زوجته أو ابنته مما يدفعه أو يدفعهما الى الانتحار . كذلك تبين أن عددا غير قليل من مدمنى الخمور يعانون من أمراض نفسية معقدة .

وطبقا لتحليل نسبة الكحول فى الدم وقت ارتكاب جناية الانتحار وجد أن حوالى ٩٠٪ من الرجال قد تناولوا المسكرات بساعات قليلة قبل الانتحار .

فى حين أن النسبة تهبط الى ٤٠٪ عند النساء ، كما تتفاوت أعمار هؤلاء الضحايا بين اثنى عشر عاما الى ما فوق السبعين ، إلا أن الغالبية العظمى تتركز فى الشباب ممن تقع أعمارهم بين العشرين والأربعين سنة .

وفى مثال آخر حول موضوع إدمان الخمر ، ورد ذكره فى العدد رقم ٧٧٩٠ بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١٦ ، من المجلة ذاتها دلت الاحصائيات أن فى بريطانيا وحدها حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ أربعمائة ألف مدمن مسجلون للعلاج من هذا الداء ، ومن الواضح أن مثل هذا العدد — على أقل تقدير — غير مسجل ، وبالتالى يوجد فى بريطانيا شخص يدمن الخمر بين كل خمسين شخصا ، ومن المعروف أن بريطانيا ربما كانت من أقل الدول الغربية استهلاكا للمشروبات الكحولية ، كما جاء فى نفس المقال احصاء يبين أن الجرائم التى ارتكبت بسبب تعاطى الخمور فى عام ١٩٧٠ ، بلغت ٢٧ر٩٧٢ جريمة ، وفى خلال عام واحد (١٩٧١) ارتفع هذا العدد الى ٣٩ر٨٤٠ جريمة ، بزيادة تقارب ٤٠٪ وهى نسبة مفزعة .

إن هذه الاحصائيات صدرت عن جهات رسمية ، وكلها تشير بصورة واضحة الى مدى الخطر والانهيار اللذين يتعرض لهما المجتمع الغربى ، ولا تحتاج منا الى تعليق فالخمور بآثارها ومضارها تعبر عن نفسها بالأرقام فى جلاء ووضوح ، وليس لى جهد يذكر فى كتابة هذا المقال ، وما قصدت اليه هو التذكير فقط ، وأدع القارىء الكريم يستخلص العبرة من احصائيات العلماء والواعين من أبناء المجتمع الغربى أنفسهم فلعلنا نسمع ونعى . .



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار فيض

الاجتهـــاد في الفقـــه الاســـلامي

بحث عن الاجتهاد الفقهي في أدواره المختلفة حاول فيه مؤلفه الدكتـــور محمد الدسوقي دراسة الاجتهاد بغية الكشف عـــن جانب أصيل من جوانـــب الثقافة الانسانية الخالدة ، وقد مهد للبحث بدراسة موجزة عن تعريف الاجتهاد وشروطه ومجاله ومصادره كما أشار الى أهم أسباب الخلاف بين المجتهدين .

والبحث مقسم الى ثلاثة أبواب يتحدث في الأول عن الاجتهاد في عصر البعثة والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وفي الثاني عن عصر التقليد مبينا أسباب اغلاق باب الاجتهاد وآثاره في الدراسات الفقهية . وفي الثالث يتناول الجهاد منذ ظهور مجلة الأحكام الى الآن .

وفي ختام البحث يتحدث الدكتور المؤلف مثبتا أهم نتائج الاجتهاد ومؤكدا الدعوة الى الاجتهاد الجماعي والفردي .

حياةرسول اللـــه

كتاب يروى قصة النبي صلى الله عليه وسلم اقتبسها مؤلفها الأستـــاذ محمود شلبي من مراجعها الأصيلة والكتاب يتكلم عن حياته عليه السلام مـــن مولده الى وفاته ويسجل وقائع تلك الحياة تسجيلا صادقا أصيلا فلا خرافات ولا خيالات ولا التواءات ولا انحرافات . ثم هو بعد ذلك له منهجه في معاملـــة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا رد على المستشرقين ولا رد على أعداء الدين ولا رد على الملحدين ، وانما يقص على الناس قصة رسول الله في صدق وصفاء ويعتبر المؤلف هذا خير رد على هؤلاء وخير دليل على عظمة الرسول .

والكتاب يقارب المائتي صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية — مصر .



حاضر العالم الاسلامي

تاليف : لوثروب ستودارد
ترجمة : عجاج نويهض
تقديم : شكيب أرسلان
عرض وتحليل : يوسف نوفل

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب منذ ما يقرب من ثمانية وأربعين عاما فى القاهرة ، ويجدر فى بداية الحديث أن نعرف بايجاز بمؤلف الكتاب ، لوثروب ستودارد الذى ولد عام ١٨٨٣ فى بروكلين بأمريكا ، وتوفى عام ١٩٥٠ ، كان أبوه خطيبا واعظا جوالا ، بدت لدى لوثروب دراسة البيئة منذ صغره ، وأولع بدراسة اللغات لاسيما الالمانية فى جامعة هارفارد عام ١٩٠١ ، ثم صار كاتبا اجتماعيا ومؤرخا لكثير من الثورات وحركات التطور فى العالم ، تخرج فى هارفارد عام ١٩٠٥ ، ثم التحق بجامعة بوستن ونال درجة الدكتوراه فى الحقوق عام ١٩٠٨ ، وقد الف بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٤٠ سبعة عشر كتابا ، وكان كتاب (حاضر العالم الاسلامى) خامس هذه الكتب حيث صدر عام ١٩٢١ وكان أوسعها انتشارا ، وكان المؤلف على نية زيادة الكتاب فى طبعة حديثة يصل فيها الى منتصف القرن .

قام برحلة طويلة عام ١٩٢٤ الى الشرق الاوسط وزار فلسطين والأردن ومصر وتركيا وغيرها ،

ومن كتبه (نهضة الشعوب الملونة) ١٩٢٠ ، و (الثورة على الحضارة) ١٩٢٢ ، و (الانسانية تحت سيطرة العلم) ١٩٢٦ ، و (الحظ : شريكك الصامت) ١٩٢٩ .

اهم قضايا الكتاب :

يتناول الكتاب العديد من القضايا مثل :

تطور الاسلام ، الفتح العربى ، البعثة المحمدية والأقوال المنصفة والمغرضة فى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتاب (حياة محمد) لأميل درمنغهم ، وأسباب انتصار العرب على الفرس والروم ، وحضارة الاسلام فى القرون الوسطى ، ورقى الاسلام ، والرد على أعداء الاسلام ، ونظريتا : القومية العثمانية الاسلامية ، والقومية التركية ، وترجمة القرآن ، وكلها بقلم شكيب أرسلان .

ومن فصول الكتاب :

فى اليقظة الاسلامية ، وفى الجامعة الاسلامية ، والمسلمون فى الأندلس ، والاسلام فى افريقيا والحبشة ، ومدغشقر ، والفلبين ، والرق ، وعدم جمود الاسلام ، وسيطرة الغرب على الشرق ، والتطور السياسى ، والاقتصادى ، والاجتماعى .

وبعض هذه البحوث مقالات لبعض الباحثين كشكيب ، وديريش وسترلمان ، وغيرهما .

وباستعراض هذه الموضوعات تتضح خطورة الكتاب وتنوعه واتساع مراميه ، فهو يكاد يلم بمعظم ما يشغل بال المسلمين وبال أعدائهم فى الوقت نفسه ، وهو يتناول قضايا على جانب كبير من الأهمية بما تحمله من ادعاءات وهجوم مغرض ، وبما تحمله من اثارة جديرة أن تتضح معالمها وتتحدد ملامحها وخطوطها أمام الاجيال المسلمة فى شتى بقاع الارض استهدافا لتوفر الوعى الاصيل للانسان المسلم فى أخريات القرن العشرين ، وهو وعى يتحتم تحققه فى وقت تتكالب فيه كثير من الامور أمام ناظرى المسلم لا يملك البعض أمامها الا الاستسلام أو الحيرة أو التبلبل أو الشك ، وفى ظنى أن مناقشة بعض هذه الامور جدير أن يضع أمام أعين شبابنا الحقيقة الاكيدة ، وهو أمر يتحتم على مفكرى الأمة ورجالها أن يسهموا فى اجلائه أمام الشباب .

البعثة المحمدية فى نظر الفلاسفة والعلماء :

يستعرض شكيب أرسلان فى هذا الفصل آراء كثير من العلماء والفلاسفة والمؤرخين الاوربيين فى النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم :

غروسه ، ومونته ، واتيان دينه الفرنسى المسلم ، ودوزى ، ونولدكه ، ودوغويه ، وشبرنغر ، وسنوك هركرونيه ، وغريم ، ومارجليوث ، وهوار وجولد سيهر ، وولز ، وفولتير وغيرهم .

وهى مجموعة من الآراء لها أهميتها فى مجال التاريخ لمحمد عليه

الصلاة والسلام ، ومن بين هذه الآراء رأى لاتيان دينه الفرنسى الذى أسلم وحج بيت الله الحرام ، والف كتابا عن حجته ، كما كتب كتـــابا عن حياة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو يبين فساد طريقة بعض الاوربيين الذين حاولوا أن يجعلوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الاسلام خاضعين لتفسير العقلية الاوروبية ، فضلوا بذلك ضلالا بعيدا لأن هذا غير هذا ، ولأن المنطق الاوروبى لا يمكن أن يأتى بنتائج صحيحة فى تاريخ الانبياء الشرقيين ، يقول دينه :

« ان هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبى بهذا الاسلوب الاوروبى البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصـــــون بزعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم ، وكان ينبغى لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة ، والروايات المشهورة من السيرة النبوية فهل تسنى لهم شىء من ذلك . . ؟ الجواب : لم يتمكنوا من اثبات أقل شىء جديد » .

ويشير (دينه) الى أخطاء آراء بعض هؤلاء المستشرقين مثل : دوزى الهولاندى الذى قال : ان محمدا لم يكن يشبه قومه فقد كان ذا تصور قوى ولم يكن عند العرب مثل هذا التصور وكان دينا بطبيعته ، ولم يكن العرب دينين ، بينما قال (لامنس) ان محمدا كان شبيها بقومه ، وان هذه المشابهة هى التى كانت سر نجاحه بينهم ، وفى هذا المجال ترد شـــبهة خبيثة ذهب اليها بعض المستشرقين مثل (نولدكه) الذى ذهب الى أن ســـبب الوحى النازل على محمد والدعوة التى قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع ، بينما ذهب الاستاذ (غويه) الى أن هذا الافتراض ليس بصـــحيح لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة ، والحال هى عند محمد صلى الله عليه وسلم على عكس ذلك ، فقد كان يتذكر كل ما يسمعه فى أثنـــاء هذه النوبات ويمضى (شبرنغر) فى الطريق نفسه فيرى أن الوحى ما هو الا نوبات هستيرية بينما يرد عليه (سنوك هركرونيه) بأنها ليست من هذا النوع .

يعلق شكيب أرسلان على هذه الآراء وغيرها فيقول :

« ان الكتابات فى أوربه عن النبى صلى الله عليه وسلم ودينه وشرعه والملة الاسلامية بحر لا ساحل له وفيها الغث والثمين ، والحالى والعاطل ، والحق والباطل ، ومن مؤلفيها المحب والقالى ، والمنصف والمتعســـف ، والناصح والكاشح ، كما هو الشأن فى كل أمر ، ولكن العصر الاخير فى أوروبة أنصف الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا بالقياس الى الاعصر التى سبقت كما يظهر من الشواهد التى أتينا بها من قبيل أنموذجات ولو كان المسلمون استيقظوا من سباتهم وتعلموا من الاوربيين روح التضحية كمـــا يقال ونشروا للاسلام دعاية منظمة وانفقوا عليها عن ســـعة لأمكنهم أن يصـــححوا أباطيل كثيرة ويبددوا أوهاما كثيفة تتعلق بهم وبدينهم وبنبيهم ولاهتدى فى أوربه الى الاسلام خلق كثير اثروا تأثيرا محسوسا فى مجرى سياسته العامة ، ولكننا مع الأسف لا نزال بعيدين عن درجة هذا الانتباه ، ولا يزال أعداء الاسلام يناصبونه القتال فى كل سهل وجبل وفى كل بر وبحر ولا تبرح مكافحة الاسلام لهم هى فى نسبة الخردل الى الجنـــدل ، فمتى

ينشط الاسلام من عقاله ويستأنف همته الاولى .. ؟ هذا ما لا يجيب عليه غير المستقبل » .

ويشير شكيب الى انه يعمد الى آراء غير المسلمين فيعرضها ويشير الى ما فيها من اعلاء للاسلام واشادة به واعتراف بفضله وقيمته ليكون رأيهم ناتجا عن انصاف ونشدان للحق والتزام للتحرى .

ونقول بهذه المناسبة ان هذا الامر جدير أن ينال اهتمام المؤسسات واللجان والمجالس ذات التأثير الحيوى فى هذا المجال فى بلادنا ، لتكون كل مؤسسة منها جهازا اعلاميا حضاريا يقف فى معترك الربع الاخير من القرن العشرين مصححا بعض المفاهيم السائدة عن خطأ لدى كثير من الناس عن الاسلام .

(حياة محمد) لاميل درمنغهم :

كان الدكتور محمد حسين هيكل من أول من تناولوا كتاب (حياة محمد) لاميل درمنغهم بالتعليق والنقد وذلك فى الملاحق الادبية لجريدة (السياسة) ، وكان درمنغهم قد أقام ببلاد المغرب وخالط المسلمين ، وحين طبع كتابه هذا صدره بمقدمة يقول فيها :

« انه لا يوجد واحد فى الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد ، ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية ، ومن الناس من يتجاوز الحد فى النقد والاعتراض حتى يقع فى الظلم ، أما أنا فقد جعلت كتابى سيرة حقيقية مبنية على المنابع العربية الاصيلة بدون اهمال جميع ما وصلت اليه تدقيقات المتخصصين فى هذا الموضوع فى الازمنة الاخيرة ، وقد أردت ان أمثل لمحمد صورة مطابقة له بقدر الاستطاعة كما فهمته من الكتب التى قرأتها وأمعنت النظر فيها ومن مشافهة الاحياء من المؤمنين به ، فاذا كانت كل حياة بشرية تنطوى على تعليم وكانت كل حادثة تشتمل على مشهد يمثل حقيقة من الحقائق فكم يكون مؤثرا ومفيدا التلاقى مع رجل من الرجال الذين يقتدى بهم جانب عظيم من الانسانية » .

المبشر (زويمر) وعداوته للاسلام :

يعرض الكتاب بعض آراء مبشر اشتهر بعداوته للاسلام وافترائه عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو المبشر زويمر الذى كتب كتابا عنوانه « الاسلام ، ماضيه ، حاضره ، مستقبله » ، وفيه عرض لمساعى بعض المبشرين فى اقطار الاسلام ، واهمية هذا الكتاب تبدو فى اثارتها انتباه المسلمين لخطورة التبشير وأهمية التصدى له ولجمعياته المنبثة فى اقطار الاسلام بأشكال متنوعة فى شكل رسالات دينية أو بعثات جغرافية واكثرها مستشفيات ومصاح وملاجىء للفقراء ، ولهذا المبشر طريقة فى التبشير لا تعتمد على المجادلة والمحاورة والاعتماد على البراهين العقلية بل تعتمد على العاطفة واستثمار أمراض الناس وعللهم وكروبهم .

ولم يعد هذا الامر جديدا على المسلمين الآن ، لكنه ما يزال يخطو فى شكل مؤسسات متعددة ، ويحتاج الامر الى زيادة الاكتراث به والتصدى له .

وقد علق شكيب أرسلان على آراء هذا المبشر فقال :

« ونحن نجاوب المستر زويمر وأمثاله ممن فيهم من هو مقتنع بعمله مبتغ وجه الله فى جهده أنه ان كان المقصود دعوة الاسلام الى الانجيل فالمسلمون يؤمنون بالانجيل الشريف وبرسالة المسيح صلوات الله عليه وسلامه ، وان كانت الدعوة هى الانجيل فى الظاهر والسيطرة الاوربية فى الباطن فهذا حلم من أحلام المبشرين ، اذ لا بد للاسلام أن يستعصى على هذه الدعوة ويقف فى وجهها سدا منيعا ، وان كان مقصد هؤلاء المبشرين هو خلاص النفوس والاشفاق من هويها فى النار الحاطمة والعياذ بالله فالأولى بهم أن يذهبوا الى الوثنيين الذين هم أكثر من المسلمين عددا فى الدنيا وأحوج الى الارشاد بل أن يهدوا الملايين العديدة من أنفس المسيحيين الذين نبذوا الدين ظهريا ودانوا بالتعطيل والالحاد وأخذوا يحاربون الكنيسة فعلى الانسان أن يدبر بيته قبل أن يمد يده لتدبير بيت جاره . أما المسلمون فلا حاجة الى تبشيرهم لانهم يعبدون الاله الحق ولا يشركون به أحدا » .

الاسلام فى الصين : ماضيه وحاضره :

وهى محاضرة للسيد : محمد مكين الصينى يشير فيها الى اختلاف الروايات حول بدء دخول الاسلام الصين هل هو فى سنة ٦٣٧ م قبل وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم أو فى سنة ٥٩٩ م قبل هجرته عليه الصلاة والسلام ، وفى رأى حجة التاريخ الاسلامى الصينى البروفسور (جنيون) أن أول وافد من الدولة الاسلامية الى الدولة الصينية أوفد سنة ٦٥١ م فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وقد ذهبت الوفود الاسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس الى الصين فى عهد الخلفاء الراشدين .

ويشير الى آثار الاسلام هناك من ضريح سعد بن أبى وقاص ، ومسجد مدينة كنتون وهو أول مسجد فى الصين أسس وسط القرن السابع تقريبا ، وفيه منار شامخ عليه مسحة من جمال الفن العربى ، والمسجد الاعظم فى عاصمة ولاية شانس ، ومسجد نانكين الذى بنى سنة ١٣٨٨ م .

أما أسباب انتشار الاسلام فى الصين فيرجعها الى ما يلى :

١ ــ تجارة المسلمين فى عهد أسرة تان (سنة ٦١٨ ــ ٩٠٥) وما بعدها .

٢ ــ الفتوح الاسلامية وخصوصا فى التركستان الصينية .

٣ ــ تناسل المسلمين .

٤ ــ اختلاط الناس بالمسلمين وتأثرهم بهم .

ثم يشير الى الجمعيات الاسلامية الصينية والمدارس الاسلامية الصينية والمجلات الاسلامية الصينية ، والنهضة الجديدة آنذاك .

وانطلاقا من هذا الموضوع قد يكون لنا أن نبدى رأيا فى هذا الكتاب الذى جمع بين فصوله الاساسية بقلم كاتبه وفصول وتعليقات لشكيب أرسلان ولمترجم الكتاب وغيرهما ، نقول إنه يغطى مرحلة زمنية معينة مضى عليها زمن طويل ، والمعروف أن المؤلف (لوثروب) كان على نية اصدار

ما يغطى مرحلة زمنية تالية لكن القدر لم يسعفه حتى توفى عام ١٩٥٠ كذلك توفى شكيب أرسلان من قبله فى أواخر عام ١٩٤٦ ، وها نحن نجد الاسلام الآن فى ظروف جديدة فى شتى بقاع العالم ، ومن هنا بات لزاما على مفكرى الأمة ورجالاتها وباحثيها أن يكملوا الشوط الذى بدأه هذا الكتاب ، أن الارقام المستنبطة من الاحصاء الذى بالكتاب لا يمكن أن تمثل الصورة الواقعية الآن بحال من الاحوال ، ويشير الى ذلك تأمل التواريخ المثبتة بالكتاب ، هذا الكتاب الذى الف منذ أكثر من خمسين عاما .

ومن هنا يحتاج هذا الكتاب الى كتاب حديث مكمل له يلقى الضوء على حاضر العالم الاسلامى بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تغير بعض الايديولوجيات والمعتقدات لدى بعض الشعوب ، وبعد قيام بعض الثورات ، وبعد نهوض بعض المؤسسات الدينية الاسلامية فى شتى البلاد الاسلامية ، ليكون هذا الكتاب الحديث بمثابة تصور واقعى صادق لحاضر الاســـــلام فعلا ويكون للمسلم فى ضوئه حق تصور موقعه فى العالم ، واهمية مثول الهداية الاسلامية كمنار يهدى العالم فى حيرته واضطرابه الآن .

واخيرا على الرغم من اشارة الفهارس الى نسبة بعض البحوث فى الكتاب الى مؤلفيها مما أضيف الى الكتاب ، فانه كان ينبغى أن تفصل هذه البحوث وترد كملحق للكتاب حتى لا تختلط بأصل الكتاب .

● لقد ارتبط الاسلام بالعرب ، وشهد التاريخ بهذا الارتباط الوثيق ، وقد مرت على الأمة العربية خطوب وحلت بها نكبات ، ولكنها كانت فى احلك ساعاتها ظلاما ، حريصة على أن تستمر فى حمل الشعلة التى تضىء طريقها نحو النصر ونحو السلام .

الخطاب الأميرى

● اننا لعلى ثقة أن الأحداث التى مرت بها أمتنا العربية خلال هذا الشهر سيكون لها أبعادها الهامة فى مستقبلنا ، وفى تحديد مســـــيرتنا المقبلة ، وعلينا أن ننمى ما كشفت عنه من أصالة ، وما أبرزته من روابط ، وما حققته من قدرة .

الخطاب الأميرى

قزمان من أهل النار

إنّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

حديث شريف

لقد أصيبت قريش فى (بدر) بما أفقدها صوابها ، وأذهلها عن الحقيقة، ولم يكن يدور بخلد أقطابها أن هذه (القلة) المؤمنة ستظهر على تلك (الكثرة) الكافرة ، وما دام للثأر مكان فى البقية التى أفلتت من سيوف الملائكة ، فلا بد أن يكون رد الفعل عنيفا أشد ما يكون العنف ، وإلا ضاعت هيبة المتجبرين فى الأرض ، والمتحكمين فى مصير العرب ، بما أوتوا من كثرة فى الرجال والأموال ، ووفرة فى البطش والسلاح .

اوامر النبى القائد

الحرب على الأبواب ، وعند (أحد) كان الموعد ، واتخذ محمد الرسول المجاهد للأمر أهبته ، وحشد كل طاقات الأنصار والمهاجرين للزمان والمكان ، وصف صفوفه ، واتجه الى الرماة ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

احموا ظهورنا ، فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتتل فلا تعينوننا ، ولا تدفعوا عنا ، اللهم إنى اشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل .

والتفت النبى القائد الحكيم الى رأس الرماة عبد الله بن جبير ، وقال له النبى : انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك ، إن كانت — الدائرة — لنا أو علينا .

وأعاد النبى على الجميع أبلغ ما يكون القرار ، وأبرع ما يكون الأمر فقال النبى : لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال .

أوامر واضحة صريحة ، نطق بها القائد الأعلى ، وسمعها الرماة منه ، وهم لا يزالون على ذكر مما أظفرهم به رب العزة ، فى أول لقاء حربى مع أعداء الله وأعداء رسوله ، على ماء (بدر) ، فلم يخذلهم انصارا ولا مهاجرين وارتفعت راياتهم وبات المخلفون يعضون بنان الندم على انهم لم يغنموا ، مثلما غنم إخوانهم . فلا اقل من أن يكون لهم نصيب فى (أحد) .

واختلفت النوايا المستورة فى كهوف الغيب ، أما المؤمن فقد أصر على ما هو عليه من بذل الروح رخيصة فى سبيل الله لا سواه ، وأما الكافر فهو

كان النصر الذى احرزه المسلمون فى غزوة (بدر) حافزا لانتقام قريش منهم فى (احد) ، بعد ان ظفر رســول الله بالغنــائم والاسرى ، وما كان حرصه على الاحتفاظ بهذا النصر باقل من حرصه على اليقظة التامة لما يدبره ضده العدو الموتور سرا وجهرا ، ولهذا أعد للمعركة ما تتطلبه لمواجهة كافة الاحتمــالات المرتقبة ، عن وعى كامل باصول القتــال ، وادراك كامل للاستراتيجية المعــاصرة ، مع الرعاية الربانية له فى كل ما ينــوى ويقول ويفعل ، نبيا ورسولا ، صدقه ربه جل جلاله بقوله تعالى :
« وكان حقاعلينا نصر المؤمنين » .

للأستاذ : محمد محمود زيتون

مع الشيطان ، وقد نفخ فى منخريه ، فلم يبرح للطغيان عبدا مطيعا ، ينشد المال والجاه . وأما المنافق فقد ظن بمنطقه الملتوى المنحرف انه يستطيع أن يخدع الله ورسوله ، ليسلك الطــريق المستقيم بين الحــق والباطل ، وقد غاب عنه « **فذلكم الله ربكم الحق ، فمــاذا بعد الحق إلا الضلال** » ، وغــاب عنه أيضــا « **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا** » حذّر الله سبحانه منهم رسوله ، فقال : « **هم العدو فاحذرهم** » .

لا مكان للمنــــافقين

وكان على رأس المنافقين يومئذ عبد الله بن أبىّ بن سَلول ، وقد جاء بكتيبته مددا لجيش المسلمين ، وفى نفسه ما فيها ، ولكنه لا يعلم ان الله بكل شىء عليم ، وانه قد أطلع رسوله على ما هو خاف عليه ، فرد قزمان بمن معه، حرصا منه ــ وبارشاد من السماء ، وفى سرية تامة ــ على وحدة الصف ووحدة الهدف .

فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى أن يكثر المقاتلون معه فاذا تم لهم النصر المأمول ، ظفروا بغنائم لم يكونوا يستحقونها ؟ كلا وهل كان عليه السلام يخشى أن يكون ايمان المقاتلين معه متفاوتا ، فيكون الضعف عند بعضهم أشبه بالعدوى تضر بأقوياء الايمان ، من المهاجرين والأنصار ، وهم الرعيل الأول من الاسلام ؟ كــلا .

لم يكن النبى ــ حينما رد المنافقين ــ إلا منفذا لما اطلعه الله عليه من اسرار النفاق التى لا تحيط بها الحواس ، « **ولو نشاء لأريناكهم** » ، وكيف يرغب فى احدى الحسـنيين من كانت الدنيــا كل همــه ، ومن كان سبيلــه اليها حب الظهور والرياء والسمعة والطمع فى الزائل من أعراضها ؟

ثم ان الحروب الاسلامية التى يخوضها رسول الله والذين معه ، ليست

مجرد (قتال) ، وإنما هى (جهاد) بكل ما تحمله هذه اللفظة العملاقة من مفاهيم (الجهـــد) و (الاجتهاد) و (المجاهـــدة) و (الجـــد) فى الأمر ، و (الجود) بالنفس والمـــال . ذلك الجهاد هو الســـمة المميزة للقتال باسم الاسلام ، حافزه الايمان بالله ، وهدفه إعلاء كلمة الله ، وسبيله الوحيد الفريد هو سبيل الله الصافي من كل شائبة الخالي من كل مكدر للمثل العليا والقيم الانســـــانية السامية ، فهـــو خط مســــتقيم ، اى انه اقصر مســــــافة بين نقطتين ، هما الحافز والهدف ، ذلك هو سبيل الايمان والمؤمنين ، وليس النفاق والمنافقون منه فى شىء .

لكل فريق صــــفوف

واصطف الفريقان للقتال ، وجاءت نســـــاء قريش يحرضن الرجال ، ويذمرنهم للثأر من محمد وأصحابه لقتلى (بدر) ، والعير التى غنموها على اثر المعركة ، واقبلن بالدفوف ينشدن الأناشـــيد ، ويعيرن كل متخلف من رجالهن بما يدفعه الى النار دفعا ، من غير تدبر للعواقب .

أما جانب المسلمين ، فما كان ثمة مجال لتحريض الرجال على القتال من النساء ، اللهم الا هؤلاء الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، ويتلكأون عن الانخراط فى الصفوف المجاهدة ، وبذلك دلت على نفسها حية البحـــر ، وكانوا يظنون الا يكشف الله أضغانهم .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : « كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو ، فيظهر الاسلام ، يقال له (قزمان) . وكان ذا بأس وقوة ، وكان كلما ذكروا اسمه للنبى قال : إنه من أهل النار » .

ترى هل كان (قزمان) ــ أو اى احد غيره ــ يعلم أن الناس فيما بينهم سيختلفون حول شخصيته ، حتى فى (الغزوة) التى اشترك فيها (أحد ؟ أم (خيبر) . . فان كل دارس مستوعب يستطيع أن يحيط بمعالم حقيقتـــه ، مما يضيفه بعضهم الى ما يقوله البعض الآخر ، وصولا الى العبرة التى تجتاز القرون الطوال ، لتكون ذكرى صلبة **« ان الذكرى تنفع المؤمنين »** .

على هامش النسب

كان (قزمان) حليفا لبنى (ظفر) ، عديدا فيهم ، وليس منهم ، وبنو ظفر ــ كاحدى دور الأنصار ـــ لم تكن لتلفظ غريبا عنها ، لأنها اذا نسبته لم تجد له نسبا ، بل أبقته على هامشها ، لأنه ــ كما يقول عاصم ــ « كان ذا بأس وقوة » .

لهذا وحده ، كان وجوده فى بنى ظفر ، وهم يعلمون انه مجهول النسب فى قوم لا يتعامل مجتمعهم البدوى الا بالنسب الشريف ، فيشعر فيه (قزمان) دائما بأنه ساخط متذمر ، لا يجد ــ مع ما هو فيه من بأس وقوة ، وشجاعة قتالية خارقة ــ سبيلا للانضمام الى حظيرة الاسلام .

فهل يكتفى (قزمان) من هذا بغير « ادعاء الاسلام » : يظهره للقوم الذين يؤوونه ، مجاراة لهم ؟ ولكنه لا يجرؤ على الارتفاع الى مســـــتواهم فى العقيدة ، لأنهم ذوو حسب ونسب ، ولهم آباء وأمهات ، ومن أصلابهم ينفرط عقد البنين والبنات ، فتتماسك الأصول والفروع ، وتتقوى الأواصر والروابط .

من اين إذن لقزمان هذا الشعور الاجتماعى ، وهو الذى يعيش بين بنى (ظفر) ، بلا زوجة ولا ولد ، ولا يدرى أحد منهم ولا من جيرانهم ، له أما ولدته ، أو أبا يعرف به ، أو قبيلة ينتمى الى فخذ لهـــا أو بطن ، وان كانوا قد اختلقوا له أبا فقالوا : قزمان بن الحارث .

ومع هذا كان قزمان لأهل الدار حافظا محبا ، وعنهم منافحا ومداعبا ، وعليهم غيورا ، فان كان هذا هـــو (الوفاء) فما أوفى الكـــلاب لمن اطعمها وعطف عليها ، بما ترده من جميل ، ومن هنا ضربوا المثل فقـــالوا : « أوفى من الكلب » .

حارب معهم بكل ما أوتى من بسطة فى الجسم ، وقدرة على القتال ، فخاض معهم حروبهم التى دارت بين الأوس والخزرج ، شجاعا لا يهـــاب الموت ، ولا يخاف على حرمان قريب له فى الدنيا ، اذا هو ترك الدنيا .

المسلمات يعيِّرن قزمان

ونادى منادى الجهـــاد ليوم (أحد) ، وخف له المســـلمون أنصـــارا ومهاجرين ، وأصبح (قزمان) : فارتعدت فرائصه ، لم تسعفه قوة البدن ، ما دام القلب رعديدا جبانا ، والوجدان فارغ من شحنة ، لو كانت عند غيره ، لولّدت حرارة الإيمان بهدف نبيل .

وتعجبت نساء الأنصار من أمر (قزمان) ، فرَحْن يـعيرْنه بالجبن والخور ، وينعتنه بالأنوثة ، وان كنّ هن أشد منه رجولة وبطولة . وأخذت نساء بنى ظفر يتضاحكن . ويتهكمن به ، حتى احفظنه ، فلم يلبث أن حمل كنانته ، واتى رسول الله ، وهو يسوى صفوف المجاهدين .

وأبى الرياء الذى يملأ على (قزمان) جوانب نفسه الا أن يكون موضعه فى الصف الأول . فانتهى اليه ، وكل من عرفه فى حروب (بنى ظفر) ينظر اليه بالاكبار والاجلال لشجاعته وحسن بلائه .

واستمع (قزمان) الى أوامر النبى ، وهو يلقيهـــا على المســـلمين ، ويزودهم بما لديه من خبرة القائد المحنك ، ويحذّرهم من المخـــالفة ، وهم سامعون له ، والله وحده أعلم بما فى نية كل واحد منهم ، حتى دارت رحى القتال ، وحمى الوطيس .

كان لواء قريش لبنى عبد الدار ، واذا بأول سهم من صفوف المسلمين ينطلق من كنانة (قزمان) ، والجميع من حوله يعجبون للنبال التى يرميها كأنها الرمال ، ويجأر هو بصوته كالجمل الضخم ، ليقذف الرعب فى قلوب المشركين ظاهرا ، وهو إنما يريد أن يلفت اليه الانظار ، لتكون شجاعته مضرب الأمثال ، ويفعل بسيفه الأفاعيل ، ليكون (قزمان) ملء السمع والبصر جميعا .

احموا ظهورهم يا رماة

الرماة .. لا يزالون ــ كما أمرهم النبى ــ يحمون ظهور المسلمين ، ويرشقون بالنبال خيول المشركين ، فلا تكاد تقع على فرس أو جمل حتى تولى الأفراس والفرسان هاربة أو صريعة ، والمسلمون يشدون على كتائب الأعداء والخيول ــ كما أخبرهم النبى بحق ــ لا تقف أمام النبل ، وهو يتساقط من سهام المسلمين ، كالمطر المنهمر .

ويتهاوى أصحاب لواء الشرك من بنى عبد الدار ، واحدا بعد واحد ، ويكون (قزمان) وحده قد قتل منهم (كلاب بن أبى طلحه) و (أبا يزيد بن عمير) و (القاسط بن شريح) و (صواب الحبشى) و (خالد بن الأعلم العقيلى) و (هشام بن أبى أمية بن المغيـــرة المخزومى) و (الوليد بن العاص ابن هشام) حتى بلغ عدد المشركين القتلى ، من سهام (قزمان) وحده تسعة ، أما هو فقد حمل عليه الرمح أحدهم ، فسلك فى غير مقتل ، ولكن أصابته الجراحة من ساعته ، فما استطاع لها دفعا .

ولم يكتم (قتادة بن النعمان) الأنصارى إعجابه بهذه الشجاعة النادرة من (قزمان) وتمنى كل مؤمن فى صفوف النبى أن لو كان له ما لقزمان من روعة فى القتال ، وقدرة على إصابة الرجـــال ، وحسده (قتادة) حتى على الجرح الذى أصابه ، وتوقع له الشهادة فى سبيل الله بعد قليل ، حيث قال قتادة : أبا الغيداق ، هنيئا لك الشهادة .

قزمان : إنى والله ، ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت الا حفاظا (غضبا وخوفا) أن تسير قريش الينا ، حتى تطأ سعفنا (نخلنا) .

بطل ... ولكنـــه منافق

لم يكن للناس حديث فى (المدينة) فى صباح ومساء إلا عن (قزمان) ، والمعركة التى شهدها ، فأخبروا النبى عنه ، بما رأت عيونهم ، وسمعت آذانهم ، وذكروا عنه أنه كان أبرز المقاتلين ، وأشجع الشجعان ، وأنه قتل وحده تسعة رجال ، أكثرهم من أصحاب لواء المشركين ، وما كان أحـــدهم ليشك أنه شهيد ، وأن الجنة قد فتحت أبوابها له ، تتراقص له الحور العين من شرفات قصورهن ، كأنهن اللؤلؤ المنثور ، أما النبى عليه السلام . فكان له قول آخر غير أقوالهم جميعا عن (قزمان) .

النبى : انه من أهل النار .

ـــــ : (سرا) كيف ؟ يا للعجب !

وكتموا فرادى وجماعات قول النبى عن (قزمان) وراحوا يراجعون فيما بينهم وبين أنفسهم معايير الشهداء ، علّهم يصححون خطأ وقعوا فيه ، حسبما تعلموا من نبيهم المعلم ، وقائدهم الملهم ، غير مرتابين قيد شعرة ، فى أى قرار يصدر عنه .

أما عن دخول (قزمان) الجنة ، فلعل درسا جديدا جاءهم به النبى فى تلك الغزاة ، ستضيف الى ما عندهم معيارا جديدا للاستشهاد فى سبيل الله .

لقد أثبتت الجراحة (قزمان) ، ونزفت منه الدماء ، ولا سبيل الى وقف جرح ينفجر من صاحب جسم ضخم كقزمان ، فاحتملوه الى دار بنى ظفر ، لعل

رجلا ـــ أو امرأة ـــ هناك ، يمكن أن يوقد نارا ليكويه بها ، فتلتئم الجراح . ويمتنع النزيف ، وهو مع ذلك لا يشكو ولا يتوجع ، بل كلما دخل عليه أحد تمنى فى نفسه أن يتلوه عشرات مثله ، ففى كثرة العائدين له إشباع للنفاق ، وهو نقيصة فى نفسه انطوت عليها ، وارضاء لهوى من الأهواء المنزوية ، وهو الشعور بالحرمان من كثير ، دون غيره فى المجتمع الذى يعيش فى كنفه .

ويدخلون عليه افرادا وجماعات ، وعلى كل لسان تهنئة بالبلاء الحسن الذى ابداه فى القتال ، ويكتم (سهل بن سعد) قول النبى عن (قزمان) : التقى هو والمشركون . ومع ذلــك يمضى الى (قزمان) ، وهـــو جريح فيسأله :

سهل : والله لقد أبليت اليوم يا (قزمان) فأبشر .
قزمان : بماذا أبشر ؟ فوالله ما قاتلت الا على أحســـاب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت .
ـــ : بشرناك بالجنـــة يا (قزمان) ؟.
قزمان : (فى سخرية) جنة من حرمل ، والله ما قاتلنا على جنة ولا على نار إنما قاتلت على أحسابنا .
ـــ : ؟... ؟... ترى يسخر بنا أم بنفسه ؟!.

مقـــــارنة

وعقدوا المقارنة بين ما يقوله النبى عن (قزمان) بأنه « من أهل النار » وبين ما شهدوه بأنفسهم من بلائه البادى للعيان .. وأعماق دخيلته التى تطفح إلحادا وكفرا . وتنضح تهكما وسخرية ، فهو ـــ بلسانه ـــ يقرّ اقرارا ـــ على رءوس الأشهاد ـــ بأنه لم يقاتل ـــ حين قاتل ـــ دفاعا عن دين الاسلام ، الذى عليه قومه الأنصار ، الذين قال فيهم شاعر الأنصـــــار (حسان بن ثابت) :

سمّاهمـــو الله أنصـــارا لنصرهمـــو
دين الهدى ، وعوان الحرب تستعر

لم يقاتل (قزمان) فى سبيل الله ، ولا لإعلاء كلمة الله . ولا إيمانا بأن الجهاد فريضة لا فكاك منها ، ولا ثقة منه بأن الجنة مثوى الشهداء الأبرار . وأن النار مأوى الناكصين على أعقابهم ، الذين يولون الأدبار عند الزحف .. ولا إرضاء منه للكرام الذين آووه وأكرموه وعطفوا عليه .. لا لكل هذا ولا لبعضه قاتل (قزمان) . وانما هو المنافق المرائى ذو الوجهين ، الذى استهدف القتال على (أحساب) بنى (ظفر) ، ومناصرتهم كقوم يؤوونه ، ويحمونه من كل اذى ، وإلا تخطفته الطير ، وناوشته الرماح ، فهم له أهل ما دام ليس له أهل ، وحسبه هذا من شعور ينطوى عليه ، فكيف يعـــدو هذا الحد الى ما وراءه ، وهو عبد أحاسيسه ، التى فرضت عليه قيود العزلة ، حتى لم يعـــد قادرا على مداعبة خياله ، ولو مرة واحدة برغبته فى التأهل ، فمن هو ذلك المجنون فى العرب الذى يرضى بهذا الغريب له صهرا ..!

... واشتدت به الجراحة

وتمكن الشعور بالعزلة من (قزمان) حتى لم ير لنفسه منه مهربا .. لقد عاش ما عاش فى عذاب لا ينفك عنه مصبحا وممسيا ، رائحا وغاديا ، اما وقد بلغ قمة الرضى عن نفسه ، بما أداه من القتال فى صف (بنى ظفر) ، والحمية لشرفهم ومجدهم ، والحفاظ على مفاخرهم ومآثرهم ، والذود عن ارضهم ونخلهم ومواشيهم ، وتلك هى ابعاد الحياة الدنيا التى لا وراءها فى نظره الكليل ، فذلك حسبه من مناصرة لهم ، غير طامع فى جنة يبشرونه بها أو خائف من نار يحـــذرونه منها ، انه قاتل عن الأحســــاب ، ولم يقاتل عن المبادىء والمثل والقيم ، التى بثها فى العرب دين الاسلام ، فتنطلق ارواحهم من إسارها لتسبح فى ملكوت الفداء ، وتعطى وتسخو ، انبل ما يكون العطاء والسخاء .

ولم يلبث (قزمان) غير قليل ، فقد اشتدت به الجراحة ، ولم يفلح معه العلاج ، وأقبل المساء ، وانقطع عنه عواده ، حتى أهل الدار ، فقد وضعوا قرار النبى عنه فى كفة ، وما فعله قزمان من أجلهم فى كفة أخرى ، فرجحت عندهم كفة النبى المصطفى ، فتركوه يلقى مصيره بما يشاء الله .

وامتدت يد (قزمان) الى كنانته ، ودمه ينزف ، ووجهه يأخذ فى الشحوب رويدا رويدا ، وتنتابه قشعريرة وإغفاءة ، ما بين الفينة والفينـــة ، فكيف يسحبه الموت سحبا ، وقد فعل سيفه الأفاعيل غداة (أحد) . الم يبشروه بالشـــــهادة ؟.

فليكن رصيده عنـــد بعضهم — ولو القليل منهم — وهمـــا شائعا بأن (قزمان) شهيد ، أو على الأقل ، أن يكون لهذا (القزمان) ذكر على أى نحو يكون عليه هذا الذكر ، بخير أو بشر . المهم أن يكون ذكر سيرته أقصى مراده .

ولم يعد (قزمان) يصبر ، فقد طال به الوقت ، وهو فى الحقيقة لم يطل ، فأخذ سهما من كنانته المشـــــحونة ، وقطع به رواهن ذراعه من الباطن وجعل يتوجأ به نفسه ، استعجالا منه للنهاية المحتومة لكل حى ، فلما أبطأ عليه الرجاء ، ساعفته البقية الباقية من تفكيره المنهار ، وهو يتداعى من كل جوانبه ، كأنه جدار يتصدع من غير نجدة ، وأمسك بسيفه المتمدد الى جواره كالثعبان القتيل ، فوضع نصله بالأرض ، وتحامل على سيفه ، حتى خرج من ظهره ، فنحر نفسه ، ولفظ آخر انفاسه ، من غير توجع ، فاذا به جثة هامدة .. الى النار .. وبئس القرار .

وصدق رسول الله

شاع الخبر وذاع ، وعلم به الحاضر والبادى ، واسرع (أكثم الخزاعى) الى رسول الله :

اكثم : يا رسول الله ، صدق الله حديثك ، انتحر (قزمان)، فقتل نفسه .

النبى : **قم يا (بلال) فاذن فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .**

ويتلوه آخر ، ليخبره أيضا بقزمان فيقول النبى أيضا .

النبى : الى النار .

ـــــ : يا رسول الله ، الرجل يقاتل شجاعة . ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أىّ ذلك فى سبيل الله .. ؟

النبى : **من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .**

ـــــ : ..؟ ..؟ ....؟.

النبى : إن أحدكم ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وهو من اهل الجنـــة .

ولم يكد النبى عليـــه الســـلام يتم حديثه حتى جاء أحـــدهم يخبره عن (الأصيرم الأشهلى) الذى كان يأبى الاسلام على قومه ، فلما نادى منادى الجهاد صباح اليوم ، سأل عن قومه ، فقيل له : خرجوا مع رسول الله الى (أحد)، فحدثته نفسه بالاسلام ، وحمل سلاحه وركب فرسه ، ودخل فى الصفوف ، وقاتل حتى أصابه جرح قاتل ، فلما هدأت المعركة تفقد النـــاس قتلاهم ، فوجدوه من بينهم يجود بروحه ، فتعجبوا من أمره ..

ـــــ : ما جاء بك ؟ مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام ؟.

الاصيرم : لا والله ، بل رغبة فى الاسلام ، آمنت بالله ورسوله ، وقاتلت حتى اصابنى ما اصابنى ، ومات بين أيديهم .

النبى : إنه من أهل الجنة .

ـــــ : ولم يصلّ ركعة واحدة فى حياته ؟!

وشتان بين (الأصيرم) ، و .. (قزمان) .

المسجد المعمور

اللواء : محمود شيت خطاب

المسجد المهجور الذى تحدثت عنه فى مقال سابق ، أصبح اليوم معمورا بالمصلين وبذكر الله .

وأصبح الذين يجاورون المسجد ، يسمعون صوت المؤذن خمس مرات كل يوم ، يدعوهم الى الصلاة ويذكرهم بموعدها .

وأصبحت الصلوات الخمس تقام فيه جماعة ، وأصبح المصلون يجدون من يجيبهم على أسئلتهم الدينية ، وينصتون الى امام المسجد يعظهم ويرشدهم الى طريق الحق والخير .

وقد بدأ المسجد يعمر بالمصلين بالتدريج : كان المصلون قليلين أولا ، ثم تزايد عددهم ، حتى أوشك أن يزدحم بهم المسجد .

والظاهرة التى تستحق الالتفات ، ان أكثرية المصلين من الأطفال والشباب ، وأن اقليتهم من الطاعنين فى السن .

وهذه الظاهرة تشرح الصدور المؤمنة ، وتضاعف من آمالهم فى المستقبل الزاهر بالايمان .

والواقع ، أن النفوس على استعداد لتقبل الهداية ، ولكن أين من يدعو الى الله على هدى وبصيرة ؟ .. أين ..؟

ان النفوس قد (مجت) الانحلال والتفسخ ، وقد كرهت انحدار النشء الجديد الى مهاوى الرذيلة ، فقد لمست (عمليا) محاذير الابتعاد عن الفضيلة والانغماس فى الرذيلة ، ووجدت (التيه) والضياع الذى يعانيه الشباب لبعدهم عن الله ولقربهم من الشيطان ، فهى بحاجة شديدة الى من يعيدها الى طريق الحق والخير والنور .

ملت تلك النفوس حياة التشرد ، وتاقت الى حياة الاستقرار ، وكرهت طريق الاعوجاج وأحبت طريق الاستقامة .

ولكل (فعل) كما هو معروف (رد فعل) ، وحياة شباب الهيبز والخنافس يقابلها رد فعل فى حياة التقوى والورع .

والمساجد تزدحم عادة بالشباب فى ايام الهزات العقيدية والخلقية كرد فعل للانحراف والمبادىء الوافدة المستوردة .

ان الشباب اليوم بحاجة ماسة الى من يقول لهم : من هنا طريق الحق والخير والايمان .

والمسجد المعمور خير مكان للدلالة على هذا الطريق .

— ٢ —

كيف أصبح المهجور معمورا ؟

عين (امام) للمسجد ، يصلى بالناس ، ويخطب خطبة الجمعة .

وهذا الامام شاب فى مقتبل العمر ، تخرج فى معاهد دمشق الدينية ، ولهذه المعاهد سمة خاصة بها تكاد تكون قاعدة أساسية ، هى : أن خريجيها متدينون .

وقد جاء هذا الشيخ الشاب ، وفي نفسه تصميم على العمل فى خدمة الدين الحنيف .

وبدأ يزور الناس فى بيوتهم ، ويحثهم على زيارة المسجد المهجور ، وقد استجاب بعض الناس لدعوته ، وأعرض عنها آخرون .

وفى خطبة الجمعة الأولى ، حث السامعين على استصحاب اولادهم الى المسجد لحضور صلاة الجمعة والصلوات الأخرى .

واستجاب بعض الناس لدعوته ، وأعرض عنها آخرون أيضا .

وازداد عدد المصلين فى الجمعة التالية ، وظهر عنصر الأطفال والشباب بين المصلين .

واخذ عدد المصلين الكهول والشيوخ يزداد ، ولكن ازدياد عدد الاطفال والشباب كان أكثر من ازدياد الكهول والشيوخ .

وقد صليت الجمعة الأخيرة فى مسجد القرية المعمور ، فكان عدد الاطفال والشباب أضعاف عدد الكهول والشيوخ .

أخذ الأطفال يحثون اخوانهم من الأطفال على حضور المسجد .

وأخذ الشباب يحثون لداتهم من الشباب على حضور المسجد .

وانتهز امام المسجد هذه الفرصة ، فاخذ يلقى دروس الوعظ على الأطفال والشباب وهم الاكثرية وعلى الكهول والشيوخ وهم الأقلية .

— ٣ —

كان المسجد وسخا جدا ، فاصبح نظيفا .

وكانت شبابيك المسجد تغص ببيوت العناكب ، وكانت رائحة المسجد عفنة ، وكانت جدرانه مجللة بالأوساخ .

وقد أردت أن أفتح أحد شبابيك

المسجد فى أيامه الأولى ، فتلطخ ذراعى بنسيج بيوت العنكبوت .
وكانت فضلات الفئران برائحتها الكريمة تملأ جنبات المسجد وتنفذ الى خارجه .
وكان الذى يمر بالمسجد يشم رائحة كريهة وهو خارج المسجد .
وكانت أرضية المسجد قذرة الى أبعد الحدود .

وكان سجاد المسجد عفنا وسخا ، يلوث ثياب المصلين .
وكانت حديقة المسجد مليئة بالأشواك والأدغال .
وكان صحن المسجد أشبه شىء بأماكن القمامة .
وشمر الامام الشاب عن ساعديه ، فاصبح المسجد مثالا للنظافة ، وأصبحت شبابيكه نظيفة جدا ، وأصبح السجاد الذى فيه نظيفا ، وأصبحت حديقته غناء .

أصبح المسجد مكانا مناسبا لاجتماع الناس نظافة ونظاما وترتيبا، وأصبح الذين يؤمونه يتعلمون منه وفيه النظافة ليطبقوها فى بيوتهم .
وأصبح المسجد مكانا مناسبا لسماع كلمة الدين ، فليس من المعقول أن تأمر الناس بالنظافة ، والنظافة فى الاسلام واجب مقدس ، ثم يكون المسجد مثالا للقذارة والارتباك .
والمهم فى الأمر ، أن الامام الشاب استفاد من الأطفال والشباب ، لتبديل المسجد من حال الى حال .

وقد قام هؤلاء بتنظيف المسجد وتعميره بحماس شديد ، طلبا لما عند الله من أجر وثواب .

وقد رأيتهم حريصين على القيام بخدمة المسجد ، يطالبون بها الامام كل يوم .

كان المسجد مقبرة ، فاصبح جنة .
وكان يسيء الى سمعة المسلمين، فاصبح موضع اعتزازهم .
والفضل فى ذلك للامام الشاب .

— ٤ —

الداعية روح الدعوة ، ونحن بحاجة ماسة الى الدعوة فى (الداخل) كحاجتنا الى الدعوة فى الخارج .
وقد يعمل رجل الدين العالم العامل المجاهد فى خدمة الدين وفى الدعوة الى الله ، أعمالا فذة لا تستطيع النهوض بها المدارس والمعاهد والجامعات .
والمهم هو اختيار رجل الدين الصالح ، ليتولى ادارة المسجد وليجعل من المسجد المهجور معمورا .
وقد أحسن المسئول الدينى فى البلد الشقيق الذى أحل فيه الاختيار، فجزاه الله عن المسلمين فى القرية النائية خير الجزاء .
وأملى وطيد فى أن يعمر المساجد المهجورة الأخرى فى القرى النائية بمثل هذا الامام الشاب .
لقد تعلمت من هذا الشاب المعمم درسا لن أنساه ، هو أن الداعية المخلص يستطيع أن يفعل كثيرا من الأمور التى هى بحاجة الى المال بدون مال !

فقد أدخل فى المسجد تحسينات كثيرة تساوى الكثير فى حساب المال، ولكنه أنجز تلك التحسينات بالأطفال والشباب .
بدأ ببناء نفوس هؤلاء وتطهيرها ، فاصبحت مستعدة لعمل كل شيء .
كتب سفير أمريكى الى حكومته سنة ١٩٦٢ : ((ان عمامة بيضاء في افريقية السوداء أخطر من قنبلة ذرية)) .

وصدق هذا السفير ، فالقنبلة الذرية تدمر الرجال ، والعمامة البيضاء تبنى الرجال .
بقى أن يعرف المعممون مكانهم ومكانتهم ، فهم ورثة الأنبياء ، وهذا أعظم منصب فى الدنيا .
وبقى عليهم أن يعملوا على أن يكونوا ورثة الأنبياء حقا .

نقد ابن كثير للاسرائيليين

للأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

يعتبر موضوع الاسرائيليات فى التفسير والحديث أمرا بالغ الخطورة لأنه يتعلق بأقدس كتاب وأخلد عقيدة ، القرآن الكريم والعقيدة الاسلامية .

والكثير من التفاسير وبخاصة المأثور منها قد ذكرت الاسرائيليات على تفاوت بينها قلة وكثرة ونقدا لها وسكوتا عنها ، وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى هذا فقال « فى التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة ، مثل الحديث الذى يرويه الثعلبى والواحدى والزمخشرى فى فضائل سور القرآن سورة سورة فانها موضوعة باتفاق أهل العلم ، والثعلبى هو فى نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ، والواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكنه هو أبعد عن السلامة واتباع السلف ، والبغوى فى تفسيره مختصر من الثعلبى ، لكنه صان نفسه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المتبعة ، والموضوعات فى كتب التفسير كثيرة » (١) ..

ودلالة هذا ، اننا نحتاج الى دراسة عميقة متأنية للتفاسير والروايات المأثورة بحيث نجد أمامنا هذا الحشد الهائل من التفاسير التى اكتظت بالاسرائيليات قد نقيت وخلت منها تماما ، وهو عمل يحتاج الى مؤسسة قرآنية أو جماعة متخصصة تتضافر جهودها على الكشف عن هذه الاسرائيليات ونقدها وإبطالها وبخاصة فى عصرنا هذا الذى أصبح التقدم العلمى والتكنولوجى من أكبر الحوافز التى تجعلنا ــ نحن الدارسين للتراث الاسلامى ــ نشعر بحمل ثقيل على كواهلنا طالما كانت هذه الاسرائيليات فى كتب التفسير وبعض كتب الحديث وغيرها . ولن نهنأ حتى نقدم للمسلمين تراثا يغزو القلوب بدون تردد ، وفكرا تستسيغه النفوس بدون تشكك

وتفسيرا تفهمه العقول بغير تناقضات لأبسط الأسس العلمية .

وبعد دراستى لتفسير ابن كثير مع مقارنته ببعض التفاسير الاخرى أرى أن الحافظ ابن كثير هو أحد المفسرين القلائل الذين هاجموا بشدة هذه الخرافات الاسرائيلية وحذر منها كثيرا فى تفسيره وفى كثير من كتبه منذ ما يزيد على الستمائة عام .

ولقد كان هجوم ابن كثير على هذه الاسرائيليات قائما على أساس علمى سليم ، وتفنيدا لها من حيث السند والمتن ، مؤكدا لنا أن غالب هذه المرويات كذب وافك مبين . يقول ابن كثير : « ثم ليعلم أن اكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ، ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحا » (٢) .

وهى كلمة حق يراد بها حق ، ما اقل الصدق فى الاسرائيليات ثم ما اقل الفائدة المرجوة منها ولو كانت صحيحة لأن ديننا قد كمل فى عقيدته وشريعته (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (٣) .

موقف ابن كثير من الاسرائيليات

وقد عرض ابن كثير فى مقدمة تفسيره وفى ثناياه — موقفه من الاسرائيليات وبين حكمه فيها فى اكثر من وضع مؤيدا ما ارتآه بما ورد فى كتب السنة الصحيحة . ذكر عن الامام أحمد فيما رواه عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى مررت بأخ لى يهودى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة . الا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال عبد الله بن ثابت قلت له : الا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا قال : فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى — عليه السلام — ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، إنكم حظى من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين » (٤) .

وينقل عن الحافظ أبى يعلى فيما رواه عن جابر — هذا الحديث — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا وانكم اما أن تصدقوا بباطل واما أن تكذبوا بحق وانه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى » . وفى بعض الاحاديث : « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعى » (٥) .

والنهى عن الأخذ من أهل الكتاب فى هذين الحديثين واضح ، فالرسول صلىالله عليه وسلم يتغير وجهه حين يسمع عرض عمر لقراءة ما كتب له من التوراة عليه ، وقد تكون هذه الجوامع تهذيبا للنفس ، أو حثا على الاخلاق ، أو شيئا يرضى رسول الله فى ظن عمر بن الخطاب . لكن هذا التلقى عن أهلالكتاب مرفوض أصلا . أما الحديث الثانى فالنهى فيه صريح .

وفى موضع آخر من التفسير يذكر رواية للامام أحمد عن جابر بن عبد الله (ان عمر بن الخطاب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب ، فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم قال — فغضب وقال : امتهوكون (٦) فيها يا بن الخطاب ؟. والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو باطل فتصدقونه . والذى نفسى بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى » (٧) .

وعمر — رضى الله عنه — لا يقبل أمرا يغضب الله ورسوله ، ومن ثم

فقد استجاب لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعى هذا الدرس جيدا حتى جاءته الخلافة فوقع لرجلين ما حدث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« روى الحافظ أبو بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلى باسناده أن رجلين كانا بحمص فى خلافة عمر رضى الله عنه فأرسل اليهما فيمن ارسل من أهل حمص ، وكانا قد اكتتبا من اليهود (صلاصفة) (٨) فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين يقولون — ان رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة ، وان نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا — إنا بأرض أهل الكتاب وانا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا افناخذ منه او نترك ؟ فقال — لعلكما كتبتما منه شيئا . فقالا : لا . قال : سأحدثكما انطلقت فى حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى أتيت خيبر ، فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبنى فقلت : هل أنت مكتبى مما تقول ؟ قال : نعم . فأتيت بأديم فأخذ يملى على حتى كتبت فى الاكراع : فلما رجعت قلت : يا نبى الله ، واخبرته . قال : « ائتنى به » . فانطلقت أرغب عن الشىء رجاء أن اكون جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يحب فلما أتيت به قال : (أجلس اقرأ على) فقرأت ساعة ثم نظرت الى وجه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاذا هو يتلون ، فتحيرت من الفرق ، فما استطعت أن اجيز منه حرفا ، فلما رأى الذى بى ، رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما ، فيمحوه بريقه وهو يقول : « لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وتهوكوا » . حتى محا آخره حرفا حرفا . قال عمر — رضى الله عنه — فلو علمت انكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الامة ، قالا : والله ما نكتب شيئا أبدا ، فخرجا بصلاصفتهما ، فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا ، ودفناها فكان آخر العهد منها .

قال ابن كثير وروى ابو داود فى (المراسيل) من حديث ابن قلابة عن عمر نحوه (٩) .

لهذا وغيره نجد الحافظ ابن كثير يتعقب الاسرائيليات ، ويبطل كثيرا منها ، لكن ، ما رأى ابن كثير فى الحديث الذى رواه الامام البخارى ، وذكره هو فى مقدمة التفسير والذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ؟ الاجابة عن ذلك نجدها فى تقسيمه للاسرائيليات .

اقسام الاسرائيليات :

قسم الحافظ ابن كثير الاسرائيليات كما فعل شيخه ابن تيمية فى كتابه (مقدمة فى أصول التفسير) الى ثلاثة أقسام : —

« أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ويجوز حكايته » (١٠) .

ويتحدث عن القسم الثالث فى موضع آخر (١١) فيقول : (ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون فى روايته يقول عليه السلام : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وهو الذى لا يصدق ولا يكذب لقوله « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » (١٢) .

أما ما جاء موافقا لما عندنا ، فمثاله ما رواه الحافظ ابن كثير عن ابن جرير الطبرى عند تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . .)

الاعراف : ٧/١٥٧ .

« قال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا فليح عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى التوراة قال : أجل ، والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن (يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للاميين ، أنت عبدى ورسولى، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، واعينا عميا . قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا ، الا أن كعبا قال بلغته : قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا » .

قال ابن كثير معلقا على هذا الحديث : وقد رواه البخارى فى صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن على . فذكر باسناده نحوه ، وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبد الله بن عمرو (١٣) .

أما القسم الثانى من الاسرائيليات وهو ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، فهى كثيرة، وقد ذكر ابن كثير شيئا كثيرا منها ، وعقب عليه بالنقد وأبطله ، وسنضرب لذلك الامثال فيما بعد ان شاء الله .

أما القسم الثالث ، وهو المسكوت عنه فيوضح ابن كثير موقفه منه حين يقول فى مقدمة التفسير : « وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى ولهذا يختلف علماء اهل الكتاب فى هذا كثيرا ، ويأتى من المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون فى مثل هذا اسماء أصحاب الكهف ،ولون كلبهم ،وعددهم ،وعصا موسى من اى الشجر كانت ، واسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى ، الى غير ذلك مما أبهم الله تعالى فى القرآن ، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا دنياهم » .

ثم يبين حكم نقل الخلاف فى ذلك وفائدته فيقول : —

« ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » (١٤) . فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى منهم ثلاثة اقوال ، ضعف القولين الاولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما . ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته . فقال فى مثل هذا (قل ربى أعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه عليه . فلهذا قال : (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) . اى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب ، فهذا احسن ما يكون فى حكاية الخلاف ، أن تستوعب الاقوال فى ذلك المقام ، وان تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فتشتغل به عن الأهم فالأهم » (١٥) .

ونفيد من هذا النص :

١ — أن ماأخذ عن اهل الكتاب مما هو مسكوت عنه تجوز روايته .

٢ — وان هذا المروى لا فائدة فيه .

٣ ـ كثرة الخلاف فى هـــذه المرويات .

٤ ـ وجوب استيعاب الاقوال فى حكاية الخلاف والتنبيه على الصحيح والباطل ، وذكر فائدة وثمرة الخلاف .

٥ ـ عدم اثارة الخلاف فيما لا طائل تحته حتى لا يتشعب الخلاف ويضيع الزمان .

ويؤكد ابن كثير حرصه على الاعراض عن كثير من الاسرائيليات لما فيها من تضييع الوقت ، وما اشتملت عليه من كذب فاضح فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » الأنبياء ـ ٢١/٥ « وما يذكر من الاخبار عنه فى ادخال أبيه له فى السرب وهو رضيع ، وانه خرج بعد أيام ، فنظر الى الكواكب والمخلوقات، فتبصر فيها ، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بنى اسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئا من ذلك رددناه ،وماليس فيه موافقة ولامخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفا ، وما كان من هـذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف فى روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فى دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة .

والذى نسلكه فى هذا التفسير ، الاعراض عن كثير من الاحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هـذه الامة » (١٦) أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فما أبلغ هذا البيان عن الاسرائيليات وما أروعه !!.

ان الكثير منها كذب وبهتان ، وفى ذكره تضييع للزمان ، وعدم فائدة تعود على المكلفين ، ومع هذا فان الكثير من السلف ـ رحمهم الله ـ قد وضعوا هذا الكذب المنقول عن أهل الكتاب غير الحفاظ والذى لا فائدة منه بجوار كلمات الله ، تفسيرا لبعضها ، وهو أمر ما كان ينبغى أن يحدث . ولذا فان الحافظ ابن كثير قد وجه انتقادات كثيرة لهذه الاسرائيليات التى لا يقبلها عقل سليم ولا يقرها شرع صحيح ، وأرجو أن أبين هذا الموقف الكريم لابن كثير فى مقالات أخرى ان شاء الله .

● ابن كثير هو العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ اسماعيل بن عمر المولود سنة ٧٠٠ هـ والمتوفى سنة ٧٧٤ هـ وقد نلت عنه وعن منهجه فى التفسير درجة الماجستير من كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق الطبعة الاولى .

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٦/٣ طبعة الحلبى .

(٣) المائدة ٣/٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٨/١ .

(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .

(٦) التهوك : التحير .

(٧) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٢ .

(٨) الصلاصفة : شىء يكتب فيه .

(٩) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٢ .

(١٠) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١١) المصدر السابق ٢٧٥/٢ .

(١٢) هناك أقسام أخرى للإسرائيليات باعتبار الموافقة لما فى شرعنا أو المخالفة له ، وباعتبار موضع الخبر الاسرائيلى وهى قريبة من بعضها وقد ذكرها الاستاذ الفاضل محمد حسين الذهبى فى كتابه القيم (الاسرائيليات فى التفسير والحديث) .

(١٣) تفسير ابن كثير ٢٥٣/٢ .

(١٤) الكهف ٢٢/١٨ .

(١٥) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١٦) المصدر السابق ١٨١/٣ ـ ١٨٢ .

حديث مع علماء من المغرب في الكويت

اعداد الأستاذ عبد الحميد محمد البسيونى

من الأرض التى كانت معبرا للنور ..
وحملت عبق المجاهدين الأوائل ، من أمثال عقبة بن نافع ، وموسى بن نصير وحسان بن النعمان الغسانى ..
وولدت القائد الفذ طارق بن زياد ..
من أرض المغرب الحبيب ، البلد العربى المسلم الذى أذهل جنده فى معركتنا الأخيرة كل عربى بالمشرق ، بثباتهم الصابر ، وحماستهم المؤمنة .
من هذه الأرض الطيبة ، نزل الكويت ، ضيفا على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية جماعة من علماء المغرب ، هم الأستاذ الشيخ « الحسن السايح » المدير السابق للتعليم الاسلامى بالملكة المغربية ، والمفتش الأول بوزارة التربية الوطنية وأستاذ الآداب بالمعاهد العليا .. وللأستاذ السايح يد فى توجيه الثقافة الإسلامية بالمغرب ، إذ هو من مؤسسى « اتحاد كتاب المغرب » ، و « شبيبة النهضة الاسلامية » ..

ومنهم الأستاذ « أحمد سحنون » رئيس قسم التعليم العالم بوزارة التربية الوطنية ..

والأستاذ جبران عبد السلام المسفيوى ، نائب عميد كلية الدراسات العربية بمراكش .

وقبيل عيد الفطر المبارك ، التقيت بالعالمين الفاضلين السايح وسحنون ، وكان من أهم دوافع هذا اللقاء لدى مجلة « الوعى الاسلامى » أن تقف قارئها على أهم المعالم العلمية ، وخاصة ما يتعلق بالثقافة الاسلامية والتعليم الدينى ، ولكن صوت

المعركة الحالية جعلنى أبدأ الحوار بهذا السؤال :

● ترون سيادتكم أن المعركة الحاليـــة هى رأس الأمر الـــذى يشغل بـــال المسلمين ، فما الرأى الذى تدلون به موضحا واجب الجماهير المسلمة فى الأمـــة العربية نحو المعركة ؟

وتفضل الشيخ السايح ، بعد نظرة الى صاحبه ، كأنه يسترجع معه حديثا تجاذباه من قبل ، فقال :

ــ الأمر الآن ليس أمر رأى ووصايا ، وللمرة الأولى أشعر ، ويشعر معى كل عالم وكل فرد ، أن حركة الأمة المسلمة : الواعية ، المليئة بالحماسة والثقة ــ قد سبقت كل كلام ، وفاقت كل تعبير .. ومن هنا أبدأ بأول الرأى :

أن يستمر كل مسلم على هذه الوتيرة : **وعى لا يغفل ، وعمل لا يفتر ، وكلام قليـــل .**

مـــوسى بـــن نصير .. القائـــــد الفاتـــــح ، يهـــــدى تجاربـــــه لقـــوادنا فـــى الحـــرب

وأضاف الأستاذ الشيخ أحمد سحنون :

لعله من الخير هنا ، أن أسوق ما قاله أحد قادة الفتح فى المغرب : موسى بن نصير رحمـــه الله .. سأله سليمان بن عبـــد الملك : ماذا كانت عدتك فى حرب عدوك ؟

فأجاب : التوكل على الله ، والدعاء إليه يا أمير المؤمنين ..

فيسأله سليمان : هل كنت تمتنع فى الحصون والخنـــادق ، أم كنت تخندق حولـــك ؟

فيجيب القائد الخبير المؤمن : **كل هـــذا لم أفعله ، بل كنت أنزل الســـهل ، وأستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله ، وأرغب إليه فى النصر ..**

فبادرت قائلا : هذا كلام يحتاج الى فضل بيان ..

ويمد الشيخ يده الى كتاب بجانبه بعنوان « قادة الفتح الاسلامى فى المغرب العربى » ، ويقول : هذا كتاب ألفه رجل من رجالات الحرب ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، وأظنه أولى الناس بما سألت من بيان ، ثم قرأ هذه السطور :

« إن موسى بن نصير كان قائدا تعرضيا ، يهاجم عدوه دائما ، ولا يؤمـــن بالدفاع ، وكان يستشعر الخوف من عدوه ولا يســـتهين به ، ولذلك يعد لـــه كل ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل ، ويصبر على قتاله » .

وخشيت أن تستطرد بنا القراءة ، فسألت :

● ولو تكرمتم ببيان الدور الذى ينبغى أن يقوم به رجل الدين فى المعركة ..

فأجاب الشيخ السايح :

ــ لى اعتراض شكلى على السؤال .. فرجل الدين فى المعركة هو الـــذى يحمل السلاح الآن ، ويصلى بحر المعركة ، ليذود عن دينه وعرضه ووطنه ، فذلك المسلم حق المسلم .. فنبينا صلى الله عليه وسلم ، هو صاحب الدين ، وهو أفضل المجاهدين ، ومن أقوالـــــه الفذة **« جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلـــة والصغار على من خالف أمرى » ..**

أما إن كنت تريد دور « العالم » فدوره واضح جدا : أن يكون هو النمـــوذج العملى أمام الجماهير بذلا وتضحية ، وأن يكون أول المبادرين لما ينصح به غيره .

● والآن يا سيدى ، نحب أن يقف القارىء المشرقى على لمحة مختصرة من الواقع الاجتماعى والدينى فى « المملكة المغربية » ؟

وتفضل الشيخ الحسن السايح فقال :

● **من هم البربر ؟**
● **لماذا ساند البربر الفينيقيين فى صد الغزو الرومانى ؟**
● **متى وجد البربر أنفسهم ؟**

— المغرب واقعا ، والمغرب تاريخا ، بلد **عربى مسلم** ، فلم يعرف المغرب قبل الإسلام « شخصية كاملة » ، وإنما تبلورت هذه الشخصية حين بلغته جحافل الفاتحين ، الحاملين لرسالة الإسلام ، فوجدت المغاربة الأولين ، وهم من البرابرة ، الذين يرجع أصلهم إلى **العرب اليمنيين** حسب الروايات المعتمدة عند ابن خلدون ، وغيره من علماء التاريخ والاجتماع .. ولعل ذلك هو الذى يعلل مساندة المغاربة القدماء للفينيقيين فى مقاومة الغزو الرومانى الوندالى ، إنه وحدة الأصل المشرقى ..

حتى إذا جاء الاسلام وجد المغاربة فيه شخصيتهم .. وما هى الا سنوات معدودة حتى ظهر القائد البربرى **طارق بن زياد** ، قائد الفتح فى بلاد الأندلس ، وله خطبة مشهورة بالعربية ، تعد من نماذج الفصاحة والبيان ، ثم ظهر من الفقهاء المغاربة **يحيى الليثى** تلميذ الإمام مالك .. ولعل اكبر الدليل على انتشار العربية المبكر فى المغرب ، أنه قد ظهر فيه منذ بداية الفتح الاسلامى مئات الشعراء والخطباء والكتاب .

● وبم تعللون سيادتكم هذه الاستجابة السريعة للتعرب ؟

— ذكرت لك أولا « وحدة الأصل » ، وفى هذا وحدة الفطرة اللغوية ، والأهم من ذلك استجابة البربر السريعة للاسلام ودخولهم فيه ، فكان القرآن الكريم بغير شك هو العامل الأول فى انتشار اللغة العربية ، لأن المسلمين يحفظونه ويرتلونه ، فهو كلام ربهم ، والأصل الأول للدين ، ثم يتعلمون من العلوم ما يعين على شرحه وفهمه ..

● والآن نحب أن نسأل : ما الإطار الاسلامى للمغرب الحديث ؟

— المغرب الحديث هو استمرار للمغرب القديم ، وإن شئت التحديد فالمغرب بلاد عربية مسلمة فى إطار حديث .. ونعم ، لقى المغرب فى سبيل الحفاظ على هذا الاطار جهدا جهيدا ، وما زال حتى يوم الناس هذا يبذل فى ذلك جهودا عظيمة .. فلعل المواطن المشرقى هنا قد وقف على طرف من الصراع الرهيب بين العربية : لغة الإسلام ووعائه ، والفرنسية التى عمل المستعمر الفرنسى على تثبيتها ، وجعلها لغة العلم والثقافة مكان العربية .. ولكن نتيجة الصراع أثبتت الغلبة للعروبة والإسلام .. والأدق من ذلك أن نقول : أثبتت الغلبة للعروبة بسبب الإسلام ..

● **حرب الاستعمار للغة العربية .**
● **مفهوم « العروبة » فى المغرب .**
● **أهم الجمعيات الاسلامية فى المغرب .**

وإذا سمحت لى ، فأحب أن أوضح **مفهوم العروبة فى المغرب ، فهى عندنا لا تعنى عروبة الجنس ، بقدر ما تعنى عروبة اللغة والأخلاق والقيم ، ولهذا ينص الدستور المغربى على أن الإسلام دين الأمة المغربية ، والعربية لغتها .**

وإذا زرت المغرب اليوم فسوف تجد عشرات الجمعيات والأندية الاسلامية ، اذكر لك من بينها « رابطة علماء المغرب » و « جمعية قدماء القرويين » و «رابطة علماء سوس » و « جمعية خريجى دار الحديث الحسنية » . .

● وماذا عن المجلات الإسلامية فى المغرب ؟

ـــ نعم ، تصدر فى المغرب عدة مجلات إسلامية ، من بينها « دعوة الحق » و « الارشاد » و « الثقافة المغربية » و « الباحث » و « تطوان » . . هذه المجلات ذات طابع إسلامى أساسا . . ولا تنس الصحف السيارة اليومية ، التى لا تخلو صفحات منها من الحديث عن الشؤون الاسلامية ، والمشاكل الفكرية ودور الإسلام فيها . .

● ما دام الحديث عن الثقافة ، فنرجو من الأستاذ أحمد سحنون ، رئيس قسم التعليم العالى بوزارةالتربية أن يعطينا فكرة مفصلة عن التعليم الدينى بالمغرب . .

ـــ إن التعليم الدينى بالمغرب يرتبط ارتباطا وثيقا بجامعة القرويين ، التى تعتبر من أقدم الجامعات فى العالم ، حيث انها اسست سنة ٢٤٥ هـ على يد **أم البنين : فاطمة الفهرية** إحدى المهاجرات من القيروان الى فاس . . ومنذ تأسست وهى تقوم بدور التثقيف والتربية والتعليم ، وقد تخرج منها على مر العصور مئات العلماء فى مختلف العلوم والفنون .

● هل يعنى هذا انه كان فيها أقسام مختلفة بحسب فروع المعرفة ؟

ـــ نعم على نحو ما ، اذ كانت الدروس فيها حلقات حلقات ، فى كل حلقة عالم يدرس فنا من فنون المعرفة يتصدر فيه ، كالتفسير والحديث والفقه واصوله . .

● إذن كان الأمر يقتصر على العلوم الشرعية !

ـــ كلا ، فقد كان هناك أيضا ما يسمى بعلوم الآلة ، من نحو وصرف وبلاغة ، وكذلك علوم الفلك والرياضيات وغيرها . .

والجدير بالبيان أن الطلبة كانوا هم الذين يختارون الأستاذ بحسب ميولهم والفن الذى يرغبون فى تحصيله .

● جامعة القرويين من أقدم الجامعات ، فمتى أسست ؟
● من المرأة المسلمة التى أسست هذه الجامعة ؟
● متى أدخل عليها النظام الحديث ؟
● ما الدور الذى تقوم به جامعة القرويين فى أفريقيا ؟

● ما المدة التى كان على المتعلم ان يقضيها فى جامعة القرويين ؟

ـــ لم تكن هناك مدة محدودة . . ما هو إلا أن يتم الطالب دروسه على أستاذه أو أساتذته ، ثم يشعر أنه تكونت لديه ملكة فى الفهم والاحاطة ، وأن لديه القدرة على التدريس ، فتجتمع لجنة من كبار العلماء لامتحانه ، فان نجح أعطوه اجازة التدريس . . وكان الطالب يحصل على اكثر من إجازة من العلماء المتصدرين كاعتراف له بالقدرة على التدريس أو الافتاء أو الرواية .

وفى سنة ١٩٣٠ م أصبحت الدراسة فى جامعة القرويين نظامية ، ووزعت الدراسة فيها على اثنتى عشرة سنة : ثلاث ابتدائية ، وست ثانوية ، وثلاث فى

التعليم العالى ، يحصل الطالب بعدها على « شهادة العالمية » وهى أعلى شهادة كانت تمنحها جامعة القرويين .. كما توسعت الجامعة ، فأصبح لها فروع فى فاس ومكناس ومراكش وتطوان .

ومنذ عهد الاستقلال توسعت دائرة التعليم الدينى ، فشملت معاهده جل المدن المغربية ، وأدخل تعديل على نظام جامعة القرويين ، فأصبح التعليم العالى فيها يضم ثلاث كليات ، هى : كلية الشريعة بفاس ، وكلية أصول الدين بتطوان ، وكلية الدراسات العربية بمراكش ، ومن المنتظر أن تفتح كليات أخرى فى المستقبل القريب بحول الله .

ومن الجدير بالتنويه أن كل مؤسسة من مؤسسات التعليم الدينى تحتوى على مكتبة خاصة بها ، بالاضافة الى مكتبة القرويين الكبرى ، التى تحتوى على كثير من المخطوطات النادرة ، التى لا وجود لها فى غيرها .

وقد تعززت جامعة القرويين باحداث « دار الحديث الحسنية » بالرباط ، وهى مؤسسة للدراسات الاسلامية العليا ، وتمنح لقب الدبلوم والدكتوراة .

● لو سمحتم لى سيادتكم بسؤال : هل تقتصر جامعة القرويين على قبول الطلبة المغاربة فقط ؟

ــ هذا ما كنت سأتم به حديثى .. كانت جامعة القرويين ولا تزال تضم الكثير من الطلبة المسلمين ، من مختلف أنحاء العالم ، وخصوصا من أفريقيا وآسيا ويوجد بها الآن فى المرحلتين الثانوية والعالية حوالى خمسمئة طالب أجنبى ، من مختلف الدول الأفريقية والآسيوية ، وحتى من أوروبا .

وأحب إكمالا لصورة التعليم الدينى فى المغرب أن أنبه الى أن هناك نوعا آخر من التعليم الدينى لا يخضع كسابقه لاشراف وزارة التربية ، فهناك مراكز أخرى للتعليم الدينى ، توجد فى أهم المدن المغربية ، الغرض منها تكوين الدعاة والمرشدين ، ويشرف على هذه المراكز وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية .

وفى نهاية جوابى ، أحب أن أقول للقارىء إن هذه لمحة سريعة ، بل خاطفة عن التعليم الدينى بالمغرب ، وقد صدرت عدة دراسات عن هذا التعليم وتطوره ، وعن جامعة القرويين بالخصوص ، وآخر ما أذكر من ذلك أطروحة للدكتور عبد الهادى التازى سفير المغرب سابقا بالعراق وأحد علماء جامعة القرويين ..

● أشرتم فى حديثكم الى مكتبة جامعة القرويين ، فهل لكم أن تزيدونا إيضاحا عنها ؟ وهل بالمغرب مكتبات أخرى ؟

ــ الواقع أن المغرب ملىء بالمكتبات ، منها العام ، ومنها الخاص .

وتعتبر مكتبة جامعة القرويين (وهى قريبة من الجامعة بمدينة فاس) من أقدم المكتبات المغربية ، وتضم مجموعة كبيرة من الكتب فى مختلف فنون المعرفة ، وأهم ما فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة ، بل ان بها ــ كما قلت ــ مخطوطات لا وجود لها بسواها .

وتوجد بالرباط مكتبة لا تقل عن مكتبة القرويين ، وهى قسمان : قسم للمطبوعات ، وآخر للمخطوطات والوثائق ، يحوى عدة آلاف من الكتب ، بعضها لا يعرف له نظير حتى الآن فى مكتبات العالم ، كما أكد ذلك بروكلمان وغيره من

● ماذا تعلم عن مكتبات المغرب ؟
● نفائس المخطوطات التى تنفرد بها جامعة القرويين .
● ماذا قال بروكلمان عن الخزانة العامة ؟
● الخزانة الملكية بالرباط .
● مكتبات المساجد .
● المكتبات الخاصة .

المهتمين بهـــذا الميـــدان .

وتوجد أيضا بالرباط الخزانة الملكية ، وهى وإن كانت ملكا خاصا للعائلـــة المالكة فانها موضوعة رهن إشارة العموم ، وبهـــا هى الأخرى نفائس عظيمـــة لا وجود لمثلهـــا .

ويقبل على هذه المكتبات الثلاث كثير من الدارســـين ، والمهتمين بالتحقيق ، وتزورها بعثات علمية وثقافية من جميع بقاع العالم .

وبالاضافة الى هذه المكتبات الثـــلاث توجد مكتبات متوســـطة وصغيرة فى مختلف المدن المغربية ، كما توجد مكتبات مهمة جدا فى كثير من الزوايا والمساجـــد المنتشرة فى أنحاء المغرب .. وتقوم وزارة الأوقـــاف والشؤون الاســـلامية الآن بفهرستها وتنظيمها .

ومما يجب الاشارة اليه هنا المكتبات الخاصة ، فهى كثيرة ، لا يخلو بيت من البيوتات الكبرى ، وخاصة بيوتات أهل العلم من مكتبة علميـــة تختلف أهميتهـــا باختلاف أحوال الأسرة .

● سؤال أرجو أن يكون أخيرا بعد هذه السياحة الطويلة فى معاهد المغرب ومكتباتها ..

ما العلاقة بين الثقافة المغربية الحديثة والتوجيه الاسلامى ؟
وما حظ التربية الاسلامية من مناهج التعليم ؟

وتفضل الأستاذ السايح فقال :

ــ أختم بما بدأت به .. وإن حوادث الواقع خير ترجمان لما سألت عنه .. أعنى بذلك استجابة المغرب لمتطلبات المعركة الأخيرة ، ولعلك شاهدت معى على شاشة التلفزيون الكويتى جلالة الملك الحسن الثانى يبعث قـــواده بعلم المغـــرب ليقفوا بجانب إخوانهم فى معركة الشرف .

أقول : إن هذا الموقف ليس مجرد صدفة ، ولا هو رد فعل للحظة عابـــرة ، إنه نتيجة لميراث أجيال ، وتربية قرون طويلة ، تؤكد دائما أخوة الإسلام .

ولذلك فإن التعليم فى المغرب هو تعليم إسلامى قبل كل شىء ، أعنى أنه فى مجموعه يخضع للتوجيه الاسلامى ، سواء من حيث المواد ، أو الهدف التربـــوى أو عدد الحصص .

وإن كنت ــ شخصيا ــ أعتقد أن رسالة البيت والمجتمع ــ قبل ذلك ومعه وبعده ــ أشد خطرا فى هذا الجانب ، وأهم بكثير من المدرسة .



وعشرات الأسئلة ما زالت فى رأسى ، وأشفقت على وقت الضيوف الكرام ، وقدرت أن ما بقى سوف يكون مفتاحا بالأشواق ــ فى قلبى وقلب كل مشرقى ــ الى المتابعة والدرس والالتحام الفكرى .. وعسى أن يكـــون ذلك فى كل بقـــاع الإسلام .

الفتاوى

حكم المسلم الذى يتعامل مع اسرائيل

السؤال :

ما هو حكم المسلم الذى يعاون أو يتعامل مع اسرائيل .. ؟

آدم اسماعيل — مقديشيو

الاجابة :

المسلم هو الذى يلتزم أحكام الدين ، ويتولى الله ورسوله والمؤمنين . ويقاطع من هو عدو لله ورسوله وللمؤمنين ، فلا يعــاملهم ، ولا يعاونهم ، ولا يواليهم ، والاسرائيليون احتلوا أرضنا ، وشردوا أخواننا ، وخربوا ديارنا ، وقتلوا نساءنا وشبابنا ، فهم أعداؤنا وأعداء الله ، وكل من يعاونهم ويساعدهم بالعمل فى مصانعهم ، ومتاجرهم ، ومنشآتهم ، يشد أزرهم ، ويعينهم على ظلمهم ، وكل من يواليهم من المسلمين ببيع الاسلحة ، أو الاطعمة ، أو ترويج سلعهم ، ومصنوعاتهم ، منافق ، بعيد عن روح الاســلام ، قال تعــالى : **((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمــودة))** ، وفى القرآن الكريم ما يدل صراحة على أن من يتولى قوما فهو منهم قال تعالى : **((ومن يتولهم منكم فانه منهم))** . ومعنى هذا أن من يتولى الصــهيونيين فهو منهم ، وقال تعالى : **((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حــاد الله ورسوله))** .

حكم التجسس للأعداء

السؤال :

ما حكم من يتجسس لاسرائيل ويدلى بمعلومات عن قوة المســلمين .. ؟

ذهب سعيد — السودان

الاجابة :

ان التجسس لأعداء المسلمين من أفحش الجرائم ، وأعظمها خطرا على الاسلام والمسلمين ، ومن أشدها اثما وعقابا فى الدنيا والآخرة ، وليس فى الجرائم ما يشبهها خزيا وعارا ، لأن التجسس لأعداء الله فى حقيقته بيع مال المسلمين وأوطانهم وأرواحهم لأعداء الاسلام بثمن بخس يأخذه الجاسوس المجرم لنفسه .. ان الجاسوس يكشف عورات البلاد ، ومقاتلها ، ومداخلها ، ليدخل منها العدو .

والذى نميل اليه فى حكم الجاسوس المسلم لأعداء المسلمين انه إن كــان يفعل ذلك عن عمد وسوء قصد ، واتخذ هذا العمل حرفة فانه يقتل ، وهذا ما تقضى به القوانين المدنية ، وهو موافق لأحكام الشريعة حماية للمسلمين ، وصونا لدمائهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وأوطانهم .

الدفاع المدنى
جهاد فى سبيل الله

السؤال :

هل يعتبر المشتركون فى الدفاع المدنى من المجاهدين فى سبيل الله .. ؟

عبد اللطيف اسماعيل – السويس

الاجابة :

الدفاع المدنى ضرب من الجهاد ، لأن المسلم الذى يقف فى المدينة أو القرية وقت الحرب يحرس المسلمين ، ويحفظهم من التهلكة ، ويساعد فى علاج الجرحى ، واطفاء النار ، ورفع الانقاض ، وتنبيه اخوانه الى الغارات الجوية ، وطرق الوقاية من أضرارها ، هذا ولا شك مجاهد فى سبيل الله اذا كان يقصد بهذا العمل ابتغاء مرضاة الله والدفاع عن الاسلام والمسلمين وحرماتهم .

اخراج القيمة
فى الزكاة والكفارة

السؤال :

هل يجوز شرعا اخراج القيمة فى الزكاة والكفارة .. ؟

همام العجيل – الاردن

الاجابة :

المعروف فى مذهب مالك والشافعى أنه لا يجوز ، ويجوز عند أبى حنيفة .

أما أحمد فقد منع القيمة فى مواضع وجوزها فى مواضع .

يقول ابن تيمية : والأظهر أن اخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع ، وأما اخراج القيمة للحاجة أو المصلحة فلا بأس به ، ومن الحاجة التى ضربها ابن تيمية مثلا أن يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه اعطاء القيمة لكونها أنفع لهم فيعطيها اياهم .

تعجيل الزكاة

السؤال :

اشتغل بالتجارة وأخرج زكاتها كل عام والحمد لله ، وفى هذا العام عرضت ظروف تحملنى على اخراج الزكاة قبل مضى الحول ، فهل يجوز لى شرعا تعجيل الزكاة .. ؟

مسلم – الكويت

الاجابة :

تعجيل الزكاة قبل وجوبها يجوز عند جمهور العلماء كأبى حنيفة والشافعى وأحمد ، وفى (المسائل الماردينية) لابن تيمية : يجوز تعجيل زكاة الماشية والنقدين وعروض التجارة ، اذا ملك النصاب ، ويجوز تعجيل المعشرات قبل وجوبها اذا كان قد طلع الثمر قبل بدو صلاحه ، ونبت الزرع قبل اشتداد حبه ، فاذا اشتد الحب ، وبدا صلاح الثمر فقد وجبت الزكاة .

اعداد : عبد الحميد رياض

افريقيا وعلاقتهـــا باسرائيـــل ..

● ما هى الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها الدبلوماســية باسرائيل حتى الآن .. وكم عدد الدول الافريقية التى لم تقطع علاقاتها بعد .. ؟

ــ الدول التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل هى :

غينيا ، أوغندا ، تشاد ، الكونغو الشعبية ، النيجر ، مالى ، بوروندى ، توجو ، زائيرى ، داهومى ، رواندا ، فولتا العليـــا ، الكميرون ، غينيـــا الاستوائية ، تانزانيا ، مالاجاشى ، (مدغشقر) جمهورية أفريقيا الوسطى ، أثيوبيا (الحبشة) ، نيجيريا ، زامبيا ، جامبيا ، غانا ، السنغال ، جابون ، كينيا ، ليبيريا ، ساحل العاج .

أما الدول التى لم تقطع علاقاتها بعد فهى :

جنوب أفريقيا ، بوتسوانا ، مالاوى ، ســوازيلاند ، ليسوتو ، ومورويشوس (جزر تقع الى الشرق من مالاجاسى) .

بالاضافة الى ستة أقاليم لم تحصل على استقلالها بعد وهى :

أجولا ، ناميبيا ، الصحراء الاسبانية ، روديسيا (تحكم من غير أهلها بشكل عنصرى) ، موزمبيق ، الصومال الفرنسى ، بالاضافة الى أرتيريا التى تخضع لاشراف أثيوبيا وهى تكافح من أجل الاستقلال .

ومن المعروف أن هذه القارة تعتبر بالنسبة لاسرائيل مكانا خصبا لتصدير بضائعها والاستفادة من خلوها من البضائع العربية ، والانتفاع بمعادنها ، مع العلم أن أفريقيا قارة غنية جدا بالمعادن بل تعتبر أولى القارات فى انتـــاج الماس والذهب واليورانيوم والقصـــدير والنحاس والمنجنيز وخام الالمنيوم والفوسفات .

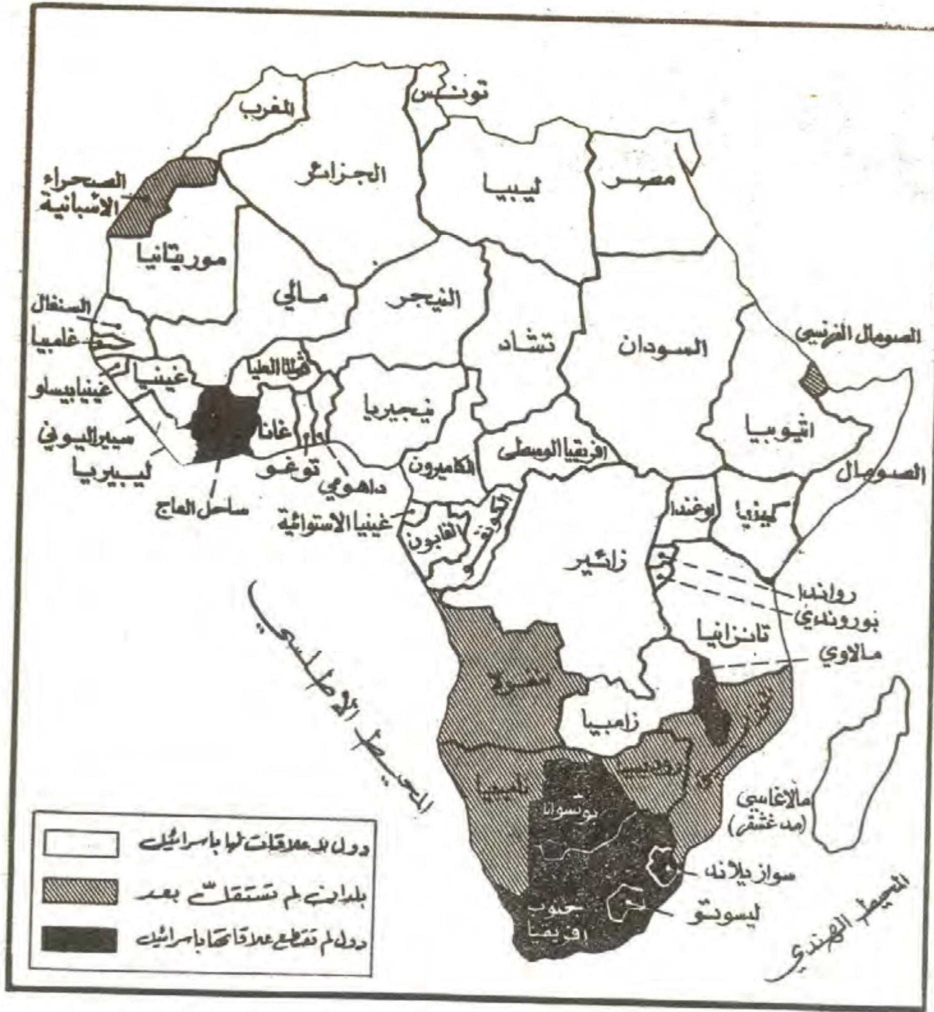
لذلك يعتبر قطع علاقاتها باسرائيل ضربة قوية موجهة الى الاقتصـــاد الاسرائيلى وهزة عنيفة فى كيانه وعلى أمتنا العربية أن توفر البديل لأفريقيا حتى تنقطع عملتها نهائيا باسرائيل ، خصوصا وان القارة يشكل سكانها نسبـــة كبيرة من المسلمين ويمكن ان تكون القارة المسلمة كلها بنشر المعرفة الواعيـــة المستمدة من وحى القرآن والهدى النبوى وبقليل من الجهد .

قطع البترول

لقد كرهت بريطانيا جدا لدعايتهـــا اليهودية هذه الأيام فهم يجســدون انتصـــارات اسرائيل رغم معرفتهم جيدا أننا العرب منتصرون ولقد كان خبر قطع البترول صدمة كبيرة لبريطانيا .. فسوف تزيد أسعار البترول هنا وكذلك المواصلات .. وكل فرد فى الشارع يتكلم عن أهمية سلاح البترول .

ان شركات الاذاعة والتلفزيون ومعارض السيارات الكبرى أصـــحابها يهود وكذلك الصحف والمجلات ويحاولون باستمرار تحطيم أعصـــاب العرب بالحرب الاعلامية .

ن . ر لندن



خريطة لدول افريقيا بعد قطع الاكثرية لعلاقاتها باسرائيل

دســـــائس يهودية

أثناء قراءتي لمجلتكم الغراء (العدد ١٠٢ السنة ٩ أول يوليو ١٩٧٣) لاحظت فى زاوية (بريد الوعى الاسلامى) استفسارا من أحد الاخوة القراء من ليبيا عن محاضر تكلم عن (الآيات الكونية) واصفا الله سبحانه بـ (مهندس الكون الأعظم) . وقد كان جواب المجلة وافيا على ما أظن الا أنى وددت أن أضيف بأن (ادخال) بعض اللفظات الوصفية فى الدراسات الاســـــلامية تتطلب فى أحيان كثيرة الحذر الشديد من الاندساس الخطير الموجه من قبل قوى اليهودية العالمية ضد الاسلام والمسلمين .

ان عبارة (مهندس الكون الأعظم) انما هى عبارة تستخدم فى المحافل الماسونية التى تعمل بتوجيه من اليهود فى أنحاء العالم .. وهى عبارة شائعة بين الماسونيين فى مختلف الدول حين التطرق الى لفظة الجـــــلالة . بامكانكم مراجعة كثير من الكتب التى تبحث فى (الماسونية) لتجدو اثبات ما أقول . ولربما كتاب (دائرة المعارف الماسونية) يتضمن دلائل هامة فى هذا الحقل .

عبد السلام العمرى



دروس من الحــج

ليس فيما فرض الله من عبادات لها شمول الحج واتساعــه وبعد أثره ، وكأنه إنما وقع فى نهاية العام الهجرى وفى آخر شهر من أشهره ، ليكون خاتمة المطاف ينتهى إليه المسلم بعد أن أدى فروضه فى خلال العام ، وترك كل فرض منها أثره فى نفسه ، فاذا ما انتهى الى نهاية العام جاءت فريضة الحج شــاملة لكل تلك الآثار ، مركزة لها فى نفسه مرسخة لها فى أعماقه .

الحج عبادات فى عبــادة :

ففى نفس المسلم من فريضة الصلاة آثار من طهارة القلب والنفس والجسم واعتياد على التذلل والخشوع لله ، وتعود على التزام النظام . فاذا كان الحــج كانت الطهارة مفروضة لمدة أطــول ، وكانت شاملة للقلب والنفس والجســم واللسان ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ، وكان ذكر الله والتضرع اليه والتذلــل بين يديه فى كل خطوة وكل حركة ، لأن الحج ذكر لله فى أيام معلومات . وكان النظام فى شعائره أشد واقسى ، فليس فيه انفراد عن الجماعة ولا قضاء بعــد فوات الموعد ، وكان لزاما على الحاج أن يتقيد بكل ما تقتضيه فريضة الحج من أداء للشعائر فى أماكنها وأوقاتها .

وفى نفس المسلم من آثار الصوم صبر وحرمان وتقشف ، فاذا كان الحج كان الصبر أشد ، والحرمان اقسى والتقشف أكثر ، فما أهون الصبر ساعات على ترك الطعام فى رمضان فى مقابل الصبر فى الحج على مشقة السفر ومغادرة الأهل والولد ، والصبر على الحر ، والصبر على التنقل من مكان الى مــكان ما بين طواف ووقوف فى عرفات وإفاضة ورمى وطواف وسعى ، وكان الصبر على ترك اللباس وهجر الزينـــة والتنعم ولين العيش ، وكان الصبر على الزحام سواء فى الانتقال أو الطواف أو رمى الجمار ، وكان الصبر على مخالطة الناس والمرء صابر ساكت ملجم اللسان لا يناقش ولا يجـــادل ولا يغضب لانـــه فى حج ، و « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جــدال فى الحج » .

وفى نفس المسلم من اثر الزكاة تعود على البذل والعطاء ، فاذا كان الحج ازداد البذل وكثر السخاء ، يبذله لركوبه وطعامه وصدقته ولمن خلفه وراءه من أهل وولد . انه فرض على من استطاع إليه السبيل ، وذلك أن الله تعالى يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . »

وهكذا كان فى الحج اثر من آثار الصــلاة والصيام والزكاة ، وكان فيه

تثبيت لآثارها وترسيخ ، وكان الحج شعائر فى شعيرة ، وعبادات فى عبادة . وكان درسا فى الطاعة ، ودرسا فى الصبر ودرسا فى البذل .

الحج درس فى الوحـــــدة :

وذلك ان فى الحج إعلانا لوحدة الهدف ، إذ تجتمع الأمة فى زمان معين فى اشهر معلومات ، وفى مكان معين عند بيت الله الحرام ، وفيما حوله من بقاع مباركة فى واد غير ذى زرع ، تعبد إلها واحدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، وتطوف ببيت واحد طهر للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وتستقبل قبلة واحدة أمرت أن تتجه اليها « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » وتقوم بكل شعيرة من شعائر هذه الفريضة ومناسكها فى ظل نظام واحد معلنة فى كل خطوة من خطاها وفى كل تصرف من تصرفاتها إنها أمة واحدة « إن هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون . »

الحج درس فى المساواة :

وأى مساواة ابلغ من اجتماع مئات الآلاف من المسلمين فى ظل نظام واحد لا يفرق بين أميرهم وســـوقتهم ، ولا بين غنيهـــم وفقيرهم ، ولا بين كبيرهـــم وصغيرهم ، وإنها المساواة التى فرضت عليهم فتقبلوها طائعين مختارين فرحة بها قلوبهم ، هنيئة بها نفوسهم ، وهى مساواة أعلنتها وحدة المظهر ووحدة الزى حين اجتمعوا فى صعيد واحد متجردين من ثيابهم تلك التى كانت تعلن تفاوتهم، وتفرق فيما بينهم ، دالة بأناقتها وجدتها على غنى أصحابها أو سمو مناصـــبهم أو قوة سلطانهم ، أو دالة برثاثتها وخلوقتها وقدمها وبلاها على فقر أصحابهـــا وحرمانهم ، إنهم الآن جميعا فى ثياب بيضاء غير مخيطة تســـوى بينهم هجرهم للفوارق الدنيوية ، مذكرة بما سيؤولون إليه يوم يأتزرون بالأكفان البيضاء ، دالة بنقاء ظاهرها على نقاء باطنهم ، معلنة على العالم بثقة هكذا فلتكن المساواة ، هكذا يسوى الاسلام بين الناس .

الحج درس فى الأخوة الانسانية :

لست أعرف منظرا أروع فى إظهار الأخوة بين الشعوب من مظهر الحجاج ، وقد جمعهم مكان واحد فى زمان واحد لهدف واحد ، فجاؤوا رجـــالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ملبين للدعوة الكريمة ، محققين للفريضة السامية فإذا هم على صعيد واحد ، وبمظهر واحد فى ظل نظام واحد لا طبقية فيه ولا تفاوت ، لا حدود فيما بينهم ولا سدود ، آخت بينهم العقيدة التى لا انتساب يومئذ الا اليها ، وهى عقيدة لا فرق فى ظلها بين أسودهم وأبيضهم ، إنهم « إخـــوة » لأب واحد ، كلهم لآدم عليه السلام ، وهم « أخوة » لإيمان واحد ، « إنما المؤمنون إخوة » ، واذا كان بينهم تسابق أو تنافس فعلى منفعة إخوانهم لأنهم « كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » ، وإذا كانت بينهم طبقات فليست على أساس من عرق أو نسب ولا على أساس من مال أو سلطان ولكن على أساس من التقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـــائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » صدق الله العظيم .

المبـــــدأ هو الـــدين

ما هو مبدؤك ؟

الاســــلام ...

عجبا وهل من يدين يدين يتخذ مبدأ سواه .

عجبا وهل من يدين بدين يتخذ مبدأ سواه .

الدين علاقة بين الفرد وربه ، وليست له علاقة بالمبادىء .

عجبا ومن اين أتيت بهذا الفهم .

هكذا يقول الناس .

إن الناس يقولون الصحيح والخطأ ومن الضـــروری أن نزن أقوالهم ونفحصها فحص الخبير .

والعلماء يقولون مثلهم ايضا .

هل أنت متأكد من ذلك . وهل تسمح أن تذكر لى اسم عالم من هؤلاء العلمـــاء .

لا أعــــرفهم .

الأصل الا يخوض الانسان فى شىء لا يعرفه ولكننى مع ذلك لا أريد أن أحرجك فأحب أن أقول أن فهمك للدين قد جـــانب الصـــواب .

قل لى اذن أنت ما هو الدين الذى تدعو اليه ؟

الدين هو الطريق الوحيد الذى يجب أن تسلكه البشرية فى حياتها الفردية والعائلية والدولية والاقتصادية والسياســـية والاجتماعية والأخلاقية والتعبدية والفكرية .

من أين اتيت بهذا الكلام ؟

اليست كلمة الدين كلمة عربيـــة ، فافتح القاموس وشاهدها ان كنت لا تصدق قولى .

هذه أول مرة أسمع هذا الكلام .

لأنك لم تقرأ القـــرآن « دستور الاســـلام » قراءة متدبر فى حياتك أبدا .

وماذا يقول القرآن ؟

القرآن يؤيد المعنى اللغوى لمعنى كلمة الدين ، فلقد قال الحق تبارك وتعالى : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

إننى لم أفهم ما تقول .

اننى أعنى أن مفهوم الدين غير ما يتبادر الى أذهان الكثيرين .

هل تعنى انهم لا يفهمون شيئا .

لا اقول ذلك . ولكننى اقول انهم لم يفهموه من مصدره الأصلى. وكل فهم مقطوع عن مصدره الأصلى عرضة للخطأ .

اذا كان مفهوم الدين كما تقول فكيف يصلح لهذا الزمان ؟

يصلح لهذا الزمان لأن الذى أنزله خالق الزمان والمكان .

ولكن الدين الذى تتحدث عنه لم يعد صالحا لهذا الزمان .

ومن قال ذلك ؟

لأن المدنيـــة ظهرت والعلم قد تقدم .

لقد جاء الاسلام ليرسم القواعد الأصولية والمبادىء الأساسية التى تحتاجها البشرية فى كل زمان ومكان ، ولن تستغنى عنه المدنية مهما تقـــدمت . وسيكون رفيقا للعـــلم من أن يســـاء استعماله للشر .

لقد انقضى عهد الخيام ، فلماذا نعود اليها ؟

ليس من اركان الاسلام الجلوس فى الخيام ولا يوجـــد نص يجبرك على ذلك .

لا ، ان الاسلام دين رجعى لا يصلح لهذا الزمان .

لا تغرّنك يا اخى الالفاظ فالاسلام هو الدين الحق الوحيد ، دين العدالة ، دين البشرية جمعـــاء ، الدين الذى أنزله رب العزة . ما يضيرك يا اخى اذا كان رجوعك الى الحق والعدالة والفضيـــلة .

إن كل شىء قد تغير ولا بد أن يتغير ذلك الشىء الذى تتحدث عنـــه .

إنك لم تحدد معنى التغير حتى نستطيع أن نتعرف فيما اذا كان هذا التغير (الذى تتحدث عنه) سيجعل الاسلام غير صالح لهذا الزمان . اسمعنى جيدا إن الانسان لم يتغير طيلة هذه المدة ، فكيف يتغير المبدأ الذى يجب أن يحمله ؟

كيف لم يتغير ؟.

نعم إن الانسان لم يتغير حتى لو تغيرت البسته وحاجاته . الانسان هو الانسان لم يتغير .

ان هذا رأى غريب علىّ .

ليكن غريبا فهو حقيقة . ان الذى تغير هو الوسائل فقط .. والوسائل لم تغير من الانسان .

ان الناس جميعا لهم رأى آخر .

لا أدرى من الذى خولك أن تنطق باسم الناس جميعا . أليس باستطاعتى أن أقول أن رأى الناس مطابق لما أقدمه من آراء .

دعنا من الفلسفة .

إنها ليست فلسفة بل حقائق واضحة . ومع ذلك فلنفرض أن رأى الناس كرأيك ، فلن يقدم ذلك فى الموضوع ولن يؤخر ،

هكذا أعتقد ، انه كلما تقدمت الدنيا يجب أن تتغير المبادىء .

هذا رأى خطير وطامة كبرى . ان حاجات الانسان لم تتغير ، فالمهم الدليل ، فما هو الدليل على صحة ذلك ؟

ومطالبه لم تتغير وحقوقه لم تتغير ، فالصدق فضيلة ويجب أن يبقى فضيلة مهما تقدم بنا الزمن .

كلامك صحيح ، ولكن الاسلام يقيد تصرفاتنا .

نعم الدين هو ، انه لا يمنع شيئا الا أباح لك أشياء .

ولكن لدى الآن موعد على مائدة من موائد الخمر ، فهلا أرجأت النقاش الى موعد آخر حتى لا تضيع علينا المتعة .

وهل هذه المتعة أعز عليك من مصيرك ومصير أمة ؟ هداك الله ووقاك شر المعصية .

● لقد كانت الكويت فى نطاق علاقاتها العربية دائبة طيلة العام المنصرم على مواصلة سياستها الثابتة الرامية الى اقامة أوثق علاقات الاخوة والتضامن مع الدول العربية الشقيقة انطلاقا من شعورها العميق بخطورة المرحلة التى تجتازها الأمة العربية .

الخطاب الأميرى

أخبار العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكويت :

● تلقى سمو أمير البلاد المعظم رسالة خطية من الرئيس الليبى معمر القذافى تتضمن وجهة النظر الليبية من الحرب العربية الاسرائيلية .

● افتتح سمو أمير البلاد المعظم فى ٣١//١٠ الدورة الثانية من الفصل التشريعى الرابع لمجلس الأمة .. وقد تلا الخطاب الأميرى فى الجلسة سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء . وركز الخطاب على دور الكويت فى التضامن العربى ومؤازرتها ومشاركتها الفعالة فى كل القضايا العربية المعاصرة .

● شهدت الكويت نشاطا سياسيا ودبلوماسيا واسعا ، فقد زار الكويت كل من الرئيس المصرى محمد أنور السادات ، والرئيس السورى حافظ الاسد والرئيس الجزائرى هوارى بومدين ، وجلالة الملك حسين ملك المملكة الأردنية . واجتمع كل منهم بسمو أمير البلاد المعظم . وتم البحث فى الاحداث التى تعيشها المنطقة .



● اجتمعت اللجنة الوزارية لدول الخليج العربى المنتجة للنفط فى الكويت ، وحضر الاجتماع ست دول عربية هى : الكويت والسعودية والعراق وأبو ظبى وقطر والبحرين كما حضرته ايران ، وقد تقرر فى الاجتماع بصورة نهائية رفع سعر سعر النفط الى نسبة ٧٠٪ .



● أكد وزير الداخلية والدفاع أن الكويت ترحب بعقد مؤتمر لوزراء الخارجية والدفاع العرب أو أى مؤتمر عربى آخر وعلى أى مستوى .

● تقوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتزويد المراكز الاسلامية فى العالم بمجموعة من الكتب الثقافية والاسلامية بمختلف اللغات .

● أشاد مجلس الشعب المصرى فى بيانه الذى أصدره مؤخرا بالجهد العسكرى والسياسى والاقتصادى الذى قدمته الكويت لمعركة التحرير العربية .

القاهرة :

● قال الرئيس أنور السادات فى مؤتمره الصحفى الأخير : ان اسرائيل أول من تعلم بأن موقفها العسكرى فى الضفة الغربية للقناة « هش » وأشار الى استعمال إسرائيل لأسلحة أمريكية لم يستعملها الجيش الأمريكى نفسه .

● أصدر مجلس الشعب المصرى بيانا أعلن فيه ثقته بقيادة الرئيس السادات وأشاد بدور الزعماء والملوك العرب فى المعركة .. وأشاد ببطولة وقدرة الجيوش العربية .. ودعا الى المزيد من التضامن العربى الفعال .

السعودية :

● زار السعودية كل من الرئيس المصرى أنور السادات والرئيس الجزائرى هوارى بومدين وجلالة ملك الاردن .. وقد اجتمع كل منهم بجلالة الملك فيصل .

● تأثرت ثلاث دول بالحظر الذى فرضته المملكة العربية السعودية على نفطها وهى الولايات المتحدة الامريكية وهولندا وجنوب أفريقيا .

سورية :

● أعلنت سورية انها لن تتخلى عن حبة رمل واحدة من التراب السورى ، وأنها ستبذل كل ما فى وسعها لاسترداد الأرض المغتصبة .

● دعت سورية الدول العربية الى الاحتفاظ باستعدادها القتالى لتستأنف حربها العادلة ضد اسرائيل فى أية لحظة ، وقالت : ان الذين يعتقدون أن الحرب انتهت واهمون ، لأن اسرائيل لن تنفذ قرار مجلس الأمن ولن تنسحب من الاراضى العربية التى أحتلتها الا مرغمة وبعد أن يحطم الجيش العربى ما تبقى من غطرسة لدى المؤسسة العسكرية الصهيونية .

قطر :

● أعلن الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير قطر فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشورى أن قطر عن بكرة أبيها قامت بتقديم كل ما وسعت طاقتها ، وأنها ستواصل تكريس أموالها ومواردها وكل ما تملك من أجل أداء الواجب الأخوى وحتى تتحرر كل الأراضى العربية المغتصبة ، وتعود كل الحقوق المسلوبة الى أصحابها الشرعيين .

الجزائر :

● دعت الجزائر الى عقد مؤتمر قمة عربى بها .. لتدارس الموقف وما يجب اتخاذه فى المرحلة الراهنة .

المغرب :

● دعت المغرب الى عقد مؤتمر لوزراء الخارجية والدفاع العرب لتدارس الوضع الحالى وما يجب اتخاذه .

الأردن :

● صرح جلالة الملك حسين بأن الحرب مع اسرائيل لم تصل بعد الى نهايتها .

ليبيا :

● قام الرئيس معمر القذافى بزيارة عدد من الدول العربية لمناقشة الموقف الراهن وتطوراته .

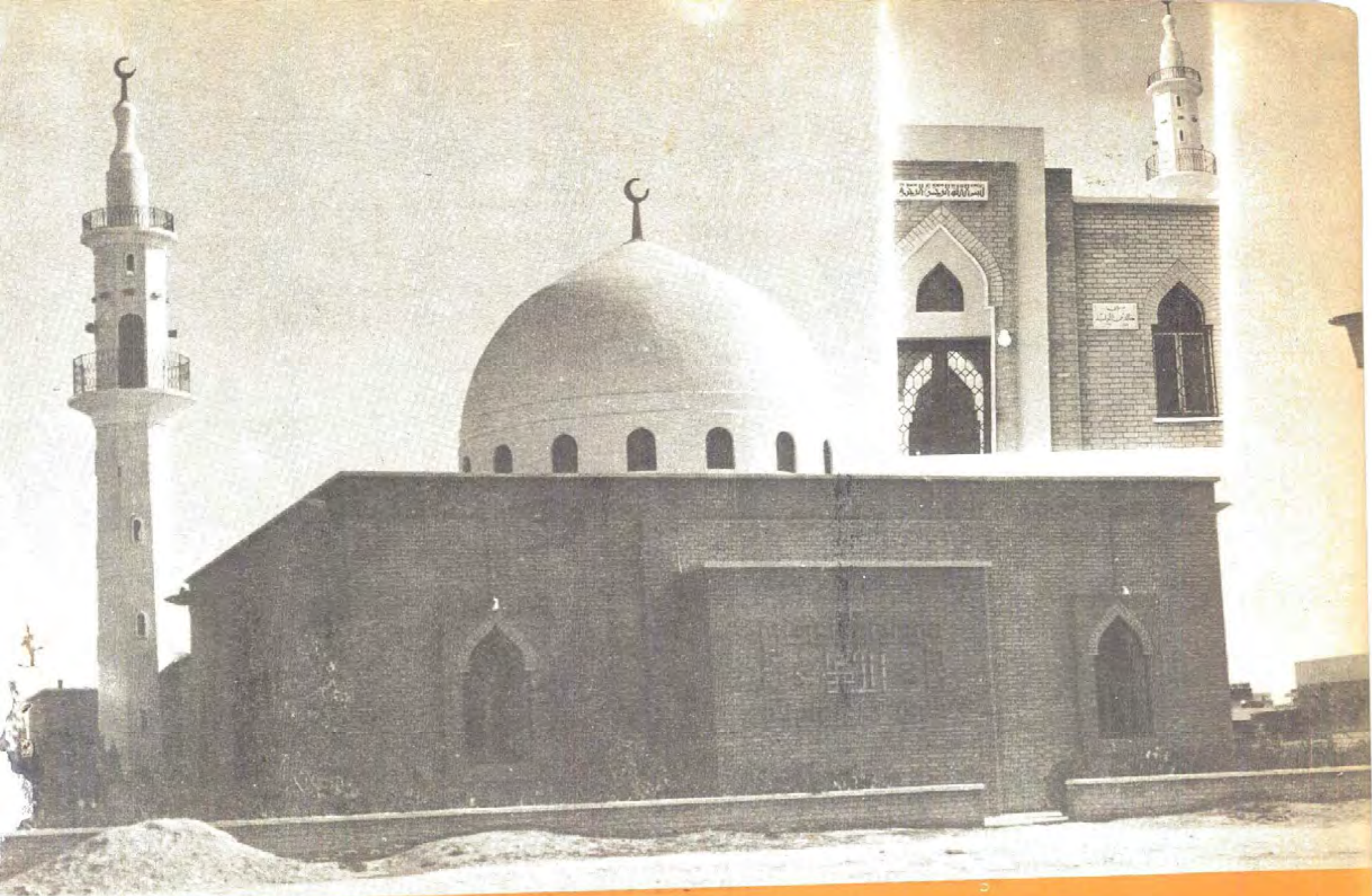
اخبار متفرقة

اوغندا :

● حذر الرئيس الاوغندى الدول العربية فى برقية أرسلها الى الرئيس المصرى من أن اسرائيل ستشن هجوما مفاجئا ، ودعا المسئولين الى اليقظة والاستعداد للأمر .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٣	نوفمبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٢٦	٤ ٤٨	٦ ٢٠	١١ ٣٥	٢ ٢٩	٤ ٤٨	٦ ١٠	١٢ ٠٠	١ ٣٢	٦ ٤٦	٩ ٤١	١ ٢٢
الثلاثاء	٢	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الأربعاء	٣	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الخميس	٤	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الجمعة	٥	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
السبت	٦	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
الأحد	٧	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الاثنين	٨	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	٩	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الأربعاء	١٠	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الخميس	١١	٦	٥٥	٢٨	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الجمعة	١٢	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
السبت	١٣	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الأحد	١٤	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	١٥	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	١٦	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الأربعاء	١٧	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٨	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٤٢	٤٢	٢٣
الجمعة	١٩	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٤٢	٤٢	٢٤
السبت	٢٠	١٥	١	٣٤	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢١	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٢	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٢٣	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأربعاء	٢٤	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الخميس	٢٥	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٢٦	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
السبت	٢٧	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢٨	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٩	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤



مسـجد
خالد بن الوليد ـ بالمنصورية ـ كويت

اسمه : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن كعب .

إسلامه : هاجر مسلما فى صفر سنة ثمان .
ويروى أنه بعد إسلامه أقبل على اللات والعزى قائلا :
كفـرانك لا سـبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

جهاده : كانت حياة خالد حافلة بالشجاعة والبطولة والانتصارات .. وكان قائدا إسلاميا عظيما ، شهد غزوة مؤتة ، بعد استشهاد الأمراء الثلاثة الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الجيش ـ وهم زيد وجعفر وابن رواحة ـ أخذ خالد الراية وقاد الجيش الى النصر ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سيف الله ، حيث قال : إن خالدا سيف سلَّه الله على المشركين .

حياته : عاش خالد رضى الله عنه حياة كلها كفاح وجهاد فى سبيل الله ، شهد الفتح وحنينا ، وتأمَّر فى أيام النبى ، واحتبس أدراعه ولامته فى سبيل الله ، وحاصر دمشق وافتتحها هو وأبو عبيدة .

وفاته : عاش خالد ستين عاما .. ولما حضرته الوفاة قال : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم ، وهأنا أموت على فراش حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

توفى بحمص سنة إحدى وعشرين ودفن بها .. وروى أنه لم يترك بعد موته إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر : رحم الله أبا سليمان كان على ما ظنناه به .

« الى راغبى الاشتـــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر :	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان :	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيــــا :	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخــــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغـــرب :	الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونـــس :	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنــــان :	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــــدن :	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن :	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية :	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق :	بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين :	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــــر :	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى :	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــــى :	مطبعة دبى .
الكـــويت :	مكتبة الكـــويت المتحـــــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

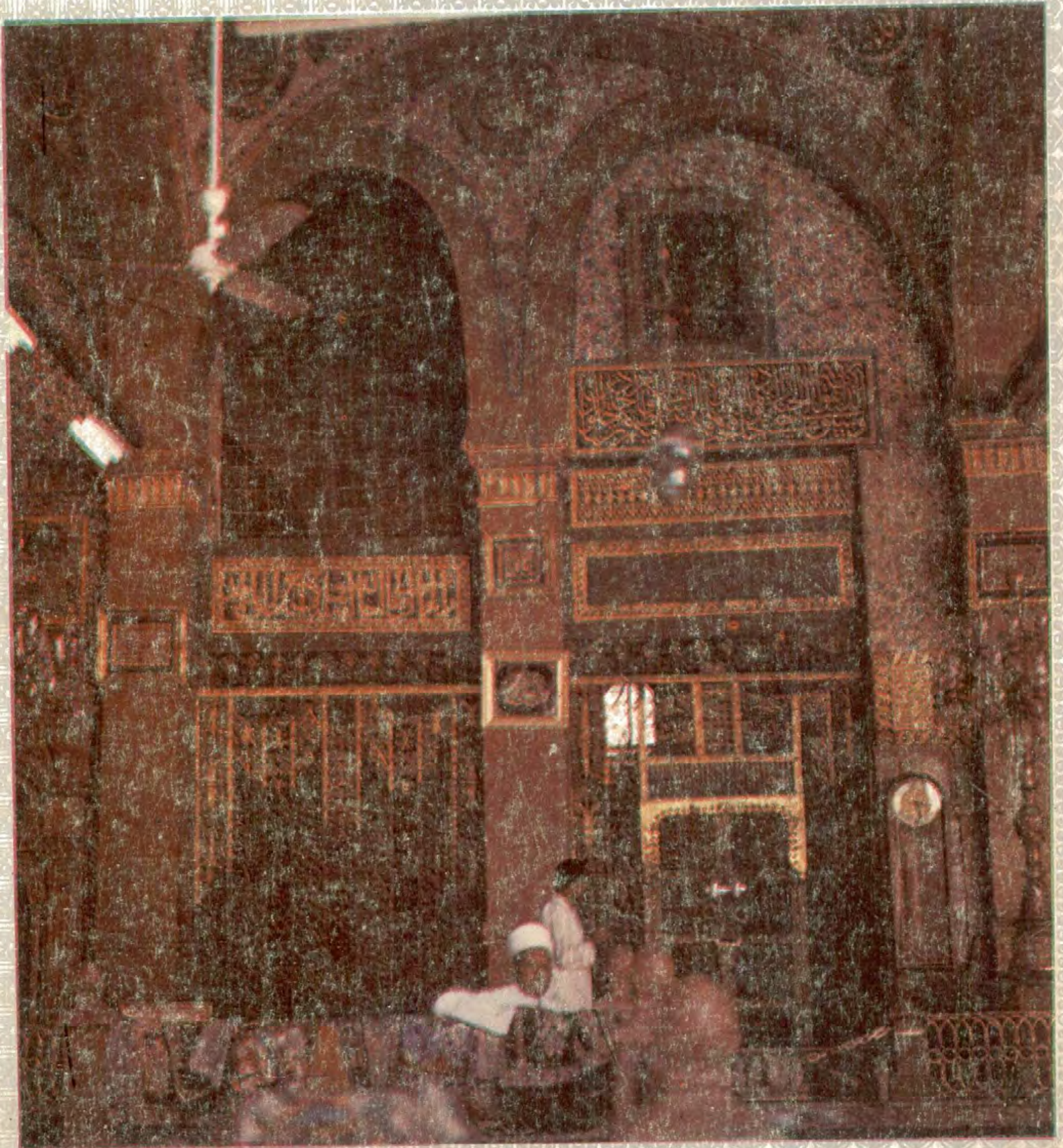
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة — العدد ١٠٨ — غرة ذى الحجة ١٣٩٣ هـ — ديسمبر ١٩٧٣ م



رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ



باب الحجرة النبوية الشريفة مثوى سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم والصاحبين العظيمين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد ١٠٨

غرة ذى الحجة ١٣٩٣ هـ

ديسمبر ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شـــــهر عـــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشـــــتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغــــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشــــئون الاســــلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

النهوض الحقيقي لأمتنا

النهوض الحقيقى لأمتنا هو قدرتها على الاستغناء بعلمها وانتاجها ، والاستهداء بايمانها وفضائلها ، والاستعلاء على متاع الدنيا بحيث تأخذ منه بقدر ، وتنصرف عنه متى تشاء .. !

ويؤسفنى التصريح بأن الشعوب الاسلامية ، حتى يومنا هذا ، لم تبدأ نهضة صحيحة ، وأن مظاهر التقدم التى نراها أو نسمع عنها هى امتداد لنشاط القوى الكبرى فى العالم أكثر مما هى تطلع المتأخرين للتقدم ..

فالغرب الصليبى يصطنع شعوبا شتى لخدمة مآربه ويمدها بكثير من عونه المادى وقليل من تقدمه الحضارى .

والشرق الشيوعى ينافسه فى ذلك الميدان ، ويحاول الاستفادة من أخطائه ، أو يحاول ميراثه اذا انتهى فى مكان ما ..

وجمهرة المتعلمين أوزاع ، بعضهم يؤثر النمط الغربى فى الفكر والسلوك ، وآخرون قد أعجبتهم الماركسية فاصطبغوا ظاهرا وباطنا بنزعتها ..

أما الذين يتشبثون بالعقائد والفضائل الاسلامية ويريدون بناء المجتمع الكبير على دعائم الوعى المحمدى فقلة غامضة فى الناس ، ولا أقول منكورة الوجهة منكورة الحظ ..

هب أن ثورة قامت فى بقعة من الارض الاسلامية تجعل الحياة الصينية أو الروسية مثلها الاعلى ، أتكون هذه الثورة نهضة اسلامية .. ؟ أم تكون نجاحا للفكر الشيوعى العالمى .. ؟

من أجل ذلك قلت : ان الشعوب الاسلامية لم تبدأ بعد نهضة صحيحة ، تكون امتدادا لتاريخها ، وابرازا لشخصيتها أو نماء لأصلها وتثبيتا لملامحها ..

ومن الغلط تصور أنى أحرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم !!
كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدموا الا بما نقلوه عن أسلافنا من فكر وخلق ووعى وتجربة .. ؟

ان دولة الخلافة الراشدة اقتبست فى بناء النظام الاسلامى من مواريث الروم والفرس دون غضاضة ..

وعندما آكل أطعمة أجنبية أنا بحاجة اليها فالجسم الذى نما هو جسمى ، والقوى التى انسابت فى أوصاله هى قواى !!

المهم عندى أن أبقى أنا بمشخصاتى ومقوماتى .. !!

المهم أن أبقى وتبقى فى كيانى جميع المبادىء التى أمثلها والتى ترتبط بى وأرتبط بها ، لأنها رسالتى فى الحياة ، ووظيفتى فى الأرض .

هذا هو مقياس النهضة ، وآية صدقها أو زيفها ، فهل فى العالم الاسلامى نهضات جادة تجعل الاسلام الحنيف وجهتها والرسول الكريم أسوتها .. ؟

اننا هنا شديدو الحرص على جعل البناء الجديد ينهض على هاتيك الدعائم ..

واذا كنا نستورد من الخارج ثمرات التقدم الصناعى ، وننتفع من خبرات غيرنا من آفاق الحياة العامة ، فليكن ذلك فى اطار صلب من شرائعنا وشعائرنا .

فانه لا قيمة لأحدث الآلات اذا تولى ادارتها قلب خرب ، ولا قيمة لأفتك الاسلحة اذا حاول الضرب بها فؤاد مستوحش مقطوع عن الله مولع بالشهوات ..

أن بناء النفوس والضمائر يسبق بناء المصانع والجيوش وهذا البناء لا يتم الا وفق تعاليم الاسلام .

تنشئة تصوغ الاجيال الجديدة ، وتقاليد تحكم العلاقات السائدة ، ورعاية ظاهرة وباطنة للعبادات المفروضة ، ومعالنة جازمة بما فى الدين من أهداف ، ومقاطعة حاسمة لما يعترضه من مسالك .

وكل بناء معنوى للأمة يتنكر للاسلام ، أو يخافت بذكره ، أو يغض من شأنه ، فهو مرفوض جملة وتفصيلا .. !

ولقد جربنا جعل مظاهر المدنية فوق باطن فارغ مظلم فماذا صنعنا ؟

صنعنا ناسا : « اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم .. »(1) .

وهذا اللون من الناس فاشل فى سلمه ، مخذول فى حربه ، ما تسانده الى غاية أرض ولا سماء .

البناء الحقيقى للنفوس يستهدف أمرين جليلين ..

أولهما : اسلامى بحيث يحرك المسلم من يقظة الفجر الى هدأة الليل بحماس العقيدة ، وطهر الصلاة ، وشرف الاخلاص ، وحب الله ورسوله .

وكلتا الجبهتين الشرقية والغربية تكره ذلك الامر ، وتأبى أن يأخذ الاسلام طريقه فى الحياة بهذا الوضوح .

والأمر الآخر حيوى بحت ، أساسه التفوق العلمى والعملى فى كل أفق امتدت اليه الحضارة الحديثة من استصلاح التربة الى غزو الفضاء !

ولنكن صرحاء ! ان هذا التفوق لا يولد من تلقاء نفسه ، ان التبريز فى هذا المجال يتطلب رغبة فى المعرفة ، وشوقا الى المجهول ، وعزما على اقتحام كل عقبة ، وهذه لا تلدها الا عقيدة مكينة .. !

واذا كانت الحاجة أم الاختراع كما يقولون فان العقيدة المسيطرة أقوى

---

(1) المنافقون : ٤ .

من الحاجة فى الاندفاع والتحمل واستشفاف الغيوب .. !

ان الجندى المؤمن يرمق الظـــلام فى جنح الليل بطرف يكاد يخترق سدوله ، ويبحث عن ألف حيلة لمقاومة العدو ودحره ..

والعامل المؤمن يجفف العرق ، وينفى عن نفسه التعب ، لأنه ببواعث الحب لا القهر ، يريد خدمة أمته واعلاء رسالته .

والمحزن فى شئون المسلمين أنهم من عشرات السنين لا يمكنون من الحياة وفق ايمانهم الأثير ، وأنهم ــ أيضا ــ يلفظون كل ما يعرض عليهم من ايمان بديل .. !

ونتج عن ذلك أن أعمالهم الخاصة ونهضاتهم العامة تولد ميتة ، وأنهم ان تحركوا ففى مكانهم .. !

وقد تحركت اليابان منذ قرن فى موكب نهضة صناعية عارمة ، ونجت حركتها من هذا التدافع اللعين بين ما يفرض على الشـــعب من خارج ، وما يهفو اليه من داخل فماذا كانت النتيجة .. ؟

أضحت أمة من أنجح أمم الدنيا ، ولا تزال برغم هزيمتها فى الحرب الاخيرة أمة مرهوبة العزم ، ان لم يكن فى صناعات الحرب ، ففى صناعات السلام ..

أما العالم الاسلامى خلال هذا القرن فقد رزق بمن يريدون محو دينهم أو تشويه صلته بهذا الدين ، فكانوا شؤما على يومه وغده ..

ان النهضة الحقيقية هى التى تفلح فى استثارة قوى النفس ، وفى جعل الامة على اختلاف طوائفها كخلية النحل نشاطا ونظاما .

ولنزد الموضوع جلاء ..

لقد نشأ عن الانفكاك بين العقيدة والعمل عجز رهيب فى أداء الاعمال العادية حتى ليخيل الى أن عوام المسلمين أصبحوا دون غيرهم من الخلق فى نواحى الانتاج المادى والادبى ..

وكثيرا ما كنت أذكر قول أبى الطيب المتنبى :

انا لفى زمن ترك القبـــيح به
من أكثر الناس احســـان واجمال

فأحس مقدار هبوطنا عن المستوى الانسانى الرفيع فى الاتقـــان والاجادة .. !!

ان النجاة من السقوط قد تكون شيئا مقبولا ، ولكن ليس كل نجاح يحسب تفوقا .. قد يبدأ انسان من العرج ويستطيع السير ، ولكنه لا يمنح جائزة بتاتا فى العدو لمجرد القدرة على المشى ..

والمتنبى يحتقر أهل زمانه لأنهم فقدوا ملكة الاجادة ولا يحسنون فعل العظائم .. !!

فكيف لو رأى المعاصرين لنا من موظفين وعمال فى كل شأن دق أو جل .

ان هؤلاء ــ لانعدام بواعث الايمـــان والتقوى ــ تعوج فى أيديهم الاعمال المستقيمة فلا يصلون بها الى المستوى المقبول بله مستوى النبوغ والعبقرية .. !!

راقبت يوما بعض الناس الذين تكثر دعاواهم ولا تؤمن بلاياهم ، ثم عدت من نظرتى اليه وأنا أضع يدى على سبب مبين من أسباب تأخرنا ..

نظرت اليه فوجدت العمل يخرج من بين يديه ناقصا غير تام ، شائها غير جميل ، ووجدته لا يأسى على ذلك ، ولا تحركه أشـــــواق الى ادراك ما فاته ، وبلوغ مرتبة أفضل .

فعلمت أنه انسان تنقصه موهبة الاتقان ، وأن أمامه أشواطا واسعة من التدريب والعلاج حتى تكسب يده المهارة المطلوبة وتستحب نفسه الاجادة والتفوق ..

وأعدت النظرة مرة أخرى فى سلوكه فرأيته يطلب على عمله الناقص ثمنا كبيرا ويرتقب من غيره التقدير المضاعف ..

أو هو يفرض على الآخرين مطـــالبه مهما فدحت دون تقديم مقـــابل معقول .. !!

فأحسست أن له طبعا جشعا كثير التطلع الى طيبات الحياة . وليته يتوسل الى مطامعه بجهد مبذول مقدور .

كلا ، انه من الناحية النظرية ضعيف الكفاية ، ومن الناحية النفسية ضعيف الامانة ، فأى بلاء هذا .. ؟

أمثال هذه العلل هبوط حقيقى بالمستوى الانسانى ، ونزول مؤكد عن مرتبة الاحسان التى يفرضها الدين ، ويبنى تربيته على تحصيلها .

ان الحصاد الغالى للجهد البشرى بعد طول الكدح فى هذه الحياة ، أن يخرج الانسان من هذه الدنيا بثمرة واحدة هى (العمل الحسن) .

وذلك ما أكده القرآن الكريم عندما قال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » .

وقال : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » .

فأى عمل حسن لامرىء منطلق الرغبات كالطفل المدلل يطلب فقط ، وعلى الدنيا أن تلبى .. !!

ان النجاح الكبير فى هذه الحياة وعند الله أن تنمى عقولنا وقلوبنـــا تنمية توفى على الغاية ، والله جل شأنه يقول : « وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

الايمان والاصلاح قرينان لا ينفكان .

وليس من الاصلاح المنشود المفروض أن يكون الانسان غير مأمون على اجادة واجب أو غير مأمون ــ اذا أجاده ــ على المغالاة فيه ، وطلب مكانة لا يستحقها عليها !!

ومرة أخرى نقول : ان اعادة الحياة الى العقيدة الاسلامية لتحتـــل ماكنها فى الضمير ثم الى الشريعة لترسم خط السير فى المجتمع الكبير ، هو وحده طريق النهوض الصحيح .

الشيخ محمد الغزالى



للأستاذ أحمد محمد جمال
استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز

فى (بريد) مجلة الوعى الاسلامى(١) أجاب الاستاذ (عبد الحميد رياض) على سؤال لأحد قراء المجلة عن امكانية تربية الأجنة فى أرحام صناعية بقوله : « ان تربية النطفة فى الأرحام الصناعية ليست خلقا حتى يشتبه الأمر على القارىء السائل ، ونجاح هذه التجربة لا يزعزع العقيدة فى أن الله وحده هو الخالق ، فالخلق هو أثر القدرة الالهية فى وضع سر الحياة فى ماء الرجل . فبذرة الحياة هذه هى خصوصية الخالق التى لا يمكن لبشر أن يوجدها ويخلقها . أما تربيتها فى رحم صناعية وفق مواصفات طبية معينة ، فهذا لا يعد خلقا . قال الله تعالى : « أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ؟!

ونحن نقول للاستاذ (عبد الحميد رياض) ولمن سأله : ان تربية الأجنة فى أرحام صناعية : غير ممكنة دينيا وعلميا أيضا . .

أما عن الدين فبين أيدينا القرآن الكريم ، والحديث النبوى الصحيح يؤكدان أن الله عز وجل هو الخالق ، وهو المصور ، وهو المربى للأجنة فى الأرحام الطبيعية طورا بعد طور ، وخلقا من بعد خلق ، الى أن ينفخ فيها الروح — سر الحياة — حتى يكتمل نموها لحما وعظما وعصبا ، فتخرج من بطون أمهاتها خلقا آخر . . فتبارك الله أحسن الخالقين .

يقول الله عز وجل :

● « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة

« يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق »
« والله فضّل بعضكم على بعض في الرزق »

عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين »(٢) .

- « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق .. فى ظلمات ثلاث »(٣) .
- « ما لكم لا ترجون الله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا »(٤) .
- « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء »(٥) .
- « هو الذى أنشأكم من نفس واحدة .. فمستقر ومستودع »(٦) .
- « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .. لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم »(٧) .
- « الم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، الى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون »(٨) .
- « وهو الذى خلق من الماء بشرا ، فجعله نسبا وصهرا »(٩) .
- « هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض ، واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم »(١٠) .

فهذه الآيات المحكمات ، من القرآن الكريم ، تقرر وتؤكد ــ بما لا يدع مجالا للشك أو الاشتباه أو التأويل أن الله عز وجل هو المنفرد بالخلق والتصوير للأجنة فى بطون أمهاتها ، أو فى الأرحام الطبيعية ، وبالاستمرار والتتبع فى تربيتها وتنميتها خلقا من بعد خلق ، وطورا بعد طور .

وهى ــ هذه الآيات المحكمات ــ تقرر وتؤكد أيضا : أن الأرحام الطبيعية قد جعلت مستقرا للنطف ومستودعا لها بعد اتحادها مع بويضات الأنثى ، حتى تتدرج فى أطوار الخلق الانسانى الى العلقة فالمضغة ، فتكوين العظام ، ثم اكتسائه باللحم .. الخ : « فمستقر ومستودع » .

ثم هى تؤكد أن الله عز وجل جعل من خلق الانسان على هذه الكيفية الطبيعية من استقرار النطف والبويضات فى الارحام : سببا لامتداد الأنساب وقيام الأصهار بين الناس ، فالنسب من جهة الأب ، والصهر من جهة الأم : « فجعله نسبا وصهرا » .

والى جانب ما تقدم تقرر الآيات : رعاية الله للأجنة واحاطته اياها بالعلم واللطف والتدبير ، وهى فى بطون أمهاتها ، وتصف الرحم الطبيعى بأنه قرار مكين .

— ● —

وننتقل الى ما جاء فى الحديث النبوى عن خلق الانسان فى بطن أمه .. يقول صلى الله عليه وسلم : « ان خلق أحدكم يكون فى بطن أمه أربعين يوما نطفة . ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب : رزقه واجله وعمله وشقى أم سعيد — ثم ينفخ فيه الروح »(١١) .

وفى رواية أخرى : « ان الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول : أى رب نطفة : اى رب علقة : أى رب مضغة : اى رب ذكر أم أنثى ؟ شقى أم سعيد ؟ ما الرزق ؟ ما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه » ، قال الامام النووى : قال العلماء « ان للملك ملازمة تامة ومراعاة لحال النطفة ، فكل وقت يقول فيه ما صارت اليه باذن الله ، واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد أربعة أشهر » .

وفيما يرويه البخارى عن سؤال أم سليم للنبى صلى الله عليه وسلم عن احتلام المرأة ، وان شبه الجنين بأمه يأتى من مائها .. وما يرويه ابن اسحاق فى السيرة عن سؤال بعض اليهود له صلى الله عليه وسلم فى المسألة ذاتها جاء قولهلليهود : « ان نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيتهما علت صاحبتها كان الشبه لها » .

● قلت : فكيف تعلو احداهما الاخرى فى الرحم الصناعية حتى يكون الشبه لها ؟! بل كيف تتحد الخليتان الذكرية والانثوية ، فتكون خلية واحدة وتعلق بالرحم الصناعية ؟! كما هو الحال فى الرحم الطبيعية .

— ● —

أما ما يقوله علماء الطب الحديث ، فقد أيدوا ما جاء فى النظريات بل الحقائق الاسلامية عن مراحل تكوين الجنين ، وعن نفخ الروح فيه بعد (١٢٠) يوما ، وعن شبه الجنين بالأب أو الأم نتيجة (لحاملات الوراثة) فى النطفة والبويضة ..

ويقول الأطباء : ان دم الحيض فى الرحم الانسانية هو الذى يمد الجنين بالغذاء والنماء ، لأنه ينقطع أثناء الحمل — وان صحة الجنين البدنية **تعتمد اعتمادا كبيرا على حالة أمه الصحية ، كما أن مجرى الدم فى الأم يتصل اتصالا غير مباشر بمجرى دم الجنين داخل الخلاصة** « أى المشيمة » (١٢) .

أما علم وظائف الاعضاء فيقرر أن من وظائف (الطحال) المتعددة : صنع خلايا الدم الحمراء والبيضاء للجنين ، وبعد ولادة الطفل يتوقف عمله هذا .

وفى دراسة علمية للطبيب المصرى الدكتور (عبد الفتاح محمد طيرة) يتحدث عن الآية القرآنية : « سـبحان الذى خلق الازواج كلها : مما تنبت الارض — ومن أنفسهم — ومما لا يعلمون » . فيقول : أن الانسان يتكون (أولا) من الغذاء الذى تنبته الارض و (ثانيا) من الخلايا الجنسية المقتطعة من الذكر والانثى و (ثالثـا) من الروح التى هى سر الحيـاة .. أى مما لا يعلمون .

ثم يتحدث الدكتور طيرة عن نمو جسم الجنين فى بطن أمه ، وتطور هذا النمو من حجم (السمسمة) بعد الاسبوع الأول من الحمل الى أن يصل وزنه فى الشهر التاسع الى ثلاثة أو أربعة كيلو جرامات .. وقد اثبتت التجارب والملاحظات أن مصدر كل زيادة فى جسم الجنين هو **الغذاء الذى ينقله الدم من أمعاء الأم الى جسم الجنين** .

● قلت : فكيف يتوفر هذا الغذاء للجنين فى الأرحام الصناعية .. ؟

وأخيرا يقول الدكتور طيرة : « ان ثمة — فى تكوين الجنين — صناعة وتصويرا وخلقا ، وكما أنه لا بد من وراء صناعة السيارة والساعة من صانع ماهر ، فكذلك من وراء الانسان وأمثاله من الكائنات الحية لا بد من خالق .. مصور .. قدير .. حكيم » .

وحول قوله تعـالى : « ومما لا يعلمون .. » يقول الدكتـور طيرة ما خلاصته : أن الجسد المادى بدون هذه الذى لا تعلمه — وهو الروح التى هى سر الحياة .. يعجز عن مقاومة عوامل الايذاء والفناء . انه بالروح أصبح التراب انسانا ، وبدونه يصبح الانسان ترابا ! وبالروح يدرك الجسد ما يضره وما ينفعه ، وبها يتقبل الغذاء وينتفع به .. وبها ينمو ويتكاثر ، وبها يحب ويكره ، ويتأمل ويفكر ويضحك ويبكى ، ويتعلم ويعمل ، ويشقى ويسعد ، وصدق الله العظيم .

● « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق

فى مجلة (الوعى الاسـلامى عدد شعبان عام ١٣٩٣ هـ) مقالة قيمة للدكتور (محمد البهى) بعنوان (العلمانية والاسلام) تناول فيما تناول فيه تفسير هذه الآية : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، فهم فيه سواء .. أفبنعمة الله يجحدون »(١٣) . فقال الدكتور البهى : أى أن صاحب المال ومن لا يملك المال من الأتباع سواء فى ارتباط منفعة أى منهمـا بالمال الموجود فعلا بيد مالكه والمفضل فيه عن غيره .

قلت : ان هذا التفسير للآية لا يلائم معناها ، ولا يساعد مبناها على صحته .. فالآية واردة بمبناها ومعناها معا لتأكيد حقيقة أن الأرزاق بيد الله ، وأنه هو سبحانه قاسمها بين عباده ، وهو المفضل بعضهم على بعض فى زيادة الرزق ونقصه .. حتى ان الذين فضلوا فى الرزق أى زادت أرزاقهم على أرزاق غيرهم لا يستطيعون رد شىء منها على المحرومين .. مما ملكت أيمانهم . الآية واردة لتأكيد هذا المعنى وزادته تأكيدا وتأييدا حين اضافت : « .. فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم » . اذ لو كان المقصود أن الناس المرزوقين والمحرومين سواء فى هذا الرزق لكان ايراد هذه الجملة عبثا أو مناقضا للمراد منها .

ثم جاءت الجملة التعقيبية الثانية : « فهم فيه سواء » تأكيدا للحقيقة نفسها .. أى أن المرزوقين والمحرومين سواء فى تلقى الرزق والحرمان منه ، أو تلقى بسطة الرزق وضيقه ، فلا حيلة لأى من الفريقين فى الكسب والحرمان . وانما هى مشيئة الله وحكمته كما يوضحها الحديث القدسى : « يا عبادى ان منكم من أغنيته ولو أفقرته لفسد حاله ، وأن منكم من أفقرته ولو أغنيته لفسد حاله » .

وهناك آية أخرى شبيهة بهذه معنى ومبنى ، وهى قوله تعالى :

● « ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ؟ فأنتم فيه سواء »(١٤) .

وقد جاء التعبير القرآنى — هنا — أكثر وضوحا وصراحة ، لأنه جاء بأسلوب الاستفهام الانكارى .. فهو بعد أن ذكرهم بوحدانية الله وقدرته على بدء الخلق واعادته يسألهم : هل لهم شركاء فيما رزقهم مما ملكت أيمانهم ؟ وكيف اذن يجعلون له شركاء ممن خلق ؟ وكيف يرضون لله ما لا يرضون لأنفسهم .. ؟

وفى آية أخرى يمن الله على الناس ، بما جعل لهم فى الارض من رزق لا يملكون منحه أو منعه عن الآخرين :

● « وجعلنا لكم فيها معايش .. ومن لستم له برازقين »(١٥) .

والقرآن يكرر هذا المعنى ، ويؤكد هذه الحقيقة الالهية فى آيات كثيرات منها قول الله تبارك وتعالى :

● « الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له »(١٦) .

● « قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له »(١٧) .

● « أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »(١٨) .

● « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا »(١٩) .

● « له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »(٢٠) .
وفى الحديث النبوى : « انما أنا قاسم أضع حيث أمرت » أى يقسم صلى الله عليه وسلم الغنائم والانفال وما يستحقه المسلمون فى بيت المال ، كما أمره الله عز وجل .

اذن فتفاوت الأرزاق بين الناس ، وتفاضلهم قوة وذكاء وخلقا : حقيقة الهية كونية ، يقررها القرآن ويؤكدها فى أكثر من آية ، كما أن واقع الحياة البشرية يشهد بها ، ونحن نلمسها ونراها ، وحكمة الله فى قيامها هى كما قال سبحانه : « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » أى لتقوم الحياة ، ويعمر الكون .. باختلاف الطبقات ، وتباين القدرات والمواهب ، وتعدد الحرف والوظائف والاختصاصات .

ونستطيع أن نفهم (الرزق) الذى هو من اختصاص الله كـ (الخلق) بأوسع مدلولاته الحقيقية ـ لا المجازية ، فهو لا يعنى الطعام والشراب وحدهما ، بل يعنى الاسباب والوسائل والسبل المؤدية الى تحصيله ونواله من مواهبة وملكات ومهارات ذهنية وعقلية .

ولا تناقض بين هذه الحقيقة الكونية الالهية وبين (المسؤولية) الانسانية التى فرضها القرآن وأوجبها فى أكثر من آية أيضا ، وهى : أن للمحرومين حقوقا فى أموال المرزوقين ، سواء أكانت زكاة واجبة ، أم صدقة مستحبة . وفى ذلك يقول الله عز وجل :

● « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ـ فريضة من الله ، والله عليم حكيم »(٢١) .

● « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »(٢٢) .

● « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »(٢٣) .

وما أكثر ما يكرر القرآن دعوته وانفقوا مما رزقناكم ـ او انفقوا من طيبات ما كسبتم » .. وفى الحديث النبوى توجيهات الى اعطاء الفقير ، واطعام المسكين ، واغاثة الملهوف ، كقوله صلى الله عليه وسلم :

ـ « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » .
ـ « أطعموا الطعام ، وافشوا السلام » .
ـ « ان فى المال حقا سوى الزكاة » .
ـ « ان للسائل حقا ولو جاء على فرس » .

وبعد ، فهناك فرق كبير وعميق بين قول الدكتور البهى : ان صاحب المال ، ومن لا يملك المال من الاتباع سواء فى ارتباط منفعة أى منهما بالمال الموجود فعلا بيد مالكه والمفضل فيه عن غيره . تفسيرا لقوله عز وجل : « فهم فيه سواء » .

وبين ما يفهم من الآية — مع الآيات الاخرى — من ان الله عز وجل قسم الرزق بين العباد حسب ارادته ومشيئته ، فهم سواء فى تلقى الرزق الواسع والرزق القليل ، أو هم سواء فى العطاء والحرمان بحيث لا يستطيع الغنى أن يرد شيئا من رزقه على الفقير ، ويرفعه الى مستواه ، وان كان يجب عليه أن يعطيه ما يضمن له طعامه وكسوته .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

---

(١) العدد : ٩٦ عام ١٣٩٢ هـ .
(٢) سورة المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .
(٣) سورة الزمر ٦ .
(٤) سورة نوح ١٣ ، ١٤ .
(٥) سورة آل عمران ٦ .
(٦) سورة الانعام ٩٨ ، والمستقر والمستودع : الاصلاب والارحام .
(٧) سورة الحج ٥ .
(٨) سورة المرسلات ٢٠ — ٢٤ .
(٩) سورة الفرقان ٥٤ .
(١٠) سورة النجم ٣٢ .
(١١) رواه الشيخان .
(١٢) عن المجلة الطبية (نداء الصحة) عدد فبراير ١٩٧٣ .
(١٣) سورة النحل ٧١ .
(١٤) سورة الروم ٣٨ .
(١٥) سورة الحجر ٢٠ .
(١٦) سورة العنكبوت ٦٢ .
(١٧) سورة سبأ ٣٩ .
(١٨) سورة الروم ٣٧ .
(١٩) سورة الزخرف ٣٢ .
(٢٠) سورة الشورى ١٢ .
(٢١) سورة براءة ٦ .
(٢٢) سورة المعارج ٢٤ و ٢٥ .
(٢٣) سورة النور ٢٣ .

لغـــــة



مشكلات الفواصل

د. على محمد حسن

أشرت فى المقال السابق(١) الى طرف من هذه القضية ، وأوردت بعض الآيات القرآنية التى قد يتعلق بها من لا دراية له بأسرار العربيـــة ، وبأسرار اعجاز القرآن الكريم ــ بخاصة ــ وقلت فى نهاية الفصل : « وبعد فهذا حديث عن الفواصل فى القرآن الكريم تضمن أهم القضايا فيها ، ولكنه لم يوفها حقها من البحث والاستقصاء » .

ولما كانت الآيات التى ختمت بما يناسب صدورها مناسبة ظاهرة لا تلفت نظر المتفطن لأسرار بلاغة القرآن الا بمقدار ما يتبادر الى ذهنه وقلبه ــ لأول وهلة ــ من روعة النظم ، وســـمو التعبير ، ودقة المناســبة بين أول الآية وآخرها . اذا كان الأمر كذلك فلن أطيل الوقوف عند هذه الآيات ، وهى كثيرة فى القرآن الكريم ، لأن أمرها لا يغمض على من له أدنى بصر بالأســـاليب البيانية العالية .

وكان لا بد من وقفة متأنية مع الآيات الكريمة التى ربما يوهم نظمها ــ بادىء ذى بدء ــ أن ختامها غير متسق مع صدرها ، فتحتاج عند قصار النظر الى كشف الأسرار البلاغية ، والدينية التى اقتضت أن يكون نظمها على هذا الوجه دون غيره .

وهذا ما سماه المتقدمون : « مشكلات الفواصل » .

وقبل أن نتعمق فى هذا الموضوع ينبغى أن نبدأ بكلمة قالها الفخر الرازى ، وهو من نعرف نفاذ بصيرة ، وعمق بصر ، ودقة بحث وراء الأسرار والمعانى ، ودعوب تفكير وتدبر لما وراء هذه الأسرار ، وهذه المعانى .

تلك هى قوله عند تفسيره لقوله تعالى : « وأقصد فى مشيك واغضض من صوتك » : (هل للأمر بالغض من الصوت مناسبة مع الأمر بالقصد فى المشى ؟ فنقول : نعم . سواء علمناها نحن أو لم نعلمها ، وفى كلام الله من الفوائد ما لا يحصره حد ، ولا يصيبه عد ، ولا يعلمه أحد) .

وكلمة أخرى للرازى نثبتها هنا أيضا بين يدى حديثنا عن مشكلات الفواصل جاء عند تفسيره لقوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا » من سورة العنكبوت ، جاء قوله : (ما من حرف ولا حركة فى القرآن الا وفيه فائدة ، ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ، ولا تصل الى أكثرها ، وما أوتى البشر من العلم الا قليلا) .

ولا يقال ان كلمتى الرازى هاتين ربما بعثتا الشك فى القلوب المريضة ، وربما دعتا القلوب السليمة الى شىء من التوقف : أن يكون فى كلام الله تعالى ، وفى مناسبة بعض الآى لبعض ما لا يمكن أن نعلمه ، حتى مع طول البحث ، وادامة النظر ، وشدة التقصى .

لا يقال هذا ، لأن القضية الاولى ثابتة لم يطرأ عليها شك . أعنى قضية اعجاز القرآن ، وأنه تحدى العرب — وهم أهل اللسن والفصاحة — أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فلم يستطيعوا ، مع ما نعلمه ، وتعلمه الأجيال كلها ، والمعنيون بدراسة التاريخ الدينى للاسلام من مؤمنين وكافرين وملحدين ومعاندين ومنافقين — من أن العرب مع شدة حرصهم على ابطال حجة النبى — صلى الله عليه وسلم — واجتهادهم فى ذلك ، وكثرة أعوانهم عليه لم تؤثر عنهم كلمة واحدة فى الطعن على نظم القرآن ، أو على أية كلمة من كلماته ، بل الذى أثر عنهم وصفه بمايشهد بعلو درجته فى البلاغة ، ويكفى أن الكلمة التى أرضتهم وسكنوا اليها ، وحمدوا قائلها وصف القرآن بأنه (سحر) ، كما جاء ذلك على لسان الوليد بن المغيرة حين طلب اليه قومه أن يقول فى القرآن ما يعيبه به : « انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال أن هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر » (٢) .

فعيب القرآن عندهم أنه سحر ، وهل يكون سحرا وهو — عندهم — موضع نقد أو طعن فى لغته أو نظمه أو معانيه .. ؟

حتى الأوصاف الاولى التى وصفوا بها القرآن كانت تدل على الروعة والخلابة وتشهد بأنهم يقرون ببلاغته وفصاحته ، قالوا انه شعر ، وقالوا انه قول كاهن ، وقالوا أساطير الأولين ، وما قالوا ذلك وهم يرون أنه موضع المؤاخذة من ناحيتيه اللغوية والبيانية .

وقد سأل رجل بعض العلماء عن قول الله عز وجل : « لا أقسم بهذا البلد » فأخبر أنه لا يقسم،ثم أقسم به فى قوله : « والتين والزيتون.وطور سينين وهذا البلد الأمين » فقال العالم للسائل : أى الأمرين أحب اليك ، أجيبك ثم أقطعك ، أو أقطعك ثم أجيبك ؟ قال : لا . بل اقطعنى ثم أجبنى . فقال له : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال ، وبين ظهرانى قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا ، وعليه مطعنا ، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به ، وأسرعوا بالرد عليه ، ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكرت ، ثم قال له : ان العرب قد تدخل (لا) فى أثناء كلامها ، وتلغى معناها .

ويبدو أن هذا العالم أخذ اجابته هذه من (أبى هذيل العلاف)(٣) فقد

جاء اليه رجل ، وقال : أشكلت على آيات من القرآن توهمنى أنها ملحونة . فقال أبو الهذيل : أأجيبك بالجملة أو تسألنى عن آية آية .. ؟ قال : بل تجيبنى بالجملة . فقال أبو الهذيل : هل تعلم أن محمدا كان من أوسط العرب وأن العرب كانوا أهل جدل ؟ قال : نعم . قال : فهل تعلم أن العرب اجتهدوا فى تكذيبه ؟ قال : نعم . قال : فهل تعلم أنهم عابوه باللحن ؟ قال : لا . قال أبو الهذيل ، فتدع قولهم مع علمهم باللغة ، وتأخذ بقول رجل من الأوساط(٤) ؟!

أما أن العرب ـــ وخاصة قريشا ـــ كانوا أهل جدل ، ولدد فى الخصومة ، فيشهد لذلك قوله تعالى : « وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون »(٥) .

وقوله علت كلمته : « فانما يسرناه بلسانك ، لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا »(٦) .

وأما أنهم اجتهدوا فى تكذيبه ، والطعن عليه ، وعلى القرآن الكريم فيدل عليه تكلفهم للأمور الخطيرة فى محاربته ، والصد عن دعوته ، وقد كانوا موصوفين برزانة الأحلام ووقارة العقول والألباب ، ولو أنهم وجدوا الى الطعن فى القرآن سبيلا لكان ذلك كافيا فى ابطال دعوة محمد ، ولكفاهم مئونة حرب لا يعلمون على من تدور فيها الدائرة ، ولو أنهم طعنوا لنقل ذلك الينا جيلا بعد جيل ، فان الدواعى كانت متوفرة فى عهد البعثة ، وفى كل جيل بعد ذلك على نشر ما يسىء الى الدعوة والداعى صلى الله عليه وسلم .



وسبيلى فى هذا الفصل الشائك أن أجىء بالشواهد مما وقف عنده العلماء متبصرين باحثين عن السر البلاغى ، وأن أذكر ما وقفت عليه مما قيل فى ذلك . فاذا فتح الله ـــ بعد ذلك ـــ بوجه أظن أنه مقبول ذكرته ، واذا وجدت أن كلام العلماء غير مقنع ، ولم يفتح الله بوجه مقبول فوضت علم ذلك الى الله ، وقلت مقالة الرازى أننى أومن به ، وأعتقد أنه فى أعلى درج البلاغة ، وان لم نعلم السر فى هذا الذى أشكل علينا علمه وفهمه ، وعسى أن يفتح الله على غيرنا بوجه مقنع مقبول .

وأقف عند آيات وقف عندها (بدر الدين الزركشى) فى كتابه (البرهان فى علوم القرآن) ، ثم أثنى بما وقفت أنا عنده وأنا أتلو كتاب الله تعالى ، وفى كل من النوعين سأذكر ما اطلعت عليه من تأويلات بعض المفسرين .. والله المستعان .

قال الزركشي : ومن خفى هذا الضرب (المشكل من الفواصل) قوله تعالى فى سورة البقرة : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم » وقوله فى (آل عمران) « قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شىء قدير » .

فان المتبادر الى الذهن فى آية (البقرة) الختم بالقدرة ، وفى آية (آل عمران) الختم بالعلم ، ولكن اذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة فى الآيتين .

ولم يبين الزركشى سر ما يؤدى اليه انعام النظر من أن التلاوة يجب أن تكون على ما فى الآيتين ، ولكن يفهم من كلام بعض المفسرين أن ذكر العلم فى آية البقرة يشير الى أن الله سبحانه خلق السموات والارض وما فيهما على

وفق علمه بمصالح العباد ، وما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، والى أن العالم بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها ، الخبير بمصالحها جدير بأن يخلق كل ما يخلقه على الوجه البديع الرائق .

وان ذكر القدرة فى آية (آل عمران) يشير الى أن الذات المتميزة بالعلم ، متميزة أيضا بالقدرة الذاتية الشاملة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض المفسرين جعل : « والله على كل شيء قدير » بيانا لقوله سبحانه : « ويحذركم الله نفسه » ، وهو اتجاه حميد : أن ينظر الى التذييل ـ ليس فقط بحسب حد ـ الآية التى فيها ، وانما أن ينظر اليه على أنه مرتبط بما سبقه .

وان كان صاحب المنار أسرف فى ذلك حيث جعل قوله تعالى : « والله بكل شيء عليم » فى سورة (البقرة) متصلا بأول الآيات فى تقرير رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومبطلا لشبه الذين أنكروا أن يكون البشر رسولا ، والذين أنكروا أن يكون من العرب رسول ، لأن قصارى ذلك كله ـ كما يقول ـ اعتراض الجاهلين على من هو بكل شيء عليم .

وقد أبعد ـ والله ـ النجعة ، فان : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » هى الآية الثالثة والعشرون ، وهذه الآية التى جعلها تذييلا مرتبطا بها هى الآية التاسعة والعشرون ، وبينهما آيات تتحدث عن الجنة ونعيمها مما وعد به المؤمنون ، وعن ضرب الأمثال ، وعن الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وعن كفر الكافرين بالله الذى أحياهم بعد أن كانوا أمواتا ، ثم يميتهم ثم يحييهم .

ولا يشفع له فى ذلك دعوى أن هذه الآيات متصل بعضها ببعض ، فهذا حق ، لكن ليست كلها فى شأن الرسالة والرسول حتى يكون هذا التذييل مرتبطا بهذا المعنى .

كما أن ما ذكره من انكار أن يكون البشر رسولا ، واستبعاد أن يكون للعرب رسول ليس له ذكر فى الآيات الا ما يلمح لمحا حين يجعل الضمير فى (مثله) راجعا الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

ولو أنه جعل التذييل متصلا بالآية الاخيرة من هذه الآيات : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم اليه ترجعون » لكان له وجه .

على أن عبارة النسفى فى هذا المقام واضحة وموجزة : وهو بكل شيء عليم ، فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت ، مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم .

ونعود الى الزركشى ، قال : ومنه قوله تعالى : « والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم »(٧) فان الذى يظهر فى أول النظر أن الفاصلة (تواب رحيم) لأن الرحمة مناسبة للتوبة وخصوصا من هذا الذنب العظيم ، ولكن ههنا معنى دقيق من أجله قال (حكيم) وهو أن ينبه على فائدة مشروعية اللعان ، وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ، وذلك من عظيم الحكم ، فلهذا كان « حكيم » بليغا فى هذا المقام دون « رحيم » .

وقد شرح أبو السعود المعنى الذى أشار اليه الزركشى ، قال : « حكيم فى جميع أفعاله وأحكامه التى من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان .. لو لم

يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه ، لأنه أعرف بحال زوجته ، وأنه لا يفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة ، وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا لفات النظر لها ، ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ، ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة ، فجعل شهادات كل منهما — مع الجزم بكذب أحدهما حتما — دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية » .

وهذا كله — أيضا — من فضل الله عليهم ، ورحمته بهم .

على أن هنا سرا آخر لايثار صفة الحكمة على صفة العلم ، وذلك أنه لو قيل (رحيم) لكان تكرارا مع (رحمته) ، ولنبا النظم عن الذوق ، ويكفى أن تسمع : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب رحيم » لتدرك من أول وهلة نبو هذا التذييل عن صدر الآية ، مع ملاحظة أن الفضل ، وان كان فيه من الحكمة ما فيه ، لكنه فى معناه أقرب الى الرحمة ، وعندئذ تكون كلمة (رحيم) غير جديرة بأن تختم بها هذه الآية ، لأنها حينئذ تكون تكرارا لمعنى صريح فى كلمة (رحمته) ولمعنى ضمنى فى كلمة فضل ، فكانت البلاغة كل البلاغة أن تختم الآية بكلمة (حكيم) كما هى التلاوة .

وقد تضمنت الآية أربع صفات كريمة ، وصف الله سبحانه بها نفسه فهو ذو فضل وذو رحمة ، وهو تواب وحكيم . وكلها لا بد منها فى قضية ذات بال بين فيها أسلوب الاتهام ، وطريقة الدفاع ، ثم الحكم الذى لم يدن واحدا منهما ، بل قضى بالتفرقة بينهما .

ولا شك أن فى كل ذلك من الفضل والرحمة والحكمة ما فيه . فالزوجة ان كانت بريئة فستظل تنظر الى زوجها — ان عاشت معه — بقلب مملوء بالغيظ والحقد لأنه أهانها فى أعز ما تملك ، وسيكون من اشق الأمور عليها أن تعاشره .

واحتمال الأذى ورؤية جانبه غذاء تضوى به الأجسام وان كانت مخطئة فستشعر دائما بالخجل والخزى كلما وقع نظرها عليه ، وستضيق كل الضيق بهذا الجو الذى شهد فضيحتها ، وتتمنى لو تعيش فى جو آخر ، فى بيت أبيها ، أو فى بيت زوج جديد حيث تنسى أو تتناسى ما كان منها ، ومع ذلك فسوف لا تغفر لزوجها أنه لم يستر عليها ، ولم يكتم ما علم من أمرها .

والزوج سيجد من العسير عليه أن يعاشر زوجة داست كرامته ، وأوطأت فراشه غيره ، ان كان صادقا ، وسوف لا يبقى على عشرتها ، ولا يحفظ لها ودا ان كان اتهمها زورا وبهتانا ، لأن ذلك دليل كراهيته لها ، وزهده فيها .

ودواء ما لا تشتهيه النفس تعجيل الفراق .

فكان التفريق بينهما منتهى الحكمة ، ثم فيه من الفضل والرحمة والتهيئة للتوبة ما فيه .



وقد نقل الزركشى عن بعض من تقدموه ، من أصحاب الدراسات القرآنية ثلاثة أوجه لتعليل التذييل فى قوله تعالى : « وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا »(٨) بالحلم والمغفرة عقب تسابيح

الأشياء كلها وتنزيهها لله تعالى .

أحدها : أن فسر التسبيح بأن الأشياء مودعات من دلائل العبر ، ودقائق الانعامات والحكم ما يوجب تسبيح المعتبر المتأمل ، فكأنه سبحانه يقول : ان كان من كبير اغفالكم النظر في دلائل العبر مع امتلاء الأشياء بذلك . وموضع العتب قوله سبحانه : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »(٩) . كذلك موضع المعتبة قوله : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ، وقد كان ينبغي أن يعرفوا بالتأمل ما يوجب القربة لله مما أودع مخلوقاته مما يوجب تنزيهه . فهذا موضـــع حلم وغفران عما جرى في ذلك من الافراط والاهمال .

الثاني : أن جعلنا التسبيح حقيقة في الحيوانات بلغاتها فمعناه : الأشياء كلها تسبحه وتحمده ولا عصيان في حقها ، وأنتم تعصون ، فالحلم والغفران للتقدير في الآية وهو العصيان .

الثالث : أنه سبحانه قال في أولها : « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده » أي انه كان لتسابيح المسبحين حليما عن تفريطهم ، غفورا لذنوبهم .

واختار الفخر الرازي الوجه الأول في تفسير الآية ، وهو أن « التسبيح المضاف للجمادات ليس الا بمعنى الدلالة على تنزيه الله تعالى ، ورد الوجه الثاني ، وبالغ في رده :

أولا : بأنا لو جوزنا في الجماد أن يكون عالما متكلما لعجزنا عن الاستدلال بكونه تعالى عالما قادرا على كونه حيا ، وحينئذ يفسد علينا باب العلم بكونه حيا ، وذلك كفر ، فانه يقال : اذا جاز في الجمادات أن تكون عالمة بذات الله تعالى وصفاته وتسبحه مع أنها ليست بأحياء ، فحينئذ لا يلزم من كون الشيء عالما قادرا متكلما كونه حيا ، فلم يلزم من كونه تعالى عالما قادرا كونه حيا ، وذلك جهل وكفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن من ليس بحي لم يكن عالما قادرا متكلما . هذا هو القول الذي أطبق العلماء المحققون عليه .

ثانيا : لو حملنا التسبيح هنا على أن هذه الجمادات تســـبح الله بأقوالها والفاظها لم يكن عدم الفقه لتلك التسبيحات جرما ولا ذنبا ، واذا لم يكن ذلك جرما ولا ذنبا لم يكن قوله : « انه كان حليما غفورا » لائقا بهذا الموضع .

قال : فهذا وجه قوي في نصرة القول الذي اخترناه .

وعلل لهذا التذييل بناء على الوجه الذي اختاره بأن ذكر الحليم والغفور ههنا يدل على أن كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم صدر عنهم .

---

(١) نشر بمجلة الوعي الاسلامي بعنوان (الفواصل) في العدد ٦٨ من السنة السادسة .

(٢) سورة المدثر . الآيات ١٨ — ٢٥ .

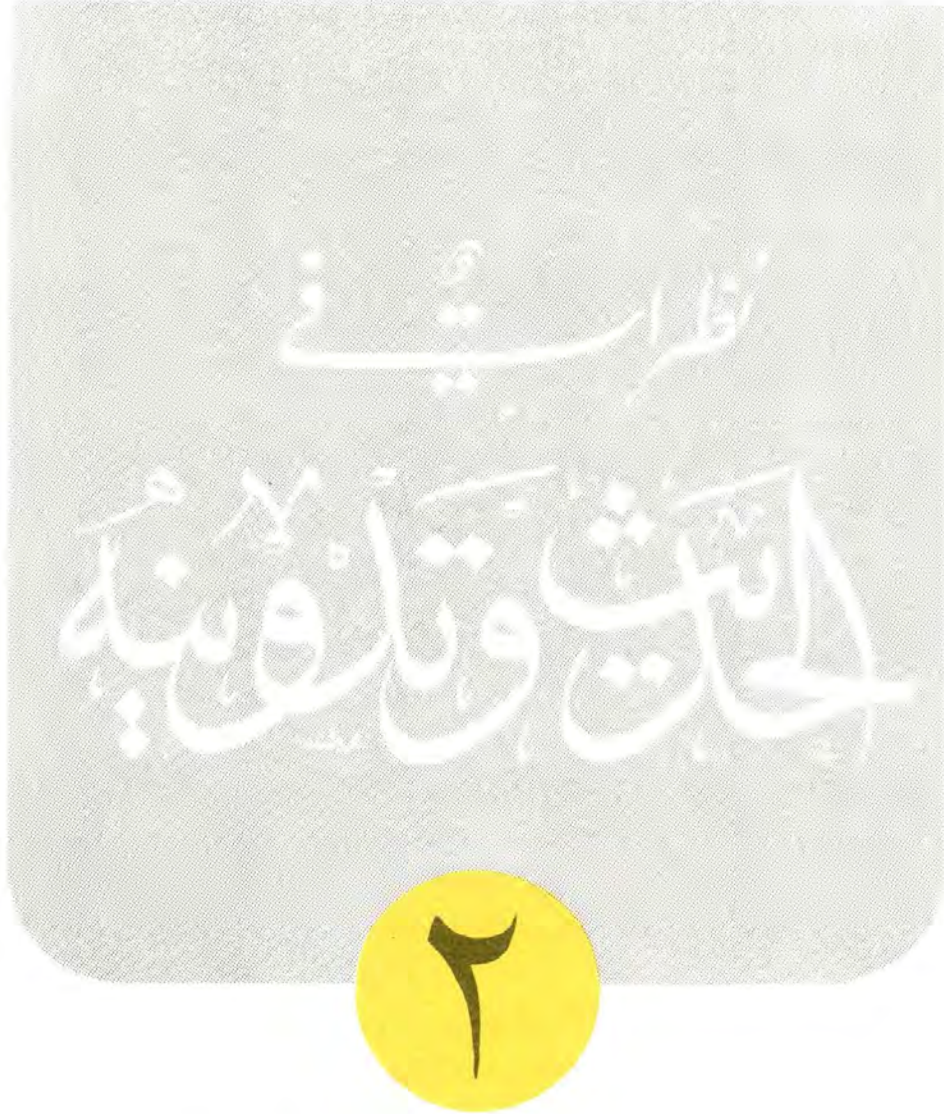
(٣) رأس من رءوس المعتزلة ، كان أستاذ المأمون الخليفة العباسي ، وقد فضله المبرد على الجاحظ في المناظرة . توفي سنة ٢٣٥ هـ .

(٤) ضحى الاسلام جـ ٣ ص ١٠١ .

(٥) الزخرف ٥٨ .

(٦) مريم ٩٧ .

(٧) سورة النور ٩ ، ١٠ .



للدكتور محمد عبد الرءوف

شرحنا فى مقالنا الأول كيف أن الحديث النبوى الشريف يرده العلماء الى اربعة أنواع . **الأول** : ما اثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أقوال وهو أعلى هذه الأنواع وأسماها وأكثرها ، وفى الذروة من البلاغة وروعة الأسلوب وغزارة المعانى ، **والنوع الثانى** : هو ما ذكر فيه فعل من أفعال الرسول أو وصفتفيه خلاله الكريمة ، وقد يلحق به ما كان أمرا من النبى صلى الله عليه وسلم ، كقول السيدة عائشة رضى الله عنها فيما رواه ابـــن ماجة وأبو داود وابن حنبل : « كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » اذا اعتبرنـــا أمر الرسول فعلا ، وهذا أقرب من اعتباره من الأقوال حتى يقتصر النوع الأول على ما احتوى على كلامه صلى الله عليه وسلم نفسه ، ومثل هذا ما رواه البخارى وأحمد عن أم عطية قالت :

« لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الأنصار فى بيت ، ثم بعث اليهن عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم ، فرددن عليه السلام ، فقال : انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ، قلن : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ، وقال (أى عمر) تبايعن على الا تشركن بالله شيئا ، ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينه فى معروف ، قلن : نعم ، فمددنا أيدينا من داخل البيت ومد يده من خارج البيت ، ثم قال : اللهم اشهد . . » .

فمبايعة عمر رضي الله عنه النساء بناء عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم هو بمثابة مبايعة النبى نفسه . **والنوع الثالث** : من الحديث ما كان اقرارا سكوتيا من النبى صلى الله عليه وسلم لما حدث فى عهده ، وقد مثلنا لذلك فى الجزء الأول من هذا البحث ، ويدخل فى هذا عادات الناس فى المدينة ذلك الوقت وما جروا عليه فى آداب الطعام والشراب واللباس والمتاجرة والمقاييس والمكاييل وغير ذلك مما لم يرد فيه نص عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان عمل اهل المدينة من مصادر التشريع الهامة عند الامام مالك رضى الله عنه ، وأما **النوع الرابع** : والأخير من الأحاديث فهو ما تذكر فيه أوصاف النبى الخلقية أو ما حدث عن ولادته أو مراحل حياته صلى الله عليه وسلم كتاريخ ولادته أو الحديث عن رضاعه أو وفاة والدته أو كفالة جده أو مرضه أو وفاته صلى الله عليه وسلم .

وليس يعنى تصنيف الحديث الى هذه الأنواع ان كل حديث لا بد أن يكون واحدا من هذه الأنواع الأربعة فقط ، فلا يكون الا قولا من أقوال الرسول أو فعلا أو تقريرا أو صفة بل قد يشتمل الحديث الواحد على وصفين من هذه الأربعة أو أكثر ، فحديث أم معبد الذى سقنا جزءا منه تصف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، اشتمل الجزء الأول منه على أفعال وأقوال له ، ونسوق صدر هذا الحديث وهو كما يلى :

« عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة هووأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله ابن أويقط الليثى فمروا بخيمة أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة جلدة برزة تحبى وتقعد بفناء الخيمة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا أو لحما يشترونه فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، واذا القوم مرصلون مسنتون ، فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حليبا ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها فى شاتها . قال : فتفاجت ودرت واجترت ، فدعا باناء لها يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى غلبه الثمال ، فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال : ساقى القوم آخرهم ، فشربوا جميعا عللا بعد نهل حتى أراضوا ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها . »

فهذا الحديث يحتوى على كثير من فعال النبى صلى الله عليه وسلم وبعض أقواله وخصاله الكريمة ، كما احتوى فى الجزء الآخر على وصف أم

معبد للرسول أمام زوجها بعد عودته مع أعنزه ، بل يحتوى الحديث على تقرير سكوتى من الرسول لعدم اعتراضه عليه الصلاة والسلام على الطريقة التى كانت تعيش عليها أم معبد .

وحيث فرغنا من تعريف لفظ الحديث بالمعنى الذى يستعمله العلماء ، ننتقل الى موضوع هام وشيق ، وهو تدوين الحديث وجمعه ونشـــأة بعض العلوم حول موضوع الحديث ، فإنا نسمع الكثير عن الكتب الستة والمسانيـــد والمصنفات والسنن والصحاح والصحف ، كما نسمع عن علوم تتعلق بالحديث من النقد الحديثى والمصطلح وعلم الرجال .

وسوف نحاول متابعة المراحل التى دون فيها الحديث وخصائص كل مرحلة وتاريخها وأهم ما دون فيها مع وصف مختصر لكل منها ، ونؤثر أن نبادر فنقول اجمالا ان تدوين الحديث وتطور علومه كان على مراحل خمسة اخترنا لها الأسماء التالية للتيسير ومزيد الايضاح : **المرحلة الأولى** نسميها مرحلة **الصحيفة** لأن ما دون فيها كان يسمى كذلك ، واستغرقت هذه المرحلة القرن الهجرى الأول كله وطرفا من القرن الثانى ، ومعنى الصحيفة الواح كتب عليها عدد من الاحاديث النبوية من مواد الكتابة المعروفة فى ذلك العهد من اللخاف والعظام والجلـــد ، **والمرحلة الثانية** ، وتستغرق الجزء الأكبر مـــن القرن الثانى للهجرة بعد العقدين الأولين ، ونسميها مرحلة **المصنف** ، وهو ما دونت فيه الأحاديث مبوبة على حسب الموضوعات ، فوضعت كل مجموعـــة من الأحاديث المشتركة فى الموضوع معا تحت عنوان يدل عليها ، فأما **المرحلة الثالثة** فهى مرحلة **المسند** ، وفيه تبوب الأحاديث تحت اسم الصحابى الذى رواها ورويت عنه ، فيقسم الكتاب الى فصول كل فصل يعنون له باسم الصحابى أو صحابية ثم تسرد الأحاديث التى رويت عن طريقه أو عن طريقها بأسانيدها ، وبدأت هذه المرحلة قبيل نهاية القرن الثانى واستمرت خـــلال القرنين التاليين ، وأما **المرحلة الرابعة** فنسميها مرحلة **الصحيح** ، لأن علماءها تحروا جمع الأحاديث الصحيحة وحدها كما صنـــع البخارى ومسلم ، أو مـــع غيرها مع بيان وصف ما دون الصحيح من كونه ضعيفا أو حسنا مثلا ، وبدأت هذه المرحلة فى العقود الأولى من القرن الثالث واستمرت حتى نهاية القـــرن الرابع ، وهى بذلك متداخلة فى المرحلة الثالثة زمنيا ، أما **المرحلة الخامسة والأخيرة** فنسميها المرحلة **التحليلية** أو مرحلة الشرح والتحليل ، فقد تم جمع ماكان يتداول من الأحاديث بنهاية القرن الرابع ، فكان عمل العلماء فيما بعد ذلك قائما على ما جمع قبل ، فكان شرحا لها أو لمفرداتها أو تحسينا فى تبويبها ، أو جمع ما اتفق عليه أو ما زيد فى البعض على البعض الآخر ، أو اختصـــار بعضها بحذف الأسانيد أو المكرر أو تطوير علوم الحديث واكمالها أو عمل فهارس كالأطراف لتيسير المراجعة .

وسوف نحاول فى الفصول التالية معتمدين على الله دراسة كل من هذه المراحل وخصائصها ووصف بعض النماذج لما دون فى كل منها ، ونبدأ بالمرحلة الأولى وهى التى سميناها مرحلة الصحيفة أو مرحلة الصحف .

وتنقسم المرحلة الأولى نفسها الى فترات ثلاثة ، الأولى هى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانية تبدأ بوفاته عليه الصلاة والسلام حتى منتصف العقد التاسع من القرن الهجرى الأول ، والثالثة تبدأ من ذلـــك الوقت حتى نهاية العقد الثانى من القرن الثانى .

أما على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلم تكن هناك حاجة ماسة بعد لكتابة الحديث ، وكانت العناية موجهة للقرآن الكريم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب الى القليلين ممن يحسن الكتابة من أصحابه بكتابة القرآن عندما كان يوحى اليه به ، ويدلهم على موضع كل آية بالنسبة لغيرها ، ومع ذلك فان الاعتماد كان الذاكرة والتلقى الشفوى ، ولم يكن الاعتماد يوما ما على الكتاب وحده ، ففى التلقى الشفوى علاقة مباشرة بين المعلم والمتعلم وضمان لحسن الأداء ومسئولية المعلم عن صواب ما يعلمه أمام الله وأمام ضميره .

وتوجيه العناية لكتاب الله لا يعنى أنه لم يخطر ببال صحابى أن يكتب لنفسه — اذا استطاع — ما حفظه من الرسول أو بعضه ليتذكره اذا نسيه ، ولكن حرصا على عدم خلط الصحف القرآنية بغيرها ، ومنع تكرار ما حدث من فساد الكتب السماوية السابقة ، نسمع فيما رواه أبو سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم حرم كتابة غير القرآن بل أمر من كتب غيره بمحوه ، كما نسمع أنه استؤذن فىكتابة الحديث فلم يأذن ، ولكن توجد مع ذلك روايات تدل على أنه أذن لعبد الله بن عمر بكتابة العلم أى الحديث وأن الرسول صلوات الله عليه لما قال له رافع بن خديج : أنا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ » قال : « اكتبوا ولا حرج ؟ وقد ناقش العلماء ما ظهر من تعارض فى هذا الشأن فمن قائل إن الاباحة جاءت بعد التحريم فنسخته ، ومن قائل ان المحرم كان خلط كتابة القرآن بكتابة الحديث ، ولكن الذى يخيل الى هو أن الأمر كان موقوفا على الظروف ومبلغ السلامة أوعدمها حال الأذن بكتابة الحديث ، والا فمن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم أملى كتبا بعث بها لعماله أو لغيرهم ، كما أملى نصوص معاهدات واتفاقيات وكلها من الحديث الشريف .

والخلاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى ولم تكن هناك صحف متداولة جمعت عليها أحاديثه ومآثره وان احتمل أن قليلا من أصحابه كتب بعض الألواح لنفسه .

أما عن الفقرة الوسطى من المرحلة الأولى وتمتد لسبعين سنة بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام فان من الجلى الواضح أن الصحابة وقفوا من كتابة الحديث موقف التردد يتنازعهم عاملان ، الأول عامل الرغبة فى الكتابة لما لها من ثمرات واضحة ، والآخر هو الخوف على سلامة الكتاب الكريم اذا تداول الناس صحف الحديث بجانب صحف القرآن ، ولقد شغل الصحابة أمر القرآن للغاية فكما يذكر القراء أشار الفاروق على الخليفة الأول أن يجمع صحفه ويحفظها لما استمر القتل فى الصحابة أثناء حروب الردة ، ولقد تردد أبو بكر رضى الله عنه أول الأمر ثم شرح الله صدره لذلك ، فجمع جميع الصحف القرآنية التى كتبت على عهده صلى الله عليه وسلم للاعتقاد بسلامتها والا لنزل الوحى ليفيد بحدوث أى تحريف فيها ، ولذلك كانوا يستحلفون أصحابها على أنها كتبت أثناء حياة الرسول ، وبعد أن تم جمعها حفظها الخليفة الأول لديه ، ولما حضرته المنون وكان قد أوصى بالخلافة لابن الخطاب عهد اليه بهذه الصحف ، ولما اعتدى على حياة عمر رضى الله عنه آثر أن يعهد بها الى ابنته حفصة أم المؤمنين التى كانت تحسن القراءة والكتابة أكثر من سواها من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم طلبها منها

الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه لما حدث اختلاف على القراءات ، فنسخت من هذه الصحف نسخ كاملة وزعت على الأمصار وبعث مع كل مصحف معلم من الصحابة ليعلم المسلمين بالجهة المبعوث اليها القرآن كما سمعــه من الرسول وفى حدود القراءات التى تتفق مع رسم مصحفه ، ثم امر بالصحف الأصلية فاحرقت حسما للخــلاف .

نعود للكلام على كتابة الحديث ، وننقل ما كتبه العــلامة الخطيب البغدادى المتوفى عام ٤٦٣ هـ بهذا الصدد فى كتابه « تقيد العلم » المطبــوع بدمشق عام ١٩٤٩ بتحقيق العلامة يوسف الحسن :

« فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول انما هى لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره أو يشغل عن القرآن بسواه ، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ لأنه لا يعرف حقها من باطلها وصحيحها من فاسدها ، مع أن القرآن كفى منها وصار مهيمنا عليها ، ونهى عن كتب العلم فى صدر الاسلام وجدته لقلة الفقهاء فى ذلك الوقت والميزين بين الوحىوغيره لان اكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا فى الدين ولا جالسوا العارفين فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ويعتقدون أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن » ..

وموقف التردد هذا يتضح بصفة جلية من نحو ما روى من أن الخليفة الثانى رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستشار فى ذلك اصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله شهرا ، ثم اصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : « انى كنت أردت أن أكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى ، وانى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا ، وروى عن صحابة آخرين انهم كتبوا صحفا ثم محوها أو حرقوها .

والذى يبدو لى هو أن الحرج كان فى نسخ الصحف واكثارها للتداول والنشر ولم يكن الحرج قويا فى كتابة المرء لنفسه ، ولذلك نجد أمهات الكتب تتحدث عن صحف كانت لدى عدد من الصحابة ، وقد تتبع الدكتور محمــد مصطفى الأعظمى فىكتابه المسمى « دراسات فى الحديث النبــوى وتاريخ تدوينه » الذى نشر فى بيروت عام ١٩٦٨ ما ورد من هذه الاشارات وعــد خمسين صحابيا كان عند كل منهم صحيفة أو كراسة من الأحاديث واشار الى مصادر ما أتى به .

واذا كان هناك حرج فى كتابة الحديث أثناء الفترة الوسطى من المرحلة الأولى من تاريخ تدوين الحديث فان اسبابا تجمعت وغيرت الحال قبل نهاية القرن الاول بنحو عشرين عاما ، فبعد مضى سبعين عاما على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت المخاوف على سلامة القرآن قد تبددت ، فلقــد حفظه مئات الآلاف من شتى الألوان والأجناس فى صدورهم ، وتلقته أجيــال جيلا عن جيل دون حدوث خلل أو خلاف أو تغيير ، كما كانت المصاحف قد كثرت

واتسع تداولها ، ثم جدت أحداث حملت على كتابة الحديث حرصا على عدم ضياعه وخوفا من اختلاطه بالأكاذيب والموضوعات ، فلقد مات الكثيـر من الصحابة وهم حفظته الاولون وبقى القليل منهم ، كمـا أدت حوادث الفتن التى هزت العالم الاسلامى ونشأ عنها خلافات مذهبية الى الكذب على رسول الله من بعض أنصار هذه المذاهب السياسية والفرق الدينية ممن لا يخاف الله فجاءوا زورا بما يؤيد مذهبهم ويقدح فى الآخرين ، كما كان للقصاص وبعض من أساء مع حسن النية نصيب فى الاختلاق والوضع ، فمست الحاجة حينئذ الى كتابة الأحاديث بطريقة فعالة صيانة لها من الضياع من ناحية ، وتمييزا بين الغث والثمين منها من جهة أخرى .

لذلك يؤثر ، كما يحدثنا محمد بن سعد فى طبقاته ، أن عبد العزيز ابن مروان ، حاكم مصر من قبل بنى أمية المتوفى عام ٨٥ هـ كتب الى كثير بن مرة ، وهـو تابعى يطلب اليه أن ينسـخ عن الصحابـة أحاديث الرسـول التى لم يروها أبو هريرة ، واستثنى أحاديث أبى هريرة لأنـه يقال إنهـا كانت عنده ، كما أن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز المتوفى عام ١٠١ هـ اهتم اهتماما خاصا بجمع الاحاديث وكتب لأبى بكر بن محمد بن حزم المتوفى عام ١٢٠ هـ يكلفه بهذه المهمة ، كما كلف الزهرى بذلك ايضا ، ويتضح من هذا كله أن الحرج فى كتابة الحديث كان قد زال قبيل نهاية القرن الأول فبدأ تدوين الحديث من هذا العهد دون تردد ولا وجل .

والسؤال الذى يراودنا الآن هو أين هذه الصحف التى كتبت فى هـذا العصر المبكر ؟ الواقع أنها كلها قد ضاعت ولم يبق منها الا النادر فى صور نسخ نسخت منها وليس يبعد أن بعضها أحرق يوم أحرقت الصحف القرآنية بأمر الخليفة الثالث ، وبعضها قد أحرق فى حروب الفتن التى قامت بين المسلمين أثناء الحكم الأموى ، وترك سائرها فريسة لعوامل التحات والفناء ، ولم تعبأ الأجيال السابقة بالمحافظة عليها نظرا لأن النسخ التى كتبت منهـا بعد اسـتعمال الروق بدلا من الخاف والعظام والجلـد وبعد إدخـال النقط والتشكيل كانت أيسر استعمالا وأخف حملا واضبط قراءة ، أضف الى ذلك أن السلف السابقين كانوا أقل الناس حرصا على الآثار والماديات ، بعد أن طهرهم القرآن من الوثنية وكل ما قد يشبه أعمال الوثنيين من تقديس الجلـود أو الحجارة مهما كان قدر صاحبها ، وأما ما كتب عليها فقد استوعبته المدونات الكبرى التى تلت من مصنفات ومسانيد وصحاح وسنن .

صحيفة نموذجية لصحف المرحلة الأولى :

ومن خير الأمثلة لهذه الصحف الحديثيـة المبكرة صحيفة همـام بن منبه التى رواها عن أبى هريرة ، وتحتوى على ١٣٨ حديثا ، وهمام تابعى يمنى ولد عام ٤٠ للهجرة ، ولذا يرى الدكتور محمد حميد الله ، حفظه الله ، الذى أخرج هذه الصحيفة ، وقدم لها بمقدمة جليلة بالعدد الثامن والعشرين من مجلة المجمع العلمى الصادرة بدمشق عام ١٩٥٣ بعنوان : « أقدم تأليف فى الحديث

النبوى » أن تاريخ الصحيفة يرجع الى حوالى منتصف القرن الأول ، حيث أن حفظ همام للصحيفة وكتابته اياها كان لا يتأتى الا بعد أن يبلغ همام من العمر والنضج ما يهىء له ذلك ، ثم لا بد أن يتم ذلك قبل وفاة أبى هريرة التي حدثت عام ٥٨ هـ ، وقد استخدم الدكتور حميد الله فى اخراج هذه الصحيفة مخطوطتين احداهما ببرلين والأخرى بدمشق وهى أحسنهما حالا ، وقد أستوعب الإمام أحمد رضى الله عنه فى الجزء الثانى من مسنده الصحيفة كلها كما استوعب المسند صحفا أخرى كصحيفة عبد الله بن عمر المسماة بالصادقة .

ونسوق للقارىء طرفا من أول نص صحيفة همام من مسند الامام أحمد كما رواه أبو بكر القطيعى عن أستاذه عبد الله بن الامام أحمد عن ابيه ، قال :

حدثنا عبدالله (اى عبد الله بن أحمد بن حنبل) .
حدثنى أبى (وهو الامام أحمد طبعا) .
ثنا عبد الرزاق بن همام .
ثنا معمر .
عن همام بن منبه قال :

هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فهم لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد » .
وقال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم :

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها واكملها واجملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون : الا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك ؟ فقال محمد النبى صلى الله عليه وسلم : فكنت انا اللبنة . » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثلى كمثل رجل استوقد نارا ، فلما اضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى يقعن فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فتقتحم فيها ، قال : فذلكم مثلى ومثلكم ! أنا آخذ بحجزكم عن النار : هلم عن النار : هلم عن النار ! هلم ! فتغلبوننى تقتحمون فيها » .

وقبل أن نواصل البحث عن المرحلة الثانية من مراحل تدوين الحديث لنا تعليقات على الطريقة التى نسب فيها همام بن منبه أحاديثه الى الرسول صلى الله عليه وسلم يحسن أن نبدأ بها ، وسيجرنا ذلك الى الحديث عن الاسناد وطرق تحمل الحديث وبعض طرائف أخرى من علوم الحديث ، وهذا ما سنتحدث عنه فى المقال التالى ان شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب .

الأوامر الشرعية

للدكتور : محمد سلام مدكور

بينا فى المقال السابق ان الأمر من صميم مباحث علم الأصول ، وان الأصوليين اهتموا به لأن الأحكام التكليفية تدور حوله وترتبط به ، وبينا مفهوم الأمر عند الأصوليين والصيغ التى تستعمل فى الأمر ، وما تدل عليه صيغة الأمر ، وما تفيده على سبيل الحقيقة ، وما يدل عليه الأمر بعد الحظر . وما انتهينا اليه فى كل ذلك .

ووعدنا فى نهاية المقال السابق أن نختتم الموضوع بالكلام هنا عن دلالة الأمر على المرة والتكرار وعلى الفور والتراخى .



يهمنا أن نشير اولا الى ان الذين يقولون بأن صيغة الأمر لا تقتضى الوجوب لا يدخلون بصفة جدية فى الكلام والخلاف حول افادة صيغة الأمر للمرة والتكرار ولا افادتها للفور والتراخى . لأنهم ما داموا لا يقولون بافادته الايجاب أصلا فانهم لا يقولون به موصوفا بأية صفة ، لأن هذه الأوصاف فرع القول بالايجاب ، ومن انكر الأصل لا بد أن ينكر الفرع . ولذا فان الحنفية قد حرصوا على ابراز أن الخلاف فى هذا ينحصر بين القائلين بافادة الأمر الوجوب . وإن سنعرض أولا موقف الأصوليين من افادته المرة والتكرار ثم نتكلم عن موقفهم من افادته الفور والتراخى .

ودلالتها على الأحكام

اولا ــ المرة والتكرار :

اذا وردت صيغة الأمر مقترنة بما يدل على طلب الفعـــل مرة او مرات تقيد بذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين سأله عن مسح الحصى عند سجوده فى الصلاة : مرة واحدة يا أبا ذر والا فذر (١) . والأمر هنا مستقر أى افعله مرة . . ومثل قوله عليه السلام : « تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة » فهو خبر بمعنى الأمر أى ســـبحوا واحمدوا وكبروا .

والأمر فى هذين النصين وان لم يكن للايجاب قطعا لكن له شـــاهد فى موضوعنا من ناحية أنه مقترن بما يدل على المرة فلا يحتمل اتفاقا افادة التكرار . ولذا فاننا نقول ان الأمر اذا اقترن بما يدل على المرة او على التكرار بعدد محدد أو غير محدد تقيد بما تدل عليه القرينة .

ومما يورده الأصوليون من القرائن الدالة على التكرار :

(١) انظر الهداية والفتح فى الفقه الحنفى الجزء الأول باب مكروهات الصـــلاة . والحديث أخرجه الستة عن معيقب انه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمسح الحصى وانت تصلى فان كنت لا بد فاعلا فواحدة » ، فاخرج عبد الرازق عن أبى ذر قال : سألت النبى عن كل شىء حتى سألته عن مسح الحصى فقال : واحدة أودع .

١ — ما اذا كان الأمر معلقا على شرط تبين اعتباره علة فى الحكم او سببا ومن ذلك قوله تعالى : « وان كنتم جنبا فاطهروا » وقوله جل شأنه : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » وقوله : « وان خفتم فرجالا أو ركبانا » أى صلوا رجالا أو ركبانا .

٢ — ما اذا كان الأمر مقيدا بوصف هو سبب فى الحكم مثل تقييد الأمر بجلد الزانى والزانية فى قوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .. فان الأمر فى الآية يدل على طلب الجلد كلما وجد ذلك الوصف . ومنه قوله تعالى : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .. » فان الأمر بالقطع مطلوب عند تحقق الوصف الذى هو سبب للحكم وهو السرقة .

أما اذا وردت صيغة الأمر عارية عن القرائن فان الأصوليين يختلفون فى افادتها المرة أو التكرار ويرجع اختلافهم الى ورود الأمر مستعملا أحيانا فى المرة مثل الأمر بالحج والعمرة ، وأحيانا فى التكرار مثل الأمر بالصلاة والزكاة والصوم وللأصوليين فى ذلك خمسة اتجاهات . وقبل أن نبين الاقوال الخمسة نستطيع أن نرجع الدلالة على المرة والتكرار الى القرائن ايضا وأن نقول فى الأمر بالصلاة والصوم والزكاة أن القرينة فيها ارتباطها بسبب متكرر هو وقت الصلاة وملك النصاب ورؤية الهلال . والقرينة فى الحج مرتبطة بالاستطاعة وهذه قرينة عدم وجوب التكرار ، يضم الى ذلك حديث الأقرع بن حابس حين أمر الرسول بالحج اذ سأله : افى كل عام يا رسول الله .. ؟

وقد اختلف الأصوليون فى افادة الأمر على المرة أو التكرار الى خمس جبهات أيضا وقد بينا القول فيها مفصلا مع ذكر ادلة كل جبهة ومناقشتها وما انتهينا اليه فى ذلك فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام (٢) وإنا نوجز ذلك هنا على الوجه الآتى :

١ — القائلون بأن صيغة الأمر لا تفيد فى هذا الا مطلق الطلب . وهو اختيار الحنفية والمعتزلة وأكثر الشافعية(٣) . وعلى هذا فالمكلف يخرج من العهدة بفعل المأمور به مرة واحدة لأنها أقل ما يمكن أن يتحقق به الفعل . واستدل هذا الفريق بأدلة منها :

أ) يصح أن يقال : افعل ذلك مرة ، كما يصح أن يقال : افعله مرات . ولا يكون واحدا من القيدين تكرارا ولا نقضا . واذا كان الأمر وحده يفيد المرة أو التكرار لكان تقييده بشىء من ذلك غير مقيد ويكون تكرارا ، بل يكون التقييد بالتكرار فى بعض المرات مناقضا لما يدل عليه من المرة فى زعمهم ، كما يكون التقييد بالمرة فى بعض المرات مناقضا بالنسبة للقائلين بالتكرار . ومن الثابت فى أسلوب اللغة أن تقييد الأمر بكل من المرة والتكرار سليم لا اعتراض عليه ولا تناقض فيه .

ب) الأمر ورد مقيدا بكل من المرة والتكرار فيكون حقيقة فى القدر المشترك بينهما .

٢ — الأمر يقتضى طلب الفعل مرة ويتم بها الامتثال دون احتمال التكرار : وقد صرح بهذا الآمدى ونسبه الاسفراييني الى أكثر الشافعية وقال

---

(٢) من صفحة ٢٤٨/٢٨٩ .

(٣) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٩٢ .

به جماعة من متقدمى الحنفية(٤) . فالأمر هنا يدل بذاته على طلب حصول المطلوب مرة واحدة خلافا للمذهب الأول الذى يرى أن الأمر يدل بذاته على مطلق وجوب الفعل . وأما ما قالوه من الاكتفاء بالمرة فان مرجعه الى أنها اقل ما يمكن تحقق الفعل به وليس نتيجة دلالة الأمر على المرة كما هو فى هذا المذهب . واستدل هذا الفريق بما خلاصته : أن الامتثال يتحقق بالمرة فى مثل ادخل الدار ، وفى التوكيل بتطليق الزوجة ، وأنه يصح تقييد الأمر بالتكرار كما يصح تقييده بالمرة ويكون مقيدا فى كل منهما . لكن يرد عليهم أن تحقيق الامتثال بالمرة يدل على أن الأمر غير ظاهر فى التكرار ، ولا يلزم منه عدم احتمال التكرار .

٣ ــ الأمر يقتضى التكرار مدة العمر بشرط الامكان دون أزمنة قضاء الحاجة وما تتطلبه الحياة والالتزامات الأخرى ، ولا يكون الخروج من عهدة الامتثال الا بذلك . وممن ذهب الى هذا بعض الأصوليين وبعض المتكلمين(٥) . ويستدل هؤلاء بجملة أدلة نوجزها فى الآتى :

أ) أن قول الله : « اقتلوا المشركين .. » يعم قتل كل مشرك . فكذلك قوله : صم وصل يجب أن تعم كل زمان يستطيع الانسان أداء الصلاة أو الصوم فيه . لكن يرد عليهم أن : صم وصل ونحوهما ليست من صيغ العموم ، والذى يفيد العموم أن نقول : صم الأيام وصل الاوقات .

ب) قوله : صم . مثل قوله : لا تصم . ومقتضى النهى هنا ترك الصوم ابدا فليكن موجب الأمر كذلك فعل الصوم ابدا عند الاستطاعة . لكن يرد عليهم فى هذا أن الأمر يدل على أن المأمور ينبغى أن يوجد مطلقا ووجوده يتحقق بفعله مرة واحدة . بينما النهى يدل على أنه لا ينبغى وجود المنهى عنه مطلقا . وهذا لا يتحقق الا بالامتناع الدائم ولذا قالوا : ان النفى المطلق يعم بينما الوجود المطلق لا يعم .

جـ) أوامر الشرع فى الصوم والصلاة حملت على التكرار فدلت على أنه موضوع له . لكن يرد عليهم أن الحج حمل على الواحدة فليدل اذن على أنه موضوع للمرة . فاذا كان التكرار مستفادا فى الصوم والصلاة من دليل آخر فكذا هنا وانتفى افادة الأمر بذاته للتكرار .

٤ ــ الأمر يدل على المرة مع احتمال التكرار : وهذا القول منسوب للشافعى رضى الله عنه(٦) . والفرق بين هذا المذهب والمذهب الثانى هو أن الأمر فى الثانى يفيد المرة من غير احتمال ، أما هنا فانه محتمل ، كما يفترق هذا المذهب عن المذهب الثالث بأن الأمر فى الثالث يقتضى التكرار بأصل الوضع من غير قرينة ، أما فى هذا المذهب فانه يدل على التكرار بأصل الوضع ان وجدت القرينة ، ويقول هؤلاء بما خلاصته أن الأمر مختصر من طلب الفعل بالمصدر اى أن مثل قولك اضرب مختصر من أطلب منك ضربا . لا من اطلب

---

(٤) راجع الاحكام فى اصول الاحكام للآمدى ج ٢ ص ٢٢٥ وارشاد الفحول للشوكانى ص ٩٢ .

(٥) انظر الاحكام للآمدى جـ ٢ ص ٢٣٥ ، وارشاد الفحول الموضع السابق والمستصفى للغزالى جـ ٢ ص ٤ .

(٦) التقرير والتحبير جـ ١ ص ٣١١ وارشاد الفحول ص ٩٢ وانظر الاسنوى على المنهاج جـ ١ ص ٢٧٠ .

منك الضرب ، والفرق بين العبارتين . أن الاولى تعبير بأقل ما يحتمل اللفظ وهو المقطوع به من العبارة لأن النكرة تدل على واحد شـــائع بخلاف المعرف بأل . وليس هناك دليل على التفسير بالمعرف لذلك لجأنا الى اقل ما يحتمله اللفظ وهو النكرة اتباعا لقاعدة الأخذ بأقل ما قيل . ومع هذا فان صيغة الأمر مع كونها تدل على الواحد فانها تقبل العموم بدليل يقترن بهـــا مثل قول الله سبحانه : « وادعوا ثبورا كثيرا » . فانه لو لم يحتمل الكثرة التى تفيد التكرار لما صح الوصف بها.

ه ـــ القول بالتوقف ، وهؤلاء فريقان : التوقف للاشـــتراك بين هذه المعانى ، والتوقف للتردد فى افادة مطلق الطلب او المرة او التـــكرار . وقد جنح الغزالى ناحية التوقف اذ يقول : ان قول القـــائل صم يتردد بين المرة الواحدة واستغراق العمر وقد قال قوم هو للمرة ويحتمل التكرار ، وقال قوم هو للتكرار . والمختار ان المرة الواحدة معلومة وحصول براءة الذمة بمجردها مختلف فيه ، واللفظ بوصفه ليس فيه دلالة على نفى الزيادة ولا على اثباتها . وقياس مذهب الواقفية التوقف فيه لتردد اللفظ كتردده بين الوجوب والندب ، لكنى أقول : ليس هذا ترددا فى نفس اللفظ المشترك ، بل اللفظ خال عن التعرض لكمية المأمور به لكن يحتمل الاتمام ببيان الكمية وليس فى نفس اللفظ تعرض للعدد ولا هو موضوع لآحاد الأعداد كالمشترك (٧) .

ومفاد هذا الكلام أن الغزالى لم ينقل لنا فى افادة المرة أو التكرار الا ثلاثة أقوال : ان الأمر موضوع اصلا للمرة مع احتمال التكرار ، الثانى أنه موضوع للتكرار الثالث المتوقف بين افادة المرة وافادة التكرار ، وهذا التوقف مبنى على أن اللفظ خال من التعرض للكمية . وهو اختياره وناقش أدلة الآخرين .

والذى نتجه اليه فى ذلك اختيار رأى الجمهور القائل : بأن صيغة الأمر ليس فيها ما يدل على المرة ولا التكرار ومن البين ان المرة اقل ما يمكن أن يتحقق به الامتثال ويوجد الفعل المأمور به فلا بد منها ، فاقتضاء المرة ثابت بحكم الدلالة الالتزامية فالعقل يحكمبأن من لم يفعل المطلوب مرة واحدة لا يعد ممتثلا له .

ونحن اذا ما أردنا تحقيق الرأى فاننا اولا ننظر الى ما قاله الحنفية من قصر الخلاف فى هذا على القائلين بالوجوب بشيء من التحفظ ، ولا نرى ما يمنع من اعتباره فيما دل على غير الوجوب وخاصة اذا كانت مقيدة بما يدل على التكرار كبيان السبب والوقت فى مثل صلاة الضحى وسنن الصلوات الخمس ، ومثل حديث تسبحون وتحمدون وتكبرون ثلاثا وثلاثين مرة فانها كلها تتكـــرر بتكرار سببها وما ترتبط به من ازمنة مثل قوله تعالى : « كلوا من طيبـــات ما رزقناكم » وقوله : « فان خفتم فرجالا أو ركبانا » فالأمر فى الاولى للندب وفى الثانية لمجرد الاباحة وكلاهما يتكرر بتكرر سببه .

وانا نستبعد أولا القول بأنه يتم الامتثال بأداء الفعل مرة واحدة مع عدم الاحتمال لأنه قول ليس هناك ما يؤيده فاعتبار المأمور ممتثلا بدخول الدار مرة واحدة فى قولك : ادخل الدار . لا يفيد كون الأمر موضوعا للمرة من غير احتمال

---

(٧) المستصفى جـ ٢ ص ١ وانظر فى اصول كشف الاسرار جـ ١ ص ١٢٢ . والمنار وحواشيه ص ١٣٦ والمرآة ص ٣٧ والتوضيح والتلويح جـ ٢ ص ٦٨ وانظر المسودة لآل تيمية ص ٢٠ والاحكام لابن حزم جـ ٣ ص ٣١٦ وطلعة الشمس البهية فى اصول الاباضية جـ ١ ص ٥١ .

التكرار ومع أن هذا الرأى مناقض بأوامر كثيرة وردت فى نصوص التشريع تفيد التكرار أو احتماله على الأقل .

كما نستبعد ثانيا القول بأن مقتضى صيغة الأمر موضوعة بالاشتراك اللفظى لافادة كل من المرة والتكرار لما يؤدى اليه القول بالاشتراك من الابهام وضرورة احتياجه دائما للقرينة حتى قيل أن القول بالمجاز أولى من الاشتراك .

كما نستبعد القول بالتوقف للتردد . لأن للفظ دلالة وضعية . لكن ما ذهب اليه الغزالى من القول بأن المرة الواحدة معلومة وأن اللفظ بوصفه ليس فيه دلالة على نفى الزيادة ولا اثباتها فقريب من القول بالمرة مع احتمال التكرار ، وكلاهما قريب من القول بأنه لمجرد الطلب دون مرة أو تكرار وهو ما اتجهنا اليه .

وينبغى أن يكون فى الحسبان أن التعويل على القرائن أمر لا يمكن اغفاله ولا التغاضى عنه وان كل أوامر الشارع تحفها القرائن التى توجه الى قصد الشارع على أن النبى صلى الله عليه وسلم رسم الطريق فى تنفيذ أوامر الشرع فى قوله : « اذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » .

وعلى فرض وجود أوامر لم تقم عليها قرائن فان فعل الأمر بمادته وأصل وضع اللغة يدل على الحدث وبصيغته يدل على طلب ذلك الحدث من غير تعرض لما وراء ذلك . ومن الطبيعى أن التنفيذ لا يمكن أن يتحقق الا بايقاع الفعل ولو مرة واحدة . وهو مقتضى مذهب الجمهور وهو اختيارنا وقد عرضنا نصوصا كثيرة من القرآن والسنة وآراء الفقهاء فيها من ناحية ودلالتها على المرة والتكرار وذلك فى موضع آخر(٨) .

ثانيا ــ الأمر وافادة الفور أو التراخى :

كما اختلف الأصوليون فى افادة الأمر العرى عن القرائن المرة أو التكرار فانهم يختلفون أيضا فى افادته الفور والتراخى . غير أن القائلين بأن الأمر يقتضى التكرار المستوعب لأوقات العمر يقولون باقتضاء الفورية لا محالة لأن الوقت الذى يتجه فيه الخطاب من جملة الأوقات التى يستوعبها العمر بعد صدور التكليف فيجب المبادرة . ويستدلون بنفس الأدلة .

أما القائلون بأنه لا يفيد التكرار فانهم هم الذين يختلفون فى افادة ... أو التراخى ، ومن الواضح أن الخلاف لا يقع فى الأمر المقيد بوقـ... كالصلاة المفروضة وانما فى المطلق عن التقييد بوقت موسع أو مضـ... الكفارات وقضاء رمضان والصلوات ، كما أن الواضح من كلامهم أن ... قاصر على القول بافادة الأمر الوجوب . لكن آل تيمية كما فى « المسودة » (٩) ينفردون بأن الأمر اذا أريد به الندب اقتضى الفور كما يقتضيه الأمر اذا أريد به الوجوب .

والأقوال فى الأمر العرى عن القرائن من جهة دلالته على الفور والتراخى بعد ذلك أربعة نوجزها فى الآتى :

---

(٨) كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من صفحة ٢٨٠/٢٨٩ .

(٩) المسودة صفحة ٢٦ .

١ ــ قول بأنه لا يفيد شيئا من ذلك ويدل على مجرد الطلب دون تحديد زمن الفعل وان كان الأفضل المبادرة وهذا القول منسوب للشافعى وأصحابه . وهو اختيار كل من الغزالى والآمدى والبيضاوى من فقهاء الشافعية(١٠) .

٢ ــ قول يوجب الفور فى أول أوقات الامكان ، ومنهم من توسع فى هذا حتى شمل مجرد العزم على التنفيذ . وهذا القول منسوب للمالــــكية وبعض الشافعية والحنابلة . ونقله الآمدى عن الحنفية أيضا . لكن البزدرى الحنفى يقول : انه رأى بعض الحنفية(١١) .

٣ ــ قول بجواز التراخى : وقد نسب هذا القول الى الشافعية والمعتزلة وقال البزدرى : انه قول اكثر فقهاء الحنفية(١٢) .

٤ ــ التوقف : بمعنى أنه مشترك بين الفور والتراخى كما ينقل البيضاوى فى المنهاج . ومنهم من قصر التوقف على غير المبادر اذ المبادر ممتثل . ومنهم من تغالى فتوقف فى اعتبار المبادر ممتثلا (١٣) . . !! والنقل مضطرب فى نسبة هذه الأقوال الى المذاهب .

ويبدو من مسلك المتكلمين انهم لا يعتبرون التراخى قولا مستقلا وانما يدخل فى أنه لمجرد الطلب . وقد اختار اكثر الحنفية التراخى جوازا ، ويبدو من نقول الحنفية من القول بالتراخى والقول بأنه لمجرد الطلب . أن القصد من التراخى عدم الفورية والامتثال بالتراخى مما يجعل التراخى داخــلا فى القول بانه لمجرد الطلب . وقد صرح بذلك ابن السبكى والحلى . بينما يتجه آل تيمية الى أن القول بالوقف والقول بالتراخى شىء واحد وان كانوا ناقضوا انفسهم بعد ذلك فاعتبروهما قولين .

أما نحن فما زلنا عندما نراه من أن للقرائن قيمتها وميزتها فى دلالة الأمر فى جميع نواحيه واعتباراته ولذلك نستطيع أن نقول فى هذا المقام : ان مما لا ينبغى التوقف فى اعتباره أن صيغة الأمر موضوعة فى لغة العرب لمجرد طلب الفعل دون اعتبار لفور أو تراخ الا اذا وقع تقييد بذلك أو وجدت قرينة معنوية .

واننا نزيد استدلال القائلين بأن الأمر لمجرد الطلب بأن ذلك هو مقتضى الوضع اللغوى لصيغة الأمر كما أن مقتضى الوضع اللغوى لصيغة المــــاضى وصيغة المضارع مجرد الدلالة على وجود الماهية فى الزمن الذى تفيده الصيغة . واذا كان ذلك هو مقتضى الصيغة بالوضع اللغوى فإنه يتعين عندنا القول بأن الأمر المعرى عن القرائن لا يقتضى الا الامتثال دون اعتبار له من حيث صيغته لالفور ومبادرة ولا لتراخ وتأخير . وعلى ذلك فاننا نعتبر قول القائلين أن الأمر

---

(١٠) المستصفى جـ ٢ ص ٩ والاحكام جـ ٢ ص ٢٤٢ ، والمنهاج وحاشية الاسنوى جـ ١ ص ٢٧٥ .

(١١) كشف الاسرار جـ ١ ص ٢٥٤ ، وانظر المنار وحواشيه ص ٢٢٢ والمرآة والمرقاة ص ٣٨ .

(١٢) انظر المستصفى جـ ٢ ص ٩ وباقى كتب الاصول .

(١٣) انظر المغنى لابن قدامه فى الفقه الحنبلى جـ ٢ ص ٦٨٤ ، تخريج الفروع على الاصــول للزنجانى ص ٤٤١ ، فتح القدير على الهداية جـ ١ ص ٤٨٢ .

للتراخي على معنى جواز التراخي في تنفيذه ما لم تقم قرينة تدل على وجوب المبادرة أو التأخير قولا قريبا في معناه مما أيدناه واخترناه من أن الأمر لا يقتضي الفور ولا التراخي فهو في جوهره لا يختلف عنه في قليل أو كثير من الناحية التطبيقية .

ويقرب من هذين القولين في تقديرنا القول بأن الأمر من الناحية الشرعية يقتضي الفور أو العزم على الامتثال في وقت آخر فان معناه أن المكلف يسعه أن لا يبادر بالامتثال على شريطة أن يعزم على ذلك . وفيه من الاتجاه الفقهي أن العزم يصف صاحبه بصفة الامتثال وعدم العصيان . وقد جاء في كتب الفقه الحنفي أن المكلف اذا أخر الامتثال حتى أدركته المنية بغتة فانه لا يكون عاصيا الا اذا رأى من الامارات ما يفوت عليه الامتثال اذا أخره عن وقت الامكان ولم يبادر به قبل فوات الفرصة التي ظهرت أمارات فواتهـــا له ان لم ينفذ وهذا اتجاه فقهي ينفع في دائرة التطبيق .

والاستدلال بقول الله تعالى : « وســـارعوا الى مغفرة من ربكم » وما يشبهها كقوله : « سابقوا الى مغفرة » على الفورية غير مستقيم لأن المسارعة الى المغفرة والدعوة الى استباق الخيرات من توجيهات الاسلام العامة التي لم يدل دليل على انها تتصل بكل ما دعا اليه الاسلام من توجيهات وما أصدره الى المكلفين من الأوامر والنواهي . ولو كانت الأوامر كلها تقتضي الفورية بحسب أصل الوضع لكان في ذلك حرج ..

وقد عرضنا جميع الأدلة ومناقشتها ، كما عرضنا نصوصا عديدة من كتاب الله وسنة رسوله وبينا موقف الفقهاء على مختلف مذاهبهم من دلالة الأمر ومن ذلك أداء الزكاة امتثالا لقول الله تعالى : « وآتوا الزكاة » فالحنابلـــة كمـــا يقرر ابن قدامة على أنها تجب على الفور . وبهذا قال الشافعي . وهذا يتفق مع ما سبق ذكره من أنه اتجاه الحنابلة والشافعية في اقتضاء الأمر للفورية . وقال أبو حنيفة أن للمكلف حق التأخير ما لم يطالب لأن الأمر بأدائهـــا مطلق فلا يتعين الزمن الأول لأدائها وهذا يتفق مع ما نقل عنهم من أن أكثر الحنفية على أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور وانما يجوز معه التراخي . وجاء في كتب الشافعية ما يؤيد هذا وان كان الأسنوي ينقل أن المنسوب الى الشـــافعي وأصحابه أن الأمر المطلق لا يدل على الفور ولا على التراخي . وانما قالوا بالفورية في أداء الزكاة لقرائن خاصة هي كون التـــأخير يعرض حق الفقير للضياع وارتباط الزكاة بحاجة الفقراء ، وتروى كتب الحنفية أن الزكاة يجب اداؤها على الفور وقيل على التراخي لأن جميع العمر وقت الأداء ولهذا لا تضمن بهلاك النصاب بعد التفريط . ونص الكمال بن الهمام على أن المختار ان الأمر لا يقتضي الفور ولا التراخي .. وان القول بأداء الزكاة على الفور لقرينـــة خاصة وهي دفع حاجة الفقير وهي معجلة .

هذا وهناك مسائل أخرى تتصل بالأمر كالقول بأن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، وتعاقب الأمر وغير ذلك مما لا يتسع له هذا المجال وقد بيناه في كتابنا الأمر في نصوص التشريع الاسلامي ودلالته على الأحكام . ونرجو أن نكون قد استطعنا مع هذا الايجاز الشديد في العرض تبسيط الموضوع للقـــارىء . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

مائدة القارئ

لا تسبوا الأموات

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبر وهو فى طريقه الى الطائف ، فسأل أبا بكر عن صاحب هذا القبر ، فقال : هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص ، فغضب ابنه عمرو بن سعيد ، وقال : يا رسول الله ، هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للسهام من أبى قحافة ، فقال أبو بكر : يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : اكفف عن أبى بكر ، فانصرف ، ثم اقبل صلى الله عليه وسلم على أبى بكر فقال : يا أبا بكر : اذا ذكرتم الكفار فعمموا ، فانكم اذا خصصتم غضب الأبناء للآباء ، فكف الناس عن ذلك . — رواه ابو داود —

وقال صلى الله عليه وسلم : لاتسبوا الأموات ، فتؤذوا الأحياء .

(رواه الترمذى واحمد والطبرانى)

اليهودى لا يؤتمن

عن زيد بن ثابت قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال : انى والله ما آمن يهود على كتابى ، قال : فوالله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه ، فكنت أكتب له اليهم ، وأقرأ كتبهم اليه .

أخرجه البخارى
وأبو داود والترمذى

وصية

قال رجل لعبد الله بن المبارك : اوصنى :

فقال : اترك فضول النظر توفق للخشوع .

واترك فضول الكلام توفق للحكمة .

واترك فضول الطعام توفق للعبادة .

واترك عيوب الناس توفق لمعرفة عيوبك .

واترك الخوض فى ذات الله توق الشك والنفاق .

المــــــراء

المراء هو الحوار بين اثنين بكلام لا يقصد به الوصول الى الحق ، ولكن يراد به اللجاج والخصومة سواء كان فى السياســـة أو العلوم أو الآداب ، وأشدها المراء فى الدين ، فهو الذى فرق كلمة المسلمين وصدع جبهتهم ، وتركهم صرعى التحزب والطائفية .

يقول بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : خرج علينا رسول الله يوما ونحن نتمارى فى شىء من أمر الدين ، فغضب غضبا شـــديدا ، لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا فقال : مهلا يا أمة محمد . انما هلك من كان قبلكم بهذا .. ذروا المراء لقلة خيره .. ذروا المراء فان المؤمن لا يمارى .. ذروا المراء فان الممارى قد تمت خسارته .. ذروا المراء فكفى اثما الا تزال مماريا .. ذروا المراء فان الممارى لا أشفع له يوم القيامة .. . ذروا المراء فان ما نهانى عنه ربـــى فى الجنـــة فى رباضـــها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ... ذروا المراء فان ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء . (رواه الطبرانى —

وهـــج الســـنابك

كان عبد الله بن المبارك يجاهد بنفســـه فى ســـبيل الله ، ويحث المؤمنين على الجهاد ، ويفهمهم أن العبادة تحت ظلال السيوف خير من العبادة في محراب المسجد ، وكان صديقه الفضـــيل بن عياض يلازم الحرم للعبادة فكتب اليه هذه الأبيات :

يا عـــابد الحـــرمين لو أبصرتنا لعـــلمت انك بالعبـــادة تلعب
من كان يخضـــب خـــده بدموعه فنحـــورنا بدمائنـــا تتخضب
أو كان يتعب خيـــله فى باطـــل فخيـــولنا يوم الصبيحـــة تتعب
ريـــح العبير لكم ونحـــن عبيرنا وهج الســـنابك والغبار الأبيض

الشـــــــهادة

اراد رجل أن يشهد فى خلاف بين جماعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يتكلم نبهه الرسول الى خطر الشهادة ، وأمره برفع بصره الى السماء ، ثم سأله : هل ترى الشمس ؟ قال : نعم . قال : هل يسترها سحاب أو يحجبها حجاب ؟

قال : لا . فقال صلوات الله وسلامه عليه « على مثلها فاشهد » .

موقف الفكر الإسلامي

محمد مؤذن

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

تشهد المجتمعات الاسلامية الحاضرة تطورا ثقافيا وحضاريا سريعا . نتيجة بعث اسلامى جديد ، ثم نتيجة التقاء المجتمعات الاسلامية الحاضرة بمجتمعات أخرى غريبة عنها ، اثر عمليات الاستعمار والاستقلال ، ونتيجة الصراع العنيف الذى يدور ما بين المثل العليا فى كل من الجانبين .

ولما كانت هذه المجتمعات الاسلامية المعاصرة على درجة شديدة الهبوط من التخلف المدنى بالنسبة للمجتمعات التى انفتحت عليها فانها كانت على استعداد عظيم للأخذ عنها والاقتداء بها .

ومن هنا تتعرض عقائد المسلمين لخطر عظيم .

ففى الفلسفات الحديثة والمعاصرة من جدلية مادية ، وبراجماتية ووضعية ووجودية دعوات صريحة الى الالحاد .

وحول المنهج العلمى تنسج أوهام من الالحاد باسم انكار كل ما لا يخضع للتجربة ، وباسم النشوء والارتقاء والتطور الذاتى ، وباسم حتمية قوانين الطبيعة وعدم قبول المادة للفناء .... الخ .

وفى التنظيم الاجتماعى سحابات من الالحاد : إذ تقوم بعض الدعاوى فى هذا المجال على انكار الدين ، واعتباره طورا متخلفا من أطوار التقدم الاجتماعى أو إنكار دوره — على الأقل — فى عملية التنظيم الاجتماعى وقطع علاقته بالسياسة ، أو علاقته بالأخلاق .

وفى قضايا التشريع نزوع الى الالحاد : حيث يهاجم الدين فى نظرته الى الرق ، وإلى تعدد الزوجات ، وإلى قوامة الرجل على المرأة ، وزيادة نصيبه على نصيبها فى الميراث ، وفى عقوباته التى يقررها فى جرائم السرقة والزنا والقتل .

وفى تدوين التاريخ تيارات من الالحاد : حيث يقدم الاسلام على أنه نتيجة لصراع الطبقات ، ومظهر من مظاهر التطور الاقتصادى يصنف فيه الصحابة — والرسول من قبل — الى يمين ويسار ، ويقدم فيه رسول الله على أنه رسول لقيمة من قيم التطور الاجتماعى ، كالحرية أو غيرها من القيم الانسانية ، وتقدم

من الالحاد المعاصر

الأديان بعامة على أنها السبب الأصيل فيما حدث من حروب على مر التاريخ .

وفى أساليب التربية نزوع الى الالحاد : فالفرائض الدينية تخضع للحرية الفردية ، والحرية قيمة من القيم يعمل بها إزاء كل السلطات حتى سلطة الدين ، والتجربة أسلوب لتكوين الشخصية ، يمارس حتى بالنسبة للمحرمات ، والترفيه عن النفس وتفريغ الكبت الجنسى بالاختلاط أصل من اصول التوجيه التربوى .

وفى فنون الأدب إشارات إلى الالحاد : حيث توجه الاحتجاجات الصارخة ضد القدر ، وتصور بعض الشخصيات الروائية وهى تبحث عن الله بحثا مضنيا فاشلا ، وحيث تقدم شخصيات رجال الدين والشخصيات العادية المتدينة فى صورة ممجوجة ، تثير التهكم والسخرية ، وتقدم الأديان بعامة على أنها فشلت فى حل مشاكل الانسان .

وفى بعض البحوث الاسلامية (كذا) تطلعات إلى الالحاد : إذ ينكر دور السنة فى بيان العقيدة أو بيان الشريعة ، ويقدم القصص القرآنى على أنه نوع من الفن الروائى لا يعبر عن الواقع التاريخى ، وتدرس القراءات على أنها نوع من الاجتهاد البشرى ، وحيث تقوم الدعوة الى إغفال النصوص المتعلقة بالجزئيات والاكتفاء بالمبادىء العامة التى يرضى عنها العقل ، ولا تختص بدين من الأديان .

وفى تكييف العلاقة بين الاسلام والأديان الكتابية الأخرى تورط فى الالحاد حيث يسوى بينها جميعا فى الايمان بالله ، ويسوى بين الولى هنا ، « والقديس » هنــاك . . .

وتقف وراء تيارات الالحاد هذه منظمات ومؤسسات وقــــوى ، تتسم بالضراوة ، والحنكة ، والتنظيم الدقيق ، والعمل الدائب ، والكراهية العميقة للاسلام بخاصة .

ولا أظننى مبالغا ــ قيد أنملة ــ فى تصوير هذا الواقع الذى يترصد عقائد المسلمين ــ فى عصرنا الراهن ــ من شتى الاتجاهــات ، ومختــلف الجبهــات .

بل أعتقد أن هذا التصوير ينال تصديق جميع المسئولين عن حركة الفكر

الاسلامى الحديث مهما تختلف مواقفهم من كيفية التصدى لهذا الخطر الداهم الذى يهدد عقائد المسلمين بجدية وعنف .

فإذا أردنا تصوير مواقف هؤلاء وجدنا أنفسنا إزاء موقفين الأول : ينادى بمنهج تربوى إسلامى يقوم على تربية المسلم على اساس التسليم المطلق بأصل الاصول فى العقيدة الاسلامية ، ومن ثم يصير المسلم إلى التسليم بالأصول الأخرى ، وبالتفاصيل والجزئيات تسليما تبعيا لا يقبل المناقشة ولا يحتملها ولا يصغى اليها ... ولا حاجة به بعد ذلك الى علم يقوم بعبء المناقشة والجدل . ومن هنا ينكر أصحاب هذا الموقف أصالة قيام علم الكلام فى الماضى وشرعيته ، كما ينكرون أصالة استمراره فى العصر الراهن وشرعيته كذلك .

الثانى : ينادى بالرجوع إلى علم الكلام القديم والاستناد إليه فى محاربة اشكال الالحاد الحديث ، باعتباره العلم الذى قام بهذه المهمة فى الماضى ، ومن ثم كان قادرا على القيام بنفس المهمة فى الحاضر والمستقبل ، وقديما أرجع الشهرستانى الشبهات التى حدثت فى مراحل الحياة الانسانية إلى زمن موغل فى الماضى .. الى إبليس (١) ، فلا جديد هناك !!

والذى أراه أن كلا الفريقين مغرق فى التفاؤل ، وأن التصدى لتيارات الالحاد الحديث التى وصفنا بعض جوانبها يحتاج الى يقظة أشد ، وإلى نظرة أعمق واشمل .

ونناقش أصحاب الموقف الأول فنقول لهم ما قاله الامام أبو حنيفة رضى الله عنه فى هذا الشأن فى حواره بين العالم والمتعلم : (قال المتعلم : رأيت اقواما يقولون لا تدخلن هذه المداخل ، فإن أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لم يدخلوا فى شيء من هذه الأمور ، وقد يسعك ما وسعهم ... وجدت مثلهم كمثل رجل فى نهر عظيم يكاد أن يغرق من قبل جهله بالمخاضة ، فيقول له آخر : اثبت مكانك ولا تطلبن المخاضة . قال العالم : قل لهم : بل يسعنى ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم وليس بحضرتى مثل الذى بحضرتهم ، وقد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطيء منا والمصيب وأن لا نذب عن أنفسنا وحرمنا ، فمثل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح ... مع أن الرجل إذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف فيه الناس وقد سمع ذلك لم يطق أن يكف قلبه .) ، وبقية النص يبين فيه الامام ابو حنيفة أن الرجل منا إذا كف نفسه ولم يبال أن يعرف من المخطيء ومن المصيب وسط الشبهات الحائمة والجدل الدائر وقع فى أمور ، منها الجهالة ، ومنها نزول الشبهة به كما نزلت بغيره لا يدرى كيف يخرج منها ، ومنها أنه لا يدرى من يحب فى الله ومن يبغض فى الله من هؤلاء ... ، أما اذا عرف الرجل الحق والعدل ، وامتنع عن أن يعرف ما به غيره من الباطل والجور فإن أبا حنيفة يصفه بأنه اجهل الأصناف كلها ويسخر منه إذ يمثل له بجماعة : (... أربعة نفر يؤتون بثوب أبيض فيسألون جميعا عن لون ذلك الثوب فيقول واحد : هذا ثوب أحمر ، ويقول الآخر : أصفر ، ويقول الثالث : أسود ، ويقول الرابع : أبيض

فيقال له : ما تقول فى هؤلاء الثلاثة أصابوا أم أخطأوا ؟ فيقول : أما أنا فقد أعلم أن الثوب أبيض وعسى أن يكون هؤلاء قد أصابوا . . .) (٢) .

أما عن المنهج التربوى الذى ينادى به أصحاب هذا الاتجاه فإنه لا اعتراض عليه من أحد ، وهو لا ريب أساس يجب أن يسبق أية محاولة أخرى ، لكنه من الواضح أنه يستهدف تربية المسلم ، وليس الدفاع عنه ، ونحن اذا أخذنا بالناحية الايجابية وحدها فى تربية المسلم وتغافلنا عن النواحى السلبية التى لا بد من أن تتسرب اليه من أعداء دينه — وهم فى العصر الحاضر أطول باعا وأقوى أسلوبا وأحكم تدبيرا — نكون مثاليين الى درجة لا يسمح بها الواقع الذى نعيشه ، بل انه لم يسمح بها واقع المسلمين فى عصر نشأة علم الكلام — فى القرنين الأول والثانى — وهم إذ ذاك أقرب منا إلى عصر النبوة ونورها . ان نصرة الدين بالدفاع عنه فى كل مجال من مجالاته ضرورة نواجه بها أعداء الدين ، ونقطع الطريق على المسارب الخفية التى تتسلل إلى المسلم الذى نحاول تربيته على الاساس الذى ذكروه ، وتستهدف الانحراف بالحضارة الاسلامية التى نرجو أن تظهر على الأفق إثر فجر قريب .

إن أصحاب هذا الاتجاه يصدرون عن نظرة مثالية — أيضا — إلى علم الكلام القديم إذ يرون اضطرابه وقصوره وآثاره التى تكاد لا تمحى فى إحداث المذاهب وترسيخ التفرق ، وإثارة الشبهات ، وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم ، واثارة الجدل فى أمور لا مكان لها فى جوهر العقيدة الاسلامية ، أولا سبيل للعقل إلى إدراك حقائقها (٣) .

ونقول لهم : مهلا ورفقا .

إننا نطلب اليهم انصاف هذا العلم بدراسة الظروف التى نشأ فيها والتى اجبرته أن يكون على ما كان عليه ، لقد غلب الجانب الجدلى على علم الكلام القديم ، وتلون فى جانبه ذاك بضرورات عصره ، ولم يكن ذلك راجعا الى طبيعة هذا العلم — فى صورته النظرية — بقدر رجوعه الى ما كان يموج فى البيئة الاسلامية من تحديات الفلسفات والعقائد المناوئة ، على اختلاف أنواعها ، فى صورها المستترة والمعلنة على السواء . لقد أرغمت هذه التحديات متكلمى الاسلام على توجيه أنظارهم الى المباحث التى يدور فيها الاحتكاك بين الاسلام وبين تلك العقائد . ولقد كان لهذا العلم فى هذا المجال هدف جليل يتمثل فى المحافظة على عقائد المسلمين ، وكان عليه أن يواجه فى هذا الموقف أعتى أعداء الاسلام وأخطرهم وأقواهم سلاحا وأشدهم تمكنا وأكثرهم تحالفا ، وأوسعهم تنوعا . وإن المرء ليكاد يؤخذ من هول تصوره لما كان يمكن أن يحدث لو أن الهجوم المعتدى الذى تعرض له المسلمون قديما على عتوه وجبروته وجد بين المسلمين فراغا أو التقى فيهم بالمواقف السلبية ، لقد قام علم الكلام القديم — إذ ذاك — بمسئوليته الايجابية ، وبعبء الدفاع عن عقائد المسلمين ، وقد قام بذلك على خير وجه ممكن فيما أعتقد ، يحتم علينا — من الناحية الواقعية — اغضاء الطرف عما اضطر اليه أو علق به ، فى سبيل تمكنه من قيامه بهدفه الدفاعى الاسمى .

انه عن طريق علم الكلام القديم دفع المسلمون الأوائل ثمن احتفاظهم بعقائدهم ونقلها الينا سليمة معافاة ، وان كان هذا الثمن اقتضاهم ما حدث هناك من تفرق وجدل ، لكنه على أية حال كان ثمنا محتوما لا بديل منه الا الاستسلام الكامل للغزو الفكرى العنيف الذى لم يكن يقنع بغير أن يجتث عقائدهم من جذورها .

إنه اذا أخذنا على علم الكلام القديم أنه لم يكن قاصرا على ما كان يجب ان يقصر نفسه عليه من استيحاء القرآن والسنة وحدهما ، فان المرء لا يكون منصفا أو مدركا لطبائع الامور اذ يغفل عن العوامل الاخرى التى كانت هناك ، ولم يكن لعلم الكلام أن يغفلها او يتجنبها ، ولو أمكنه ــ تعسفا ــ لما كان وفيا لحال المجتمع الاسلامى ــ اذ ذاك ــ فكريا واعتقاديا ، ولا نفصل عن حياة المسلمين ، ولا نحرف المسلمون الى حال يستوردون فيها المذاهب من خارج ، ويضعون عليها أسماء محلية كما فعلت ــ وتفعل ــ المجتمعات فى أطوار تأخرها وانحلالها .

انه لو فعل ــ وتجنب العوامل التى تفعل فعلها فى الفكر السائر آنذاك ــ لصار الى علم يدرس بين جدران الفصول ، وانعزل عن المجتمع ، وفقد تأثيره القوى فيه ــ كما هو حاله اليوم ــ وذلك المصير كان من شأنه أن يحفظ عليه نقاءه ، لكنه على وجه التأكيد كان من شأنه أن يقع به فى وهدة الجمود ، ويطوح به فى صحارى العزلة ، ويقعد به عن القيام بهدفه الذى لا يقوم به غيره ، الا وهو شرح العقيدة والدفاع عنها بلغة من يخاطبهم من الناس .

انه لا مكان للكلام عن امكان استغناء المسلمين القدماء عن علم الكلام القديم والاستدلال على هذا الامكان باستغناء الصحابة عنه فى عصرهم وقد (كانت طاعتهم أجل ، وقلوبهم أسلم ، وصدورهم أطهر ، وعلمهم أوفر . .) كما يقول السيوطى رحمه الله (٤) ، ذلك ان الأمر لم يكن يدور حول هذه الصفات التى كانت للصحابة رضى الله عنهم بقدر ما كان ضرورة من ضرورات بيئة ثقافية ، وتطور علمى ، ومزيج معين من الأفكار والمعارف والأوضاع الحضارية ، خلا عنه عصر الصحابة ، وحل فى عصر لاحق . . . فكان لا بد من أن ينشأ علم الكلام وينمو ، ليقاوم العقائد والأفكار المعادية والمناوئة ، والتى وجدت مناخها المناسب فى آفاق النظام الاجتماعى الاسلامى نفسه !! حيث تطلع شمس المساواة ويتجلى نور التسامح ، ولم يكن هناك بديل لقيام هذا العلم الا بأن تغرب هذه الشمس وينطمس ذلك النور ، ويقع المجتمع فى وهدة الاضطهاد الدينى ، وليس بذاك كان انتشار العقيدة الاسلامية نفسها ، ولا بذاك يكون استمرارها . ويكفى أن نستعرض جهود خصم عنيد وقف للعقيدة الاسلامية فى مهدها كل مرصد ــ الا وهو المسيحية ــ لكى نحس احساسا صادقا أن فى استمرار المسلمين على عقيدتهم بعد دخولها فى معارك ضارية معه دليلا واقعيا على وفاء هذا العلم بالدور الذى كان مطلوبا منه اسلاميا .

إن الامام الغزالى الذى ينظر اليه على أنه قائد الحملة على الفلسفة وعلم الكلام يترك لعلم الكلام منطقة عمل لا ينكرها عليه اذ يقول « والكلام من جملة

الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع ، كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار الحراس فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق .. » (٥) ..

هذه كلمة إنصاف لعلم الكلام فى ماضيه ، فى عصر حيويته ، ولكنها لا تعنى استمراره على صورة ثابتة ، من الصور التى جمد عليها فى عصر معين فى مذهب معين ... فى مسائله ، وأدلته ، ومنهجه ، كما يريد أصحاب الموقف الثانى .

وهل يعنى استمرار علم الطب ـ مثلا ـ استمرار صورته التى تركه عليها بقراط ، أو ابن سينا ؟ فنظل نلوك نفس المسائل ، ونفس الأدلة ، ونسلك نفس المنهج ؟ إنه لا يقول بذلك احد ـ بداهة ـ يريد للعلم استمرارا حقيقيا . إن العلم لا « يستمر » اذا فقد حيويته .

انه لكى « يستمر » العلم لا بد من أن يشارك فى صنع الحياة ، أو توجيهها يؤثر فيها ، ويتلقى عنها ، ويلتحم بأحداثها . وهنا لا بأس من أن تسقط عنه بعض مسائله ، وان تدخل إليه مسائل أخرى ، وان يستغنى عن بعض ادلته ، وان يستعمل أدلة مبتكرة ، وان يهمل منهجا ليسلك منهجا جديدا ، وانه يهجر أسلوبا فى الصياغة ليقبل على أسلوب آخر . وعلم الكلام لا يمكن أن « يستمر » الا على هذا النحو ..

اننا نخدع أنفسنا اذا توهمنا له « الاستمرار » لمجرد أنه لا يزال يدرس فى بعض الكليات أو الأقسام الجامعية المتخصصة .

وعلم الكلام لا بد أن « يستمر » لمواجهة تيارات الالحاد المعاصر التى وصفناها فى أول هذا المقال .

ونحن نخدع أنفسنا ـ مرة ثانية ـ اذا توهمنا له ـ فى صورته التى تدرس حاليا والتى جمد عليها منذ القرن الثامن الهجرى على أكثر تقدير ـ القدرة على مواجهة تلك التيارات ..

إننا نلاحظ مع الأسف الشديد أن الذين يواجهون هذه التيارات الآن هم احد فريقين : اما افراد من غير المتخصصين ، من القادة السياسيين أو من دعاة الاصلاح ، أو من الأدباء ، أو من العلماء المتخصصين فى غير العلوم الاسلامية . واما أفراد من علماء الاسلام المتخصصين فى العلوم الاسلامية ولكنهم اذ يفعلون يقدمون بحوثهم تحت عناوين لا تنتمى الى علم معين من شجرة العلوم الاسلامية، وصار يطلق على هؤلاء جميعا ـ إذ يفعلون ذلك ـ أسماء تعبر عن أزمة الفكر الاسلامى إزاء هذه التحديات ، يسمى بعضهم تارة « مفكر اسلامى » ، وتارة « باحث اسلامى » وتارة « فيلسوف اسلامى » ، وتارة « مصلح اسلامى » ، ولا يقال : « فقيه » ، أو « متكلم » ، أو « حافظ » أو « مفسر » ... الخ ومعنى هذا أن هناك فراغا فى ثبت العلوم الاسلامية ازاء تحديات العصر ، وان فرع التخصص فى شجرة العلوم الاسلامية الذى يواجه تيارات الالحاد المعاصرة ـ على تنوعها وتشعبها وظهورها وتسترها ـ لا يمكن أن يتمثل فى علم الكلام فى أية صورة من صوره التاريخية الجامدة منذ قرون . أننا ننكر ان البحث الدءوب فى تراثنا الكلامى يمكن أن يضع أيدينا على أسس فكرية صالحة

للتنمية والاستثمار فى مواجهة بعض تيارات الالحاد المعاصر ، فى بعض القضايا التى تتعلق بحقيقة الوجود ، والالوهية ، والنبوة على سبيل المثال ، ولكن يجب ان نقرر هنا انه لا بد من أن نراعى طريقة طرح هذه المسائل فى الثقافة المعاصرة، واسلوب معالجتها ، وأن نعيد النظر فيما نجده صالحا فى علم الكلام ، لنصل به الى ان يكون متوافقا مع اهتمامات العصر وطريقة تناوله للأمور .

ويكفى أن نضرب لذلك أمثلة : من قضية وجود الشر فى العالم التى يطرحها العصر الحديث من زاوية يتأدى بها الملحدون الى انكار وجود الله ، ومن قضية وجود المادة ، واصل وجودها ، وهى قضية تطرح من زاوية تتعلــق بالعقائــد الدينية ، والاخلاق ، والاقتصاد على السواء . ومن قضية طبيعة العقل ، وطبيعة المعرفة ، ومناهج البحث وهى قضايا تنتهى الى قرارات تمس العقيدة ايضا .

هذه أمثلة لمسائل شتى يطرحها العصر الحديث من زوايا تختلف كثيرا عن الزوايا التى تناولها منها علم الكلام ، وكان له فيها اجمال حيث يقضى العصر بالتفصيل ، أو كان له فيها تفصيل يكتفى فيه العصر بالاجمال ويظل العصر بعد ذلك غير قانع بما وقفت عنده أقلام الكاتبين فى القرن الثامن الهجرى .

على اننا يجب أن نقرر أيضا أن علم الكلام ــ كما نجده فى صورته الثابتة التى تدرس بالمعاهد والكليات ــ وجه اهتمامه الى دائرة من المسائل النظرية ، لم يجاوزها الى بحث كثير من المسائل العملية التى تتصل بالعقائد بطريق مباشر أو غير مباشر ، كما كان شأنه فى أوائل نشأته ، اذ يصوره لنا الفارابى فى تعريفه لهذا العلم بقوله (صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويــــل) . (٦)) .

اذ ذاك كان علم الكلام يعنى بكل ما صرح به فى الدين ، ويراه جديرا بأن ينتصر له ، لأن إنكاره يعنى انكار الدين نفسه ، ومن ثم يؤدى الى المروق من عقيــدة الاسلام ، وليس ثمة علم ينتصر للعقيدة غير علم الكلام .

بهذا المفهوم الواسع لعلم الكلام ــ الذى نرى أنه ينبغى العودة اليــه تمشيا مع أهداف هذا العلم ورسالته ــ تضاف اليه مسائل حيرى تثيرها موجات الالحاد المعاصرة مما شرحناه فى أول المقال ، ويصبح علم الكلام مسئولا عنهــا .

هذا تطوير يجب أن يتم فى مسائل علم الكلام ، لكى يقــوى على مواجهــة الالحاد المعاصر مواجهة فعالة شاملة .

وهناك مشكلة المنهج ، التى لم تستقر فى علم الكلام القديم ، ويجب عليه أن يواصل بحثه لها وتطويره اياها ، لكى يتجنب الفوضى والاضطراب والتمزق والتناقض ، الأمر الذى كانت الفرق المتناحرة صورته المعبرة ، وكــان منشؤه الأصيل ــ فيما أرى ــ غياب المنهج الواضح ، الذى يبين العلاقة بين النص والعقل باعتبارهما ركيزتين ضروريتين لنشاط هذا العلم . فإنه لا أحد يدعو ــ فى علم الكلام ــ الى إغفال النص ، والا لما تردد العلماء والمسلمون قاطبة فى ابطال دعوته وإسقاطها ، ولا أحد يدعو الى اغفال العقل كلية ــ لا فى دائرة علم الكلام ولا فى خارجها ــ ولو فعل أحد ذلك لما وجدت أذن تصغى لكلامه أو تلتفت

اليه ، ولكن المشكلة كانت — ولا تزال قائمة — فى ضرورة الأخذ بهما مع غموض فى طبيعة العلاقة التى يجب أن تقوم بينهما وحدودها ، ولقد كان هذا الغموض وما يزال مصدرا لكثير من المشاكل التى اجهدت هذا العلم ، ووقفت به ، وافقدت الثقة فيه ، وأتاحت للالحاد أن يضع بيضه ويفرخ ..

وخلاصة القول ..

اننى أجد أن المسلمين اليوم بحاجة إلى قيام علم يقوم بمهمة حراسة العقائد الاسلامية والتمكين لها فى النفوس .

وأن علم الكلام الذى نجد صورته الثابتة عند الايجى والتفتازانى لا يمكنه — بصورته تلك — أن ينهض للقيام بهذه المهمة ، وسبب ذلك أنه غريب على التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة وأنه انعزل عن المجتمع وانحصر الى قاعات الدرس بالمعاهد المتخصصة ، وصار يردد قضاياه الأصيلة دون أن يعنى بالتيارات الالحادية التى تموج فى حياة المسلمين فى العصر الحاضر .

وأن علم الكلام يجب أن يخرج من صورته الثابتة تلك ، ليتحقق له الاستمرار ليتمكن من القيام بمهمته الخطيرة فى مواجهة تيارات الالحاد العصرية فى ميادينها المختلفة ..

والسبيل الى ذلك — فى رأيى — ينبغى أن يبنى على تحديد علاقة هذا العلم بالجوانب الرئيسية التالية : المنهج أولا ، والحضارة ثانيا ، وطالب العلم ثالثا .

(أ) جانب المنهج . من حيث الارتباط الذى ينبغى أن يقوم بينه وبين كل من النص أولا ، والعقل ثانيا ، والوجدان ثالثا ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم رابعا .

وفى هذا الجانب أرى أن يخط علم الكلام خطته التالية :

١ — أن يوجه عناية اكبر الى دراسة مسائل العقيدة كما وردت بالكتاب والسنة ، يستوحى فيها النص فى بساطة بعيدة عن تعقيدات المذاهب التى فرضتها ظروف ثقافية ربما كان عصرنا منصرفا عنها .

٢ — أن يوجه عناية أكبر الى الاستدلال على العقائد عن طريق دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ — أن ينهج فى تقرير مسائله منهجا يستهدف الاقناع بوسائله العقلية والوجدانية على السواء .

٤ — أن يفسح للنزعة العقلية اوسع مجالات النشاط — كضرورة تحتمها الطبيعة الانسانية — على أن يسترشد فى ذلك بمبدأين :

الأول : أنه ليس من حق العقل أن يرفض أصلا من أصول الدين يدخل فى دائرة الامكان الذهنى (٧) ..

الثانى : ألا يتخذ شيئا مما وصل اليه العقل باجتهاده أصلا من أصول الدين ما لم يتأيد بنص صريح فى الدين ، وانما يتناوله على سبيل المباحثة والاختبار فحسب .

(ب) جانب الحضارة والتاريخ والمجتمع . من حيث الارتباط الـــذى ينبغى أن يقوم بينه وبين كل من هؤلاء .

وفى هذا الجانب أرى أن تحتوى خطة علم الكلام على النقاط الآتية :

١ ـــ توجيه العناية الى ما يدور فى البيئة من أفكار ونظريات وفلسفات والمشاركة فى صنعها ، أو العمل على توجيهها اذا ما تبين انها تمس أصـــول الدين .

٢ ـــ توجيه العناية الى المسائل ذات الصبغة العملية إذا ما تبين انها تمس أصول الدين كذلك .

٣ ـــ توجيه العناية الى قيادة التطور الحضارى للأمة الاسلامية باعتبار أن العقيدة الاسلامية هى أساس هذه الحضارة وعنوانها .

(جـ) جانب شخصية طالب هذا العلم . من حيث مستواه الـــدينى والعقلى والنفسى والثقافى .

ومن هنا ينبغى أن يحتاط فى اختيار طالب علم الكلام ، ويوجه توجيهـــا نفسيا وعقليا على مراحل مدروسة دراسة تربوية دقيقة تجعله على استعداد للخوض فى مسائله دون أن يتعرض لنوع من الاضطراب أو الشك .

هذه هى الخطة التى أراها « لاستمرار » علم الكلام ، لكى يقوم بمهمته فى مواجهة الالحاد المعاصر .

وبالله التوفيق .



---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى هـ ١ ص ٢٣ ـــ ٢٧ طبعة بدران . عام ١٩٥٦ .

(٢) انظر العالم والمتعلم لابى حنيفة (ص ٦ ـــ ١٠)

(٣) انظر هذه الاتهامات فيما ذكره الامام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين هـ ١ ص ٧٢ .

(٤) انظر كتابه صون المنطق ص ١٥٤ طبعة مجمع البحوث الاسلامية .

(٥) انظر احياء علوم الدين هـ ١ ص ٣٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٦) احصاء العلوم ص ١٠٧ .

(٧) الامكان الذهنى : أن يعرض الشىء على الذهن فلا يعلم امتناعه ، فيقول : يمكن هذا لا لعلمه بامكانه ، بل لعدم علمه بامتناعه .

الوحدة الاسلامية

بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة الاسلام وهي هدى الله للانسانية جمعاء ، فكان من صحابته الاوائل الذين استجابوا للدعوة في بكورها ، بلال الحبشي وصهيب الرومي ، وكون الرسول من صحابته هؤلاء على اختلاف اجناسهم جماعة واحدة قامت على اكتافها أعباء الرسالة الاسلامية .

ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وحد بين أهلها من الاوس والخزرج ، كما وحد بين المهاجرين والانصار . فنشأت الدولة الاسلامية بالمدينة ، على أكتاف هذه الجماعة الاسلامية الموحدة ، فكانت الوحدة منهج هذه الدولة ، وقوامها ، ولم يكن يعكر صفو هذه الوحدة أو يهدد كيانها غير مؤامرات اليهود ودسائسهم ، فكان اجلاء الرسول لهم عن المدينة درسا خالدا لأمته يتعلمون منه ان اليهود مصدر خطر دائم على وحدتهم وان التخلص منهم واجلاءهم عن الارض العربية ضرورة لقيام هذه الوحدة واستمرارها مع ضرورة مفروضة عليهم يسعون اليها بالجهاد وبكل وسائل الكفاح .

لم يرحل الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الاعلى ، الا وقد توافدت عليه قبائل الجزيرة العربية من الشمال والجنوب والشرق والغرب تبايعه على التوحيد وتتوحد تحت راياته .

ولم تنقض خلافة الراشدين الاربعة — رضى الله عنهم — الا بعد أن وحدت بين مختلف الاجناس فى شرق الدولة الاسلامية وغربها .

فالوحدة أساس قيام الدولة الاسلامية .. وسر قوتها ، واستمرارها .

وكما أن الوحدة قوة للمؤمنين ، فهى سند ايمانهم وركيزتهم يدعون اليها حين يدعون الى عبادة الله الواحد .

« ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

« انما المؤمنون اخوة » .

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » .

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا انى بما تعملون عليم ، وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وعندما دعا الله سبحانه المسلمين الى الجهاد دعاهم اليه باعتبارهم وحدة جامعة : **« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .**

وترتبط وحدة الامة الاسلامية بأسس الاسلام فى العقيدة والشريعة والأخلاق جميعا .

فى مجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة باتجاه المسلمين الى عبادة الله وحده لا شريك له .

فقلوب المسلمين تتجه بكليتها الى وجهة واحدة وهى عبادة الله الاحد الذى لا ولد له ولا صحابة ولا حاشية ، الذى له الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . الذى لا فضل عنده لعربى على عجمى ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى .

هذه القلوب المخلصة للوجهة الواحدة ، يربيها الاسلام على الوحدة تربية لا نظير لها فى عقيدة أخرى .

وفى مجال الشريعة ترتبط هذه الوحدة بالتزام المسلمين بنظام تشريعى واحد مصدره الله الواحد الأحد (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » .**

هنا تقوم معيشة المسلمين ، ويقوم نظام حياتهم على اسس ومبادىء موحدة فى جميع المجالات التى لا يشملها التشريع ، فى نظام الدولة ، ونظام الأسرة ، فى نظم الحياة الاقتصادية ، فى نظم العلاقات الاجتماعية وغيرها .

وفى مجال الاخلاق ترتبط هذه الوحدة بتربية المسلمين وفقا لمبادىء وأسس أخلاقية ثابتة موحدة : فى الاخوة ، والرحمة ، والعدل ، والشجاعة ، والكرم وغيرها من أمهات الفضائل والقيم الاسلامية التى وضحها الكتاب ، ووضحتها السنة وصارت دستورا لاخلاق المسلم ، فى أى بقعة من بقاع الارض وفى أى فترة من فترات التاريخ .

وان المنهج الذى يرشد اليه الاسلام لتحقيق هذه الوحدة بسيط بساطة الأسس التى تقام عليها .

يتمثل هذا المنهج فى قوله تعالى : —

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

اذا فزع المسلمون الى حبل الله وشريعته ، اذا اعتصم المسلمون بهذا الرباط الموصول بينهم وجدوا أنفسهم على طريق واحد وعلى مسيرة واحدة ، وعلى مقصد واحد ولا يبقى بعد الا شكل يختار لها ، شكل يدعو اليه الواقع أو يفرضه ، فهو سهل التطبيق .

ان منطلق هذه الوحدة ومسلكها يقوم على الالتحام الصادق بالعقيدة الاسلامية التحاما لا يتيح فرصة أو يترك ثغرة لتطفل التيارات الغازية التى تصدر الى المجتمعات الاسلامية هادفة تنحية الاسلام من قلوب المسلمين وأفكارهم .

والالتحام بالعقيدة مظهره تحكيم شريعة الله فى كل شئوننا فنطبق حدوده .. ونلتزم بما أمر به ، وننتهى عما نهى عنه ، بحيث يبدو المجتمع المسلم تجسيدا حيا للاسلام فى عقيدته وشريعته .

ونحب أن نوجه نظر اؤلئك الذين يظهرون التخوف أو غير صادقين الى أن تطبيق الحدود الاسلامية التى شرعها الله محوط بأقوى ضمانات التطبيق فى شريعة الاسلام .

ثم أن تطبيق هذه الحدود من شأنه أن يجفف منابع الاثم والتجارب فى بعض الدول الاسلامية التى التزمت بتطبيق حد السرقة خير شهيد .

واننا نرى اليوم وفى الثلث الاخير من القرن العشرين فى بعض البلاد صاحبة النفوذ حكومات جعلت الاعدام عقوبة تطبق على السارق .

على أن الأمر من قبل ومن بعد هو تحتم الاستجابة الطيعة لتطبيق تعاليم الاسلام ومقرراته ، دون هوادة أو تراخ ، لان ذلك مظهر الانتماء الصادق لهذا الدين .

واذا كان لا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض فانه يجب أن تغطى تعاليم الاسلام كل جانب من جوانب حياتنا : تربويا ، وقانونيا ، وثقافيا واعلاميا واقتصاديا ، وسلوكيا ، فلا يكون فى أى جانب من حياتنا ما يجافى الاسلام أو يخرج عليه ، لانفرط فى ذلك ولا نقصر دون بلوغ الغاية .

هذه هى ضرورة الوحدة فى الاسلام .

وهذا هو منهج الاسلام الى الوحدة ، وفضلا عن ذلك فلقد أصبحت اليوم ضرورة حياة للمسلمين فى مشرق الارض ومغربها .

اننا فى عصر تفرقنا فيه فتداعت الينا الامم كما تداعى الأكلة الى قصعتها وتوزعنا الاقوياء شيعا وأتباعا ، وصرنا نتلمس الرضا من كل جانب ، وانه لا نجاة لنا ولا عصمة ولا نصر الا بوحدة تجمعنا على حبل الله .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

كانت الوحدة سر قيام هذه الأمة ، وسر قوتها ــ والآن تصبح هذه الوحدة سر استمرارها ونجاتها : وانه لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

دكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث

الاقتصاد الاسلامي وماهيته

للدكتور محمد شوقى الفنجرى

تعلو الأصوات بالتزام تعاليم الاسلام فى مختلف نواحى الحياة سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية .

على ان مثل هذه الدعوة ، تصير أمرا هباء مالم تبذل الجهود فى ابراز تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية بروح العصر ، ومالم نبين كيفية أعمالها وتطبيقها بما يحقق مصالح المجتمع المتغيرة .

انه منذ أغلق باب الاجتهاد فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، عطلت المبادىء الاسلامية عامة والاقتصادية خاصة عن مواجهة حاجات المجتمع المتغيرة ، اذ لم يعد العلماء فيما يعرض لهم من وقائع جديدة يرجعون الى المصادر التشريعية الاساسية لاستنباط الاحكام من نصوص القرآن والسنة ، وانما يرجعون الى اجتهادات الائمة السابقين فيلزمون الناس بها .

واذ ننادى اليوم بالعودة الى تعاليم الاسلام ، وبضرورة تطبيق مبادئه واسهام الاقتصاد الاسلامى خاصة فى حل مشاكل العالم ، فانه يتعين علينا قبل ذلك ان نبين بوضوح هذه التعاليم ، وان نفتح باب الاجتهاد فى كيفية أعمالها وتطبيقها بما يحقق مصلحة كل مجتمع بحسب ظروف الزمان والمكان . وحينئذ بدلا من ان نحاول فرض تعاليم الاسلام بالتمنى والكلام ، ستتمكن هذه التعاليم الالهية من أن تسود لا العالم الاسلامى فحسب ، ولكن العالم أجمع اذا ما فهمت على حقيقتها باعتبارها طوق النجاة وسبيل الامن والسعادة للبشرية جمعاء .

وفى المجال الاقتصادى جاء الاسلام — منذ اربعة عشر قرنا — بمبادىء واصول معينة ، تنطوى على سياسة اقتصادية متميزة . وقد جرى تطبيق هذه المبادىء وتلك السياسة فى عهد الرسول بدقة ، والتزم بها الخلفاء الراشدون كما ارتبط بها حكام وائمة المسلمين بدرجات متفاوتة ليس هنا مجال الحكم عليها .

فالاقتصاد الاسلامى هو مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التى نستخرجها من القرآن والسنة ، والبناء الاقتصادى الذى نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر . فهو بذلك ذو وجهين :

أ — وجه ثابت الأصول أو المذهب :

وهو عبارة عن مجموعة المبادىء والاصول الاقتصادية التى جاء بها الاسلام فى نصوص القرآن والسنة ، ليلتزم بها المسلمون فى كل زمان ومكان . ومن قبيل ذلك قوله تعالى « واحل الله البيع وحرم الربا — البقرة / ٢٧٥ » ، وقوله تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن — النساء / ٣٢ » ، وقوله تعالى « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل — الاسراء / ٢٦ » ، وقوله تعالى « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم — الحشر / ٧ » . ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وقوله « تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » ، وقوله (اذا بات مؤمن جائعا فلا مال لأحد) وقوله (لا بأس بالغنى لمن اتقى) .

فقد جاءت نصوص القرآن والسنة فى المجال الاقتصادى متضمنة اصول ومبادىء معينة يمكننا أن نعبر عنها بلغة العصر ، بمبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة وتحريم بعض أوجه النشاط الاقتصادى لعموم الضرر أو خصوصية التعدى ، ومبدأ ضمان حد الكفاية أو الحد اللائق لمعيشة كل فرد ، ومبدأ تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع واذابة الفوارق بينهم ، ومبدأ الملكية المزدوجة الخاصة والعامة ، ومبدأ تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى والتزامها القيام بكل نشاط اقتصادى يعجز عنه الافراد أو يقصرون فيه أو ينحرفون به .

وهذه الأصول الاقتصادية ، الهية محضة أى من عند الله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد — فصلت / ٤٢ » ، فهى منزهة عن الخطأ ، وغير قابلة للتغيير أو التبديل ، ويخضع لها المسلمون فى كل زمان ومكان .

ويلاحظ على هذه الأصول أمران أساسيان :

أولهما : انها قليلة لا تتجاوز أصابع اليدين عدا .

ثانيهما : انها عامة تتعلق بالحاجات الاساسية لكل مجتمع .

ومن ثم كانت صالحة لكل زمان ومكان ، بغض النظر عن اشكال الانتاج السائدة فى المجتمع ، وبغض النظر عن درجة تطوره الاقتصادى .

وتعتبر هذه الأصول سر عظمة الاسلام وخلوده ، ونعبر عنها فى المجال الاقتصادى باصطلاح « المذهب الاقتصادى الاسلامى » .

ب ــ وجه متغير التطبيق أو النظام :

وهو عبارة عن الأساليب والخطط العملية والحلول الاقتصادية التى تتبناها السلطة الحاكمة فى كل مجتمع اسلامى ، لاحالة أصول الاسلام وسياسته الاقتصادية الى واقع مادى يعيش المجتمع فى اطاره . ومن قبيل ذلك بيان العمليات التى توصف بانها ربا وصور الفائدة المحرمة ، وبيان مقدار حد الكفاية أو الحد الأدنى للاجور ، واجراءات تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع واذابة الفوارق بينهم ، وبيان نطاق الملكية العامة ومدى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى .

وهذه التطبيقات هى من عمل المجتهدين ، وهو ما يختلفون فيه تبعا لتغير ظروف الزمان والمكان ، بل وفى الزمان والمكان الواحد باختلاف فهمهم للادلة الشرعية . وتعتبر هذه التطبيقات فى الاصطلاح الشرعى كاشفة عن حكم الله ، وذلك حسب ظن المجتهد واعتقاده لا حسب الحقيقة والواقع التى لا يعلمها الا الله تعالى .

وبناء على النصوص الاسلامية القليلة فى المجال الاقتصادى ، أقام الخلفاء الراشدون البنيان الاقتصادى للدولة الاسلامية ، وأولى الفقهاء القدامى بحلولهم الاسلامية مشاكل عصرهم . **وان أولى الأمر وطلاب البحث اليوم ، يطالبون بمتابعة المسيرة واستظهار الحلول الاسلامية لمختلف المسائل والمشاكل الاقتصادية المعاصرة ، مقدرين ان التحدى الحقيقى الذى يواجه كل مجتمع اسلامى هو ربط تعاليم الاسلام بالواقع الذى نعيش فيه .**

وفى أمكان تباين تلك التطبيقات يكمن سر مرونة الاسلام وملاءمته لكل مجتمع أو تطور ، بل هو فى نظرنا قوة وصميم الاسلام ، ومن ثم فان اغلاق باب الاجتهاد أو مجرد الوقوف عند تطبيق معين ، هو فى اعتقادنا أكبر عدوان على الاسلام واشد إضرار به .

وفى استطاعتنا أن نعبر عن تلك التطبيقات فى المجال الاقتصادى باصطلاح « النظام أو النظم الاقتصادية الاسلامية » .



ونخلص مما تقدم الى ان الاقتصاد الاسلامى « مذهب ونظام » وأنه لا يمكن أن نتصور فى الاسلام سوى مذهب اقتصادى واحد ، وانما يمكن ان يقوم فى ظل الاسلام نظم اقتصادية متعددة .

أ ـ مذهب اقتصادى واحد :

فليس فى الاسلام سوى مذهب اقتصادى واحد هو تلك الاصول والمبادىء الاقتصادية التى جاءت بنصوص القرآن والسنة ، معبرة عن سياسة اقتصادية معينة .

وانه فى حدود هذه المبادىء والأصول ، وفى نطاق تلك السياسة قد تختلف التطبيقات والنظم الاقتصادية الاسلامية باختلاف ظروف الزمان والمكان ولا يعدو الامر ، كما عبر عنه رجال الفقه الاسلامى بأنه (خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان) أو قولهم (تغير الاحكام بتغير الأزمنة والامكنة) ، ولا يعدو الأمر تعبير رجال الاقتصاد من تعدد الأنظمة الاقتصادية فى اطار المذهب الاقتصادى الواحد .

ب ـ تطبيقات أو نظم اقتصادية مختلفة :

ان كيفية اعمال الأصول والمبادىء الاقتصادية الاسلامية واسلوب تطبيقها هو مما يجوز شرعا أن يختلف فيه كل باحث وفقا لظروف مجتمعه باختلاف الزمان والمكان .

ومن الطبيعى ان يكون مثل هذا الخلاف أو ذاك التعدد ، أكثر وأوفر فى مجال الاقتصاد الاسلامى ، اذ الامر ليس مرده اختلاف ظروف الزمان والمكان فحسب وانما مرده أيضا اختلاف الباحثين والمجتهدين فى استخلاص الاحكام الشرعية تبعا لاختلاف مفاهيمهم للادلة الشرعية .

وتوصف هذه التطبيقات أو النظم الاقتصادية بأنها اسلامية ، بقدر التزامها أصول الاسلام وسياسته الاقتصادية ، وذلك حسبما كشفت عنه نصوص القرآن والسنة وفقا للطرق الشرعية المقررة .

ولقد رأينا الامام ابن حزم يتخذ اتجاها جماعيا ، بينما ابن خلدون يتخذ اتجاها فرديا . ورغم ان الأول اعتبر مفكرا اشتراكيا ، واعتبر الثانى مفكرا رأسماليا ، فقد ظل كلاهما مفكرا اقتصاديا اسلاميا ، طالما الثابت ان كلا منهما يتحرك فى الاطار الاسلامى ملتزما أصول الاسلام ومبادئه الاقتصادية ، والخلاف بينهما هو فى أسلوب تطبيق هذه المبادىء بحسب حاجات المجتمع المتغيرة فهو خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان .

وعليه فقد ترى إحدى الدول الاسلامية التوسع فى نطاق الملكية العامة أو عدم تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ، بينما ترى دولة اسلامية أخرى التضييق من نطاق الملكية العامة أو تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى . وقد يحلو للبعض ان يسمى الأولى بأنها (اشتراكية تقدمية) ويسمى الثانية بأنها (رأسمالية تقليدية) وانما يظل الحكم على هذه أو تلك بأنها اسلامية من عدمه ، هو مدى التزامها بأصول الاسلام ومبادئه الاقتصادية ، والتى على

رأسها تحريم الربا وكافة أوجه الاستغلال ، واستثمار كافة مواردها وحسن استعمالها ، وكفالة حد الكفاية لكل مواطن ، وعدم وجود تفاوت فاحش فى الدخول وتوزيع الثروات .

أما فى مجال أعمال هذه المبادىء وأسلوب تطبيقها ، فهذا أمر تقديرى تترخص فيه كل دولة اسلامية بحسب ظروفها ، ولا يجوز أن يفرض عليها أسلوب أو نهج معين بالذات .



صعوبة البحث فى الاقتصاد الاسلامى :

والبحث فى الاقتصاد الاسلامى بشقيه (مذهبا ونظاما) هو اليوم من أشق المهام واعسرها وذلك لسببين :

أولهما : اغلاق باب الاجتهاد ، منذ نحو عشرة قرون ، وبالتالى عطلت المبادىء الاقتصادية الاسلامية عن مواجهة حاجات المجتمع المتغيرة . كما ندرت الدراسات الاقتصادية الاسلامية بالمعنى العلمى المعروف ، حتى وجدنا الكثيرين من المثقفين لا يتصورون وجود اقتصاد اسلامى يستطيع ان يلبى حاجات المجتمع الحديث ، أو يقف فى مقابلة الاقتصادين السائدين الاشتراكى والرأسمالى .

ثانيهما : تعقد الحياة الاقتصادية بحيث لم يعد يكتفى الباحث بمجرد الاحاطة بالدراسات الاسلامية والفقهية الواسعة ، بل أصبح يتطلب منه وعلى نفس المستوى الاحاطة بالدراسات الاقتصادية الفنية الدقيقة والنظم الاقتصادية المعاصرة .

السبيل الى احياء الاقتصاد الاسلامى :

وحتى يمكن احياء الاقتصاد الاسلامى ، وبالتالى يلتزم به العالم الاسلامى ويقتنع العالم اجمع بصلاحيته ، لا بد أن تنشط وان تتعدد بحوث الاقتصاد الاسلامى متضافرة فى مجالين :

أولهما : الكشف عن الأصول والمبادىء الاقتصادية الاسلامية بلغة العصر .

ثانيهما : اعمال هذه الأصول وربطها بما هو واقع فعلا بعالمنا الاقتصادى المعقد الحالى .

وهذه المهمة بشقيها ، يعزف عنها تلقائيا اقتصاديونا الفنيون اذ تعوزهم الدراسة الاسلامية العميقة ، ويقصر عنها علماء الدين اذ تعوزهم الدراسة الاقتصادية الفنية . فلا بد اذن من إعداد باحثين فى الاقتصاد الاسلامى يجمعون بين الثقافتين الاسلامية والاقتصادية . وهو مالا يتأتى الا عن طريق تعميم تدريس « مادة الاقتصاد الاسلامى » بالجامعات الاسلامية ومعاهدها المتخصصة ككليات الاقتصاد والتجارة والحقوق وتشجيع بحوثه .

صحراء سيناء و المرتفعات السورية

ماذا تعرف عن الصحراء .. التى هى ليست صحراء .. سيناء .. ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية .. ؟

وما هى المرتفعات السورية التى بقيت القوات الاسرائيلية تعيث فيها فسادا منذ عام ١٩٦٧ ؟

فى تقرير أعده مركز الابحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية جاء عن سيناء ، ما يلى :

تبلغ مساحة سيناء ٦١ر٠٠٠ كيلومتر مربع ، وهى شبه جزيرة على شكل مثلث قاعدته شاطىء البحر المتوسط ورأسه فى الجنوب عند شرم الشيخ وضلعاه على شاطىء خليج السويس وقناة السويس من جهة وشاطىء خليج العقبة من الجهة الأخرى .

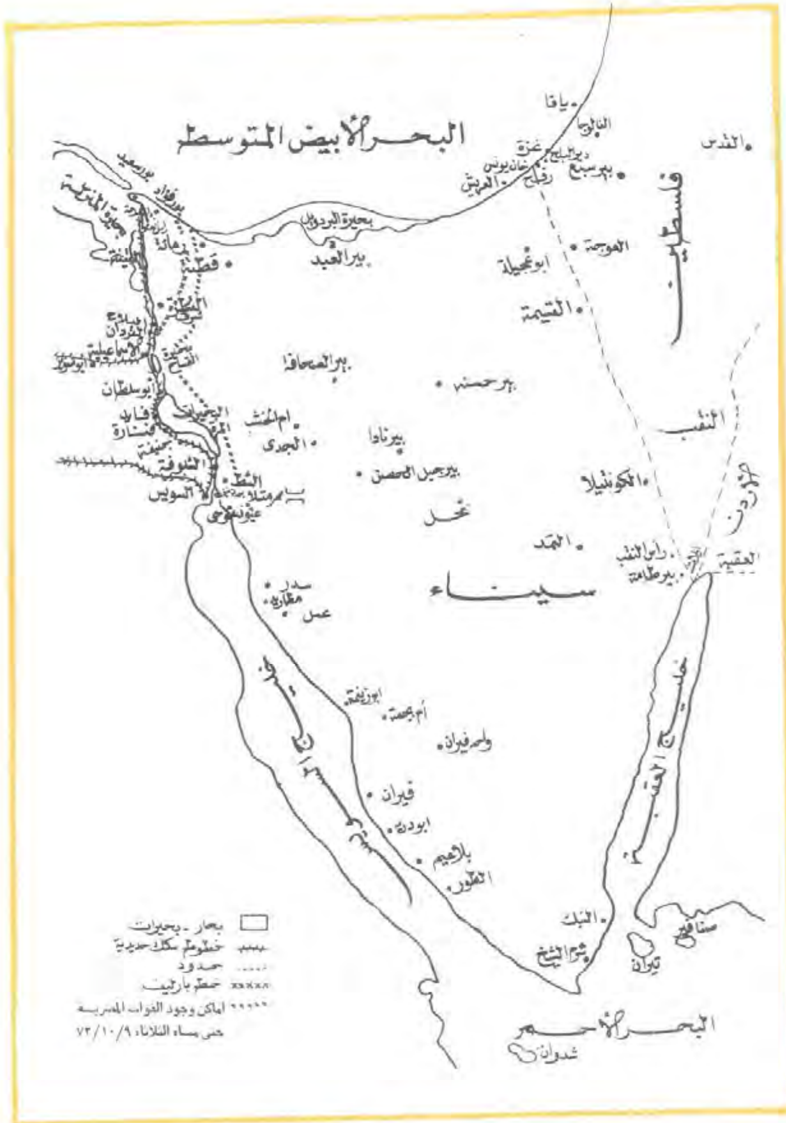
وسيناء ــ على رغم الانطباع السائد ــ ليست صحراء وملية قاحلة ، اذ تمتد عبرها من الشمال الى الجنوب سلسلة جبلية يصل ارتفاعها الى ٢٤٠٠ متر فوق سطح البحر ، كما تتوافر فى سيناء مياه الشرب وعدد من الواحات ، وفيها من الاراضى الصالحة للزراعة ما يقارب مليونى دونم . وتدل الابحاث الجيولوجية على توافر المياه الجوفية فيها بكميات كبيرة . وتسقط فى سيناء كميات متباينة من الامطار تتراوح ما بين ٢٠ ملم فى الجنوب و ٦٠ ملم فى الشمال .

وبحسب احصاء ١٩٦٠ ، كان يعيش فى سيناء ١٢٦ر٠٠٠ نسمة غالبيتهم من السكان المستقرين من أهالى العريش (المركز الادارى لسيناء) ومدن أخرى والآخرون من البدو .

وتذكر المصادر الاسرائيلية أن عدد سكان سيناء العرب كـــان ١٠٥ر٠٠٠ نسمة عام ١٩٧١ منهم نحو ٦٠ر٠٠٠ نسمة من البدو .

الاهمية الاستراتيجية ــ السياسية :

تعتمد الاهمية الاستراتيجية لسيناء على موقع هذه المنطقة الجغرافى ــ



السياسى . اذ هى تسيطر على الطرق البحريـــة من البحر المتوسط الى البحـــر الاحمر عن طريق قناة السويس وخليج العقبة وتمثل جسرا بين قارتى أفريقيـــا وآسيا ، وتربط نصفى العالم العربى . وان أهمية مصر الخاصة ــ من الناحية الجغرافية ــ السياسية ، تعود فى الدرجة الاولى الى امتدادها الآسيوى الذى يتمثل فى شبه جزيرة سيناء ..

وعدا موقعها كجسر بين القارتين ، تكتسب سيناء مزيدا من الاهميـــــة الاستراتيجية بسبب ساحلها الطويل على البحر الابيض المتوسط والذى يشكل مع ساحل اسرائيل وغزة قطاعا عريضا يؤمن أشرافا مباشرا علـــى شرق البحـــر المتوسط ويرتبط بالاستراتيجية الامبريالية فى المنطقة والمحيط الهندى المتمثلة فى اقامة خط استراتيجى يمتد من اليونان فاسرائيل ، مارا بالسعودية والخليج .

فاحتلال سيناء الذى يصل مصر بالمشرق العربى يخـــدم الاستراتيجيـــــة الاسرائيلية/الامبريالية الرامية الى تمزيق العالم العربى وتطويقه ..

وفى الوقت عينه يخدم بقاء سيناء فى أيدى العدو الاسرائيلى المســـاعى الاسرائيلية لاقامة علاقات أوثق مع أفريقيا وخصوصا الدول الوطيدة العلاقـــة بالامبريالية وذات الايديولوجية العنصرية مثل أثيوبيا وروديسيا واتحاد جنـــوب أفريقيا .

وعلى الصعيد الاستراتيجى العسكرى يعطى احتلال سيناء العدو ميزات جمة . فعلاوة على سيطرة اسرائيل على قناة السويس ، أصبحت مطارات سيناء فى أيديها وأصبحت المدن المصرية مثل القاهرة ، وليس المدن الاسرائيلية ، هى المهددة بالهجمات الجوية . أضف الى كل هذا سيطرة اسرائيل على شرم الشيخ الذى يؤمن لها مدخل خليج العقبة والصعوبات العملية التى أوجدها ابعاد الخطوط المصريـة الى ما وراء الضفـة الغربيـة لقنـاة السويس لشـن حرب عصابات مصرية ضد المستوطنات فى اسرائيل ما قبل ١٩٦٧ ، تكتمل أهم عناصر استراتيجية اسرائيل العسكرية فى سيناء .

ان مطالبة اسرائيل ((بالحدود الآمنة)) هى مطالبة بتثبيت وجودها فى شكل دائم فى سيناء ، اذ تشكل قناة السويس ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، حاجزا طبيعيا ضد تحرك القوات المصرية المسلحة ، ويظهر هذا جليا من التصلب المتزايد الذى أبدته اسرائيل منذ احتلالها لسيناء عام ١٩٦٧ تجاه أى مشروع يترتب عليـه انسحاب قواتها عن جزء صغير منها .

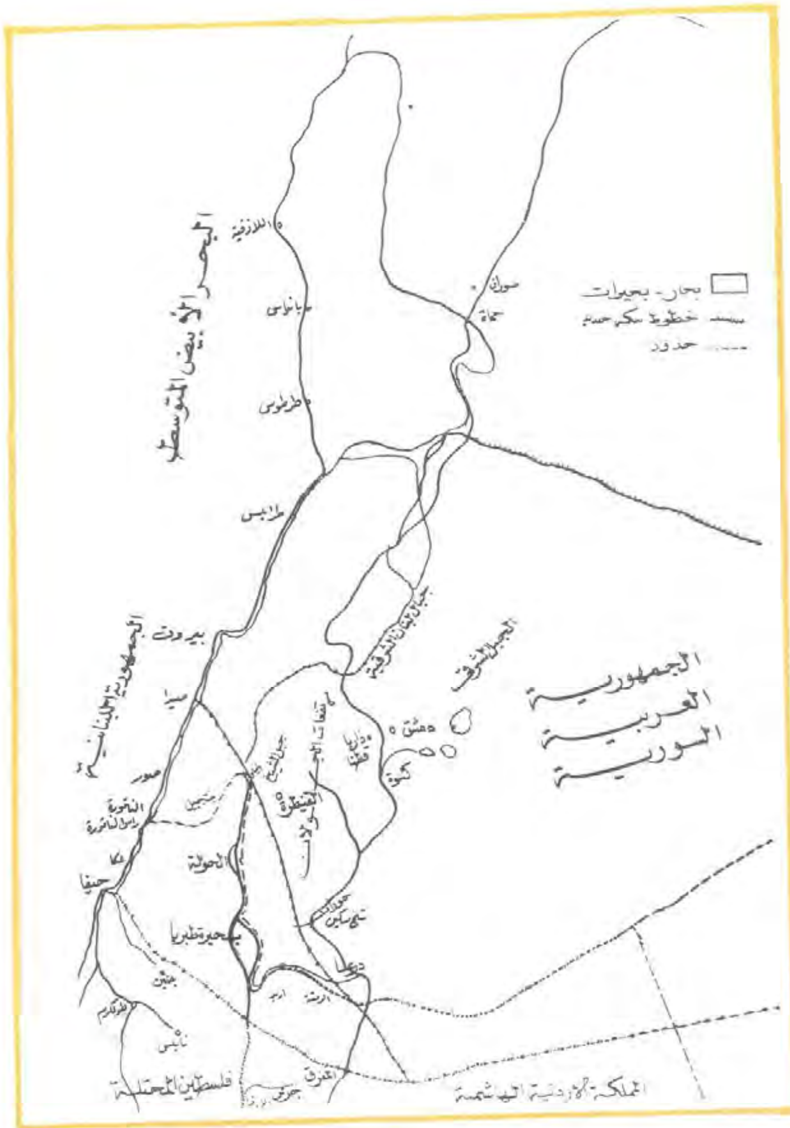
الأهميـة الاقتصاديـة :

على أن هذا التصلب لا يعود فقط الى الميزات السياسية والاستراتيجية التى تتمتع بها سيناء ، بل هنالك أيضا عامل مهم هو الثروة النفطية والمعدنية التى تختزنها شبه الجزيرة . وقد اكتشف النفط فى سيناء فى الثلاثينات والاربعينات من القرن الحالى وبدأت الشركات المصرية ، بمساعدة بعض الشركات الاجنبيـة ، استخراج هذا النفط وتكريره واستعماله فى الخمسينات والستينات . وشكل نفط سيناء عام ١٩٦٦ نحو ثلثى الانتاج المصرى الكلى وقدر الدخل المصرى السنوى منه بنحو ١٠٠ مليـون دولار ، وتولت شركة ((لتيفى نفط)) الاسرائيليـة اصلاح مرافق حقل بلاعيم (أبو رديس) .. واستخرجت النفط من الآبار البحرية مباشرة بعد الحرب ، وفىهذهالفترة وصل الانتاج الى مليونى طن سنويا ، وأخذ الانتاج فى الزيادة بعد ذلك ..

وفى حقل بلاعيم البرى ١٠٠ بئر نفطية اضافة الى الآبار الـ ١٧ فى الحقل البحرى . ويبعد هذا حوالى ٩ كلم عن الساحل . (دافار ١٩٧٢/١/١٢) .

استولت اسرائيل على ١١٧ بئرا نفطية حول أبو رديس بعد احتلالها لسيناء عام ١٩٦٧ ، وقد أنتجت هذه الآبار ما مجموعه ٦ ملايين طن عام ١٩٧١ ، أى ما قيمته ٨٠ مليون دولار . وتقدر المصادر الاسرائيلية الدخل الصافى من انتاج النفط فى سيناء بالعملة الاجنبية بـ ٥٠ مليون دولار سنويا ، ويعادل هذا المبلغ الذى تنفقه اسرائيل لاستيراد النفط الخام من مصادر خارجية (دافار ٧٢/١/١٢).

وتقول التقديرات الاسرائيلية ان احتياطات النفط فى منطقة أبو رديس تصل الى ١٢٠ مليون طن ، أى ما يكفى لتشغيل شركة ((لتيفى نفط)) (شركة النفط للحكومة الاسرائيلية)مدة عشرين عاما بمعدلات الانتاج الحالى وهو ٦ر٥ ملايين طن سنويا ، وقدرت مصادر غربية (الفايننشال تايمز اللندنية فى ١٩٦٨/٢/٢٨) ان الطاقة النفطية لسيناء تقدر بنحو ٤٠ مليون طن سنويا ، ويشكل هذا سبعة أضعاف انتاج سيناء من النفط لعام ١٩٧١ . وهكذا يكون فى أمكان سيناء توفير دخل سنوى يعادل أكثر من ٥٠٠ مليون دولار سنويا (بحسب أسعار ١٩٧٢) .



خريطة الجمهورية العربية السورية ومرتفعات الجولان

ومنذ عودة احتلال اسرائيل لسيناء عام ١٩٦٧ انهمك الجيولوجيون الاسرائيليون فى أعمال التنقيب فى سيناء وخارج شواطئها بحثا عن النفط والمعادن وكان هذا الاهتمام قد ظهر سابقا عند احتلال سيناء عام ١٩٥٦ . وصادق مجلس ادارة مؤسسة النفط الاسرائيلية فى أيلول من هذه السنة على خطة شاملة للتنقيب عن النفط فى اسرائيل وشمال سيناء فى السنوات الخمس المقبلة يكلف تنفيذها ١١٠ ملايين ليرة اسرائيلية ، وتوصى الخطة باستثمار ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية فى شمال سيناء .

وتعلق اسرائيل أهمية اقتصادية كبيرة على نفط سيناء ، ويظهر هذا فى وضوح من تعليق الصحف الاسرائيلية حول الموضوع . فقد كتبت «عال همشمار» (١٩٧٣/٩/٥) انه «تحت تهديد (أزمة الطاقة) قد ينشأ وضع تستصعب فيه اسرائيل (....) التنازل عن تلك المساحات فى سيناء التى تشكل مصدر الوقود الاساسى للاقتصاد الاسرائيلى» . وأضاف : «ان سيناء تتحول بفضل (معركة النفط) من مجال يؤمن انذارا مبكرا فى الحرب الجوية ومساحة ذات عمق استراتيجى الى موقع اقتصادى ذى أهمية من الدرجة الأولى» .

لقد أدى احتلال اسرائيل لسيناء ومصادر النفط فيها الى تطوير صناعتها النفطية والصناعات البترو - كيميائية وتوسيعها ، اضافة الى تأمين احتياجاتها

من النفط (•••••) • وفى الوقت نفسه دخلت اسرائيل صفوف الدول التى توفر تسهيلات ترانزيت مهمة (•••••) •

ولا يقتصر المردود الاقتصادى لسيناء على النفط • فهناك احتمالات متعددة أخرى تخص الودائع المعدنية والمياه الجوفية المتوافرة فى شبه الجزيرة • وقد عثر العلماء الاسرائيليون الذين ينقبون فى سيناء على مستودعات للمعادن والمياه الجوفية • وبحسب تقديرات الخبراء الاسرائيليين فان هذه الكميات كافية لأن تغطى جزءا كبيرا من احتياجات قطاع غزة والعريش لعشرات السنين • كما عثرت الشركة الفرنسية (ايراب) والشركة الاميركية (توليكو) عام ١٩٦٩ على مستودعات هائلة من الغاز فى منطقة (بورقان) • وأن سيطرة اسرائيل على المياه الاقليمية لسيناء واستغلال موارد قاع البحر فى خليج العقبة والبحر الاحمر تعطى اسرائيل فرصا متعددة بالنسبة الى استغلال الغاز ومستودعات المعادن فى البحر الاحمر • وتقدر الرسوبية الحاوية كميات هائلة من الزنك والنحاس والقصدير والفضة والذهب فى موقع واحد فقط من البحر الاحمر (المسمى عمق اطلانطيس ٢) بما يزيد عن ٥٠ مليون طن ، وتقدر قيمتها بنحو ٢٥٠٠ مليون دولار ••

ثم أن اسرائيل تقطف بعض الارباح من السياحة فى اماكن مختلفة من سيناء• وقدر السياح الى شرم الشيخ وحده بـ ١٠٠ر٠٠٠ شخص عام ١٩٧١ • وقد أنشات اسرائيل قرية استجمام فى المنطقة بعدما تم ربطها بايلات بطريق واسع ، معبد طوله ١٥٥ ميلا ، كذلك تم افتتاح مطار مدنى بالقرب من دير القديسة كاترينا معد لاستقبال شركة «أركيع» المدنية الاسرائيلية المكلفة بنقل الزوار من اسرائيل الى سيناء • هذا عدا المطار الذى تقيمه اسرائيل فى شرم الشيخ • وكشف شمعون بيرس ، وزير المواصلات الاسرائيلى ، النقاب عن أن شركة (العال) ستقيم هذه السنة خطا جويا بين أوروبا وشرم الشيخ يسير رحلة واحدة فى الاسبوع • وذكر الوزير أنه يتوقع أن يجذب الخط نوعين من السياح : هواة الغطس وأبناء الدول الاسكندينافية (معاريف — ١٩٧٣/٦/٢٦) • كما كانت اسرائيل قد أعلنت فى العام الماضى عن ضم منطقة طبه وجزيرة المرجان والزقاق البحرى الى منطقة بلدية ايلات • وذكرت أن مستثمرين سيقيمون مراكز ترفيه واستجمام فى هذه المناطق •

ومع كل هذه الفوائد الاستراتيجية والاقتصادية التى تجنيها اسرائيل من احتلال سيناء •• فان الاستعمار الصهيونى لا يكتمل من دون العملية الاستيطانية • وعلى رغم صعوبات الاستيطان فى شبه الجزيرة ، أقامت اسرائيل ثمانى مستوطنات حتى الآن تركزت فى منطقة شرم الشيخ والمنطقة الممتدة بين شرم الشيخ وايلات وشمال سيناء • وتضمن برنامج حزب العمل الذى أقره الحزب الحاكم الاسرائيلى فى أيلول من السنة الحالية العزم على اقامة ٦ مستوطنات فى خليج ايلات • كما أقر البرنامج أقامة مركز أقليمى كبير على حدود غزة وسيناء تتسع لربع مليون اسرائيلى سنة ١٩٩١ ، وستكلف هذه المدينة ٨ مليارات ليرة اسرائيلية •

أما بالنسبة للمرتفعات السورية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والمسماة حاليا هضبة الجولان ، فيبلغ طولها حوالى ٤٠ ميلا وعرضها الاقصى حوالى ١٦ ميلا ، وهى تعرف فى الخريطة الاداريه السوريه بمحافظة القنيطرة الواقعه فى اقصى الجنوب الغربى من أراضى الجمهورية العربية السورية ، على نقطة التقاء الحدود الاردنية ـــ السورية ـــ اللبنانية ـــ الفلسطينية .

ومن أهم مميزات هذه المنطقة ، وعورة أراضيها وصعوبة مسالكها الجبلية . فهى تمتد شمالا من سفوح جبل الشيخ الذى يعلو سطح البحر ٩٢٣٢ قدما ، الى نهر اليرموك ـــ الذى يعتبر حاجزا مائيا طبيعيا امام المركبات يفصلها عن الاراضى الاردنية ـــ جنوبا . ومن سهل الحولة تبدأ المرتفعات بحائط صخرى هائل يتكون من تلال صخرية بالغة الوعورة تتماسك فى ما بينها مشكلة حصنا منيعا .

من هنا تاخذ هضبة الجولان اهميتها العسكرية بالنسبة الى كل من سوريا واسرائيل .. فبالنسبة الى سوريا تعتبر موقعا استراتيجيا يغلق الباب أمام التوسع الاسرائيلى ، كما تساعد على حماية جنوب لبنان ـــ ميمنة الجيش السورى ـــ اضافة الى حمايتها لجنوب سوريا وأعالى الاغوار الشمالية الاردنية .

أما بالنسبة الى اسرائيل ، فهى ، فضلا عن كونها محل أطماع دينية واستراتيجية ، تحتوى على منابع نهرى بانياس واليرموك ، ولا يمكن ادراك أهمية هذين النهرين بالنسبة الى العدو الا بمقدار فهم أزمة المياه التى تهدد مشاريعه الزراعية والتى من أجلها حول جزءا كبيرا من مياه نهر الاردن منذ أوائل الستينات .

يمكن تقسيم الطرف الغربى من الهضبة المطل على شمال فلسطين المحتلة ثلاثة أقسام طبيعية ، هى فى حد ذاتها ثلاثة قطاعات من الناحية العسكرية :

* القطاع الشمالى الممتد من تل العزيزيات حتى جسر بنات يعقوب ، وفيه تصعد المرتفعات الصخرية فجاة من سهل الحولة حوالى ألفى قدم ، مشكلة حائطا لا يمكن عبوره الا من خلال فتحات قليلة ، هى عبارة عن فجوات ضيقة تخترق واجهة المرتفعات .

* القطاع الاوسط ، يمتد من جسر بنات يعقوب الى جنوب بحيرة طبريا ، وعلى امتداد شاطئها الشرقى حتى وادى سمخ . وعلى رغم أن السفوح الصخرية فى هذا القطاع ترتفع الى حوالى ٣٠٠٠ قدم ، الا انها أقل حدة فى ارتفاعها من القطاع الشمالى . اذ ترتفع السفوح هنا على شكل متدرج خصوصا فى الشمال الشرقى وتتصل بالهضبة .

* القطاع الجنوبى يمتد من وادى سمخ جنوب بحيرة طبريا حتى نهر اليرموك . وعلى رغم أن هذا القطاع أصغر القطاعات الا أنه أشدها انحدارا . اذ تتميز سفوح الهضبة هنا بانحدار ساحق تصل فيه ارتفاعات الرؤوس الجبلية الى حوالى ١٤٠٠ قدم فوق سطح بحيرة طبريا .

المسلمون السوفييت يؤيدون القضية العربية

وجهت الادارة الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي الدعوة الى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية لحضور المؤتمر الاسلامي الذي انعقد بطشقند في الفترة من ١١/١٣ الى ١٩٧٣/١١/١٤ لنصرة القضية العربية ، وقد مثل الوزارة في المؤتمر الاستاذ محمد ماجد الصقر وحضره مندوبون عن ست دول هي : الكويت ــ لبنان ــ مصر ــ العراق ــ ليبيا ــ اليمن الشمالية .

وفيما يلي نص كلمة الكويت في المؤتمر :

ايها الاخوة ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي في هذا المقام أن اتقدم بالشكر والتقدير لحكومة الاتحاد السوفيتي وشعبه الصديق لتأييده للقضية العربية ضد العدوان الصهيوني الذي تسانده قوى البغي والظلم من الدول الاستعمارية والشركات الرأسمالية .

كما اتقدم بالشكر العميق للادارة



الدينية لمسلمى الاتحاد السوفيتى على تنظيم هذا المؤتمر واهتمامها بنصرة القضية العربية وعلى راسها سماحة المفتى الشيخ ضياء الدين بابا خان .

ان الاخوة الاسلامية تفرض علينا التعاون والتساند . وان المسلمين كالجسد الواحد كما مثلهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وان ما قامت به المنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى من هذه الدعوة لهو تصديق وتطبيق لقوله صلى الله عليه وسلم هذا .



ايها الاخوة

لقد جاء الاسلام بنظام جديد لم يكن معروفا ولا مألوفا فقضى على الفوارق بين الناس وجعل ميزان التفاضل هو التقوى فقال صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على اعجمى ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى » .

فعندما عاب ابو ذر الغفارى بلالا بقوله له يا ابن السوداء شكاه بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام لأبى ذر : « يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية » اى انك يا أبا ذر ما زلت تحمل طباع ما قبل الاسلام التى نهى الاسلام عنها ولم تتخلق بخلق الاسلام . وقد تأثر ابو ذر لقول النبى صلى الله عليه وسلم وذهب الى بلال وقال له هذه عنقى طأها بقدمك حتى ترضى . من

هذه الواقعة رأينا كيف أن الاسلام علم أتباعه وهذب نفوسهم وأذاب الفوارق بينهم .

ايها الأخوة

ان القضية التى تهم المسلمين جميعا هى قضية المسجد الاقصى الذى دنسته أقدام الصهيونية التى ما زالت منذ أكثر من ربع قرن تحتل وتعتدى على الاراضى والدول العربية .

فلقد تكونت اسرائيل بوعد من وزير خارجية بريطانيا آنذاك (بلفور) حين قال أن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف لانشاء وطن قومى لليهود .

ولكن هل كان هذا الوطن من المملكة المتحدة .. ؟ كلا بالطبع .

وانما كان من أرض فلسطين العربية المسلمة . ولم يكن اليهود فى ذلك الوقت يزيدون عن ٥٪ بالنسبة للسكان العرب وكانوا فى مساحة لا تزيد عن ٢٪ من الارض الفلسطينية ..

والذى مكنهم من التوسع والتكاثر هو الاستعمار البريطانى ثم الاستعمار الامريكى وقد بدأ توسعهم فى ١٩٥٦ ثم عام ١٩٦٧ حيث احتلت اسرائيل مساحات واسعة من ثلاث دول عربية .

ولن ينسى العرب المواقف المشرفة التى وقفها الاتحاد السوفيتى الصديق تلك المواقف التى ستزيد من الروابط الطيبة بينه وبين الدول العربية .

ايها الأخوة

ان دولة الكويت المسلمة التى تساند الجمعيات والمنظمات الاسلامية فى أنحاء العالم تؤيد وتبارك مثل هذه المؤتمرات واللقاءات الاسلامية التى تخدم الاسلام وترفع شأن المسلمين وتزيد من تقاربهم وتوحد كلمتهم .

وفى الختام أدعو الله للمؤتمر النجاح وللقائمين عليه بالتوفيق والسداد .

وقد وجه المؤتمر فى الجلسة الختامية النداء التالى : « الى جميع المسلمين والناس ذوى النوايا الطيبة »

نحن ممثلى مسلمى الاتحاد السوفياتى ، اجتمعنا مع اخواننا فى الدين من بلدان آسيا وافريقيا فى مدينة طشقند العريقة ، بوعى من ارادتنا لتعزيز التعاون التاريخى والأخوى بين مسلمى الاتحاد السوفييتى والعرب واستمرار وتنمية العلاقات الدينية والثقافية والاجتماعية لكى نناقش احدى أهم المشاكل الحيوية في العلاقات الدولية ـ مشكلة الشرق الاوسط ـ وايجاد الطرق والوسائل لخدمتنا لقضية ايقاف العدوان الاسرائيلى ، واقامة السلم العادل الوطيد فى الشرق الاوسط .

ان الذى جاء بنا هنا نحن المسلمين هو وعينا للواجب كأناس مؤمنين نتبع طريق السلم والعدالة ونعمل ضد العدوان والطغيان وفى سبيل حماية الحياة السلمية للشعوب وبلوغ الحب والحقيقة فى حياة الانسانية .

ففى هذه المرحلة حيث تلاحظ فى العلاقات الدولية نزعة تخفيف التوتر الدولى وانتصار مبادىء التعايش السلمى بدأ يظهر بوضوح أكثر النهج الاجرامى للقادة الاسرائيليين والدوائر الامبريالية التى تقف وراءهم .

ان غياب السلم فى الشرق الاوسط هو نتيجة للعدوان والاستمرار اللاشرعى لاحتلال الاراضى العربية من قبل القوات المسلحة الاسرائيلية وامتناع اسرائيل عن تنفيذ قرار مجلس الامن الدولى التابع للامم المتحدة الخاص بالشرق الاوسط .

ان الوضع غير الطبيعى فى الشرق الاوسط الناتج عن الاعمال الجنونية لاسرائيل من شأنه أن يلحق أكبر الاذى ليس فقط بالشعوب العربية وانما لقضية السلم والعدالة فى العالم بأسره .

نحن مسلمى الاتحاد السوفييتى نعرب عن تضامننا الكامل مع الشعوب الشقيقة فى البلدان العربية

التى تناضل من أجل الوحدة وسبيل الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية لبلدانها .

وانطلاقا من مسئوليتنا الدينية فاننا نقف باصرار فى سبيل اقامة سلم عادل ووطيد فى الشرق الاوسط على الأرض المقدسة للمؤمنين من مختلف الأديان ، وبهدف المساعدة على اقامة مثل هذا السلم فاننا نطالب بتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة الصادر فى الثانى والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٣ ، والانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية بدون قيد أو شرط من كافة الاراضى العربية المحتلة واعادة الفلسطينيين المشردين الى أراضيهم والتعويض عن الاضرار التى لحقت بهم واحترام الحقوق الشرعية للشعب العربى الفلسطينى فى تقرير مصيره .

اننا المشتركون فى هذا المؤتمر ندعو جميع مسلمى المعمورة أن يدينوا بالعار المعتدين الاسرائيليين

اننا ندعو رجال الدين من جميع الأديان فى كافة بلدان العالم الى تعزيز تعاون المؤمنين مع كل القوى المحبة للسلام لدعم شعوب البلدان العربية المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها وفى سبيل التقدم الاجتماعى .

اننا نتوجه الى كافة الناس ذوى النوايا الطيبة بنداء حار لمطالبة واجبار اسرائيل بايقاف عدوانها الامبريالى الصهيونى وتنفيذها الكامل المطلق لقرارات الأمم المتحدة الهادفة الى حل النزاع فى الشرق الأوسط .

اننا نؤيد تأييدا كاملا شاملا برنامج العمل للدفاع عن السلم بين الشعوب ، هذا البرنامج الذى اتخذ فى المؤتمر العالمى للقوى المحبة للسلام فى موسكو ونعبر عن استعدادنا التام فى التعاون مع كافة ذوى النوايا الحسنة الطيبة ومع جميع القوى المحبة للسلام فى الكفاح فى سبيل سلم عادل وطيد دائم فى الشرق الاوسط وفى العالم كله .





مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

فلسفة الصلاة

كتاب من تأليف الشيخ على محمد الكورانى وهو دراسة لدور الصلاة فى حياة الفرد والأمة تعتبر اول دراسة تكشف عن ضرورة الصلاة وتأثيرها البالغ فى بناء الشخصية الفردية والاجتماعية .

وقد يظن بعض الناس أن الصلاة قد استنفدت اغراضها وفقدت فاعليتها فى بناء الانسان والأمة ولكنهم يقفون حائرين أمام الابداع والاعجاز فى شكل الصلاة ومضمونها ، لذلك كانت الصلاة موضوعا جديرا بأكثر من دراسة منهجية حديثة تبين مدى ضرورتها اليومية لتنظيم حياة الانسان المعاصر .

وهذا الكتاب يبرهن على أن دور الصلاة الكبير فى تكوين شخصية الأمة الاسلامية التى فتحت العالم وأضاءته لا زال ضرورة فى تكوين شخصيتنا الجديدة.

والكتاب يقع فى ٤٥٠ صفحة ومن توزيع دار الزهراء .
ص.ب : ٩٣٧ — بيروت — لبنان .

احيــاء الأراضى الموات

يعد موضوع هذا الكتاب من أرحب الموضوعات الفقهية الاسلامية وانفعها واكثرها اتصالا بالحياة العملية وأغراض الاقتصاد .

فهو يتناول بالبحث أهم المشاكل الاقتصادية كمشكلة الأرض بكل ما يتصل فيها من ملكية واقطاع واحياء واستثمار كما يتعرض لأحكام الخراج والقبالة والالجاء .

أما منهج الكتاب فهو منهج استدلالى قائم على البحث والنظر والتحليل ومقارن قائم على استقراء اشهر المدارس الفقهية وهى الامامية — الزيدية — الحنفية — المالكية — الشافعية والحنابلة مضافا الى مقارنتها ببعض التقنينات الوضعية الحديثة .

والكتاب من تأليف الأستاذ محمود المظفر ويحتوى على (٤٠٠) صفحة ومن طبع المطبعة العالمية — ١٧ شارع ضريح سعد بالقاهرة .

علم النفس الإسلامي

وأثره في التربية الإسلامية

١

للاستاذ محمد علم الدين

ـ لا غنى لمن يتصـــدى للتربية الإسلامية ، كالآباء لأبنائهم ، والمعلمين لتلاميـــذهم ، والوعاظ والمرشـــدين لمريديهم ، ورجال الاعلام لقرائهم .. لا غنى لهم جميعـــا عن الالمـــام بعلم النفس الاسلامى على الأقل ، ان لم تتح الفرصة للتعمق فيه . لأنه يضىء للمربى أسرار قوى النفس وملكاتها ومراكز هذه القوى والملكات ، وما يزكىّ النفس فتفلح ، وما يدســـيها فتخيب .

ـ ومعلوم أن النفس كالبـــدن ، كلاهمـــا يصح وكلاهمـــا يمرض ، وللمرض أسباب ، ولعلاج أمراض البدن علم خاص، وأطباء متخصصون ومدعو الطب قد يعالجـــون المريض فيميتونه ، وكذلك أمراض النفس ، لها علم خاص وأطباء متخصصون ، وفيما يلى الحد الأدنى الذى لا ينبغى أن يكون مجهولا ، ليعين المربى على احسان التربية والله الموفق .

■■ مولد علم النفس الاسلامى :

ولد علم النفس الاســـلامى مـــع استهلال الاسلام ، ومن الســـور المتقدمة فى النزول سورة (الشمس) وآياتها من ٧ ـــ ١٠ تنص على قول الله تعالى :

(ونفس وما ســـواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها) .

ـ ومنذ نزلت هذه الآيات الكريمة

من اربعة عشر قرنا سابقة لعلم النفس الحديث بأكثر من الف ومائتى عام — والمسلمون يدرسون ، ويبحثون ويتساءلون ، ويستنطقون العلم والتجارب ليتعرفوا : ما هى النفس ؟ وما قواها وملكاتها ، وما علاقتها بالبدن ؟ وما الذى يزكيها فتفلح ؟ وما الذى يدسيها فتخيب ؟

وكان الهدف من وراء ذلك كله الوصول بالنفس الى حال تجعلها بحيث تصدر عنها الأفعال كلها جميلة فى يسر وسهولة ، دون كلفة ومشقة، بوساطة علم النفس واستخدامه فى التربية بجدية ومثابرة ووعى وتطبيق تام تحت شعار : لا نهاية للفضيلة ، ولا حد للكمال .

ما هى النفس ؟

لحظ علماء النفس الاسلاميون أن فى الانسان شيئا ، له افعال وخواص تضاد أفعال الأجسام وخواصها . وان هذا الشىء يتقبل صور المحسوسات والمعقولات ، ويختزنها بحيث لا تضعف صورة صورة أخرى ويستطيع أن يستحضر صورا طال عليها الأمد فى أسرع من رد الطرف ، ولحظوا أن الأجسام تتشوف للذات المادية ، ولكن هذا الشىء يتلذذ بتصحيح الآراء وبالاشياء المعنوية .

كما أنه يتشوف الى ما ليس من طباع البدن ، كالحرص على معرفة حقائق الأمور الإلهية ولحظوا أن هذا الشىء يصحح خطأ الحواس ، فيحكم على الشمس بالعظم ، والعين تراها فى حجم كرة القدم ..! كذلك يحكم على القطار السائر بأنه هو الذى يتحرك ، على حين أن البصر يرى حركة ما حول القطار ... ! وهكذا .

— على هذا النحو من البحث ، وصلوا الى أن النفس شىء ليس الجسم ، وليس بجزء من الجسم ، وأنه شىء آخر ، له جوهره ، وأحكامه وخواصه وأفعاله ، يتشوق الى العلوم والمعارف والفضائل ، اذا تشوق البدن الى المآكل والمشارب والجنس .. وأن هذا التشوق الشريف للعلوم والمعارف والفضائل ، خاص بالانسان ، وبه تتم انسانيته . هذا الشىء هو المسمى « **النفس** » .

— ما أقسام النفس وما قواها وملكاتها ؟

لحظ علماء النفس الاسلاميون ، أن فى الانسان **قوة** بها يفكر ويميز ، وينظر حقائق الامور . وأن به **قوة** تغضب فيرتكب صاحبها الأهوال للنجدة والشهامة وضروب الكرامات، وأن به **قوة** تشتهى الغذاء والشراب والجنس ، ولحظوا أن هذه القوى تقوى وتضعف بالمزاج والعادة والتأديب .

وبناء على ذلك قرروا :

أ — ان فى الانسان قوة **ناطقة مفكرة** ، مقرها **الدماغ** اسمها « **الملكة** » ، وفضيلتها « **الحكمة** » .

ب — وأن فيه قوة **غضبية** اسمها (السبيبة) وآلتها (القلب) وفضيلتها (**الشجاعة**) .

جـ — وأن فيه قوة **شهوية** اسمها « البهيمية » وآلتها « الكبد » وفضليتها « **العفة** » .

وقرروا أن ما يضاد هذه الفضائل هو الرذائل .

وزادوا الأمر ايضاحا فقالوا :

— إن حركة النفس الناطقة ، ان كانت معتدلة ، وكانت تتشوق الى المعارف الصحيحة حدثت عنها فضيلة العلم » وتبعتها فضيلة « الحكمة » .

— واذا كانت حركة النفس الغضبية معتدلة ، بحيث لا تهيج فى غير حينها ، ولا تحمى أكثر من اللازم حدثت لها فضيلة « الحلم » وتبعتها

فضيلة « الشجاعة » .
ـ واذا كانت حركة النفس البهيمية معتدلة ، ومنقادة للنفس الناطقة ، وغير مستعصية عليها ولا منهمكة فى هواها حدثت لها فضيلة « العفة » وتبعتها فضيلة « السخاء »
ـ وقالوا ـ ان هذه الفضائل الثلاثة إذا اجتمعت لفرد على اعتدال فيها تولدت منها فضيلة رابعة هى **« العدالة »** .
ـ وبإجماع علماء النفس الاسلاميين أصبحت هذه الأربعة ، أمهات الفضائل :
وهى : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة ـ وما عداها ـ يندرج تحتها ، وقالوا :
إن الفخر كل الفخر انما هو بالاتصاف بها ، وليس بالاحساب والأنساب .
كما أجمعوا على أن أضاد هذه الفضائل هى أمهات الرذائل وهى : الجهل والجبن ، والشره والجور .

ما يندرج تحت أمهات الفضائل

١ ـ تحت الحكمة ، يندرج ، الذكاء ، الذكر ، التعقل ، سرعةالفهم صفاء الذهن ، سهولة التعلم « ـ وفسروا الذكاء بأنه سرعة انقداح النتائج واستخلاصها من المقدمات فى يسر وسهولة وفسروا الذكر بأنه ثبات الصورة التى استخلصها العقل أو الخيال على المدى الطويل .
٢ ـ وتحت الشجاعة ، يندرج ، كبر النفس ، النجدة ، عظم الهمة ، الثبات ، الصبر ، الحلم ، الشهامة ، قوة الاحتمال . . . وفسروا كبر النفس بما يؤهلها للامور العظيمة مع القدرة على احتمال تكاليفها ، وفسروا الحلم بأنه طمأنينة النفس فلا يحركها الغضب سريعا .
٣ ـ وتحت العفة يندرج ، الحياء الدعة ، الصبر ، السخاء ، القناعة ، الدماثة المسالمة ، الوفاء ، الورع . .
وفسروا الحياء بأنه ما يمنع من اتيان القبائح ، وما يتبع ذلك من الذم .
وفسروا الدعة بأنها سكون النفس عن حركة الشهوة .
وفسروا الدماثة بأنها حسن انقياد النفس لما يجمل بها ، واسراعها الى الجميل .
٤ ـ وتحت العدالة يندرج : الصداقة ، الالفة ، صلة الرحم ، المكافأة ، حسن الشركة ، حسن القضاء ، التودد ، ترك الحقد ، مجازاة الشر بالخير ، ترك المعاداة ، المروءة فى جميع الاحوال .

ـ الرذائل :

لعلماء النفس الاسلاميين طريقة تدل على مواطن الرذائل ، تلك هى اتفاقهم على أن « الفضيلة » وسط بين رذيلتين ، ومن أمثلة ذلك :
أ ـ الحكمة ، وسط بين رذيلتى ، البله ، والسفه . والبله هو تعطل القوة المفكرة ، والسفه سوء استعمالها .
والرذيلتان افراط وتفريط ، أو زيادة ونقصان .
ب ـ الذكاء ، وسط بين الخبث والدهاء ، والمكر ، وكلها فى جانب الافراط وبين البلادة والعجز فى جانب النقصان .
جـ ـ العفة ، وسط بين رذيلتى الشره فى جانب الافراط والخمود فى جانب النقصان ، والشره هو الانهماك فى اللذات ، والخروج بها عن الحد المحمود .
والخمود هو السكون عند دواعى اللذة الجميلة المحمودة التى يحتاج اليها البدن ، والتى رخص بها الشرع والعقل .

د ـ الشجاعة ، وسط بين رذيلتى الجبن والتهور . والجبن هو الخوف مما لا يخاف منه ، والتهور الاقدام على المهالك دون داع يستحق .

هـ ـ والسخاء ، وسط بين رذيلتى السرف والتبذير ، والبخل والتقتير ، والتبذير البذل لمن لا يستحق ، والتقتير حرمان المستحق مما يستحقه .

و ـ العدالة ، وسط بين الظلم والانظلام .

والظلم ان يجور الانسان على غيره فى المعاملات ، والانظلام أن يستخذى لغيره ، ويرضى بظلمه .

والعدالة أن ينصف غيره من نفسه وأن ينتصف لنفسه .

نصيحة غالية ، التربية بالمجتمع :

ـ ينصح علماء النفس الاسلاميون لكل من يبغى أن يتجمل بحميد الصفات ، الا يكتفى بنفسه فى ذلك . بل لا بد أن يكون مدنيا اجتماعيا ، يعيش فى مجتمع ، ويتعامل معه ، وسعادة المرء أن يكون فى مجتمع سعيد . وكل انسان محتاج الى غيره وأحسن المجتمعات ما سادها الصفاء وحسن العشرة ، والمحبة الصادقة ، وفيها كل فرد يكمل غيره ويكمل بغيره .

ـ والذين يزهدون فى المجتمعات، ويتركون مخالطة الناس ، ويميلون ، للانعزال والوحدة ، لن يكونوا أبد الدهر فضلاء متصفين بمآسر من الفضائل مهما عاشوا ... !!

ان كل من لم يخالط الناس ولم يساكنهم ، لا يتصف بعفة ولا نجدة ، ولا سخاء ولا عدالة ... لأنها كلها فضائل اجتماعية ، وبدونها تتعطل القوى والملكات ، ويصبح المنعزل كالجماد والأموات ، اذ أن ملكاته لا تتجه الى خير ولا الى شر ، فتبطل وتصير عدما ....!!

وانما تتعلم الفضائل بالممارسة والمخالطة والمشاركة ، والصبر على الأذى ، فهذه هى التى تصهر الاخلاق وتكونها وتؤصلها ، وهى هى مقياسها

ـ ان الفضائل ليست عدما ، وانما هى أقوال وافعال تظهر عند مشاركة الناس والتعامل معهم فى ضروب الاجتماعات .

ومن الفضائل الانسانية معاشرة الناس واحتمال الأذى والدفع للسيئة بالحسنة ورد التحية بأحسن منها وبدؤهم بقول التى هى أحسن ، ومجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ، واستماع القول واتباع احسنه .

كما أن من الفضائل إغاثة الملهوف وتخفيف البؤس عن البؤساء ، والمشى فى حاجة الناس حتى تقضى ، وعيادة المريض وسائر حقوق الاهل والجيران والمواطنين والدفاع عن حياضهم وحرماتهم .... الخ .

وكل هذا لا يكون بالانعزال والانقطاع ولو للعبادة ، فان الله تعالى غنى عن عبادة لا تقوم بحقوق العباد ، بل تجعل المرء عالة ، وتجعل من يعوله أقرب الى الله منه وأكثر ثوابا .

قبس من سورة الشمس

ان سورة الشمس ، التى حملت فى ثناياها مولد علم النفس ، عندما يتلوها الانسان ، يرى أن نظمها العجيب أبرز الكون المنظور ، من سمائه وارضه فى صورة عالم مترابط ، الأرض فيه فى أشد الحاجة الى النيرين السماويين : الشمس نهارا والقمر ليلا عندما يعكس نور الشمس على الارض ، وفى غيبة النيرين يشتمل الظلام على الارض ، وفى سنا الشمس يجلو الضوء محاسن الاشياء ويهدى الناس الى سواء السبيل ، والقمر وان لم يبلغ عشر معشار الشمس الا انه نور على كل حال ، ثم تنقل آيات الشمس بعد

ذلك القارىء الى النفس البشرية التى ألهمها الله الفجور وهو يكون فى ظلام النفوس ، والتقوى وتكون عندما تستنير .

— وكما أن الذى يحب الضياء والنور يفتح نوافذه للشمس والقمر فيستضيىء بالنور الربانى الكاشف الهادى ، والذى يكره النور يغلق نوافذه ويبيت فى الظلام كالأعمى ، وهو الذى أعمى نفسه ، فكذلك الذى يحب التقوى يستضيىء بالنيرين اللذين أنار الله بهما نفوس البشر ، القرآن الكريم وهو كالشمس ، والهدى المحمدى بالسنة المطهرة وهى كالقمر ، والذى يكره النور والتقوى ويحب المعصية والفجور يغلق حواسه وعقله عنهما فيعيش أعمى البصيرة وهو أشد من عمى البصر (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

واذا فالمناسبة قوية جدا بين العالم المادى والعالم النفسى ، كل مظلم يحتاج الى نور ، والنور موجود للابصار والبصائر ، والله من رحمته بخلقه أوجد لهم ما ينير البصر وما ينير البصيرة ، والسعيد من فتح نوافذه للنور والشقى من أغلقها .

ان هدى الله للنفوس يحتاج الى اذن تسمع وعين تبصر وقلب يعى ما يسمع وما يبصر ثم يتبع أحسن ما سمع وما رأى .

(فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) .

— والشرع السماوى كما هو نور ، نستمد منه نور العلم فنبدد ظلام الجهل ، كذلك هو غذاء نقى طاهر للعقل يقوى به العقل ويشتد ، ويستطيع أن يميز بين الرشد والغى والشرع السماوى تحيا به النفوس كما يحيا الجسم بالروح ، وقد ساقت آيات القرآن الكريم هذه المعانى عندما جاء فيها قول الله تعالى :

(أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) آية ١٢٢ الأنعام .

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، الا الى الله تصير الامور) .

وتختم السورة الكريمة سورة الشمس بالفاجرين عندما يشتد بهم الفجور فيحادون رب العالمين ويحملهم الطغيان على الاستهزاء بعقوبة الرحمن ، فتكون النتيجة أنهم الهالكون وأنهم لأنفسهم الظالمون .

والعقلاء يقرأون هذا ويتدبرون ويعملون على البحث عن كل ما يزكى النفوس ليفلحوا ، ويبعدون عن كل ما يدنسها حتى لا يخيبوا ، ويرون أن الله تعالى بهم رءوف رحيم ، يريد لهم الخروج من الظلمات الى النور على حين أن قوى الشر تريد أن تخرجهم من النور الى الظلمات ، ويرون العقل والسلامة فى اتباع رب العالمين والبعد عن الطاغوت وسائر الشياطين من الجنة والناس أجمعين ونختم هذه الكلمة بقول رب العالمين :

(يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) النساء .

فقيد الإسلام

العلامة مالك بن نبي

محمود دنده

لبى نداء ربه العلامة الجليل مالك بن نبى فى أوائل شهر شوال ١٣٩٣ هـ (نوفمبر ١٩٧٣) عن عمر لم يتجاوز الستين الا قليلا بعد أن ترك ثروة وافرة من الفكر الاسلامى المتجدد الذى نشره باللغة الفرنسية ، ثم ترجم الى اللغة العربية وقد أتيح له فى السنوات الاخيرة أن يكتب بلغة الضاد وأن يلقى بها أبحاثه فى مؤتمرات القاهرة ومكة وطرابلس الغرب والجزائر .

وقد عاش مالك بن نبى حياته كلها فى مواجهة تحدى الحضارة الغربية المعاصرة وموقفها فى وجه الفكر الاسلامى ، وحاول أن يقدم صيغة صالحة للرد على هذا التحدى ومواجهته . وكان لعقليته التى شكلتها الدراسة العلمية (الهندسية) بالاضافة الى الثقافة الفرنسية ، كان لها أثرها الواضح فى بناء نظريته التى ظل يدافع عنها ثلاثين عاما أو يزيد .

ومثل مالك بن نبى بين مفكرى العالم الاسلامى قليل فهو الرجل الذى ورد مورد الغرب وجاءنا منه نقيا صافيا ، وقد حفظ الله له أصالته وأفاد مما وجد ، نصاعة فكر ، وبعد نظر ، وعمق فهم ، وقدرة على كشف تلك التحديات والشبهات والاوضاع التى عمد التغريب والغزو الثقافى على نصب شباكها لتدمير الفكر الاسلامى واثارة أجواء الاضطراب والتخلخل بين جوانبه ، ودفعه الى أن يقع فريسة للحلقة المقفلة الغربية التى تحاول الانقضاض عليه وتطويقه واحتواءه حتى تخرجه عن أسسه وأصالته وقاعدته القرآنية لتقذف به فى تلك البوتقة الخطيرة التى تصهر الثقافات : بوتقة العالمية والأممية .

ولكم ذهب كثيرون الى أوروبا وعادوا وقد أصبحت أمانتهم للغرب أكبر من أمانتهم لأوطانهم ، واستطاعت القوى الغاصبة : من استعمار وصهيونية وغزو ثقافى وتغريب أن تحميهم وتيسر لهم رغد



للاستاذ أنور الجنـــدى

العيش وتظلهـم بظلال الجوائـــز والدرجات والنياشين وتسبغ عليهـم من معطيات الحياة وترفها وبريقهـا وترشحهم لجائزة نوبل وتحملهم كـل عام الى المؤتمرات الحافلة . أما مالك ابن نبى فقد عصى هذا ، وتحمـل نتيجة عصيانه ومقاومته ، بعـد أن كشف عن تلك الجرثومة الخطيرة التى تواجه الفكر الاسـلامى وشبابـه ومثقفيه وتحاول أن تصطنعهم لنفسها وكأنما كانت وفاته فى هذه اللحظـة علامة على مقارنـة خطيرة بيـن المعتصمين بالله من أصحاب الحـق وبين الذين حملوا رايـة التغريـب وجروا بها شوطا طويلا فأفسـدوا العقول النقية والقلوب المؤمنة .

ولعل أروع ما يصور مالك بن نبى فى موقفه هذا تلك الصورة التـى يقدمها فى كتابه « الصراع الفكـرى فى البلاد المستعمرة » وهو أول كتاب كتبه باللغة العربية مباشرة . حيـث يقول :

« عندما تظهر فكرة مجردة ، فان مراصد الاستعمار ترصدها قبل أن يدركها الشعب الذى يريد صاحبهـا أن ينشرها بينه ، فيبدأ الاستعمـار بتوجيه مدفعيته اليها وبما أنه لا قدرة له على مجابهة الفكرة المجردة صراحة والقضاء عليها فانه يوجه قذائفه نحو الكاتب لتصيب فكرته .

والاسـتعمار يحاول تجسـيد الأفكار المجردة حتى ينصب نقده على الشخص وحتى تصبح العلاقة عاطفية لا عقلية ، أو يعمل على طبخ الدعوات بسرعة لاخراج مولود ضعيف يسهل قتله أو لا يمثل الفكرة الاصلية ، أو ايجاد بديل سريع لكل فكرة شريفـة وتحويل الرأى الاول بالثانية ، أو شن غارة على الفكرة وصاحبها واتهـام صاحبها من جهات ذات نفـوذ وان الاستعمار قد يواجه فى البـلاد المستعمرة فكرة مجسدة فانه يقصيها بأبعاد من يمثلها ، أن لم يسـتطع التأثير عليها بالاغراء أو التهديد .

واذا تبين له أن الفـكرة التى أراد اقصاءها قد بعثت بصورة فكرة مجردة استقرت فى ضمير الشـعب فانه يتبع خططا أكثر دقة ، فهـو يجتهد فى امتصاص القوى الواعية بأية طريقة ممكنة حتى لا تتعلق بفكرة مجردة ، ويحـاول تعبئتها لفـكرة متجسدة حيث تصبح أقرب اليـه منالا ، لأنه يستطيع مقاومتها بوسائل الاغراء أو القوة ، وفى الوقت نفسه

يحاول حربه ضد الفكرة المجردة بوسائل ملائمة مرنة ، ويستعين بخريطة نفسية للبلاد المستعمرة ويجرى عليها التعديلات اللازمة كل يوم رجال متخصصون بذلك مكلفون برصد الأفكار ، وهو يرسم الخطط ويعطى توجيهاته العملية فى ضوء معرفة دقيقة لنفسية البلاد المستعمرة معرفة تسوغ له تحديد العمل المناسب لمواجهة الوعى فيها حيث توجد مختلف الطبقات والمستويات فيقدم للمثقفين شعارات سياسية تسد منافذ ادراكهم ازاء الفكرة المجردة مستعملا لغة الفكرة المشخصة المتجسدة .. الخ »

هكذا يصل عمق فهم مالك بن نبى لمخططات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى والتغريب ولقد أشار هو فى كتابه هذا الى وقائع مثيرة حدثت له هو بالذات فى سبيل القضاء على دعوته وخطته .

ولقد نشأ مالك بن نبى فى خضم الثورة الجزائرية التى بدأت فى الحق حين رفع علمها الامام عبد الحميد بن باديس فى الثلاثينيات من هذا القرن وحمل لواء تعليم اللغة العربية والقرآن فى وطن كان يحتفل غاصبوه بمرور مائة عام على احتلاله ومصادرة روحه وفكره . نشأ مالك بن نبى فى ظل هذا التحدى وفى أحضان هذه الدعوة ، وكان لمطامح التعلم فى فرنسا والاتصال بها عن قرب والتمرس بثقافتها حتى لم يكن يكتب الا بالفرنسية عامل هام فى تكوين هذا العقل المتوقد ، وتوجيه القلم الى العمل الكبير الذى قدم للفكر الاسلامى المعاصر اضافات حية قوية بعيدة الأثر فى قضية من أخطر قضايا المسلمين هى علاقتهم بالغرب ثقافيا وحضاريا .

وتتلخص نظرية مالك بن نبى فيما يلى :

ان الانسانية مرت بأكبر تجربتين حضاريتين فى التاريخ : التجربة الرومانية والتجربة الاسلامية وقد كانت التجربة الاولى متجلية فى الروح الامبراطورية التى تقسم الانسان الى مواطن يتمتع بكامل الحقوق والى غير مواطن مسلوب من كل الحقوق . وعلى هذا الاساس حكمت وقننت وعالجت ومنحت ، وهى وان أخفقت فى معالجة مشاكل الانسان قديما فقد اتيح لها أن تبدو فى صورة جديدة فى عصرنا الحاضر ، فالحضارة الغربية المعاصرة تخطت الحضارة الاسلامية التى سبقتها فى الزمن وكانت حلقة ضرورية فى سلسلة الحضارات الانسانية ، تخطتها لتصل بالحضارة الرومانية وتأخذ منها روحها الاستعمارية وتتشرب مبادئها وكثيرا من نظراتها الجوهرية .

ويعرف مالك بن نبى الحضارة بأنها معادلة تساوى (انسان + تراب + وقت) فكل نتاج حضارى هو نتيجة اشتراك عوامل ثلاثة لا غير .

- التراب : المادة المكونة لهذا النتاج الحضارى .
- الانسان : الذى صنعه .
- الوقت : الذى صنع فيه .

وليس هناك عنصر آخر يستطيع أن يدخل فى تكوين وصنع هذا النتاج الحضارى . وعنده أن وجود هذه العناصر الثلاثة ليس بكاف لايجاد حضارة ، والا لكان مجرد اكسجين وادروجين بنسبة معينة كافيا لتكوين

الماء ، انه لا بد من مركب لهذين العنصرين كالشرارة الكهربائية ، وكذلك الحضارة فانها تحتاج لمركب ، يركب بين عناصرها ، ولهذا المركب أو الشرارة يجب الا تختلقها اختلاقا ، بل اننا لا نستطيع ايجادها وانما نبحث عنها فى التاريخ فهو الوحيد الذى يسعفنا بالخبر عن الشرارة المكونة للحضارات والتى استطاعت أن توجد العلاقة بين العناصر الثلاثة ، وعن تلك العلاقة انبثقت المدنية ، هذه الشرارة هى « الدين » فالحضارة لا تنبعث الا بالعقيدة الدينية وينبغى أن نبحث فى كل حضارة من الحضارات عن أصلها الدينى الذى بعثها وان للحضارة مدارا تسير فيه هذا المدار يتكون من ثلاث مراحل :

■ مرحلة الروح : وذلك عندما تكون الحضارة فى عنفوان قوتها .

■ مرحلة العقل : عندما تبلغ الحضارة أقصى توسعها .

■ مرحلة الغريزة : التى تعود بالانسان الى مستوى الحياة البدائية

فالحضارة الاسلامية مرت بهذه المراحل : ابتدأت المرحلة الاولى من قوله تعالى :

(اقرأ) الى حرب صفين ومن هناك دخلت فى مرحلة العقل الى زمن ابن خلدون ، وهنا استسلم العالم الاسلامى لقيادة الغريزة التى لا تزال لها القيادة الى اليوم .

وان اوروبا قد بدأت تدخل مرحلة الغريزة على الرغم من هذه الصحوة العلمية الجبارة التى انفصلت عن الضمير ، ومحاولة تقليدنا لأوروبا فى هذه المرحلة التطورية فى حياتها محاولة تدل على جهل بأسس المدنية وحقيقة بواعثها فالمدنية ليست بضاعة تشترى ولا أشياء تنقل أو صورا تحاكى ، وانما هى معان نفسية روحية تنبثق من الذات ، من الروح من الفطرة .

ومن هنا فان العالم الاسلامى ليس مريضا بالتفرقة والجهل والاستعمار ، هذه هى المظاهر فحسب ، وهى أعراض المرض ، اما المرض الحقيقى فيجب أن يلتمس وراء هذه الاعراض الخداعة التى شغلت العالم الاسلامى وأتعبته وضللته عن معرفة حقيقة الداء ومن ثم جهل حقيقة الدواء ، والمرض يكمن فى النفس من الذات الاسلامية ويطلق عليه (القابلية للاستعمار) وهذه القابلية هى الجاذبية التى تجذب نحوها الاستعمار ، وللقضاء على الاستعمار يجب أولا القضاء على سببه الجوهرى الذى يكمن فى النفوس أى « القابلية للاستعمار » ومن هنا يصل مالك بن نبى الى مفهوم جديد عميق لموقف المسلمين من الحضارة المعاصرة ومن مفهوم الحضارة الحقة .

ويتخذ مالك بن نبى التاريخ الاسلامى منطلقا لبحثه ويركز على التجربة الجزائرية بالذات فهو يتحدث عن (انسان ما بعد الموحدين) كعلامة على سقوط الحضارة الاسلامية ويؤرخ لتلك الظاهرة فى التاريخ الاسلامى بسقوط دولة الموحدين حيث يبدأ عصر التخلف فى تقديره بانسان ما بعد الموحدين .

ويمثل مالك بن نبى مرحلة جديدة هى مرحلة الفكر المغربى الاسلامى العربى بعد الحرب العالمية الثانية ويقف فى هذا مع مجموعة من الاعلام البارزين ذوى الأثر فى مقدمتهم العلامة علال الفاسى والدكتور مهدى بن عبور والسيد الجليل عبد

الله بن كنون وابراهيم بن بيوض والفاضل بن عاشور (رحمه الله) .

وقد ولد مالك بن نبى فى الجزائر (مدينة قسطنطينة) عام ١٩٠٥ فى بيئة متدينة ودرس القضاء فى المعهد الاسلامى المختلط ثم توجه الى دراسة عصرية والتحق بالمعهد العالى للهندسة فى باريس حيث تخرج مهندسا فى الميكانيكا الكهربائية وفى باريس اتصل ببيئات السربون والكوليج دى فرانس ومعهد اللغات الشرقية ونظر فى عمق الفاحص المسلم الى هذه المؤسسات جميعا واتصل بعشرات من الباحثين والمفكرين ، واستطاع أن يفيد منها دون أن تستوعبه كما استوعبت الكثير من الاسماء اللامعة فى البلاد العربية . ومن أجل موقفه هذا فقد فوجىء بعد تخرجه بأن وجد الابواب كلها مقفلة فى وجهه فلم يستطع القيام بالتمرينات اللازمة لكل مهندس تخرج حديثا ، ذلك لأن الاستعمار الفرنسى كان قد أدرك اتجاهه ومفهوم العقلية التى يحملها ذلك انه لم يكن بمعزل عن المراقبة الاستعمارية التى صورها فى كتابه الذى عرضنا له من قبل ، وقد تفطنت الى نبوغه وايمانه الراسخ بالاسلام وعجزت عن احتوائه ، ومن ثم لجأ الى سياسة التضييق والتيئيس والخنق وفيما يروى تلميذه الدكتور (عبد السلام الهراس) ان الاستعمار حاول أول الأمر أن يحيطه بجو ثقافى خاص ليوجهه بما يحقق أهداف الاستعمار وفى محاولة لتزييف احساسه واتجاهه ، غير أن العقيدة كانت أرسخ من أن يعبث بها أحد ، فأغلق الاستعمار فى وجهه أبواب الرزق وعزل والده من وظيفته وسلط على مالك من يحاربه من بنى جلدته .

غير أن الله الذى اتجه له مالك بالعمل ، لم يدع الظالمين يأكلونه وانما فتح له من الآفاق ما مكنه من أن يقول كلمته وكتابه (مشكلة النهضة) الذى أصدره عام ١٩٤٨ هو دعامة أبحاثه كلها ومنطلق دراساته المختلفة التى ضمت أكثر من ثلاثين كتابا فقد أتيح له أن يتجه الى الشرق وان يزور مكة ويقيم فى القاهرة خلال سبع سنوات (١٩٥٧ — ١٩٦٣) حيث أصدر معظم آثاره وانتاجه وكانت مجالس حافلة بالعلم والفكر فى ضيافة زميله المهندس أحمد عبده الشرباصى العالم الفقيه ، وقد حضرنا بعض هذه المجالس وأعجبنا بهذه الشخصية الفذة القادرة على استخلاص القوانين من الظواهر الاجتماعية المختلفة . وقد عاد الى الجزائر منذ عشرة اعوام تقريبا وولى بها بعض المهام الكبرى فى الثقافة والتعليم وشهد عديدا من المؤتمرات الاسلامية وجلسات مجمع البحوث فى القاهرة وغيرها فى مكة والكويت ودمشق وطرابلس الغرب .

وكانت له في سنواته الاخيرة دراسات جديدة عن الاستشراق والتغريب .

وقد سجل صفحات من ذكرياته فى كتابه (شاهد القرن) حيث رسم بقلم مشرق مضىء تاريخ الجزائر فى أوائل هذا القرن وكيف بدأت النهضة فيه واستفاضت حتى حققت الثورة ذلك النصر المؤزر باسم الاسلام أولا وآخرا .

رحمة الله على مالك بن نبى كفاء ما قدم للمسلمين والاسلام .

الحائرون

بين المهدئات والمنبهات والمشروبات والمخدرات

للدكتور : محمد محمد أبو شوك

الفارق كبير بين الأمس واليوم ، فبالأمس كنا نحس بما يتمتع به الجدود من هدوء بال وصفاء نفس ومحبة وتعاون ، فلا يكاد الواحد منهم ينتهى من صلاة العشاء ويتناول وجبته إلا وتراه قد ذهب الى فراشه مبكرا واستسلم لنوم هادىء عميق ، يجد نفسه قد استيقظ لصلاة الفجر وكله نشاط وحيوية ، ثم أنه يستعد للقاء يومه ، كادحا فى سبيل رزقه ، وكله إيمان واطمئنان فلا يكاد ينتهى من يومه حتى تراه قد عاد الى بيته وأولاده والفرحة تشرح صدره ، وبيته تعمه السعادة والبهجة ، والكل راض بما قسمه الله وتسير الحياة سيرا حثيثا بعيدا عن المخاوف والأوهام ، اللهم الا ما يعكر صفوها من آن الى آخر من هفوة أو انحراف بسيط من أحد أفراد الأسرة سرعان ما يتبدد بالتفاهم والتعاون والصلح والصفح .

هكذا كانت حياتهم كلها الايمان والثقة بالله والسعى فى الرزق مع القناعة وطيب العيش ، يشارك بعضهم البعض فى أفراحهم وأتراحهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

ولو أمعنا النظر الى صحابة رسول الله والسلف الصالح لوجدنا المثل الأعلى فى الإيمان بالله والتوكل عليه وحمده فى السراء والضراء ، وسعيهم فى طلب الرزق دون ما جشع ولا تكالب على الدنيا وزخرفها ، لا شحناء ولا بغضاء ، بل رحماء بينهم — يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

وهذا كتاب الله العزيز وأحاديث رسوله الكريم كلها تحث على الإيمان

بالله والتوكل عليه وبذل الجهد فى الأرض لطلب الرزق مع الرضا بالمقسوم والقناعة التامة بما قدر الله **« وتوكل على الحى الذى لا يموت »** **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور »** **« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا »** **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »** **« وعلى الله فليتوكل المؤمنون »** **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »** وما تقاعس رسول الله ولا صحابته عن جهاد فى سبيل الله ، أو عمل يقربهم الى الله ويرفع من قدرهم فى أعين الناس من حولهم ،فكانت امبراطورية الاسلام ، ناشرة الحضارة فى ربوع الأرض ، ناثرة لبذور العلم أينما حلت ، فكان نباتها الأخضر وارف الظلال ، يانع الثمار ، أسعدت به البشرية لحقب من الزمان ، ما زال أثرها باقيا أمام كل عين تحمد لهم ما صنعوا ، أوتحقد على ما وصلوا اليه ، وكتب تظهر ما قاموا به ، تشكر لهم صنيعهم ،وأخرى تخفى وتحاول أن تهدم ، ولكن انى لهم ذلك **« والله متم نوره ولو كره الكافرون »** ، ودين هذا شأنه وهؤلاء أتباعه كانوا سادة كلما تمسكوا به ، وتودد اليهم كل حاقد ولئيم رغم ما يتأجج فى صدره من عداوة وبغضاء ، دين جعل عمر ينام ملء جفونه تحت شجرة دون حارس يحميه ولا قصر يأويه ولا قلاع تخفيه فيقول له الذى رآه **« عدلت فأمنت فنمت »** لم ينم بمهدىء ولم يستعن بمخدر أو يثمل حتى لا يفيق فما كان الدين أفيونة كما يدعى أصحاب المذاهب ليسيئوا الى الأديان ، ويزجوا بالبشرية فى خضم الضلال ، بل كان الدين بردا وسلاما وأمنا وطمأنينة وراحة بال ، وعملا وجهادا وعدلا ومساواة .

ورأينا فى التاريخ على مر العصور مدى ما وصلت اليه الدولة الاسلامية من مجد وعزة ومنعةعندما كانت تحتمى بحمى الدين ، وتنفذ أحكامه وتطبق شرائعه ، وماذا كان يحدث لها عندما تنسى الدين أو يتجاهله حكامها ومن تبعهم ، كان الهوان والذلة حتى انتصروا علينا وشوهوا ديننا بكل ما أوتوا من قوة ، فهم الآن يسخرون منا عندما نجحوا فى إبعادنا عن حوض ديننا القويم ، بعدما وردوه وبنوا عليه حضارتهم وأعطونا نحن المخدر بكل طريقة وبكل وسيلة حتى سرى فى جسدنا فأغرقنا فى سبات عميق ، وذهول ليس له نهاية ، وطريق طويل لا يعرف مداه ، اللهم الا اذا هيأ الله لهذه الأمة من يوقظها من سباتها ويدفع عنها ما يحيكه لها أعداؤها وهم كثر ولكن كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرةباذن الله عندما اعتصموا بحبله ورجعوا اليه .

ومن هذه الصورة انتقل بك أيها القارىء العزيز الى ما احببت أن أضعه أمامك من مشاكل أصبحت تهدد العالم بأسره ، وبحثت فى مؤتمرات عدة كان آخرها مؤتمر الصحة العالمية ، وكانت الأرقام مذهلة فالعالم يستعمل الآن أطنانا من المهدئات ومثلها من المنبهات ، انتشرت المخدرات وغرق فى بحر من المشروبات ، فالملايين أصبحت لا تنام إلا بمنوم والساهرون العابثون يستعملون المنبهات اذا أرادوا أن يقضوا ليلا طويلا طويلا والساهر العابث يحمل معه منوما يلتهمه عندما تنتهى سهرته وشباب اليوم غارق الى أذنيه فى كئوس الخمر أو فى حالة شبه غيبوبة من مخدرات ، وها هى الشركات

تتسابق فى اختراع المهدئات وكل يوم نشاهد العشرات بل المئات من الأنواع تطرح فى الأسواق فتجد رواجا ما بعده من رواج ، ويجنى أصحاب السموم منها الملايين ، حبذا لو صرفت فى إعانة دول لإنقاذها من مجاعات تهددها أو أمراض تقضى عليها ، وها هو الادمان على هذه الموبقات قد انتشر انتشارا ذريعا فى انحاء العالم ولم ينج من ذلك المتحضر منها ، والمتخلف ، بل ان المتحضر منها أصبح يعانى الكثير مما حدا به الى أن يبحث المشكلة على أعلى المستويات ، لأنها تهدد حياته وكيانه .

فها هى الجرائم وعلى رأسها الخلقية تزداد يوما بعد يوم ، وأصبح كل فرد لا يأمن على حاله وماله وولده وعرضه ، أى أن الأمن فى كل شىء أصبح مهددا فأى حياة هذه الحياة ، وها هى البطالة تزداد ، وأيام التغيب مع قلة الانتاج تكثر ، ثم تدهور الشباب وما نراه ونسمعه عما يقومون به من أعمال اجرامية واخلاقية يندى لها الجبين دون أن يجدوا رادعا يردعهم أو مثلا أعلى يحتذونه ، ويدعون انها الحرية الكاملة والتنفيس عما تكنه صدورهم من حنقهم وعدم رضائهم بواقع أمرهم ، وجريهم وراء كل ما هو مخالف للطبيعة وضد العرف والمجتمع ، لو نظرت اليهم وهو يحقنون أنفسهم بالمخدرات ، وحالتهم حينما يحرمون منها أو لا يجدونها ، تراهم وكأنهم وحوش ضارية ، خرجت من أقفاصها بعد سجن طويل ، لا تلوى على شىء انهم يبحثون عن المخدر بأى وسيلة وبأى ثمن ولو كلفهم ذلك كل غال ونفيس ، وهل ينتظر من قوم هذا حالهم نفع لمجتمعهم أو عمل يقومون به لأسرهم ، اللهم الا الشقاء وكدر العيش .

أعرف مهندسا شابا كان يعمل فى مقتبل حياته وزهرة شبابه ، رب أسرة وله طفلان ، أدمن على المورفين فحكى لى كيف كان يذهب الى أقذر الأماكن ليحصل عليه ، وباع من أجل ذلك كل ما يملك ، وتدهورت صحته ، وهجر أسرته ، وفقد وظيفته ، وانخرط فى سلك مدمنى المخدرات ، ولما ضاقت الدنيا فى وجهه أحب أن يقلع عن عادته ، فأدخل المستشفى وكنا نعطيه (البنج) لينام عندما قررنا عدم اعطائه المخدر ، وفوجئنا يوما بهربه فلم يقو على متابعة علاجه ، وذهب ، ولا نعرف أى طريق سلك ، وماذا كانت نهاية هذا الطريق ، هذا مثل من الأمثلة وغيره كثير .

ولقد أخذت هذه المهدئات والمخدرات وما شابهها تقلق العالم ، لأنها وجدت سوقا رائجة فى كل الأوساط ، لا فرق بين مثقف وغير مثقف ، مما جعل الأمر يستفحل ويزداد خطورة وليت الأمر يقتصر على الادمان فحسب ، ولكن كما قلت يسبب أضرارا تلحق بالمجتمع منها الجرائم الخلقية وغير الخلقية وما يتبع ذلك من مشاكل اجتماعية واقتصادية تكون سببا فى انهيار هذا المجتمع ، وما انتشرت فاحشة فى مجتمع إلا وكانت نهايته الدمار والخراب .

ونظرة الى الاحصائيات المختلفة التى تصدرها الجهات المختصة بالخارج نجد الى اى مدى وصل هذا الوباء الذى أخذ يجتاح مجتمعنا المتحضر ففى انجلترا هذه هى الحالات التى بلغ عنها ما بين الأعمار أقل من ٢٠ سنة والخمسين سنة .

السنة	العمر — ٢٠	العمر ٢٠—٣٤	العمر ٣٤—٤٠	العمر ٥٠ —
١٩٦٢	٣	١٢٦	١٠٧	٢٧٤
١٩٦٣	١٧	١٨٤	١٢٨	٢٩٨
١٩٦٤	٤٠	٢٥٧	١٣٨	٣١٣
١٩٦٥	١٤٥	٣٤٧	٦٣٤	٢٩١
١٩٦٦	٣٢٩	٥٥٨	١٦٢	٢٨٧
١٩٦٧	٣٩٥	٩٠٥	١٤٢	٢٧٩

عدد المدمنين فى انجلترا وتلاحظ الزيادة المطردة

ويتبع ذلك زيادة فى الجرائم كما هو موضح أسفل :

	١٤ —	١٧ — ٢٠	٢١ — ٢٤	
١٩٤٧	١٥١٥	١٠٢٣	٩١١	= الذكور
١٩٥٢	١٩٩١	١٢٢٩	١٠٩٣	
١٩٥٧	٢٠٥٨	١٥٥٥	١١٥٧	
١٩٦٢	٢٦٠٦	٢٤٥٧	١٩٥٠	
١٩٦٧	٣٢٤٢	٣٠٢٤	٢١٨٨	
١٩٤٧	١٧٨	١٨٠	١٣٢	= الاناث
١٩٥٢	٢١٠	١٧٢	١١٦	
١٩٥٧	١٩٨	٢٧٠	٢٠٧	
١٩٦٢	٣٣٦	٢٦٧	٢٠٦	
١٩٦٧	٤٧٩	٣٤٧	٢٤٦	

عدد الجرائم التى تحدث من الشباب والشابات وتلاحظ الزيادة المطردة :

فى أمريكا هذا بيان عن المواد التى تستعمل مع إحصائية فى عدد الجنود:

المادة المستعملة	**عدد المصابين**	**نسبة عـــدد الجنود (١٩٩٤٨)**
المنبهـات (امفيتـــامين)	٢٣٦٩	٨٦ر١١٪
مهدئـات (باربيتوريت)	١٧٤٣	٨ر٧٣
كـــوكايين	٧٥١	٣ر٦٧
حشـــيش	٣٢٠٦	١٦ر٥٧
الهيـــروين	٥٣٣	٢ر٦٧
مارجـــوانا	٤٨٧٦	٢٤ر٤٤
مـــورفين	٣١٤	١ر٥٧
أفيـــون	٨٤٤	٤ر١٢

وقد وجد ان عدد متعاطى هذه المواد الموضحة يبلغ حوالى ثلث المجندين (٦٢٠٣) من ١٩٩٤٨ نشرت بالصحيفة الأمريكيـة للأمراض النفسـية فى عددها الصادر فى مارس ١٩٧٣ وصاحب المقال جون كالون وكارول بانرسون فى هذا المقال يشير صاحباه الى أن معظم المدمنين قد استعملوا هذه المواد خمس عشرة مرة أو أقل وكـذلك أن ٤٠٪ من الجنـود اليهود كانوا

يتعاطون هذه المواد و ٣٧٪ ممن لا يؤمنون بدين و ٢٦٪ من البروتستانت ، و ٢٩٪ من الكاثوليك ، وفى احصـــائيات جديدة وجد أن حوالى خمســة ملايين فى أمريكا مدمنو مخدرات ، وغيرهم من مدمنى المشروبات الروحية .
هذه الموبقات تجتاح أوروبا أيضا وما زال أولو الأمر عاكفين على دراسة أسباب هذا الانتشار وما جره على المجتمعات المختلفة ، فبزيادة انتشار هذه المواد تزداد الجرائم كما هو واضح فى انجلترا من الجدول المبين سابقـــا ، وكذلك تجتاح عالمنا العربى وتزداد نسبة من يقبلون عليها يوما بعد يوم .
ولكى نقضى على هذه الظاهرة الخطيرة لا بد لنا من وقفة طويلة عنـــد الأسباب التى تدعو الانسان الى تعاطى هذه المهدئات والمنبهات والمخـــدرات والمشروبات .

الـــــــدين :

وهذا لا يحتاج الى تبيان فالدين هو الذى يتحـــكم فى الفرد ويرده الى ضميره ويجعله يلتزم بأوامر ربه وينتهى عما نهى عنه ، وفى الدين المثل العليا التى يحتذى بها الانسان ، وشرائعه التى تهديه سواء السبيل ، يحكم نفسه وضميره أمام ما يقـــوم به من أعمـــال ، ويجد الحاجز المنيع الذى يقف حائلا أمامه وأمام ما تشتهى نفسه من أعمال تضر به ، وبالمجتمع الذى يعيش فيه ويحميـــه ، وحتى اذا انحرف يوما وضل ، ثم اهتدى الى دينه فانه يجـــد له ملاذا ، وركنا يأوى اليه ، ويعود فيه بهدوء الى رشده ، وما انحرف قوم عن دينهم ونسوا ربهم الا وكانت عاقبة أمرهم الوبال والدمار ، حتى لو طـــال العهـــد بهم ، ولا يغتر أحـــد بما فيـــه بعض الذين لا دين لهم من أمرة فى الأرض ، أو تقـــدم وسيطرة ، ولكن هذه إرادة الله يمهـــل ولا يهمل ، ويدع القوم فى طغيانهم يعمهون ، وتغريهم الدنياو ما فيها ، ثم يأخذهم أخـــذ عزيز مقتـــدر ، وكتابنا حافل بهذه الأحداث ، فهناك أقوام طغـــوا وبغوا وأتتهم الدنيا بكل فيها ، ثم ماذا كان من أمرهم ؟ وليست قصـــة قارون وفرعون ، وغيرهما تغيب عن كل ذى قلب رشيد .
ثم تفكك الأسرة التى يضعها الغرب السبب المباشر والأساسى للانحراف فى الشباب ويضطرهم الى تعاطى هذه الموبقات ، هل بحثنا فى جذور هـــذا التفكك ، والسبب الذى من أجله حدث ، وهل كفل دين من الأديان الأسرة ورعاها كما فعـــل ذلك الدين الاسلامى ، فوضـــع لها القوانين والشرائع ليحفظ لكل فرد فى الأسرة حقه ، ويرفع من قدره ، ورسم لها الخطوط التى يتبعها كل فرد ، وجعل طاعة الوالدين والبر بهما من أقدس الواجبـــات ، حفظا على كرامة الأسرة وعزتها ومنعتها ، ثم ربط الأسرة برباط وثيق ، وأكد المحبة والتضامن بين أفرادها ، ثم ربطها بالمجتمع الذى تعيش فيه ، وما عليها تجاه الحاكم ، وما حدث للأسرة الاسلامية بعد هجـــرة الرسول الى المدينة ، وتلك الروابط المتينة التى أرساها ، وما كان لها من أثر فى صـــدر الاسلام ، مما هيأت للعرب القوة والمنعـــة بعد أن ألف الله بين قلوبهـــم ،

وصاروا بنعمته اخوانا ، فكان المجد والجاه ، وكانت الحضارة الاسلامية المؤسسة على دعائم قوية ، حتى فى أحوال الطلاق أبغض الحلال عند الله قيده بقيود شديدة لحفظ الأسرة والأبناء من الضياع ، وجعلهم تحت رعاية الأم فترة ، ثم رعاية الأب ، لا كما هو الحال فى الغرب يكون الانفصال بالسنين ، وتبقى الزوجة كالمعلقة . ويضيع الأبناء من الآباء والأمهات ، ثم تبتعلهم دوامات الحرية الزائفة التى ينادون بها فيمرحون ذات اليمين وذات الشمال دون أن يدرى الواحد أين المصير ولا الى أين ذهب الآباء ، ثم ماذا حدث للأمهات ، ثم أليس الدين الحنيف هو الذى ينهى عن الخمر والمخدر وغيرهما ــ كل مسكر خمر وكل خمر حرام ــ !! ولعل الذين ابتلوا بالتمادى فى تعاطى المسكرات أولى الناس بما يعانون من شرورها ولكن الله طمس على قلوبهم ، فتراهم لا ينصحون غيرهم بتركها ، بل يحببونهم فيها ، فلعلهم ينحدرون فى أحواضها ويغرقون كما غرقوا معهم ، ولو كان عند هؤلاء ضمير يؤنبهم ما سولوا لغيرهم وتباكوا ، وبحوا أصواتهم ، بل وافتروا على الشرع والدين بأنه لم ينزل بها تحريم .

عرفته تاجرا ناجحا واذا به بعد أن راجت تجارته واصبح من ذوى الألوف يدخل علىّ ويقول أعطنى منوما . قلت لماذا ؟ قال : لا أنام الليل ولا أهجع بالنهار . قلت : هذه علامة كثرة المال ! قال : ولماذا لا أكون مثلهم من ذوى الملايين ؟ ذهبت القناعة ، والحمد ، والرضا ، وحل الحسد ، والغيرة ، فكان القلق والأرق فهل تذكر قول الله : **« وفى السماء رزقكم وما توعدون »** وان الأرزاق بيد الله يختص بها من يشاء ، وعليه أن يسعى بقدر جهده ولا حاجة للحسد ، والله هو موزع الأرزاق ، لو فهم ذلك لارتاح بالا ، ونام ملء جفونه دون حاجة الى منوم .

ولعدم الرضا والهرب من الحياة والتقاعس أمام مشاكلها بل وحتى أمام فشل طارىء يجعل الانسان يحاول الانتحار اما ببطء فيأخذ المنوم والمهدىء بكميات صغيرة أو يهرب بسرعة فيأخذ كميات كبيرة لأنه لم يرب نفسه على الاعتماد على الله ، والثقة بالله ، والايمان به ، وأن ما يصيبه من خير أو من شر فانما هى مقادير معرض لها الانسان ، وانه له يوم وعليه يوم ، فاذا فشل فعليه بالكفاح ، واذا نجح فعليه بالاجتهاد ، بهذا يطمئن قلبا ، وينشرح صدرا ، ويكون فردا صالحا فى مجتمع يقدره ويحبه ، واذا استطردنا فى الأمثلة لوجدنا أنفسنا لا نقف عند حد مما يبين أن للدين الحنيف الأثر القوى فى نشأة الفرد الذى لا يضعف لأنه يحتمى بالحق ، ولا يجد داعيا لمنبه ولامهدىء أو مخدر .

التعاليم الدينية :

ولعل للتعليم الأثر القوى هو الآخر فاذا ركز على التعاليم الدينية التى تربى النشء منذ بدء حياتهم ، فتجعل منهم شابا صالحا يعتمد عليهم ،

فبالعلم والأخلاق تبنى الأمم ، ولا بد للتعـاليم الدينيـة أن توضع فى منهاج قويم يجعل النشء يقبل عليها سواء فى البيت أم فى المدرسة .

الطـــب :

وللطب دور كذلك فى الاعتماد على المهدئات وغيرها فيجب على الطبيب الحاذق أن لا يجعـل من مريضه مدمنا على مخدر أو مهدىء فيعالجه بأمانة واخلاص وأن تكون الثقـة متبادلة بينهما والصدق رائد الجميـع ، وهـذا يأتى مع من يتحلى بخلق نبيل ، ودين قويم ، والواجب يحتم على الطبيب أن يبصر مريضه بعواقب الأمور وباحتمال الادمان ، اذا استعمل الحبوب المهدئة أو المنومة أو المنبهـة ولا تعطى الا فى الحالات التى يحتـاج اليها المريض حقـا ، ولا يسترسل فى اعطائه ما شاء من العقاقير الضارة وكم من اهمال أدى الى عواقب وخيمة كان من السهل تلافيها لو استعملت الحكمة والأمـانة فى أداء العمـل .

هذه بعض الأسـباب التى تؤدى بالانسـان الى التردى فى استعمال الحبوب المهدئة والمنومة والمنبهة التى أصبحت لا تحصى ولا تعد .

وما هو الحل يا ترى بالنسبة لنا بعد أن وجدنا أنفسنا قد ضعنا فى هذاالخضم ، وأصبحتهذه الموبقات تغمر أرضنا ويتهافت عليها شبابنا ؟

ان التبصرة بعواقب الأمور أصبحت واجبة فلا بد من رجوعنا الى ديننا الذى يأمرنا بالابتعـاد عن هذه الموبقات ، وننشىء أولادنا التنشئة الدينيـة الصحيحة القائمة على أسس متينة يعطى فيها الناشىء حرية الفكر والسؤال ، لا أن يلقن تلقينـا ويجبر اجبارا ، بل لا بد أن يكون كل شىء باقتناع .

ثم لا بد أن تكون الصورة واضحة أمام الناس عن مضار هـذه المواد المهلكة بكل وسائل الاعلام حتى يبتعدوا عنها ولا يستعملوها الا عنـد الحاجة وحسب أمر الطبيب ولا بد من مراجعة الطبيب عند استعمالها لا أن تستعمل وتؤكل كالحلوى أو أى طعام آخر .

ثم على الأطباء أن يراقبوا الله فى عملهم ، ولا يحولوا مرضاهم مدمنين بقصد أو بدون قصد ، بل أن يكون الدواء علاجا للداء بقدر معلوم ومحدود ، مع تكرار التنبيه بخطورة الادمان ، بهذا نرجع للفرد العربى والمسلم انسانيته ، ونجعل منه انسانا صالحا لمجتمعه ووطنه ، ونقيه شر هذه الموبقات قبـل أن يستفحل الخطب ويعم البلاء ، ولن تصلح أمة إلا اذا صـلح أمرها وعز أهلها وقوى دينها .

((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) .



كتاب الشهر

تحليل كتابين في القانون

• شرح المسطرة في ضوء القانون المغربي
• وسائل الاثبات في التشريع المدني المغربي

تقديم وتحليل الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة

صدر للدكتور ادريس العلوى كتابان هامان يعالجان موضوعات تتعلق بقانون المسطرة المدنية فى ضوء القانون المغربى ، ووسائل الاثبات فى التشريع المدنى المغربى ، الذى يعتبر نموذجا حيا فى الدراسة والبحث العلمى .

— ● —

فى هذا العرض الوجيز سنلقى نظرة على محتويات كل كتاب على حدة ، والجدير بالذكر أنه من الصعب أحاطة القارىء بكل الموضوعات التى اشتمل عليها الكتابان فى حوالى الف ومائتى صفحة ، ولذلك ننصح رجال القضاء والمهتمين بالدراسات القانونية باقتناء هذين المؤلفين اللذين لا غنى عنهما للتعرف على بعض موضوعات قانونية لا بالنسبة للمغاربة فحسب بل حتى اخواننا فى الوطن العربى والاسلامى .

— ● —

شرح المسطرة المدنية فى ضوء القانون المغربى :

هذا الكتاب اشترك فى تأليفه الدكتوران مأمون الكزبارى وادريس العلوى المدرسان بكلية الحقوق بالرباط وهو يحتوى على نحو ستمائة صفحة موزعة بين موضوعات ثلاثة هى :

(١) الأحكـــام .
(٢) طرق الطعن .
(٣) التحكيم .

وكل موضوع من هذه ، يشكل قسما خاصا فى الكتاب ، وقـد وزعت الأقسام الثلاثة الى ابواب وفصـول ومباحث وفقرات اعتمـد المؤلفان فى تحليلهما على نصوص التشريع المغربى الصادر فى نطاق المسطرة المدنية ، كما استشهدا فى شروحهما الكثير من القضايا بأقوال الفقهاء وأحكام المحـاكم واجتهادات القضاء المغربى والسورى واللبنـاني والمصرى والفرنسى ، وقرارات المحاكم وتطورها بحسب الزمان والمكان والأشخاص .

وبما أن الدراسة التى يشتمل عليها هذا الكتاب حلقة متصلـة الأجزاء يشد بعضها بعضا لا يمكن اختصارها ولا الاكتفاء منها بموضوع دون آخر لأنها مبنية على مواد ونصوص فانه من الصعب مسها بالتحليل فى هـذا التقديم ، ولذلك سنكتفى بتسليط الأضواء — فقط — على الجانب الذى يقرب موضوعات قانون المسطرة المدنية الى الأذهان :

ان الدولة فى العصر الحاضر لا تجيز للأفراد اقتضاء حقوقهم بأيديهم عن طريق القوة والا استحكمتهم الفوضى ، ولذلك فمن يدعى حقا قبل الغير عليه أن يلجأ الى القضاء للمطالبة بما يدعيه ، اذن فالقضاء أصبح وظيفة أساسية فى الدولة يتولى حل النزاعات التى تنشأ بين الأفراد والجماعات فى المحاكم .

وهكذا أصبح للأحكام القضائية قوة خاصة فى فض النزاعات عن طريق التنفيذ القهرى وقانون المسطرة المدنية ، قانون يعنى بدراسة الأحكام وشروط أصدارها وشكلها واركانها الأساسية وطرق الطعن فيها وتسبيبها من الناحية الشكلية وآثار هذه الأحكام .

والأحكام عادة لا تصدر الا بعد دراسة نقط النزاع وتمحيصه والاطلاع على أقوال الخصوم ومستنداتهم ونتائج التحقيق ، وبعد تبـادل الآراء بين القضاة والرجوع لما أعتمد عليه الخصوم في دفاعهم من النصـوص وآراء الفقهاء ، وهذه المرحلة التى تجتازها القضية بعد اقفال باب المرافعة فيهـا وتهيئتها للحكم تسمى فترة المداولة ، ولكى يضمن المشرع عدم تحيز القضاة فى قضائهم ، وكذلك عنايتهم فى تقدير ادعاءات الخصوم وفى فهم ما أحاط بها من مسائل قانونية ، فقد أوجب تبويب الأحكام حتى تتمكن محكمة النقض من أداء مهمتها المثلة فى مراقبة أحكام المحاكم والسهر على حسن تطبيق القانون ، ولذلك قيل بأن محكمة النقض تحاكم الأحكام لا الأشخاص .



من كل ما تقدم يتبين للقارىء أن المسطرة المدنية (١) هو مكنـة الحق

---

(١) تختلف الاصطلاحات القانونية من بلد لآخر وقد نشرنا بحثا فى هذا الموضوع (بمجلـة اللسان العربى) مجلد المعاجم العدد السابع الصادر سنة ١٩٧٠ وقد تعرضنا لمشكل اختـلاف المصطلحات ووجوب توحيدها فى البلاد العربية .

ووسيلة الحصول عليه ، ولذلك نجد الفقهاء والحقوقيين يعطون تعريفات كثيرة لهذا الفرع من القانون الخاص ، فنجد بعضهم يعرف قانون المسطرة المدنية بأنه :

« مجموعة من القواعد التى يجب على المحاكم تطبيقها وعلى المتقاضين اتباعها توصلا الى العدالة فى حسم النزاع بينهم » وعرفه فقيه آخر : « بأنه القانون الذى ينظم القضاء والتقاضى » أما الدكتور على الزينى الذى كان عميدا لكلية التجارة بجامعة القاهرة فقد عرف قواعد قانون المسطرة المدنية بقوله : « القواعد التى يشتمل عليها قانون المسطرة تنقسم الى قسمين : أحدهما يتعلق بالاختصاص اى بتوزيع السلطة القضائية التى تملكها الدولة فى المحاكم المختلفة التابعة لها سواء بحسب قيمة الدعوى ، اى نصابها ، أو بحسب نوعها أو بحسب مركز المحكمة ، والآخر خاص ببيان الاجراءات التى تتبع فى رفع الدعوى للمحكمة المختصة بالنظر والفصل فيها وكيفية السير فيها من وقت رفعها الى تنفيذ الحكم الصادر فيها تنفيذا نهائيا .



وسائل الاثبات فى التشريع المدنى المغربى :

اذا كان الكتاب السابق تناول موضوعات المسطرة المدنية ككل ، فان هذا الكتاب يعالج الموضوع الأساسى فى قانون المسطرة وهو وسائل الاثبات ولذلك جاء المؤلف ليتمم الجهود التى قدمها لنا المؤلف فى شروحه للمسطرة المدنية .

يقع كتاب (وسائل الاثبات) فى حوالى ٦٥٠ صفحة من الحجم المتوسط فى طباعة جيدة وتبويب رفيع ، وقد قسم المؤلف موضوعات كتابه الى جزأين :
ــ فى الجــزء الأول نقرأ :

مدخل : تناول فيه المؤلف بالدرس القواعد العامة لوسائل الاثبات .

القسم الأول : وخصه للاثبات بشهادة الشهود .

القسم الثانى : حلل فيه الاثبات بالقرائن .

ــ فى الجزء الثانى نقرأ الموضوعات التالية :

القسم الثالث : وعالج فيه المؤلف موضوع الاثبات بالكتابة .

القسم الرابع : وخصه للاثبات بالاقهار واليمين .

القسم الخامس : وقد تناول فيه موضوع الاثبات بالمعاينة والخبرة ،

وقد احتوى الكتاب على مقدمة فى نحو أربعين صفحة توخى فيها المؤلف التعريف بالاثبات واهميته العلمية . والأدوار التى مر بها عبر التاريخ ، وأنواع

الاثبات والتمييز بين الاثبات القضائي والاثبات التاريخي والعلمي ، ثم خصص فقرة لدراسة التنظيم القانوني للاثبات ومختلف صوره ومذاهبه .

ونحن يهمنا أن نعرف ونحلل بعض الجوانب في هـــذا الكتاب سيما التعاريف التي تناولها المؤلف للاثبات ومنها : « الاثبات لغة هو تأكيد الحـــق بالبينة وهو في لغة القانون يعني اقامة الدليل أمام القضاء بالطريقـــة التـــي يحددها القانون لتأكيد حق متنازع فيه له أثر قانوني » .

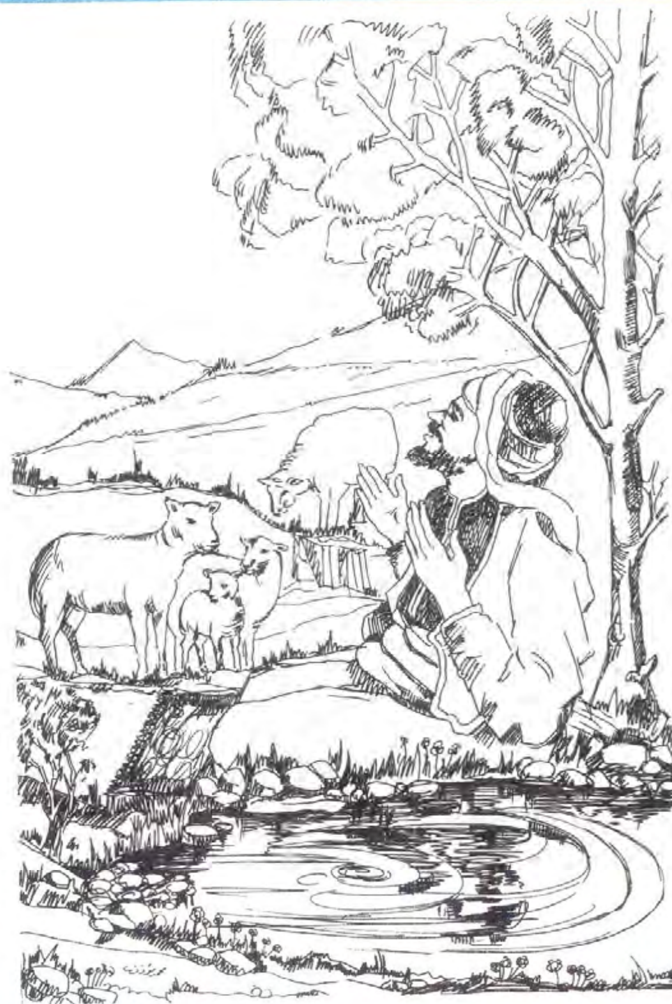
لذلك كان الاثبات في جوهره اقناعا للمحكمة بادعاء أو بآخر من جانب هذا الخصم أو ذاك . ويعرف الفقيه السنهوري الاثبات بأنه : « اقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حددها القانون على وجود واقعـــة قانونيـــة ترتبت آثارها » .

نستخلص اذن من هذه التعاريف أن الاثبات أو البينة سلاح الخصـــوم في معركة الخصومة القضائية حيث تتصارع المصالح وتتقارع المزاعم فهمـــا الوسيلة العلمية التي يعتمد عليها الأفراد في صيانة حقوقهم ، كما أنها هـــي الاداة الضرورية التي يعول عليها القاضي في التخلص من الوقائع القانونيـــة ذلك ان ادعاء وجود حق محل نزاع من جانب أحد الأشخاص أمام قضاء ان لم يصطحب بتقديم الدليل عليه الى القاضي فان هذا الأخير لن يكـــون ملزما بل انه لا يستطيع أن يسلم بصدق هذا الادعاء ، فالحق له أركان ثلاثة هي طرفاه ومحله والحماية التي يسبغها القانون عليه ، والاثبات ليس ركنا من أركـــان الحق ذلك أن الحق قد يوجد دون أن تتوفر الوسيلة لاثباته ومع ذلك فللإثبات أهمية علمية بالغة ، فالحق بالنسبة لصاحبه لا قيمة له ولا نفع منه اذا لم يقم عليه دليل وكثير من الذين يخسرون دعاواهم وحقوقهم يكونون مفتقرين الـــى اقامة الدليل ، ولذلك فان الفقيه (اهرنج) يعبر عن ذلك بقوله : « ان الدليل هو فدية الحق » فالحق يتجرد من قيمته ما لم يقم الدليل عليه ، والدليل هو قوام حياة الحق ومعقد النفع منه فلا حق حيث لا دليل يؤكده ولا دعـــوى حيث لا اثبات تستند اليه ، والدليل هو الذي يظهر الحق ويجعل صاحبه يفيد منه والحق بدون دليل يعتبر هو والعدم سواء .

واختم هذا العرض باعطاء نظرة سريعة على المراحل التي مر بهـــا الاثبات عبر التاريخ ، فهذه المراحل كانت مسايرة لتطور الانسانية وتقدمها فقد كان الانسان في طوره الأول مستندا الى القوة والعنف فكان قاضي نفسه ثم رأينا الدور الثاني الذي هو دور العقيدة الذي كان يلجأ فيه الكهنة الى ضروب السحر والشعوذة ، وفي الدور الثالث بدأت الانسانية تتدرج الى الأدلة المفيدة كالشهادة وغيرها . والحقيقة أنه باختراع المطبعة وانتشار التعليم بدأ الناس يلجأون الى الكتابة في الاثبات وحصرت شهادة الشهود وقرائن الأحوال في مجال ضيق ، ثم تطور الاثبات بالكتـــابة ، من الكتابة العرفية الى الكتـــابة الرسمية .

تلك أضواء سلطناها على كتابي الزميل الدكتور ادريس العلوي الذي شق طريقه في مجال البحث العلمي الجامعي ، والتأليف لطـــلاب جامعتنا الشابة الذين يشتكون من انعدام المراجع المغربية في مجال الدراسات القانونية فنبارك له خطواته الموفقة في عالم التأليف » .

قصـــة قصـــيرة



ماكان يجهله عبد الله

للاستاذ محمد عطاء الله

ماء البركة الدائرية بدا صافيا ، ظهرت من خلاله أعشاب خضراء على صفرة ، أحجار ناعمة وأسماك صغيرة داكنة اللون كانت تتجمع وتفترق فزعة فتغيب فى المياه العميقة الى جنوب البركة .. غمامة صغيرة بيضاء كانت تتجول في صفاء السماء الزرقاء انعكست على صفحة المياه الصافية ، رقصتها ريح خفيفة هبت من الشرق . اختلطت صورة الغمامة بصورة عبد الله الماثلة .. كان يود لو تسكن هذه الريح قليلا ليتملى وجهه .. ليستغرق فى هذا الوجه حتى يغرق فيه . للحظات بقي مشدودا الى أوتار لا منظورة من الشوق والتردد ، الاتساق مع السكون والحركة لاكتناه السكون .. كان يحس أن الابعاد وضعت هكذا فى صورة من التوازن تكفى فقط لاثارة الشوق وولادة التواد ، حتى اذا ما أراد المرء تجاوز هذه الابعاد ، تحطمت الاجزاء المتجانسة وتركت وراءها نفرة كريهة وصخبا ممجوجا . الصورة تتوضح ثم تغيب قبل أن تشبع منها العين .. الريح تهب وتنقطع كزفرات متوالية لانسان متعب تخنق الصورة وتدعها لتستعيد حياتها ثم تعود أيضا لتكرر معها المرة من جديد .

قدماه تتقدمان ببطء تجاه الصخرة الناتئة على حافة البركة كفرسين جموحين من الرغبة يغالبان عنانين خشنين من المعرفة المشدودة الى العقل .. فجاة .. ضبط قدميه ، كانت المبادرة قد تجاوزته فسقط التراب العالق بحذائه فى المياه الصافية ، تهاربت الاسماك وابتدأت المياه الخابطة تبتلع الصور الانيسة بشره وحشى .. لا يبقى سوى الكدر .

لمرة أخرى أدرك عبد الله علاقة ما فى نفس المرء وبين ما تقع عليه العين .. الكدر النامى جعله يحول وجهه تجاه الجنوب .. كانت أغنامه تتسلسل على ضفة الساقية الملتوية كخرزات متراصفة فى مسبحة بيضاء .. هذه

المخلوقات الوادعة المباركة ، كأولاده تشعره بكثرة ذاته وامتدادها فتضيف الى حس الحياة الدافق فى أعماقه رؤية الحياة الشاخصة النابضة أمامه . هرول تجاه الحمل الوادع المتقدم نحوه ، ليومين فقط ، ومنذ ماتت ام هذا الحمل ، بدأ عبد الله يحس حركة شاة حانية ولدت فى داخله ، كانت أطراف الشاة تتحرك فى أقدامه المتسارعة الى الحمل ، احتضنه بحنو ، ألصقه بصدره وأخذ يمرغ وجهه بصوفه الناعم .. وجيب قلبه كان يتزايد بتزايد ثغاء الحمل ، وضع ابهامه فى فمه الرقيق .. رضاب واحد من البراءة يملأ أفواه جميـــع أطفال هذا العالم .. حتى الذئاب الضارية ذات الانياب الوحشية يملأ فمها الرضاب ذاته ، الشر يتواجد مع نمو الـــــكائن .. لمرة يذكر أنه ذهب الى المدينة ، كانوا هناك جميعا ملفعين بأردية واضحة من الحذر والتشكك .. يسألونه عن سمنه ، يتذوقونه ويجرون عليه الاختبارات العديدة .. لا يدرى لماذا كانوا هكذا .. ؟ ما الذى يجعلهم يتوقعون المكيدة .. ! انه سمن خالص ، ولكن ما لهم لا يصدقون .. ؟ الكلمة تبدو عندهم جرسا لا يتجاوز فى تأثيره ترطيب الأذن ، والكلمة حياة ممنوحة الى أحياء .. آه ما أتعس اناسا يملأ نفوسهم الشك بالحياة .

وصل الصخرة الناتئة ، كانت أفكاره قد تركزت بزجاجة الحليب الملفوفة بصرة طعامه ، ألقى بندقيته الى شماله ، سحب ابهامه بلطف من فم الحمل وبدأ يفك الصرة .. خبزا يابسا وعسلا بريا .. افترش الصرة وبسمة خفيفة على شفتيه الهادئتين .. ذكرته زجاجة الحليب بطفله الصغير أحمد .. أنه كثيرا ما كان يشركه مع هذا الحمل بهذه الزجاجة عندما تغيب أمه لتخبز أو تحتطب . ربض الحمل وغرق فى بحران مجهولة من الرضى والهدوء ترودها الاغنام عندما تشبع وتمتلىء .

لمرة أخرى تذكر عبد الله الصور الأنيسة فى البركة الصافية ، كانت المبادرة قد فاتته أيضا وتساقط التراب ثم تحول الى كدر نام بدا له كمخلوق أسطورى بشع . انشغل بعزل فتات الخبز المتكسر ريثما تصفو المياه وتطمئن الاسماك الحذرة التى اعتاد أن يراقب هجومها على فتات الخبز عندما يأكل . جول عينيه فى السماء الصافية ، كانت زرقة أخاذة تمتد الى أبعاد سحيقة ، أثارت الزرقة فى نفسه حزنا لذيذا يختلط بشوق شـــــديد الى شىء يحبه ويرهبـــه .. ترى الى أين تذهب هذه المعارف التى تتواثب فى صدره طيلة النهار كاسماك كثيرة ماسورة فى مياه ضحلة آسنة .. هذا الخـــدر اللذيذ ينمو فى داخله كلما أمعن النظر فى هذه الزرقة البعيدة .. كلمـــا افترش سجادته ووقف يصلى فى مكان خال .. أعداد غفيرة من الملائكة كان يحسها تحوم حوله .. الملائكة تتواجد فى هدوء هذا العالم .. يزداد عددها كلمـــا أمعن الصفو .. هذه المخلوقات اللطيفة الشفافة .. هى كالماء ، كالهواء ، تملأ فراغ كل شىء .

كان رأسه يتهدل ببطء ، حاجباه ينسدلان كستارتين صغيرتين ناعمتين من الحرير فينشأ فى داخله ليل خفيف هادىء يدب فى عروقه كالنمل ويلامس أعضاءه فيشيع فيها الخدر والنعاس .. الارتياح العظيم اذا هو الخدر العظيم .. هذا النوم النامى يبدو كضباب يتكثف رويدا رويدا حتى يغرقه فيه .. يصهره ثم يعيده خلقا آخر .. ها هو ذا يتشكل باشكال لمخلوقات غريبة .. انه الآن يرف .. طائر أبيض يرف بجناحيه البيضاوين ، الى يمينه تطير حمامة

تحمل فوق ظهرها فرخا صغيرا .. الدنيا كلها قد اصــطبغت بالوان لا حصر لها .. لا أسماء لها ، تمتد الى أبعاد لا نهائية ينسحق فى أغوارها البصر ويذوب القلب .. ينعصر القلب .. لا فوق .. لا تحت .. لا ابتداء .. لا انتهاء .. سكون يغلفه سكون .. احساسات الأسر بدأت تتوالد .. تغالبها رغبــات العتق .. ايه الامتداد العظيم اذا هو السجن العظيم . تململ ، فتح عينيه وأطبقهما .. انه الآن بدأ يتوضح الارض .. ها هى ذى أغنامه كلها قد رفعت أعناقها تحدق وتضــحك .. الفرخ .. ما بال الفرخ يقفز من فوق ظهر الحمامة .. ؟ الاغنام تنتصب واقفة على قوائمهــا الخلفية مفتوحة الايدى لتتلقف الفرخ .. الفرخ يتقلب بالهواء فرحا .. يضحك .. هذه الضــحكة أعرفها ، يجب أن أتلقاه .. وشيكا سيصل الارض .. ستقتله الارض ، الفرخ سيموت قبل أن أدركه .. ما لهذا الجناح قد جمد .. يجب أن أتحرك .. حبال كثيرة لا تراها العين يحسها قد كتفته .. الألوان بدأت تختلط ببعضهــا وتتشكل بخضرة طاغية .. الخضرة بدأت تغمق ، تتحول الى سواد قاتم يحجب الرؤيا .. السواد أفقده الفرخ والحمامة وأخذ يتكور .. يتشكل فى مخلوق بشع ضخم يمسك به ويعصره .. يصرخ فى أذنيه صيحات منكرة تترجع فى كل ذرات كيانه .. وانتفض عبد الله ، ابيض العـــالم ، وكانت الدهشــة العظمى .

كان يمتد الى شماله كعمود من الصخر ينتهى بوجه غريب أبيض تشربه حمرة خفيفة ، فمه يقهقه ، وشاربه الاصفر يرتفع وينخفض كنبات أجنبى سام .. انفه الأفطس بدا كنتوء لحمى لصيق بوجهه ، عيناه الزرقاوان ترسلان نظرات مشبعة بالريب والمكيدة .. حدق فى هذا الشاخص مليا عله يجد فيه الألفة التى أفقده اياها الحلم .. كان يراه يتجانس مع الوحش الذى رآه فى حلمه يهصره ويسحق عظامه ، أكثر مما يتساوق مع مخلوق بشرى تأنس له نفس عزلتها غشاوات قاتمة من الوحشة . قهقهات الغريب تتوالى فيحسها معاول تدق فى قلبه .. تقطعها يشعره بانضمام جناح الحمامة وانبساطه .. والفرخ .. أحمد .. ولدى أحمد .. أين الفرخ .. ؟

أحس للحظة أن اللغة لا تدور فى داخله فقط ، انه يسمعها فى الخارج .. ها هى ذى كلماته تدخل فى أذنى هذا الغريب .. تدور فى جسده ثم تفتل عضلات فمه ، تشدها الى الداخل فتسكت قهقهته .. تنسحب عيناه الى داخل محجريهما ، يفتح فمه ، هذه الاسنان المتباعدة من الوسط ، هذه العيون الزرق .. للمكر والخديعة .. تصالبت‌الانظار لدقائق ، أحس بأن عليه أن يتحدث .. أن يقطع هذا الصمت الذى يشعره وكأن نظراته تمتص الغريب ، أو أن نظرات الغريب هى التى تمتصه .

ــ من أنت .. ؟ ماذا تريد .. ؟

ــ أ .. أ .. أنا !! .. انى جائع ، رجل منقطع ، وجئت أستطعمك .

ــ جائع .. ؟ ولماذا لا تطلب الطعام ؟ .. لماذا كنت تضحك .. ؟

ــ ها .. لماذا كنت أضحك .. كنت أضحك اذا .. ساخبرك .. بصراحة انى رأيتك مسترسلا فى النوم ، كنت أحسب أنك تتصنع النوم .. حســبتك تمزح معى .

ــ وكيف خيل اليك انى أتصنع النوم .. ؟

ـ لقد .. لقد حاولت أن ألمس بندقيتك فتململت .
ـ كنت حاولت لمس البندقية .. !! ولماذا البندقية .. ؟
ـ انى .. انى لم اقصد من لمسها شيئا .. انها مجرد عملية تأكد فقط ، هكذا تعلمت .. اذا اردت أن تتاكد من نوم الرجل فمد يدك الى سلاحه .. لقد كنت اتاكد .. اننى جائع .. اننى استطعمك .
ـ تستطعمنى .. ما اسهل هذا .. تفضل .. ولكن ..
قبل أن يكمل عبد الله ، كان الغريب قد جلس قبالته وأخذ يتناول الطعام بشره غريب : يا عبد الله .. انه لم يبداك بالسلام .. انه حتى لم يبدأ باسم الله .. الخبز يستغيث تحت أسنانه .. انه جائع حقا .. لعله اضمر البسمله فى نفسه .. سوء الظن يا عبد الله اثم .. هيا مد يدك وشـــاركه فلعله يخجل .
للمرة الثـــالثة أدرك عبد الله أنه يلوك عين اللقمة من جديد دون أن يزدردها ، كان يود لو يلفظها .. ولكن : احذر يا عبد الله .. سيخجل الرجل .. انه جائع .. بسيط .. مسكين .. ألا تراه يأكل بألفة .. هيا .. هيا جامله ولكن بماذا ساجامله ؟ : حدثه .. اساله عن أى موضوع كان .
ـ أ .. قل لى يا أخي .. أولم تهرب منك أغنامى عندما رأتك .. ؟
ـ الأغنام ! .. ذكرتنى بالأغنام ، لقد كانت تهرب منى حقــا .. ربما حسبتنى ذئبا .. هاه .. هاه .. ها ، الحق أقول لك .. ان جوعى جعلنى أشتهى افتراسها عندما رأيتها .
ـ تشتهى افتراسها .. !!
ـ نعم .. وماذا فى ذلك .. ؟ أليس الانسان كائنا مفترسا .. ؟ الا تراه يستخدم السكين والشوكة فى طعامه .. انها أمضى من الأنياب .
ـ انى لم أفكر بهذا قبلا .. ولكن .. أرجو أن لا تؤاخذنى اذا الحفت عليك بالسؤال .
ـ لا عليك .. اسال .. اسال عن اى شىء تريد .
ـ الحقيقة انى أشعر بالحرج .. انى لم أرك عنــدما جئت مع أن هذا المكان يشرف على ما حوله بحيث أنك تستطيع أن تتميز القادم من مســيرة ساعة ..
ـ صدقت .. انك لم ترنى لأنى كنت آخذ الدروب الملتوية .
ـ الدروب الملتوية .. !!
ـ نعم الدروب الملتوية .. انى أرتاح لها أكثر ، هكذا هى لا أدرى لماذا تشعرنى بالاطمئنان .. ولكن أتسمح لى بتوجيه سؤال أيضا .. ؟
ـ تفضل .. تفضل يا أخى .
ـ شكرا .. الواقع أنى أردت أن أستفسر عن غفوتك آنفا ، لقد كنت تتململ دائما ، وبحيث شككت أنك تتصنع النوم .
ـ كنت أتململ اذا .
ـ نعم .. كثيرا .
ـ لعل ذلك من تاثير الحلم .
ـ أى حلم .. هل كنت تحلم .. ؟
ـ نعم كنت أحلم ، ورأيت أنى فقدت شيئا .. شيئا كبيرا .
ـ هاه .. هاه .. ها .. لعل ما فقدته هو طعامك الذى أتيت عليه .
ـ كلا .. كلا . ان ما فقدته أكبر من الطعام والشراب .. أكبر من الدنيا

كلها .. انى أحسه هنا .. هنا فى داخلى ، لا أدرى لعل أمرا ما حدث لهم فى البيت .

ــ من هم .. ؟ من الذين حدث لهم .. ؟

ــ أبنائى .. زوجتى وأبنائى الثلاثة .. الحلم يجعلنى أشعر بفقدهم .

ــ لا عليك يا صاحبى .. أضغاث أحلام .. انها مجرد أضغاث أحلام ، وتعال الآن لنتسلى قليلا بهذه اللعبة ، انها ستنسيك ما فقدته .

مسح الغريب فمه بطرف ردائه ، أخرج من جيبه أوراقا .. ثلاثة أوراق متشابهة الظهر ، واحدة منها تتميز فى لون وجهها عن الاخريين .

ــ ساريك الاوراق جميعا وأضعها أمامك مقلوبة على وجهها ..

ساغير بخفة يدى فى مواقعها ، عليك أن تعين الورقة ذات الوجه المتميز ، اذا وجدتها أعطيتك دينارا ، أى أنك ستكون الرابح . أما اذا لم تجدها ، أعنى اذا كنت الخاسر فستعطينى .. ماذا ستعطينى .. ؟ تلفت الغريب .. أرسل نظرات شرهة الى الأغنام المنبثة فى الوادى : حسنا ، ستعطينى هذا الحمل الصغير .

ــ أعطيك حملى الصغير .. ! ولماذا .. ؟

ــ انها اللعبة .. يجب أن تغامر بشىء لكى تتحسس حلاوة اللعبة .

ــ هذا ما لا أعرفه يا أيها الغريب .. ولكن حسنا ما فعلت ، لقد دعوتنى الى لعبتك ، وانى بدورى أدعوك الى الصلاة ، لقد ارتفع فى القرية الآن أذان الظهر منذ زمن على ما أظن .. فلنصل الظهر معا .

ــ نصلى الظهر معا .. ولكنى لا أصلى .. أقصد أنى صليت الظهر قبل الوصول الى هنا .

ــ صليت .. !!

ــ نعم ، أتريد أن أقسم لك على ذلك .. ؟

ــ كلا .. كلا .. لا داعى للقسم .. ساصلى لوحدى .

اقترب عبد الله من حافة البركة وبدأ وضوءه .. أحس بيد الغريب تسلل الى البندقية ، ودون أن يلتفت اليه : لا تلعب بها .. انها محشوة .. انسحبت يد الغريب بحركة سريعة .

ــ محشوة !! .. قد كنت أحسبها فارغة .

أكمل عبد الله وضوءه ، افترش رداءه وبدأ صلاته ، كان لسانه يلهج بذكر الآيات الكريمة فى حين كان قلبه مشغولا بهذا الغريب .. بسم الله الرحمن الرحيم ((ألم)) .. انه يمسك بالبندقية ، لماذا يفعل ، لقد قهرته .. سبحان الله .. ((ألم)) ، انه قد يقتل نفسه ، هل أنبهه .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. بسم الله الرحمن الرحيم .. ((ألم)) ، انه يسحب أقسامها .. يجب أن أقطع صلاتى .. ولكن كلا .. يجب أن تستمر يا عبد الله .. بدأت صلاتك ويجب أن تكملها .. ((ألم)) .. انه يوجه البندقية الى .. انها منصوبة .. ماذا يفعل .. قد يقتلنى .. سيقتلنى .. الصلاة الصلاة يا عبد الله .. يجب أن تستمر .. ((ألم)) ذلك الكتاب لا ريب فيه .. ودوى الصوت .. كانت الرصاصة قد اخترقت صدر عبد الله .. للحظة احس بأن كل شىء يدور .. الارض .. الاغنام .. البركة .. زوجته وأولاده .. السماء وحدها كانت ثابتة راسخة .. وهوى ..

حين تجندل عبد الله وترجع دوى الصوت ، لم يحدث اى شىء ، سوى أن الاغنام رفعت اعناقها .. صفنت قليلا .. وعادت الى عشبها ترعى .

علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب في بحوث الفضاء

محمد مؤذن

للاستاذ محمد الزيات

اشادت وكالات الانبـــــاء طوال الاشهر الماضــية بجهود عالم عربى مصرى يعمل فى محطة تجارب الفضاء الامريكية لجهوده الموفقة فى نجــاح مركبات الفضــــاء الامريكية أبوللو وتمكنه من اكتشــاف مناطق مجهولة فى القمر مما اضطر المسئولين عن الرحلة الى اطلاق أسماء عربية على هذه المناطق .

وابحاث الفضاء ليست جديدة على العرب فقد مارســها علماء العرب المســلمين فيما يسمى بالعصــور الوسطى وان كانت تاخذ أســماء اخرى غير بحوث الفضــاء فقد كان يطلق عليهــا علم الفلك وقد ارتقى العرب فى بحــوثهم الفلــكية عن الكواكب والنجوم والاقمــار مما مهد لقيام النهضــــة الفلكية الكبرى فى العصر الحــديث ومنها ابحــاث الفضاء .

وقد اصــابت احدى المجــلات الغربية الكبرى حين اشــارت غداة اقتحام قناة الســويس وتحطيم خط بارليف الى تلك الروح المتاصــلة للشعوب العربية التى ملكت نصــف الدنيــا فى وقت من الأوقات ونشرت الاسلام بها .. والذى يعنينا هنا انه من خلال البلدان والممالك التى دخلها الاسلام لم يلجا العرب الفاتحون الى التدمير واحراق الــكتب بل حاولوا الحفاظ عليها والافادة منها وجعلهــا منطلقا نحو المعرفة وانفتــاحا على الحضارات الســابقة ومن ثم عكفوا على ترجمتها والافادة منها وكانت فى مقدمة هذه الكتب كتب الاقدمين من علماء الاغريق وخاصـــة فى مجال الفلك .. خاصة وان الاســلام لم يحظر التفــكير فى هذه العلوم أو الاشتغال بها بل دعا اليها .

نتيجة احتياجات دينية

لقد نبع الاهتمام بالأفلاك والنجوم نتيجة احتيــاجات دينيــة متعلقة بالعبادات مثل معرفة أوقات الصلاة التى تختلف من مكان الى آخر ومن يوم الى يوم ، ومعرفة الرصــد الجغرافى وحركة الشـــمس فى بروجها وظهور الشفق فى الأفق ، وتحديد ســمت الكعبة ، وهلال رمضان وبقية الشــهور الهجرية وموســم الحج فبرزوا فى ذلــك واخترعوا حسابات وطرقا بديعة لم يسبقهم اليها احد من الأمم السابقة كما يقول (نللينو) فى كتابه تاريخ الفلك عند العرب .

من أشرف العلوم

وهذا الهدف الدينى العلمى يحدده بوضوح العالم العربى المسلم أبو عبد الله البتانى أحد علماء القرن العاشر الميلادى وأحد عشرين فلكيا شهيرا فى العالم على حد تعبير العالم الفرنسى (لالاند) يقول البتانى : ان من أشرف العلوم منزلة علم النجوم لما فى ذلك من جسيم الحظ وعظيم الانتفاع بمعرفة مدى السنين والشهور والمواقيت وفصول الازمان وزيادة النهار والليل ونقصانهما ومواضع النيرين وكسوفهما وسير الكواكب فى استقامتها ورجوعها وتبدل أشكالها ومراتب أفلاكها وسائر مناسباتها .

ويستطرد مبينا سبب وضعه لكتابه (الزيج الصابى) بما يدل على مقدرة علمية فذة ((.. ووضعت فى ذلك كتابا أوضحت فيه ما استعجم وفتحت ما استغلق وبينت ما أشكل من أصول هذا العلم وشذ من فروعه وسهلت به سبيل الهداية لم يؤثر به ويعمل عليه فى صناعة النجوم وصححت فيه حركات الكواكب ومواضعها من منطقة فلك البروج على ما وجدتها بالرصد وحساب الكسوفيين وسائر ما يحتاج اليه من الاعمال وأضفت الى ذلك غيره مما يحتاج اليه وجعلت اخراج الكواكب فيه من الجداول لوقت انتصاف النهار من اليوم الذى يحسب فيه بمدينة الرقة ..

كوكبات فى صور الآدميين

ومن تمكن علماء المسلمين فى هذه البحوث أن العالم المسلم عبد الرحمن الصوفى الذى قال عنه سارطون : ((ان الصوفى من أعظم فلكيى الاسلام)) .. تمكن من وضع جدول دقيق لبعض النجوم الثوابت ومدعم بالخرائط المصورة الملونة جمع فيها أكثر من الف نجم ورسمها كوكبات فى صورة الآدميين والحيوان فمنها ما هو على صورة رجل فى يده عصا، ومنها ما هو فى صورة كهل فى يده اليسرى قضيب أو صولجان وعلى رأسه قلنسوة أو عمامة ، ومنها ما هو على صورة امرأة جالسة على كرسى له قائمة كقائمة المنبر ومنها ما هو على صورة دب صغير قائم الذنب أو صورة الاسد أو الظباء أو التنين .. الخ . أكثر من ذلك تبين أن نحو خمسين فى المائة من أسماء النجوم التى تناولها كتاب ((بسائط علم الفلك)) للدكتور يعقوب حروف انما هى من تسمية العرب ومستعملة بلفظها العربى فى اللغات الاجنبية .

ولربما شد انتباهنا نموذج القبة السماوية حديثا فقد سبق علماء المسلمين لشدة شغفهم بابحاث الفضاء الى أن بعضهم كما يقول المقرى فى كتابه (نفح الطيب) كان يصنع فى بيته هيئة السماء وخيل للناظرين فيها النجوم والبروق والرعود ..

مبتكر الاسطرلاب

وفى الوقت الذى كان يؤكد فيه بعض علماء الغرب عن تعصب أو جهل أن اكتشاف بعض أنواع الخلل فى حركة القمر يرجع الفضل فيه الى (تيخوبراهى) وأن آلة الاسطرلاب هى من اختراعاته أيضا .. فقد تأكد حديثا أن اكتشاف هذا الخلل انما هو بفضل العالم العربى أبى الوفاء وأن من الثابت تاريخيا أن الاسطرلاب وجد قبل هذا (التيخوبراهى) فى مرصد المراغة الذى بناه نصير الدين الطوسى سنة ٦٥٧ هـ وقد اشتهر بآلاته الدقيقة وكفاءة المشتغلين فيه

ومن بينهم المؤيد العرضى من دمشق والفخر المراغى من الموصـــل والفخر الخـــلاطى من تفليس ونجم الدين القزوينى وغيرهم .. وقد اعتمد على نتائجه علماء أوروبا لدقته .

تراث اليونان

حقا أن العرب لم يبدأوا من فراغ فقد أفادوا من تراث اليونان وغيرهم لكن المذهل حقا أن علماء المســلمين بدأوا من حيث وقف هؤلاء وأبدعوا فى بحوثهم وابتكارهم لأجهزة رصـــد الكواكب تدفعهم الحوافز وتشــجيع الحكام المسلمين ، ومن المعروف أن هذه النهضة العلمية لم تزدهر الا فى العهد العباسى حينما استقرت الدولة الاسلامية لكن ذلك لا ينفى أنه فى أواخر عهد الامويين ترجم كتاب عرض مفتاح النجوم لهرمس الحـــكيم ، ويتناول الاحكام النجومية ، كما أنه قيل أنه بنى فى عهدهم مرصد فى دمشق ، لكن العباسيين فى الحقيقة هم الذين أولوا هذه البحوث عنـــاية فائقة : يقول جورجى زيدان فى كتابه ((تاريخ التمدن الاسلامى)) وان كنا ناخذ آراءه بحذر خاصة فيما يختص بالخلافة والخلفاء ((.. رغم أن الدين الاسلامى قد بين فساد الاعتقـــاد بالتنجيم وعلاقته بمـــا يجرى على الارض الا أن ذلك لم يمنع الخلفـــاء سيما العباسيون فى بادىء الامر أن يعنوا به وأن يستشيروا المنجمين فى كثير من أحوالهم الادارية والسياسية فاذا خطر لهم عمل وخافوا عاقبته اســـتشاروا المنجمين فينظرون فى حالة الفلك واقترانات الــكواكب ثم يسيرون على مقتضى ذلك ، وكانوا يعالجون الامراض على مقتضى حال الفلك يراقبون النجـــوم ويعملون باحكامها قبل الشروع فى أى عمل حتى الطعام والزيارة)) .

وواضح أن فى ذلك افتراء كبيرا على حكام المسلمين يقصـــد به هدم أمجادهم .. فاذا كانوا يعـــالجون المرضى بالنجـــوم فلم أنشـــأوا البيمارســـتانات وزودوها بالأطباء والعلاج .. ؟ ولم لا يكتفى المأمون بأن دور كرة الارض ٢٤ ألف ميل ويأبى الا أن يقيم الدليل العملى للتأكد من ذلك فى صحراء ســنجار ووطآت الكوفة .. ؟

فى عهد أبى جعفر المنصور

وهذا أبو جعفر المنصـــور يرعى هذه البحوث ويكرم علماءها ويدنيهم منه ولم يكن فى حاجة الى استطلاع آراء المنجمين فالدولة قوية وتحـــكم قبضتها على كل الارجاء .. لقد قرب المنصور منه نوبخت الفارس وولده أبا سهل وعلى بن عيسى الاسطرلابى وابراهيم الفزارى المنجم الذى كلف بامر من المنصـــور بترجمة كتاب السندهند ليتخذه العرب مرجعا فى تحركات الـــكواكب واعتمد عليه الخوارزمى فى صنع زيجه الـــذى اشتهر فى كل البلاد الاسلامية ، كما نقل أبو يحيى البطريق بامر منه كتاب بطليموس فى النجوم (المقـــالات الاربع) .

ما شاء الله

وفى عهد الرشيد اشـــتهر عالم الارصاد (ما شاء الله) فالف بحوثا فى الاسطرلاب ودوائره النحاسية ، وفى زمن المامون ونتيجة لهذه النهضة قام علماء المسلمين بتصحيح الاخطاء العلمية التى تناولها كتاب (المجسطى) لبطليموس الذى يقول عنه القنطى : ((.. والى بطليموس هـــذا علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع ما كان متفرقا من هذه

الصناعة بايدى اليونان والروم وغيرهم من ساكنى هذا الشق المغربى من الارض » .

ويضيف : « ولا يعرف كتاب ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على ذلك العلم وأحاط باجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها كتاب المجسطى هذا فى هيئة علم الفلك وحركات النجوم ، والثانى كتاب ارسطو طاليس فى علم صناعة المنطق ، والثالث كتاب سيبويه البصرى فى علم النحو العربى » واذا كان كتاب المجسطى بهذه المنزلة ثم يقيم علماء المسلمين البراهين على خطأ بعض النظريات العلمية به فان ذلك يؤكد كفاءة علمية قديرة لهؤلاء العلماء ويشير الى عدة حقائق :

حقائق هامة

● أن الاستفادة من تراث الفرس واليونان وتنقيته من الاخطاء العلمية واضافة المزيد من البحوث اليه يعد عملا كبيرا ونهضة خلاقة ، خاصة وأن هذا التراث قد اندثر فلم تبق غير ترجمته العربية مرجعا لعلماء اوروبا .

● أن هذه النهضة لو كانت فى خدمة الشئون الادارية أو الطعام أو الزيارة كما يقول جورجى زيدان لما بقيت مع الزمن ولما أشاد بها علماء الفرنجة وهم من هم بالنسبة لنا .

● أن علماء المسلمين لم يقفوا عند مرحلة النظريات بل اجتازوها الى التطبيق العملى بابتكار آلات الرصد وبناء المراصد ، ووضع الجداول العلمية (الزيج) للنجوم ..

التنجيم والمنجمون

على أن هناك مسالة هامة وهى وجوب التفريق بين الاشتغال بعلوم أبحاث النجوم وبين (التنجيم) الذى أشار اليه جورجى زيدان والذى يبدو أنه لم يظهر الا فى نهاية الدولة العباسية أيام ضعفها وتغلب الترك وغيرهم عليها .. وهذا الفرق جوهرى رغم الخلط بينهما فى أكثر المصنفات العربية .

فبينما كان العلماء يجدون فى بحوث الفضاء وما يضم من نجوم وأقمار وتحديد أشكالها وأوضاعها ويبنون المراصد ويضعون الجداول الزمنية ويصححون النظريات العلمية لعلماء اليونان والروم .. كان هناك فريق آخر وقفت امكانياتهم العلمية دون اللحاق بهؤلاء العلماء فآثروا أن يتخذوا من معلوماتهم القاصرة وسيلة للارتزاق بايهام البسطاء أن للنجوم تاثيرا بالسعود أو النحوس فى مقدرات الناس فلا بد من استشارتهم قبل الاقدام على أى عمل .

ومن العلماء الذين قالوا بنظرية تاثير النجوم ابن طفيل الاديب الشهير صاحب أسطورة حى بن يقظان حيث قال بوحدة القوانين والانظمة الكونية وشمولها أى ما يسيطر على النبات والهواء والماء والجماد يسيطر بالتالى على الانسان والحيوان وعلى بقية المخلوقات وأن العالم بجملته كشىء واحد يتصل بعضه ببعض تاثيرا وتاثرا ..

ومثلما كان يحدث فى كثير من أنحاء وطننا الى عهد قريب من انتحال بعض الحجامين والحلاقين لمهنة الطب فقد احترف كثير من المرتزقة مهنة الاشتغال بالنجوم كوسيلة تضمن لهم

العيش الرغد بلا تعب .. حقا اننا نجد آثارا لذلك فى بعض صحافتنا لكن الامر لا يعدو أن يكون نوعا من المادة الطريفة للتسلية وبث التفاؤل فى النفوس ..

العلماء يتصدون

لكن ظاهرة التأثير والتأثر بالنجوم حاربها كثير من العلماء وتصدوا لها ومن هؤلاء العلماء الفارابى الذى وضع رسالة عن التنجيم باسم ((النكت فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم)) سخر فيها من المنجمين وذكر أن هناك معرفة برهانية يقينية الى اكمال درجات اليقين نجدها فى علم النجوم التعليمى ، أما دراسة خصائص الافلاك وفعلها فى الارض فلا نظفر منها الا بمعرفة ظنية ، ودعاوى المنجمين ونبوءاتهم لا تستحق الا الشك والارتياب .

أما ابن حزم فيقرر صراحة ((زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى وتسمع وهذه دعوى باطلة بلا برهان وصحة الحكم بأن النجوم لا تعقل أصلا وأن حركتها أبدا على حركة واضحة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد الذى لا اختيار له)) . ويقول : وليس للنجوم تأثير على أعمالنا ولا لها عقل تدبرنا به الا اذا كان المقصود أنها تدبرنا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الماءوالهواء وتأثير الشمس فى المد والجزر .. الخ .

أما ابن سينا فاستخدم ــ كعادته ــ المنطق فى الرد على أصحاب هذه النظرية فوضع هو الآخر رسالة فى ابطال أحكام النجوم رد فيها على ما قيل من تأثير سعادة أو نحوس للنجوم فقال ((ليس للنجوم على شىء مما وضعوه دليل ولا يشهد على صحته قياس)) .

أما الكندى وهو أحد علماء القرن التاسع الميلادى وواحد من اثنى عشر عبقريا ظهروا فى العالم على حد تعبير كاردانو وواحد من ثمانية من أئمة العلوم الفلكية فى القرون الوسطى كما يقول المؤرخون فقد انتهى فى كتابه ((العلة القريبة الفاعلة للكون والفساد)) الى أنه ((لا يؤمن بما للكواكب من أثر فى مقدرات الناس كما يزعم المنجمون من التنبؤات المستمدة من حركات الاجرام)) .

وبعد ،

فتلك نبذة سريعة عن جهود علماء المسلمين فى ميدان علم الفلك الذى يعد الأب الطبيعى لعلم بحوث الفضاء فى العصر الحديث وأثرهم فىالارتقاء بهذا العلم وقول المؤرخين الاجانب عنهم والفرق بين التنجيم وهذا العلم الجليل ..



الفتاوى

السؤال :

بعض المصلين يقنت فى صلاة الصبح ، وبعضهم لا يقنت فيها ، وبعضهم يقنت فى صلاة الوتر باستمرار ، وبعضهم لا يقنت فيها إلا فى النصف الثانى من رمضان ، والذين يقنتون منهم من يقنت قبل الركوع ومنهم من يقنت بعد الرفع منه .

فما سبب هذا الاختلاف ، وهل ورد كل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

سيد عبد القادر — أم درمان

الاجابة :

مذهب الحنفية والحنابلة انه لا قنوت فى صلاة الصبح .

روى أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وصححه عن أبى مالك الأشجعى قال : « كان أبى قد صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست عشرة سنة ،وأبى بكر وعمر وعثمان ، فقلت أكانوا يقنتون ؟ قال : لا . أى بنى فحدث ، وروى ابن حبان والخطيب وابن خزيمة وصححه عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يقنت فى صلاة الصبح الا اذا دعا لقوم أو دعا عليهم ، وروى الزبير ، والخلفاء الثلاثة أنهم كانوا لا يقنتون فى صلاة الفجر .

ومذهب الشافعية أن القنوت فى صلاة الصبح بعد الركوع من الركعة الثانية سنة لما رواه الجماعة الا الترمذى عن ابن سيرين أن أنس بن مالك سئل : هل قنت النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الصبح ؟ فقال : نعم ، فقيل له : قبل الركوع أو بعده ؟ قال : بعد الركوع ، ولما رواه أحمد والبزار والدارقطنى والبيهقى والحاكم وصححه عنه قال : ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا .

ويرى المحققون أن القنوت المسئول عنه هو قنوت النوازل .

والقنوت عند النوازل والشدائد وهى الأحداث الجسام التى تنزل بالأمة مشروع جهرا فى الصلوات الخمس ، فعن ابن عباس قال : قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا فى الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء والصبح فى كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة يدعو عليهم . على حى من بنى سليم وعلى رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه « رواه أبو داود وأحمد » .

وأما القنوت فى الوتر فى جميع السنة فهو مشروع لما رواه أحمد وأهل السنن وغيرهم من حديث الحسن بن على رضى الله عنه قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر « اللهم أهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت . تباركت ربنا وتعاليت . وصلى الله على النبى محمد » .

وذهبت الشافعية الى أنه لا يقنت فى الوتر الا فى النصف الأخير من رمضان لما رواه أبو داود أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبى بن كعب ، وكان يصلى بهم عشرين ليلة ، ولا يقنت الا فى النصف الباقى من رمضان .

ويجوز القنوت قبل الركوع بعد الفراغ من القراءة ، ويجوز كذلك بعد الرفع من الركوع ، عن حميد قال : سألت أنسا عن القنوت قبل الركوع أو بعد الركوع ؟ فقال : كنا نفعل قبل وبعد ، رواه ابن ماجة ومحمد بن نصر ، قال الحافظ فى الفتح : اسناده قوى .

واذا قنت قبل الركوع كبر رافعا يديه بعد الفراغ من القراءة ، وكبر كذلك بعد الفراغ من القنوت . روى كذلك عن بعض الصحابة ، وبعض العلماء استحب رفع اليدين عند القنوت وبعضهم لم يستحب .

الأكل من الهدى

السؤال :

هل يحل شرعا للمسلم أن يأكل من لحم الهدى ؟

عدنان أحمد ــ حلب

الاجابة :

الهدى نوعان مستحب وواجب ، فالهدى المستحب : للحاج المفرد والمعتمر المفرد ، والهدى الواجب اقسام : واجب على القارن والمتمتع ، وواجب على من ترك واجبا من واجبات الحج كرمى الجمار والاحرام من الميقات وواجب على من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام غير الوطء كالتطيب والحلق ، وواجب بالجناية على الحرم كالتعرض لصيده أو قطع شجره .

وذهب أبو حنيفة وأحمد الى جواز الأكل من هدى المتعة وهدى القرآن وهدى التطوع ولا يأكل مما سواها .

وقال مالك يأكل من الهدى الذى ساقه لفساد حجه ولفوات الحج ، ومن هدى المتمتع ، ومن الهدى كله الا فدية الأذى وجزاء الصيد وما نذره للمساكين وهدى التطوع اذا عطب قبل محله .

وقال الشافعى : لا يجوز الأكل من الهدى الواجب مثل الدم الواجب فى جزاء الصيد وافساد الحج وهدى التمتع والقرآن وكذلك ما كان نذرا أوجبه على نفسه . . أما ما كان تطوعا فله أن يأكل منه ويهدى ويتصدق .

نواقض الوضـــوء

السـؤال :

أنا سيدة زاد عمرى عن الخمسين ، وقد انتابتنى حالة غريبة وهى خروج الريح من القبل ولا يصحب هذا الريح افرازات ولا غيرها ولا أستطيع التحكم فى هذه الريح . فهل ينتقض وضوئى بخروج الريح من القبل ؟

م . ع الاسكندرية

الاجـابة :

خروج الريح ينقض الوضوء باجماع الفقهاء اذا خرج من الدبر ، أما اذا خرج من القبل فانه لا ينقض الوضوء سواء كان خروجه من ذكر الرجل أو من فرج المـرأة .

وعند الشافعية والحنابلة وبعض أصحاب مالك أن الريح الخارج من القبل من الرجل أو المرأة ينقض الوضوء كالريح الخارج من الدبر .

واذا أخذت السائلة بمذهب الأحنـاف والحنابلة فى عدم نقض الوضـوء بالريح الخارج من قبلها كان أيسر عليها .

واذا أحبت أن تأخذ برأى الشافعية والمالكية فى نقض الوضوء بهذا الريح كان عليها أن تتوضأ كلما خرج منها الريح اذا أرادت الصلاة وغيرها ، وفى حالة استمرار خروج الريح منها تعامل معاملة المعذور ، فتتوضأ لكل صلاة .

موانع الإرث

السـؤال :

ما هى الموانع التى تمنع التوارث ؟

اسماعيل قشقوش ــ عمان

الاجـابة :

قد يوجد سبب الارث ، ولكن يمنع منه مانع ، فلا يرث الشـخص لذلك المانع ، والموانع هى :

١ ــ الكفر ، فلا يرث القريب المسلم الكافر ، ولا الكافر قريبه المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر » متفق عليه .

٢ ــ القتل، فلا يرث القاتل من قتله عقوبة له على جنايته ان كان القتـل عمدا وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « ليس للقاتل من تركة المقتول شىء » رواه ابن عبد البر وصححه .

٣ ــ الرق . فالرقيق لا يرث ولا يورث ، وسواء أكان الرق تاما أو ناقصا .

٤ ــ الزنا فابن الزنا لا يرث والده ولا يرثه والده ، وانما يرث أمه وترثه أمه دون أبيه لقوله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . متفق عليـه .

٥ ــ اللعان فابن المتلاعنين لا يرث والده الذى نفاه ، ولا يرثه والده قياسا على ابن الزنا .

٦ ــ عدم الاستهلال فالولد الذى تضعه أمه ميتا لم يستهل صارخا عنـد الوضع لا يرث ولا يورث لعدم وجود الحياة التى يعقبها موت فيحصل الارث .

بريد الوعي الإسلامي

إعـــداد : عبد الحميد رياض

الكويت فى المعركـــة

كان الدكتور أحمد الشرباصى ضيفا على وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى شهر رمضان الذى اشتعلت فيه العربية ضد الصهيونية العالمية .

وقد انفعل بما شاهده فى الكويت من تجـــارب على كافة المستويات مع المعركة وبعث برسالة جاء فيها :

رأيت الكويت حكومة وشعبا تتجاوب مع روح المعركة كأن الكويت هى التى تحارب ، وهى التى تخوض القتال ، فالتبرعات تتوالى من الحكومة والشعب ، والتبرع بالدم موصول ليلا ونهارا ، والاذاعة تتحول الى إذاعة معركة ، والدروس والمحاضرات تتحول الى الجهاد .

إن هذا الذى حدث من صنع الله العلى الكبير .

**** ****

الصحافــة الكويتيـــــة

متى أنشئت الصحف بالكويت ،

وما هى الصحف والمجلات التى تصدر فيها الآن .. ؟

عز الدين ــ أندونيسيا

توجد صحف ومجلات فى الكويت يرجع تاريخ صدورها الى أوائل الثلاثينات كانت تزخر فى هـــذا الحين بالمقـــالات الأدبية والقصـــائد الشعرية والطرائف والمواعظ .. أما فى هذا العصر وبعد أن بلغت الكويت شأوا بعيـــدا فى مضمار الحضارة والثقافة فقد أصبح بها سبع صحف يومية ، خمسة منها تصدر باللغة العربية واثنتان باللغة الانجليزية .

والصحف اليومية هى : الرأى العـــام ــ أخبـــار الكويت ــ السياسة ــ القبس ــ الوطن ــ الديلى نيوز ــ كويت تايمز .

أما الصحف والمجلات الاسبوعية فقد بلغ عددها عشرون وهى : أجيال — اليقظـــة — الهدف — الرسالة — الطليعة — المجتمع — صـــوت الخليج — البلاغ — أسرتى — أضواء الكويت — البيان — الرائد — النهضة — الملاعب — مرآة الأمـــة — سعد — المقاول — عالم الفن — حياتنا — الرياضى .

وتصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية مجلة الوعى الاسلامى مع غرة كل شهر عربى .

وتصدر وزارة الاعلام : الكويت اليوم — الكويت — العربى — عالم الفكر .

كما تصدر بعض المؤسسات كذلك بعض المجلات كمجلة غرفة التجـــارة والصناعـــة . ومجلة الاتحاد . ونشرة الأمنويل . والكويتى . والكويتى دايجست التى تصدر بالانجليزية عن شركة نفط الكويت .

**** ****

تحيـــــة للمجـــلة

يسرنى أن أبدى رأيى كأحد المواطنين المسلمين أولا والعرب ثانيا عن المجلة العربية الغراء (الوعى الاسلامى) فيما تعرضه هذه المجلة القيمة من موضوعات شيقة وأبواب رفيعة الأدب .

فثمن المجلة الزهيد يشجع المسلمين فى البلاد العربية على تداولها وقراءتها والمحافظة على اقتنائها شهريا دون تكلف أو عسر قد يدفعهم الى الاهمـــال فى شرائها وأن ثمنها الزهيد مقابل ما حوته تلك المجلة الغراء من موضوعات خـــلابة ليعد كرمز بسيط دفعنى لأن أقول إن المسئولين عن هذه المجلة الغراء يقدمونها كهدية للناطقين بالضاد وكعمل كبير لتعليم الناس أمور دينهم وتغذيتهم بالقــــرآن والسنة والموضوعات الدينية التى تبعث فيهم القيم الروحية وتبصرهم بأمور دنياهم ودينهم وتحثهم على الاجتهاد والجهاد لاعلاء كلمة الله . وآمل أن يظل سعرها الزهيد كما هو على مر السنين ليستطيع الفقراء من المسلمين العارفين منهم بأمور دينهم شراءها ولا يحرمون من عظيم فائدتها كما تبصر غير العارفين بتلك الأمور الجليلة .

عبد الفتاح صابر اسماعيل
جمهورية مصر العربية

● تصـــــويب ●

ورد فى مقال « نظرات معاصرة فى الجنين » للدكتور احمد شوكت الشطى فى العدد (١٠٤) ص ٥١ غرة شعبان ١٣٩٣ هـ خطأ مطبعى فى الآية (٥) من سورة الحج . فقد جاءت ناقصة قوله تعالى « لنبين لكم » . .

وهذه الآية صحيحة : « يا أيها النـــــاس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر من الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا » .

بأقلام القراء

للأستاذ : عثمان محمد مليبارى

معمـــل الكســـوة

عندما صدرت الأوامر الملكية فى عهد المغفور له (عبد العزيز آل سعود) بانشاء معمل الكســـوة عام ١٣٤٦ هـ استقدمت الحكومة السعودية نخبة من الخبراء لادارة المعمل ولتعليم أبناء المملكة الأعمال الفنيـــة التى تتعلق بغســـل دودة الحرير وصباغتها وحياكة ثوب الكعبة وكتابة حزامها وغير ذلك .

ويتكون المعمل من جهازين : جهاز فنى وجهاز ادارى ، وتعتبر مرحـــة كتابة الآيات القرآنيـــة والأحاديث النبوية على حزام الكعبـــة من أصعب المراحل وأدقها ، ومقاس الكسوة (٧٥٦) مترا عبـــارة عن أربعة وخمسين درجـــا من القماش المنسوج طول الدرج أربعة عشر مترا وعرضه حوالى متر واحد تقريبا وبلغ وزن الكسوة (١٦٠٠) كيلو غرام . كما أن سمك قماش الكسوة لا يزيد عن اثنين ملمتر .

(تاريخ كسوة الكعبـــة)

وأملا فى ربط الحاضر بالماضى ـــ وحبا فى تســـجيل لمحـــات من تاريخ الكسوة ـــ هنا فاننا نقوم بذلك بعد الاطلاع على كتاب المرشد للسباعى ، ونفحات من الحرم للطنطاوى ، ورحلة الحج للبتونى فنقول ما قرره المؤرخون :

إن أول من كسى الكعبـــة تبع الحميرى من ملوك اليمن فى الجاهيـــة وفى ذلك يقول الشاعر مفتخرا :

ورد الملـــك تبـــــع وبنــــــوه ورثوهـــم جـــــدودهم والجـــدودا
فاذا جينـــــا جيـــادنا من ظفـــار ثم ســـرنا بها مســـيرا بعيـــــدا
فاستجشـــنا بالخير ملك قبـــــاز وابن اقلود جــــاءنا معقــــــودا
فكســـــونا البيت الذى حرم اللـــه ملاء معصـــــــــــــــبا وبرودا
وأقمنـــا به من الشـــهر عشـــرا وجعلنـــــا لبابـــــه اقليـــــــدا
ثم طفنـــا بالبيت ســـبعا وســـبعا وســـجدنا عنـــد المقام ســـجودا
وخرجنـــا منـــه الى حيث كنـــــا ورفعنـــــا لواءنـــا معقـــــــودا

وكساها حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق .

ولما نشأ ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ثريا يتجر فى المال . قال لقريش يومـــا :

« أنا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة ـــ وكان يفعـــل ذلك الى أن مـــات » .

وقال الأزرقى : كساها النبى صلى الله عيه وسلم بالثياب اليمانية ، ثم كساها عمر وعثمان القباطى وكانت تكسى بالديباج بعد ذلك .

وأول من ظاهر لها بين كسوتين عثمان فلما كانت أيام معاوية كســـاها الديبـــاج مع القباطى وحيث أن كســـاوى الكعبـــة القديمة لا تنزع من فوقها

تراكمت بشكل خيف على الجدران من ثقلها فأمر المهدى بنزع الكسوة كل عـــام وبذلك يعتبر المهدى أول من فعل ذلك وسار على سنته الملوك والخلفاء الذين جاءوا من بعده حتى عصرنا الحاضر .

فلما كانت أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات كل سنة : فتكسى الديباج الأحمر يوم التروية ، وتكسى القباطى أول رجب ، وتكسى الديباج الأبيض فى عيد رمضـــان .

وعلى عهد خلفاء العباسين وأيام وهنهم وضعفهم .

ـــ كانت كسوة الكعبة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن الى أن استقرت الكسوة الشريفة فى سلاطين مصر .

وجهز السلطان سليم كسوة الكعبـــة داخلا وخارجا ، وكان الملك الصالح ابن قلاوون قد وقف بعض القرى القليوبية على الكسوة واشترى الســـلطان سليمان عدة قرى فى مصر فأضافهااليها .

وقد قال الشاعر المهلهل الدمياطى فى سواد الكعبة :

يروق لى منظر البيت العتيق اذا بدا لطرفى فى الأصـــباح والطفل
كأن حلتـــه الســـوداء قد نسجت من حبـــة القلب أو من أسود المقل

(حـــزام الكعبـــة)

كنت حفظت فى صغرى بيتا من الشعر وأتردد به كلما جلست فى المطاف وتمعنت الكعبـــة وكسوتها . . هذا البيت :

ما أحســـن الموســـم من موعـــد وأحسن الكعبــــة من مشــــهد

والحق ان الذى يتمعن فى الكسوة من جهـــة الشرق الذى يلى باب الكعبة يقرأ (البسملة) وهذه الآية : **(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطـــائفين والعاكفين والركع السجود . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) .**

والذى يتمعن الى الحزام من جهة الجنوب الواقع بين الركن الأسود والركن اليمـــانى يقرأ : **(بسم الله الرحمن الرحيم ـــ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين .**

أما ما كتب على حزام الكعبة فى القسم الغربى الذى بين الركن اليمانى وحجر اسماعيل فهو : **(بسم الله الرحمن الرحيم ـــ واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعمـــوا البائس الفقير ثم ليقضـــوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .**

هذا وقد أضيفت هذه الجملة فى الكسوة الحالية **(سبحان الله وبحمـــده سبحان الله العظيم) .**

(ســـتارة الكعبـــة)

مما لا شك فيه ان ستارة الكعبة تعتبر آية فى التطريز والنسج وروعـــة

ناطقة فى عالم الخط والرسم .. فقد كتب فى السطر الأول بأعلى الستارة داخل دائرتين مستطيلتين **(قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها)** ثم السطر الذى يليه داخل دائرة طويلة بعرض الستارة **(بسم الله الرحمن الرحيم — رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا)** ثم كتب فى السطر الذى يليه داخل أربعة دوائر تشبه كل دائرة منها (الكمثرة) فى صنف واحد **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .**

ثم كتب داخل أربعة دوائر مستطيلة فى السطر الذى يلى الذى بعده : **(بسم الله الرحمن الرحيم — الله لا إله ألا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم) .**

ثم كتب داخل دائرة واسعة على قدر عرض الستارة بقلم عريض بين آية الكرسى هذه الآيات : **(بسم الله الرحمن الرحيم — لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)** ثم كتب داخل دائرتين فى كل دائرة منها : **(بسم الله الرحمن الرحيم — سورة الاخلاص الى آخر السورة)** ثم كتب بين الدائرتين المذكورتين فى أربعة أسطر **(وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) .**

ثم كتب فى السطر الذى يليه داخل دائرة مستطيلة (بسم الله الرحمن الرحيم — سورة قريش) ثم كتب داخل دائرتين فى سطرين جانب الستارة الأيمن ومثلها داخل دائرتين فى الجانب الأيسر **(لا إله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين) .**

ثم كتب داخل دائرة شبه قوس منحن بين الدائرتين اليمنى والدائرتين اليسرى المتقدم ذكرها .

(بسم الله الرحمن الرحيم — قل هو الله أحد . الله الصمد) . الى آخر السورة ثم كتب حول ما تقدم من عموم الكتابات على الستارة المذكورة (بسم الله الرحمن الرحيم — سورة الفاتحة)

وكذلك كتب حول الستارة بين آيات الفاتحة داخل دائرتين صغيرتين (صنعت هذه الكسوة فى عهد خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم .

وان حكومة جلالة الملك المعظم لتهدى فى موسم الحج قطعا مختلفة الأحجام من هذه الكسوة الى كل من ملوك ورؤساء الدول الاسلامية والى ذوى المكانة والرفعة من المسلمين تذكارا لحج هذا البيت الذى تهوى اليه أفئدة من الناس .

مكة — عثمان محمد مليبارى
الغزة — مكتب جريدة عكاظ

المراجع :

١ — **نفحات من الحرم — لعلى طنطاوى .**
٢ — **المرشد العام للحجاج — لاحمد السباعى .**
٣ — **رحلة الحجاز — للبتونى .**
٤ — **مرآة الحرمين — لمحمد رفعت .**



فريضة الحذر من العدو والخروج له بشكل جماعى

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم ، وعدم الغفلة عنه ، فيؤخذوا خدعة أو بغتة ، وهذا ما يستلزم التأهب لهم باعداد الاسلحة والعدة ، وتكثير العدد ، وعدم الخروج الى القتال افرادا يسهل تصيدهم أو فوضى يسهل اخذهم ، انما أمرهم أن يخرجوا جماعات منظمة أو ينفروا جميعا وقيادتهم معهم ، وذلك لا ينفى أن هناك أعمالا حربية تستدعى انتداب فرد أو فردين أو أكثر ، والأمر هنا يخص النفرة للحرب أى الخروج العلنى للعمليات الحربية .

قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا** » (سورة النساء ٧١) .

وقد بين سبحانه وتعالى أن احب أعمال المؤمنين اليه تعالى هو ان يقاتلوا فى سبيله تعالى صفا كالبنيان المرصوص ، قال تعالى : « **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » هنا تكليف فردى فى ذاته ، ولكنه فردى فى صورة جماعية ، فى جماعة ذات نظام ، ومن طبيعة الدين الاسلامى أنه ينشىء مجتمعا متماسكا متناسقا فصورة الفرد المنعزل الذى يعبد ربه تعالى وحده ، ويجاهد وحده ويعيش وحده ، صورة بعيدة عن طبيعة الدين الاسلامى وعن مقتضياته فى الجهاد فى سبيل الله ، وفى حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة .

وهذه الصورة التى يحبها تعالى للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم ، وتوضح لهم طريقهم ، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذى يرسمه التعبير القرآنى المبدع « صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

ان الاستهانة بالعدو تؤدى حتما الى الاندحار والفشل ، ولقد استهان المسلمون بعدوهم يوم حنين فغلبوا على أمرهم فى بدء المعركة قال تعالى :

« **ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** » (سورة التوبة : الآية ٢٥) .

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين المجاهدين فى سبيله بأن يأخذوا حذرهم من عدوهم ان كان قريبا منهم اذ أنه سبحانه وتعالى قد كشف عن رغبة الحقد الدفينة فى نفوس الكفار تجاه المؤمنين والرغبة الشديدة فى نفوس الكفار فى أن يغفل المسلمون عن أسلحتهم فيميلون عليهم ميلة واحدة لاستئصال شأفتهم فلا تعود تقوم للمسلمين قائمة ، لذلك لم يبح سبحانه وتعالى للمسلمين ترك أسلحتهم عندما يكونون فى مواقع قريبة من العدو ، وأن يكونوا دائما على اهبة الاستعداد لأى هجوم طارىء ولذلك ففى أثناء قيام المسلمين فى تأدية فريضة الصلاة فى حالة الخوف من انقضاض العدو عليهم أمر تعالى بأن يقوم جماعة بالصلاة وان يقوم جماعة آخرون بحراستهم ، على النحو الذى وضحه تعالى فى قوله فى كتابه العزيز : « **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** » (سورة النساء الآية : ١٠٢) .

عن (البعث الاسلامى) الهندية

الجهاد واجب مقدس

شرع الله الجهاد ، دفاعا عن العقيدة ، وذودا عن الأوطان وتأمينا للحريات وهو بكل أنواعه وضروبه ضرورة تحتمها العقيدة ، وتدعو اليها حاجة الأمة اذا تعرضت لعدوان من جانب الأعداء . وان تاريخ الجهاد فى الاسلام ليؤكد بكل أمانة وصدق أن جهاد المسلمين كان ولا يزال غايته وأهدافه ، نصرة الحق ودفع الظلم وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » ، « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** » .

من أجل ذلك وتحقيقا لهذا الهدف السامى شرع الجهاد فى الاسلام ، وقد عرفه الفقهاء بأنه بذل الجهد فى قتال الكفار ، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان فاما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم العمل بها ثم تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتى به من الشبهات ، وما يزينه من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار أعداء الحق والسلام فتكون بالأنفس والأموال والألسنة وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « قاتلوا المشركين بأنفسكم وأموالكم والسنتكم » .

فالجهاد ليس قاصرا على خوض المعارك وضرب المدافع واشتجار السيوف واستقبال الحتوف ، فذلك ضرب واحد من ضروب الجهاد المبينة فى الحديث الشريف المتقدم وربما كان هذا الضرب متوقفا على غيره من الضروب الاخرى . وجهاد النفس يتمثل فى قول الله تعالى : **((ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم))** . وفى جهاد اللسان يقول الله تعالى : **((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))** وهناك جهاد بالمال وفيه يقول الله تعالى : **((فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين))** . فبين الله سبحانه أن رد الاعتداء مقرون بالبذل والانفاق فى سبيل الله والرسول الكريم يقول : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى أهله فقد غزا » .. وقال الامام البخارى فى التفسير : ان التهلكة هى ترك النفقة فى سبيل الله .

وفى تعظيم أمر الجهاد واعلاء شأنه يقول الله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ويقول عليه الصلاة والسلام : « لغدوة فى سبيل اله خير من الدنيا وما فيها » .

عن مجلة (منبر الاسلام) القاهرة

أخبار العالم الاسلامى

اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكـويت :

● تبرع سمو أمير البلاد المعظم بمليون دينار من ماله الخاص للجنة الشعبية لجمع التبرعات .



● رأس سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح وفد الكويت الى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الجزائر .. وقد كان للوفد الكويتى نشاط ملموس فى جلسات المؤتمر .. وعقد سمو أمير البلاد لقاءات ثنائية مع رؤساء الوفود العربية . ويرى سموه مع الرئيس المصرى أنور السادات والرئيس الجزائرى هوارى بومدين .

● زار البلاد وفد باكستانى برئاسة السيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء جمهورية الباكستان .. ويرى سيادة الضيف مع سمو الأمير المعظم



● أعلن الشيخ سعد العبد الله وزير الدفاع والداخلية أن القوة الكويتية ستبقى على الجبهة المصرية .. وأن الكويت على استعداد فى حالة وقوع حرب جديدة مع اسرائيل لدعم هذه القوة .

● زار الكويت الشيخ موسى طه مدير مدارس التقوى الاسلامية فى أوغندا بهدف تمتين الروابط الوثيقة بين المؤسسات والهيئات الدينية فى بلاده مع مثيلاتها فى الكويت .

● رحب وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بعقد لقاء عاجل لوزراء الأوقاف العرب لتدارس الموقف الراهن من أزمة الشرق الأوسط .

● بعث وزير الأوقاف والشئون الاسلامية برسائل الى المؤسسات والشركات الوطنية يطلب منها المساهمة فى صندوق المعونة الطبية الخيرى .. الذى يشرف على علاج المرضى من غير الكويتيين المقيمين بالكويت .

● أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية كتابا عن مؤتمر وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية والدينية فى البلاد العربية الذى انعقد لأول مرة فى الكويت فى المحرم ١٣٩٣ هجرية .

القـاهرة :

● رفع علم جمهورية موريتانيا الاسلامية فوق مبنى جامعة الدول العربية بعد أن أصبحت موريتانيا عضوا بها .

● زار فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر .. قطر بدعوه من وزير التربية بها .. وقد اجتمع فضيلته بالمسئولين القطريين وبحث التعاون بين الأزهر والمؤسسات التعليمية بالبلاد .

السعودية :

● أكد الشيخ زكى اليمانى وزير النفط السعودى أن الدول العربية ستواصل سياستها البترولية حتى يتم انسحاب اسرائيل .. وهدد بنسف آبار البترول اذا قامت أمريكا بعمل عسكرى ضد العرب .

● دعما للروابط الأخوية بين الدول الاسلامية قررت المملكة بث برنامج من الاذاعة باللغة التركية لمدة ساعة يوميا .. وذلك خدمة لقضايا أمتنا الاسلامية .

الجزائر :

● عقد فى الجزائر مؤتمر القمة العربى فى الفترة ما بين ٢٦ — ٢٨ نوفمبر .. وقد حضره ملوك ورؤساء الدول العربية .. وقد تم فيه اتخاذ القرارات المناسبة .. وتدارس الظروف التى تمر بها الأمة العربية . ونرى فى الصورة جانبا من الجلسة الختامية للمؤتمر والرئيس الجزائرى هوارى بومدين يلقى كلمته .



● أعلن المؤتمرون فى الجزائر قبول جمهورية موريتانيا الاسلامية عضوا بجامعة الدول العربية .. وأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى وقرروا انعقاد مؤتمر قمة عربى كل عام ..

دمشق :

● صرح مصدر مسئول أنه تم إسقاط ٣٤٥ طائرة اسرائيلية على الجبهة السورية خلال حرب اكتوبر .

● أكد المسئولون السوريون أنه لن يكون هناك سلام فى المنطقة ما لم تتحرر الأرض العربية المحتلة عام ٦٧ .. وتعود للشعب الفلسطينى حقوقه كاملة .

المغرب :

● رفض المغرب تزويد هولندا بالفحم كجزء من الحظر الذى فرضته الدول العربية على صادرات النفط الى هولندا .

باكستان :

● تقرر عقد مؤتمر قمة للدول الاسلامية فى باكستان خلال الايام القليلة القادمة .. وذلك لمناقشة الموقف فى الشرق الأوسط..وواجب الدول الاسلامية تجاه المشكلة الفلسطينية .

● يقوم رئيس وزراء باكستان السيد ذو الفقار على بوتو بزيارة عواصم الدول الاسلامية خلال اجتماع عقده المجلس الوطنى للعلوم فى باكستان .

أوغندا :

● وجه الرئيس الأوغندى عيدى أمين نداء الى الدول الافريقية التى لا تزال تحتفظ بعلاقاتها مع اسرائيل لكى تقطع علاقاتها بها . وتخلص القارة الافريقية من الامبريالية الصهيونية .

مدريد :

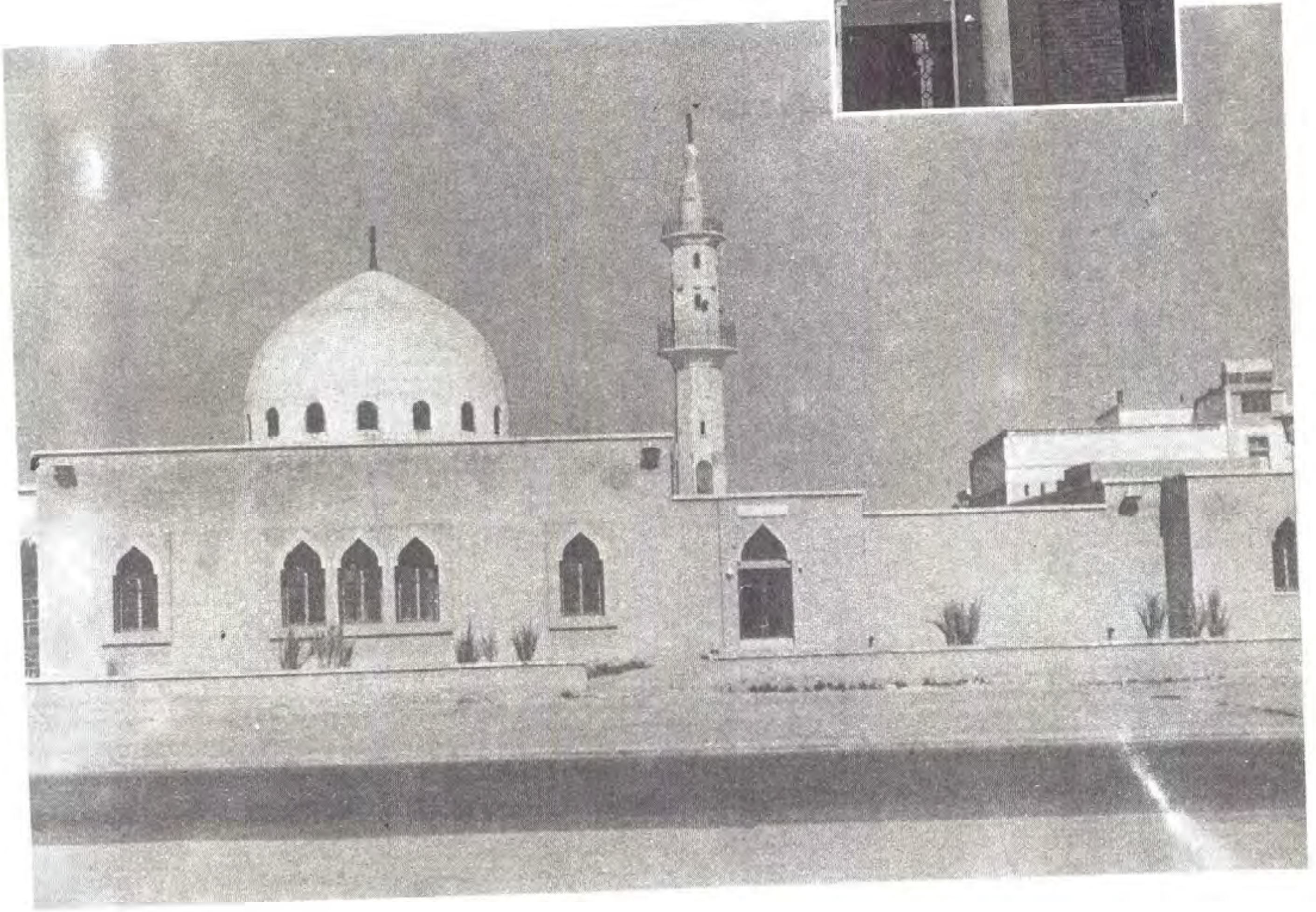
● صدرت ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الاسبانية .

أندونيسيا :

● أعلن ٣٧ شخصا إسلامهم أمام القاضى الشرعى فى مقاطعة « كلمتنان الجنوبية . بأندونيسيا .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو الحجة ١٣٩٣	ديسمبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الثلاثاء	١	٢٥	٥ ٧	٦ ٤٠	١١ ٤٨	٢ ٣٧	٤ ٥٥	٦ ١٩	١٢ ١٢	١ ٤٦	٦ ٥٣	٩ ٤٢	١ ٢٤
الأربعاء	٢	٢٦	٧	٤١	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	٣	٢٧	٧	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٤	٢٨	٨	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	٥	٢٩	٨	٤١	٥٠	٣٩	٥٧	٢١	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الأحد	٦	٣٠	٨	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاثنين	٧	٣١	٩	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٨	يناير	٩	٤٢	٥١	٤١	٥٩	٢٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الأربعاء	٩	٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٥ ٠٠	٢٣	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٠	٣	٩	٤٢	٥٢	٤٢	٠٠	٢٣	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الجمعة	١١	٤	١٠	٤٣	٥٢	٤٣	١	٢٤	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
السبت	١٢	٥	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الأحد	١٣	٦	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	١٤	٧	١٠	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الثلاثاء	١٥	٨	١٠	٤٣	٥٤	٤٥	٤	٢٧	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الأربعاء	١٦	٩	١١	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٨	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	١٧	١٠	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٨	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الجمعة	١٨	١١	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٩	٤	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
السبت	١٩	١٢	١١	٤٣	٥٥	٤٨	٧	٢٩	٣	٣٦	٤٨	٤١	٢٢
الأحد	٢٠	١٣	١١	٤٣	٥٦	٤٩	٨	٣٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الاثنين	٢١	١٤	١١	٤٣	٥٦	٥٠	٩	٣١	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	٢٢	١٥	١١	٤٣	٥٧	٥١	١٠	٣٢	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الأربعاء	٢٣	١٦	١١	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣	١١ ٥٩	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الخميس	٢٤	١٧	١١	٤٣	٥٧	٥٣	١٢	٣٤	٥٨	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الجمعة	٢٥	١٨	١٠	٤٢	٥٨	٥٣	١٢	٣٤	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
السبت	٢٦	١٩	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٣	٣٥	٥٧	٢٩	٤٥	٤١	٢٢
الأحد	٢٧	٢٠	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٤	٣٦	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الاثنين	٢٨	٢١	١٠	٤٢	٥٩	٥٥	١٥	٣٧	٥٥	٢٧	٤٤	٤٠	٢٢
الثلاثاء	٢٩	٢٢	١٠	٤٢	٥٩	٥٦	١٦	٣٧	٥٤	٢٦	٤٣	٤٠	٢١
الأربعاء	٣٠	٢٣	١٠	٤١	٥٩	٥٧	١٧	٣٨	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١



مسجد الزبير بن العوام

نسبــه : هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، واول من سلّ سيفه فى الإسلام ، وهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

مولــده : ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة ــ ٥٩٦ ميلادية .

إسلامه : أسلم وله ١٢ سنة .

جهـاده : شهد بدرا واحدا وغيرهمـا ، وكان على بعض الكراديس فى اليرموك ، وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب .. ورشحه عمر فيمن يصلح للخلافة بعده . وروى له البخـارى ومسلـم ٣٨ حديثا .

وفاتــه : قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادى السباع على مقربة من البصرة وتوفى عام ٣٦ هـ ــ ٦٥٦ م .

فهرس عام المجلة

في عامها التاسع

١٣٩٣ هـ

١٩٧٤/٧٣ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

كلمات وأحاديث

حديث الشهر

للشيخ رضوان رجب البيلى

من هدي السنة

أدب

دراسات قرآنية

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أشياء تستحق المعرفة فى القــرآن	الاستاذ محمد بلى الفوتى	٩١/١٠١
اعجاز القرآن وموضوعية التوجيه	الدكتور محمد البهى	٤/٩٩
اقرأ باسم ربك الذى خلق	الاستاذ أحمد التاجى	٤٥/١٠٥
التحريف والنسخ فى شريعة الاسلام	الاستاذ محمد اسماعيل الندوى	٧٥/١٠٢
التعريف بالقرآن الكريم (١)	الدكتور محمد حسين الذهبى	١٢/١٠١
دراسات قرآنيــــة	الاستاذ أحمد محمد جمال	٨/١٠٨
صور شاملة لسورة يس	الشيخ محمد الغزالى	١٢/١٠٠
ظاهرة فى القــرآن واحدة	الدكتور محمد البهى	١٠/١٠٧
فن التجويد هو موسيقى القرآن	الشيخ أحمد حسن الباقورى	٢٩/١٠٥
القرآن يقرر قصور العلم البشرى	ق. ق.	٧٢/١٠٢
قضايا قرآنيــــة	الاستاذ أحمد محمد جمال	٢٩/٩٨
كيف يتلى كتاب الله	الاستاذ محمد محمد الشرقاوى	٦٤/١٠٧
لغة القرآن الكريم	اللواء محمود شيت خطاب	١٧/١٠٤
مباحث قرآنية (٢)	الدكتور محمد حسين الذهبى	١٤/١٠٢
مباحث قرآنية (٣)	» » »	١٢/١٠٤
مباحث قرآنية (٤)	» » »	٢٢/١٠٥
مشكلات الفواصـــل	الدكتور على محمد حسن	٨/١٠٢
الممتحنة سورة الحب والبغض	الشيخ محمد الغزالى	١٥/١٠٨
من حديث الهجرة فى القرآن	الدكتور محمد الدسوقى	٢١/٩٧
نظرات فى سورة الاخلاص	الاستاذ عبد العزيز العلى المطوع	٥٧/٩٨
نقد ابن كثير للاسرائيليات	الاستاذ اسماعيل سالم عبد العال	٩١/١٠٧

طبّ وعلوم

عقيـــــــدة

فقه وتشريع واقتصاد

كتاب الشهر

مناسبات اسلامية

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أثر ذكرى الاسراء والمعراج	الدكتور محمد سلام مدكور	٢٠/١٠٣
أسماء والهجرة	الاستاذ مناع قطـــان	٨٠/٩٨
أنواع الصيام فى الاسلام	الدكتور محمد الدسوقى	٤٩/١٠٥
الباحثون عن النــــور	الاستاذ محمد المجذوب	٥٦/١٠٠
خواطر فى الميـــلاد	الاستاذ أبو القيم الكبيسى	٨٤/١٠٠
خير أمــــة	الدكتور محمد الدسوقى	٨٥/١٠١
دراسة دينية عن الاسراء والمعراج	الاستاذ محمد أحمد بدوى	١٢/١٠٣
دروس من الاسراء	الاستاذ محمد المجذوب	٢٦/١٠٣
ذكرى ميـــلاد الرسول	الاستاذ أحمد محمد جمال	٥٠/١٠٠
رمضان بين اللغة والتاريخ	الاستاذ عبد الله الكبير	٦١/١٠٥
رمضان دورة تدريبية	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٤٠/١٠٥
رمضان والعيد ومشكلة تحول القيم	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	١٢/١٠٦
صور من المعركـــة	التحـــــرير	٩٤/١٠٦
عاشوراء اليهود وعاشوراء المسلمين	الدكتور على عبد الواحد وافى	٢٦/٩٧
العظمـــة الخالـــدة	الشيخ عبد الحميد السائح	٢٣/١٠٠
لا تحزن ان الله معنا	التحـــــرير	٩٥/٩٧
لـــاذا الهجرة دون سواها	الشيخ بدر المتولى عبد الباسط	١٣/٩٧
ماذا يعنى العيد فى نظر الاسلام	الاستاذ حسن عيسى عبد الظاهر	٤٦/١٠٦
مواكب النصر فى رمضان	الدكتور ابراهيم على شعوط	٥٦/١٠٥
مولد النبى ومضة من نور	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٣٢/٩٩
هجرة أو جهاد	الشيخ عبد الحميد السائح	١٦/٩٧
يوم الحج الأكبر	الاستاذ عزت محمد ابراهيم	٤١/١٠٧

تربية واجتماع

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الاخلاق الوضعية	الاستاذ سعيد زايـــد	٩٦/٩٧
أزمة الزواج	الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى	١٠٠/١٠٢
حينما ننحرف بالرياضة	الدكتور أحمد الشرباصى	٨٠/١٠٦
خطبة الجمعة	اللواء محمود شيت خطـــاب	٣٧/٩٧
رمضان دورة تدريبية	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٤٠/١٠٥
رمضان والعيد ومشكلة تحول القيم	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	١٢/١٠٦
العقل الحديث	الاستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيـــــل	٨٠/١٠٥
علم النفس وأثره	الاستاذ محمد علم الدين	٦٧/١٠٨
فكرة الواجب فى الاخلاق	الاستاذ سعيد زايـــد	٥٥/١٠٦
فكروا لماذا	الشيخ على الطنطـــاوى	٢٢/١٠٠
المتكلمون فى الدين	اللواء محمود شيت خطاب	٤٨/٩٨
متى يدرك المسلمون أنهم المسئولون	الاستاذ محمد المجذوب	٥٤/٩٧
المسجد المعمور	اللواء محمود شيت خطـــاب	٨٨/١٠٧
المسجد المهجور	» » » »	٣٥/١٠٦
مشكلة العزوبة	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٨٦/٩٨
معالم الطريق لاسعاد الاسرة	الشيخ سعـــد المرصفى	٨٨/١٠٤
مفهوم الزهادة فى الاسلام	الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى	٥٩/١٠٦
منهج الاسلام فى تربية المجتمع	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٢٣/٩٩
منهج التربية فى الاسلام	الاستاذ على القاضى	٦٦/٩٨
نظام السلوك الانسانى	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٧٠/١٠٣
يا شباب المسلمين — قولوا لهم	الاستاذ أحمد العنانى	٥٠/١٠٧

قصـــــــائد

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
بالجسم والروح	الاستاذ الربيع الغزالى	٤٦/١٠٣
صوت المعركة	الاستاذ محمود حسن اسماعيل	٨٦/١٠٦

موضـــوعات عامـــة

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أبواب الفردوس	التحـــرير	٩٢/١٠٦
استجال السيئة واستبطاء الحسنة	الاستاذ أحمد محمد جمـــال	٨٠/٩٧
الاسلام فى أصوله الاولى والاخيرة	الدكتور وهبه الزحيـــلى	٦٤/١٠٣
اعرفوا أعداءكم	الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند	٩٨/١٠٢
انه كان صادق الوعد	اللواء محمود شيت خطاب	٤٢/٩٩
أى رجال كانوا هؤلاء	الدكتور أحمد الشرباصى	٦٢/ ٩٩
الجهاد بالمال	التحـــرير	٨٨/١٠٦
جهاد المرأة	«	٩٠/١٠٦
الحب فى الاسلام	الشيخ عبد الله النورى	٣٥/٩٩
الحرب النفسية	التحـــرير	١٠١/١٠٦
خطوط عريضه فى العبادة الاسلامية	الدكتور عماد الدين خليل	١٠/١٠٥
خواطر اسلامية	« « « «	٥٣/١٠٤
الدعوة الاسلامية وكيف نوجهها	الاستاذ سفيان سالم	٧٨/١٠١
دور الاسلام فى العصر الحديث	كاتب كبيـــر	٧٢/١٠٥
الرسالة للامام الشافعى	الاستاذ عبد الحليم عويس	٧٠/١٠٦
صدفة أم قصد وتدبير	الاستاذ عزت محمد ابراهيم	٥١/١٠٦
العظمة الخالدة	الشيخ عبد الحميد السائح	٢٣/١٠٠
قبل الزحف والتصدى	الاستاذ يوسف حسن نوفل	٥٢/٩٨
قرارات مؤتمر وزراء الاوقاف	التحـــرير	٧٤/٩٩
كيف نحارب الغزو الثقافى	الشيخ عبد العزيز عبد الله باز	٤٤/٩٨
ما لا بد منه للمسيرة	الاستاذ عبد المقصود محمد حبيب	٦٧/٩٩
المتكلمون فى الدين	اللواء محمود شيت خطاب	٤٨/٩٨
المسجد المعمور	« « « «	٨٨/١٠٧
المسجد المهجور	« « « «	٣٥/١٠٦
مظاهر أسباب تخلف العالم الاسلامى	الدكتور وهبه الزحيلى	٢٤/١٠١
مفهوم الزهادة فى الاسلام	الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى	٥٩/١٠٦
نداء بشان الاقليات	مجمع البحوث الاسلامية	٥٣/١٠٧
نداء الى شعوب الامة الاسلامية	« « «	٨٦/١٠٥
نظرات فى الازمة الراهنة	الاستاذ أحمد العنانى	٧٠/٩٧
نقد ابن كثير للاسرائيليات	الاستاذ اسماعيل سالم عبد العال	٩١/١٠٧
هل للمسلمين فى بلادهم وضع	الدكتور محمد البهى	٤/١٠٦
واجب المسلمين تجاه احتلال اليهود	الشيخ عبد الحميد السائح	٣٢/١٠٣
الوحدة الاسلامية	الدكتور عبد الحليم محمود	٤٧/١٠٨

تاريخ وحضارة

الفتــــاوى

تابع ـ الفتـــاوى

باقــلام القـــراء

بريد الوعي

اعـداد : الأستاذ عبد الحميد رياض

قالت صحف العالم

العدد/الصفحه	الصحيفه او المجله	الموضـــــوع
١١٠/١٠٠	مجلة التضامن الاسلامي	الاسلام بنفسه لا باتباعه
١٠٩/١٠١	مجلة الشباب اللبنانية	الاسلام والواقع العربي المعاصر
١١٠/٩٩	مجلة منبر الاسلام القاهرية	بداية نهاية اسرائيل
١٠٩/١٠٨	مجلة منبر الاسلام القاهرية	الجهاد واجب مقدس
١٠٩/٩٨	صحيفة أخبار اليوم القاهرية	الحادث الاكبر
١٢٣/٩٧	مجلة رابطـة العـالم الاســلامى السعودية	حماية البلاد الاسلامية من خطــر الصحافة الفاجرة
١١٠/٩٨	مجلة الاعتصام المصرية	حول ظاهرة احتشام الفتيات
١٠٦/١٠٧	مجلة الخفجي الكويتية	دروس من الحج
١٠٩/١٠٤	« « «	الشريعة الاسلامية ليست ارهابا
١٠٩/١٠٣	مجلة المجتمع الكويتية	الرسالة والرسول
١٠٩/١٠٢		طريق النصر ما معالمه
١٠٨/١٠٨	مجلة البعث الاسلامي الهندية	العناية بالشباب المغترب
١٠٩/١٠٠	صحيفة أخبار اليوم القاهرية	فريضة الحذر من العدو
١١٠/١٠٣	مجلة الهدى الاسلامي	في سبيل اعادة بناء فكرنا وأمتنا
١٠٩/١٠٥	مجلة الميثاق المغربية	لماذا يرفضون الاسلام
١٢٤/٩٧	مجلة البعث الاسلامي الهندية	مادتنا الحب
١١٠/١٠١	مجلة جوهر الاسلام التونسية	مشكلتنا الحضارية
١٠٩/٩٩	« « « «	واجبنا نحو الشباب

الأغـــلفة

العدد/الصفحة	الموضـــــوع
٩٧	في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه (آية)
٩٨	مسجد الخليفة ــ الكويت (صورة)
٩٩	مسجد خالد بن الوليد ــ سوريــا (صورة)
١٠٠	مسجد العمري ــ بيروت (صورة)
١٠١	مسجد مدينة عيسى البحرين (صورة)
١٠٢	مسجد عبد اللطيف العثمان ــ الكويت (صورة)
١٠٣	مدينة القــدس ــ فلسطين (صورة)الكويت (صورة)
١٠٤	« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (آية)
١٠٥	وأن تصوموا خير لـكم » (آيــة)
١٠٦	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (آية)
١٠٧	مقام ابراهيم ــ مكة المكرمة (صورة)
١٠٨	المقصورة النبوية ــ المدينة المنــورة (آيــة)

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ : عبد الستار محمد فيض

الموضــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
ابن تيميــــة	الاستاذ سعد صادق محمد	٦٧/١٠٦
الاجتهاد في الفقه الاسلامي	الدكتور محمد الدسوقي	٧٣/١٠٧
الاذان والمؤذنون	السيد الحسيني الجلالي	١٠٣/ ٩٧
الى كل فتاة تؤمن بالله	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي	٨٧/١٠٤
البعــد الخامس	الاستاذ أحمد رائف	١٠٣/ ٩٧
التراث الاسلامي في بيت المقدس	الشيخ طه الولي	١٠٢/ ٩٧
الحرب في الاسلام	الاستاذ توفيق علي وهبه	٩٣/١٠٢
حياة رسول الله	الاستاذ محمود شلبي	٧٣/١٠٧
دراسات في مذاهب فلاسفة الشرق	الدكتور محمد عاطف العراقي	١٠٢/ ٩٧
الدراسة القرآنية المعاصرة	الاستاذ محمد عبد العزيز السديس	٩٣/١٠٢
دليل الامــلاء	الاستاذ عامر سعيد	١٠٢/ ٩٧
رجال ونساء أسلموا	الاستاذ عرفات كامل العشي	٦٧/١٠٦
العقل عند الشيعة الامامية	الدكتور رشدي محمد عرسان عليان	٨٧/١٠٤
الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي	الاستاذ محمد سليمان الاشقر	٨٣/١٠٠
مائة يوم في الكويت	الاستاذ كامل حمادة	٨٣/١٠٠
مبدأ المساواة في الاسلام	الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد	١٠٣/ ٩٧
معجم الفقه الحنبلي	وزارة الاوقــاف والشئون الاسلامية	٨٣/١٠٠
مطامع اليهود في فلسطين قديما وحديثا	الدكتور محمد بديع شريف	٩٣/١٠٢
منهج النقد في علوم الحديث	الدكتور نور الدين عتر	٨٧/١٠٤

مائدة القارئ

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
٨٦/ ٩٧	٥٨/١٠١	٣٨/١٠٥
٧٨/ ٩٨	٩٢/١٠٢	٦٨/١٠٦
٧٢/ ٩٩	٤٤/١٠٣	٥٦/١٠٧
٨٨/١٠٠	٥٨/١٠٤	٣٦/١٠٨

قصص

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أرض السهلة	الاستاذ أحمد العنانى	٩٠/١٠٠
أم حكيم (١)	الدكتور أحمد شوقى الفنجرى	٩٤/١٠٣
أم حكيم (٢)	« « « «	٩٦/١٠٤
بين خرائب برلين	الاستاذ محمد المجذوب	٩٦/٩٨
ثقب فى رأس كبير	الاستاذ محمد لبيب البوهى	٩٤/١٠٥
صراع فى الظلام	« « « «	٩٤/١٠١
عطاء وهشام	الاستاذ أحمد العنانى	٩٦/١٠٦
قصاص	الاستاذ سعيد زايد	٩٤/١٠٢
قلت لنفسى وقالت لى	الاستاذ محمد لبيب البوهى	٤٦/٩٩
ما كان يجهله عبد الله	الاستاذ محمد عطاء الله	٨٨/١٠٨

أعلام

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن سيناء	الدكتور محمود محمد قاسم	٥٨/١٠٧
أبو بكر الصديق	التحرير	١١٤/٩٨
أبو العلاء المعرى	الشيخ طه الولى	٧٤/٩٧
اسماعيل بن القاسم	الاستاذ حسين الطوخى	٩٦/١٠٠
أى رجال كانوا هؤلاء	الدكتور أحمد الشرباصى	٦٢/٩٩
خالد بن الوليد	التحرير	١١٤/١٠٧
صلاح الدين السلجوقى	الاستاذ أنور الجندى	٧٠/١٠٤
سعد بن أبى وقاص	التحرير	١١٤/١٠٢
الشيبانى	الدكتور محمد الدسوقى	٢٨/١٠٦
عبد الحميد بن باديس	الدكتور محمود محمد قاسم	٧٦/١٠٣
عبد الله بن مسعود	التحرير	١١٤/١٠٥
عثمان بن عفان	التحرير	١١٤/١٠٠
عثمان بن مظعون	التحرير	١١٤/١٠٦
عمر بن الخطاب	التحرير	١١٤/٩٩
مالك بن بنى	الاستاذ أنور الجندى	٧٢/١٠٨
مصعب بن عمير	التحرير	١١٤/١٠٣
مصعب بن عمير	الشيخ محمد الصادق عرجون	٦٤/١٠٥
معاذ بن جبل	التحرير	١١٤/١٠٤
موسى بن نصير	الاستاذ عزت محمد أبراهيم	٩٦/٩٩

الكتّاب

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
ابراهيم الصـــدوى	وثيقة تسليم بيت المقـدس	٧٦/١٠٠
ابراهيم على شمــوط	مواكب النصر فى رمضـــــان	٥٦/١٠٥
ابراهيم محمود عوض	تخليص الابريز (كتاب الشهر)	٩٠/ ٩٨
أبو عبد الرحمن عقيل الظاهرى	العقل الحـــديث	٨٠/١٠٥
» » » » » »	حتمية الاعدام فى القصاص	٢٧/١٠٦
أبو القيم الكبيسى	خواطر فى الميـــلاد	٨٤/١٠٠
أبو الوفا مصطفى المراغى	مفهوم الزهادة فى الاسلام	٥٩/١٠٦
أحمد ابراهيم أبو حمد	الاثر النفسى للاسلام	١٠٨/١٠٤
أحمد التاجى	اقرأ باسم ربك الذى خلق	٤٥/١٠٥
أحمد الحجى الكردى	مشكلة العزوبة	٨٦/ ٩٨
» » »	مولد النبى ومضة من نور	٣٢/ ٩٩
» » »	رمضان دورة تدريبية	٤٠/١٠٥
» » »	حكم الاسلام فى الاسترقاق	٢٣/١٠٧
أحمد حسن الباقـــورى	فن التجويد هو موسيقى القرآن	٢٩/١٠٥
أحمد الشربـــاصى	أى رجال كانوا هؤلاء	٦٢/ ٩٩
» »	حينما ننحرف بالرياضة	٨٠/١٠٦
أحمد شوقى الفنجـــرى	أم حكيم (قصة ١)	٩٤/١٠٣
» » »	أم حكيم (قصة ٢)	٩٦/١٠٤
أحمد شوكت الشـــطى	الحضارة وأركانها فى الاسلام	٦٩/١٠١
» » »	نظرات معاصرة فى الجنين	٤٨/١٠٤
أحمد العنـــانى	نظرات فى الأزمة الراهنـــة	٧٠/ ٩٧
» »	أرض السهلـــة (قصة)	٩٠/ ١٠٠
» »	غلاف المجلة	١٠٤/١٠٤
» »	عطاء وهشام (قصة)	٩٦/١٠٦
» »	يا شباب المسلمين قولوا لهم	٥٠/١٠٧
أحمد المجـــدوب	نظرية الشريعة فى الاشتراك	٢٥/١٠٢
أحمد محمد جمـــال	استعجال السيئة واستبطاء الحسنة	٨٠/ ٩٧
» » »	قضايـــا قرآنيـــة	٢٩/ ٩٨
» » »	ذكرى ميـــلاد الرسول	٥٠/١٠٠
» » »	دراسات قرآنيـــة	٨/١٠٨

تابع ــ الكتاب

الموضــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحه
عبد الحميــد رياض	بريد الوعى	جميع الاعداد
عبد الحميد السائح	هجرة أو جهاد	١٦/ ٩٧
» » »	العظمة الخالــدة	٢٣/١٠٠
» » »	واجب المسلمين تجاه احتلال اليهود	٣٢/١٠٣
عبد الحميد محمد البسيونى	حديث مع علماء المغرب	٩٦/١٠٧
عبد الرحمن أحمد شادى	ذباب المكاتب	١٠٨/ ٩٩
» » » »	مدينة الذهب والفضة	١٠٧/١٠٠
» » » »	ازمة الــزواج	١٠٠/١٠٢
» » » »	حول تحفيظ القرآن الكريم	١٠٧/١٠٤
عبد الرحيم بن سلامــة	تاريخ الفكر السياسى (كتاب الشهر)	٩٠/١٠٣
» » »	القانون (كتاب الشهر)	٨٤/١٠٨
عبد الستار محمد فيض	مكتبة المجلــة	جميع الاعداد
عبد السلام العمرى	دسائس يهودية	١٠٥/١٠٧
عبد العال سالم مكرم	منهج الاسلام فى تربية المجتمع	٢٣/ ٩٩
عبد العزيز عبد الله باز	كيف نحارب الغزو الثقافى	٤٤/ ٩٨
عبد العزيز العلى المطوع	نظرات فى سورة الأخــلاص	٥٧/ ٩٨
عبد الفتاح صابر اسماعيل	ثمن المجلة	١٠٩/١٠٦
عبد الكريم الخطيب	الحدود فى الاسلام (١)	٢٠/ ٩٨
» » »	الحدود فى الاسلام (٢)	٤٠/١٠١
» » »	الحدود فى الاسلام (٣)	٢٢/١٠٤
» » »	التعريف بأحوال المسلمين	١٠٤/١٠٤
عبد الله سالم	شوه التاريخ فانسلخ منه الشباب	٦٣/١٠٦
عبد الله عبد الرحمن السند	من هدى النبوة	١٠٨/١٠٠
» » » »	اعرفوا أعداءكم	٩٨/١٠٢
عبد الله الكبير	رمضان بين اللغة والتــاريخ	٦١/١٠٥
عبد الله النـــورى	الحب فى الاسلام	٣٥/ ٩٩
عبد المقصود محمد حبيب	ما لا بد منه للسيرة	٦٧/ ٩٩
عبد الناصر توفيق العطار	المرأة الصالحــة	١٢٦/ ٩٧
عثمان محمد مليبارى	كسوة الكعبـــة	١٠٥/١٠٨
عزت محمد ابراهيم	موسى بن نصير	٩٦/ ٩٩
» » »	صدفة أم قصد وتدبير	٥١/١٠٦
» » »	يوم الحج الاكبر	٤١/١٠٧
على عبد المنعم عبد الحميد	فطــر نقيــة	٨/ ٩٧

تابع الكتاب

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحه
على عبد المنعم عبد الحميد	درس من النبــوة	٨/ ٩٨
» » » » »	هــذا هــو الحــل	١٨/ ٩٩
» » » » »	نزول عيسى عليه السلام	١٧/١٠٠
» » » » »	حديث الفــار	١٧/١٠١
» » » » »	طهروا أموالــكم	٨/١٠٣
» » » » »	توجيهات الاسلام فى الأزمات النفسية	٦/١٠٤
على عبد الواحد وافــى	عاشوراء اليهود وعاشوراء المسلمين	٢٦/ ٩٧
على الطنطـــــاوى	فكروا لمــاذا	٣٢/١٠٠
عــلى القــــاضى	منهج التربية فى الاسلام	٦٦/ ٩٨
على محمد حسن	مشكلات الفواصــــل	١٥/١٠٨
عماد الدين خليل	ملاحظات فى الحضارة المقارنة	٦٥/ ٩٧
» » »	تحليل الدعوة فى عصرها المكى	٦٧/١٠٠
» » »	ملاحظات فىالتفسير الاسلامى للتاريخ	٦٠/١٠١
» » »	خواطر اسلامية	٥٢/١٠٤
» » »	خطوط عريضة فى العبادة الاسلامية	١٠/١٠٥
فاروق محمود مساهــل	من أمراض اليهــود	١٠٧/ ٩٨
فاروق منصــــور	الفــكر الاســـلامى	٨٠/١٠٣
فهمى عبد العليم الامام	أخبار العالم الاســلامى	جميع الاعداد
مازن المبـــارك	جهاد الأمة العربية وصراع اللغة	٤١/١٠٢
محمد أحمد بدوى	دراسة دينية عن الاسراء والمعراج	١٢/١٠٣
محمد أحمد العــزب	الاتجاه التاريخى الحديث	٥٨/ ٩٧
محمد اسماعيل الندوى	التحريف والنسخ فى شريعة اليهود	٧٥/١٠٢
محمد بلى الفــوتى	أشياء تستحق المعرفة فــى القرآن	٩١/١٠١
محمــد البــهى	اعجاز القرآن وموضوعية التوجيه	٤/ ٩٩
» »	العلمانية والاسلام (١)	٤/١٠١
» »	العلمانية والاسلام (٢)	٣٣/١٠٢
» »	العلمانية والاسلام (٣)	٤١/١٠٤
» »	العلمانية والاسلام (٤)	١٤/١٠٥

تابع الكتاب

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
محمد سلام مدكـــــور	الاوامر الشرعية ودلالتها (٢)	٢٨/١٠٨
محمد شوقى الفنجـرى	الزكاة بلغة العصر	٤٩/١٠١
» » »	حد الكفاف وحد الكفاية	١٠٣/١٠٣
» » »	الاقتصاد الاسلامى وماهيته	٥٠/١٠٨
محمد الصادق عرجـــون	مصعب بن عمير	٩٤/١٠٥
محمـــد عبـــد الرءوف	نظرات فى الحـــديث (١)	١٦/١٠٧
» » »	نظرات فى الحديث (٢)	٢١/١٠٨
محمد عبد الرحمن عبد اللطيف	وعد الله ليس لبنى اسرائيل	٧١/ ٩٨
محمد عبد الغنى أبو شرف	كلمـــة صريحـــة	١٠٧/١٠٢
محمـــد عبد اللـــه السمان	من قضايا القرآن (كتاب الشهر)	٨٩/١٠٥
» » »	عمر بن الخطاب (كتاب الشهر)	١١١/ ٩٧
» » »	الكم والكيف فى نشر الثقافة الاسلامية	٥٤/١٠٢
محمد عزة دروزة	من هو المسلم .. ؟	١٠٣/١٠٣
» » »	اين هى توراة موسى عليه السلام	٧٦/١٠٤
محمد عطـــاء الله	ما كان يجهله عبد الله (قصة)	٨٨/١٠٨
محمـــد عـــلم الـــدين	علم النفس وأثـــره	٦٧/١٠٨
محمد عـــلى الطعمى	عمـــــورية	١٢٧/ ٩٧
محمـــد الغـــزالى	الالحاد ليس تطـــورا	٤٠/ ٩٨
» »	حوار بينى وبين ملحـــد	٣٨/ ٩٩
» »	صور شاملة لسورة يس	١٢/١٠٠
» »	الممتحنة سورة الحب والبغض	٨/١٠٢
محمد لبيب البوهى	قلت لنفسى وقالت لى (قصـــة)	٤٦/ ٩٩
» » »	صراع فى الظلام (قصة)	٩٤/١٠١
» » »	ثقب فى رأس كبير (قصة)	٩٤/١٠٥
محمد الماجـــد	المسلمون السوفييت	٦١/١٠٨
محمد محمد أبـــو خـــوات	وحدة الدين ومميزات الاسلام	٦٠/ ٩٨
محمد محمد أبو شوك	الحائرون بين المنبهات والمهدئات	٧٧/١٠٨
محمد محمد حسين	الاسلام والعروبة	٥٨/١٠٢
» » »	الاسلام والعالمية	٦٠/١٠٤
محمد محمد الشرقـــاوى	كيف يتلى كتاب الله	٦٤/١٠٧
محمد محمود أحمد محمدين	أهمية الوقت فى الاسلام	١٠٧/١٠٢
محمد محمود زيتون	دستور الاعلام (كتاب الشهر)	٨١/١٠٢

تابع ــ الكتاب

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
محمد محمود زيتون	قزمان من أهل النار	٨٠/١٠٧
محمد المجذوب	متى يدرك المسلمون انهم المسئولون	٥٤/ ٩٧
» »	بين خرائب برلين	٩٦/ ٩٨
» »	الباحثون عن النور	٥٦/١٠٠
» »	دروس من الاسراء	٢٦/١٠٣
محمد منسى السيد سالم	حديث عن اللغة العربية	١٠٣/١٠٥
محمود حسن اسماعيل	صوت المعركة (قصيدة)	٨٦/١٠٦
محمود شيت خطاب	خطبة الجمعة	٣٧/ ٩٧
» » »	المتكلمون فى الدين	٤٨/ ٩٨
» » »	أنه كان صادق الوعد	٤٢/ ٩٩
» » »	لغة القرآن الكريم	١٧/١٠٤
» » »	المسجد المهجور	٣٥/١٠٦
» » »	المسجد المعمور	٨٨/١٠٧
محمود محمد بكر هلال	من المجتمع	١٠٧/١٠٣
محمود محمد قاسم	عبد الحميد بن باديس	٧٦/١٠٣
» » »	ابن سينا	٥٨/١٠٧
محمود مهدى استانبولى	افتراء المستعمرين على الاسلام	١٠٤/ ٩٧
» » »	خطر اهمال التبشير فى ديار الغرب	٣٢/ ٩٨
مناع قطان	أسماء والهجرة	٨٠/ ٩٨
موسى ابراهيم	الاسلام والمسلمون فى تشاد	٤٢/ ٩٧
نوال بدره	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة	١١٠/١٠٦
نور الدين عتر	الوحى الى الأنبياء	٣٤/١٠٧
وهبه الزحيلى	الحضارة الاسلامية بين الحضارات	٨٨/ ٩٧
» »	مظاهر أسباب تخلف العالم الاسلامى	٢٤/١٠١
» »	الاسلام فى أصوله الأولى والأخيرة	٦٤/١٠٣
يحيى هاشم حسن فرغل	موقف المسلم من التنبوء والكهانة	٥٢/ ٩٩
» » »	موقف الفكر الاسلامى	٢٨/١٠٨
يوسف حسن نوفل	قبل الزحف والتصدى	٥٢/ ٩٨
» » »	حاضر العالم الاسلامى (كتاب الشهر)	٧٤/١٠٧

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

المغـــرب : الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت